

شرح

عین العالم وزیر الحکماء

مؤلفه الامامه والشيخ المشايخ الفاضل شيخ نور الدين
سيد علي بن سلطان محمد بن علي المروفي القاري
مطبعة المطابع العثمانيه سنة ١٠١٤ هـ

مكتبة الشفاة الدمشية

شرح

عين العالم وزير الحكيم

للامام العلامة والمير النابغة الفهامة الشيخ نور الدين
منا على بن سلطان محمد الهروي المعروف بالقاري
صاحب المؤلفات الكثيرة المتوفى سنة ١٠١٤ هـ

الجزء الأول

مكتبة الثقافة الدينية

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

المركز الرئيسي، ٥٢٦ شارع بورسعيد، القاهرة

فرع ١٤ ميدان المتبة بالقاهرة

تليفون: ٩٣٦٢٧٧ - ٩٢٢٦٢٠

فهرست

صفحة	صفحة
والاحاديث النبوية والآثار المروية	٣ خطبة مؤلف الكتاب
٢٦ بيان أن من حق علم المعاملة العمل به	٦ كلام الامام جعفر الصادق في تفسير قوله تعالى «في مقعد صدق»
٢٧ ذكر ماورد في ذم ترك العمل من الكتاب والسنة	١٢ حصر الكتاب في عشرين بابا
٢٩ آداب المعلم والتعليم	١٤ «المقدمة في العلم»
٣٣ بيان ما هو علم التصوف وذكر أقوال علماء السلف في ذلك	١٥ تقسيم العلم الى علم المكاشفة وعلم المعاملة
٣٥ فرض العين مقدم على فرض الكفاية وبيان مايسوغ له من فروض الكفاية	١٥ تفسير علم المكاشفة
٣٧ آداب المناظرة وصفات المناظر المقبولة	١٦ تفسير علم المعاملة
٣٩ التمسك بالأصول الثلاثة الكتاب والسنة والاجماع	١٧ الدليل على ان علم المعاملة مقدم على علم المكاشفة
٤١ سبب تزعزع عقيدة المتكلم المشتغل بالظن دون العلم المتقن	١٨ الدليل على أن علم المعاملة لا ينفك عن علم المكاشفة
	١٩ ماورد في فضل العلم والعاملين به
	٢١ بيان حقيقة المعاملة
	٢٣ بيان ما هو العلم المطلوب للشخص
	٢٤ بيان ماورد في فضل التعلم والتعليم من الآيات القرآنية

صفحة	صفحة
٤٢	بيان أن على الانسان أن يبعد
عن ورود الشبهة والهوى	
والوسوسة	
٤٣	كلام علماء السلف والخلف
في علم الكلام	
٤٧	على الشخص أن يتمسك في
الفروع بالجمع عليه أو المتفق عليه	
بين الأئمة الأربعة المجتهدين ثم	
يأخذ بالاحوط ثم الاوثق دليلا	
ثم قول من ظن أنه أفضل	
٤٨	ما ورد في فضل أبي حنيفة
مؤسس المذهب وذكر بعض	
مناقبه وأحواله	
	(الباب الاول في الورد)
٥٥	تفسير الورد وبيان أنواع العبادة
المطلوبة من المكلف	
٥٦	ذكر أشياء من حق الصلاة
٥٧	تساهل الصحابة رضي الله عنهم
في الظاهر	
٦٠	مشروعية الوضوء بعد أشياء
ذكرها المصنف على مذهبه	
٦١	كيفية الطهارة
٦٣	مشروعية اعفاء اللحية وبيان حدها
وما كان عليه الصحابة رضي الله	
عنهم في ذلك	
٦٥	بيان ما يجتنبه الانسان عند
وضوئه	
٦٦	المواضع التي يشرع فيها السواك
٦٧	مشروعية المحافظة على الجماعة في
أقرب المساجد	
٦٨	بيان آداب الصلاة
٦٩	بيان أن الامامة أفضل من الأذان
٧٠	ينبغي أن تراعى الأعمال الباطنة
في الصلاة وهي ستة	
٧٢	مشروعية الاجتهاد في قطع
العلاق التي تعوق المصلي في	
صلاته	
٧٦	أقوال العلماء فيمن يصلي وقلبه
غير حاضر	
٧٨	الأولياء يكاشفون في الصلاة
على حسب الصفاء	
٧٩	من أنواع الورد قراءة القرآن
٨١	بيان الأحزاب المروية عن
الشارع	
٨٣	مشروعية قراءة الأوراد من
القرآن الحكيم	
٨٧	مشروعية تحسين الصوت
بالقراءة	
٨٩	مشروعية تدبر الآيات عند
تلاوتها والتأمل في معانيها	
٩٠	بيان أن للقرآن ظهرا وبطنا
٩٢	التشديد على من فسر القرآن برأيه
٩٤	آداب تلاوة القرآن
٩٦	مشروعية الصلاة على النبي ﷺ
والأكثر منها	

صفحة	صفحة
٩٧ من الاوراد المروية الاذكار	١١٤ فضل قراءة القرآن في قيام
الثابتة عن الرسول ﷺ	الصلاة متديرا
٩٨ مشروعية الدعاء و بيان أنه	١١٥ فضل الاشتغال بالعلم وأنه
مع العبادة	أفضل من صلاة ألف ركعة
٩٩ من حق الدعاء أن يتصد به	وبيان ما المراد به
فضائل الأوقات وبيانها مفصلة	١١٦ مشروعية المداومة على الاوراد
١٠١ مشروعية استقبال القبلة ورفع	وان قلت
اليدين في الدعاء	١١٧ بيان أوراد الليل
١٠٢ مشروعية افتتاح الدعاء	١٢١ مشروعية الاجتهاد في قيام الليل
بالحميد والصلاة على النبي صلى	وبيان حال السلف في ذلك
الله عليه وآله وسلم والختم بهما	١٢٢ بيان أن المعين على القيام تسعة
١٠٣ اجتناب الجهر والخافتة في الدعاء	اشياء وسردها مفصلة
١٠٤ النهي عن تكلف السجع في	١٢٤ يستحب مراعاة فواضل الليالي
الكلام وما ورد في ذلك	والايام وبيانها مفصلة
١٠٤ مشروعية التضرع والخفية	١٢٦ ما ينبغي فعله في يوم الجمعة
في الدعاء	١٢٨ ما ورد في فضل البكور
١٠٥ مشروعية رجاء الاجابة	١٣٤ مشروعية المحافظة على الرواتب
١٠٥ استحباب الالحاح في الدعاء	وسائر السنن وبيانها مفصلة
١٠٧ حديث ثلاثة لا ترد دعوتهم	١٣٦ مشروعية اختيار الانفراد
١٠٨ مشروعية التفكير في الدعاء	بالعبادة ان خاف الرياء والجماعة
وما ينشأ عنها من الثمرات	ان خاف الكسل ويخجل ان أمنهما
والفوائد	١٣٧ استحباب مراعاة كل ما فيه
١١٠ بيان أن مجرى التفكير شيان	فضيلة وذ كر أمثلة منها
وتفصيل ذلك	١٢٩ مشروعية الاحتراف في الاوقات
١١١ مشروعية مداومة العبادة	المكروهة عن إيقاع العبادة فيها
ظاهرا وباطنا	
١١٣ الاوقات التي يطلب فيها	١٤٠ (الباب الثاني في)
الذكر كثيرا	(الانفاق والقناعة)

صفحة	صفحة
والاذى	١٤٠ ماورد في فضل الاتفاق وذم الامساك
١٥٧ بيان ان أفضل الصدقة ما كانت عن طيب نفس وأجود مال	١٤٢ من جملة الحكمة في الاتفاق
١٥٨ من تصرف اليه الصدقات ويان أوصافهم	تنظيف القلب وتخليته عن البخل
١٦١ الاولى في صرف الصدقة الى من هو جامع للاوصاف التي ذكرها المؤلف أو اكثرها	١٤٢ يان أسباب الحرص
١٦١ مشروعية التصديق كل يوم وعدم رد السائل	١٤٤ ماورد في البخل والسخي من الذم والمدح
١٦٢ آداب المتصدق عند دفع الصدقة لمستحقها	١٤٧ يان مايفضى الى المهلكات من الصفات القيحة والأفعال الفظيعة
١٦٢ مشروعية تقديم نفقة النفس والعيال ودليل ذلك	١٤٨ يان فوائد المال
١٦٣ مشروعية المباكرة بصرف الصدقة	١٥٠ يان حقيقة السخي
١٦٥ الاجتهاد في تحصيل أنواع الصدقة حقيقة وحكما ويان أنواعها مفصلة	١٥٠ يان ان السخاوة تفارق الايثار والتبذير والتسخي والمروءة
١٦٦ عدم مشروعية النذر في الصدقات ودليل ذلك	١٥٢ حق النفقة والعتاء أن يعجل قبل الوجوب ودليل ذلك
(الباب الثالث في)	١٥٣ استحباب تعيين وقت النفقات
(الصوم وكسر الشهوة)	أفاضل الاوقات كشهر رمضان وذى الحجة
١٦٨ ما ورد في فضل الصوم	١٥٣ استحباب الاسرار في الصدقات
١٧٠ يان أدنى رتب الصوم	ان خاف الرياء وذكر ماورد في ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية
١٧٠ ما يفطر الصائم من الأمور المعنوية	١٥٤ يان حقيقة المن في الصدقات واقوال العلماء فيه
	١٥٥ تعريف المحسن حقيقة
	١٥٦ تعريف الأذى
	١٥٦ يان السبب الباعث على المن

صفحة	صفحة
١٨٦	١٧٢ ما يقول الصائم اذا شامته أحد أو قاتله
١٨٩	١٧٣ مشروعية تقليل الاكل في الصوم عند الافطار والسحور وتعليل ذلك
١٩٠	١٧٥ اجتناب أمور في الصوم هي عاتقة عن وصول الثواب وبيانها مفصلة
١٩١	١٧٦ يياز وقت الاكل وعادة السلف في ذلك
١٩٣	١٧٧ بيان الاقتصاد في الاكل بحسب الوقت المناسب لاكثر العباد
١٩٨	١٧٨ بيان جنس المأكول وذكر مراتبه وكذلك ذكر مراتب الادام
١٩٩	١٨٠ التحذير لمن جعل همته الدنيا وأنواع الطعام والشراب
٢٠١	١٨٢ مشروعية تعجيل الافطار وتأخير السحور وما ينبغى له أن يتبدأ به في القطور
٢٠١	١٨٢ تخصيص رمضان بالصدقة والتلاوة والاعتكاف
٢٠٣	١٨٣ استحباب مراعاة سائر الاعمال في الايام الفاضلة كالاشهر الحرم والجمعة
٢٠٣	١٨٤ بيان أفضل أيام الصيام
٢٠٤	(الباب الرابع في)
٢٠٥	(السفر والحج والغزو)
٢٠٥	
١٨٦	تقسيم السفر الى ديني ودنيوي وتعريف كل منهما وذكر أمثلة منهما
١٨٩	عدم مشروعية شد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وبيانها
١٩٠	تفسير قوله من لم ينفعك لحظه لم ينفعك لفظه
١٩١	بيان السفر الدنيوي وذكر أمثلة منه
١٩٣	آداب السفر
١٩٨	ذكر اشياء لا يجوز مصاحبها في السفر
١٩٩	ما يجوز أن يكون مع المسافر في سفره
٢٠١	مشروعية دخول المسافر المسجد عند دخوله البلد وصلاة ركعتين
٢٠١	مشروعية نحر جزور أو بقرة عند دخول المسافر البلد ودليل ذلك
٢٠٣	مشروعية المشي الى أداء فريضة الحج ان قدر على ذلك
٢٠٣	كيفية مشي الحاج وصفة هيئته
٢٠٤	لا ينبغي للحاج أن يمسأ كس في شراء الهدى والأضحية
٢٠٥	ما ينوي الحاج عند ذبح القداء
٢٠٥	مشروعية الاكثار من الاقفاق

صفحة	صفحة
(الباب الخامس في الزوج والتخلي)	في طريق مكة ذهابا وأيابا ومن
٢١٧ ذكر فوائد النكاح	علامات قبول ذلك
٢١٨ مشروعية الجمع بين أربع نسوة	٢٠٦ آداب مناسك الحج
إن لم يعتصم بواحدة وأقوال	٢٠٦ مشروعية تلقى الحاج بالترحيب
العلماء في ذلك	عند وصوله الى بلده
٢٢١ الأجر الكثير لمن احتمل جفاء	٢٠٧ مشروعية الذهاب الى المدينة
النساء.	وزيارة قبر الرسول ﷺ
٢٢٢ الفائدة العظمى والمقصود	وقبور الصحابة وأهل البيت
الأصلي من الزواج الولد	وسائر مشاهدتها رضى الله
٢٢٣ من فوائد النكاح الاستئذان	عنهم أجمعين
بسنته عليه الصلاة والسلام	٢٠٨ مشروعية الصلاة في مساجد
٢٢٤ بيان ثمرات الولد ومنافعه	المدينة والتبرك بآبارها
٢٢٥ متى يتعين النكاح	٢٠٨ بيان آبار المدينة وذكر أسمائها
٢٢٧ الأولى الجمع بين الزوج والعبادة	٢١٠ يستحب للحاج الإقامة بمكة
٢٢٨ كل عضو يصلح لنعمة أخرى	مع مراعاة حقوقها وكذلك
٢٢٩ ضرر النظر في الأمر أقوى	بالمدينة
من النظر الى المرأة	٢١٢ حق الجهادان بنوى نصره الدين
٢٢٩ ينبغي ان يراعى المتزوج	وبذل النفس في رضائه تعالى
الاعتدال في الوقاع لأن	٢١٣ مال المجاهد من الأجر والثواب
الافراط في الجماع يولد أشياء	في سبيله
كثيرة تضر	٢١٤ أرواح الشهداء في حواصل
٢٣٠ مقدمات النكاح كالخطبة	طير خضر الخ
ووقت العقد	٢١٥ لا يشرع الجهاد لمن كان مشغولا
٢٣١ اختيار المرأة الصالحة المتدينة	بتعهد الأهل وخدمة الأبوين
فهى خير له في دينه ودنياه	٢١٥ استحباب خدمة الغزاة
٢٣٢ من المشروع خفة مهر الزوجة	وتجهيزهم
وتقليله	٢١٦ مشروعية تعلم الفروسية
٢٣٣ يختار من النساء الولود البكر	والمسابقة والرمي

صفحة	صفحة
٢٤٥ استحباب تسمية اسماء المولود	٢٣٤ ما يكره من أوصاف النساء
٢٤٦ كراهة الجمع بين اسمه عليه السلام وبين كنيته	٢٣٥ يجب مراعاة أوصاف الزوجة
٢٤٦ مشروعية تسمية السقط	لان الطلاق يد من له الساق
٢٤٧ يستحب أن يعق عن الولد	٢٣٦ مشروعية المهادت قبل الزواج
بشأتين وعن الاثني بشاة	من الزوجين لانه يورث المحبة
ودليل ذلك	٢٣٧ لا يجوز خطبة الرجل على
٢٤٨ مشروعية تحنيك الولد	خطبة أخيه وتعليل ذلك
(الباب السادس في)	٢٣٧ مشروعية نثر السكر والوزع على
(الكسب والورع)	رأس العروس
٢٤٨ الحديث على طالب الحلال	٢٣٨ مشروعية التسمية في ابتداء
والكسب منه والاعراض عن	الوقاع وقراءة العاتحة وسؤال
الحرام وترك مباشرته وماورد	الذرية الطيبة ومجانبة الشيطان
في ذلك من الادلة	٢٣٩ الاوقات التي يستحب فيها الجماع
٢٥٠ يعطى القاضى والمفتى الكفاية	٢٣٩ استحباب المباشرة كل اربع ليال
من بيت المال	٢٤٠ مشروعية مضاجعة الحائض
٢٥١ مشروعية التبكير في الكسب	ومؤا كلتها مخالفة للمجوس
والعمل	٢٤٠ من المنهى عنه اتيان المرأة جانب
٢٥٣ بيان الحرف المقبولة الشريفة	دبرها لانه اللواط الصغرى
وما ليس كذلك	٢٤١ عدم مشروعية العزل الا في
٢٥٤ بيان أن ما يحرم استعماله من	أحوال مخصوصة
الاولى وغيرها لا يجوز بيعه	٢٤٣ مشروعية الفرح بالمولود
٢٥٤ استحباب معاملة الصالح المتدين	وعدم الاعتماد بالنت
المستتر حاله دون الفاسق	٢٤٤ استحباب التأذين في أذن
٢٥٤ كراهة المبالغة في مدح المبيع	المولود اليمنى والاقامة في
وعدم المشتري وان صدق	اليسرى وقطع سرتة واماطة
٢٥٥ كراهة الخلف في البيع والشراء	الاذى عنه
٢٥٥ يجب على المتبايعين أن يظهر	٢٤٥ مشروعية الاختتان في اليوم
	السابع من الولادة

صفحة	صفحة
ما كان عليه السلف الصالح رضى الله عنه وأرضاه	عيوب السلعة والتمن
(الباب السابع في الاتباع والمعيشة)	٢٥٧ لا تشرع الزيادة في الثمن ترغيبا
٢٧١ ماورد من الآيات القرآنية	لغيره بدون ان يقصد الشراء
والأحاديث النبوية في اتباع	٢٥٩ مشروعية التماهل في البيع
الذي ﷺ في آدابه في الأكل	والشراء
والشرب واللبس والنام	٢٦٠ استحباب المبادرة في اعطاء
والسلام وما لا يستغنى عنه في	الأجرة وقضاء الدين قبل الاجل
أمور الدنيا	وينوى القضاء ان عجز
٢٧١ بيان ان المسترسل في اتباع الهوى	٢٦١ مشروعية الاستقراض في
يشبه البهائم	ضعف قوة بان يكون في حج
٢٧٢ مشروعية غسل اليدين قبل	أو غزو وكذلك في تكفين
الأكل وبعده ودليل ذلك	الميت وترويج الفقير الذي
٢٧٣ مشروعية افتتاح الأكل بالملح	يخاف على نفسه الزنا
والاختتام به	٢٦١ مشروعية كيل الطعام أخذوا اعطاء
٢٧٣ كراهية الأكل على خوان	٢٦٢ استحباب اختيار حرف
٢٧٣ بيان ان الاثنان والمنخل	السلف كالحرث والحل والنجر
والخوان والشبع من البدع	والخياطة والرعى والكتابة
٢٧٤ كراهية الأكل متكأ إلا الفاكهة	وكل ما ينفع الأمة ويعزز مكرها
٢٧٦ كيفية الجلوس على الطعام	٢٦٣ مشروعية اتخاذ الغنم والدجاج
٢٥٧ تقديم الطعام على الصلاة ان	وغيرها للدر والنسل
أمن فواتها	٢٦٤ كراهية الحرص في البيع والشراء
٢٧٦ استحباب كثرة الأيدي على	٢٦٥ كراهية ركوب البحر الا للحج
الطعام	أو غزو
٢٧٧ ما يجتنب من الأواني في الطعام	٢٦٥ مشروعية الورع في البيع
٢٧٧ مشروعية التسمية في ابتداء الأكل	والشراء وبيان مراتبه
٢٧٧ كراهية عيب المأكول وتجاوزه	٢٦٧ كراهة الوسوسة في البيع
عما يليه	والشراء ومثال ذلك
	٢٦٨ ينبغي التشدد في الاحتياط وبيان

صفحة	صفحة
٢٧٨	كراهية الأكل من أعلى القصعة
٢٧٨	وكذلك وسطها ولا بأصبعين
٢٧٨	ولا بأربع ولا بالشمال
٢٧٨	كراهية قطع الخبز واللحم
٢٧٩	بالسكين
٢٧٩	مشروعية تحضير البقل والخل
٢٨٠	في السفرة
٢٨١	ذكر أشياء من آداب الأكل
٢٨٢	مشروعية لعق الأصابع بعد
٢٨٢	الطعام وأكل السواقل
٢٨٣	استحباب الدعاء لمن أكل
٢٨٣	طعاما عنده
٢٨٣	آداب الطعام
٢٨٣	كراهية التكلف لتقديم الطعام
٢٨٧	تقديم الشيء الذي يحتاج اليه
٢٨٧	العيال أولا تسامح به النفس
٢٨٧	يورث الانقطاع
٢٨٧	استحباب تقديم ما تشتهيه
٢٨٩	النفس وما ورد في ذلك من الآثار
٢٨٩	استحباب الضيافة ودليل ذلك
٢٩٠	كراهية إهمال ضيافة الأقرباء
٢٩٠	والإخوان وتخصيص بعضهم
٢٩٠	اجابة الدعوة
٢٩٠	استحباب الاعتذار لمن لم
٢٩٣	يجب الدعوة
٢٩٣	ضيافة من لم يقبل الطعام بالعطر
٢٩٣	وطيب الكلام
٢٩٣	وجوب انكار المنكر على من
٢٩٤	حضر الوليمة ووجد فيها منكرًا
٢٩٦	آداب الضيافة زيادة على ما تقدم
٢٩٦	مدة الضيافة ثلاثة أيام
٢٩٦	استئذان كل من الضيف
٢٩٦	والضيف صاحبه في صوم النفل
٢٩٦	مشروعية ارسال الطعام الى
٢٩٧	أصحاب المصائب
٢٩٧	اجتناب طعام السلطان وقبول
٢٩٧	لواكره على ذلك
٢٩٧	كراهية أكل الثوم والبصل
٢٩٨	والكرات لا سيما يوم الجمعة
٢٩٨	آداب الطعام زيادة على ما تقدم
٢٩٩	كراهية مؤاكلة الاشرار
٢٩٩	ومشاريتهم
٢٩٩	ما يأكله الشخص من أنواع
٣٠٠	الدقيق والتمر
٣٠٠	مشروعية تجويع النفس
٣٠١	اجتناب الشرب أثناء الأكل
٣٠١	آداب الشرب
٣٠٣	استحباب اختيار الثوب
٣٠٣	الايض وينوى ستر العورة
٣٠٣	آداب اللبس
٣٠٥	مشروعية لبس العمام مع
٣٠٦	ارخاء الذيل لها بين الكتفين
٣٠٦	الى قدر الشبر أو نصف الظهر
٣٠٦	آداب لبس الخف والنعل
٣٠٦	استحباب الطيب وعدم رده
٣٠٦	تعريف طيب الرجل وطيب المرأة

صفحة	صفحة
٣١٧ آداب المشى	٣٠٧ مشروعية اجتناب الجناء
٣١٨ مشروعية الابعاد عند قضاء الحاجة وستر العورة	والنفس والاتصاف
٣١٨ كراهية استقبال النيرين والقبلة والبول في الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة الخ	٣٠٧ اجتناب رفع البناء أكثر من سبعة أذرع، ويبدأ يوم الأحد
٣١٩ آداب البول	٣٠٨ مشروعية اتخاذ وضعية للوضوء والفصل والبول والغائط والضيافة
٣٢٠ مشروعية الدعاء قبل دخول الخلاء ويعنه	٣٠٨ كراهية التوطن في دار الحرب ودليل ذلك
٣٢٠ آداب تنظيف البدن والاعضاء الظاهرة	٢٠٩ آداب دخول البيت
٣٢٨ اباحة دخول الحمام سائر العورة عن النظر	٣١٠ مشروعية الوضوء للنوم والاستياك واعداد الطهور والسواك
٣٢٢ آداب دخول الحمام	٣١٠ مشروعية وضع وصية الرجل تحت رأسه خوفاً من هجوم الموت
٣٢٣ كراهية دخول المرأة الحمام	٣١١ بيان ما يتلو من الآيات القرآنية عند النوم
٣٢٤ مشروعية قص الشوارب	٣١٣ كراهية النوم مفترداً وعلى سطح وبعد العصر
٣٢٥ مشروعية حلق العانة وتنف الايط وكراهية تأخيرهما أكثر من أربعين يوماً	٣١٤ مشروعية القبولة
٣٢٦ استحباب الاكتحال بالامد	٣١٥ استحباب قص الرؤيا على عالم ناصح
٣٢٦ مقدلو طول اللحية	٣١٥ استحباب البزق عن اليسار والتعود اذا رأى مكروها
٣٢٧ خضاب الرأس واللحية بالسواد مكروه ويجوز بالحناء والكتم	٣١٦ كراهية اقتناء الكلاب الا لصيد أو ماشية أو زرع
٣٢٨ استحباب الوضوء للجنب قبل النوم	٣١٦ كراهية استقبال الشمس واستدبارها
٣٢٩ كراهية ازالة الشعر والظفر حال الجنابة	
٣٢٩ استحباب كنس المساجد	

صفحة	صفحة
٣٤٢ استحباب قبول الهدية والمكافأة عليه - ١	وتتويرها وفرشها
٣٤٢ مشروعية التزام المرأة فعر البيت وعدم النظر خارجه	٣٢٩ كراهية زخرفة المساجد ونقشها
٣٤٣ استحباب الصبر ولزوم السكنية اذا أصيب المرء بمكروه ويحترز من شق ثوب أو ضرب خد أو حلق شعر	٣٢٩ آداب دخول المسجد والجلوس فيه
٣٤٤ آداب المريض وما ينبغي له	٣٣٣ كراهية الجلوس في الاسواق الا اذا أدى حقها
٢٤٥ مشروعية التداوى ولو باستقراض دراهم من أهله وزوجته	٣٣٣ استحباب افتتاح الكلام بالتمسية والتحميد والاستعاذة والصلاة على النبي ﷺ
٣٤٦ مشروعية الاحتجام وبيان أوقاته	٣٣٤ آداب التلاوة
٣٤٧ النهى عن الكى والرقية	٣٣٥ مشروعية البكاء من خشية الله وكراهية الضحك
٣٤٨ مشروعية الإيصال بثلث المال وارضاء الخصوم وقضاء الديون وفدية الصلاة والصوم	٣٣٦ آداب العطاس والتأوب والبراق
٣٤٩ مشروعية قراءة يس على المحتضر والموتى	٣٣٧ مشروعية افتتاح الكتاب بالتحميد والصلاة
٣٥٠ مشروعية تلقين الميت كلمة التوحيد	٣٣٨ آداب السؤال لقضاء الحاجة
(الباب الثامن في الصعبة)	٣٤٠ مشاوراة المرأة ومخالفتها
٣٥١ فوائد الصعبة وثمراتها	٣٤٠ الاقتصاد في المال والكسب بحيث لا يترك دينه لدنياء
٣٥٢ بيان ان المتحايين في الله على منابر من نور حول العرش	٣٤١ مشروعية ارتداف الخدام خلف سيده
٣٥٣ بيان من يحب ويتخذ صاحباً	٣٤١ استحباب الصدق بفاضل الفقهاء والسعى في حاجات الناس
٣٥٥ شرح معنى الاخوة والمحبة والخلة	قبل أن يدخل بيته
	٣٤١ استحباب قيامه بمصالح البيت من خصف نعل وتخييط ثوب وقطع لحم

صفحة	صفحة
المظلوم واعانة الضعيف	٣٥٧
بيان حقوق المؤمن على المؤمن	٣٨٢
استحباب مجالسة الفقير دون الغني	٣٨٥
ما على العاقل اذا ابتلى بمجالسة	٣٨٥
العامي الجاهل وذو السلطان	٣٨٨
كراهية الهجر فوق ثلاثة	٣٨٨
مشروعية الاستئذان للدخول	٣٨٨
ثلاثا	٣٨٩
استحباب عيادة المريض وبيان	٣٩٢
آدابها	٣٩٢
ما يفعل بالميت عند موته	٣٩٢
مشروعية التعزية وتشيع	٣٩٤
الجنائز	٣٩٤
الاجتهاد في أن يكون عدد من	٣٩٤
يصل على الميت أربعين	٣٩٤
بيان ما يصنع في الميت بعد دفنه	٣٩٥
مشروعية زيارة القبور وآدابها	٣٩٧
وأوقاتها	٣٩٨
ما ورد في الروايتين وبيان الأدب	٤٠٠
معهما وصلتهما بعدم موتهما	٤٠١
مشروعية صلة الرحم وزيارته	٤٠٣
بيان حقوق الجار واسترضاء	٤٠٥
خاطره	٤٠٦
ما ورد في حد الجار	٤٠٦
مشروعية حسن المعاشرة مع	٤٠٦
المرأة وما ورد في ذلك	٤٠٦
مشروعية الغيرة وكيفيتها	٤٠٦
استحباب منع المرأة من حضور	٤٠٦
المساجد	٤٠٦
ما ورد في صحة الفساق والاشرار	٣٥٧
من الآثار	٣٦٠
يسأل الانسان يوم القيامة عن	٣٦٠
حقوق الصحة	٣٦١
حال السلف في الأخوة والصحة	٣٦٣
مشروعية سؤال من أحب عن	٣٦٤
اسمه واسم أبيه ومنزله	٣٦٩
آداب الصحة والمحبة	٣٦٩
استحباب زيارة الاحباب	٣٧٠
والاصحاب غبا	٣٧٢
مشروعية السلام على المسلم	٣٧٢
وان لقيه مرارا	٣٧٣
كراهية السلام على النسوة	٣٧٤
وعند تلاوة القرآن والأذان	٣٧٤
وقضاء الحاجة	٣٧٤
آداب السلام	٣٧٤
مشروعية المصافحة وكيفيتها	٣٧٤
استحباب معانقة القادم واخذ	٣٧٦
ركاب العلماء للتوقير	٣٧٧
كراهية القيام	٣٧٨
استحباب توقير العلماء والصلحاء	٣٧٨
والشيوخ	٣٧٩
استحباب مراعاة الصفة - ار	٣٨٠
وتكفل اليتيم	٣٨٠
مشروعية تسميت العاطس	٣٨٠
مشروعية اصلاح ذات البين	٣٨٠
وستر العورة وارشاد الضال	٣٨٠
وتفريج المكروب ونصر	٣٨٠

صفحة	صفحة
والنهي عن المنكر وهو من	٤٠٧ مشروعية الاعتدال في النفقة
فروض الكفاية	٤٠٨ مشروعية العدل بين النساء
٤٣٥ شروط الأمر بالمعروف والنهي	في البيوت والإعطاء
عن المنكر	٤٠٩ مشروعية إرسال حكيم ليصلحها
مراتب الحسبة	بين الزوجين إذا وقع بينهما
٤٤١	خصومة
٤٤٦ أقوال العلماء في كون المنكر	٤١٠ مشروعية نصيحة الزوج لزوجته
يلزم أن يكون متفقا عليه أم لا	إذا خالفت وعصت عليه
٤٤٧ كراهية المصر على الذنب وإن	٤١١ بيان حقوق الزوجين وتفصيل
كان صغيرة وترك إعانتها	ذلك
٤٤٨ ما ورد في ذم المبتدع وانتباره	٤١٦ قيام الزوجة بأمور البيت وما
٤٤٨ مشروعية اضطرار الذي إلى	ورد في ذلك من الآثار
أضيق الطرق وعدم بدئه بالسلام	٤١٨ المحافظة على حال الولد في التعليم
٤٤٩ تسميت الكافر بالهداية لا بالرحمة	الديني والديني
(الباب التاسع)	٤٢٢ كراهية الضرب للغضب والعفو
(في الصمت وآفات اللسان)	خير
٤٤٩ ما ورد في فضل السكوت	٤٢٤ مشروعية تهذيب أهل البيت
٤٤٩ بيان أن أكثر خطايا ابن آدم	بالرياضة لاسيما الولد المراهق
في لسانه	٤٢٥ كراهية الضرب على الوجه
٤٥٠ فوائد الصمت	والتعذيب بالنار
٤٥٢ بيان حديث من حسن إسلام	٤٢٥ مشروعية الرفق بالحيوان
المرء تركه ما لا يعنيه	٤٢٦ كراهية إكرام الفساق والدعاء
٤٥٣ من المذموم الخوض في الباطل	لهم وبرهان ذلك
كحسان النساء ومقامات الفساق	٤٢٩ مشروعية دفع الظلم عن نفسه
وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك	وغيره
وحروب الصحابة والمذاهب	٤٣٠ مجانية الحكام والظلة وأبواب
الباطلة وما ورد في ذلك من	الأمر وما ورد في ذلك
الآثار	٤٣٣ مشروعية الأمر بالمعروف
٤٥٤ بيان علاج ذلك ودوائه	

صفحة	صفحة
وما ورد في ذلك	٤٥٤ الزجر عن المراء وتعريفه
٤٦٠ بيان خلف الوعد من علامات التفاق	٤٥٥ النهى عن الجدال الا في حق
٤٦١ ماورد في مدح من وعد فوفا ودم الخلف	٤٥٦ بيان ان أول ما عهد الاله الى الرسول ﷺ بعد عبادة
٤٦٢ تحريم الكذب وماورد فيه من الذم واستثناء أشياء يجوز الكذب فيها	الاورثان وشرب الخمر
٤٦٤ الكلام على المعارض وأقوال العلماء في ذلك	٤٥٧ النهى عن الخصومة وتعريفها وما ورد فيها
٤٦٥ التصريح بالكذب عند عدم امكان التلويح مع اعتبار النية والاستثناء من القلب	٤٥٨ النهى عن التشدق بتسكف التسجع والتصنع فيه
٤٦٥ الكلام على المبالغة في القول كقولهم جئتك ألف مرة	٤٥٩ ذم الفحش في الكلام وما ورد فيه
٤٦٦ من أعظم الكذب الكذب في الاخبار والرؤيا	٤٥٩ النهى عن السب
٤٦٧ النهى عن الغيبة وذم مضارها وماورد في ذمها	٤٦٠ النهى عن اللعن وتفسيره وبيان ما يرخص فيه وبسط الكلام في ذلك
٤٦٨ ذكر أنواع الغيبة وبيان أنها ستة من أنواع الغيبة التصريح والتعريض والاشارة والغمز والمحاكاة	٤٦٤ النهى عن نسبة الذنب الى المسلم وهو برىء منه
٤٦٨ ماورد في ذم الغيبة من الكتاب والآثار	٤٦٤ عدم مشروعية الدعاء على أحد وتعليل ذلك
٤٧٠ بيان الباعث والسبب في الغيبة وأنها سبعة مشهورة	٤٥٧ النهى عن المازاح وتعريفه ومضاره وما ورد في ذلك من الآثار (١)
	٤٥٩ كراهية الاستهزاء وتعريفه وما ورد في ذمه
	٤٦٠ النهى عن إظهار السر وتعريفه
	(١) ملزمة ٥٩ تسكرر في صحائفها من الأعلى سهواً ولذلك أبقينا رقم الصحائف في الفهرست على أصلها مكررة كما ترى فلينبه

صفحة	صفحة
٤٧٢	المريض في ذكر مساوى الغير
٤٧٣	سبعة أشياء وبيانها مفصلة
٤٧٤	ذكر الفاجر بما فيه ليحذر الناس منه جائز
٤٧٤	والأصل في الغرض الصحيح
٤٨٦	عند ذكرك أخاك بما يكره
٤٨٦	الاستفتاء من القاب حال
٤٨٦	التصريح والتلويح
٤٨٦	ماذا على المقتاب من العمل
٤٨٦	وأقوال السلف في ذلك وماورد
٤٨٦	في ذلك من الآثار
٤٨٨	بيان أن النية حرام وذكر مضارها
٤٩٠	وما ينشأ عن ذلك من المفساد
٤٩٠	ما على ذي الوجهين من الائتم في
٤٩٠	الدينا والآخرة
٤٩٠	النهى عن مدح ما لا يستحق
٤٩٢	المدح وبيان خطره وأنه يضر
٤٩٢	المادح والممدوح
٤٩٣	النهى عن التكلم بما لا يباح
٤٩٣	شرعا ومثاله
٤٩٤	النهى عن سؤال العامة عما يتعذر
٤٩٤	ادراكه ومثاله ذلك
٤٩٥	النهى عن القول بالظن
٤٩٥	والتجسس ومفاسد ذلك
٤٩٨	النهى عن استماع القول بالظن
٤٩٨	وبيان أن المستمع شريك القائل
٤٩٨	لاقصاص في نحو الغيبة والسب
٤٩٨	والتجسس لا تحصاره على مورد
٤٩٨	الشرع
٤٨٣	بيان عدم حرمة استماع الاشعار
٤٨٤	للالتذاذ ودليل ذلك
٤٨٤	ذكر ما ورد في انشاد الشعر
٤٨٦	بين يدي الرسول ﷺ وكذلك
٤٨٦	زمن الخلفاء الراشدين من بعده
٤٨٦	بيان أن ما ورد من النهى عن
٤٨٦	الشعر يحول على التجرد له أو
٤٨٦	اذا تضمن فحشا وهجاء واقتراء
٤٨٦	جواز المدح في الشعر اذا وجد
٤٨٦	الوصف المذكور في الممدوح
٤٨٨	وذكر الآثار في ذلك
٤٩٠	حكم الغناء وذكر أنواعه
٤٩٠	ذكر مراتب الاستماع وأقوال
٤٩٠	علماء السلف في ذلك
٤٩٠	كلام الشيخ أحمد الغزالي اخي
٤٩٢	حجة الاسلام في استماع الغناء
٤٩٢	يشترط في السماع رعاية السنة
٤٩٣	بالخل على ما يليق به تعالى
٤٩٣	بيان ان التواجد مذموم وذكر
٤٩٣	علة ذلك
٤٩٤	بيان حق السماع وواجبه
٤٩٥	لا يجوز التغنى بالقرآن وما
٤٩٥	كان عليه الصحابة رضي الله عنهم
٤٩٨	في ذلك ومن جاء بعدهم من
٤٩٨	التابعين فمن بعدهم
٤٩٨	كرهية ضرب اليد والدف عند
٤٩٨	قراءة القرآن
٤٩٨	من حق السماع أن يتنفي شاغل

صفحة	صفحة
رضى الله عنه وأبى طيبة	من الزمان والمكان والاخوان
مشروعية مساعدة الاخوان في	وبسط ذلك بآتم بيان وأوضح
القيام ورفع العمامة	لفظ
مشروعية التعاون على البر	٤٩٩ آداب قراءة القرآن واستماع
والتقوى وتجنب التماون على	تلاوته
الائثم والعدوان	٤٩٩ من آداب الاستماع الاحتراز
بيان ان الأسلم الاجتناب في	عما يشوش كالسعال والتشاؤب
مطلق سماع الغناء لمكان	٥٠٠ من آداب الاستماع الاحتراز
الاختلاف فيه ونذرة تحقق	عن المنكرات كضرب اليد
الشروط	وتحريك الأطراف والرقص
خاتمة الجزء الأول من كتاب	وخرق الثوب الا اذا غلب عليه
شرح عين العلم ووزين الحلم	ذلك فاحصل لعمر بن الخطاب

فهرست

(الجزء الثاني من شرح عين العلم وزين الحلم لمنلا على القارى)

صفحة		صفحة
٢	(الباب العاشر فى الاناة والحكم والعفو والنصيحة والحقد)	٤٣
٣	تفسير الاناة والحقد	٤٤
٤	آفات العجلة	٤٦
٥	الغضب وتعريفه ومفسده	٤٧
٧	بيان أن باعث الغضب ستة أشياء وذكرها مفصلة	٤٩
٨	بيان مراتب الغضب فى الاشخاص	٥٢
١٠	علاج الغضب	٥٥
١٢	ذم الحقد وعلاجه	٥٦
١٥	ذم الحسد وبيان آفاته	٦٥
١٨	بيان أسباب الحسد	٦٥
٢٠	(الباب الحادى عشر فى العزلة والخنول وحب الذم وبغض الممدح)	٦٧
٢٠	بيان أقوال العلماء فى تفصيل العزلة على الخلطة	٧١
٢٠	ذكر فوائد العزلة	٧٥
٢٧	بيان آفات العزلة	٨٠
٣٥	التفصيل فى حب الجاه	٨٢
٣٧	آفات حب الجاه	٩٩
٣٨	بيان سبب حب الجاه	١٠٢
٣٩	علاج رفع حب الجاه خمسة أشياء	١٠٤
	بيان أن السبب لحب المدح ثلاثة أمور	
	بيان أن علاج حب المدح شيان	
	(الباب الثانى عشر فى التواضع وذكر المنة)	
	بيان ماورد فى التواضع	
	علامات الكبر ثلاثة عشر وبيانها	
	عمل الساف وتواضعهم	
	آيات الكبر ستة	
	علاج الكبر خمسة أشياء	
	آفات المعجب	
	(الباب الثالث عشر فى الاخلاص والنية والصدق)	
	تعريف الاخلاص وبيان أغلى مراتبه	
	تعريف النية	
	بيان أن النية الاصل وما عداها الفسرع	
	بيان أدنى رتب الصدق	
	بيان أن الرياء يختص بعمل الظاهر ٨٢ آفات الرياء	
	بيان علاج داء الرياء	
	الآتياء أمروا باظهار العمل للاقتداء	
	بيان أن كتمان المعاصى مأمور به	

﴿ محتويات الجزء الثاني من شرح عين العلم وزين الحلم ﴾

صفحة		صفحة
القلب وتقسيمها		الجواب عن ترك النخعي
١٤٧	بيان وسوسة النفس وتسويل الشيطان	١٠٦
١٥١	بيان اختلاف العلماء في الخواطر هل يؤاخذ عليها	١٠٩
١٥٤	الانسان أم لا وتحقيق ذلك الواجب الاحتراز عن الشيطان	١٠٩
١٥٩	وبيان طرق الاحتراز منه تعريف الخطر وتقسيمه	١١٣
١٦٠	احتلاف العلماء في أمن الأقوياء الواجب الاحتراز عن النفس	١١٤
١٦٥	وبيان طريق تهذيب الاخلاق تعريف الطمع المذموم	١١٦
١٦٧	بيان أن الطريق الذي يتعرف به الانسان عيوب نفسه انما يحصل بخمسة أمور وإيرادها	١١٧
١٦٩	بيان أن حب الدنيا رأس كل خطيئة سبب الآمل شيان	١١٩
١٧٢	﴿ الباب السادس عشر في التوبة والمراعاة والتقوى ﴾	حق ذكر الموت أن يذكر رغبة
١٧٢	تعريف التوبة وبيان أهمها واجبة لقاءه تعالى وبغشا للخوف	١٢٠
١٨٠	اختلاف العلماء في حصر الكبائر الموجب سرعة التدارك دون	١٢٢
٢١٢	الابواب السابع عشر في الصبر والتأسف على فوات الدنيا	١٢٢
٢٤٧	الابواب الثامن عشر في الخوف والرجاء بيان المراد بالمحب لقاء الله	١٢٢
٢٧٤	الابواب التاسع عشر في الفقر والزهد	١٢٢
٣١٣	الابواب العشرون في التوحيد والتوكل واليقين	١٢٨
٣٥٤	الحاتمة في المحبة والسلوك	الابواب الخامس عشر في نفى الخواطر والرياضة
		١٢٨
		القلب خزينة نعم الرب فواجب
		على العبد حفظه من الآفات
		١٣٣
		تحقيق أن القلب هو ذلك
		الانسان العارف العالم المخاطب
		تقسيم النفس الى طمئة ولوامة
		١٣٦
		وأماارة
		١٣٧
		بيان اطلاقات القلب
		١٤٢
		بيان الخواطر التي تحدث في

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العلي العظيم العليم • على ما هدانا الى الطريق القويم • والصلاة والتسليم
على نبيه الكريم • وعلى آله واصحابه وأتباعه وأحزابه المقيمين المديمين على
الصراط المستقيم •

(أما بعد) فيقول خادم كلام ربه القديم * وحديث رسوله الفخيم • على بن سلطان
محمد القارى • عاملهما الله البارى • بلطفه الخفى • وكرمه الوفى : إن هذا فتح شرح
بجمل مجمل غير مغل. ومطول غير مغل (١) لكتاب عين العلم وزين الحلم الذى من غاية
الابجاز ونهاية الالغاز • كاد أن يكون من أنواع الالعجاز • وهو فى الحقيقة مختصر احياء
علوم الدين (٢) لحجة الاسلام. وبرهان الآنام • رجاء أن أستفيض من بركات كلمات العلماء
الأصفياء • وأستفيد من نفحات صفحات (٣) المشايخ الأولياء • وأن أذكى كرفى جملتهم •
وأحشر فى زميرتهم • وإن قصرت فى متابعتهم وخدمتهم • اغترارا بمحبتهم •
واكتفاء بمودتهم • وأقول كما قال القائل من ذوى الفضائل :

لى سادة من عزم • أقدامهم فوق الجباه
انلم أكن منهم قلى • فى حبهم عز وجاه

(١) فى النسخ جميعها مجمل بجل غير مغل ولا مغل مغل وهو تركيب يفسد المعنى ولله حل من النسخ المروا
ساعهم اقة (٢) فى النسخ المطبوعة احياء العلوم وماها موافق لجمعية مؤلف الاصل (٣) فى بعض النسخ صفائح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ ثَقَى يَارَبَّ يَارَبَّاهُ بِاسْمِكَ ابْتَدَى وَبِكَ اقْتَدَى وَبِنُورِ قُدْسِكَ اهْتَدَى.

قال المصنف رحمه الله ونفعنا ببركات علومه وتقواه - هو من فضلاء الهند وصلحاتهم - على ما صرح به الشيخ ابن حجر في شرح مقدمته ، وقيل : انه منسوب الى بعض علماء بلخ ومشايخهم والله أعلم بصحيح نيته في تخفية ترجمته : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قد بسطنا الكلام في غير هذا المقام على مفردات البسملة ومركباتها ومبانيها ومعانيها وما ورد فيها وسائر متعلقاتها ﴿ وبه ثقتي ﴾ أى وثوقى واعتمادى بكرمه وجوده لا بغيره اذ لا عبرة بوجوده وشهوده ، وقد اكتفى بالبسملة مبنى لتضمنها الحمدلة معنى ﴿ يارب ﴾ أغثنى فى شدتى وهو على حذف ياء المتكلم وابقاء الكسر دلالة عليها وإشارة اليها ، وفى الابتداء به فى مقام المناجاة والدعاء بالنداء اشعار بأنه رب العالمين عموماً - كما يفيد فائحة فاتحة الكتاب ورائحة ناختة فصل الخطاب - ورب كل فرد من أفراد بنى آدم خصوصاً كما يرمى اليه الحديث « أدبني ربى فأحسن تأديبى » (١) وقول بعضهم : حسبى ربى من كل مربى ، ويدل عليه خبر « رضيت بالله رباً » ثم زاد فى مقام التأكيد ونظام التأييد لافادة اظهار العبودية فى معرض الربوبية بقوله : ﴿ يارباه ﴾ بلفظ المندوب لمد الصوت المطلوب فى التدبة والمرغوب فى الفجاءة ، والمنادى يحتمل تعلقه بثقتى والأظهر تعلقه بقوله ﴿ باسمك ﴾ أى لا بغيره ﴿ ابتدى ﴾ كما هو واجب على المنتهى والمبتدى ﴿ وبك ﴾ أى بحكمك ﴿ اقتدى ﴾ ويعونك اقتدى ﴿ وبنور قدسك ﴾ أى المطهر المصور فى صدر صدرى الذى هو محل ظهور انسك إشارة الى قوله تعالى : (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) ﴿ اهتدى ﴾ إيماء الى قوله سبحانه : (من يهد الله فهو المهتدى) وقوله : (قل ان الهدى هدى الله) والمعنى أنه يهدى به عبده بالقاء نوره فى قلبه فيهدى الى طريق ربه ويفرق

(١) رواه السمعاني فى أدب الاملاء عن ابن مسعود وكذا السكرى فى الامثال وسنده ضعيف وفيه أيضاً غرابة لكن معناه صحيح ، أى علمنى ربى رياضة النفس والتدبى الى الامور ومحاسن الاخلاق وذلك بافضاله على مجيئ العلوم الكسبية والوهبية بالتألق ولا يحصل نظير ذلك لاحد من خلق الله على الاطلاق فقد حاز صلى الله عليه وسلم جميع اقسام الادب والآداب قال الله تعالى : (وانك لعلى خلق عظيم)

اللَّهُ اللَّهُ إِلَامٌ مُدُّ إِلَى زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَيْنِكَ

بين الحق والباطل فيختار الحق ويترك الباطل في اعتقاده وعمله (الله الله) أى اتق الله مرة بعد أخرى فى أمر الدنيا والعقبى واحذر عن مخالفة المولى فلا يراك فيها نهارك فان العاقبة للتقوى ، والاعادة المشيرة الى زيادة الافادة كقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لعد واتقوا الله ان الله خير بما تعملون) أى ظاهرها وباطنها أو التقدير أستغيث بالله وأستعين بطلب رضاه فيما أرجو وأخشاه ، والحاصل لما اهتدى بنور قدسه ودخل فى قلبه بعض أنسه وتبين له الأمر بكمال ظهوره ورأى نفسه متلوثة بالدنيا معرضة عن العقبى وغافلة عن المولى حذرهما بقوله : الله الله أى اتق الله اتق الله لقوله سبحانه وتعالى : (ويحذركم الله نفسه) ولقوله عز وجل : (واتقوا الله ويعلمكم الله) وعلامة التقوى هى الزهد فى الدنيا والميل فى العقبى رجاء لمرضات المولى ، ولما كانت النفس بطبعها مائلة الى الدنيا وشهواتها وغافلة عما خلق له من تحصيل عباداتها قال مخاطبا لنفسه أو معاتبها أو خطابا عاما لا سيما اذا كان له مصاحبا : (إلَام) أصله الى ما يحرف الجار وما الاستهامة وكتب الى بالالف هنا لشدة الاتصال فى مرتبة النظامية وحذف الالف من ما اكتماء بالحركة الفتحية اليبانية واقتفاء برسم المصاحف الثمانية ، والمعنى الى متى أيها المخاطب المعاتب (تمد) أى تطمح وتتوجه (الى زهرة الحياة الدنيا) أى بهجتها وزينتها (عينيك) وفيه اقتباس من قوله تعالى : (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) وقوله سبحانه : (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لأمعن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم) وروى انه عليه السلام رأى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون : لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولا نفقةناها فى سبيل الله تعالى فقال ﷺ : لقد أعطيت سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع يعنى قراءتها مع التأمل فى مبانيها والعمل بمعانيها خير من تلك القوافل وما فيها ، بل لا مناسبة بين الأموال الفانية والأحوال الباقية ، ومن هنا قال الصديق فى مقام التحقيق : من أوقى القرآن ورأى أن أحدا أوقى من الدنيا أفضل مما أوقى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا ، وقال أبو القاسم القشيري : غار سبحانه على عينه أن يستعملها فى النظر إلى غيره ، ويقال : إذا لم يسلم له أشباع نظر ظاهره الى الدنيا

وَحَتَامٌ تَنْكُصُ بَعْدَ إِيْنَاسٍ نَارٍ عَلَى عَقِيْكَ * أَيْجِهْكَ الشَّهَوَاتُ الْحَسِيْسَةُ لِلْأَحْجَامِ ①
أَمْ يَعُوْكَ الزَّخَارِفُ الْمُمُوْهَةُ عَنِ الْأَقْدَامِ؟ مَا لَكَ تَسْعَى فِي الْمُبَاهَاتِ وَالْمُجَارَةِ
وَجَمَعَ الْحَطَامَ؟ لِنَشْرِ الصَّيْتِ وَرَفَعَ الْقَدْرَ

فكيف يسلم له سكون قلبه الى غير المولى؟ ﴿ وحتام ﴾ أى وحتى متى ﴿ تنكص ﴾ أى ترجع عن القيام بالاقدام على الله والاقبال على سبيل رضاه، وفيه تليج الى فعل ابليس وما وقع منه من نوع تلبس كما أخبر الله عنه بقوله: (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) الى أن قال (نكص على عقبيه) الآية، وتلويح الى قوله سبحانه: (قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) ﴿ بعد ايناس نار ﴾ أى بعد ابصار نار. واستيناس أنوار. واحساس أسرار. وأخبار من ديار. ليس بها بعض أغيار ﴿ على عقبيك ﴾ أى متوجها الى دار أ كدار فيها أنواع حجب وأغيار وفى الكلام اقتباس من قوله تعالى: (آتس من جانب الطور نارا) أى نار نوردار، والمعنى ابعد ظهور الحق وطريق الصدق آثار وقيل: ايناس النار كناية عن استيناس النفس بالآفات الدنيوية المانعة عن العبادات الاخرية، وهذا على تقدير ان يكون على عقبيك ظرف لايناس، وأما على تقدير كونه متعلقا بتنكص فالمعنى الى متى ترجع على عقبيك عن طريق العبادة وسبيل أهل الارادة الذى يسلك بهم الى مقام السيادة والسعادة بعد ما علمت يقينا نار هداية الحق التى بها من نار جهنم يقينا ﴿ أيجهك ﴾ من جبهه بالتخفيف أى رده أو بالتشديد أى ينكسر رأسه، أى ابعادك عن مقام القبول ويقعدك عن طلب الوصول ﴿ الشهوات الحسيّة ﴾ أى المانعة عن المقامات النفيسة والحالات الانيسة واللّهوات الفانية الحاجزة عن الدرجات الباقية ﴿ للاحجام ﴾ أى للاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى ﴿ أم يعوك ﴾ من عاق أو عوق أى او يمنحك ويصدق ﴿ الزخارف المموهة ﴾ أى الزينات المثرهمة الملتفة ﴿ عن الاقدام ﴾ على عمل الآخرة الفاخرة المحققة ﴿ مالك ﴾ أى ما حالك أو أى شى حاصل لك فى ما لك حال كونك فى مقام اقبالك وزمان استقبالك ﴿ تسعى فى المباهات ﴾ أى المفاخرة فى غير الحالات الفاخرة التى تنفع فى الآخرة، وفى نسخة المارات أى المجادلة والمخاصمة ﴿ والمجاراة ﴾ أى المسابقة والمقاطعة فى المحاورات ﴿ وجمع الحطام ﴾ أى من أموال الشبهة والحرام ﴿ لنشر الصيت ﴾ أى لانتشار الجاه عند العوام كالانعام ﴿ ورفع القدر ﴾

وَصَرَفُ وُجُوهِ الْأَنَامِ ۖ وَتَنَسَّى نَعِيمَ جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدٍ صَدُوقٍ عِنْدَ
مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ، وَمَا شَأْنُكَ تَرْغَبُ عَنْ عِلْمِ سَمَاءِ رَبِّكَ الْأَعْلَى بِالْفَقْهِ وَالْحِكْمَةِ
وَالنُّورِ وَالْهُدَى ۖ وَتَرْغَبُ فِيمَا أَحَدَتْهُ قُرُونٌ فَشَافِيهَا الْكَذِبُ وَالْبِدْعَةُ وَالْهُوَى ۝

اى بالعود في مقام الصدر عند معرض القدر (وصرف وجوه الانام) اى بالتردد اليك
في الليالي والايام (وتنسى نعيم جنات) اى بساكنات وعودة للمتقين باقية (ونهر) اى
وانهار جارية فيها عين عافية من آفات سارية (في مقعد صدق) اى مكان مرضى ومجلس
حق (عند ملك مقتدر) اى مقربين في غاية الاعتبار. عند من تعالى امره في الملك
والاقتدار. بحيث اهم على ذوى الانعام والاسرار. فهي عندي منزلة ومكانة لا عندي
منزل ومكان لعلو شأنه ورفعة برهانه ، قال جعفر الصادق : مدح المكان بالصدق
فلا يقعد فيها الا اهل الصدق وهو المقعد الذى يصدق الله فيه مواعيد اوليائه بان
يسبح لهم النظر الى وجهه الكريم ويشرفهم بلقائه ، وقال الواسطى : ليس محل من
اشتغل بنفسه وتلذذ بمطعمه ومشربه وملبسه كمن كان شغله بالحق وانسه والقيام
بامره ونظره الى ربه في مقعد صدق عند ملك مقتدر ، وقيل : الصدق في عبادته من
لا يتعبد على ملاحظة الاطماع والاغراض ومطالبة الاعواض والاعراض (وما
شأنك) اى وما عذرک في مقام حذرک (ترغب) اى تعرض وتبعد (عن علم
سماء ربك الاعلى بالفقه) حيث قال تعالى : (لعلوهم يفقهون) وقال : (فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) (والحكمة) حيث قال عز وجل : (يؤتي
الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) ، (والنور) حيث قال
سبحانه : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) وقال : (أفمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه) (والهدى) حيث قال عز وعلا : (قل ان هدى الله هو الهدى
والسلام على من اتبع الهدى) وهو علم الكتاب والسنة واجماع ائمة بهم يقتدى وهو علم
المعاملة ، اما ما سبق من قوله بنور قدسك اهتدى هو علم المكاشفة لان من كوشف فعرف
الحق يتعين عليه ان يرغب في علم المعاملة الذى يعرف به احكام الله وطريق عبادة مولاه
(وترغب) اى تميل وتخوض (فيما احده قرون) اى طبقات بعد خير القرون من
قرن الصحابة والتابعين واتباعهم (فشافيا) اى شاع وظهر فيما بينهم (الكذب)
اى في حكاياتهم (والبدعة) في اعتقاداتهم (والهوى) اى هوى ارباب النفوس

قَفَا نَبْكَ عَلَى رُسُومِ عُلُومِ الدِّينِ * وَأَطَّلَالَ أَعْمَالَ الْيَقِينِ ۝ وَدَمِنْ كَالَاتِ
الْأَحْوَالِ ۝ وَوَارَدَاتِ مُشَاهَدَاتِ الْجَمَالِ ۝ غَدَتِ الدِّيَارُ عَافِيَةً ۝ وَظَلَّتِ الْآثَارُ بَاقِيَةً
وَأَصْبَحَ الْأَصْحَابُ رَاحِلِينَ ۝ وَأَضْحَى الْأَعْرَابُ

ومشتمياتهم من العلوم التي غير نافعة ولا رافعة بل ضارة دافعة كعلم المنطق والكلام والهيئة
وسائر علوم الفلاسفة ﴿ قفا ﴾ خطاب لصاحبيه كأنه شبه نفسه ان يكون في سفر يسير
مع رفيقه فاذا بلغ منازل الاحباب وقد ارتحلوا ومضوا ودخلوا في مقام الحجاب غلب
عليه وجدفراقهم وحرارة اشتياقهم وغشيه البكاء في ميدان اليبداء فلم يتمالك في مهالك
الآزمنة ان يتجاوز مسالك الامكنة فوقف لديه واستوقف صاحبيه وقال: ﴿ قفا ﴾ (نبك) ﴿
بالانفاق على حزن الفراق، وقيل: أصله قف قف لحذف الثاني وعوض عنه الالف
لان الفاعل كالجزء من الفعل، وقيل: أصله قفن ابدل نونه ألفا، والمعنى قفا ايها المخاطب مع
الرجل المعاتب نبك ﴾ (على رسوم علوم الدين) اي آثارها المندرسة في ديارها المنقلبة
بعد اقبالها الى اديارها بقله علماء الشريعة وأخبارها (١) ﴿ (اطلال اعمال اليقين) اي
وعلى انطماس علامات اعمال أهل اليقين حيث اختلطت بافعال ارباب الرياء والسمة ولو
كانوا من المجتهدين في امر الدين بفقد المشايخ العاملين الكاملين في مقام الطريقة والجامعين
للاخلاق الواصلين الى مرتبة الحقيقة ﴿ (ودمن كالات الاحوال) بكسر الدال وفتح
الميم وعلى زوال آثار كمال ارباب الاحوال واصحاب الاقوال بعدم وجود اهل الشهود
في زوايا المشاهد الحقيقة والمعارف الدقيقة ﴿ (وواردات مشاهدات الجمال) وكذا على
صادرات مطالعات الجلال لغيبة ارباب الحضرة في مقام التوحيد. واصحاب الجذبة
في مرتبة التأيد ﴿ (غدت الديار) أي صارت ديار العلوم وجدار القوم ﴿ (عافية) اي
خربة واهية ﴿ (وظلت الآثار) اي وصارت آثار الاسلام واخبار الاحكام ﴿ (باقية) ﴿
وفيه ايماء الى قوله عليه السلام « ياتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ومن القرآن
الارسمه مساجدهم عامرة وقلوبهم خربة، (٢) ﴿ (وأصبح الاصحاب) اي العلماء الكبار الذين
بمنزلة الاصحاب الواردين فيهم « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » (٣) ﴿ (راحلين)
اي مرتحلين من دار الدنيا الى دار العقبى كما يشير اليه قوله تعالى: (أفلا يرون أنا تأتي
الأرض تنقصها من أطرافها) اي بأخذ العلماء من اكفافها ﴿ (واضحى الاعراب) اي

(١) في النسخة المطبوعة واخبارها بالخاء المعجمة وهو تصحيف (٢) الحديث رواه الحاكم في تاريخه
باطوله من هذا، والديلمي ولا يخفى عليك مرتبتهما (٣) رواه البيهقي واسنده الديلمي عن ابن عباس

نَازِلِينَ ۖ فَيَأْسَفُ عَلَى مَنَامِ الْقُلُوبِ وَقِيَامِ الْأَلْسَةِ وَمَضَاءِ الْعُلُومِ وَبَقَاءِ الْأَوْعِيَةِ
وَيَاهِنُ عَلَى صِرُورَةِ الْحَالِ كُتُبًا وَرِسَالًا ۖ وَانْقِلَابِ الْعَمَلِ أَجُوبَةً وَمَسَائِلَ ۖ
وَيَاحْسُرُنِي عَلَى انْطِمَاسِ الْمَعْنَى عَنِ الْأَسْمِ ۖ وَانْدِرَاسِ الْحَقِيقَةِ عَنِ الرَّسْمِ ۖ
وَيَاسُوَاتِي عَلَى خُلُوقِ الْقَشْرِ عَنِ الثَّلَبِ ۖ وَاغْتِرَارِ الْقَوْمِ بِلَامِعِ السَّرَابِ ۖ

الجهال الذين بمنزلة الاعراب الوارد فيهم قوله سبحانه : (الاعراب أشد كفرا ونفاقا
وأجدران لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) (نازلين) أى فى مقام العلماء العاملين
وفيه إيماة الى قرب القيامة وعلامات وقوع الساعة التى تورث الندامة لاهل الملازمة كما ورد
فى حديث جبريل « وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان » (١)
(فَيَأْسَفُ) أى تأسف (على منام القلوب وقيام الألسنة) أى على غفلة القلوب القاسية
وحدة الألسنة الراسية ، وفيه إشارة الى ما ورد فى ذم علماء آخر الزمان « ان قلوبهم اهر من
الصبر وأستهم أحلى من العسل » (ومضاء العلوم) أى وعلى مضى العلوم الفاخرة
وذهاب علماء الآخرة (وبقاء الأوعية) أى علماء سوء الذين اكتفوا بمجرد حفظ
الرواية دون ضبط الدراية والكتب البالية والحجب العالية (وياهن) بفثتين أى
تعمشى (على صيرورة الحال) أى حال ذوى الشئائل (كتباً ورسائل) أى مشحونة
بقيل وقال واطهار فضال (وانقلاب العمل أجوبة ومسائل) أى يبحثون فيها ولا
يعملون بها يخوضون فيها ليس تحتها طائل (وياحسرتى) أى تحسرتى (على انطماس المعنى
عن الاسم) أى نحو المعنى المراد عن المبنى والمواد (واندراس الحقيقة عن الرسم)
أى رسم الشريعة والطريقة (وياسواتى) أى فضيحتى (على خلوق القشر) أى العلوم
الآلية من الاعراب والاعراب (عن الثلب) أى لباب العلوم المأخوذة من الكتاب
الذى يذكره لاوى الاباب فى جميع الفصول والابواب (واغترار القوم) أى أهل الزمان
من أرباب الحجاب (بلامع السراب) أى الاعمال الظاهرة الحالية عن الاحوال
الظاهرة ؛ وفيه تلويح الى قوله سبحانه : (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه

كذا قال المجولون فى كتابه كشف الحفاة ولم يبين مرتبته ، قال الشوكانى فى رسالته التى فى أدلة
الاجتهاد والتقليد . هذا الحديث قد روى من طرق عن جابر . وابن عمر رضى الله عنهما وصرح أئمة
المرح والتمديد بانهم يصح منه شئ ، وانه لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تكلم عليه الحفاظ
بما يشفى ويكفى اهـ (١) هو قطعة من حديث رواه مسلم بن الحجاج فى صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه

أَمَّا الْخِيَامُ فَانْهَاجَهَا كَيْفَ مَهْمٌ ۝ وَأَرَى نِسَاءَ الْحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا
 خَطَرَ بِلَالِي أَنْ أُرِيحَ بِلَالِي بِتَصَفِّحِ تِلْكَ الْعُلُومِ وَأَسْرَارِهَا وَتَتَبِعَ سِيرَ الرِّجَالِ
 وَآثَارَهَا ۝ رَجَاءُ أَنْ أُحِثَّ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ ۝ وَأَنْ أُبْعَثَ فِي أَشْيَاعِهِمْ ۝ فَاْمَتَرْتُ أَطِبَاءَ
 الطَّاقَةِ ۝ وَاحْتَمَلْتُ أَعْيَاءَ الْمَشَقَّةِ ۝ وَبَالَغْتُ فِي جَمْعِهَا وَتَهْذِيبِهَا ۝ وَاسْتَقْصَيْتُ فِي ضَبْطِهَا
 وَتَرْتِيبِهَا ۝ مَعَ أَنِّي سَكَيْتُ نَادِيَ الْبَيَانِ ۝ وَسَكَيْتُ حِلَّةَ الرَّهَانِ ۝

الظمان ما) ولله در القائل من اعلامهم :

لا والذي حجت قریش بيته ۝ مستقبلين الركن من بطحائها

ما ابصرت عيني خيام قبيلة ۝ الا بكيت احبتي بفنائها

﴿ اما الخيام ﴾ جمع خيمة ﴿ فاما كخيامهم ﴾ أى فى منازل الحى ومقامهم ﴿ وأرى نساء
 الحى غير نساتها ﴾ أى الاولى التى كن فى نعت الجمال ووصف الكمال من العفة والحياء
 والخدمة والسخاء ، والمعنى انه ظهر السفهاء بصورة الفقهاء والجهلاء فى هيئة المشايخ
 العرفاء ﴿ خطر ببالى ﴾ جواب شرط مقدر أى لما كان الامر كذلك خطر فى خاطرى
 هتالك ﴿ ان أريح ببالى ﴾ أى أدخل فى الراحة قلبى فى ميدان حبرى ، وفى نسخة
 بالزى أى أزيل حزن قلبى وتشتت بالى وتفرق حالى ﴿ بتصفح تلك العلوم ﴾ أى بتفحص
 صفحات العلوم النافعة الذاخرة فى الدنيا والآخرة ﴿ واسرارها ﴾ أى ودقائقها
 وحقائقها الفاخرة ﴿ وتبع سير الرجال ﴾ أى سلوك أصحاب الحال ، وفى نسخة مسير
 وفى أخرى « سير » بكسر السين وفتح الياء أى شمائل أرباب الفضائل وأصحاب الفواضل
 ﴿ وآثارها ﴾ أى اللامعة أنوارها تحت أستارها ﴿ رجاء أن أحث ﴾ أن أحرص وأحرص
 ﴿ على اتباعهم ﴾ بتشديد التاء أى على متابعتهم وموافقتهم فى الدنيا ﴿ وأرأيت فى أشياعهم ﴾
 أى أحشرف فى اتباعهم فى العقبي ﴿ فامترت اطباء الطاقة ﴾ أى حاولت وعالجت صرف
 الوسع والقدرة ﴿ واحتملت أعباء المشقة ﴾ أى وتحملت أثقال المشاق فى طريق
 الحجة وسبيل المعذرة ﴿ وبالغت فى جمعها ﴾ أى ضبط افرادها ﴿ وتهذيبها ﴾ أى
 تنقيتها وحذف زوائدها ﴿ واستقصيت فى ضبطها وترتيبها ﴾ أى ضبط معانيها
 وحفظ مبانيها ﴿ مع أنى سكيت نادى البيان ﴾ بكسر السين وتشديد الكاف أى كثير
 السكوت وبجلس التديان ﴿ وسكيت حلبة الرهان ﴾ بضم السين وتخفيف الكاف

وَأُنْحَفْتُ بِهِ الْفَرْعَ الْعَلَى مِنَ الْأَصْلِ الْعُلَوِيِّ وَالْغُصْنَ السَّنِيَّ مِنَ الشَّجَرِ الْحُسَيْنِيِّ
أَرْفَعُ السَّرَاةَ عِمَادًا وَأَطْوِلُ السَّكْمَةَ نَجَادًا * وَأَكْثُرُ الْكِرَامَ رَمَادًا * وَأَكْبَرُ الْعِظَامَ
وَسَادًا * وَهُوَ ابْنُ نَبِيِّ بَنِي عَدْنَانَ *

المفتوحة ويشدد أى وآخر الخيل في ميدان المسابقة والجولان والجريان يتمحن
فيه الأفراس العشرة على عرف ذلك الزمان ، ويرهن للسبق مال يأخذه من سبق
فرسه ذلك المكان ، وفيه تلويح الى قول من قال : عند الامتحان يكرم المرء أو يهان
(وانحفت به) أى بتصنيق هذا (الفرع العلى) أى الرفيع (من الأصل العلوى)
أى المنسوب الى على المنيع (والغصن السنى) أى المنسوب الى أهل السنة والجماعة
العزیز الوجود فيما بين السادة أو السنى بفتح فكسر أى الشريف الجلى الحسنى
(من الشجر الحسينى) وفي نسخة الحسنى أى المنسوب الى أحد أولاد فاطمة الزهراء ،
وفيه تنبيه على أن كل علوى ليس بحسينى ولا حسنى كمحمد بن الحنفية وسائر أولاد
على (أرفع السراة) جمع السرى (عمادا) بكسر العين أى أعلى الاشراف اعتمادا
يقال : فلان رفيع العماد أى شريف سنى الذ كر على الصيت ، وقيل : العماد فى الأصل عيدان
يرفع بها البنيان فكنى بذلك عن رفعة نسبه وقوة حسبه ، وقيل : بل يراد بها حقيقتها
أى مرتفع العماد فوق البنيان ليراه الضيفان فيقعدونه وذو الحاجات فيطلبونه (وأطول
السكامة) جمع السكى (نجادا) بكسر النون بعمد جيم وهو حائل السيف وهو كناية
عن طول قامته وطول شأنه ، والمعنى أفضل شجعتان زمانه استنادا (وأكثر الكرام
رمادا) كناية عن كثرة الجود المستلزم لكثرة الطبخ فى منزل الشهود المستلزم لكثرة
الرماد ولدوام وقود ناره ليلا فى تلال البلاد فيتهدى به الضيفان من العباد (وأكبر
العظام وسادا) كناية عن كونه معظما موقعا فى قلوب العباد والزهاد (وهو ابن
نبي بنى عدنان) فانه عليه السلام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر
ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، والى
هنا من النسب الشريف لا خلاف فيه بين العلماء الأعيان وانما الخلاف فيما فوقه
مختلف البيان ، ولذا يروى أن النبي ﷺ كان اذا بلغ فى النسب الى عدنان أمسك

وَسَمِيَّ جَدَّهُ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ ۝ رُكْنَ الدُّنْيَا الْمُشَارَ إِلَيْهِ ۝ قُطْبَ الشَّرْعِ الْمَدَارَ عَلَيْهِ طَاهِرَ الذِّيلِ عَنْ دَنْسِ الْهَوَى ۝ عَازِفَ الْقَلْبِ عَنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا رَاسِخَ الْقَدَمِ فِي شَرِيعَةِ الْمُصْطَفَى ۝ صَارِفَ الْعَنَانِ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُرْتَضَى ۝ بَلَّغَهُ اللَّهُ إِلَى الْكَمَالِ الْأَعْلَى ۝ وَأَوْصَلَهُ إِلَى السَّعَادَةِ الْقُصْوَى ۝ وَأَدَامَ الْمَجْدَ بَيْنَ ثَوْبِيهِ ۝ وَأَقَامَ الْكَرَمَ بَيْنَ بَرْدِيهِ ۝

عما بعده من عنان البيان ، وقال : كذب النسابون أى فى هذا الشأن قال تعالى : (وقرونا بين ذلك كثيرا) قال ابن عباس : ولو شاء الله أن يعلمه لميله ، وقال ابن دحية : أجمع العلماء - والاجماع حجة - على أن رسول الله ﷺ إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوز به ، وفى مسند الفردوس عن ابن عباس أنه عليه السلام كان إذا انتسب لم يتجاوز معدن عدنان ثم يمسك ويقول : كذب النسابون ، وقال السبيلي : الأصح فى هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود وقال غيره : كان ابن مسعود إذا قرأ قوله تعالى : (الم يأتكم بنا الذين من قبلكم قوم نوح وعاذ وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) قال : كذب النسابون (١) يعنى أنهم يدعون علم الانساب وقتفى الله عليها عن العباد فى الكتاب وعن ابن عباس بين عدنان واسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون ۝ وسئل مالك عن الرجل يرفع نفسه إلى آدم ؟ فكره ذلك وقال : من أخبره بما هناك (وسمى جده خليل الرحمن) يعنى اسم الممدوح ابراهيم كاسم جده الكريم الخليل أبى ولده الجليل اسماعيل جد نبينا ﷺ وشرف وكرم (ركن الدنيا) أى المدار عليه (المشار إليه) المشهود لديه (قطب الشرع) النافع فى العقى (المدار عليه) كالتفسير لما قبله مشيراً إلى علمه ومعرفته ، والحاصل أنه جامع بين الفضائل الدنيوية والشمائل الاخروية (طاهر الذيل عن دنس الهوى) كناية عن صلاحه وديانته (عازف القلب) أى صارفه (عن لذة الدنيا) إشارة إلى ورعه وزهده وحسن رعايته (راسخ القدم فى شريعة المصطفى) ايماء إلى ثباته فى أمر الدين واستقامته (صارف العنان إلى الطريق المرتضى) اشارة بانه على مذهب الصوفى وسلوك طريقته وايماء إلى انه (٢) متصف بصفات الانبياء ومقامات الاولياء فانه تابع لجده الاعلى والادنى (بلغه الله إلى الكمال الاعلى) أى فى الدنيا والاخرى (وأوصله إلى السعادة القصوى) أى والسيادة العظمى وهى رضا المولى (وأدام المجد بين ثوبيه) أى العظمة فى ذاته (وأقام الكرم بين برديه) أى السخاوة فى صفاته ، قال صاحب المفتاح : المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه

فَصَلَ بِحَسَنِ لُطْفِ رَحْمَانِي . وَعَمِيمِ فَضْلِ رَبَّانِي . كِتَابَ حَجْمِهِ عِنْدِي صَغِيرٌ .
لَيْسَهُلَّ الْحِفْظُ وَالْإِسْتِصْحَابُ . وَعَلَيْهِ عَلَى ظَنِّي غَزِيرٌ . يَغْنَى عَمَّا عَدَاهُ فِي الْبَابِ *
وَأَبْوَابُهُ عَشْرُونَ قَدْ صَدَرَتْ بِمُقَدِّمَةٍ هِيَ أُخْرَى بِالْتَّقْدِيمِ . وَذَلِكَ بِخَاتَمَةِ
حَقِّ أَنْ يَقَعَ بِهَا التَّسْمِيَةُ *

من الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف، أراد القائل ان لا يصرح
بتخصيص المجد والكرم بالمدح فعملهما بين ثوبيه وبرديه تنبيها بذلك على ان
عملهما ثوبان وبردان وهما مشتعلان على المدح فتم غرضه بذلك ذكره الطيبي .
وأنا بحمد الله سبحانه لم أجعل تصنيفي هذا ولا ما سبق لي من تأليف باسم أحد من الامراء
والوزراء وإنما أردت به ابتغاء وجه الله وشفاعته يوم القيامة ﴿ لحصل بحسن لطف
رحماني وعميم فضل رباني ﴾ أي بتوفيقه وتسهيله لهذا التأليف وتحصيله ﴿ كتاب حجمه
عندي صغير ﴾ لانه في أوراق معدودات يتمها الكتاب من غير طريق الاطباب ﴿ ليسهل
الحفظ ﴾ أي بالجنان ﴿ والاستصحاب ﴾ أي مع الابدان ﴿ وعلمه ﴾ أي معلوماته
﴿ على ظني غزير ﴾ أي كثير لا شتماله على جميع ما في الاحياء من أربع مجلدات لكمال
الاستقصاء فهو كالآب . وإنما قال : على ظني هضمًا لنفسه في هذا الباب . ولان صاحب
البيت أدري بما فيه لعدم الحجاب ﴿ يغني عما عداه في الباب ﴾ أي باب التصوف وفصل
الخطاب ﴿ وأبوابه عشرون ﴾ بابا فيها كفاية لارباب الالباب ، فالباب الاول في الورد .
والثاني في الاتفاق * والثالث في الصوم * والرابع في السفر * والخامس
في الزوج * والسادس في الكسب * والسابع في المعيشة * والثامن في الصحبة
والناسع في الصمت * والعاشر في الاناة * والحادي عشر في العزلة * والثاني عشر
في التواضع * والثالث عشر في الاخلاص * والرابع عشر في التفويض * والخامس
عشر في تهى الخواطر * والسادس عشر في التوبة * والسابع عشر في الصبر
والشكر * والثامن عشر في الخوف والرجاء * والتاسع عشر في الفقر والزهد *
والعشرون في التوحيد والتوكل واليقين ﴿ قد صدرت ﴾ أي ابتدأت ﴿ بمقدمة ﴾
في العلم والمعرفة ﴿ هي أخرى ﴾ أي اليق وأولى ﴿ بالتقديم وذيكت ﴾ أي ختمت وانثرت
﴿ بخاتمة ﴾ في المحبة ﴿ حق ﴾ أي اجدر واحق ﴿ ان يقع بها التسميم ﴾ لثلايحتاج الى الترميم

وَأَسْمُهُ الْمُطَابِقُ لِلْمَسْمُوعِ عَيْنُ الْعِلْمِ وَزَيْنُ الْحِلْمِ وَأَسَاسُهُ الْكِتَابُ
وَالسَّنَةُ وَشِيمُ الصَّحَابَةِ الشِّمُّ مَعْرَى عَمَّا حَدَّثَ مِنْ وَضْعٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ لَا يَسْمُنُ
وَلَا يُغْنَى مِنْ جُوعٍ لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْتَّكْحُلِ ۝

نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ
أَعْمَالِنَا ۝ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ۝

(واسمه المطابق للمسمى عين العلم) الذي تبيته وثمرته أن يكون (زين الحلم) بل هو
معدن اسرار الشريعة والطريقة. ومنبع أنوار المعرفة والحقيقة (وأساسه) أي
مدار بنائه ونبراسه (الكتاب والسنة وشيم الصحابة الشم) بضم الشين وتشديد الميم
جمع الاشم أي سير الأصحاب الكبار من ذوى الاختيار، وفيه الاشعار بان اجماع الصحابة
وأكثرهم هو الأول بالاعتبار لانهم من أولى الابدى والابصار (معرى) أي خال
ومجرد (عما حدث) أي اخترع وابتدع (من وضع غير مشروع) كالآراء الفاسدة
والأهواء الكاسدة (لا يسمن) ذلك الموضوع أو غير المشروع (لا يغنى من جوع)
أي لا يفيد الزيادة والاستزادة ولا ينفع حين الافادة والاستفادة (ليس التكحل في العينين
كالتكحل) بفتح الحين إشارة الى ان تمويه الكتاب بالتكلف من الاعمال المحدثه كالتكحل
صنعة ، وتهذيبه على ما اتفق عليه الجمهور من السلف كالعين المكحلة خلقة لا يزول بازالة
احد ولو تكلف في مثقة ، وفيه تنبيه نبيه على ان طريق النجاة للانام هو متابعتة عليه السلام
 واصحابه الكرام في جميع أحكام الاسلام كما يشير اليه قوله تعالى : (قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ويدل عليه حديث « أصحابي كالنجوم بأيهم
اقديتم اهتديتم » وخبر « لا تجتمع أمي على الضلالة وعليكم بالسواد الاعظم » (١) والله
سبحانه أعلم فالله ازل وايدا لا نشرك به احدا (نحمده) في كل آن ونشكره في كل
زمان (ونستعينه) في كل شأنا (وتوكل عليه) في كل مكان (ونعوذ بالله من شرور
انفسنا) أي من الاخلاق الدينية (ومن سيئات أعمالنا) من الأحوال الدنيوية (ونشهد ان
لا إله) موجود أو معبود أو مشهود (إلا الله) أي الذات المستجمع لكمال الصفات فلا
نعبد الاياه ولا نلتفت الى ما سواه (وحده) مفردا بالذات (لا شريك له) في ثل

(١) الحديث لم يصح لفظه ولا سنده كما قال ابن حزم في الاحكام لكن معناه صحيح لاخبار آخر

ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله أعطاه الله تعالى الوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة وبثه مقامًا محمودًا الذي وعده وصلى الله عليه وعلى آله وآله
وسلم تسليمًا

المقدمة في العلم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نتقى

الصفات (ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله) وحبيه وخليه (أعطاه الله تعالى) خبر أو دعاء
(الوسيلة) وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن الوسيلة؟ فقال: هي مرتبة لا ينالها
الواحد أرجوان أكون أنا فز سألني الوسيلة من الله تعالى حات له الشفاعة
(والفضيلة) أي الزيادة في المرتبة المنيع (والدرجة الرفيعة) أي في المنزلة البديعة
(وبثه) أي حشره ونشره (مقامًا محمودًا) يحمده الأولون والآخرون ويغبطه
النبون والمرسلون والملائكة المقربون (الذي وعده) أي بقوله: (عسى أزيحك
ربك مقامًا محمودًا) وما وعده لم يكن إلا موجودًا وانما عبر عنه بعسى للاشعار بأنه لا يجب
على الله سبحانه شيء للعباد وإن الأمور انما تكون وفق ما قضاه واره وصلى الله عليه
اصالة (وعلى آله) أي أهل بيته من أزواجه وأقاربه وأحبابه (وآله) أي من يؤل
إليه أمره من أتباعه وأصحابه وأحزابه (وسلم تسليمًا) أي يقرنه تعظيم وتكريمه
(المقدمة في العلم) وقد ورد العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة
قائمة أو فريضة عادلة ، والمراد بها إجماع الأمة واتفاق الأئمة روه أبو داود وابن ماجه
والحاكم في مستدركه عن ابن عمر ، وفي رواية الديلمي عنه « العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة
ماضية ولا أدري ، وانما لم يذكر الإجماع لأن مستندها الكتاب والسنة ، والحديث
رواه أبو داود . وابن ماجه عنه مرفوعا ، وقد روى أبو داود . والحاكم وصححه من حديث
أبي هريرة ما أدري أعزيرني أم لا ، وروى أحمد وراوى يعلى . والبخاري . والحاكم وصححه
استاده . والطبراني من حديث جبير بن مطعم ، ولابن حبان . والحاكم وصححه نحوه . من
حديث ابن عمر انه لما سئل عن خير البقاع وشربها ؟ قال : لا أدري حتى نزل جبريل ، وفيه
تنبيهه على أن العجز عن درك الإدراك ادراكه ومنه قول الملائكة (لا علم لنا إلا ما علمنا)
وقول الرسل يوم القيامة (لا علم لنا) (بسم الله الرحمن الرحيم) ولا يحيطون به علمها

الْعِلْمُ عِلْمَانُ ، عِلْمُ الْمُسْكَشَفَةِ وَهُوَ نُورٌ يَظْهَرُ فِي الْقَلْبِ فَيُشَاهَدُ بِهِ الْغَيْبُ
وَهُوَ مُتَحَقِّقٌ فُورِدَ إِذَا دَخَلَ النُّورُ فِي الْقَلْبِ اُنْشَرَحَ مِنْ غَيْرِ الرِّيبِ وَانْفَسَحَ
اِحْتَمَلَ الْبَلَاءَ وَحَفِظَ السِّرَّ وَلَا يُصْرَحُ بِهِ لَفَقْدِ الرِّوَايَةِ *

وهو بكل شئ عليم : (العلم علمان) أى علم الآخرة أو المعترف في الأحوال العاخرة أو
النافع والمرتبة الذآخرة أو علم التصوف ، والأحوال الذآخرة نوعان ؛ رقدورد « العلم علمان
فعلم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم » رواه ابن ابى
شيبه . والحكيم عن الحسن مرسلا . والخطيب عنه عن جابر مرفوعا (علم المسكشفة)
وهو ما يطلب منه كشف المعلوم فقط المعبر عنه بعلم الباطن مثل علم المحبة والشوق
والرضا والقبض . والبسط . والمحور . والصور . والهيبة والأنس والفناء . والاتقاء واللوامع
والطواع والواجب والروايع والاستنار والاستتار ، ومقابله المعاملة وهو ما يطلب منه
مع الكشف العمل به (وهو نور يظهر في القلب) اما بالجذبة الالهية أو بالرياضة
الشرعية عند تطهير القلب وتركيبته من الاخلاق الدنية . والصفات الردية (فيشاهد
به الغيب) اى ما غاب عن غيره من العلوم المتعلقة بالرب من وجود ذاته وشهود
صفاته في مكوناته ومصنوعاته كما يشير اليه قوله عز وجل : (سنريهم آياتنا في الآفاق
وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) الآية (وهو متحقق) اى ثابت الى يوم القيامة
لاصحاب السلامة من الندامة والملامة (فورد) دليلا لقوله فيشاهد به الغيب (اذا دخل
النور في القلب انشرح) اى انفتح اى عاين الغيب من غير الريب (وانفسح) اى
انبسط واتسع وانفتح اى (احتمل البلاء . وحفظ السر) اى في مقام الولاء والابتلاء
وفى المعالم عند قوله تعالى : (فن يرده الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام) اى لقبول
ما فيه من الاحكام ، ولما نزلت هذه الآية سئل عليه السلام عر شرح الصدر ؟ قال :
نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح ، قيل : فهل لذلك امارة ؟ اى علامة
قار : نعم الانابة الى دار الخنود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول
الموت ، وعن على كرم الله وجهه علم الباطن سر من اسرار الله تعالى عز وجل وحكم
من حكم الله تعالى يقذفه في قلب من يشاء من عباده رواه أبو داود والديلمى . وأبو عبد الرحمن
السلى (ولا يصرح به) أى لا يمكن التعبير عن علم المسكشفة (لفقد الرواية) اى

وَوَرَدَ « إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ » وَهُوَ أَفْضَلُ لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ وَعِلْمُ الْمَعَامِلَةِ وَهُوَ الْعِلْمُ بِمَا يَقْرُبُ إِلَيْهِ تَعَالَى وَمَا يَبْعَدُ عَنْهُ

أصريحا بل روى أحيانا تلويحا لانه من الأمور الوجدانية فلا يمكن ان يروى وينقل الا بالرموز والاشارات الایمائية الوجدانية فان العاقل يكفيه الإشارة والغافل ما يفيد الا اصريح العبارة ، ولذا قيل : العلم نقطة كثرتها الجاهلون ، ومع هذا كل حزب بما لديهم فرحون . والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة دون علم المكاشفة التي لارخصة في ابداعات الكتب وان كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطهر نظر السالكين ، وعلم المعاملة طريق اليه ودليل عليه ولكن لم يتكلم الأنبياء مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد الى الحق ، واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والایماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعداء ورثة الانبياء فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التأسى ومنهاج الاقتداء * (وورد ان من العلم) أي من جملة علم خفي فيه القنون * (كهية المكنون) ، من الدر المكنون * (لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله) رواه الديلمي في مستند الفردوس عن أبي هريرة بلفظ : ان من العلم كهية المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره الا اهل الغرة بالله عز وجل ، وفي هذا المقام قيل : من عرف ربه كل لسانه فان بيان حقائق الذات والصفات تعظم شأنه وتجعل برهانه ، واما قول من قال من عرف ربه طال لسانه فحمول على العلوم الظاهرة والذخائر الفاخرة من سائر الأمور المتعلقة بالدنيا والآخرة ، وقيل : من عرف الله كل لسانه في بيان الذات وطال بيانه في شأن الصفات ، وقيل : من عرفه بالصفات الجمالية طال لسانه ومن عرفه بالنعوت الجلالية كل بيانه * (وهو) أي علم المكاشفة * (أفضل) أي من علم المعاملة لأن شرف العلم بشرف المعلوم ومن المعلوم أشرفية ما يتعلق به سبحانه من الذات والصفات وما أخبر به من المنهيات * (لانه المقصود) الا كل والمقصود بالذات ولذا ينتقل بانتقاله حال الممات بخلاف علم المعاملة فانه ليس مقصودا بالذات بل ليعمل به في سائر الاوقات ولذا ينتهي بانتقال صاحبه الى دار الآخرة حيث لا تكليف فيها * (وعلم المعاملة) أي النوع الثاني * (وهو العلم بما يقرب اليه تعالى) من المأمورات * (وما يبعد عنه) من المنهيات ، وينقسم الى قسمين الى علم ظاهر يتعلق باعمال الجوارح والى باطن يتعلق باحوال القلوب ، ثم الجاري على الجوارح اما عباداة واما

وهو مقدم لانه الشرط فور (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) أصبت فالزم حين أخبر حارثة رضى الله عنه بانكشاف الغيب بعد عزوفه عن الدنيا،

عادة ، والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم (وهو) أى علم المعاملة (مقدم) أى على العمل أو على علم المكاشفة وهو اظهر من حيث دليله الوارد لكن يشكل بقوله (لانه الشرط) فتدبر فانه قد تقدم الجذبة على السلوك في الخدمة اللهم الا أن يقال : انه الشرط الغالى كما يدل عليه استثناؤه الاق (فور) أى في كلامه سبحانه (والذين جاهدوا فينا) أى اجتهدوا في طاعتنا وعبادتنا (لنهدينهم سبلنا) أى طرق معرفتنا ووصلنا أو المعنى والذين جاهدوا فينا بما عرفوا منا لنهدينهم سبلنا التي ما فهموا عنا كما يشير اليه قوله ﷺ : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم » ويدل عليه قوله تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى) (أصبت) أى وورد أصبت (فالزم حين أخبر حارثة رضى الله عنه بانكشاف الغيب) أى من أحوال العقبي (بعد عزوفه) أى بعد صرف السالك قلبه واعراضه (عن الدنيا) والحديث في الجامع الكبير لشيخ مشايخنا المرحوم جلال الدين السيوطي عن الحارث بن مالك . وحارثة بن النعمان الانصارى ففى رواية الطبراني . وأبو نعيم عن الحارث بن مالك الانصارى قال : « مررت بالنبي ﷺ فقال : كيف أصبحت يا حارث ؟ قلت : أصبحت مؤمنا حقا فقال : انظر ما تقول فان لكل شىء حقيقة وما حقيقة ايمانك ؟ قلت : قد عزفت نفسى عن الدنيا واسهرت لذلك ليل واظلمات نهاري وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا وكأني أنظر الى أهل الجنة يترأرون فيها وكأني أنظر الى أهل النار يتضاغون . وفي رواية - يتعاونون فيها فقال : يا حارث عرفت فالزم » قالها ثلاثا ، وفي رواية ابن عساكر قال له عليه السلام : « وأنت امرؤ نور الله قلبه عرفت فالزم » وفي رواية العسكري في الامثال عن أنس « أن النبي ﷺ قال لحارثة بن النعمان : كيف أصبحت ؟ الى أن قال : أبصرت فالزم ثم قال : عبد نور الله الايمان في قلبه فقال : يا نبي الله ادع لي بالشهادة فدعا له قال فتودى يوما يا خيل الله اركبي فكان أول فارس ركب وأول فارس استشهد » وفي رواية ابن النجار « فبلغ ذلك امه فجاءت الى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ان يكن في الجنة لم ابك ولم احزن وان يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا فقال : يا ام الحارث او حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة في جنات والحارث في الفردوس الاعلى فرجعت

إِلَّا إِنْ جَذَبَتْهُ الْعُنَايَةُ كَمَا فِي سِحْرَةِ فِرْعَوْنَ وَلَا يَنْفَكُ عَنْهُ فُورِدُ «التَّجَانِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ وَالْإِنَابَةِ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ»

وهي تضحك وتقول : بخ بخ يا حارثة ، (الا) استثناء من قوله مقدم أى لكن قد يؤخر علم المعاملة (ان جذبه العناية كما في سحرة فرعون) فانهم وصلوا الى الحق الحقيق بدون المجاهدة في الطريق فانه روى انهم رأوا في سجودهم الجنة ونازلهم فيها وقد ورد «جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين» (١) وورد «ان الله في أيام دهر كم تفحات الافتعروضوا لها ، والحاصل أن السلوك الى الله تعالى اما بتقديم المجاهدة على الجذبة واما بتقديم الجذبة على المجاهدة كما يشير اليه قوله سبحانه : (الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب) والطريق الثاني سلوك الحكماء وأكثر الأولياء والأول مسلك الأنبياء وبعض الأصفياء كما يدل عليه قوله تعالى : (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) أى تفصيله في الخطاب ومعرض البيان (ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء) أى من أهل العرفان ، وبلغ منه (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك) (ولا ينفك) أى علم المعاملة (عنه) أى عن علم المكاشفة كما قدمنا من لزوم وجود أحدهما مقدما أو مؤخرا ، والحاصل أن بعد الجذبة وحصول المكاشفة يلزم علم المعاملة ، وأما قبل الجذبة فلا بد من المجاهدة فانها شرط وجود المكاشفة ، وخلاصته ان علم المعاملة غير لازم لحصول علم المكاشفة ابتداء ، وأما الدوام فلا بد منه انتهاء كما أن عمر حصل له الجذبة وعلم المكاشفة ثم التزم علم المعاملة والخدمة ولو عاش سحرة فرعون لكان علم المعاملة لازما لهم أيضا لدوام علم المكاشفة ، والمراد بالجذبة هنا الجذبة القوية الالهية الفورية الآتية من عالم الامر والافصاح علم المعاملة ايضا لا يخلو عن نوع جذبة ربانية الا أنها ضعيفة تدريجية من عالم الخلق ، وقد قال تعالى : (ألاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) ومن هنا قيل : الطرق الى الله بعدد انفس الخلائق الا أنها تختلف باختلاف حجب الخلائق والعوائق ، ثم اعلم أنه لا يلزم من وجود المعاملة حصول المكاشفة بخلاف العكس في المقابلة وزيدته ان كل من سعى لم يدرك ماتمى لكن ما أدرك ماتمى إلا من سعى لله الآخرة والأولى (فوردي) أى في الحديث ما يدل على لزوم المعاملة بعد تقدم المكاشفة (التجاني عن دار الغرور) أى التبعذر التزهدي عن الدنيا (والانابة الى دار الخلود) أى الرجوع

(١) هذا من الكلام الذي اشتهر على السنة المتصوفة وأصحاب الطرق ولله من كلام كبار الصوفية المتقدمين رضي الله عنهم وكذلك ما بعده أيضا

حِينَ سُئِلَ عَنْ عَلَامَةِ ذَلِكَ النُّورِ، هَذَا مَا وَرَدَ بِفَضْلِهِ الشَّرْعُ

إلى زاد العقبى والاستعداد للموت قبل نزوله اشتياقا للمولى (حين سئل) أى النبى عليه السلام (عن علامة ذلك النور) فاقدمنا (١) (هذا) أى العلم المنقسم إلى قسمين من المكاشفة والمعاملة (ما ورد بفضل) أى فضل تعلمه وتعليمه (الشرع) أى المطابق للعقل والطبع من الكتاب والسنة واخبار الأئمة أما الكتاب فمكثوه تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) وقوله: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) عن ابن عباس «للعلماء درجة فوق درجة المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام» وقوله تعالى: (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقوله: (أما يخشى الله من عباده العلماء) وقوله: (قل أنفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وقوله: (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) وقوله: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) وقوله: (ولو رده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعليه الذين يستنبطونه منهم) وقوله: (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) هـ

وأما السنة فكثيرة وقوله عليه السلام «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» متفق عليه وزاد الطبراني ويلهمه رشده «العلماء ورثة الأنبياء» أبو داود والترمذى: وابن ماجه . وابن حبان في صحيحه من حديث أبى الدرداء «ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه مجلس الملوك» أبو نعيم في الحلية عن أنس فقد نبه هذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم ان الآخرة خير وأبقى «خصلتان لا يجتمعان في منافق حسن سميت وفقه في الدين» الترمذى عن أبى هريرة «أفضل الناس المؤمن العالم اذا احتجج اليه نفع وان استغنى عنه اغنى نفسه» البيهقى في شعب الإيمان موقفا على أبى الدرداء «الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم والعمل» الحاكم في تاريخ نيسابور عن أبى الدرداء واقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا فهم على ما جاءت به الرسل» أبو نعيم عن ابن عباس «لموت قبيلة ايسر من موت عالم» الطبراني وغيره عن أبى الدرداء «الناس معادن كعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا»

فَالْمُرَادُ الْمُكَاشَفَةُ فِيمَا وَرَدَ «فَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أُمَّتِي»

متفق عليه عن أبي هريرة «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بمدماء الشهداء» فترجح مداد العلماء «ابن عبد البر عن أبي الدرداء» من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شقيماً وشهيداً يوم القيامة «ابن عبد البر عن ابن عمر» من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة فقيهاً عالماً «ابن عبد البر عن أنس» من تفقه في دين الله كفاءه الله همه وورقه من حيث لا يحتسب «الخطيب عن ابن جزء» أوحى الله تعالى إلى إبراهيم يا إبراهيم اني عليم أحب كل عليم «ابن عبد البر تعليقاً» العالم أمين الله في الأرض «ابن عبد البر عن معاذ» صنفان من أمتي اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الأمراء والعقهاء «أبو نعيم عن ابن عباس» اذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم «الطبراني في الأوسط» وأبو نعيم في الحلية . وابن عبد البر في العلم عن عائشة «يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» ابن ماجه عن عثمان «ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين» الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة «خير دينكم أسره وأفضل العبادة الفقه» ابن عبد البر عن أنس «أصبحت في زمان كثير فقهاء قليل خطباء قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسألتني على الناس زمان قليل فقهاء كثير خطباء قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل» الطبراني عن حزام بن حكيم عن عمه ، والمعنى اظهار العمل حيثئذ خير من اظهار العلم ليقبدي الناس فلا ينافيه ما سبق من الأحاديث الدالة على أفضلية العلم مطلقاً قيل : يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال : العلم بالله عز وجل فقيل نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقيل : ان قليل العمل ينفع مع العلم بالله وان كثير من العمل لا ينفع مع الجهل بالله «ابن عبد البر عن أنس» يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول : يا معشر العلماء اني لم أضع على فيكم الا لعلني بكم ولم أضع على فيكم لاعدبكم اذ هبوا فقد غفرت لكم «الطبراني عن أبي موسى» فالمراد «اي افراد اشارة» (المكاشفة فيما ورد) والفاء للتعليل اي ولان المراد علم المكاشفة «فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي» راقط الترمذي . والدارمي عن أبي الدرداء كفضلي على ادناكم وفيه مبالغة لا تخفى اي وحديث مشهور وردورواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه والدارمي وابن حبان ولفظه «ان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه أخذ بحظ وافر» وفي لفظ الترمذي

أَذْغِيرُهُ تَبِعَ لِلْعَمَلِ لُثْبُوتهُ شَرْطًا لَهُ ، وَالْمُعَامَلَةُ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ لَا مَتَاعَ أَرَادَهُ غَيْرَهَا ۞

عن أبي امامة « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » وقال : حسن صحيح وورد « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة » ابن عدى عن أبي هريرة وأبو يعلى عن عبد الرحمن بن عوف ، وروى الأصبهاني في الترغيب والترهيب عن ابن عمر « بين العالم والعابد سبعون درجة » وكذا في مسند الفردوس عن أبي هريرة وأما ما في الأحياء مائة درجة فلا أصل له (أذغيره) أى غير علم المكاشفة وهو علم المعاملة (تبع للعمل لثبوته) أى العلم (شرطه) أى للعمل فلا عمل بلا علم وقدبو جد علم بلا عمل والمعنى انه كلما وجد العمل لزم وجود العلم بخلاف عكسه فالعمل بغير العلم غير ممكن فعلم ان المراد بالعالم هو العالم بعلم المكاشفة والأقلو أريد منه فضل العالم علم المعاملة لزم تفضيل العالم على العالم أو على العالم العابد وهذا فاسد فتعين ان المراد بقوله فضل العالم هو العالم بعلم المكاشفة هذا حل كلامه ويان مراده ، والظاهر ان المراد بالعالم هنا هو الجامع بين علمى المكاشفة والمعاملة بل المستجمع بين علم الشريعة وعلم الطريقة المؤدى الى المرتبة الحقيقية ثم التحقيق ان العلم بدون العمل غير مفيد والعمل بغير العلم غير صحيح فلا بد للعالم من العمل وللعابد من العلم ، فالمراد بالعالم فى الحديث من يعمل ما يجب عليه ويصرف الى العلم ما يفضل من الاوقات لديه وبالعابد من يعلم ما يجب عليه من العلم ويصرف بقية أوقاته الى العمل وانما فضل العالم على العابد لان نفع العلم متعدد ونفع العمل قاصر ولان العلم اما فرض عين واما فرض كفاية وكلاهما أفضل من التوافل بما لا يخفى على ذوى الفضائل ولان العلم من صفات الله والعمل من صفات العبد ولان الفضيلتين خير من واحدة فان العلم أيضا عمل أى عمل ، وخلاصته ان زيادة العلم خير من زيادة العمل والمراد هنا العالم العاقل كإشير اليه قوله عليه السلام نعوذ بالله من علم لا ينفع رواه ابن ماجه بإسناد حسن عن جابر وعن عمر « من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل » ويؤيده حديث « الدال على الخير كفاعله » رواه الترمذى من حديث أنس عن الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم وقال عطاء : دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي قلت : ما يبكيك ؟ قال : ليس أحديسانى عن شئ. (والمعاملة) أى والمراد علم المعاملة القلبية الواجبة فيما ورد (طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه ابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقى وغيرهما (لا متاع ارادة غيرها) أى غير المعاملة القلبية. أقول : بل الحل على المعنى الاعم هو

أَمَّا التَّوْحِيدُ فَلِلْحُصُولِ، وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَلِجَوَازِ أَنْ يَتَأَهَّلَهَا شَخْصٌ وَقَتَ الضُّحَى
وَمَاتَ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَمَّا غَيْرُهُمَا فَالظُّهْرُ ۝

الاتم ليشمل المعاملة القلبية الواجبة وانما يصحح كلام الماتن على قضية نادرة الوقوع
حينئذ يتمتع ارادة غير المعاملة القلبية لان الفرض بعد التوحيد نوعان، أحدهما ما يكون
فرضا على العبد بحكم الاسلام فهو علم المعاملة القلبية واصلاح الباطن لازدياد الانوار
النفسية وازالة الاخلاق الردية. واثبات الشرائط الرضية، وثانيهما ما هو فرض عليه عند
تجدد الحادثة كدخول وقت الصلاة والصوم وجوب الحج والزكاة وعلم البيع والشراء
وسائر المعاملات، واما العباد اذا أسلم في وقت لم يجب عليه هذه الاشياء فليس عليه
أن يعلمها لانه لم يدرك وقتها والم يدرك وقتها لا يكون فرضا عليها اذ لو
قدر موته قبل تجددها لم يطالب يوم القيامة بتعلم علمها وانما يكون الفرض عليه حينئذ
علم المعاملة القلبية وتحصيل الاخلاق الزكية لان العبد بعد الاسلام لا يخلو اما أن يكون
متصفا برذيلة فيجب عليه ازالتها واثبات ضدها مكانها أولا يكون فيجب عليه تحصيل
علم الباطن أيضا لتحصيل ازدياد اليقين ومعرفة خداع النفس وغرورها ودسائسها
الخفية ومعرفة الخواطر الردية وما يكون بينه وبين الله في ذلك الوقت من الاحوال
الباطنة القلبية، فلو وجد فرصة وفراغا بعد الاسلام ولم يشتغل لتحصيل علم المعاملة
القلبية كان تاركا للفرض مسئولاً عنه يوم القيامة وان لم يتجدد له من تلك القروض
الظاهرة شيء كالصلاة ونحوها فافهم والله أعلم، وهذا بيان ما أجمل بقوله: ﴿ اما
التوحيد ﴾ أى علمه ﴿ ف ﴾ ليس المراد به ﴿ للحصول ﴾ أى حصوله لكل مسلم، وفيه
انه لا بد له من بقائه ودوامه وحفظه من تخريب نظامه ﴿ وأما الصلاة ﴾ أى امتناع ارادة
الصلاة به ﴿ فلجواز أن يتأهلها شخص ﴾ أى يصير أهل وجوبها رجل أو امرأة
﴿ وقت الضحى ﴾ بالبلوغ أو الاسلام ﴿ ومات قبل الظهر ﴾ يعنى فلا يجب على كل
مسلم ويدفع بأن هذا أمر نادر على أنه مشروط بشرائط في تعاقبها فالحكم بعد تحققها
﴿ وأما غيرهما ﴾ أى من التوحيد والصلاة ونحوه من علم الفقه المسمى بعلم المعاملة
﴿ فظاهر ﴾ أى فى امتناع ارادته والجواب ما تقدم والله أعلم ، وبسط الكلام فى مرام
هذا المقام ان العلماء اختلفوا فى العلم الذى هو فرض عين على كل مسلم فتحزبوا فيه أكثر
من عشرين فرقة وتعصبوا ونزل كل فريق وجوبه على العلم الذى هو بصده فقال

وَعِلْمُ الْآخِرَةِ مُطْلَقًا فِيمَا وَرَدَ (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) لثَلَا
يَفْضَلُ عِلْمَاءُ الزَّمَانِ عَلَى الصَّحَابَةِ فَمَجَادَلَةُ الْكَلَامِ وَالتَّعَمُّقُ فِي فِتَاوَى يَنْدُرُ وَقُوعُهَا
مُحَدَّثٌ، وَمَا وَرَدَ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ لِاخْتِصَاصِ الْأَنْذَارِ وَالْحَذَرِ بِهِ، فَالْمُحَدَّثُ مِمَّا
سَبَقَ ذِكْرُهُ يَقْسَى الْقَلْبَ، وَأَيْضًا وَصَفَ الشَّارِعُ الْفَقِيهَ بِأَنَّهُ يَمِثُّ النَّاسَ فِي ذَاتِ اللَّهِ

المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد وبه يعلم ذات الله وصفاته ، وقال
المفسرون والمحدثون : هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها ، وقال
الفقهاء : هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام من المعاملات ، وقال
المتصوفة : المراد به علم الاخلاق وما يتعلق به من علم المعاملة والمكاشفة ، والتحقيق
ان هذه العلوم كلها من فروض الكفاية وأما فرض العين على كل أحد فبعضها مما تجب
به الرعاية (وعلم الآخرة) أى والمراد علم ينفع في الآخرة (مطلقا) أى مع قطع
النظر عن المعاملة والمكاشفة (فيما ورد) أى فى كلامه المجيد (قل هل يستوى الذين
يعلمون والذين لا يعلمون) (ثلثا يفضل علماء الزمان على الصحابة) وفيه أن الظاهر فى معنى
الآية عدم استواء العلماء والجهلاء ، وأما مراتب العلماء من الانبياء والصحابة
والتابعين والفقهاء والمشايخ الأولياء فمختلفة بحسب منازل مؤلفة (فمجادلة الكلام)
أى علم المنطق والكلام (والتعمق فى فتاوى يندر وقوعها محدث) أى بدعة الآن
الأولى مذمومة والثانية فى الجملة محمودة (وما ورد) أى والمراد علم الآخرة فيما جاء
من القرآن (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين) (لاختصاص الانذار
والحذر) فى قوله سبحانه : (ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)
(به) أى يختص بعلم الآخرة (فالمحدث مما سبق ذكره يقسى القلب) أى لعدم
مدخلية فى الانذار والحذر وإنما ينور القلب بذكر الرب وما يتعلق به من الترغيب
والترهيب ، ففى العوارف لما صار الانذار مستفاداً من الفقه والانذار احياء المنذر بالعلم
والاحياء بالعلم رتبة الفقيه فى الدين صار الفقه فيه أكل رتب المجتهدين وهو علم الزاهد فى الدنيا
الراغب فى العقبى الطالب للبولى وهو الأعلى (وأيضاً) أى بما يؤيد ما قدمناه (وصف
الشارع الفقيه بأنه يمثت الناس) أى يبخضهم بالمعاصى (فى ذات الله) أى لاجل رضاه

وَلَمْ يَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَكْرَهُ وَلَمْ يَرْغَبْ عَنِ الْقُرْآنِ إِلَى غَيْرِهِ وَيَرَى لَهُ وَجُوهًا كَثِيرَةً ۝

﴿ ولم يقنطوا من رحمته ﴾ لقوله تعالى : (لا تقنطوا من رحمة الله) وقوله : (لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون) ﴿ ولم يؤمنهم من مكروه ﴾ لقوله سبحانه : (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) بل يجعل نفسه وغيره بين الخوف والرجاء ولو ظهر له مقامات الأولياء لقوله تعالى : (ان الله لا يفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) والانسان لا يخلو من العصيان ولو بالنسيان ﴿ ولم يرغب عن القرآن ﴾ أى وما هو مقتبس منه ﴿ الى غيره ﴾ أى الى غير القرآن من العلوم الحديثة ﴿ ويرى له ﴾ أى للقرآن ﴿ وجوها كثيرة ﴾ أى من ظاهر وباطن وحدود مطلع وتأويلات عبارات ورموز واشارات لفظ الوارد عنه عليه السلام انه قال : الا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه ؟ قالوا : بلى قال : من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكروه ولم ينسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه ، أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق . وأبو بكر بن السنى . وابن عبد البر من حديث على ، وقال ابن عبد البر : أ كثرهم بوقفونه على على ، وفى حديث آخر : لا يفقه العبد حتى يمقت الناس فى ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة ، ابن عبد البر من حديث شداد بن أوس ، وقال : لا يصح مرفوعا ، وروى أيضا موقوفا على أبى الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتا قلت : فيه إيماء الى ما قيل : وجودك ذنب لا يقاس به ذنب ، فظهر أن المراد بالفقه ما يحصل به الانذار والحذر وهو علم الآخرة فقد سأل فرقة السنجى الحسن البصرى عن شئ ؟ فاجابه فقال : ان الفقهاء يخالفونه فقال الحسن : ثكلتك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك ؟ انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير بذنبه المداوم على عبادة الله . الورع السكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن أحوالهم . الناصح لجماعاتهم ۝

ثم اعلم انه ورد فى فضيلة التعلم والتعليم آيات واخبار كثيرة وآثار شهيرة ، منها قوله تعالى : (فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) وقوله عليه السلام : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله تعالى به طريقا الى الجنة » رواه مسلم من حديث أبى هريرة وقوله : « ان الملائكة لتضع اجنحتها الطالب العلم رضى بما يصنع ، أحمد . وابن حبان .

والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال، وقوله: «لأن تغدو فتعلم بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة» ابن عبد البر من حديث أبي ذر، والخبر عند ابن ماجه بلفظ آخر، وقوله: «باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا» ابن حبان في روضة العقلاء. وابن عبد البر موقوفاً على الحسن البصري، وجاء مرفوعاً بلفظ «خير له من مائة ركعة» رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر وقوله: «اطلبوا العلم ولو كان باليمن» ابن عدى. واليسقى في المدخل. والشعب بن حديث أنس وقال: «متهم مشهور وأسانيده ضعيفة»، وقوله «العلم خزائن الله ومفاتيحها السؤال فاستلوا فإنه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحبة لهم» رواه أبو نعيم من حديث علي مرفوعاً باسناد ضعيف وقوله «لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت عن علمه» الطبراني في الأوسط. وابن مردويه في التفسير. وابن السني. وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف. وقوله: «ومن جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحي به الاسلام فينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة» الدارمي. وابن السني في رياضة المتعلمين من حديث الحسن بن علي بن أبي البصري فالحديث مرسل، وأما قول الغزالي في حديث أبي ذر «حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وعبادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل: يا رسول الله ومن قراءة القرآن؟ فقال: وهل ينفع القرآن إلا بالعلم» فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر، وقال الحافظ العراقي: ولم أجده من طريق أبي ذر قلت قد ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الكبير في مسند أبي ذر «يا أبا ذر لأن تغدو لتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة وأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أولم يعمل به خير من أن تصلي ألف ركعة تطوعاً» رواه ابن ماجه. والحاكم في تاريخه عنه، وأما ما ورد في فضيلة التعليم فإنه قوله تعالى: (واذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وهذا الإيجاب للتعليم، وقوله: (وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وهذا دليل على ذم كتمان الحق والتحريم، وقوله: (ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً) وقوله: (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله: (ويعلمهم الكتاب والحكمة) ومنه قوله عليه السلام: «ما أتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيين أن يبينه للناس ولا يكتمه» أبو نعيم من حديث ابن مسعود، وقوله لما بعث معاذاً الى اليمن: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» أحمد من حديث معاذ. وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنه قال ذلك لعلي رضي الله عنه * وقوله: «من تعلم باباً

ثم حقه العمل

من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا « الديلمي من حديث ابن مسعود * وقوله « اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين : ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى : أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة » أبو العباس المروزي من حديث ابن عباس ، وقوله : « ان الله لا يبتز ع العلم اتزاعا من الناس بعد أن يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بمامعه من العلم حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا جهالا ان سئلوا اقتوا بغير علم فيضلون ويضلون » متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو ، وقوله « من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » أبو داود . والترمذي . وابن ماجه : وابن حبان . والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة ، وقوله : « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها الى أخ لك مسلم تعلها اياها تعدل عبادة سنة ، الطبراني من حديث ابن عباس نحوه ، وقوله « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه أو معلم أو متعلم ، الترمذي . وابن ماجه من حديث أبي هريرة ، وقوله : « ان الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير ، الترمذي من حديث أبي أمامة ، وقوله : « ما أقاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه » ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر مرسل نحوه . ولأبي نعيم من حديث عبدالله بن عمرو بلفظ « ما أهدى مسلم لآخيه هدية أفضل من كلمة تزيد هدى أو ترده عن ردى ، ورواه البيهقي في الشعب أيضا ، وقوله « كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خيرة من عبادة سنة ، ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية يزيد بن أسلم مرسل نحوه ، وقوله : « على خلفائي رحمة الله قيل : ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يحبون سنتي ويعلمونها عباد الله ، ابن عبد البر من حديث الحسن فقيل : هو ابن علي وقيل : ابن يسار البصري فيكون مرسلًا وابن السني . وأبي نعيم في رياضة المتعلمين من حديث علي نحوه ، « وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال : اما هؤلاء فيسألون الله ان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم ، ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمرو « ثم حقه » أي حق علم المعاملة وهو اثنان وعشرون منها (العمل) والمعنى لا بد للعبد من العمل بالعلم فان العلم بمنزلة الشجرة والعمل في مرتبة

فورد (كبر مقتاً عند الله) الآية « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » والاحتراز عن الفتوى لعدم قيامهم بها إلا بضعة عشر ، وورد لا يفتي إلا أمير أو مأمور أو متكلف ،

الثمرة فالشرف للشجرة لكونها الاصل لكن الانتفاع بالثمرة التي هي الفرع فكذا حقيقة العلم والعمل في قواعد الشرع والكمال هو الجمع بين العلم والعمل والتعليم لقول عيسى عليه السلام : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » والحاصل أن العالم العامل في منزلة النبيين وإذا انضم اليه التعليم فهو في مرتبة المرسلين (فورد) في ذم ترك العمل (كبر مقتاً عند الله الآية) والمقت أشد الغضب ، تمامها (ان تقولوا ما لا تفعلون) وفي معناها (أنامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) ؟ وأنشد :
لاتنه عن خلق وتأت مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

ثم اعلم أنه كثر في التصانيف الخلافية ذكر الآية والحديث والبيت قبل تمامها فقد يكون الباحث على ذلك اختصاراً ما هنالك وقد يكون الاستدلال على المطلوب يتوقف على أواخرها وهو محفوظ ومعروف عند أهلها فيذكر صدرها ويشير إلى آخرها بقوله الآية . ونحوها أما بالنصب على اضماراً قرأ وهو الوجه الظاهر ويجوز الرفع بتقدير مبتدأ أو خبر كالمورد والمروى والجر على تقدير إلى آخر الآيات أو أمثالها (أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه) أي لم يوفقه للعمل به ومن جملة عمله نفع غيره ان احتاج إلى علمه ، والحديث رواه الطبراني في الصغير . وابن عدي في الكامل . والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة ، وورد « ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات » (والاحتراز) أي وحق علم المعاملة اجتناب صاحبه (عن الفتوى) اذ لم يتعين لها (لعدم قيامهم) أي الصحابة (بها إلا بضعة عشر) بكسر الموحدة ما بين الثلاث إلى التسع ، وكان قبض عليه السلام عن مائة ألف وأربع وعشرين ألفاً من الصحابة الكرام فهم يسير من كثير من أهل التقوى (وورد لا يفتي إلا أمير أو مأمور أو متكلف) الطبراني عن عبادة بن الصامت ، وعن عوف بن مالك أيضاً فالأمير هو الامام وقد كانوا هم المفتون ، والمأمور نائبه ، والمتكلف غيرهما وهو الذي يتكلف

وَالِاسْتِبْصَارُ فُورَدَ « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْثَاكَ الْمُفْتُونَ »

تلك العهدة من غير حاجة فلا يخلو عن الخطر فينبغي له الحذر كل الحذر ، وعن حذيفة
 وإنما يفتى أحد ثلاثة من عرف الناس والمنسوخ أو رجل ولى سلطان فلا يجذب دامن
 ذلك أو متكلف ، ابن عساكر ، قال الحجة : وقد كان الصحابة يحترزون عن الفتوى حتى
 يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق
 الآخرة ، وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائى فان من تقلد خطر الفتوى وهو
 غير متعين عليه للحاجة اليه فلم يقصده الا طلب الجاه والمال ، وعن أبي حصين قال :
 ان أحدهم ليفتى في المسألة ولو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر ابن عساكر ،
 وعن ابن سيرين أن عمر قال لأبي موسى : أما بلغني أنك تفتى الناس ولست بأمر قال : بلى
 قال فول حارها من تولى قارها (١) عبد الرزاق ، والدينورى في المجالسة . وابن عبد البر في العلم .
 وابن عساكر ، وعن عبد الله بن بشير أن علي بن أبي طالب سئل عن مسألة ؟ فقال : لا علم
 لي بها ثم قال : وأبردها على الكبد سئلت عما لم أعلم فقلت : لا أعلم رواه سعدان
 ابن نصر ، وسئل مالك عن أربعين مسألة فقال فى ست وثلاثين : لا أدري ، ومن
 يرد غير وجه الله بعلمه فلا تسبح نفسه بان يقر على نفسه بأنه لا يدري ، وعن أبي يوسف
 سمعت أبا حنيفة يقول : لولا الخوف من الله تعالى ما أفتيت أحد الكون الهناهم والوزر
 علينا ، وسئل عن مسألة فقال : سلوا مولاى الحسن ، وذكر الكردى منه وناهىك
 عن نهى الفتوى قوله عليه السلام : « اجروكم على الفتيا أجروكم على النار » رواه الدارمى
 عن أبي عبد الله بن أبي جعفر مرسلا (والاستبصار) أى وحق علم المعاملة بعد فتوى
 المفتين طلب البصيرة بعين الاعتبار . وأخذ القول بدليل الخاص من غير استبدال
 بالنظر من بين اخبار (فورده استفت قلبك وإن افثاك المفتون) أحمد من حديث
 وابصة . ويؤيده حديث « دع ما يريك الى ما لا يريك » الترمذى وصححه . والنسائى .
 وابن حبان من حديث الحسن بن علي ، وحديث « لا يكون الرجل من المتقين حتى
 يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس » الترمذى وحسنه . وابن ماجه . والحاكم وصحح
 اسناده من حديث عطية السعدي ، وحديث « الاثم حواز القلوب » البيهقى في شعب
 الايمان من حديث ابن مسعود ، وهو بتشديد الزاى جمع حازة وهى الامور التى تحز فيها أى

(١) القار باقاف البرد فجعل الحر كتابة عن الشر والشددة والبرد كناية عن الخير واللين ،

والمنى ول شرها من تولى خيرها وول شديدها من تولى مينها

وَلَا نَ الْمُقَلِّدَ وَعَا الْعِلْمَ ، وَالشَّفَقَةَ فِي التَّعْلِيمِ فَرَدَانَا لَكُمْ مَثَلُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ

تؤثر كما يؤثر الحز والحكم في الشيء وهو ما يحظر فيها من المعاصي لفقد الطمأنينة اليها، ويروى بتشديد الواو أي يحوزها أو يملكها ويغلب عليها ويروى حزاز بزاءين الأولى مشددة فعال من الحز فيعتمد في العلوم على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على صحفه وكتبه ولا على تقليد ما يسمعه من غيره كما أشار إليه بقوله: ((ولان المقلد وعاء العلم)) عطف على فرود لانه في معنى التعليل، والمعنى ان الذي يقبل قول الغير ولو كان مجتهدا انما هو وعاء العلم أي ظرفه بمنزلة الرواية فليس له حظ في الدراية وانما نصيبه الرواية، ومن هنا قال أبو حنيفة، وغيره: لا يحل لاحد أن يقول يقول لنا ما لم يعلم من أين قلنا ((والشفقة في التعليم)) أي ومن حق علم المعاملة على المعلم بالنسبة الى المتعلم ((فرود انالكم مثل الوالد لولده)) أبو داود والنسائي. وابن ماجه: وابن حبان من حديث أبي هريرة، وقال تعالى: (التي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) وفي قراءة شاذة (وهو اب لهم) بل هو أفضل وأكمل من الوالدين منهم (١) فان قصده انقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا، ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد (٢) سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الآخروية الدائمة اعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا واما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله ثم كما ان حق ابناء الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذا حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتواد ولا يكونوا الا كذلك ان كان مقصدهم (٣) الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وأبناء الآخرة مسافرون الى الله سبحانه وتعالى وسالكون اليه، والطريق هو الدنيا وسنونها وشهورها منازل الطريق، والتوافق في الطريق بين المسافرين الى الأمصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الأعلى والتوافق (٤) في طريقه الأعلى ولا ضيق في سعادات الآخرة فلذا لا يكون بين ابناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذا لا تنفك عن ضيق التراحم، والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى: (انما المؤمنون اخوة) وداخلون في مقتضى قوله سبحانه: (الاخلاء

(١) سقط لفظ منهم من النسخة المطبوعة (١) في النسخة المطبوعة «فان الولد» وهو غلط (٢) في بعض النسخ مقصودهم وما هنا يناسب ما سيأتي بعد (٣) في بعض النسخ والترافق وما هنا أولى ليناسب ما قبله

فَلَا يَضُنُّ فُورَدَ « مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَثِمَّ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » إِلَّا عَنْ غَيْرِ أَهْلِهِ فُورَدَ
« لَا تَطْرَحُوا الدَّرَّ فِي أَفْوَاهِ السِّكَلَابِ » وَالتَّعْرِضُ بِالْمَنْعِ أَبْقَاءُ لِلْهِبَةِ وَهُوَ الْمَأْمُورُ ،

يومئذ بعضهم لبعض عدو (الا المتقين) ومعزولون عن منصب قوله عليه السلام :
« لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ، أَيْحِبَّ لِنَفْسِهِ » (فلا يضمن) بفتح الضاد وكسرها
نقيا أو نهيا أى فلا ييخل على أحد بعلمه لان العلم لا يحمل منعه (فورد من كتم علما أليم
بلجام من نار) ابن ماجه وغيره من حديث أبى هريرة (الا) استثناء من قوله فلا
يضمن أى فلا ييخل بالعلم الا (عن غير أهله) وهو الذى يريد ان يتوصل الى المال والجاه
ونحوه (فورد لا تطرحوا الدر في أفواه السكلاب) رواه ابن النجار عن أنس ولفظه
« لَا تَطْرَحُوا الدَّرَّ فِي أَفْوَاهِ الْخَنَازِيرِ » وقال عيسى عليه السلام : لا تعلقوا الجواهر في
أعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ، ومن كرهها فهو شر من الخنازير ، وقال
أيضا : لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وكونوا
كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء ، وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير
أهلها فقد جهل ومن منعها أهلها فقد ظلم ان للحكمة حقا وان لها أهلا فاعط كل ذي حق
حقه وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل : أما سمعت ان رسول الله ﷺ
قال : « مَنْ كَتَمَ عِلْمًا نَافَعًا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَجِّمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ فَقَالَ : أَتَرَكُ اللَّجَامَ وَآذِيبُ
فَإِنْ جَاءَ مِنْ يَفْقَهُ فَكَتَمْتَهُ فَلِجَمْتَنِي ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ) فِيهِ تَنْبِيهُ
نَبِيهِ عَلَى أَنْ يَحْفَظَ الْعِلْمَ مِنْ يَفْسُدَ وَيُضِرَّ أَوَّلَى وَلَيْسَ الظُّلْمُ فِي إعْطَاءِ غَيْرِ الْمُسْتَحَقِّ بَاقِلٌ مِنْ
الظُّلْمِ فِي مَنَعِ الْمُسْتَحَقِّ :

فمن منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم
(والتعريض) أى لا التصريح (بالمنع ابقاء الهبة وهو المأمور) أى في المنع
كما ورد في الحديث المأثور ، والمعنى ان من حقوق المعلم أن يزجر المتعلم بالتعريض
اذا وقع منه تقصير وقلة أدب في القول أو الفعل حال تقرير ولا يصرح ما أمكن
وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهبة ويورث
الجرأة على الهجوم بالمخالفة كما روى ابن جرير مرسل انه عليه السلام بينما هو
يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتي تقدم فجلس فلما قضى عليه
السلام عارض الرجل حتى لقيه فقال : يا فلان ما منعك أن تجمع اليوم معنا فقال :

وَالْإِقْصَارُ عَلَى قَدْرِ الْفَهْمِ فَوَرَدَ « أَمَرْنَا أَنْ نَكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ ،
وَقَطْعُ الطَّمَعِ فَوَرَدَ (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) وَنِيَّةُ الْعَمَلِ وَالتَّعْلِيمِ

يا بني الله اني قد جمعت معكم فقال عليه السلام : أولم أرك تتخطى رقاب الناس فعرض
عليه السلام بالمنع عن التخطي بانه يحبط أجر عمله ولم يصرح له مع ما فيه من امالة
النفوس الذكية والاذهان البهية الى استنباط المعاني الخفية فيفيد فرح التفتن رغبة
في العمل به بخلاف التصريح فانه ربما يوقعه في الاصرار على القبيح ، فقد روى لومع
الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا : ما نهينا عنه الا وفيه شيء يطلب ، وقد قيل : الانسان
حريص على ما منع كما يشير اليه قوله تعالى حكاية : (ما نها كما ربكنا عن هذه الشجرة
الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) ﴿ والاقصار على قدر الفهم فورد
أمرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم ﴾ أبو داود من حديث عائشة بالفظ « أنزلوا
الناس منازلهم » وفي رواية عن ابن عمر « نحن معاشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس
منازلهم » ويؤيده حديث « كلوا الناس بما تعرفون ودعوا ماتسكرون » البخاري
موقوفا على علي ، ورفع أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم ، ويقويه
حديث « ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم » العقيلي في
الضعفاء . وابن السني . وابو نعيم في الرياضة من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ،
ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود نحوه ، وفي رواية « ما أحد يحدث قوما
بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم » وفي رواية لآبي نعيم عن ابن عباس
« لا تحدثوا أمتي من أحاديث الانبياء تحمله عقولهم » وعن علي قال : حدثوا الناس بما
تعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله البخاري ، وفي رواية عنه أيها الناس تحبون
أن يكذب الله ورسوله حدثوا الناس بما تعرفون ودعوا ماتسكرون الخطيب ، وفي
رواية عنه وأشار الى صدره ان ههنا لعلو ماجة لو وجدت لها حاملة ، ولقد صدق قلوب
الابرار قبور الاسرار ﴿ وقطع الطمع ﴾ أي عن الخلق خصوصا عن التليذ وهو
سكون النفس الى منفعة مشكوكه ﴿ فورد ﴾ أي في آيات كثيرة ﴿ قل لا أسئلكم
عليه أجرا ﴾ تمامها (ان أجرى الاعلى رب العالمين) ولان فساد الدين الطمع كما أن
صلاح الدين الورع على ما روى عن الحسن ﴿ ونية العمل ﴾ بنفسه ﴿ والتعليم ﴾
لتغيره في التعلم أي لا قصد المال والجاه والأغراض الفاسدة والأعراض السكاسة ،

فورد « مَنْ تَعَلَّمَ لِلْمُبَاهَاةِ أَوْ الْمُمَارَاةِ أَوْ لِيَصْرِفَ وَجْهَهُ النَّاسَ فَهُوَ فِي النَّارِ »
وَالْإِنْقِطَاعُ لِشُغْلِ الْعِلَاقِ وَالتَّمَلُّقُ فورد « لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ
التَّمَلُّقُ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ » وَالتَّسْلِيمُ لِهَلَاكِ مَرِيضٍ لَا يُسَلِّمُ لِلطَّبِيبِ
وَالْحُضُورُ لِلاتِّفَاعِ فورد (إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ)

وهذا من حقوق تجنب على المتعلم (فورد من تعلم للمباهاة) أى للمفاخرة (أو
المماراة) أى المجادلة (أو لصرف وجوه الناس) أى اليه تعظيما وتكريما (فهو
في النار) ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح ، ولفظه « لا تتعلموا العلم لتباهوا
به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار »
وفي رواية لابن ماجه عن أبى هريرة بلفظ « من تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به
السفهاء أو يصرف وجوه الناس اليه أدخله الله جهنم » وفي رواية لآبى داود عنه « من
تعلم صرف الكلام ليسبى به قلوب الناس لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » وفي رواية
الترمذى عن كعب بن مالك بلفظ « من تعلم العلم ليما يرى به العلماء أو ليما يرى به السفهاء
أو يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار » وقد كثرت طرقه بحيث كاد أن يكون متواترا
(والانتقطاع) عن سائر الأمور التى فيها نوع من النزاع (لشغل العلائق) أى العوائق
بتعلق الخلائق عن خدمة الخالق ، ويشير اليه قوله تعالى : (وتبذل اليه تبذلا) أى
انقطع اليه واعتمد عليه واقصد الحضور لديه ولقوله تعالى : (ما جعل الله لرجل من
قلبين فى جوفه) وقال بعضهم : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا أعطيتك كلك
فانت من أعطائه اياك بعضه على خطر (والتلق) هو الافراط فى التواضع والتذلل
(فورد ليس من أخلاق المؤمن التملق الا فى طلب العلم) رواه الخطيب (والتسليم) أى
تسليم المتعلم للمعلم لأن العالم الربانى يربى المتعلم بصغار العلم قبل كباره . ولقوله
(هلاك مريض لا يسلم) أى أمره (للطبيب) أى فيما يحتميه وفيما يعينه (والحضور
للاتتفاع) أى ومن حق العلم حضور القلب مع الرب ليحصل له الاتتفاع فى مقام
الكسب (فورد) أى فى قوله تعالى : (ان فى ذلك) أى فيما سبق من أول سورة ق أو فى
القرآن (لذكرى) أى تذكرة أو منفعة وموعظة (لمن كان له قلب) أى حاضر وتام

وَتَرَكُ الْاِسْتِكْافَ لِأَنَّهُ تَكْبِيرٌ. وَالْقِيَاسُ لاسْتِدْبَالِهِ الْحُضُورَ بِالنَّوَافِلِ
وَاحَالَةَ الْبَحْرِ النَّجَاسَةِ مَاءَ دُونَ الْكُوزِ، وَتَقْدِيمُ الْأَمِّ فَيَدَأُ بِفَرْضِ الْعَيْنِ وَهُوَ
عِلْمٌ مَا يَجِبُ مِنْ اعْتِقَادٍ وَفِعْلٍ وَتَرَكُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ثُمَّ عِلْمُ الْآخِرَةِ فَهُوَ الْمُقَرَّبُ
إِلَيْهِ تَعَالَى ۝

الآية (أو ألقى السمع وهو شهيد) أى بجميع حواسه (وترك الاستكاف) أى الأنفة عن
الطلب أو المطلوب منه فإن العلم يؤتى ولا يأتى (لأنه تكبير) أى بغير حق وقد قال تعالى:
(سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن
يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الفنى يتخذوه سبيلا) (والقياس) أى
ومن حق العلم ترك قياس المبتدى على المنتهى فى كثرة الطاعة وقلة اجتناب الشبهة (لاستبداله)
أى لا اختيار المنتهى (الحضور) أى مع الله (بالنوافل) اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن
وتسكن الجوارح الا عن روائب الفرائض فيترامى لناظر انه كسل وبطالة واهمال وغفلة
وهيات فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور مع الرب (واحالة البحر)
أى ولتغيره (النجاسة ماء دون الكوز) شبه المنتهى بالبحر والمبتدى بالكوز فلا يقاس
الملوك بالحدادين، ومن هنا قال بعض المشايخ: من رآنى فى البداية صار صديقا ومن رآنى
فى النهاية صار زنديقا (وتقديم الامم) أى من العلوم تعلما وتعلما (فيدأ بفرض
العين) أى المتعين على كل أحد (وهو علم ما يجب من اعتقاد) أى اجمالا أو تفصيلا
تقليدا أو تحقيقا كما بيته فى شرح الفقه الأكبر تدقيقا (وفعل) أى عمل من صلاة
وصوم ونحوهما (وترك) أى من قتل نفس وشرب خمر وأمثالهما وعلمها كتب
الفقه (ظاهرا) وهو ظاهر (وباطنا) كترك ارادة المعصية (ثم علم الآخرة) أى
معرفة تفاصيل أحوالها ومواقفها وأحوالها أو علم لا ينفع الا فى الآخرة وأما لها، والمراد
به علم التصوف وتحسين الاخلاق الباطنية وتزيين الأحوال السرية (فهو المقرب اليه
تعالى) أى ظاهرا وباطنا بخلاف غيره اذ قديعه عنه سبحانه لما يشتمل عليه من
أنواع التقصير. وأصناف التكدير. من الرياء والسمعة والعجب والغرور فى التقرير
والتحرير، ومن هنا قال الامام مالك: من تفقه ولم يتصوف فقد تنسق ومن تصوف
ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق، وقال بعض العارفين: من لم يكن له

نصيب من هذا العلم أخاف عليه من سوء الخاتمة وأدنى النصيب منه التصديق به والتسليم لاهله، وقال آخر: من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة وكبر، وقيل من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم فأقل عقوبة من ينكره أن لا يرزق منه شيئا وأنشد :

وارض لمن غاب عنك غيبته * فذاك ذنب عقابه فيه

هذا ومجمل ما يجب عليك من الاعتقاد على وجه الاقتصاد في مقام الاستفادة أن تعلم أن لك إلهًا عالمًا قادرًا حيا مريدا متكلمًا سميعًا بصيرا واحدا أحدا فردا صمدا لا شريك له أبدا ولا ضدله ولا ند ولا شبيه ليس كمثل شيء لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، متصف بصفات الكمال جامعا بين نعوت الجلال والجمال فهو ذو الجلال والاكرام، وصاحب الافضال والانععام، منزها عن الحدوث متفردا بالقدم خالقا لكل شيء من حيز العدم كلامه قديم وإرادته وعلمه مقدسان عن كل نقص وآفة لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدودين ولا تتضمنه الامكنة والجهات ولا تمر عليه الأزمنة والساعات ولا تحمل له الحوادث والعاهات، وإن محمدا عبده ورسوله وخليله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وهو الصادق المصدوق فيما جاء به من الله سبحانه وفيما ورد على لسانه من أمر الآخرة وغرائب شأنه، ويجب عليه اعتقاد ما كان عليه السلف من أن الله سبحانه يرى في الآخرة لأنه موجود لكنه غير محدود، وإن القرآن كلام الله غير مخلوق ليس بحروف مقطعة ولا بصوات مختلفة فهو حال وحادث فينا محفوظ في قلوبنا مقروء بالسنتنا مكتوب بأيدينا ملحوظ بأعيننا، ونعتقد أيضا أن لا يقع في الملك والمملوك قاتلة خاطر ولا لفة ناظر إلا بقضاء الله وقدره وفق إرادته ومشئته فمنه الخير والشر والنفع والضرر والإيمان والكفر وأنه لا واجب على الله لأحد من خلقه وإن حقه واجب على غيره وهو العبادات، ثم من أثابه فهو بفضلته ومن عاقبه فهو بعبدله ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ونعتقد جميع ما ثبت بالسنة من أمور الآخرة كالجنة والنار والحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والصراط والميزان * فهذه أصول الإيمان درج السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين على اعتقادها والتمسك بها ووقع الإجماع عليها قبل تنوع البدع وبدوالها * وقال الحجة: علم الآخرة ينقسم إلى المعاملة والمكاشفة وغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست أعنى بالمعرفة الاعتقاد الذي تلقنه العوامى رواية بل ذلك نوع يقين من ذراية

فَإِذَا فَرَغَ عَنِ الْقِيَامِ بِفَرْضِ الْعَيْنِ عِلْمًا وَعَمَلًا سَأَغَ أَنْ يَشْرَعَ فِي فُرُوضِ
الْكُفَايَةِ كَالْتَفْسِيرِ وَالْأَخْبَارِ وَالْفَتَاوَى غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ إِلَى النُّوَادِرِ *

هو ثمرة نور يقدفه الله في قلب عبد ظهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان أبي بكر الصديق والله تعالى ولى التوفيق ومن أهم المهمات معرفة الواجبات ليكتسبها والسيئات ليجنبها اذ كيف تقوم الطاعات ولا تعرف ما هي أو كيف يفعلها مع وجود الملاهي أم كيف يجتنب المعاصي من غير أن يعرف أنها من المناهي فيجب عليك أن تحكم أحكام الشرع من الاصل والفرع فربما أنت مقيم على كفر وبدعة أو على غفلة مما يفسد عليك طهارتك أو صلاتك أو يخرجك عنها عن كونها على وفق السنة، ثم مدار هذا الشأن أيضا على العبادات الباطنة التي هي من فروض الأعيان من التوكل والتفويض والتسليم والرضا والقضاء والتوبة والابانة والصبر والشكر والاخلاص في النية ونحوها مما سيجي ذكرها ويجب الاتصاف بها وكذا الاما صي الباطنة من السخط والغضب والحقد والحسد والبخل وطول الأمل وخوف الفقر والرياء والكبر مما سيأتي بيانها ويجب اجتنابها حتى يصون النفس عما شأنها ويكون منعوتها بما زانها فان هذه المذكورات كلها فرائض الله سبحانه على الامر بها والنهي عن اضدادها في كتابه القديم وعلى لسان رسوله القويم، فقد قال تعالى: (قُوا كَلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) (واصبروا ان الله مع الصابرين) (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) ونحو ذلك من الآيات كما نص على الامر بالصوم والصلاة فيما بالك أقبلت على العبادات الظاهرة وتركت الطاعات الزائدة والامر بها من رب واحد في كتاب واحد على رسول واحد بل غفلت عنها ولا عرفت شيئا منها، وعلى الجملة فكل ما لا يؤمن من الهلاك مع جهله فطلب عليه فرض لا يسوغ لاحد تركه (فإذا فرغ عن القيام بفرض العين علما وعملا) أي فعلا وتركه (سأغ أن يشرع في فروض الكفاية كالتفسير) أي وما يتعاق به من علم القراءة وأسباب النزول ومعرفة النسخ والمسنوخ والعام والخاص والنص والظاهر، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا وما يتوقف عليه من علم اللغة والصرف والنحو (والاخبار) أي الاحاديث والآثار المسندة وغيرها ومعرفة رجالها وسائر أحوالها (والفتاوى) أي فروع الفقه وأصوله (غير متجاوز الى النوادر) أي كما نقل عن السلف

وَلَا مُسْتَعْرِقٌ مُسْتَقِلٌّ عَنِ الْمَقْصُودِ ، وَالْاِقْتِصَارُ عَلَى الْوَاقِعِ وَالْقَرِيبِ مِنْهُ
فِي الْمُنَاطَرَةِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ ، وَاخْتِيارُ الْخُلُوةِ لِقُرْبِهَا إِلَى جَمْعِ الْهَمَّةِ وَصَفَاءِ الْفِكْرَةِ
وَالْبُعْدِ عَنِ الرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ ۝

الأكابر فيكفيك من التفسير وجيز الواحدى أو الجلايين ، ووسطه المدارك أو المعالم
ونهايته الدر المنثور في التفسير المأثور ، ومن الحديث يكفيك ما في الصحيحين والوسط
منه نحو المشكاة والنهاية وتيسير الوصول الى جامع الاصول والجامع الكبير للحافظ
السيوطى ، واما الاستغراق في علم واحد طلبا للاستقصاء فممنوع فان العلم كثير والعمر
قصير (ولامستغرق) أى بكتيت في فرض الكفاية وهى كما قال الحجة : كل علم لا يستغنى
عنه في قوام أمور الدنيا كالمطلب اذ هو ضرورى في حاجة بقاء الأبدان . وكالحساب فانه
ضرورى في المعاملات وقسمة الوصايا والموارث وغير هاتى قال : ولا يتعجب من قولنا :
ان الطب والحساب من فروض الكفاية فان أصول الصناعات كذلك كالفلاحة
والحياكة والسياسة بل الخجامة وهى أخس الصنائع فانه لو خلا بلد عن الحجامين
لسارع الهلاك اليهم ولخرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فان الذى أنزل الداء أنزل
الدواء وأرشد الى استعماله وتواعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله ،
قلت : هاغرب من هذا ان صنعة السراباتة أيضا من فروض الكفاية (مشتغل عن
المقصود) أى الذى هو الحضور بين يدي المعبود والاستغراق في لجة بحر الشهود فقد قال
الطحاوى : حدثنا ابن أبى عمر أن قال : حدثنا محمد بن مروان الخفاف قال : سمعت اسماعيل
ابن حماد بن أبى حنيفة يقول : قال محمد بن الحسن : كنت آتى عند داود الطائى فاستثله عن
مسألة : فان وقع في قلبه انها مما احتاج اليه لامر دينى اجابنى عنها وان وقع في قلبه انها على
خلاف ذلك تبسم في وجهى وقال : ان لنا شغلا (والاقتصار) أى ومن حقوق علم المعاملة
الاقتصار (على الواقع) أى من القضايا (والقريب منه) أى من الواقع في البلايا
(والمناظرة) أى بطريق المشاورة (فهو المأثور) أى عن الجمهور فان الصحابة ماتناظروا
ولا تشاوروا الا في مسألة واقعة أو قرية الوقوع غالبا (واختيار الخلو) أى للمناظرة
(لقربها الى جمع الهمة وصفاء الفكرة والبعد عن الرياء والعجب) لان في حضور الجمع
ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه مخفا كان أو مبطلا

وَسَبِيلُ التَّشَاوُرِ وَالتَّعَاوُنِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ فَيَجِيزُ الْإِتِّقَالَ عَنْ دَلِيلٍ وَإِشْكَالٍ
وَلَا يَدْعَى عِلْمَ مَجْهُولٍ وَلَا يَسْكُتُ عَنْ مَعْلُومٍ زَاعِمًا أَنَّهُ عَالِمٌ بَعْدَ لُزُومِ الذِّكْرِ فَهِيَ
قَوَاعِدُ مُحَدَّثَةٌ جاذِبَةٌ إِلَى الْمُهْلِكَاتِ يَحْرُمُ التَّمَسُّكُ بِهَا وَيَشْكُرُ لِلصِّيبِ وَيَعْتَرِفُ بِالْخَطَا

(وسبيل التشاور) أى واختياره لقوله عز وجل : (وأمرهم شورى بينهم)
ولحديث « ما خاب [من استخار ولا ندم] (١) من استشار » (والتعاون) لقوله
تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) (فهو المأثور) لاعلى سبيل المراء والخصومة
والرياء (فيجوز الانتقال) أى فيجوز انتقال خصمه من معاونة ومشاورة (عن
دليل وإشكال) أى الى دليل آخر وإشكال أظهر بان اعتقد اولاً انه دليل وإشكال
قبل المشورة والتعاون فلم بعد همانه غير دليل وإشكال فينتقل (ولا يدعى علم
مجهول) كما اذا قال أحد المناظرين هذا ما ظهر لى فان ظهر لك ما هو اوضح فاذكره
فيصر المعتبر ويقل : فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفته ولا اذكره اذ لا يلزم ذكره
ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اما كذب ولا يعرف معنى وأما يدعيه تعجيز الخصمه
فهو فاسق كذاب عصى الله سبحانه وتكون دعواه دعوى علم مجهول، أو قوله صدق
فقد فسق باخفاء ما عرفه من أمر الشرع وقد سأل اخوه المسلم واظهار مثل ذلك واجب كما
لا يخفى فيكون سكوته سكوتاً عن معلوم زاعماً عدم لزوم الذكروه وقد وجب عليه وهذا
معنى قوله (ولا يسكت عن معلوم زاعماً) أى مدعياً (انه عالم بعد) أى بعد سؤال
المناظرة و (لزوم الذكر) كما هو شأن المناظرين اذا قلست المستدل على اصل بملء يظها
فيقال له : ما الدليل على ان الحكم فى الاصل (٢) معطل بهذه العلة؟ فيقول : هذا ما ظهر
لى فان ظهر لك ما هو اوضح وأولى فاذكره الى آخر ما سبق (فهى) أى المذكورات
من عدم اجازة الانتقال والادعاء السكوت (قواعده محدثة) أى اصطلاحات مبتدعة
مستقبحة (جاذبة الى المهلكات) من الحسد والتكبر وكتمان الحق وأذى المسلم وغير
ذلك (يحرم التمسك بها) أى ويجب العمل بخلافها (ويشكر) أى المناظر (للصيب
ويعترف بالخطأ) فعن محمد بن كعب قال : سأل رجل علياً عن مسألة فقال فيها فقال
الرجل : ليس هكذا ولكن كذا وكذا قال على : أصبت واخطأت وفوق كل ذى علم عليم

(١) الزيادة من الجامع الصغير ، والحديث رواه الطبرانى فى الاوسط بزيادة فى آخره « ولا عال من
انتعد » وسنده ضعيف (٢) وبعض النسخ الخطية فى الدليل

وَلَا يَهْتَمُّ بِهِ فَهُوَ الْمَأْتُورُ لِأَنَّهُ مُنْشَدُ ضَالَّةٍ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ ظُهُورِهَا مِنْهُ
أَوْ مِنْ غَيْرِهِ، وَيُقَدِّمُ الْحَامَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانَ لِشِدَّةِ مُعَادَاتِهِمَا،

أخرجه ابن جرير . وابن عبد البر ، وقد ثبت ان امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونهته
على الحق وهو في خطبته على ملا من الناس فقال : أصابت امرأة واخطأ رجل ،
واستدرك ابن مسعود على أنى موسى الأشعري فقال أبو موسى الأشعري : لا تسألوني
عن شيء وهذا الخبر بين أظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله
فقتل فقال : هو في الجنة وكان اذذاك أمير الكوفة فقال ابن مسعود : اعده على الأمير
فلعله لم يفهم فاعادوا عليه وأعاد الجواب وقال ابن مسعود : وأنا أقول : ان قتل فاصاب
الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى : الحق ما قال وهذا كذا يكون انصاف طالب الحق
ولو ذكرتم مثل هذا لقل فقيه لانكرهوا استبعده وقال : لا يحتاج الى أن يقال انه أصاب الحق
فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظرى زمانك اليوم كيف يسود وجه احدهم اذا
اتضح له الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجادته باقصى قدرته
وكيف يذم من ألح به طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابه في تعاونهم على
النظر في الحق (ولا يهتم به) أى برأيه الخطأ لان هذا شأن الاجتهاد ولانه اذا أصاب
فله أجران واذا اخطأ فله أجر فلا يخلو عن الخير بالكلية (فهو المأثور) أى المنقول عن
الجمهور قبل : ولا يقدر على هذه الثلاثة الا العالم الربانى أو الولي الصمدانى و (لانه) دليل
آخر لعدم الاهتمام أى ولان المناظر اذا كان طالب حق (منشدة ضالة فلا فرق بين ظهورها
منه أو من غيره) كما يشير اليه قوله عليه السلام : الكلمة الحكيمة ضالة المؤمن فحيث
وجدها فهو راحق بها ، أخرجه الترمذى عن أنى هريرة مرفوعا (ويقدم) أى المناظر
قبل البحث (افحام النفس) أى اسكات نفسه والزامها بان يحكم عليها بانها اماراة
بالسوء (والشيطان) وكذا افحام الشيطان (لشدة معاداتهما) قال تعالى : (ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا) وقال عليه السلام : « اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك » (١)
ومن لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدوه فلا يزال يدعو الى هلاكه
ثم يشتغل بمناظرة غيره فى مسائل (٢) المجتهد فيها مصيب أو مسام للصيب فى الاجر

(١) رواه البيهقى فى الزهد باب : ضيف وذكره الجلو فى كتابه بانظرا اعدى اعدائك الخ (٢) فى
النسخة المطبوعة فى المسائل

وَالْتَمَسُكَ فِي الْأُصُولِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْإِعْرَاضُ عَنْ
 إِعْتِرَاضِ خَاطِرٍ أَوْ نَاطِرٍ لَا عِصْمَ لَهَا عَنْ الْهَوَى وَالْوَسْوَسَةِ دُونَ غَيْرِهَا، وَتَأْيِيدُ
 الْإِعْتِقَادِ بِالْمُعَامَلَةِ فَهُوَ طَرِيقُ الْمُكَاشَفَةِ وَأَدَلَّةُ الْقُرْآنِ فِيهَا كَانُوا يَحَاجُّونَ
 وَيُقَاتِلُونَ مَنْ لَمْ يَقْنَعَهُ فَلَا بَيَانَ بَعْدَ بَيَانِهِ ،

فهو ضحكة للشيطان وعبرة للخاصين في حزب الرحمن والله المستعان ، هذا وقد ورد من
 ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربيع الجنة - أى وسطها - ومن ترك المراء وهو محق
 بنى الله له بيتا في أعلى الجنة ، الترمذى وحسنه من حديث أنس (والتمسك) عطف
 على اختيار الخلو أى والاعتصام (والأصول) أى الاعتقادات (بالكتاب) أى
 إذا كان مقطوع الدلالة (والسنة) أى المتواترة مبنى أو معنى (والإجماع) أى
 إجماع الأمة واتفاق الأئمة (والاعراض عن اعتراض خاطر أو ناظر) أى ومن حق
 العلم أن يعرض عما اعترض في خاطره أو في قول مناظره إذا كان هذا الاعتراض مخالفا
 للأدلة الثلاثة المذكورة (لاعتصامها عن الهوى) أى هوى النفس (والوسوسة)
 أى وسوسة الشيطان (دون غيرها) أى بخلاف ما عداها من المفاسد العقلية
 ونحوها (وتأييد الاعتقاد) أى تقويته وتأييده (بالمعاملة) والمعنى أنه إذا غلب
 واعتقد شيئا واجبا أو سنة أو مندوبا فن حقه أن يؤيد هذا الاعتقاد بالعمل به وكذا
 إذا اعتقد شيئا حراما أو مكروها من حقه أن يؤيد اعتقاده ذلك بالترك (فهو) أى
 تأييدها (طريق المكاشفة) أى الموصل إلى علم المكاشفة والمشاهدة فن اشتغل بالعلم
 بالهدى ولازم طريق التقوى ونهى النفس عن الهوى يفتح له أبواب الهداية وما يوصله
 إلى مقام النهاية كما يشير إليه قوله سبحانه : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
 سبلا) وقوله : (والذين اهتدوا زادهم هدى) وقوله عليه السلام : «من عمل بما علم
 ورثه الله علم ما لا يعلم» (وأدلة القرآن) أى وتأييده بأدلة القرآن خصوصا فانها
 قطعية لا محالة ويرجع الإجماع والسنة إليها (فيها) أى بالأدلة القرآنية (كانوا) أى السلف
 (يحاجون) أى يباحثون من قنعه القرآن (ويقاتلون من لم يقنعه فلا بيان) أى
 يوجد (بعديانه) أى بيان القرآن ، وقد قال تعالى : (هذا بيان للناس) وقال :
 (هذا بلاغ للناس) أى كفاية لهم في أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم ، وفي الحديث «من

وَصَحْبَةُ الصَّالِحِينَ وَإِصْغَاءُ الْوَعْظِ لِلَّذِينَ وَتَرَكَ مُجَادَلَةَ الْكَلَامِ فَهُوَ صَنْعَةُ جَدَلٍ لَتَعْجِيزِ
 الْعَامِيِّ الَّذِي يُضَرُّ ضَرْرُهُ لَتَشْوِيشِهِ الْحَقَّ بِيَعَثِ الشُّبْهَةِ وَتَحْرِيكِ الْعَقِيدَةِ
 وَإِزَالَةِ الْجُزْمِ وَتَوْكِيدِهِ الْبَاطِلَ بِتَأْيِيدِ الْأَصْرَارِ لِلْعَنْتِ الْجَدَلِيِّ وَحَمْلِ الْأَحْكَامِ
 عَلَى قُصُورِ الطَّبَعِ

لم يتغن بالقرآن فليس منا» أى من لم يستغن به عن غيره، و يؤيده قوله تعالى : (اولم يكفهم
 انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)
 ﴿ وصحبة الصالحين ﴾ أى وتأيد الاعتقاد بصحبة الصالحين لانه قد ينكشف لهم نور
 الصلاح ما لم ينكشف لغيرهم من العلوم ، وقد قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
 وكونوا مع الصادقين) ﴿ واصغاء الوعظ ﴾ أى وتأيده باستماع الوعظ ﴿ اللين ﴾
 أى المؤثر للقلوب امامن الوعاظ أو من كتب الصوفية ﴿ وترك مجادلة الكلام ﴾ أى
 وتأيده بترك مجادلة علم الكلام على طريقة المنطقيين والحكماء الخارجيين عن دائرة الاسلام
 ﴿ فهو صنعة جدل ﴾ بفتح فكسر أى مجادل أو بفتحتين فان المجادلة مراد يتعلق
 باظهار المذاهب وهو يعرف بكرامة اصابة الخصم وارادة خطئه و اظهار فضل
 النفس وهو موضوع ﴿ لتعجيز العامى الذى يضر ﴾ بصيغة المجهول ﴿ ضرره ﴾
 أى يضر الجدل مثل ضرر العامى وضرر العامى خلل اعتقاده بواسطة المناظرة بأنه
 يقع فى خاطره ان العلماء لما يترددون فى المسألة كيف نعتقدها على طريق الجزم وهذا
 معنى قوله ﴿ لتشويشه الحق ببعث الشبهة وتحريك العقيدة وازالة الجزم ﴾ فهذا
 ضرره بالنسبة الى العامى واما ضرره بالنسبة الى العالم فقد بينه بقوله ﴿ وتوكيده ﴾ عطف
 على تعجيزه أى فهو صنعة جدل لتأكيده ﴿ الباطل بتأييد الاصرار ﴾ أى بتقوية
 الاستمرار على المجادلة فى الآيات والاخبار ﴿ لعنت الجدلى ﴾ أى لطلب زلة من يجادل
 فى الآيات والاخبار معه ومشقته ﴿ وحمل الاحكام ﴾ أى وبحمل الالتزام ﴿ على قصور
 الطبع ﴾ وذلك لأن الممارسة لتصير عادة فيه طبيعية فلا يسمع كلاما لا وينبعث من طبعه
 داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه فى أدلة القرآن والفاظ الشرع فيصرف
 البعض منها بالبعض ، ولذا ذم الجدل فى الكتاب والسنة فقد ورد ما مضى قوم
 بعد هدى كانوا عليه الاوتوا الجدل ثم قرأ (ماضى به لك الا جدلا بل هم قوم

وَمِنْ ثَمَّةٍ تَزْعُرُ عَقِيدَةَ الْمُتَكَلِّمِ الْمُشْتَغَلِ بِالنَّظَرِ دُونَ الْعَامِيِّ الْمُتَقَيِّ إِلَّا
فِي عَامِيٍّ اعْتَقَدَ بِدَعْوَةٍ مَسْمُوعَةٍ وَأُلْفَ الْجَدَلَ حَتَّى لَا يَفِيدَهُ سِوَاهُ فَمِنْ ثَمَّةٍ صَارَ مُبَاحًا

خصمون (الترمذى وابن ماجه من حديث أبى امامة قال الترمذى : حديث حسن صحيح وقال عز وجل : (وكان الانسان أ كثر شئء جدلا) وفي الحديث في معنى قوله تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون) الآية هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله تعالى : (فاحذروهم) متفق عليه من حديث عائشة ، وقال بعض السلف : يكون في آخر الزمان قوم يغلق عنهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل ، وفي بعض الاخبار انكم في زمان اهتمت فيه العمل وسياق في قوم يلهمون الجدل ذكره الحجة وقال العراقي لم أجده أصلا وفي الخبر المشهور «أبغض الخلق الى الله تعالى الالاد الخصم» متفق عليه من حديث عائشة ولعله مقتبس من قوله تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام) ومن هنا قيل : اعتقاد العامي الذي لم يشتغل بالكلام راسخ قوى في احكام الاسلام واعتقاد الجدلى الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيطة مرسل في الهواء بل يشابه الهباء تلقيه الريح المختلفة في الصحراء كما في الاحياء (ومن ثمة) تكتب بالناء لثلاث تشبه بثم ثم تقرأ بفتح المثلثة من غير تاء وصلوا وهاء وفقا وخلاف ذلك عدم غلط العامة كذا في غاية التحقيق أى ومن أجل ذلك وما يتفرع عليه هنالك (تزعزع) أى تزلزل (عقيدة المتكلم المشتغل بالنظر) أى بالادلة النظرية العقلية فقط (دون العامي المتقى) أى المعتمد على الادلة العقلية والحجج الشرعية فان المشتغل بالكتاب والسنة ومتابعة الصالحين من الائمة لا يتزعزع بل يزداد رسوخا بما سمعه من أدلة القرآن وبما يرد عليه من شواهد الحديث في ميدان التبيان وبما يسرى اليه من سير الصالحين وسلوك الصادقين (الا) استثناء من قوله لتعجز العامي الذي يضر ضرره اى الا (في عامي اعتقد بدعة مسموعة) أى من جماعة مبتدعة (وألف الجدل حتى لا يفيد سواه) والغالب انه لا يفيد بل لا يزيده الا ضللا وتبارا كما يشير اليه قوله تعالى : (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) فان القرآن كائيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين كما يرمى اليه قوله تعالى : (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) (فن ثمة) أى من أجل انه يرجى انه يفيد في الجملة أو لاقامة الحجة (صار) أى علم المناظرة (مباحا) عند بعضهم

بَلْ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ فِي زَمَانِ الْبَدْعِ صَوْنًا لِلْعَقَائِدِ عَلَى الذِّكْرِ
 الْفَصِيحِ الْمُتَدِينِ الْمُتَجَرِّدِ لَهُ لِيَقْدِرَ عَلَى الْفَهْمِ وَالتَّقْرِيرِ وَالثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ وَالِاسْتِكْمَالِ
 لِإِزَالَةِ الشُّبْهَةِ دُونَ الْعَامَّةِ لِأَنَّهُ دَوَاءٌ بِخِلَافِ مَا سَبَقَ فَهُوَ غِذَاءٌ بِكَلَامٍ وَأَضَحٍ
 سَدِيدٍ قَرِيبٍ مِنَ الشَّرْعِ لِيَقْرَبَ مِنَ الْفَهْمِ وَيَبْعَدَ عَنِ وُرُودِ الشُّبْهَةِ وَالْهَوَى
 وَالْوَسْوَسَةِ دُونَ التَّعَمُّقِ الْمَشْشُوشِ

﴿ بل من فروض الكفاية ﴾ أى عند بعض أرباب الدراية ﴿ في زمان البدع ﴾ أى أيام ظهور
 أنواع البدعة ﴿ صونا للعقائد ﴾ أى عن تزلزلها في القواعد وهو انما يكون مباحا أو فرض
 كفاية ﴿ على الذكى ﴾ أى الفطن ﴿ الفصيح ﴾ أى القادر على التقرير والتحرير ﴿ المتدين ﴾
 المتجرد له ﴿ أى لتحصيله في هذا الفن ﴾ ليقدر على الفهم ﴿ أى أولا ﴾ (والتقرير) أى التفسير
 ثانيا ﴿ والثبات على الحق ﴾ أى ثلثا ﴿ والاستكمال لازالة الشبهة دون العامة ﴾ أى
 لا يباح لعامة الناس أن يخوضوا في هذا البحر العظيم فان فيه من الخطر الفخيم والمراد بالعامي
 هنا من لم يستحكم عقائده بالكتاب والسنة واجماع الأمة وسائر الأدلة العقلية والحجج
 العقلية ﴿ لانه ﴾ أى علم النظر ﴿ دواء ﴾ فيحتاج اليه عند الحاجة كالادوية والعامي ليس
 له معرفة بكيفية استعمال هذا الدواء فلا حاجة اليه بل استعماله وبال عليه ﴿ بخلاف
 ما سبق ﴾ أى من الأدلة الثلاثة التي هي الكتاب والسنة واجماع الأمة ﴿ فهو غذاء ﴾ أى
 فانها كالغذاء للبدن فلا بد للعامي منها فقد قال فتح الموصلي : أليس المريض اذا منع
 الطعام والشراب والدواء يموت ؟ فقالوا : بلى فقال : فكذا القلب اذا منع عنه الحكمة
 والعلم ثلاثة أيام يموت ، وأما دقائق المعتقدات وحقائق الاختلافات فيستغنى عنه العامي
 حتى لومات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم وانه مرئى وانه ليس محلا للحوادث الى
 غير ذلك فقدمت على الاسلام اجماعا ﴿ بكلام واضح ﴾ أى هو من فروض الكفاية
 على الذكى الفصيح بكلام ظاهر ﴿ سديد ﴾ أى مسدد باهر ﴿ قريب من الشرع ليقرب ﴾
 أى ذلك الكلام ﴿ من الفهم ﴾ أى الذى يقتضيه الطبع ﴿ ويبعد عن ورود الشبهة والهوى ﴾
 أى هوى النفس وهوى البدعة ﴿ والوسوسة ﴾ أى الناشئة من النفس والشیطان ﴿ دون
 التعمق المشوش ﴾ أى ولا يباح لمن ينظر في علم النظر ان يتعمق فيه بحيث يشوش عليه

والتَّجَاوُزُ إِلَى هَذَيَانَاتٍ اخْتَرَعَهَا الْمُتَبَدِّعَةُ

ما يعنيه ((والتجاوز)) أى دون التعدى ((الى هذيانات)) أى وترهات تؤذى بها
الطباع وتمجها الاسماع ((اختراعها المتبدعة)) أى من الخوارج والروافض والمعتزلة،
ثم اعلم أن المصنف فى هذا المقام تبع حجة الاسلام فى اباحة علم الكلام واقفاه
فى تفاصيل ما ذكره من المرام الا ان السلف الكرام وجماعة من الخلف الفضام اتفقوا
على أن علم الكلام من العلوم المذمومة وهو ما تنصب فيه الأدلة العقلية وتنقل فيه
أقوال الفلاسفة والحكماء الطبيعية والا فعمل العقائد بالحجج الشرعية والبراهين
النقلية اشرف العلوم الدينية لانه يبحث فيه عما يتوقف صحة الايمان عليه وتتماته
اللازمة لديه، فمن الشافعى لان يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن
يلقاه بشئ من علم الكلام ، وذكر فى غياث المقتى عن أبى يوسف أنه لا يجوز الصلاة
خلف المشكك وان تكلم بحق لانه مبتدع ولا يجوز ما خلف المتبدع وكان أبو حنيفة
يكبر الجدال على سبيل الحق حتى روى عن أبى يوسف أنه قال: كنا جلوسا عند أبى حنيفة
اذ دخل جماعة فى أيديهم رجلان فقالوا : ان أحد هذين يقول القرآن مخلوق وهذا
ينازعه ويقول غير مخلوق قال : لاتصلوا خلفهما قلت : اما الاول فنعم فانه لا يقول
بقدم القرآن واما الآخر فاباله لا يصلى خلفه فقال: انهما ينازعان فى الدين والمنازعة
فى الدين بدعة كذا فى مفتاح السعادة ، ومن جملة العلوم المذمومة علم المنطق الذى هو
يسمى بدهليز الكفر فقد صنف شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى رسالة مستقلة
فى تحريمه ونقل عن الأئمة الاربعة ما يدل على تسليمه ومن جعلها علم السحر كما يدل
عليه قوله تعالى : (واتبعوا ما تلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) ومنها علم النجوم فقد ورد « تعلموا من النجوم
ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر ثم اتوها » ابن مردويه. والدارقطنى عن ابن عمر « رب
معلم حروف أبى جاد دارس فى النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة » الطبرانى
عن ابن عباس « من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » أحمد
وأبو داود وابن ماجه عن ابن عباس « مثل الناظر فى النجوم كالناظر فى عين الشمس كلما
اشتد نظره فيها ذهب بصره » الديلمى عن أبى هريرة ، وعن الربيع بن سبرة الجنى قال
لما غزا عمر وأراد الخروج الى الشام خرجت معه فلما أراد ان يدلج نظرت فاذا القمر

في الدبران فاردت أن أذكر ذلك لعمر فعرفت أنه يكره ذكر النجوم فقلت له: يا أبا حفص انظر الى القمر ما أحسن استواءه الليلة فنظر فاذا هو في الدبران فقال قد عرفت ما تريد ابن سيرة تقول: إن القمر في الدبران والله ما يخرج شمس ولا قمر الا بالله الواحد القهار الخطيب وابن عساكر، وعن عبد الله بن عوف بن الاحمر ان مسافرا بن عوف بن الاحمر قال لعلي بن أبي طالب حين انصرف من الانبار الى أهل النهروان يا أمير المؤمنين لا أسر في هذه الساعة وسرفي ثلاث ساعات يمضين من النهار قال علي: ولم؟ قال: لانك ان سرت في هذه الساعة أصابك أنت وأصحابك بلاء وضر شديد وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظفرت بها وظفرت وطلبت فقال علي: ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده هل تعلم ما في بطن فرسي هذه؟ قال: ان حسبت علبت قال: من صدقك بهذا القول كذب القرآن قال الله تعالى: (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام) الآية ما كان محمد ﷺ يدعى ما ادعيت عليه تزعم انك تهدي الى علم الساعة التي يصيب السوء من سافر فيها قال نعم قال: من صدقك بهذا القول استغنى عن الله في صرف المكروه عنه وينبغي للمقيم بامرك أن يوليكَ الأمر دون الله وبه لانك أنت تزعم هدايته الى الساعة التي ينجو من السوء من سافر فيها فمن آمن بهذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ دون الله ندا وضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا إله غيرك نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي تنانا عنها ثم اقبل على الناس فقال يا أيها الناس اياكم اياكم وتعلم هذه النجوم الا ما يهتدي به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم وتعمل بها لاخلدتك في الحبس ما بقيت وبقيت ولا حرمك العطاء ما كان لي سلطان ثم سار في الساعة التي نهاء عنها فاقى أهل النهروان فقتلهم ثم قال: لو سرنّا في الساعة التي أمرنا بها فظفرنا أو ظهرنا لقال قاتل سار في الساعة التي امر بها المنجم ما كان لمحمد ﷺ منجم ولا لنا من بعده ففتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفي ماسواه الحارث والخطيب، وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يا علي لا تجالس أصحاب النجوم الخرافة في مساوي الأخلاق والدبلي * ومنها علم الرمل والقال ولو من المصحف فانه من قيل الازلام المنصوص في القرآن انه من الحرام، وعن معاوية بن الحكم مرفوعا «كان نبي من الأنبياء يخط فزوافت خطه فذاك، أحمد ومسلم وأبوداود، ومنها علم النسب والتوغل في الصرف والنحو ونحوهما فعن أبي هريرة مرفوعا «تعلموا من انسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم اتوها وتعلموا من العربية

ما تعرفون به كتاب الله ثم اتهموا البيهقي؛ وعن أبي هريرة مرفوعاً علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر ابن عبد البر، وعن ابن عباس مرفوعاً كذب النسابون قال الله تعالى: (وقرونا بين ذلك كثيراً) ابن سعد وابن عساكر، وفي رواية الديلمي عن عطاء عن ابن عباس. وأبي هريرة «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى جمعا من الناس على رجل فقال: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله رجل علامة قال وما العلامة قالوا أعلم الناس بانساب العرب والشعر وبما اختلف فيه العرب فقال النبي ﷺ: هذا علم لا ينفع وجهالة لا تضر» الديلمي، ومنها علم الطلسمات وعلم الشعبة والتليسات كالكيماويات والسيماويات وأما المباح فالعلم بالأشعار التي لا تخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراها، ومنها الشطحيات وهي الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله والوصال المعنى عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد من العبيدة والحلول وغيرهما من أنواع الاتحاد ودعوى ارتفاع الحجب والمشاهدة بالرؤية والمشاهدة بالخطاب فيقولون: قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق؛ وبما حكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحانه في سبحانه: وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوى فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا يعجز الاغنياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم لم يعجزوا أن يقولوا: ان هذا انكار مصدره العلم والجدل والملم حجاب والجدل عمل النفس، وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمسكافة نور الحق فهذا ومثله قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء فقتله أفضل في دين الله من احياء عشرة، واما أبو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ما حكى وان سمع ذلك منه فلعلمه كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول: اننى أنا الله الا أنا فاعبدنى فانه كان ينبغي أن يفهم ذلك منه انه على سبيل الحكاية كذا في الاحياء ومنها قراءة كتاب الفصوص المخالف للفصوص فانه مشتمل على أنواع من كفریات صريحة التي ليس لها تأويلات صحيحة، وقد قال ابن المقرئ في الارشاد: ان طائفة ابن العربي شر من اليهود والنصارى، وقد علمت في هذه المسألة رسالة مستقلة، وقد حرم بعض فقهاءنا مطالعة تفسير الكشف لما فيه من الاعتزال، وكذا ينبغي الاحتراز عن

مواضع في البضاوى تبع فيه مذاهب الحكماء والله سبحانه وتعالى أعلم بحقائق الاشياء ومنها الطامات وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لاتسبق منها الى الافهام كدأب الباطنية في التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فان الألفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع من غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ ويسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ فان ما سبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا يضبط له بل تعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى، وهذا أيضا من البدعة الشائعة العظيمة الضرر وانما قصد أصحابها الاغراب لان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة له ، وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكى الغزالي من مذاهبهم في كتاب المستظهرى المصنف في الرد على الباطنية ، ومثل تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى : (اذهب الى فرعون انه طغى) اشارة الى قلبه، وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل انسان وفي قوله : (وان ألق عصاك) الى كل ما يتوكلأ عليه وما يعتمد به مما سوى الله فينبغى ان يلقى، وفي قوله عليه السلام: « تسحروا فان في السحور بركة » أراد به الاستغفار في الاسحار وامثال ذلك حتى تحرفوا القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء ، وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر اليها النقل بوجوده ودعوة موسى له كاذب جهل وأنى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة ومالم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل الى الفاظها وكذلك حمل السحور على الاستغفار فانه كان عليه السلام يتناول الطعام في السحرك كما في البخارى ويقول: « تسحروا واهلموا الى الغذاء المبارك » كما رواه أبو داود وغيره، فهذه امور تدرك بالتواتر والحس وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس فكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شئ من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصرى مع اكدابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله عليه السلام في الترمذى وسننه « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورأيه تقرر امر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن عليه ويحملة عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية أو نقلية أو لغوية ، ولا ينبغى أن يفهم من الحديث انه يجب ان لا يفسر

وَفِي الْفُرُوعِ بِالْمَجْمَعِ عَلَيْهِ ثُمَّ الْأَحْوَطُ ثُمَّ الْأَوْثَقُ دَلِيلًا ثُمَّ قَوْلٍ مِنْ
ظَنُّ أَنَّهُ أَفْضَلُ

القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات ما نقل عن الصحابة والتابعين خمسة معان
وسنة وسبعة وأكثر وفلم قطعاً جميعها غير مسموعة عن النبي صلى الله عليه وسلم فانها
قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطاً بحسن الفهم وطول الفكر ، ولذا
قال عليه السلام لابن عباس: «اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل» كما رواه أحمد وابن حبان
والحاكم وقال صحيح الاسناد ، ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع
علمه بانه غير مراده بالالفاظ ويزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى الحق يضاهي
من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هو في نفسه حق
ولكنه لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يرى أنها حق حديثاً عن رسول الله
ﷺ فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله عليه السلام في الصحيحين
«من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» بل الشر في تأويلات هذه الالفاظ
اطم وأعظم لانها مبطلّة للفقه بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن
بالكلية ، وأما اذا أورد الالفاظ والمباني على مراد الشرع من المعاني بحسب
العبارات ثم زاد على ظواهرها مما يستفاد من سرائرها بطريق الاشارات فذلك
نور على نور وجمع بين بطون وظهور : (ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور)
(وفي الفروع) عطف على في الأصول أي ومن حق العلم التمسك في علم الفروع المسمى
بالفقه (بالمجمع عليه) أي ان وجد اجماعاً أو بالمتفق عليه بين الأربعة مثل تعجل صلاة
المغرب (ثم الاحوط) كسح كل الرأس فان الخروج عن الخلاف مستحب
بالاجماع ، وكذا اذا كان حنفياً ومس ذكره أو لمس امرأة يتوضأ ، واذا كان شافعياً
لا يتوضأ من القلتين واذا رعى أو اقتصد أو فعل نحوه يتوضأ ، وهذه الطريقة السنية
طريقة الصوفية حتى قيل : ان هذا مذهب خامس في القواعد الفقهية (ثم الاوثق)
أي اذا لم يمكن الاحوط للتعارض فيتمسك بالاقوى (دليلاً) كالاسفار بالفجر
دون الغلس ووضع اليمين دون الارسال وقد بينا الأدلة بيننا وبين المخالفين معنا في
شرح النقاية والله ولي الهداية في البداية والنهاية (ثم قول من ظن) أي اذا لم
يكن مجتهداً او لم يظهر له دليل ولا بدله أن يقلد فيتمسك بقول من غلب على ظنه
(انه أفضل) وفي مقام الفقه أكل لأن نفسه حيثئذ تنقاد الى قوله وتخصم لرأيه

كَأَبِي حَنِيفَةَ عِنْدَنَا فَوَرَدَ «أَبُو حَنِيفَةَ سِرَاجُ أُمِّي» وَسَمِعَ

وتبادر الى امثال أمره ونهيه ، وزاد ابن حجر في نسخة أصله قوله والعمل به أكيد وهذه زيادة فائدة ان صحت لها منفعة عائدة ثم قال ، وكل من أبى حنيفة ومالك والشافعي امتاز باقليم لا يعرف فيه غير أتباعه او يكون فيه أتباعه أكثر كاقليم الحجاز واليمن . ومصر . والشام . وحلب . وعراق العرب . والعجم بالنسبة للشافعي ، وكالغرب على سعة بالنسبة الى مالك ، وكالروم والهند وما وراء النهر بالنسبة لابي حنيفة انتهى ولا يخفى ان المغرب مختص بالامام مالك ، واما ما ذكره من اقليم الحجاز وما بعده فمخلوط بالشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية فان الحنابلة موجودون في نجد وتوابعه ، وكذا في البصرة وبغداد والحصاء ونواحيها ، وأما شمس علم أبي حنيفة فقد أشرق على الشرق وغلب على فرق أكثر الفرق فان كثرة الاروام وغلبة الهندود والاعجام ربما يكون أضغافا مضاعفة على أتباع مالك . والشافعي وأظن ان الحنفية تكون ثلثي اهل الاسلام كما يكون المؤمنون ثلثي اهل الجنة في دار المقام ثم الكثرة أصل معتبر عند العلماء الاعلام كما يشير اليه ماروي «عليكم بالسواد الاعظم» والله أعلم ﴿ كأبي حنيفة عندنا ﴾ معشر الحنفية وكفيرة من الائمة الاربعة عند غيرنا فقد علم كل اناس مشربهم وتبع كل طائفة مذهبهم ﴿ فورد ﴾ أي من طرق لكنها كلها واهية ﴿ أبو حنيفة سراج أمي ﴾ حديث موضوع لنا قال الصغاني وغيره بل قال السيوطي : وما يورد في ذكر أبي حنيفة من الاحاديث فباطل كذب لا أصل له نعم أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «لو كان العلم عند الثريا لتناولها رجال من أبناء فارس» قال السيوطي هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة وفي الفضيلة التامة له قلت مع زيادة كونه من التابعين اتفاقا على اختلاف في أنه هل روى عن الصحابة أم لا كما بينته في شرح مسند الامام ، وقد ورد خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وما يصلح للاستدلال به على عظم شأن أبي حنيفة ماروي عنه ﷺ انه قال : «ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة» ومن ثمة قال شمس الائمة الكردي : ان هذا الحديث محمول على أبي حنيفة لانه مات تلك السنة كذا ذكره ابن حجر المكي في الخبرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان ، وقد ثبت ان أباه ثابتا ذهب به الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو صغير فدعا له بالبر كفيه وفي ذريته ﴿ وسمع ﴾ بصيغة المجهول والمعلوم

فِي الْمَنَامِ أَنَا عِنْدَ عِلْمِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَسَلَّمَ الْمُخَالِفُونَ سَبْقَهُ فِي الْفَقْهِ .

(في المنام) انه عليه السلام قال بعدما قيل : أين أطلبك يا رسول الله ؟ (انا عند علم أبي حنيفة) وفي شرح ابن حجر وسمع في المنام الباري تعالى يقول انا عند علم أبي حنيفة أى بالحفظ والقبول وانزال البركة فيه وفي الآخذين به (وسلم المخالفون) كمالك. والشافعي وغيرهما (سبقة في الفقه) أى غلبته في هذا الفن أصولا وفروعا فقد قال الشافعي قيل لمالك : هل رأيت أبا حنيفة قال: نعم رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهابا لقام بحجته وهذا من كمال انصاف مالك مع علو مقامه هنالك وغاية مبالغة في بلاغة الامام وبيان المرام في جميع المقام، وقال الشافعي: الخلق كلهم عيال أبي حنيفة في الفقه وفي رواية عنه من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، وقال أيضا: من أراد أن يعرف الفقه فليزلم أبا حنيفة وأصحابه ذكره ابن حجر، وذكروا أيضا أن الشافعي لما دخل بغداد وزار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه في التكبير وفي رواية ان الر كعتين كانتا الصبح وانهم بقنت فقيل له في ذلك فقال ليس ادبنا مع هذا الامام ان نظهر خلافة بحضرته والفضل ما شهدت به الاضداد، وقال النصر بن اسمعيل كان الناس نياما عن الفقه حتى ايقظهم أبو حنيفة، ودخل على أمير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى العابد الزاهد فقال للمنصور: هذا عالم الدنيا فقال له المنصور: عن أخذت العلم؟ قال عن أصحاب عمر وعن أصحاب علي وعن أصحاب ابن مسعود فقال له المنصور: لقد استوتقت وكان يقول اذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين وعن أصحابه أخذنا بعض أقوالهم ولم نزاحمهم وعن التابعين فزاحمناهم فهم رجال ونحن رجال وذكر الامام الاسفرائيني باسناده الى علي بن المديني وهو من اساتذة البخاري وهو الذي طعن في حديث الثقلين سمعت عبدالرزاق يقول قال معمر: ما أعرف أحدا بعد الحسن أي البصري يتكلم في الفقه أحسن معرفة من أبي حنيفة، ومجمل الكلام في مرام هذا المقام أن تقليد الافضل أفضل باتفاق العلماء الاعلام وقيل بل يتعين ثم تقليد الاقدم في الاستنباط أولى وأتم فالامام الأعظم والممام الاقدم هو أبو حنيفة فانه أفضل زمانا وأكمل شأننا فانه من التابعين دون سائر المجتهدين، ثم انه اقدم برهانا وأتم بيانا لتقدمه واختصاصه بتدوين الفقه أصلا وفرعا فانه صور المسائل وأجاب عنها وأوضح الاسباب والعلل منها وبني ما يفرع عليها فهو الذي أخذ الماء من عين المأخذ وعض عليها بالنواجذ وغيره انما التقط ما من اقلامه سقط ومع هذا ينبغي أن لا يعتقد

وَكَانَ يَقُومُ كُلَّ اللَّيْلِ وَسَمِعَ هَاتِفًا فِي الْكُفَّةِ أَنْ يَا أَبَا حَنِيفَةَ أَخْلَصْتَ
خِدْمَتِي وَأَحْسَنْتَ مَعْرِفَتِي فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلِمَنْ تَبِعَكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ *

ان اصحابنا مصيبون قطعاً وان مخالفهم يخطئون جزماً فان المجتهد يخطئ. ويصيب
والحق عند الله واحد على ما ذكر في المصنف وشرح البزدوى ولا يتمكن المجتهد من اصابة
الحق قطعاً بل على غلبة الظن حتى اذا سلطنا عن مذهبنا ومذهب مخالفنا في الفروع نجيب
بان مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصواب على ما في جواهر
الفقه وغيره ، وهذا لا ينافي قولنا الاجمالي ان مذاهب الاربعة حق لاتفاقهم على ما اخذهم
من الكتاب والسنة واما قول بعضهم يجب أن نجيب بما قدمنا فليس في محله اذ لم يظهر
دليل وجوبه نعم ينبغي أن يقول كذا بناء على غلبة ظنه ثم في الأصول نقول نحن على الحق
ومخالفنا على الباطل كالمعتزلة وامثالهم من أهل البدعة لما بذتهم ظواهر الكتاب والسنة
(وكان يقوم كل الليل) بعد ان كان يحيي نصفه فاشار اليه انسان وهو يمشي فقال: هذا
هو الذي يحيي الليل كله فلم يزل بعد يقوم الليل كله وقال انا استحي من ان اوصف بعبادة
ليست في معنى احتراماً من دخوله في قوله تعالى: (يحبون أن يحمداً بما لم يفعلوا) (وسمع
هاتفا) أى في المنام كما قاله ابن حجر اوبين النوم واليقظة كالالهام (في الكعبة)
أى بعد ان ختم القرآن في ركعتين (ان يا أبا حنيفة اخلصت خدمتي وأحسن
معرفتني فقد غفرت لك ولمن تبعك الى قيام الساعة) ذكر في آخر خزانة المفتين انه
حكى ان أبا حنيفة لما حج حجة الوداع دخل الكعبة وقام بين العمودين على رجله
اليمنى حتى قرأ نصف القرآن وركع وسجد ثم قام على رجله اليسرى وقد وضع
قدمه اليمنى على ظهر رجله اليسرى حتى ختم القرآن فلما سلم بكى وناجى وقال: الهى
مأبذك هذا العبد الضعيف حق عبادتك ولكن عرفك حق معرفتك فيه نقصان
عبادته لكالم معرفته فمتف هاتف من جانب البيت قد عرفت وأخلصت المعرفة
وخدمت وأحسنتم الخدمة فقد غفرنا لك ولمن تبعك وكان على مذهبك الى قيام الساعة
اتمنى ، ولا يخفى ان الصلاة على قدم واحدة مكروهة فلعل فعله هذا قبل أن يتبين له
هذه المسألة أو المكراهة مختصة بالقرينة فان أمر التوافل مبنى على التوسعة، وههنا
اشكال آخر حيث قال الامام: عرفناك حق معرفتك والمشهور على السنة العوام وسائر
الاعلام ما عرفناك حق معرفتك والجواب أنه أراد حق المعرفة قدراً وأوجه الله تعالى

وتَلْمِذُهُ كِبَارُ مِنَ الْمُشَايِخِ *

عليه بحسب الوسخ والطاقة وانهم أرادوا نهاية المعرفة وغاية العلم المعبر عنه بالاحاطة وقد قال تعالى : (ولا يحيطون به علما) وقال : (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) : (ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء) وأما العبادة حق العبادة المعبر عنه بالقوى حق تقاته المعبر بان يطاع ولا يعصى ويذكر فلا ينسى ، فكل أحد عاجز عن ذلك كما أخبر الله به عنه بقوله تعالى : (كلا لا يقض ما أمره) فالإنسان محل النسيان والمخلوق في مقام النقصان والله المستعان وهو ضعيف لعموم قوله سبحانه : (فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) وقوله عليه السلام : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ولذا قيل من تبع عالما لقي الله سالما ﴿ وتلمذ له كبار من المشايخ ﴾ مثل ابراهيم بن آدم . وفضيل بن عياض . وداود الطائي . وابن المبارك . والليث بن سعد . والامام مالك على ما ذكره ابن حجر ونحوهم لكن لا يخفى ان تلمذة مالك لأبي حنيفة غير ظاهرة نعم قد يكون كل منهما أخذ عن صاحبه والله أعلم بحقيقة منصبهما ، وأما مشايخه فذكر الكردي ان أبا حنيفة أدرك الامام محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ويسمى محمد الباقر لقبه في العلوم وتجره وكذا أدرك ولده الامام جعفر الصادق وكذا زيد ابن أسلم مولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكذا ربيعة الرأي شيخ الامام مالك وكذا شعبة بن الحجاج الذي يقال له أمير المؤمنين في الحديث ، ومنهم الامام الأوزاعي امام أهل الشام وكان من جلالة ان مالكا والثوري أحدهما يقود حماره والآخر يسوقه ، ومنهم عطاء بن أبي رباح المكشي كان جعد الشعر أسود أفتس أشل أعور ثم عمى بعد ذلك ، قال أبو حنيفة : ما رأيت أفقه من حماد ولا أجمع من عطاء ، ومنهم أبو بكر بن عاصم ابن أبي النجود - بفتح النون وضم الجيم - الامام في القراءة تابعي جليل القدر ، ومنهم عامر ابن شرحبيل الشعبي قال : أدركت خمسمائة من أصحاب النبي ﷺ وكان يعجبه هذا البيت :
ليست الاحلام في حال النهي * انما الاحلام في حال الغضب

قلت وهو مقتبس من قوله عليه السلام : « الصبر عند الصدمة الأولى » وفي الجلة بلغ عدد مشايخ امامنا أربعة آلاف وأما أصحابه فلا تعد ولا تحصى بلا خلاف ، وقد نظم بعضهم هذا المعنى تحسينا للبنى :

غدا مذهب النعمان خير المذاهب * كما القمر الوضاح خير الكواكب
تفقه في خير القرون مع التقى * فمشربه لاشك خير المشارب

وَتَحْمَلُ لَتَقْلُدَ الْقَضَاءِ مَا تَحْمَلُ وَمَا خَالَطَ الظَّلْمَةَ وَمَاقِبَلِ مِنْهُمْ شَيْئًا

ثلاثة آلاف وألف شيخه * وأصحابه مثل الذجوم الثواب
 ﴿وتحمل لتقلد القضاء﴾ بأن يكون قاضى قضاء جميع الدنيا وكذا التولية مفاتيح
 خزان بيت المال شرقا وغربا وعجما وعربا ﴿ما تحمل﴾ أى من الضرب والحبس
 والشتم إثارا لعذاب الدنيا على عقاب العقبي من كمال التقوى وعن الامام أحمد أنه ذكر
 أباحيفة فقال: كان زاهدا ورعا وضرب على القضاء احدى وعشرين سوطا فأبى، وعن
 سهل بن مزارحم بذلك له الدنيا بجذا فيرها وضرب عليها بالسياط فلم يقبلها من قليلها
 ولا كثيرها ﴿وما خالط الظلمة﴾ أى باختياره ﴿وما قبل منهم شيئا﴾ لكمال
 اقتداره فعن النضر بن محمد الرقي قال: لقيته ببغداد وأنا أريد الكوفة فقال قل لابنى
 حماد قوتى فى الشهر درهمان من سويق وقد حبسته عنى فعجله الى وكان فى ذلك اليوم
 حبسه المنصور للقضاء ببغداد ، وروى أن المنصور كان يريد أن يقرب الامام فيقول
 الامام لالانك ان قربتنى اقتتنى وان أبعدتنى اخزيتنى وليس عندك ما أرجوك له
 وليس عندى ما أخافك عليه وأنا غنى بمن أغناك فلن أغشاك فيمن يغشاك ، ومثله ذكر
 عن الامام محمد بن الحسن أنه قال لعيسى بن موسى الى الكوفة وزادنى آخره بما أنشأ قائلا:
 كسرة خبز وقعب ماء * وفرد ثوب مع السلامة

خير من العيش في نعيم * يكون من بعده ندامة

ثم ما ذكرنا من أفعال المنصور بالامام فعل يزيد بن هيرة الى الكوفة مثله
 أيضا فى زمان المراونة كما رواه العسكرى وغيره عن يحيى بن أكرم عن أبى داود قال:
 اراد ابن هيرة أن يولى الامام قضاء الكوفة فأبى لخلف ابن هيرة ان لم يقبله بضربه
 بالسياط على رأسه ويتعصبه لخلف الامام على أنه لا يلى منه قليل لانه حلف على أن
 يضربك قال: ضربه فى الدنيا أهون من معالجة مقامع الحديد فى العقبى والله لأفعل ولو
 قتلتى قليل : لانه حلف لا يخليك وانه يريد بناء قصر فتول له عدالين فقال: لو سألتى أن أعد
 له أبواب المسجد ما فعلت فذكر للامير فقال أبلغ قدره أن يعارضنى فى اليمين؟ فدعاه
 فشافه وحلف ان لم يقبل يضرب على رأسه عشرين سوطا فقال: اذكر مقامك بين يدى
 الله تعالى فانه أذل من مقامى هذا ولا تهدنى فاقول لاله إلا الله محمد رسول الله
 والله يسألك عنى حيث لا يقبل منك الجواب الا بالحق فاوما الى الجلال أن امسك
 وبات فى السجن وأصبح وقد انتفخ وجهه ورأسه من الضربه وعن ابن المبارك أن

وَمَا أَشْتَغَلَ بِالدَّعْوَةِ إِلَّا بِالْإِشَارَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَا قَصَدَ الْأَنْزَوَاءَ وَمَا
أَسْتَظَلَ بِحَاظِ الْمَدْيُونِ حِينَ

الرجال في الاسم سواء حتى يقعوا في البلوى فقد ضرب أبو حنيفة على رأسه في السجن حتى يدخل في الحكم فصر على النذل والضرب في الحبس طلبا للسلامة في دينه ، وعن أبي عبد الله بن حفص الكبير البخاري أن الفتنة لما ظهرت بخراسان دعا ابن هبيرة العلماء كابن أبي ليلى وابن شبرمة وداود بن هند وولى كل واحد منهم شيئا من عمله وعرض على أبي حنيفة أن يكون الخاتم في يده لا ينفذ كتابا إلا من تحت أمره فاني خلف الاميرانه ان لم يله نضربه في كل جمعة سبعة أسواط فقال الفقهاء لا بى حنيفة: أنا اخوانك تناشدك على أن لاتهلك نفسك وكلنا نذكره عمله ولكن لم نجد بدا منه فقال: لو أراد منى ان أعد ابواب مسجد واسط لم أعد له فكيف وهو يريد منى أن يكتب في دم رجل واختم له والله لا أدخل في ذلك فقال ابن أبي ليلى: دعوه فانه مصيب فحبسه الشرطى جمعتين وضربه أربعة عشر سوطا ثم اجتمع مع الامير فقال : الاناصح لهذا ان يستملى فاستملىه وقال : اشاور اخواني فخلاه فهرب الى مكة في سنة مائة وثلاثين الى أن صارت الخلافة للعباسية أقام بها فقدم الكوفة في زمن المنصور فعظمه وأمر له بجائزة عشرة آلاف ألف درهم وجارية فلم يقبلها وروى أنه كان يتمثل كثيرا :

اعطاء ذى العرش خير من عطائكم • وسيله واسع يرجى وينتظر

اتم يكدر ماتعطون منكم • والله يعطى فلا من ولا كدر

وروى أنه لما أرسل اليه أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم على يد الحسن بن قحطبة ولم يمكنه ردها أوصى ابنه حماد انه اذا مات ودفن يردها للحسن ففعل فقال رحمه الله على أيك لقد كان شجيحا على دينه ﴿ وما اشتغل بالدعوة ﴾ أى بدعوة الناس إلى مذهبه ﴿ الا بالاشارة النبوية في المنام ﴾ اليه ليدعهم الى مذهبه ﴿ بعد ما قصد الانزواء ﴾ أى الاستخفاء عن الانام وحكاية رؤيا الامام مشهورة بانه ينش قبره عليه السلام ويؤلف العظام الكرام بوضع بعضها في موضع مناسب للمقام فغير ابن سيرين من اجله التابعين المنام ان صاحبها رجل يحى به الله سنن الاسلام بما أميتت فيما بين الانام والظاهر ان يقال: عاتفرقت بين الصحابة الكرام والتابعين العظام لجمعها الامام ورتبها أصولا وفروعا تلتم به الاحكام على وجه الاحكام ﴿ وما استظل بحاظ المديون حين

أَتَاهُ مُتَقَاضِيًا، وَتَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَالِ أُنَى بِهِ وَكِيلُهُ لَمَّا خَلَطَ بِهِ ثَمَنُ ثَوْبٍ
مُعِيبٍ مُبِيعٍ خَفِيًّا، وَتَرَكَ لَحْمَ الْغَنَمِ لَمَّا فَقَدَتْ شَاةٌ فِي الْكُوفَةِ إِلَى مَنَاقِبٍ
يَعْسَرَ تَعْدَادُهَا ۝

اتاه متقاضيا أي طالبا لقضاء دينه فن يزيد بن هارون رأيته يوما بقاء دار غريم له
قد قام في الشمس فانكرت فقال: لي على مالكم مال أخاف أن أجلس في ظله، ومثله عن يحيى
ابن زائدة إلا أنه قال حلفته بالله العظيم عن مانع الاستغلال فقال: أخاف أن يكون قرضا
جر منفعة قال وما أراه على الناس لكن على العالم أن يأخذ بعلمه أكثر ما يدعوا اليه، والمعنى
أنه ينبغي له أن يعمل بالتقوى لا بظاهر الفتوى كما يشير إليه قوله عليه السلام: «استفت قلبك
وإن أفتاك المفتون»، وقد أغرب شمس الأئمة حيث رد هذا في كتاب الصرف وقال: إنه
من التكلف لا من التزهّد انتهى، وهذا جراءة عظيمة منه وجريمة جسيمة عنه، وما يرد
عليه ما ذكر في صفات الصالحين أن امرأة سألت الإمام أحمد أن شموع آل طاهر
تعب من حملنا ونغزل في ضوئه ونحن على السطوح طاقة أو طاقين فهل يحل لنا من
ذلك الغزل فقال الإمام أحمد: من أنت قالت: أخت بشر الحافي قال: ما زال هذا الورع
الصافي يخرج من آل بشر، فعلم بهذا أن دقائق الورع بما لا غاية لها ولا نهاية فلا تقاس
الملوك بالحدادين ۝ وتصدق بجميع مال أُنَى بِهِ وَكِيلُهُ لما خلط به ثمن ثوب معيب مبيع
خفيا ۝ كان حفص بن عبد الرحمن شريك الإمام فبعثه إلى تجارة وقال له في ثوب كذا
عيب فباعه بلا يائه وجاء بربيع فصدق بحصته وفاسخه الشركة، قال المرغيناني: وكان
الربيع خمسة وثلاثين ألف درهم، وعن ابن الميحيق أنه قال الإمام ما ملكت أكره من أربعة
آلاف درهم منذ أكثر من أربعين سنة إلا أخرجتها وإنما أمسكتها لقول علي رضي الله
عنه أربعة آلاف درهم وما دونها نفقة ولولا أني أخاف أن ألتجئ إلى هؤلاء ما تركت
واحدا منها ۝ وترك لحم الغنم ۝ أي أكله ۝ لما فقدت شاة في الكوفة ۝ فن ابن المبارك
وقعت أغنام من الغارة في الكوفة فسأل عن مدة حياة الغنم فقيل: سبع سنين فما أكل اللحم
سبع سنين، وهذه المذكورات بعض مناقبه وندرة يسيرة من جملة مراتبه منضمة ۝ إلى
مناقب ۝ أي كثيرة ۝ يعسر تعدادها أي قصد استيفاء إيرادها، وقد تلخصت مناقبه
العلية ومناقب أصحابه الجليلة وذيلته بطبقات اتباعه الخيفية وسميته بالآثار الحنية
في الأسفار الحنيفة، واختصرت على مناقب الإمام هاتبع البصفت اختصارا وقد أوردت
مناقب الإمام في شرح المشكاة استكثارا ۝

البَابُ الْأَوَّلُ فِي الْوَرْدِ

وَرَدَ (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وَهِيَ أَنْوَاعُ مَنِهَا الصَّلَاةُ
فَوَرَدَ «مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ» «مَنْ تَرَكَ
الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ كَفَرَ» أَيْ قَارَبَ الْكُفْرَ يُقَالُ: دَخَلَ الْبَلَدَ لِمَنْ قَارَبَهَا

الباب الاول في الورد

أصل الورد قصد الماء ومنه قوله تعالى: (ولما ورد ماء مدين) والماء المرشح المعد المهيأ للورود ومنه قوله سبحانه: (بئس الورد المورود) ويسمى كل قول وفعل يأتيه الإنسان في وقت معين على وجه معين ورده وهو المراد هنا، وأما حديث صاحب الورد ملعون وتارك الورد ملعون فباطل لا أصل له (ورد) أي في قوله تعالى تعالى: (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أي ليعرفوني فيعبدوني أو ليعبدوني فيعرفوني كما هرشأن المراد والمريد في مسالك المناسك المعبر عنهما بالمجذوب والسالك (وهي) أي العبادة المأخوذة من يعبدون (أنواع) أي اصناف ستة (منها الصلاة) وهي أفضلها وأكملها واشملها وأجلها (فورد) ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد (أي الايمان بالله ورسوله) (أحب اليه من الصلاة) كذا في الاحياء مع زيادة ولو كان شيء أحب اليه منها لتعبد به الملائكة فمنهم راكم ومنهم ساجد وقائم وقاعد، وقال العراقي: لم أجده هكذا، وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر (من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر) البزار من حديث أبي الدرداء باسناد فيه مقال، ذكر العراقي في رواية الطبراني عن ابن عباس من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان، وفي الاوسط عن أنس من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا (أي قارب الكفر) لان المعاصي يريده (يقال دخل البلدة لمن قاربها) فالمراد به المعنى المجازي المعبر عنه بالمشارف خلافا للخوارج ومن تبعهم في حملته على الكفر الحقيقي أو معناه كفر نعمة الله بترك عبادة مولاه أو عمل عمل الكفرة أو كفر في عاقبة أمره أو محمول على مستحل تاركه أو منكر فرضيته، وفي رواية أحمد والبيهقي من حديث أم أيمن ورجال استاده ثقات من ترك الصلاة متعمدا فقد برى من ذمة محمد ﷺ، وفي رواية الطبراني في الاوسط من حديث أنس أول ما يحاسب

وَحَقُّهَا أَنْ يُطَهَّرَ الظَّاهِرُ عَنِ الْحَدَثِ . وَالنَّجَسِ . وَالْجَوَارِحِ عَنِ الْجَرِيْمَةِ
وَالْقَلْبَ عَنِ الذَّمِيْمَةِ وَالسِّرَّ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالَى هَذَا نَصْفٌ وَالْآخَرُ

به العبد الصلاة فان فسدت فسد سائر عمله ، والاحاديث في هذا الباب كثيرة شهيرة
وناهيك في شرفها قوله تعالى : (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (وحققها)
أى حق الصلاة الثلاثيها (أن يطهر الظاهر) أى ظاهره (عن الحدث) أى
النجس الحكيم من الاصغر والأكبر بدنا (والنجس) أى الحقيقي المسمى بالخبث
بدنا وثوباء ، والنجس بالفتح عين النجاسة والكسر المتنجس (والجوارح عن الجريمة)
أى واعضائه عن اكتساب الاعمال الظاهرة الذميمة (والقلب عن الذميمة) أى
الاخلاق الباطنة الدنية والاحوال الواردة الردية (والسِر) أى الذى لا يطلع عليه الا الله
(عما سواه تعالى) أى يطهره عن حضور غير الله وخطوره لاستهلاك غيره في جنب تجل
نوره والغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله
بالحقيقة في السر مالم يرحل ماسوى الله تعالى عنه ، ولذا قال عز وجل : (قل الله ثم ذرهم في
خوضهم يلعبون) لانهم لا يجتمعان في قلب واحد وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ،
وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالعقائد السنية وبالشامائل البهية
الرضية ولم يتصف بها مالم يتنظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والاخلاق
الكاسدة ، فتطهيرها احد الشطرين وهو الشطر الاول الذى هو شرط في الثاني فكان
الظهور شطر الايمان بهذا المعنى ، وكذا تطهير الجوارح عن المناهى والملاهى أحد الشطرين
وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني ، وخلاصته ان التخلية نصف الايمان والتخلية نصف
الايقان وبهما يكال العرفان ، فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة من طبقات الاتقان
ولن ينال العبد الطبقة العالية الا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة
السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة مالم يفرغ من طهارة القلب عن الاخلاق
المذمومة وعمارته بالاخلاق المحمودة ولن يصل الى ذلك مالم يفرغ من طهارة الظواهر
عن المناهى وعمارتها بالطاعات كما هي ؛ وكلما عز المطلوب وشرف المحبوب صعب
مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظن أن هذا الامر يدرك بالمتى وينال
بالمهين ، قال تعالى : (ليس بآمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب) الآية (هذا) أى المذكور
من الطهارة في كل رتبة (نصف) أى نصف حق عمل الصلاة (والآخرة) أى النصف

هُوَ الْعِمَارَةُ بِالطَّاعَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَوَرَدَ «الطُّهُورُ نِصْفُ الْإِيمَانِ» وَالْأَصْلُ
طَهَارَةُ الْبَاطِنِ فَهُمْ كَانُوا يَابِلُغُونَ فِيهَا وَيُساهِلُونَ فِي الظَّاهِرِ حَتَّى كَانُوا يَمْشُونَ
حُفَاةً فِي الطِّينِ وَيُصَلُّونَ مَعَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَعَلِّلاً فَخَبِرَ

الثاني (هو العمارة بالطاعة ظاهراً وباطناً) أى عمارة الجوارح والجوانح بالعبادة
المختلفة من القيام والقراءة والركوع والسجود والقعود وسائر الأحوال المؤتلفة (فورد
الطهور) بفتح الطاء وضمها بمعنى المصدر أو ما يتطهر به (نصف الإيمان) أحمد
ومسلم والترمذى عن أبى مالك الأشعرى فى حديث طويل ، والمعنى أن الإيمان يطهر
نجاسة الباطن والطهور يطهر نجاسة الظاهر كذا فى النهاية، وقيل: المراد بالإيمان
الصلاة كما قال تعالى: (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أى صلاتكم الى بيت المقدس
فيراد بنصفها شرطاً وبعضها فانه أقوى شرطها (والأصل) أى فى التطهر
الذى عليه مدار العمل (طهارة الباطن) لانه محل النظر الإلهى حيث ورد أن الله
لا ينظر الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأحوالكم (فهم) أى الصحابة
(كانوا يابلغون فيها) أى فى طهارة الباطن (ويساهلون فى الظاهر) أى يتساهلون
فى طهارة الظاهر (حتى كانوا) أى أحياناً (يمشون حفاة) أى بلا نعل (فى الطين)
أى طين الازقة ويجلسون عليها (ويصلون معه) أى من غير غسله ويأكلون من دقيق البر
وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون عن عرق الابل والخيول والحمر مع كثرة
تمرغها فى النجاسات، وقد انتهت الذوبة الآن الى طائفة يعمن أحدهم فى طهارة الظاهر
ويستقصى فى مجاريها ويستوعب جميع أوقانه فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف
الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظناً منه بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة
المطلوبة المشرفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع المهمل والفكر
فى تطهير القلب وتساهلهم فى أمر الظاهر حتى أن عمر رضى الله عنه مع علو منصبه تواضعاً
من ماء فى جرة نصرانية وحتى أنهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسمات والاطعمة
بل كانوا يمسحون أصابعهم باخص أقدامهم، وعدوا الاثنان ونحوه من الغسول
والصابون من البدع المحدثه وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء (وصلى عليه
السلام متعللاً) أى لا يسأله أى مرة (فاخبر) أى اخبره جبريل عليه السلام

بَتَلَطُّحٍ فَزَعٍ وَأَتَمٍّ وَلَكِنَّ لِلظَّاهِرِ أَثْرٌ فِي تَوِيرِ الْبَاطِنِ كَمَا يُصَادَفُ عِنْدَ
 اسْبَاغِ الْوُضوءِ وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ لِرَبِّطِ الْمَلِكِ بِالْمَلَكُوتِ

﴿ بتلطح ﴾ أى باصابة نجاسة ﴿ فزع ﴾ أى فعله بعمل قليل ﴿ وأتم ﴾ أى صلاته من غير استئناف ولا إعادة والحديث رواه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد قال بعضهم: الصلاة في النعلين أفضل إذا لم نزع رسول الله ﷺ نعليه باخبار جبريل عليه السلام له ان عليها نجاسة وخلع الناس نعالهم فقال رسول الله ﷺ: لم خلعت نعالكم قالوا: رأيناك خلعتنا فخلعنا نعالنا، وقال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لوان محتاجا جاء فاخذها منكرا لخلع النعال، وأما اهل زماننا فلو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الارض حافيا أو صلى على الأرض أو على بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من آدم ونحوه أو توضأ من آنية عجوز أو رجل غير متشف أقاموا عليه التكبير ولقبوه بالفذر واستنكفوا من مؤاكلته واستكروهوا من مخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة، فالنظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه ولم يبق الا اسمه ووسمه ﴿ ولكن للظاهر ﴾ أى لطهارته أيضا ﴿ أثر في توير الباطن ﴾ للارتباط الذي بينهما ولذا قيل الظاهر عنوان الباطل حتى أن المجامع في حال مباشرته لو أدمن النظر إلى بياض مشرف أو حمرة قانية الى أن غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود الى ذلك اللون الذي غاب عليه وان الجنين اذا تحرك في البطن وكانت الأم شاهدة في تلك الحال لصورة حسنة من الجمال بحيث غلبت تلك الصورة الحسنة على نفسها في عالم الخيال من باطنها نزع صورة ذلك الجنين الى تلك الصورة الحسنة التي شاهدها أمه، فعلم من هاتين الصورتين ان للظاهر أثرا في عالم الباطن ﴿ كما يصادف ﴾ أى يوجد أثره ﴿ عند اسباغ الوضوء ﴾ بفتح الواو أو ضمها أى ايمانه واسباغه ﴿ وسائر الأعمال الظاهرة ﴾ أى حيث تتأثر بها الأحوال الباطنة ﴿ لارتباط الملك ﴾ أى عالم الظاهر السفلى ﴿ بالملكوت ﴾ وهو عالم الباطن العلوى كما اذا كان شخص يرشح كل يوم بالماء جانب جداره البراني فلا شك ان أثر ذلك الترشيح يظهر في الجدار من جانب الطرف الداخلى، وقد ورد «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب

وَمِنْ ثَمَّةٍ تَصَدَّقُ رُؤْيَا مَنْ اعْتَادَ الصَّدَقَ قَدَاوْمٌ عَلَى الْوُضُوءِ *

على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فما يبقى ذلك من الدنس، أحد
ومسلم عن جابر، وفي الأحياء أن الإنسان إذا أسبغ الوضوء واستشعر نظافة ظاهره
وجد في قلبه صفاء وانشرحاح لم يكن يصادفه قبله وذلك النظافة العلاقة التي بين عالم
الشهادة وعالم الملكوت فإن ظاهر الإنسان من عالم الملك والشهادة وقلبه من عالم
الملكوت والغيب، فإن كنت لا تصادف بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئاً من الصفاء
الذي وصفناه فاعلم أن الجدار الذي استولى على قلبك من كدورات شهوات الدنيا
وشواغلها اقتضى كلال حس القلب نصار لا يحس بالطائف والأشياء الخفية ولم يبق
في قوته الإدراك الأمور الجليلة فاشتغل بجلاء قلبك وتصفية باطنك فإن ذلك أوجب
عليك من كل شيء أنت فيه (ومن ثمة) أي ومن أجل ارتباط الملك بالملكوت (تصدق رؤيا
من اعتاد الصدق) أي وتكذب رؤيا من اعتاد الكذب كقيل: كل أناة يترشح بما فيه
(قد اوم) تفريع على قوله لكن للظاهر أثر في تووير الباطن والمعنى إذا كان كذلك
فتواظب به (على الوضوء) فقد ورد دم على الطهارة يوسع عليك الرزق، بل ينبغي أن يحدد
الطهارة لكل صلاة كما كان يفعل عليه السلام نظراً إلى ظاهر الآية وإنما صلى عليه السلام
عام الفتح خمس صلوات بوضوء واحد فسأله عمر عن ذلك فقال عمدا صنعت يا عمر يعني
ليعرف أنه ليس بفرض فتقدير الآية إذا قمتم إلى الصلاة وأتمم محدثون لأن الأصل في
الأمر أن يكون للجواب، والحديث «من توضع على ظهره كتب الله له عشر حسنات» أبو داود
والترمذي وابن ماجه من حديث عمر بأسناد ضعيف والضعيف يعمل به في فضائل الأعمال
اتفاقاً مع أن كثرة الطرق ترقى الضعيف حسناً وفاقاً، وأما حديث الوضوء على الوضوء
نور على نور فقال العراقي: لم أجده أصلاً وتعقبه العسقلاني بقوله رواه رزين في مسنده
وهو حديث ضعيف وينبغي أن يستجى لمقعدته بثلاثة أحجار فإن أنقى بها كفى والّا
استعمل رابعة فإن أنقى بها والّا استعمل خامسة لأن الانقاء واجب والّا يتار مستحب قال
عليه السلام «من استجمر فليوتر» متفق عليه من حديث أبي هريرة فإخذ الحجر ويساره
ويضعها على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمر بها بالمسح والادارة إلى المؤخرة
ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخرة وكذا يمر بها إلى المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها حول
المسربة إدارة ثم يأخذ حجراً كبيراً يمينه والقضيب يساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك
اليسار فيمسح ثلاثاً في ثلاثة مواضع أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار جازله ذلك

وَيَتَوَضَّأُ بَعْدَ الْغَيْبَةِ وَالْقَهْقَرَةِ وَأَنْ لَمْ تَكُنْ فِي الصَّلَاةِ وَلِكُلِّ صَلَاةٍ قَبْلَ الْوَقْتِ

الى أن لا يرى الرطوبة في محل المسح ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجي بالماء بان يفيضه على محل النجس ويدلك باليسرى حتى لا يبقى له أثر تدر كالكف بحس المس ويترك الاستسقاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك ينفع للوسواس لا كثر الناس ويقول عند دخوله في المطهر: بسم الله اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث واذا فرغ عنه غفرانك الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني؛ واذا فرغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحسن فرجي من الفواحش، واجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى أنه لما نزل قوله تعالى: (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهل قباء ما هذه الطهارة التي أثنى الله بها عليكم فقالوا: كنا نجتمع بين الماء والحجر كذا في الاحياء، وقال العراقي: الحديث في أهل قباء وجمعهم بين الماء والحجر. البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف، ورواه ابن ماجه. والحاكم وصححه من حديث أبي أيوب، وجابر وأنس في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر، فقول النووي تبعاً لابن الصلاح ان الجمع بين الماء والحجر في أهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم والله أعلم ﴿ويتوضأ بعد﴾ نحو ﴿الغيبه﴾ وهي بكسر الغين ان تذكر أخاك بما يكرهه في الغيبه، وقد ورد الغيبه تنقض الوضوء والصلاة رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر، وفي معناها الكذب والنيمة وسائر الأقوال الذميمة بل قال بعض المشايخ: اذا ذكرت الدنيا توضأ واذا ذكرت الآخرة اغتسل، يعني ان الدنيا هي الشهوة الصغرة والعقبى هي الكبرى وكل منهما مانع عن مال التوجه الى حضرة المولى، وفي شرح السنة والمستحب ان يتوضأ لكل صلاة وان كان على طهارة لا نهر بما جرى على لسانه كذب أو غيبه أو سيئة بها يأثم قلبه فيذبح ان يجدد الوضوء لدفع ذلك كما يتوضأ لدفع الحدث الظاهر فان كان لا يمكنه الوضوء فانه يتيمم وينوي بتيممه رفع الاثم، وفي العوارف تجديد الوضوء مستحب بشرط أن يصلي بالوضوء ما تيسر والا فأكروه ﴿والقهمة وان لم تكن في الصلاة﴾ أي فانها اذا كانت في الصلاة تنقض الوضوء عندنا ﴿ولكل صلاة قبل الوقت﴾ عملاً بقوله تعالى: (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) الآية في شرح السنة من المستحب اذا فرغ من البول أو الغائط ان يتيمم الى أن يبلغ الماء فيتوضأ هكذا روى عن رسول الله ﷺ ففي الاحياء في بيان طول الأمل وقصره انه عليه السلام كان يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة وقال لعلي لا أبلغه، وحكى عن

وَيَمْلَأُ الْإِنَاءَ لِلآتِيَةِ وَيُطِيلُ الْغُرَّةَ وَالتَّحْجِيلَ وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَعِينُ
بِغَيْرِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الدُّنْيَا وَالْبَشَرِ

ذى النون المصرى انه كان على شط النيل يتيمم ويقول: اخاف ان يدركنى الموت قبل ان أتوضأ كما فى شرح السنة ﴿وَيَمْلَأُ الْإِنَاءَ لِلآتِيَةِ﴾ أى استعدادا للصلاة الآتية ويكره أن يستخلصها لنفسه كذا فى المراجعية ﴿وَيُطِيلُ الْغُرَّةَ وَالتَّحْجِيلَ﴾ أى عند غسل وجهه ويديه ومرفقيه والغرة يياض الجبهة والحجل يياض قوائم الفرس ونحوه، وقد ورد «ان هذه الأمة يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء» وقال عليه السلام: «من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل» متفق عليه من حديث أبى هريرة، وروى تبايع الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء، أخرجه مسلم من حديثه ﴿وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ﴾ أى حين الوضوء فورد «أشرف المجالس ما استقبل به القبلة» الطبرانى عن ابن عباس ﴿وَلَا يَسْتَعِينُ بغيره﴾ أى مهما أمكن فانه أفضل اذا لاجر على قدر المشقة ﴿وَلَا يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الدُّنْيَا وَالْبَشَرِ﴾ أى فى أثناء الوضوء، وفى فتاوى الحجة التكم فى أثناء الوضوء مكروه وفى الاعتسال اشد كراهة، وفى العوارف أدب الصوفية فى الوضوء حضور القلب فى غسل الاعضاء، سمعت بعض الصالحين يقول: اذا حضر القلب فى الوضوء يحضر فى الصلاة واذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة فى الصلاة وينوى رفع الحدث أو استباحة الصلاة أو القربة الى الله سبحانه ويبدأ بتسمية الله فقد ورد لا وضوء لمن لم يسم الله الترمذى. وابن ماجه من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة، والتسمية فى أول الوضوء سنة عند الجمهور وواجب عند أحمد بهذا الحديث، ويستحب ان يقدم على البسملة التعوذ ويقول: أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون بسم الله العظيم والحمد لله على دين الاسلام، ويغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الإناء لقوله عليه السلام: «اذا استيقظ أحدكم من منامه فلا يغمر يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثا فان أحدكم لا يدري أين باتت يده» مالك والشافعى وأحمد والشيخان والاربعة عن أبى هريرة، ويقول عند غسل يده: اللهم انى أسألك الجن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والحاسكة ثم يتمضمض ثلاثا ويبالغ فيه الا أن يكرث صائما كما ورد به الخبر ويقول: اللهم اعننى على ذكرك وشكرك وتلاوة كتابك، يستشق ثلاثا ويقول: اللهم ارحنى رائحة الجنة مع الابرار واعذنى بك من روائح أهل النار، ويستنثر ثلاثا فورد: «اذا استيقظ أحدكم

ويفتح العين

من منامه فتوضأ فليستثر ثلاث مرات فإن الشيطان يبث على خياشيمه، الشيخان عن أبي هريرة، ويغسل وجهه ثلاثاً ويقول اللهم يضر وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك ﴿ويفتح العين﴾ أي عند غسل الوجه هو غير معروف بل قيل: إنه فيه خطر العمى فهو حرج مدفوع عنه نعم يدخل الأصبع في محاجر العينين وموضع الرمض ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روى أنه عليه السلام فعل ذلك أخرج أحمد من حديث أبي أمامة كان يتعاهد المارقين، وروى الدارقطني من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف «أشربوا الماء أعينكم، أي حوالها لما تقدم والله أعلم، ويغسل اللحية اللطيفة والكثيفة ويخللها قد ورد: «خللوا لحاكم وقصوا أظفاركم فإن الشيطان يجري بين اللحم والظفر» الخطيب في الجامع «وابن عساكر عن جابر، ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة أعني ما يقبل من الوجه، وأما الكثيفة فلا بل يفيض الماء على ظاهرها ما استرسل من اللحية وقد ورد كان عليه السلام: «إذا توضأ خلل لحيته بالماء، رواه أحمد والحاكم عن عائشة، وفي رواية أبي داود والحاكم عن أنس» كان إذا توضأ أخذ كفاً من ماء فادخله تحت حنكته فخلل به لحيته وقال: هكذا أمرني ربّي» وفي رواية ابن ماجه عن ابن عمر «كان إذا توضأ عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته بأصابعه من تحتها، والعرك المعالجة والدلك، ثم يغسل يديه مع مرفقيه ثلاثاً ثلاثاً فورد أنه عليه السلام: «إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه» الدارقطني عن جابر، وفي رواية ابن ماجه عن أبي رافع «كان إذا توضأ حرك خاتمة ويبدأ باليمين ويقول: اللهم أعطني كتابي يميني وحاسبني حساباً يسيراً وعند اليسرى اللهم أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمال أو من وراء ظهري، ثم يستوعب رأسه بالمسح ويقول: اللهم غشني برحمتك وأنزل علي من بركاتك وأظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما ويقول: اللهم اجعاني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم اسمعني منادى الجنة ثم يمسح الرقبة لقوله عليه السلام: «مسح الرقبة أمان من الغسل يوم القيامة» أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمرو هو ضعيف، ويقول: اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثاً ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل فيه الأقدام ويقول عند غسل اليسرى اللهم أعوذ بك أن تزل قدمي على الصراط يوم تزل أقدام المنافقين في

وَيُسَمَّى فِي كُلِّ عَضْوٍ وَيَتَشَهَّدُ فِيهِ وَبَعْدَ الْفَرَاغِ وَيَشْرَبُ بَقِيَّةَ الْمَاءِ قَائِمًا
مُسْتَقْبِلًا وَيَسْرَحُ اللَّحِيَّةَ بَعْدَهُ ۝

النار ويخلل باليد اليسرى من أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى فقد ورد: «خلل أصابع يديك ورجليك» أحمد عن ابن عباس وفي رواية الدارقطني عن أبي هريرة «خللوا بين أصابعكم لا يخللها الله يوم القيامة بالنار» وفي رواية الطبراني عن واثله «من لم يخلل أصابعه بالماء خللها الله بالنار يوم القيامة» (ويسمى في كل عضو) وقيل ويسلم أيضا على النبي ﷺ (ويتشهد فيه) أى في كل عضو، ففى المحيط من الأدب ان يقول عند كل عضو أشهد ان لا إله الا الله وأشهد ان محمدا عبده ورسوله (وبعد الفراغ) أى ويتشهد بعد فراغ الوضوء أيضا فقد ورد: «من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال: أشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانه اللهم وبمحمدك لا إله الا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك وأتوب اليك فاغفر لي وتب على انك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبدا صورا شكورا واجعلني اذكرك ذكرا كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا» يقال: ان من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدهه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة كذا في الأحكام قال العراقي حديث: «من توضأ باحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» أبو داود من حديث عتبة بن عامر وهو عند مسلم دون قوله ثم رفع (ويشرب بقية الماء) أى فضل الوضوء كله أو بعضه (قائما مستقبلا) لما ورد في أثر على موقوفا ومرفوعا، فعن شمس الأئمة الحلواني وان شاء قائما وان شاء قاعدا، وذكر شيخ الاسلام المعروف بخواهر زاده انه يشرب ذلك قائما ولا يشرب قائما الا في موضعين أحدهما هذا والثاني عند زمزم والله أعلم (ويسرح اللحية بعده) أى بعد فراغ الوضوء الترمذى في الشئان من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته، وفي الشئان أيضا باسناد حسن انه عليه السلام كان يترجل غبا، وعند أبي داود والترمذى والنسائي من حديث عبد الله بن مغفل النهي عن الترجل الا غبا باسناد صحيح، وفي الخبر المشهور انه عليه السلام كان لا يفارقه

المشط والمدرى والمرآة في سفر ولا حضر وهي سنة العرب كذافي الاحياء، والمدرى القرن يقال له: أدري رأسه حكمة قال العراقي حديث كان لا يفارق المشط والمدرى في سفر ولا حضر ابن طاهر في كتاب صفة التصوف من حديث أنى سعيد كان لا يفارق مصلاه وسواكه ومشطه ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة واسنادهما ضعيف قال الحجة: وفي حديث غريب انه كان يسرح لحيته في اليوم مرتين ، وقال العراقي: تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب في الجامع من حديث الحاكم مرسلًا كان يسرح لحيته بالمشط ، وكان عليه السلام كثر اللحية قد ملأت ما بين منكبيه، وكذلك كان أبو بكر ، وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان على عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه ذكره في الاحياء وقال العراقي: حديث كان كثر اللحية الترمذى في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة . وأبو نعيم في دلائل النبوة من حديث على واصله عند الترمذى قال: وفي حديث اغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها: اجتمع قوم الى باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج اليهم فرأيتهم يتطلع في الجب يسوى من رأسه ولحيته قلت: أو تفعل ذلك يا رسول الله؟ فقال نعم: ان الله يحب من عبده أن يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم قال العراقي ابن عدى وقال حديث منكر هذا ، وقيل لدارد الطائي: لم لا تسرح لحيتك؟ قال: انى اذا لفارغ، وفي قوت القلوب قال السرى: في اللحية شرك ان كان تسريحها لاجل الناس وتركها لاجل اظهار الزهد رياء، وقال: لو دخل على داخل فمسحت لحيتى لأجله لظننت أنى مشرك ، وتحقيقه ما قال الحجة: ان الجاهل ربما يظن أن فعله عليه السلام ذلك من حب التزين للانام قياسا على أخلاق غيره في الدين وتشديدها للدلائكة بالحدادين وهيئات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماثورا بالدعوة وكان من وظائفه أن يسعى في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم كيلا تزدرية نفوسهم وفي تحسين صورته في أعينهم كيلا تستغفروا عنهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم ، وهذا القصد واجب على كل عالم يتصدى لدعوة الخلق الى الحق وهو أن يراعى من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الأمور على النية فانها في أنفسها أعمال تكتسب الارصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث باللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس مخذور وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب ومشكور، وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى والناقد بصير والتليس غير راجع عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وغيره

وَيَجْتَنِبُ اَنَاةً اَيَّاذَى مِنْ رِيحِهِ الْمَلَأَتْكَ كَالصُّفْرِ وَالْمَاءُ الْمُشَمَّسَ وَالْاَسْرَافَ

فِي الْمَاءِ وَالضَّرْبَ بِهِ وَنَشْفُهُ عَلَى وَجْهِهُ فَهُوَ يُوزَنُ دُونَ وَجْهِهُ فَهُوَ مَرُوءِي

ويزعم ان قصده الخير فيرى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمخالفين والتقرب الى رب العالمين وهذا أمر ينكشف يوم تبلى السراير ويوم يبعث من في القبور ويحصل ما في الصدور فنعوذ بالله من الخزي يوم الفرع الأكبر (ويجتنب اناةً اي يأتذى من رِيحِهِ الْمَلَأَتْكَ كَالصُّفْرِ) ومثله النحاس تبع الاحياء لكن ورد أنه عليه السلام: « كان يعجبه أن يتوضأ من مخضب من صفر » ابن سعد عن زينب بنت جحش لكن يؤيد بما في شرح السنة من الادب أن يتوضأ من اناة الخنزير ولا يتوضأ من النحاس والصفر لان الوضوء به منهي عنه وفيه أيضا روى عن ابن عمر أنه كره الوضوء في اناة صفر، وفي الشريعة لا يتوضأ من اناة نحاس وصفر قالوا الملائكة يفرون من ريحهما (والماء المشمس) أي ويجتنبه لأنه يورث البرص اذا كان في اناة نحو الصفر في بلاد حارة وهذا في الآواني دون الحياض وفي الاحياء ويكره أن يتوضأ في اناة صفر وأن يتوضأ بالمشمس وذلك من جهة الطب، وروى عن ابن عمر وأبي هريرة كراهية الاناة الصفر، وقال بعضهم: أخرجت لشعبة ماء في اناة صفر فأبى أن يتوضأ منه ولعل كراهية ذلك عن ابن عمر انتهى، وفي الشريعة لا يتوضأ بالماء المسخن بالشمس، وفي ددر البحور ولا يكره الوضوء بالماء المسخن بالنجاسات وبه قال أبو حنيفة خلافاً لما لك وأحمد ولا يمازم وبه قال أبو حنيفة وما لك خلافاً لاحد ولا بأس بالمشمس في البرك والبحار والانهار وفاقاً (والاسراف في الماء) قال تعالى: (ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) وتوضأ عليه السلام ثلاثاً وقال: « من زاد فقد ظلم وأساء » أبو داود والنسائي واللفظ له وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن جده، وقال عليه السلام: « سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء والطهور » أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله ابن مغفل (والضرب به) أي ويجتنب لطم وجهه بالماء (ونشفه على وجهه) أي قول (فهو يوزن) أي في ميزان العمل (دون وجهه) أي قول آخر (فهو مروى) في الاحياء كره قوم التنشيف وقالوا: الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهرى لكن روى معاذ أنه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه وروى عائشة أنه كانت له منشفة

وَنَقَضَ الْيَدَ، وَيُؤَظُّ عَلَى السَّوَاكِ مِنَ الْأَرَاكِ طَوْلًا وَعَرْضًا فِي كُلِّ
صَلَاةٍ وَوُضُوءٍ وَعِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَغْيِيرِ الْقَمَمِ بِنَحْوِ الْجُوعِ وَالنَّوْمِ

ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة قال العراقي: حديث معاذ الترمذي وقال غريب
واسناده ضعيف، وحديث عائشة الترمذي وقال ليس بالقائم قال: ولا يصح عن النبي
ﷺ في هذا الباب شيء. (ونقض اليد) أي ويجتنبه فقهي الأحياء ويكرهه إن ينقض
اليدين فيرش الماء. (ويؤظ على السواك) أي استعماله أو على الاستياك (من
الأراك) أي خصوصا فهو الأفضل الوارد والا فيجوز من كل شجرة مرة لأنه
أطيب لنكهة القمم وأكثر إزالة للبلغم وأنقى للصدر وأقوى للبعدة واهضم للطعام
وليكن رطبا مستويا قليل العقد طول الشبر وغلظ الخنصر ولا يقوم الأصبع مقام
الحشبة عند وجودها (طولا وعرضا) وإن اقتصر فعرضا (في كل صلاة) حتى عند
بعض أئمتنا أيضا (ووضوء) أي في كل وضوء اتفاقا ومحل ابتداء الوضوء كما في الأحياء.
أو حال المضضعة لأنه من تكميلها وقد قال عليه السلام: «صلاة على أثر سواك أفضل
من خمس وسبعين صلاة بغير سواك» أبو نعيم في كتاب السواك من حديث ابن عمر
باسناد ضعيف، ورواه أحمد والحاكم وصححه والبيهقي وضعفه من حديث عائشة
بلفظ من سبعين صلاة وقال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» متفق
عليه من حديث أبي هريرة، وفي رواية لا أمرتهم بالسواك مع كل وضوء، والله والشافعي
والبيهقي عن أبي هريرة، وفي رواية أحمد والنسائي عن أبي هريرة لا أمرتهم عند كل
صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك، وفي رواية الحاكم عن العباس لفرضت عليهم
السواك عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء، وفي رواية الحاكم والبيهقي عن
أبي هريرة لفرضت عليهم السواك مع الوضوء، وفي رواية أبي يعلى عن مكحول مرسل
لا أمرتهم بالسواك والطيب عند كل صلاة وفي رواية أبي نعيم عن ابن عمر لا أمرتهم
أن يستاكوا بالأسحار (وعند قراءة القرآن) فقد ورد «أن أفواهم طرق القرآن
فطيبوها بالسواك» أبو نعيم في الحلية من حديث علي ورواه ابن ماجه موقوفا على علي
وكلاهما ضعيف ورواه البزار مرفوعا واسناده جيد (وتغيير القمم بنحو الجوع والنوم)
ونحوهما من طول الصمت أو أكل ما يكره رائحته، فقد ورد «مالي أراكم تدخلون على
فلحاستاكوا» والقلح محر كاصفرة الاسنان البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد

وَيُحَافِظُ عَلَى الْجَمَاعَةِ فِي أَقْرَبِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْأَبْعَدِيَّةِ سَاعِيًا

المطلب أحمد والبقوى من حديث تمام بن العباس والبيهقي من حديث ابن عباس وهو مضطرب، وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا مسلم من حديث ابن عباس وهذا يدل على أن السواك مستقل غير متعلق بالوضوء والصلاة، وعن ابن عباس أنه قال: لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء. ورواه أحمد وقال عليه السلام: «عليكم بالسواك فإنه مطهرة للغم ومرضاة للرب» البخاري تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائي وابن خزيمة موصولا، وقال على السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم الخطيب في كتاب أسماء من روى عن مالك، وعند أبي داود والترمذي وصححه أن زبدين خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب، وفي شرح السنة أما كيفية الاستياك فينبغي أن يبدأ بالجانب الأيمن من الأعلى والأسفل ثم باليسر كذلك ثم فيما بين ذلك ويستاك بالوتر لأن الله وتر يحب الوتر، وفي الخلاصة كيفيته أن يعالج السواك بعرضه للاسنان الظاهرة وبطوله لغيرها وبعده للعليا من جانب الأيمن وللسفلى من جانبها ثم للعليا من جانب الأيسر ثم للسفلى من جانبها، وفي شرح السنة وأما المنهي فيه فينبغي أن لا يستاك قائما ولا بين القوم ولا في الحمام ويكره عند الشافعية بالشئ الصائم وتحقيقه في غير هذا المقام، وفي الخاتمة عن ابن المبارك لو أنكر أهل بلدة السواك لقاتلهم كما يقاتل المرتدين ﴿ويحافظ على الجماعة﴾ عطف على يداوم على الوضوء أي ويراعى صلاة الجماعة فورد: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة» متفق عليه من حديث ابن عمر ﴿في أقرب المساجد إلا أن يكون في الأبعدية﴾ أي صالحة للعدول عن الأقرب كحضور عالم أو شيخ واعظ وكونه أقدم المساجد أو عمر بالمال الحلال ونحوه من الأحوال في الكبرى مسجدان يصلي الرجل في أقدمهما بناء لأن له زيادة حرمة فإن كانا سواء في أقربهما وإن استويا فهو غير لأنه لا ترجيح لاحدهما وإن كان قوم أحدهما أكثر فإن كان هو فقيها يذهب إلى الذي قومه أقل ليكثر الناس بذهابه إلى ذلك المسجد وإن لم يكن يذهب حيث أحب رجل في محله مسجد فحضر المسجد الجامع لكثرة جماعته فالصلاة في مسجده أفضل قل أهل مسجده أو أكثر لأن مسجده حقا عليه وليس لذلك المسجد حق عليه فلم يقع الترجيح بكثرة الجمع، وفي الخاتمة إذا كان امام الحى مرايا يأكل الربا له أن يتحول إلى مسجد آخر ﴿ساعيا

إِلَيْهِ بَنِيَّةُ اجَابَةِ النَّدَاءِ خَاشِعًا غَيْرَ مُتَخَطِّ رَقَبَةً وَلَا مَارٍّ بَيْنَ يَدَيِ مُصَلٍّ وَلَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ بِكَلَامِ الدُّنْيَا وَيُؤَدِّي فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ بَازَاءَ الْإِمَامِ أَوْ عَنْ يَمِينِهِ وَيُتِمُّ الْأَرْكَانَ وَيُرَاعِي السُّنَنَ وَالْآدَابَ فُورِدَ

(إليه) أى حال كونه ماشيا إلى المسجد طلقا لقوله تعالى: (فاسعوا إلى ذكر الله) (بنية اجابة النداء) أى نداء الداعى إلى عبادة رب السماء قال تعالى: (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله) الآية فقد قال ابن عباس: من سمع النداء ثم لم يحجب لم يرد خير ولم يرد به، وقال أبو هريرة: لأن يملا أذن ابن آدم رصاصا مذا باخير له من أن يسمع النداء ثم لا يحجبه (خاشعا) خاضعا متواضعا متذللا في طريقه (غير متخط رقة) أى عند دخوله (ولا مار بين يدي مصلى) فقد ورد: «لو يعلم المار بين يدي المصلى ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه» مالك وأصحاب الكتب الستة عن أبي جهيم، وفي رواية ابن أبي شيبة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن مرسل «لو يعلم المار بين يدي المصلى لاحب أن ينكسر نخذه ولا يمر بين يديه، واختار أن المرور حرام إذا وقع بين المصلى ومسجده سواء كان له سترة أولا، ويحمل عليه ما روى الطحاوى من أن المرور بين يدي المصلى بحضرة الكعبة يجوز أو يحمل على أنه في وقت غير قيام الفرض واعتدال صفة بان يصل في طريق الطائفين فإنه لا حرمة له حيثنذ وأما إذا كان بينهما فرجة فلا بأس لما روى أبو داود والنسائي. وابن ماجه عن المطلب بن أبي وداعة قال: رأيت النبي ﷺ يصلى في المسجد الحرام مما يلي باب بنى سهم والناس يطوفون بينه وبين القبلة مما بين يديه ليس بينه وبينها سترة (ولا يتكلم فيه بكلام الدنيا) فروى في الاثر أو في الخبر والحديث في المسجد بأكل الحشرات كما تأكل البهيمة الحشيش، كذا في الاحياء وقال العراقي: لم أقف له على أصل قلت: ومعناه صحيح إذ قد ورد: «يأتى في آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكروهم الدنيا وخبر الدنيا لتجالسهم فليس لله بهم حاجة، ابن حبان من حديث ابن مسعود. والحاكم من حديث أنس وقال: صحيح الاسناد (ويؤدى في الصف الأول) فإنه الأفضل (بازاء الامام) أى بجذائه فهو الأفضل لا أخذه الحظ من الجانبين (أو عن يمينه) وقد يكون يساره أفضل إذا كان الناس هناك اقل (ويتم الاركان) أى حد الامكان (وبراعى السنن) أى الرواتب أو سنن الصلاة (والآداب) أى المستحبات في جميع الابواب (فورد

في الكل فضائل ولا يدافع الامامة وكان مدافعتهم لا يثار الأولى أو خوف السهو أو التشويش وهي أفضل من الاذان، فهو عليه السلام وخلفاؤه اختاروها، وما ورد كُنْ مُؤَذِّنًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَكُنْ إماماً مَحْمُولٌ عَلَى أَنْ الْقَوْمَ كَانُوا لَا يَرْضُونَ إمامته

في الكل (أي في كل ما ذكر) (فضائل) أي في الصف الأول لقوله عليه السلام: «لو تعلمون ما في الصف الأول ما كانت الاقربة» مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة، وأما في اتمام الاركان فقوله «أتموا الركوع والسجود فوالذي نفسي بيده اني لاراكم من وراء ظهري اذ اركعتم واذا سجدتم» أحمد والشيخان عن أنس، وأما في السنن فقوله: «من صلى في اليوم واليلة اثنتي عشرة ركعة تطوعا بنى الله بيتا في الجنة» مسلم وغيره عن أم حبيبة وتفصيله ما ورد في حديث آخر، ركعتان قبل الفجر وبعد الظهر والمغرب والعشاء وأربع قبل الظهر، (ولا يدافع الامامة) فانه من امارة القيامة فقد ورد: عن سلامة بنت الحرث قالت: قال رسول الله ﷺ: «ان من اشرط الساعة ان يتدافع أهل المسجد لا يجدون اماما يصلي بهم، أحمد وأبو داود وابن ماجه، وروى عبد الرزاق في مسنده حديثا بلفظ «تتأزع ثلاثة في الامامة فيخسف بهم» وعمله اذا علم من نفسه القيام بشروطها والقوم لا يكرهونه وليس وراءه أحدهم أفضل منه (وكان مدافعتهم) أي مانعة بعض الصحابة من ذوى التقوى (لا يثار الأولى) أي بذلك المقام الأعلى (أو خوف السهو) أي في المبني (أو التشويش) أي تشويش الخاطر في حضور المعنى واحتياجه الى اخلاصه في تطويل الصلاة وتحسينها لاسيما اذا لم يكن له عادة الامامة وكان مستحيا في تلك الاقامة (وهي) أي الامامة (أفضل من الاذان فهو عليه السلام وخلفاؤه) أي أصحابه الكرام (اختاروها) أي من بين الانام (وما ورد) أي كما رواه البخارى في التاريخ والعقيلي في الضعفاء والطبراني في الأوسط عن ابن عباس باسناد ضعيف انه عليه السلام قال لمرجل: «يا رسول الله دلتني على عمل أدخل به الجنة فقال (كن مؤذنا فان لم تستطع فكن إماما) وفي رواية فقال «لا أستطيع فقال كن إماما فقال لا أستطيع فقال صل بازاء الامام فاعلمه (محمول على أن القوم كانوا لا يرضون إمامته) اذا الاذان اليه والامامة الى الجماعة وتقديمهم لها ثم بعد ذلك

فوردفيه « أن لا تجاوز الصلاة الرأس » ويراعى الأعمال الباطنة وهى الحضور وهو استغراق القلب بما هو فيه والافراغ عن غيره وهو بصرف الهمة اليه فهى تستتب القلب وهو بذكر منافعها كقربه تعالى ورضاه والمكاشفة عاجلا والفوز بالسعادة الابدية والنظر الى وجهه الكريم آجلا وخساسة الدنيا ومهماتها، والفهم وهو اشتتاله على المعنى وهو بتوجيه الذهن الى الفكر ومداومة الفكر

توهم أنه ربما يقدر عليها (فورد فيه أن لا تجاوز الصلاة الرأس) أصل الحديث هذا من أم قوما وهم له كارهون فان صلاته لا تجاوز ترقوته أى حلقه ورأسه، رواه الطبرانى عن جنادة وفي رواية العقيلي عن ابن عمر من أم قوما وفيهم من هو اقرأ منه لكتاب الله وأعلم لم يزل فى سفال إلى يوم القيامة (ويراعى الاعمال الباطنة) فانها أهم وضعها أتم (وهى) ستة (الحضور) أى مع الرب (وهو استغراق القلب بما هو فيه) أى بالركن الذى شرع فيه (والافراغ) أى تفرغ القلب وتخليصه (عن غيره) أى غير ما هو بصدده بما يوافقه أو ينافيه (وهو) أى الافراغ انما يكون (بصرف الهمة) أى الاهتمام (اليه) أى إلى ذلك الركن الواجب عليه (فهى) أى الهمة (تستتب القلب) فى صرفه إلى ذكر الرب (وهو) أى صرف الهمة (بذكر منافعها) أى فوائد الصلاة ومراقبتها (كقربه تعالى ورضاه) أى بالمقام الاعلى (والمكاشفة) أى القرية بالمشاهدة التى هى المرتبة الاجلى (عاجلا) أى فى الدنيا (والفوز بالسعادة الابدية) أى والسيادة السرمدية (والنظر إلى وجهه الكريم) الذى هو أعلى مراتب النعيم (آجلا) أى فى العقبى (وخساسة الدنيا ومهماتها) أى وبذكر كثافتها وانقلاباتها فانها كثيرة العناء قليلة الغناء دنية الشراء سريعة الغناء عديمة البقاء (والفهم) أى الادراك لمعنى الكلام وهو أمر وراء حضور القلب فر بما يكون القاب حاضرا مع اللفظ والمبنى فاشتتال القلب على العلم ببعض اللفظ هو الذى أريد بالفهم، وهذا معنى قوله (وهو اشتتاله) أى القلب (على المعنى وهو) أى اشتتاله (بتوجيه الذهن إلى الذكر) من الثناء والحمد والقراءة والتسبيح والدعاء ونحوها (ومداومة الفكر) أى فى لفظ الذكر ومبناه

وَدَفَعَ الْخَوَاطِرَ، وَالتَّعْظِيمُ وَهُوَ بِذِكْرِ عَظَمَتِهِ تَعَالَى وَحَقَارَةِ النَّفْسِ، وَالِهِيَّةُ
وَهِيَ خَوْفٌ يَنْشَأُ مِنَ التَّعْظِيمِ وَهُوَ بِذِكْرِ نَفَازِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى وَقَهْرِهِ مَعَ عَدَمِ
الْمُبَالَاةِ، وَالرَّجَاءُ وَهُوَ بِذِكْرِ عُمُومِ رَحْمَتِهِ وَسَبْقِهَا غَضَبُهُ وَصِدْقِ مَوَاعِيدِهِ *

ليفهم معناه (ودفع الخواطر) أى الممانعة عن فهم مقتضاه، وهذا مقام يتفاوت
الأساس في أدناه وأقصاه فكم من معان لطيفة ومعارف شريفة يقيم المصلى في أثناء صلاته
وذكره ولم يكن خطر ذلك قبله بياله وفكره، ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية
عن الفحشاء وممانعة عن المنكر فإن تفهم تلك الآدور يمنع من الفحشاء لاجتماع فقد
ورد : « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداء » الطبراني
وابن أبي حاتم في تفسيره من حديث عمران بن الحصين . وابن جرير في تفسيره من
حديث ابن مسعود ومن مرسل الحسن . وأحمد في الزهد عن ابن مسعود مرفوعا
(والتعظيم) أى عرفان المرتبة وعنوان المنزلة المرتبة على المحبة (وهو بذكر
عظمته تعالى) مع رفعة الجلالة (وحقارة النفس) أى مع رداءتها وكألفاء الرذالة
والسفالة والجهالة وهو أمر وراء الحضور والفهم إذا الرجل يخاطب غيره بكلام هو
حاضر القلب في مبناء ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم أمر زائد عليهما
(والهيبة وهى خوف ينشأ عن التعظيم) كما روى أنه عليه السلام من رآه لجأه هابه
ومن خالطه أحبه (وهو) أى الخوف المسمى بالهيبة (بذكر نفاذ قدرته تعالى) وفق
مشيئته وحكمته (وقهره مع عدم المبالاة) بجميع من في يد قبضته كما ورد : خلقت
هؤلاء الجنة ولا أبالي وخلقت هؤلاء النار ولا أبالي » وتحقيقه أن من لا يخاف لا يسمى
هابيا والمخافة من المقرب وسوء خلق العبد وما يجرى مجراه من الأسباب الحسية لا يسمى
مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة ، فالهيبة خوف مصدره الإجلال
(والرجاء) أى الأمل (وهو) الوثوق (بذكر عموم رحمة) أى شمول رفقته ورأفته
(وسبقها غضبه) كما ورد : سبقت رحمتي غضبي ، وفي لفظ غلبت (وصدق مواعيده)
أى عدم تخلف أخباره لبعاده من وعده ووعيده لقوله سبحانه : (ان الله لا يخلف
الميعاد) ولا شك أنه أمر زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه إذ يخاف
سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله كما أنه يخاف
بتقصيره عقاب الله ، ومنه قوله تعالى : (يدعوننا رغبا ورهبا) * (وادعوه خوفا وطمعا)

وَالْحَيَاءُ وَهُوَ بِذِكْرِ الْعِجْزِ وَالتَّقْصِيرِ عَنْ شُكْرِهِ تَعَالَى فَإِنْ تَعَسَّرَتْ الْمُرَاعَاةُ
يَجْتَهِدُ فِي قَطْعِ الْعَلَّاقِ فَظَاهِرًا بِضَمِّ الْعَيْنِ وَالْإِدَاءِ فِي بَيْتٍ مُظْلَمٍ قَرِيبِ الْجِدَارِ
وَالْإِحْتِرَازِ عَنِ الْبَيْتِ الْمُنْقَشِّ وَالْفَرَاشِ الْمَصْبُوغِ وَكَوْنِهِ حَاقِنًا وَحَاقِبًا

﴿ والحياء ﴾ وهو انكسار النفس من الخجل وظهور التقصير ، وعند بعض الصوفية استتار من مشاهدة شدة التنوير ﴿ وهو بذكر العجز والتقصير عن شكره تعالى ﴾ فان العجز عن درك الادراك ادراك لما قاله الصديق ومنه قوله عليه السلام : « سبحانك لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب وبقصور التعظيم والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب صغير او كبير ﴿ فان تعسرت المراجعة ﴾ بأن لم تيسر مراعاة الاعمال الباطنة المذكورة وما يتعلق بها من ظهور الحقائق ﴿ يجتهد في قطع العلائق ﴾ أى العلاقات ودفع العوائق الشاغلات المتعلقة بالخلائق ليتخلص له حضور القلب مع الخالق ﴿ فظاهرا ﴾ بتسعة اشياء ﴿ بضم العين ﴾ أى فى النوافل دون الفرائض وانما كرهه فى الفرائض دون النوافل مع أن التعميم لدفع الشواغل لان مبنى النوافل على الرغبة والنشاط والرخصة ولذا جوز أداؤها قاعدا ورا كبا من غير عذر فيها ﴿ والاداء فى بيت مظلم قريب الجدار ﴾ ومنه الخلاوى الصوفية الابراحتى لا يتسع مسافة بصر النظر ﴿ والاحتراز عن البيت المنقش ﴾ أى بانواع الزينة والكتابة والآنية ﴿ والفراش المصبوغ ﴾ أى بالالوان والاشكال ، وكذا لا يترك بين يديه ما يشغل حسه لديه ، وكان ابن عمر لا يدع فى موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه ومسحه وقد قال عليه السلام لعثمان ابن أبى شبة : انى نسيت أن اقول لك : تخمر القدرين اللذين فى البيت فانه لا ينبغي أن يكون فى البيت شئ يشغل الناس عن صلاتهم كذا فى الاحياء وتعبه العراقى بان الحديث رواه أبو داود من حديث عثمان الحجبي وهو عثمان بن طلحة كفى مسند أحمد فقله لعثمان بن أبى شبة وهم ﴿ و كونه حاقنا ﴾ أى محبوس البول الحديث ابن ماجه من حديث أبى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يصلى الرجل وهو حاقن ، ولابى داود من حديث أبى هريرة ولا يخل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر ان يصلى وهو حاقن ، ولابى داود الترمذى وحسنه نحوه من حديث ثوبان ﴿ وحاقبا ﴾

وَحَازِقًا وَجَانِعًا وَغَضُوبًا وَنَحْوَهَا * وَبَاطِنًا يَذْكُرُ الْآخِرَةَ وَمَوْقِفَ الْمُنَاجَاةِ
وخطر المقام ودفع الخواطر وصرف النفس الى الفهم ويبلغ فيه فكانوا
يبالغون حتى لو كان يشغلهم ذكر مال يتصدقون به تكفيراً وان كان خطيراً

بالوحدة محبوس الغائط أو الريح لحديث مسلم عن عائشة «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو
يدافعه الا خبثان» وأما حديث النهي عن صلاة الحاقب، ففي الاحياء، وقال العراقي
لم أجده بهذا اللفظ (وحازقا) ضيق الخف وفي معناه السروال، وقد ورد النهي
عن صلاة الحازق وعزاه رزين الى الترمذى لكن قال العراقي: لم أجده عنده والذي
ذكره صاحب الغريب حديث لا أرى لحازق وهو صاحب الخف الضيق (وجائعا)
لحديث «اذا وضع العشاء والعشاء وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء» متفق عليه، وفي معناه
اذا كان عطشان وأنحس منهما ان يكون شعبان (وغضوبا) أى مبتلا بالغضب
بحديث «لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مغضب ولا يصلين احدكم وهو غضبان» كذا
في الاحياء وقال العراقي: لم أجده (ونحوها) أى من كل فعل خطر للصلى ان يفعله
بعد الصلاة فيفعله قبلها ان أمكن (وباطنا) بخمسة أشياء (بذكر الآخرة) وتصور
مواقفها وأحوالها وشدائد أحوالها وتفاوت ما لها في آمالها (وموقف المناجاة) أى
مع قاضى الحاجات فورد: «المصلى يناجى ربه» (وخطر المقام) أى بين يدي الملك
العلام المذكري يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين (ودفع الخواطر) أى الشاغلة
للسرائر والضمائر (وصرف النفس الى الفهم) أى ودفعها عن خطرات الوهم (ويبالغ
فيه) أى في دفع العوائق عن عمل الباطن ومراعاته (فكانوا) أى السلف (يبالغون) أى
في تحسين حالاته وتزيين مقاماته (حتى لو كان يشغلهم ذكر مال) عن فكر حال
(يتصدقون به تكفيراً وإن كان) أى المال (خطيراً) أى عظيماً كثيراً فروى
أن أباطلحة الانصارى صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه دبسى طار في الشجر يلتمس
مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يذكر كم صلى قد ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وما أصابه من الفتنة ثم قال: يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت رواه مالك
عن عبد الله بن أبى بكر وعن رجل آخر أنه صلى في حائط له والنخل مطوقة بشمرها
فنظر اليه فأعجبه فلم يذكر كم صلى قد ذكر ذلك لعثمان وقال: هو صدقة فأجعله في سبيل
الله فباعه عثمان بخمسين ألفاً وكانوا يفعلون ذلك قطعاً لمواد الفكر به وكفارة لما جرى

فَالْأَصْلُ عَمَلُ الْبَاطِنِ فَوَرَدَ (أَقِمِ الصَّلَاةَ لَذِكْرِي . وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى) أَيْ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا أَوْ مِنْ كَثْرَةِ الْهَمِّ ، لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى صَلَاةٍ لَا يَحْضُرُ الرَّجُلُ فِيهَا قَلْبَهُ مَعَ بَدَنِهِ إِنَّ الْعَبْدَ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ وَأَنْمَا يَكْتُبُ لَهُ مَا عَقَلَ مِنْهَا

من نقصان الصلاة بسببه فإذا أردت الخلاص من الآفات فاقطع شجرة الشهوات فانها إذا تفرعت باغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العاصف الى الاشجار فلا تطمعن أن تصفولك لذة المناجاة في الصلاة مع تلك الشهوات (فالأصل) أى في مراتب العبادة (عمل الباطن) لانه النافع في مقام الزيادة للسعادة (فورد أقم الصلاة لذكرى) أى لأجل ذكر كم اباى أو لأجل ذكرى اياكم ولذكر الله أكبر فاذكرونى أذكركم أو وقت ذكركم صلاتى وفكركم صلاتى ، وفى الاحياء ظاهر الأمر للوجوب والغفلة تضاد الذكركم فغفل فى جميع صلاته كيف يكون مقبلاً للصلاة لذكركه ، وقوله سبحانه : (ولا تكن من الغافلين) نهى وظاهره التحريم (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى أى من حب الدنيا) أو حيارى فى غير ذكر المولى (أو من كثرة الهموم) فى الأمر المقسوم ، وقد ورد من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والآخرة وقوله : (حتى تعلبوا ماتقولون) تعليل لنهى السكران وهو مظهر فى الغافل المستغرق اللهم بالوسواس وافكار الدنيا واشغال الناس (لا ينظر الله إلى صلاة) أى نظر قبول ورحمة أو نظره رعايته وعنايته (لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه) أى عند عبادة ربه لم أجده أصلاً بهذا اللفظ قاله العراقى (أن العبد ليصل الصلاة وأنما يكتب له ما عقل منها) وفى الاحياء ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها قال العراقى : لم أجده مرفوعاً وروى محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبى دهرش مرسلًا « لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه » ورواه أبو منصور الديلى فى مسند الفردوس من حديث أبى بن كعب ، ولابن المبارك فى الزهد مرفوعاً على عمار « لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه » والتحقيق فيه أن المصلى يناجى ربه متفق عليه والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة ففىكون فى قوله اهدنا الصراط المستقيم داعياً وسائلاً إذا كان قلبه ساهياً وغافلاً ووردكم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب وما أراد به الا الغافل كذا فى الاحياء ، وقال العراقى : رواه النسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة « رب قائم ليس له من قيامه الا السهر » ولاحمد « رب قائم حظه من صلاته

هَذَا وَأَمَّا يَكُونُ الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ عِبَادَةً لِلْمَعْنَى وَالتَّعْظِيمُ دُونَ اللَّفْظِ وَالْحَرَكَةُ
فَإِنْ قُلْتَ: فَعَلَى هَذَا تَبْطُلُ دُونَ الْحُضُورِ وَهُوَ خِلَافُ الْأَجْمَاعِ قُلْتَ: إِنَّهُ مَمْنُوعٌ
لِبَطْلَانِهَا عِنْدَ سُفْيَانَ فِي رِوَايَةٍ مِنْ لَمْ يَخْشَعِ قَلْبُهُ

السهر، واستاده حسن (هذا) أى خذ هذا أو الأمر هذا (وأما يكون القول)
كالقراءة ونحوها (والفعل) كالركوع والسجود (عبادة للمعنى) فى القول
(والتعظيم) فى الفعل (دون اللفظ) أى غير تلفظ الانسان باللسان (والحركة)
أى التحرك بالجوارح والاركان فقد قال بعض أهل الشأن فى معرض هذا البيان:
ان الكلام لفى القواد وأما • جعل اللسان على القواد دليلا

قيل لما سمع الجليل هذا أعاد صلاة ثلاثين سنة صلاها بلا حضور الجنان
وفى الاحياء لو حلف انسان وقال والله لا شكرن فلانا ولاثنين عليه ولا سأله حاجة ثم
جرت هذه الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه فى النوم لم يبر فى يمينه؛ وكذا
لو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه
لا يصير بارا فى يمينه إذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن حاضرا فى قلبه ولو كانت
تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر فى بياض النهار الا أنه غافل لكونه
مستغرق بهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر
بارا فى يمينه ولا شك فى أن المقصود من القراءة والاذكار الحمد والتسابيح والتضرع والدعاء
والمخاطب هو الله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو
غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة وما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى
شرعت لتسقى القلب وتجدد ذكر الرب ورسوخ عقد الايمان به اه فهذا ما يدل
من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب مع الرب (فان قلت فعلى هذا) الذى ذكرته
من جعل القول والفعل للمعنى والتعظيم (تبطل) الصلاة (دون الحضور) أى عند عدم
حضور القلب حيث جعلته شرطاً فى صحتها (وهو خلاف الاجماع) أى اتفاق الفقهاء
لماسياً فى من مخالفة بعض العلماء فالمراد اتفاق الجمهور فانهم لم يشترطوا حضور القلب
فى صحتها لإلحاد التكبير الأولى المقررة بالنية الاعلى (قلت انه) أى ادعاء الاجماع
(ممنوع) والاتفاق مدفوع (لبطلانها عند سفیان) أى الثورى (فى رواية) أى كما نقل
بشر بن الحارث فيما روى عنه أبو طالب المسكى عن الثورى انه قال (من لم يخشع قلبه)

فَسَدَتْ صَلَاتُهُ، وَعَنِ الْحَسَنِ إِنَّهَا بِلَا حُضُورِ الْقَلْبِ تُوَجَّبُ الْعُقُوبَةُ وَأَنَّ
كَلَامَنَا فِي الْمَنْفَعَةِ الْآخِرِيَّةِ، وَعَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ وَقُوعُ الْإِجْمَاعِ عَلَى
عَدَمِ النَّفْعِ وَأَنَّ اشْتِرَاطَ الشَّرْعِ إِيَّاهُ ظَاهِرٌ غَيْرُ أَنَّ مَقَامَ الْفُتْوَى فِي تَكْلِيفِ
الظَّاهِرِ عَلَى حَسَبِ قُصُورِ الْخَلْقِ فَلَوْ اشْتَرَطَ لِلْجَوَازِ لَوْ قَعُوا

في صلاته (فسدت صلاته) قلت، ويؤيده قوله تعالى : (قد أفلح المؤمنون الذين هم
في صلاتهم خاشعون) (وعن الحسن) أي البصري (أنها) أي الصلاة (بلا حضور
القلب توجب العقوبة) قلت وأي عقوبة أقوى من الغفلة وقديلة الحجاب أشد العذاب
قال تعالى : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وفي الاحياء روى عن الحسن إنه قال :
كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع ، وفيه ان الصلاة يشترط
فيها النية ولا تحصل النية الا بحضور الطوية وأما استبعاد الحضور فغير مفهوم
من كلامه ومن كلام غيره فيمكن الجمع بين قولهما المذكور وبين قول الجمهور ، وعن
معاذ بن جبل أنه قال : من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له
أي كاملة ، وروى أيضا مسندا كذا في الاحياء وسكت عنه العراقي وقال عليه السلام :
« وان العبد ليصل الصلاة لا يكتب له منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من
صلاته ما عقل منها » أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه
(وان كلامنا في المنفعة الآخروية) هذا جواب آخر ويانه ان الفقهاء لا يتصرفون
في الباطن ولا مطلع لهم على ما في القلوب ولا يتكلمون في طريق الآخرة بل يتبعون
ظاهر أحكام الدنيا على ظاهر أعمال الجوارح فظاهر الأعمال كاف بسقوط تعزير
السلطان فاما انه هل ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه (وعن عبد
الواحد بن زيد وقوع الاجماع على عدم النفع) أي النفع الكامل قال الحجة : فجعله
اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من
أن يحصى والحق الرجوع الى أدلة الشرع والآيات والأخبار والآثار ظاهرة في هذا
الشرط ، وهذا معنى قوله : (وان اشترط الشرع إياه) أي الحضور (ظاهر غير ان
مقام الفتوى في تكليف الظاهر على حسب قصور الخلق) بفتح الحاء والسين أي بتقيد
بقدره (فلو اشترط أي الحضور) (للجواز) أي لصحة الصلاة (لو قعوا) أي

فِي حَرْجٍ وَأَدَّى إِلَى تَرْكَهَا رَأْسًا وَهُوَ التَّحْقِيقُ ثُمَّ مِنْ أَمْعَنَ فِيهَا وَرَدَّ أَنَّ الصَّلَاةَ تَنْتَهِي
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَأَمَّا الصَّلَاةُ تَمْسُكُنْ وَتَوَاضِعُ وَتَضَرُّعٌ عِلْمُ أَنَّهَا هِيَ الْحَظُورُ

الجمهور (في حرج) أي عظيم يؤدي إلى المحذور لعجزهم عن كمال الحضور (وأدى)
أي ولا يفضي اشتراطه (إلى تركها رأساً) وهو المحذور (وهو التحقيق) أي في مقام
التدقيق فإنه لا يمكن أن يشترط على الناس كلهم احضار القلب في جميع الصلاة
فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة
فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو كان في لحظة واحدة وأولى اللحظات
به أول الصلاة فاقصر على التكليف لذلك، ومع ذلك ترجح أن لا يكون حال الغافل
في جميع صلاته مثل حال تارك الصلاة بالكلية فإنه بالجملة أقدم على الفعل ظاهره فاحضر
القلب لحظة وكيف لا والذي يصلي مع الحدث ناسياً فصلاته باطلة عند الله تعالى
ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره، وعلى هذا الرجاء قد يخشى
أن يكون حال الغافل أشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر للخدمة ويتهاون
بالخدمة ويتكلم بكلام الغافل المستحقراشد حالاً من الذي يعرض عن الخدمة
ويتهاون بالخدمة، فإذا تعارض أسباب الخوف والرجاء صار الأمر مخيراً في نفسه
فأليك الحيرة بعده في ترك الاحتياط أو التساهل ومع هذا فلا مطمع لأحد في مخالفة
الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فإن ذلك من ضرورة الفتوى الناشئة من عموم
البلوى، هذا وروى «من أحب غير الله فلا تصفوه صلاة عن الخواطر المذمومة» فإن
من أحب شيئاً أكثر من ذكره كما ورد في الخبر، فذكر المحبوب يهجم على القلب
بالضرورة فتدبر فخذ ما صغاردع ما كدر (ثم من أَمْعَنَ) أي أشبع النظر واسبع
الفكر (فيها) ورد أن الصلاة تنتهي عن الفحشاء والمنكر وأما الصلاة تمسك وتواضع
وتضرع (حيث جاء بصيغة الحصر رواه الترمذي والنسائي من حديث الفضل
ابن العباس بإسناد مضطرب (علم أنها) أي الصلاة (هو الحضور) أي بكامل
الشعور والافضلة الناقل لا تتمعه عن الفحشاء، وقد انقسم الناس إلى غافل يتم صلاته
ولم يحضر قلبه في لحظة منها وإلى من يتمها ولم يغيب قلبه في لحظة عنها بل ربما كان مستوعب
الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه، ومن هنا لم يحس مسلمة بن يسار بسقوط
أسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبمضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من

هَذَا الْأَوَّلِيَاءُ أَمَّا يَكْشِفُونَ فِيهَا لَاسِيًّا فِي السُّجُودِ عَلَى حَسَبِ الصَّفَاءِ

على يمينه وشماله وكان وجيب قلب ابراهيم عليه السلام يسمع من ميلين، وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم ﴿ هذا ﴾ اى معنى هذا أوخذ هذا ﴿ والأولياء انما يكشفون فيها ﴾ أى فى الصلاة مع حضورها ودوام نورها ﴿ لاسيما فى السجود ﴾ فانه أقرب مقام إلى واجب الوجود وصاحب الكرم والجود ﴿ على حسب الصفاء ﴾ أى على تفاوت درجات أرباب الوفاء ومن هنا قال بعض الصحابة: يحشر الناس يوم القيامة على مثل هياتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على مامات عليه ويموت على ما عاش عليه، وقد قيل لا تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون ، ثم اعلم ان كل ما يشغله عن صلاته فهو ضديته فليخلص منه باخراجه عن طينه ليقوم فى مرتبة يقينه كما روى عنه عليه السلام لما لبس الخيصة (١) التى أتاها بها أبو جهم وعليها علم وصلى فيها نزعها بعد صلاته وقال: اذهبوا بها إلى أبى جهم فاتها الهتنى عن صلاتى واتوفى بانجانية أبى جهم متفق عليه من حديث عائشة ، وأمر صلى الله عليه وسلم بتجديد شرك نعله ثم نظر اليه فى الصلاة إذ كان جديدا فأمر أن ينزع عنها ويرد الشرك الخلق فيها ابن المبارك فى الزهد من حديث أبى النصر مرسل باسناد صحيح ، وكان عليه السلام قد احتذى نعلا فأعجبه حسنهما فسد فقال : تواضعت لربى كيلا يمتقنى ثم خرج بها فدفعا إلى أول سائل لقيه ثم أمر عليا أن يشتري له نعلين سبتيين جرداوين فلبسهما أبو عبدالله بن خفيف فى شرف الفقراء من حديث عائشة باسناد ضعيف ، وكان فى يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال: شغلنى هذا نظرة اليه ونظرة اليكم كذا فى الاحياء، وقال العراقى أخرجه النسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح ، وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهابا ولا فضة انما هو مطلق .

والحاصل ان الاكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين ولا يحدثن أنفسهم فيها بشيء من أمور الدنيا فجزوا عن ذلك فاذا لامطمع لأمثالنا خلاف ما هنالك وليته سلم من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس والخواطر المنقلة بالرأس فيكون فيمن خلطوا أعمالا صالحا وآخر سيئا ، وعلى الجملة فهم الدنيا وهم الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح ملؤه فيه خل فيقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج الخل منه لاحالة فلا يجتمعان والله

(١) هى نوب غزاوصوف معلم، وقيل لاتسمى خيصة الا ان تكون سوداء مملوءة، و أبو جهم هذا كان من عظماء قريش ومن العاينين بالنسب ومن المعمرين

وَمِنْهَا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فَوَرَدَ «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلِمَهُ» وَحَقَّهَا ابْنُ أَبِي
يُنَاسَ وَحُشَّةُ الدُّنْيَا وَقَضَاءُ حَقِّ الشُّوقِ إِلَى الْمَوْلَى وَضَبْطُ أَحْكَامِ الْعِبَادَةِ، وَتَوَضُّأٌ
وَيَتَطَيَّبُ وَيَتَأَدَّبُ، وَيَجُوزُ الْاضْطِجَاعُ فَوَرَدَ (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا
وَعَلَى جُنُوبِهِمْ) وَالْأَفْضَلُ فِي اللَّيْلِ فَالْقَلْبُ فِيهِ أَفْرَغُ

المستعان ﴿ومنها﴾ أى من أنواع الورد ﴿قراءة القرآن فورد خيركم من تعلم القرآن وعلمه﴾ البخارى من حديث عثمان، ومن قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله، الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف ولعله مقتبس من قوله سبحانه: (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم) ومن هنا قال الفضيل: ينبغى لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلق فمن دونهم، ويؤيده حديث «من لم يتغن بالقرآن فليس منا» أى من لم يستغن به عن غيره، وورد «من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» الترمذى من حديث أبى سعيد وقال: حسن غريب «أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن» أبو نعيم من حديث النعمان بن بشير، أهل القرآن أهل الله وخاصته، النسائى وابن ماجه والحاكم من حديث أنس باسناد حسن ﴿وحقها﴾ أى القراءة ﴿أن ينوى إيتاس وحشة الدنيا﴾ أى يذكر العقبي والدرجات الحسنى ﴿وقضاء حق الشوق إلى المولى﴾ لأن المناجاة والمكالمة معه تعالى تنتهى به إلى الشوق وزيادة الذوق إلى قربهِ الأعلى ﴿وضبط أحكام العبودية﴾ بحفظ حقوق مقام الربوبية ﴿ويتوضأ﴾ أى يتطهر ﴿ويتطيب﴾ بأى طيب كان أو بتنظيف فى جميع الأركان ﴿ويتأدب﴾ بقدر الامكان ﴿ويجوز الاضطجاع فورد الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ قال على رضى الله عنه: من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه فى غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات، وعن على أقرأ القرآن على كل حال الا وأنت جنب أبو الحسن بن صخر فى فوائده ﴿والأفضل فى الليل﴾ لانه أقرب إلى النيل ﴿فالقلب فيه أفرغ﴾ قال تعالى: (إن ناشئة الليل هي أشد وطناً وأقوم قبلاً إنك فى النهار سبحا طويلاً) أى شغلا كثيراً

وفي المصحف أفضل فهو يضعف الأجر لأعمال الجوارح ويستظهره فور

فيه «تخفيف العذاب عن الوالدين وإن كانا مشركين» ولا ينسأه فور دانه بذنب

(وفي المصحف أفضل فهو يضعف الأجر لأعمال الجوارح) أي من اللسان والعين والاذن لزيادة حفظ النظر من الحواس وإفادة نقص الوسواس من اشتغال الناس ومع هذا لا بد من حضور القلب وشموره بكلام الرب، وقد قيل: الختم في المصحف بسبع وقد خرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته فيهما وكان كثير من الصحابة يقرءون القرآن من المصحف ويكرهون أن يخرجوا يوما ولم ينظروا في المصحف؛ ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي في السحر وبين يديه المصحف فقال: شغلكم الفقه عن القرآن اني لأصلي العتمة وأضع المصحف بين يدي فلا أطبقه حتى أصبح، وقد ورد اعطوا أعينكم حفظها من العبادة النظر في المصحف والتفكير فيه والاعتبار عند عجائبه الحكيم الترمذي . والبيهقي عن أبي سعيد (ويستظهره) أي وحققها أي ويحفظه غيبا ويضبطه قلبا كما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأكثر أصحابه رعاية لقوله تعالى: (أما نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقد قيل: كن حافظا نقيا لا مصحفيا نقيا: (فور) فيه) أي في الاستظهار (تخفيف العذاب عن الوالدين وإن كانا مشركين) لم أجده، وقد روى أبو داود عن سهل بن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم «من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاج يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فإظنكم بالذي عمل بما فيه» وفي رواية «ألبس والداه حلة لا تقوم بها الدنيا وما فيها» وورد: «اقرأ القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلبا وعي القرآن» تمام في رواية عن أبي امامة مرفوعا «لو كان القرآن في آهاب مامسته النار» أحمد والدارمي والطبراني (ولا ينسأه فور) انه بذنب) أي ذنب كبير فهو خبران وزيدت الباء فيه لان الكلام في قوة ألبس نسيان القرآن بذنب، ونظيره قوله تعالى: (أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والأرض ولم يمي مخلقهن بقادر) وقد يقال: انه أطلق المصدر وأراد به الفاعل على طريقة رجل عدل أي فور «انه مذنب» وفي نسخة يذنب أي يصير ذا ذنب عظيم وروى من أعظم الذنوب ان يتعلم الرجل آية من القرآن ثم ينسأها قيل: ونزل قوله تعالى في حقه: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) مع ان العبرة

وَلَا يَخْتَمُ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَوَرَدَ إِنَّهُ يَمْنَعُ التَّفَقُّهَ، وَجَاءَ فِي أَرْبَعِينَ
وَفِي أَسْبُوعٍ، وَالْأَحْزَابِ الْمَرْوِيَةِ سَبْعَةَ ثَلَاثِ سُوْرٍ خَمْسَ سَبْعَ سَبْعَ تِسْعَ سَبْعَ
إِحْدَى عَشْرَةَ

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ونسيانه عندنا محمول على انه لم يقدر ان يقرأ نظراً وعند
الشافعي ومن تبعه ان ينسى غالبه حفظاً وهو كبيرة اتفاقاً ﴿ ولا يختم في أقل
من ثلاثة أيام فورد أنه يمنع التفقه ﴾ ولفظ الحديث « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث
لم يفقهه » رواه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه الترمذي وذلك لأن
الزيادة عليه تمنع الترتيل وتدفع ادراك ما في الترتيل، وقد قالت عائشة لما سمعت رجلاً
يهتذ القرآن هذا: ان هذا ما قرأ ولا سكت ﴿ وجاء في أربعين ﴾ وهو يناسب الاربعينات
الصوفية الصفية وقد ورد « اقرء القرآن في أربعين » الترمذي عن ابن عمر، ومنهم من يختم
في الشهر مرة يقرأ كل يوم جزءاً من ثلاثين جزءاً وورد اقرء القرآن في كل شهر اقرء
في عشرين ليلة اقرء في عشر اقرء في سبع ولا تزد على ذلك رواه الشيخان وأبو داود
عن ابن عمر، وفي رواية الطبراني عنه « اقرءوا القرآن في خمس » وبعضهم قرأه في اليوم والليلة
مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى الثلاث ﴿ وفي اسبوع ﴾ وقد أمر النبي ﷺ
عبد الله بن عمرو ان يختم القرآن في كل سبع متفق عليه من حديثه وكان جماعة من
الصحابية يختمون القرآن في كل جمعة كعثمان . وزيد بن ثابت . وابن مسعود
وأبي بن كعب ففى الختم أربع درجات الختم في كل شهر والختم في كل يوم وليلة وقد كرهه
جماعة وكانه مبالغة في الاختصار كما أن الأول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان
معتدلتان اختارهما ابرار احدهما في الاسبوع مرة وهى الاولى والاخرى والثانية
في الاسبوع مرتين تقريباً من الثلاث وهو الرخصة في الكثرة ﴿ والاحزاب المروية
سبعة ﴾ أى الاوراد المروية الماثورة سبعة أقسام ﴿ ثلاث سور ﴾ وهى بعد الفاتحة البقرة
وآل عمران والنساء ﴿ ثم خمس ﴾ وهى المائة . والانعام . والاعراف . والانفال .
والتوبة ﴿ ثم سبع ﴾ وهى يونس . وهود . ويوسف . والرعد . وابراهيم . والحجر .
والنحل ﴿ ثم تسع ﴾ وهى سورة بنى اسرائيل . والكهف . ومريم . وطه . والانبياء .
والحج . والمؤمنون . والنور . والفرقان ﴿ ثم إحدى عشرة ﴾ وهى الشعراء .
والنمل . والقصص . والعنكبوت . والروم . ولقمان . والسجدة . والاحزاب .

ثُمَّ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ثُمَّ الْبَاقِي ، وَكَانَ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَبْتَدِئُ
 لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَيَتِمُّ الْمَائِدَةَ ثُمَّ هُودٌ ثُمَّ مَرْيَمُ ثُمَّ طُسٌ ثُمَّ صٌ ثُمَّ الرَّحْمَنُ ثُمَّ الْبَاقِي وَهَذَا
 لِلْعَامِلِ ظَاهِرًا وَأَمَّا صَاحِبُ الْبَاطِنِ فَعَلَى حَسَبِ حَالِهِ وَيُرْتَلُّ لِتَوْقِفِ التَّدْبِيرِ عَلَيْهِ

وسبأ . وفاطر . ويس (ثم ثلاث عشرة) وهى والصفات . وص . والزمزم .
 وحواميم السبع . والقتال . والفتح . والحجرات ، قفى كل مرتبة بزيادة سورتين
 (ثم الباقي) وهى ق الى الناس وينسب الى على كرم الله وجهه انه أشار الى هذا
 الترتيب بطريق الرمز والايماء . حيث قال : فى شوقه قالفا . فاتحة والميم مائدة والباء
 يونس والباء بنى اسرائيل والشين الشعراء والواو والصفات والقافق ، وقد قال
 العراقي : تحزيب القرآن على سبعة أحزاب رواه أبو داود . وابن ماجه من حديث
 أوس بن حذيفة قال أوس : فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن ؟
 قالوا : ثلاث وخمسة وسبع وتسع واحدة عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وفى
 رواية الطبراني فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزئ القرآن ؟ فقالوا كان يجزئه ثلاثا فذكره مرفوعا
 باسناد حسن (وكان عثمان رضى الله عنه يبتدئ ليلة الجمعة) فانها فى اليالى أفضل
 والقراءة بالليل امثل (ويتم المائدة) أى فى ليلته وبقية يوم جمعة (ثم هود) أى
 يبتدئه فى ليلة السبت أو نهاره (ثم مريم ثم طس ثم ص ثم الرحمن ثم الباقي) وهو
 يحتمل أن يكون باجتهاده حيث لم يبلغه ما سبق مرفوعا وهو رواية أخرى عنه عليه السلام
 وإن كان فى الظاهر موقوفا (وهذا) أى التحزيب بهذا الترتيب (للعامل ظاهرا)
 فى مقام التهذيب من الصوم والصلاة والتلاوة والاذكار (وأما صاحب الباطن)
 أى المراعى لأحوال القلب وحضوره مع الرب (فعلى حسب حاله) أى ما يقتضيه
 من الكثرة والقلة وقراءته كسائر أفعاله فانه إن كان من العابدين السالكين بطريق
 العمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين فى الأسبوع وإن كان من السالكين بأعمال
 القلب وضروب الفكر أو من المشغولين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر فى الأسبوع على مرة
 وإن كان فاقده الفكر فى معانى القرآن ومباني الفرقان فقد يكتفى فى الشهر بمرة لحاجته
 لكثرة التردد والتأمل فى الوعد والوعيد (ويرتل) أى يترسل ويتمهل (لتوقف
 التدبر عليه) وقد قال عز وجل : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا

وَكُونَهُ أَقْرَبَ إِلَى التَّعْظِيمِ وَالتَّأْثِيرِ وَهُوَ الْمُرَوِّى ، وَيَكْنَى فُورِدَ «اتْلُوا
الْقُرْآنَ وَابْكُوا فَإِنَّ لَمْ تَبْكُوا قَبَا كُورًا فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَتَحَازِنُوا» وَهُوَ بِالتَّأْمُلِ
فِي مَوَاعِيدِهِ وَمَوَاقِفِهِ وَالتَّقْصِيرِ فِيهَا

(الآل باب) (و كونه أقرب الى التعظيم والتأثير) أى تعظيم الرب وتأثير القلب قال
تعالى : (ورتل القرآن ترتيلا) وهو المستحب فى قراءة ، وقال عز وعلا : (الذين آتيناهم
الكتاب يتلونه حق تلاوته) (وهو المروى) فقد نعت أم سلمة قراءة رسول الله ﷺ
قراءة مفسرة حرة فاحرقة أبو داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح ، وقال ابن عباس :
لان أقرأ البقرة و آل عمران أرثلها وتدبرها أحب الى من أقرأ القرآن كله
هذرة ، وقال أيضا لان أقرأ اذا زلزلت والقارعة أتدبرها أحب الى من أقرأ البقرة
و آل عمران مهزما (ويكنى) فانه مستحب قال تعالى حكاية عن الانبياء والاصفياء
(اذا تبلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) وقال : (ان الذين أتوا العلم من قبله
اذا تبلى عليهم يخرون للاذقان الى قوله يكون ويزيدهم خشوعا) ومن هنا قال ابن عباس
اذا قرأتهم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم
فليك قلبه ، قلت : وكذا اذا قرأ سجدة مريم ولا بد من البكاء والتبلى أو الحزن على
قدهما (فوردا اتلوا القرآن و ابكوا فان لم تبكوا قبا كورا) ابن ماجه من حديث سعد
ابن أبى وقاص (فاذا قرأتموه فتحازنوا) صدر الحديث ، ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه
فتحازنوا . أبو يعلى . وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر . بسند ضعيف ويقويه حديث
ان الله يحب كل حزين . الطبرانى والقضاعى بسندهما الى أبى الدرداء مرفوعا ويؤيده
قوله سبحانه : (ان الله لا يحب الفرحين) ويعضده حديث «اقرأوا القرآن بالحزن فانه
نزل بالحزن» رواه أبو يعلى . وأبو نعيم فى الحلية . الطبرانى فى الأوسط عن بريدة وعن
الحسن «والله ما أصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الاكثر حزنه وقل فرحه وكثر
بكاؤه وقل ضحكته وكثر نصبه ومشغكه وقلت راحته وبطالته» وقال عليه السلام لابن
مسعود : اقرأ على قال فافتحت سورة النساء فلما بلغت (فكيف اذا جئنا من كل أمة
بشيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) رأيت عيناه تذرفان بالدمع فقال لى : حسبك
الآن (وهو) أى وجه احضار الحزن انما يحصل (بالتأمل فى مواعيده) من التهديد
والوعيد (ومواقفه) من العهد الا كيد (والتقصير فيها) أى فى لوازمها من الأوامر

وَالَا فَيْكِي عَلَى فَقْدَانِ بُكَائِهِ فَمَوْءَظُمُ الْمَصَائِبِ، وَيَتَعَوَّذُ فِي الْإِفْتِسَاحِ
فَقَدْ وَرَدَ (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) وَيَفْتَحُ عِنْدَ الْخَتْمِ رَغْمًا لِلشَّيْطَانِ
فَهُوَ مَأْثُورٌ وَيَسْأَلُ أَمْرًا مَرْجُوًّا مَرَّةً عَلَيْهِ وَيَتَعَوَّذُ عَنْ خَوْفٍ وَيُؤَافِقُ ذِكْرًا أَوْ دُعَاءً

وَالزَّوْجَرُ فَيَحْزَنُ لَهُ لِاحْتِمَالِ وَيَكِي (وَالَا) أَيْ قَانَ لَمْ يَحْضُرْهُ حَزْنٌ وَبَكَاءٌ كَمَا يَحْضُرُ
أَرْبَابَ الْقُلُوبِ الصَّافِيَةِ وَالصُّدُورِ الْوَاقِفَةِ (فَيْكِي عَلَى فَقْدَانِ بُكَائِهِ) أَيْ فَلَْيْكَ عَلَى
فَقْدِ حَزْنِهِ وَبُكَائِهِ (فَمَوْءَظُمُ الْمَصَائِبِ) فِي مَقَامِ بَلَاءِهِ (وَيَتَعَوَّذُ فِي الْإِفْتِسَاحِ)
أَيْ فِي ابْتِدَاءِ الْقِرَاءَةِ مُطْلَقًا، فَقَدْ وَرَدَ: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ) أَيْ أَرَدْتَ قِرَاءَتَهُ وَقِيلَ بَعْدَ
فِرَاقِهِ وَلَا مَنَعَ مِنَ الْجَمْعِ (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) أَيْ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَالْأَمْرُ لِلِاسْتِجَابِ
عِنْدَ الْجَهْوِ وَقِيلَ لِلِإِجَابِ (وَيَفْتَحُ) أَيْ يَبْتَدِئُ خَتْمَةً أُخْرَى (عِنْدَ الْخَتْمِ) أَيْ
الْخَتْمَةَ الْأُولَى رَغْمًا لِلشَّيْطَانِ (أَيْ وَرِضَاءَ الرَّحْمَنِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (فَإِذَا فَرَغْتَ) أَيْ
عَنِ عِبَادَةِ (فَانْصِبْ) أَيْ فَالْعَبْ فِي أُخْرَى وَالْآخِرَةُ خَيْرُكَ مِنَ الْأُولَى (فَهُوَ مَأْثُورٌ)
بَلْ مَرْوِيٌّ مَشْهُورٌ، فَمَنْ زَرَارَةُ بْنُ أَبِي أَوْفَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّهُ سَأَلَ أَيْ الْأَعْمَالَ أَفْضَلَ؟
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحَالُ الْمُرْتَحِلُ أَيْ عَمَلُهُ فَقِيلَ: مَا الْحَالُ الْمُرْتَحِلُ؟ فَقَالَ الْخَاتِمُ الْمَفْتَحُ،
وَفِي رِوَايَةٍ فَتَحَ الْقُرْآنَ وَخَتَمَهُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَمِنْ آخِرِهِ إِلَى
أَوَّلِهِ كَمَا حَلَّ ارْتِحَالَهُ، وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ بِسَنَدٍ مَرْفُوعًا وَلَفْظُهُ «عَلَيْكُمْ
بِالْحَالِ الْمُرْتَحِلِ» وَوَافَقَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي مَسْنَدِهِ فَيَذْبُقُ أَنَّهُ إِذَا قَرَأَ سُورَةَ النَّاسِ إِنْ يقرأ
سُورَةَ الْفَاتِحَةِ وَصَدْرَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ إِلَى الْمَفْلُحُونَ وَيَدْعُو بِمَا كَانَ يَقُولُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالْقُرْآنِ وَاجْعَلْهُ لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى وَرَحْمَةً اللَّهُمَّ
ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهِلْتُ وَارْزُقْنِي تِلَاوَتَهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاجْعَلْهُ
حِجَّةً لِي يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ» أَبُو مَنْصُورٍ الْمُظْفَرُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْإِرْبَاقِيُّ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ
وَأَبُو بَكْرُ بْنُ الضَّحَّاكِ فِي التَّشَابُهَاتِ كِلَاهُمَا مِنْ طَرِيقِ أَبِي ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ مِنْ رِوَايَةِ دَاوُدَ
ابْنِ قَيْسٍ مَعْضَلًا (وَيَسْأَلُ أَمْرًا مَرْجُوًّا مَرَّةً عَلَيْهِ وَيَتَعَوَّذُ عَنْ خَوْفٍ) أَيْ إِذَا وَصَلَ
إِلَيْهِ أَوْ قَرَى، لَدَيْهِ (وَيُؤَافِقُ ذِكْرًا) أَيْ يَذْكُرُ نَبْذَةً، وَكَذَا يُؤَافِقُ تَسْبِيحًا وَتَكْبِيرًا
كَمَا إِذَا قَرَأَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)
فِي ذِكْرِ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَوْ أَكْثَرَ وَيَسْبَحُ كَذَلِكَ (أَوْ دُعَاءً) أَيْ دُعَاءً كَمَا إِذَا قَرَأَ: (ادْعُونِي
أَسْتَجِبْ لَكُمْ هُوَ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) وَكَذَا اسْتَغْفَرَ فِي مَقَامٍ يَلِيقُ بِهِ كَقَوْلِهِ

فَالْكَلُّ مَأْثُورٌ، وَيُسِرُّ إِنْ خَافَ الرِّبَاءَ أَوْ تَشْوِيشَ مُصَلٍّ فُورَدَ «يُفْضَلُ عَمَلُ السِّرِّ عَلَى الْعَلَانِيَةِ سَبْعِينَ ضِعْفًا» وَالْأَفْجَهُهُ فَهُوَ يَبْنِي الْقَلْبَ وَيَجْمَعُ الْهَمَّةَ وَيَصْرِفُ السَّمْعَ إِلَيْهِ وَيَنْفِي النَّوْمَ وَالْكَسَلَ وَيَزِيدُ فِي النَّشَاطِ وَيُوقِظُ الرَّاقِدَ

تعالى : (استغفروا ربكم انه كان غفارا) (فالكل مأثور) بل مروى مذكور قال حذيفة : صليت مع رسول الله ﷺ فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية عذاب الاستعاذ ولا بآية رحمة الاسأل ولا بآية تسبيح الا سبح رواء مسلم باختلاف لفظ (ويسر) أى ويخفى القراءة (ان خاف الرباء) أى على نفسه (أو تشويش مصلى) فى محضره والا فيجوز الجهر به لتلذذ الاذن بسببه وحصول الاستماع لغيره (فورده) يفضل عمل السر على العلانية سبعين ضعفاً) البيهقى فى الشعب من حديث عائشة ، وفضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية ، وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمرس بالصدقة أبو داود . والنسائى . والترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر ، وخير الرزق ما يكتفى وخير الذكر الحنفى . أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص وفى الخبر لا يجهر بعضهم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء كذا فى الاحياء وقال العراقى : رواه أبو داود من حديث النياضى دون قوله بين المغرب والعشاء والبيهقى فى الشعب من حديث على قبل العشاء وبعدها وفيه الحارث الا عوروه وضعيف ، وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد النبى ﷺ عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال : لعلامه اذهب الى هذا المصلى قل له : يخفض من صوته فقال الغلام : ان المسجد ليس لنا والرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته فقال : يا أيها المصلى ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغيروا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة (والا) أى وان لم يكن خوف رياء ولا تشويش مصلى (فيجهر) أى جواز أو استحباباً (فهو يبنى القلب) أى يوقظ قلب القارىء (ويجمع الهمة) فى ذكر الرب البارى (ويصرف السمع اليه وينفى النوم والكسل) أى فيتلذذ باستماعه لديه (ويزيد فى النشاط) أى نشاط النفس اليه (ويوقظ الراقدة) أى

وَيُرَغَّبُ فِي الْعِبَادَةِ فَرَدَ « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ وَعِمَارَ الدَّارِ يَسْتَمْعُونَ قِرَاءَتَهُ
وَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ » وَالْمُتَعَدَّى أَفْضَلُ، وَتَضَاعَفَ النِّيَّةُ يَضَاعَفُ الْأَجْرُ وَالْأَحَبُّ
النَّظَرُ إِلَى صَلَاحِ الْقَلْبِ فَصَوَّبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَا بَكْرٍ فِي الْأَسْرَارِ وَعُمَرَ فِي
الْجَهْرِ بَعْدَ الْفَحْصِ عَنِ النِّيَّةِ

في أول الليل وآخره فيكون هو سبب حياته وباعث ذكره ودعائه (ويرغب في
العبادة) أى من سمعه من أهل الطاعة والسعادة (فورد ان الملائكة) صدر
الحديث اذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فان الملائكة أى الحفظة
(وعمار الدار) بضم العين وتشديد الميم جمع عامر - أى ساكنوها - أى من مسلى
الجن (يستمعون قراءته ويصلون بصلاته) رواه بنحوه بزيادة فيه أبو بكر البزار
وانصر المقدسي في المواعظ من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر ومنقطع،
(والمتعدى) أى العمل الذى يتعدى ثوابه إلى الغير (أفضل) من العمل اللازم
القاصر على صاحبه (وتضاعف النية يضاعف الاجر) فمهما حضره شئ من
النيات المتقدمة فالجهر أفضل وان اجتمعت النيات المتعددة بتضاعف الاجر والمثوبة
وبكثرة النيات في العبادات يزكو عمل الابرار ويزيد في الدرجات (والاحب)
في السر والجهر (النظر الى صلاح القلب) أى في حضوره مع الرب (فصوب
عليه السلام أبا بكر في الاسرار وعمر في الجهر بعد الفحص عن النية) روى أنه
عليه السلام مر على ثلاثة نفر من أصحابه مختلفي الأحوال فمر على أبي بكر وهو يخافت
فسأله عن ذلك فقال: ان الذى أناجيهِ هو يسمعى ومر على عمر وهو يجهر فسأله عن
ذلك فقال: أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آية من هذه السورة
وآية من هذه السورة فسأله فقال: اخطط الطيب بالطيب فقال كلكم قد أحسن أبو داود
من حديث أبي هريرة باسناد صحيح نحوه، وفي رواية أنه عليه السلام قال لأبي بكر:
لم خففت صوتك؟ فقال: أسمع من ناجيت وقال لعمر: لم رفعت صوتك؟ قال: أوقظ
الوسنان واطرد الشيطان فقال لأبي بكر: ارفع قليلا وقال لعمر: اخفض قليلا وهو
مناسب دليلا لقوله سبحانه: (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها واتبع من ذلك سبيلا)
ولعله عليه السلام دعاها لمقام جمع الجمع فاز الصديق كان في جمع الصرف

وَيَحْسِنُ الصَّوْتُ بِهِ فُورِدَ « مَا أَدْنَى اللَّهِ لَشَيْءٍ أَذْنُهُ لَشَيْءٍ حَسَنِ الصَّوْتِ
بِالْقُرْآنِ » مُكْتَفِيًا عَلَى التَّرْغِيبِ وَالتَّائِثِ

والفاروق في منع التفرقة، وقيل: ثلاثا يكون كل منهما عاملا الابتاعت في جميع حاله
(ويحسن الصوت) أي بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم (به) أي
بالقرآن (فوردا ما أذن الله لشيء) أي ما سمع وقبل وأقبل (أذنه) بفتحين منصوبا (لشيء)
أي من المسموعات أي مثل سماعه وقوله وأقبله (حسن الصوت بالقرآن) متفق عليه
من حديث أبي هريرة بلفظ « ما أذن الله لشيء ما أذن لشيء يتغنى بالقرآن » زاد مسلم لشي
حسن الصوت وفي رواية « كاذنه لشيء يتغنى بالقرآن » وقال عليه السلام: « زينوا القرآن
بأصواتكم » أبو داود والنسائي . وابن ماجه . والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب
وقال: « من لم يتغن بالقرآن فليس منا » أي من لم يتغنم وهو أقرب لغة من معنى الاستغناء،
وروى أن رسول الله ﷺ كان ليلة ينظر عائشة فابطأت عليه فقال: ما حبسك؟ قالت:
يا رسول الله كنت أسمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام عليه السلام حتى
استمع إليه طويلا ثم رجع فقال: هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمي مثله،
ابن ماجه من حديث عائشة، ورجال اسناده ثقات، واستمع عليه السلام أيضا ذات ليلة
الى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال: « من أراد أن يقرأ القرآن
غضا - أي طريا - كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد » أحمد والنسائي في الكبرى من حديث
عمر، وللترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود أن أبا بكر وعمر بشرا أن رسول الله ﷺ
قال: « من أحب أن يقرأ القرآن » الحديث قال الترمذي حسن صحيح، وقال عليه السلام لابن
مسعود: اقرأ علي فقال: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل فقال: « إن أحب أن اسمعه من
غيري فكان يقرأ » ورسول الله ﷺ عيناه تفيضان متفق عليه من حديث ابن مسعود،
واستمع رسول الله ﷺ الى قراءة أبي موسى فقال: لقد أوتي هذا مزمارا من
مزامير آل داود متفق عليه من حديث أبي موسى، وفي الخبر كان أصحاب رسول الله
ﷺ إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن، وقال عليه السلام من
استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نور يوم
القيامة، أحمد من حديث أبي هريرة (مكتفيا على الترغيب) أي على قدر الرغبة (والتأثير)
أي وتأثير التسمية: فوردا « اقرءوا القرآن ما اتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم

غَيْرُ مُغَيِّرٍ نَظْمُهُ وَلَا مُرَاعٍ قَوَاعِدَ الْمَوْسِيقَى فِي نَعَمَاتِهَا الْمَذْمُومَةِ الْمُنْسُوبَةِ
إِلَى الْمُبْتَدِعَةِ وَلَا مُشْتَغِلٍ عَنِ التَّدْبِيرِ، وَيَعْظُمُهُ فُورِدَ (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ
عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ
أَحَدًا أَوْقَى أَفْضَلَ مِمَّا أَوْقَى فَقَدْ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ، وَيَحْضُرُ الْقَلْبَ لَمَّا سَبَقَ أَنَّهُ
الْأَصْلُ وَبِهِ فُسِّرَ مَا وَرَدَ (يَا بَحِيَّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)

فَإِذَا اخْتَلَعْتُمْ فَلَسْتُمْ تَقْرَؤُنَّهُ» وَفِي بَعْضِهَا «فَإِذَا اخْتَلَعْتُمْ فَقَوْمُوا عَنْهُ» كَذَلِكَ فِي الْأَحْيَاءِ. وَقَالَ
الْعِرَاقِيُّ: مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ جَنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَلِّيِّ بِاللَّفْظِ الثَّانِي دُونَ قَوْلِهِ «وَلَا نَتَّ
جُلُودَكُمْ» قُلْتُ: وَلَعَلَّ الْحَدِيثَ مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (لَا تَنْزِلُ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا
مُتَشَابِهًا مِمَّنِّي تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)،
وَوَرَدَ أَنْ مَنْ أَحْسَنَ الصَّوْتُ بِالْقُرْآنِ الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى «
ابْنُ مَاجَهٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ بِسُدُضْعِيفٍ «وَلَا يَسْمَعُ الْقُرْآنَ مِنْ أَحَدٍ شَهِى مِنْهُ يَخْشَى اللَّهَ
تَعَالَى» الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (غَيْرُ مُغَيِّرٍ نَظْمُهُ) أَيْ مَبْنَاهُ بِتَغْيِيرِ مَخْرَجِ حُرُوفِهِ وَصِفَاتِهَا
وَتَبْدِيلِ حَرَكَاتِهَا وَسُكُونِهَا وَزِيَادَةِ فِي مَدَّائِهَا وَكَيْفِيَّاتِهَا (وَلَا مُرَاعٍ قَوَاعِدَ الْمَوْسِيقَى فِي
نَعَمَاتِهَا الْمَذْمُومَةِ) وَالشَّرِيعَةُ (الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الْمُبْتَدِعَةِ) بَلْ إِلَى الْكُفْرَةِ الْفَجْرَةِ كَمَا يَشِيرُ
إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَفَنُ هَذَا الْحَدِيثُ تَعْجِبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) أَيْ
مَغْنُونُونَ أَوْ هَامِدُونَ أَوْ خَامِدُونَ (وَلَا مُشْتَغِلٍ عَنِ التَّدْبِيرِ) فِي آيَةٍ وَآلَائِهِ وَقَصَصِ رُسُلِهِ
وَأَنْبِيَائِهِ وَأَنْوَاعِ بَلَائِهِ لَاهِلٍ وَلَا نَهْ ثُمَّ أَهْلَاكَ أَعْدَائِهِ وَانْجَاءَ أَحِبَّائِهِ وَالتَّأَمُّلِ فِي أَحْكَامِهِ
مِنْ أَوَامِرِهِ وَزَوَاجِرِهِ وَالتَّفَكُّرِ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِ وَمُنْتَهَى عَمْرِهِ وَمَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ وَأَحْوَالِهَا
وَدَرَجَاتِ الْجَنَّةِ وَحَسَنِ آمَالِهَا وَمَنَاهَا وَدَرَكَاتِ النَّارِ وَاخْتِلَافِ أَهْوَالِهَا (وَيَعْظُمُهُ)
أَيْ كَمَا كَانَ عِزْمَةُ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذَا نَشَرُ الْمُصْحَفَ غَشِيَ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: هُوَ كَلَامُ رَبِّي هُوَ
كَلَامُ رَبِّي. فُورِدَ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ (وَتَمَامُ الْآيَةِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ أَنْضَرُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ أَحَدًا
أَوْقَى أَفْضَلَ مِمَّا أَوْقَى فَقَدْ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ) أَيْ وَاسْتَصْغَرَ مَا صَغَرَهُ اللَّهُ، وَقَدْ سَبَقَ
الْكَلَامُ عَلَى مَبْنَاهُ وَمَعْنَاهُ (وَيَحْضُرُ الْقَلْبَ) فِي التَّلَاوَةِ (لِمَا سَبَقَ) فِي حَقِّ الصَّلَاةِ (أَنَّهُ
الْأَصْلُ) فِي مَعْرِفَةِ الرَّبِّ (وَبِهِ فُسِّرَ مَا وَرَدَ) فِي التَّنْزِيلِ (يَا بَحِيَّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)

وَيَتَدَبَّرُ فُورِدَ (لِيَدَّبَّرُوا آيَاتَهُ) وَكَانَ أَهْتَامُهُمْ بِالتَّفْقَهُ دُونَ اللَّفْلَقَةِ حَتَّى لَمْ يَسْتَظْهِرْهُ
الْأَبْضَعَةُ عَشْرَ بَلِ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ لَمْ يَحْفَظْ إِلَّا سُورَةَ أَوْ سُورَتَيْنِ

أى بقوة القلب واحضاره فى مكتب الرب ((ويتدبر فوردا)) فى التنزيل ((ليدبروا آياته)) تمامه (وليتذكر أولو الالباب) والتدبر سبب التذكر ((وكان اهتمامهم بالتفقه))
أى الدراية ((دون اللفقة)) أى كثرة القراءة والرواية قال على: لاخير فى عبادة لافقه فيها ولاقراءة لاتدبر فيها ، وكان بعضهم يقول: كل آية لأنفهمها ولا يكون قلبى فيها لأعد ثوابا لها ، وقد روى عن عامر بن قيس أنه قال الوسواس يعتزنى فى الصلاة فقيل له أفى أمر الدنيا؟ فقال لأن تختلف فى الأسئلة أحب الى من ذلك ولكن يشتغل قلبى بموقفى بين يدى ربى وإن أذهب وكيف أنصرف ؟ قال الحجة : فانظر كيف عد ذلك وسواسا وهو كذلك لانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا أن يشغله بهم دينى ولكنه يمنعه عن الافضل ، ولما ذكر ذلك للحسن فقال: ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا؟ هذا وقد كثر اعتناء الصحابة بالقرآن من حيث معناه دون حفظ مبناه ((حتى لم يستظهره)) أى لم يحفظ جميعه ((الابضعة عشر)) صحابيا من أكابر الصحابة وأجلائهم فى القراءة كالخلفاء الأربعة وإبنى بن كعب وإبنى مسعود . وزيد ابن ثابت . وسالم مولى أبى حذيفة ، وفى الأحياء مات رسول الله ﷺ عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف منهم فى اثنين ، قال العراقى : قوله مات عن عشرين ألفا لعله اراد بالمدينة والافقد رويانا عن أبى زرعة الرازى أنه قال: قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع انتهى ، وأما من حفظ القرآن فى عهده فى الصحيحين من حديث أنس قال : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الانصار أبى بن كعب . ومعاذ بن جبل . وزيد . وأبو زيد قلت : من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتى وزاد ابن أبى شيبة فى المصنف من رواية الشعبي مرسلا وأبى الدرداء . وسعيد بن عبيد ، وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو استقرهوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود . وسالم مولى أبى حذيفة . ومعاذ بن جبل . وأبى ابن كعب ((بل الكثير منهم لم يحفظ الا سورة)) كالبقرة ((أو سورتين)) كالزهاوين ، وكان الذى يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم ، وروى ابن الأبارى بسنده الى عمر قال : كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ فى صدر هذه الأمة

ويردده مرارا فقد قام عليه السلام ليلة بآية ويتفهم وهو يتفاوت بحسب صفاء
الباطن وظهور المكشفة فورد «أن للقرآن ظهرا وبطنا» * «لا يفقه العبد

من يحفظ من القرآن السورة أو نحوها الحديث وسنده ضعيف . والترمذى وحسنه من
حديث أبي هريرة قال : بعث رسول الله ﷺ بعثنا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل
منهم مأمعه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال : مأمعك يا فلان ؟ قال : معي
كذا وكذا وسورة البقرة فقال : أمعك سورة البقرة ؟ قال : نعم قال : اذهب فأنت أميرهم
الحديث (ويردده مرارا) أى من حق القرآن أن يكرر المقروء مرة بعد مرة (فقد
قام عليه السلام ليلة بآية) واحدة يرددها وهى (ان تعذبهم فانهم عبادك وان
تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) النسائي . وابن ماجه بسند صحيح عن أبي ذر ،
وقرأ عليه السلام آية بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة أبوذر الهروى فى
معجمه عن أبي هريرة بسند ضعيف ، وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية (أم حسب
الذين اجتروا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية ، وقام
سعيد بن جبيرة ليلة يردد هذه الآية (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) (ويتفهم)
بأن يتكلف ضبط مبانيه وفهم معانيه ويستوضح من كل آية ما يلىق بها اذ القرآن
يشتمل على ذكر ذات الله وصفاته وافعاله ومصنوعاته وذكر أحوال أنبيائه وأوليائه
وبيان حال أعدائه ، وذكر أوامره وزواجره وبيان درجات جنته ودرجات ناره
(وهو يتفاوت بحسب صفاء الباطن) وأنواره (وظهور المكشفة) للقلب
واسراره (فورد ان للقرآن ظهرا وبطنا) تمامه «وحدا ومطلعا» ابن جبان فى صحيحه
من حديث ابن مسعود ؛ وروى عن ابن مسعود مرفوعا أيضا «ان القرآن أنزل على
سبعة أحرف لكل آية منها ظهير وبطن ولكل حرف حد ومطلع» فالظاهر تلاوة المبنى
والباطن تفهم المعنى والحد لإحكام الأحكام والمطلع ما ينكشف من المرام بعد هذا
المقام ، وأخرج النسائي من رواية أبى جحيفة قال : سأنا عليا رضى الله عنه قلنا : هل
عندكم من رسول الله ﷺ شئ سوى القرآن ؟ فقال : لا والذى فلق الحبة وبرىء
النسمة الا أن يعطى الله عز وجل عبدا فهما فى كتابه الحديث وهو عند البخارى
بلفظ «هل عندكم شئ. ما ليس فى القرآن» وقال مرة : ما ليس عند الناس (لا يفقه العبد)

حَتَّى يَرَى الْقُرْآنَ وَجُوهًا كَثِيرَةً * « أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَاتَّقُوا غَرَائِبَهُ »

أى كل الفقه (حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة) قال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها ، وعن الإمام جعفر الصادق أن كتاب الله على أربعة أشياء العبارة والاشارة . واللطائف . والحقائق فالعبارة للعوام . والاشارة للخواص . واللطائف للاولياء . والحقائق للانبياء ، أقول : وفي الحقيقة لا يعرف حقائق كلامه ودقائق مرامه غيره سبحانه بتمامه لأن كلامه الازلى من نعته العلى وكلاهما لانه لا غاية لصفاته فان تحت كل حرف من حروفه بحرام من بحار الاسرار ونهرا من أنهار الأنوار ، وقد قال عز من قائل إيمان الى عجز معرفة من سواه : (ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) أى طرائق مبانيها ولطائف معانيها ومن هنا قال على : لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب ، وقد قيل : لا يكون المريد حتى يحذف القرآن كل ما يريد ويعرف منه نقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد ، وفى الخبر لولا أن الشياطين يحذقون على قلوب ابن آدم لنظروا الى الملكوت ، ومباني القرآن من جملة الملكوت رواه أحمد عن أبى هريرة (أقرأوا القرآن واتقوا غرائبه) ابن أبى شيبة فى مصنفه . وأبو يعلى الموصلى . والبيهقى فى شعبه من حديث أبى هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف ، وعن ابن مسعود من أراد علم الاولين والآخرين فليثور (١) القرآن ، هذا وقد شرط الله عز وجل الانابة فى الفهم والتذكر فى العلم فقال : (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) وقال : (وما يتذكر الا من ينيب) وقال (انما يتذكر اولوا الالباب) والذى أثر غرور الدنيا على سرور العقبي فليس من ذوى الالباب فلذا لا ينكشف له أسرار الكتاب وأنوار الخطاب ، وقد ورد اذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزعت منها هبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرموا بركة الوحي ، قال الفضيل : يعنى حرموا فهم القرآن كذا فى الاحياء وقال العراقي : رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الامر بالمعروف معضلا من حديث الفضيل ابن عياض ، قال : ذكر عن نبي الله ﷺ وقد قال تعالى : (وأوحى الى هذا القرآن لا نذر كم به ومن بلغ) قال محمد بن كعب القرظى : من بلغه القرآن فكأنما كلمه الرحمن وقال بعض أهل الفضائل : هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بهود ولنتدبرها فى الصلوات فنقف عليها فى الخلوات وتعبدها فى الطاعات بالسنة المتبعات ، وكان

«أما ما ورد من فسر القرآن برأيه فليتبوا مقعده من النار»

مالك بن دينار يقول: ما ذرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن أن القرآن ربيع المؤمن فإنا الغيث ربيع الأرض، وقال قتادة: لم يجالس هذا القرآن أحد الا قام بزيادة أو نقصان قال تعالى: (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) ولذا قيل: من لم يكن متصفا باخلاق القرآن فاذا قرأ القرآن ناداه الله عز وجل مالك ولكلامى وأنت معرض عني؟ دع عنك كلامي اذلم تنبأ الي، وبما يدل على أن مدار القرآن على فهمه والعمل بامرئه ونهيه مارواه أبو داود. والنسائي في الكبرى. وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبدالله بن عمرو قال: «دأت رجل رسول الله ﷺ فقال: اقرئني يا رسول الله فاقراء ما اذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبدا ثم ادبر الرجل فقال عليه السلام: اطلع الرويحل اطلع الرويحل» ولاحدوا النسائي في الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق انه صاحب القضية وقال: حسي لأبالي ان لا أسمع غير هذه، وعن جعفر الصادق والله لقد يحكي الله سبحانه خلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون، وقال أيضا وقد سأله عن حاله الخفية في الصلاة حتى خرم غشيا عليه فلما سرى عنه قيل له في ذلك فقال: ما زلت أردد الآية في قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدره، وكان رضى الله عنه تصور أن الله سبحانه جعل لسانه بمنزلة شجرة موسى عليه السلام وأنه نودى في شأنه ما صدر من الكلام في ذلك المقام وفق المرام، ومن هنا قال بعض الحكماء: كنت أقرأ القرآن فلم أجده حلاوة حتى تلوته كما في اسمعه من رسول الله ﷺ يتلوه على أصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كما في اسمعه من جبريل يلقيه على رسول الله ﷺ ثم جاء الله بمنزلة أخرى فانا الآن اسمعه المتكلم به سبحانه فعندها وجدت له لذة ونعما لا اصبر عنه، فقال عثمان. وحذيفة: لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن، وعن ثابت البناني كما بدأت القرآن عشرين سنة تنعمت به عشرين سنة، وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد متلا لقوله سبحانه: (فقرؤا الى الله) قيل ليوסף بن اسباط: اذا قرأت القرآن بما تدعو؟ قال: بماذا ادعو استغفر الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة فنستغفر الله بما سواه ولا نعبد الاياه ولا نقصد في الدارين ما عداه (امام ورد من فسر القرآن برأيه فليتبوا مقعده من النار) أى فليهبى مكانه من

فمحمول على القطع على مراده تعالى والاحتجاج لاثبات الهوى دون الاستنباط
 لفقد السماع إلا في بعض آيات واختلافهم على أقوال يمتنع التوفيق بينها،
 وورد (لعله الذين يستنبطونه منهم) اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل

نارجهم رواه الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه ، وهو عند أبى داود في رواية
 ابن العبد، وعند النسائى في الكبرى (فمحمول) أى وعبده (على القطع على مراده
 تعالى) أى اذالم يعلم انه مراده كافي الآيات المتشابهات والالفاظ المشتركة في اللغات
 والافن المعلوم ان قوله تعالى : (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أراد الله بهما العبادتين
 احدهما بدنية والاخرى مالية خلافا لبعض الملاحدة من الصوفية حيث قالوا : المراد
 بالصلاة وصل الصلات وبالزكاة طهارة القلب عن الكائنات (والاحتجاج لاثبات
 الهوى) بان يكون له في الشيء رأى واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على مقتضاه
 ليحتج على تصحيح غرضه ومدعاه ولولم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له
 من القرآن ذلك المعنى (دون الاستنباط) أى لا يحمل على استنباط المعانى من مدارك
 المباني في الآيات المحتملات (لفقد السماع) أى لعدم سماع جميع المعانى من رسول الله
 ﷺ في تفسير السبع المثاني (الافى بعض آيات) تعدد ادوات في واقعات (واختلافهم)
 أى ولاختلاف الصحابة والمفسرين (على أقوال) أى مختلفة (يمتنع التوفيق بينها)
 أى لا يمكن الجمع بينهما لتناقض مبانيها وتعارض معانيها فنعلم على القطع ان كل
 مفسر قال في المعنى ما ظهر له باستنباطه في المبني حتى قالوا في الحروف التى هي أوائل السور
 سبعة أقاويل مختلفة بل سبعين قولاً غير مؤتلفة (وورد لعلمه الذين يستنبطونه منهم)
 الآية ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فثبت لاهل العلم استنباطها ، ومعلوم
 انه وراء السماع فجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله بشروط
 تذكر في محله الالتيق به ، ومن ذلك استخراج أبى بكر رضى الله عنه موت النبي ﷺ
 من قوله سبحانه : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى) فان الكمال يشير
 الى الزوال كوصول الشمس الى وسط السماء فهو استخراج للمعنى لا يفهم من ظاهر
 المبني (اللهم فقهه في الدين) أى ابن عباس (وعلمه التأويل) البخارى من حديث ابن
 عباس فلو كان التأويل مسموعاً كالتنزيل فامعنى تخصيصه بذلك ثم اذا كان الاستنباط
 ممنوعاً فينبغى ان لا يقبل ما يقوله ابن عباس : وابن مسعود . وغيرهما من قبل انفسهم على

ويتخلَّى عن الموانع كتحقيق المخارج وأداء اللفظ وقواعد الموسيقى والاضرار على الذنب والاتصاف بالذميمة فوراً (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) ويقدر في كل خطاب فوراً (وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به) «اقرأ القرآن مانهاك»

قدر فهمهم ، ويقال : هو تفسير بالرأى لانهم لم يسمعه رسول الله ﷺ وليس كذلك فافهم فان أكثر القرمان ماتين الا بقوله عليه السلام ثم ماتين باقوال أصحابه الكرام واتباعه العظام من العلماء الاعلام (ويتخلَّى عن الموانع) أى ويحتجب عن موانع الفهم (كتحقيق المخارج) أى مخارج الحروف وتديق صفاتها (وأداء اللفظ) من تريق وتغليظ وروم واشمام ومدو قصر وفق مراعاتها بالمبالغة فى تحسين حالاتها والافهام من الواجبات المتعلقة بالقراءة (وقواعد الموسيقى) أى ويتخلَّى عنها بان لا يلحن فى القراءة لحناً جلياً كما لا ينبغي ان لا يلحن فيها لحناً خفياً فى المقدمة الجزرية : والاخذ بالتجويد حتم لازم • من لم يحجود القرمان انتم فانه به الاله أنزلا • وهكذا منه الينا وصلا

(والاصرار على الذنب) أى ويتخلَّى عن الاصرار على الكبائر والصغائر فانه لاصغيرة مع الاصرار كما لا كبيرة مع الاستغفار، وقد قال تعالى : (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) (والاتصاف بالذميمة) أى من الاخلاق الردية والأحوال الدنية (فوراً) أى فى نعت القرآن (تبصرة وذكرى) أى تذكرة (لكل عبد منيب) والاناة هى الرجوع من الغفلة الى اليقظة كما ان التوبة الرجوع من المعصية الى الطاعة فهى الواوبة أخص من التوبة ولذا جاء فى وصف الانبياء والأولياء (انه أواب فاستغفر ربه وخررا كما وأناب) (ويقدر) أى يفرض القارىء ويقرر انه المراد (فى كل خطاب) من الأمر والنهى وغيرهما كالوعيد . والوعيد فى كلام البارى (فوراً) فى التنزيل (وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به) وقد سبق الكلام عليه وما يناسبه المرام لديه (اقرأ القرآن مانهاك) أى ما دام بهاك عن الكسل والغفلة ونحوهما من المذمة وتام الحديث «واذا لم ينهك فلست تقرأه» الطبرانى من حديث

وقصة فهي للتنبية فوردا (وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهِ فَؤَادَكَ) ويتأثر باختلاف حال القلب بحسب المعنى فيفرح فيشتاق ويخاف عند آية رحمة وجنة وعذاب ونحوها ويترقى فيه فالأدنى تقديرا أنه يقرأ بين يديه تعالى، ثم انه تعالى يخاطبه ثم رؤية المتكلم وصفاته وأفعاله والأولان لأصحاب اليمين وغيرهما للغافلين، ويرى دخوله فيما ورد في العاصين

عبدالله بن عمرو بسند ضعيف (وقصة) أى ويقدرانه المراد فى كل قصة مشتملة على منحة ونعمة أو محنة وغصة (فهي للتنبية فوردا) فى التزليل (وكلا) أى وكل ما يحتاج اليه ويصفه بقوله (نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) بدل كل من كل وإذا كان قلبه الأعلى يحتاج الى التثبيت فغيره أولى ، وورد اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك (ويتأثر) أى القارى . (باختلاف حال القلب) أى قلبه (بحسب المعنى) أى بتفاوت معنى كلامه به (فيفرح فيشتاق ويخاف) كلها ألف ونشرها المرب (عند آية رحمة وجنة وعذاب ونحوها) من التوبيخ والتهديد والوعد والوعيد والانذار والابشار (ويترقى فيه) أى فى مراتب التأثير من المقام الأدنى الى المقام الأعلى (فالأدنى) أى فى مقام الترقى (تقدير انه يقرأ بين يديه تعالى) أى كما يقرأ بين يديه معمله قال تعالى : (الرحمن علم القرآن) فيعتقد انه سبحانه ناظر اليه وسامع لما يبدو لديه ويجزى عليه فيفيد هذا الحال التلق والسؤال والتضرع والابتهال (ثم انه تعالى) أى يقدر انه سبحانه (يخاطبه) أى من وراء حجاب فيورثه الهيبة والعظمة وحقارة نفسه ان يكون متكلمًا بكتابه أو مستمعا لخطابه أو واقفا بخناياه ومتعلقا بآياته فيفيد التأدب بآدابه (ثم رؤية المتكلم) بانقرأ اسم الذات كاسم الله والحق (وصفاته) كاسم المحي والعليم والسميع والبصير والقدير (وأفعاله) أى كاسماء أفعاله عما أثره محسوس فى مخلوقاته كالمحي والخالق والرازق والمصور والوهاب (والأولان) أى من الأحوال (لأصحاب اليمين) أى المطيعين من المسلمين (وغيرهما) أى من المراتب المذكورة من أنواع حالات الترقى (للغافلين) وقد تقدم تحقيق حصول الأحوال الكاملة للعلماء الكاملين (ويرى) أى وينبغى ان يرى السالك ولو كان فى أعلى المسالك (دخوله فيما ورد فى العاصين

وَالْمُقْصِرِينَ دُونَ الْمُقَرَّبِينَ وَذَوِي الْيَقِينِ، وَمِنْهَا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ فَيُحِبُّهُ وَعُدُّ صَحْبَتِهِ
وَشَفَاعَتِهِ، وَوَرْدَانِهَا صَدَقَةٌ وَحَقُّهَا أَنْ تُقَرَّنَ بِالسَّلَامِ فُورْدٍ (صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّوا
تَسْلِيمًا) وَالصَّلَاةُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ وَالصَّحَابَةِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ

وَالْمُقْصِرِينَ دُونَ الْمُقَرَّبِينَ وَذَوِي الْيَقِينِ) أَيِ الْمُعْتَبِرِينَ فِي أَمْرِ الدِّينِ (وَمِنْهَا) أَيِ مَنْ
أَنْوَعَ الْوَرْدَ (الصَّلَاةُ عَلَيْهِ) أَيِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ (فَيُحِبُّهُ وَعُدُّ صَحْبَتِهِ) أَيِ رَقَّتْهُ فِي مَنْزِلَتِهِ
(وَشَفَاعَتِهِ) لِأَهْلِ حُبِّهِ أَمَّا دَلِيلُ الْأَوَّلِ فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَوَّلَى النَّاسِ بِي أَيُّ بَقَرٍ فِي
الْعَقْبِ أَكْثَرُ» عَلَى صَلَاةٍ أَيِ فِي الدُّنْيَا التَّرْمِذِيُّ. وَابْنُ حِبَّانٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَيُؤَيِّدُهُ
رَوَايَةُ الْبَيْهَقِيِّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ بْنِ كَانٍ أَكْثَرُ عَلَى صَلَاةٍ كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنْ مَنْزِلَتِهِ
وَأَمَّا الثَّانِي، فُورْدٌ إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ يَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ثُمَّ صَلُّوا
اللَّهُ لِي الْوَسِيلَةَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ، وَوَرْدٌ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ
مَنْ أَمَنَ) التَّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَصَحَّحَهُ (وَوَرْدٌ أَنْهَا صَدَقَةٌ) رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى مِنْ
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظٍ «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ فَانْهَازَ كَأَفْئِدَتِكُمْ، أَيِ بِمَنْزِلَةِ زَكَاةٍ وَصَدَقَةٍ
لِفَقْرَانِكُمْ وَأَغْنِيَانِكُمْ وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ نَزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي
فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ» الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ. وَأَبُو الشَّيْخِ فِي الثَّوَابِ. وَالمُسْتَغْفَرُ فِي الدَّعَوَاتِ
مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، وَفِي رَوَايَةِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا «صَلُّوا عَلَيَّ
فَإِنَّ الصَّلَاةَ عَلَيَّ كِفَارَةٌ لَكُمْ فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» وَفِي رَوَايَتِهِ أَيْضًا عَنْ أَبِي
كَاهِلٍ «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَكُلَّ لَيْلَةٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَبَّ لِي وَشَوْقًا إِلَيَّ
كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ذُنُوبَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَذَلِكَ الْيَوْمِ» (وَحَقُّهَا أَنْ تُقَرَّنَ)
أَيِ الصَّلَاةِ (بِالسَّلَامِ فُورْدٍ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّوا تَسْلِيمًا) وَظَاهِرُهُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا فِي كُلِّ
مَوْضِعٍ لَكِنْ لَا يَجِبُ كَمَا تَوَهَّمُ النَّوَوِيُّ إِذَا لَوَا لِمَطْلُوقِ الْجَمْعِ فَإِذَا صَلَّى فِي وَقْتٍ وَسَلَّمَ فِي
آخَرِهِ فَمَنْ خَرَجَ عَنْ عَهْدَةِ الْأَمْرِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) وَقَدْ
جَعَلَتْ فِي الْمَسْأَلَةِ رِسَالَةً مُسْتَقِلَّةً (وَالصَّلَاةُ) بِالْحَقْفِ أَيِ وَيُقَرَّنُ بِالصَّلَاةِ (عَلَى سَائِرِ
الْأَنْبِيَاءِ) أَوْ بِالرَّفْعِ أَيِ مِنْ حَقِّ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ الصَّلَاةُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَكَذَا الْمَلَائِكَةُ
الْمُقَرَّبِينَ أَصَالَةً (وَأَهْلُ الْبَيْتِ وَالصَّحَابَةُ) أَيِ تَبَعًا (فَهُوَ الْمَأْثُورُ) وَعَلَيْهِ الْجَمْعُ، وَرُ
وَقِيلَ: يَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ لِنُبْنَاءِ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى السَّلَامِ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ

وَلَا يَذْكُرُ عِنْدَ الْعُطْسَةِ وَالذَّبْحِ وَالتَّعَجُّبِ «وَمِنْهَا الْأَذْكَارُ الْمُرَوِّةُ الْوَارِدُ فِيهَا الْفَضَائِلُ»

(ولا يذ كر عند العطسة) فيه خلاف (والذبح) وهو مكروه قال صاحب المحيط: لأن فيه إيهام الإهلال له (والتعجب) أى رؤية ما يستغرب فانه ممنوع وفي فتاوى قاضى خان رجل يقرأ القرآن وسمع اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر الناطق انه لا يجب عليه الصلاة لأن قراءة القرآن على النظم والتأليف افضل من الصلاة ولو فيها من التشريف فاذا فرغ من القراءة إن صلى عليه كان حسنا وإن لم يصل لم يأثم والله سبحانه اعلم، والظاهر أنه يستثنى ما إذا قرأ أو سمع آية (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فانه يجب عليه الصلاة والسلام حيثذ ولو في الصلاة كما صرحوا بذلك في حال الخطبة؛ وقد ورد من ذكرت عنده فليصل على، النسائي. والطبراني في الأوسط وأبو يعلى. وابن السني ورواه أحمد. وابن حبان. والحاكم وصححه ومن ذكرني فليصل على، أبو يعلى عن أنس والظاهر ان الأمر للرجوب لكن قال الطحاوى انه يتداخل في المجلس كسجدة التلاوة، وما يدل على الإيجاب حديث «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على» أى ذل في الباب ولصق بالتراب وابتلى بالحجاب رواه الترمذى. وابن حبان بنو البزار. والطبراني من حديث أبى هريرة وحسنه الترمذى «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على، الترمذى. والنسائي عن على. وابن حبان. والحاكم عن حسين بن على رضى الله عنهما، والاختار في هذا كثيرة والآثار شيرة وقد ذكرت نبذة يسيرة في شرح الصلاة المحمدية والصلاة الاحمدية (ومنها) أى من جملة الأوراد بل أجل ورد للعباد والعباد في جميع البلاد (الاذكار) ككلمة التوحيد والتمجيد وأسماء الله والتسبيح والتحميد (المروية) في الاخبار المرضية (الوارد فيها الفضائل) أى الكثيرة الشيرة في الكتاب والسنة المصطفوية، أما الكتاب فقوله تعالى: (فاذكروني أذكركم) قال ثابت البناني: إنى أعلم متى يذكركنى ربى سبحانه وتعالى فزعوا منه وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ قال إذا ذكرته ذكرنى وقوله: (اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) وقوله بحكاية: (كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) وقوله: (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) وقوله (فاذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) قال ابن عباس: أى بالليل. والنهار. والبر. والبحر. والسفر. والحضر: والنفى. والفقر. والمرض. والصحة: والسر والعلاية، وقوله في ذم المباقيين (ولا يذكرون

وَمِنْهَا الدُّعَاءُ فُورِدَ «الدُّعَاءُ مَخِ الْعِبَادَةِ»

الله (إلا قليلا) وقوله: (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقوله: (ولذكر الله أكبر) قال ابن عباس: له وجهان أحدهما أن ذكر الله لكم أكبر من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أكبر من كل عبادة سواه (وأما السنة) فقوله عليه السلام: «ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر الغازي رواه البزار والطبراني في الأوسط عن ابن مسعود، وقوله تعالى: «وانامع عبدى ما ذكرنى وتحركت في شفتاه» ابن ماجه . وابن حبان من حديث أبي هريرة والحاكم من حديث أبي الدرداء وقال: صحيح الإسناد، وقوله «من أحب أن يرتفع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى» ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني من حديث معاذ وقوله لما سئل أى الأعمال أفضل قال: «أن تموت ولسانك رطب بذكر الله» ابن حبان والطبراني في الدعاء والبيهقى في الشعب من حديث معاذ، وقوله عز وجل إذا ذكرنى عبدى في نفسه ذكرته في نفسى وإذا ذكرنى في ملاء ذكرته في ملاء خير منه وإذا تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا وإذا تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا وإذا مشى إلى هروا إلى» يعنى بالهرولة سرعة الاجابة لديه ، والحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقوله عز وعلا «من شغلته ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل مما أعطى السائلين» البخارى في التاريخ والبزار في المسند والبيهقى في شعب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب وقوله عليه السلام: «لو أوزر رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله كان الذى ذكر الله أفضل» الطبراني في الكبير عن أبي موسى، وقوله «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت»، رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعرى وقوله «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال: حلق الذكر»، رواه أحمد والترمذى والبيهقى عن أنس وأخرج الترمذى من حديث أبي هريرة مرفوعا «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت وما رياض الجنة؟ قال: المساجد قلت: وما الرتع؟ يا رسول الله؟ قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»، وقوله ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها رواه الطبراني وابن السني عن معاذ وقوله «كثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون» أحمد وابن حبان وأبو يعلى وابن السني: والحاكم، والبيهقى من حديث أبي سعيد الخدرى (ومنها) أى من أصناف الورد (الدعاء فوردا الدعاء مخ العبادة) الترمذى من حديث أنس، والدعاء هو العبادة أصحاب السنن الأربعة

وَحَقُّهُ أَنْ يَتَرَصَّدَ شَرَائِفَ الْأَوْقَاتِ لِمَا وَرَدَ فِيهِ « فَضِيلَةٌ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَسَحَرٍ وَجَوْفِ اللَّيْلِ وَعِنْدَ الزَّوَالِ »

والحاكم وقال: صحيح الاسناد وقال الترمذى: حسن صحيح وليس شياً أكرم عند الله من الدعاء، الترمذى وقال غريب وابن ماجه . وابن حبان . والحاكم وقال صحيح الاسناد « ما من مسلم ينصب وجهه لله في مسألة الا أعطاه اياه إيماناً يعجلها واما أن يدخرها له » أحمد عن أبي هريرة « الدعاء سلاح المؤمن » أبو يعلى . والحاكم عن علي « من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء » الترمذى . والحاكم عن أبي هريرة وقال: صحيح الاسناد « من لم يدع الله غضب عليه » ابن أبي شيبة في مصنفه من حديث أبي هريرة ونعم ما قيل :

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسأل يغضب

واختلف هل الأفضل هو الدعاء أو السكوت تحت جريان القضاء مع أن الدعاء لا ينافي الرضاء، فقيل: الأول أفضل لحديث الدعاء من العبادة وقيل الثاني أكمل لقوله عليه السلام من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، ويؤيده قول الخليل عليه السلام عليه بحال يغنى عن سؤالى، وقيل يختلف باختلاف الأوقات من البسط والقبض والخوف والرجاء ونحوها من الحالات، وقيل ما كان لنفسه فالسكوت أولى وما كان لغيره فالدعاء أحرى (وحقه) أى الدعاء (أن يترصد) أى ينتظر (شرائف الأوقات لما ورد فيه فضيلة من يوم) كيوم عرفة ويوم الجمعة (وليلة) كليلة الجمعة وليلة القدر (وسحر) وهو قيل الصبح على ما ذكره الجوهري والسدس الأخير على ما قاله الزمخشري والثالث الأخير على ما يفهم من كلام الغزالي لقوله عليه السلام ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعونى فاستجب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له، وقيل إن يعقوب عليه السلام إنما قال لبنه سوف أستغفر لكم ربى ليدعونى وقت السحر فقيل إنه قام في وقت السحر يدعو أولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله عز وجل إليه انى قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء، وعن عائشة ما ألقى رسول الله ﷺ السحر الأعلى فى بيتى أو عندى الا قائماً متفق عليه ولم يقل البخارى الا على (وجوف الليل) أى وسطه وأثنائه كله أو نصفه (وعند الزوال) أى الاستواء فانه بمنزلة نصف الليل ولأنهما غالباً وقت الغفلة أو

وَصُودِ الْإِمَامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَفِي جَلْسَةِ الْخُطْبِ وَغُرُوبِ الشَّمْسِ فِيهَا.
وَبَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَبَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ وَالْأَحْوَالِ وَنَزُولِ
الْمَطَرِ. وَأَدَاءِ الْفَرَضِ. وَخَتَمِ الْقُرْآنِ

بعد الزوال الأخير لما ورد فيه من فتح أبواب السماء ﴿ وصعود الإمام يوم الجمعة
وفي جلسة الخطيب ﴾ أي على المنبر ﴿ وغروب الشمس فيها ﴾ أي وعنده في الجمعة أقوال
في ساعة الجمعة وقد بينها مع غيرها من الأقوال وما ورد فيما سبق من أوقات الدعاء
في شرح الحصن الحصين ﴿ وبين الأذان والإقامة ﴾ يوم الجمعة أو مطلقاً فور
الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد وقد جعله صاحب الحصن في الأحوال والحديث
رواه أبو داود . والترمذي . والنسائي . وابن حبان عن أنس وزاد الترمذي قالوا :
فما تقول يا رسول الله ؟ قال : سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة ﴿ وبين الظهر والعصر
يوم الأربعاء ﴾ لم أجده ، وكان حقه أن يذكر رمضان في أوقات الإجابة فروى البزار
والطبراني عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال يوماً وحضر رمضان -
أنا كم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب الدعاء
الحديث ﴿ والأحوال ﴾ أي وإن ترصد شرائع الأحوال كالغزو ﴿ ونزول المطر ﴾
رواه الشافعي في الام مرسلاً ، وقال : قد حفظت عن غير واحد جرب الإجابة عنده
﴿ وأداء الفرض ﴾ ظاهره بعد أدائه ويحتمل وقوعه في اثنتائه قال أبو هريرة إن أبواب السماء
تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلاة المكتوبة ،
وروى أبو داود والحاكم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله
ﷺ : « ثنتان لا تردان أو قلما تردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلتمح بعضهم
بعضاً » وفي رواية عنه أيضاً مرفوعاً قال : « وقت المطر أو تحت المطر » ﴿ وختم القرآن ﴾
خصوصاً من القاري فعن العرياض مرفوعاً « من صلى صلاة فريضة فله دعوة مستجابة
ومن ختم القرآن فله دعوة مستجابة » الطبراني في الكبير وعن الحكم بن عتيبة قال مجاهد :
وعنده ابن أبي ليابة « وأنا عرضون المصاحف فلما كان اليوم الذي أرادوا أن يحتموا
أرسلوا إلى والي سلة بن كهيل فقالوا : أنا كنا نعرض المصاحف فأردنا أن نختم اليوم
فأجبنا أن تشهدونا أنه كان يقال إذا ختم القرآن نزلت الرحمة عند ختمه رواه ابن أبي

وَالْمَشْيَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَالصَّوْمِ، وَالْإِفْطَارِ، وَالسَّجْدَةِ وَالرَّقَّةَ وَالتَّقِيْطَ لِجَلَالِهِ
تَعَالَى. وَالْمَرَضِ. وَالْعُرْبَةِ وَقِرَاءَةِ الْإِخْلَاصِ. وَالْكَوْنِ فِي الْجَمَاعَةِ تَبْلُغُ مِائَةً
وَالْوُقُوفَ بِعِرْفَاتٍ. وَالْمَلْتَزِمَ. وَعِنْدَ قَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالْكُلُّ مَأْثُورٌ
وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ

شبهة في مصنفه . وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف بسند صحيح (والمشي الى
المسجد) ، فورد انه عليه السلام اذا خرج للصلاة قال: اللهم اجعل في قلبي نورا وفي
بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا وخلقني نوراً واه الشيخان
وغيرهما عن ابن عباس، وفي رواية « كان يقول اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق
عمشى اليك فاني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء واني خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء
سخطك ان تتقذني من النار وان تدخلني في الجنة مع الابرار، (والصوم) أى حاله
فورد « الصائم لا ترد دعوته » الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أنى هريرة
(والايفطار) أى وقته فورد « أن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد » ابن ماجه والحاكم عن
ابن عمر (والسجدة) أى حال السجود ، فورد « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو
ساجدا كثيرا من الدعاء، رواه مسلم (والرقعة) أى رقة القلب، ودمعة العين بذكر
الرب (والتقيط لجلاله تعالى) فانهما من علامات الاجابة (والمريض) فقد ورد
اذا مرض العبد ثلاثة أيام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أبو الشيخ عن أنس
وعن عمر مرفوعا اذا دخلت على مريض فمره يدعوك فان دعاه كدعاء الملائكة،
كذا في المشكاة (والعربة) فقد روى الزار عن أنى هريرة « ثلاث حق على الله ان
لا يرد لهم دعوة الصائم حتى يفطر والمظلوم حتى يتصرف والمسافر حتى يرجع » (وقراءة
الاخلاص) لم أجده (والكون في الجماعة تبلغ مائة) ذكر في الحصن الحصين في احوال
الاجابة اجتماع المسلمين وقال: رواه الجماعة عن أم عطية الانصارية (و الوقوف
بعرفات) فورد « خير الدعاء دعاء يوم عرفة » الترمذى عن عمرو بن شعيب عن أبيه
عن جده (والملتزم) وكذا رؤية الكعبة وعند زمزم (وعند قبره ﷺ) وكذا
ومساجده ومشاهده (والكل مأثور) والبعض مشهور، وفي الحصن زيادات عليه
وقد شرحنا لديه من بيان أما كن الاجابة والذين يرجي لهم الاجابة وقد خلط المصنف
بين الاحوال والرجال والامكنة والازمنة (ويستقبل القبلة ويرفع يديه) لما

حَتَّى يَرَى مَا تَحْتَ أَبْطِنِهِ ضَامًّا كَفَيْهِ جَاعَلًا بَطْنَهُمَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَهُوَ مَرُورٌ
وَوَرَدَ « أَنَّهُ تَعَالَى يَسْتَحْيِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صَفْرًا » دُونَ الْعَيْنِ فَهُوَ مِنْهُي عَنْهُ
وَيَفْتَحُ بِالتَّحْمِيدِ

روى مسلم عن جابر « أنه عليه السلام أتى الموقف بعرقه واستقبل القبلة ولم يزل يدعو
حتى غربت الشمس » وللنسائي من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع
يديه يدعو ورجاله تقات ﴿ حتى يرى ما تحت أبطنه ضاماً كفيه جاعلاً بطنهما نحو السماء
فهو مروي ﴾ أي عن أنس كان عليه السلام يرفع يديه حتى يرى يياض أبطنه في الدعاء
متفق عليه لكنه مقيد بالاستسقاء، وعن ابن عباس كان عليه السلام إذا دعا ضم كفيه
وجعل بطونهما على وجهه الطبراني في الكبير بسند ضعيف، وعن عمر كان عليه السلام
إذا مدي يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه . الترمذي وقال غريب والحاكم
في المستدرک وسكت عليه ﴿ وورد أنه تعالى يستحي أن يردهما صفرا ﴾ بكسر الصاد
أي خالياً، فمن سليمان ابن بكيم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفرا
أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وقال اسناده صحيح على شرطهما ﴿ دون
العين ﴾ أي لا يرفعهما إلى السماء حال الدعاء ﴿ فهو منهي عنه ﴾ فمن أي هريرة مرفوعاً
« لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم » رواه
مسلم ولا يبالغ في رفع صوته لما روى أبو موسى الأشعري قال قدمنا مع النبي ﷺ فلما
دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم « فقال أيها الناس إن الذي
تدعون ليس باصم ولا غائب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم، كذا في الأحياء
وقال العراقي حديث أبي موسى يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس باصم ولا غائب متفق
عليه مع اختلاف واللفظ الذي ذكره المصنف لابي داود، وعن عبد الله بن مغفل
مرفوعاً سيكون قوم يعتدون في الدعاء، وفي رواية والطهور أبو داود وابن ماجه
وابن حبان والحاكم ويؤيده قوله تعالى: (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين)
وورد « إذا أحب الله عبداً ابتلاه حتى يسمع تضرعه، وفي لفظ صوته أبو منصور الديلمي
في مسند الفردوس من حديث الحسن فالخفاء في الدعاء أفضل لتلك الآية ولقوله
تعالى ثناء على زكريا: (إذا نادى ربه نداً خفياً) ﴿ ويفتح ﴾ أي يبتدى الدعاء ﴿ بالتحميد ﴾
كما في سورة الفاتحة وقم التناء قبل الدعاء، وقال سلمة بن الأكوع: ما سمعت رسول الله

وَالصَّلَاةُ وَيَخْتِمُ بِهِمَا لِكَوْنَهُمَا مَقْبُولَيْنِ فَلَا تُرَدُّ حَاجَتُهُ فِي الْبَيْنِ، وَيَقْدُمُ رَبَّنَا خَمْسًا فُورَدَ فِيهِ (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ) وَحَاجَةُ الْآخِرَةِ لِتَسَارُعِ النَّجَاحِ، وَيَجْتَنِبُ الْجَهْرَ وَالْخُفَاةَ فُورَدَ (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا)

عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْتَفْتِحُ الدَّعَاءَ إِلَّا اسْتَفْتَحَهُ وَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ أَحْمَدَ وَالْحَاكِمِ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ (وَالصَّلَاةُ) أَيُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فُورَدَ مِنْ حَدِيثِ فَضَالَةَ بْنِ عَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يَمَجِّدِ اللَّهَ وَلَمْ يَصِلْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَجَلْ هَذَا ثُمَّ دَعَا فَقَالَ إِذَا صَلَى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيلٍ ربه وَالتَّائِبِ ثُمَّ يَصِلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَدْعُو بِمَا شَاءَ رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ وَوَرَدَ إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ حَاجَةً فَاذْكُرُوا بِالصَّلَاةِ عَلَى فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمَ مَنْ أَنْ يَسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضَى أَحَدَهُمَا وَيُرَدَّ الْآخَرُ رَوَاهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي كَذَا فِي الْأَحْيَاءِ، وَقَالَ الْعِرَاقِيُّ لَمْ أَجِدْهُ مَرْفُوعًا وَانْمَاهُ مَوْقُوفٌ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ (وَيَخْتِمُ) أَيُ الدَّعَاءُ (بِهِمَا) أَيُ بِالْحَمْدِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وَبِالصَّلَاةِ (لِكَوْنِهِمَا) يَكُونَانِ (مَقْبُولَيْنِ فَلَا تُرَدُّ حَاجَتُهُ فِي الْبَيْنِ) قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ حَاجَتَهُ فَلْيَبْدَأْ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَتَهُ ثُمَّ يَخْتِمُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ الصَّلَاتَيْنِ وَهُوَ أَكْرَمُ أَنْ يَدْعَ مَا بَيْنَهُمَا (وَيَقْدُمُ) عَلَى دَعَائِهِ (رَبَّنَا) أَيُ يَارَبَّنَا (خَمْسًا فُورَدَ فِيهِ) أَيُ فِي حَقِّ تَقْدِيمِ رَبَّنَا خَمْسًا وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ) إِلَى قَوْلِهِ: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ وَحَاجَةُ الْآخِرَةِ) أَيُ وَيَقْدُمُهَا عَلَى حَاجَةِ الدُّنْيَا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا كِبَرَهُنَا (لِتَسَارُعِ النَّجَاحِ) أَيُ الْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ (وَيَجْتَنِبُ الْجَهْرَ وَالْخُفَاةَ) أَيُ بَلْ يَجْعَلْ دَعَاءَهُ وَسَطَ الْحَالَةِ (فُورَدَ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا) أَيُ أَيُّ دَعَائِكَ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَتَمَامُ الْآيَةِ: (وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) لَكِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ الْمُرَادَ بِصَلَاتِكَ بِقِرَاءَتِكَ فِيهَا كَمَا تَقْدِمُ وَهُوَ أَمَّا فِي التَّهَجُّدِ، أَوِ الْمَعْنَى لَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ عَلَى الدَّوَامِ وَلَا تُخَافُ بِهَا فِي تَمَامِ الْآيَامِ وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا بِأَنْ تَجْعَلَ بَعْضَ الصَّلَوَاتِ جَهْرِيَةً كَالصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ وَالْجُمُعَةِ وَالتَّرَاوِجِ، وَبَعْضُهَا سِرِّيَةً كَالظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَسَائِرِ النُّوَافِلِ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَرَأَ مِنَ اللَّيْلِ رَفَعَ طَوْرًا وَخَفَضَ طَوْرًا أَبُو نَصْرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،

وَلَا يَتَكَلَّفُ بِالسَّجْعِ فُورِدَ « إِيَّاكُمْ وَالسَّجْعَ فِي الدُّعَاءِ » وَالْأَوَّلَى أَنْ
يَقْتَصِرَ عَلَى الْمَأْثُورِ لِأَنَّهُ لَا يَسْأَلُ مَا لَا صَلَاحَ فِيهِ وَيَتَضَرَّعُ وَيَخْفَى فُورِدَ (ادْعُوا
رَبَّكُمْ تَضَرَّعًا وَخَفِيًّا) وَيَحَقِّقُ الرَّجَاءَ

(ولا يتكلف بالسجع) في الدعاء فان حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه (فوردا إياكم والسجع في الدعاء) وتماه « بحسب أحدكم أن يقول اللهم أني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل » وهو غريب بهذا السياق وللبخاري عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فاني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون الا ذلك أي عدم تكلف السجع ثم المنع انما هو التكلف في السجع بخلاف ما اذا ورد على مقتضى الطبع والافق الادعية المأثورة على لسان صاحب الشرع جاءت كلمات متوازنة مؤلفة الا انها غير متكلفة كقوله عليه السلام: « اللهم ذا الجبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفون بالعهود دانك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد » الترمذي من حديث ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول ليلة حين فرغ من صلاته قد كر حديثا طويلا من جملة هذا وقال حديث غريب، وكقوله « اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع » أحمد . وابن حبان . والحاكم عن أنس وزيد في رواية « ومن هؤلاء الأربع، وكقوله « اللهم استر عورتا وآمن روعاتنا » أحمد في مسنده عن أنس سعيد مرفوعا (والاولى أن يقتصر على المأثور لئلا يسأل ما لا صلاح فيه) فانه إذا جاوزه قد يعتدى فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن في دعوته ولذا روى عن معاذ أن العلماء يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لأهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا الدعاء من العلماء، ولانه عليه السلام تعلما لأئمة الكرام ما ترك شيئا مرغوبا الا دعا الله وطلبه ولا امرأ مرغوبا الا سأل الله وتعوذ به، وقد جمعت الدعوات المصطفوية مع الدعوات القرآنية وسميته بالحزب الاخيم والورد الاعظم (ويتضرع) أي بالاستكانة والتذلل عنده (ويخفي) أي الدعاء عن غيره (فوردا دعوا ربكم تضرعا وخفية) والقياس على الذ كر أولى لانه أحد أنواعه، وقد ورد (واذا كر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول) وفي الحديث « وخير الذ كر الخفي » (ويحقق الرجاء) أي في اجابة الدعاء لحديث « لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت

فورد «ادعوا الله واتم موقنون بالاجابة» ويلج فورد «ان الله يحب الملحين في الدعاء» وأقله الثلاث، ولا يستعجل فورد «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل» ولا يذكر الطاعة فهو يورث العجب

اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسألة فانه لا مكره له متفق عليه من حديث أبي هريرة وحديث «إذ دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء» رواه مسلم من حديث أبي هريرة (فورد ادعوا الله واتم موقنون بالاجابة) تمامه «واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل» الترمذي من حديث أبي هريرة وقال غريب والحاكم وقال مستقيم الاسناد وقال سفيان بن عيينة «لا ينعمن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل أجاب دعاء أشرف الخلق ابليس إذ قال رب انظرني إلى يوم يبعثون قال انك من المنظرين» وما أحسن من قال من أهل الحال لو كان فيه خير لقال انظر إلى مكان انظرني (ويلج) أي بكر الدعاء (فورد ان الله يحب الملحين في الدعاء) الحكيم وابن عدي والبيهقي عن عائشة أما ما روى من حديث ان الله يغيض السائل الملحف فمحمول على سائل الخلق لمخالفته كلام الحق في مدح الصحابة لا يسألون الناس الحافا (وأقله الثلاث) فعن ابن مسعود كان عليه السلام إذا دعا دعائين وإذا سأل سأل ثلاثا رواه مسلم وأصله متفق عليه (ولا يستعجل) بأن يستبطل الاجابة (فورد يستجاب لأحدكم ما لم يعجل) تمامه فيقول دعوت فلم يستجب لي متفق عليه من حديث أبي هريرة «وقال بعضهم: اني أسأل الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني وأنا ارجو الاجابة سألت الله ان يوقفني لترك ما لا يعنيني، وقد ورد «إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتمرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطأ عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال» البيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة والحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف والبيهقي في كتاب الصفات من حديث حبيب بن أبي ثابت قال حدثنا شيخنا «ان رسول الله ﷺ كان اذا جاءه شيء يكرهه قال الحمد لله على كل حال واذا جاءه شيء يعجبه قال الحمد لله المنعم المتفضل الذي بنعمته تتم الصالحات» (ولا يذكر الطاعة) أي طاعته السابقة عند الدعوة (فهو يورث العجب) أي والمقام يقتضي المذلة وفيه نظر اذ جعله صاحب الحصن من آداب الدعاء تقديم عمل صالح كما في حديث أبي بكر رضي الله عنه في صلاة التوبة رواه الأربعة، وكذا ذكر عمل صالح عند الشدة ويدل عليه

وَلَا الْمُعْصِيَةَ فَهُوَ يَنْفِي الْإِيْقَانَ وَقَدْ جَاءَ النَّذْرُ بِقِصَّةِ مَرْيَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
وَالْاضْطِرَارُّ فُورِدَ (أَمِنْ يَجِبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا) وَالْأَصْلُ التَّوْبَةُ. وَرَدَ الْمَظَالِمُ
وَتَوَجِيهِهِ الْهَمَّةُ إِلَيْهِ تَعَالَى

حديث الشيخين عن ابن عمر مرفوعا قال «بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فقالوا إلى غار
في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأنطقت عليهم فقال بعضهم لبعض:
انظروا أعمالا علمتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال أحدهم، الحديث
الطويل ﴿ولا المعصية﴾ أى ولا يذكرها ﴿فهو ينفي الإيقان﴾ أى بالاجابة وان كان
في حيز الامكان والأولى أن يذكرها ويتوب منها ويستغفر عنها ليكون ادعى الى
الاجابة كما ستأتى اليه الإشارة وقد تقدم أيضا في طي العبارة ﴿وقد جاء النذر﴾ أى في
الكتاب والسنة فجازان يقول مثلاً ان استجاب الله دعائى فله على أن أصلى كذا وأصوم
كذا ونحو هذا ﴿بقصة مريم رضى الله عنها﴾ حيث قالت أمها حنة امرأة عمران : (رب
انى نذرت لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى انك أنت السميع العليم) الآيات، وحيث
قالت مريم انى نذرت للرحمن صوما وبقوله تعالى فى وصف الابرار : (يوفون بالنذر
ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)
الآيات ﴿والاضطرار﴾ عطف على الرجاء أى ويحقق الاضطرار وهو اظهار كمال
الاحتياج والافتقار ﴿فورداً من يجيب المضطر اذا دعاه﴾ وهو يعم الكفار ﴿والأصل﴾
أى فى قبول الاجابة ﴿التوبة﴾ أى حصولها بان يجتنب الحرام فى ما كله ومشربه وملبسه
ومكسبه لما رواه مسلم والترمذى عن أبى هريرة يرفعه «انه ذكر الرجل يطيل السفر أشعث
أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فاقى
يستجاب لذلك» ﴿ورد المظالم﴾ فانه من أركان التوبة وقال سفيان الثورى : بلغنى ان
بنى اسرائيل قطعوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الأطفال وكانوا
كذلك يخرجون الى الجبال يكون ويتضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم لو
مشيتم إلى بأقدامكم حتى تحرق كسبكم وتبأغ أيديكم عنان السماء وتكل الستكم عن
الدعاء فاقى لا أجيب لكم داعيا ولا أرحم منكم با كيا حتى ترد المظالم إلى أهلها ففعلوا
فطروا من يومهم ﴿وتوجيه الهمة اليه تعالى﴾ أى تخليص قصد القلب إلى جانب
الرب وعدم الالتفات إلى ما سواه فى المطلب فان همة الرجال تهد الجبال بل هو من

فَالنَّافِعُ هُوَ الْحَاضِرُ إِذَا الْمَقْصُودُ الْإِنْسُ بِهِ تَعَالَى وَبِهِ يَرْجَى خَيْرُ الْخَاتَمَةِ
وَيَلَازِمُهُ فِي الرَّخَاءِ لِيَنْدَفِعَ الْبَلَاءُ، وَيَرْغَبُ فِي دُعَاءِ ذِي فَضِيلَةٍ دِينِيَّةٍ فُورِدَ «ثَلَاثَةٌ
لَا تَرُدُّ دَعْوَتَهُمْ» وَيَتَقَى دُعَاءُ الْمَظْلُومِ

أركان الدعاء قال تعالى : (فادعوا الله مخلصين له الدين) وقال : (فاذا ركبوا في الفلك
ادعوا الله مخلصين له الدين) (فالنافع) أى من الدعاء ولو من المأثور (هو الحضور)
أى مع الله في مجلس الانس والسور (إذا المقصود الانس به تعالى) الموجب للنور
في الصدور وأما الحور والقصور وسائر أنواع الجور فالالتفات إليها نوع من
التقصير والقصور (وبه) أى بالانس في حضرة القدس (يرجى خير الخاتمة)
اللاحقة التي مدارها على العناية السابقة كما يشير إليه قوله تعالى : (ان الذين سبقتم
منا الحسنى) (ويلازمه) أى يلزم مطلق الدعاء (في الرخاء) أى في حال النعماء
والآلاء (ليندفع البلاء) أى في السراء والضراء فورد « من سره أن يستجيب الله له
عند الشدائد والكره فليكثر الدعاء في الرخاء » الترمذي عن أبي هريرة . والحاكم عن
سليمان وقال : صحيح الاسناد، وروى البيهقي والطيب عن جابر مرفوعا « لقد بارك الله
في حاجة أكثر الدعاء فيها أعطيها أو منعها » (ويرغب في دعاء ذي فضيلة دينية) أى
من العلماء الأعلام والمشايخ الكرام والامام العادل للانام (فورد ثلاثة لا ترد دعوتهم)
وتماه « الامام العادل . والصائم حتى يفطر . ودعوة المظلوم ، واليهيقي عن أبي هريرة
وثلاثة لا يرد الله دعوتهم اذا ذكر الله كثيرا والمظلوم والامام المقسط » وقد ثبت أنه عليه
السلام « قال لعمر بن اعتمر : شاركني في دعائك يا أخي » وروى مسلم من حديث عمر
« أنه قال لا ويس القرنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : يأتي عليكم أويس بن عامر
مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان فيه برص فبرئ منه الاموضع درهم له
والدة فهو لها برلو أقسم على الله لأبره فلو استطعت أن يستغفرك فافعل فاستغفر لي
فاستغفر له » (ويتقى دعاء المظلوم) فورد « اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام
يقول الله وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين » الطبراني في الكبير والضياء عن
خزيمة بن ثابت والحاكم عن ابن عمر ولفظه « اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء
كانها شرارة » وأحمد والطيايلى من حديث أبي هريرة « دعوة المظلوم مستجابة وان
كان فاجرا فنجوره على نفسه » واسناده حسن والظاهر أن المراد بالفاجر الفاسق ويحتمل

وَلَا يَدْعُو عَلَى أَحَدٍ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ ﴿ وَمِنْهَا ﴾ التَّفَكُّرُ فُورِدَ « وَيَتَفَكَّرُونَ
فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » ﴿ تَفَكَّرْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً » وَهُوَ
طَلَبُ الْمَعْرِفَةِ أَوَّلُهُ التَّذَكُّرُ وَهُوَ إِحْضَارُ الْقَلْبِ الْمَعَارِفَ

أن يكون المراد به الكافر لما في رواية «ولو كان كافرا، رواه أحمد وأبو يعلى والضياء
عن أنس «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا فإنه ليس دونها حجاب، ولا ابن حبان من
حديث أبي ذر الغفاري قلت يا رسول الله « ما كانت صحف إبراهيم قال: كانت أمثالا
كلها يا أيها الملك المسلط المبلى المغرور أني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض
ولكن بعثتك لتردعني دعوة المظلوم فاني لا أردّها وإن كانت من كافر » (ولا يدعو
على أحد) (لئلا يهلك بسبب دعائه أحد ولو كان ظالما لقوله تعالى: (فمن عفا وأصلح
 فأجره على الله) (فالكل مأثور) أي وعامله في كله مأجور (ومنها) أي من جملة
الأوراد (التفكر فورد ويتفكرون في خلق السموات والأرض) أي في مخلوقاتها
أو في كيفية إيجادها أو إبقائها بامدادها وعنه عليه السلام « ويل لمن قرأ هذه الآية
 ولم يتفكر » (تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة) ذكره الفاكهاني من كلام السري
 السقطي وقال: قال ابن عباس وأبو الدرداء «فكر ساعة خير من قيام ليلة» انتهى وأخرجه
الديلمي عن أنس وفي الجامع الصغير للسيوطي « فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة »
أبو الشيخ في العظمة عن أبي هريرة قيل: هو الذي ينقل من المسكارة الى الحجاب ومن
الرحب والرغبة الى الزهد والقناعة ، وقيل هو الذي يحدث مشاهدتها نتيجة المراقبة
(وهو) أي التفكر (طلب المعرفة) بنظر الفكرة (أوله التذكّر) أي أول
التفكر تذكر ماني من جهة الغفلة (وهو) أي التذكّر (احضار القلب) من
إضافة المصدر الى فاعله (المعارف) أي معرفة نعمته الظاهرة والباطنة ، واعلم أن
المواظبة على الأوراد هو الطريق الى الله للعباد وخواصهم من الزهاد والعباد لأن
الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة الا في لقاء الله عز وجل وأنه لا سبيل الى اللقاء الا بان
يموت العبد بحب الله وعارفا بمولاه وان المحبة والانس لا يحصل الا من دوام ذكر المحبوب
والمواظبة على فكر المطلوب وان المعرفة لا تحصل الا بدوام الذكّر والتفكر فيه وفي صفاته
وأفعاله وليس في الوجود سوى ذاته وصفاته وأفعاله في مصنوعاته ثم لم يتيسر دوام الذكّر
المحسوب والفكر الابتوديع الدنيا وشهواتها والاكتفاء منها على قدر البلغة وضرورتها

وَجَدَّوَاهُ الْعِلْمُ وَهُوَ حُصُولُ الْمَعْرِفَةِ الْمُثْمَرُ لِلْحَالِ وَهُوَ تَأَثُّرُ الْقَلْبِ الْمُثْمَرُ

لِلْعَمَلِ وَهُوَ خِدْمَةُ الْجَوَارِحِ

وكل ذلك لا يتم الا باستغراق أوقات الليل وساعات النهار في وظائف الاذكار ووظائف الافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملالة لاتصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذ اردت الى نمط واحد من الأفعال والأحوال أظهرت الملل والاستئفال، وقد ورد في ان الله تعالى لا يعمل حتى تملوا، فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت من اصل وفرع لتكثر بالاتقال لذتها وتغزر باللذة رغبها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها، والله در القائل من ذوى الفضائل :

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التقل هذا الطبع للبشر

فاصله أصلاً لا يتغير، واما الملائكة فهم لا يسأمون فكل جمع منهم على طاعة مستمرين، ولذا يقسم الاوراد بقسمة مختلفة لاوقاتها وحالاتها والذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثر الحالات فان النفس بطبعها تميل الى ملاذ الدنيا والبطالات فان صرف العبد شطر اوقاته مثلاً الى تديرات الدنيا وشهواتها والشطر الآخر الى العبادات وتحسين حالاتها رجع جانب الميل الى الدنيا لموافقتها في الطبع والهوى اذ الوقتان متساويان فاني يتقاربان فالطبع لاحدهما مرجح لاحتالة اذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويتباعدان عن طريق العقى، فمن اراد أن يدخل الجنة بغير المحاسبة فليستغرق اوقاته في الطاعة قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وورد « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » وقال عز وعلا : (كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) ومن اراد ان ترجح كفة حسناته ويثقل ميزان خيراته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً قاهره خطر ومقتطع ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله تعالى منتظر متوقع فعسى الله أن يغفر له بجوده وكرمه ولطفه وحلمه (وجدواه العلم) أى ثمرة الفكر وفائدته ونتيجته ثلاثة مترتبة وهى العلم والحال والعمل هذا معنى قوله (وهو) أى العلم (حصول المعرفة المثمر للحال وهو) أى الحال (تآثر القلب المثمر للعمل وهو) أى العمل (خدمة الجوارح) أى الأعضاء

وَجَرَاهُ إِمَّا الْمَعَامِلَةَ وَحَقُّهُ أَنْ يَبْدَأَ فِي مَعَاصِيهِ الظَّاهِرَةِ هَلْ هَذَا مُحْظُورٌ ثُمَّ
 هَلْ يُوجَدُ فِيهِ، ثُمَّ مَا التَّدْبِيرُ فِي دَفْعِهِ، ثُمَّ فِي طَاعَتِهِ هَلْ هَذَا مَنْدُوبٌ ثُمَّ هَلْ هَذَا
 مَقْدُورٌ ثُمَّ فِي الْبَاطِنِ كَذَلِكَ، وَإِمَّا الْمُكَاشَفَةَ فَهُوَ فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا
 وَمَلَكَوَتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَمَّا الذَّاتُ الْمُقَدَّسَ فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِالذِّكْرِ

في الطاعة ، وتوضيحه ان ثمره الفكر ثلاثة العلم والحال والعمل ولكن ثمرته الخاصة هي
 العلم نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغير عمل الجوارح
 فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم والعلم تابع للفكر فالفكر اذا هو المبدأ والمفتاح
 للخيرات ، وهذا يكشف لك عن فضيلة الفكر وانه خير من الذكر لان في الفكر ذكر
 وزيادة، وذكر القلب خير من عمل الاركان (وَجَرَاهُ) أي يجري التفكير ومسراه
 شيثان (اما المعاملة) وهو مبدأ السلوك في طريق المجاملة (وحقه) أي حق التفكير
 في المعاملة الظاهرة (أَنْ يَبْدَأَ) أي يبتدىء بالنظر والتأمل (في معاصيه الظاهرة)
 واحدا بعد واحد ويتفكر في كل (هل هذا محظور) أي حرام او مكروه (ثم هل
 يوجد فيه) أي المحظور المذكور (ثم ما التدبير في دفعه) بالسعي المشكور (ثم في
 طاعته) أي وبعد ذلك يتفكر في أنواع طاعته الظاهرة ويتأمل في كل فرد منها (هل
 هذا مندوب) أي مستحب أو سنة مؤكدة او واجب أو فرض محتم (ثم هل هذا
 مقدور) أي مصور له بانه مستطيع في تحصيله من الزكاة والحج ونحوهما المستغنى عن
 تفصيله (ثم في الباطن كذلك) أي بعد ذلك يتفكر في المعاصي الباطنية من الاخلاق
 الرديئة والاحوال الدنية هل شيء منها يوجد فيه وما علاجه واخراجه حيث يدافع
 المقصود وينافيه؟ وكذا في الطاعات الباطنية من الشرائع المرضية والفضائل البهية نفا
 واثباتا (وأما المكاشفة) عطف على المعاملة أي وجره الأعلى الامور المكاشفة
 المتعلقة بالمولى (فهو) أي التفكير الموجب للمكاشفة انما هو (في اسمائه الحسنى وصفاته
 العلى) الواردة في الكتاب والسنة (وملكوت السموات والارض) أي وبواطنها
 المملوءة من العجائب والغرائب في الطول والعرض (أما الذات المقدسة فلا سبيل اليه
 الا بالذكر) لقوله تعالى : (ولا يحيطون به علما) وقال علي : كل ما خطر ببالك فانه
 وراء ذلك، وقال عز وجل : (ليس كمثل شيء) وقال بعضهم : كل اسم للتخلق الا اسم الله

فَوَرَدَ . لَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ وَالْعَقْلُ يَعْجُزُ عَنْهُ عَجْزَ الْخَفَاشِ عَنْ ضَوْءِ
النَّهَارِ، وَحَقَائِقِ الصِّفَاتِ كَذَلِكَ فَلَا يُطِيقُهُ إِلَّا الْخَوَاصُّ أَحْيَانًا وَلَا يَذْكُرُونَ
لِلْعَوَامِّ إِلَّا عَلَى قَدَرِ أَفْهَامِهِمْ، فَعَلَى الْعِبْدَانِ يُدِيمُ الْعِبَادَةَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لِتَحْصُلِ
مَحَبَّةِ تَعَالَى إِذْ هِيَ أَمُّ *

فانه مجرد التعلق ﴿ فورد لا تفكروا في ذات الله ﴾ ابن أبي شيبة في كتاب العرش عن ابن عباس
موقوفاً وأبو نعيم في الحلية عنه مرفوعاً بلفظ ﴿ تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله ﴾
ذكره الزركشي، وفي رواية ﴿ تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله ﴾ وهو موقوف
على ابن عباس وسنده جيد ذكره العسقلاني في فتح الباري في كتاب التوحيد وفي الجامع
الصغير للسيوطي ﴿ تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله ﴾ فان بين السماء
السابعة الى كرسية سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك، أبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس،
وفي رواية له عن أبي ذر بلفظ ﴿ تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا ﴾ وله
أيضاً عن ابن عباس ﴿ تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرُونَ قدره ﴾
إيماء الى قوله تعالى: ﴿ وما قدر الله حق قدره ﴾ أي ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق
عظمته، وفي رواية ﴿ تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله ﴾ أبو الشيخ والطبراني في
الأوسط وابن عدي والبيهقي عن ابن عمر وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس ولفظه ﴿ تفكروا في
خلق الله ولا تفكروا في الله ﴾ والعقل يعجز عنه ﴿ أي عن ادراك ذاته سبحانه ﴾ عجز
الخفاش عن ضوء النهار ﴿ أي لضعف بصر الخفاش وقوة نور الشمس فهو عز وجل من
غاية نوره مخفي عن ظهوره، ومن هنا قيل: العجز عن درك الادراك ادراك ﴾ وحقائق
الصفات كذلك ﴿ أي لا يدرك كنهها هنالك ﴾ فلا يطيقه الا الخواص ﴿ من الانبياء وكل
الاولياء ﴾ أحياناً ﴿ في اعلى مراتب مقامهم ﴾ ولا يذكرون للعوام الا على قدر افهامهم ﴿
لتقديمهم بصورات أشكالهم وأمثالهم في عقولهم وأوهامهم ﴾ فعلى العبد ﴿ السالك
طريق الارادة ﴾ أن يدوم العبادة ﴿ بالصلاة والتلاوة ﴾ ظاهراً وباطناً ﴿ بالذكر
والفكر ويترك المألوف والعادة ﴾ لتحصل محبته تعالى اذ هي أم ﴿ من المطلوبات
وآتم من المقصودات وقد قال تعالى: ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾
الآيات، وعن عائشة ﴿ من عوده الله عبادة فتر كما ملأ مقتله الله ﴾ رواه ابن السني في

فَفِي النَّهَارِ يَشْتَغِلُ بَعْدَ الْفَجْرِ إِلَى الْإِشْرَاقِ لَازِمًا مَكَانَهُ إِلَّا أَنْ يَخَافَ الرِّيَاءَ
أَوَ التَّشْوِيشَ فَيَرْجِعُ وَيَلْزِمُ زَاوِيَةً فَكَانُوا يُبَالِغُونَ فِي رِعَايَتِهِ وَيَعْيُونَ الْمُتَكَلِّمَ
فِيهِ، وَوَرَدَ أَنَّهُ أَحَبُّ مَنْ عَتَقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى
الْمَغْرَبِ كَذَلِكَ، وَكَانَ تَعْظِيمُهُمْ إِيَّاهُ أَكْثَرَ

رياضة المتعبدين موقوفا عليها قال العراقي: وتحقيق هذا الخبر أنه مقتضى الله فتر للملاة
فلولا المقت والابادة ماسطت عليه الملاة (ففي النهار يشتغل) بالاذكار والافكار
(بعد الفجر) أي ظهور الصبح والاسفار (إلى الإشراق) أي طلوع الشمس
وضوء النهار لقوله تعالى: (يسبحن بالعشي والإشراق) (لازما مكانه) وملازما
شأنه (الأن يخاف الرياء) في عبادة ربه سبحانه (أو التشويش) أي تشويش
الخاطر من الخلق المانع من الحضور مع الحق هنالك (فيرجع ويلزم زاوية) أي
معدة لذلك (فكانوا) أي السلف (يبالغون في رعايته) أي مراعاة هذا الوقت
(ويعيرون المتكلم فيه) أي بكلام الدنيا ويخوفونه بالمقت (وورد أنه) أي إحياءه
(أحب من عتق أربع رقاب من ولد إسماعيل) بفتح الواو واللام وبضم فسكون
أي أولاده واحفاده من العرب (وبعد العصر إلى المغرب كذلك) أي يشتغل بعد
أداء العصر إلى غروب الشمس كما ذكر هنالك، وأصل الحديث: «لأن أقدم مع قوم يذكرون
الله من صلاة الغدوة حتى تطلع الشمس أحب إلى من أن يعتق أربعة من ولد إسماعيل
ولأن أقدم مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلى من أن
أعتق أربعة من ولد إسماعيل» أبو داود بسند حسن عن أنس وفي رواية له: «لأن أقدم في
مجلس ذكر الله من صلاة الغدوة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن يعتق أربعة رقاب»
وروى أحمد . ومسلم . والترمذي . والنسائي . وابن ماجه عن جابر بن سمرة أنه عليه
السلام «كان إذا صلى الغدوة جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس» وفي رواية الترمذي
عن أنس «من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى
ركعتين كانت له كاجر حجة وعمرة تامة تامة» (وكان تعظيمهم) أي
السلف (إياه) أي ما بعد العصر (أكثر) من تعظيم ما بعد الفجر أذهو وقت
الغفلة وبعد وجود المعصية، والحديث، والأعمال بالحوادث، فينبغي قيامه بالاستغفار وودوامه

ورود (وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) (وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْأَبْكَارِ) « يَا بَنِي آدَمَ أَذْكُرْنِي بَعْدَ
الْفَجْرِ سَاعَةً وَبَعْدَ الْعَصْرِ سَاعَةً أَكْفِكَ مِثْقَالَ مِائَتَيْنِ » ويقرأ المسبِّعات العشر
في الوقتين ففيه فضل كثير، وكذلك ما بين الاشراق

بالاذكار والافكار ومحاسبة ما جرى له من اعمال الفجار ، فعن الحسن كانوا أشد
تعظيماً للعشي منهم لأول النهار، وقال بعض السلف : كانوا يعملون أول النهار للدنيا
وآخره للعقب فليشكر الله على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره فليشتغل بتدارك تقصيره
في أمره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له انتهاء تغرب فيه شمس الحياة ولا يكون له
بعدها طلوع وابتداء وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الاياما
معدودة تنقضي لاحالة جهلتها باقتضاء آحادها المحدودة (وورد) في تخصيص فضل
هذين الوقتين (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً) أي صباحاً وعشيماً (وسبح بحمد
ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وقال تعالى : (واذكر ربك كثيراً) (وسبح
بالعشي والابكار) أي اطراف النهار (يا بَنِي آدَمَ أَذْكُرْنِي بَعْدَ) صلاة (الفجر
ساعة وبعد) صلاة (العصر ساعة اكفك مِثْقَالَ مِائَتَيْنِ) ابن المبارك في الزهد
هكذا مرسل عن الحسن (ويقرأ المسبِّعات العشر) فانه المستغاث للعسر (في
الوقتَيْن) المذكورين (ففيه فضل كثير) كما ذكره في الاحياء لكن قال العراقي:
حديث كرز بن وبرة عن رجل من أهل الشام عن ابراهيم التيمي أن الخضر عليه المسبِّعات
العشر وقال في آخرها اعطانيها محمد ﷺ ليس له أصل ولم يصح في حديث قط اجتماع
الخضر بالنبي ﷺ ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا مماته انتهى ، والعشرة هي فاتحة
الكتاب والكافرون والاخلاص والمعوذتان وآية الكرسي والصلاة على النبي عليه السلام
واللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واللهم اقبلني وبهم عاجلاً وآجلاً
في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل انك
غفور حلیم جواد كريم رؤوف رحيم كل واحدة من العشرة يقرؤها سبع مرات
(وكذلك) أي يشتغل بالعبادة (ما بين الاشراق) وهو أول طلوع الشمس

وَالضَّحَىٰ إِن كَانَ مُتَجَرِّدًا لَّمَّا يَشْتَغَلْ بِمَا سَبَقَ مِنَ الْعِبَادَاتِ يَنْتَقِلُ مِنْ نَوْعِ عِبَادَةٍ إِلَىٰ أُخْرَىٰ عَلَىٰ حَسَبِ صَلَاحِ قَلْبِهِ قَطْعًا لِللَّيْلَةِ، وَالْأَفْضَلُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي قِيَامِ الصَّلَاةِ مُتَدَبِّرًا فِيهِ الصَّلَاةُ وَالتَّلَاوَةُ وَالتَّعَلُّمُ وَالْحُضُورُ وَالذِّكْرُ وَبِغَيْرِهِ كَعِبَادَةِ الْمَرِيضِ وَتَشْيِيعِ الْجَنَازَةِ وَإِعَانَةِ الْمُسْلِمِ.

(والضحى) وهو الضحوة الكبرى وهو الربع بالتخمين الاخرى ثم فيه تفصيل بالنسبة الى أهل الارادة (ان كان متجردا لما) أى للعبادة (يشتغل بما سبق من العبادات) يعنى التلاوة والذكر والتفكر والصلاة ونحوها من الطاعات (ينتقل) حال أو بدل اشتغال أو بيان انتقال (من نوع عبادة الى أخرى على حسب صلاح قلبه) فيما يراه حينئذ أولى وأحرى في الدنيا والأخرى وانما ينتقل في تلك الحالة (قطعا لليلة) ودفعاً للكسالة ورفعاً للبطالة فورد عليكم من الاعمال ما يطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا الطبراني عن عمران بن حصين فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثني عشر ألف تسيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة الى ستمائة الى ألف ركعة، وقل ما نقل في أورادهم في الصلاة مائة ركعة في اليوم واللييلة، وكان بعضهم أكثر ورده القرآن فيختم في اليوم مرتين أو مرة وكان بعضهم يقضى اليوم واللييلة في التفكير وفي آية واحدة، وكان كرز بن وبرة مقبلاً بمكة يطوف في كل يوم سبعين أسبوعاً وفي كل ليلة سبعين أسبوعاً وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم واللييلة مرتين فحسب ذلك مكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان فذلك مائتان وثمانون ركعة وختمتان (والأفضل قراءة القرآن في قيام الصلاة متدبراً) أى ليلاً ونهاراً (ففيه) أى في جميع ما يحصل (الصلاة والتلاوة والتعلم) أى تفهم المبنى وتصور المعنى (والحضور) أى مع المولى (والذكر) أى وانواع الذكر واصناف الفكر في الهيئات المختلفة والحالات المؤتلفة، وهذا في حق المنتهى وأما المبتدى فحقه دوام الذكر المجرد أفضل والقراءة بالنسبة الى المتوسط أمثل على ما قاله العارف السهروردي في المعارف (وبغيره) أى ويشتغل بغير ما سبق أيضاً من الحسنات (كعبادة المريض) لاسيما الفقير والغريب (وتشييع الجنائز) خصوصاً للعلماء والأولياء (واعانة المسلم)

وَحُضُورُ مَجْلِسِ الْعِلْمِ فِي عِبَادَاتٍ وَكَانُوا يَفْعَلُونَهَا مَا بَيْنَ الْأَشْرَاقِ وَالضُّحَى
وَأَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَجَرِّدًا فَالْعَالَمُ أَوْ الْمُتَعَلِّمُ يَشْتَغِلُ بِالْعِلْمِ فَوَرَدَ «إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ
رُكْعَةٍ وَشُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ وَعِيَادَةِ أَلْفِ مَرِيضٍ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» غَيْرَ أَنَّ الْمُرَادَ
بِالْعِلْمِ عِلْمُ الْآخِرَةِ لِمَا سَبَقَ فَيَتَفَكَّرُ فِي حَلِّ الْمَشْكِلِ بَعْدَ الْأَشْرَاقِ فَالْقَلْبُ فِيهِ
أَصْنَى لِكَوْنِهِ بَعْدَ الذِّكْرِ قَبْلَ عَمَلِ الدُّنْيَا وَالْمُشْتَغَلُ بِأُمُورِ النَّاسِ كَالْقَاضِي
وَالْوَالِي أَوْ أَمُورِهِ كَالْكَاسِبِ يَشْتَغِلُ بِتِلْكَ الْأُمُورِ مُرَاعِيًا شُرُوطَهَا

وَإِغَاثَتِهِ فِي الْأُمُورِ الْمَهْمِ (وَحُضُورُ مَجْلِسِ الْعِلْمِ فِي عِبَادَاتٍ) أَي عَظِيمَةٍ وَفِيهَا مَثُوبَاتٌ
جَسِيمَةٌ (وَكَانُوا يَفْعَلُونَهَا مَا بَيْنَ الْأَشْرَاقِ وَالضُّحَى) هـ أَي فِي غَالِبِ أَحْيَانِهِمْ وَعَرَفَ
أَهْلُ زَمَانِهِمْ (وَأَنْ لَمْ يَكُنْ) هـ أَي السَّالِكُ (مُتَجَرِّدًا) هـ لِلْعِبَادَةِ (فَالْعَالَمُ أَوْ الْمُتَعَلِّمُ
يَشْتَغِلُ بِالْعِلْمِ) هـ أَي يَشْتَغِلُ بِتَعْلِيمِهِ وَتَعْلَمِهِ (فَوَرَدَ أَنَّهُ) هـ أَي الْإِشْتَغَالُ بِالْعِلْمِ
* (أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رُكْعَةٍ وَشُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ وَعِيَادَةِ أَلْفِ مَرِيضٍ وَقِرَاءَةِ
الْقُرْآنِ) هـ وَتَقْدِمُ أَنْ هَذَا الْحَدِيثَ لَا يَصِحُّ فَالْأَوَّلَى أَنْ يَسْتَدِلَّ بِنَحْوِ «فَضْلِ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ
كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ» ثُمَّ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ إِنَّمَا تَعْدُ مِنَ الْعِبَادَةِ إِذَا كَانَتْ بِمَجْرَدِ تِلَاوَةٍ ، أَمَّا
تَعْلَمُهُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْقِرَاءَةِ فَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْعُلُومِ فَإِنْ شَرَفَ الْعِلْمُ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ
(غَيْرَ أَنَّ الْمُرَادَ) أَي الْمَقْصُودُ هُنَا (بِالْعِلْمِ عِلْمُ الْآخِرَةِ) أَي عِلْمُ نَفْعٍ فِي الْآخِرَةِ
كَالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ الْفَاخِرَةِ (لِمَا سَبَقَ) هـ فِي الْمَقْدِمَةِ مِنْ تَقْسِيمِ عُلَمَاءِ الدُّنْيَا وَعُلَمَاءِ
الْآخِرَةِ وَأَنْ غَيْرَ عِلْمِ الْآخِرَةِ يَقْسِي الْقَلْبَ فَضْلًا عَنْ حَصُولِ الثَّوَابِ وَوُصُولِ الْقُرْبِ
* (فَيَتَفَكَّرُ) هـ أَي كُلِّ مِنَ الْعَالَمِ وَالْمُتَعَلِّمِ (فِي حَلِّ الْمَشْكِلِ بَعْدَ الْأَشْرَاقِ) أَوْ قَبْلَهُ بَعْدَ
إِدَاءِ الْفَجْرِ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ بِالِاتِّفَاقِ (فَالْقَلْبُ فِيهِ) أَي فِي صُدُورِ النَّهَارِ * (أَصْنَى) أَي
أَبْعَدُ مِنَ الْإِكْدَارِ (لِكَوْنِهِ بَعْدَ الذِّكْرِ) أَي بَعْدَ وَقُوعِ الصَّلَاةِ وَالِإِذْكَارِ (قَبْلَ
عَمَلِ الدُّنْيَا) هـ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الدَّارِ الْمَشْتَمِلَةِ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْأَوْزَارِ ، وَقَدْ وَرَدَ «اللَّهُمَّ
بَارِكْ لَامَتِي فِي بَكُورِهَا» (وَالْمُشْتَغَلُ بِأُمُورِ النَّاسِ) هـ أَي عُمُومُ الْمُسْلِمِينَ * (كَالْقَاضِي
وَالْوَالِي) هـ وَهُوَ الْإِمَامُ وَالْمُتَوَلَّى وَكَذَا الْمُدْرِسُ وَالْمُقْتَى (أَوْ أَمُورِهِ) هـ أَي أُمُورِ
نَفْسِهِ (كَالْكَاسِبِ) هـ وَنَحْوِهِ * (يَشْتَغِلُ بِتِلْكَ الْأُمُورِ مُرَاعِيًا شُرُوطَهَا) هـ كَمَا هُوَ
الْمَشْهُورُ ، وَقَدْ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي أَنْ يُوجَدَ الْمُؤْمِنُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ مَسْجِدٍ يَعْمُرُهُ ، أَوْ بَيْتِ

ذَا كَرَفَى أَثْنَانَهَا مُحْضَرًا قَلْبَهُ قَاصِرًا كَسْبُهُ عَلَى الْحَاجَةِ إِلَّا لِلصَّدَقَةِ فَقِيلَ هُوَ أَحَبُّ مِنَ الذِّكْرِ لِأَنَّهُ مُتَعَدٍّ وَقِيلَ الذِّكْرُ وَالْأَوَّلَى النَّظْرُ إِلَى صَلَاحِ الْقَلْبِ وَيُدِيمُ الْوَرْدَ فُورَدَ «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» بَلْ يَزِيدُ فُورَدَ «لَا بُورُكَ لِي فِي يَوْمٍ لَا أَزْدَادُ فِيهِ خَيْرًا» وَيَجْمَعُ بَيْنَ الصَّوْمِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِيَادَةِ وَالتَّشْيِيعِ فُورَدَ مِنْ جَمْعِهَا فِي يَوْمٍ غُفِرَ لَهُ أَوْ ادْخَلَ الْجَنَّةَ *

يُسْتَرَى أَوْ كَسِبَ لَا يَدْمَنُ فِيحْضَرُهُ (ذَا كَرَفَى أَثْنَانَهَا) لقوله تعالى : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) الآية (محضرا قلبه) مراعيًا ربه (قاصرا كسبه على الحاجة) أي قدر الضرورة له في أمر المعيشة من النفقة (الاع) أي لكنه يجوز له الزيادة (للاصدقة) أي لاجل أن يتصدق على ذي الحاجة (ف قيل هو) أي الكسب للتصدق (أحب من الذكر لأنه) أي نفقة التصدق (متعد) للغير، والذكر قاصر ثوابه على الذكر (وقيل الذكر) هو الأفضل من التصدق وهذا هو الظاهر فقد ورد «لو أن رجلا يقسم دراهم وآخر يذكر لكان الذي كره الله أفضل» ولقول عيسى عليه السلام «يا طالب الدنيا لئبره تركك الدنيا أبره» وقد اتفق المشايخ على أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر (والأولى النظر إلى صلاح القلب) أي والهام الرب فقد يصلح للواحد الكسب للتصدق فيكون أولى في حقه من الذكر وقد يصلح الذكر للآخر فيكون أولى من الكسب للتصدق، ويشير إليه قوله تعالى : (إن ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر أنه كان لعباده خيرا بصيرا) وحديث «إن من عبادة من لا يصلحه إلا الغنى ولو افقرته لفسد حاله وإن من عبادة من لا يصلحه إلا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله» ومن هنا قال عمر: الفقر والغنى مطيتان لأبالي أيهما أركب لكن الفقر أسلم والله أعلم (ويديم الورد فوردا أحب الأعمال أدومها وإن قل) متفق عليه من حديث عائشة (بل يزيد) أي المريد في الورد أن كان من أهل المزيد كنية أو كيفية (فوردا لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا) أي علما وعلما والحديث كذا في الإحياء وقال العراقي: ورد «علما بدل خيرا» قلت وأصل الحديث على ما في الجامع الصغير وإذا أتى على يوم لا ازداد فيه علما يقرني إلى الله تعالى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم، الطبراني في الأوسط. وابن عدي. وأبو نعيم في الحلية عن عائشة (ويجمع) في يوم واحد (بين الصوم والصدقة والعيادة والتشييع فوردا من جمعها في يوم غفر له أو ادخل الجنة)

أَمَّا فِي اللَّيْلِ فَالْأَحْوَطُ أَنْ يُؤْتَرَ قَبْلَ النَّوْمِ فَيَحْتَمِلُ أَنْ لَا يَسْتَيْقِظَ أَوْ يَكْرَهُ
الْقِيَامَ وَلَوْ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ لَذَهَبَ بِهِ، وَفِيهِ قَصْرُ الْأَمَلِ، وَالْأَقْوَى أَنْ يُؤْخَرَ الْوُتْرُ
لِمَنْ يَأْلَفُ الْقِيَامَ وَيَقْرَأُ يَسَّ وَسُجْدَةً وَلَقَامَانَ وَالدُّخَانَ وَالْمَلِكَ

شك من الراوى قال العراقي : حديث « من جمع بين صوم وصدقة وعبادة مريض
وشهود جنازة غفر له » وفي رواية « دخل الجنة » مسلم من حديث أبي هريرة
« ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة » انتهى ، وفي الجامع الكبير للسيوطي عن أنس قال :
قال رسول الله ﷺ : « ذات يوم من أصبح اليوم منكم صائما قال أبو بكر انما قال : من
عاد منكم اليوم مريضا قال أبو بكر انما قال من شيع اليوم منكم جنازة قال أبو بكر انما قال وجبت
لك الجنة ، رواه البخاري وليس فيه ذكر الصدقة ولعله في رواية أخرى اوسقط من
الكتاب ، وفي الجامع الصغير « من أصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا وشهد جنازة
وتصدق بصدقة فقد أوجب » البيهقي عن أبي هريرة وفي رواية له ولا بن عدي والبخاري
في تاريخه عن جابر « من أصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا واطعم مسكينا وشيع
جنازة لم يتبعه ذنب أربعين سنة » (اما في الليل) أى في ورده (فالأحوط أن يؤتر)
أى يصلى الوتر (قبل النوم فيحتمل أن لا يستيقظ) اذ النوم أخو الموت (أو) يستيقظ
(ويكره القيام) لاستئصال المنام فيتركه (ولو أدركه الموت لذهب به) أى بالوتر
فيكون آثما في القوت (وفيه) أى في تقديم العمل (قصر الأمل) وفي التأخير آفات
لاحتمال قرب الاجل قال أبو هريرة : « أو صائى خليلي أن أوتر قبل أن انام » متفق عليه
(والأقوى) أى الأفضل والأولى (أن يؤخر الوتر لمن يألف) أى يعتاد ويشق
(القيام) بعد المنام وقد قالت عائشة « أوتر عليه السلام أول الليل وأوسطه وآخره
وانتهى في وتره الى السحر » متفق عليه (ويقرأ يس) في كل ليلة والأفضل في التهجد ،
فلا بن حبان من حديث جندب « من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له » ، ولا بن منصور
الغزنوي من حديث علي « يا علي أكثر من قراءة يس » الحديث (وسجدة) الأولى والسجدة
فلترمذى من حديث جابر « كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة . وتبارك الذى
بيده الملك » (ولقمان) لم أجده وكذا فى الاحياء لم يذكره (والدخان) فلترمذى
من حديث أبي هريرة « من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك »
(والملك) وقد سبق ، ولا بن الشيخ فى الثواب من حديث عائشة « من قرأ في ليلة الم

وَالزُّمَرِ وَالْوَاقِعَةِ وَالْمَسْبُحَاتِ السُّتِّ، وَيَنَامُ عِنْدَ الْغَلَبَةِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ، وَوَرَدَ
(كَأَنُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) وَلَا يُصَلِّي بَعْدَهَا فُورِدَ .

تنزيل . ويس . وتبارك الذي بيده الملك . واقتربت كن له نورا، الحديث ((والزمر))
فللترمذى من حديث عائشة «كان لا ينام حتى يقرأ بنى اسرائيل والزمر» وقال: حسن
غريب ((والواقعة)) فللحارث بن أبى أسامة من حديث ابن مسعود «من قرأ سورة
الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا» ((والمسبحات الست)) أى السور المصدرة بالتسبيح
وهي الحديد . والحشر . والصف . والجمعة . والتغابن . والأعلى ، فللترمذى وقال
حسن . وأبى داود . والنسائى فى الكبرى من حديث غريز بن سارية «كان يقرأ
المسبحات في كل ليلة ويقول فيهن انها أفضل من ألف آية» ((وينام)) أى بعد القيام
(عند الغلبة) أى غلبة النوم ((فهو المأثور)) فقد روى أبو داود والنسائى من
حديث عائشة «ما من امرئ تكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم الا كتب له أجر
صلاته وكان نومه صدقة عليه ، وفرواية النسائى . وابن ماجه من حديث أبى الدرداء
بسند صحيح «من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح
كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله ، (ورود كانوا قليلا من الليل) أى
من زمانه ((ما يهجعون)) أى الذى يرقدون فيه أو كانوا ما يرقدون قليلا من الليل
فاخر مراعاة للفواصل أو كانوا قليلا من عبادنا ما يرقدون من الليل أى بعضه أو كله ،
وقيل : ما زائدة ويهجعون خبر كان وقليلا ظرف أى ينامون فى زمن سير من الليل
ويقومون أكثره ، والآيات والخبار والآثار فى احياء الليل كثيرة شهيرة منها سورة
المزمل وقوله تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الآيات وفى الحديث «عليكم بقيام
الليل فانه دأب الصالحين قبلكم» الترمذى من حديث بلال . والطبرانى . واليهقى من
حديث أبى امامة بسند حسن ، وعن المغيرة بن شعبة «قام النبى ﷺ حتى اتفتحت قدماه
فقبل له : يا رسول الله قد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر فقال: أفلا أكون
عبدا شكورا ، الترمذى فى الشمائل وأصله فى الصحيحين وذكر عنه رجل نام حتى أصبح
فقال ذاك بال الشيطان فى اذنه ، متفق عليه من حديث ابن مسعود ((ولا يصلى بعدها))
أى بعد غلبة النوم «(فوردا)» حين قيل إن فلانة أصلى من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت

«لِيَصِلَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا تَيْسَرُ فَآذَا غَلَبَهُ النَّوْمُ فَلْيَرْقُدْ» لَا تُكَابِدُوا اللَّيْلَ
وَفِيهِ التَّعَبُ عَلَى مَلَالٍ، وَجَاءَ أَثْمُهُ أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِ، وَتَحْمِلُ مَا لَا يَطَاقُ وَوَرَدَ .
«تَكْلَفُوا مِنَ الدِّينِ مَا تُطِيقُونَ» وَتَبْغِضُ الْعِبَادَةَ إِلَى النَّفْسِ، وَوَرَدَ «لَا تَبْغِضْ
إِلَيْكَ عِبَادَةَ اللَّهِ *

بجمل (ليصل أحدكم من الليل ما تيسر فإذا غلبه النوم فليرقد) هو قد ورد «قيامه عليه
السلام أول الليل إلى أن يغلبه النوم فإذا أتته قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون
له في الليل نومتان» كذا في الاحياء قال العراقي : رواه أبو داود والترمذي وصححه
وابن ماجه من حديث أم سلمة « كان يصلي وينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم
ينام قدر ما صلى حتى يصبح » ، والبخارى من حديث ابن عباس « صلى العشاء ثم جاء فصلى
أربع ركعات ثم نام ثم قام » انتهى وفي الشمايل عن عائشة « كان إذا لم يصل بالليل منعه من
ذلك النوم أو غلبته عيناه صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة » وفي مسلم عنها انه عليه السلام
« كان إذا نام من الليل من وجع أو غيره فلم يقم من الليل صلى اثنتي عشرة ركعة ، أى
تدار كما لما فاتته من التهجيد بقوله تعالى : (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن
أراد أن يذكر أو أراد شكورا) وفي صحيح مسلم عن عمر رضى الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : « من نام عن حظه من الليل أو عجز شئ منه فقرأ ما بين صلاة الفجر
وصلاة الظهر كان كمن قرأ من الليل » (لا تكابدوا الليل) أى لا تغالبوه فورد « ان
الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة
والروحة وشئ من الدلجة ، البخارى والنسائى عن أبي هريرة « عليكم هديا قاصدا عليكم هديا
قاصدا عليكم هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه ، أحمد . والحاكم . والبيهقى » (وفيه)
أى فى التهجيد بعد غلبة النوم (التبع على ملال وجاء) أى فى ذمه (أثم أكبر من نفعه)
اذر بما يجرى على لسانه موجب ذمه وأثمه (وتحمل ما لا يطلق) أى وفيه تكليف
ما لا يستطيع وقد قال تعالى : (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) (ولا يكلف الله نفسا الا
وسعها) (وورد تكلفوا من الدين) أى الأعمال (ما تطيقون) فمن عمران
ابن حصين « عليكم من الأعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا » الطبرانى (وتبغض
العبادة) أى وفيه ابغاضها (الى النفس) وفى نسخة بالنون والصاد المهملة أى
تمريرها اليها فى شدة تكريرها (وورد لا تبغض) بالوجهين (اليك عبادة الله)

وَيَجْتَهِدُ فِي الْقِيَامِ فُورَدُ (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) «صَلَّ مِنَ اللَّيْلِ وَلَوْ قَدَرُ حَلَبِ شَاةٍ» فَالْأَوَّلَى أَنْ يَقُومَ كُلَّ اللَّيْلِ وَهُوَ لِمَنْ تَجَرَّدَ لَهُ وَقْوَى يَقِينُهُ
فَيَتَلَذَّذُ بِهِ وَيَتَغَذَّى

لم أجده مبنى ويوافقه ما سبق معنى (و يجتهد في القيام) أى بعد المنام (فورد) في نعت عباد الرحمن (والذين يبتغون لربهم سجدا وقياما) صل من الليل ولو قدر حلب شاة (رواه أبو يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعا نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة، ولأبي الوليد بن المغيث من رواية إياس بن معاوية مرسلًا لا بد من صلاة الليل ولو حلبه ناقة أو حلبه شاة) فالأولى أن يقوم كل الليل (أى أن قدر عليه وفيه أنه بظاهره خلاف الكتاب والسنة ومناف لما تقتضيه الحكمة في القرآن : (قم الليل الا قليلا) (ومن الليل فتهجد) وفي السنة أنى أنام وأقوم وأفطرو أصوم ولم يحفظ عنه عليه السلام أنه سهر ليلة كاملة في جميع الايام واما الحكمة فقد جعل الله النوم سبانا أى راحة للابدان ومن فيه على الانسان حيث قال : (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (وهو) أى احياء الليل كله (لمن تجرد له) أى لقيامه ومنع النفس عن منامه أو جعل المنام في نهاره بدلا عن قيامه في مرامه (وقوى يقينه) أى وصلب دينه (فيتلذذ به ويتغذى) أى روحه بسببه فهوون عليه شدة امره ويحول عليه مرارة صبره ومن الاسباب المعينة على سهره خوف يغلب على قلبه مع قصر أمله يحثه على تكثير عمله أو رجاء يحمله على تكلفه وتحمله كما قال طاوس : ان ذكر جهنم طير نوم العابدين ويقال له ان ذكر الجنة طير نوم الراقيدين، وكما قال بعضهم اذا ذكرت النار اشتد خوفى واذا ذكرت الجنة اشتد شوقى ، ولذى النون المصرى :

منع القرآن بوعده ووعيده * مقل العيون بليها ان تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه * فرقا بهم ذلت اليه تخضعا

ومن أشرف البواعث الحب لله فإنه في قيامه لا يتكلم في حرف من كلامه الا وهو مناج به حضرة ربه وهو مطلم عليه مع مشاهدة ما خطر بقلبه فاذا كمل في محبة ربه احب لامحالة الخلوة به وتلذذ له المناجاة بسببه فتحمله تلك اللذة على طول القيام ودفع المنام، وقال بعض الاعلام : ليس في الدنيا وقت يشبه نعم أهل الجنة الا ما يجده أهل

وَهُوَ مُحْكِي عَنْ أَرْبَعِينَ مِنْهُمْ، ثُمَّ النَّصْفُ وَوَاطِبَ عَلَيْهِ مِنْ لَا يَحْصَى، ثُمَّ الثَّلَاثُ
ثُمَّ السِّدْسُ، وَالْأَحْبَابُ أَنْ يَجْعَلَ فِي الْجَوْفِ فُورِدَ رَكْعَتَانِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَيْرٌ
مِنَ الدُّنْيَا وَمَافِيهَا لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ

التَّمَلُّقُ فِي قُلُوبِهِم بِاللَّيْلِ مِنْ حَلَاوَةِ الْمَنَاجَاةِ، وَقَالَ آخِرُ لَذَّةِ الْمَنَاجَاةِ لَيْسَتْ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا
هِيَ مِنَ الْجَنَّةِ أَظْهَرُهَا اللَّهُ لَاوِيَّاتُهُ لَا يَجِدُهَا سِوَاهُمْ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ بَكَّارٍ : مِنْذَرُ أَرْبَعِينَ سَنَةً
مَا أَحْزَنْتَنِي شَيْءٌ سِوَى طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَقَالَ الْفَضِيلُ : إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَرَحْتُ بِالظَّلَامِ
لِخُلُوقِي بِرَبِّي وَإِذَا طَلَعَتْ حَزَنْتُ لِدُخُولِ النَّاسِ عَلَيَّ، وَقَالَ أَبُو سَلَمَانَ : أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمْ
أَلَذُّ مِنَ أَهْلِ اللَّهْوِ فِي لَهْوِهِمْ وَلَوْلَا اللَّيْلُ مَا أَحْبَبْتُ الْبَقَاءَ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ طَرِيقَ
جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ كَانُوا يَصَلُّونَ الصُّبْحَ بِوَضُوءِ الْمَشَاءِ وَمِنْهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ إِمَامُ الْفُقَهَاءِ
(وَهُوَ) أَيُّ قِيَامِ اللَّيْلِ كُلِّهِ (مُحْكِي عَنْ أَرْبَعِينَ مِنْهُمْ) أَيُّ مِنَ التَّابِعِينَ قَالَ أَبُو طَالِبٍ
الْمَكِّي : إِنْ ذَلِكَ حَكِيَ عَلَى سَبِيلِ التَّوَاتُرِ وَالِاشْتِهَارِ عَنْ أَرْبَعِينَ مِنَ التَّابِعِينَ وَكَانَ
فِيهِمْ مَنْ وَاطِبَ عَلَيْهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ . وَفَضِيلُ . وَطَاوُسُ . وَوَهْبُ
ابْنِ مِنْه . وَالرَّبِيعُ بْنُ خَيْثَمٍ . وَأَبُو سَلَمَانَ الدَّارَاقُطِيُّ . وَالْخَوَاصُّ . وَمَالِكُ بْنُ دِينَارٍ . وَسَلِمَانُ
الْبَيْهَقِيُّ . وَيزِيدُ الرَّقَاشِيُّ . وَيَحْيَى الْبُكَّاءُ . وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدَرِ . وَكُهِمْسُ بْنُ الْمُنْهَالِ وَكَانَ يَحْتَمِ
الْقُرْآنَ فِي الشَّهْرِ تَسْعِينَ خْتَمَةً وَمَا لَمْ يَفْهَمْهُ رَجَمَ، وَهَذَا كَادَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَبِيلِ خَرَقِ
الْعَادَةِ مِنْ طَيِّبِ اللِّسَانِ أَوْ بَسْطِ الزَّمَانِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ (ثُمَّ النَّصْفُ) أَيُّ يَقُومُ
نِصْفَ اللَّيْلِ (وَوَاطِبَ عَلَيْهِ) أَيُّ قِيَامِ النَّصْفِ (مِنْ لَا يَحْصَى) مِنَ السَّلَفِ (ثُمَّ الثَّلَاثُ
ثُمَّ السِّدْسُ) فَعَنْ عَائِشَةَ ؓ كَانَ يَقُومُ إِذَا سَمِعَ الصَّارِخَ، يَعْنِي الدِّيَكَ وَهَذَا يَكُونُ السِّدْسُ
فَمَا دُونَهُ وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَفِي الْجُمْلَةِ رَبَّمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُومُ نِصْفَ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَهُ
أَوْ سُدُسَهُ فَقَيُّ الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
حَتَّى اتَّصَفَ اللَّيْلَ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ اسْتَيْقِظَ، الْحَدِيثُ وَهُوَ الْمَطَابِقُ لِقَوْلِهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : (قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ أَنْقِصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) وَالْمُوافِقُ لِقَوْلِهِ
تَعَالَى : (إِنْ رَبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلَاثِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ) فَمَا ثَبَتَ أَنَّهُ قَامَ الثَّلَاثِينَ،
وَلَا نِيَّ دَاوُدَ ؑ نَامَ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُهُ اسْتَيْقِظَ، الْحَدِيثُ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْ حَدِيثِ
عَائِشَةَ ؓ فَيَسْبِقُهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، (وَالْأَحْبَابُ أَنْ يَجْعَلَ) أَيُّ سَهْرِهِ (فِي الْجَوْفِ)
أَيُّ أَوْسَاطِ اللَّيْلِ (فُورِدَ رَكْعَتَانِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَافِيهَا لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ

عَلَى أُمِّي لَفَرَضْتُهُمَا ثُمَّ رَكَعَتَانِ أَوْ أَرْبَعَ ثُمَّ أَحْيَاءُ مَا بَيْنَ الْعِشَاءِ وَالْقِيَامِ
 قَبْلَ الصُّبْحِ، وَرَوَى الْمَنَامُ كُلَّمَا غَلَبَ وَالْقِيَامُ كُلَّمَا اسْتَيْقَظَ وَهُوَ أَفْضَلُ لِأَنَّهُ أَشَقُّ
 وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُكْثِرَ الْأَكْلَ فَهُوَ سَبَبُ لِكثَرَةِ الشُّرْبِ الْقَائِدِ إِلَى كَثَرَةِ النَّوْمِ

على أمي لفرضتهما (آدم بن أبي إياس في الثواب) ومحمد بن نصر المروزي في كتاب
 قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلًا ووصله أبو منصور الديلمي في مسند
 الفردوس من حديث ابن عمر قال العراقي : ولا يصح قلت : والضعيف يعمل به في
 الفضائل اتفاقاً (ثم) أي بعد السدس (رَكَعَتَانِ أَوْ أَرْبَعَ) وكان الأولى أن
 يقول أربع ركعات أو رَكَعَتَانِ وَلَوْ قَعُودًا فَقَدْ ثَبِتَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « مَا مَاتَ حَتَّى كَانَ
 أَكْثَرُ صَلَاتِهِ مِنَ النَّوَافِلِ جُلُوسًا » (ثم أَحْيَاءُ مَا بَيْنَ الْعِشَاءِ) فقيل نزل : فيه قوله
 تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) وعن محمد بن المنكدر « من صلى ما بين المغرب
 والعشاء قائمًا صلاةً أو ابين » وعن أبي هريرة « من صلى بعد المغرب ستر ركعات لم يتكلم
 فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة » الترمذي وابن ماجه وفي مسند الفردوس
 من حديث ابن عباس « من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدًا رفعت
 له في عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر في المسجد الأقصى » ولعل الجمع بين الروایتين
 أن الأربع يراد به المستحب بعد الدركتين من المؤكدة ، وورد « من ركب عشر ركعات
 ما بين المغرب والعشاء بنى له قصر الجنة » فقال عمر : إذا تكثرت قصورنا يارسول الله
 فقال عليه السلام أكثر « رواه ابن المبارك في الزهد من رواية عبد الكريم بن الحارث
 مرسلًا ، وقال الأسود : ما أتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورايته يصلي فسألته فقال :
 نعم هي صلاة الغفلة وقال أحمد بن أبي الخوارى قلت لابي سليمان الداراني : أصوم
 النهار وأتمشى ما بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالهارواحى ما بينهما ؟ فقال
 اجمع ما بينهما فقلت : لم يفسر فقال : افطر وصل ما بينهما (والقيام قبل الصبح) أي
 ليذكر احياء بعض الليل من أوله وآخره فقد ورد « من صلى العشاء في جماعة فكأنما
 قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله » أحمد ومسلم عن عثمان
 (وروى) أي في الحديث (المنام كلما غلب والقيام كلما استيقظ وهو افضل) مما
 ذكر من التقديرات (لانه اشق) والحديث فيه قد سبق (والمعين عليه) أي على القيام
 تسعة أشياء • (ان لا يكثر الاكل فهو سبب لكثرة الشرب القائد الى كثرة النوم) •

وَلَا يَتَكَلَّفُ فِي أُمُورٍ تَعْنِي الْأَعْضَاءَ وَتُضَعِفُ الْأَعْصَابَ، وَيَقِيلُ وَلَا يَذْنُبُ فَهُوَ سَبَبُ الْحَرَمَانِ، وَيَفْرَغُ الْقَلْبَ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَيُلَازِمُ الْخَوْفَ مِنْهُ تَعَالَى وَمِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ وَيَقْصُرُ الْأَمَلَ وَيَذْكُرُ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِهِ

وقد كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة لزيادة الفائدة في أمر الدين ويقول: يا معشر المريدين لانأكلوا كثيرا فقتربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتحسروا عند الموت كثيرا ﴿ولا يتكلف﴾ بالنهار ﴿في أمور تعني﴾ بالنون من العناء أو بالياء من الاعياء أى تعب ﴿الأعضاء وتضعف الأعصاب﴾ الاجزاء ﴿ويقيل﴾ بفتح أوله من القيلولة فانها من السنن المنقولة، والمراد منها الاستراحة نصف النهار وان لم يكن منها نوم فورد «قلوا فان الشياطين لا تقيل» الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب عن أنس، وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لعظهم ولغومهم وهومهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون ﴿ولا يذنب﴾ أى في النهار ﴿فهو﴾ أى الذنب والعصيان ﴿سبب الحرمان﴾ فينبغي أن يحتنب الاوزار بالنهار حتى يقوم بالليل مع الاررار قال رجل للحسن: يا أبا سعيد انى آيت معافى واحب قيام الليل واعد طهورى فابالى لأقوم؟ قال: ذنوبك قيدتك وقال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب أذنبته قبل وما هو ذلك الذنب؟ قال رأيت رجلا بكى فقلت هذا مرأء، وقال أبو سليمان الداراني لا يفوت أحد صلاة جماعة الا بذنب قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد يجر الى الكثير فكما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة بل هذا هو الاكثر وهذه الأمور المذكورة من الأسباب الظاهرة التى بها تيسر قيام الليل، وأما الأسباب الباطنة فقولہ ﴿ويفرغ القلب من هموم الدنيا﴾ فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا تيسر له القيام بأمر العقبى وان قام في بعض أوقاته فلا يتفكر في صلاته الا في تفاريق مهماته، وفي مثل ذلك يقال: • وانت اذا استيقظت أيضا قائم • بخلاف العالم فان نومه عبادة ويقضته افادة وزيادة وكذا نوم الظالم عبادة ﴿ويلزم الخوف منه تعالى﴾ أى من مناقشة حسابه ﴿ومن أليم عقابه﴾ وحجابه من بابه ﴿ويقصر الامل﴾ بان ينتظر الاجل ليكثر العمل ﴿ويذكر ما ورد في فضله﴾ أى فضيلة القيام من الآيات والاخبار

وَمَا وَعَدَ عَلَيْهِ، وَالْأَصْلُ مَحَبَّتُهُ تَعَالَى وَاسْتِحْكَامُ الْإِيمَانِ لِيَكُونَ مَتَغَذِّيًّا بِهِ
وِيرَاعِي فَوَاضِلَ اللَّيَالِي كَالْأَوْتَارِ مِنَ الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ. وَالسَّابِعَةُ
عَشْرَ مِنْهُ وَالْأُولَى مِنَ الْمُحَرَّمِ وَالْعَاشِرَةُ مِنْهُ وَالْأُولَى مِنْ رَجَبٍ

عنه عليه السلام ﴿ وما وعد عليه ﴾ أى الله سبحانه من القرابة اليه والمثوبة لديه
﴿ والأصل ﴾ أى الذى عليه مدار الاسباب ﴿ محبته تعالى ﴾ والاقبال على المولى
والزهد فى الدنيا والاستعداد للعقبى ﴿ واستحكام الإيمان ﴾ أى بالعرفان والاتقان
﴿ ليكون متغذيا به ﴾ فى جميع الأزمان وكأن للاشباح غذاء وعشاء فكذلك الأرواح
غذاء ودواء فمن أيقن نزول رحمته وحصول مغفرته فى وقت السحر ونحوه لا يفوته
قيام الليل ولا فى سفره فقد روى النسائي عن حميد بن عبد الرحمن أن رجلا من أصحاب
النبي ﷺ قال : قلت وأنا فى سفر مع رسول الله ﷺ والله لأرى قن رسول الله ﷺ
فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر فى الأفق فقال : (ربنا ما خلقت هذا باطلا)
حتى بلغ أنك لا تختلف الميعاد، وفى رواية الى آخر السورة ثم استل من فراشه سواكا
وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام، الحديث وفى رواية « أخذ سواكه من مؤخرة
الرحل » وهذا صريح فى أنه كان فى سفر ﴿ ويراعى فواضل الليالى كالأوتار من العشر
الآواخر من رمضان ﴾ اذ فيها تطلب ليلة القدر كما فى الاخبار الكثيرة والآثار
الشهيرة لاسيما السبع والعشرين فإن عليه أكثر الصحابة والتابعين ﴿ والسابعة عشر
منه ﴾ فعن ابن الزبير أنها ليلة القدر وهى ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم انقضى الجمعان
فيه كانت وقعة بدر ﴿ والأولى من المحرم ﴾ فانه الشهر المكرم ومبدأ العام المفخم
فاسرار البداية تدل على أنوار النهاية ﴿ والعاشرة منه ﴾ أى من المحرم وهى ليلة
عاشوراء ﴿ والأولى من رجب ﴾ وقد كان عليه السلام اذا رأى هلال رجب قال :
اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان وبلغنى أنه شهر الغفران ويقال فيه
سبعين مرة استغفر الله ذا الجلال والاكرام من جميع الذنوب والآثام ، ثم رأيت
الموتوفى قال وقد افاد صاحب ترغيب الطالب فى أشرف المطالب انه رأى بخط الشيخ
الحافظ كمال الدين الدميرى عن ابن عباس مرفوعا « من قال فى شهر رجب وشعبان
استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه توبة عبد ظالم لنفسه لا يملك
لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا سبع مرات أوحى الله تعالى الى الملكين

وَالْخَامِسَةَ عَشْرَ وَالسَّابْعَةَ عَشْرَ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ. وَالْخَامِسَةَ مِنْ شَعْبَانَ وَلَيْلَةَ
عَرَفَةَ وَالْعِيدَيْنِ وَالْأَيَّامِ كَالْعِيدِ وَالتَّشْرِيقِ وَمَا يَجِيءُ

المروكلين ان احرقا صحيفة ذنوبه ويكفيها في ثبوت وروده اعتناء الحافظ الدميري بنقله
بخطه ساكتا عنه ولو كان موضوعا ليقنه فانه امام في هذا الفن واقل مراتبه أن يكون
ضعيفا والضعيف يعمل به في فضائل الاعمال اتفاقا ﴿ والخامسة عشر ﴾ وهي ليلة
الصف منه ﴿ والسابعة عشر والعشرين منه ﴾ وفي الاحياء وليلة سبع وعشرين منه
قال : وهي ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة فورد للامام في هذه الليلة حسنات مائة سنة
فمن صلى اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن
ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله أكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي مائة مرة ويدعو لنفسه
بما شاء من أمر دينه وآخرته ويصبح ضامنا فان الله سبحانه يستجيب دعاءه كله إلا
أن يدعو في معصية قال العراقي : ذكر أبو موسى المديني في كتاب فضائل الليالي والايام
أن أبا محمد الخبازي رواه من طريق الحاكم أبي عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن
أبان عن أنس مرفوعا. ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جدا والحديث منكرو من جعلتها
حديث أبي هريرة « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا
وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد ﷺ » أبو موسى المديني من رواية شربين
حوشب عنه ﴿ والخامسة عشر من شعبان ﴾ وفي الاحياء وأماليلة النصف من شعبان
فيصلي فيها مائة ركعة ويقرأ في كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات وفاتحة الكتاب
كانوا لا يتركونها فقال العراقي : حديث باطل نعم لابن ماجه من حديث علي اذا كانت
ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، وفي الأثر عن عمر أنه كان
يقول في ليلة النصف من شعبان : اللهم ان كنت كتبتني من السعداء فاقبطني وان
كنت كتبتني من الاشقياء فامح واكتبني في السعداء فانك تمحو ما تشاء وثبت وعندهك
أم الكتاب ﴿ وليلة عرفة ﴾ لم أجده أصلا ﴿ والعيدين ﴾ أي وليتي العيدين
فقد روي « من أحيا ليلتي العيدين لم يموت قلبه يوم تموت القلوب » ابن ماجه باسناد
ضعيف من حديث أبي امامة ﴿ والايام ﴾ أي ويراعي فضائل الايام ﴿ كالعيد ﴾
أي يومي العيدين ﴿ والتشريق ﴾ أي ايامها ولو لم يكن في مني ﴿ وما يجيء ﴾ أي

ان شاء الله تعالى، والأفضل يوم الجمعة وليلته فلا يعطل عصر الخميس فهو
متبرك، ويستعد لصلاة الجمعة بغسل الثياب والأغتسال

في آخر الباب الثالث من الصوم ﴿ان شاء الله تعالى والأفضل يوم الجمعة وليلته﴾
وهو سيد الايام عند الملائكة كما ورد ويوم المزيد في الآخرة لزيادة حصول اللقاء
فيه لأهل الولاء، وورد «غير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة» مسلم عن أبي هريرة
«أن الله تعالى في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار» ابن عدي. وابن حبان في الضعفاء
والبيهقي في الشعب من حديث أنس، وقيل يوم عرفة أفضل، وقيل يوم الجمعة أفضل
أيام الاسبوع ويوم عرفة أفضل أيام السنة، وقد ورد «من مات يوم الجمعة أو ليلة
الجمعة كتب له أجر شهيد ووفي فنة القبر» أبو نعيم في الحلية من حديث جابر،
وللترمذي نحوه من حديث عبد الله بن عمرو. والحكيم في النوادر، وعن عائشة
مرفوعا «إذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة» ابن
حبان في الضعفاء وأبو نعيم وهو ضعيف ﴿فلا يعطل﴾ أي من الطاعة ﴿عصر الخميس
فهو متبرك﴾ أي بقربه ليلة الجمعة وكذا أوله متبرك فلا ين ماجه عن أبي هريرة والطبراني
في الاوسط عن عائشة مرفوعا «اللهم بارك لأمي في بكورها «يوم الخميس» وفي رواية
قال عليه السلام: «اغدوا في طلب العلم فاني سألت ربي ان يبارك لأمي في بكورها يوم
الخميس» واما ما اشتر في هذا «اللهم بارك لأمي في سببها وخيسها» فباطل لا اصل له
﴿ويستعد لصلاة الجمعة بغسل الثياب﴾ أي في أول النهار أو في يوم الخميس وهو الأولى
ليقدر على التكبير الاعلى ﴿والأغتسال﴾ وهو سنة مؤكدة للصلاة على الاصح ويشهد
له ماورد من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا، ابن حبان والبيهقي من
حديث ابن عمر، وقيل بوجوبه وهو ظاهر حديث «غسل الجمعة واجب على كل محتلم»،
متفق عليه من حديث أبي سعيد، وعن نافع عن ابن عمر «من أتى الجمعة فليغتسل»،
الشيخان. وابن حبان وقد قال عمر لعثمان لما دخل يخطب ما هذه الساعة؟ منكر اعليه ترك
البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضأت وخرجت فقال: والوضوء
وقد علمت ان رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل «متفق عليه من حديث أبي هريرة
وقد علم جواز ترك الغسل بماورد من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فالغسل
أفضل» أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث سمرة «وكان عليه السلام

وَالطَّبِيبُ. وَتَقْرِغِ الْقَلْبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ، وَمَنْ ثُمَّ جَاءَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ
وَيَقْلُمَ الْأَظْفَارَ،

ربما اغتسل يوم الجمعة وبما ترك أحيانا الطبراني عن ابن عباس، وورد «رحم الله من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر» أصحاب السنن وحسنه الترمذي وابن حبان. والحاكم وصححه من حديث أوس بن أوس (والتطيب) أى استعمال الطيب المناسب له فورد «طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه» أبو داود. والترمذي وحسنه. والنسائي من حديث أبي هريرة، وقال الشافعي رحمه الله: من نظف ثوبه قل مهموم من طاب ريحه زاد عقله، وورد «حقا على المسلمين أن يغتسلوا يوم الجمعة وليس أحدهم من طيب أهله فإن لم يجد فالماء له طيب» الترمذي عن البراء (وتقريغ القلب عن الشواغل) كاشير إليه قوله تعالى: (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) وفي معناه كل شاغل عنها ظاهرا وباطنا (ومن ثم جاء) أى من أجل تقريغ القلب ورد (أن يأتي أهله) أى يجامع قاصدا الجمعة امرأته أو أمته وحمل عليه رواية غسل بالتشديد أى حمل أهله على الغسل وقال العراقي: ومن اغتسل غسل الجنابة فليفض الماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة فإن اكتفى بغسل واحد جزأه وحصل له الفضل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في الجنابة انتهى، ولا يخفى أن تكرار الغسل من غير فصل بعبادة يعد من الاسراف فالأولى أن يغتسل واحدا وينويهما، وفي الأحياء ومن اغتسل ثم أحدث توشأ ولم يطل غسله والأحب أن يحتز عن ذلك انتهى، ولا يخفى أن هذا محمول على أن الغسل لليوم لا للصلاة (ويقلم الأظفار) أى في أول يوم الجمعة فعن ابن مسعود «من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء» وعن أبي هريرة أنه عليه السلام «كان يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يروح إلى الصلاة، اليهقي في الشعب وله أيضا من مرسل أبي جعفر الباقر قال «كان رسول الله ﷺ يستحب أن يأخذ من أظفاره وشاربه يوم الجمعة أو يوم الخميس إذا أراد التكبير» وسئل أحد عنه؟ فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس وعنه يتخير قال المسقلاني: وهذا هو المعتمد أنه يستحب كيفما احتاج إليه وورده قصوا أظافركم فإن الشيطان يجري ما بين اللحم والظفر، الخطيب في الجامع بأسناد ضعيف من حديث جابر، وقد جاء الأمر بتنظيف ما تحت الأظفار في

وَيَتَعَمَّمُ وَلَا يَرْكَبُ وَيُيَالِغُ فِي التَّبَكُّيرِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ

رواية الطبراني من حديث وابصة بن معبد « سألت النبي ﷺ عن كل شيء حتى سألت عن الوسخ الذي يكون في الأظفار فقال: دع ما يريك إلى ما لا يريك ، وسنده ضعيف وورد أنه عليه السلام « استبطأ الوحي فقبل له : يا رسول الله لقد أبطأ عنك جبريل فقال : ولم لا يبطئ عني وأتم لا تستنون ولا تقلبون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم ولا تغسلون رءوسكم ، أحمد من حديث ابن عباس « والرواجب رؤوس الأنامل وماتحت الأظفار من الوسخ ، والبراجم معاطف ظهور الأنامل ، قال الغزالي : ولم أر في الكتب خبراً مروياً في ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت أنه روى عنه عليه السلام أنه بدأ بالمسحاة اليمنى وختم بابهامه اليمنى وأبدأ باليسرى بالخنصر إلى الإبهام وتعبه العراقي : بقوله لم أجده أصلاً وقد أنكره أبو عبد الله المازني في الرد على الغزالي وشنع عليه به قلت : لا تشنع عليه حيث أنه يبنى على ما ثبت لديه مع أنه نفي رؤية رواية خبر مسند إليه ، والحاصل أن التقليم من باب التنظيف فهو وغيره من قص شاربه وتنف الأباط وحلق العانة يقدم على الغسل (ويتعمم) فمن أي الدرداء « أن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمام يوم الجمعة ، الطبراني . وابن عدي ، وعن ابن عمر مرفوعاً « صلاة بعمامة تعدل بخمس وعشرين وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة » وعن أنس مرفوعاً « الصلاة في العمامة بعشرة آلاف حسنة ، الديلمي ، وحكم بعض الحفاظ بضعفه بل بوضعه لكن في الجامع الصغير للسيوطي وقد التزم فيه أن لا يورده موضوعاً عن ابن عمر برواية ابن عساكر « صلاة تطوع أو فريضة بعمامة تعدل خمساً وعشرين صلاة بلا عمامة وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بلا عمامة ، (ولا يركب) لأنه أقرب إلى حسن الأدب والتواضع مع الرب ولظاهر قوله تعالى : (فاسعوا إلى ذكر الله) ولأنه أشق والأجر على قدر المشقة والقياس على طريق الحج والعمرة (وييالغ في التبكير) ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وقيل بالاستواء (فهو المأثور) أي صح فضل البكور فقد ورد « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فأنما جاء لحق الصلاة

ليس له من الفضل شيء ، متفق عليه من حديث أبي هريرة إلا أن قوله : « ورفعت الاقلام » عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وذكر ابن مردويه في التفسير من حديث علي باسناد ضعيف ، إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواءه بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة إلى المساجد التي تجتمع فيها يوم الجمعة وأقلاما من ذهب وصحفا من فضة يكتبون الأول فالأول على مراتبهم » وورد « أن الملائكة يفتقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي أخره عن وقته فيقولون : اللهم إن كان أخره قفر أغنه وإن كان أخره مرض فاشفه وإن كان أخره شغل فافرغه لعبادتك وإن كان أخره هوا فاقبل بقلبه إلى طاعتك » البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند حسن ؛ ومن فوائد البكور عدم تخطي رقاب أهل الحضور فقد ورد « من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم » الترمذي . وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس ، وروى ابن جريج مراسلا « أن النبي ﷺ بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم لمجلس فلما قضى النبي ﷺ عارض الرجل حتى لقيه فقال : يا فلان ما منعك أن تجمع معنا اليوم ؟ فقال : يا نبي الله قد جمعت قال أو لم أرك تخطى رقاب الناس ، ابن المبارك في الرقائق ، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى أحبط عمله وقص أمه ، وفي حديث مسنده أنه قال « ما منعك أن تصلي معنا ؟ قال : أو لم ترى ؟ قال : رأيتك أتيت وآذيت » أي تأخرت عن البكور وآذيت الحضور والحديث رواه أبو داود . والنسائي . وابن حبان . والحاكم من حديث عبد الله بن بسر مختصرا ، وقيل لبشر بن الحارث نراك تبرأ وتصل في آخر الصفوف فقال : إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد فأشار به إلى أن ذلك أسلم لقلبه وقيل لسفيان الثوري : ليس في الخبر أن فاستمع فقال : ويحك ذلك للخلفاء الراشدين فاما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر إليهم كان أقرب إلى الله تعالى ، وروى عن علي وعثمان رضي الله عنهما « من استمع وانصت فله أجران ومن لم يستمع وانصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزر ومن لم يستمع ولغا فعليه وزران » وورد حديث أبي هريرة « إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت » متفق عليه ولأبي داود من حديث علي « من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له » ، ولاحمد من حديث ابن عباس « والذي يقول له أنصت ليس له جمعة » وحديث أبي ذر « لما سأل أبا والنبي ﷺ يخطب وقال : متى أنزلت هذه السورة فإوما إليه ان أسكت فلما نزل النبي ﷺ قال له أبي : اذهب فلا جمعة لك فشكاه

وَيُصَلِّي قَبْلَ الْجُلُوسِ فِي الْجَامِعِ أَرْبَعًا بِالْإِخْلَاصِ خَمْسِينَ مَرَّةً فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فِي الْكُلِّ فَضَائِلُ

أبوذر الى النبي عليه السلام فقال : صدق أبي واطع آيها البيهقي وقال في المعرفة اسناده صحيح ، ولابن ماجه من حديث جابر « ان السائل له أبو الدرداء وأبوذر » ولاحمد من حديث أبي الدرداء « انه سألايا ، ولابن حبان من حديث جابر « ان السائل عبد الله ابن مسعود » ولأبي يعلى من حديث جابر « قال قال سعد بن أبي وقاص لرجل : لا جمعة لك فقال له النبي ﷺ لم ياسعد؟ قال لانه كان يتكلم وأنت تخطب فقال: صدق سعد » (ويصلي قبل الجلوس في الجامع أربعا بالاخلاص) أى منضمة بقراءة الاخلاص (خمسين مرة) بعد الفاتحة (في كل ركعة) فقد نقل عن رسول الله ﷺ « ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له » كذا في الاحياء ، وقال العراقي : حديث « من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائة مرة ، الحديث رواه الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمرو قال : غريب جدا وفي نسخة بعد الحديث الدارقطني في غرائب مالك وقال : لا يصح (في الكل) أى في جميع ما سبق من الغسل الى هنا (فضائل) لارباب الشمايل ، واذا فرغ من الجمعة قرأ الفاتحة سبع مرات قبل أن يتكلم وقل هو الله أحد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا ، وروى عن بعض السلف « ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدى يا معيد يا رحيم يا ودود اغني بحلالك عن حرامك وفضلك عن سواك » كذا في الاحياء وسكت عنه العراقي وقد رأيت الحديث في الجامع الصغير مسندا الى ابن السني عن عائشة بلفظ « من قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبع مرات أعاده الله بها من السوء الى الجمعة الاخرى ، فقال : من داوم هذا الدعاء أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما « انه كان عليه السلام يصلي بعد الجمعة ركعتين ، متفق عليه ، وروى أبو هريرة « اربعا » رواه مسلم وروى علي وعبد الله « ستا » البيهقي موقوفا على علي وله موقوفا على ابن مسعود « اربعا » ، ولابن داود من حديث ابن عمر « قال اذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا » والكل صحيح في أحوال مختلفة والاكثر افضل

وَيَسْتَغْلِبُ بَعْدَ الْإِقَامَةِ صَلَاةَ جَنَازَةٍ أَوْ تَعْلَمُ أَوْ زِيَارَةَ أَخٍ فِيهِ تَعَالَى، فِيهَا فُسْرٌ مَا وَرَدَ (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) لَا بِاسْتِمَاعِ الْقَصَصِ فَهُوَ بَدْعٌ فَكَانُوا يُخْرِجُونَ الْقُصَاصَ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَيَر_اقِبُ السَّاعَةَ الْمَرْجُوءَةَ الْمَوْعُودَةَ فِيهَا بِالْإِجَابَةِ وَاخْتَلَفَ فِيهَا عَلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ وَالزَّوَالِ وَصُعودِ الْإِمَامِ وَالْقِيَامِ لِلصَّلَاةِ وَنَتَهَى الْاسْتِحْبَابُ فِي الْعَصْرِ وَالْغُرُوبِ

(وَيَسْتَغْلِبُ بَعْدَ الْإِقَامَةِ) أى بعد فراغ إقامة صلاة الجمعة (صلاة جنازة أو تعلم) لعلوم شرعية (أو زيارة أخ فيه) أى في حبه (تعالى) شأنه (فيها) أى بمثلها (فسر) ما وردوا وابتغوا من فضل الله (قد قال أنس في قوله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) أما أنه ليس ابتغاء المعاش لطلب الدنيا لكن عيادة مريض أو شهود جنازة أو تعلم علم أو زيارة أخ في الله (لا باستماع القصص) أى من الأخبار التي بينت في التواريخ (فهو بدعة فكانوا) أى الصحابة (يخرجون القصاص من المسجد) فقد حضر ابن عمر في المسجد إلى مجلسه فإذا قاص يقص في موضعه فقال له قم عن مجلسي فقال: لا أقوم فقد جلست وسبقتك فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه من مجلسه ولو كان ذلك من السنة لم يستحل إقامته فقد قال عليه السلام كما في الصحيحين: «لا يقيم من أخاه أحدكم من مجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا» وكان ابن عمر إذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه يعود إليه، وروى «أن قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة فأرسلت إلى ابن عمر أن هذا قد آذانا بقصصه وشغلني عن سبحتى فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده» (ويراقب الساعة المرجوة الموعود فيها) أى في تلك الساعة (بالإجابة) أى غالباً في الخبر المشهور «أن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئاً إلا أعطاه إياه» الترمذي وحسنه. وابن ماجه من حديث عمرو بن عوف المزني وفي خبر آخره لا يصادفها عبد يصلي، متفق عليه من حديث أبي هريرة (واختلف فيها) أى في تعيين تلك الساعة (على طلوع الشمس) أى على أقوال قبل عند طلوع الشمس (والزوال) أى عنده أو بعده، وقبل بعد الأذان الأول (وصعود الإمام) أى على المنبر وقعوده (والقيام للصلاة) أى صلاة الجمعة كما بينا دللتها في شرح الحصن (ومتتهى الاستحباب في العصر) أى أوله أو آخره (والغروب) أى وقته فقيل: هي آخر ساعة

وَرَوَى فِيهِ رَعَايَةَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَرَوَاتُهَا تُؤَيِّدُ مَا رَوَى لَا يُوَافِقُهَا عَبْدُ
يُصَلِّي إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ وَالْمِهْمَةُ كَلِيلَةُ الْقَدْرِ فَيَسْتَفِرُّ الْيَوْمَ لِرَعَايَتِهِ، وَهُوَ أَصَوَّبُ

من يوم الجمعة وقبل ما بين العصر الى الغروب (وروى فيه) أى فى حين الغروب
أوفىما ذكر من ما بين العصر والغروب والاول انسب لقوله (رعاية فاطمة رضى الله
عنها) وكانت ترويه عن أبيها عليه السلام ، وكانت توكل الخادم لتفقد هذا الوقت
لتقوم فى طلب المرام، وفى رواية « تأمر خادما ان ينظر الى الشمس فاذا تدلى جناحا
الاسفل يؤذنها بسقوطها فأخذ فاطمة رضى الله عنها فى الدعاء والاستغفار الى
غروبها » قال العراقى : حديث فاطمة « فى ساعة الجمعة » رواه الدارقطنى فى العلل واليهيقي
فى الشعب وعليه الاختلاف (وروايتها) أى رواية رعايتها (تؤيد ما روى
لا يوافقها) أى الساعة، وفى رواية « لا يصادفها » (عبد) أى مسلم (يصلى) أى
يدعو بقرينة قوله (الا استجيب له) وقد قال كعب الأحبار : « انها فى آخر ساعة
فى يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة : كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت
رسول الله ﷺ يقول : لا يوافقها عبد يصلى ولا تحين صلاة قال كعب : ألم يقل
رسول الله ﷺ : من قعد منتظرا للصلاة فهو فى الصلاة ؟ قال بلى قال فذلك صلاة فسكت
أبو هريرة ، وكان كعب يقول الا ان هذه رحمة من الله تعالى للقائمين بحق اليوم
وان ارسلها بعد الفراغ من اتمام العمل كذا فى الاحياء وتعقبه العراقى بان كعبا هو
القائل ليس كذلك وانما هو عبد الله بن سلام واما كعب فانما قال انها فى كل سنة مرة
ثم رجع ، والحديث رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان من حديث أبى هريرة
ولابن ماجه نحوه من حديث عبد الله بن سلام انتهى وروى اليهقى فى الشعب عن فاطمة
مرفوعا « ان فى الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا أعطاه اياه اذا
تدلى نصف الشمس للغروب » هكذا رأيت فى هامش نسخة والله أعلم (والمهمة كليلة
القدر) وكالصلاة الوسطى والاسم الاعظم (فيستغرق اليوم لرعايته) أى مراعاة
ادراكها (وهو) أى الإبهام (اصوب) وفى الاحياء قبل انها تنتقل فى ساعات الجمعة
كتنتقل ليلة القدر وهو الاشبه ، وله سر لا يلىق بعلم المعاملة ذكره لكن ينبغى ان يصدق
بما قال عليه السلام « ان لربكم فى ايام دهركم فتحات ألا تعرضوا لها ، ويوم الجمعة من
جملة تلك الايام فينبغى للعبد فى جميع نهاره ان يتعرض لها باحضار القلب وملازمة ذكر

وَيُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الرب والنزوع من وساوس الدنيا وهو اجس النفس والهوى ففساه ان يحظى بشيء من تلك النفحات انتهى، والحديث رواه الترمذي والحكيم في النوادر والطبراني في الاوسط من حديث محمد بن مسلمة ، ولابن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث أنس ، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الفر ج من حديث أبي هريرة (ويكثر الصلاة عليه عليه السلام) أي في يوم الجمعة وليلتها فقد ورد اكثر الصلاة على في الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض على ، اليهقي عن أبي هريرة . وابن عدي عن أنس ، وفي رواية البيهقي عن أنس ، اكثر واكثر من الصلاة على في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيامة ، وفي رواية ابن ماجه عن أبي الدرداء ، اكثر واكثر من الصلاة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهد الملائكة وان أحدا لن يصلي على الا عرضت على صلاته حين يفرغ منها ، وفي رواية للبيهقي عن أبي امامة « اكثر واكثر من الصلاة على في كل جمعة فان صلاة أمتي تعرض على في كل يوم جمعة فمن كان اكثرهم على صلاة كان أقربهم مني منزلة » وكانوا يصلون على النبي ﷺ ألف مرة ويقولون: سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ألف مرة ، وروى من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة قيل: يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال: نقول اللهم صل على عبدك ونيك ورسولك النبي الأمي وتعقد واحدة ، الدار قطني من رواية ابن المسيب قال: اظنه عن أبي هريرة وقال حديث غريب ، وقال ابن النعمان: حديث حسن وفي الاحياء وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا ولحقه ادا . واعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه أفضل ما جزيت نبياعن امته وصل عليه وعلى جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين يقول هذا سبع مرات فقد قيل: من قالماسبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته وان أراد ان يزيد أتى بالصلاة الماثورة فيقول: اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائعك زكواتك ورافتك ورحمتك وتحياتك على محمد رسولك سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين وقائد الخير وفتاح البر ونبي الرحمة وسيد الأمة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه فيغبطه به الأولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشاخصة المنبئة اللهم اعط محمدًا سؤله وبلغه مأموله واجعله

وَقَرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَيَتَصَدَّقُ بِشَيْئَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ، وَيُصَلِّيُ صَلَاةَ التَّسْبِيحِ، وَفِي الْكُلِّ

أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وتقل ميزانه وأباج حجتته وارفع في اعلى درجات المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرة واجعلنا من أهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتين ولا مفتونين آمين يارب العالمين « ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي ﷺ من حديث ابن مسعود بسند ضعيف، ووقفه ابن ماجه على ابن مسعود (وقراءة القرآن) أي يكثرها فيه فيقرأ سورة الكهف خاصة فمن أبي سعيد من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نوراً من حيث يقرأ إلى مكة وغفر له من الجمعة إلى الجمعة وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ويمسي وعوفي من الداء والديلة [أي الداهية] وذات الجنب والجذام والبرص وقتنة الدجال، رواه البيهقي (ويتصدق) أي يوم الجمعة في غير الجامع أو لغير السائل فيه فقد قال ابن مسعود: إذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى (بشيتين مختلفين) كدرهم ودينار أو ثوب وقرص أو خبز وادام أو فاكهتين مختلفتين، فعن كعب الأحبار «من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيتين مختلفتين من الصدقة ثم رجع وركرم كعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول: اللهم اني أسئلك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله الذي لا إله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله شيئاً الا أعطاه» وفي رواية ابن حبان عن أبي هريرة مرفوعاً «من انفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعى من أبو اب الجنة هذا خير وللجنة أبواب» الحديث، ورواه الخطيب عن أنس بلفظه ما من مسلم ينفق زوجين في سبيل الله عز وجل الا ادعته الجنة هلم هلم، ولا يخفى ان المتبادر من الزوجين ان يكون الشيطان متفقين لا مختلفين كدرهمين ودينارين وثوبين، وعن بعض السلف من اطعم مسكيناً يوم الجمعة ثم غداً وابتكر ولم يؤذ احدائهم يقول حين يسلم الامام: بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم أسألك ان تغفر لي وترحمني وتعافيني من النار ثم دعا بما بدأه استجيب له (ويصلي) أي يوم الجمعة (صلاة التسبيح) وقد بسطت الكلام عليها في شرح الحصن رواية ودراية وعلا وعملاً وقد علها عليه السلام لعنه العباس وقال له: صلها في كل جمعة الحديث أبو داود. وابن ماجه. وابن خزيمة. والحاكم من حديث ابن عباس وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال (وفي الكل) أي

فَضَائِلُ وَجَاءَ قِرَاءَةُ السُّجْدَةِ وَالدُّخَانِ وَالْمَسْبَحَاتِ السُّتِّ وَالْأَكْثَارُ
بِالْإِخْلَاصِ فَقَرَأَتْهَا أَلْفَ مَرَّةٍ فِي عَشْرٍ كَعَاتٍ أَوْ عَشْرِينَ أَفْضَلَ مِنَ الْحَتَمِ وَلَا
يُخْصَهُ بِالصَّوْمِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ فَهُوَ مِنْهُ غَنَى وَيَحْفَظُ عَلَى الرُّوَاتِبِ وَسَائِرِ السَّنَنِ

في جميع ما تقدم (فضائل) أي واردة عن أصحاب الشرائع (وجاء قراءة السجدة
والدخان والمك) أي في ليلة الجمعة وقد سبق بيانها وبرهانها (والمسبحات الست)
أي المتقدم شأنها (والأكثار بالإخلاص) أي بقراءة سورة الإخلاص (فقرأتها
ألف مرة في عشر ركعات أو عشرين أفضل من الحتم) أي ختم القرآن بدونها أو في
غير الصلاة ، وهذا لم أجده مروي لكن ورد «من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد
اشتري نفسه من الله» الخرائطي في فوائده عن حذيفة ، وأما حديث «قل هو الله أحد تعدل
ثلاث القرآن» فرواه مالك وأحمد والبخاري وأبو داود والنسائي عن أنس سعيد
وجامعة عن جماعة كاد أن يكون متواترا ، وفي الأحياء الأحسن أن يجعل وقته للصلاة
إلى الزوال وبعد الجمعة إلى العصر لاستماع العلم وبعد العصر إلى المغرب للتسبيح
والاستغفار وسائر الأذكار وينبغي أن يلزم المسجد حتى يصلي العصر فإن وقف
إلى المغرب فهو أفضل ، ويقال : من صلى العصر في الجامع كان له ثواب حجة ومن صلى
المغرب فله ثواب حجة وعمره فالزم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق
إلى اعتكافه أو خوف الخوض فيما لا يعني فالأفضل أن يرجع إلى بيته إذا ذكر الله تعالى
مفسكرا في آياته شاكر الله على نعمائه من جعلها توفيقه للطاعة خاتما من تقصيره
مراقبا لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة فلا ينبغي في الجامع
وغيره من المساجد التكلم بحديث الدنيا فانه عليه السلام «قال يأتي على الناس زمان يكون
حديثهم في مساجدهم بأمور دنياهم ليس لله عز وجل فيهم حاجة فلا تجالسهم ، اليهقي
في الشعب من حديث الحسن مرسل واستدله الحاكم من حديث أنس وصححه ، ولا ين
حبان من حديث ابن مسعود ونحوه (ولا يخلص بالصوم وقيام الليل فهو) أي
التخصيص (منه عنه) روى مسلم عن أبي هريرة «لا تخلصوا ليلة الجمعة بقيام من
بين الليالي ولا تخلصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه
أحدكم» وفي رواية أحمد عن أبي هريرة «لا تصوموا يوم الجمعة إلا قبله يوم أو بعده يوم»
(ويحافظ على الرواتب) أي السنن المؤكدة بعد الفرائض وقبلها (وسائر السنن)

كَالتَّهَجُّدِ الضُّحَىٰ وَإِحْيَاءِ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ، وَالْعِيدِ وَيُسْتَعْدَلُ كَالْجَمْعَةِ وَيَرْجِعُ
 مِنَ الْمُصَلَّى فِي غَيْرِ طَرِيقِ الذَّهَابِ فَهُوَ مَرْوِي، وَالتَّرَاوِجِ وَيَخْتَمُّ فِيهِ فَهُوَ مَأْثُورٌ
 وَيَخْتَارُ الْإِنْفِرَادُ إِنْ خَافَ الرِّيَاءَ، وَالْجَمَاعَةُ إِنْ خَافَ الْكَسَلَ

أي المستحبة ﴿كالتَّهَجُّدِ﴾ في الليل ﴿والضحى﴾ في النهار ركعتين أو أربعاً أو ستاً أو
 ثمانية أو اثني عشر، فوردانه عليه السلام «أن إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى
 ركعتين وإذا انبسطت وكانت في ربيع النهار من جانب المشرق صلى أربعاً أو ثمانين
 والنسائي وابن ماجه من حديث علي ﴿واحياء ما بين العشاءين﴾ أي بالعبادة أو بعشرين
 ركعة أو ست ركعات مطلقاً في الكل فضائل وبعضها تقدم ﴿والعيد﴾ أي ويراعى
 عيد فطر أو أضحي بالتكبير ونحوه ﴿ويستعدله كالجمعة﴾ من الغسل والتزين والتطيب
 ﴿ويرجع من المصلى﴾ أي مصلى العيد حالة الإياب ﴿في غير طريق الذهاب فهو
 مروي﴾ أي من فعله عليه السلام رواه مسلم ﴿والتراويح﴾ أي ويراعى وهي
 عشرون ركعة وأداؤها سنة مؤكدة ﴿ويختم فيه فهو مأثور﴾ أي عن الصحابة
 ﴿ويختار الانفراد﴾ عن الجماعة ﴿ان خاف الرياء والجماعة﴾ أي ويختارها ﴿ان
 خاف الكسل﴾ وقيل الانفراد أفضل لقوله عليه السلام: «فضل صلاة التطوع في
 بيته على صلاته في المسجد كفضل الصلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت»،
 آدم بن إياس في كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسلًا، ورواه ابن أبي
 شيبة في المصنف لجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي ﷺ موقوفاً.
 وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت «صلاة المرء في بيته أفضل
 من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة» وعن أنس «صلاة في مسجدي تعدل بعشرة
 آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط
 تعدل بالف ألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصلحهما العبد في جوف الليل
 لا يريد بهما إلا ما عند الله عز وجل»، أبو الشيخ في الثواب، وذكر أبو الوليد الصفاق
 في كتاب الصلاة تعليقاً من حديث الأوزاعي قال: دخلت على يحيى فاستدلى حديثاً
 وهو «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في غيره وصلاة في المسجد الحرام
 أفضل من مائة ألف صلاة في مسجدي وأفضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في
 زاوية بيته لا يعلمه إلا الله»، وقيل: إن الجماعة أفضل لفعل عمر رضي الله عنه فإنه عليه

وَيُخَيَّرُ أَنْ أَمْنُهُمَا تَضُمَّنِ الْجَمَاعَةَ الْبَرَكَةَ وَالْإِنْفِرَادَ قُوَّةَ الْحُضُورِ، وَالْكُسُوفَ
وَكُلَّ مَا وَرَدَ فِيهِ فَضِيلَةٌ كَصَلَاةِ الرَّغَائِبِ وَلَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ وَهِيَ مِائَةٌ
رَكْعَةً بِالْإِخْلَاصِ مِائَةً مَرَّةً، وَكَانُوا يُوَاطِبُونَ عَلَيْهَا، وَالِاسْتِخَارَةَ

السلام قد خرج فيها ليلتين أو ثلاثاً للجماعة ثم لم يخرج وقال خشيت أن تفرض عليكم
متفق عليه من حديث عائشة، ووجع عمر الناس عليها في الجماعة حيث أمن الوجوب
بأنه طاع الوحي (ويخير) أى في صلاة التراويح مفرداً أو مع جماعة (إن أمنهما)
أى الرياء والكسل وإنما يخير (لتضمن الجماعة البركة) المشتعلة على السرور
(والانفراد قوة الحضور) المتضمن لكثرة النور، والحاصل أن هذه السنة ليست
من الشعائر كالعبدین فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم يشرع فيها جماعة
نعم صلى عليه السلام التراويح بالجماعة ثم تركها خشية أن تكتب على الأمة ثم كان
الناس يصلون فرادى وجماعات مختلفة فجمعهم عمر على إمام واحد وقال نعمت البدعة
أى الحسنة وهى الجماعة المجتمعة المشيرة إلى ألفة الأمة (والكسوف) أى ويراعى صلاة
الكسوف وكذا الخسوف وتفصيلهما فى كتب الفقه، وقد ورد أن الشمس والقمر
آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيت ذلك فافزعوا إلى ذكر
الله تعالى وإلى الصلاة، قاله لما مات ولده إبراهيم عليه السلام وخسفت الشمس وقال
الناس: إنما كسفت لموته متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة (وكل ما ورد) أى
ويراعى جميع ما ورد من السنة (فيه فضيلة كصلاة الرغائب) وهى فى أول ليلة جمعة من
رجب يصلى ثنتى عشرة ركعة بست تسليمات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة
القدر ثلاثاً والإخلاص اثنتى عشرة وبعد الفراغ يصلى على النبى عليه السلام سبعين
مرة ويدعو بما يشاء وهى بدعة منكدة كما صرح به النووى وغيره وكذا حديث ما من أحد
يصوم أول خميس من رجب الحديث فى صلاة الرغائب أورده رزين فى كتابه وهو
موضوع كما قاله العراقى (وليلة النصف من شعبان وهى) أى صلاتها (مائة ركعة
بالإخلاص مائة مرة وكانوا) أى بعض السلف (يواطبون عليها) قال العراقى:
حديث باطل، ولابن ماجه من حديث على إذا كانت ليلة النصف من شعبان قوموا
ليلها وصوروا نهارها واستاده ضعيف (والاستخارة) أى ويراعى صلاة الاستخارة

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْلَمُهَا تَعْلِيمَ سُورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ وَرَكَعَتَي الدُّخُولِ فِي الْمَنْزِلِ
وَالْخُرُوجِ مِنْهُ، وَرَكَعَتَي دَفْعِ النِّفَاقِ فِي السَّرِّ، وَتَحِيَّتَي الْوُضُوءِ وَالْمَسْجِدِ، وَلَا يَتَعَيَّنُ
لَهُمَا التَّطَوُّعُ لِحُصُولِ الْمَقْصُودِ فِي غَيْرِهِ وَهُوَ صَوْنُ الْوُضُوءِ وَالْدُّخُولِ عَنِ
التَّعَطُّلِ بِلِ الْفَرَضِ أَفْضَلُ، وَلَا يَنْوِي الصَّلَاةَ لِلْوُضُوءِ بَلْ يُطْلَقُ

أَوْ دَعَاها بعدها (وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْلَمُهَا تَعْلِيمَ سُورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ) الْبُخَارِيُّ مِنْ
حَدِيثِ جَابِرٍ وَبِسَطْنِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ فِي شَرْحِ الْحَصَنِ (وَرَكَعَتَي الدُّخُولِ فِي الْمَنْزِلِ
وَالْخُرُوجِ) أَيْ وَرَكَعَتَيْهِ (مِنْهُ) مِنَ الْمَنْزِلِ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا خَرَجْتَ
مِنْ مَنْزِلِكَ فَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ يَمْنَعُكَ مَخْرَجُ السُّوءِ وَإِذَا دَخَلْتَ مَنْزِلَكَ فَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ
يَمْنَعُكَ مَدْخَلُ السُّوءِ» الْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ. وَالْخَرَّاطِيُّ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ. وَابْنُ عَدَى
فِي الْكَامِلِ، وَفِي الْحَدِيثِ إِيمَاءٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي
مَخْرَجَ صِدْقٍ) الْآيَةُ (وَرَكَعَتَي دَفْعِ النِّفَاقِ فِي السَّرِّ) أَيْ بِالْخَفِيَّةِ بَانَ يَصِلُ رَكَعَتَيْنِ
يَقْرَأُ فِي الْأَوَّلَى بَعْدَ الْفَاتِحَةِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَفِي الثَّانِيَةِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثُمَّ يَقُولُ
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ النِّفَاقِ وَالْإِشْقَاقِ وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ وَلَمْ أَجِدْهُ مَرْوِيًّا (وَتَحِيَّتَي
الْوُضُوءِ) أَيْ الْمُسَمَّى بِشُكْرِ الْوُضُوءِ وَهِيَ قَبْلُ جَفَافِ أَعْضَائِهِ (وَالْمَسْجِدِ) أَيْ أَوَّلُ
دُخُولِهِ قَبْلَ جُلُوسِهِ فَتَحِيَّةُ الْوُضُوءِ مُسْتَحَبَّةٌ لِأَنَّ الْوُضُوءَ قَرَبَةٌ مَقْصُودُهَا الصَّلَاةُ
وَنَحْوُهَا وَالْأَحَادِثُ عَارِضَةٌ بَعْدَهَا وَرَبَّمَا يَطْرَأُ الْحَدِيثُ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَالْمُبَادَرَةُ إِلَى
رَكَعَتَيْنِ اسْتِيفَاءً لِمَقْصُودِ الْوُضُوءِ قَبْلَ الْقَوْتِ وَلِثَلَايَضِيعِ السَّعْيِ قَبْلَ الْمَوْتِ وَعَرَفَ ذَلِكَ
بِحَدِيثِ بِلَالٍ إِذْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ بِلَالَ فِيهَا فَقُلْتُ يَا بِلَالُ بِمِ سَبَقْتَنِي
إِلَى الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ بِلَالٌ: لَا أَعْرِفُ شَيْئًا إِلَّا أَنِّي لَا أَحْدِثُ وَضُوءًا إِلَّا صَلَّيْتُ عَقِبَهُ رَكَعَتَيْنِ،
أَوْ بِمَا قَالَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَنَحْوِهِ الْمَسْجِدَ سَنَةً وَكُدَّةً حَتَّى أَنْهَا لَاسْقُطٌ
فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَإِنْ كَانَ الْخُطْبُيبُ فِي الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مَعَ تَأْكِدِ وَجُوبِ الْأَصْفَاءِ
إِلَى الْخُطْبِيبِ، وَقَدْ وَرَدَ إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يَصِلَ رَكَعَتَيْنِ، ابْنُ
عَدَى. وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (وَلَا يَتَعَيَّنُ لَهُمَا التَّطَوُّعُ لِحُصُولِ الْمَقْصُودِ فِي غَيْرِهِ)
أَيْ غَيْرِ التَّطَوُّعِ (وَهُوَ) أَيْ الْمَقْصُودُ (صَوْنُ الْوُضُوءِ وَالْدُّخُولِ عَنِ التَّعَطُّلِ) أَيْ الْبَطَالَةُ
عَنِ الطَّاعَةِ (بَلِ الْفَرَضِ أَفْضَلُ) مِنَ النَّافِلَةِ فَإِنْ ثَوَّابَهُ أَكْمَلَ (وَلَا يَنْوِي الصَّلَاةَ لِلْوُضُوءِ)
أَيْ لَا يَقُولُ: نَوَيْتُ أَنْ أَصِلَ رَكَعَتَيْنِ لِلْوُضُوءِ (بَلِ يُطْلَقُ) أَيْ يَنْوِي صَلَاةً مُطْلَقَةً

لأنَّ الوضوءَ للصلاة دونَ العكس، ويحترزُ في الأوقاتِ المكروهةَ ففيها
تعبُ الأوثانِ وينتشرُ الشيطانُ وفي الكفِّ يتجددُ الشوقُ إلى العبادةِ أما العارفُ
المستغرقُ همه فيه تعالى فورده الحضورُ بعدَ الفرائضِ والرواتبِ ويغرقُ بأنَّ
لايهمُّ بمعصية ولا يفترُّ بطاعة ولا ينزعجُ بمصيبة

﴿ لان الوضوء للصلاة دون العكس ﴾ اذ ليست الصلاة للوضوء ولكن لو نوى شكرا
لتوفيق الوضوء لا يبعد ﴿ ويحترز ﴾ عن النافلة ﴿ في الأوقات المكروهة ﴾ أى مطلقا
عندنا خلافا للشافعى حيث يجوز اداء صلاة لها سبب متقدم كتحية مسجد وشكرو وضوء
واستثنى الحرم أيضا ﴿ فقيها تعب الأوثان ﴾ أى وفيها مضاهاة عبدة الشمس وسائر
النيران ﴿ وينتشر الشيطان ﴾ أى ويكثر الوسواس للإنسان ، وقد ورد ان الشمس
تطلع ومعاقرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقتها فاذا استوت قارنها
فاذا زالت فارقتها فاذا تضيقت للغروب قارنها فاذا غربت فارقتها ، النسائي من حديث
عبد الله الصنابحي وهو مرسل ومالك هو الذى يقول عبد الله الصنابحي ووهم
فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وفي الكف ﴾ أى
الامتناع عن الصلاة في الأوقات المكروهة وهى بعد طلوع الفجر الى طلوع الشمس
وبعد صلاة العصر الى غروبها وبعد غروبها قبل اداء المغرب ، وكذا الأوقات
المحرمة ﴿ يتجدد الشوق الى العبادة ﴾ ويرتفع عنه نوع من الملالة وقد كره دخول
المسجد على غير وضوء أو تيمم وإن دخل لعبور ضرورة أو جلس في أوقات مكروهة
فليقل سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر يقولها أربع مرات فيقال : انها
عدل ر كمتين في الفضل ولعله مأخوذة ما ورد اذ امر رتم برياض الجنة فارتعوا ، وفسر
الرياض بالمساجد والرتع بالكلمات المذكورة على ما تقدم والله سبحانه أعلم ، ثم هذه
الأوراد لانواع السالكين من الزهاد والعباد في استعداد زاد المعاد ﴿ أما العارف
المستغرق همه فيه تعالى ﴾ أى في ورد محبته وورد الحضور في حضرته ﴿ فورده
الحضور ﴾ أى حضور القلب في ذكر الرب في جميع المراتب ﴿ بعد الفرائض والرواتب
ويغرق ﴾ أى هذا العارف في علو المناقب ﴿ بان لا يهم بمعصية ﴾ أى لا يقصدها
﴿ ولا يفتر بطاعة ﴾ أى لا يكسلها ﴿ ولا ينزعج بمصيبة ﴾ أى لا يتزلزل ولا ينجزع
ولا يفرع بموت الأولاد والاحفاد وسائر الأقارب من الاخوان والخلائق وذهاب

وَلَا يَنْقَلِبُ بِأَمْرِ عَظِيمٍ ۝

البَابُ الثَّانِي فِي الْأَتْفَاقِ وَالْقَنَاعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَرَدَّ (وَمَنْ يَوْقُ شَحَّ نَفْسَهُ) . (الآيَةُ) . (وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (الآيَةُ) . « السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى »

الأموال وتغير الأحوال من الأمراض وسائر شدائد الأحوال (ولا ينقلب) عن حاله ومقامه (بأمر عظيم) كالقحط. وقتة البلاد. وسائر البلايا العامة للعباد وهو الكريم الرحيم السميع العليم *

(البَابُ الثَّانِي فِي الْأَتْفَاقِ وَالْقَنَاعَةِ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) أنفق في الطاعة واعتق بالقناعة فيما قسم لي إلى قيام الساعة (ورد) أي في التنزيل (وَمَنْ يَوْقُ شَحَّ نَفْسَهُ) أي يحفظ ويصان بخلافها فيما يجب عليها (الآيَةُ) وهي (فَاوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) أي الناجون من النار والفائزون بالجنة إذ ما نفعون الزكاة هم الظالمون أي الواضعون الأشياء في غير موضعها (وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) أي يجمعونها (وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أي وزكاتها لا يخرجونها (الآيَةُ) أي (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) وفيه تهكم عظيم (يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم) لتعبسهم على الفقراء (وجنوبهم) لتكبرهم على الضعفاء (وظهورهم) لأعراضهم عن العلماء والصلحاء ويقال لهم بلسان المقال أو بيان الحال (هذا ما كنزتم لأنفسكم فتوقوا ما كنتم تكمنون) قال الأحنف بن قيس: كنت في نفر من قريش فربنا أبو ذر فقال: بشر السكازين بكى في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى من قبل أفتانهم يخرج من جباههم، وعن أبي ذر انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأيته قال: هم الأخسرون ورب الكعبة فقلت: من هم؟ فقال: إلا أكثر من أموال إلا أن قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم متفق عليه (السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى) رواه الترمذي عن أبي هريرة والبيهقي عن جابر والطبراني في الأوسط عن عائشة بلفظ (السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنْ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ

«تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ» وَالْفَقْهُ الْإِبْتِلَاءُ فِي دَعْوَى حُبِّ تَعَالَى
وَتَرَكُ الدُّنْيَا وَظُهُورُ الْمَرَاتِبِ فِيهَا، فَالسَّابِقُ كَالصَّدِيقِ حَيْثُ مَا أَبْقَى شَيْئًا.
وَالْمُقْتَصِدُ كَالْفَارُوقِ حَيْثُ أَبْقَى النِّصْفَ. وَالْقَاصِرُ هُوَ الْمُقْتَصِرُ عَلَى الْوَاجِبِ

بعيد من النار والبخل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار
(تعس عبد الدينار وعبد الدرهم) أي ملك والحديث كذا في صحيح البخاري وفي رواية
الترمذي عن أبي هريرة بلفظ «لعن» (والفقه) أي الحكمة والسرف في تشريع الاتفاق
هـ (الابتلاء في دعوى حبه تعالى وترك الدنيا) أي محبتها فإنها لا تجتمع مع حبه المولى
فإن المحبة لا تقبل الشر كة ولا بقدر الحبة وإنما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات
والأموال محبوبة عند الخلق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وشهواتها وبسببها يأنسون
بهذا العالم الدنيوي ولهواتها وينفرون عن الموت مع لقاء المحبوب في الجنة وسائر لذاتها
فامتحنوا بتصديق دعواهم واستزلوا عن المال الذي هو معشوقهم ومهواهم ، ولذا قال
تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) وذلك
بالجهاد وهو مساححة بالهجة شوقا إلى لقاء المولى والمساححة بالمال أهون فبذله أولى
(وظهور المراتب فيها) أي دعوى المحبة فقد قيل ما يسر الدعوى وما أعسر
المعنى (فالسابق كالصديق حيث ما أبقى شيئا) أي لأدرهما ولا دينارا وتبعه جماعة
من أهل التوفيق في إلبائهم أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم بل فرقوا جميع مآلديهم
ثلاثا ينسب حب غيره سبحانه إليهم حتى قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة في مائتي درهم
فقال : أما على العوام في حكم ظاهر الشرع فخمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا
بذل الجميع (والمقتصد كالفاروق حيث أبقى النصف) أي وأعطى النصف ، وأصل
الحديث «جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال عليه السلام لعمر : ماذا بقيت
لاهلك؟ فقال مثله وقال لابي بكر : ماذا أبقيت لاهلك؟ فقال : الله ورسوله» رواه أبو داود
والترمذي والحاكم وصحاحه من حديث عمر وفي رواية يونس عن الحسن أنه قال لهما
ما بين صدقيكما كما بين كلاميكما (والقاصر هو المقتصر على الواجب) أي على إعطاء
قدره من غير زيادة في أجره ، وفي كلام المصنف تلويح إلى قوله تعالى : (ثم أورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) فيحتمل أن يقال : القاصر المقتصر أنه الظالم

وَتَنْقِيَةُ الْبَاطِنِ عَنِ الْبَخْلِ وَتَحْلِيَّتُهُ بِالشُّكْرِ وَهُوَ يَقْلَعُ أَسْبَابَ الْخُرْصِ كَحَبِّ
عَيْنِ الْمَالِ وَهُوَ مَرَضٌ مَزْمِنٌ وَالشَّهَوَاتِ

لنفسه وغيره اذا الظالم هو مانع الزكاة ونحوه ، والعوام اقتصروا على قدر
الواجب لبخلهم بالمال وجهلهم بالمآل وضعف حبهم بالمولى وشدة ميلهم الى
الدنيا قال تعالى : (ان يسألوكوها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم) ومعنى يحفكم
يستقصي عليكم فكم بين عبد استبدل منه نفسه وماله بان له الجنة وبين عبد لا يستقصي
عليه لاجل بخله وهناك درجة أخرى دون الدرجتين الأولين وهم الممسكون أموالهم بعد
اخراج الواجبات المراقبون لآوقات الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في
الادخار الانفاق على قدر الحاجة والقناعة دون التعم والرفاهة وصرف الفاضل عن
الحاجة الى وجوه المبررة وطريق المسرة، وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال حقوقا
سوى الزكاة كالنخعي، والشعبي، وعطاء، ومجاهد قال الشعبي: بعد ان قيل له هل في المال
حق سوى الزكاة؟ قال: نعم اما سمعت قوله سبحانه وتعالى : (وآتى المال على حبه) الآية
تمامها (ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة
وآتى الزكاة) حيث عطف آتى الزكاة على آتى المال واستدلوا بقوله عز وجل : (وما
رزقناهم ينفقون) وقوله : (وأنفقوا مما رزقناكم) وزعموا ان ذلك غير منسوخ
بآية الزكاة بل داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على المومر مهما وجد محتاجا
ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة ولا يبعد حمله على صدقة الفطر والاضحية ونفقة
ذوى الرحم المحرم والله سبحانه اعلم ﴿ وتقية الباطن ﴾ أى ومن جملة الحكمة فى الانفاق
تنظيف القلب وتخليته ﴿ عن البخل ﴾ فورد ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه ، الطبرانى فى الأوسط عن أنس ﴿ وتخليته ﴾ أى تزيين الباطن
وتحسينه ﴿ بالشكر ﴾ أى بشكر النعمة وقد قال تعالى : (لئن شكرتم لأزيدنكم) . (وما
أنفقتم من شيء فهو يخلفه) (وهو) أى ما ذكر من التقية والتحلية ، والانفاق انما يحصل
﴿ بقلع أسباب الخرص كحب عين المال ﴾ لا لغرض يحصل منه ﴿ وهو ﴾ أى حب عين
المال ﴿ مرض مزمن ﴾ أى لادواء له فى الزمن حيث لا ينفعه لقوات اغراضه واعواضه
من المال ﴿ والشهوات ﴾ و كحب سائر الشهوات كما أشار اليه قوله تعالى : (زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

وَطُولُ الْأَمَلِ وَخَوْفُ الْفَقْرِ وَقَلَّةُ الْوُثُقِ بِمَجْيِءِ الرِّزْقِ وَهُمْ الْوَلَدُفُورِدُ «الْوَلَدُ مَبْخَلَةٌ» وَطَرِيقُهُ التَّوَسُّطُ فِي النِّفَقَاتِ فَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى عُدَّةٌ مِنَ الْمُنْجِيَّاتِ وَتَقْلِيلُ الشَّهَوَاتِ وَالْوُثُقِ بِأَصَابَةِ الرِّزْقِ الْمُقَدَّرِ وَمَعْرِقَةُ عِزِّ الْقَنَاعَةِ

المسومة والأنعام والحارث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب (وطول الأمل) عطف على حب أي وكطول الأمل يتوهم طول الاجل فانه يورث الملل عن العمل قال تعالى : (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا وباهم الأمل فسوف يعلمون) (وخوف الفقر) قال عز وعلا (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) (وقلة الوثوق بمجىء الرزق) وقد قال سبحانه (و كآين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) وقد ورد له لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم بما يرزق الطير تغدو خفاصا وتروح بطانا « أحمد والترمذي وابن ماجه . والحاكم عن عمر (وهم الولدفوردا الولد مبخلة) « تمامه مجبنة » أبو يعلى في مسنده عن أبي سعيد . وابن ماجه من حديث عبد الله بن سالم والحاكم وصححه ، ومعنى مبخلة انه مظنة أن يحمل أبويه على البخل فيدعوهما اليه فيخلان لأجله ، ومعنى مجبنة أي يحمل أباه على أن يجنب عن الحروب استبقاء لنفسه من أجله (وطريقه) أي الطريق المحمود في الاتفاق أحد عشر أو طريق قلع أسباب الحرص (التوسط في النفقات) قال تعالى : (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) (فالقصد) أي الاقتصاد والتوسط واعتدال الحالات (في الفقر والغنى عد من المنجيات) وورد « ما عال من اقتصد » الديلمي عن أبي امامة مرفوعا والبيهقي في الشعب عن ابن عمر مرفوعا الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة ، (وتقليل الشهوات) أي الموجب لتقليل النفقات وهو المعبر عنه بالقناعة في بعض العبارات (والوثوق بأصابة الرزق المقدر) فقد قال تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » وورد في حديث مشهور « واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك » (ومعرفة عز القناعة) فورد « القناعة كنز لا يفنى » وفي رواية « مال لا ينفد » وفي أخرى « كنز لا يفنى » القضاعي عن أنس والطبراني في الأوسط من حديث جابر ولفظه « القناعة مال لا ينفد كنز لا يفنى » وفي القناعة أحاديث لا تحصى ، وقد قيل : من قنع شبع ، منها قوله عليه السلام « ابن آدم عندك

وَذُلُّ الطَّمَعِ. وَالتَّأَمُّلُ فِي الْبَخِيلِ. وَمَدْحُ السَّخِيِّ وَمَا وَرَدَ فِيهَا

ما يكفيك وأنت تطلب ما يطفئك . ابن آدم لا يقلل تقنع ولا بكثير تشبع . ابن آدم إذا أصبحت معافى في سربك آمنافى بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء . أى التراب ابن عدى . والبيهقى عن ابن عمر ، وفي رواية لهما عن أنى هريرة « إذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف وجرة من ماء القراح وقل على الدنيا وأهلها الدمار ، وروى ابن المبارك عن الازاعى معضلأ ما أبالى ما رددت به عنى الجوع وما أحسن مقال بعض أهل الحال : وما هى الا جوعة قد سدتها . وكل طعام بين جنبى واحد وعن سمرة مرفوعا دارض من الدنيا بالقوت فان القوت لمن يموت كثير ، والعسرى والله در الناظم :

عزيز النفس من لزم القناعة * ولم يكشف لمخلوق قناعه
وفي الحديث اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه وفسر قوله تعالى : (فلنجينه حياة طيبة) بالقناعة والقيام بالطاعة ، وقوله « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » أحمد ومسلم والترمذى وابن ماجه عن ابن عمر وقوله ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، أبو يعلى والصباء عن أنى سعيد ، وقوله « خيار امتى القانع وشرارهم الطامع » القضاعى (وذل الطمع) أى ومعرفة وهو الاحتياج الى الغير من غير ضرورة ، وقد ورد ولا يحل لمؤمن ان يذل نفسه ، قال تعالى : (والله العزوة لرسوله وللؤمنين) وهو ينشأ من عدم القناعة وورد عن عمر رضى الله عنه « ان الطمع فقر وان اليأس غنى وان المرء اذا أيس عن شىء استغنى عنه » أحمد فى الزهد وابن أبى الدنيا فى القناعة والعسرى فى المواعظ وروى « أن رجلا من الأنصار قال يا رسول الله أوصنى واوجز لى قال : عليك باليأس بما فى ايدى الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر ، أبو نعيم (والتأمل فى ذم البخل ومدح السخى) اذ هما فى جلة كل احد من العالى والدنى (وما ورد فىهما) أى من احاديث النبى كقوله عليه السلام « السخاء شجرة من أشجار الجنة أغصانها متدليات فى الدنيا فن يأخذ بغصن منها فاده ذلك الغصن الى الجنة والبخل شجرة من أشجار النار أغصانها متدليات فى الدنيا فن يأخذ بغصن من أغصانها فاده ذلك الغصن الى النار ، الدارقطنى فى الافراد والبيهقى عن على والاربعة عن أنى هريرة ، وكقوله « خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما الله فالسخاء والسماحة واما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل ، البيهقى عن ابن عمر ، وكقوله تعالى : « ما من العباد يصبح الا وملكان يزلان فيه

وَأَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَاخْتِيَارُ التَّشْبِهِ بِهِمْ لَا بِالْمُتَنَعِّينِ مِنَ الْكُفَّارِ
وَالْحَقِّقِيِّ وَالْتَسَخِّي وَخِدَاعِ النَّفْسِ بِالصَّيِّتِ وَالْمُكَافَاةِ ثُمَّ اِزَالَةُ الرِّيَاءِ بَعْدَ الْإِعْتِيَادِ

فيقول أحدهما: اللهم اعط منقفا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط مسكنا تلقا (و) واحوال
الانبياء والاولياء (أى) وفى احوالهم واخلاق سائر البخلاء والاسخياء (و) واختيار
التشبه بهم (أى) بالاصفياء (فمن تشبه بقوم فهو منهم) (لا بالمتنعين من الكفار
والحقى) (أى) من الجهلة والفجار وقد قال تعالى: (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) (اذهبت
طياتكم فى حياتكم الدنيا) وورد «اشبعكم فى الدنيا أجوعكم فى العقبى» (والتسخي)
أى تكلف السخاوة والتشبه بجنس السخي (و) خداع النفس بالصييت (أى) بحسن
النساء عند الناس والجاه والوجاهة فى مقام الايناس (والمكافاة) (أى) ويتصور
المكافاة فورد «تهادوا تحابوا» (ثم ازالة الرياء بعد الاعتقاد) (أى) بعد تعوده
بالسخاء فان الرياء فى الابتداء قطرة الاخلاص فى الانتهاء كما ان المجاز قطرة
الحقيقة، حكى ان ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس فى أيديهم شئ مما يتمتع به الناس
من دنياهم قد احفروا قبورا فاذا أصبحوا تعبدوا تلك القبور وكنسوها من القفور
فصلوا عندها بالحضور ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قبض لهم فى ذلك معاش من
نبات الأرض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له: اجب الملك ذا القرنين فقال
مالى حاجة اليه فأقبل اليه ذو القرنين فقال ارسلت اليك لتأيننى فأبيت فها أنا جئت فقال:
لو كان لى اليك حاجة لأتيتك فقال ذو القرنين: مالى أراكم على حالة لم أر أحدا من
الأمم عليها؟ قالوا: وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شئ من البناء ولا اتخذتم الذهب
والفضة فاستمتعتم بها قالوا: انما كرهناها لأن أحدا لم يعط شيئا منهما الا تناقت
نفسه فودعته الى ما هو أفضل منه فقال: مالكم احفرتم قبورا فاذا أصبحتم تعبدتموها
فكنستموها وصليتم بتبناها؟ قالوا أردنا اذا نظرنا اليها وأملنا الى الدنيا منعنا قبورنا من
الامل قال: وأراكم لا طعام لكم الا البقل من الأرض أفلا اتخذتم البها ثم من الانعام
فاحتلبتموها وركبتموها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها وراى نبات الأرض
بلاغا وانما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وان ما جاوز الحنك لم نجد له طعما
كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الأرض يده فتناول جمجمة فقال: يا ذا
القرنين انتدرى من هذا؟ قال لا ومن هو؟ قال فذلك ملك من ملوك الأرض أعطاه الله

وَكثْرَةُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالْإِعْتِبَارُ بِالسَّالِفِينَ وَزِيَارَةُ الْقُبُورِ وَالْأَصْلُ فِيهِ .

الصَّبْرُ ، وَقَصْرُ الْأَمَلِ ، وَالْعِلْمُ بِآفَاتِ الْمَالِ

سلطانا على أهلها فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله ذلك منه قصمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه في الآخرة ، ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال : يا ذا القرنين هل تدري من هذا ؟ قال : لا ومن هو ؟ قال : هذا الملك ملك بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع لله وأمر بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى وقد أحصى الله عمله في دنياه حتى يجزيه في أخراه ثم أهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال : هذه الجمجمة قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين : هل لك في صحبتي ما نجدك اخا ووزيرا وشريكا ومشيرا فقال : ما اصلح أنا وانت في مكان قال ولم ؟ قال : من أجل ان الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال : ولم يعادوني ؟ قال يعادونك على ما في يدك من الملك والمال ولا احد يعاديني لما عندي من الحاجة وقلة الشيء . والفاقة فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا ومتعظا)) وكثرة ذكر الموت)) فانه يهون السخاوة قبل الفوت)) (والاعتبار بالسالفين)) أى الاتعاظ بالسابقين من أهل الاموال في تركهم الدنيا عند الموت فكذا حكم اللاحقين وقد قال تعالى : (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) ومن هنا قالوا : طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الله)) (وزيارة القبور)) فانها تذكر العقبي وتزهّد في الدنيا وفيها عبرة لارباب الصدور ، وروى « اذا تحيرتم في الامور فاستعينوا بأهل القبور »)) (والاصل فيه)) أى في طريق الاتفاق من توسطه المحمود بالاتفاق)) (الصبر)) أى عن المستلذات الفانية)) (وقصر الامل)) أى باستعداد زوال الدار الباقية ، وورد عن علي قال : « انما أخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة وان اتباع الهوى يصد عن الحق وان الدنيا قدر تحلت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل » ابن المبارك . وأحمد في الزهد)) (والعلم بآفات المال)) أى وتغييراته في المال وانتقالاته في أسوء الحال فقد روى عن جرير عن ليث قال : صحب رجل عيسى عليه السلام فقال أكون معك واصحبك فانطلقا فأتيا الى شاطئ نهر فجلسا يتغذيان ومعهما ثلاثة أرغفة فاكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى الى النهر فشرب ثم رجع ولم يجد الرغيف

وَهِيَ الْإِفْضَاءُ إِلَى الْمَهْلَكَاتِ كَالْكِبَرِ وَالْكَذِبِ وَالْعَدَاوَةِ وَحُبِّ
الدُّنْيَا وَاقْتِحَامِ الشَّهْوَةِ وَالْحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ وَالشُّغْلِ عَنِ الطَّاعَةِ
بِالْكَسْبِ وَالْحِفْظِ

فقال للرجل : لم أجد الرغبة فقال لا ادرى قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية
معهما خشفان لها فدعا أحدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل
ثم قال للخشف قم باذن الله فقام وذهب فقال أسألك بالذي أراك هذه الآية من اخذ الرغبة؟
قال : ما ادرى ثم اتهم الى وادى ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فشيا على الماء
ثم جاوزا قال : أسألك بالذي أراك هذه الآية من اخذ الرغبة؟ قال : لا ادرى فانهى الى
مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام ترابا وقال : كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه
ثلاثة اثلث فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغبة قال الرجل : فانا اخذت الرغبة
قال فكله لك وفارق عيسى عليه السلام فاتمى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فأرادا
أن يأخذهما منه و يقتلها فقال : هو بيننا أثلاثا قال : فابعثوا أحداكم الى القرية حتى
يشترى طعاما فبعثوا أحدهم فقال : الذى بعث لآى شىء أقاسم هؤلاء فى هذا المال؟
لكن اصنع فى هذا الطعام سما فآتتهما قال : ففعل ذلك وقال هؤلاء لآى شىء نجعل
لهذا ثلث المال ولكن اذارجع اليها قتلناه واقسمناه بيننا قال : فلما رجع اليهما قتلاه
وأكلا الطعام فاتا فبقى ذلك المال فى المفازة وأولئك الثلاثة قتلوا عنده فربهم عيسى
عليه السلام فى تلك الحال فقال لأصحابه : هذه الدنيا وهذا المال فاحذروها والافتقروا
فى المال (وهى) أى آفات المال من البليات (الإفضاء الى المهلكات) أى
ايصاله الى مهلكات الاخلاق (كالكبر) فانه يغلب على أرباب الاموال (والكذب)
أى فى معاملتهم وسائر الاحوال (والعداوة) أى الناشئة من كثرة القيل والقال
(وحب الدنيا) وهو رأس كل خطيئة كما رواه البيهقى فى الشعب باسناد حسن
الى الحسن البصرى رفعه مرسل (واقتحام الشهوة) وفى نسخة الشبهة أى ودخوله
من غير ملاحظة لحصوله فى الأمور المضرة من غير وصول المسرة (والحاجة الى
الناس) لضرورة الغنى من معاشره الخلق فى مباشرة أمره بخلاف الفقير فانه غنى بربه
عن غيره (والشغل عن الطاعة بالكسب) أى والاشتغال عن العبادة بسبب الكسب
كما هو العادة بخلاف المتوكلين من أرباب الارادة (والحفظ) أى وبسبب حفظ

وَدَفَعَ الْحَسَادَ مَعَ اُحْتِمَالِ الْمَشَاقِّ ، وَفَوَائِدِهِ وَهُوَ الْاِتِّفَاقُ عَلَى النَّفْسِ لِلْقِيَامِ
بِالطَّاعَةِ ، كَالْمَطْعَمِ وَالْمَلْبَسِ وَمَا يُحْتَاجُ اِلَيْهِ كَالْحَجِّ وَالزَّوْرِ وَعَلَى الْغَيْرِ وَهُوَ
صَدَقَةٌ لِلْفَقِيرِ وَمَرْوَةٌ لِلْغَنِيِّ فِي الضِّيَافَةِ . وَالْاِعَانَةُ فَهِيَ تَحْصُلُ الْاِخْوَةَ

الأموال فانه يضيع به ضبط الأحوال ﴿ودفع الحساد﴾ أى ويدفعهم لما فيهم من أنواع
الفساد ﴿مع احتمال المشاق﴾ فى جمعه ومنعه بالاتفاق اذ حلال الدنيا فيه الحساب وحرامها
فيه العقاب بل الحجاب الذى هو أشد العذاب ﴿وفوائده﴾ أى والعلم بفوائد المال
﴿وهو الاتفاق على النفس للقيام بالطاعة﴾ فيما لا بد له منه على طريق القناعة ﴿كالمطعم﴾
وكذا المشرب ﴿والملبس﴾ وكذا المسكن ﴿وما يحتاج اليه﴾ أى الى الاتفاق الزائد عليه
﴿كالحج﴾ وكذا العمرة ﴿والغزو﴾ وكذا اطلب العلم وتحصيل الصلة ﴿وعلى الغير﴾
من الزوجة والخادم ومحوهما من الاجانب والمحارم فورد «أفضل الدينار دينار ينفقه على
عيله» رواه مسلم وكنى بالمرء اثماً أن يضيع من يقوت، أبو داود، وعند مسلم معناه
﴿وهو﴾ أى الاتفاق «(صدقة للفقير)» أى بأى طريقة مع حصول النية «(ومروءة)»
أى فتوة «(للغنى)» فى بعض الأحوال الرضية كما بينه بقوله «(فى الضيافة)» فانها من
الشئائل السنية فورد «الضيافة ثلاثة أيام فإزاد فصدقة» أحمد. وأبو يعلى عن أنس سعيده الضيف يأتي
برزقه ويرتحل بذنوب القوم «الطبرانى عن طارق بن اشيم» صاف ضيف رجلا من
بنى اسرائيل وفي داره كلبه مجح بالحاء المهملة المشددة بعد الجيم أى قرية الولادة فقالت
الكلبة والله لأنجب ضيف أهلى فعوى جراؤها فى بطنها قيل: ما هذا فأوحى الله الى رجل
منهم هذا مثل أمة تكون من بعدكم تقهر سفهاؤها علماءها «(والهدية)» فانها من
الفضائل البية ، وقد ورد «الهدية تذهب بالقلب والسمع والبصر» الطبرانى عن عصمة
ابن مالك «الهدية تعور عين الحكيم» الديلمى عن ابن عباس «هدية الله الى المؤمن السائل
على بابه» الخطيب فى رواية مالك عن ابن عمر «(والاعانة)» وكذا الاغاثة قال تعالى:
(وتعاونوا على البر والتقوى) وفى الخبر المشهور «من كان فى عون أخيه المؤمن كان الله
فى عون» ، وورد «من أغاث ملوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة فيها صلاح
أمره كله وثلاثان وسبعون له درجات يوم القيامة» البخارى فى تاريخه والبيهقى عن أنس
«(فهى)» أى المروءة «(تحصل الاخوة)» أى فى الدين والدينار ورد المرء كثير بأخيه ،

وَالسَّخَاءَ وَالْفُتُوَّةَ ، وَوَرَدَ فِيهَا الْأَخْبَارُ ، وَوَقَايَةُ لِدَفْعِ الشَّرِّ فَهُوَ بِنَيْ الْغِيَةِ
وَالْعُدَاوَةِ فَوَرَدَ أَنَّهَا صَدَقَةٌ وَاسْتِخْدَامٌ لِتَدْيِيرِ الْمَعَاشِ فَهُوَ يَفْرَغُ لِلْعِبَادَةِ ، وَفِي
نَحْوِ الْمَسْجِدِ . وَالْجَسْرِ . وَالرِّبَاطِ . وَالْحَوْضِ . وَالْبَرِّ فَهُوَ يَبْقَى الذِّكْرُ ،
وَيَحْصُلُ بَرَكَةُ الدُّعَاءِ وَكُلُّ مِنْهَا عِبَادَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ

ابن أبي الدنيا عن سهل بن سعد والمرء مع من أحب وله ما اكتسب ، الترمذى عن أنس
« والمرء على دين خليله فلينظر بمن يخالاه » (و السخاء) * لارباب الصفاء وأصحاب الوفاء
« (والفتوة) « وهى لئال الرجال وجمال الانسانية « (وورد فيها) « أى فى المروءة وما يتعلق
بها « (ال اخبار) « فانها من أعمال الابرار ، فورد « من المروءة ان ينصت الاخ ل اخيه اذا
حدثه ومن حسن الماشاة أن يقف الاخ ل اخيه اذا انقطع شئ نعله ، الخطيب عن أنس
« المروءة اصلاح المال ، الدبلى عن ابن ابان عن أنس « ليس من المروءة الربح على الاخوان »
ابن عساكر عن ابن عمر « (ووقاية) « عطف على صدقة أى محافظة « (لدفع الشر) « أى من
أهل الضر « (فهو) « أى الاتفاق على الغير لدفع الشر « (بنى الغية) « باللسان
« (والعداوة) « فى الجنان « (فوردانها) « أى وقايتها « (صدقة) « قال عليه السلام « ما وقى
به المرء عرضه فهو له صدقة « العسكرى والقضاعى من حديث جابر * « (واستخدام) *
أى أخذ خادم بالشراء أو الكراه « (لتدبير المعاش فهو) * « أى الخادم « (يفرغ للعبادة) «
التي هو زاد المعاد « (وفى نحو المسجد) « أى الاتفاق فى نحو عمارة المسجد وترميمه وتويره
« (والجسر) « أى معبر العامة أو الخاصة فوق البحر أو النهر « (والرباط) « أى الخانات
فى البعد عن العمارات أو القلاع دفعا للكفرة وأرباب الغارات « (والحوض والبر) «
فى البلدان والقنوات والكل من الخيرات والمبرات « (فهو) « أى الاتفاق فى نحو المسجد
« (يبقى الذكر) « أى التناء الحسن بعد فناء العمر « (ويحصل بركة الدعاء) « أى
دعوة العامة « (وكل منها) « أى من فوائد المال « (عبادة مستقلة) « لاسيا عمارة
المسجد فقد قال تعالى : (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية ، وورد
« من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة » ابن ماجه عن علي زاد الطبراني عن أبى امامة
« أوسع منه » وفى رواية أحمد عن ابن عباس « من بنى لله مسجدا ولو كفحص قطاة
ليضيها بنى الله له بيتا فى الجنة » وفى معنى المسجد المدارس للعلماء والزوايا للصالحاء ، فعن
أبى هريرة « من بنى بيتا يعبد الله فيه من جلال بنى الله له بيتا فى الجنة من در وياقوت ،

ثُمَّ السَّخِيُّ مَنْ لَا يَمْنَعُ مَا يَجِبُ شَرْعًا وَمُرُوءَةً وَمَانِعُ الشَّرْعِ الْبُخْلُ وَالسَّخَاوَةُ
تَفَارُقُ الْإِثَارَ بَأَنَّهُ بَذْلٌ مَعَ الْإِحْتِيَاجِ وَهُوَ الْأَفْضَلُ فَهُوَ مِنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ
يُسْتَكْمَلُ بِهِ الْإِيمَانُ ، وَوَرَدَ (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) *

الطبراني في الاوسط (ثم السخي) في عرف العلماء (من لا يمنع ما يجب شرعا و مروءة)
أى طبعاً و ضده البخل وهو ما يمنعهما (و مانع الشرع) أى موجه (البخل) من مانع
المروءة (و السخاوة تفارق الايثار) وهو اختيار الغير بالبر (بانه أى) الايثار
(بذل مع الاحتياج) أى مع غاية الافتقار اليه و السخاوة مع عدمه فافترقا (وهو)
أى الايثار (الفضل) أى افضل من السخاوة (فهو من ثلاث خصال يستكمل به
الايمان) و الخصلة الثانية ان يحب ل اخيه ما يجب لنفسه و الثالثة ان يأمن جاره بوائقه
(و ورد) فى مدح الانصار (و يؤثرون على أنفسهم) تمامه (ولو كان بهم خصاصة)
أى شدة حاجة و فاقة أو جماعة و ضرورة الى ما يؤثرون ، و فى البخارى عن أبى هريرة « ان
رجلاً أتى النبى ﷺ فاستضافه فبعث الى نسائه فقلن : ما معنا الا الماء فقال عليه السلام :
من يضيف هذا ؟ فقال رجل من الانصار : أنا فانطلق به الى امرأته فقال : اكرمى ضيف
رسول الله ﷺ فقالت : ما عندنا الا قوت للصبيان فقال : هبى طعامك واصبى
سراجك و نوى صيانك اذا أرادوا عشاء فبأت طعامها و اصبحت سراجهما و نومت
صيانها ثم قامت كأنها تصلح السراج فاطفأته فجعللا يريانه انها يأكلان فبانا
طاولين فلما أصبح غدا الى رسول الله ﷺ فقال : ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما
فأنزل الله عز و جل : (و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) و أخرج الحاكم
عن ابن عمر قال : اهدى لرجل من الصحابة رأس شاة فقال : ان اخى فلانا و عياله احوج
الى هذا منافعت اليه فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تناول سبعة آيات حتى رجع
الى الاول فنزلت الآية ، و من بعض المتعبدات انها وقفت على جبان بن بلال وهو جالس
مع أصحابه فقالت : هل فيكم من أسأله عن مسألة ؟ فاشاروا الى جبان فقالت : ما السخاوة
عندكم ؟ قال : العطاء و البذل و الايثار قالت : هو السخاوة فى الدنيا فما السخاوة فى الدين ؟ قال
ان نعبد الله سبحانه متبرعة سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت : أفتريدون على ذلك
اجرا قال : نعم قالت لم ؟ قال لان الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله
اذا أعطيتم واحدة و اخذتم عشرة فبأى شئ تسخيتم عليه قال : فما معنى السخاوة عندك

والتبذير بأنه حيث يجب الإمساك وهو حرام، فورد (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) لكن البخل الحش والتسخي بأنه مع الكراهة والمروءة بترك المضايقة بالمحقرات فتختلف باختلاف الأشخاص كالغنى والفقر والقريب والأجنبي

يرحمك الله؟ قالت: السخاء عندى أن تعبدوا الله متعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لعبادته لا يريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل ما يشاء بكم فى أولاكم وأخراكم ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم فيها أنكم تريدون شيئا بشيء ان هذا فى الدنيا القبيح ، وقال المحاسبى: السخاوة فى الدين أن تسخو نفسك فى محبة ربك ويسخو قلبك يذل مهجتك وأهراق دمك عن سماحة دون كراهة ابتغاء لوجهه غير مرید بذلك عوضا وغرضا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب لان مولاك يختار لك ما لا يحسن ان تختار لنفسك فى دنياك وأخرتك وفيه تليح الى قوله سبحانه : اى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية (والتبذير) أى السخاوة تفارق التبذير (بأنه حيث يجب الإمساك) أى المنع من بذله لكونه اسرافا أو فى غير محله اللاتقبة (وهو حرام) لقوله تعالى : (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) (فورد ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أى اولياءهم (وكان الشيطان لربه كفورا) أى جحودا نفورا، والمعنى لا تنفق مالك فى المعصية قال مجاهد: لو انفق انسان ماله كله فى الحق ما كان تبذيرا ولو انفق بدائق فى الباطل كان تبذيرا ولذا قيل : لا سرف فى خير ولا خير فى سرف، وقال: شعبة كنت امشى مع أناس فى طريق الكوفة فأتى على جدار بنى بجص وآجر فقال : هذا التبذير (لكن البخل الحش) من التبذير لان البخل مطلقا يذم بخلاف زيادة الكرم (والتسخي) أى ويفارق السخاوة التسخي (بأنه مع الكراهة) أى بالطعم والجلبة بخلاف السخاوة فانها لا تكون الامع طيبة النفس والمحبة (والمروءة) أى تفارقها السخاوة (بترك المضايقة) و كان حقه ان يقول بالمضايقة ليكون على منوال المضايقة وفى نسخة المروءة بالرفع وخبره ترك المضايقة (بالمحقرات فتختلف) المضايقة (باختلاف الاشخاص) أى الذوات الذين يصدر منهم المضايقة أو معهم المضايقة وأيضا يختلف باختلاف ما به المضايقة وتفاوت الازمنة والحالات (كالغنى والفقر) فان ترك المروءة فى الغنى اقبل من تركها فى الفقر (والقريب والأجنبي) فان ترك المروءة

وَالْجَارَ وَالْأَهْلَ وَالضَّيْفَ. وَالْمَيْتَ فَمَا يُسْتَقْبَحُ فِي أَحَدِهِمْ لَا يُسْتَقْبَحُ فِي الْآخَرِ
وَالْأَوَّلَى التَّوَسُّطُ ، فُورَدَ (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) وَحَقُّ الْعَطَاءِ أَنْ يَعَجَلَ قَبْلَ الْوُجُوبِ مَبَادِرَةً إِلَى
الْإِتِّمَارِ وَإِسْرَارًا لِلْمُؤْمِنِ

فِي حَقِّ الْأَقَارِبِ أَقْبَحُ مِنْ تَرْكِهَا فِي حَقِّ الْأَجَانِبِ (وَالْجَارُ وَالْأَهْلُ) مِنَ الزَّوْجَةِ وَالْخَادِمِ
(وَالضَّيْفُ وَالْمَيْتُ) فِي أَمْرِ تَكْفِينِهِ وَتَجْهِيْزِهِ وَدَفْنِهِ ، وَكَذَا فِي حَالِ الْعِلَاءِ وَالرَّخَاءِ
وَالسَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ وَكَذَا تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الشَّيْخِ وَالصَّبِيِّ وَالشَّابِّ وَالْمَرْأَةِ وَالرَّجُلِ
وَالْعَاقِلِ وَالْجَاهِلِ (فَمَا يُسْتَقْبَحُ فِي أَحَدِهِمَا) أَيِ الشَّخْصَيْنِ أَوْ الْحَالَيْنِ (لَا يُسْتَقْبَحُ فِي
الْآخَرِ) لِتَفَاوُتِ الْأَمْرَيْنِ (وَالْأَوَّلَى) فِي الْإِنْفَاقِ (التَّوَسُّطُ) الْمَحْمُودُ فِي جَمِيعِ
الْإِخْلَاقِ بَأَنَ يَكُونَ مَتَوَسِّطًا بَيْنَ الْبَذْلِ وَالْبَخْلِ فَيُمْسِكُ حَيْثُ يَجِبُ الْحِفْظُ وَيُبْذِلُ حَيْثُ
يَجِبُ الْعَطَاءُ وَانَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَوَّلَى لِأَنَ التَّفْرِيطَ الَّذِي هُوَ الْبَخْلُ مَذْمُومٌ كَالْإِفْرَاطِ الَّذِي
هُوَ التَّبْذِيرُ وَالْإِثَارُ وَإِنْ كَانَ حَسَنًا لَكِنْ الْمَدَاوِمَةُ عَلَيْهِ رَبَّمَا تَوَدَّى إِلَى الْحَجَرِ فَكَانَ
الْأَوَّلَى هُوَ التَّوَسُّطُ (فُورَدَ) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ (أَيِ لَا تُمْسِكْ يَدَكَ
عَنِ النِّفْقَةِ فِي الْحَقِّ كَالْمَغْلُولَةِ يَدُهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى مَدِّهَا) وَلَا تَبْسُطْهَا (أَيِ بِالْعَطَاءِ
(كُلِّ الْبَسْطِ) فَتَقْطِعَ جَمِيعَ مَا عِنْدَكَ) فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (وَالْمَلُومُ الَّذِي أَتَى مَا يُلُومُ
نَفْسَهُ وَمَا يُلُومُ غَيْرَهُ ، وَمَحْسُورٌ أَيِ مُنْقَطِعًا بِكَ لِأَشْيَاءٍ عِنْدَكَ ، وَفِي الْمَعَالِمِ قَالَ : جَابِرٌ وَأَتَى
صَبِي فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أُمِّي تَسْتَكْسِيكَ دِرْعًا وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْإِقْبِصَةُ
فَقَالَ لِلصَّبِيِّ مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ يَظْهَرُ فَعَدُّوْنَا آخِرَ فَعَادَ إِلَى أُمِّهِ فَقَالَتْ لَهُ : قُلْ لَهُ إِنْ أُمِّي
تَسْتَكْسِيكَ الدِّرْعَ الَّذِي عَلَيْكَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَارَهُ وَنَزَعَ قَبِصَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَقَعَدَ
عَرِيَانًا فَاذَنْ بِلَالٌ بِالصَّلَاةِ وَانْتَظَرُوهُ فَلَمْ يَخْرُجْ فَشَغَلَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ
فَرَأَوْهُ عَرِيَانًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ (وَحَقُّ الْعَطَاءِ) لِأَسْمَاءَ إِذَا كَانَ فَرَضًا (أَنْ يَعْجَلَ قَبْلَ
الْوُجُوبِ) وَهُوَ حَوْلَانِ الْحَوْلِ فِي الزَّكَاةِ وَدُخُولِ عِيدِ رَمَضَانَ فِي صَدَقَةِ الْفِطْرِ
(مَبَادِرَةً إِلَى الْإِتِّمَارِ) أَيِ قَبُولِ الْأَمْرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ)
(وَإِسْرَارًا لِلْمُؤْمِنِ) فَقَدْ قِيلَ « ادْخَالَ السَّرُورُ عَلَى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ أَفْضَلَ مِنْ عِبَادَةِ
الثَّقَلَيْنِ ، وَعَنْ جَابِرٍ « أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ سُرُورُ تَدْخُلِهِ عَلَى مُسْلِمٍ ، ابْنُ عَدَى ، وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ
« مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ ادْخَالِكَ السَّرُورِ عَلَى قَلْبِ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ ، ابْنُ النُّجَّارِ

وَتَحَامِيَا عَنْ طُرُقِ الْآفَاتِ وَيَعِينُ لَهُ وَقْتًا فَاضِلًا كَشَهْرِ رَمَضَانَ وَذِي
الْحِجَّةِ وَيُسِرُّ أَنْ خَافَ الرِّيَاءَ، فَوَرَدَ « إِنْ الْعَبْدُ لِيَعْمَلْ سِرًّا فَيَكْتُبُ سِرًّا وَأَنْ
أَظْهَرَهُ نُقِلَ إِلَى الْعِلَانِيَةِ فَإِنْ تَحَدَّثَ بِهِ نُقِلَ إِلَى الرِّيَاءِ »، وَلَكِنَّا يُبَالِغُونَ فِيهِ بِحَيْثُ
لَا يَعْرِفُهُمُ الْقَابِضُ، وَيُظْهِرُ إِنْ سُئِلَ فِي مَلَأَ مَعْتَصِمًا عَنْهُ أَوْامِنَهُ

(وَتَحَامِيَا) أي تحفظا (عن طرق الآفات) أي حدوث طرق الآفات الدنيوية
الإنسانية والوساوس الشيطانية (ويعين له وقتا فاضلا) أي زمانا كاملا ليكون ذلك
سببا لنماء قربته وتضاعف صدقته (كشهر رمضان) فمن أنس به أفضل الصدقة
في رمضان، الدارمي في جزئه، وقد كان عليه السلام أجود الخلق وأجود ما يكون في رمضان
كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا، كما في الصحيحين عن ابن عباس (وذي الحجة)
فانه شهر حرام وفيه الحج وموسم الخيرات والمبرات والأيام المعلومات وهي العشر
الأول. والأيام المعدودات وهي أيام التشريق وقد قالوا: أفضل أيام شهر رمضان
العشر الأواخر وأفضل أيام ذي الحجة العشر الأول (ويسر) أي يخفي العطاء
(ان خاف الرياء فورد أن العبد ليعمل سرا فيكتب سرا وان أظهره) لغيره بعد
سره (نقل الى العلانية) أي ديوانها (فان تحدث به) أي ثالثا (نقل الى الرياء)
الخطيب في التاريخ من حديث أنس نحوه بإسناد ضعيف والديلمي عن أبي الدرداء
ولفظه ان الرجل ليعمل عملا سرا فيكتبه الله عنده سرا فلا يزال به الشيطان حتى
يتكلم به فيمحق من السر ويكتب علانية فان عاد وتكلم الثانية محى من السر والعلانية
وكتب رياء، وورد ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة، أبو نعيم من حديث
ابن عباس « وصدقة السر تطفى غضب الرب » الطبراني من حديث أبي امامة وسبعة
يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما أنفقت
يمينه، متفق عليه من حديث أبي هريرة (وكانوا) أي السلف (يبالغون فيه)
أي في اخفاء الاعطاء (بحيث لا يعرفهم القابض) تجامعا عن السمعة والرياء وتحفظا
عن المن والاذى فكان بعضهم يلقيه في يد الأعمى وبعضهم كان يصبر في ثوب العقيق
وهو ناعم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى، و كان
يستكنم المتوسط بشأنه ويوصيه بأن لا يفشي به في زمانه (ويظهر) أي الاعطاء (ان
سئل في ملاء معتصما عنه) أي محفوظا عن الرياء (أو آمنه) أي أو ان آمن من

وَقَصَدَ التَّرْغِيبَ ؛ فَوَرَدَ (إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تَخْفُوهَا وَتَوْتُوهَا
 الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) * (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) وَلَمْ يَسْتِرِ الْقَائِضُ
 تَحَامِيًا عَنِ الْهَيْكَلِ ، فَوَرَدَ « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ » ، وَيَجْتَنِبُ الْمَنَ
 وَالْأَذَى فَوَرَدَ (لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) وَهُمَا الذِّكْرُ بِالْقَلْبِ

السمعة والرياء لاختصاصه بمقام الخواص في الاخلاص ((وقصد الترغيب)) لغيره في
 باب الاعطاء من الاقتداء ((فورد إن تبدوا الصدقات)) أي إن أظهروها ((فنعما هي))
 أي فعمت الخصلة ابدائها أي اظهار اعطائها ((وان تحفوها وتوتوها الفقراء فهو
 خير لكم)) أي من الابداء بالاعطاء ((وأنفقوا)) بصيغة الماضي ((مما رزقناهم سرا
 وعلانية)) أي باختلاف الأحوال من الترهيب والترغيب وتفاوت النية واختلاف
 الطوبى والسر مختص بالتواقل والاعلان بالفرائض أو تارة وتارة بحسب ما يليق بالاشخاص
 والاوقات والحالات كما يشير اليه قوله تعالى : (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار
 سرا وعلانية فلم أجرم عندهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) روى مجاهد عن ابن
 عباس قال : نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان عنده أربعة دراهم
 لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية ((ولم
 يستر القايض)) أي لم يكتم ما أخذه بل يظهره ويتحدث به ويدعوا لصاحبه ، فقد ورد
 « من صنع اليكم معروفا فكافوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه »
 أبو داود . والنسائي من حديث ابن عمر باسناد صحيح « ومن صنع اليه معروفا فقال
 لفاعله : جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء » الترمذی . وابن حبان . والنسائي عن أسامة
 « ومن صنع الى أحد من أهل بيتي يدا كافئته عليها يوم القيامة » ابن عساكر عن علي
 ((تحاميا عن الهتك)) أي احترازا عن انتهاك حرمة شكر النعمة ((فورد من لم يشكر
 الناس لم يشكر الله)) الترمذی وحسنه ، وفي رواية عبد الله بن أحمد عن النعمان بن بشير
 « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله » والتحدث بنعمة الله
 شكر وتركها كفر ، ((ويجتنب المن)) أي الامتنان في الاعطاء والاحسان ((والأذى))
 باليد أو باللسان ((فورد لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى)) أي بكل منهما ((وهما)) أي
 المن والأذى على طريق اللف والنشر المرتب ((الذكر بالقلب)) أي ذكر الصدقة بقلبه

وَالْأَظْهَارُ بِاللِّسَانِ. وَالْإِسْتِخْدَامُ وَالتَّقْرِيعُ بِالْفَقْرِ وَالتَّكْبِيرُ بِالْعَطَاءِ وَالتَّشْدِيدُ
بِالْقَوْلِ، وَالْأَقْرَبُ الْمَنْ أَنْ يَرَاهُ مُحْسِنًا إِلَيْهِ وَيَعْرِفُ بِقُوَّةِ اسْتِبْعَادِ جَنَابَةِ الْقَابِضِ
بَعْدَ الْعَطَاءِ، وَالْمُحْسِنُ هُوَ الْقَابِضُ لَا يَصَالُهُ إِلَى الثَّوَابِ وَالْإِنْجَاءِ عَنِ الْعِقَابِ
وَكَوْنُهُ نَاتِبًا عَنْهُ تَعَالَى فِيهِ، فَرَدَّ «أَنَّهُ تَقَعُ أَوْلَايَدُهُ تَعَالَى» وَكَوْنُهَا حَقًّا لَهُ تَعَالَى
أَحَالَ عَلَيْهِ الْفَقِيرُ إِنْجَازًا لِمَا وَعَدَهُ مِنَ الرِّزْقِ *.

(والأظهار) لها (باللسان) في غيبته أو وجهه (والاستخدام) الفقير بالعطاء. (والتقريع
بالفقر) أي وتغييره بأنه من الفقراء. (والتكبير بالعطاء) أي لانه من الأغنياء. (والتشديد
بالقول) أي بان ينهره ويوبخه بأنه من الفقراء. (والاقرب) أي الى الصواب من بين
الاقوال ان يقال (المن) أي حد المن (ان يراه) أي المعطى (محسنا اليه) ومنعما عليه
وحقه ان يرى الفقير محسنا لديه بقبول حق الله تعالى منه الذي هو طهرته وبه عن النار نجاته
وانه لو لم يقبله لبقى مرتبنا به فحقه ان يتقدم منه من الفقير في قبضه واخذه بيد لطفه ، ولذا
كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويمثل قائما عنده يسأله قبولها حتى يكون
هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده وكان بعضهم يبسط كفه
ليأخذ الفقير فتكون يد الفقير هي العليا (ويعرف) أي المن (بقوة استبعاد جنابة
القابض بعد العطاء) أي بترك الخدمة وعدم التعظيم والحرمة والتقديم في المحافل والمتابعة
في المجالس والمناهل ، فلو جنى القابض على المعطى فزاد استنكاره علم ان صدقته لم تخل
عن شائبة المنة لانه توقع بسببها هنالك ما لم يكن توقعه قبل ذلك (والمحسن) أي في
الحقيقة (هو القابض) أي الصدقة (لا يصاله) أي المحسن (الى الثواب والانجاء)
أي اخلاصه (عن العقاب وكونه) أي ولو كونه (ناتبا عنه تعالى فيه) أي في القبض
(فرود أنها تقع اولا يده تعالى) ولفظ الحديث «ان الصدقة تقع بيد الله تعالى قبل ان تقع
في يد السائل» الدار قطني في الافراد من حديث ابن عباس واليهيقي في الشعب (وكونها)
أي ولو كون الصدقة (حقا له تعالى) أي خاصة اذ ليس له شريك في ملكه (احال عليه الفقير)
على سبيل الرفق (انجازا لما وعده من الرزق) أي وقدره ان يكون على يد الخلق
فليتحقق الغنى انه مسلم الى الله سبحانه حقه والفقير آخذ من الله عز وجل رزقه بعد

وَالْأَذَى التَّعْيِيرُ وَالتَّوْبِيخُ وَالْقَوْلُ السَّيِّئُ وَالْقُطُوبُ . وَهَتْكَ السِّرَ .
وَالِاسْتِخْفَافُ . وَالِاسْتِحْقَارُ ، وَالسَّبَبُ اسْتِكْثَارُ الْعَطَاءِ وَالتَّكْبِيرُ عَلَى الْقَابِضِ
النَّاشِئَانِ مِنَ الْجَهْلِ ، وَنَسْيَانُ فَضْلِ الْفَقِيرِ ، وَالْمُرَادُ عَدَمُ كَوْنِ ذَلِكَ الْإِعْطَاءِ
صَدَقَةً لَا الْإِبْطَالَ فَهُوَ مَمْتَنِعٌ ، وَيَسْتَصْغِرُ الْإِعْطَاءُ لِعَظَمِ عِنْدَهُ تَعَالَى

صيرورته مسلما الى الله ولو كان عليه دين لانسان فاحال به عليه صاحب الدين عبده
او خادمه الذى هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت ممتنه
سفها وجهلا فان المنة للمحسن اليه المتكفل برزقه فاما هو فقائم بقضاء الدين الذى لزمه
بشراء ما أحبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره (والأذى) أى والأقرب
ان حد الأذى (التعيير والتوبيخ) عطف تفسير أو احدهما مختص بالغبية والآخر
بالمشاهدة (والقول السيئ) كالذم والشتم ونحشين الكلام (والقطوب) وهو عبوسة
الوجه (وهتك السر) أى ببيان اعطائه له فى الملاحولة (والاستخفاف) أى بقوله
(والاستحقار) بفعله (والسبب) أى الباعث على المن والأذى (استكثار
العطاء) واستنقاله وهو حق لان من كره بذل درهم فى مقابلة ما يساوى ألفا فهو شديد
الجهل ، ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضا المولى والثواب فى دار العقي فلا وجه لكرهه
أصلا (والتكبر على القابض الناشئان من الجهل) الحاصلان الحادثان من جهله
(باستنقال رضائه تعالى على خسيس فان) أى فى اصل بنائه كما تقدم (ونسيان فضل
الفقير) أى ومن نسيان فضله لانه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الاغنياء
وحظ الفقراء لما استحققر الفقير بل يتبرك بخدمته ويتمنى ان يكون فى درجته ، فصلحاء
الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام فقد ورد « فقراء المهاجرين يدخلون
الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام » الترمذى عن أنس سعيد (والمراد) أى بالبطلان
فى قول الله تعالى : (لا تبطلوا صدقاتكم) (عدم كون ذلك الاعطاء صدقة) أى مقبولة
نافعة كل المنفعة أو صدقة مضاعمة بان يكون كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنة
مائة حبة (لا الابطال) أى الحقيقى فلا يكون له ثواب الصدقة بالكلية ولا حبة كما يقوله
المعتزلة وعلى التنزل فيكون له ثواب الاحسان لانه احسن الى احد من الاخوان
(فهو) أى الابطال من جميع الاحوال (ممتنع) فى صحيح الاقوال (ويستصغر) أى
من حق العطاء ان يستحققر (الاعطاء ليعظم عنده تعالى) فيصير حبة مثل جبل

وَهُوَ بِذِكْرِ التَّوْفِيقِ وَالثَّوَابِ ، وَيُؤَدِّي مُسْتَحْيَاً مِنْهُ تَعَالَى لِلْبُخْلِ
الْحَامِلِ عَلَى الْخِفْظِ أَجُودَ الْمَالِ وَابْعَدَهُ مِنَ الشُّبْهَةِ فُورَدَ . (أَنْفَقُوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) *

احدو يقال : ان الطاعة كلما استصغرت كبرت و كلما استعظمت صغرت (وهو) أى
استصغاره انما يحصل (بذكر التوفيق) بأن يتأمل بعين التحقيق انه من أين له المال
والى ماذا يصرفه فى المال فاللّٰه له وله المنّة اذا عطاء اياه ثم وفقه لبذله وصانه عن
بخله فلم يستعظم فى حق الله تعالى ما هو عين من بعض حقه وهذا ان ارتقى الى الدرجة
العليا بان يكون بذله فى حجة المولى (والثواب) أى وبالأجر والثوبة ان كان مقامه
يقضى ان ينظر الى الآخرة ومثوبة العقبى فلم يستعظم بذل ما ينظر عليه اضمافه مع انه
بخيل باعطاء بعض ماله فكان ينبغي ان يخجل فى اعماله من نقصان كماله باعتبار ما له ، وهذا
معنى قوله (ويؤدى مستحيا منه تعالى) فهو عطف بالمعنى على بذكر التوفيق
فالتقدير وهو بان يذكر التوفيق وان يؤدى مستحيا منه سبحانه فى مقام التحقيق (للبخل
الحامل على الخفظ) أى على امساك بقية ماله عن مرضاة مالكه (اجود المال)
مفعول يؤدى أى يعطى احسن المال (وابعد من الشبهة) أى واقربه الى الحلال
(فورد أنفقوا من طيبات ما كسبتكم) تمامه (وبما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا
الحديث منه تفقدون ولستم باخذيه الا أن تفضوا فيه) أى لا تأخذونه الا مع كراهة
وحياء ، وفى الخبر « سبق درهم مائة ألف درهم » النسائي وابن حبان والحاكم وصححه من
حديث أبى هريرة وذلك بان يخرج من اجل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح
يبذله وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيذل ذلك على انه ليس يؤثر الله عز
وجل بشيء مما يحبه كذا فى الاحياء ويحتمل ان يكون معناه ان لاحد درهمين فاخرج
درهما وللآخر سبع مائة ألف درهم فاخرج مائة ألف درهم فيصدق عليه انه غلب
درهم مائة ألف درهم بحسب الرتبة فى مقام الكرم والله سبحانه وتعالى اعلم ، ثم رأيت فى رواية
النسائي عن أبى ذر ، سبق درهم مائة ألف درهم رجل له درهمان اخذ أحدهما
فتصدق به ورجل له مال كثير فاخذ من عرضه مائة ألف درهم فتصدق بها ، وفى
رواية الطبرانى عن أبى مالك الاشجعي ، ثلاثه نفر كان لاحدهم عشرة دنانير فتصدق
بدينار وكان لآخر عشر أواق فتصدق منها باوقية وكان لآخر مائة أوقية فتصدق

(حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) . وَلَأنَّهُ تَعَالَى يَأْخُذُهَا فُورَدَ (يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) فَلَا
يَدْخُلُ فِيهَا وَرَدَ (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ) لِمَنْ يَكْثُرُ بِاعْطَائِهِ الْأَجْرُ بِكَوْنِهِ مُتَقِيًّا
وَعَالِمًا فُورَدَ (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) وَصَادَقًا

منها بعشر اواق هم في الاجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله (حتى تنفقوا مما تحبون)
في قوله تعالى : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فينبغي ان ينفق من ماله اجموده
واحبه واحله واطيبه فورده ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ، أخرجه مسلم عن أبي هريرة
و طولي لعبد أنفق من مال ا كتسبه من غير معصية ، ابن عدى والبراز (ولانه تعالى يأخذها
فورده يأخذ الصدقات) أى في قوله تعالى : (هو يقبل التوبة عن عباده و يأخذ
الصدقات) (فلا يدخل) تفريع لقوله يؤدى اجمود المال أى حتى لا يدخل في المال
(فيما ورد) من ذم الكفار (ويجعلون لله ما يكرهون) أى من البنات حيث
قالوا : الملائكة بنات الله وتمامه : (وتصف السنتهم الكذب أن لهم الحسن) وهى
الصبيان (لمن يكثر) متعلق يؤدى أى يخص اعطاءه لمن يكثر (باعطائه الاجر
بكونه متقيا) والانتقاء هم المعرضون عن الدنيا المتجرون تجارة العقى فقد قال تعالى :
(ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وورد (لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا
تقى ، أبو داود و الترمذى من حديث أبى سعيد (واطعموا طعامكم الانتقاء) ابن المبارك
في البر والصلة من حديث أبى سعيد الخدرى وهذا لأن التقى يستعين به على التقوى
فيكون شريكه في طاعة المولى (وعالما) فان ذلك اعانة له على العلم والعلم أشرف
العبادات (فورده وتعاونوا على البر والتقوى) وورد (أحب بطعامك من يحبه الله)
وفي لفظه (من تحبه في الله ، ابن المبارك . وأبو جوير عن الضحاك مرسلا ، و كان ابن المبارك
يخصص بمعرفة أهل العلم فليلو عمت فقال : انى لأعرف بعد مقام النبوة أفضل
من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقدر على التعليم ففريغهم
للعلم أفضل ، و كان بعضهم يؤثر فقراء الصوفية بالعباء دون غيرهم فقيل : لو عمت
بمعرفتك جميع الفقراء كان أفضل فقال : هؤلاء قوم همهم الله سبحانه فاذا طرقهم
فاقة تشتت همهم أومهم أحدهم فلان أحد منهم الى الله أحب الى من اعطاء
ألف عن همة الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيذ فاستحسنه وقال : هذا ولى من أولياء
الله ما سمعت مذ زمان كلاما أحسن من هذا ، وهذا معنى قول المصنف (وصادقا)

يرى النعمة منه تعالى ،

أى فى تقواه وعلمه بتوحيد مولاه حال كونه (يرى النعمة منه تعالى) أى ولم ينظر الى واسطته وتكون همته الله لا ماسواه ، فى وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعمًا واعدد نعمة غيره عليك مفرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم وسلطانه ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اياه اذ سلط الله تعالى عليه دواعى الفعل ويسر له الأسباب فاعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل فى قلبه بأن صلاح دينه ودنياه فى فعله فمن يقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الأسباب وتيقن مثل هذا العبد أنفع للبعثى من ثناء غيره وشكره فذلك حركة فى اللسان يقل جدواه فى أكثر الزمان واعانة مثل هذا الموحد لا تضيع ولا تقع فى مقام نقصان ، وأما الذى يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الاباء من الاعطاء فاحواله متفاوتة فى السراء والضراء ، وفى هذا المقام قال عليه السلام « لرجل تب فقال أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد فقال ﷺ : عرف الحق لأهله » أحمد والطبرانى من حديث الأسود بن سريع بسند ضعيف ، ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الافك قال : أبو بكر رضى الله عنه : قومي فقبلى رأس رسول الله ﷺ فقالت : لا والله لا أفعل ولا أحمد الا الله عز وجل فقال عليه السلام : « دعها يا أبا بكر ، وفى لفظ آخر انها قالت : لآنى بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك ، فلم ينكر رسول الله ﷺ مع أن الوحي وصل اليها على لسان رسول الله ﷺ كذا فى الاحياء ، وقال العراقى : رواه أبو داود ، ومن حديث عائشة بلفظ « فقال أبو اى : قومي فقبلى رأس رسول الله ﷺ فقلت : أحمد الله لا اياك ، وللبخارى تعليقا فقال أبو اى : قومي فقلت : لا والله لا أقوم اليه ولا أحده ولا أحد كما ولكن له ، ولمسلم « فقالت لى أمى : قومي اليه فقلت : والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله » والطبرانى « فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك » وله من حديث ابن عباس فقالت : لا بحمدك ولا بحمد صاحبك ، وله من حديث ابن عمر فقال أبو بكر : « قومي فاحضنى رسول الله ﷺ فقالت : لا والله لا أدنونه » الحديث ، وفيه « انها قالت للنبي ﷺ بحمد الله لا بحمدك ، ثم علم أن رؤية الأشياء من غير الله تعالى وصف للكافرين قال تعالى : (واذا ذكر الله وحده اشتمأت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذام يستبشرون) ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكأنه لم ينفك عن

وَسَاتِرًا لِّحَاجَّتِهِ فُورِدَ (يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ) . وَمَعِيلاً وَمَرِيضًا فُورِدَ
(لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وَذَا رَحِمَ فَجَاءَ أَنَّ الصَّلَةَ بِدَرَاهِمِ

الشرك الخفى سره فليترك الله سبحانه في تصفية توحيدهِ في مراتبه عن كدورات الشرك الخفى وشوائبه ومع هذا من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر من يرى الواسطة أصلاً، وهذا مرتبة جمع الجمع في التحقيق والله ولي التوفيق ﴿وساتر الحاجته﴾ أى ومخفياً لفاقته لا يكثر البت والشكوى في مضرة حالته ﴿فورد يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف﴾ تمامه : (تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا) أى الحاحا وتصريحاً بل تعريضاً وتلويحاً أو لا يسألون أصلاً فالغنى منصب على القيد والمقيد كقوله سبحانه : (مَالِ الظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاع) حيث لا شفيع لهم أصلاً وقطعاً، وذلك لأنهم أغنياء يقيهم وأعزة بصبرهم وتمسكهم فورد ، ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس « متفق عليه من حديث أبى هريرة ﴾ (ومعيلاً) بضم الميم أى عاجزاً عن نفقة أهله (ومريضاً) أى مريضاً بالمرض مانعاً له من كسبه (فورد للفقراء) أى خصوا صدقاتكم للفقراء (الذين احصروا في سبيل الله) أى حبسوا في طريق الآخرة لعبادة أو اضيق معيشة أو اصلاح قلب في علم وعبادة تمامه (لا يستطيعون ضرباً في الأرض) أى سيرا فيها للتجارة والزراعة والاجارة ونحوها، فبهذه الاسباب كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها، وكان عليه السلام يعطى العطاء على قدر العيلة كذا في الاحياء ، قال العراقي : لم أجد له أصلاً لكن لآبى داود من حديث عوف بن مالك ، أن رسول الله ﷺ كان اذا أتى النقى قسمه في يومه و يعطى الأهل حظين ويعطى العزب حظاً ، وقال أحمد : حديث حسن ، أقول فكان الغزالي يقله بمعناه لعدم استحضر مبناه أو اطعم على ما لم يجد غيره بعده ، ووورده ان المعونة تأتى من الله للعبد على قدر المؤنة وان الصبر يأتى من الله على قدر المصيبة « الحكيم والحاكم والبرار والبيهقى عن ابن عمر ، وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال قلت : وضعف الحال والافار باب الكمال لو كان الخلق كلهم عياله ولم تنزل قطرة ولم تنبت حبة بجباله ما يبالون فان خالقهم رازقهم وواعدهم فصادقهم ﴾ (وذا رحم لجاء ان الصلة) أى صلة الرحم ﴾ (بدرهم

أَحَبُّ مِنَ التَّصَدُّقِ بِعَشْرِينَ إِلَى الْأَجْنِيِّ، وَالْأَوَّلَى طَلَبُ الْجَمَاعِ أَيَّاهَا
أَوْ أَكْثَرَهَا، وَيَتَصَدَّقُ كُلُّ يَوْمٍ وَلَا يَرُدُّ سَائِلًا فَيَسْكُتُ إِنْ لَمْ يَقْدِرْ وَهُوَ الْمَأْتُورُ
الْبَلُطَفُ فَرَدَ (قَوْلُ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى).

أحب من التصدق بعشرين إلى الأجنبي (فمن على لأن أصل أخا من أخواني بدرهم أحب
إلى من أن أتصدق بعشرين درهما ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلى من أن
أتصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم أحب إلى من أن أعطي رقبة، وأما الأصدقاء
وأخوان الخير فيقدمون على المعارف في تقديم الأقارب على الأجانب، وقد
ذكر السيوطي في خماسيته أن ثواب الصدقة خمسة أنواع واحدة بعشرة وهي على صحيح
الجسم وواحدة بسبعين وهي على الأعشى والمبتلى وواحدة بتسعة مائة ألف وهي على ذى قرابة
عحتاج وواحدة بمائة ألف وهي على الأبوين وواحدة بتسعة مائة ألف على عالم أو فقيه
(والأولى طلب الجامع أيها) أي طلبه لمن جمع فيه الصفات المذكورة والحالات
المستورة (أو أكثرها) فإن ما لا يترك كله ولا يترك كله ويقدر ما يتعنى يحصل له
ما يمتنى فإن وجد من جمع هذه المراتب في أعلى المناقب فهي الذخيرة الكبرى
والغنيمة العظمى (ويتصدق كل يوم) أي يكتب في المتصدقين وقد ورد «يا كروا
بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة» الطبراني في الأوسط عن علي واليهيقي عن أنس
(ولا يرد سائلا) فورد «ردوا السائل ولو بظلف محرق» مالك وأحمد، والبخاري
في تاريخه، والنسائي عن جوامع بنات السكن، وفي رواية العقيلي عن عائشة «ردوا هذمة
السائل أي بغيته وشهوته - ولو بمثل رأس الذباب» العقيلي عن عائشة ولعله مقتبس
من قوله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) (فمن سكت أن لم يقدر) على
الغطاء (وهو المأثور) فمن محمد بن الحنفية مرسل أنه عليه السلام «كان لا يكاد يقول
شيء إلا فإذا هو سئل فأراد أن يفعل قال نعم وإن لم يرد أن يفعل سكت» رواه ابن سعد
ورواه الحاكم عن أنس كان عليه السلام «لا يسأل شيئا إلا أعطاه أو سكت» (الابلطف)
وهو المشهور عن الجمهور (فورد قول معروف) أي كلام حسن ورد على السائل
مستحسن، وقيل علة حسنة، وقيل دعوة صالحة (ومغفرة) أي ستر خلة أو سد فاقة
ورفع حاجة (خير من صدقة) يدفعها إليه حال كونه (يتبعها أذى) أي يعقبها به
لديه أو من عليه، والأولى أن يستدل بقوله تعالى: (وأما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك

ولا ينهر فأوعديه العذاب في النار ألف عام ويغتم السؤال ويسئ الظن بنفسه عند فقده، ولا يتوقع جزاء أو دعاء أو شكر أو ثناء أو يكافئ بمثله أن دعاله بالخير أو أنى ويجعلها لوالديه الماضين فالكل مأثور ويقدم نفقة النفس والعيال فهو فرض

ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً (أى ذا يسر ولين وهى العدة أى فعدم وعدا جميلا وقيل ادع لهم دعاء جزيلاً نحو يرزقنا الله وإياك واعطانا الله وأعطاك) (ولا ينهر) أى ومن حق العطاء أنه لا يزرعهم ولا يقهرهم به فسر قوله تعالى: (وأما السائل فلا تنهر) أى إذا سألك فاما أن تطعمه طعاماً لنا واما أن ترده رداً هيناً (فأوعديه العذاب فى النار ألف عام) لم أعرف له أصلاً (ويغتم السؤال) بالمصدر أى سؤال الفقير على بابه فإنه هدية من الله الى جنبه كما ورد فيها تقدم ويحتمل أن يكون السؤال على وزن الجهمال جمع سائل فمن إبراهيم بن آدم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة، وعن ابن عمر مرفوعاً هدية الله الى المؤمن السائل على بابه، ورواه الخطيب (ويسئ الظن بنفسه عند فقده) أى عند عدم وجدان السائل فى باب أنسه (ولا يتوقع) أى لا يطمع من الفقير حين اعطاء عطاء أن يجازيه (جزاء أو دعاء أو شكر أو ثناء) قال تعالى حكاية عن الأبرار: (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) (وما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً) (ويكافئ) بالهمز أى يجازى المعطى (بمثله) بنظير دعاء الفقير (أن دعا له بالخير) ونحوه من الجزاء (أو أنى) عليه بأن مدح فى مقابلة العطاء وكانت عائشة أم المؤمنين كثيرة الخيرات والمبرات قال عروة بن الزبير: (لقد تصدقت بخمسين ألفاً وان درعها المرفوع، وكانت هى وأم سبله إذا أرسلنا معروفاً الى فقير قالت للرسول احفظ ما يدعوه ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان: هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه يشبه المكافأة وهكذا فعل عمر وابنه رضى الله عنهما (ويجعلها) أى ثواب صدقة (لوالديه الماضين) أى المتوفين فانهما ينتظران دعوة تلحقهما أو صدقة تقصيهما فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ما على أحدكم إذا أراد أن يتصدق أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجرهما من غير أن ينقص من أجرهما شيء. ابن النجار (فالسكل مأثور) وفى كتب الحديث مسطور (ويقدم نفقة النفس والعيال فهو) أى تقديمهما (فرض) وقد ورد أبدأ

وَيَاكُرُّ لِيَادِرَ بِهَا الْبَلَاءُ، وَيَغْتَنِمُ عَلَى مَنْ رَقَّ لَهُ الْقَلْبُ فَهُوَ عَلَامَةٌ صِدْقِ
السَّائِلِ وَلَا يَحْقِرُ مَا عِنْدَهُ

بمن تعول، متفق عليه «ابدأ بنفسك فتصدق عليها فان فضل شيء فلاهلك فان فضل
عن أهلك شيء فلذى قرابتك فان فضل من ذى قرابتك شيء فكذا» النساء، وفي
الطبراني من حديث جابر بن سمرة «إذا أنعم الله على عبده نعمة فليبدأ بنفسه وأهل بيته»
«وقدم رسول الله ﷺ نفقة الولد على الزوجة ونفقة الخادم» أبو داود
من حديث أبي هريرة بسند صحيح وابن حبان والحاكم وصححه، ورواه النسائي وابن حبان
أيضا بتقديم الزوجة على الولد، ويجمع بين الحديثين بأن الولد صغير في الأول وكبير
في الثاني، وقال ﷺ «ما لأصحابه: «تصدقوا قال رجل: عندي دينار فقال: أنفقه
على نفسك قال: ان عندي آخر قال أنفقه على زوجتك قال: ان عندي آخر قال أنفقه على
والديك قال: ان عندي آخر قال أنفقه على خادمك قال ان عندي آخر قال أنت أبصر به»
أبو داود والنسائي واللفظ له وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة (ويا كرم)
أى يخرج الصدقة أول النهار ليدخل في قوله تعالى: (ويسارعون في الخيرات) (ليادر
بها) أى بالصدقة (البلاء) أى دفعه فورده الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات،
الديلمي عن أنس؛ وفي رواية البيهقي عنه والطبراني في الأوسط عن علي بن بكر وبالصدقة
فان البلاء لا يتخطى الصدقة، وورد «الصدقة تمنع سبعين نوعا من البلاء أهونها الجذام
والبرص» الخطيب عن أنس «الصدقة تمنع ميتة السوء» القضاعى عن أبي هريرة
(ويغتنم) الصدقة (على من رق له القلب) لأنه من علامة انه رحمه الرب (فهو)
أى رقة القلب (علامة صدق السائل) وقد ورد «لو صدق السائل ما أفلح من رده»
العقيلي في الضعفاء وابن عبد البر في التمهيد من حديث عائشة، والطبراني نحوه من حديث
أبي امامة. وللبيهقي عن عائشة «لولا أن السؤال يكذبون ما قدس من ردهم لاتردوا
السائل ولو يشق تمره» (ولا يحقر ما عنده) لقوله تعالى: (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) ولقوله تعالى حكاية عن لقمان (يا بني انما انك مثقال
حبة من خردل) الآية قال يحيى بن معاذ: ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة
من الصدقة، ولقوله سبحانه: (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) فربما يكون خيره عنده
حقيرا ويصير عنده سبحانه عظيما وكبيرا، وفرد «ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة

وَيَحْصُلُ أَنْوَاعُهَا كَارِشَادُ الضَّالِّ وَقَرِيبَانِ الْمَرْءِ لِلتَّعْفُفِ ،

من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله يأخذها يمينه فيريها كما يرى أحدكم
فصيله او فله حتى تبلغ الثمرة مثل احد « البخارى تعليقا ومسلم ، والترمذى . والنسائى فى
الكبرى واللفظ له وابن ماجه من حديث أبى هريرة « واتقوا النار ولو بشق تمرة
فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » متفق عليه من حديث عدى بن حاتم « وتصدقوا ولو بتمرة
فانها تسد من الجائع وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار » ابن المبارك فى الزهد من حديث
عكرمة مرسل . ولاحمد من حديث عائشة بسند حسن « اشتر نفسك من النار ولو
بشق تمرة فانها تسد من الجائع مستدها من الشبعان » والبخارى . وأبى يعلى من حديث
أبى بكر « اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع
موقعها من الشبعان » وقال عليه السلام لا يذر « اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم
انظر الى اهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف » رواه مسلم ، وفى رواية العقيل
« ردوا هذمة السائل ولو بمثل رأس ذباب » ويقال ان الحسن مر به نحاس ومعه نجارية
فقال: اترضى فى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله رضى فى الحور العين
بالفلس والفلسين واللقمة واللقمتين ، وعن على « كم من حور ما كان مهره الاقبضة من
حنطة أو مثلبا من تمر » العقيل عن ابن عمر ، وكان عليه السلام : « لا يكل خصلتين الى غيره
كان يضع ظهوره بالليل ويخمر يده وكان يتناول المسكين يده ، الدارقطنى من حديث
أنس باسناد ضعيف وابن المبارك فى البرمرسل « ويحصل أنواعها » أى يجتهد فى تحصيل
أنواع الصدقة حقيقة وهو ظاهر وحكما « (كارشاد الضال) » أى دلالة على صاحبه
اوردته الى يابه فروى الترمذى وغيره عن أبى ذر مرفوعا « تبسمك فى وجه أخيك صدقة
وامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وارشادك الرجل فى الأرض الصالة
صدقة » الحديث او هدايته الى زقاقه فلاحمدوا الترمذى وصححه من حديث البراء « من منع
منحة ورقا ومنحة لبن » او هدى زقاقهم كعتاق نسمة أو دلالة عن جهله وضلالته فورد
« لان يهدى الله بك رجلا خيرا لك من حمر النعم » أى من صدقتها « (وقربان المرأة) » أى
جماعها « (للتعفف) » أى من اجله أو من اجلها فروى أبوداود عن أبى ذر « يصبح على
كل سلامى من ابن آدم صدقة تسليمه على من لقي صدقة وامره بالمعروف صدقة واماطة
الأذى عن الطريق صدقة وبضع اهله صدقة ويجزى عن ذلك كعتان من الضحى قالوا:
يا رسول الله احدنا يقضى شهوته ويكون له صدقة قال: أرأيت لو وضعها فى غير حلها

وَالْعَدْلَ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ وَالْحُلَّ عَلَى الدَّابَّةِ وَطِيبَ الْكَلَامِ . وَالْخُطُوَةَ اِلَى الصَّلَاةِ .
وَالِاتِّفَاقَ عَلَى الْعِيَالِ . وَالتَّبَسُّمَ فِي وَجْهِ أَخِيهِ . وَاطْرَاقَ الْفَحْلِ . وَاعَارَةَ الدُّلُو .

الم يكن يأثم؟ وفي رواية النسائي. وابن حبان. وغيرهما عن أبي ذر أيضا « ولك في
جماع زوجتك اجر أرأيت لو كان لك ولد فادرك ورجوت اجره فمات ا كنت تحتسب
به؟ قال نعم قال: أفانت خلقت وأنت هديته وانت رزقته؟ قال لا قال فضعه في حلاله وجنبه
حرامه فان شاء الله أحياء وان شاء أماته ولك أجر » (والعدل بين الاثنيين) من الزوجين
وغيرهما فمن أبي هريرة « كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس
تعدل بين الاثنيين صدقة وتعين الرجل على دابته فتحمل عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة »
الحديث. احمد والشيخان. (والحل على الدابة) ه لما سبق من الحديث، والمعنى حمل الغير
أومتاعه على دابته أو دابة نفسه (وطيب الكلام) فمن ابن عباس « الكلمة الطيبة تكلم
بها الرجل صدقة » الطبراني، وفي رواية لمسلم والنسائي عن أبي ذر « فكل تسبيحة صدقة
وكل تحميدة صدقة وكل تهليل صدقة وكل تكبيرة صدقة » الحديث، وتقدم حديث
« اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » (والخطوة الى الصلاة) فمن
أبي هريرة برواية أحمد، والشيخان « وكل خطوة تخطوها الى الصلاة صدقة » (والاتفاق
على العيال) ه فمن جابر « ما أتفق المسلم من نفقة على نفسه وأهله الا كتب له بها صدقة »
الحديث ابن عساكر، وللحاكم في مستدركه عن أنس « ان نفقتك على اهالك وغادملك
صدقة » وفي رواية الخطيب عنه « كل معروف صنعتك الى غنى أو فقر فهو صدقة »
وفي رواية أحمد. وغيره عن أبي أمامة « ما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما أطعمت
ولدتك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمتك فهو لك صدقة. وما أطعمت نفسك فهو
لك صدقة » (والتبسم في وجه أخيه) وقد تقدم حديث « وتبسمك في وجه أخيك
صدقة » وفي رواية أحمد وغيره عن جابر « كل معروف صدقة وان من المعروف ان
تلقى أخاك ووجهك اليه منبسط » وفي رواية له عن أبي ذر « لا تحقرن من المعروف
شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » (واطراق الفحل) أي من الابل والخيول - يعني
اعارته للضراب وهو نزوه على الأثني - في مسند أحمد. والترمذي عن أبي أمامة أفضل
الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله عز وجل أو منيحة خادم في سبيل الله عز وجل،
(واعارة الدلو) أي ونحوها الداخلة في ذم منعها حيث قال تعالى: (ويمنعون الماعون)

وَالنَّعْمُ يَعْلَمُ وَغَرَسَ وَزَرَعَ وَنَهَرَ وَبَثَرَ وَمُصْحَفٌ وَمَسْجِدٌ وَتَخْلِيفٌ وَلَدٌ
يَسْتَغْفِرُهُ وَأَفْضَلُهَا فِي الصَّحَّةِ وَاللِّحْتَاجِ فِدْرُهُمْ مِنْهُ مِثْلُ سَبْعِينَ ، وَالْقَرْضُ أَفْضَلُ مِنْهَا
فَهُوَ بِثَمَانِيَةِ عَشَرَ لَوْ قَوَّعَهُ فِي كَفِّ الْمُحْتَاجِ ، وَلَا يَنْذَرُ فَلَعَلَّهُ لَا يَفِي وَنَهَى عَنْهُ *

وقد روى البخاري في تاريخه عن أبي ذرٍّ ، وأفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة ، وفي رواية
« ولوان تفرغ من دلوك في إناء المستسقى » (والنعم يعلم) أي شرعى فعن أبي هريرة
« أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم » ابن ماجه (وغرس)
فعن أبي الدرداء « من غرس غرسا لم يأكل منه آدمي ولا خلق من خلق الله إلا كان له
صدقة » أحمد (وزرع) فعن خلاد بن السائب « من زرع زرعاً فأكل منه طير
أو عافية كان له صدقة » أحمد ، والعافية السبع (ونهر ، وبثر ، ومصحف ، ومسجد ، وتخليف
ولد يستغفر له) فعن أبي هريرة « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من
صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » مسلم وغيره (وأفضلها) أي
أفضل الصدقات أن يكون (في الصحة) أي حال العافية ، ففى الصحيحين عن
أبي هريرة « أفضل الصدقة وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل
حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا إلا وقد كان لفلان كذا » (وللحُتاج
فدْرُهُمْ مِنْهُ) أي من أجله (مثل سبعين) أي درهما من أجل غير المحتاج ويبتفرع
عليه قوله (والقرض أفضل منها) أي من الصدقة (فهو) أي القرض (بثمانية
عشر) أي درجة زائدة على الصدقة التي درجتها عشرة (لوقوعه في كَفِّ المحتاج)
كما ورد « دخلت الجنة فرأيت على بابها الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر فقلت:
يا جبريل كيف صارت الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر قال لأن الصدقة تقع في يد
الغنى والفقير والقرض لا يقع إلا في يد من يحتاج إليه ، الطبراني عن أبي امامة
(ولا ينذر) أي الأول أن لا ينذر فيجب عليه (فلعله لا يفي) بنذره أو يفي
ولكن مع كرهه (ونهى عنه) ففى الصحيحين عن ابن عمر أنه عليه السلام « نهى
عن النذر ، ومحملة على أنه من فعل البخلاء إذ السخى إذا أراد أن يتقرب إلى الله تعالى
استعجل فيه وأتى به في الحال ولم يتركه إلى الاستقبال ، وفي مسلم والترمذي والنسائي
عن أبي هريرة مرفوعاً « لا تنذروا فإن النذر لا يفي عن القدر شيئا وإنما يستخرج به
من البخيل » وورد قال الله تعالى : لا يأتى ابن آدم النذر بشئ لم أكن قد قدرته

ولكن يلقيه النذر الى القدر وقد قدرته له هو شيء استخرج به من البخيل فيوسى عليه مالم يكن يوسى عليه من قبل ، أحمد البخاري والنسائي عن أبي هريرة وأما مامر في آداب الدعاء من الترغيب في النذر فمحمول على ما اذا كان في الاعمال الصالحة، والنهي عن النذر ههنا محمول على النذر في المال لمظنة عدم الوفاء في المال بخلاف النذر في الاعمال فالغالب فيه الوفاء في الاستقبال ، ثم اعلم أنه ينبغي للقاibus أمور ، منها ان يفهم ان الله سبحانه أوجب صرف الزكاة ونحوها الى الفقير ليكفي همومه ويجعلها هما واحدا هم دينه ، وقد أكثر الله عز وجل الاموال ووضعها في أيدي عبادهم من العيال والبطال لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم الى طاعاتهم ففهم من ابتلاه بالمال وجعله عليه فتنة وبليّة فافقه في متن الخطر ومنهم من أحبه فخماه الدنيا وما يتعلق بها من الحذر كما يحمي الشفيق مريضه ما في أكله من الضرر فيزوي عنه فضولها وقدّر له حصولها وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنياء ليكون شغل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم مع غاية من العناء وفائدته منسبة الى الفقراء مع نهاية من الهناء ليتجددوا لعبادة المولى والاستعداد لزاد المعاد الى العقبى ، فلا يصرف عنهم فضول الدنيا ، فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه أكثر مما أعطاه فلما أخذ ما يأخذ من الله سبحانه رزقا له وعونا على الطاعة فإن استعان به على المعصية كان كافرا للنعمة مستحقا للطرده واللعنة ، ومنها أن ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من جل تورع عنه لقوله سبحانه : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) فلا يأخذ من أموال من أكثر كسبه الحرام الا اذا ضاق عليه الأمر وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة ، ومنها أن يتوقع مواقع الريبة والشبهة في مقدار ما يأخذه ولا يأخذه الا اذا تحقق له انه موصوف بصفة الاستحقاق وحينئذ يأخذ ما يتم به كفايته من وقت أخذه الى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث أن رسول الله ﷺ : « ادخر لعياله قوت سنة ، متفق عليه من حديث عمر » كان يعزل نفقة أهله سنة ، وللطبراني في الأوسط من حديث أنس : « كان اذا ادخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقي ، فاذا اقتصصر على حاجة شهر أو يوم فهو أقرب للتقوى في حق الأقرباء ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة ، فمن مبالغ في التقليل الى حد أوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسك بما روى سهل بن الحنظلية انه عليه السلام « نهى عن السؤال مع الغنى فقال « غداؤه وعشاؤه » أبو داود . وابن حبان ، وهو محمول عند الجمهور على السؤال لافي جميع

﴿البَابُ الثَّالِثُ فِي الصَّوْمِ وَكَسْرِ الشَّهْوَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَرَدَّ «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزَى بِهِ»

الآخوال لأن أفظ الحديث «من سأل وله ما يغنيه فأنما يستكثر من جمر جهنم» وقال آخرون: يأخذ على قدر حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة أذ لم يوجب الله عز وجل الزكاة إلا على الأغنياء فقالوا: له أن يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وبالنسبة آخرون في التوسع فقالوا: له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغنى بها طول عمره أو يهيم به بضاعة ليتجر فيها ويستغنى لأن هذا هو الغنى حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد الاعتدال والله أعلم بالأحوال، وقد ورد «ما لمعطي من سعة بأفضل أجرا من الذي يقبل من حاجة» ابن حبان والطبراني من حديث أنس، ومنها أنه يأخذ ما يعطى له حال الخلاء ولا يأخذ في المال فقد دفع رجل إلى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده إليه ودفع إليه آخر شيئا سرا فقبله فقبل له في ذلك فقال: إن هذا عمل بالأدب فقبلته وذلك أساء أدبه في عمله فردته وأعطى رجل بعض الصوفية شيئا في الملا فرده فقال له: لم ترد على الله تعالى ما أعطاك؟ فقال: إنك أشركت غير الله حيث لم تقنع بعين الله فرددت عليك شركك، وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان رده في العلانية فقبل له في ذلك قال: عصيت الله في الجهر فلم أكن لك عوناً على المهصية واطعته بالاخفاء فاعتكتك على برك، فقال الثوري: لو علمت أن أحدهم لا يذكرك صلاته ولا يتحدث بها قبلتها، وأيضا في إظهار الأخذ ذل وأمتنان وليس للؤمن أن يدل نفسه، وأيضا للاحتراز عن شبهة الشر كذا فردده من أهدي إليه هدية وعنده قوم فهم شر كأؤه فيها العقيلي وابن حبان في الضعفاء والطبراني في الأوسط والبيهقي من حديث ابن عساكر قال الفضلي: لا يصح في هذا المتن حديثه وأما العارف فلا نظر له إلا إلى الله عز وجل والسر والعلانية في حقه واحد واختلاف الحال شرك في التوحيد والتوفيق منه سبحانه والتأييد.

﴿البَابُ الثَّالِثُ فِي الصَّوْمِ وَكَسْرِ الشَّهْوَةِ﴾

أي الذي هو مراد القوم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَرَدَّ الصَّوْمُ﴾ أي فرضه ونقله ﴿لِي﴾ أي مختص لاجل لا يتصور كونه لغيري ﴿وَأَنَا أَجْزَى بِهِ﴾ بصيغة الفاعل وقبل

أَيَّ جَزَاؤُهُ لِقَائِي أَوْ مَعْرِفَتِي ، وَأَنَا خَصَّ الصَّوْمَ بِالْإِضَافَةِ لِأَنَّهُ خَلَقَ صَمْدِي
أَوْ عَمِلَ سَرِي أَوْ قَهَرَ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْمَعَامَلَةِ *

بالمفعول ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وانا اجزي به » وفي رواية لهما عنه « كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة أضاعاف الا الصيام فانه لي وانا اجزي به » وانما قال : وانا اجزي به مع ان جزاء كل العبادات منه تعالى اشارة الى عظم ذلك الاجر لان الكريم اذا تولى بنفسه اقتضى ذلك سعة الجزاء و كأنه لم يذكر ما يجزي به لكثرة ما يؤمى اليه قوله تعالى : (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) وقد ورد « الصوم نصف الصبر » أخرجه الترمذى وحسنه « والصبر نصف الايمان » أبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود بسند حسن (اي جزاؤه لقاءى) يعنى رؤيتى فى العقبى (او معرفتى) أى فى الدنيا ولا منع من الجمع (وانما خص الصوم بالاضافة) أى اللامية مع ان كل عبادة مختصة له سبحانه * (لانه) من بين العبادات (خلق صمدى) فان الاستغناء من الاكل والشرب والجماع من الصفات الصمدية والنوعوت الالهية ، وكان الصائم متخلقا بذلك الخلق من اخلاق الله ، وروى « تخلفوا باخلاق الله » وقد قالوا : كل اسم من اسمائه سبحانه للتخلق الا اسم الجلالة فانه للتعليق فلاضافة تشريفية كناية الله وبيت الله وانما قال : انا اجزي به مع ان جزاء كل العبادات منه سبحانه اشارة الى عظم ذلك الاجر به لان الكريم اذا وعد ان يتولى شيئا بنفسه اقتضى ذلك عظمته ، و كأنه لم يذكر ما يجزي به لكثرة ما ونماسته كما يشير اليه قوله تعالى : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون) من اخفاء الاعمال ، وحديث « اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » * (او عمل سرى) هـ فانه قصد قلبى مع ترك المفطر الصورى والملائكة الكتبة لا يطلعون على ما لا عمل فيه فهو سر بين العبد وربّه بحيث لا يطلع عليه غيره هـ (أو قهر النفس والشيطان الذى هو) هـ أى قهرهما هـ (اصل المعاملة) هـ فان مدار المعاملة على مخالفتها ومواقفة الله ورسوله فى حكمهما ، وأيضا كما ان النفس والشيطان مقهوران مغلوبان فى قبضة الله سبحانه يكونان مقهورين مغلوبين أيضا فى قبضة الصائم فصار الصائم حيثذ متخلقا بخلق الحق فى الجملة ولو كان وصفه سبحانه بنعت الدوام ، ومن هنا ورد « نوم الصائم عبادة »

وَأَذْنُ رُبِّهِ الْكَفُّ عَنِ الشَّهَوَاتَيْنِ وَهُوَ مَنَاطُ الْجَوَازِ عَنِ الْأَثْمِ وَهُوَ
 مَنَاطُ الْقَبُولِ فَرَدَّ « خَمْسٌ يُفْطَرْنَ الصَّائِمَ الْكَذِبُ وَالْغِيبةُ وَالنِّيمَةُ وَالْيَمِينُ
 الْكَاذِبَةُ وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ » *

أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس ، وحلوف فم الصائم اطيب عند الله مزربح المسك
 يقول الله تعالى : انما يدع شهوته وطعامه وشرابه من اجل فالصيام لى وانا اجزى به ،
 متفق عليه من حديث أبى هريرة وهو موعود بلفاته سبحانه في جزاء صومه اذ ورد
 للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، متفق عليه أيضا ، وفي الاحياء
 ان الصوم قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات المشغلة عن العبادات وانما
 تقوى الشهوات بالاكل والشرب وسائر اللذات ، ولذا قال عليه السلام : « ان الشيطان
 ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع » (واذن ربته) أى مراتب
 الصيام وهو الجواز اعم من أن يكون مقبولا ام لا ناقصا او كاملا وهو مقام العوام
 (الكف عن الشهوات) أى الامتناع عن شهوات البطن والفرج في وقته مقرونا
 بالنية المعتبرة المذكورة في محله (وهو مناط الجواز) أى متعلق جواز الفتوى في
 ظاهر شرع الدنيا وهو صوم العموم (ثم كف الجوارح) أى منع الاعضاء من العين
 والاذن واللسان وسائر الاعضاء والاركان (عن الاثم) أى مطلق العصيان (وهو
 مناط القبول) لقوله تعالى : (انما يتقبل الله من المتقين) وهو صوم الخصوص
 (فورد خمس) أى خصال (يفطرن الصائم) بتشديد الطاء أى يجعلنه مفطرا حكما
 لاحقيقة (الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة) الأزدى في
 الضعفاء من رواية جابر عن أنس وقول الحجة في الاحياء جابر تصحيح ، وقال أبو حاتم
 الرازى : هذا كذب اقول : لكن يقويه رواية الديلى في مسند الفردوس عن أنس ، ثم
 اعلم ان حفظ اللسان عن الهذيان والزامه السكوت أو شغله بالذكر وتلاوة القرآن
 هو كال صوم الانسان عند الاعيان ، وقد روى ليث عن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم
 الغيبة والكذب ، وقال سفيان : الغيبة تفسد الصوم ، وورد « انما الصوم جنة فاذا كان
 أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ قاله أو شاتمه فليقل انى صائم » متفق عليه
 من حديث أبى هريرة ، وجاء في الخبر « ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ
 فاجهدهما الجووع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثنا الى رسول الله ﷺ

« كُمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَهُوَ الْمُفْطَرُ بِالْحَرَامِ،
ثُمَّ كَفَّ الْقَلْبَ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالَى وَهُوَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَحَقُّهُ أَنْ يَخَافَ
الرَّدَّ وَيَرْجُو الْقَبُولَ؛

في الإفطار فإرسل إليهما قدحا وقال عليه السلام: قل لهما: قِيَّافِيهِ مَا أَكَلْتُمَا فَقَاتِ احْدَاهُمَا نَصْفَهُ صلى الله عليه وسلم دَمَا عَيْطَا لِحَا عَرِيضَا وَقَاتِ الْآخَرَى مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى تَلَا تَاهُ فَجَبَّ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَاتَانِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لهُمَا وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا قَعَدْتَ احْدَاهُمَا إِلَى الْآخَرَى فَجَعَلْتَا تَعْتَابَانِ النَّاسَ فَمَهَذَا مَا أَكَلْتُمَا مِنْ لَحُومِ النَّاسِ؟ أَحَدٌ مِنْ حَدِيثِ عَيْدِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِسَنَدٍ فِيهِ جَهْلٌ وَكَذَاحِكُمْ غَضُ الْبَصَرِ وَكَفَهُ عَنِ الْإِتْسَاعِ فِي النَّظَرِ إِلَى كُلِّ مَا يَعْرِفُ وَيُنْكِرُ وَإِلَى كُلِّ مَا يَشْغُلُ الْقَلْبَ وَيَلْمِزُ عَنْ ذِكْرِ الرَّبِّ فُورِدَ، النَّظَرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سَهَامِ ابْلِيسَ فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ آتَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِيْمَانًا يَجِدُ حِلَاوَةً فِي قَلْبِهِ، الْحَاكِمُ وَصَحَّحَ اسْتِادَهُ مِنْ حَدِيثِ حَذِيفَةَ وَكَذَا حَكَمَ كَفَّ السَّمْعَ عَنِ الْأَصْغَاءِ إِلَى كُلِّ مَا يَكْرَهُ مِنْ لَغْوٍ وَلَهْوٍ، وَقَدْ وَرَدَ (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) وَالْمَغْتَابِ وَالْمُسْتَمْعِ شَرِيكَانِ فِي الْإِثْمِ كَذَا فِي الْأَحْيَاءِ وَهُوَ غَرِيبٌ نَعَمٌ لِلطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ النَّبِيِّ وَعَنِ الْإِسْتِمَاعِ إِلَى الْغِيَةِ (كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ) النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ (وَهُوَ الْمُفْطَرُ بِالْحَرَامِ) وَقِيلَ: الْمُرْتَكِبُ لِلْإِثْمِ كَالْكَذِبِ وَالْغِيَةِ وَسَائِرِ الْآثَامِ (ثُمَّ كَفَّ الْقَلْبَ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالَى) أَيُّ عَمَّا عَادَاذَكَ رَبِّ وَمَا يَتَعَاقَبُهُ (وَهُوَ) أَيُّ هَذَا النَّوعِ مِنَ الصَّوْمِ (لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ) وَهُمْ خُصُوصُ الْخُصُوصِ وَفُصُوصُ الْفُصُوصِ، وَتَوْضِيحُهُ أَنْ يَصُومَ قَلْبُهُ وَلَبُهُ عَنِ الْهَمَمِ الدُّنْيَا وَالْأَفْكَارِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَيَكْفَهُ عَنْ مَا سِوَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ وَيَحْصُلُ الْفُطْرُ فِي هَذَا الصَّوْمِ بِالْفِكْرِ فِي غَيْرِ صِفَاتِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَمَصْنُوعَاتِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَقَامَاتِهِ وَبِالْفِكْرِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهِ وَلَهْوَاتِهِ إِلَّا دُنْيَا تَرَادَدَ لِلدِّينِ وَضُرُورَاتِهِ فَازْدَادَ الْآخِرَةُ وَمَقَدِّمَاتِهِ حَتَّى قَالَ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ: مَنْ تَحَرَّكَتْ هِمَّتُهُ بِالتَّصَرُّفِ فِي نَهَارِهِ بِتَدْيِيرٍ مَا يَسْتَعْمَلُهُ فِي أَفْطَارِهِ كَتَبَتْ عَلَيْهِ خَطِيئَةً مِنْ أَوْزَارِهِ فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ قَلَّةِ الرُّثُوقِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ وَقَلَّةِ الْيَتِيمِ بِرِزْقِهِ وَوَعْدِهِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِحَالٍ يَصْدُقُ أَنْ يَقَالَ فِي حَقِّهِ (قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) (وَحَقُّهُ) أَيُّ الصَّوْمِ عَلَى الصَّائِمِ (أَنْ يَخَافَ الرَّدَّ وَيَرْجُو الْقَبُولَ)

وَيَقُولُ لِمَنْ قَاتَلَ أَوْ شَاتَمَ أَوْ صَاتَمَ فَهُوَ مَأْثُورٌ *

فيكون قلبه بعد الافطار متعلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقرين أو يرد عليه فهو من الممقوتين؟ وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها ، وروى عن الحسن بن أبي الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال: ان الله جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا ، فالعجب كل العجب للضحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون المسارعون وخاب فيه المبطلون المدعون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بطاعته واحسانه والمنسى باساءته وعصيانته اى لكان سرور المقبول بشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك ، وعن الاحنف بن قيس انه قيل له : انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال : انى اعدله لسير طويل والصبر على طاعة الله سبحانه وفي باب اهون من الصبر على عذاب الله وحجابه ، فعلماء الظاهر يعنون بالصحة الجواز والحصول وعلماء الآخرة يعنون بها القبول والقبول الوصول الى المقصود والمأمول ، ومن هنا قال أبو الدوداء : يا حبذا نوم الاكياس وفطرم كيف يعيرون صوم الحمقاء وسهرهم ولذرة من عبادة ذوى التقوى واليقين ارجح من امثال الجبال من عبادة المفتقرين ، ولذا قال العلماء : كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم * فالفطر الصائم هو الذى حفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب من الحلال دون الحرام ، والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش فى الايام ويطلق جوارحه فى الآثام (ويقول) أى فى جناته او بلسانه (لمن قاتل) اى جادل أو ضارب أو خاصم (أو شاتم انى صائم) أى فانا ممسك عمالا يلقى به من الاحكام وفيه تنبيه نبيه على أن الشخص اذا علم من صاحبه عمل الصيام أن لا يتعرض له من كلام الخصام ويشير اليه قوله تعالى : (فاما ترين من البشر أحداً فقولى إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا) (فهو مأثور) كما تقدم ، وقد ورد «انما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته» الخراطى فى مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود فى حديث الأمانة فى الصوم واسناده حسن ، ولما تلا عليه السلام قوله تعالى : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها) وضع يده على سمعه وبصره فقال : السمع أمانة والبصر أمانة ، كذا فى الاحياء قال العراقى : أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة دون قوله السمع أمانة ، ثم لولا أن الصوم أمانة لما قال عليه السلام : « فليقل انى صائم » أى انى أودعت لساقى لاحفظه عن

وَلَا يُسَالُّ عَنْهُ لَأَنَّ الْمَسْئُولَ إِنْ أَقْرَأَ أَظْهَرَ وَإِنْ أَنْكَرَ كَذَبَ وَإِنْ سَكَتَ اسْتَحَقَرَ. وَإِنْ أَحْتَالَ لِلدَّفَاعَةِ تَعَبَ، وَلَا يُكْثَرُ الْأَكْلُ تَحَامِيًّا عَنِ الْكَسَلِ فِي التَّهَجُّدِ وَبُطْلَانِ سِرِّهِ وَهُوَ قَهْرُ النَّفْسِ، وَطَرِيقُهُ مَعْرِفَةُ فَوَائِدِ الْجُوعِ

الاشتغال بك فكيف أطلقه بجوابك (ولا يسأل) بصيغة المجهول (عنه) أى عن صومه أو عن حاله بأن يقال انك صائم أم لا فانه يوجب على كل تقدير اشكالاً (لأن المسؤل ان أقر أظهر) وربما يفرغ عليه الرياء (وان أنكر كذب) وهو أعظم البلاء (وان سكت استحققر) أى المسؤل للسائل بسؤاله فيما استحضر وترتب عليه الجفاء (وان احتال للدفاعه تعب) أى فيما تفكر وتدبر ووقع في العناء، وورد لا يكذب الكاذب الا من مهانة نفسه عليه ، الديلى عن أبي هريرة مرفوعاً (ولا يكثر الأكل) أى حال الافطار بحيث يمتلىء فما وعاء أبغض الى الله من بطن يملأ من الحلال فقد ورد « ماملاً آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » أحمد، والترمذى . وابن ماجه، والحاكم عن المقدم بن معدى كرب، وأكلات بضمتين لقيت في رواية (تحاميا عن الكسل) أى في الطاعة ، وقد ورد « أعوذ بك من الكسل ، لاسيما (في التهجد) لما تقدم من أنه اذا أكثر الأكل أكثر الشرب واذا أكثر الشرب أكثر النوم واذا أكثر النوم ضيع عمره وفسد أمره وينبغى أن لا يكثر النوم في النهار أيضا ليحس أثر الجوع والعطش والا فتقل نتيجته وثمرته لاسيما مع وجود غفلته، وعن بعض الحكماء خمسة من الأشياء ابتلى الناس بها و كان هلاكهم فيها أولها حب الشبع وفيه قساوة القلب والثاني حب النوم وفيه نقصان العمر والثالث حب الراحة وفيه الافلاس والرابع حب المال وفيه الحساب الطويل في المآل والخامس حب الثناء وفيه ذهاب الثواب وابطال الأعمال (وبطلان سره) أى وتحاميا عن بطلان فائدة الصوم ومنفعة أمره (وهو قهر النفس) أى اذلالها للاتقياد فيما خلقت لأجله والافكيف يستفاد من الصوم قهر الشيطان وكسر النفس وتقليل الشهوة اذا تدارك الصائم عند افطاره ما فاتته في نهاره ، ومن جعل بين قلبه وبين ربه محلاة من الطعام فهو محجوب عن شريف المقام ولطيف المرام (وطريقه) أى طريق تحصيل الصوم في مذهب القوم (معرفة فوائده الجوع) فقد قيل : الجوع عز ظه والشبع ذل كله ، وورد

وَهِيَ صَفَاءُ الْقَلْبِ فَوَرَدَ « مِنْ أَجَاعِ بَطْنِهِ عَظُمَتْ فِكْرَتُهُ وَفُطِنَ قَلْبُهُ »
 وَرِقَّتْهُ فَوَرَدَ « مِنْ شَبَعٍ وَنَامَ قَسَا قَلْبُهُ » وَالْإِسْتِلْذَافُ بِالطَّاعَةِ . وَالْإِنْكَسَارُ .
 فَالْبَطَرُ سَبَبُ الْمَعْصِيَةِ . وَالْغَفْلَةُ .

« صمت الصائم تسريح ونومه عبادة ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف » الدبلي
 عن ابن عمر ؛ وقال بعضهم : « اخترت صوم الدهر لما سألت ستة نفر عن ستة أشياء
 فاجابوا بجواب واحد سألت الاطباء عن أشفى الأدوية فقالوا : الجوع وقلة الأكل
 وسألت الحكماء عن أعون الأشياء على طلب الحكمة ؟ فقالوا : الجوع وقلة الأكل
 وسألت العباد عن أنفع الأشياء في العبادة قالوا : الجوع وقلة الأكل وسألت الزهاد
 عن أقوى الأشياء على الزهادة ؟ قالوا : الجوع وقلة الأكل وسألت العلماء عن أفضل
 الأشياء على حفظ العلم وفهمه ؟ قالوا : الجوع وقلة الأكل وسألت الملوك عن أطيب
 الأدام والذ الطعام قالوا : الجوع وقلة الأكل (وهي) أى فوائده ثلاثة عشر
 (صفاء القلب) أى ضياؤه وبهاؤه وقبوله لدوام ذكر الرب (فورد من أجاع
 بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه) أى وكبرت همته وقلت شهوته وعدمت نهيمته ،
 والحديث لم أجده مرفوعا وإنما قال لقمان لابنه : يا بني اذا امتلأت المعدة نامت
 الفكرة وخرست الحكمة وفترت الاعضاء عن العبادة ، وقد ورد « ان من السرف
 أن تأكل كل ما اشتيت » ابن ماجه عن أنس ، وفي رواية البيهقي عن عائشة : أكثر
 من أكلة كل يوم سرف ، وعن سلمان ، ان أكثر الناس شبعوا في الدنيا أطولهم جوعا
 يوم القيامة « ابن ماجه . والحاكم ، ومن حديث ابن عباس « ان أهل الشبع في الدنيا هم
 أهل الجوع في الآخرة » الطبراني ، وعن يحيى بن معاذ يامعشر الصديقين جوعوا
 أنفسكم لولية الفردوس فان شهوة الطعام على قدر الجوع (ورقته) أى ورقة القلب
 وتأثره بذكر الرب (فورد من شبع ونام قسا قلبه) لم أعرفه بهذا اللفظ نعم ورد
 « أذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه ففسد قلوبكم ، أبو نعيم وغيره ،
 ثم يؤخذ بالمفهوم فيفيد ان من جاع وسهر رق قلبه (والاستلذاذ بالطاعة) أى التلذذ
 بالعبادة كما يعرفه أهل الإرادة (والانكسار) أى الذل الحاصل من مقام الافتقار
 (فالبطر سبب المعصية والغفلة) والفقر باعث التوبة والرجوع الى الحضرة ، وقد
 ورد « عليكم بالصوم فانه محسمة للعروق ومذهبة للآشر ، أبو نعيم في الطب عن

وَذِكْرُ عَطَشِ الْعَرَصَاتِ . وَجُوعُ الْجَحِيمِ . وَكَسْرُ شَهْوَةِ الْفَرَجِ فَاسْتِلاؤُهَا
بِالشَّبَعِ وَدَفْعُ النَّوْمِ فَهُوَ يَكُلُّ الطَّيْعَ وَيَضِيعُ الْعَمَرَ وَيَقُوتُ الْقِيَامَ وَالتَّهَجُّدَ .
وَيَسِّرُ الْمُوَظَّةَ عَلَى الطَّاعَةِ لِحَفَةِ الْبَدَنِ . وَالْفَرَاغَ عَنِ الْإِهْتِمَامِ بِالتَّحْصِيلِ .
وَالْإِعْدَادَ . وَالْأَكْلَ . وَالْفَرَاغَ . وَدَفْعُ الْأَمْرَاضِ الشَّاعِلَةِ عَنْهَا فَوَرَدَ « الْمَعْدَةُ
يَبْتُ كُلُّ دَاءٍ » وَخَفَةُ الْمُؤْنَةِ .

شداد بن أوس ﴿ وذكر عطش العرصات ﴾ أى موقف القيامة بحيث تكون الشمس
قريبة من رأسه قدر القامة، وفى الخبر « يوضع للصائم مائدة يوم القيامة من ذهب يأكلون
منها والناس ينظرون » أبو الشيخ. والديلى عن ابن عباس ﴿ وجوع الجحيم ﴾ كما
قال تعالى : (ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع) وقد ورد
« الصوم يعد من جر السعير » الطبرانى عن أنس ﴿ وكسر شهوة الفرج فاستيلاؤها
بالشبع ﴾ ولذا ورد « من استطاع منكم أن يتزوج فلينزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم
فانه له وجاء » متفق عليه من حديث ابن مسعود ﴿ ودفع النوم ﴾ أى فى الجملة (فهو)
أى النوم الكثير ﴿ بكل الطبع ﴾ أى يجعله كلاً فى فهم الكلام ﴿ ويضيع العمر ﴾
بقدر المنام ﴿ ويقوت القيام ﴾ بمقاصد المرام ومراصد المقام ﴿ والتهجّد ﴾ وهو
للقيام والناس نيام ﴿ ويسر المواظبة على الطاعة لحفة البدن ﴾ المستلزمة للمواظبة
على العبادة كما يعرفه أرباب السعادة ﴿ والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل ﴾ أى تحصيل
الكثير فان أمر القليل يسير ﴿ والاعداد ﴾ أى تهيئة ما يحتاج للاكل من نحو الطبخ
والنفخ ﴿ والاكل ﴾ أى نفسه من الفعل ﴿ والفراغ ﴾ بالجر أى والفراغ عن
الفراغ من قضاء الحاجة الانسانية ﴿ ودفع الامراض الشاعلة عنها ﴾ أى عن
العبادة الكاملة ﴿ فورد المعدة ﴾ بفتح فكسرو بكسر فسكون (بيت كل داء) أخرج
الخلاد من حديث عائشة مرفوعاً بلفظ « و الا زم دواء والمعدة بيت الداء وعودوا
بدنا ما اعتاد » ذكره السيوطى، و الا زم الحمية. وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت عن
وهب بن منبه قال : اجتمع الاطباء على أن رأس الطب الحمية قلت : واجتمعت
الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت ﴿ وخفة المؤنة ﴾ فانها مطلوبة فى مقام

وَالْاِكْتِفَاءُ بِالْقَلِيلِ . فَطَلَبُ الزِّيَادَةِ يُورِثُ الْمَذَلَّةَ . وَتَحْصِيلُ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ ، وَإِمْكَانُ الْإِثَارِ بِالْفَاضِلِ لِيَكُونَ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ التَّقْلِيلُ بِالتَّجْرِيدِ إِلَى مَا يَحْصُلُ بِهِ الْقَوَامُ وَإِنْ لَمْ يُطَقْ فَلَا كُلُّ بَعْدَ صَدَقِ الشَّهْوَةِ ، وَيَعْرِفُ بَأَنَّ لَا يَنْتَظِرُ الْإِدَامَ . أَوْلَا يَقَعُ الذُّبَابُ عَلَى الْبَرَّاقِ . وَالتَّرْكُ مَعَ بَقَائِهِ ، وَالْأَصُوبُ الْاِكْتِفَاءُ بِمَا يَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ . وَهُوَ يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْأَحْوَالِ ، أَمَّا الْوَقْتُ فَكَانُوا يَطْوُونَ

المعونة ﴿ والاكْتِفَاءُ بِالْقَلِيلِ ﴾ فإن الكثير قل ان يكون حلالا ولحديث وقيل يكفيك خير من كثير بطغيك ﴿ فطلب الزيادة يورث المذلة ﴾ أى فى كسبها ﴿ وتحصيل الحرام ﴾ بسببها ﴿ والشبهة ﴾ أى بلا شبهة فى حبها ﴿ وامكان الايثار بالفاضل ﴾ أى الزائد على قدر كفايته وفق قناعته ﴿ لىكون فى ظله ﴾ أى ظل ما ينفعه فى سبيل الله ﴿ يوم القيامة ﴾ فروى « ان الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » القضاغى عن عقبه بن عامر « ان ظل المؤمن يوم القيامة صدقته » ابن زنجويه عن بعض الصحابة ﴿ ثم التقليل بالتدريج الى ما يحصل به القوام ﴾ وهو طريق رياضة المشايخ الكرام ، وعن بعضهم ان ما يعين على الجوع يا صمد من غير شىء ولا شئ . كمثل ثلاثمائة وستين مرة وهو عجيب مجرب غريب ﴿ وان لم يطق ﴾ أى التقليل وهو الانسب أو ما يحصل به القوام وهو الاقرب ﴿ فلا كل بعد صدق الشهوة ﴾ أى تحقق الرغبة ﴿ ويعرف ﴾ الصدق ﴿ بان لا ينتظر الادام ﴾ بعد حضور الخبز فى المقام ﴿ ولا يقع للذباب على البراق ﴾ فانه علامة عدم بقاء مادة الطعام فى معدته بالاتفاق واما اذا كان يشتهى خبزا مخصوصا أو مع الادام فهو كاذب فى جوعه واما الجوع المقرط ففسد للفكرة ومعد للخيالات المنكرة ﴿ والترك ﴾ بالرفع أى ترك الاكل ﴿ مع بقاءه ﴾ أى بقاء الميل فى اثائه ﴿ والاصوب ﴾ أى الاقرب الى الصواب فى هذا الباب ﴿ الا كتفاء بما يقوى على العبادة ﴾ فانها هى المقصودة من اولى الالباب ﴿ فهو المأثور ﴾ عن الجمهور ﴿ وهو ﴾ أى ما يقوى ﴿ يختلف بحسب الاحوال ﴾ و كذا ابتغاوت امرجة الرجال ﴿ اما الوقت ﴾ أى قدر زمن الجوع والتقليل ﴿ فكانوا ﴾ أى بعض السلف ﴿ يطوون ﴾

يَوْمَيْنِ فَصَاعِدًا إِلَى خَمْسِينَ، وَالْاِقْتِصَادُ هُوَ الْاَكْلَةُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ وَهُوَ
الْوَسْطُ الْمُرَوِيُّ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فُورِدَ « أَنْ أَكَلْتَيْنِ فِي يَوْمٍ مِنَ السَّرَفِ »
وَالْأَحَبُّ التَّسْحِرُ بِهَاتِيهِجِدْ عَلَى فَرَاغِ الْمَعْدَةِ . وَيَتَقَوَّى عَلَى الصَّوْمِ وَهُوَ الْمُرَوِيُّ
وَأَنْ مَنَعَ الْحُضُورَ يُفْطِرُ بِنِصْفٍ وَيَتَسَحَّرُ بِآخِرِ اسْتِعَانَةٍ عَلَى الطَّاعَتَيْنِ

يومين فصاعداً أي ثلاثة (إلى خمسين) يوماً وهذا درجة أرباب كمال الاجتهاد
(والاقتصاد) في الأكل بحسب الوقت المناسب لأكثر العباد من الزهاد والعباد (هو
الأكلة في اليوم) أن لم يكن صائماً (والليلة) حين افطاره (وهو الوسط المروى عنه
عليه السلام) أي في بعض المقام، وفي الخبر إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغدى أبو نعيم
في الحلية عن أبي سعيد (فورد أن أكلتين في يوم من السرف) وقد تقدم ما أخرجه
البيهقي وضعفه عن عائشة قالت : « رَأَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ أَكَلَتْ فِي الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ
يَا عَائِشَةُ أَمَا تَحِبُّينَ أَنْ يَكُونَ لَكَ شُغْلٌ إِلَّا فِي جَوْفِكَ إِلَّا كُلْ فِي الْيَوْمِ مَرَّتَيْنِ مِنَ الْأَسْرَافِ وَاللَّهِ
لَا يَحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ، وَفِي رِوَايَةٍ أَيْضاً يَا عَائِشَةُ اتَّخَاذَكَ الدُّنْيَا يَطْنُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَكْلِكَ كُلِّ يَوْمٍ
سَرَفٍ وَاللَّهِ لَا يَحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ، إِلَّا أَنْ الْمَعْرُوفَ فِي شِمَائِلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ غَالِباً بِأَكْلِ مَرَّتَيْنِ
الْمَعْبُورِ عَنْهُ بِالْغَدَاءِ وَالْعِشَاءِ ، وَفِي الصَّوْمِ الْفُطُورُ وَالسَّحُورُ الْمُسَمَّى بِالْغَدَاءِ الْمُبَارَكِ فِي
الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ فِي حَقِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا
بَكْرَةٌ وَعِشَاءٌ) وَهُوَ الطَّرِيقَةُ الْخَفِيفَةُ السَّهْلَةُ فَالْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى أَكَلَتَيْنِ مُشْبِعَتَيْنِ أَوْ عَلَى
أَكَلَتَيْنِ فِي نَهَارٍ وَكَلَّةٌ فِي لَيْلَةٍ (وَالْأَحَبُّ التَّسْحِرُ بِهَا) أَيِ تِلْكَ الْاَكْلَةُ أَنْ كَانَ يَكْتَفِي
بِهَافِهِ أَوَّلِيٍّ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلَةِ (لِيَتَجَدَّ عَلَى فَرَاغِ الْمَعْدَةِ وَيَتَقَوَّى عَلَى الصَّوْمِ وَهُوَ الْمُرَوِيُّ)
أَيِ مَعَ انْضِمَامِ الْاَكْلَةِ أَوَّلَ اللَّيْلَةِ ، وَفِي الْخَبَرِ « تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً » مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ « وَاسْتَعِينُوا بِطَعَامِ السَّحْرِ عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ وَبِالْقِيلُولَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ » ابْنُ مَاجَهَ .
وَالْحَاكِمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَقِيلَ الْمُرَوِيُّ هُوَ مَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ « كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُوَاصِلُ
إِلَى السَّحْرِ » وَفِي حَدِيثِ عَاصِمِ بْنِ كَلَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ « وَقَالَ : مَا وَاصِلٌ عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَصَالِكٌ هَذَا قَطُّ غَيْرَ أَنْ أُخْرِيَ الْاَكْلُ إِلَى السَّحْرِ » (وَأَنْ مَنَعَ) أَيِ الْجُوعِ
(الْحُضُورُ) بِالطَّاعَةِ مِنَ التَّهَجُّدِ وَغَيْرِهِ * (يَفْطِرُ بِنِصْفٍ) أَيِ مِنْ قَرَصِهِ أَوْ مِنْ
قَدْرِ عَادَتِهِ فِي حَالِ شَبَعِهِ * (وَيَتَسَحَّرُ بِآخِرِ اسْتِعَانَةٍ عَلَى الطَّاعَتَيْنِ) ، أَيِ طَاعَةِ الْبَاطِنِ
وَهُوَ الْحُضُورُ فِي مَقَامِ السَّرُورِ وَطَاعَةِ الظَّاهِرِ وَهِيَ الطَّاعَةُ بِالْجَوَارِحِ فَيَقْبِي نُورٌ عَلَى

فَالْجُوعُ الشَّاعِلُ عَنْهُ تَعَالَى مَذْمُومٌ ، وَأَمَّا الْجِنْسُ فَلَا عَلَى مِنَ الْخَبْزِ الْبَرِّ
الْمَنْخُولِ . ثُمَّ الشَّعِيرُ الْمَنْخُولُ . وَالْبَرُّ الْغَيْرُ الْمَنْخُولُ . ثُمَّ الشَّعِيرُ الْغَيْرُ الْمَنْخُولُ
وَمَنْ الْإِدَامُ اللَّحْمُ

نور (فالجوع الشاعل عنه تعالى مذموم) كما أن الشبع الشاعل عنه سبحانه مشؤم
وقد ورد : اللهم انى أعوذ بك من الجوع فإنه بشب الضجيع . وقد أشار صاحب البردة
الى هذه الزبدة بقوله : قرب مخمصة شرمن التخم . (وأما الجنس) أى جنس
المأكول (فلا على من الخبز البر المنخول) وفيه سعة (ثم الشعير المنخول)
وفيه رخصة (والبر الغير المنخول) فهو توسط (ثم الشعير الغير المنخول)
وهو سعة ، وعن ابن عباس أنه عليه السلام : كان بيت الليالى المتابعة طلويا وأهله
لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير . أحمد الترمذى : وابن ماجه ، وفي الشجائله
عن عائشة أنها قالت : ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متابعين حتى
قبض رسول الله ﷺ . وفى شمائل الترمذى عن سهل بن سعد أنه قيل له : أكل عليه
السلام النقى ؟ - يعنى الحوارى - فقال سهل : ما رأى عليه السلام النقى حتى لقي الله عز وجل
فقيل هل كانت لكم مناخل على عهدك عليه السلام ؟ قال : ما كانت لنا مناخل فقبل
كيف تصنعون بالشعير ؟ قال : ننفضه فيطير ما طار ثم نعبجه ، لا يقال المنخل بدعة حدثت
بعد رسول الله ﷺ فانا نقول : ليس كل ما ابتدع منياعته بل المنبى عنه ابداع بدعة
مضادة سنة ثابتة فقد تكون بدعة حسنة وقد تكون واجبة وقد تكون مباحة ، ومنها
المنخل فان المقصود منه تطيب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التعم المفرط قال تعالى :
(قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) أى المستلذات للخلق
(ومن الادام) أى والاعلى من الادام (اللحم) وقد ورد : سيد طعام أهل
الدنيا وأهل الجنة اللحم ، رواه ابن ماجه . وابن أبى الدنيا من حديث أبى الدرداء مرفوعا
وسنده ضعيف لكن له شواهد منها عن علي رفعه بلفظ : « سيد طعام الدنيا اللحم ثم
الارز » أخرجه أبو نعيم فى الطب النبوى ، وعن صهيب بلفظ : « سيد الطعام فى الدنيا
والآخرة اللحم ثم الارز » أخرجه الديلمى من جهة الحاكم ، وعن بريرة أيضا مرفوعا
سيد الادام فى الدنيا والآخرة اللحم وسيد الشراب فى الدنيا والآخرة الماء وسيد الرياحين
فى الدنيا والآخرة الفاغية ، رواه الطبرانى وكذا أبو نعيم لكن بلفظ آخر ، وما يقويه حديث

وَالْحُلُوءُ ثُمَّ الدَّهْنُ ثُمَّ الْمِلْحُ وَالْخَلُّ وَالْمَحْمُودُ الْوَسْطُ فَالطَّرْفَانِ شَاغِلَانِ
فُورِدَ (وَالَّذِينَ إِذَا أَتَقَوْا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) «خير
الأمور أوسطها»

«فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» أخرجه الترمذى وغيره ، وفي الشئائل أنه عليه السلام «أكل الدجاج ولحم جبارى وجنباً مشوية وكان يحب الذراع ويقول: إن أطيب اللحم لحم الطير» وفي الإحياء عز على كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه ومن دارم عليه أربعين يوماً قسا قلبه (والحلواء) من التمر وغيره فمن عائشة «كان عليه السلام يحب الحلواء والعسل» رواه أصحاب الكتب الستة «وكان يعجبه الحلوى الباردة» كما في الشئائل وأما حديث «المؤمن حلوى والكافر خمرى» فقال ابن حجر العسقلانى: باطل لا أصل له «وكان يحب الدباء» كما في الشئائل وغيره عن أنس «وكان يحب القثاء» كما رواه الطبرانى عن الربيع بنت معوذ (ثم الدهن) وفي معناه السمن فقد ورد «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة» وفي لفظ «فانه مبارك» أحمد والترمذى وابن ماجه عن عمره وصححه الحاكم على شرطهما (ثم الملح) فمن أنس مرفوعاً «سيد أدامكم الملح» ابن ماجه وأبو يعلى والطبرانى (والخل) فمن عائشة أنه عليه السلام قال: «نعم الإدام الخل» الترمذى ورواه مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ «سأل أهله الإدام فقالوا ما عندنا إلا خل فدعا به فجعل يأكل وهو يقول نعم الإدام الخل» وعن أم سعد مرفوعاً «نعم الإدام الخل اللهم بارك في الخل» وفي رواية «فانه كان إدام الأنبياء من قبل» وفي حديث «لم يفقر بيت فيه خل» رواه ابن ماجه، وأما حديث «خير خلقكم خل خمركم» فرواه البيهقى في المعرفة عن جابر مرفوعاً وقال أنه ليس بالقوى (والمحمود الوسط فالطرفان) أى الأعلى والأدنى (شَاغِلَانِ) عن العبادة للتجرد الزاهد وأما المعارف فكل حلال له طيب قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا) وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (فورد والذين إذا اتفقوا لم يسرفوا) أى لم يبدروا (ولم يقتروا) أى لم ييخلوا (وكان بين ذلك قواماً) ولا شك أن قوام كل قوم بحسب ما يقوم عندهم (خير الأمور أوسطها) رواه البيهقى عن عمرو بن الحارث بلاغا ولعله مأخوذ من قوله

وَالْأَوَّلَى أَنْ لَا يُؤَاطَبَ عَلَيْهِ وَيَتْرَكَ الْمَشْتَهَى قَطْعًا لِلنَّاسِ بِالْدُّنْيَا، وَوَرَدَ
 (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) «شَرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ غَدُوا بِالنَّعِيمِ وَنَبَتَ عَلَيْهِ
 أَجْسَامُهُمْ» وَأَمَّا هَمَّتُهُمْ أَنْوَاعُ الطَّعَامِ وَاللَّبَاسِ وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ الشَّهْوَتَيْنِ قَضَاءً وَلَا بَيْنَ
 الشَّبَعِ وَالتَّوَمِ فَهُمَا غَفْلَتَانِ «فُورَدَ» أَذْيُوا طَعَامَكُمْ بِالصَّلَاةِ

تعالى : (و كذلك جعلناكم أمة وسطا) وقوله : (كنتم خير أمة) (والاولى أن لا يؤاظب عليه) أى على الادم فى جميع الليالى والأيام (ويترك المشتهى) أى وأن يترك ما تشتهيه النفس (قطعاً للناس بالدنيا) وطعماً لمجلس القدس فى العقبى وفىها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين، وورد « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فان عيشها عيشة راضية فاخرة » (وورد) أى فى توبيخ الكفار (أذهبتم طيباتكم) أى مستلذاتكم (فى حياتكم الدنيا) والظاهر انها محمولة على المحرمة اذ لا تبعة فى المباحات أو مختصة بالكفار لكن قد يقال : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيتناول الفجار حيث صرفوا نعم الله سبحانه فى المعصية دون الابرار فانهم استعانوا بنعمه على الطاعة (شرار أمتى الذين غدوا) بصيغة المجهول من الغذاء بالمعجمتين أى تربوا (بالنعيم) من غير فرق بين الحلال والحرام (ونبت عليه أجسامهم) وظل جسدت من أكل الحرام فالنار أولى به كما فى رواية (وانما همتهم أنواع الطعام واللباس) أى من غير تفرقة بين الجواز وعدمه فان محط نظرهم ما يرون من فعل عامة الناس والحديث رواه ابن عدى فى الكامل، ومن طريقة البيهقى فى شعب الايمان من حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضى عنها ، وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسل قال الدار قطنى فى العلل : هو اشته بالصباب ، ورواه أبو نعيم فى الحلية من حديث عائشة بأسناد لا بأس به (ولا يجمع بين الشهوتين) أى المشتاتين كاللحم والفاكهة أو الفاكهتين (قضاء) أى اداء لشهوة النفس ومرادها فيجوز أن يجمع بنية ادراك خاطر المضيف وغيره، وقد ثبت فى الثمائل انه اكل اللحم مرتين وجمع بين اللحم والرطب وبين البطيخ والرطب، وفى رواية بين الخبز والرطب وفى اخرى بين القناء والرطب وقال برد هذا بحر هذا (ولا بين الشبع والنوم فهما غفلتان) وفى كثرتهم حسرتان وخسارتان (فورد أذيبوا طعامكم) أى اضمموه (بالصلاة

وَالذِّكْرَ وَلَا تَتَمَوَّاعِلَيْهِ فَتَقْسُو قُلُوبُكُمْ» وَيَكْتَنِي بِالْتَّمْرِ تَحْرُزًا عَنِ التَّفْكِهِ،
وَيُؤْلِمُ النَّفْسَ فِي ابْتِدَاءِ الرِّيَاضَةِ فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحِبُّ الْعَسَلَ وَعَمَرَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ يَحْتَنِبُهُ وَيَأْمُرُ ابْنَهُ بِأَكْلِ الْخُبْزِ يَوْمًا مَعَ اللَّحْمِ ثُمَّ اللَّبَنِ ثُمَّ الدَّهْنِ ثُمَّ
الزَّيْتِ ثُمَّ الْمَلْحِ ثُمَّ وَحْدَهُ وَلَا يَأْكُلُ فِي الْخَلَاءِ مَا يَتْرُكُهُ فِي الْمَلَأِ فَهُوَ شَرُّ شَيْءٍ *

والذكر) واعلاء التلاوة (ولا تَمَوَّاعِلَيْهِ) أى على الشبع من غير طاعة ربكم
هـ (فتَقْسُو قُلُوبُكُمْ) أبو نعيم وغيره عن أنس هـ (ويَكْتَنِي بِالْتَّمْرِ تَحْرُزًا عَنِ التَّفْكِهِ) هـ أى
التنعم فغن النعمان بن بشير « رأيت رسول الله ﷺ وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه » الترمذى
في شمائله، وقيل: معنى الاكفاء بالتمر عن التفكه انه يأكل التمر بدلا من الخبز وكذا
يكتنى بكل فاكهة اشتهت نفسه من الطعام فإكلها بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون
تفكها لان التفكه انما يكون اذا شبع من الطعام ثم أكل الفاكهة اما اذا اكتنى بالفاكهة
بدلا عن الطعام فلا يكون ذلك تفكها بل يكون قوتا يقتضى قوة ويناسبه ما حكى عن
بعضهم انه نظر الى رجل يأكل خبزا وتمرا فقال له ابتدى بالتمر فان قامت به كفايتك والا
أخذت من الخبز بقدر حاجتك (ويؤلم النفس) أى يؤدها ويهذبها هـ (فى ابتداء
الرياضة) هـ قال تعالى : (والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا) هـ (فكان عليه السلام
يحب العسل) هـ أى والحلواء ونحوهما ويستعملهما لانه كان فى مرتبة العرفان وأيضا
اراد أن يقتدى به جميع افراد الانسان هـ (وعمر رضى الله عنه يحتنبه) هـ أى العسل او
الادام تر كاللذة واختيارا للرياضة وعملا بالافضل كما هو شأن الاكمل هـ (ويأمر
ابنه) هـ أى عبد الله على ما هو الظاهر هـ (بأكل الخبز يوما مع اللحم ثم اللبن) هـ أى يوما
هـ (ثم الدهن) هـ أى دهن الزيت ونحوه أو السمن ويؤيده قوله هـ (ثم الزيت) هـ اللهم
الأن يقال المراد به الزيتون مجازا وفيه أن الزيت والزيتون كلاهما كان عزيزا فى المدينة
هـ (ثم الملح ثم وحده) هـ أى الخبز من غير ادام معه هـ (ولا يأكل فى الخلاء ما يترك) هـ أى
شيئا أو قدرا يتركه هـ (فى الملا) هـ فانه من باب السمعة والرياء وهو كذا لا يعبد فى الملا
ما يترك فى الخلاء فانه من اخلاق أهل النفاق (فهو شرك خفى) وقد قال سبحانه وتعالى :
(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وفى الحديث
القدسى « أنا أغنى الشر كاهن عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه »

وَلَا يُرِيدَانِ يَعْرِفَ بِالتَّقْلِيلِ فَهُوَ أَحْسَنُ مِنَ الْإِكْثَارِ ، وَيُؤْخِرُ السَّحُورَ ،
وَيُعَجِّلُ الْإِفْطَارَ ، وَيَبْتَدِئُ بِالتَّمْرِ أَوِ الْمَاءِ ، وَيَفْطُرُ صَائِمًا فَالْكَلُّ مَأْثُورٌ ، وَيَسْتَعِدُّ
فِي شَعْبَانَ بِالتَّوْبَةِ ، وَرَدَّ الْمَظْلَمِ ، وَتَرَكَ الشَّوَاغِلَ ، وَيَخْصُ رَمَضَانَ بِالصَّدَقَةِ .
وَالْتَّلَاوَةِ . وَالْإِعْتِكَافِ لِأَسْيَمِ الْعَشْرِ الْآخِرِ ، فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاطَّابَ عَلَيْهِ

مسلم وابن ماجه عن أنى هريرة (ولا يريد) أى ويبتغى ان لا يريد (ان يعرف) بين
الناس (بالتقليل) أى بتقليل الاكل وكذا بتكثير العلم والعمل (فهو) أى التقليل
رياء (الحش) أى أقبح (من الاكثار) مطلقا فانه حينئذ ترك شهوة الحلال واختار
شهوة الحرام (ويؤخر السحور) وهو يفتح السين ما يتسحر به وبالضم التسحر وهو
الاكل في السحر وهو السدس الاخير من الليل (ويعجل الافطار) هـ فى كل منهما
وردت الآثار فمن ام حكيم «عجلوا الافطار واخروا السحور» الطبرانى، وعن أنس
«بكروا بالافطار واخروا السحور» ابن عدى، وعن ابن عباس «انا معاشر الانبياء
امرنا ان نعجل افطارنا ونؤخر سحورنا ونضع ايما ناعلى شمالكنا فى الصلاة، الطيالسي،
وعن أبى ذر «لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الافطار واخروا السحور» رواه أحمد
هـ (ويبتدىء بالتمر) هـ والرطب أفضل (أو الماء) عند عدمهما وزمزم أفضل ولا منع
من الجمع، وعن أنس «كان عليه السلام يفطر على رطبات قبل ان يصل فان لم تكن رطبات
فتمرات وان لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء» (يفطر صائما) واقله واحد
وورد «من فطر صائما كان له مثل أجره غير انه لا ينقص من أجر الصائم شيء» أحمد
والترمذى. وابن جبان عن زيد بن خالد هـ (فالكل مأثور) هـ وفى ضمن الشرح مسطور
هـ (ويستعد فى شعبان) هـ لاستقبال رمضان (بالتوبة) أى الاستغفار والتسوية
(وردا المظالم) أى مظالم العباد وكذا اداء حقوق الله (وترك الشواغل) أى الموانع
عن الصيام والقيام من العارة والسفر للتجارة والكسب الزائد على الحاجة (ويخص
رمضان بالصدقة) أى بزيادتها فانها أقرب الى القبول والغفران (والتلاوة) أى
قراءتها أو مدارستها فانه شهر نزل فيه القرآن (والاعتكاف) أى فى المسجد قال تعالى:
(وأتموا كفون فى المساجد) (لأسيما العشر الاواخر) فالاعتكاف فيه سنة مؤكدة
وفى غيرهما مستحبة (فهو عليه السلام واطب عليه) أى على الاعتكاف فى العشر الاخير

وَأَمْرًا بِاتِّمَاسِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِيهَا، وَيُرَاعَى سَائِرُ الْأَعْمَالِ فِي أَيَّامِ الْفَاضِلَةِ كَالْأَشْهُرِ الْحَرَمِ
لَا سِيَّمَا عَرَفَةَ . وَعَاشُورَاءَ . وَالْعَشْرِينَ .

ففي الصحيحين عن عائشة « كان إذا دخل العشر الاواخر أحيى الليل وايقظ أهله وجد وشد
المتررو كان لا يخرج إلا لحاجته » وفي رواية أبي داود زيادة ولا يسأل عن المريض إلا
مراة ، (وأمرنا بالتمس ليلة القدر فيها) أي في العشر الاواخر وأوتارها أشبه ، والجمهور
على أنها ليلة السابع والعشرين (ويراعى سائر الأعمال في الايام الفاضلة) أي بالصوم فيها
قدر طاقته واستطاعته في تكثير طاعته (كالاشهر الحرم) وهي رجب وذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ، أما المحرم فورد فيه ، ان كنت صائما بعد شهر رمضان فصم المحرم فإنه
شهر الله ، الحديث رواه النسائي عن علي ولأنه ابتداء السنة فبناؤه على الخير أحب وأرجى
لدوام البركة ، وفي المعجم للطبراني من حديث ابن عباس « من صام يوما من المحرم فله بكل
يوم ثلاثون حسنة » وعن أنس « من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة
والسبت كتب الله عز وجل له عبادة تسعمائة سنة ، الأزدى في الضعفاء ، وفي رواية ابن
شاهين في ترمذيه . وابن عساكر عن أنس « كتب له عبادة سبعمائة سنة » وفي رواية
الطبراني في الأوسط عن أنس « عبادة سنتين ، وأما رجب فورد فيه « صوم أول يوم من
رجب كفارة ثلاث سنين . والثاني كفارة سنتين . والثالث كفارة سنة ثم كل يوم شهر »
رواه أبو محمد الحلال عن ابن عباس (لا سيما عرفة) أي يوم عرفة فورد « من صام
يوم عرفة غفر الله له سنتين سنة امامه وسنة خلفه » ابن ماجه بسند حسن عن قتادة بن النعمان
وإذا كان بعرفات ان لم يضعف عن العبادة ولم يسيء خلقه فالصوم أفضل والا
فالانقطاع ، وقد ثبت انه عليه السلام افطر بعرفة في حجة الوداع وكأنه تهوين على الأمة
منشؤه الشفقة والرحمة بل ورد انه عليه السلام « نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة » أحمد .
وأبو داود . وابن ماجه . والحاكم عن أبي هريرة (وعاشوراء) والافضل صوم تاسوعاء
(والعشرين) بالفتحتين أي العشر الاول من ذى الحجة ومن المحرم فورد « ما من
أيام العمل فبهن افضل وأحب الى الله من أيام عشر ذى الحجة ان صوم يوم منه يعدل
صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر » الترمذى . وابن ماجه من حديث
أبي هريرة ، وعند البخارى من حديث ابن عباس « ما العمل في ايام أفضل من العمل في هذا
العشر قالوا ولا الجماد قال ولا الجهاد الا رجل خرج يحاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء »

وَشَعْبَانَ وَالْأَيَّامَ الْبَيْضَ . وَالْجُمُعَةَ وَالْخَمِيسَ . وَالْاِثْنَيْنِ ، وَيَفْطُرُ فِي آخِرِ
شَعْبَانَ اسْتِعَانَةً عَلَى صَوْمِ رَمَضَانَ ، ثُمَّ السَّرُّ فِيمَا وَرَدَ «أَفْضَلُ الصَّيَامِ صِيَامُ أَخِي دَاوُدَ»
شِدَّةُ انْكَسَارِ النَّفْسِ بِنَقْضِ الْعَادَةِ

﴿وشعبان﴾ كله أو أكثره فكان عليه السلام يكثر صيام شعبان حتى كان يظن أنه من رمضان ، متفق عليه من حديث عائشة ﴿والايام البيض﴾ أى التى ليالها البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر على الأشهر من الأقوال، والايام التى تبيض جسم آدم بصومها لما خرج من الجنة وكان قد اسود من جهة الخطيئة، وعن ابن عباس «كان عليه السلام لا يبدع صوم أيام البيض فى سفر ولا حضر» الطبرانى ﴿والجمعة﴾ والافضل ان لا يصوم فيها مفردا لما ورد عن جنادة الأزدي «لا تصوموا يوم الجمعة مفردا» أحمد والنسائي، والحاكم وفى رواية لأحمد عن أنس بن مالك «لا تصوموا يوم الجمعة الا قبله يوم أو بعده يوم» ﴿والخمس والاثنين﴾ لانهما يومان متبركان، وورد «كان يصوم الاثنين والخميس فليل له فقال الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر لكل مسلم الا المتهاجرين فيقول آخروهما» أحمد عن أنس بن مالك «يفطر فى آخر شعبان استعانة على صوم رمضان» واستبعادا عن التقدم فى الزمان، وورد «إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان» الأربعة من حديث أنس بن مالك وصححه الترمذى، وفى رواية «إذا انتصف شعبان فلا صوم حتى رمضان» أحمد والدارمى. والأربعة وصححه وابن حبان، وأبو عوانة وغيرهما مرفوعا فان وصل شعبان برمضان لجائز كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة كما رواه الأربعة من حديث أم سلمة «لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصل به رمضان» ولأن داود والنسائي نحوه من حديث عائشة، وفصل مرارا كثيرة كما رواه أبو داود من حديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام» واخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين كذا ذكره الحجّة ومخرجه ولا يخفى عدم دلالة الحديث على المدعى ﴿ثم السرف فيما ورد﴾ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص «أفضل الصيام صيام أخى داود» وتماهه كان يصوم يوما ويفطر يوما ﴿شدة انكسار النفس﴾ وما لها من الإرادة ﴿بنقض العادة﴾ فانه لب العادة، ومن ذلك ما ورد فى الصحيحين أيضا من

بِخِلَافِ صَوْمِ الدَّهْرِ قَلِيلٌ يَجْتَهِدُ أَنْ يَصُومَ نِصْفَ السَّنَةِ أَوْ ثُلُثَهَا مَعَ رِعَايَةِ
الْأَيَّامِ الْفَاضِلَةِ، وَقِيلَ لَا يَفْطُرُ إِلَّا أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَاتٍ أَعْتَابًا بِأَيَّامِ النَّحْرِ وَالتَّشْرِيقِ

منازله عليه السلام لعبد الله بن عمرو في الصيام وهو يقول: أريد أفضل من ذلك فقال عليه السلام له: صم يوماً وأفطر يوماً فقال أريد أفضل من ذلك فقال عليه السلام: لا أفضل من ذلك لأنه أشد على النفس والهوى وفي قمع قهرها أقوى ولأن العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال عليه السلام: « عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا كنوز الأرض وقلت اجو ع يوماً واشبع يوماً أحمذك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت » الترمذى من حديث أبى امامة وحسنه، وفيه تنبيه على أن الكمال هو الترية بين تجلى صفى الجمال والجلال، وقد ورد أيضاً « الإيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر » وقال عز وجل: (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) ﴿ بخلاف صوم الدهر ﴾ فإنه يصير العبادة له كالعادة على أنه شامل لكل مع الزيادة، وللسالكين طرق هنالك ففهم من كره ذلك إذ وردت فيه أخبار كثيرة تدل على كراهيته، منها: من صام الأبد أى الدهر فلا صام ولا أفطر، أحمد والنسائي والحاكم وابن ماجه عن عبد الله بن الشخير، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو ولا صام من صام الأبد، ولمسلم من حديث أبى قتادة « قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر؟ قال لا صام ولا أفطر » وللنسائي من حديث عبد الله بن عمر وعمران ابن الحصين، وفي الاحياء الصحيح انه انما يكره لشيئين أحدهما أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق وهو الدهر كله وثانيهما أن يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجراً على نفسه مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه وإذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر هنالك فليفعل وقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين، وقال عليه السلام فيما رواه أبو موسى الأشعري « من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين » معناه ليس له فيها موضع والحديث رواه أحمد والنسائي في الكبرى وابن حبان وحسنه أبو على الطوسى ﴿ قيل يجتهد أن يصوم نصف السنة ﴾ وهو صيام داود ويمكن أن يكون غيره ﴿ أو ثلثها ﴾ فإذا صام ثلاثة أيام من أول الشهر وثلاثة من وسطه وثلاثة من آخره فهو ثلث بانفراده وأما ﴿ مع رعاية الأيام الفاضلة ﴾ بأن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من النصف ﴿ وقيل لا يفطر الا أربعة أيام متواليات اعتباراً بأيام النحر والتشريق ﴾

وَالْأَصْلُ الْعَمَلُ بِحَسَبِ صَلَاحِ الْبَاطِنِ فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «يَصُومُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَفْطُرُ وَكَذَا يَفْطُرُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَصُومُ وَيَقُومُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَنَامُ وَيَنَامُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَقُومُ» *

البَابُ الرَّابِعُ فِي السَّفَرِ وَالْحَجِّ وَالْغَزْوِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * السَّفَرُ إِمَادِينِي وَهُوَ عَلَى قَصْدِ التَّعْلِيمِ فُورَدَ

وفي الاحياء كره بعض العلماء أن يوالى بين الافطار أكثر من أربعة أيام تقديرًا يوم العيد وأيام التشريق وذكروا أن ذلك يقسى القلب ويولد ردى العادات ويفتح أبواب الشهوات قال: ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق لاسيما من يأكل في اليوم مرتين ﴿والأصل العمل بحسب صلاح الباطن﴾ أى إذا صلح باطنه بالصوم صام وإذا صلح بالفطر أفطر لأن المقصود صلاح القلب للحضور بين يدي الرب فتارة تقتضى دوام الصوم وأخرى دوام الفطر وأخرى مزجه وهو الأنسب ﴿فكان عليه السلام يصوم﴾ أى النفل متابعا ﴿حتى يقال﴾ وفي رواية حتى نقول بالنون والغيبة والخطاب ﴿لا يفطر﴾ أى أبدا ﴿و كذا يفطر﴾ أى مواظبا ﴿حتى يقال لا يصوم﴾ بعد هذا أصلا ﴿ويقوم﴾ أى في الليل متواليا ﴿حتى يقال لا ينام وينام﴾ أى كثيرا ﴿حتى يقال لا يقوم﴾ كذا في الاحياء ، قال العراقي: حديث « كان يصوم حتى يقال لا يفطر » الحديث أخرجه من حديث عائشة . وابن عباس دون ذكر القيام والنوم ، وللبخارى من حديث أنس « كان يفطر من الشهر حتى يظن أنه لا يصوم منه ويصوم حتى يظن أنه لا يفطر منه شيئا وكان لا تشأ تراه من الليل مصليا الارأيته ولا نائما الارأيته » قلت : والحديث أيضا في شمائل الترمذى وقد شرحته وكان ذلك المقام له عليه السلام بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات واختلاف الحالات .

﴿الباب الرابع في السفر والحج والغزو﴾

تخصيص بعد التعميم للتعميم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ المعين للمسافر والمقيم ﴿السفر﴾ أعم من الشرعى واللغوى ﴿امادينى وهو على قصد التعلم﴾ من علماء الشريعة أو من مشايخ الطريقة فيستفيد من معارفهم في الحقيقة ﴿فوردا﴾ أى من رواية

«مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ» وَالتَّجَارِبِ
لِإِصْلَاحِ الْأَخْلَاقِ فَهُوَ مِنْهُمْ؛

الترمذى والضياء عن أنس (من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله) أى
الجهاد مع أعداء مولاؤه أو في طريق رضاه (حتى يرجع) أى من سفره إلى حضرته قال
المظهرى وجه مشابهة طلب العلم بالمجاهدة في سبيل الله أنه أحياء الدين وفيه إرضاء الرحمن
وإدلال الشيطان، وعن أنس، طالب العلم أفضل عند الله من المجاهد في سبيل الله، الدبلى،
وعن جابر بن عبد الله أنه رحل من المدينة إلى مصر لحديث بلغه أن عبد الله بن أنيس
يحدث به عن رسول الله ﷺ، وقيل في تفسير قوله تعالى: (السائحون) أنهم طلاب
العلم المسافرين، وعن أبي هارون قال: «كنا نأتى أبا سعيد: فيقول مرحبا بوصيته عليه
السلام كان يقول: ان الناس لكم سبع وإن الرجال يأتونكم من أقطار الأرض
يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا» وعن كثير بن قيس قال: كنت
جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق لحاء رجل فقال: يا أبا الدرداء انى جئتك من
مدينة الرسول ﷺ لحديث باغنى أنك تحدّثه عن رسول الله ﷺ ما جئت
لحاجة-أى غير أن أسمع منك الحديث-قال: فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة
لتضع أجنحتها رضا الطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض
والحيثان في جوف المأوا وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا
العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» رواه أحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه والدارمى
والحديث في المشكاة وشرحه في المرقاة (والتجارب) أى وقصد التجربة في أمان كن
الشدة (لإصلاح الأخلاق) أى المستحسنة في حكم الخلاق (فهو مهم) والسالك
بسيره متم ومنه قوله عليه السلام «أخبر تقيه» ابن عدى من حديث أبي الدرداء مرفوعا،
وفي رواية له «وجدت الناس أخبر تقيه» أخرجه الطبرانى. وأبو يعلى وأبو نعيم، وفي النهاية
أى جرب الناس فانك إذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم
لفظه أمر ومعناه خبر، أى من جربهم واختبرهم أبغضهم والهاء في تقيه للسكت، ومعنى
نظم الحديث وجدت الناس مقول فيهم هذا القول، قيل: ويضرب هذا مثلا في قلة توهم

وَالسَّفَرُ يُسْفَرُ عَنْهَا لِلْبُعْدِ عَنِ الْمَالُوفَاتِ ، وَالتَّفَكُّرُ فِي لَطَائِفِ أَعْمَالِهِ
تَعَالَى ۝ وَالْحَجُّ فُورِدَ (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) الْآيَةُ « مِنْ حِجِّ الْبَيْتِ وَلَمْ
يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذَنْبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » وَالْجِهَادُ فُورِدَ « لَغْدُوَةٍ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رُوحَةٍ خَيْرٍ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » وَزِيَارَةُ الْمَدِينَةِ

الخَيْرُ عِنْدَ النَّاسِ (وَالسَّفَرُ) وَسَمِيَ بِهِ لِأَنَّهُ (يَسْفَرُ عَنْهَا) أَيْ يَكْشِفُ عَنِ الْإِخْلَاقِ
الرَّضِيَةِ وَالِدِينَةِ فِي اخْتِلَافِ الْحَالَاتِ (لِلْبُعْدِ عَنِ الْمَالُوفَاتِ) وَعَدَمِ وُجُودِ الْمَعْرُوفَاتِ
(وَالتَّفَكُّرِ فِي لَطَائِفِ أَعْمَالِهِ تَعَالَى) فِي مَصْنُوعَاتِهِ (وَعَظِيمِ صِفَاتِهِ) أَيْ الدَّالَّةِ عَلَى
عَظَمَةِ ذَاتِهِ كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) فَهُوَ أَمَّا بِسِيرِ الْبَاطِنِ أَوْ بِانْتِصَامِ سِيرِ الظَّاهِرِ ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَعَلَا :
(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ) وَقَوْلُهُ (أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ) وَاخْتَلَفَ أَحْوَالُ الصُّوفِيَةِ فِي سُلُوكِ سِيرِ الظَّاهِرِ ،
فَنَهَمُ مِنْ سَافِرٍ فِي بَدَايَتِهِ وَأَقَامَ فِي نَهَايَتِهِ وَهُوَ الْأَظْهَرُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَقَامَ وَلَمْ يَسَافِرْ وَهُوَ
الْأَكْثَرُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ اسْتَدَامَ عَلَى السَّفَرِ (وَالْحَجُّ فُورِدَ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
الْآيَةُ) أَيْ (مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (مِنْ حِجِّ
الْبَيْتِ وَلَمْ يَرْفُثْ) أَيْ لَمْ يَجَامِعْ فِي الْإِحْرَامِ وَلَمْ يَذْكُرِ الذَّنَاءَ فِي جَمَاعَتِهِمْ (وَلَمْ يَفْسُقْ
خَرَجَ مِنْ ذَنْبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) أَحْمَدُ . وَابْنُ خَالٍ . وَابْنُ مَاجَهَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
بَلَفَظَ « مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ » الْحَدِيثَ « وَمَنْ مَاتَ وَلَمْ يَحْجِ فَلَيْمَتْ أَنْ شَاءَ يَهُودِيًّا
وَأَنْ شَاءَ نَصْرَانِيًّا ، ابْنُ عَدَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ وَقَالَ :
غَرِيبٌ وَفِي إِسْنَادِهِ مَقَالٌ « وَمَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا فَاتَّجَرَى اللَّهُ لَهُ أَجْرُ
الْحَاجِّ وَالْمُعْتَمِرِ كُلِّ سَنَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » الْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ (وَالْجِهَادُ) مَعَ الْكُفَّارِ
(فُورِدَ لَغْدُوَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رُوحَةٍ خَيْرٍ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا) أَحْمَدُ . وَالشَّيْخَانِ .
وَالْتِّرْمِذِيُّ . وَابْنُ مَاجَهَ عَنْ أَنَسٍ (وَزِيَارَةُ الْمَدِينَةِ) فِي الْخَبَرِ « مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ
لَهُ شِفَاعَتِي » ابْنُ عَدَى . وَابْنُ خَالٍ . وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا . وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا . وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا . وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا .
ابْنُ عَمْرٍو وَهُوَ فِي صَحِيحِ ابْنِ خَزِيمَةَ ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ عُمَرَ مَرْفُوعًا « مَنْ زَارَ قَبْرِي كُنْتُ
لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا » قَالَ الْذَّهَبِيُّ : طَرَقَهَا كُلُّهَا لَيْتَهُ لَكِنْ يَقْوَى بَعْضُهَا بَعْضًا لِأَنَّ مِنْ
الرِّوَاةِ مَنْ هُوَ مَتَّحٌ بِالْكَذِبِ قَالَ : وَمَنْ أَجْرَدُهَا إِسْنَادًا حَدِيثُ حَاطِبٍ « مَنْ زَارَنِي

وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَوَرَدَ « لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى مَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى »، وَمُلَاقَاةُ الْكِبَرَاءِ لِلِاسْتِفَادَةِ مِنْ مُشَاهَدَةِ الْأَحْوَالِ

بعد موتي فكمن زارني في حياتي » أخرجه ابن عساكر وغيره قلت: حديث « من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي » رواه ابن عدي . والطبراني . والدارقطني . والبيهقي من حديث ابن عمرو « من جاني زائرا لا يهيمه الا زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا ، الطبراني من حديث ابن عمرو صححه ابن السكن « ومن وجد سعة ولم يفر الى فقد جفائي ، ابن عدي . والدارقطني . وابن جابر . والخطيب من حديث ابن عمر ، وفي رواية « من حج ولم يزرني فقد جفائي » ، وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث أنس « ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر » (وبيت المقدس) فعن ابن عمران سليمان بن داود عليهما السلام « لما بني بيت المقدس سأل الله عز وجل خلا لا ثلاثة سأل الله حكما يصادف حكمه فآوته وسأل الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فآوته وسأل الله حين فرغ من المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه الا الصلاة فيه أن يخرج من خطيبته كيوم ولدته أمه اما اثنان فقد اعطيها وأرجو أن يكون قد أعطى الثالثة ، أحمد . والنسائي . وابن ماجه . وابن جابر . والحاكم ، وقد صح أنه عليه السلام صلى فيه ورحل ابن عمر اليه ودخل فيه وصلى ركعتين ثم رجع ، وعن ميمونة مرفوعا « من لم يأت بيت المقدس يصلى فيه فليعت بزيت يسرج فيه » البيهقي (فورد) أي في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة . وأبي سعيد (لا تشد الرحال) أي لا تطلب بركة البقاع بالسفر اليها (الا الى مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى) ولا يمنع هذا زيارة قبور الأنبياء والأولياء لأن الحضر في حق المساجد دون سائر المشاهد ومسجد قبا ونحوه في المدينة من منازل الكرام داخل في جنس مسجده عليه السلام ، ثم لفظ الحديث على ما هو المشهور عند محدثي الاعلام « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » ، وهذا هو الترتيب المناسب لتفاوت المساجد في فضيلة ومسجدي هذا والمسجد الأقصى ، وهذا هو الترتيب المناسب لتفاوت المساجد في فضيلة مضاعفة الصلاة فيها ، فعن جابر « صلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة وصلاة في مسجدي ألف صلاة وفي بيت المقدس خمسمائة صلاة » البيهقي (وملاقاة الكبراء) من المشايخ والعلماء وهم احياء (للاستفادة من مشاهدة الأحوال) ومعاينة الأقوال

فَلَسَانُ الْحَالِ أَفْصَحُ ، وَزِيَارَةُ قُبُورِهِمْ ،

(فلسان الحال أفصح) من بيان المقال وليس الخبر كالمعاينة ؛ وقد ورد أولياء الله الذين أذار أواذ كراه الله الحكيم ، عن ابن عباس فقد ينفعه لحظ الرجال ما لا ينفعه لفظ الرجال ، ومن هنا قيل [من لم ينفعك لحظه لم ينفعك لفظه] وهذا القول له معنيان أحدهما أن الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله أكثر مما يكلمهم بلسان قوله فإذا نظر الصادق الى تصاريفه في مودده ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر اليه فهو نفع اللحظ عليه ومن لم تكن أفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينفع لانه يتكلم بهواه ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة في طاعة الرب المعبر عنها بالشرعية في الأعمال الظاهرة وبالطريقة في الاخلاق الباهرة وبالحقيقة في الأحوال الذاخرة المستمرة حتى في الدار الآخرة . والثاني أن نظر العلماء الراسخين والرجال البالغين ترياق نافع ينظر أحدهم الى الرجل الصادق فيستشف بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستهالة المواهب لله تعالى الخاصة للموافق فتقع في قلبه محبة المريد الصادق وينظر اليه نظرة محبة الله تعالى عن بصيرة فيكتسب بنظره أحوالاً سنية ويرى آثاراً رضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله سبحانه أن يجعل هذه الخاصة في نظر بعض خواصه من عباده كما جعل في بعض الافاعي من الخاصة انه اذا نظر الى انسان يهلكه ، وما يدل على تأثير الصحة وكبير نظر الأثير ما حصل لاجل الاف العرب حيث كان أحدهم ممن يبول على عقبه فينظره صلى الله عليه وآله وسلم وقد آمن به فصار في لحظة واحدة من كل الاولياء والاصفياء حيث لم يبلغه أحد من المشايخ والعلماء ، وأبلغ من هذا قضية كلب أصحاب الكهف حتى وصل مرتبته الى أن ذكره الله في كتابه القديم مرات بنعت التعظيم والتكريم ، وقد وقع تأثير نظر الشيخ نجم الدين الكبري الى كلب كان حول الفقراء ، وذكرك صاحب عوارف المعارف الشيخ شهاب الدين السهروردي عن عمه الشيخ نجيب الدين صاحب آداب المريدين انه كان يطوف في مسجد الحثيف بمنى ويتصفح وجوه الناس ههنا وههنا فقبل له في ذلك فقال : ان الله عبادا اذا نظروا الى شخصا كسبه السيادة قانا اطلب تلك السعادة ، وحكاية الشيخين مع السيد عبد القادر مشهورة وفي غير هذا المحل مسطورة (وزيارة قبورهم) أي الكبراء فانهم بمنزلة الشهداء لا يموتون ولكن يتقلون من دار الفناء الى دار البقاء ، وقد ورد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورو القبور فانها تزهدي

وَالْفَرَارُ عَمَّا يُشَوِّشُ الْعِبَادَةَ . كَالْجَاهِ . وَالْمَالِ * وَإِمَّا دُنُوبِي كَالْفَرَارِ مِنَ
الْفِتْنَةِ . وَالْقَحْطِ إِلَّا عَنِ الطَّاعُونَ فَهُوَ مِنْهُ عَنِ

الدنيا وتذكر الآخرة ، ابن ماجه عن ابن مسعود ، وفي رواية الحاكم عن أنس ، كنت
نهيتمكم عن زيارة القبور الأفروروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ،
الحديث (والفرار عما يشوش العباداة) أو ينقصها أو يمنعها (كالجاه) أى الوسع
(والمال) أى الكثير ، وعن سفيان هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحاملين فكيف
بالمشهورين هذا زمان ينتقل الرجل من قرية الى قرية ليغير دينه من الفتنه ومن أفضلها
الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام ومن دار البدعة الى دار السنة ومن دار المعصية
الى دار الطاعة فى الصحيح . من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ، فالمدار
على تصحيح النية وتخليص الطوية فى جميع الاعمال الدينية والدنيوية لتصير وسائل فى
رفعة الدرجات الآخروية (وإما دُنُوبِي كَالْفَرَارِ مِنَ الْفِتْنَةِ) أى الدنيوية (والقحط)
ونحوه من الغلاء وسائر البلية (ولا حرج فيه) أى فى هذا النوع بل هو مباح أو مستحب
فقد قال أبو نعيم : رأيت سفيان الثورى وقد جعل جرابه على كتفه وقتله يده فقلت : الى
أين يا أبا عبد الله ؟ فقال : الى بلد أملأ فيها جرابى بدرهم ، وفى حكاية أخرى بلغنى خبر قرية
فيها رخص أقيم فيها فقلت تفعل هذا يا أبا عبد الله ؟ فقال : نعم اذا سمعت برخص فى بلدة
فاقصدها فانه أسلم لدينك واقل لهلك فالاولى للمريد اذا كان طالبا للزهد ان يلزم
مكانه ويحفظ شأنه بماشائه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم بهما سلم له حاله فى
وطنه فان لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ
للقلب وايسر لعبادة الرب فهو افضل المواضع له قال تعالى : (يا عبادى الذين آمنوا
ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون) وروى « البلاد بلا داء والخلق عباد الله فإى موضع
رأيت فيه رفقا فاقم واحمد الله ، أحمد . والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف ، وفى الخبر
« من رزق من شيء قليلزمه ، ابن ماجه من حديث أنس بسند حسن » واذا سبب الله
لاحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له « ابن ماجه من حديث عائشة
بسند فيه جهالة واحد بسند حسن (الا عن الطاعون فهو) أى الفرار منه (منى عنه)
بلفظ « اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وأنتم بارض فلا تخرجوا

أَوْطَلَبَ الْمَالَ وَنَحَوَهُ فَيَنْوِي فِيهِ نَحْوَ التَّعَطُّفِ عَنِ السُّؤَالِ . وَالتَّعَطُّفِ
عَلَى الْعِيَالِ لِيَصِيرَ عِبَادَةً ، ثُمَّ إِنْ كَانَ وَاجِبًا كَالْحَجِّ . وَطَلَبَ الْعِلْمَ فَيَتَعَيَّنُ وَلَا
فَالَا سْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ بِحَسَبِ صَلَاحِ الْحَالِ ، فَالْفَوَائِدُ وَالْآفَاتُ مُتَعَارِضَةٌ ،
وَالْمَقْصُودُ هُوَ الْمَعْرِفَةُ ، وَالْأَنْسُ بِهِ تَعَالَى ، وَالْمُعَيَّنُ فِي الْبَدَايَةِ السَّفَرُ لِلتَّعَلُّمِ ، وَفِي
النَّهَايَةِ الْإِقَامَةُ فَفِيهِ شَوَاغِلٌ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الْمَالُوفَاتِ ، وَحِفْظِ النَّفْسِ وَالْمَتَاعِ ،
وَاحْتِمَالِ الشَّدَائِدِ ، وَالْهَمُومِ ، وَحَقُّهُ أَنْ يَتُوبَ ، وَيُرَدَّ

منها فرار منه . أحمد . والشيخان . والنسائي عن أسامة بن زيد (أطلب المال) أي
و كطلبه (ونحوه) من النكاح وغيره من المباحات (فينوي فيه) أي الخيرات
والمبرات (نحو التعطف عن السؤال) في طلب المال (والتعطف على العيال) في النكاح
(ليصير عبادة) لأن تصحيح النيات يجعل العادات عبادات كما حقق في شرح حديث
« إنما الأعمال بالنيات » ومن هنا ورد « نية المؤمن خير من عمله » (ثم إن كان) أي
السفر (واجبا) أي فرض عين (كالحج وطلب العلم فیتعين) أي فعله (والا) أي
وإن لم يكن واجبا (فالاستفتاء من القلب) متعين في فعله وتركه (بحسب صلاح
الحال) وفساده في الحضور مع الرب (فالفوائد) أي المنافع (والآفات) أي
المضار (متعارضة) في أمر السفر وغيره من الحالات (والمقصود) أي الأعلى
(هو المعرفة والأنس به تعالى) في جميع المقامات (والمعين في البداية السفر للتعلم)
أن لم توجد العلماء في بلده أو لم يقدر على تحصيله لشغله بأهله (وفي النهاية الإقامة) لاسيما
مع الكبر فإنه لا يتحمل الضرر (فقيه) أي في السفر (شواغل) عن الذكر والفكر
(من) النظر إلى المألوفات وحفظ النفس والمتاع (من الآفات) واحتمال الشدائد
والهموم (باختلاف الحالات وتفاوت الأوقات وتباين المقامات ، ومن هنا ورد
« السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى أحدكم نهمته من
وجهه أي حاجته من جهته فليعجل الرجوع إلى أهله ، مالك . وأحمد . والشيخان . وابن ماجه
عن أبي هريرة (وحقه) أي المسافر (أن يتوب) عن الذنوب من الصغائر والكبائر
في الظواهر والضمائر ويؤدى حقوق الله من فوات صوم وصلاة ونحوهما (ويرد

الْمَظَالِمَ وَيُؤَدِّي النِّفَقَاتِ وَيَأْخُذُ الزَّادَ ، وَيَطْلُبُ الرَّفِيقَ الصَّالِحَ الْمُعِينَ عَلَى الْخَيْرِ

المظالم) أى حقوق العباد أو يتحلل من أصحابها ويقضى الديون ويدفع الامانات الى أربابها ، فى القنية رجل عليه حق وغاب عن صاحبه بحيث لا يعلم مكانه ولا يعلم أحوال ميت لا يجب عليه طلبه فى البلاد ، وفيه أضرار لرجل عليه ديون لأناس لا يعرفهم من غصوب ومظالم وجنابات يتصدق بقدرها على الفقراء بنية القضاء ان وجاهد مع التوبة الى الله فيعذر ، وفى فتاوى قاضى خان رجل له خصم فوات ولا وارث له يتصدق عن صاحب الحق بقدر ماله ليسكون ودية عند الله بوصله الى خصمائه يوم القيامة (ويؤدى النفقات) أى كل من تلزمه نفقته الى حين رجعت (ويأخذ الزاد) من المال الحلال لذهابه وإيابه من غير تقدير وتعيين فى بابه بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد مع الرفقاء والرفق بالضعفاء والفقراء ، قيل : وبذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعائة ، قال ابن عمر : من كرم الرجل طيب زاده فى سفره وكان يقول : أفضل الحاج أخلصهم لله وازكاهم نفقة وأحسنهم يقيناً ، وورد الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل : يا رسول الله وما بر الحج ؟ قال : طيب الكلام وأطعام الطعام ، وذكر ابن الحاج ان من يخرج للحج بغير زاد ولا مركوب يطرأ عليه أمور عديدة ، منها عدم القدرة على اداء الصلاة وهو متعب فى ذلك ، ومنها عدم القوة والقدرة على تحمل المشقة ، ومنها يكلف الناس أن يقوموا بهوته وسقيه وربما آل أمره الى الموت وهو الغالب فتجدهم فى اثناء الطريق مرضى مرميين أو طرحى ميتين بعد ان خالفوا أمر الله فى حق أنفسهم وأوقعوا اخوانهم من علم بحالهم من أهل الركب فى انهم وكذلك يأثم كل من اعانهم بشئ لا يكفيهم فى أول أمرهم أو يسعى لهم فيه من غيرهم اللهم الا أن يعلم ان غيره يغنيهم بشئ يتم به كفايتهم فى الذهاب والاياب فلا بأس فان لم يعلم بذلك حرم عليه الاعطاء لهم لان ذلك سبب لدخولهم فيما لا قدرة لهم من العطش وغيره والافضاء الى الموت ونحوه فيكون شريكاً لهم فيما وقع بهم ، وهذا بخلاف ما اذا كانوا فى الطريق على هذا الحال فانه يتعين على من علم بحالهم اعانتهم بما تيسر له ولو بالشرية والشربتين واللحمة واللحمتين ويعرفهم ان ما ارتكبوه يحرم عليهم لا يجوز لهم ان يعودوا لمثله (ويطلب الرفيق الصالح المعين على الخير) المجرب فى الخير والشر والسفر والحضر فقد قيل : الرفيق ثم الطريق واللهولى التوفيق ، ووصف الرفيق بأنه ان نسي الخير ذكره وان ذكره اعانته وان جبن شجته وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره وسلاحه وكونه

وَيَتَصَدَّقُ قَبْلَ الْخُرُوجِ ، وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، وَيَسْتَخِيرُ فِي غَيْرِ الْوَاجِبِ
وَيُودِعُ الْأَخْوَانَ . وَيَرْغَبُ فِي دُعَائِهِمْ . وَيَعْرِضُ الْأَشْيَاءَ عَلَى الْمُسْكِرِ ،
وَيَرْضِيهِ ، وَيَخْرُجُ فِي بَكُورِ الْخَمِيسِ وَالسَّبْتِ ، فَرَدَّ «دُعَاؤُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمَا»

من الاجانب أولى من الاقارب عند بعض الصالحين تبعدا عن ساحة الوقعة الموجبة
للقطيعة ويجتنب محبة المتكبرين والجهال (ويتصدق قبل الخروج) ولو بشيء
قليل فان الصدقة تدفع البلاء (ويصلي ركعتين) للدوادة أو للاستخارة (ويستخير
في غير الواجب) من السفر وغيره ، والتحقيق ان يستخير في الواجب أيضا الا انه لاني
فعله وتر كبل يستشير ويستخير في متعلقاته من خروجه في هذا الوقت أو غيره أو في
شراء الدابة وكرائها ونحوه (ويودع الاخوان) ويقول لهم: استودع الله دينكم
واما تشكم وخوايتم عملكم كما رواه أبو داود والترمذي وصححه والنسائي من حديث ابن عمر
(ويرغب في دعائهم) ويستحب لهم ان يقولوا له في حضرته: زدك الله التقوى وغفر ذنبك
ووجهك للخير أينما توجهت كما رواه أبو داود والترمذي والطبراني في الدعاء من حديث أنس
وهو عند الترمذي وحسنه وفي غيبته : اللهم اطو له البعدوهون عليه السفر ، وفي الخبر
« اذا أراد أحدكم سفرا فليسلم على اخوانه فانهم يزيدونه بدعائهم الى دعائه خيرا »
الطبراني في الاوسط عن أبي هريرة (ويعرض الاشياء) أي جميعها (على المسكرى)
بضم الميم أي المسكرى ولو كان قد مر مكتوب ونحوه فقد قال رجل لابن المبارك: احمل لي
هذا الكتاب معك لتوصله فقال : حتى استأمر الجبال فاني قد اكرت منه قال الخبجة:
فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحرم في الورع فانه
اذا اقتتح باب يسير انجر الى الكثير، أقول ولا يبعد ان يراد بالكتاب ماله وزن فيشتد
يجب التوقف على الاذن (ويرضيه) بحمله ان كان زيادة على معتاده (ويخرج في
بكور الخميس) فوردانه عليه السلام « كان يستحب ان يسافر يوم الخميس ، الطبراني
عن أم سلمة (والسبت فورد دعاءه عليه السلام فيهما) أي في الخميس والسبت اما في
مطلق البكور بقوله عليه السلام: « اللهم بارك لامتى في بكورها » اخرجه الاربعة
وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان من حديث صخر بن وداعة الغامدي مرفوعا به واما
في خصوص الخميس فلا بن ما جاء عن أبي هريرة والطبراني في الاوسط عن عائشة مرفوعا
« اللهم بارك لامتى في بكورها يوم الخميس » وفي رواية « قال : اغدوا في طلب العلم فاني

وَالْاِثْنَيْنِ، فَهُوَ اَيْضًا مَأْثُورٌ، وَيَكْثُرُ السَّيْرُ فِي اللَّيْلِ، فَوَرَدَ «عَلَيْكُمْ بِالْجَلَّةِ»
فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ أَمَّا لَا تُطَوَّى بِالنَّهَارِ» وَلَا يَنْزِلُ مَا لَمْ يَصِرَ الْيَوْمُ
حَارًّا وَيُصَلِّي عِنْدَ الرُّكُوبِ وَالنُّزُولِ فِيهِ، وَيَكْبَرُ فِي كُلِّ صُعُودٍ وَنُزُولٍ
فِي كُلِّ هُبُوطٍ.

سألت ربي أن يبارك لامتى في بكورها يوم الخميس، وعن أم سلمة، كان يجب أن يسافر يوم
الخميس، الطبراني، وأما ما اشتهر في هذا «اللهم بارك لامتى في سببها وخمسها واللهم
بارك لامتى في بكورها واجعل ذلك في سببها وخمسها باطل لا أصل له كما أفاده الحافظ
ابن الملقن في أدلة التنبيه (والاثنين) أي ويخرج في الاثنين (وهو أيضا مأثور) (فقد ثبت
أنه عليه السلام هاجر من مكه يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وولد
يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين ومات يوم الاثنين) (ويكثر السير في الليل) أي ينبغي
أن يكون أكثر سيره بالليل (فورد عليكم بالجلّة) بضم فسكون وهي السير في أول الليل
وقيل في آخره وهو الاظهر لما في جميع المناسك ويستحب السير في آخر الليل وذكر
بعضهم سيره أول الليل انتهى، ولا يخفى أن ذلك مختلف باختلاف البلاد والعباد (فإن
الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار) أبو داود والحاكم والبيهقي عن أنس وبدون
ما لا تطوى بالنهار، وهذه الزيادة في الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسل (ولا
ينزل) أي في المنزل (ما لم يصر اليوم حاراً) فأن السير في البرد أيسر
(ويصلي) استحباباً (عند الر كوب) من المنزل (والنزل فيه) قياساً على
الركعتين عند دخوله بيته وخروجه منه؛ فقد أخرج الطبراني عن فضالة بن
عييد وأنه عليه السلام كان إذا نزل منزلاً في سفر أو دخل بيته لم يجلس حتى يركع
ركعتين، والبيهقي عن أنس «كان عليه السلام إذا نزل منزلاً لم يرتحل حتى يصلي فيه
ركعتين ويقول عند نزوله (رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) وعند سيره
وبسم الله التكلان على الله لا حول ولا قوة الا بالله، كما رواه ابن ماجه، والحاكم، وابن السني
عن أنس هريرة، وفي رواية للطبراني عن أنس سعيد «بسم الله توكلت على الله، الحديث
(ويكبر في كل صعود) يصعد عليه من شرف اظهاراً لكبريائه وعلو مكانته وارتفاع
شأنه (ويسبح في كل هبوط) أي حذريهبط اليه بأن نزل من علو إلى سفلى تنزيهاً له
سبحانه عن الزوال والنزول، فقد ورد «إذا علانية كبر وإذا هبط سبح» البخاري

وَحَدُوثٌ وَحِشَّةٌ، وَيُؤْمَرُ أَحَدًا لَاتَنْظَامَ الرَّأْيَ، وَلِيَكُنَّ الْأَمِيرُ أَحْسَنَهُمْ خَلْقًا
وَمُؤَاَسَاةً، وَوَرَدَ « إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فِي السَّفَرِ فَأَمْرُوا أَحَدَكُمْ » وَيَعِينُ الرِّفْقَةَ
وَيُؤَاَسِي عَلَيْهِمْ، وَيَرْفُقُ بِالرَّاحِلَةِ *

والنسائي عن جابر . وأبو داود عن ابن عمر ، وفي رواية لأصحاب الكتب الستة عن أبي
موسى إذا أشرف على واد هلال وكبر أى قال لا إله إلا الله والله أكبر ، وفي رواية لأحمد
وأبي يعلى . وابن السني عن أنس « إذا أشرف على مكان مرتفع قال اللهم لك الشرف على
كل شرف ولك الحمد على كل حال ، أى لك العلو على كل عال كما قال تعالى : (وهو القاهر
فوق عباده) » (وله الكبرياء في السموات والأرض) (وحديث وحشة) أى ويسبح
عند ظهور وحشة من خوف ومحنة ولم أره مأثورا وإنما ورد « إذا خاف قوما قال :
اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » أبو داود . والنسائي . وابن حبان
والحاكم عن أبي موسى الأشعري ، وفي الفردوس للدبلي عن شداد بن أوس مرفوعا
« حسبي الله ونعم الوكيل أمان لكل خائف » (ويؤمر أحدا) أى يجعل أميرا إذا كان
المسافر متعددا (لاتنظام الرأي) وعدم التنازع في الأمر (وليكن الأمير أحسنهم
خلقا) بضمين أى أكثرهم علما وأظهرهم حلما (ومواساة) أى أوسعهم موافقة
ومداراة وهو بأن يكون أزهدهم في الدنيا وأشهرهم في التقوى وأصبرهم على البلوى
وأشكرهم في النعمى وأتمهم مروءة وأعمهم شفقة وأقوام خدمة ، فقد نقل عبد الله
المروزي أن أبا علي الرباطي صحبه فقال عبد الله لابي علي : على أن تكون أنت الأمير أو أنا
فقال أبو علي بل أنت فيحمل الزاد لنفسه ولابي علي على ظهره وأمطرت السماء ذات
ليلة فبات عبد الله طول الليل على رأس رفيقه يغطيه بكسائه عن المطر وكذا قال : لاتفعل
يقول : أأست الأمير عليك الاتقياد والطاعة (وورد إذا كنتم ثلاثة في السفر
فأمروا أحداكم) عن أبي سعيد إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم واحقهم بالامامة
أقرؤهم ، أحمد . ومسلم . والنسائي ، ولعل قيد الثلاثة للاشعار بأنه أقل الكمال في الجماعة
والرفقة (ويعين) أى الأمير (الرفقة) بضم فسكون أى رفقاه بما يقدر عليه من
اللطف والرفق (ويؤاسى عليهم) بزيادة الاحسان وسعة الرزق (ويرفق بالراحلة)
أى الدابة بأن لا يحملها مالا طاقة لها ولا يرضى بأن صاحبها أيضا يحملها فوق طاقتها
في عرفها أو عاداتها قال أبو الدرداء : يبرله عند الموت : بأهلها البير لاتخاصني الى ربك

وَيَنْزِلُ أَحْيَانًا فِيهِهِ أَقَامَةُ لِلْسَّنَةِ وَتَرَفٌ فِيهِ لِلدَّابَّةِ وَإِسْرَارٌ لِلْمَكَارِي وَرِيَاضَةٌ
لِلنَّفْسِ وَتَحَرُّزٌ عَنْ ضَعْفِ الْأَعْصَابِ وَلَا يَنَامُ عَلَيْهَا إِلَّا نَوْمَةً خَفِيفَةً وَلَا يَتَوَقَّفُ
فُورَدٌ « لَا تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ كِرَاسِيَّ » وَلَا يَنْفَرِدُ عَنِ الرَّقَّةِ وَيَحْرُسُ بِالنُّوبَةِ

فاني لم أكن أحملك، وعلى الجملة في كل كبد حر أجري عاين حق الدابة وحق المكارى
جميعاً (وينزل أحياناً فيه إقامة للسنة) إذ كان عليه السلام « ينزل أحياناً عن
الدابة » في الأوساط للطبراني من حديث أنس باسناد جيد أنه عليه السلام « كان
إذا صلى الفجر في السفر مشى » ورواه البيهقي في الأدب وقال: مشى قليلاً وناقته تقاد
وقال علماؤنا: ويستحب أن يريح الدابة بالنزول عنها غدوة وعشية وعند عتبة إذا أطاق
وقال الطرابلسي يجب إذا كانت الدابة مستأجرة في المواضع التي جرت عادة مثله بالنزول
فيها الآن يرضى صاحبها وكانت الدابة مطيقة، ولا يحل له أن يستلقي على ظهر الدابة
ولا يتكى عليها بل يكون راكباً على العرف والعادة في مثلها ذكره صاحب السراج
الوهاب (وترفيه للدابة) أي تهوين لها عن دوام المشقة (واسرار للمكارى)
حيث يفرح بالخفة (ورياضة للنفس) أي تهذيب لها ليعرف قدر النعمة (وتحمرز
عن ضعف الأعصاب) وما يترتب على دوام الركوب من اليوسة (ولا ينام عليها
إلا نومة خفيفة) إذا حصلت ضرورة إذ النوم عليها يؤذيها ويثقل عليها لو كان
أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود (ولا يتوقف) راكباً عليها
زماناً طويلاً (فورداً لاتخذوا ظهور دوابكم كراسي) والحديث رواه أحمد من حديث
سهل بن معاذ ورواه ابن حبان والحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه مثل
كراسي في دوام القعود عليها ولعله محمول على محمولة مثقلة بخلاف الخيل والناقة التي
هي غير مزمنة، وعلى كل تقدير فيستثنى عشية عرفة في الوقفة فإنه يستحب الوقوف على
الدابة (ولا ينفرد عن الرقة) أي لا يمشى منفرداً خارج القافلة لأنه ربما يفتال
أو ينقطع كذا لا ينفرد عنهم في المنزل (ويحرس) أي متاعه وامتعة أصحابه (بالنوبة)
فاذا نام أحدهم حرس الآخرة فهو السنة أخرج البيهقي من طريق ابن اسحق من حديث
جابر في حديث فيه « فقال الأنصاري للهاجرين أي الليل أحب إليك إن أكفيك أوله
أو آخره » قتال: لا بل أكفي أوله فاضطجع المهاجرون » والحديث عند أبي داود أيضاً

وَيَنَامُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ جَاعِلًا رَأْسَهُ عَلَى الْعَضُدِ وَفِي آخِرِهِ عَلَى الْكُفِّ
وَيَقِيمُ الْعَضُدَ ثَلَاثَةَ نَوَاحٍ فَهُوَ مَأْثُورٌ وَلَا يَصْحَبُ جَرَسًا وَلَا شَاعِرًا وَلَا سَاحِرًا
وَلَا كَاهِنًا وَلَا جَلَالََةً

لكن ليس فيه قول الأنصارى للهاجرى بل فيه تناوب الرفيقين فى الحراسة فإذا نام
أحدهما حرس الآخر () وينام فى أول الليل جاعلا رأسه على العضد () بأن يفتش
ذراعه () وفى آخره () أى الليل () على الكف ويقم العضد () بأن ينصب ذراعه
نصبا ويجعل رأسه فى كفه () ثلاثا يشتد النوم () فتفوت صلاة الصبح () فهو مأثور ()
رواه أحمد . والترمذى فى الشئبان من حديث أبى قتادة باسناد صحيح ، وكذا ابن حبان .
والحاكم عنه بلفظه كان إذا عرس وغلبه ليل توسد يمينه وإذا عرس قبيل الصبح وضع
رأسه على كفه اليمنى وأقام ساعده ، والتعريس النزول فى الليل ، قال العراقى وعزاه أبو مسعود
الدمشقى والحيدى إلى مسلم ولم أره فيه () ولا يصحب جرسا () لقوله عليه السلام :
« لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس » أحمد . ومسلم . وأبو داود . والترمذى
عن أبى هريرة لقوله عليه السلام : « الجرس مزامير الشيطان » أحمد . ومسلم .
وأبو داود عن أبى هريرة ، وفى رواية لآبى داود عنه « لا تدخل الملائكة بيتا فيه جرس »
() ولا شاعرا () أى من شعراء الجاهلية الذين قال تعالى فى حقهم : (والشعراء تبعهم الغاؤون
ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وذكروا الله كثيرا واتصروا من بعد ما ظلموا) والحاصل أن الشعر كلام
لحسنه حسن وقبحه قبيح يستوى فيه السفر والحضر () ولا ساحرا () فإنه إما أن يكون
فاجرا أو كافرا () ولا كاهنا () وهو من يدعى علم الغيب بواسطة الجن أو غيره فقد ورد
« من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فيه برى ، بما أنزل على محمد ، أحمد . والأربعة عن أبى هريرة ،
وفى رواية الطبرانى عن واثلة من أتى كاهنا فسأله عن شئ . حجبت عنه التوبة أربعين
ليلة فإن صدقه بما قال كفر ومن أتى عرافا فسأله عن شئ . فصدقه لم تقبل له صلاة
أربعين يوما » رواه مسلم عن بعض أمهات المؤمنين ، وللحاكم . وأحمد . عن أبى هريرة
« من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد ﷺ »
وفى تفسير العراف بمن يدعى معرفة السارق . وكان الضالة فهو اخص من الكاهن ، وفى
معناه المنجم والرمال وسائر أصحاب الفأل () ولا جلاله () وهى دابة تأكل النجاسة

وَلَا كَلْبًا وَيُؤْذَنُ أَنْ ضَلَّ الطَّرِيقَ ، وَوَرَدَ « إِذَا اخْتَلَفَ عَلَيْكُمُ الطَّرِيقُ فَعَلَيْكُمْ بِذَاتِ الْيَمِينِ فَإِنَّ عَلَيْهَا مَلَكًا يُسَمَّى هَادِيًا » وَلَا يَدْخُلُ بِلَدَةٍ لَيْسَ فِيهَا سُلْطَانٌ . وَلَا سَائِسٌ وَمَا فِيهَا طَاعُونَ ، وَيُصَاحِبُ الْمَرْأَةَ

فإن الملائكة ينفرون من رائحتها، وأخرج الدولابي في الكنى وابن منده والطبراني وابن عساکر عن أبي رابطة بن كرامة المذحجي قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقوم سفر لا يصحبكم جلالة من هذه النعم ولا يضمن أحدكم ضالة ولا يردن سائلا إن كنتم تريدون الربيع والسلامة ولا يصحبكم من الناس إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ساحر ولا ساحرة ولا كاهن ولا كاهنة ولا منجم ولا منجمة ولا شاعر ولا شاعرة الحديث (ولا كلبا) لما تقدم (ويؤذن أن ضل الطريق) أو غاب عن الرفيق ورأى أشياء منكرة. أو تخيلت له خيالات مستكرة. أو تلونت له أجسام مكروهة مزورة، فقد ورد « إذا تقول الغيلان نادى بالآذان » رواه مسلم عن أبي هريرة « فإن الجن والشيطان يفرون من الآذان وتحضره الملائكة والابdal من الأعيان وإذا انفلتت دابته فليناد أعينوا يا عباد الله » رواه ابن أبي شيبة من قول ابن عباس موقوفا « وإن أراه عونا فليقل يا عباد الله أعينوني يا عباد الله أعينوني يا عباد الله أعينوني » رواه الطبراني عن زيد بن علي عن عتبة بن غزوان عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا ضل أحدكم شيئا أو أراد عونا وهو بارض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني يا عباد الله أعينوني يا عباد الله أعينوني فإن الله عابدا لا ترام (وإذا اختلف عليكم الطريق فعليكم بذات اليمين) أي تيمنا وتحاميا (فإن عليها ملكا يسمى هاديا) لم أعرف له راويا (ولا يدخل بلدة ليس فيها سلطان) أي خليفة أو نائبه من أمير أو قاض (ولا سائس) أي شحنة وحاكم سياسة لأنه عند عدمهما تكثر الفتنة وتعدى الظلمة « وفي الخبر إذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلوها إنما السلطان ظل الله ورمحه في الأرض، البيهقي عن أنس (وما فيها) أي ولا يدخل بلدة فيها (طاعون) لما تقدم وروى بعض الصحابة « إن رسول الله ﷺ نزل منزلا في بعض أسفاره فقام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت: ما هذا يا رسول الله؟ فقال: إن الناقة تقحمت بي أي رمت بي أو هزت بي، والحديث رواه الطبراني في الأوسط من حديث عمر بسند ضعيف، (ويصاحب المرأة) بكسر الميم ومد الهمزة آلة الرؤية، وكان عليه السلام إذا نظر

وَالْمُكْحَلَةَ . وَالسَّوَاكَ . وَالْمَشْطَ . وَالْمُقْلَمَ . وَالْمُوسَى . وَالرَّكُوءَةَ . وَالْحَبْلَ .
وَالْأَبْرَةَ . وَخِطْلَهَا . وَيَجْتَنِبُ الْغَرَةَ فَهُوَ يَذْهَبُ الْبَرَكَةَ وَيَتَبَرَّكُ بِزِيَارَةِ الْأَحْيَاءِ
وَالْأَمْوَاتِ ، وَيُعْجِلُ الْأُوبَةَ بَعْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ ، وَوَرَدَ « مَنْ كَانَ مُسَافِرًا إِذَا
قَضَى نَحْبَهُ فَلْيَرْجِعْ إِلَى أَهْلِهِ ، وَيَأْتِ بِالتَّحْفَةِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَالْأَقَارِبِ وَلَا يَقْدُمُ بَعْتَهُ

إلى وجهه في المرأة قال : اللهم كما حسنت خلقى لحسن خلقى وحرم وجهى على النار
البارع عن عائشة (والمكحلة) محل الكحل ومروده فانه عليه السلام كان يكتحل
كل ليلة ثلاثا في كل عين ، كما في شمائل الترمذى وغيره (والسواك) للوضوء
والصلاة وقد تقدم (والمشط) أى لتسريح شعر اللحية والرأس (والمقلم)
وهو المقص أو السكين فانه بهما يقلم الظفر ويقص الشارب (والموسى) لخلق العانة
(والركوة) أى الدلو ونحوها من المظهرة (والحبل) فانهما من ضرورة الشرب
والطهارة (والأبرة وخيطها) لترقيق ثوب يستتر العورة (ويجتنب الغرة)
بكسر الغين المدهمة وتشديد الراء أى يحترس من أن يغرق أحد أو يغرق أحد بالمكر والحيلة
(فهو يذهب البركة) أو المعنى لا يصاحب شخصا لا يعرفه ولا يسلك طريقا
لا يعرفه ولا يترك السلاح مواضع الخفاة اغترارا بشجاعته ولا يأكل من ثمار
البرارى التى ما عهدا كله في عاداته (ويتبرك بزيارة الاحياء) من العلماء والاولياء
(والأموات) من الأنبياء والأصفياء (ويعجل الأوبة) أى الرجعة (بعد قضاء
الحاجة) اسراراً لقلب أهله واظهاراً لطيب محله ، وفى نسخة زيادة (وورد من
كان مسافرا اذا قضى نَحْبَهُ فَلْيَرْجِعْ إِلَى أَهْلِهِ) لم أجده لكن تقدم ما يدل على أصله
وورد « اذا قضى أحدكم حجه فليجعل الرجوع الى أهله فانه أعظم لاجره ، الحاكم
واليهقى عن عائشة (ويأتى بالتحفة) أى بالهدية (لأهل البيت والأقارب)
حقيقة وحكما فقد ورد « اذا قدم أحدكم من سفر فليقدم معه أى بهدية ولو يلقي
في مخلاته حجرا » ابن عساکر عن أبى الدرداء ، قيل أراد حجرا الزناد ، وفى رواية اليهقى
عن عائشة « اذا قدم أحدكم على أهله من سفر فليهد لأهله فليطرقهم ولو كان حجرا ،
(ولا يقدم) من سفره على أهله (بعتة) أى فجأة فى الصحيحين من حديث
جابر « كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال :

وَلَا لَيْلًا وَلَا أَحَبُّ وَقْتُ الضَّحَى، وَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ وَلَا يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فَالْكَلِّ
مَأْتُورٌ وَيَقْدَمُ لَهُ الضَّحَى فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَدِمَ نَحَرَ جُزُورًا أَوْ بَقْرَةَ وَحَقَّ
الْحَجُّ أَنْ يُخْلَصَ فِي النِّيَّةِ

أهلوا حتى تدخلوا ليلاً - أى عشاء - كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة ، ولا أحد من
حديث ابن عمر يستجدده أنه عليه السلام قال قبل دخول المدينة : لا تطرقوا أهلكم
ليلاً تخالفه رجلان فسعيًا إلى منازلهما فرأى كل واحد في بيته ما يكره ، (ولا ليلاً)
لأنه وقت الوحشة فقد ورد : إذا طال أحدكم النية فلا يطرق أهله ليلاً ، أحمد ، والشيخان
(والاحب وقت الضحى) لكمال الظهور وجمال النور وجمال السرور ، (ويدخل
المسجد) أى مسجد بلده ، (أولاً ويصلي ركعتين) تحية المسجد شكر الله سبحانه
فمن أتى نعلبه كان عليه السلام إذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم
يشئ بفاطمة ثم يأتي أزواجه ، (فالكل مأثور) وفى كتب الحديث مسطور
(ويقدم) أى من سائر الأفعال (له) أى لقدمه (الضحى) بفتح فكسر
فتشديد أى طعام الضحى ولو شاة أو طبخ لحم ومرقة (فكان عليه السلام إذا قدم نحر
جزورا) أى بعيرا (أو بقرة) لم يحضر فى الآن مخرجه (وحق الحج) أى
أداء كاله (أن يخلص فى النية) ويحسن الطوية بأن يتبرأ من الرياء والسمعة ولا
يقصد التجارة والنزعة فقد روى فى خبر من أهل البيت : إذا كان آخر الزمان خرج
للحج اصناف أربعة سلاطينهم للنزعة واغنياؤهم للتجارة وقرأؤهم للمسألة وقرأؤهم
للسمعة الخطيب من حديث أنس قال علمنا أن : من أتى بعبادة لغرض دنيوى بحيث
لو فقد تركها فليست بعبادة بل معصية وإن وجد عليها باعث الدين والدنيا فإن كان
باعث الدنيا أقوى أوهما متساويان فهي باطلة وإن كان باعث الدين أقوى فذهب
بعضهم إلى أنها باطلة وجماعة إلى أنها صحيحة وهو الأظهر بقوله تعالى : (ليس عليكم
جناح أن تبغوا فضلاً من ربكم) أى تبغوا عطاء ورزقاً منه يريد الريح بالتجارة
على ما ذكره البيضاوى وغيره ، ثم من حقه أن يعجله بعد الاستطاعة فى التأخير آفات
مانعة عن الطاعة على أن المسألة خلافية فى أن الفرضية على التراخي أو فورية فى
الفورية إذا أخره عن أول سنى الامكان سقطت عدالته وعد من الفساد إلى أن يحج
ثم لو حج فى آخر عمره سقط عنه إجماعاً وارتفع ائمه اتفاقاً وإن مات قبل الحج لقي

وَيَحْتَالَ فِي دَفْعِ تَسْلِيمِ الضَّرِيَّةِ لِقَطَاعِ الطَّرِيقِ وَيَرْجِعُ إِنْ لَمْ يَقْدِرْ فِي النَّفْلِ
فَالْإِعَانَةُ عَلَى الْعُدْوَانِ أَفْحَشُ

الله عاصيا بترك حجه و كان الحج في ذمته عندنا فيجب عليه وصيته، وعند الشافعي في تركه فيحج عنه وان لم يوص به كسائر ديونه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامر به شديد وفي حقه ورد وعيدا أكد منه قوله تعالى : (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) حيث وضع من كفر موضع من لم يحج ووضع العالمين موضع عنه للبالغة عن غناؤه سبحانه واستغنائه عن ترك الحج وأدائه لأن منفعة راجعة الى عباده وامائه ، وقد ورد : من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا ، رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة مرفوعا ، وقيل في تفسير قوله تعالى : (لا تعبدن لهم صراطك المستقيم) انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها لينع الناس من الوصول اليها ، وقال عمر رضي الله عنه - وهو يومئذ أمير المؤمنين - : لقد هممت ان أكتب الى الولاة في الامصار أن تضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سيلا ، وعن سعيد بن جبير . و ابراهيم النخعي . وطاوس . ونجاشد لو علت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه ، وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه ، وكان ابن عباس يقول : من مات ولم يرك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله تعالى : (رب ارجعون لنعملى صالحا فيما تركت) وكذا ورد عنه أيضا في قوله تعالى : (وأنفقوا بما زرعناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت) الآية (ويحتال في دفع تسليم الضريبة) أى الاموال المعينة (لقطاع الطريق) أى من الاعراب وغيرهم (ويرجع) عن طريق الحج (ان لم يقدر) على الاحتيال (في النفل) أى لافى الفرض (فالإعانة على العدوان) أى الظلم والعصيان (الخش) من الرجوع عن طريق الحج اذالم يكن من فروض الاعيان واما في الفرض فلا يرجع اذ الاثم في مثله على الآخذ لا المعطى على ما عرف من تقسيم الرشوة في كتاب القضاء ولكون المعصية منهم ولا يترك الفرض لمعصية عاص ، وهذا التفصيل حسن خلافا لمن أطلق جواز اعطائه للضرورة ولمن أسقط الحج ووجوبه اذا كان في الطريق يؤخذ من ماله ظلما ، وفي الاحياء ولا تعاونوا أعداء الله بتسليم المكس وهم الصادقون عن المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين في الطرق والابواب فان في تسليم المال اليهم تيسيرا لاسباب

وَيَمْشِي رَاجِلًا إِنْ قَدَرَ وَالْأَفْضَلُ كُوبُ أَفْضَلُ، وَقِيلَ هُوَ الْأَفْضَلُ فِيهِ مَوْنَةُ
الْإِنْفَاقِ وَالْبَعْدُ عَنْ تَشْوِيشِ الْهَمُومِ وَالْقُرْبُ مِنَ السَّلَامَةِ وَالْإِتِمَامِ، وَيَمْشِي
أَشْعَثَ أَغْبَرُ غَيْرَ مَتْرَيْنٍ وَلَا مَائِلٍ لِلتَّكَاثُرِ،

الظلم عليهم (و يمشي راجلا) أى ويذهب في طريق الحج ماشيا (ان قدر) على
المشي فانه أفضل قال تعالى : (واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا) أى مشاة فقدّمهم
سبحانه على قوله (وعلى كل ضامر) أى وركبانا على بعير مهزول ، وقال مجاهد وغيره
من العلماء : ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقّتهم الملائكة فسلّوا على ركبّات الابل
وصالحوا على ركبّان الحمر واعتقوا المشاة اعتقا : وأوصى عبد الله عباس بنه عند موته
فقال : يا بني حجوا مشاة فإن للحجاج الماشي بكل خطوة بخطوة سبعة أمانات حسنة من
حسنات الحرم قيل : وما حسنات الحرم ؟ قال الحسنة بمائة ألف (والا) أى وان
لم يقدر على المشي أو سعى خلقه به أو لم يبق له حضور الذكر بسببه (فأركوب)
في حقه (أفضل) بل هو متعين فتأمل (وقيل : هو الأفضل) أى مطلقا لفعله
عليه السلام وأصحابه الكرام ، ويحجب عن اختيارهم الر كوب الشفقة على ضعفاء الأمة
فذهبوا مذهب أضعف القوم في الهمة كما هو شأن الأئمة (فيه مونة الانفاق)
أى زيادته وفيه انه يمكن للمشى أن يتفقه في سبيل الله ومرضاته فقد سئل بعض العلماء
عن العمرة المشى فيها أفضل أو يكثر على حمار ؟ فقال ان كان وزن الدرهم أشد عليه فالكرام
أفضل من المشى وان كان المشى أشد عليه كالأغنياء فالمشى أفضل ، وكأنه ذهب فيه
الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن ما قدمناه أولى في مقام الجمع كما لا يخفى (والبعد
عن تشويش الهوم) أى غموم الخواطر الرديئة الناشئة من آغاب الأعضاء البدنية
(والقرب من السلامة) من غير الملامة (والإتمام) لخطر الماشي أى يمنعه مانع
عن تحصيل المرام الحرام ولهذا كان بعض الكرام يمشون وتقاد دوابهم مع الخدم
(و يمشي أشعث أغبر) أى ويذهب حال كونه أشعث الشعر أغبر البدن لكنهما
مختصان بحال الاحرام لما ورد أنه عليه السلام « سئل أى الحج أفضل ؟ فقال : الشعث
التفل » مع ان المسافر لا يخلع عن نوع شعث شعر وغبار بدن خصوصا اذا كان من الفقراء
فورد « رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره » (غير متزين)
في نفسه ولا في دابته (ولامائل للتكاثر) أى في نعمته والتفاخر في حشمته لخدمته

فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَعَلْ كَذَلِكَ، وَأَخْبِرْ عَنْ مُبَاهَاتِهِ تَعَالَى بِهِ، وَيَتَقَرَّبُ رَاقَةً
 دَمٍ وَإِنْ لَمْ يَجِبْ فُورِدَ (وَمَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرُ اللَّهِ) . الْآيَةُ وَلَا يُمَا كَسُ فِي شِرَاءِ الْهَدْيِ
 وَالْأَضْحِيَّةِ .

(فهو عليه السلام فعل كذلك) أي ترك الزينة وقانه عليه السلام حج على راحلته
 وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم، وكان عليه السلام في سفر فنزل
 أصحابه منزلاً فسرح الابل فنظر إلى أكسية حمر على الاقتاب فقال: أرى هذه الحمر
 قد غلبت عليكم قالوا: قمنا إليها فنزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل، أبو داود
 من حديث رافع بن خديج « وفيه رجل لم يسم » (وأخبر) أي النبي عليه السلام (عن
 مباهاته تعالى به) أي بالحاج الشعث الاغبر في الحديث « إنما الحاج الشعث النفل
 يقول الله تعالى: انظروا إلى زوار بيتي قد جاؤني شعناً غبراً من كل فج عميق » الترمذي.
 وابن ماجه من حديث ابن عمر (ويتقرب براقه دم وإن لم يجب) أي وإن لم يكن
 واجبا عليه (فورد ومن يعظم شعائر الله) أي الهدايا التي تذبح في الحرم وهي جمع
 شعيرة وهي ما يشعر به تعظيم بيت الله ويعلم به تكريم حرم الله (الآية) أي (فإنها من
 تقوى القلوب) وفسر تعظيمها بتحسين البدنة وتسمينها، وسئل عليه السلام ما بال الحج؟
 فقال: العبر والتج، والمعج هو رفع الصوت بالتلبية والتج هو نحر البدن. الترمذي واستغربه
 وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي وقال الباقون أي
 الحج أفضل، وعن عائشة أنه عليه السلام قال: « ما عمل ابن آدم يوم النحر أحب إلى الله
 سبحانه من إهراقه دماً وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها فإن الدم يقع من الله
 عز وجل بمكان قبل أن يقع في الأرض فطيبوا بها نفساً » الترمذي وحسنه. وابن ماجه
 وابن حبان. وابن خزيمة، وفي الخبر: ولكم بكل صوفة من جلد ما حسنة وكل قطرة من
 دمها حسنة وإنها لتوضع في الميزان فابشروا، ابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي من
 حديث زيد بن أرقم، وروى أبو الشيخ في كتاب الضحايا عن علي « أما إنها يجاء
 بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع في ميزانك يقول عليه السلام: « لفاطمة، وفي
 رواية له من حديث أبي سعيد قال: « لك باول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ما سلف من
 ذنوبك » يقول لفاطمة (ولا يما كس) أي لا يضايق بل يسامح (في شراء الهدى
 والأضحية) ونحوهما عما يكون في التقرب إليه صحة النية فقد كان السلف لا يقولون في

فَالْمَقْصُودُ هُوَ تَزَكِيَةُ النَّفْسِ وَتَحْلِيَّتُهَا وَتَحْلِيَّتُهَا بَعْظِيمَةٌ تَعَالَى، فَوَرَدَ (لَنْ يَنَالَ
اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا) . الْآيَةُ، وَيَتَوَى فِي الذَّبْحِ قَدَاءَ نَفْسِهِ اقْتِدَاءً بِالذَّبْحِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ. وَيُنْفَقُ فِي الطَّرِيقِ وَمَكَّةَ مَا اسْتَطَاعَ فَمِنْ عِلَامَاتِ الْقَبُولِ طَيْبُ الْكَلَامِ
وَعَدَمُ الْاِغْتِمَامِ بِهِ وَبِمَا أَصِيبَ فِي الْمَالِ، فَدَرَاهِمُ مَنْ يَعْدِلُ سَبْعِمِائَةَ تَنَفَّقَ فِي سَبِيلِهِ
وَتَرَكَ مَعَاصٍ كَانَ يَرْتَكِبُهَا وَتَبْدِيلُ إِخَاءِ الْفُسَّاقِ بِالصُّلَحَاءِ.

ثلاث و يكرهون المكاس فهن الهدى والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاها ثمنا وانفسه
عند الله يمتا و روى ابن عمر ان عمر اهدى نجيحة فطلبت منه ثلاثمائة دينار فسأل
رسول الله ﷺ ان يبيعها و يشتري بثمانها بدنا ؟ فنهاه عن ذلك وقال: بل اهدها
اخرجه أبو داود وأقال: انحرها، وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون، وفي
ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيه تكثير اللحم وليس هو المراد (فالمقصود) الاصل
من الذبيح (هو تزكية النفس) أى تطهيرها (وتحليتها) عن رذيلة البخل (وتحليتها)
بالحلم المهمة ويحتمل الجيم أى تصفيتها وتزيينها (بتعظيمه تعالى) فانه الفضل في
مقام الفصل (فوردلن ينال الله لحومها ولادماؤها الآية) أى (ولكن بالله التقوى
منكم) وذلك يحصل بمراعاة التفاسير في القيمة كثر العدد أم قل فتأمل (وينوى في الذبيح)
اى اذا كان تطوعا (قداء نفسه اقتداء بالذبيح عليه السلام) وهو اسماعيل أو اسحق
على خلاف طويل بين الاعلام قال تعالى: (وقديناه بذبيح عظيم) (وينفق في الطريق)
أى طريق الحج (ومكة) أى وفي مكة مدة الإقامة (ما استطاع) ويكون طيب
النفس بما انفق من نفقة وبما أصابه من خسارة ومصيبة ان أصابه ذلك فانه من باب
الضيافة من الله لعبده حال الزيارة وان ذلك من دلائل قبول حجه هنالك (فمن
علامات القبول) أى قبول الحج وبره (طيب الكلام) أى وإطعام الطعام وكنان
طاعته عن الانام (وعدم الاغتمام به) أى بالاتفاق في ذلك المرام (وبما أصيب) من
ضياع وسرقة (والمال) وكذا المصيبة في البدن وباقي الحال (فدرهم منه) أى
من مال المصاب أو من الاتفاق في الحج للاحتساب (يعدل سبعمائة تنفق في سبيله)
أى غير الحج والله سبحانه يضاعف لمن يشاء من فضله (وترك معاص كان يرتكبها) قبل
حجه (وتبدل إخوانه الفساق) أى مؤاخاة السفهاء والجهلاء (بالصلحاء) من العلماء

وَجَالَسَ اللَّهَ بِالذِّكْرِ وَيَلْزَمُ الْخُشُوعَ فِي آدَاءِ الْمُنَاسِكَ فَهُوَ الْأَصْلُ لَاسِيَا
فِي الطَّوَافِ وَالْوُقُوفِ فَمَا رُكْنَاهُ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ مُسْتَشْفِيًا بِهِ، وَيَصْبُهُ
عَلَى رَأْسِهِ وَجَسَدِهِ مُتَبَرِّكًا بِهِ وَمُسْتَجِجًا أَوْطَارَهُ، وَيَغْتَمُّ الْمَوْتَ فِي طَرِيقِهِ
فَيُكْتَبُ لَهُ أَجْرُهُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَيَتَلَقَّى الْحَاجُّ بِالترَّحُّيبِ *

والأولياء (وَجَالَسَ اللَّهَ) أي وتبدلها (بِالذِّكْرِ) أي بمجالس الذكر ومحافل
أهل اليقظة والفكر (وَيَلْزَمُ الْخُشُوعَ) وهو غاية الخضوع (فِي آدَاءِ الْمُنَاسِكَ)
فانه من أدب السالك (فَهُوَ الْأَصْلُ) أي المدار عليه في جميع المسالك (لَاسِيَا فِي
الطَّوَافِ) فانه بمنزلة الصلاة هناك (وَالْوُقُوفِ) بعرفات فانه بمنزلة الوقوف
بين يدي رب العالمين يوم اجتماع خلق الأولين والآخرين (فَمَا رُكْنَاهُ) أي الحج
باتفاق المجتهدين (وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ) فقد ورد «ماء زمزم لما شرب له» ابن
ماجه باسناد جيد من حديث جابر مرفوعا والحاكم وصححه وقد بسطنا الكلام عليه
في فضائل المشاعر الحرام وكذا في الحرز الثمين شرح حصن الحصين (مُسْتَشْفِيًا بِهِ)
أي طالبا لشفاء ظاهره وباطنه قائلا: اللهم اني أسألك رزقا واسعا وعلمنا نافعا وشفاء من
كل داء» ويتضلع منه فوردا «آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم»
البخاري في تاريخه وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس ويستقى يده ويشرب من مائه
فقد قال عليه السلام: «لو لان قلبوا الزعت معكم» (وَيَصْبُهُ عَلَى رَأْسِهِ وَجَسَدِهِ مُتَبَرِّكًا
بِهِ) وقد ثبت مثل هذا عن فعله عليه السلام (وَمُسْتَجِجًا أَوْطَارَهُ) أي قاضيا حاجاته
(وَيَغْتَمُّ الْمَوْتَ فِي طَرِيقِهِ فَيُكْتَبُ لَهُ أَجْرُهُ) أي ثواب الحج على تلك الطاعة (إِلَى
قِيَامِ السَّاعَةِ) قال تعالى: (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) وورد «من خرج من بيته حاجا أو معتمرا أجرى له أجر
الحاج المعتمر إلى يوم القيامة» البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة «ومن مات
محرمًا حشر مليا، الخطيب عن ابن عباس «ومن مات في أحد الحرمين استوجب
شفاعتي وكان يوم القيامة من الأمنين» الطبراني. والبيهقي عن سلمان، وفي رواية
لهما من حديث عائشة «من مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل: له
أدخل الجنة» (وَيَتَلَقَّى الْحَاجُّ بِالترَّحُّيبِ) أي بالتهظيم والتكريم مع التسليم

وَيُصَافِحُهُمْ مُتَبَرِّكًا وَيُرْوِحُ إِلَى الْمَدِينَةِ مُكْثَرًا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَيُزُورُ قَبْرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقُبُورَ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ وَسَائِرَ مُشَاهِدِهَا رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ *

المقرون بقوله مرحبا بمن جاء من زيارة بيت الله العظيم ونيه الكريم (وَيُصَافِحُهُمْ
مُتَبَرِّكًا) أى بأكثرهم التي أصابت المنازل الشريفة والمحافل المنيفة منها الحجر الأسود
الذي ورد في حقه « انه يمين الله في أرضه يصافح بها عباده، فهذه المصافحة الثابتة واما
المصافحة التي يذكرها بعضهم عن مشايخهم بطريق التسلسل اليه (ﷺ) فلا أصل له
ولا في الكيفية التي ذكرها بعض الصوفية نعم ورد في فضل المصافحة عند الملاقة
أخبار كثيرة وآثار شهيرة ليس هذا المقام موضع بسط الكلام (وَيُرْوِحُ إِلَى
الْمَدِينَةِ) أى الطيبة السكينة قبل دخول مكة الامينة أو بعد وصولها وإكمال حصولها
(مُكْثَرًا) أى في طريقه (الصَّلَاةُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ) فانه كلما كان أقرب اليه
كان بالاجابة أنسب لديه (وَيُزُورُ قَبْرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) فانه من شعائر الاسلام.
بل هو من واجبات الاحكام. وقد تقدم في فضله بعض الكلام وقد ورد عنه عليه
السلام « ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته، هذا في حق
من لم يحضر قبره فكيف من فارق أهله ووطنه وقطع البوادي شوقا الى لقائهم واكتفى
بمشاهدة مشاهد الكريمة اذا فاته مشاهدة طلعت العظيمة، وقد قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ
إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)
وروى « ان من توضأ واتى الروضة وصلى واتى القبر الشريف قال: اللهم انى أسألك
وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى لتقضى لي
اللهم فشغفه فى وسأل حاجته قضيت باذن الله، كذا فى الحصن (وقبور الصحابة)
لا سيما الشيخين الضجيعين (وأهل البيت) كفاطمة وعائشة وسائر أزواجه أمهات
المؤمنين وصفيه عمته وأولاده وبناته اخوات المسلمين وعمه العباس. والحسن بن على.
وعلى بن الحسين. ومحمد بن على الباقر. وجعفر بن محمد الصادق فى القبة الشريفة والمنزلة
المنيفة (وسائر مشاهدها) من سائر أهل البقيع وأجلهم عثمان بن عفان (رضى
الله عنهم أجمعين) ويזור سيد الشهداء حمزة ومن معه، وورد « أحد جبل يحبنا
ونحبه » البخارى عن أنس وغيره عن جماعة، وفي رواية زيادة « فاذا جثتموه فكلوا »

وَيُصَلِّي فِي مَسَاجِدِهَا وَيَتَبَرَّكُ بِآبَارِهَا *

من شجره ولو من عضائه، ﴿ وَيُصَلِّي فِي مَسَاجِدِهَا ﴾ وأجلها المسجد النبوي مع ما فيه من الروضة والمنبر واسطواناتها ثم، فورد « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي » متفق عليه من حديث أبي هريرة . وعبد الله بن زيد ، ثم مسجد قباء . ومسجد الجمعة . وذى القبلتين . والمساجد الأربع ونحوها ، وقد ورد أنه عليه السلام « كان يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا وقال : من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء وصل في فيه كان كعدل عمرة » النسائي . وابن ماجه في حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح ، وقد ذكرنا آداب الزيارة في رسالة مستقلة وسائر ما فيها من أسباب الفضيلة ﴿ وَيَتَبَرَّكُ بِآبَارِهَا ﴾ أى التي كان عليه السلام يتوضأ ويفتسل ويشرب منها وهى سبعة آبار مشهورة : بئر أريس . وبيرحاء . وبئر رومة . وبئر غرس . وبئر بضاعة . وبئر البصة . وبئر السقياء أو العهن أو بئر جل ، والله در باظلمها في قوله :

إذا رمت آبار النى بطيبة هـ فعدتها سبع مقالا بلاوهن

أريس وغرس ورومة وبضاعة هـ كذا بصة قل يبرحاء مع العهن

ومواضعها معروفة وعند أهل المدينة مكشوفة ، فحديث بئر أريس بفتح فكسر رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري في حديثه منه حتى دخل بئر أريس قال جلست عند بابها وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ منها ، وحديث يبرحاء متفق عليه من حديث أنس قال أبو طلحة : أكثر الانصار بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله إليه يبرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب الحديث ، وحديث بئر رومة بضم الراء رواه الترمذى . والنسائي من حديث عثمان أنه قال : أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال : من يشترى بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال الترمذى : حديث حسن ، وفي رواية « من يشترى الشرب رواه في الجنة » وفي رواية لها « هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد الا بمن فابتعتها فجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل » الحديث وقال حسن صحيح ، وروى البغوى والطبرانى من حديث بشير الاسلمى قال : لما قدم المهاجرون المدينة استكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان

يبيع منها القربة بمد الحديث، قيل: انه اشترأ بمائة بكرة ثم تغطت منافع النصف الثاني على صاحبها فباعه أيضا من عثمان بثمان يسير لانه كان يبيع ماءها فاستكنى الناس بوقف عثمان وهي قديمة قيل شرب منها تبع وحدثت سنة سبع مائة وخمسين، وحديث بئر غرس بضم المعجمة رواه ابن حبان في الثقات من حديث أنس انه قال: «اتوني بماء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله ﷺ يشرب منها ويتوضأ، ولا ين ماجه باسناد جيد من حديث علي مرفوعا «اذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئر بئر غرس، وفي تاريخ المدينة لابن النجار «انه عليه السلام توضأ منها وبرزق فيها وغسل منها حين توفي، وفي رواية شرب منها وتوضأ وكب فيها بقية الدلو واهدى له غسل فصبه فيها وقال: اني رأيت الليلة اني أصبحت على بئر من الجنة فاصبح عليها وقال: يا علي اذا أنا مت فاغسلني من بئر بئر غرس بسبع قرب لم تحلل او كيتن ففعل كذلك جددت سنة خمس وخمسين وسبع مائة، وحديث بئر بضاعة بضم الموحدة رواه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري «انه قيل لرسول الله ﷺ: اتوضأ من بئر بضاعة؟ وفي رواية «انه نستقي لك من بئر بضاعة فقال: خلق الله الماء طهورا لا ينجسه الا ما غرطعنه أولونه او ريحه، الحديث، قال يحيى بن معين: اسناده جيد وقال الترمذي حسن وللطبراني من حديث أبي اسيد «بصق النبي ﷺ في بئر بضاعة، وفي رواية شرب منها وبصق فيها وبرك ودعا لها وكان اذا مرض المريض غسأوه بماء منها فكا كما نشط من عقال، وحديث بئر البصة بضم الموحدة وتشديد المهملة رواه ابن عدى من حديث أبي سعيد الخدري «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال: هل عندكم من سدر اغسل به رأسي؟ فان اليوم الجمعة قال: نعم فاخرجه له سدرًا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله ﷺ رأسه وصب غسالة رأسه ومراقة شعره في البصة، وحديث بئر السقيا رواه أبو داود من حديث عائشة «أن النبي ﷺ كان يستعذب له من يوت السقيا» زاد البزار في مسنده «وأمن بئر السقيا، وأحمد من حديث علي «خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى اذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص قال رسول الله ﷺ: اتوني بوضوء فلما توضأ قام، الحديث وأما بئر جمل ففي الصحيحين من حديث أبي الجهم وأقبل رسول الله ﷺ من نحو بئر الجمل، الحديث وصله البخاري وعلقه مسلم «قيل وهي بئر العنن بالعالية، وروى «أنها اليسيرة سماها عليه السلام بعد ان كان اسمها العسيرة توضأ منها وبصق فيها وبرك ودعا لها، والمشهور ان آبار المدينة سبعة وقيل عشرون، وقد روى الدارمي من حديث عائشة «أن النبي ﷺ قال في مرضه: صبا علي من سبع قرب

وَيَتَصَدَّقُ وَيُسْتَحَبُّ لَهُ الْأَقَامَةُ بِمَكَّةَ مُرَاعِيًا حَقُوقَهَا ، فُورِدَ « يَنْزِلُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةٌ وَعَشْرُونَ رَحْمَةً سِتُونَ لِلطَّائِفِينَ ، وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ وَعَشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ » وَأَنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ بِلَادِهِ إِلَى وَلَوْ لَا أَنِّي أَخْرَجْتُ مِنْكَ لَمَّا خَرَجْتُ ، وَبِالْمَدِينَةِ فُورِدَ فِي الصَّبْرِ عَلَى لَاوَأْنَهَا وَفِي الْمَوْتِ بِهَا شَفَاعَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَشَهَادَتُهُ

من آبار شتى، الحديث (ويتصدق) بالمدينة على سكانها ويعظم جيرانها (ويستحب له الاقامة بمكة) حال كونه (مراعيًا حقوقها) من القيام بالجماعة والجمعة وملازمة الطواف ومداومة الحرمة وعدم الملالة والسامة مع السلامة من كل الحرام والشبهة والا فالاقامة بها حرام أو مكروه (فورد ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة) أى من رحمته الخاصة (ستون للطائفين) لزيادة طوافهم على المصلين والناظرين (وأربعون للمصلين) لاشتغال صلاتهم على حال الناظرين (وعشرون للناظرين) أى المكثفين بالنظر نحوه من المعتكفين العاجزين الواقفين فى مقام الشهود وقد قال تعالى : (أن طهرا يبقى للطائفين والمالكين والركع السجود) فى تقديم الطائفين إماما الى ما تقدم وأشعار الى أن الطواف تحية هذا المسجد المحترم والله سبحانه أعلم، والحديث رواه ابن حبان فى الضعفاء واليهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بأسناد حسن وله شواهد (وانك) بامكة (لخير أرض الله) لكونها منشأ حبيبه وفيها قبله خلقه قريبه وبعيده (واحب بلاده الى) لكونها مهبط وحيه ومربط وصله، وأما حديث « حب الوطن من الايمان » فلا أصل له (ولولا أنى أخرجت منك) أى امرت بالخروج والهجرة عنك (لما خرجت) باختيارى فإن الخروج منها شقاوة والدخول فيها سعادة حيث تضاعف فيها العبادة وتضعف فيها النفس الشهوة والارادة، والحديث رواه الترمذى وصححه النسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث عبد الله بن عدى بن الحمرأ بلفظ « انك لخير ارض الله واحب بلاد الله الى الله ولولا أنى أخرجت منك لما خرجت » وقد ورد « من صبر على حر مكة ساعة تباعد من نار جهنم مائتى سنة » أخرجه العقيلي فى الضعفاء عن ابن عباس (وبالمدينة) أى ويستحب ايضا الاقامة بها مع القيام بأدائها (فورد فى الصبر على لاوأنها) أى شدة عنايتها ومشقة بلاتها (وفى الموت بها شفاعته عليه الصلاة والسلام) الخاصة باهل الاسلام (وشهادته

يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نُقِلَ عَنْ أَرْجَاعِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْحَجَّجِ بَعْدَ الْفَرَاغِ
إِلَى الْمَسَا كُنْ تَحَامِيًّا عَنِ الطَّاعَةِ وَأَرْتَكَابِ الذَّنْبِ فَلَا تُنْمِ فِيهِ مُتَضَاعَفٌ تَضَاعَفَ
الثَّوَابُ حَيْثُ عُلِقَ الْعَذَابُ بِمَجَرَّدِ الْقَصْدِ فِيهِ أَوْرَدَ (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ)
الآيَةُ حَتَّى قَبْلَ مِنْهُ الْاِحْتِكَارَ . وَقَبْلَ الْكَنْبِ . وَقَبْلَ شَتْمِ الْخَادِمِ . وَتَجْدِيدًا
لِلْاِسْتِثْنَاءِ ، وَالْأَوَّلَى

يوم القيامة) أى بانه من أهل الاكرام فورد « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا
كنت له شفيعا يوم القيامة » مسلم من حديث أبى هريرة . وابن عمر . وأبى سعيد « ومن
استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فانه لا يموت بها أحد الا كنت له شفيعا أو شهيدا
يوم القيامة » الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر ، وقال الترمذى : حسن صحيح (وما
نقل من ارجاع عمر رضى الله عنه) أى رده او امره بالرجوع (الحجيج بعد الفراغ)
من الحج والزيارة (الى المسا كن) أى مساكنهم الاصلية حيث كان يقول لهم : يا أهل
اليمن يمسكنم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم (تحاميا) أى للاحتراز
والاحتباس (عن السائمة) أى الملاة فى الإقامة (وارتكاب الذنب) لمن لم يكن
من أهل الاستقامة (فالانتم فيه) أى فى حرم مكة (متضاعف) أى فى العقاب
كيفية لا كمية ثلاثا ناقض اطلاق قوله تعالى : (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها)
(تضاعف الثواب) أى تتضاعفه فى الكمية والكيفية للفضل فى هذا الباب
والعدل على ما فى الكتاب وانما يضاعف العذاب أو العقاب (حيث علق العذاب
بمجرد القصد) فى الذنب فى ذلك الجنب (فيما ورد) فى نص الكتاب (ومن
يرد فيه بالحاد) أى يميل عن الجادة فى العصيان والبلاء صلة فى مقام البيان
(الآية) تمامها (بظلم) أى عدوان بدل تفسيره وبيان (نذقه من عذاب أليم)
أى مؤلم فى مقام المهجران (حتى قبل منه الاحتكار) أى قصد حبس الطعام
لبقل فيبيع غالبا ويتضرر به الانام (وقيل الكذب) أى قصده الحاد أيضا (وقيل شتم
الخادم) والحاصل ان ما يكون صغيرة فى غيره تصير كبيرة فى حرمه لكمال تقصير المجاور
وجرمه وعدم العمل بعلمه (وتجديدا للاشتياق) عطف على تحاميا أى ولتحصيل
حدة الشوق وشدة الذوق الى وصال الحريين بعد مرارة حرارة الفراق (والاولى

الاستفتاء من القلب . والتوطن في موضع أقرب من الخول . وسلامة الدين . وفراغ القلب . ويسر العبادة ، فورد « البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فاقم به واحمد الله تعالى » وحق الجهاد أن ينوى نصره الدين . وبذل النفس في رضائه تعالى ، فورد « أفضل الجهاد أن يعقر جوادك ويهراق دمك » ويخرج له يوم الخميس . ولا يغتم بما يصيب

الاستفتاء من القلب) في اقامته ورحلته (والتوطن في موضع أقرب من الخول) فانه أنسب لحصول الوصول وفيه الراحة من مصاحبة أهل الفضول وأبعد من الشهرة فان فيها الآفات بكثرة (وسلامة الدين) لأنها لم توجد مع مسالة أهل الدنيا فقيل : كن وسطا واهش جانبنا (وفراغ القلب) أى للذكر والحضور مع الرب (ويسر العبادة) أى سهولته لأهل الارادة قال تعالى : (يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فايأى فاعبدون) (فورد البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا) أى مصلحة وسهولة للعبادة فانه مقام السعادة (فاقم به) أى فاختر الإقامة فيها (واحمد الله تعالى) على ثباتك عليها والحديث رواه احمد والطبرانى من حديث ابن الزبير (وحق الجهاد) أى القتال مع الكفار (أن ينوى نصره الدين) ومعاونة الابرار قال تعالى : (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (وبذل النفس في رضائه تعالى) قال عز وعلا : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية (فورد أفضل الجهاد أن يعقر جوادك) أى يقتل فرسك أو يهلك (ويهراق دمك) أى يصب وتخرج روحك الطبرانى . واحمد وجماعة عن جابر . والطبرانى عن أبى امامة أفضل الشهداء من سبقت دمه وعقر جواده وهو فرض عين أن هجم الكفار فتخرج المرأة والعبد بلاذن وفرض كفاية بدأ (ويخرج له) أى للجهاد (يوم الخميس) روى كعب بن مالك انه عليه السلام « كان يحب أن يخرج اذا غزا يوم الخميس » احمد . والبخارى (ولا يغتم بما يصيب) أى في طريق الجهاد من نقص في ماله أو جرح في جسده أو فزع في قلبه وتشويش في

فَقِيَ الْكُلَّ أَجْرٌ عَظِيمٌ حَتَّى يَكُونَ عَلْفٌ دَابَّتَهُ . وَرَوْتَهَا . وَبَوَّهَا .
وَنَوْمَهُ . وَيَقْظَتُهُ فِي هِيزَانِ حَسَنَاتِهِ ، وَيَجْتَنِبُ فَرَسًا يُخَالِفُ إِحْدَى قَوَائِمِ
الثَّلَاثَةِ . وَلَا يَتَمَنَّاهُ

حاله ﴿ فقي الكل أجر عظيم ﴾ وثواب جسيم، وقد قال تعالى: (ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال) الآية، وورد «أذا رجف قلب المؤمن في سبيل الله تحانت خطاياه كما تحانت عذق النخلة» الطبراني . وأبو نعيم في الحلية عن سلمان «ومن راح راحة في سبيل الله كان له بمثل ما أصابه من الغبار مسكا يوم القيامة» ابن ماجه . والضياء عن أنس «وما من مجروح يجرح في سبيل الله - والله أعلم بمن يجرح في سبيل الله - إلا جاء يوم القيامة وجرحه كميئته يوم جرح اللون لون الدم والريح ريح المسك» ابن ماجه عن أبي هريرة ﴿حتى يكون علف دابته وروثها وبولها ونومه ويقظته في ميزان حسناته﴾ ففي مستدأحمد . وصحيح البخاري . وسنن النسائي عن أبي هريرة مرفوعا «من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده كان شعبة وريه وروثه وبوله حسنات في ميزانه» وفي رواية لابن ماجه . وابن حبان عن تميم الداري «من ارتبط فرسا في سبيل الله ثم عالج علفه يده كان له بكل حبة حسنة» ﴿ويجتنب فرسا يخالف إحدى قوائمه الثلاثة﴾ من القوائم الأربعة فقد روى أحمد . ومسلم : والأربعة عن أبي هريرة أنه عليه السلام «كان يكره الشكال» قال أبو داود . والترمذي أي محجل اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس، وقال النسائي: محجل ثلاثة قوائم مطلق واحدة أو العكس وليس الشكال إلا في الرجل، ويؤيده ما رواه الحاكم . والطبراني . والبيهقي عن عتبة بن عامر «إذا أردت أن تغزو فاشتر فرسا أغر محجلا مطلق اليد اليمنى فانك تسلم وتغنم» وفي رواية أحمد . والترمذي . وابن ماجه . والحاكم عن أبي قتادة «خير الخيل الأدم الإقراح الأرمم المحجل الثلاث مطلق اليمنى فان لم يكن أدم فكسيت على هذه الشبة، وفي النهاية ان الأدم الأسود الإقراح - بالقاف - الذي في جبهته يياض يسير دون القرعة، والأرمم الذي أنفه أبيض وشفته العليا والمحجل الذي يرتفع اليياض في قوائمه في موضع القيد ويجاوز الارساغ ولا يجاوز الركبتين لأنها مواضع الاحجال وهي الخلاخيل . والقيود ، والكسيت بضم الكاف هو الذي لونه بين السواد والحرمة يستوى فيه الذكر والأنثى ﴿ولا يتمناه﴾ أي

وَيَسْأَلُهُ الثَّابِتُ عَنْهُ فُورِدَ «لَا تَتَمَنُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ فَإِنْ لَقِيتُمُوهُ فَاقْتَبُوا» وَيَكْثُرُ ذِكْرُهُ تَعَالَى . وَيَكُفُّ عَنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ . وَالْأَوْلَادِ وَالْأَمْوَالِ . وَالْأَوْطَانِ . فَهُوَ يَقْتَرُهُ : وَيَغْتَنِمُ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فُورِدَ (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا) الْآيَةُ « إِنْ أَرْوَاهُ الشَّهَدَاءُ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَسْرَحُ وَتَأْكُلُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ تَشَاءُ وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ معلقةٍ مِنَ الْعَرْشِ »

الجهاد فالعافية أوسع لاكثر العباد (ويسأله الثابت عنه) أى عند وجوبه أو وجوده (فورد لاتتمنوا لقاء العدو) وفي رواية زيادة « وسألوا الله العافية ، وفي أخرى فانكم لاتدرون ماتيتلون به ، وقال عز وعلا في مقام التوبيخ : (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) (فان لقيتموه فاقبتوا) وفي رواية زيادة « واكثروا ذكر الله ، وفي أخرى زيادة فان أجلبوا وضجوا فعليكم بالصمت ، النسائي والحاكم . والطبراني عن ابن عمر وفي رواية للحاكم عن جابر « فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم يدك وانما تغشاهم أنت ثم الزموا الأرض جلوسا فاذا غشوكم فانفضوا وكبروا ، (ويكثر ذكره تعالى) لقوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اذلقيم فتمه فاقبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) وقال تعالى في الحديث القدسي : « ان عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو ملاقى قرنه ، (ويكف عن ذكر النساء) أى ويمتنع عن تذكرهن (والأولاد والأموال والأوطان) وسائر تدبرهن وتفكرهن (فهو يقره) أى يجنبه ويضعف همته عما هو بصدده ومن هنا ورد « الولد مجنبه » (ويغتني الشهادة في سبيل الله) فانه من أكبر السعادة عند مولاه (فورد ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية) أى (بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عاينهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) (ان ارواح الشهداء في حواصل طير) أى أجواف طيور (خضر تسرح) أى تسير (وتأكل من الجنة حيث تشاء) من غير منع لها (وتأوى الى قناديل معلقة من العرش) ومع هذا لها تعلق بجسدها في القبر وأمور الآخرة كلها مبنية على خرق العادة فلا ينبغي أن يستغربها أهل الارادة ، والحديث رواه مسلم . والترمذى عن ابن مسعود بن زيادة فاطلع اليهم

وَيُودُونَ الرَّجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا لِلْإِسْتِشْهَادِ وَيَتَمَنَّاها فَهُوَ سَبَبُ نَيْلِ مَزَلَّتِهِمْ
وَإِنْ مَاتَ عَلَى الْفَرَاشِ ، وَلَا يَخْرُجُ الْمُسْتَغْلِلُ بِتَعَهْدِ الْأَهْلِ . وَخِدْمَةُ الْأَبْوِينَ فَهُوَ
مُقَدَّمٌ ، وَيَخْدُمُ الْغَزَاةَ وَلَوْ كُلَّهُمْ .

رَبِّهِمْ أَطْلَاعُهُ فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيْ شَيْءٍ نَشْتَهُى وَنَحْنُ نَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ
حَيْثُ شَتْنَا فَيَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ يَتْرَكُوا أَنْ يَسْأَلُوا قَالُوا:
رَبِّ نَزِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَنَقْتُلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى
فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تَرْكُوهَا وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ (وَيُودُونَ الرَّجُوعَ) أَيْ يَتَمَنُّونَ الْعُودَ
إِلَى الدُّنْيَا لِلْإِسْتِشْهَادِ (أَيْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَوَرَدَ مَا مَنِ أَحَدٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ يَحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ
(إِلَى الدُّنْيَا إِلَّا الشَّهِيدَ فَانْهَ يَحِبُّ أَنْ يَقْتُلَ مَرَّةً أُخْرَى، إِبْنُ حِبَّانٍ عَنْ أَنَسٍ، وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ
عَنْهُ فَانْهَ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيَقْتُلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ، (وَيَتَمَنَّاها) (أَيْ
أَيْ يَتَمَنَّى السَّالِكُ الشَّهَادَةَ وَلَوْ كَانَ فِي مَوْطِنِ الْعِبَادَةِ (فَهُوَ سَبَبُ نَيْلِ مَزَلَّتِهِمْ) أَيْ
حَصُولِ مَرْتَبَتِهِمْ (وَأَنْ مَاتَ) أَيْ الْمَتَمَنَّى (عَلَى الْفَرَاشِ) لِأَنَّ نِيَّةَ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ
فَمَنْ مَعَاذُ مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ مَخْلَصًا اعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ شَهِيدٍ، وَأَنْ مَاتَ عَلَى فَرَاشِهِ (وَلَا
يَخْرُجُ الْمُسْتَغْلِلُ بِتَعَهْدِ الْأَهْلِ) أَيْ الْعِيَالُ لَا شُغْلَ الْبَالِ فَلَا يَحْصُلُ مَعَهُ الْكَمَالُ فِي
الْحَالِ وَلِضَرُورَةِ مَعِيشَةِ الْأَهْلِ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَالِ، وَقَدْ وَرَدَ إِذَا حَرَّمَ أَحَدُكُمْ الزَّوْجَةَ وَالْوَلَدَ
فَعَلَيْهِ بِالْجِهَادِ، الطَّبْرَانِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ - وَهُوَ مَعَ إِخْوَانِهِ فِي الْفَزْوَةِ -
تَعْلَمُونَ عَمَلًا أَفْضَلَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ؟ قَالُوا: لَا نَعْلَمُ ذَلِكَ قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ ذَلِكَ رَجُلٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عَائِلَةٍ
قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَنَظَرَ إِلَى صَدِيقَانِهِ نِيَامًا مُتَكَشِّفَيْنِ فَسَتَرَهُمْ وَغَطَّاهُمْ فَعَمَلُهُ أَفْضَلُ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ •
(وَخِدْمَةُ الْأَبْوِينَ فَهُوَ مُقَدَّمٌ) أَيْ عَلَى الْجِهَادِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فَرَضٌ عَيْنٍ فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ إِذَا
كَانَ الْجِهَادُ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَخْرُجُ إِلَّا بِإِذْنِ أَبِيهِ، رَوَاهُ ابْنُ عَدَى (وَيَخْدُمُ
الْغَزَاةَ) أَيْ يَطْبِخُ طَعَامَهُمْ وَغَسَلَ ثِيَابَهُمْ وَخِدْمَةُ دَوَابِهِمْ (وَلَوْ كُلَّهُمْ) وَهَذَا صَاقِدٌ
عَلَى مَنْ يَخْدُمُهُمْ وَهُوَ مَعَهُمْ كَمَا وَرَدَ «سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ» ابْنُ مَاجَهٍ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ
وَالْخَطِيبِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي تَارِيخِهِ، وَابِيهْتَمَى عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ وَلَفْظُهُ
«سَيِّدُ الْقَوْمِ فِي السَّفَرِ خَادِمُهُمْ» فَمَنْ سَبَقَهُمْ يَخْدُمُهُمْ لَمْ يَسْبِقُوهُ بِعَمَلِ إِلَّا الشَّهَادَةَ، وَفِي رِوَايَةٍ
الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «أَفْضَلُ الْغَزَاةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَادِمُهُمُ الَّذِي يَأْتِيهِمْ بِالْأَخْبَارِ وَأَخَصَّهُمْ
عِنْدَ اللَّهِ مَزَلَةُ الْأَصْنَامِ أَوْ يَخْلِفُهُمْ وَيَخْدُمُ أَهْلَهُمْ» فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ . وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

ويجهزهم . ويعظم أفراسهم ويعيدها ليوم اللقاء ، ففي الكل فضائل .
 ويتعلم الفروسية . والمسابقة لامتحان الكرم . والرمي فهو سنة . ولا يترك ،
 فورد « من ترك الرمي بعد ما علمه فإثمها نعمة كفرها »

« أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج » (ويجهزهم)
 أي يهيئ أسباب سفرهم فورد « من جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل أجره حتى
 يموت أو يرجع » ابن ماجه عن عمر (ويعظم أفراسهم) جمع فرس فقدورد والخيل
 معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة الاجروالمغنم ، احمد والشيخان وغيرهما كما
 ان يكون متواترا ، وفي رواية لاحد عن جابر زيادة « وأهلها معانون عليها فامسحوا
 بنواصيها وأعدوا لها بالبركة وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار » (ويعيدها) بضم
 فسكس فشد أي يربطها (ليوم اللقاء) أي لوقت ملاقات الأعداء قال تعالى : (وأعدوا
 لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الآية (ففي
 الكل فضائل) لأرباب الشرائع (ويتعلم الفروسية والمسابقة لامتحان الكرم)
 أي الطبع المكرم في المجاهدة والملاحقة فقدورد « أحب الله إلى الله تعالى أجرا الخيل
 والرمي ، ابن عدي عن ابن عمر ، وقيل المراد بالكرم كرم الفرس بأن يكون كريم
 الطرفين أركبوا واتصلوا وان تنصلوا أحب إلى الحديث الطبراني في الأوسط عن
 أنس هريرة ، لاسبق الا في خف أو حافر أو نصل ، أحمد والاربعة عن أنس هريرة ، فالمراد
 بالخلف الأبل وبالحافر الفرس والبغل والحمار والنصل الرمي ، وفي رواية « كانت المسابقة
 بين الصحابة في الخيل والأبل والرجل » (والرمي) أي ويتعلمه (فهو سنة) فمن
 عقبة بن عامر مرفوعا « إلا أن القوة الرمي إلا أن القوة الرمي إلا أن القوة الرمي ، أحمد .
 ومسلم وأبو داود وابن ماجه ، أن الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه
 يحتمسب به في صنعة الخير . والرامي به . ومنبله ، أحمد والثلاثة عن عقبة بن عامر « من رمى
 بسهم في سبيل الله كان كمن أعقر رقبة » ابن حبان عن كعب بن مرة ، وفي رواية للنسائي
 عنه « من بلغ العدو سهمه رفعه الله بها درجة أما أنها ليست كعتبة أملك ولكن ما بين
 الدرجتين مائة عام » (ولا يترك) أي الرمي لثلاث ينسى (فورد من ترك الرمي بعد ما علمه)
 أي رغبة عنه كما في رواية (فإثمها نعمة كفرها) الطبراني وجماعة عن عقبة بن عامر ،
 وفي رواية ابن ماجه عنه « فقد عصاني » وفي رواية مسلم عنه « فليس منا » وفي رواية أحمد

﴿الباب الخامس في الزوج والتخلي﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * فِي النِّكَاحِ فَوَائِدُ، حِفْظُ النَّفْسِ مِنَ الشَّيْطَانِ ،
فورد « من تزوج فقد أحرز شطر دينه »

والترمذى والبيهقى عنه « فقد كفر الذى عليه » وعن أبي هريرة « من تعلم الرمى ثم
نسيه فهي نعمة جعدها » ابن النجار .

﴿الباب الخامس في الزوج والتخلي﴾

أى التجرد عنه والتبرى منه اختيارا للتخلي واستيثارا للتجلى، اعلم ان العلماء اختلفوا
في فضل النكاح فبعضهم بالغ فيه حتى زعم انه افضل من التخلي لعبادة الله تعالى، وعكس
جماعة وقال آخرون: الافضل تركه في زماننا وقال بعضهم: افضل من الجهاد لان الجهاد
سبب اعدام الكافر والتزوج موجب ايجاد المؤمن وهذا كله اذا لم يكن هناك توقان
للفنفس يشوش الحال واما اذا كان فيتعين تحمل العيال والتوكل على الله المتعال في
الاستقبال ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الذى رحمته شاملة للتخصيص والتعميم ﴿ في
النكاح فوائد ﴾ كثيرة ومنافع شيرة ذكر منها احدى عشرة ﴿ حفظ النفس من
الشیطان ﴾ أى صيانتها عن وسوسه واغوائه ﴿ فورد من تزوج فقد أحرز شطر
دينه ﴾ تمامه ﴿ فليقل الله في الشطر الثاني ﴾ وفي رواية « في الشطر الآخر » ابن الجوزى في
العلل من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبرانى بلفظ « استكمل نصف الايمان،
وفي المستدرک وصحح اسناده بلفظ « من رزقه الله امرأة سالحة فقد اعانه على شطر دينه »
وهذا لان حفظ أصل الدين غالبا يتعلق بنصفه بقضاء شهوة البطن ونصفه بقضاء شهوة
الفرج، وقال ابن عباس: لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج، وكان ابن مسعود يقول: لولم
يبق من عمرى الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لكيلا ألقى الله عزابا، ومات امرأتان
لما ذبن جبل في الطاعون وكان هو أيضا مطعونا فقال: زوجوني فاني أكره ان ألقى الله عزابا،
وعن أبي هريرة مرفوعا « شراركم عزابكم وركعتان من متأهل خير من سبعين ركعة من
غير متأهل » ابن عدى، ورواه أحمد عن أبي ذر « شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم »
وقد تزوج يحيى ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لينال الفضيلة من اقامة السنة، وقيل: لنفص
البصر وخوف العنت واما عيسى فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له كذا

وَيَزِيدُ إِلَى الْأَرْبَعِ أَنْ لَمْ يَعْتَصِمْ بِوَاحِدَةٍ ،

في الاحياء ، والحاصل ان غلبة الشهوة محنة عامة قل ان يتخلص منها أحد ، قال قتادة : في قوله تعالى : (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) ان ذلك هو الغلبة وهي غلبة الشهوة ، وعن عكرمة . ومجاهد انهما قالوا في معنى قوله : (وخلق الانسان ضعيفا) : انه لا يصبر عن النساء ، وقيل في قوله تعالى : (وان تصبروا خير لكم) ان الصبر عن النساء أيسر من الصبر عليهن والصبر عليهن أيسر من الصبر على النار ، وقال ابن نجيم : اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول : ذهب ثلث دينه ، وفي نوادر التفسير عن ابن عباس في قوله : (ومن شر غاسق اذا وقب) قال : قيام الذكر ، وفي دعائه عليه السلام « اللهم اني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيتي » أبو داود . والنسائي . والترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث شكل بن حميد وقال : « أسألك ان تطهر قلبي وتحفظ فرجي » البيهقي في الدعوات من حديث أم سلمة ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « كل من وقع بصره على امرأة فتأقت اليها نفسه ان يجامع اهلها لان ذلك يدفع الوسواس عنه ، رواه أحمد من حديث أبي كبشة الانصاري حين مرت به امرأة فوقع في قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال : وكذلك فافعلوا فانه من أمائل اعمالكم اتيان الحلال واستناده جيد ، فروى جابر انه عليه السلام « رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال : ان المرأة اذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان واذا أدبرت أدبرت في صورة شيطان فاذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت اهلها فان معها مثل الذي معها ، رواه مسلم . والترمذي واللفظ له وقال : حسن صحيح ، وروى انه انصرف الناس يوما عن مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يبرح فقال : هل لك من حاجة ؟ قال : نعم اردت ان أسأل عن مسألة فاستحييت من الناس وانا الآن اهابك واجلك فقال ابن عباس : ان العالم بمنزلة الآب فما افضيت به الى أيك فافض به الى فقال : اني شاب لازوجتي وربما خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال : اف وتف نكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا » (يزيد) النساء » الى الاربع ان لم يعتصم بواحدة » وكان الاولى ان يقول ان لم يعتصم بالاكل وهذا لقوله تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) والواو بمعنى أو أي اثنتين اثنتين أو ثلاثة ثلاثة أو اربعا اربعا ، وعن ابن عباس « خير هذه الأمة اكثرها نساء يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، رواه البخاري وقال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الدنيا

وَيَبْدُلُ بِأُخْرَى إِنْ تَنَفَّرَ الطَّبَعُ ، وَزِيَادَةُ الرَّغْبَةِ فِي لَذَاتِ الْجَنَّةِ فَلَذَةُ الدُّنْيَا
أَنْمُودَجٌ وَقَطْعُ الْمَلَالَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ دَوَامِ الْعِبَادَةِ ، فَوُرِدَ « لِكُلِّ شَرِّهِ فِتْرَةٌ فَمَنْ
كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَهْتَدَى »

لان عليا رضى الله عنه كان ازهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان له أربع
أسوة وسبع عشرة سرية، وقد نكح بعد فاطمة بسبع ليال، ويحكى عن ابن عمر - وكان من زهاد
الصحابه وعلمائهم - انه يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل وربما جامع قبل أن يصلي
المغرب ثم يغتسل ويصلي، وروى انه جامع ثلاثا من جواريه قبل العشاء في رمضان قبل
العشاء الأخيرة (ويبدل بأخرى ان تنفر الطبع) فان المقصود هو الاعتصام بالشرع
ويقال: ان الحسن بن علي كان منكاها نكح زيادة على مائتي امرأة وكان ربما عقد على
أربع في عقد وربما طلق أربعاً في وقت واحد واستبدل بهن (وزيادة الرغبة في لذات
الجنة فلذة الدنيا أنمودج) بضم الهذرة والميم معرب فمونه أى عينة تدل على صفة
بينه، وقد أكره الله سبحانه في كتابه مدح الحور العين والازواج المطهرة في ذلك
المكان الأمين (وقطع الملالة الحاصلة من دوام العبادة) وذلك بترويح النفس
وابتناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة والمؤانسة ولذا قال تعالى: (ليسكن إليها) فالنفس
اذا كلفت المداومة بالاكره على المخالفة جمحت وتأبت واذا روت بالذات في بعض
الأوقات قويت ونشطت ومنه كلبني يا حيراء، وعن علي روحوا القلوب عن الذكر
فانها اذا كرهت عجمت في الاستيناس بالنساء من بين الناس من الاستراحة عن
الوسواس ما يزيل الكرب ويفرج القلب وينشط لذكر الرب فينبغي ان يكون
لنفوس ارباب العبادات استراحات الى المباحات وفي الخبر «على العاقل ان يكون له ثلاث
ساعات ساعة يناجى فيها ربه. وساعة يحاسب فيها نفسه . وساعة يتخلو فيها لمطعمه
ومشربه» أى وما يقتضى انسه والحديث رواه ابن حبان من حديث أبي ذر في حديث
طويل «ان ذلك في صحف ابراهيم» وفي لفظ آخر «لا يكون العاقل العامل ظاعنا الا في
ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم، رواه ابن حبان من حديث أبي ذر الطويل
ان ذلك في صحف ابراهيم» (فورد لكل شره) بكسر المعجمة وتشديد الراء أى كد وجد
في طاعة ونشاط ورغبة في حاجة (فترة) أى كسل وملالة وغفلة وفترة ووقفة
للاستراحة (فمن كانت فترته) من الفرض (الى سني فقد اهتدى) أحمد والطبراني

وَهُوَ لَا يَعْمُ لَا نَقْطَاعَهَا لِلْبَعْضِ بِالْمَاءِ وَالْبُسْتَانِ وَفَرَاغُ الْقَلْبِ مِنْ تَدْيِيرِ الْبَيْتِ
لِلْعِبَادَةِ ، فَوَرَدَ « زَوْجَاتِي أَعَوَانِي عَلَى الطَّاعَةِ » وَهُوَ يَخْصُ لِمَنْ لَا يَدْبُرُ فِيهِ . وَلَا

من حديث عبد الله بن عمر رواه البيهقي « ومن كانت الى خير ذلك فقد هلك » وللترمذي
نحوه من حديث أبي هريرة وقال: حسن صحيح، ولفظه « لكل عامل شرة ولكل شرة
فترة ، الحديث ، وللترمذي عن أبي هريرة « لكل شيء شرة ولكل شرة فترة فان كان
صاحبها سدد وقارب فارجوه وان أشير اليه بالأصابع فلا تعدوه » والحاصل ان لكل
نشاط في العبادة ابتداء يكون كسلا فيها انتهاء أو أثناء فينبغي للسالك أن يصرف تلك
الفترة الى عبادة أخرى أو شهوة مباحة موافقة للسنة من النساء وغيرها ؛ ولذا قال
(وهو) أى قطع الملالة بمصاحبة النساء (لا يعم) جميع السالكين (لا نقطاعها)
أى الملالة (للبعض) أى بعض العاملين (بالماء) أى الجارى (والبستان) أى
المشتمل على الخضرة ، فعن ابن عمر مرفوعا « ثلاث يجلين البصر النظر الى الخضرة والى
الماء الجارى والى الوجه الحسن » أخرجه الديلمي ، وعن علي أيضا بمعناه . وعن ابن عباس
أنه عليه السلام « كان يعجبه النظر الى الخضرة والماء الجارى » أبو نعيم . وابن السني
وفروا بينهما عن علي « كان يعجبه النظر الى الاترج والى الحمام الاحمر » وللترمذي
عن معاذ انه عليه السلام « كان يستحب الصلاة فى الحيطان أى البساتين المشيرة الى
الجنان » (وفراغ القلب) أى لذكر الرب (من تدوير البيت للعبادة) كما هو جار
فى العادة من شغل الطبخ والكس والفرش للبانى وتنظيف الاوانى ونهية أسباب
المعيشة المعينة للبعانى ، وفى الحديث « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ »
وقد فسر قوله تعالى : (ربنا آتانا فى الدنيا حسنة) بالمرأة الصالحة (وفى الآخرة حسنة)
بالحور العين (وقناعا ذاب النار) بالمرأة السليطة ، وقيل : فى تفسير قوله تعالى (فلنجينه
حياة طيبة) أى نزوجه صالحة ، وعنه عليه السلام « ليتخذ أحدكم قلبا شاكر اولسانا
ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته » الترمذى . وحسنه . وابن ماجه من
حديث ثوبان (فورد زواجى أعوانى على الطاعة) الخطيب فى التاريخ من حديث
ابن عمر ولفظه « فضلت على آدم بمحصلتين كانت زوجته عوناه على المعصية وأزواجى
أعوان لى على الطاعة وكان شيطاناه كافرا وشيطانى مسلم لا يأمر الا بخير » (وهو)
أى الفراغ المذكور (يخص لمن لا يدبر فيه) أى فى البيت بنفسه لعجزه (ولا

يُشَوِّشُهُ حَقَّ الزَّوْجِيَّةِ فِي أَمْرِهِ . وَكَثْرَةُ الْعَشِيرَةِ لِيُدْفَعَ بِهِمُ الشَّرُّ فَيَسْلَمَ .
وَالرِّيَاضَةُ بِالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِمْ . وَاحْتِمَالُ جَفَائِهِمْ ، فَرَدَّ فِيمَنْ أُحْتَمَلَهَا « كَانَ
مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ » وَهُوَ يَخْصُ بِالْمُبْتَدَى لاحتياجه إلى الريضة وبظاهر العمل
فَالاتِّفَاقُ أَوَّلَى لِأَنَّهُ مُتَعَدِّ بِخِلَافِ صَاحِبِ الْبَاطِنِ فَعَمَلُهُ أَشْرَفُ ،

يشوشه حق الزوجية في أمره و كثرة العشيرة يدفع بهم الشر أي ضرر أهل الفساد
ومنازعة أهل العناد (فيسلم) أي فارغ القلب في طلب الخير، ولذا قيل: ذل من
لاناصر له (والريضة) أي تهذيب النفس (بالقيام بحقوقهم) من نفقتهم وكسوتهم
(واحتمال جفائهم) من ائذانهم وبلاتن والصبر على سوء اخلاقهم والسعي في اصلاح
أحوالهم وارشادهم الى طريق الدين واكلان والقيام بقرية الأولاد وصياتهم عن
الفساد، وفي كل هذه الأحوال فضائل عظيمة وشمال وسيمة فانها رعاية وولاية وحماية
وقد ورد « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » متفق عليه من حديث ابن عمر،
« ويوم من والعدل أفضل من عبادة سبعين سنة » الطبراني . واليهي من حديث
ابن عباس (فررد فيمن احتملها كان معي في الجنة) لم أر مخرجه، وفي بعض الحواشي
« من تحمل كليات جفاء أهله فله ثواب سبعين شهيدا »، وفي رواية « من تحمل من امرأته
كلمة واحدة أعطاه الله ثواب ألف شهيد ودفع عنه ظلمة قبره وضيقة، وذكر في الاحياء
ان في اخبار الانبياء ان قوما دخلوا على يونس فاضافهم فمكان يدخل في منزله ويخرج
فتؤذيه امرأته فـ: تطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال: لا تعجبوا فاني سألت
الله فقلت: ما أنت معاقب لي في الآخرة فعجله في الدنيا فقبل : ان عقوبتك بنت فلان
فتزوجت بها وأنا صابر على ماترون منها (وهو) أي الارياض (يخص بالمبتدئ .
لاحتياجه الى الريضة) أي تهذيب النفس عن الاخلاق الذميمة (وبظاهر العمل)
أي ويخص أيضا بالذي من أهل العمل الظاهر (فالاتفاق أولى) أي في حق
(لأنه متعد) أي نفقه والعمل الظاهر نفقه قاصر، ومن هنا قال عليه السلام:
« ما أتفق الرجل على أهله فهو صدقة » الشيخان عن ابن مسعود ، وان الرجل ليؤجر
في رفع اللقمة الى في امرأته » الشيخان عن سعد بن أبي وقاص (بخلاف صاحب
الباطن فعمله أشرف) لأنه علم ومعرفته وحال وحضور مع الرب وهو مقام عال

وَالْوَلَدُ وَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَصْلِيُّ فَقِيهِ حُبَّتْهُ تَعَالَى بِتَحْصِيلِ حِكْمَتِهِ تَعَالَى . وَهِيَ
بَقَاءُ جِنْسِ الْإِنْسِ . وَالتَّحَرُّزُ عَنْ تَعْطِيلِ الْأَعْضَاءِ مِنَ الْمَقَاصِدِ ،

ولكنه نادر بين الرجال، ولذا ورد أكثر الأحاديث في مدح الأعمال، منها قوله عليه السلام « ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال » ابن ماجه من حديث عمران بن حصين، وقوله: « اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بالحزن ليكفرها » أحمد من حديث عائشة، وقوله « من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة » الطبراني في الأوسط. وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة، وقال بعض العلماء: عمل الابدال كسب الحلال والنفقة على العيال (والولد وهو المقصود الأصلي) من هذا الحكم الفرعي (فقيه) أى فى تحصيل الولد بالنكاح أربعة أمور (محبته تعالى) أى اثر محبته (بتحصيل حكمته تعالى وهى بقاء جنس الانس) فى ملكته وفق ارادته (والتحرز عن تعطيل الاعضاء من المقاصد) التى خلقت لتلك الاشياء فكل عضو من بنى آدم صالح لطاعته فاللسان للذكر . والقلب للفكر . والاذن للاستماع . والعين للنظر . واليد للبش والرجل للسعى، وفى الاحياء هذا أدق الوجوه وأبعدها عن افهام الجماهير وأقواها عند ذوى البصائر النافذة فى عجائب صنع الله تعالى ومجارى حكمته، ويانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر وآلات الحرث وهىأله أرضا مهيأة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليه فان تكامل العبد وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع المؤكل عن نفسه بنوع من الخيل كان مستحقا للقت والعقاب من سيده ، فآله سبحانه خلق الزوجين وخلق النطفة فى الفقار وهىأله فى الاثنين عروقا ومجارى وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط تقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثى فهذه الأفعال والآلات شهدت بلسان ذلق فى الاعراب عن مراد خالفها وتنادى أرباب الالباب بتعريف ما عادت له هذه الأسباب هذا ان لم يصرح الخالق على لسان رسوله عليه السلام بالمراد فكيف وقد صرح بالأمر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر ومعطل لما خلق الله من الآلة المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهى ليس برقم حروف وأصوات يقرؤها كل من له بصيرة ربانية نافذة فى ادراك دقائق الحكمة الازلية انتهى ، ولا يخفى ما ورد من أمر الشارع حيث قال تعالى :

وَحُبَّتْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْإِسْتِنَانِ ، فَوَرَدَ «النِّكَاحُ سُنَّةٌ» وَتَكَثِيرُ
الْأُمَّةِ ، فَوَرَدَ «تَنَاحُوا تَكَثَرُوا فَإِنَّ أَبَاهِي بِكُمْ الْإِمَامَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

(وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وأمائكم) وورد من استطاع منكم
الباء فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء .
متفق عليه من حديث ابن مسعود « من كان ذا طول فليتزوج ، ابن ماجه من حديث
عائشة . من ترك التزويج غافة العيلة فليس منا » الديلمي من حديث أبي سعيد . والدارمي
في مسنده . والبغوي في معجمه وأمله مقتبس من قوله تعالى : (إن يكنزوا فقراء يغفهم
الله من فضله والله واسع عليم) وقد ورد « اتقوا الرزق بالنكاح » الديلمي وغيره عن
ابن عباس مرفوعاً ، وللثعلبي عن ابن عجلان ، أن رجلاً أتى النبي ﷺ فشكى إليه
الحاجة والفقر فقال له : عليك بالباء . أي النكاح والله تعالى يقول في كتابه : (إن
يكونوا فقراء يغفهم الله من فضله) ، وأما الذي يدور على السنة العوام تزوجوا فقراء
يغفهم الله ، فإنما هو معناه ، وروى الديلمي . والبخاري . والدارقطني في العلل . والحاكم .
وابن مردويه من حديث عائشة ، تزوجوا النساء فانهن يأتين بالمال ، وعن الحسن
ابن علي رأيت الغني في النكاح والطلاق أما النكاح فقوله سبحانه : (إن يكنزوا فقراء
يغفهم الله من فضله) وأما الطلاق فقوله تعالى : (وإن يفرقا يغن الله كلاماً من سعته) وقد قيل في
حق بشر : انه تارك للسنة فقال : أنا مشغول بالفرض عن السنة فعوتب مرة أخرى فقال :
ما يمنعني من التزوج الا قوله تعالى : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (ومحبته عليه
الصلاة والسلام بالاستئذان) أي بالعمل للسنة (فورد النكاح سنّة) تمامه ، فمن أحب
فطرق فليستن بسنّي » أبو يعلى من حديث ابن عباس بسند حسن ، وفي رواية الشيخين
عن أنس ، فمن رغب عن سنّي فليس مني ، (وتكثير الأمة) أي التي بكثرت فيهم الأمة
(فورد تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الامم) أي في الكثرة (يوم القيامة)
ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر . وعبد الرزاق في جامعه عن سعيد بن أبي بلال
مرسلاً ، وفي رواية تناكحوا تناكحوا أباهي بكم يوم القيامة ، وفي رواية أبي داود . والنسائي .
والبيهقي وغيرهم من حديث معقل بن يسار مرفوعاً ، تزوجوا الودود الولود فاني
مكاثركم الامم ، ولاحمد . والبيهقي وصححه ابن حبان . والحاكم عن أنس ، كان
رسول الله ﷺ يأمر بالباء ، وينهى عن التبطل نها شديد ويقول : تزوجوا الولود والودود

وَلَوْ بِالسَّقَطِ، وَبِرَكَّةِ الدُّعَاءِ أَنْ بَقِيَ بَعْدَهُ، فَعَدَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « مِنْ أَعْمَلِ
 الْبَاقِي بَعْدَ الْمَوْتِ » وَالشَّفَاعَةُ أَنْ مَاتَ قَبْلَهُ، فَوَرَدَ « إِنَّ الطِّفْلَ يَجْرُ بِأَبَوَيْهِ إِلَى
 الْجَنَّةِ » وَأَفَاتٌ وَهِيَ كَسْبُ الْحَرَامِ فَالْمَعْلُ يُضْطَرُّ إِلَيْهِ لِلتَّوَسُّعِ، وَوَرَدَ فِيهِ أَنَّهُ
 هُوَ الَّذِي أَكَلَ عِيَالَهُ حَسَنَاتِهِ، وَفَوَاتُ الْحُقُوقِ،

فَأَيُّ مَكَائِرِ بَكِّ الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (وَلَوْ بِالسَّقَطِ) وَهُوَ الْوَلَدُ الَّذِي خُلِقَ بَعْضُهُ، وَقَدْ ذَكَرَ
 الْبَيْهَقِيُّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ فِي الْمَعْرِفَةِ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ بَلَغَهُ (وَبِرَكَّةِ الدُّعَاءِ أَنْ بَقِيَ) أَيُّ الْوَلَدِ (بَعْدَهُ)
 أَيُّ يَمُدُّ وَالِدَهُ (فَعَدَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْعَمَلِ الْبَاقِي بَعْدَ الْمَوْتِ) هَـ أَيُّ حَيْثُ قَالَ: هَـ كُلُّ عَمَلٍ
 ابْنُ آدَمَ يَنْقُطُ مِنَ الْإِثْلَاثَةِ فَذَكَرَ فِيهِ وَلَدُ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ
 هَـ (وَالشَّفَاعَةُ) هَـ أَيُّ وَبِرَكَّةِ الشَّفَاعَةِ (أَنْ مَاتَ) هَـ الْوَلَدُ (قَبْلَهُ) هَـ أَيُّ قَبْلَ وَالِدِهِ فَقَدْ قِيلَ فَمِمَّنْ
 الْوَلَدُ أَنْ عَاشَ نَفَعَ وَأَنْ مَاتَ شَفَعَ هَـ (فَوَرَدَ أَنَّ الطِّفْلَ يَجْرُ بِأَبَوَيْهِ إِلَى الْجَنَّةِ) هَـ ابْنُ مَاجَهٍ مِنْ
 حَدِيثٍ عَلَى وَقَالَ: السَّقَطُ بَدَلَ الطِّفْلِ وَلَهُ مِنْ حَدِيثٍ مَعَاذُ أَنْ الطِّفْلَ لِيَجْرَاهُ بِهِ سِرُّهُ إِلَى الْجَنَّةِ،
 وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ «يَأْخُذُ بِثَوْبِهِ كَمَا أَنَا الْآنَ أَخْذُ بِثَوْبِكَ»، وَوَرَدَ أَيْضًا
 «أَنَّ الْمَوْلُودَ يُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَيَقِفُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيُظَلُّ مَحْبُطًا أَيْ مَمْتَلًا غِيظًا
 وَغَضَبًا» وَيَقُولُ: لَا ادْخُلِ الْجَنَّةَ الْوَأَبَايَ مَعِيَ فَيَقَالُ: ادْخُلُوا أَبَوَيْهِ مَعَهُ الْجَنَّةَ هَـ ابْنُ حِبَّانَ
 فِي الضَّعْفَاءِ مِنْ رَوَايَةِ بِهِزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ يُقَالُ لَهُمْ:
 ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَيَقُولُونَ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُهَا فَيَقَالُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ هَـ وَاسْتَدَاهُ
 جَدِيدٌ وَقَدْ قِيلَ: فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى (نَسَاؤُكُمْ حَرْثُكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنْ تَشْتُمُ) وَقَدْ مَوَا
 (لَا تَنْفُسَكُمْ) تَقْدِيمُ الْأَطْفَالِ لِلْآخِرَةِ هَـ (وَأَفَاتٌ) هَـ أَيُّ كَثِيرَةٌ ذَكَرَ مِنْهَا ثَلَاثٌ هَـ (وَهِيَ كَسْبُ
 الْحَرَامِ فَالْمَعْلُ يُضْطَرُّ إِلَيْهِ) هَـ أَيُّ إِلَى كَسْبِهِ أَوْ أَكَلِهِ (لِلتَّوَسُّعِ) هَـ فِي الطَّعَامِ هَـ (وَوَرَدَ فِيهِ) هَـ
 أَيُّ فِي حَقِّ مَنْ كَسَبَ الْحَرَامَ لِعِيَالِهِ هَـ (أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَكَلَ عِيَالَهُ حَسَنَاتِهِ) هَـ قَالَ فِي الْأَحْيَاءِ
 فِي الْخَبَرِ أَنَّ الْعَبْدَ لِيُوقِفَ عِنْدَ الْمِيزَانِ وَلَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ فَيَسْأَلُ عَنْ رِعَايَةِ
 عِيَالِهِ وَالْقِيَامِ بِهِمْ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ إِنْ كَتَبَهُ وَفِيمَا انْفَقَهُ حَتَّى يَسْتَفْرِغَ تِلْكَ الْمَطَالِبَاتِ
 كُلِّ أَعْمَالِهِ فَلَا يَبْقَى لَهُ حَسَنَةٌ فَتَأْتِي الْمَلَائِكَةُ هَذَا الَّذِي أَكَلَ عِيَالَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَارْتَهَنَ
 الْيَوْمَ بِعَمَلِهِ، قَالَ الْعِرَاقِيُّ: لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى أَصْلٍ، وَقَالَ بَعْضُ السُّلَفِ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ شَرَاءِ
 سُلْطَانِهِ فِي الدُّنْيَا أَنْ يَأْتِيَهُ بِتَنْهَشِهِ - يَعْنِي الْعِيَالَ - (وَفَوَاتُ الْحُقُوقِ) أَيُّ الزَّوْجَةِ بِالْقَصُورِ

فورد « كُنِيَ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مِنْ يَمُولُ » وَالشُّغْلُ عَنْهُ تَعَالَى بِتَدْيِيرِ
الْمَعِيشَةِ ، وَجَمْعُ الْمَالِ . وَالْإِدْخَارُ . وَالتَّفَاخُرُ . وَالْإِسْتِغْرَاقُ بِالْتَّمَتُّعِ وَالْمُؤَانَسَةِ
فَإِنْ تَحَقَّقَتِ الْفَائِدَةُ . وَانْتَفَتِ الْآفَةُ يَتَعَيَّنُ النِّكَاحُ وَإِنْ اِنْعَكَسَ يَتَعَيَّنُ التَّجَرُّدُ .
وَأَنْ تَقَابَلَا

عن القيام بحقوقهن وعدم الصبر على اخلاقهن وعدم احتمال الاذى عنهن ﴿ فورد
كفى بالمرء اثماً ان يضيع من يعول ﴾ أبو داود والنسائي بلفظه من يقوت وهو عند
مسلم بلفظ آخر وروى ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الآبق لا يقبل الله له صلاة
ولا صياماً حتى يرجع اليهم، ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضراً فهو هارب
عنهن ؛ وقال تعالى : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ أمرنا أن نقيم النار كمانق أنفسنا
والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه فاذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف
اليه نفس أخرى والنفس اماره بالسوء واذا كثرت كثر السوء غالباً وبذلك اعتذر
بعضهم عن التزوج وقال : انامبتلى بنفسى فكيف اضيف اليها نفسا اخرى لم تسع الفأرة
في جحرها علقت المكسر في دبرها، وكان سفيان يقول : يا حبذا العزبة والمفتاح ومسكن
تخرقه الرياح لاصخب فيه ولا صباح ﴿ والشغل عنه تعالى بتدبير المعيشة ﴾ ومنه
قوله تعالى : ﴿ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَهَلَاكُنَا فَاسْتَغْفِرْنَا ﴾ ﴿ وجمع المال ﴾ في الحال ﴿ والادخار ﴾
الاستقبال ﴿ والتفاخر ﴾ بالتكاثر بالاموال والاولاد بين الرجال وكل ما شغل عن
الله فهو مذموم في الحال والمآل، ومن هنا قال بعض الفضلاء : ضاع العلم في الخاذا للنساء،
وقال ابن ادم : من تعود الخاذا للنساء لم يحى منه شيء اى من مقامات الاولياء، وقال
أبو سليمان من تزوج ركن الى الدنيا اى واشتغل عن المولى وعن زاد المعنى ﴿ والاستغراق
بالتمتع ﴾ اى الاتفاع بالنساء ﴿ والمؤانسة ﴾ اى بالاجتماع معهن في المسكالم والمجالسة
اذا عرفت ذلك وميزت بين الفوائد والآفات هنالك ﴿ فان تحققت الفائدة ﴾ بجميع
افرادها ﴿ وانتفت الآفة ﴾ بتمام موادها ﴿ يتعين النكاح ﴾ لمن قدر عليه بان كان له مال
حلال وخلق حسن وجد في الدين بان لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب
محتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج الى تدبير المنزل والمعيشة ﴿ وان انعكس ﴾
بان انتفت الفائدة وتحققت الآفة ﴿ يتعين التجرد ﴾ فلا يميل اليه ﴿ وان تقابلا ﴾ اى

يَأْخُذُ بِالرَّاجِحِ. فَقَوَاتُ الشُّغْلِ بِهِ تَعَالَى وَطِيبَ اللَّقْمَةِ الْفَحْشُ مِنْ قَوَاتِ
الْوَلَدِ لِأَنَّهُ لَا يَجْبِرُهُمَا وَلَا نَهْيُهُمَا مُوْهُومٌ وَهُمَا نَاجِرَانِ، وَكَذَا الزَّنا الْفَحْشُ مِنْ
كَسْبِ الْحَرَامِ لِأَنَّهُ قَتْلٌ حَكْمِيٌّ بِتَحْصِيلِ وَلَدٍ لَيْسَ بِهِ مَنْ يَقُومُ بِحَقِّهِ. وَلَا نَهْيُهُ
حَرَامٌ لِعَيْنِهِ. وَالْكَسْبُ لَغَيْرِهِ بِخِلَافِ النَّظَرِ. وَالْهَمُّ لِدَوَامِ الْكَسْبِ وَسِرَايَةِ
شَرِّهِ إِلَى الْغَيْرِ

الجنسان من الفوائد والآفات ﴿ يأخذ بالراجح ﴾ من الحالات ﴿ ققوات الشغل به ﴾
تعالى وطيب اللقمة أفحش من ققوات الولد ﴿ بترك النكاح ، وصورته ان شخصا اذا
تزوج بفوته الشغل بالمولى ويقع فى لقمة الحرام من كسب الدنيا لكن يحتمل انه يحصل
الولد له فيمنعه فى العقبي فالراجح عدم التزوج ﴿ لانه ﴾ أى وجود الولد على الفرض
والتقدير ﴿ لا يجبرهما ﴾ أى لا يبنى بمقابلة ققوات الشغل وطيب اللقمة ﴿ ولانه ﴾ أى الولد
﴿ موهوم ﴾ وجوده ﴿ وهما ﴾ أى فوتهما ﴿ ناجران ﴾ أى نافذ كل واحد فى مرتبة
شهوده ﴿ وكذا الزنا ﴾ أى وقوعه ﴿ افحش من كسب الحرام ﴾ وصورته ان شخصا
اذا تزوج وقع فى كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع فى الزنا فالراجح التزوج ﴿ لانه ﴾
أى الزنا ﴿ قتل حكى بتحصيل ولد ليس به من يقوم بحقه ﴾ لان ولد الزنا كل احد
يكرهه ولا اعتبار لنسبه وحسبه ﴿ ولانه ﴾ أى الزنا ﴿ حرام لعينه ﴾ أى لذاته مع عدم
ملاحظة سائر جهاته ٥ (والكسب) ٥ أى لان كسب مال الحرام حرام ٥ (لغيره) ٥
أى لآلذاته بل لاجل انه تعلق به حق غيره ، والحاصل ان كسب الحرام اهن الشرين
فى هذا المقام ٥ (بخلاف النظر والهمل) ٥ أى القصد بفعل الزنا ، وصورته ان شخصا اذا
تزوج وقع فى كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع فى النظر والهمل فالراجح عدم التزوج
فهما ليسا بافحش من كسب الحرام بل هو افحش منهما ٥ (لدوام الكسب) ٥ أى وندور
النظر والهمل ولان كسب الحرام كبيرة وكل من النظر والهمل صغيرة ٥ (وسراية شره) ٥
أى شر كسب الحرام ٥ (الى الغير) ٥ من الزوجة والولد ونحوهما ، وأيضا النظر زنا
العين ولكن اذا لم يصدق الفرج فهو اقرب الى العفو من أكل الحرام الا أن يخاف من
افضاء النظر الى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف الغت بخلاف النظر والهمل من
حيث لا يتعدى شرهما الى الغير فاذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهى ان يقوى على غض

وَعِنْدَ الْأَمْنِ؛ فَالْأَوَّلَى الْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِبَادَةِ وَهُوَ عِنْدَ عَظَمِ الْقُوَّةِ كَمَا كَانَ
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ لَمْ يَقْدِرْ فَالنِّكَاحُ لِصَاحِبِ الظَّاهِرِ وَالْعَزُوبَةُ
لِصَاحِبِ الْبَاطِنِ كَالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ثُمَّ الْأَصْلُ تَرْكُ الشَّاعِلِ عَنْهُ تَعَالَى فَيَنْظُرُ

البصر لكن لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب فالأولى ترك النكاح لأن عمل
القلب إلى العفو أقرب فأنما يراد فراغ القلب لعبادة الرب ولا يتم العبادة مع كسب الحرام
والأكل وإطعامه في العبادة (وعند الأمن) من الآفات (فالأولى الجمع بينه) * أى
بين التزوج (وبين العبادة) * فانه أكل الحالات وأفضل المقامات * (وهو) * أى
الجمع (عند عظم القوة) * في الدين كقوة النبوة والولاية فنزوت شوكة همته وعلت
صولة نهيمته فلا يشغله شاغل عن ذكر الرب والتوجه إلى حضرته * (فما كان لرسول الله
ﷺ) * وصحابته * (وان لم يقدر) * أى على الجمع بينهما * (فالنكاح لصاحب الظاهر) *
أى لمن يشتغل بالعمل الظاهر أولى ومنهم أرباب العبادة (والعزوبة لصاحب الباطن)
أى عمله ومنهم أصحاب المعرفة أقوى * (كالمسيح عليه السلام) * وتحققه ما قاله حجة
الاسلام ان نينا عليه الصلاة والسلام مع تسع من النسوة كان متخليا للعبادة ومتخليا
لتجلى الحضرة فكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه عليه السلام غير مانع له من المرام
فلا يكون قضاء الحاجة في حق العوام من المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم
من تدبيرهم حتى أنهم يشتغلون في الظاهر بقضاء حاجاتهم وقلوبهم مستغرقة بهم
غير غافلة عن مهماتهم فكان عليه السلام لعلومه من الدرجات في المقام لا يمنعه أمر
هذا العالم عن حضور القلب مع الرب فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ومتى
يسلم مثل هذا المنصب لغيره في حالته فلا ينبغي ان يقاس عليه من لا مناسبة له اليه وأما
عيسى عليه السلام فانه أخذ بالحزم في طاعته لا بالقوة في حالته ولعل حالته كانت حالة يؤثر
فيها الاشتغال بالأهل والعيال أو يتعذر معهم طلب الحلال أو لا يتيسر له الجمع بين النكاح
والتخلي للعبادة على وجه الكمال فأثر التخلي للعبادة في عموم الأحوال وهم اعلم
بأسرار أحوالهم وأحكام اعصارهم في مطالب انوارهم، وسبحان من اقام العباد فيما
اراد (ثم الأصل) * أى الذى عليه مدار العمل في النكاح والعزوبة ونحوهما (ترك
الشاغل عنه تعالى) * فقد قل عزوعلا: (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم
عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) (فينظر) * أى يتفكر ويتأمل

وَيَخْتَارُ بِحَسَبِ الْبَاطِنِ . وَصَلَحَ الْقَلْبُ وَيَجْتهدُ الْمُتَخَلِّي فِي تَرْكِ أَغْذِيَةٍ تُحَرِّكُ
الشَّهْوَةَ وَقَطْعُهَا بِالصَّوْمِ الدَّائِمِ وَالِاقْتِصَارِ عِنْدَ الْإِفْطَارِ وَغَضُّ الْبَصَرِ وَهُوَ
بِالْإِعْتَزَالِ ، وَوَرَدَ (قُلْ لِلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ) وَجَعَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لِكُلِّ عَضْوَانٍ ، هَذَا وَالنَّظَرَ يَهْجِجُ الْوَسَاوِسَ . وَرَبَّمَا يَتَعَلَّقُ الْقَلْبُ وَيَتَعَذَّرُ
الْوُصُولُ فَيَفِضِي إِلَى التَّعَبِ الشَّدِيدِ مَا يَسْتَوْفِي الْقَلْبَ . وَأَيْضًا كُلُّ عَضْوٍ يَصْلُحُ
لِنِعْمَةٍ أُخْرَى

(وَيَخْتَارُ) ما هو الأول من النكاح وتركه (بحسب الباطن) أي صفاته (وصلاح
القلب) أي وضيائه (وَيَجْتهدُ الْمُتَخَلِّي) أي المتجرد للعبادة باختيار العزوبة (في
ترك اغذية) جمع غداء وهو ما يتغذى به من غذاء وعشاء (تحرك الشهوة) أي
تقويها من هريسة ونحوها (وقطعها بالصوم الدائم) فانه لها وجاء أي دواء كما تقدم
واصل الوجار رض الخصيتين (والاقْتِصَارُ) أي بالاختصار (عند الإفطار) على
التوسط في الأكل (وغض البصر) عن المحرمات (وهو بالاعتزال) يحصل على
وجه الكمال والافتعسر في جميع الأحوال (وَوَرَدَ قُلْ لِلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ)
تمامه (وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) وفي عطف الجملة الثانية إشارة إلى أن مدارها على الأولى في
المحافظة (وَجَعَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِكُلِّ عَضْوَانٍ) فغن ابن مسعود « العيان تزنيان واليدان
تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزني » أحمد والطبراني (هذا) أي خذ هذا أو هذا
مضى (وَالنَّظَرَ يَهْجِجُ الْوَسَاوِسَ) أي يعثها ويحرك الهواجس (وَرَبَّمَا يَتَعَلَّقُ
الْقَلْبُ) بالمنظور إليه (وَيَتَعَذَّرُ الْوُصُولُ) بما لديه (فَيَفِضِي) ذلك التعلق (إلى
التعب الشديد بما يستوفي القلب) من التعلق بالمطلب ويمتنع بالكلية عن ذكر الرب فغن
عيسى عليه السلام انه قال : اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب الشهوة كفي بها صاحبها فتنة
ولقد احسن القائل من أهل الفضائل حيث قال :

وانت اذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر

(وأيضاً كل عضو يصلح لنعمة أخرى) فالرجل للشئ في رياض الجنة وقصورها

فَالْعَيْنُ لِلْقَائِنِ تَعَالَى حَقِيقٌ أَنْ تُصَانَ، ثُمَّ الصَّوَابُ فِي الْكَفِّ إِنْ قَدَّرَ وَلَا
فَالنَّجَاءُ وَلَا إِيَّاهُ إِنْ قَدَّرَ الْقَصْدَ، فَوَرَدَ «لَكَ الْأُولَى وَعَلَيْكَ الثَّانِيَةُ» وَالضَّرَرُ فِي
الْأَمْرِ أَشَدُّ لِمَتَاعِ الْوُصُولِ فِي الشَّرْعِ، وَيُرَاعَى الْمُتَزَوِّجُ الْإِعْتِدَالَ فِي الْوَقَاعِ
فَالْأَفْرَاطُ فِي الْجَمَاعِ يَقْهَرُ الْعَقْلُ بِصَرْفِ الْهَمَّةِ إِلَى التَّمَتُّعِ. وَيَحْرَمُ عَنِ الْمَقْصُودِ.
وَيُفْضَى إِلَى تَنَاوُلِ الْأَشْيَاءِ الْمُقْوِيَةِ لِلشَّهْوَةِ. وَهُوَ كَتْنِيهِ السَّبْعِ الضَّارِي وَالْعَشْقِ
وَهُوَ يَجْعَلُهُ أَضَلَّ مِنَ الْأَنْعَامِ.

واليد لكأس الشراب من طهورها وتناول ثمارها وحورها ﴿فالعَيْنُ لِلْقَائِنِ تَعَالَى
حَقِيقٌ أَنْ تُصَانَ﴾ أي تحفظ عما ليس في رضائه، والله در القائل :

وكيف ترى ليلي بعين ترى بها سواها وما طهرتها بالمدايع
وتظفر منها بالكلام وقد جرى حديث سواها في خروق المسامع

﴿ثم الصواب﴾ أي الطريق العدل للتخلي (في الكف) أي كف النظر وامتناع
البصر (أن قدر) على ذلك ﴿والا فالنَّجَاءُ﴾ أي الفرار عما هنالك (ولا إِيَّاهُ إِنْ قَدَّرَ
الْقَصْدَ) في النظره (فورد) أي أنه عليه السلام قال لعل : (لَكَ الْأُولَى وَعَلَيْكَ الثَّانِيَةُ) هـ
أي لك النظرة الأولى مباحة من غير قصد وعليك ضرر الثانية إذا كانت عن قصد
﴿والضرر﴾ أي ضرر النظر ﴿في الأمر أشد﴾ أي أقوى من المرأة ﴿لامتناع
الوصول في الشرع﴾ وزيادة القبح في العرف والفرع ﴿ويراعي المتزوج الاعتدال
في الوقاع﴾ أي الجماع وهو في كل أربع من الأيام والليالي كما سيأتي هـ (فالأفراط
في الجماع يقهر العقل) هـ أي يغلبه هـ (بصرف الهمة) هـ أي تمامها ﴿إلى التمتع﴾ بالشهوة
ونظامها هـ (ويحرم عن المقصود) هـ الذي هو القيام بالعبادة هـ (ويفضى إلى تناول
الأشياء المقوية للشهوة) هـ من المعاجين والأدوية والمركبة المفردة هـ (وهو) هـ أي
تناولها هـ (كتنبيه السبع الضاري) هـ أي الصائل على من يقربه والراحة في البعد
عنه أو القرب إليه مع نومه هـ (والعشق) هـ أي ويفضى إليه هـ (وهو) هـ أي العشق المعبر
عنه بفرط المحبة هـ (يجعله أضل من الأنعام) هـ حيث لا يفرق بين الحلال والحرام وربما
يصير مجنوناً فيما بين الأنام، وأما قال: أضل منها لأنها ترضى بقضاء شهوتها في أي

وَيَبْلُغُ الْخُطْبَةَ . وَإِنْ كَانَ تَزْوِجُهَا لِلْوَلِيِّ وَيَنْظُرُهَا قَبْلَهُ تَقْرِيبًا لِلْأَلْفَةِ .
وَيَعْقُدُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَوَرَدَ «اجْعَلُوهُ فِي الْمَسْجِدِ» وَفِي شَوَالٍ فَقِيهِ كَانَ نِكَاحُ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

يجل كان من نهمتها وهذا لضيق عقله لا يرضى الا في غير محله ويحصر موضع قصده
ولا يميل أبدا الى غيره هـ (ويبلغ هـ) عطف على يراعى أى ويوصل ((الخطبة))
بالكسراى الرسالة باظهار الرغبة لكن لافى حالة عدة المرأة ولا فى حال سبق غيره
بالخطبة اذ نهى عن الخطبة على الخطبة ، فى الصحيحين من حديث ابن عمر هـ ولا يخطب
على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذله ، ((وان كان تزويجها للولى)) بان
كانت صغيرة هـ (وينظرها هـ) أى ويرى وجه المخطوبة ((قبله)) أى قبل العقد ((تقريرا
للألفه)) فيستحب النظر اليها فانه احرى ان يؤلف بينهما ، فى الخبر « اذا وقع الله فى نفس
احدكم من امرأة فلينظر اليها » ابن ماجه بسند ضعيف من حديث محمد بن مسلمة ،
ولترمذى . وحسنه . والنسائى . وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبة « أنه خطب
امراة فقال له النبي ﷺ : انظر اليها فانه احرى أن يؤدم بينكما » وفى صحيح مسلم من
حديث أبى هريرة « ان فى أعين الانصار شيئا فاذا أراد احدكم أن يتزوج منهن فلينظر
اليهن » قيل كان فى أعينهم عمش وقيل صفر أو صفره ، وكان من الورعين من لا ينكح
كريمته الا بعد النظر احترازا من الغرر وعملا بالخبر ، وقال الأعمش : كل تزويج يقع
على غير نظر فآخره هم وغم ، ولعل وجه الاكتفاء بالنظر لأن الغالب اجتماع حسن
الخلق والخلق فان الظاهر عنوان الباطن هـ وللنسائى من حديث أبى هريرة بسند صحيح
« خير نساءكم التى اذا نظر اليها زوجها سرته واذا أمرها اطاعته واذا غاب عنها
حفظته فى نفسه وماله » وفى رواية « لا تخالفها فى نفسها ولا ماله » ((ويعقد فى المسجد))
مع احضار جمع من أهل الصلاح فى المشهد ((فورد اجعلوه)) أى عقد النكاح
((فى المساجد)) رواه ابن ماجه عن عائشة مرفوعا بسند حسن . وابن حبان من حديث
عمرو بن أمية الضمرى بلفظ « أعلنوا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه
بالدف » ((وفى شوال)) قد يتبادر من قوله فى شوال انه عطف على فى المساجد فيكون
الامر به واردا وليس كذلك بل هو عطف على فى المسجد أى ويعقد فى شوال ردا
على من كره العقد بين العبدین ((فقيه)) أى فى شوال ((كان نكاح عائشة رضى الله عنها))

وَزَفَافُهَا . وَيَقْدُمُ الْخُطْبَةُ . وَالتَّحْمِيدُ . وَالصَّلَاةُ فِي كُلِّ مِنَ الْإِجَابِ
وَالْقَبُولِ . وَلَا يَزَوِّجُ لِعَزْهَا وَمَالِهَا وَجَمَالِهَا فَبِهِ وَعَيْدُ ، وَيَخْتَارُ الْمَدِينَةَ لثَلَا
تُفْسِدَ الدِّينَ ، فُورِدَ « عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ » وَالْحَسَنَةُ الْخُلُقِ

أى عقدها (وزفافها) أى وصولها ففى صحيح مسلم عن عائشة « تزوجنى رسول الله ﷺ فى شوال وبنى فى شوال » (ويقدم الخطبة) بالضم - يعنى المعروفة فى السنة - وهى الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدى الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والآرحام ان الله كان عليكم رقيبا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) رواه الأربعة . والحال . وأبو عوانة عن ابن مسعود (والتحميد والصلاة) أى على النبى عليه السلام (فى كل من الإيجاب والقبول) فيقول المزوج : الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتى فلانة على صداق كذا فيقول الزوج : الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها لنفسى على هذا الصداق (ولا يتزوج) أى امرأة (لعزها) أى جاهها (ومالها وجمالها) فورد « وتنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين ، متفق عليه من حديث أبى هريرة (فقيه وعيد) وهو « من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم ماله وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله ماله وجمالها » كذا فى الاحياء ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس « من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله الا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزد الله الا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله الا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يردبها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه » ورواه ابن جبان فى الضعفاء « لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يردبها » ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمرو بسند ضعيف (ويختار المدينة لثلاث تفسد الدين) على زوجها (فورد عليك بذات الدين) كما تقدم (والحسنة الخلق) بالضم أى السيرة فانها أحسن من الحسنة الخلق بالفتح وهو

لِيَحْصُلَ الْفَرَاغُ، وَالْجَمِيلَةُ فَالْصَّيَانَةُ فِيهِ أَكْثَرُ. وَالْمَنْعُوعُ هُوَ الْأَكْتَفَاءُ بِالْجَمَالِ
إِلَّا أَنْ يَكُونَ زَاهِدًا فَيَعْرِضُ عَنْهُ لِأَنَّهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَقَلِيلَةُ الْمَهْرِ، فَوَرَدَ « خَيْرُ
النِّسَاءِ أَرْخَصُهُنَّ مَهْرًا » يَمْنُ الْمَرْأَةُ خَفَةَ مَهْرَهَا وَيَسِرُّ نِكَاحَهَا وَحَسَنُ خَلْقِهَا.

الصورة (ليحصل الفراغ) أى فراغ الخاطر، وهذا أصل مهم في الدين والدنيا بحسب
الباطن والظاهر (والجميلة) أى الحسنة الصورة (فالصيانة فيه) أى في هذا
النوع (أكثر) والقناعة فيه أظهر، وقد أخرج الحكيم الترمذى في نوادره أن
زكريا عليه السلام تزوج فتاة جميلة رائعة قد أشرق لها البيت حسنا قليل له في ذلك
فقال: أكف بها بصرى واحفظ بها فرجى (والمنعوع) على ما تقدم (هو الاكتفاء
بالجمال) مع قطع النظر عن صلاح الدين والكمال (إلا أن يكون) استثناء من
قوله ويختار الجميلة (زاهدا) أى غير راغب في لذات الدنيا (فيعرض عنه لأنه
من الدنيا) بل أكبر لهواتها وأعظم شهواتها ولأنه يقل مؤنة غير الجميلة وآفاتنا
وكان مالك بن دينار يقول: ترك أحدكم أن يتزوج ببيعة فقيرة فيؤجر فيها أن اطعمها
وكساها وتكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان - يعنى أبناء
الدنيا - فتشتمى عليه الشبهوات فتقول: اكسنى كذا وكذا « وقال أبو سليمان الداراني:
الزهد في كل شيء حتى في المرأة تزوج الرجل بعجوز أثارا للزهد في الدنيا، واختار
أحمد بن حنبل عورا على أختها وكانت أختها جميلة فسأل عن اعقلهما قليل العورا
فقال: زوجوني إياها (وقليلة المهر فورد خير النساء أرخصهن مهورا) ابن حبان
من حديث ابن عباس ولفظه « خيرهن أيسرهن صداقا » (يمن المرأة خفة مهرها
ويسر نكاحها) ابن حبان من حديث عائشة « من يمن المرأة تسهيل أمرها
وقلة صداقها أى مهرها ، وقد جعل صداق فاطمة أربع مائة درهم وهى أفضل النساء
من جهة النسب والحسب إجماعا (وحسن خلقها) يحتمل الضم والفتح وهو
أظهر لما روى أبو عمر التوفائى « أن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وقلبن
مهورا » ولفظ الاحياء « أرخصهن مهورا وأحسنن وجوها » ولأحمد والبيهقى « أن
أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا » واسناده جيد، وفي لفظ لهما من حديث عائشة
« من يمن المرأة أن تيسر خطبتها وأن تيسر صداقها وأن تيسر رحبها » قال عروة يعنى
الولادة واسناده جيد، وورد أنه عليه السلام « تزوج بعض نسائه على عشرة دراهم

وَالْوُلُودَ لِأَنَّ الْوَلَدَ هُوَ الْمَقْصُودُ، وَوَرَدَ «عَلَيْكُمْ بِالْوُلُودِ» وَالْبَكَرَ،
فُورَدَ «هَلَّا بَكَرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ» وَفِيهَا شِدَّةُ الْحُبِّ وَالْأَلْفَةِ وَالْثِيْبُ تَبْغِضُ
صَفَاتٍ تُخَالِفُ مَا لَوْ قَاتَهَا. وَيَمِيلُ طَبْعُهَا إِلَى الْأَوَّلِ. وَيَنْفَرُ الزَّوْجُ الثَّانِي
لَوْ ذَكَرَتْهُ. وَالنَّسِيَةَ مِنْ

وَأَثَاتِ بَيْتٍ وَكَانَ رَحِي بِدَوَجَرَةٍ وَوَسَادَةٍ مِنْ أَدَمَ حَشَوَهَا لِفٍ، كَذَا فِي الْأَحْيَاءِ. وَقَالَ
الْعِرَاقِيُّ: رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ. وَالْبَزَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ «تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ عَلَى مَتَاعٍ قِيمَتُهُ عَشْرَةُ دَرَاهِمَ، قَالَ الْبَزَارِيُّ: رَوَيْتُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ «تَزَوَّجَهَا عَلَى
مَتَاعٍ بَيْتٍ وَرَحِي قِيمَتُهُمَا أَرْبَعُونَ دَرَاهِمًا، وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَلَا حُدُودَ مِنْ حَدِيثِ
عَلَى «لَمَّا زَوَّجَهُ فَاطِمَةَ بَعَثَ مَعَهَا بِخِمْلَةٍ وَوَسَادَةٍ أَدَمَ حَشَوَهَا لِفٍ وَرَحَايِينَ. وَسَقَاهُ
وَجَرَتَيْنِ، وَرَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ. وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَ اسْنَادَهُ. وَابْنُ حَبَانَ مَحْتَصِرٌ أَدَمَ وَكَانَ عَمْرُ
يَنْهَى عَنِ الْمَغَالَاتِ وَيَقُولُ: مَا تَزَوَّجَ ﷺ وَلَا زَوْجَ بَنَاتِهِ بِأَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِينَ دَرَاهِمَ،
رَوَاهُ أَصْحَابُ السَّنَنِ الْأَرْبَعَةُ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَدْ تَزَوَّجَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ عَلَى وَزْنِ
نَوَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَتَقْوِيمُهَا بِخَمْسَةِ دَرَاهِمَ، وَأَصْلُ الْحَدِيثِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ
وَزَوْجِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ابْنَتَهُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَدَاعَةَ عَلَى دَرَاهِمِينَ ثُمَّ حَلَّهَا هُوَ إِلَيْهِ لَيْلًا
فَادْخَلَهَا مِنَ الْبَابِ ثُمَّ انْصَرَفَ لِحَاجَتِهَا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَسْلُمُ عَلَيْهَا (وَالْوُلُودَ لِأَنَّ الْوَلَدَ
هُوَ الْمَقْصُودُ) أَيْ الْأَعْظَمُ مِنَ النِّكَاحِ وَهُوَ التَّنَاسُلُ فَاتَّقَدَّمَ (وَوَرَدَ عَلَيْكُمْ بِالْوُلُودِ)
أَبُو دَاوُدَ. وَالنَّسَاءُ مِنْ حَدِيثِ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ وَالْوُلُودَ، وَاسْنَادُهُ صَحِيحٌ.
وَالْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ مَرْسَلًا خَيْرَ نَسَائِكُمُ الْوُلُودُ وَالْوُدُودُ، وَابْنُ
حَبَانَ مِنْ حَدِيثِ يَزِيدِ بْنِ حَكِيمٍ «سُودَاءُ وَلُودٌ خَيْرٌ مِنْ حَسَنَاءِ لَا تُلِدُ، وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَصِيرِ
فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ خَيْرٌ مِنْ امْرَأَةٍ لَمْ تُلِدْ (وَالْبَكَرُ فُورَدَ هَلَّا بَكَرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ) مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ وَقَدْ نَكَحَ ثُبَيَّا (وَفِيهَا شِدَّةُ الْحُبِّ وَالْأَلْفَةِ) لَمَّا فِيهَا مِنْ عَدَمِ
الْخِلَاطَةِ وَالْكَلْفَةِ (وَالثِيْبُ تَبْغِضُ صَفَاتٍ) فِي الزَّوْجِ الثَّانِي (تُخَالِفُ مَا لَوْ قَاتَهَا) وَتَبَايَنَ
مَا كَانَتْ تَلْقَى فِي أَزْوَاجِهَا مِنْ مَعْرُوفَاتِهَا (وَيَمِيلُ طَبْعُهَا إِلَى الْأَوَّلِ) فَاقْبَلِ:

هـ مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ. وَلِذَا قِيلَ: الْمَرْأَةُ الَّتِي تَزَوَّجَتْ بِمُتَعَدِّدَةٍ تَكُونُ فِي الْجَنَّةِ مَعَ
الْأَوَّلِ، وَقِيلَ مَعَ الثَّانِي، وَقِيلَ مَعَ أَحْسَنِهِمْ خُلُقًا وَهُوَ الْأَوَّلُ (وَيَنْفَرُ الزَّوْجُ الثَّانِي لَوْ
ذَكَرَتْهُ) أَيْ الزَّوْجُ الْأَوَّلُ يَبْغِضُ مَحَاسِنَهُ كَمَا فِي الْعَكْسِ (وَالنَّسِيَةَ) الْبَكَاتَةَ (مِنْ

أَهْلُ الدِّينِ لَيْسَ الصَّلَاحُ إِلَى الْوَلَدِ، قُورِدَ « أَيَاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمَنِ »
 أَيِ الْحَسَنَاءِ مِنْ مَنَبَتِ السُّوءِ. وَغَيْرِ الْقَرَابَةِ الْقَرِيْبَةِ فَهِيَ تَنْقُصُ الشَّهْوَةَ، وَنَهَى
 عَنْهُ مُعَلَّلًا بِأَنَّ الْوَلَدَ خُلِقَ مَهْزُولًا، وَجَاءَ الْاجْتِنَابُ عَنِ الطَّوِيلَةِ الْمَهْزُولَةِ.
 وَالْقَصِيرَةِ الدِّمِيعَةِ. وَالْمُسْتَنَةِ. وَالْمُكْثَارَةِ وَذَاتِ وَلَدٍ

أهل الدين) كبتات العلماء والاشراف والصالحاء دون الظلمة والامراء وسائر الاغنياء
 (ليسرى الصلاح الى الولد) فان الولد سراهيه (قورِد اياكم وخضراء الدمن) تمامه
 « قفيل وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء ، الدار قطنى في الافراد من
 حديث أبى سعيد الخدرى قوله : (أى الحسناء من منبت السوء) من أصل الحديث
 لا من تفسير المصنف ، وذكر صاحب تحفة العروس عن عمر موقوفا ولفظه « اياكم
 وخضراء الدمن فانها تلد مثل أصلها وعليكم بذات الاعراق فانها تلد مثل أبيها وعمها
 وأخيها ، هو الدمن جمع دمنة بكسر الدال المهملة وهى البعر ، شبت المرأة الحسناء الفاسدة
 بالنبات يثبت على البعر في الموضع الخبيث فان ظاهره حسن وباطنه فاسد ، والاعراق
 جمع عرق والمراد به الأصل ، وقد ورد « تخيروا لنطفكم » ابن ماجه من حديث
 عائشة مختصرا والديلى في مسند الفردوس من حديث أنس « تزوجوا فى الحجر
 الصالح فان العرق دساس » (وغير القرابة القريبة فهى تنقص الشهوة) لأن ميل
 النفس غالبا الى القريبة ولذا تضعف الشهوة بالنسبة الى العتيقة وتقوى عند رؤية
 الجديدة فتضعف الشهوة يستلزم الهزال فى الولد ، وهذا معنى قوله (ونهى عنه معللا
 بأن الولد خلق مهزولا) فعن عمر انه قال لآل السائب « قد اضويتم فانكمحوا فى
 التراب » رواه ابراهيم الحربى فى غريب الحديث ، وقال : معناه تزوجوا الغرائب
 ويقال : اغتربوا لا تضربوا ، والطبرانى عن طلحة بن عبيدالله « لنا كح فى قومهم كالمعشب
 فى داره » وفى اسناده سليمان بن أيوب بن سليمان الطلىحى ، قال ابن عدى : « عامة احاديثه
 لا يتابع عليه أحد » ورواه يعقوب بن شيبه فى مسنده وقال : أحاديثه عندى صحاح
 ورجحها الطياء المقدسى فى المختارة (وجاء الاجتناب عن الطويلة المهزولة والقصيرة
 البهيمية) بالمهملة أى القسيحة وبالمعجمة أى المذمومة (والمستنة) أى العجوز الكبيرة
 (والمكثارة) أى الكثيرة الكلام (وذات ولد) أى من غيره ، فى مسند الامام

ثُمَّ رِعَايَةُ تِلْكَ الْأَوْصَافِ فِي الزَّوْجِ أَوَّلَى

أنى حنيفة عن حماد عن إبراهيم قال: أخبرني شيخ من أهل المدينة عن زيد بن ثابت أنه جاء إلى النبي ﷺ وقال له هل تزوجت يا زيد؟ قال: لا قال: تزوج تستمع مع عفتك ولا تتزوجن خمساً قال: ما هن؟ قال: لا تتزوجن شهيرة ولا نهيرة ولا هيرة ولا هيرة. مولانا لغونا قال زيد: يا رسول الله لا أعرف شيئاً مما قلت قال: بلى أما الشهيرة فالزرقاء البدينة وأما النهيرة فالطويلة المهزولة، وأما الهيرة فالعجوز المديرة، وأما الهيرة فالقصيرة الدميعة وأما اللغوت فذات الولد من غيرك، قال الشيباني: ضحك أبو حنيفة من هذا الحديث طويلاً قلت والحديث رواه الديلمي عن أبي هريرة، وقال بعض العرب: لا تنكح من النساء ستاً أئنة. ولا منانة. ولا حنانة. ولا براقة. ولا حداقة. ولا شدافة. فالأئنة التي تكثر الأئنين والمنانة التي تمن على زوجها بخدمتها أو مالها والحنانة التي تمنح إلى زوج آخر أو لها ولد مزوج آخر والحدافة التي ترمى كل شيء لحدقتها فتشبهه وتكلف الزوج بشرائه بما لا طاقة له فيه، والبراقة التي تكون طول نهاره في تصقيل وجهها وتزيين بدنها والشدافة المتشدقة الكثيرة الكلام، ويحكى أن السائح الأزدي لقي الياس عليه السلام في سياحته فأمره بالتزوج ونهاه عن التبتل وقال: لا تنكح أربعا المختلعة والمبارية والعامرة والناشرة والمختلعة هي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب وعلة، والمبارية المباهية لعزها المفاخرة بمالها والعامرة الفاسقة والناشرة المرتفعة بنفسها على زوجها والمخالفة في أمرها ونهيها (ثم رعاية تلك الأوصاف في الزوج أولى) فإن الطلاق بيد من له الساق فالوقوع في تصرفه أقوى كما لا يخفى، وعن عائشة واسماء بنتي الصديق: النكاح رق فليظن أحدكم أين يضع كريمته، قال البيهقي: روى ذلك مرفوعاً والموقوف أصبح وورد «من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمتها» ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس ورواه الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح وروى ابن بلال وأوصيها أيتها أهل بيت من العرب غطبا إليهم فقيل لهما: من اتما؟ فقال بلال أنا بلال وهذا أخي صهيب كناضالين فهدانا الله وكناعملو كين فاعتقنا الله وكناعائلين فاعانانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وإن رددتمونا فسيحان الله فقالوا: بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال: لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ فقال: اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق، وكما تكره المغالاة في المهر من جهة المرأة يكره سؤال الرجل أيضا عن مالها، قال الثوري: إذا تزوج الرجل وقال أي شيء للمرأة فاعلم أنه لص، وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي

ويهادى ، فورد « تهادوا تحابوا » ويولم فهو مروى عنه عليه السلام
 قولاً وفعلًا ، ويعجل بها فهي في اليوم الأول سنة . وفي الثاني متعارف ، وفي
 الثالث رياء ،

جماعة فمن أزواجهما قال : بمن يتقى الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها ، وعن
 علي شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة اذا كانت
 بخيلة حفظت مالها وقال زوجها واذا كانت مزهوة استخفت ان تكلم كل احد بكلام
 لين مريب في حقها وان كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها قبل واذا كانت
 المرأة حسنة خيرة الاخلاق سوداء الحدة والشعر كبيرة العين يضاء اللون محبة لزوجها
 قاصرة الطرف عليه . فهي على صورة الجور العين فان الله عز وجل وصف نساء الجنة
 بهذه الصفات في قوله : (خيرات حسان) أراد بالخيرات حسن الاخلاق وفي قوله : (قاصرات
 الطرف) وفي قوله (عربا ترايا) فالمعروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبذلك
 تتم اللذة ، والجور البيض والحوراء شديدة يياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر
 والعيناء الواسعة العين هذا ، وفي الحديث ، لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر
 بكم الامم ، الطبراني . والحاكم عن عياض بن غنم ، وللشيرازي وعليكم بشواب النساء
 فانهن اطيب افواها وانتقبطونا أي ارحاما واسخن اقبالا ، (ويهادى) أي كل منهما
 صاحبه قبل التزوج أو الرجل لانه أولى ان يكون في هذا الفعل هو البادي (فورد تهادوا
 تحابوا) البخاري في كتاب الادب المفرد والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند جيد
 « واذا أهدى شيئا فلا ينبغي ان يهدى ليضطرم الى المقابلة بأكثر منه » وكذا
 اذا هدوا اليه فنية طلب الزيادة فاسدة كما يشير اليه قوله تعالى : (ولا تمنن تستكثر)
 أي لا تعط لتطلب أكثر (ويولم) أي يصنع الوليمة وهي طعام العرس للمرأة النكيسة
 (فهو مروى عنه عليه السلام قولاً) وهو قوله عليه السلام لابن عوف « أولم ولو
 بشاة » مالك والجماعة عن أنس والبخاري عن ابن عوف (وفعلًا) ففي البخاري من
 حديث عائشة « أولم على بعض نساءه بمدين من شعير » وفي السنن الأربعة من حديث
 أنس « أولم على صفية بسويق وتمر » ولمسلم لجعل الرجل يجي بفضل التمر وفضل السويق
 وفي الصحيحين ، التمر والاقط والسمن ، (يعجل بها فهي في اليوم الأول سنة) أي
 مؤكدة قربة الى الواجب (وفي الثاني متعارف) أي استحبابه (وفي الثالث رياء.)

وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ فَهُوَ إِذَا، وَيُعْلَنُ فُورَدَ «أَعْلَنُوا النِّكَاحَ»
وَيَنْثُرُ السُّكْرَ وَاللُّوزَ عَلَى رَأْسِهَا. وَيَنْتَهَبُ الْقَوْمَ فَهُوَ سَنَةٌ

اي وسبعة في بابه فعن ابن مسعود مرفوعا «طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة» الترمذي والمعنى «إذا أحدث الله تعالى نعمة لعبده قوله أن يحدث شكرا» واستحب ذلك في الثاني جبرا لما يقع من نقصان في اليوم الأول فإن السنة مكمله للواجب واما اليوم الثالث فليس الارياء وسبعة، ومن هنا قالوا: تجب الاجابة على المدعو في الأول وتستحب في الثاني وتحرم في الثالث ثم يستحب التهمة له بان يقال له بارك الله لك وعليك وجمع بينكما في خير كما رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه عن أبي هريرة «ولا يخطب على خطبة أخيه» وقد تقدم ماورد من نهيه عليه السلام «فهو أيداء» أي للثمن وهو حرام قال تعالى: (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) وورد «من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله» الطبراني في الأوسط عن أنس «ويعلن» اي خطبة النكاح فإن الخطبة يستحب اسرارها «فورداً علنوا النكاح» تمامه واجعله في المساجد واضربوا عليه بالدف، الترمذي من حديث عائشة وحسنه، وفي صحيح البخاري عن الربيع بنت معوذ «جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة ليلة نبي في مجلس على فراشي وجويريات لنا يضر بن بدوفهن ويندبن من قتل من آبائي الى ان قالت احداهن وقتنا نبي يعلم ما في غد فقال لها: اسكتي عن هذا وقل ما كنت تقولين قبلها» وللترمذي وحسنه والذسائي وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب فضل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت أي فرق ما بينهما بحسب الظواهر عند العامة فإن العقد بحضرة الشهود غالبا يكون في السرائر مع الخاصة، وقال الفقهاء: المراد بالدف مالا جلاجل له اذ وقع على خلاف القياس فيقتصر على موره اذ لم يكن في دف زمانه عليه السلام جلاجل. وأيضا فهي زيادة مستغنى عنها بحصول المقصود بدونها «وينثر السكر واللوز على رأسها وينتبه القوم فهو سنة» فقد أخرج أبو جعفر الطحاوي بسنده، وكذا البيهقي عن معاذ بن جبل «أن رسول الله ﷺ حضر ملاك رجل من الأنصار لجاءت الجوارى معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فامسك القوم أيديهم فقال عليه السلام: لم لا تنتهبون؟ قالوا: انك نهيت عن التهمة قال: أما العرسان فلا قال: فرأيت رسول الله ﷺ يجاذبهم ويجاذبونه واحتج

وَيَغْسِلُ الزَّوْجَ رِجْلَيْهَا. وَيَرْمِي الْمَاءَ فِي زَوَايَا الْبَيْتِ لَتَدْخُلَهُ الْبَرَكَةُ وَيَنْوِي
فِي الْمُبَاشَرَةِ تَحْصِينَ الْفَرْجِ. وَتَفْرِغِ الْقَلْبَ. وَيُسَمِّي فِي ابْتِدَاءِ الْوَقَاعِ. وَيَقْرَأُ
الْفَاتِحَةَ. وَيَسْأَلُهُ تَعَالَى الذَّرِيَّةَ الطَّيِّبَةَ. وَمُجَانِبَةَ الشَّيْطَانِ فَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ.

به الطحاوى على أن الثنار غير مكروه كما ذهب اليه أبو حنيفة وخص به على الاحاديث
التي فيها النهى عن التهمة ﴿ ويغسل الزوج رجليها ويرمي الماء في زوايا البيت
ليدخله البركة ﴾ لم أجده أصلا وإنما أخرج أحمد في المنائب من حديث أبي يزيد
المدني وقال : فأرسل النبي الى علي- أى بعد عقد فاطمة لا تقرب حتى آتيك لجاء النبي
ﷺ فدعا بماء فقال ماشاء الله أن يقول ثم نضح منه على وجهه ثم دعا فاطمة فقامت
اليه تعثر في ثوبها ورجلها قال في مرطها من الحياء فنضح عليها أيضا، وفي رواية ابن حبان
عن أنس انه عليه السلام لما زوج عليا فاطمة دخل البيت فقال لفاطمة : آتيني بماء
فقامت الى قعب في البيت فأنت فيه بماء فأخذه ووج فيه ثم قال لها : تقدمي فتقدمت
فنضح بين يديها وعلى رأسها وقال : (اللهم اني أعيد هذا بك وذريته من الشيطان
الرجيم) ثم قال لها : أدبري فأدبرت فصب بين كتفيها وقال : ما قال أولا ثم قال لعلي :
آتيني بماء فأتى به فنضح بين يديه ثم قال : اللهم اني أعيد بك وذريته من الشيطان
الرجيم، ثم قال أدبر فأدبر فصب بين كتفيه ودعا بما تقدم ثم قال له ادخل بأهلك
بسم الله والبركة ﴿ وينوي في المباشرة ﴾ أى المجامعة ﴿ تحصين الفرج ﴾ وكذا
العين لقوله سبحانه : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم)
﴿ وتفريغ القلب ﴾ أى عما يشغله عن ذكر الرب ﴿ ويسمى في ابتداء الوقاع ﴾
أى قبيل الجماع ﴿ ويقرأ الفاتحة ﴾ لم أجده الا في الاحياء من غير بيان الانباء. ﴿ ويسأله
تعالى الذرية الطيبة ﴾ اقتداء بذكرها عليه السلام حيث قال : (قال رب هب لي من
لذلك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) ﴿ ومجانبة الشيطان فهو مأمور به ﴾ فروى الجماعة
عن ابن عباس « أنه اذا أراد الجماع قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان
مارزقتنا فانه لو قضى بينهما ولم يضروه، وفي رواية البخارى « لم يضره شيطان أبدا »
ولابن أبي شيبة عن ابن مسعود وقوفه واذا أنزل قال اللهم لا تجعل للشيطان فيما
رزقني سبيلا » ومن آذابه أن ينحرف عن القبلة اكراما لها ويغطي نفسه وأهله بثوب
فقد قال عليه السلام : واذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردا تجرد البعيرين ، ابن ماجه

وَيَحْتَبُ اللَّيْلَ الْأَوَّلَ مِنَ الشَّهْرِ . وَالْآخَرَ . وَالْوَسْطَ فَهُوَ أَوْقَاتُ حُضُورِ
الشَّيْطَانِ . وَأَوَّلَ اللَّيْلَةِ لِيَكُونَ النَّوْمُ عَلَى الطَّهَارَةِ . وَيَلْبِثُ بَعْدَ الْفَرَاغِ لَتَفْرَغَ ،
وَيُبَاشِرَ كُلَّ أَرْبَعٍ لَيْالٍ فَهُوَ الْاِعْتِدَالُ اسْتِدْلَالًا بِأَبَاحَةِ الْأَرْبَعِ .

من حديث عتبة بن عبد يسند ضعيف، ويقدم المكاملة والملاعبة والقبلة، فلديلي في
مسند الفردوس من حديث أنس « لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقعن البهيمة وليكن
بينهما رسول قيل: وما الرسول يا رسول الله؟ قال: القبلة والكلام » () ويحْتَبُ اللَّيْلَ
الْأَوَّلَ مِنَ الشَّهْرِ وَالْآخِرَ وَالْوَسْطَ فَهُوَ () وفي نسخة فهي () أَوْقَاتُ حُضُورِ الشَّيْطَانِ ()
ويقال: إن الشياطين يحضرون الجماع في هذه الليالي ويقال: إن الشياطين يجامعون فيها،
وروى كراهية ذلك عن علي . ومعاوية . وأبي هريرة كذا في الأحياء () وَأَوَّلَ اللَّيْلَةِ ()
أى ويحْتَبُ أَوَّلَ كُلِّ لَيْلَةٍ () لِيَكُونَ النَّوْمُ عَلَى الطَّهَارَةِ () فانه أول من أن يكون
نومه على جنابة وإن جامع فيها فيستحب أن يغتسل أو يتوضأ أو يتيمم ثم يرقده، ففي
حديث عمر قلت للنبي ﷺ: « أينا من أهدانا وهو جنب؟ قال: نعم إذا توضأ » متفق عليه،
وعن عائشة « كان ينام جنباً لم يمس ماء » أبو داود . والترمذى . وابن ماجه
() وَيَلْبِثُ بَعْدَ الْفَرَاغِ () أى ويمكث الرجل بعد فراغ منه () لَتَفْرَغَ () أى المرأة
من انزال منها فان انزالها ربما تأخر فتسبب شهوتها ثم القعود عنها يكون إيذاء لها
() وَيُبَاشِرُ كُلَّ أَرْبَعٍ لَيْالٍ فَهُوَ الْاِعْتِدَالُ اسْتِدْلَالًا بِأَبَاحَةِ الْأَرْبَعِ () فقد روى أن
امراً جاءت الى عمر رضى الله عنه وعنده كعب بن سور فقالت: يا أمير المؤمنين إن
زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوه فقال عمر: نعم الرجل زوجك
فرددت كلامها وعمر لا يزيد ما على ذلك فقال كعب يا أمير المؤمنين إنها تشكو زوجها
في هجرة فراشها فقال له عمر: فكما فهمت اشارتها فاحكم بينهما فأرسل الى زوجها فجاء
فقال لها كعب: ما تقولين؟ فقالت :

يا أيها القاضي الحكيم أرشده • الهى خليلي عن فراشي مسجده

زهده في مضجعي تعبده • نهاده وليله ما يرقده

ولست في أمر النساء أحده

فقال لزوجها: ما تقول؟ فقال :

وَيَزِيدُ لِحَاجَتِهَا فَتَحْصِيْنُهَا وَاجِبٌ، وَيَتَّخِذُ كُلُّ مِنْهَا خِرْقَةً لَزَالَةٍ الْاِذَى ،
وَيَضَاجِعُ الْحَائِضَ . وَيُؤَاكِلُهَا . وَيُشَارِبُهَا مَخَالِفَةً لِلْمَجُوسِ . وَلَا يَأْتِيهَا جَانِبَ الدِّبْرِ
فَهُوَ اللَّوَاطَةُ الصَّغْرَى .

زهد في فراشها وفي الكلال • انى امرؤ اذهلنى ماقد نزل
فى سورة النجم وفى السبع الطول

فقال له كعب :

ان لها عليك حقاً يارجل • نصيبها فى أربع لمن عقل
فاعطها ذاك ودع عنك الملل

فقال له عمر من أين لك هذا؟ قال: لأن الله تعالى أباح للحر أربع زوجات فلكل واحدة يوم ويلة فأعجب ذلك عمر وجعله قاضى البصرة كذا فى الشمنى شرح النقاية مختصر الوقاية وهو ولى الهداية فى البداية والنهاية () ويزيد لحاجتها () وكذا لحاجته () فتحصينها واجب () وكذا تحصينه بل أوجب فى مقام دينه وحال يقينه () ويتخذ كل منهما خرقه () أى نظيفة () لازالة الاذى () وهو الملى لأنه نجس عندنا وعلى القول بطهارته كما هو فى مذهب الشافعى فلا يخلو عن كراهة الطبيعة مع أن الخروج عن الخلاف مستحب باجماع علماء الشريعة () ويضاجع الحائض () أى ويرقد معها ولا يحتب عن ان يعانقها () ويؤاكلها ويشاربها مخالفة للمجوس () واخوانهم من الروافض النحوس () ولا يأتيا جانب الدبر فهو () وفى نسخة فهى () اللواطه الصغرى () ولو جانب لفظ الجانب امكن أحسن فى تعيين المراتب فانه تعالى قال : () نسأؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم () أى مقبلات ومدبرات ومستلقيات ، وللتزمذى عن ابن عباس وقال حسن صحيح وان عمر جاء الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت قال: وما الذى اهلكك؟ قال: حولت رحلى البارحة فلم يرد عليه شىء وأوحى اليه () نسأؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم () يقول اقبل وادبر واتق الدبر والحیضة كذا فى المعالم وفى الصحيحين ان قوله () نسأؤكم حرث لكم () الآية نزلت ردا لليهود كانت تقول فى الذى يأتى المرأة من دبرها فى قبلها ان يكون الولد احول، ثم المراد بالحرث موضع الزراعة ومنبت الولد، واما الدبر فهو محل الروث والقرث وانما قال: اللواطه الصغرى

وَلَا يَدُومُ عَلَى تَرْكِ الْوَطْءِ فَهُوَ يُضْعَفُ الْقُوَّةُ . وَلَا يَبَاشِرُ بَعْدَ مُبَاشَرَةٍ أَوْ
اِحْتِلَامٍ إِلَّا أَنْ يَغْسِلَ نَفْسَهُ أَوْ يَبُولَ . وَلَا يَعْزِلُ فَهُوَ كَالْجُلُوسِ فِي الْمَسْجِدِ بِلاَ
عِبَادَةٍ . وَالْإِقَامَةُ بِمَكَّةَ بِلاَ حَاجٍ . وَلَا يَأْتُمُّ بِهِ إِنْ نَوَى اسْتِيقَاءَ الْمَلِكِ فِي الْجَارِيَةِ .
وَالْحُسْنِ . وَالسَّيِّئَةِ لِلتَّمَتُّعِ . وَالْحَيَاةَ بِالتَّحَرُّزِ عَنِ الْخَاضِ .

فان الكبرى انما هي مع الرجال ، ولا خلاف بين السلف والخلف في ان غشيان المرأة
والجارية في دبرها ملعون فاعله ونص مالك بحرمة فما نقل عنه افتراء ليس فيه
امتراء، كيف وغشيان الخائض حرام لكونه اذى واذى الدبر اشد واقوى ، وقد
ورد عن أحمد في المسند وأبي داود عن أبي هريرة مرفوعا « ملعون من أتى امرأة
في دبرها » وفي رواية لاحد وأصحاب السنن الأربعة عنه أيضا « من أتى كاهنا فصدقه
بما يقول أو أتى امرأة حائضا أو أتى امرأة في دبرها فقد بريء » بما أنزل على محمد ﷺ ،
(ولا يدوم على ترك الوطء فهو يضعف القوة) أي على قواعد اهل الحكمة
ولعل هذا بالنسبة الى كثير الشهوة (ولا يباشر بعد مباشرة او احتلام الا ان يغسل
نفسه) اي ذكره (او يبول) فانهما يقطعان المني فاذا خرج بعدهما شيء يكون مذبا
(ولا يعزل) والمعتمد ان يستأمر الحرة في العزل دون الأمة وكره جماعة العزل مطلقا
لما ورد من قوله عليه السلام : هو الوأد الخفي كافي مسلم من حديث جذامة بنت وهب
فانه القتل الحكي (فهو) أي العزل (كالجلوس في المسجد بلا عبادة) لانه طاعة
في موضع ليس فيه اثر فائدة سعادة (والاقامة بمكة بلا حج) أي في كل سنة وكذا بلا
طواف في كل يوم وليلة فالمراد بالكراهة ترك الاولى والفضيلة وبغاير العزل الوأد
الجلي بان الثاني جناية على موجود أو مشهود ولذا قال على كرم الله وجهه لا تكون مؤودة
الا بعد سبع أي سبعة اطوار وتلا الآية الواردة في اطوار الحلقة وهي قوله تعالى :
(ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) الى قوله
(ثم أنشأناه خلقا آخر) أي نفخنا فيه الروح (ولا يأتُمُّ به) أي بالعزل (ان نوى
استيقاء الملك في الجارية) بترك الاعتاق ثم اذ قطع اسبابه ليس بمنهى عنه (والحسن
والسيئة للتمتع) أي واستيقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع بها (والحياة
أي واستيقاء الحياة) بالتحرز عن الخاض (وهو جمع النفاس حال الطلق ، وهذا أيضا

وَالْخَوْفَ مِنَ الْإِفْضَاءِ . إِلَى كَسْبِ الْحَرَامِ فَكَانُوا يَعْزِلُونَ وَمَانُوا عَنْهُ . وَإِنْ كَانَ فِيهِ تَرْكُ الْفَضِيلَةِ . وَهُوَ التَّوَكُّلُ ، فَوَرَدَ « مَنْ تَرَكَ النِّكَاحَ خِفَافَةً الْعِيْلَةِ فَلَيْسَ مِنَّا » ، وَيَأْتِيهِمْ أَنْ خَافَ وَلَادَةَ الْبِنْتِ فَهُوَ عَادَةُ الْجَاهِلِيَّةِ . أَوْ أَرَادَ بِالْمُبَالَغَةِ فِي النِّظَاقَةِ فَهُوَ بَدْعٌ .

ليس منها عنه ﴿ والخوف ﴾ أي وان نوى المخافة ﴿ من الإفضاء الى كسب الحرام ﴾ بسبب كثرة الأولاد وما يترتب عليه من كثرة الخروج في البلاد ودخول مداخل السوق ومحافل الفساد ومشاركة أهل العناد ومباعدة الزهاد والعباد وهذا أيضا ليس بمنهى عنه ﴿ فكانوا ﴾ أي الصحابة ﴿ يعزلون وما هوأ عنه ﴾ في الصحيحين عن جابر « كئنا نزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل » زاد مسلم فبلغ ذلك نبي الله فلم ينهنا ، وفي رواية لمسلم من حديث أبي سعيد وانهم سألوه عن العزل فقال : لا عليكم ان لا تفعلوا ، ورواه النسائي من حديث أبي صرمة ، وفي صحيح مسلم عن جابر أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال ان لي جارية وهي خادمتنا وسائنتنا في النخل وانا اطوف عليها واكره أن تحمل فقال : اعزل عنها ان شئت فانه سيأتها ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال : ان الجارية قد حبلت فقال قد اخبرتمكم انه سيأتها ما قدر لها ، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد « ما من نسمة قدر كونها الا وهى كاتنة » ﴿ وان كان فيه ﴾ أي ولو في العزل خوفا من الإفضاء الى كسب الحرام ﴿ ترك الفضيلة وهو التوكل ﴾ والضمان بثقة الله عز وجل حيث قال : ﴿ وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها ﴾ ﴿ فورد من ترك النكاح مخافة العيلة فليس منا ﴾ أي من اخلاقنا وقد سبق الكلام عليه ﴿ ويأتهم ان خاف ولادة البنت ﴾ لما في تزويجهم من المعرفة ﴿ فهو ﴾ أي خوفها ﴿ عادة الجاهلية ﴾ في قتلهم البنات ووأدهن في حال الحياة كما أخبر الله سبحانه عنهم في الكتاب (واذا بشر احدكم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) ﴿ أو اراد به المبالغة في النظافة ﴾ بتعزها وكال تمرزها من الطلق والنفاس والرضاع وما يتبعها فيأثم بالعزل اذا نواها ﴿ فهو ﴾ أي العزل بهذا القصد ﴿ بدعة ﴾ لانها عادة الخوارج لمبالغتهم في استعمال المياه حتى كن يقضين صلاة ايام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا اعرافه فذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة ، وقد استأذنت

وَيَفْرَحُ بِالْمَوْلُودِ، فَرَدَّ «أَنَّهُ نُوِّرَ فِي الدُّنْيَا وَسُرُورُهُ فِي الْآخِرَةِ» وَلَا يَغْتَمُّ
بِالْبَنَاتِ لِأَنَّ الصَّلَاحَ مُسْتَوْرٍ، وَيَزْدَادُ فَرَحًا مَخَالِفَةً لِلْجَاهِلِيَّةِ، وَوَرَدَ «بِرَكَّةِ الْمَرْأَةِ
تَبْكِيرُهَا بِالْبَنَاتِ مِنْ ابْتَلَى مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَاحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»

واحدة منهن على عائشة لما قدمت البصرة فلم تأذن لها ﴿ويفرح بالمولود﴾ فانه
المقصود في ميدان الوجود وايوان الشهود ﴿فوردانه نور﴾ أي للعين ﴿في الدنيا
وسرور﴾ أي للقلب ﴿في الآخرة﴾ أي عند شفاعته في العقبى ولم أجده أصلاً، وقد
قبل الولد إذا عاش نفع وإذا مات شفع، وقد ورد ﴿الولد ثمرة القلب وانه مجبنة محزنة
مبغلة﴾ أبو يعلى الموصلي عن أبي سعيد، وفي رواية الحكيم عن خولة بنت حكيم «الولد
من ريحان الجنة، وفي الجملة هو هبة من الله كما يشير إليه قوله سبحانه (يهب لمن يشاء آناثاً
ويهب لمن يشاء الذكور)﴾ ولا يغم بالبنات لان الصلاح مستور﴾ اذ قد يكون
الابن صالحاً والبنات بخلافه وقد يكون الأمر بالعكس أو يراد بالصلاح النفع والنجاح
وهو أيضاً مبهم كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعاً﴾ ﴿ويزداد فرحاً﴾ أي لولادة البنات بالتكليف فيه بإظهاره ﴿مخالفة للجاهلية﴾
حيث قال تعالى: ﴿واذ ابشر أحدكم بما ضرب للرحمن مثلاً لعل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾
وورد «من خرج الى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئاً لحمله الى بيته فخص به
الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه» الخرائطي بسند ضعيف
وفي رواية له «فيبدأ بالاناث قبل الذكور» ﴿وورد بركة المرأة تبكيرها﴾ أي اول
ولادتها ﴿بالبنات﴾ الدليل على عائشة واثلة كلاهما مرفوعاً بلفظ «من بركة
المرأة تبكيرها بالاناث، وحكاة ابن عطية عن الثعلبي موقوفاً على واثلة بلفظ «من
يمن المرأة تبكيرها بالآثى قبل الذكر لان الله تعالى بدأ بالاناث يعنى قوله تعالى
(يهب لمن يشاء آناثاً)»، وعن ابن عباس «ان رجلاً دعا على بناته بالموت فقال النبي
ﷺ: لا تدع فان البركة في البنات» ذكره السخاوي ﴿من ابتلى منهن﴾ أي بالبنات
﴿بشيء﴾ أي قليلاً أو كثيراً ﴿فاحسن اليهن﴾ بالترية ﴿كن له سترًا من النار﴾
أي حجاباً بأحمد والشيخان والترمذي عن عائشة بلفظ «من ابتلى من هذه البنات»
الحديث، وعن ابن عباس «ما من احد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما يحبهما الا
أدخلتهما الجنة» ابن ماجه، والحاكم، وقال: صحيح الاسناد، وعن أنس «من كان له ابنتان

وَيُؤْذَنُ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى . وَيَقِيمُ فِي الْيُسْرَى ، فَوُرِدَ فِيهِ «دَفَعَتْ عَنْهُ أُمُّ
الصَّيَّانِ» وَيَقْطَعُ سَرْتَهُ . وَيَمِيطُ الْأَذَى . وَتَرْضِعُهُ الْأُمُّ فَمَوْسِنَةٌ . وَلَا تَسَامُ .
وَلَا يَتَبَرَّمُ . وَلَا يَنْتَضِجُ

أو اختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، الخرائطي في مكارم
الأخلاق بسند ضعيف، ورواه الترمذي بلفظ «من عال جارتين» وقال: حديث
حسن غريب، وعن ابن مسعود «من كانت له ابنة فأدبها فأحسن أدبها وغذاها فأحسن
غذاها واسبغ عليها من النعم التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى
الجنة» الطبراني في الكبير والخرائطى في مكارم الأخلاق، وعن أبي هريرة «من
كانت له ثلاث بنات أو اخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن ادخله الله الجنة بفضل
رحمته إياهن فقال الرجل واثنتان يارسول الله قال واثنتان فقال رجل أو واحدة فقال
أو واحدة، الخرائطي واللفظ له والحاكم ولم يقل أو اخوات وقال: صحيح الإسناد
(ويؤذن في أذنه اليمنى) أي في أول ما يلد ليكون أول ما يقرع سمعه ذكر الله عز وجل
ودعوة الداعي إلى طاعته وعبادته (ويقيم في اليسرى) فيكون سببا لحضوره في
المسجد واداء الصلاة بجماعة وعن أبي رافع «رأيت رسول الله ﷺ اذن في اذن الحسين
حين ولدته فاطمة» أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذي وصححه إلا أنهم قالوا الحسن
منكبرا (فوردفه) أي فيما ذكر من الأذان والاقامة أو في جمعهما (دفعت عنه أم
الصيان) فإنها من جنس الشيطان وهم يبعدون عن الأذان لكمال العدوان، وعن
الحسين بن علي «من ولد له مولود فاذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى دفعت
عنه أم الصيان، أبو يعلى الموصلي وابن السني «في اليوم واليلة» واليهيقي في شعب
الايمان (ويقطع سرتة ويميط الأذى) أي يزيله وهو الدم ونحوه عز بدنه لما سيأتي
(وترضعه الأم) أي ولو مرة فانه أول تربية فيختص بأشفق الناس وأرحمها وليصدق
على أمه ما قال تعالى: (حلت أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)
ولتخرج عن عهدة ظاهر الأمر في قوله سبحانه: (والوالدات يرضعن أولادهن)
الآية، وقوله (فهو سنة) لم أجد لها أصلا (ولا تسام) أي لا تمل الأم، وفي
نسخة ولا تسام بصيغة المعلوم للثبوت أو المجهول للمذكر (ولا يتبرم ولا ينتضج

أَحَدُ بَيْكَاتِهِ فَهُوَ ذَكَرٌ كَأَوْرَدَ ، وَجَاءَ الْاِخْتَانُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ ،
وَقِيلَ : يُؤَخَّرُ عَنْهُ مَخَالَفَةُ لِلْيَهُودِ . وَتَحَامِيًّا عَنِ الْخَطَرِ ، وَوَقْتَهُ سَبْعَ سِنِينَ
وَتَحْنُ الْاِثْنَى فَوْرَدَ « أَنَّهُ مَكْرَمَةٌ » وَهُوَ يَنْضُرُ الْوَجْهَ وَيَقْتَرُ الشَّهْوَةَ . وَيُلْذُ
الْوَقَاعَ . وَيَجِبُ إِلَى الزَّوْجِ . وَلَا يَبَالُغُ فِيهِ . وَيَحْسُنُ الْأَسْمَ ، فَوْرَدَ « حَسَنُوا
أَسْمَاءَ أَوْلَادِكُمْ »

أحد بيكاته فهو ذكر كما ورد) عن ابن عمر مرفوعا « بكاء الصبي الى شهرين شهادة ان
لا اله الا الله والى أربعة أشهر الثقة بالله والى ثمانية أشهر الصلاة على النبي عليه السلام
ولستين استغفار لوالديه » أخرجه الدليل بسند ضعيف ، وفي لفظ لغيره « بكاء الصبي
في المهد أربعة أشهر توحيد وأربعة أشهر صلاة على نبيكم وأربعة أشهر استغفار لوالديه »
ذكره السخاوي في القول البديع) وجاء الاختتان في اليوم السابع) فانه مهما
كان صغيرا يبقى القطع يسيرا ، وقد روى الطبراني في الصغير من حديث جابر بسند
ضعيف « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علق عن الحسن والحسين وختمتها لسبعة
أيام » ورواه الحاكم وصححه اسناده والبيهقي من حديث عائشة) وقيل يؤخر
عنه) أي حتى يصير كبيرا) مخالفة لليهود) فانهم يعجلون في هذا الأمر) وتحميا
عن الخطر) أي خطر المولود عن الموت فان الخطر في حال الصغر أكثر من زمان الكبر
« (ووقته) أي وقت غاية تأخير « (سبع سنين) « أو عشر سنين أو ما يطلق الم فيه
وقد اختتن ابراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين وذلك لانه امر حينئذ فهو أول من
اختتن ويترك لو ولد شيئا بالختن « (وتحن الاثني) « أي البنت « (فورد انه
مكرمة) « أي سبب كرامة عند أزواجهن عن ابن عباس « الختان سنة للرجال ومكرمة
للنساء ، الطبراني « (وهو) « أي اختتان الاثني « (ينضر الوجه) « أي يحسنه « (ويقتر
الشهوة) « أي يسكنها « (ويلذ الوقاع) أي الجماع « (ويجب الى الزوج) « وهو سبب
محبة الزوجة « (ولا يبالغ) بصيغة المجهول « (فيه) أي في الختان أو في ختانها بالخصوص
) (ويحسن الاسم) أي اسم ولده فانه من جملة حقوقه على والده « (فورد حسنوا
أولادكم) « أبو داود من حديث أبي الدرداء قال التوى باسناد جيد ، وقال البيهقي :
انه مرسل ولفظه « انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسماءكم

وَالْتَعِيدُ أَحَبُّ ، فَوَرَدَ « إِذَا سَمِيتُمْ فَعْبَدُوا » وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ . وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ اسْمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكُنْيَتِهِ ، فَهُوَ مِنْهُي عَنْهُ ،
وَقِيلَ : كَانَ ذَلِكَ فِي عَهْدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيُبَدِّلُ الْأِسْمَ السَّيِّئَ فَبَدَّلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
اسْمَ الْعَاصِي بِعَبْدِ اللَّهِ . وَبَرَّةٌ بَزِينَبَ ، وَقَالَ : تَزَكَّى نَفْسَهَا . وَنَهَى عَنْ أَفْلَحَ ،
وَنَافِعَ . وَبَرَكَةٌ تَحَامِيًا عَمَّا قِيلَ لَيْسَ فِي الدَّارِ بَرَكَةٌ ، وَيُسَمَّى السَّقَطُ وَإِنْ
جُهِلَ صِفَتُهُ فِيمَا

وورد د حق الولد على والده ان يحسن اسمه وبزوجه اذا أدرك ويعلمه الكتابة ، أبو
نعم والدليل عن أبي هريرة وفي رواية زيادة والسباحة والرمية ، (والتعبد) اضافة
العبد الى اسماء الرب (احب) أى افضل (فورد اذا سميت) أى اردتم أن تسموا
أولادكم (فعبدوا) الطبراني من حديث عبد الملك بن زهير عن أبيه (واحب الاسماء
الى الله عبد الله وعبد الرحمن) مسلم من حديث ابن عمر (ولا يجمع بين اسمه عليه السلام
وكنيته فهو) أى الجمع بينهما (منهى عنه) لحديث سموا باسمي ولا تكونوا بكنتي ،
متفق عليه من حديث جابر ، وفي لفظ وتسموا ، فقيل النهى عن التكنية وحدها ، وكان
هذا المنع في عصره اذا كان ينادى يا أبا القاسم فلا بأس بعده نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته
لما رواه أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ، ولابن داود والترمذي وحسنه وابن
حبان من حديث جابر د من تسمى باسمي فلا يكتنى بكنتي ومن تكتنى بكنتي فلا يتسمى
باسمي ، (وقيل كان ذلك) أى النهى عن الجمع بينهما (في عهده عليه السلام) أى في زمانه
لعله الاتباس وأما اليوم فلا (ويبدل الاسم السيئ) أى يغيره بغيره من الاسم الحسن
(فبدل عليه السلام اسم العاصي بعبد الله وبرة) بفتح الموحدة (بزینب وقال) باستفهام
مقدار انكارها لها (تزكى نفسها) فان برة مبالغة بارة وهى عاملة البر بالكسر رواه
الشيخان عن أبي هريرة نحوه (ونهى) أى عليه السلام (عن افلح) أى عن التسمية
بافلح (ونافع وبركة) رواه مسلم من حديث سمرة بن جندب الا أنه جعل مكان بركة
رباحا (تحاميا عما قيل) أى يقال (ليس في الدار بركة) يعنى أو نافع أو افلح أو امثال
ذلك (ويسمى السقط وان جهل صفته) أى من الذكورة والأنوثة (فيما) أى فيسمى

يَصْلَحُ لِلذَّكَرِ . وَالْإُنْثَى . كَحَمْزَةٍ . وَطَلْحَةٍ . وَلَا يُكْنَى بِأَبِي عَيْسَى إِذَا لَابَّ لَهُ . وَنَهَى عَنْهُ . وَيَعْقُ عَنْ الْإِبْنِ بِشَاتَيْنِ . وَعَنْ الْبِنْتِ بِشَاةٍ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ . فَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ ، وَعَقٌّ عَنِ الْحَسَنِ بِشَاةٍ . وَيَحْلُقُ رَأْسَهُ . وَيَتَصَدَّقُ عَلَى وَزْنِ شَعْرِهِ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً . فَأُمِرَتْ بِهِ فَاطِمَةُ فِي الْحُسَيْنِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ .

باسم ((يصلح للذكر والأنثى)) بان يكون في آخره تاء ((كحمزة وطلحة)) فعن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية قال: بلغني أن السقط يوم القيامة وراءه والديه يقول: أنت ضيعتني أنت تركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كفيف وقد لا يرى أنه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن: من الأسماء ما يجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة وعنبسة ((ولا يكنى بأبي عيسى إذا لآب له)) أي لعيسى عليه السلام ((ونهى عنه)) أي عن التكنى المذکور لما يؤم من خلاف المرام في سماع العوام في الأحياء سمى رجل أبا عيسى فقال عليه السلام إن عيسى عليه السلام لا أب له ففكره ذلك انتهى ولم يتعرض له مخرجه ((ويعق عن الابن بشاتين وعن البنت بشاة)) ولا بأس بالشاة ذكرًا كان أو أنثى ((في اليوم السابع)) من الولادة ((فهو مأمور به)) روت عائشة أنه عليه السلام داسر في الغلام بشاتين مكافتين وفي الجارية بشاة، الترمذي وصححه ((وعق عن الحسن بشاة)) واحدة وهذا رخصة في الاختصار على شاة واحدة، والحديث رواه الترمذي من حديث علي وقال ليس إسناده بمنصل ووصله الحاكم وصححه إلا أنه قال حسين، ورواه أبو داود، من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشاً، والبخاري من حديث سلمان بن عامر الضبي د مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى وعن عائشة د لا يكسر للعقيقة عظم، كذا في الأحياء وامل وجهه تفاؤلاً بصحة الأعضاء، وقال قتادة د إذا زبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستبل بها أو داجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعده، كذا في الأحياء ((ويحلق رأسه)) أي في السابع لما سياتي أوفى الأربعين كما عليه عمل أهل الحرمين ((ويتصدق على وزن شعره ذهبا أو فضة)) وهي المعروف كما سياتي ((فأمرت به فاطمة في الحسين في اليوم السابع)) قال العراقي: حديث أمر فاطمة ويوم سابع حسين أن يحلق شعره ويتصدق بزنة شعره فضة د الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند

وَيُطْلَى السَّكْرُ . أَوْ التَّمْرُ الْمَمْضُوعُ فِي لَهَانِهِ فَعَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ

الزَّيْبِرِ حِينَ جَاءَتْ بِهِ أُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

﴿الباب السادس في الكسب والورع﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَرَدَّ « مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا تَعَفَّقًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ

وَسُعْيًا عَلَى عِيَالِهِ . وَتَعَطُّفًا عَلَى جَارِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَوَجْهَهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » ، وَمَنْ

طَلَبَ الدُّنْيَا مُفَاخِرًا

الترمذى منقطع بلفظ حسن ورواه أحمد من حديث أبي رافع ﴿ وَيُطْلَى السَّكْرُ ﴾
أَيُّ يُلَطِّخُهُ أَنْ تَيْسَرَ أَوْ الْعَسَلُ ﴿ أَوْ التَّمْرُ الْمَمْضُوعُ فِي لَهَانِهِ ﴾ بِفَتْحِ اللَّامِ أَيْ أَقْصَى
خَلْقِهِ مِنْ حَنْكَةٍ ﴿ فَعَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ حِينَ جَاءَتْ بِهِ أُمُّهُ أَسْمَاءُ
بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَسْمَاءَ وَلَدَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّيْبِرِ بَقَاءً
ثُمَّ أَنْتَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ فِي حَبْرِهِ ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ لَمْضَعُهَا ثُمَّ تَفَلَّ فِي فِيهِ
فَنَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رَيْقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ حَنْكَةً بِتَمْرَةٍ ثُمَّ دَعَا لَهُ وَبَرَكَ
عَلَيْهِ وَكَانَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ فِي الْإِسْلَامِ قَفَرَحُوا بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا لِأَنَّهُمْ قِيلَ لَهُمْ : إِنْ الْيَهُودَ
قَدَّسَحَرْتُمْ فَلَا يُولِدُ لَكُمْ ، وَبَقِيَّةُ حَقِّكَ الْوَلَدُ ذَكَرْتُ فِي بَابِ الصَّحْبَةِ ❁

﴿الباب السادس في الكسب والورع﴾

أَيُّ الْمَتَرَبِّ عَلَيْهِ قَطْعُ الطَّمْعِ ، وَبَعْضُ الْأَكَابِرِ قَوَامُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ الْعِلْمُ وَالْكَسْبُ
فَنَ رَفَضَهُمَا وَقَالَ : ابْتَغِ الزُّهْدَ لَا الْعِلْمَ وَالتَّوَكَّلْ لَا الْكَسْبَ وَقَعَ فِي الْجَهْلِ وَالطَّمْعِ كَذَا
فِي بَيْعِ الْإِبْرَارِ لِلزُّخْرَى . ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ وَبِهِ أَسْتَعِينُ فِي كُلِّ أَمْرٍ
كَرِيمٍ ، قَالَ تَعَالَى : (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) أَيُّ رِزْقِهِ (وَانْفَقُوا)
مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ (الْآيَةُ) (وَرَدَّ مِنْ طَلَبِ الدُّنْيَا حَلَالًا) أَيُّ حَالٍ كَوْنِ الْمَطْلُوبِ
حَلَالًا ﴿ تَعَفَّقًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ ﴾ أَيُّ لِأَجْلِ عَفَّةٍ نَفْسِهِ عَنْ سُؤَالِ مَخْلُوقٍ مِثْلَهُ ﴿ وَسُعْيًا
عَلَى عِيَالِهِ ﴾ مِنْ زَوْجَتِهِ وَأَطْفَالِهِ ﴿ وَتَعَطُّفًا ﴾ أَيُّ تَرَحُّمًا وَتَلَطُّفًا ﴿ عَلَى جَارِهِ ﴾ مِنْ
الْفُقَرَاءِ فِي تَحْسِينِ حَالِهِ وَتَزْيِينِ بَالِهِ ﴿ لَقِيَ اللَّهَ ﴾ أَيُّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي مَأَلِهِ ﴿ وَوَجْهَهُ كَالْقَمَرِ
لَيْلَةَ الْبَدْرِ ﴾ مِنْ حَسَنِ جَمَالِهِ وَكَمَالِ مِثَالِهِ ﴿ وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا مُفَاخِرًا ﴾ أَيُّ حَالٍ كَوْنِهِ

مُكَاتِّرًا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ « فَالْكَسْبُ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ . وَالْأَوْلِيَاءِ . وَفِيهِ سِتْرُ الْحَالِ . وَهُوَ أَوَّلَى لُظَاهِرِ الْعَمَلِ مِنَ الْإِخْذِ بِالسُّؤَالِ وَبَغْيِهِ فَالْفَارِغُ سَائِلٌ بِلِسَانِ الْحَالِ ،

متفخرا بتحصيل ماله (مكاترا) على أقرانه وأمثاله (لقي الله وهو عليه غضبان) والله المستعان ، والحديث رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب . وأبو نعيم في الحلية . والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة « ومن الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الله في طلب المعيشة » الطبراني في الأوسط . وأبو نعيم في الحلية ، وعن لقمان الحكيم قال : « لابنه استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما أفقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب لمروته وأعظم هذه الثلاث استخفاف الناس به » وكان عمر يقول « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » وكان زيد بن سلة يغرس في أرضه فقال عمر أصبت استغن عن الناس تكن أصون لديك واكرم لوجهك كيف قال صاحبك أحية :

فلن أزال على الزوراء أمرها * أن الكريم على الإخوان ذو المال (فالكسب سنة الأنبياء) منهم داود عليه السلام لقوله تعالى : (وعليناهمنا) لبوس لكم) وأول من زرع آدم عليه السلام وأول من نجر نوح عليه السلام ، ويقال أول من خط أدريس عليه السلام (والأولياء) ومنهم أكثر الصالحين (وفيه) أي في الكسب (ستر الحال) أي بما فيه من العلم والأعمال فيكون من الأتقياء الأصفياء ، ومن قال عز وجل فيهم : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) الآية (وهو) أي الكسب (أولى لظاهر العمل) أي المشتغل بالأعمال الظاهرة من التلاوة والعبادة فالكسب في حقه أخرى (من الإخذ بالسؤال وبغيره) كالطمع في أموال الرجال (فالفارغ) من الكسب لتحصيل الحلال (سائل بلسان الحال) إن لم يكن سائلا ببيان المقال ، وربما لسان الحال اكتشف في تحصيل المال ، ومن هنا ورد « أن الله يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال » الدليل على ذلك ، وفي رواية ابن عدي عن ابن عمر « أن الله يحب المؤمن المحترف » ، وورد « من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر » الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري

وَأَمَّا صَاحِبُ الْبَاطِنِ . وَالْعَالَمُ النَّافِعُ لِلنَّاسِ . وَالْمُشْتَغَلُ بِمَصَالِحِهِمْ كَالْقَاضِي
فَإِنْ أَعْطُوا الْكَفَايَةَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَإِلَّا يُقَابَلُ فَضَائِلُ الْكَسْبِ بِمَا فِيهِ مُعْنًا
وَيَعْمَلُ بِحَسَبِ الصَّلَاحِ * وَحَقُّهُ أَنْ يَنْوِيَ التَّعَفُّفَ . وَالتَّعَطُّفَ .

وقال: حسن صحيح، وعن ابن مسعود: «أني لا أكره أن أرى الرجل فارغا لا في أمر دينه ولا في أمر دنياء وجاءت ربيع عاصف في البحر فقال أهل السفينة لابراهيم ابن آدم: أما ترى هذه الشدة؟ فقال: ما هذه شدة إنما الشدة الحاجة الى الناس، وقيل لأحمد ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال: لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي؟ فقال أحمد: هذا رجل جهل العلم أما سمع قوله عليه السلام: إن الله جعل رزقي تحت رجلي، وفي مسند أحمد من حديث ابن عمر: «جعل رزقي تحت ظل رجلي، واسناده صحيح، وأما سمع قوله عليه السلام حين ذكر الطير: «فقال تغدو وخماصو وتروح بطائنا» فذكر أنها تغدو في طلب الرزق» وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخلهم ثم قال: أحمد والقدوة بهم، والحديث الثاني رواه الترمذي . وابن ماجه من حديث ابن عمر وقال الترمذي: حسن صحيح (وأما صاحب الباطن) وهو العارف بالله المراقب لفيض مولاه المعرض عما سواه (والعالم النافع للناس) افتاء . وتصنيفا . وتدريسا (والمشغول بمصالحهم كالقاضي) وفي معناه الخليفة والمؤذن . والامام . وفقهه الأنام (فإن أعطوا الكفاية من بيت المال) أي من وجه الحلال أو من أيدي الناس من الصدقات أخذوها واشتغلوا بما هو أفضل في حقهم من الاشتغال بكسب المال فهو غاية الكمال (والا) أي وإن لم يعطوا (يقابل) كل منهم (فضائل الكسب) أي الأحاديث التي وردت في فضائله (بما فيه) أي من فضائل العلم والحكومة ومنافع الرجال (بمعنا) أي حال كونه مبالغا في تمييز ما فيه الفلاح (ويعمل بحسب الصلاح) فإن فيه النجاح، وقد اشار الصحابة على أبي بكر بترك التجارة لماولى الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن المصالح، وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك أولى، نعم لما توفي أوصى برده الى بيت المال، والحاصل انه إن كان الصلاح في الكسب اختاره وترك ما هو فيه لغيره وإن كان الصلاح فيما هو فيه من الأمر المهم اشتغل به وتوكل على الله في أمر رزقه (وحقه) أي حق الكسب على ما ذكره ثلاثون (أن ينوى التعفف) أي عفة نفسه عن المسألة (والتعطف)

وَإِقَامَةَ فَرْضِ الْكِفَايَةِ فِي صِنَاعَاتٍ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا الْعِيشُ ، وَيَأْكُرُ فُورِدَ
« أَنْ فِي الْغَدُوبِ بَرَكَةٌ وَنَجَاحٌ » ، وَيَجْتَنِبُ مَا يَضُرُّ النَّاسَ كَالْإِحْتِكَارِ ،

أى الترحم على غيره بزيادة النفقة لما تقدم ولما روى أن عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ما تصنع؟ فقال : أتعبد قال : من يعولك؟ قال اخي قال أخوك أعبد منك ﴿ وإقامة فرض الكفاية ﴾ أى بنوها ﴿ فى صناعات يتوقف عليها العيش ﴾ أى المعيشة كالزراعة والتجارة والحياطة والنجارة ، وفى الخبر تسعة عشر الرزق فى التجارة ، الحرب فى الغريب من حديث نعيم بن عبد الرحمن وتقدم نفع الزراعة ، وروى أحمد من حديث أبى هريرة « خير الكسب كسب العامل إذا نصح » واسناده حسن ﴿ وبياكر ﴾ أى يسعى فى أول النهار ﴿ فوردان فى الغدو بركة ونجاحا ﴾ أى فوزا وفلاحا وظفرا بالمراد وصلاحا ، والحديث رواه الطبرانى فى الأوسط وابن عدى عن عائشة « باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح ، وقد ورد اللهم بارك لامتى فى بكورها وروى الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة انه عليه السلام كان جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكى يسعى فقالوا : ويح هذا لو كان جلده فى سبيل الله فقال عليه السلام : لا تقولوا هذا فإنه ان كان يسعى على نفسه ليكفيها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويلبهم فهو فى سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان ، ﴿ ويجتنب ﴾ أى من الصنائع ﴿ ما يضر الناس كالاحتكار ﴾ فبائع الطعام يدخره منتظرا غلاء السعر وهو ظلم عام وصاحبه مذموم شرعا وعرفاء فورد « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » الحاكم فى صحيحه وابن ماجه فى سننه عن ابن عمرو « من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره » أبو منصور الديلى فى مستند الفردوس من حديث على والخطيب فى التاريخ من حديث أنس ، وروى أحمد والحاكم بسند جيد من حديث ابن عمر « من احتكر الطعام أربعين يوما فقد برى من الله وبرى الله منه » وعن على انه أحرق طعاما محتكرا بالنار وكذا فى الاحياء ، وفى حديث مسلم ولا تحتكر الا غاطى . . . ولا ابن ماجه والجالب مرزوق والمحتكر ملعون » قيل ومدته أربعون لما رواه ابن عساكر عن معاذ « من احتكر طعاما على أمتى أربعين يوما وتصدق به لم تقبل منه » وفى رواية لأحمد وابن ماجه عن عمر « من احتكر

وَيُلَوِّثُ الْبَاطِنَ كَالْجَزْرِ فَهُوَ يَقْسِي الْقَلْبَ وَالصَّيَاغَةَ فَهُوَ يَزِينُ الدُّنْيَا وَالظَّاهِرَ
كَالْحِجَامَةِ . وَالِدَّبَاغَةَ .

على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس ، وفي رواية له وللحاكم عن أبي هريرة
« من احتكر حكرة يريد أن يغلب بها على المسلمين فهو خاطيء » وقد برئت منه ذمة
الله ورسوله ، وقوله خاطيء بالهمز وفي رواية فهو ملعون ، واستدل به مالك بعموم
الحديث على أن الاحتكار حرام في المعلوم وغيره ، وهو رواية عن أبي يوسف
والجمهور على أن الاحتكار مختص بالآقوات وحملوا الحديث عليها والله أعلم ، وروى
ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن مسعود « ما من جالب يجلب طعاما الى بلد من
بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وبالجملة التجارة
في الآقوات مما لا يستحب ولذا أوصى بعض التابعين رجلا وقال : لا تسلم ولدك في بيعتين
ولا في صنعتين بيع الطعام . ويعم الأكفان فانه يتمنى الغلام وموت الناس واما الصنعتان
فان يكون جزارا فانها صنعة تقسى القلب أو صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب .
والفضة ، وهذا معنى قوله ﴿ ويلوث الباطن ﴾ أى ويحتجب بما يلوث باطنه ولو لم يلوث
ظاهره ﴿ كالجزر ﴾ وهو صنعة الجزار ويقال القصاب ﴿ فهو يقسى القلب والصياغة
فهو يزين الدنيا ﴾ وهى مبخوضة الرب ، وأيضا يكره كسر الدرهم الصحيح والدينار
الاعتد شك في جودته أو حال ضرورته فقد قال أحمد بن حنبل : وردنهي عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في الصياغة وأنا أكره الكسر وقال يشتري بالدينارين دراهم
ثم يشتري بالدرهم ذهابا ويصوغه أى خروجا عن الربا ، وحديث النهى عن كسر
الدينار والدرهم رواه أبو داود . والترمذى . وابن ماجه . والحاكم من رواية علقمة
ابن عبد الله عن أبيه قال : نهى رسول الله ﷺ أن يكسر سكة المسلمين الجائزة
بينهم الا من بأس زاد الحاكم ان يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل
ذهبا وضعفه ابن حبان ﴿ والظاهر ﴾ أى ويحتجب ما يلوث ظاهره ولو لم يلوث
باطنه ﴿ كالحجامة والدباغة ﴾ وفي معناهما الكناسة فان تلوث الظاهر يؤدى الى
تلوث الباطن كما ان طهارة الظاهر تورث طهارة الباطن وقد نهى عليه السلام عن
كسب الحجام رواه ابن ماجه بسند حسن عن ابن مسعود « يحمل على نهى التنزيه
لانه عليه السلام احتجم وأعطى الحجام أجرته ولو كان حراما لما أعطاه وكيف لا

وَمَا يَعْسُرُ فِيهِ رِعَايَةُ الْاِحْتِيَاظِ كَالْصَّرْفِ . وَالِدَّلَالَةُ وَمَا يُكْرَهُ فِيهِ قَضَاؤُهُ
تَعَالَى كَشْرَاءَ الْحَيَوَانِ . وَسَلَامَةُ النَّاسِ :

والحجامة من الصنائع التي عدت من فروض الكفاية فلا بد من قيام بعض هذه
الصناعة لئلا يقع الناس في ضياعة اذلو تركت التجارات والصناعات لبطلت المعاش
وضاعت الحالات فانتظام أمر الكل بمعاونة الكل وتكفل كل فريق بعمله يلقى
ولو أقبلوا كلهم على صنعة لتعطلت البواق بمرة وعلى هذا حمل بعضهم قوله عليه السلام
« اختلاف أمتي رحمة، أى اختلاف همهم في الصناعات وسبحان من أقام العباد فيما
أراد و كل حزب بما لديهم فرحون قال تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير
ما يجمعون) والله در القائل :

رضينا قسمة الجبار فينا • لنا علم وللإعداء مال

فإن المال يغنى عن قريب • وإن العلم يبقى لا يزال

﴿ وما يعسر ﴾ أى ويحتمل ما يصعب ﴿ فيه رعاية الاحتياط كالصرف ﴾ لأن
الاحترار فيه عن دقائق الرباعير علما وعملا ولأنه طالب لدقائق الصفات فيما لا يقصد
من أعيانها وإنما يقصد رواجها وقل ما يتم للصير في ربح الا باعتبار جهالة معاملته بدقائق
التدقيق فقل ما يسلم الصير في من الربا وإن راعى غاية الاحتياط وفي الجملة يجب على الصير في
أن يحتمل من الفضل في المتجانسين ومن النسبة مطلقا ، وورد « لو اتجر أهل الجنة
لاتجروا في البرزوا تجر أهل النار لاتجروا في الصرف ، الديلى من حديث أبي سعيد
وأبو يعلى الشطر الأول من حديث أبي بكر ﴿ والدلالة ﴾ بالفتح ويكسر وقد كره
ابن سيرين الدلالة وكره قتادة أجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استثناء الدلال عن
الكذب فقد قيل : رأس مال الدلال الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها
ولأن العمل لا يتقدر فقد يقل ويكثر ولا ينظر في مقدار الاجرة الى عمل بل الى قيمة
قدر الثوب وهذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي أن ينظر الى قدر التعب فإن الأجر
على قدر المشقة كذا في الاحياء ﴿ وما يكره ﴾ أى ويحتمل ما يكره ﴿ فيه قضاؤه
تعالى كشراء الحيوان ﴾ أى العبيد ونحوه لأجل التجارة فإن المشتري يكره قضاء
الله تعالى فيه وهو الموت الذى بصده ولا محالة خلق لأجله ﴿ وسلامة الناس ﴾

كَيْعِ الْكَفَنِ ، وَمَا يَحْرُمُ اسْتِعْمَالُهُ كَقَبَاءِ الْإِبْرِسِمِ . وَآنِيَةِ الذَّهَبِ .
وَالْفُضَّةِ . وَالْمِزْمَارِ . وَرَفْعِ الْبِنَاءِ . وَتَزِينِهِ بِالْجِصِّ ، وَيَعْمَلُ مَتَدِينًا لَا يُسْتَرُ
حَالُهُ إِعَانَةً عَلَى الْبَرِّ لَا فَاسِقًا لِتَلَايَعِينَ عَلَى الْأَثَمِ ، وَلَا يُبَالِغُ فِي مَدْحِ الْمُبِيعِ . وَذَمِّ
الْمُشْرَى . وَإِنْ صَدَقَ ،

أى ويحْتَبُ ما يَكْرَهُ فِيهِ عَاقِبَةُ النَّاسِ ﴿ كَيْعِ الْكَفَنِ ﴾ عَلَى مَا تَقَدَّمَ وَفِي مَعْنَاهُ حَفَرُ
الْقَبْرِ وَغَسْلُ الْمَوْتَى وَحُلْمُهُم بِالْأَجْرَةِ وَتَشْيِيعُ الْفُقَرَاءِ وَأَعْلَامُهُمْ وَأَذْكَارُهُمْ مِنْ غَيْرِ
أَذْكَارِهِمْ ﴿ وَمَا يَحْرُمُ ﴾ أَى وَيَحْتَبُ مَا يَحْرُمُ ﴿ اسْتِعْمَالُهُ كَقَبَاءِ الْإِبْرِسِمِ ﴾ أَى
الْحَرِيرِ وَهُوَ ثَوْبُ الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ ، وَفِي الْخَبَرِ « مِنْ لِبْسِ الْحَرِيرِ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ
فِي الْآخِرَةِ » رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَنَسٍ ، وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ عَنْ جُورِيَّةَ « مَنْ لَبَسَ
الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبًا مِنْ النَّارِ » ﴿ وَآنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ ﴾
فَانْهَمَا يَحْرُمَانِ مُطْلَقًا وَفِي الْخَبَرِ « أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الْفُضَّةِ » إِنَّمَا يَحْرَجُ فِي
بَطْنِهِ نَارُ جَهَنَّمَ ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أُمِّ سَلَةَ زَادِ الطُّبْرَانِيِّ أَنَّ يَتُوبَ ﴿ وَالْمِزْمَارِ ﴾
فَانْهَ حَرَامٌ بِاتِّفَاقِ الْأُئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ كَسَائِرِ الْأَوْتَارِ وَإِنَّمَا خَالَفَ الرَّافِعِيُّ مِنَ الشَّافِعِيِّ فِي الْقَضْبِ
﴿ وَرَفْعِ الْبِنَاءِ ﴾ أَى زِيَادَةَ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ فَانْه يَقَالُ لَهُ : « أَلَيْسَ يَأْفُسُقُ الْفَاسِقِينَ ؟ »
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ عَمَلٌ شَدِيدٌ فِي بِنَاءِ قَصْرِهِ وَعَمَلُ فِرْعَوْنَ فِي بِنَاءِ صَرْحِهِ ﴿ وَتَزِينِهِ بِالْجِصِّ ﴾
وَكَذَا بِالنُّورَةِ وَالطَّيْنِ فَانْهَمَا مَكْرُوهَانِ أَوْ حَرَامَانِ لِإِسْرَافِ الْمَالِ وَتَضْيِيعِ الْحَالِ ،
وَرَوَى الدَّارِقُطْنِيُّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « سَأَلَ أَنْ يَكْحَلَ الْمَسْجِدَ - أَى
بِالنُّورَةِ وَغَيْرِهَا - فَقَالَ : لِأَعْرَاشِ كَعْرِشِ مُوسَى ، ﴾ وَيَعْمَلُ ﴿ عَظْفٌ عَلَى يَحْتَبُ ﴾ مَتَدِينًا
لَا يُسْتَرُ حَالُهُ ﴿ أَى فِي التَّدِينِ فَيَكُونُ ظَاهِرَ الدِّيَانَةِ ﴾ إِعَانَةً عَلَى الْبَرِّ لَا فَاسِقًا ﴿ وَكَذَا
لَا ظَالِمًا وَلَا أَحَدًا مِنْ أَعْوَانِهِ ﴾ لِتَلَايَعِينَ عَلَى الْأَثَمِ ﴿ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى
الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) وَقَدْ دَخَلَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ عَلَى الْمُهْدِيِّ
وَيَدُهُ دَرَجٌ أَيْضٌ فَقَالَ : يَا سَفِيَانُ أَعْطِنِي الدَّوَاءَ حَتَّى أَكْتُبَ فَقَالَ أَخْبِرْنِي أَيْ شَيْءٍ تَكْتُبُ
فَانْ حَقًّا أَعْطَيْتُكَ ﴿ وَلَا يُبَالِغُ فِي مَدْحِ الْمُبِيعِ ﴾ أَى أَنْ كَانَ بَاتِعًا ﴿ وَذَمِّ الْمُشْرَى ﴾
أَى الْمُشْتَرَى أَنْ كَانَ مُشْتَرِيًا ﴿ وَإِنْ صَدَقَ ﴾ أَى وَلَوْ كَانَ صَادِقًا فِي مَدْحِهِ وَذَمِّهِ فَالْبَالِغَةُ
فِيهِمَا مَذْمُومَةٌ لِأَنَّهُ نَمَّا لَا يَعْغِيهِ فُهْوُهُ مَلُومٌ وَمَذْمُومٌ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ

وَلَا يَخْلِفُ، فَهُوَ جَعَلَهُ تَعَالَى عَرْضَةً لِلْإِيمَانِ لِتَرْوِيجِ الدُّنْيَا الْحَسِيسَةِ، وَوَرَدَ
 «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مُتَفَقِّ سَلْعَتِهِ يَمِينَهُ، وَيُظْهِرُ عَيْبَ الْمِيعِ . وَقَدَرَهُ وَسَعَرَ
 الْوَقْتَ، وَمَأْسُوحٍ بِهِ فِي الصَّفَقَةِ الْأُولَى فَالْأَخْفَاءُ خِيَانَةً،

الالديه رقيب عتيد) وقال عز وعلا : (والذين هم عن اللغو معرضون) وورده من
 حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه ، (ولا يخلف) ولو كان صادقا في يمينه من غير
 ضرورة في أمر دينه . (فهو جعله تعالى) * أى جعل الخالف اسمه سبحانه في هذا الخلف
 (عرضة للإيمان) أى كالعرضة التى أعدها القصاب لازالة ما يثوث به يده أو
 كالمهدف الذى يرمى الرامى فى كل ساعة سهمه اليه . (لترويج الدنيا الحسيسة) * باسمه
 الذى هو من الاشياء النفسية وأما قوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم ان تبرؤوا وتتقوا
 وتصلحوا بين الناس) فعناه لا تجعلوا الخلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى بان
 يدعى أحدكم الى بر فيقول خلعت أن لا أفعله بل ينبغي أن يفعله ويكفر عن يمينه . (وورد) *
 كما في صحيح مسلم . (لا ينظر الله الى متفق) * بتثديد الفاء المكسورة . (سلعت) * أى
 مروجها . (يمينه) * أى بخلفه فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهى من
 الكبائر التى تترك الديار بل اقع وان كان صادقا فقد أساء فيه اذ الدنيا أخس من أن يقصد
 ترويحها بذكر اسم الله من غير ضرورة ، وفي الخبر « ويل للتاجر من بلى والله ولا والله
 وويل للصانع من بعدوغد ، كذا فى الاحياء ذكره صاحب مسند الفردوس من حديث
 أنس بغير اسناده نحوه ، وفي الخبر « اليمين الكاذبة منقعة للسلعة ، حققة للكسب ، متفق
 عليه » (و يظهر عيب الميع) * أى فى نفسه خفية وجلية . (وقدره) * أى ويظهر مقداره من
 الطول والعرض . (وسعر الوقت) * أى قيمة مثله فقد نهى عليه السلام عن تلقى الركب ان
 متفق عليه من حديث ابن عباس وأبى هريرة ، وفي رواية عن تلقى البيوع كما فى الترمذى
 وابن ماجه عن ابن مسعود ، وفي رواية ابن ماجه عن ابن عمر نهى عن تلقى الجلب وهو
 أن يستقبل الرقعة ويتلقى الامتعة ويكذب فى سعر الأزمئة ، وقد ورد « لا تلقوا
 الركبان فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق ، (وما سوح به) * أى ويظهر
 ما سامح بانه الأول مع الثانى . (فى الصفقة الأولى) * وهى تكون فى بيع التولية ، وصورته
 ان يبيع شيئا بمقام عليه فيظهر ما سوهل به الشئ معه من تأجيل ثمنه وقبول ثمنه مع
 نقصان فى قدره ووصفه . (فالأخفاء خيانة) * فإن الابداع ديانة ، فمن واثلة « لا يحل

وردد « دَنْ غَشْنًا فَلَيْسَ مَنَّا » ، (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّقِينَ) الْآيَةُ ، وَلَا يَرْجُحُ

الزَّيْفَ بَلْ يُلْقِيهِ فِي الْبُشْرِ .

لاحدان يبيع يعاالاين مافيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه « السهقي والحاكم وقال صحيح الاسناد » (ورد من غشنا فليس منا) الترمذى عن أبي هريرة بسند صحيح موزاد الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود « والمكر والخداع فى النار ومن المكر والخديعة عرض الثياب فى موضع الظللة » وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة انه عليه السلام « مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فيه فرأى بللا فقال: ما هذا؟ فقال أصابته السباع قال فهل جعلته فوق الطعام ليراه الناس من غشنا فليس منا » (ويلى للمطففين) أى الهلاك لاهل التطفيف فى الكيل والوزن وهو نقصان الخفيف فى الميزان والمكيال فكيف الحال فى أخذ الاحمال من أموال النساء والرجال (الآية) وهى (الذين اذا اكلوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) وفيه وعيد فى غاية التهديد ولقد كان بعضهم يقول لا تشتري الويل من الله بحبة فكان اذا أخذ نقص نصف حبة واذا أعطى زاد حبة ويقول: ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السموات والأرض، ويؤبده انه عليه السلام « اشترى شيئا وقال للوزان زن وارجح » كما رواه أصحاب السنن الأربعة وقال الترمذى: حسن صحيح وقد قيل كل مكلف فهو صاحب موازين فى أفعاله وأقواله وخطرات أحواله فويل له ان عدل عن العدل ومال عن الاستقامة فى مقام الفصل (ولا يروج الزيف) وهو مالا نقرة فيه أصلا بل هو بموه عملا أو مالا ذهب فيه من الدنانير اماما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالبحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء فى المعاملة عليه قال الغزالى: وقد رأينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة أو لم يعلم وان لم يكن نقد البلد لم يحز الا اذا علم قدر النقرة فان كان فى ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معاملة وان لا يعامل به الا من لا يستحل التزويج فى جملة النقد بطريق التليس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد واعانة عليه فهو كبيع العنب من يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محذور، وفيه اعانة على الشر (بل يلقيه فى البئر) فقد قال: بعضهم انفاق درهم زائف أشد من سرقة مائة درهم لأن السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزيف بدعة أظهرها فى الدين

وَلَا يَخْلُطُ التُّرَابَ بِالطَّعَامِ . وَمَا لَا يَعْتَادُ بِاللَّحْمِ فَهُوَ وَأَمثَالُهُ حَرَامٌ ، وَلَا
يَقْدُمُ عَلَى شَيْءٍ لَا يُرِيدُ بِمَا فَوْقَ ثَمَنِهِ تَرْغِيًّا لِلشُّتْرِى . وَالْأَصْلُ أَنَّ لَا يُرِيدُ لغيره مَا لَا يُرِيدُ
لِنَفْسِهِ ، وَهُوَ بِاعْتِقَادِ أَنَّ الْخِيَانَةَ لَا تَزِيدُ فِي الرِّزْقِ . وَالْذِيَانَةُ لَا تَنْقُصُ . وَأَنَّ الْآخِرَةَ

وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة ومائتي سنة الى
أن يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد ونقص من أموال الناس بسببه فطوبى لمن اذا
مات مات معه ذنوبه والويل لكل الويل لمن يموت وتبقى ذنوبه ، ففي صحيح مسلم عن جرير
ابن عبد الله مرفوعا « من سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من
عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء » وبالجملة التجارة عك الرجال وبها يقين مقام دينهم
في الأحوال وقد قال بعضهم : لا يغرنك من المرء قيص رقبته أو أزار فوق كعب
الساق منه رفعة أو جبين لا ح فيه اثر قد قلعه فلدى الدرهم فانظر غيه أو ورعه (ولا يخلط
التراب) أى ونحوه من التبن وغير الجنس (بالطعام) أى الحبوب (وما لا
يعتاد) أى خلطه (باللحم) كالدم والغدة والجلد الرقيق و كذا اللحم المكسز بالضأن
والضعيف بالسمن (فهو) أى ما ذكر (وأمثاله) كخلط الماء باللبن والدهن بالسمن
والدبس بالمسك (حرام) لأنه ظلم في حق الانام (ولا يقدم على شيء) أى سوم
شئ (لا يريد) أى لا يقصد شراؤه (بما فوق ثمنه ترغيبا للشترى) فانه النجش
المنهى عنه في المتفق عليه عن ابن عمر (والأصل أن لا يريد لغيره ما لا يريد لنفسه)
كما ورد « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه » أخرجه الشيخان وغيرهما
وفي رواية « وحتى يكره لآخيه ما يكره لنفسه » (وهو) أى حصول هذا المقام انما
يكون (باعتقاد ان الخيانة لا تزيد في الرزق والديانة) أى الموجبة للامانة (لا تنقص)
أى في الرزق فاذن لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة صادرة عن امانة وديانة
ومن لا يعرف الزيادة والنقصان الا بالميزان فهو لم يصدق بهذا الحديث وهو في غاية
من الخسران ومن عرف ان الدرهم الواحد قدير لك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان
في الدين والدنيا والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى يكون سبب هلاك
مالكها في الدنيا والآخرة صدق بقولنا ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص
منه في المال وقد قال تعالى : (يحق الله الربا ويربى الصدقات) وورد « الامانة
تجر الرزق والخيانة تجر الفقر » القضاعى عن علي (وان الآخرة) أى وباعتقاد ان

أَوَّلَى مِنَ الدُّنْيَا، فَوَرَدَ «لَا تَزَالُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَدْفَعُ عَنِ الْخَلْقِ سَخَطَ اللَّهِ مَا لَمْ يُؤْثِرُوا صَفَقَةَ دِيْنَاهُمْ عَلَى آخِرَتِهِمْ» وَيَحْسَنُ بَانَ لَا يَغْنِي عَنْ مُعْتَادٍ، وَإِنْ أَعْطَى الْمُشْتَرَى لِرَغْبَةٍ أَوْ حَاجَةٍ وَيَحْتَمِلُهُ مِنْ ضَعِيفٍ أَوْ فَقِيرٍ،

العقبى ﴿أولى من الدنيا﴾ كما قال تعالى : (والآخرة خير وأبقى) فيختار نفع العقبى على نفع الدنيا لثبوتها لما يبقى على ما يبقى ﴿فورد لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله﴾ أى آثار غضبه ﴿ما لم يؤثروا﴾ أى مدغم يختاروا ﴿صفقة دينايم على آخرتهم﴾ أى عقدا يوجب جلب الدنيا على عقد يورث نفع العقبى، والحديث رواه أبو يعلى والبيهقى فى الشعب عن أنس وفى رواية للحكيم الترمذى فى النوادر «حتى نزلوا بالمنزل الذى لا يبالون ما نقص من دينهم اذا سلط لهم دينايم، والطبرانى فى الأوسط نحوه من حديث عائشة والكل ضعيف إلا أنه يقوى بعضها ببعض، ويؤيده حديث «من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها؟ قال تحجزه عما حرم الله» الطبرانى من حديث زيد بن أرقم باسناد حسن ﴿ويحسن﴾ أى البائع فى المعاملة ويعنى بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فإن الواجب يدخل فى باب العدل وترك الظلم وقد قال تعالى : (ان الله بأمر بالعدل والاحسان) فالعدل سبب للنجاة والاحسان موجب لنيل الدرجات، ويدرك الاحسان الكامل بستة أمور ﴿بان لا يغبن﴾ أى المشتري غناؤه (غير معتاد) سواء كان فاحشا أم لا ﴿وان اعطى المشتري﴾ أى ولو دفع ثمنه مع زيادة ﴿لرغبة﴾ أى زائدة (أو حاجة) أى ملجئة لقوله تعالى : (واحسن كما أحسن الله إليك) وفى الاحياء قد ذهب بعض العلماء الى ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنأى ذلك ولكن من الاحسان أن يحيط ذلك الغبن، وفى الخبر «غبن المسترسل حرام» الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف والبيهقى من حديث جابر بسند جيد وقال «ربا بادل حرام»، وقال الزبير بن عدى: أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم من أحديهم يشتري لحما بدرهم فغبن هؤلاء المسترسلين حرام وعدوان وان كان من غير تليس فهو من ترك احسان ﴿ويحتمله﴾ أى وبان يحتمل الغبن (من ضعيف) بائع أو مشتري بان يكون مريضا أو عن الكسب عاجزا (أو فقيرا) أى ظاهر الفقر بان لم يكن صاحب نصاب فيكون به محسنا وأما ما ورد من ان الكمال ان لا يغبن ولا يغبن فهو محمول على غير محل الاحتمال

فورد « رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَهْلَ الْبَيْعِ سَهْلَ الشَّرَاءِ » لَا مِنْ غِنٍ لِأَنَّهُ تَضْيِيعٌ
لِلْمَالِ أَذْ لَا أَجْرَ وَلَا أَحَدَ . وَيُسَاحُ فِي قَبْضِ الثَّمَنِ . وَالدِّينِ - بِنَقْصِ بَعْضِهِ .
وَتَرَكَ طَلَبَ فَقْدٍ أَحْسَنَ : وَأَمْهَالَ : وَقَبُولَ حَوَالَةٍ ، فورد « رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا
سَهْلَ الْقَضَاءِ سَهْلَ الْإِقْضَاءِ مَنْ أَنْظَرَ مَعْسِرًا أَوْ تَرَكَ لَهُ حَاسِبَهُ اللَّهُ حَسَابًا يَسِيرًا »

وهذا معنى وصف بعضهم عمر بانه كان أكرم من أن يتخدع وعقل من أن يتخدع ، وكان
اياس بن معاوية قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول : لست بخب و الخب
لا يغبنني ولا يغبن ، ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن أبو يعلى يعنى معاوية
ابن قرة قلت : ومقام الحسن أيضا حسن لقوله عليه السلام « المؤمن غر كريم والفاجر
خب لثيم » أبو داود . والترمذى . والحاكم عن أنى هريرة ، وكان الحسن والحسين
وغيرهما من الصحابة يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال قليل
لبعضهم تستقصى في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير فقال : ان الواهب يهب فضله
وان المغبون يغبن عقله ، وقال بعضهم انما أغبن عقلى وبصيرتى فلا أمكن الغابن منه
واذا هبت فأعطى لله ولا استكثرله شيئا ، (فورد) في البخارى عن جابر مرفوعا
(رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَهْلَ الْبَيْعِ سَهْلَ الشَّرَاءِ) تمامه سهل القضاء سهل الإقضاء (لا من
غبن) أى لا يَحْتَمِلُ الْغِنِ مِنْ غِنِ تاجر يطلب الربح زيادة على تجارتها فاحتمال
الغبن منه ليس في محله (لانه تضییع للمال) وتأسف فى المال (اذ لا أجر) فى العقبى
(ولا أحد) فى الدنيا فقد ورد فى حديث من طريق أهل البيت « ان المغبون لا محمود
ولا مأجور » الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية عبد الله بن الحسن عن أبيه عن
جده . وأبو يعلى من حديث الحسين بن على برفعه (ويسامح فى قبض الثمن والدين)
أى وفى قبضه (بنقص بعضه) من الثمن والدين . (وترك طلب فقد أحسن وأمهال
وقبول حوالة) فورد رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَهْلَ الْقَضَاءِ سَهْلَ الْإِقْضَاءِ . وهو تيسر الحديث
المتقدم فليغتنم دعاؤه عليه السلام ، وقد ورد أيضا فى هذا المقام . اسمح يسمح لك «
الطبرانى من حديث ابن عباس ورجاله ثقات * (من أنظر معسرا) أى أمهله (أو
ترك له) . أى أسقط عنه كله أو بعضه ولو حقيره (حاسبه الله) يوم القيامة
(حسابا يسيرا) * وفى لفظ آخر . أظله الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله ، أحد

وَيُيَادِرُ فِي اعْطَاءِ الْأَجْرَةِ وَقَضَاءِ الدِّينِ قَبْلَ الْأَجَلِ بِأَحْسَنِ مَاشَرَطَ .
وَيَنْوِي الْقَضَاءَ كَذَلِكَ أَنْ عَجَزَ فُورِدَ « أَنْ الْمَلَائِكَةُ يَدْعُونَ لَهُ حَتَّى يَقْضِيَهُ »

ومسلم باللفظ الثاني من حديث أبي اليسر وهو كعب بن عمرو، وفي رواية الطبراني عن ابن عباس « أنظره الله بدينه إلى توبته، وفي رواية لأحمد . وابن ماجه . والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين عن بريدة . ومن أنظر مسرًا فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثله صدقة » وأصله قوله تعالى : (وان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وان تصدقوا) أى بكله أو بعضه : (خير لكم ان كنتم تعلمون) والتصدق سنة وهنا أفضل من الانظار الذي هو فرض وذكّر عليه السلام رجلاً كان مسرفاً على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقبل له هل عملت خيراً قط فقال لا الا انى كنت رجلاً اداين الناس وأقول لفتيانى ساحبوا الموسر وانظروا المعسر ، وفي لفظ آخر « تجاوزوا عن المعسر » فقال الله تعالى (نحن أحق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له) ، رواه مسلم من حديث أبى مسعود الانصارى وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة (ويبادر في اعطاء الأجرة) ، وفي الخبر اعطوا الاجير أجره قبل أن يحف عرقه ، ابن ماجه عن ابن عمر (وقضاء الدين قبل الأجل) أى قبل حلوله فانه يعد من احسان العمل وبطلان الأمل (باحسن ماشرط) أى فى العقد الاول بأن يؤدى الجيدو فان الشرط مزبور فانه يوجب معروفًا يقتضى كون صاحبه مالوفًا فورد « خيركم أحسنكم قضاء » متفق عليه من حديث أبى هريرة (وينوى القضاء كذلك) أى باحسن ماشرط (ان عجز) مهما قدر (فورد ان الملائكة يدعون له) أى لمن ينوى القضاء بأن يقدر الله تعالى له (حتى يقضيه) والحديث فى الاحياء بلفظ « من ادا دينه وهو ينوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه » ورواه أحمد عن عائشة « ما من عبد كانت له نية فى أداء دينه الا كان معه من الله عون وحافظ » وفي رواية له « لم يزل معه من الله حارس » وفي رواية للطبراني فى الأوسط « الامعة عون من الله عليه حتى يقضيه » وفى الاحياء كان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر قلت : وفى جواز هذا لا يخلو من النظر لما فيه من نوع الفرر وصنف الخطر اللهم الا أن يحمل على شراء شئ الى الاجل المقرر

وَيَسْتَدِينُ فِي ضَعْفِ قُوَّةٍ فِي سَبِيلِهِ تَعَالَى . وَتَكْفِينِ مَيِّتٍ مُقَلٍّ وَنِكَاحٍ
يَتَعَقَّفُ بِهِ عَلَيْهِ تَعَالَى فَهُوَ يَقْضِيهَا وَيُقِيلُ أَنْ نَدَمَ الْبَائِعُ فَوَعَدَ عَلَيْهِ أَقَالَتُهُ تَعَالَى
يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَثْرَتُهُ « وَيُعَامِلُ الْفَقِيرَ نَسِيئَةً عَلَى عَزَمِ التَّرْكِ إِنْ لَمْ يَظْهَرْ غِنَاهُ .
وَيَكِيلُ الطَّعَامَ أَخْذًا وَإِعْطَاءً ،

فتدبر ﴿ ويستدين ﴾ أى يستقرض ويتدين ﴿ فى ضعف قوة فى سبيله تعالى ﴾ بأن
يكون فى حج أو غزوة وفى زاده أو مات مر كوبه ﴿ وتكفين ميت مقل ﴾ أى
فقير قريبا كان أو بعيدا ﴿ ونكاح يتعفف به ﴾ أى يطلب عفة نفسه عن الزنا بسببه
﴿ عليه تعالى ﴾ أى متوكلا عليه ومستندا اليه تحسنا للظن لديه أن يرزقه ما يقضيه
﴿ فهو يقضيا ﴾ أى جميع ما عليه من الديون الثلاثة بكرمه اما فى الدنيا واما يرضى
صاحبه فى العقبى ﴿ ويقيل ﴾ من الاقالة أى يرد الية ﴿ ان ندم البائع ﴾ على شرائها
وكذا حكم المشتري وغيره فالعبارة الحسنة الجامعة ما فى الاحياء ويقيل من يستقبله
فانه لا يستقبل الا متمم يستضر بالبيع ونحوه فلا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون
سبب استضرار غيره ﴿ فوعده عليه ﴾ أى على اقالته النادم ﴿ اقالته تعالى ﴾ أى
عفوہ ﴿ يوم القيامة عثرته ﴾ أى ذنوبه وزلته، وكان الاولى ان يقول فورده ﴿ من اقال
نادما صفقته اقال الله عثرته يوم القيامة ، أبو داود . والحاكم من حديث أبي هريرة
وقال: صحيح على شرط مسلم ﴾ ويعامل الفقير نسيئة ﴾ أى صبرا عليه ﴿ على عزم
الترك ﴾ أى ترك المطالبة أو الأخذ ﴿ ان لم يظهر غناه ﴾ بأن يحقق فقره اليه فيكون
فى هذا محسنا اليه فانه لا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن زاد معاده فيكون عمره
ضائعا وصفقته خاسرة اذ ما يفوته من الربح فى العقبى لا ينفى به ما يناله فى الدنيا فيكون
من اشترى الحياة الدنيا بالأخرى بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه وغيره وصفقته
على نفسه بحفظ رأس ماله وصلاح شأنه وحاله ورأس ماله حفظ دينه وتجارته فيه
صدق يقينه قال بعض السلف: أولى الأشياء بالعاقل أحوجه اليه فى العاجل وأحوج
شئ اليه فى العاجل أحمد عاقبة فى الآجل وقد قال تعالى : (ولا تنس نصيبك من الدنيا)
أى لا تنس نصيبك فى الدنيا نصيبك منها للعقبى فان الدنيا مزرعة الآخرة والآخرة
مخزنة الذخيرة الفاخرة ﴿ ويكيل الطعام ﴾ أى الجبوب ﴿ أخذوا إعطاء ﴾ أى حال

فَقِيهِ الْبَرَكَةُ . وَيَخْتَارُ حَرْفَ السَّلَفِ كَالْحَرْثِ . وَالْحَمْلِ . وَالنَّجْرِ . وَالْخِيَاطَةِ
وَالْقَصْرِ . وَالْخَصْفِ . وَالرَّعْيِ . وَالْكِتَابَةِ .

أخذ وحال اعطاء (فقيه البركة) وفي الخبر « كيلوا طعامكم يسارك لكم فيه ، أحمد
والبخارى عن المقدام ، وفي رواية ابن النجار عن علي « كيلوا طعامكم فان البركة
في الطعام المكيل » وروى الزار عن أبي هريرة أنه عليه السلام نهى عن بيع الطعام
حتى يجرى فيه صاعان صاع البائع وصاع المشتري فيكون لصاحبه الزيادة وعليه
النقصان ، وتحقيق هذه المسألة وما فيها من الرعاية في شرحنا للنقاية مختصر الوقاية
والله ولي الهداية (ويختار حرف السلف) فكان غالب أعمال الاخير من السلف
عشر صنائع ، الحرز . والتجارة . والحمل : والخياطة . والقصارة . وعمل الخفاف .
وعمل الحديد . وعمل المغازل . ومعالجة صيد البر والبحر . والوراقة (كالحرث)
وهي الزراعة وهي صنعة آدم أولا ، وقد قال عليه السلام : « اتمسوا الرزق في خبايا الأرض ،
والمراد الزرع والشدوا :

تنبع خبايا الأرض وادع مليكها * لعلك يوما أن تجاب وترزقا
ويشير الى هذا المعنى قوله تعالى : (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها
وكلوا من رزقه واليه النشور) ولا يبعد أن يراد بالآية والحديث المعنى الاعم الشامل
للزراعة والتجارة والله سبحانه أعلم (والحمل) أى حمل الامتعة من محل الى محل
بأجرة معينة وبنان الحال كان من أهل الكمال (والنجر) أى التجارة ، وفي مسند أحمد
وصحيح مسلم عن أبي هريرة كان زكريا نجارا (والخياطة) قيل انه من صنعة ادريس
(والقصر) وهو غسل الثياب ومنه الحواريون (والخصف) أى خرز النعل والقربة
ونحوهما وصح أنه عليه السلام كان يخصف نعله (والرعي) أى رعى الغنم والابل
ونحوهما ، وهو من صنعة الانبياء والاولياء (والكتابة) فى حرفة العلماء والمشايخ
الاصفياء لاسيما كتابة المصحف القديم وحديث النبي الكريم ففيهما بقاء الدين القويم
والمنهج المستقيم ، قال عبد الوهاب الوراق قال لى أحمد بن حنبل : ما صنعتك ؟ قلت :
الوراقة قال : كسب طيب لو كنت صانعا يبدى لصنعت صنعتك وهو يحتمل أن يكون
معناها الكتابة أو صنعة الورق بمعنى الكاغد الذى تتوقف عليه صنعة الكتابة كشغل
المداد فانه آلة الكتابة ، وقد ورد « يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد

فورد « خير تجارتكم البز وخير صناعاتكم الخرز » ويلزم مارزق فيه . ويترك ما اتجر فيه ثلاثا فلم يرزق . ويتخذ الغنم . والدجاج ونحوها للدر والنسل ففيها عشر الرزق ،

العلماء (فورد خير تجارتكم البز وخير صناعاتكم الخرز) الدبلي عن علي تعليقا ويقال : أربعة من الصناعات موسومون عند الناس بضعف الرأي الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلون ، ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النسوان والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول بضعف العقل كما أن مخالطة العقلاء يزيد في العقل فان الصحة تؤثر فورد المرء على دين خليله فلي نظر بمن يخال ، وعن مجاهد ان مريم عليها السلام مرت في طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة فطلبت الطريق فارشدها غير الطريق فقالت : اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقراء وحقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاءها ، وذكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل العبادات في فروض الكفايات كفعل الأموات وحفر القبور ودفنهم وكذا الأذان والاقامة وتعليم القرآن والفقه وان حكم المتأخرون بجواز ذلك اذ لم يروا من يقوم بهذه الأمور احتسابا هنالك (ويلزم مارزق فيه) أي من أنواع الصناعة واصناف التجارة فلا ينتقل منها الى غيرها ، ففي الخبر « من رزق في شيء فليزمه » اليهقي عن أنس ، وفي رواية ابن ماجه من حديث أنس وعائشة « من بورك له في شيء فليزمه » وفي رواية له عن أنس بلفظ « من أصاب من شيء فليزمه » (ويترك ما اتجر فيه ثلاثا) أي ثلاث مرات (فلم يرزق) أي لم يربح فيه فان علامة الاجازة تيسير الأمور وتيسيرها ، وفي الخبر « اليسرين والعسر شؤم » الدبلي عن رجل ، وينتقل الى غيره (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) وفي الخبر « ان يغلب عسر يسرين » وفيه تحقيق وتدقيق ليس هذا محله الذي ذكره يليق (ويتخذ الغنم) ففي مسند الفردوس للدبلي عن أبي هريرة « الغنم أموال الانبياء » وفي رواية الخطيب عن أبي هريرة « الغنم من دواب الجنة فامسحوا رغامها وصلوا في مرابضها » وفي رواية أبي يعلى عن البراء « الغنم بركة » (والدجاج ونحوها) كالناقة والبق والفرس والبط والحمام (للدر) أي اللبن (والنسل) أي التاج (ففيها عشر الرزق) أي ويسر الرفق ، وروى « وفي التجارة تسعة اعشار الرزق » وفي سنن ابن ماجه « أن النبي ﷺ أمر الاغنياء باتخاذ الغنم وامر الفقراء باتخاذ الدجاج ، وقال عند

فَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْرَانِ . وَغَنِمَ مِنْ لِبْنَهَا قُوتُ أَهْلِهِ وَيَخْتَارُ صَنْفَ
السُّودِ وَالْبَيْضِ . وَلَا يَحْرُصُ ، فَوَرَدَ « شَرُّ الْبَقَاعِ السُّوقُ وَشَرُّ أَهْلِهَا أُولَٰهُمُ دَخُولًا
وَأَخْرُجُهُمْ خُرُوجًا » *

اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله بهلاك القرى وقد يتناوجه في بهجة الانسان في مهجة
الحيوان ﴿ فكان له عليه السلام بعران ﴾ بضم أوله جمع بعير ﴿ وغنم من لبنها قوت
أهله ﴾ وفي المواهب اللدنية كانت له خمسة وأربعون لقحة أرسل بها إليه سعد بن عبادة
وكانت له مائة شاقو كانت له سبعة أعنز منابيح ترعاها أم ايمن، وورد خذ الحبة من
الحب والشاة من الغنم والبعير من الابل والبقرة من البقر، أبو داود وابن ماجه،
والحاكم عن معاذ ﴿ ويختار ﴾ أى من الغنم ﴿ صنف ﴾ أى نوعا مجتمعا فيه ﴿ السود
والبيض ﴾ كما حكى في غنم شعيب عليه السلام ورعى الكلم في ذلك المقام ﴿ ولا
يحرص ﴾ على تحصيل الدنيا وتعطيل العقبي فلا يباكر بالسوق ونحوها ﴿ فورد شر
البقاع السوق ﴾ لانه محل الغفلة والعصيان ولو بالخطأ والنسيان وموضع راية الشيطان
وجنوده أعداء الانسان ﴿ وشر أهلها أولهم دخولا وأخرهم خروجا ﴾ رواه أبو نعيم
من حديث ابن عباس بلفظ « أبغض البقاع الى الله الأسواق وأبغض أهلها الى الله
أولهم دخولا وأخرهم خروجا » وقد تقدم حديث « شر البقاع الأسواق وخير
البقاع المساجد » فينبغي أن لا يمتنع سوق الدنيا عن سوق العقبي وأسواق الآخرة
المساجد ونحوها من المدارس والمعابد والمشاهد، وكان عمر يقول للتجار اجملوا أول
نهاركم لا خرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحوا السلف يجعلون أول النهار وآخره
للاخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤس بكرة الا الصديان وأهل الذمة
لانهم كانوا في المساجد بعده، وفي الخبر « أن الملائكة اذا صمدت بصحيفة العبد في أول
النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيئ الأعمال » أبو يعلى من حديث
أنس بسند ضعيف ويقويه قوله تعالى : (وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) ويؤيده
حديث « تلتقى ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله
وهو أعلم : كيف تركتم عبادي فيقولون : تركناهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول
الله : أشهدكم اني قد غفرت لهم » متفق عليه من حديث أنس هريرة وقد جازى تفسير قوله
تعالى : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) أنهم كانوا حدادين وخرادين

وَلَا يَرْكَبُ الْبَحْرَ إِلَّا لِحَاجٍّ أَوْ عَمْرَةٍ أَوْ غَزْوَةٍ، وَيَتَوَرَّعُ، فُورِدَ «أَمَّا الْوَرَعُونَ فَأَنَّى اسْتَحْيَ أَنْ أَحَاسِبَهُمْ»

فكان أحدهم إذا رفع المطرقة أو غرز الأشفار فسمع الأذان لم يخرج الأشفار المغزون ولم يقع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة، وقد قيل: من أحب الآخرة عاش ومن أحب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش والعاقل في دينه قئاش ﴿ولا يركب البحر إلا لحج أو عمرة أو غزوة﴾ رواه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو فكان حقه أن يقول ورد ويقال من ركب البحر للتجارة فقد استقصى في طلب الرزق، والمعنى أنه يدل على كمال حرصه وعدم القناعة في أمره فكان من السلف من إذا ربح دنانقاً أنصرف قناعة بهو كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر، ومنهم من لا يعمل في الأسبوع إلا يوماً أو يومين ﴿ويتورع﴾ أي عن التشبهات ولا يكتفي بالتحرز عن المحرمات وقد حمل إلى رسول الله ﷺ لبن فقال: من أين لكم هذا؟ قيل من هذه الشاة فقال: ومن أين لكم هذه الشاة؟ قيل: من موضع كذا فشرب منه ثم قال: أنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيباً ولا نعمل إلا صالحاً الطبراني من حديث أم عبد الله أخت شداد ابن أوس بسند ضعيف، ويقويه قوله تعالى: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) ويؤيده قوله عليه السلام: إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) وعن أبي هريرة: كان إذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه، الحديث رواه أحمد من حديث أبي هريرة باسناد جيد، وله من حديث جابر: أن رسول الله ﷺ وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة، الحديث، وفيه فآخذ رسول الله ﷺ لقمة فلم يستطع أن يسيغها فقال: هذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها، الحديث واسناده جيد، والحاصل أنه عليه السلام كان لا يسأل عن كل ما يحمل إليه إلا إذا ظهر له ما يدل على ريبه لديه، وفي البخاري من حديث عائشة: كان لا يترك بكر غلام يخرج له الخراج وكان يأكل أبو بكر من خراجها فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر فقال الغلام: أتدري ما هذا؟ قال: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لأناس في الجاهلية فاعطوني فادخل أصبعه فيه وجعل يقي، وفي بعض الأخبار أنه عليه السلام لما أخبر بذلك قال: أو ما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيباً فغنى قوله ويتورع أي يطلب الورع من نفسه ويبالغ في ترك حظه فان الورع أصل الدين كما أن الطمع فساده في مقام المجتهدين ﴿فورد اما الورعون فاني استحي ان احاسبهم﴾ أي

وَأَدْنَى رُتْبَةِ الْإِحْتِرَازِ عَنِ الْحَرَامِ وَهُوَ الْوَرَعُ . ثُمَّ عَنِ الشَّهْوَةِ وَهُوَ التَّقْوَى ،
 فَوَرَدَ « دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ » وَهُوَ كُلُّ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ وَالْأَخْذُ مِنْ
 عِلْمٍ أَنَّ فِي مَالِهِ حَرَامًا . أَوْ عَلَيْهِ عَلَامَةٌ عَدَمُ الْمُبَالَاةِ ، وَصَلَةُ السُّلْطَانِ إِنْ اشْتَبَهَ
 بَيْتُ الْمَالِ . وَاسْتِحْقَاقُ الْأَخْذِ أَوْ قَدْرُهُ . وَالْأَوَّلَى فِي مِثْلِهِ السُّؤَالُ عَنِ الْغَيْرِ .
 وَالتَّعْلِيلُ لَا يَتَأَذَى فَاسْرَارُ الْمُؤْمِنِ أَهْمٌ مِنَ الْوَرَعِ

فانهم حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا الحديث لم أعرفه ﴿ وأدنى رتبة ﴾ أى
 مراتب الورع ﴿ الاحتراز عن الحرام وهو الورع ﴾ المخصوص به فى عرف الاعلام
 * (ثم عن الشهوة) أى شهوة النفس وهواها و كان الظاهر ان يقول ثم عن الشهوة
 ولعله سهو فى النسخة (وهو التقوى) * أى ذالها وجمالها (فورد دعى ما يريك) أى
 ما يوقعك فى الريبة والشبهة (الى ما لا يريك) النساقى والترمذى والحاكم وصحاحه من
 حديث الحسن بن على (وهو) * أى المريب (كل ما) وفى نسخة كما (اختلف فيه) عند
 العلماء بالحل والحرمه والكراهة والخلوعنها كأ كل الضب ونحوها (والاخذ) بالرفع
 أو الخفض أى ثم الورع عن الأخذ والمريب كالأخذ (عن علم) أى ظنا غالبا (ان فى
 ماله حراما) بان يكون أكثره حراما (أو عليه) أى وان على نفسه علامة عدم
 المبالاة (فى المعاملات فكل منسوب الى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله وكذا فى
 الاجناد والظلمة من الأمراء والوزراء وأصحابهم وأعوانهم من العلماء وفى الخبر من لم يبال
 من أين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من أين أدخله النار ، الدبلى عن أنس
 (وصلة السلطان) (أى ثم الورع عن أخذها أو كصلته واعطائه) (ان اشتبه
 بيت المال) أى التبس مال الحرام بالحلال (واستحقاق الأخذ) * أى أخذه
 فى تلك الحال وهو يحتمل المصدر واسم الفاعل ويؤيد الاول قوله (أو قدره) *
 أى من جملة المال (والأولى فى مثله) * أى فى مثل ما ذكر من مواضع الاشتباه (السؤال
 عن الغير) أى من أهل الانتباه فان رأى العليل عليل والنفس بالطبع الى هوسها
 وهواها تميل (والتعلل) أى والأولى فى مثله حال الامتناع اظهار الاعتذار
 (كيلا يتأذى) أى صاحبه فى الاسرار (فاسرار المؤمن) أى ادخال السرور فى
 قلبه بقبول ماله ولو بشبهة فى حاله (أهم من الورع) فى اظهار فعاله فمن ابن عمر

أَمَّا الْوَهْمُ الْغَيْرُ النَّاشِءُ عَنْ دَلِيلٍ كَالْاِحْتِرَازِ عَنِ الصَّيْدِ لَا حُتْمًا كَوْنُهُ
مَلَكًا لِلغَيْرِ وَلَا أَثَرًا عَلَيْهِ. فَوْسُوسَةٌ وَيَنِيٌّ فِيهِ عَلَى ظَاهِرِ الْحَالِ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ. فُورِدَ
(إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) ثُمَّ عَمَّا لَا بَأْسَ بِهِ مَخَافَةً مَابَهُ بِأَسٍّ. وَهُوَ الصَّدَقُ فِي التَّقْوَى
كَتَرَكَ. الْعَزَبُ الشَّبَعُ وَالْعَطَرُ لِنَحْرِ يَكُهُمَا الشَّهْوَةُ. ثُمَّ عَمَّا لَيْسَ لَهُ تَعَالَى وَهُوَ
الصَّدَقُ الْمُطْلَقُ كَتَرَكَ خَطْوَةً أَوْ لَقْمَةً لَيْسَ فِهْمَانِيَّةً

« واما من شيء أحب الى الله من ادخال السرور على اخيك المسلم » ابن النجار * (اما
الوهم الغير الناشئ عن دليل) هـ أى عما يشعر بعلّة شبهة وريبة هـ (كالاحتراز عن
الصيد) * أى مطلقا هـ (لاحتمال بونه ملكا للغير) هـ أى سببا هـ (ولا أثر عليه) هـ
أى على الصيد من علامة دالة على أنه للغير هـ (فوسوسة) هـ ويسمى شبهة الشبهة
هـ (ويبنى) هـ أى أمر الورع هـ (فيه على ظاهر الحال) هـ أى حال المسلم لما ورد ونحن
نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وهو أعلم بالضمائر ، (تحسينا للظن) أى بأخيه
المؤمن (فورد ان بعض الظن اثم) وهو الذى لا علامة فيه بما يوافقه أو ينافيه ،
واما ماورد من ان الحزم سوء الظن فحمول على ما يوجد فيه امارة وفي الآية أيضا
الى هذا المفهوم اشارة ، وعن سليمان اذا كان لك صديق عامل أو تاجر تعارف
الربا فعداك الى طعام أو نحوه أو أعطاك شيئا فاقبل فان الهناء لك وعليه الوزر فاذا ثبت
هذا فى المراتب فالظالم فى معناه (ثم) أى ثم الورع (عمالا بأس به مخافة مابه
بأس) فى سنن ابن ماجه « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة
مابه بأس » (وهو الصدق فى التقوى) أى المسمى به ، ومنه أنه عليه السلام « أرق ليلة
فقال له بعض نسائه ارفقت يا رسول الله ؟ فقال : أجل وجدت تمرّة فأكلتها فغشيت ان
تكون من الصدقة ، احدى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده باسناد حسن
(كترك العزب الشبع) أى المفرط (والعطر) أى الطيب الكثير وهما مالا بأس
بهما (لنحر يكهما الشهوة) التى بها بأس فتكون باعثة له على الرية والشبهة (ثم)
أى ثم الورع (عما ليس له تعالى) أى خالصا لوجهه وان كان مباحا فى أصل
أمره (وهو الصدق المطلق) وصاحبه الصديق المحقق (كترك خطوة أو لقمة)
وكذا ترك نظرة . وخطرة . وسكون . وحركة (ليس فيهما) وفى أمثالهما (نية

عِبَادَةٌ فَهُمْ كَانُوا يَقْتَصِرُونَ عَلَى لَقِيَمَاتٍ يَقْوِينَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْتَحْقِيقِ أَنَّهُ كَلِمَةٌ
يُشَدُّ فِي الْأَحْتِيَاظِ يَكُونُ سَبِيلًا لِلتَّخْفِيفِ، وَالْأَصْلُ الْأَسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ * »

عبادة) وقصد سعادة (فهم) أى أهل هذا المقام وهم الصديقون (كانوا يقتصرون
على لقيمات يقوين على العبادة) أبدانهم، وروى عن عمر « أنه كان يأكل سبع لقم
أو تسعاً، وقد أشير إليه بقوله لقيمات فإنه أقل جمع القلة وهو ما دون العشرة وفي هذا
بيان الحكمة وفي تصغيرها إيماء إلى تقليلها في الكيفية (والتحقيق أنه كلما يشدد
في الاحتياط يكون سبباً للتخفيف) أى لتخفيف الحساب وتقليل العذاب (والأصل
الاستفتاء من القلب) والاستخارة في كل أمر من الرب فورد « استفت قلبك وإن
افتاك المفتون وماخاب من استخار » ثم اعلم أن أغلب أموال السلاطين حرام
في هذه الأعصار والحلال في أيديهم معدوم أو عزيز في الديار ، وقد اختلف الناس في
هذا فقال : قوم كل ما لا يتيقن أنه حرام فله أن يأخذه وقال آخرون لا يحل أن يأخذ
ما لا يتيقن أنه حلال فلا تحل شبهة أصلاً ، والاعديل أن الحكم للأغلب فإذا كان
حراماً حرم وإذا كان حلالاً بقى بحله وحكم الورع بتركه إلا أن هذا الزمان لم يوجد
إلا الشبهات لفقد الخالص من الحلالات الطيبات ، ولقد احتج من جواز أخذ أموال
السلاطين إذا كان فيه حلال وحرام مهما لم يتحقق أن عين المأخوذ حرام بما روى
عن جماعة من الصحابة أنهم أدر كوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال منهم
كأبي هريرة . وأبي سعيد الخدري . وزيد بن ثابت . وأبي أيوب الأنصاري . وجريير
ابن عبد الله . وجابر . وأنس . والمسور بن مخرمة فأخذ أبو سعيد . وأبو هريرة من
مروان . ويزيد بن عبد الملك ، وأخذ ابن عمر . وابن عباس من الحجاج وأخذ كثير
من التابعين منهم كالشعبي . وإبراهيم . والحسن . وابن أبي ليلى ، وأخذ الشافعي من
هارون الرشيد ألف دينار في دفعة ، وأخذ مالك من الخلفاء أموالاً جمّة وقال على كرم
الله وجهه : خذ ما أعطاك السلطان فإن ما يعطيك من الحلال وما يأخذه من الحلال
أكثر وإنما ترك من ترك منهم العطاء تورعاً لا ترى إلى قول أبي ذرٍّ للاحنف بن قيس
خذ العطاء ما كان نحلة فإذا كان أثمان دينكم فدهوه ، وقال أبو هريرة إذا أعطينا قبلنا
وإذا منعنا لم نسأل ، وعن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه كان إذا أعطاه معاوية
سكت وإن منعه وقع فيه ؛ وروى نافع عن ابن عمر أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله

ثم يقول: لا أسأل أحدا ولا أريد ما رزقني الله، وعن نافع أنه بعث ابن معمر إلى ابن عمر سبعين ألفا فقسمها على الناس ثم جاء سائل فاستقرض من بعض من أعطاه وأعطى السائل ولما قدم الحسن بن علي على معاوية فقال: ألا أجيزك بجائزة لم أجزها أحدا من العرب قبلك ولا أجيزها أحدا بعدك من العرب قال فأعطاه أربع مائة ألف فأخذها، وعن جعفر عن أبيه أن الحسن والحسين كانا يقبلان جوائز معاوية، وقال حكيم ابن جبير: مررت على سعيد بن جبير وقد جعل عاشر من أسفل الفرات فأرسل إلى العشارين اطعمونا بما عندكم فأرسلوا بطعام فأكل منهوا كلنا معه وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من امتناع جماعة من السلف من العطاء لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين. وأبى ذر وغيرهم من الزهاد فأنهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاؤه إلى محذور ورعاه وما نقل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع نيفا وثلاثين ألفا وما نقل عن الحسن أنه قال: لا أتوضأ من ماء صيرفي وإن ضاق وقت الصلاة لأنني لأدري أصل ماله كله ذلك ورع لا ينكر، ومن هذا القبيل أن أبا بكر حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم ففرقها لبيت المال وإن عمر كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له واخذت درهما من المال فنقض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن أحد منكبيه ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فأدخل عمر أصبعه في فيها فأخرجه وطرحه على الخراج وقال أيها الناس: ليس لعمر ولا لآل عمر إلا ماله سلبين قريبهم وبعيدهم؛ وكشع أبو موسى الأشعري بيت المال فوجد درهما فربى عمر فأعطاه أياه فأراه عمر في يد الغلام فقال اعطانيه أبو موسى فقال يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد ﷺ أحد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم إلى بيت المال، وقال عمر: اني لم اجد نفسي في مال بيت المال الا كوالى مال اليتيم أن استغثت استعفت وإن افتقرت اكلت بالمعروف، وعن ابن عمر أنه قال في أيام الحجاج ما شبع من الطعام منذ انتهت الدار إلى يومى هذا، وروى عن علي كرم الله وجهه أنه كان له سويق في أناء محتوم يشرب منه قليل له: اتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه؟ فقال: أما اني لا اختمه بخلافه ولكن اكره أن يجعل فيه ما ليس منه وأكره أن يدخل بطني غير طيب، وعن ابن المبارك أن الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهما لأن كلامهما كان يفرق ما يأخذونه في مجلسه وكذا جابر ابن زيد وقيل يتصدق بهو كان يقول رأيت أن آخذ منهم واتصدق أحب إلى من أن ادعاه في

أيديهم وهكذا فعل الشافعي بمقابلته من هارون الرشيد فإنه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة فن استجراً على أموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين فقد قال الملوك بالحدادين (ثم اعلم) أن الغنى الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال إليه هذا هو الصحيح وإن كان العلماء قد اختلفوا فيه وفي كلام عمر ما يدل على أن لكل مسلم حقا في بيت المال لكونه مسلماً مكثراً جمع المسلمين ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فإذا ثبت هذا فكل من يتولى أمراً يقوم به ويتعدى صاحبه إلى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم أعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وكذا طلبة هذه العلوم فيه يدخلون ويدخل فيه العمال الذين ترتبط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد والمرتبة الذين يجرسون الممالك بالسيف والسهام من أعداء الإسلام ويدخل فيهم الكتاب والحساب والعمال على أموال الحلال، وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز أن يعطوا مع وجود الغنى فإن الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والأنصار ولم يعرفوا بالحاجة والافتقار وليس يتقدر أيضاً بالمقدار بل هو إلى اجتهد الإمام في الاختيار، فله أن يوسع بالعبادة ويقتصر على الكفاية بحسب ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد كان عمر رضي الله عنه يعطى الجماعة لكل واحد اثني عشر ألف نقرة في السنة واثبت لعائشة وجماعة في هذه الجريدة لكل واحد عشرة آلاف وجماعة ستة آلاف وهكذا وأعطى عائشة في جريدة أخرى اثني عشر ألفاً وزيب عشرة آلاف وجويرة ستة آلاف وكذا صفية وسوى أبو بكر رضي الله عنه في زمانه فراجع عمر فقال: إنما فضلم عند الله وإنما الدنيا بلاغ فالسلطان إذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق كما في زماننا فهل يجوز للواحد أن يأخذ منه فهذا ما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب فعلاً بعضهم وقال: كل ما يأخذ فالمسلمون فيه شركاء ولا يدرى أن حصته منه درهم أو دناق أو حبة فليترك الكل وقيل: له أن يأخذ قوت يومه فقط فإن هذا القدر يستحقه الحاجة على المسلمين وقيل: له أن يأخذ قوت سنة فإن أخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه وقيل: أنه يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركاً بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الأقربين لأن ذلك صار ملكاً لهم وهذا لو لم تنفق قسمة حتى مات هؤلاء لم

﴿البَابُ السَّابِعُ فِي الاتِّبَاعِ وَالْمَعِيشَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَرَدَ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي) * (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) فَلَا ضَلَّ اتِّبَاعُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ لِأَنَّهُ يُصِيرُ الْعَادَةَ عِبَادَةً وَيُنَوِّرُ الْبَاطِنَ وَيَذْكُرُ الْعِبُودِيَّةَ وَيُقَرِّبُ إِلَى الْإِرْتِيَاضِ ، فَالْمُسْتَرَسِلُ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى يُشَبِّهُ الْبَهَائِمَ ، هَذَا

يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يتمتع لظلم المالك بقية الاصناف لمنع حقهم، وقد وقع الاطئاب في هذا الباب لانه مهم لدوى الالاباب في معرفة الخطأ والصواب *

﴿البَابُ السَّابِعُ فِي الاتِّبَاعِ فِي الْمَعِيشَةِ﴾

أى لاجل المعاش في أمر الدنيا وأخذ زاد المعاد في العقبى، وهذا الباب مشتمل على أنواع من الآداب كالأكل . والشرب . واللبس . والمنام . والسلام وما لا يستغنى عنه الانام ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ مفتاح كل كتاب كريم ﴿وردد قل ان كنتم تحبون الله﴾ أى وتبتغون رضاه ﴿فاتبعونى﴾ فى كل ما قدره وقضاه وأمره ونهاه تماماً (يحبيكم الله) أى يثبكم فيما خلقه من دنياه وأخراه (ويغفر لكم ذنوبكم) فى عقباه (والله غفور رحيم) لمن عصاه ثم اتقاه ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ أى من أوامره تماماً (وما نهاكم عنه فانتهوا) من زواجره ﴿فالأصل﴾ أى الذى عليه نظام الاحكام ﴿اتباعه عليه السلام فى جميع الأمور﴾ من أحوال الانام ﴿لأنه﴾ أى اتباعه ﴿يصير العادة عبادة وينور الباطن﴾ ونوره يوجب سعادة ﴿ويذكر العبودية﴾ أى التى هى القيام بحقوق الربوبية ﴿ويقرب الى الارتياض﴾ أى تهذيب الأخلاق عن الأوصاف الدنائىم ﴿فالمسترسل فى اتباع الهوى يشبه البهائم﴾ كما أشار اليه قوله تعالى: (أولئك كالأنعام بل هم أضل) لأنها ليس لها استعداد الانام ويأكلون كما تأكل الأنعام حيث لم يفرقوا بين الحلال والحرام (هذا) أى خذ هذا

وَإِنَّمَا عَدَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَبَاحٍ إِلَى آخِرٍ لَا طَّلَاعَهُ بِنُورِ النُّبُوَّةِ عَلَى فَائِدَةٍ فِيهِ
فَتَرَكَهُ لِلتَّكْذِيبِ كُفْرًا . وَدُونَهُ حَقٌّ ، وَحَقُّهُ أَنْ يَغْسِلَ الْيَدَيْنِ قَبْلَ الْأَكْلِ وَبَعْدَهُ
تَنْظِيفًا وَتَعْظِيمًا ، وَوَرَدَ « الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْبِئُ الْفَقْرَ وَبَعْدُهُ يَنْبِئُ اللَّمَمَ »

السَّلامُ) وَإِنَّمَا عَدَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَبَاحٍ إِلَى آخِرٍ لَا طَّلَاعَهُ بِنُورِ النُّبُوَّةِ عَلَى فَائِدَةٍ
فِيهِ) دُونَ الْآخِرِ اتِّقَالًا وَفَقَّ اتِّتِفَاعٌ الْهُدَى لَا اسْتِرْسَالًا فِي اتِّبَاعِ الْهُدَى) (فَتَرَكَهُ)
أَيَّ تَرَكَ الْإِتِّبَاعَ) (لِلتَّكْذِيبِ كُفْرًا) بِالْإِجْمَاعِ) (وَدُونَهُ) أَيَّ وَتَرَكَ بِدُونِ التَّكْذِيبِ
(حَقٌّ) أَيَّ جِهَالَةٍ وَضَلَالَةٍ مِنْ غَيْرِ النَّزَاعِ) (وَحَقُّهُ) أَيَّ وَحَقَّ اتِّبَاعَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فِي اتِّتِفَاعِهِ بِالطَّعَامِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ مَعَاشِ الْإِنَامِ) (أَنْ يَغْسِلَ الْيَدَيْنِ) إِلَى الرَّسْغَيْنِ
فَقَسَلَ الْيَدَ الْوَاحِدَةَ أَوَ الْأَصَابِعَ غَيْرَ كَافٍ لِلْقِيَامِ بِالسَّنَةِ كَمَا هُوَ مُصْرَحٌ بِهِ فِي الْعَوَارِفِ .
وَالْغَنِيَّةُ) (قَبْلَ الْأَكْلِ وَبَعْدَهُ) فَمَا سَتَانِ كَمَا فِي السَّرَاجِيَةِ وَلَوْ غَسَلَ يَدَيْهِ لِلطَّعَامِ أَوْ
عَنْهُ يَصِيرُ الْمَاءُ مُسْتَعْمِلًا لِأَقَامَةِ السَّنَةِ بِخِلَافِ مَا لَوْ قَصَدَ غَسْلَهُمَا مِنَ الْوَسْخِ كَنَافِي الْجَمَاعِ
الصَّغِيرِ الْخَافِي) (تَنْظِيفًا) أَيَّ تَطْهِيرًا عَنِ التَّلَوُّثِ نَظَرًا إِلَى الثَّانِي) (وَتَعْظِيمًا) لِلنَّعْمَةِ
نَظَرًا إِلَى الْأَوَّلِ فِي السَّكَّامِ لَفٍ وَنَشْرٍ مَشْوَشٍ) (وَوَرَدَ الْوُضُوءُ) الْمُرَادُ بِهِ الْغُفْوُ
وَقِيلَ الشَّرْعِيُّ) (قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْبِئُ الْفَقْرَ) لِاسْتِقْبَالِ النَّعْمَةِ بِالتَّطَهَّارِ وَالتَّنَظَّافِ) (وَبَعْدَهُ
يَنْبِئُ اللَّمَمَ) أَيَّ إِصَابَةِ الْجَنُونِ مِنْ قُتُورِ الْعَقْلِ وَظُهُورِ الْغَمِّ أَوْ إِصَابَةِ الْحَسَنَاتِ
السَّامِ وَقِيلَ صَغَائِرُ الذُّنُوبِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِلَّا اللَّمَمَ) وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَنْ تَغْفَرَ
اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لِي مَا أَيْ عَبْدُكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » وَفِي نَسْخَةٍ مِنَ الْأَحْيَاءِ يَنْبِئُ الْهَمُّ قَالَ ، وَفِي رِوَايَةٍ
« يَنْبِئُ الْفَقْرَ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ » قَالَ مَخْرَجُهُ : رَوَاهُ الْقَضَاعِيُّ فِي مُسْنَدِ الشَّهَابِ مِنْ
رِوَايَةِ مُوسَى الرِّضَا عَنْ آبَائِهِ مُتَّصِلًا بِالْفِظِّ الْأَوَّلِ ، وَلِلطَّبْرَانِيِّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ
ابْنِ عَبَّاسٍ « الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ مِمَّا يَنْبِئُ الْفَقْرَ » وَهُوَ مِنْ سَنَنِ الْمُرْسَلِينَ . وَلَا بَيِّنَ
دَاوُدَ . وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ « بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ »
اتَّهَى وَرَوَاهُ أَحْمَدُ . وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ ، وَفِي رِوَايَةِ الْحَاكِمِ فِي تَارِيخِهِ عَنْ عَائِشَةَ
« الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ حَسَنَةٌ وَبَعْدَهُ حَسَنَتَانِ » وَاعْتَرَفَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ فِي قَوْلِهِ : يَكْرَهُ
غَسْلَ الْيَدَيْنِ قَبْلَ الطَّعَامِ وَلَعَلَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ نَظِيفَةً بِلَارِيَّةٍ وَلِذَا قِيلَ : يَدُ
الْمَصْلِيِّ طَاهِرَةٌ لِخَيْتِئِذِ غَسْلِهَا إِسْرَافٌ وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مَأْخُذُهُ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الشُّمَائِلِ

وَيَفْتَحُ بِالْمَلْحِ وَيَحْتَمُّ بِهِ ، فَفِيهِ مَغْفَرَةُ الذُّنُوبِ . وَدَفْعُ سَبْعِينَ بَلَاءً .
وَيَأْكُلُ عَلَى السَّفَرَةِ الْمَوْضُوعَةِ عَلَى الْأَرْضِ ، فَالْخَوَانُ . وَالْمُنْخَلُ . وَالْأَشْنَانُ .
وَالشَّبْعُ مِنَ الْبَدْعِ . وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَذْمُومَاتٍ غَيْرَ الشَّبْعِ

عن ابن عباس أنه عليه السلام «خرج من الحلاء ف قرب اليه الطعام فقالوا: الا تأنيك
بوضوء؟ فقال: انما أمرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة ، وروى أيضا فيهما أنه عليه السلام
«خرج من الغائط فأتى بطعام فقيل له الاتوضأ؟ فقال عليه السلام : أصلي فأتوضأ ، فاخذ
بظاهره مالك . وسفيان فيكرهان الوضوء قبل الطعام والشافعي استحبه تركه والتحقيق
ان المراد من الوضوء المنفى هو الوضوء الشرعي فلا ينافي الوضوء اللغوي العرفي من
غسل اليدين مع أنه عليه السلام أراد بيان جواز تركه والتصريح بعدم وجوبه كما
في الترمذي عن سليمان قال: قرأت في التوراة ان بركة الطعام الوضوء بعده فذكرت
ذلك له عليه السلام وأخبرته بما قرأته في التوراة فقال عليه السلام: « بركة الطعام
الوضوء قبله والوضوء بعده ، انتهى فهو عليه السلام بعث لاتمام مكارم أخلاق الانام
ثم مسح اليدين بعد الطعام مستحب ولا يمسح يديه بالمندبل ونحوه قبل الطعام بل يتركه
حتى يجف ليكون أثر الغسل قائما عند الأكل كذا في الحاشية (ويفتح) أى يتبدى .
بعد التسمية (بالملاح) أى الخالص (ويحتم به فقيه) أى فيما ذكر من الاقتراح
والاختتام به (مغفرة الذنوب) أى الصفات (ودفع سبعين بلاء) أى عن الطواهر
أو الضمائر وهذا لم أجده أصلا (ويأكل على السفرة) أى من الجلد أو الخرق
(الموضوعة على الأرض) فهو أقرب الى أدبه عليه السلام وتواضعه لمقام الانعام
فورد « كان اذا أتى بطعام وضعه على الأرض » أحمد في كتاب الزهد عن الحسن
مرسلا . والزار من حديث أبي هريرة نحوه ، وفي البخاري عن أنس ما أكل رسول الله
ﷺ على خوان ولا في سكرجة فليل فعلى ماذا كنتم تأكلون؟ فقال: على السفروهي
جمع السفرة الدالة على السفر المذكور لسفر الآخرة وزاد متاعها الفاخرة (فالخوان)
أى استعمال الموائد (والمنخل والاشنان والشبع من البدع وان لم تكن) أى ولولم
تكن هذه البدع الأربع (مذمومات غير الشبع) فانه مذموم بالشرع والطبع قال
بعض الحكماء: ثلاثة يبغضهم الناس البخيل . والمتكبر . والاكول ، وقال أبو سليمان
الداراني: من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة . وقصور حفظ الحكمة .

مُتَادِبًا . فُورِدَ « لَا آكُلُ مُتَكَنًّا

وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع . ويقبل الطاعة : وأن يدور المؤمنون حول المساجد . والمحافل وهو يدور حول المظاهر . والمزابل ويقال ان في قلة الأكل منافع كثيرة منها أن يكون أصح جسما وأجود حفظا وأزكى فهما . وأقل نوما . وأطيب نفسا . وأخف بدنا . والطف حسنا، وفي كثرة الأكل مضار كثيرة وهي اضداد ما تقدم ويتولد منها الأمراض المختلفة ويقال: اذا كانت العلة من قلة الأكل صلت بمؤنة قليلة واذا كانت من كثرة الأكل تحتاج الى مؤنة كثيرة تدفعها، ثم ليس كل ما يتدفع منها عنه بل المنهى عنه ابداع بدعة تضاد سنة، قال الحجة: وليس في المائدة الارفع الطعام عن الارض ليتيسر الاكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه، أقول: وإنما الكراهة من حيث أنه يخالف للسنة وشعار أهل النعمة وطريق أهل الكبر والنخوة قال والاربعة التي ذكرناها انها مبتدعة ليست متساوية بل الاثنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب والاشنان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم أو لا يتيسر وكانوا مشغولين بأمورهم أهم من المبالغة في النظافة وقد كانوا لا يغسلون الايدي أيضا وكانت مناديلهم أخص أقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا قلت: ثبت الغسل بالاخبار فلا ينافي ما فعلوه احيانا في حال الاضطراب، وفي الجملة ليست المبالغة في النظافة من عمل السلف الاخيار، وفي الثانية عن أبي حنيفة . وأبي يوسف لا بأس بغسل اليدين بعد الأكل بالمعجون والدقيق فهما بمنزلة الاثنان وهو قول محمد فبالغاسول والصابون ونحوهما أولى فان النظافة بهما انتهى، وفي الادهار شرح المصاييح قال العلماء: ورد عنه عليه السلام انه غسل قبل الطعام وبعده وترك الغسل في الحالين، وورد مسح اليدين بالمنديل والخصباء الا أن يريد أكل شيء رطب وقد انتقض طهارته فيكره، ومن هنا قيل يد المصل طاهرة واختلاف الروايات لتفاوت الأطعمة والحالات وأكثر أحواله الغسل قبل الطعام وبعده أو الاكتفاء بالغسل في آخره والله أعلم قال: وأما المنخل فالمقصود منه تطيب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التعميم المفرط، واما الشبع فهو أشد هذه الاربع فانه يدعو الى تبييع الشهوات والاهواء وتحريك الادواء في الاعضاء (متادبا) أى يأكل حال كونه متادبا في هيئة جلوسه (فورد لا آكل متكئا) أى متمكنا في مقعده سواء يكون مستندا أو متكئا على أحد شقيه أو متربعاً أو مضطجعا، والحديث رواه

أَمَّا أَنَا عَبْدُكَ كُلِّ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ « إِلَّا الْفَاكَةَ عَلَى سَبِيلِ التَّفَكُّهِ فَيَجُوزُ مُتَكِنًا . وَمُضْطَجِعًا ، وَيَجْلِسُ عَلَى الرَّجْلِ الْيُسْرَى وَيَنْصِبُ الْيَمْنَى ، فَهُوَ مُسْنُونٌ . وَيَنْوِي بِهِ الْقُوَّةَ عَلَى الطَّاعَةِ دُونَ التَّلَذُّذِ ، وَيَقْدِمُهُ عَلَى الصَّلَاةِ إِنْ أَمِنَ فَوْتَهَا

البخارى من حديث أبي جحيفة ، وفي السراجية : لا بأس بالأكل متكئا إذا لم يكن عن تكبر ، وكذا في الاختيار مثله (إنما أنا عبدك كل كما يأكل العبد) البزار من حديث ابن عمر وزاد أحمد في الزهد من حديث عطاء بن أبي رباح ومن حديث الحسن مرسلًا « واجلس كما يجلس العبد » وورد بسند ضعيف أنه عليه السلام « زجر أن يتمدد الرجل بيده اليسرى عند الأكل » (إلا الفاكهة) استثناء من قوله لا أكل متكئا (على سبيل التفكه) أى التقليل من الحبوب (فيجوز متكئا ومضطجعا ويجلس على الرجل اليسرى وينصب اليمنى فهو مسنون) وروى أبو الحسن المقرئ في الشمايل من حديث أنس « كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال : إنما أنا عبدك كل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد » وفيه تنبيه عليه على أن الأكل على المائدة كرهه وربما جثا للأكل على ركبته وجلس على ظهر قدميه ، فقد روى أبو داود من حديث عبد الله بن بسر في أثناء حديث « أتوا بتلك القصة فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ » الحديث وله للنسائي من حديث أنس « رأيت يا كل وهو مقع من الجوع » وفي القاموس أقمى فى جلوسه تساند الى ماوراءه ، وروى عن علي « أنه أكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال : منبطح على بطنه والعرب قد تفعل ذلك إذا لم يكن مانع هنالك ، وأما ماورد من نهي عليه السلام عن أكل الرجل وهو منبطح على بطنه كما رواه أبو داود وابن ماجه . والحاكم فهو محمول على التنزيه وكذا يكره الأكل قائما (وينوى به) أى بالأكل (القوة على الطاعة دون التلذذ) وقصد الشهوة ومن دعاه السلف بعد الأكل اللهم اجعله عونا على طاعتك ولا تجعله عونا على معصيتك ، ومن ضرورة هذه النية تقليل الأكل في القضية وفي الخبر « ماملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيات تقمن صلبه فان لم يفعل فثلك للطعام وثلك للشراب وثلك للنفس » الترمذى وقال حسن . وابن ماجه من حديث المقدم بن معدى كرب (ويقدمه) أى الأكل (على الصلاة إن أمن فوتها)

لَئَلَّا يَبْرُدَ وَلَا يَلْتَفِتُ الْقَلْبُ إِلَيْهِ ، وَوَرَدَ « إِذَا حَضَرَ الْعُشَاءُ وَالْعُشَاءُ
فَاقْبَدُوا بِالْعُشَاءِ » ، وَيُكْثَرُ الْإِيْدَى ، فَوَرَدَ « اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ يَارِكَ لَكُمْ
فِيهِ » وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَأْكُلُ وَحْدَهُ فِيهِ تَقْلِيلُ الْأَكْلِ وَالْإِنْفَاقُ وَالْجَمْعُ
فِي الْقِصَّةِ الْوَاحِدَةِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

أى بخروج وقتها وإنما يقدمه (لئلا يبرد) إذا قعد لديه (ولا يلتفت القلب إليه)
فالأكل المخلوط بالصلاة خير من الصلاة المخلوطة بالطعام (وورد إذا حضر العشاء)
بفتح العين أى طعام الليل (والعشاء) بكسره أى صلاته (فابدؤوا بالعشاء) وهو
يشمل العشاءين وكذا إذا اتفق وقت العصر وهكذا حكم الغداء عند الظهر نظرا إلى العلة
وهى الشاغلة والحديث كذا فى الاحياء قال العراقي فى شرح الترمذى: لأصل له فى كتب
الحديث بهذا اللفظ وأصل الحديث فى المتفق عليه بلفظ «إذا وضع العشاء وأقيمت
الصلاة فابدؤوا بالعشاء» والجمهور على أن الأمر للنذب فقيل: إنه مقيد بمن كان محتاجا
إلى الأكل وهو المشهور وقيل على إطلاقه وإلى ذهب ابن عمر ولقد كان ربما سمع قراءة
الامام فلا يقوم عن عشاءه ، وقيل المراد به صلاة المغرب لرواية فابدهوا به قبل أن
تصلوا المغرب ولرواية إذا وضع العشاء وأحدكم صائم وقيل وهو الاظهر ينبغى حملها
على العموم نظرا إلى العلة وهى التشوق المفضى إلى ترك الخشوع وذكر المغرب
لا يقتضى الحصر فيها لأن الجائع غير الصائم قد يكون أشوق إلى الأكل من الصائم ،
ثم الحمل على العموم إنما هو بالنظر إلى المعنى الحاقا للجائع بالصائم لا بالنظر إلى اللفظ
الوارد كذا فى فتح البارى شرح البخارى (ويكثر الإيدى) أى على الطعام ولو
من أهله وولده والخدام (فورد اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه) بصيغة
المجهول أبو داود . وابن ماجه من حديث وحشى بن حرب باسناد حسن قيل: الأكل
مع العيال أفضل من الأكل وحده والأكل مع التير أفضل من الأكل مع العيال
(وكان عليه السلام لا يأكل وحده) الخرائطى فى مكارم الأخلاق عن أنس (وفيه
تقليل الأكل) أى غالبا (والانفاق) أى الإيثار المحمود بالاتفاق (والجمع فى
القصة الواحدة أحب إلى الله تعالى) فعنه عليه السلام «خير الطعام ما كثرت عليه
الأيدي» كذا فى الاحياء رسكت عنه مخرجه ، وعن عمر مرفوعا «كلوا جميعا ولا تفرقوا

وَيَحْتَنَبُ الْقَصْعَةَ الصَّغِيرَةَ فَلَا بَرَكَةَ فِيهَا . وَنَحْوُ الصُّفْرِ . وَالنَّحَاسِ .
وَالْحَزْفِ وَيُسَمَّى فِي الْإِبْتِدَاءِ : وَالْأَحْبُ فِي كُلِّ لُقْمَةٍ . وَيَجْهَرُ تَذْكِراً لِلغَيْرِ ، وَلَا
يَعِيبُ مَا كُولاَ فَهُوَ الْمَأْثُورُ . وَلَا يَتَجَاوَزُ عَمَّا يَلِيهِ ، فَرَدَّ « كُلُّ مَا يَلِيكَ إِلَّا
فِي الثَّمَارِ فَهُوَ مَرُوءِيٌّ مُعَلَّلٌ بِأَنَّهُ لَيْسَ نَوْعاً وَاحِداً ،

فإن البركة مع الجماعة » ابن ماجه (ويحتنب القصعة الصغيرة فلا بركة فيها) لعدم
اتساع الأيدي (ونحو الصفر والنحاس) أى ويحتنب الأكل فيما (فالسنان
الحشب والحزف) وأما الصينى فهو غاية التعم ولم يكن يستعمله السلف (ويسمى
في الابتداء) فهو سنة مؤكدة فمن عائشة ؓ إذا أكل أحدكم طعاما فليذكر اسم الله فان
نسى أن يذكر اسم الله في أوله فليقل بسم الله على أوله وآخره ، أبو داود . والنسائي :
والحالم وقيل : التسمية واجبة ويحمد في الانتهاء فانه مستحب (والأحب في كل لقمة)
أن يسمى في أولها ويحمد في آخرها وفي الأحياء يقول مع اللقمة الأولى بسم الله ومع
الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ، فعلى هذا يقول مع الأولى
الحمد لله ومع الثانية زيادة رب العالمين ومع الثالثة زيادة الرحمن الرحيم (ويجهز)
أى بالتسمية (تذكيرا للغير) وتحريضا له على الخير (ولا يعيب ما كولا) من
المباح (فهو المأثور) أى المتفق عليه من حديث أبى هريرة ؓ انه عليه السلام ؓ كان
لا يعيب ما كولا ان أعجبه أكله والا تركه فذهب بعضهم الى أن العيب ان كان من
جهة الخلقة يكره وان كان من جهة الصنعة فلا يكره ، وقال العسقلاني : والذي يظهر
التعميم فان فيه كسر قلب الصانع قلت : لكن قد يراد به التنبيه والتعليم ، ومن الأدب
أن يأكل يمينه (ولا يتجاوز عما يليه فورد كل مما يليك) متفق عليه من حديث
عمر بن أبى سلمة وهو ربيبه عليه السلام انه قال له اذن وسم الله وكل يمينك بما يليك
(الا في الثمار) أى الفواكه (فهو) أى استثنائه (مروى معلل بأنه ليس نوعا
واحدا) اذ يوجد فيه ماهونى ومنضوج وبين ذلك ، وأيضا اذا كان في الطبق
أنواع من الثمار ففي كل نوع له حق فلا يكره أن يأكل من غير ما يليه والحديث رواه
الترمذى . وابن ماجه . وابن حبان من حديث عكراش بن ذئب وفيه « جالت يد
رسول الله ﷺ في الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت » فانه غير لون واحد

وَلَا يَأْكُلُ مِنْ ذُرَّةِ الْقِصْعَةِ . وَلَا مِنْ وَسْطِهَا وَوَسْطِ الْخُبْزِ وَلَا بِأَصْبَعَيْنِ
فَهُوَ تَكْبِيرٌ . وَلَا بَارِيعٌ فَهُوَ شَرُّهُ وَالسَّنَةُ ثَلَاثٌ وَلَا بِالشِّمَالِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ
بِهِ وَلَا يَقْطَعُ الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ بِالسَّكِينِ فَهُوَ مَنِيٌّ عَنْهُ لِلتَّشْبِهِ بِالْعَجَمِ فِي التَّرْفَعِ .

﴿ولا يأكل من ذررة القصة﴾ أي أعلاها ﴿ولا من وسطها﴾ أي ولولم يكن مرتفعاً بل من جانبها فعن ابن عباس «كلوا في القصة من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها فإن البركة تنزل في وسطها» أحمد . والبيهقي ، وفي رواية أبي داود . وابن ماجه عن عبد الله بن بسر «كلوا من حواشيها وذروا ذروتها يبارك فيها» وفي رواية لابن ماجه عن واثلة «كلوا بسم الله من جوانبها واعفوا رأسها فإن البركة تأتيها من فوقها» ﴿ووسط الخبز﴾ أي ولا من وسط الخبز بل يأكل من استدارة الرغيف قياساً على القصة إذا قل الخبز فيكسر الخبز ﴿ولا بأصبعين﴾ أي إلا إذا كان لا يحتاج إلى ثلاثة ﴿فهو تكبير﴾ وكذا بأصبع فإن الأكل بها مع أنه فعل المتكبرين لا يستلذه إلا كل ولا يستدري به لضعف ما يناله منه كل مرة فهو كمن أخذ حبة حبة ﴿ولا باريع فهو شره﴾ أي حرص على الطعام إذا احتاج به فقد قيل إنه عليه السلام ربما كان يستعين في الأكل برابع أصابعه وكان لا يأكل بأصبعين وقال الشيطان يأكل كل بهما ﴿والسنة﴾ أي المعروفة والعادة المألوفة له عليه السلام ﴿ثلاث﴾ فقي السائل للترمذي عن كعب بن مالك أنه عليه السلام يأكل بأصابعه الثلاث فقد قال العلماء : يستحب الأكل بثلاث أصابع ولا يضم إليها الرابعة والخامسة إلا للضرورة وإماماً أخرجه سعيد بن منصور من مرسل ابن شهاب أن النبي ﷺ كان إذا أكل أكل بخمس فحمل على القليل النادر لبيان الجواز أو على المأثم ﴿ولا بالشمال﴾ أي ولا يأكل بها ﴿فإن الشيطان يأكل به﴾ أي بهذا العضو فعن جابر «لأنا كلوا بالشمال فإن الشيطان يأكل بالشمال» ابن ماجه وعند الضرورات تباح المحظورات ﴿ولا يقطع الخبز واللحم بالسكين فهو منيٌّ عنه للتشبه بالعجم في الترفع﴾ أي التكبر والتعظيم في أزمته جاهليتهم أما النهي عن قطع الخبز بالسكين فرواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة . وابن حبان من حديث أم سلمة وهو أيضاً منافي لا كرامه كما سيأتى بيانه في مقامه ، وأما حديث النهي عن قطع اللحم بالسكين فرواه أبو داود . والبيهقي في شعب الإيمان من حديث عائشة مرفوعاً «لا تقطعوا اللحم بالسكين فإنه من

وَيَحْضُرُ الْبَقْلَ فَهُوَ يُحْضِرُ الْمَلَائِكَةَ . وَيَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ وَالْحُلَّ فَهُوَ يَنْفِي
 الْفَقْرَ وَيَغْطِي الْحَارَّ حَتَّى يَبْرُدَ فَهُوَ أَعْظَمُ

صنيع الأعاجم وانهشوه فانه أهنا وامراً ، وللتزمذي . وأحمد . والحاكم من حديث صفوان بن أمية وقال انهشوا اللحم نهشا فانه أشهى وأهنا وامراً وفيه إيماء الى جواز القطع فقي السائل عن المغيرة بن شعبة قال: ضفت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فأتني بحنبل مشوى ثم أخذ الشفرة فخرلى بها منه ، وفي الصحيحين أنه عليه السلام «احتز من كتف شاة فدعى الى الصلاة فالتقى السكين التي يحتزها ثم قام يصلي ولم يتوضأ» . وفي البيهقي أن النبي عن قطع اللحم بالسكين في لحم قد تكامل نضجه هذا وقد ورد « اخلعوا نعالكم عند الطعام فانها سنة جميلة » رواه الحاكم عن أنس وفي رواية لمؤلفيه «فانه أروح لآقدامكم» (ويحضر البقل) أى يجعله حاضرا في السفرة (فهو يحضر الملائكة) أى اذا لم يكن له رائحة خبيثة (ويطرده الشياطين) لانهم ما يجتمعون مع الملائكة في محل واحد لكن لم أعرف له أصلا وفي الأحياء يقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل ، وفي الخبران المائدة التي أنزلت على بنى اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند رأسها خل . وعند ذهابها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان ، وعن علي رضي الله عنه من ابتدأ غداءه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن أكل كل يوم احدى وعشرين زبينة حمراء لم يرق جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب ، والسفارجات أى السكريات أو المهضومات من المعجنات تعظم البطن وترخي الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسنهدواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن يتداوى الناس بشيء مثل السمن ولن تستشفى النفساء بشيء افضل من الرطب ، والسماك يذيب شحم الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم ومن أراد البقاء ولا بقاء فليأكل بالغداء وليقل من العشاء . وليلبس الحذاء أى التعل وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين أى من الغرماء ولو كانوا من الكرماء (والخل) أى ويحضره (فهو ينفي الفقر) فقد ورد ما افتقر من آدم بيت فيه خل ، الطبراني . وأبو نعيم عن عائشة (ويغطي الحار) أى يستره لئلا يقع فيه شيء . ولا يلتفت اليه (حتى يبرد) أى يسهل أكله (فهو أعظم

بركة وهو السنة . وَيُكْرَمُ الْخَبْزُ ، فورد «أَكْرَمُوا الْخَبْزَ فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهُ مِنْ
 بَرَكَاتِ السَّمَاءِ» فَلَا يَمْسَحُ بِهِ الْيَدُ وَلَا يَضَعُ عَلَيْهِ الْقَصْعَةَ . وَلَا يَنْظُرُ الْإِدَامَ .
 وَيَكْسِرُ بِالْيَدَيْنِ وَيُقَدِّمُ الْمَكْسُورَ عَلَى الصَّحِيحِ . وَلَا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا .
 وَيَصْغُرُ اللَّقْمَةُ وَيَجُودُ الْمُضْغُ . وَيَسْتَعِينُ

بركة وهو السنة) أى ثابت بها لقوله عليه السلام « ابردوا بالطعام فان الحار
 لا بركة فيه » ، رواه الحاكم وغيره ، ولا ينفخ في الطعام الحار فهو منهي عنه بل يصبر
 الى أن يسهل أكله ، والحديث عند أحمد عن ابن عباس وهو عند أبي داود . والترمذي
 وصححه . وابن ماجه الا أنهم قالوا في الاناء وللترمذي وصححه من حديث أبي سعيد
 نهى عن النفخ في الشراب أى لئلا ينفصل من ريقه شيء ويقع فيه فيفسد الطبع منه ،
 (ويكرم الخبز فورد اكرموا الخبز) أخرجه الحاكم في مستدركه عن عائشة ، وفي
 رواية « فان الله أكرمه ومن أكرم الخبز فقد أكرم الله » وفي رواية « فان الله أنزله
 من بركات السماء » أخرجه البغوي في معجم الصحابة بكامله من حديث عبد الله
 ابن زيد مرفوعا والطبراني من حديث أبي سكينه وفي رواية زيادة « واخرجه من بركات
 الأرض » رواه الحسكيم (فلا يمسح به اليد) ولا السكين لأنه نوع اهانة (ولا
 يضع عليه القصعة) ولا المملحة لأنه قلب الموضوع (ولا ينظر الادام) لأن
 العيش به تمام في مقام النظام فطلب الزيادة حرص من خصال اللئام ، والله در القائل
 من الكرام :

وما هي الاجوعة قد سدتها . و كل طعام بين جنبي واحد
 (ويكسر باليدين) لا يد واحدة كالمتكبرين (ويقدم المكسور على الصحيح)
 أى في أكله (ولا يلتفت يميناً وشمالاً) لأنه يوجب اختيالا (ويصغر اللقمة)
 ايما الى القناعة كما يشير اليه حديث يكتفي ابن آدم لقيمت بصيغة التصغير (ويجود
 المضغ) فانه يعين على سرعة الهضم ومالم يتلها فلا يمد يده الى غيرها اشمارا بعدم
 الشره وطول الامل واحتمال قرب الاجل وأما حديث الأمر بتصغير اللقمة وتدقيق المضغة
 فقال النووي : لا يصح ذكره الزركشي ، وكذا حديث « صغروا الخبزوا كثروا عدده
 يبارك لكم فيه » ضعفه ابن حبان رواه الديلمي بسند عن عائشة مرفوعا (ويستعين

بِالْيُسْرِ عِنْدَ الْحَاجَةِ . وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْإِدَامِينَ فَالْكُلْ مَأْثُورٌ ، وَيَلْقُ
الْأَصَابِعَ فَلَا يَدْرِي فِي أَيِّ جُزْءٍ مِنْهُ الْبُرْكَ . وَالْقَصْعَةُ فَهُوَ كَتَقَرَّقَةٍ . وَيَأْكُلُ
السَّوَاقِطَ فَهُوَ مَأْثُورٌ ، وَوَرَدَ « فَهُوَ مَهْوَرُ الْحَوْرِ » وَسَبَبُ سَعَةِ الْعَيْشِ
وَالْعَافِيَةِ فِي الْوَلَدِ وَيُخْلَلُ الْأَسْنَانُ

باليسرى (أى من اليمين) (عند الحاجة) أى المصلحة الطبراني عن عبد الله بن جعفر
قال رأيت في يمين النبي ﷺ قناه وفي شماله رطباً وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة
(ولا يجمع بين الإدامين) فإنه نوع من الترفه فالتمس للتزهد وكذا ما في تحفة الملوك من
أن الجمع بين الأطعمة حرام أى ممنوع منع تنزيه عند السلف الكرام والافتقار تعالى : (قل
من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) وقد ورد « أنه جمع التمر والقناه
كما رواه النسائي ، وأخرج أبو داود . وابن ماجه « قدم علينا رسول الله ﷺ فقد مناله
زبد أو تمر أو كان يحسب الزبد والتمر » (فالكل مأثور) وعند أهل الأثر مشهور والعامل به
ما جاور (ويلق الاصابع) أى الثلاث ، يتبدى بالوسطى (فلا يدري في أى جزء منه
البركة) فى صحيح مسلم من حديث أنس . وجابر ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلقى أصابعه
فإنه لا يدري في أى طعامه البركة (والقصعة) أى ويلحسها (فهو كمتق رقبة) فى
الاحياء يقال : من لعل القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له كمتق رقبة ، فى الطبراني
عن العرابض من لعل الحففة ولعل أصابعه أشبعه الله فى الدنيا والآخرة (وبأكل
السواقط) جمع الساقطة ، ومنه قولهم لكل ساقطة لاقطة (فهو مأثور) فى صحيح مسلم
« إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان »
وورد « اكرموا الخبز فإنه من بركات السماء والأرض ومن أكل ما سقط فى السفرة
غفر له » الطبراني (وورد فهو مهوور الحور) فى الاحياء يقال التقاط الثقات مهوور
الحور العين (وسبب سعة العيش) أى الرزق فى الدنيا حيث عظم نعمة المولى
(والعافية فى الولد) أى ذريته من الفقر والبلاء ، فى الاحياء من أكل ما يسقط
من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده ، قال المخرج رواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب
من حديث جابر بلفظ « آمن من الفقر . والبرص . والجذام وصرف عن ولده الحق ،
وفى رواية « أعطى سعة من الرزق ووفى الحق فى ولده وولد ولده » (ويخلل الأسنان)

وَيُخْرِجُ مَا بَقِيَ مِنْهُ . وَيَمْضِضُ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ . وَيُحْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى إِنْ
عَرَى عَنِ الشَّهْبَةِ وَالْأَيْسَغَفَرُ وَيَغْتَمُ وَيَبْكِي . وَيَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .
وَيَقْرَأُ الْإِخْلَاصَ . وَالْقُرَيْشَ . وَلَا يَقُومُ قَبْلَ الرَّفْعِ . وَيَدْعُو لِصَاحِبِهِ أَنْ أَكُلَ
طَعَامَ الْغَيْرِ . وَيَقْدُمُ الْأَفْضَلَ فِي الْغَسْلِ . وَالْأَكْلِ . وَالشَّرْبِ .

أى تنظيفاً (ويخرج) أى بالخلال (مابقى منه) أى ولا يبلعه الا اذا تخلله بلسانه
(ويمضض) أى بعد التخلل مبالغة فى النظافة واللطافة (فالكل مأثور) وبعضه
فما قدما مذكور، وفى الاحياء فقيه أثر من أهل البيت (ويحمد الله تعالى) بان يقول
« الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى والحمد لله الذى أطعمنا
وسقانا وجعلنا من المسلمين والحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقني من غير حول
منى ولا قوة وأمثال هذا » بما قد ورد فى السنة (ان عرى) أى خلا الطعام (عن
الشهبة) أى القوية (والا يستغفر) ويندم (ويغتم) حزنا على ما أكل منه
فورد « كل لحم نيت من سحت فالنار أولى به ، البيهقى فى شعب الايمان من حديث
كعب بن عجرة (ويكى) فليس من ياكل ويكى كمن ياكل ويلهى (ويقول الحمد
لله على كل حال ويقرأ الاخلاص) أى سورة قل هو الله أحد (والقريش)
صوابه قريش أى سورة ايلاف قريش كذا فى الاحياء ، ولعل الاولى للايمان الى توحيد
الذات وتفريد الصفات لاسيما النعت الصمدى بالوصف الاحدى الابدى والثانية الاشعار
الى تذكار أوصافه سبحانه بنعت الاحسان والامتنان حيث قال : (فليعبدوا رب هذا
البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وأقول : وقراءة سورة الفاتحة
المشتملة على الحمد والدعاء بالاستقامة الفاتحة كما هو المتعارف بين العامة مستحسن خلافا
لمن منعه (ولا يقوم) أى عن السفرة (قبل الرفع) أى للطعام الا اذا كان عاد ذلك
المقام (ويدعو لصاحبه ان اكل طعام الغير) فيقول . اللهم بارك له فيما رزقته واغفر له
وارحمه وان افطر عند قوم قال : افطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت
عليكم الملائكة (ويقدم الأفضل) أى فى السن والرتبة كالعالم والسيد (فى الغسل)
أى فى غسل اليد آخر او يؤخره او لامرعاة لحشمته فيهما ففى السراجية ان من السنة
ان يبدأ بالشباب قبل الطعام ثم بالشيوخ وبعد الطعام بالعكس (والاكل والشرب)

وَيَقْبَلُ الْإِكْرَامَ كَتَقْدِيمِ الطَّسْتِ فَالْكَرَامَةُ لَا تَرُدُّ، وَلَا يُطِيلُ أَنْتِظَارُ
الْجَمْعِ، فَوَرَدَ (فَالْبَيْتُ أَنَّ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٌ) وَلَا يَسْكُتُ فَهُوَ سِيرَةُ الْعَجْمِ
وَيُرَافِقُ الرَّفِيقَ. وَيَتَعَهَّدُهُ غَيْرَ مُلْحٍ وَلَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثٍ فَهُوَ مَرُورِي. وَلَا يَحْلِفُ
بِجَاءِ الطَّعَامِ أَهْوَنُ مِنْ

أى ويرقدمه فيه، مطلقا لقوله عليه السلام: «إذا وضع الطعام فليبدأ أمير القوم أو صاحب
الطعام أو خير القوم»، ابن عساكر عن أنى إدريس الخولاني مرسلًا (و يقبل) أى
الضيف (الأكرام كتقديم الطست) من المضيف أو غيره أصله الطس أ بدل من
أحدى السنين تأمروا حكي بالثين المعجمة كذا فى القاموس، والظاهر أنه أعجمي (فالكرامة
لا ترد) بل تقبل، وقد اجتمع أنس بن مالك. وثابت البناني وهو تليذه التابعي فقدم
أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال له أنس: إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا
تردها فإنما يكرم الله عز وجل، وروى أن هارون الرشيد دعا بأبامعاوية الضرير فصب
الرشيد على يديه فى الطست فلما فرغ قال: يا أبامعاوية أتدرى من صب على يدك الماء؟
فقال: لا فقال: صب أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجلته
فأجلك الله وأكرمك كما أجلك العلم وأمله (ولا يطيل انتظار الجمع) أى إذا كان
هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغي له أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اجتمعوا إلا كل
وتهتوا له (فورد لما لبث أن جاء بعجل حنيد) أى مشوى وفيه أنه لم يكن هناك
من ينتظر فلا استدلال به فيه نظر (ولا يسكت) أى حين الأكل (فهو سيرة
العجم) من الجوس لكن لا يتكلم كثيرا أيضا فإنه يوجب الهم وهو سيرة العجم
بل يتكلم بالمعروف ويتكلم بحكايات الصالحين فى الأطعمة وغيرها بما يناسب المقام
(ويرافق الرفيق) أى بان يؤثره أحسن الأطعمة ولا يقصد أن يأكل زيادة على
ما يأكله فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقا لرضى رفيقه مهما كانت الطعام مشتركا
(ويتعهده) أى يتفقد فى الجملة (غير ملح) أى فى عزمه على الأكل فيقول
له كل (ولا يزيد على ثلاث) أى ثلاث مرات (فهو مروي) فقد كان عليه
السلام «إذا خوطب فى شئ ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث» رواه أحمد من حديث جابر
واسناده حسن، وفى البخارى من حديث أنس «كان يعيد الكلمة ثلاثا» (ولا يحلف)
بتشديد اللام معلوما أو مجهولا (لجاء) أى عن الحسن بن على (الطعام أهون من

أَنْ يُحْلَفَ عَلَيْهِ . وَلَا يُجَوِّهُ إِلَى التَّعْهَدِ ، وَيَجْمَعُ مَاءَ الْكُلِّ فِي طَسْتٍ مَا أَمَكَنَ
فَرَدَّ « أَجْمَعُوا وَضَوْءُكُمْ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَكُمْ »

ان يحلف عليه) لان القسم انما يكون لامر يصعب لديه ولا يهون اليه (ولا يجوز)
اي رفيقه او مضيفه (الى التعهد) قال بعض الادباء احسن الآكسين اكلا من الرفقاء من
لا يجوز صاحبه الى تفقده في أكله وحمل بفعله عن أخيه مؤنة قوله وكان ابن المبارك
يقدم فاخر الرطب الى اخوانه فيقول من أكل أكثر اعطيته بكل نواة درهماء كان
يعد النبوى فيعطى كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لزيادة النشاط وبساط
الانبساط، وقال جعفر بن محمد: أحب اخواني الى أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة وأنقلهم
على من يجوزنى الى تعاهده في الأكل * (ويجمع ماء الكل في طست ما أمكن) هـ
أى مهما وسع * (فرود اجمعوا وضوءكم) هـ بالفتح أى ماء الوضوء وهو يشمل الغوى
والشرعى (جمع الله شملكم) هـ أى تفرقكم ، والحديث رواه القضاعى من حديث
أبى هريرة باسناد لا باس به ، وكان حق المصنف أن يأتى بهذه الجملة قريبا مما سبق
ليكون متعلق غسل اليدين على طبق النسق، والحاصل ان الاجتماع على غسل الأيدي
في الطست الكبير لا باس به اذا كانت في حالة واحدة بل هو أقرب الى التواضع
والانكسار وأبعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي أن يصب ماء كل واحد
لما يفعل ببعض المتكبرين من الاعجام لما تقدم ولقول ابن مسعود : اجتمعوا على غسل
الأيدي في طست واحد ولا تستنوا بسنة الأعاجم ، وكتب عمر بن عبدالعزيز الى الامصار
ولا يرفع طست من بين أيدي القوم الاعلوة ولا تشبهوا بالعجم ويؤيده ما أخرجه
البيهقى . والخطيب . والدبلى عن ابن عمر مرفوعا ترعوا الطسوس وخالفوا المجوس
وهو بالناء قبل الراء أى املؤها، والخادم الذى يصب الماء على الأيدي كره بعضهم
أن يكون قائما وأحب أن يكون جالسا أى باركا ليكون أقرب الى التواضع وكره
بعضهم جلوسه وأحب قيامه وفي الطست آداب وهى أن لا يصب فيه . وأن يقدم فيه
المتبوع . وأن يقبل الاكرام بالتقديم وأن يدارى يمينه وأن يجتمع فيه جماعة وأن يجتمع
الماء فيه وأن يكون الخادم قائما مائلا . وأن يمج الماء فيه ويرسله من يده يرفق حتى
لا يرش على الفراش وعلى أصحابه ويصب صاحب المنزل يده الماء على يده يضيفه كما فعل
مالك بالشافعى في أول نزوله عليه وقال : لا يركع منى ما رأته منى بخدمة الضيف فرضى .

وَيَحْتَرِزُ عَمَّا يَكْرَهُ الرِّفِيقُ قَوْلًا وَفِعْلًا كَالْفَنَخِ . وَالنَّظَرُ إِلَى أَكْلِهِ وَنَقْضِ
الْيَدِ . وَتَقْرِيبِ الرَّأْسِ . وَخَرَاஜِ شَيْءٍ مِنَ الْقِمِّ مُتَوَجِّهًا . وَأَخْذِهِ بِالْيَمِينِ
وَجَعْلِ اللَّقْمَةِ الْمَضْوَغَةِ فِي الْقِصْعَةِ . وَالدهَيْنِ فِي الْحُلِّ وَالْعَكْسِ وَالتَّكْلُمِ
بِالْقَاذُورَاتِ وَالْأَهْوَالِ وَالْإِسْتِزْدَانِ وَالْإِمْتِنَاعِ قَبْلَ امْتِنَاعِهِ .

قلت : ولعله مأخوذ من قوله تعالى : (وهل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين)
وقوله عليه السلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وقوله « إذا جاءكم
الزائر فأكرموه » الخراطعي في مكارم الأخلاق من حديث أنس (د) ويحترز عما يكره
الرفيق قولاً (أي عملاً) يعجبه ويكون سبباً للدورة خاطره (وفلاً كالنفخ)
أي في الطعام أو الشراب لما تقدم ، وكذا لا يشم الطعام فانه من عمل الأنعام ولا يأكل
في الظلمة فهو منهي عنه ولا قائماً أو ماشياً لأن فيه دناءة إذا جعله عادة (والنظر إلى
أكله) أي فيستحي من عمله بل يشتغل بنفسه إلا إذا أكل مع أهله (ونقض
اليَدِ) أي في القصة (وتقريب الرأس) أي وتقديمه عند وضع اللقمة في فيه
(وأخراج شيء من الفم متوجهاً) أي إلى رفيقه أو طعامه (وأخذه باليمين) فيبغى
أن يخرج الشيء من الفم صارفاً وجهه وأخذاً بيساره (وجعل اللقمة المضغوغة)
في القصة (فانه سبب ينفر الطيبة) والدهين في الحل (أي ولا يغمس اللقمة
الدسمة بالدهن وغيره في الحل) والعكس (أي ولا الحل في الدسم فقد يكره غيره
وكذا اللقمة التي قطعها بسنه فلا يغمس بقيتها في المرقة والحل ونحوهما) والتكلم
بالقاذورات (أي الحسية والمنوية) والأهوال (أي الأحوال من الخوفات
كذكر الموت وتذكر الأموات) والإستزدان (أي طلب الاذن في التقديم أي
تقديم الطعام بل يقدمه من غير الاعلام كما يشير إليه قوله تعالى : (فراغ إلى أهله
فجاء بعجل سمين) أي ذهب إليهم بخفية ، قال الثوري : إذا زارك أخوك فلا تقل أنا أكل
أو أقدم إليك ولكن قدم فإن أكل والا فارفع (والامتناع) أي امتناع المضيف
والرفيق عن الأكل (قبل امتناعه) أي امتناع صاحبه فلا يمسك قبل أخوانه إذا
كانوا يحتشمون إلا أكل بعده بل ينبغي أن يعيده ويقبضها ويتناول قليلاً قليلاً إلى
أن يستوفوا فإن كان قليل الأكل توقف في الابتداء وقلل الأكل حتى إذا تروا

وَالرَّفْعُ قَبْلَ اسْتِيفَانِهِ . وَالتَّكْلُفُ كَالْاِسْتِقْرَاضِ .

في الطعام أكل معهم آخرًا وقد فعل ذلك كثير من الصحابة وإن امتنع بسبب فليعتذر منهم دفعا للخجالة عنهم ﴿والرفع﴾ أي رفع الطعام ﴿قبل استيفائه﴾ أي استيفاء الضيف غرضه في ذلك المقام بل يغتنم إطالة المجلس مع الأصحاب الكرام والاحباب الفخام فقد قال جعفر بن محمد: إذا قدمت مع الإخوان على الموائد فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم ، وقال الحسن: كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فن دونهم يحاسب عليها العبد الانفة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله يستحي أن يسأله عن ذلك ويؤيده حديث جابر عند الأزد في الضعفاء «ثلاثة لا يسألون عن التعميم الصائم . والمتسحر . والرجل يأكل مع ضيفه» وروى الديلمي نحوه من حديث أبي هريرة وقد ورد «لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم مادامت مأثنته موضوعة بين يديه حتى ترفع» الطبراني في الأوسط من حديث عائشة وفي الأحياء روى عن بعض علماء خراسان «انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على أكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله ﷺ انه قال «ان الإخوان اذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك الطعام فاما أحب ان أستكثره مما أقدمه اليكم لناخذ فضل ذلك قال العراقي: لم أقف للحديث على أصل وعز على لأن أجمع اخواني على صاع من طعام أحب الى من ان اعتقر رقبه، وقيل: اجتماع الإخوان على الكفاية من الانس والالفة ليس هو من الدنيا وقد ورد «ان في الجنة غرايرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام» الترمذي من حديث علي، وعنه عليه السلام «من أطعم أخاه حتى يشبعه ومساها حتى يرويه بعده الله من النار سبعة خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام» الطبراني من حديث ابن عمر ﴿والتكلف﴾ أي تكلف المضيف للضيف ﴿كالاستقراض﴾ ففي البخارى عن عمر «نهينا عن التكلف» وفي رواية البيهقي عن سلمان مرفوعا «لا يتكلف أحد لضيفه ما لا يقدر عليه» والمعنى انه يقدم له ما حضر من الطعام فان لم يحضره شيء ولم يملك شيئا فلا يستقرض لأجله فيشق على نفسه، وقال بعض السلف في تفسير التكلف أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف يدعوا أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه، وقال بعضهم: ما أبالي من أتاني من اخواني فاني لا أتكلف

وتقديم شيء يحتاج اليه العيال ولا تسامح النفس به ، فهو يورث الانقطاع .
و يقدم ما يشتهى ، فورد « من صادف من اخيه شهوة فقضاها غفر له »

له وانما أقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت صحبته وللمتة وقال بعضهم كنت ادخل على أخ لي فيتكلف فقلت له انك لا تاكل وحدك هذا ولا أنا قبالنا اذا اجتمعنا أكلناه فاما ان تقطع هذا التكلف أو أقطع المجيء فقطع التكلف ودام اجتماعهما بسبب ذلك (وتقديم شيء يحتاج اليه العيال) أى بان يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذى قلوبهم فى مآله ، وروى « ان رجلا دعا عليا رضى الله عنه فقال : أجيئك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر ما فى البيت ولا تجحف بالعيال » (أولا تسامح النفس به) فانه من جملة التكلف (فهو يورث الانقطاع) أى انقطاع الصحبة . والالفة . والاطعام . والضيافة قال الثوري : اذا أردت أن لا تطعم عيالك مما تاكله فلا تحدثهم به ولا يروونه منك ، وعن بعضهم دخلت على جابر بن عبد الله فقدم اليها خبزا وخلا وقال : لولا اننا بيننا عن التكلف لتكلفت لكم ، رواه أحمد وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وان استزرت فلا تبقى ولا تذر . وعن سلمان أمرنا رسول الله ﷺ أن لا تكلف للضيف ما ليس عندنا وأن تقدم اليه ما حضرناه وروى أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث سلمان « لا يتكلف احد لضيفه ما لا يقدر عليه ، وعن أنس وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون : لا ندرى أيهما أعظم وزرا الذى يحقر ما يقدم اليه أو الذى يحتقر ما عنده أن يقدم (ويقدم) أى المضيف (ما يشتهى) أى ما يحبه لنفسه لقوله تعالى : (إن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) أو ما يشتهيه الضيف اذا علم من حاله ، ففى الشئائل انه عليه السلام « زار بعض أصحابه فذبح له شاة فقال اعلوها أنا نحب اللحم ويستحسن أن يشهى المزور اخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح ، قال أبو بكر الكنانى : دخلت على السدى فجاء بقتيت واحد لجمل نصفه فى القدح فقلت : أى شيء تعمل أنا أشربه لك كله فى مرة واحدة فضحك فقال : هذا أفضل من حجة (فورد من صادف) أى وافق كفاى رواية (من اخيه شهوة) أى عليها وقدر عليها (فقضاها) أى فاطعمها اياه (غفر له) البزار . والطبرانى من حديث أبى الدرداء ، وما ينبغى للزائر أن لا يقترح بشيء بعينه فربما يشقى على المزور .»

فروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحاً جريشاً فقال صاحبي: لو كان في الملح سعترا لكان أطيّب فخرج سلمان فرفه من مطهرته وأخذ سعتراً فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان: لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة، هذا وإن خيره أخوه بين طعامين فليتحير إيسرهما عليه ففي الخبر «ما خير عليه السلام بين شيئين إلا اختار إيسرهما» متفق عليه من حديث عائشة، ثم إذا علم الضيف فرح المضيف باقتراحه عليه وتيسره لديه فلا بأس به بل يحصل زيادة الانبساط بسببه وقد فعل ذلك الشافعي مع الزعفراني إذ كان نازلاً عليه ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية فاخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألقى فيها لونا آخر بخطه فلما رأى الزعفراني ذلك اللون أنكره وقال: ما أمرت بهذا فمرضت عليه خط الشافعي ملحفاً في الرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح به واعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه وذلك لأنه يدل على صداقته كما يشير إليه قوله تعالى: (أوصديقكم) وقد قصد رسول الله ﷺ. وأبو بكر، وعمر منزل أبي الهيثم بن التيهان كما في الشرائع للترمذي وقال حسن صحيح، ومنزل أبي أيوب الأنصاري كما رواه الطبراني في المعجم الصغير عن ابن عباس بسند ضعيف لأجل طعام يأكلونه وكانوا جاعاً، والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على حيازة الثواب وهي عادة السلف، وكان عون بن عبد الله المسعودي لثلاثمائة وستون صديقاً يدور عليهم في السنة وآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر وآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة ثم إن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان وثاقاً بصداقته عالماً بفرحه من حسن حاله إذا أكل من ماله فله أن يأكل بغير إذنه إذ مدار الأذن على الرضا لا سيما في الأطعمة فأمره على السعة قرب رجل بصرح بالأذن ويخلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن فأكل طعامه محبوب، وقد دخل عليه السلام دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال: بلغت الصدقة محلها، وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن فكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسرو يقول: هكذا كانوا روى عن الحسن أنه كان قائماً يأكل من متاع يقال يأخذ من هذه الخارقة تينة ومن هذه عنبه فقال له هشام: ما بالك يا أبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه؟ فقال: يا الكع اتل على آية الأكل فتلا قوله (أو صدقكم) فقال فن الصدق يا أبا سعيد؟ قال: من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب، وجاء قوم إلى منزل

وَيُضِيفُ ، فُورَدَ «لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُضِيفُ» وَيَقْصِدُ بِهِ الْإِتْقِيَاءَ اعَانَةً عَلَى الْبَرِّ

سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يا كلون فدخل الثوري فجعل يقول: ذكر تمنى أخلاق السلف هكذا كانوا، وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فظفر الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزوه وغير ذلك لحمله كله وقدمه الى أصحابه فقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل: قد أخذه فلان فقال: قد أحسن فلما التقيا قال: يا أخي ان عادوا فعد * هذا من الخصال الذميمة أن تقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فتدخل وقت أكلهم لم رامهم فان ذلك من الفجعة حال الفجأة فقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه) أى غير منتظرين حينه ومتربصين لفضجه، وفي الخبر: من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراما، البيهقي من حديث عائشة . ولأبي داود من حديث ابن عمر «من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغبرا» (ويضيف) أى بما قدر عليه وحضر لديه (فوردا لاخير فيمن لا يضيف) احمد من حديث عقبة بن عامر وقال أنس وكل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة، ومر عليه السلام برجل له ابل كثيرة وبقر كثيرة فلم يصفه ومر بامرأة لها شويها ت فذبحت له فقال عليه السلام: انظروا اليها انما هذه الاخلاق بيد الله تعالى فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل، رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من رواية أبي المنهال مرسلأ، وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ «نزل به عليه السلام ضيف فقال قل لفلان اليهودى نزل بي ضيف فأسلفنى شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودى: والله لأسلفه الا برهان فأخبرته فقال عليه السلام والله انى لامين فى السماء أمين فى الأرض ولو أسلفنى لأدبته اذهب بدرعى فارهنها عنده، رواه ابن مردويه فى تفسيره . واسحق بن راهويه فى مسنده، فان قلت قد تقدم المنع عن الاستقراض فكيف الجمع؟ قلت محله اذ لم يكن له ما يستفكه ويستخلصه فيكون تكلفا زائدا لا يحمله هذا وكان ابراهيم الخليل اذا أراد أن يا كل خرج ميلا يلتمس من يتخذى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته وحسن مقصده دامت ضيافته فى مشهده الى يومنا هذا فى بلده فلا تنقض ليلة الاوى كل عنده جماعة من ثلاثة الى عشرة الى مائة» (ويقصده) أى باطعام» (الاتقياء) من الفقراء» (اعانة على البر) وزيادة الطاعة فقد ورد فى دعائه عليه السلام «أكل طامعكم الابرار» وفى قوله

دُونَ الْأَغْنِيَاءِ ، فَوَرَدَ أَنَّهُ «شَرُّ الطَّعَامِ» ، وَلَا يَهْمِلُ الْأَقْرَبَاءَ وَالْأَخْوَانَ :
وَلَا يَخْصُ بَعْضَهُمْ تَحَامِيًا عَنِ الْوَحْشَةِ وَقَطَعَ الرَّحِمَ . وَيَنْوِي اسْتِمَالَةَ الْقُلُوبِ .
وَأَقَامَةَ السَّنَةِ دُونَ الْمُبَاهَاةِ . وَلَا يَدْعُو مَنْ يَسْتَقِلُّ الْحُضُورَ . وَلَا مَنْ يَتَأَذَى بِهِ
الْحَاضِرُونَ . وَلَا الْفَاسِقَ فَإِنَّهُ أَعَانَهُ عَلَى الْإِثْمِ ، وَيُجِيبُ نَاوِيًا أَكْرَامَ
الْمُؤْمِنِ ، فَوَرَدَ «مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَأَتَمَّ يَكْرَمُ اللَّهُ»

وَلَا يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلَّا تَقَى ، وَقَدْ تَقَدَّمَ (دُونَ الْأَغْنِيَاءِ) وَلَوْ كَانُوا مِنَ الصَّلَاحِ
(فَوَرَدَ أَنَّهُ) أَيْ عَكْسُهُ (شَرُّ الطَّعَامِ) يَعْنِي بِهِ حَدِيثُ «شَرُّ الطَّعَامِ الْوَلِيْمَةُ يَدْعُو إِلَيْهِ
الْأَغْنِيَاءُ دُونَ الْفُقَرَاءِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ (وَلَا يَهْمِلُ الْأَقْرَبَاءَ) أَيْ
لَا يَتْرَكُهُمْ فِي الطَّلَبِ لِضِيَاةِ الْغُرَبَاءِ (وَالْأَخْوَانَ) أَيْ الْأَحْبَابَ مِنَ الصَّلَاحِ لِقَوْلِهِ
تَعَالَى : (الْإِخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ لِبَعْضٍ مِنْ عَدُوِّ الْمُؤْمِنِينَ) (وَلَا يَخْصُ بَعْضَهُمْ) بَلْ
يَعْمَهُمْ (تَحَامِيًا عَنِ الْوَحْشَةِ) أَيْ النَّفَرَةِ عَنِ الصَّحْبَةِ (وَقَطَعَ الرَّحِمَ) لِأَسِيْمَا
إِذَا كَانَ الْمَدْعُو أَبْعَدَ فِي النَّسَبَةِ (وَيَنْوِي) أَيْ بِالضِّيَاةِ (اسْتِمَالَةَ الْقُلُوبِ) أَيْ
مِيلَ قُلُوبِ الْأَخْوَانِ وَالْأَقْرَابِ إِلَيْهِ بِالْمَحَبَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَحَبَّتِهِ تَعَالَى لَدَيْهِ وَهُوَ يَنْوِي أَكْرَامَ
أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ اتِّبَاعًا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَكَأَنَّمَا يَكْرِمُ اللَّهُ وَيَنْوِي
إِدْخَالَ السَّرُورِ عَلَى قَلْبِهِ امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ سَرَّ مُؤْمِنًا فَقَدْ سَرَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ ، ابْنُ حِبَّانَ . وَالْعَقْلِيُّ فِي الضَّعْفَاءِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (وَأَقَامَةَ السَّنَةِ)
أَيْ الطَّرِيقَةَ الْحَسَنَةَ (دُونَ الْمُبَاهَاةِ) أَيْ لَا الْمَفَاخِرَةَ بِكَثْرَةِ النِّعَةِ وَلَا قَصْدَ الرِّيَاءِ
وَالسَّمْعَةِ وَلَا ارَادَةَ الْعُوضِ وَحَمْلَ الْمَنَةِ (وَلَا يَدْعُو مَنْ يَسْتَقِلُّ الْحُضُورَ) أَيْ
حُضُورَ مَجْلِسِ الضِّيَاةِ أَوْ مَحْفَلِ الْجَمَاعَةِ لِأَنَّ الثَّقِيلَ مَلِيلٌ كَالْمَلِيلِ (وَلَا مَنْ يَتَأَذَى
بِهِ الْحَاضِرُونَ) كَالْمَبْرُوصِ وَصَاحِبِ الْجَذَامِ أَوْ مَنْ يَكْثُرُ الضَّحْكُ وَالسَّكَّامُ
وَيُحِثُّ بِالشَّدَةِ مَعَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ (وَلَا الْفَاسِقَ فَإِنَّهُ أَعَانَهُ عَلَى الْإِثْمِ) بَلْ عَلَى
الْآثَمِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)
(وَيُجِيبُ) أَيْ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِلَى الْوَلِيْمَةِ وَنَحْوَهَا إِنْ قَدَّرَ (نَاوِيًا أَكْرَامَ الْمُؤْمِنِ) فَوَرَدَ
مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَأَتَمَّ يَكْرَمُ اللَّهُ (لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ مَرَّةً الْمُؤْمِنَ وَالْحَدِيثَ رَوَاهُ
الْأَصْفَهَانِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ . وَالْعَقْلِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ

وَاسْرَارُهُ، فورد « من سر مؤمنا فقد سر الله » وَالْحَذَرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ،
فورد « من لم يجب الداعي فقد عصى الله » وَأَقَامَةُ السُّنَّةِ فَهِيَ مُؤَكَّدَةٌ،
وَيَتَعَلَّلُ لَاسْتِقَالِ الدَّاعِي الْأَطْعَامَ وَقَصْدِهِ الْمُبَاهَاةَ وَالتَّحَامِيَّ عَنْ ارْتِكَابِ
مَعْصِيَةٍ كَكَوْنِ الشُّبْهَةِ فِي الطَّعَامِ وَالْمُنْكَرِ فِي الْمَجْلِسِ، فَالْتِيَةُ إِنَّمَا تَوْرُ

﴿ واسراره ﴾ أى تفرجه ﴿ فورد من سر مؤمنا فقد سر الله ﴾ وقد تقدم ﴿ والحذر
عن المعصية فورد من لم يجب الداعي فقد عصى الله ﴾ أى الله ورسوله كما فى المتفق
عليه من حديث أبى هريرة ﴿ واقامة السنة فهى مؤكدة ﴾ أى قرينة للوجوب أو الأول
دليل قولى والآخر دليل فعلى فلا يميز الغنى بالاجابة عن الفقير فان ذلك هو التكبر
المنهى عنه ولذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة، وقال بعضهم : انتظر المرققة مذلة
وقال: آخر اذا وضعت يدى فى قصعة غيرى فقد ذلت له رقبتي فقل هذا خلاف السنة
ودفع بان محله اذا كان الداعى لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها المنة ولذا قال بعض
الصوفية لا تجب الادعوة من يرى انك أكلت رزقك وانه يسلم اليك الوديفة ويرى
لك فى قبولها الفضل والمنة ، وقال السرى السقطى ألح على لقمة ليس على الله فيها تبة
ولا مخلوق فيها منة ﴿ ويتعلل ﴾ أى ويتعذروا بآتى بنوع من العلة اذالم يرد الاجابة
وذلك ﴿ لاستئصال الداعى الاطعام ﴾ وانما هو حياء من بعض الانام ﴿ وقصده
المباهاة ﴾ أى ولارادته المفاخرة فليس من السنة اجابة من يطعم مباهاة أو تكلفا
فروى أبو داود من حديث ابن عباس أنه عليه السلام « نهى عن طعام المتبايعين » أى
المتباهيين كما فى رواية العقيلي، والمتبايعان المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء ذاقه
أبو موسى المدينى ﴿ والتحامى ﴾ أى ويتعلل أيضا للاحتراز والاحتباس ﴿ عن
ارتكاب معصية ﴾ أى عما يوجد عند الداعى ﴿ ككون الشبهة ﴾ أى القوية ﴿ فى
الطعام والمنكر فى المجلس ﴾ أى منكر الآثام من فرش ديباج أو آنية فضة أو تصوير
حيوان على حائط أو سماع شيء من المزامير أو الملاهى أو تشاغل بنوع من اللهو
والهزؤ واللاعب فكل ذلك مما يمنع من الاجابة واستجابها ويوجب تحريمها أو كراهتها
وكذلك اذا كان الداعى ظالما أو مبتدعا أو فاسقا أو شريرا أو متكلفا طالبا للمباهاة
والرياء والسعة فلا تجاب له الدعوة ﴿ فالتيه ﴾ أى تصحيحها أو تحسينها ﴿ انما تؤثر

فِي الْمُبَاحِ لَا لِنَقْصَانِ الْجَاهِ وَلَا لِفَقْرِ الدَّاعِي فَهُوَ تَكْبِيرٌ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ يُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَالْفَقِيرِ، وَلَا لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ إِنْ اعْتَدِتْ، فُورِدَ
«لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعِ الْغَنِيمِ لَأَجَبْتُ» لِالصَّوْمِ فَيُفْطَرُ إِنْ أَلْحَ قَاسِرَارُ الْمُؤْمِنِ
يَعْدِلُ الصَّوْمَ،

فِي الْمُبَاحِ) فتجعله عبادة وتخبره عن كونه عادة بخلاف المعصية فانها لا تؤثر في
تغييرها النية فلا يصح له أن ينوي سرور اخوانه بمساعدتهم في شرب الخمر أو سماع
المزامير ونحوها (لا) أى لا يتعلله (لنقصان الجاه) أى في المدعو (ولا لفقر
الداعى فهو) أى كل منهما (تكبير) وكان عليه الصلاة والسلام) مع كمال عزه
وجمال جاهه (يجيب دعوة العبد والفقير) وفي الاحياء « المسكين بدل الفقير »
و كلاهما ليس في أصل الحديث الذى رواه الترمذى . وابن ماجه من حديث أنس
وضعه الترمذى وصححه الحاكم ، وفي ذكر العبدغنية عنه ولقد أجاب دعوة خياط
كما في الشئائل ومراحسن بن على رضى الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون
الناس على قارة الطريق وقد نثروا كسرا على الأرض وهم يأكلون وكان راكبا على
بغلته فلم عليهم فقالوا : هلم الى الغداء يا ابن بنت رسول الله فقال : نعم ان الله لا يحب
المتكبرين فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل من طعامهم ثم سلم عليهم وركب
وقال : قد أجبتكم فاجيبوني فقالوا : نعم فوعدهم وقامعلوما فحضر واعنده فقدم اليهم فاجر
الطعام وجلس يأكل معهم (ولا) أى لا يتعلل (لبعد المسافة ان اعتدلت) أى
الدعوة اليه والاجابة لديه (فورد) أى في البخارى من حديث أبى هريرة (لو دعيت
الى كراع الغنيم لاجبت) وتماهه هولو اهدى الى ذراع لقبلت ، والظاهر أن المراد كراع
الشاة لكن في المتن مقيد بكراع الغنيم تبعاً لما في الاحياء وهو بفتح المعجمة وكسر
الميم واديين الحرمين على مرحلة من مكة وقيل اسم موضع قريب بالمدينةقواته بما يعتاد
مسافتها بالحضور اليها في الاجابة أو اريد بذكره غاية المبالغة الا أن العراقي قال ذكر
الغنيم لا يعرف ويرد هذه الزيادة مارواه الترمذى من حديث أنس لو اهدى الى كراع
لقبلت (لا اصوم) ولا يتعلل لأجل صومه (فيفطر) ان كان نقلا (ان ألح)
أى قبل الزوال (قاسرار المؤمن) أى فرحه بفطره (يعدل الصوم) مع ان الصوم

وَوَرَدَهُ تَكْلَفُكَ أَخُوكَ وَقَوْلُ أَتَى صَائِمٌ» وَالْأَضْيَافَةُ بِالْعَطْرِ وَطِيبِ الْكَلَامِ
وَالْاِكْتِحَالِ . وَالْأَدَهَانِ . وَنَحْوَهَا ، وَيَجْلِسُ حَيْثُ يَجْلِسُ فَهُوَ تَوَاضَعٌ . وَلَا يَنْظُرُ
إِلَى جَانِبٍ يَأْتِي مِنْهُ الطَّعَامُ فَهُوَ شَرُّهُ . وَلَا يُطِيلُ أَنْتِظَارَ الْمُضَيْفِ : وَلَا يُعَجِّلُ
قَبْلَ الْأَسْتِعْدَادِ ، وَيَغْيِرُ مِنْكَرًا رَأَى أَنْ قَدَرَ . وَالْاَيْتِكُرُ بِاللِّسَانِ . وَيَرْجِعُ
وَيَبْتَدِيهِ الْمُضَيْفُ بِالْغَسْلِ قَبْلَ الْأَكْلِ لِأَنَّهُ دَاعٍ ،

له قضاء بخلاف كسر خاطر من له وفاء فانه جفاء (وورد تكلف لك أخوك)
أى بطيخ الطعام (وتقول انا صائم) قاله على سبيل التوبيخ على ترك الافطار
للضيف عند الاحاح ، والحديث رواه البيهقي من حديث أبى سعيد الخدرى صنعت
لرسول الله ﷺ طعاما فاتى هو وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم : انا
صائم فقال عليه السلام : دعاكم أخوكم وتكلف لكم الحديث وللدارقطنى نحوه من
حديث جابر (والا) أى وان لم يفطر (ضيافته بالعطر) أى طيب المشام
(وطيب الكلام والا كتحال والادهاات ونحوها) من أصناف الاكرام
(ويجلس حيث يجلس) فانه قد يكون رتب فى مجلسه موضع كل واحد فمخالفته
لديه تشو يش عليه وان أشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فلا يرتفع
(فهو تواضع) فقد ورد ان من التواضع لله الرضى بالدون من المجلس ، الخرائطى
فى مكارم الأخلاق . رابونيم فى رياضة المتعلمين من حديث طلحة بن عبيدالله بسند
جيد ، ثم يخص من يحببه بالسلام والكلام (ولا ينظر الى جانب يأتى منه الطعام فهو
شره) أى دال على حرص فى الاكل (ولا يطيل) أى الضيف (انتظار المضيف)
اذا دعاه فان الانتظار أشد من الموت خصوصا عند توم الفوت (ولا يعجل) أى
الضيف فى المجئ . (قبل الاستعداد) أى استعداد المضيف للطعام وتبشيره المقام
(ويغير منكرا رأى ان قدر) أى على تغييره بيده (والا) أى وان لم يقدر على تغييره
باليد (ينكر باللسان ويرجع) أى ولا يقنع بانكار الجنان فان ذلك من أضف
الايان حتى قال أحمد بن حنبل اذا رأى مكحلة رأسها مقفوض فينبى ان يخرج وكذا
اذا رأى على حيطان البيت ستورا من الديباج فاستر الكعبة (ويبتدىء المضيف
بالغسل) أى بغسل الأيدى تحاميا عن تنفر السامة (قبل الأكل لانه داع) فيكون

وَيَتَأَخَّرُ بَعْدَهُ انْتِظَارًا لِلدَّخْلِ . وَتَعْظِيماً لِلضَّيْفِ ، وَيَقْدُمُ مَا يَكْفِي ، فَالْتَقْصُ
تَرْكُ الْمُرُوءَةِ . وَالزِّيَادَةُ رِيَاءٌ إِلَّا أَنْ يَحْيِزَ الذَّهَابُ بِهِ . وَيُمَيِّزُ أَوَّلًا نَصِيبَ
الْعِيَالِ تَحَامِيًّا عَنْ اهْتِمَامِهِمْ . وَلَا يَرْفَعُهُ الضَّيْفُ إِلَّا أَنْ يَعْلَمَ

كالمؤذن يتوضأ قبل اذانه فقد غسل مالك يده قبل الطعام وقبل القوم وقال : الفسل
قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرامته انتهى ، ولا يخفى ان هذا
عيب في عرف زماننا ان كان في المجلس فالاولى أن يغسل قبل انعقاد المجلس له أوفى
آخره تواضعا ﴿ ويتأخر ﴾ أى فى غسل اليد ﴿ بعده ﴾ أى بعد فراغ الاكل ﴿ انتظارا
للداخل ﴾ أى بمن يأكل معه ﴿ وتَعْظِيماً لِلضَّيْفِ ﴾ أى بالتأخر لانه تواضع معه فى
محلّه ولهذا ينبغي ان يكون آخرهم اكلا فقد كان بعض الكرام يقدم الطعام فاذا
قارب القوم من التمام جئا على ركبتيه ومد يده الى طعام بين يديه واكل قال بسم الله
ساعدنى بارك الله عليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه ﴿ ويقدم ما يكفى ﴾ أى
من الطعام ﴿ فالنقص ﴾ عن قدر الكفاية ﴿ ترك المرؤة ﴾ أى مع وجود القدرة
﴿ والزيادة ﴾ على قدر الحاجة ﴿ رياء الا ان يحيز الذهب به ﴾ أى بطيب نفسه
باخذ ما فضل من الطعام أو نوى ان يتبرك بفضلتهم ، وقد احضر ابراهيم بن آدم
طعاما كثيرا على مائدة فقال له سفيان : يا ابا اسحاق اما تخاف ان يكون هذا سرفا
فقال ابراهيم : ليس فى الطعام اسراف ، ولعل ذلك لانه ليس فى تضييع واثلاف ويؤيده
قولهم لاخير فى سرف ولا سرف فى خير فهو من قبيل المباهاة والمذموم نية المباهاة
فان لم تكن نية صحيحة فالتكثير تكلف وتضعف ، قال ابن مسعود : نهينا أن نجيب دعوة
من يباهى بطعامه وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة وهذا من ذلك وكان
لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلة طعام قط لانهم كانوا
لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع بل حد الكفاية والقناعة
﴿ ويميز اولاً ﴾ أى يفرز من الطعام ابتداء ﴿ نصيب العيال تحاميا عن اهتتامهم ﴾
أى لتلا تكون اعينهم طامحة الى رجوع شئ منه فلعلة لا يرجع فضيق صدورهم
وتطلق فى الضيفان استئتمهم وتقوم شرورهم فيكون قد اطعم الضيفان بما يتبعه كراهة
قوم وتلك خيالة فى حقهم ﴿ ولا يرفعه الضيف ﴾ أى مابقى من الاطعمة فليس
للضيفان أخذه وهو الذى تسميه الصوفية الزلما فيه نوع من المزالة ﴿ الا أن يعلم ﴾

بُسْرُورِهِ • وَإِذَا بَاتَ يُرِيهِ الْقَبْلَةَ : وَالْمُتَوَضَّأَ وَيُكْرِمُهُ ، فَوَرَدَ مِنْ كَانَ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » وهو باظهار الانبساط والسُرور.

أى الضيف بقرينة الحال • (بسروره) • أى بفرح المضيف اذا أخذه فرفعه حيثئذ
وان كان يظن كراهته لذلك فلا ينبغي ان يؤخذ شئ هنالك الا اذا صرح صاحب
الطعام بالاذن فيه عن قلب راض به واذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصف مع
الرفقاء فلا ينبغي ان يأخذ كل واحد الا ما يخصه او يرضى به رفيقه عن طوع وسخاء
لا عن كراهة وحياء ، ويختار ايسر الطعامين اذا خير الضيف بينهما لانه عليه السلام كان
اذا خير بين امرين اختار ايسرهما ولا يترحم الضيف على المضيف الا اذا علم فرحه بذلك
كما فعله الشافعى فى بيت الزعفرانى • (واذا بات) • أى أقام الضيف عنده فى الليل
• (يريه القبلة) • أى يعلمه المضيف جهة الكعبة • (والمتوضأ) • أى محل الطهارة هكذا
فعل مالك بالشافعى، وفيه اشارة الى قيام الليل بالتهجد ونحوه، وكناية عن قضاء الحاجة
فى وقته • (ويكرمه) • أى المضيف الضيف بما أمكن من أنواع الاكرام • (فورد) •
اى عنه عليه السلام • (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) • أى بجميع ما يجب الايمان
به واكتفى بطرفى المؤمن به • (فليكرم ضيفه) • متفق عليه من حديث ابى شريح
• (وهو) • أى اكرامه اولاه • (باظهار الانبساط والسُرور) • أى الفرح فى مقام النشاط
عند الدخول والخروج وعلى المائدة وسائر أوقات الصحبة، قيل للاوزاعى ما كرامة
الضيف؟ قال : طلاقة الوجه وطيب الحديث ، وقال زيد بن أبى زياد : ما دخلنا على
عبد الرحمن بن أبى لى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا وثانيا بتعجيل
الطعام فانه يقال السلام قبل الطعام والطعام قبل الكلام وهو أحد المعنيين فى قوله
تعالى (هل أتيتك حديث ضيف ابراهيم المكرمى) انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم
ودل عليه قوله سبحانه (فالبث ان جاء بعجل حنيد) أى مشوى وقوله (فراغ الى اهله
لجاء بعجل سمين) أى ذهب بسرعة أو بخفية وقد جاء بفخذ من لحم وانما سمي عجلا لانه
عجله كذا فى الاحياء، والظاهر ان العجل على حقيقة عبارة ويؤخذ منه العجلة اشارة،
وقد ورد، الاناقة من الله والعجلة من الشيطان، لما رواه الترمذى من حديث سهل بن
سعد الا ان أبا داود روى من حديث سعد بن أبى وقاص التؤدة فى كل شئ الا فى

وَصَبَّ الْمَاءَ عَلَى الْيَدِ . وَالتَّشْيِيعُ إِلَى الْبَابِ . وَأَخَذَ الرَّكَّابَ فَالْكَلُّ مُأْتُورٌ .
وَيَرْجِعُ فَرَحًا وَإِنْ قَصَرَ فِي حَقِّهِ بِرِضَاءِ الْمُضِيفِ ، فَهُوَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ . وَلَا يَكُونُ أَكْثَرَ
مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تَحْرُزًا عَنِ السَّامَةِ . وَوَرَدَ الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَمَا زَادَ فَصَدَقَةٌ .
إِلَّا أَنْ يُلَحَّ : وَيُعَدَّ فَرَّاشَ الضَّيْفِ . وَيَسْتَأْذِنُ كُلَّ صَاحِبِهِ فِي صَوْمِ النَّفْلِ ، فَهُوَ
مَأْتُورٌ . وَيُرْسَلُ الطَّعَامُ لِأَصْحَابِ الْمَصَانِبِ ، فَأَمْرٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِ

عمل الآخرة قال الأعمش لا أعلم إلا أنه رفعه (وصب الماء) أي ويكبه المضيفه (على
اليده) أي يد المضيف وهو أحد المعنيين في الآية السابقة وقد وفد وفد النجاشي على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقام بخدمهم بنفسه فقال أصحابه : نحن نكفئك يا رسول الله
فقال : انهم كانوا لأصحابي مكرمين وأنا أحب أن أكافهم (والتشييع إلى الباب)
أي باب الدار قال عليه السلام : من السنة للضيف أن يشيع إلى باب الدار ، كذا في
الاحياء وسكت عنه مخرجه (وأخذ الركاب) أي ركاب المضيف للركوب (فالكل
مأثور) والآخر مروي عن فعل ابن عباس يزيد بن ثابت (ويرجع) أي المضيف
(فرحاً) أي في نفسه (وان قصر في حقه) أي ولو قصر المضيف في حق المضيف
(برضاء المضيف) متعلق بيرجع (فهو من حسن الخلق) في عشرة الخلق فقد
ورد حديث حسن واسناده حسن عن الحسن عن ابن الحسن عن أبي الحسن عن جد
الحسن أن أحسن الحسن الخلق الحسن (ولا يكون) أي لا يثبت المضيف ولا يقيم
(أكثر من ثلاثة أيام تحرزا عن السامة) الموجبة للبلامة (وورد) في الصحيحين
من حديث أبي شريح الخزاعي (الضيافة ثلاثة أيام وما زاد فصدقة) يعني أن شاء
فعل وإن شاء ترك (الآن يلح) أي يبالي المضيف على المضيف بالفعود عنده
زيادة على الثلاثة ويعرف أنه من صميم قلبه وطيب نفسه (ويعد فراش الضيف)
أي يهيئه فان رسول الله ﷺ قال : فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف
والرابع للشيطان مسلم من حديث جابر (ويستأذن كل) أي من المضيف والمضيف
(صاحبه في صوم النفل فهو مأثور) ويعتذر إذا كان فرضاً من قضاء أو نذر، وعن
عائشة في رواية الترمذي من نزل على قوم فلا يصوم تطوعاً إلا بأذنهم ، (ويرسل
الطعام لأصحاب المصائب) أي يموت بعض الأقارب (فأمر عليه السلام به)

لآل حمزة وجعفر إلا أن يكون منكراً محرراً عن الأعانة على الأنثم .
ويجتنب طعام السلطان ويقبل لوأكره : ولا يقصد الأجود ، ونحو الثوم .
والبصل : والكراث لاسيما يوم الجمعة فهو منهي عنه لتنفير الملائكة
والناس عن ربحه

أى بارسال الطعام المسمى بالعرقة في لسان العام (لآل حمزة) أى عمه (وجعفر)
أى ابن عمه وهو أخو على بن أبى طالب من أبيه وأمه في وقت شهادتهما (إلا أن يكون)
أى هناك (منكراً) كالنوح ولطم الوجه وخرق الثوب وكشف العورة (محرراً
عن الأعانة على الأنثم) أى المعصية ، وقد قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) والحديث معروف في جعفر دون حمزة فروى أبو
داود ، والترمذى . وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر بسند حسن وأنه لما جاء
نعى جعفر بن أبى طالب قال عليه السلام : ان آل جعفر شغلوا ببيتهم عن طعامهم فاحلوا
اليهم ما يأكون ، (ويجتنب طعام السلطان) أى أكله فإنه لا يذفيه نصيب من
الشیطان (ويقبل) أى طعامه (لوأكره) على قبوله وأكله فقد ورد ، رفع
عن أمى الخطأ والسيان وما استكرهوا عليه ، ابن ماجه . وابن حبان . والحاكم
وصححه عن ابن عباس « وإذا ابتلى به فليقلل من أكله » (ولا يقصد الأجود)
أى الاطيب من الأطعمة مضى للفس ومخالفة للهوى ومتابعة للكفاية والقناعة لاسيما
إذا كان الطعام فيه نوع من الشبهة فقد رد بعض المزيكين شهادة من حضر طعام سلطان
فقال : كنت مكرها فقال : رأيتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها على
ذلك وأجبر السلطان هذا المزكى على الأكل فقال : أما آكل وأخلى التزكية أو أزي
ولا آكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه ، وحكى أن ذا النون المصرى حبس فلم
يأكل أياما في السجن وكانت له أخت في الله فبعثت اليه من غرلها طعاما على يدي
السجان فامتنع من أكله فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال : كان حلالا ولكنه جاءني على
طبق ظالم وأشار به الى يد السجان ، وهذا غاية الورع (ونحو الثوم) أى ويجتنبه
(والبصل والكراث) أى وسائر البقول التي لها رائحة خبيثة خصوصا إذا كان
يريد دخول المسجد قبل زوال الرائحة الكريهة (لاسيما يوم الجمعة) لكثرة الجماعة
(فهو منهي عنه لتنفير الملائكة والناس عن ربحه) ولذا يستحب التطيب في حضوره

وَالْأَكْلُ فِي السُّوقِ فَهُوَ دَنَاءَةٌ إِلَّا بِنَيْتِ التَّوَاضُّعِ وَهَضْمِ النَّفْسِ : وَالْإِحْتِمَاءُ فِي
الصَّحَّةِ ، فَهُوَ يَضُرُّ كَثَرَتَهُ فِي الْمَرَضِ . وَيَقْلُ الذُّبَابُ الْوَاقِعَ ، ثُمَّ يَنْقُلُ الذُّبَابُ
فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالْآخَرَ دَوَاءً ، وَيَذْكُرُ الْجَنَائِعَ . وَحِسَابَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ .

هـ (والأكل) هـ أى ويحْتَنِبُهُ هـ (في السوق) * وفي معناه محضر جماعة من المسجد وغيره
هـ (فهو دناءة) هـ أى دالة على قلة المبالاة وعدم الديانة فقد حكى عن إبراهيم النخعي
انه قال: الأكل في السوق دناءة وفي الأحياء واسند إلى رسول الله ﷺ وهو غريب لكن
قال مخرجه : رواه الطبراني من حديث أبي امامة وهو ضعيف ورواه ابن عدى في
الكامل من حديثه وحديث أبي هريرة انتهى ، وتعدد طرقه بما يرتقيه الى حسنه كما
لا يخفى ، وأما قوله في الأحياء فقد نقل ضده عن ابن عمر أنه قال : كنا نأكل على عهد
رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام ، رواه الترمذى وصححه فلا يظهر
وجه التضاد اذ يمكن المشى والقيام أن يكونا في غير السوق ، وأما قوله تعالى : (ما لهذا
الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) فأنكار منهم عليه بكل واحد منهما لا
بالجم بينهما فعنى قولهم يأكل الطعام انه ليس من الملائكة وقولهم يمشي في الأسواق
لاحتياجه الى المبايعة هـ (الابنية التواضع وهضم النفس) هـ وفيه ان الكراهة لما فيه
من الدلالة على الدناءة بأكله في نظر الجماعة فكيف ترتفع كراهة القضية بهذه النية
وقد صرح الأئمة بقدر ذلك في الشهادة هـ (والاحتماء) هـ أى ويحْتَنِبُهُ هـ (في الصحة
فهو يضر) هـ أى في الصحة هـ (كثر كره في المرض) هـ فان وجوده فيه الدواء من كل
الدواء ، وقيل : من احتسب فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافى ، ومن اللطائف
انه رأى رسول الله ﷺ صهيباً يأكل تمرًا واحداً عينه رمدة فقال : أنما كل التمر
وأنت أرمد فقال : يا رسول الله انما أمضغ بالشق الآخر - يعنى الجانب السليم - فضحك
رسول الله ﷺ ابن ماجه من حديث صهيب باسناد جيد هـ (ويقل) هـ بضم القاف
أى يغمس هـ (الذباب الواقع) هـ في الشراب هـ (ثم ينقل) هـ أى يخرج هـ (الذباب
في أحد جناحيه داء والآخر دواء) هـ رواه البخارى وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً
هـ اذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم ينزعه فان في أحد جناحيه داء وفي الآخر
شفاء هـ (ويذكر الجنائز) هـ حال أكله ووقت شبعه ويقول : اللهم لاتؤاخذنى
بحق الجنائز هـ (وحساب يوم القيامة) هـ فان حلال الدنيا له حساب وحرامها له عقاب

وَلَا يَوَاقِلُ الْأَشْرَارَ . وَلَا يُشَارِبُهُمْ بَلِ الْإِتْقِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ . فَهُوَ يَوْرِثُ الْحِكْمَةَ .
وَلَا يَوَاطِبُ عَلَى الْبَرِّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . فَهُوَ الْمَرْوِيُّ ، وَيَأْكُلُ الشَّعِيرَ فَهُوَ أَكْثَرُ
طَعَامِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَيَخْلُطُ الْبَرِّهُ فَهُوَ سَبَبُ الْبَرَكَةِ . وَيَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ
الْأَوْتَارَ ، فُورَدَ « مِنْ تَصْبَحُ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٌ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَمٌ وَلَا
سِحْرٌ » وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ التَّمْرِ وَالنَّوَى فِي طَبَقٍ وَكَفٍّ بَلْ يَجْعَلُهُ مِنَ الْقَمِّ فِي ظَهْرِ الْيَدِ
فِيْلَقَى ، وَكَذَلِكَ نَحْوَهُ . وَيَقْدُمُ الثَّمَارَ فُورَدَ (وَفَاكِهِةٌ مَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمٌ طَيْرٍ مَّا
يَشْتَهَوْنَ) *

يوجب الملامة والتدامة (ولا يواكل الاشرار ولا يشاربهم) (بل ولا يصاحبهم
ولا يقاربهم) (بل الاتقياء) (من الابرار) (والعلماء) (من الاخيار) (فهو يورث
الحكمة) (أى وأنواعا من الاسرار المنضمة الى الانوار الجمة) (ولا يواطب على
البر) (أى أكل عيش الحنطة) (ثلاثة أيام فهو المروى) (أى فى الصحيحين عن
أنى هريرة ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض) (ويأكل الشعير
فهو أكثر طعام الأنبياء عليهم السلام) (وعن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ
يلتصق باليالى المتتابعة وأهله طاوبا لا يجدون عشاء . وكان خبزهم الشعير . رواه الترمذى
وصححه) (ويخلط البربه) (أى بالشعير فى أكله) (فهو سبب البركة ويأكل من التمر
الاولتار) (اما ثلاثا واما خمسا واما سبعا) (فورد من تصبح بسبع تمرات عجوة) (هو
جنس من تمر المدينة أو غيرها) (لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) (أحمد . والشيخان
وأبو داود عن سعد) (ولا يجمع بين التمر والنوى فى طبق) (أى مشترك بينه وبين
رفيقه) (وكف) (أى ولا فى كف لتقدير صاحبه) (بل يجعله) (أى النوى) (من
القم فى ظهر اليد) (أى لافى بطن الكف وأصابه) (فيلقى) (أى فى مكان يليق به
) (وكذلك نحوه) (أى نحو التمر أو نواته من الخوخ . والعنب وكذا فضلات
التين والرطب ، وفى رواية عبدان عن أبى موسى أنه عليه السلام « نهى عن فتح التمر
وقشر الرطب » (ويقدم الثمار) (أى أكل الفاكهة الرطبة) (فورد) (أى فى وصف
مافى الجنة) (وفاكهة مما يتخيرون) (أى يختارون) (ولحم طير مما يشتهون)

فَهُوَ الْمَرْوِيُّ، وَيَجُوعُ النَّفْسَ لَوْلِيَّةِ الْفَرْدُوسِ فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْقِدُ
الْحَجَرَ عَلَى الْبَطْنِ مِنَ الْجُوعِ،

والاستدلال به من حيث الترتيب الذكري بينهما وهو أيضا أقرب الى قواعد الطب
فانها أسرع استحالة فينبغي أن يقع في أسفل المعدة، وفيه أيضا اشارة الى تقديم أطف
الالوان من الطعام حتى يستوفى منه من يريده ولا يكسر الأكل بعده بخلاف عادة
المترفين من تقديم الغليظ من الاطعمة لتستأنف حركة الشهوة لمصادفة اللطيف بعده
وذلك خلاف السنة لانه حيلة في استكثار الأكل والوسعة، ثم الأفضل بعد ما تقدم
الفاكهة اللحم والثريد، وقد ورد «سيد الادام اللحم وفضل عائشة على النساء كفضل
الثريد على سائر الطعام»، فان جمع اليه الحلاوة فقد جمع الطيبات لقوله تعالى في وصف
الطيبات (وانزلنا عليكم المن والسلوى) فالمن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لانه
يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه في مقام المرام، قال أبو سليمان الداراني
اكل الطيبات يورث الرضا عن الله عز وجل من جميع الجهات، وتتم هذه الطيبات
بشرب الماء البارد فانه من اعظم اللذات، ولذا ورد في الدعاء النبوي اجعل حبك أحب
الى من الماء البارد، وقال بعضهم: اذا كان خبزك جيدا وخلتك حامضا وماؤك باردا
فبو كفاية، وقال آخر: الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان (وبأكل ما أصاب)
أى من الثمار في مواسمها (فهو المروي) لانه سبحانه ما خلقها في تلك الازمنة والامكنة
الا لحكمة بالغية في منفعة الخلق بها والتلذذ بسببها والتذكير بها على فواكه الجنة وكثرة
انواعها، وفي الاحياء وبأكل ما وجد من الطعام الحلال ان وجد تمر ادون خبز اكله
وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر أو شعير اكله وان وجد حلوا أو عسلا
اكله وان وجد لبن ادون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا اكله وان وجد رطبا
اكله (ويجوع النفس) أى يرتاضها ويهذبها بتقليل الأكل (لولىة الفردوس)
وذلك لان تلك الولية للمتجربين في الدنيا الزاهدين فيها والمراضين بانواع الرياضة على
انفسهم منها رضا للولى، والله در القائل:

ويليك عن دار الخلود مطاعم * ولذة نفس غيها غير نافع

فقد ورد «اجوعكم في الدنيا اشبعكم في العقبى» (فكان عليه السلام يعقد الحجر)

أى يربطه (على البطن) أى بطنه (من الجوع) أى من شدة ما به من الجوع وقد اشبعته

وَيَحْتَبُ الشُّرْبُ فِي أَثْنَاءِ الْأَكْلِ إِلَّا لَتَعْلُقَ لُقْمَةً أَوْ صَدَقَ عَطَشٌ .
وَلَا يَكْثُرُ فَهُوَ يَقْلِلُ الْهَضْمُ . وَيَأْخُذُ الْكُوزَ بِالْيَمِينِ . وَيَشْرَبُ فِي ثَلَاثِ أَنْفَاسٍ
مُفْتَحًا بِالتَّسْمِيَةِ وَخَتْمًا بِالتَّحْمِيدِ فِي كُلِّ وَهُوَ السَّنَةُ ، وَوردَ «مَصُوا الْمَاءَ مَصًّا
وَلَا تَعْبُوهُ عِبًّا فَإِنَّ الْكِبَادَ مِنَ الْعَبِّ»

السلام عليه في جمع الوسائل شرح الثمائل (ويحْتَبُ الشُّرْبُ فِي أَثْنَاءِ الْأَكْلِ) أى
لمنع أرباب الحكمة (إِلَّا لَتَعْلُقَ لُقْمَةً أَوْ صَدَقَ عَطَشٌ) أى لكثرة حرارة فقد يقال:
أن ذلك مستحب في الطب وأنه دباغ المعدة من الغش ولا يشرب على الريق وإذا عطش
ولم يقدر أن يصبر فلْيَأْكُلْ لُقْمَةً لِيُؤَفِّقَ الْحِكْمَةَ وَيُشِيرَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (كُلُوا وَاشْرَبُوا)
وإن كان الواو لمطلق الجمع فإن التقديم الذكري قد يفيد الترتيب كما حقق في قوله تعالى:
(إن الصفا والمروة) وقوله عليه السلام «أبدوا بما بدأ الله سبحانه» (وَلَا يَكْثُرُ) أى من
الشرب بعده (فَهُوَ يَقْلِلُ الْهَضْمُ) لأنه يبرد المعدة ويفسدها بل يصبر قدر ساعة
ونحوها (وَيَأْخُذُ الْكُوزَ بِالْيَمِينِ) لما ورد من أن الشيطان يشرب بشماله كما في مسلم وغيره
(وَيَشْرَبُ فِي ثَلَاثِ أَنْفَاسٍ) لما في الصحيحين وغيره عن أنس أنه عليه السلام «كان
إذا شرب تنفس ثلاثاً» ويقول هو أنا وأمرأ وأبرأ وفي رواية الترمذى وابن ماجه
عن ابن عباس «كان إذا شرب تنفس مرتين» فتحمل القضية على مرتين والأولى أكثر
وأظهر وأشهر (مُفْتَحًا بِالتَّسْمِيَةِ) وهو القياس على الأكل ، وعن ابن مسعود أنه
عليه السلام «كان إذا شرب يتنفس في الأثناء ثلاثاً يسمى عند كل نفس ويشكر في آخرهن»
ابن السنى . والطبرانى ويقول: «الحمد لله الذى سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا
أجاجا بذنوبنا» الطبرانى في الدعاء مرسلا من رواية أبى جعفر محمد بن على بن الحسين
(وَمُخْتَمًا بِالتَّحْمِيدِ فِي كُلِّ) أى في كل نفس (وَهُوَ السَّنَةُ) أى كما لحاها والا فالسنة
المعروفة هو التسمية في أول الشرب والتحميد في آخره (وورد) عن أنس برواية
الديلمى مرفوعا (مَصُوا الْمَاءَ مَصًّا) أى اشربوه قليلا قليلا يشبه المص وفي رواية
أبى داود عن عطاء بن أبى رباح «إذا شربتم فاشربوا مصا» (وَلَا تَعْبُوهُ عِبًّا) أى ولا
تشرّبوه كثيرا يشبه الصب (فَإِنَّ الْكِبَادَ) بالضم وهو وجع الكبد (مِنَ الْعَبِّ)
أى من هذا النوع في الشرب، وفي رواية البيهقى عن ابن شهاب مرسلا أنه عليه السلام

مَنْ آتَى الْخَرْفَ . وَمَنْ الْحَشَبَ ، ثُمَّ يَبْدَهُ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْكَرْعِ وَغَيْرِهِ
لَأَقَامًا وَلَا مَضْطَجَعًا . وَيَنْظُرُ فِيهِ قَبْلَ الشُّرْبِ . وَلَا يَتَنَفَّسُ فِيهِ . وَيَحْفَظُ
أَسْفَلَهُ عَنِ التَّرْشِيعِ عَلَيْهِ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ ، وَيَتَبَرَّكُ بِسُورِ الْمُسْلِمِينَ ، فُورِدَ
« سُورُ الْمُؤْمِنِ شِفَاءً » وَلَا يَرُدُّ الْمَاءَ . وَلَا يَعْرِضُ . وَيَدَارُ الْكُوزُ . وَالطُّسْتُ

« نهى عن العب نفسا واحدا وقال: ذلك شرب الشيطان » (من آتية الخرف) متعلق
بیشرب أى من الكوز الفخار (ومن الحشب) وهو القندح وهو الأنسب إلى مشرب
العرب أقرب (ثم يبدى) أى ثم الأفضل أن يشرب يبدى (فهو أفضل من الكرع)
أى من الشرب بقمه (وغيره) أى وغيره اذكر كما يشرب من آتية النحاس والصفير
وأما من آتية القضة . والذهب فبالاجماع حرام على الذكور والنساء (لأقاما)
كما فى حديث مسلم عن أنس وغيره وروى عنه « أنه شرب قائما » كما فى الصحيحين
عن ابن عباس وحمل على عذرا أو يان جوازا أو اختصاص بما زمزم (ولا مضطجعا) لأنه
خلاف السنة والحكمة الا لضرورة (وينظر فيه) أى فى الماء والكوز (قبل الشرب)
أى قبل أن يشرب منه حتى اذا كان فيه أذى دفعه عنه (ولا يتنفس فيه) أى فى داخل الاناء
بل يتنفس خارجه فى الاثناء كما سبق به الايمان ، وورد فى الشمايل وغيره (ويحفظ
أسفله) أى أسفل الكوز (عن الترشيع عليه) أى على بدنه وثوبه وغيره بما يكون
مكروها لديه (فالكل مأثور ويتبرك) أى يطلب البركة (بسور المسلمين فورد « سور
المؤمن شفاء ») هكذا اشتهر على الالسنه ويستأنس له بقوله عليه السلام « من التواضع
أن يشرب الرجل من سور أخيه » رواه الدارقطنى فى الافراد عن ابن عباس ، وقال
القاضى عياض فى شرح حديث أمززع و يروى عن جرير بن عبدالله أنه قال لبنيه : اذا
شربتم فادروا أى اتركوا فى الاناء سورا وهو بقية الشراب ، وفى حديث آخر فانه أجمل
ويروى عن النبى ﷺ « أنه قال : لا خير فى طعام ولا شراب ليس له سور » وفى الحلية
عن ابن عمر أنه عليه السلام كان يبعث الى المطاهر أى السقايات . فيؤتى بالماء فيشربه
يرجو بركة أيدي المسلمين ، ونظيره ما وقع له عليه السلام عند زمزم والله أعلم (ولا
يرد الماء) أى ماء زمزم أو مطلقا تعظيما للنعمة (ولا يعرض) أى الماء على غيره
تسكييرا للسنه (ويدار الكوز) وكذا القندح والمعلقة فى الأكل والشرب (والطست)

بِالْأَيْمَنِ . وَيَخْتَارُ الثَّوبَ الْبَيَضَ . فَهُوَ أَحَبُّ الْأَلْوَانِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ يَلْبَسُ الْأَخْضَرَ وَالصُّوفَ . وَيَنْوِي فِيهِ سِتْرَ الْعَوْرَةِ . وَالنَّزِينَ لِتَوَدُّدِ الْمُسْلِمِينَ . وَيَبْدَأُ بِالْأَيْمَنِ فِي لُبْسِ كُلِّ شَيْءٍ . وَبِالْأَيْسَرِ فِي النَّزْعِ . وَيَفْتَتِحُ بِالتَّسْمِيَةِ وَيَخْتِمُ بِالتَّحْمِيدِ .

في وقت غسل اليد ﴿بالأيمن﴾ فقد شرب عليه السلام لبنا وأبو بكر عن شماله . وأعرابي عن يمينه . وعمرنا حيته فقال عمر: أعط أبا بكر فناول الأعرابي وقال الأيمن فالأيمن مالك . وأحمد والجماعة عن أنس ﴿ويختار الثوب الأبيض﴾ أي اللبس لاسميا يوم الجمعة وأما يوم العيد فيختار ما فيه القيمة أكثر والزينة أظهر ﴿فهر﴾ أي البياض ﴿أحب الألوان إليه ﷺ﴾ كما في شمائل الترمذي وغيره عن سمرة بن جندب مرفوعا «لبسوا البياض فانها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم» وعن ابن عباس رفعه «عليكم بالبياض من الثياب ليلبسها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم» ﴿وكان يلبس﴾ الثوب ﴿الأخضر﴾ أي أحيانا كما في الشمائل والمراد به البحث لأنه من ثياب أهل الجنة والبرد الذي فيه خطوط خضر، وأما ما ورد «انه لبس الأحمر» فمحمول على ما فيه خطوط حمر من البرد فقد ورد عن أنس «كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ يلبسه الحبرة» وهو بوزن العبة نوع من برود اليمن فيه خطوط حمر أو خضر أو زرق ﴿والصوف﴾ أي في بعض الأحيان بأي لون كان من الألوان ﴿وينوي فيه﴾ أي في اللبس ﴿ستر العورة﴾ أي بالازار ﴿والنزين لتودد المسلمين﴾ أي يلبس الرداء ونحوه من العمامة . والقباء . والعباء . وقد قال تعالى : (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) ﴿ويبدأ بالأيمن في لبس كل شيء﴾ من نحو القميص والخف والنعل وغيرها ﴿وباليسر في النزع﴾ أي نزاع كل شيء كرامة لليمين فيها فكان عليه السلام «يحب التيامن ما استطاع في طهوره وتعمله وترجله وفي شأنه كله» رواه أحمد والجماعة عن عائشة، وفي الترمذي عن أبي هريرة «كان إذا لبس قميصا بدأ بيمينه» ﴿ويفتتح﴾ اللبس ﴿بالتسمية ويختتم﴾ اللبس ﴿بالتحמיד﴾ كما هو معروف من شمائله عليه السلام في الشمائل عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة أو قميصا أو رداء ثم يقول أي بعد التسمية وبالسمة

وَيَلْبَسُ السَّرَاوِيلَ قَاعِدًا كَيْلًا تُصَيِّهُ آفَةٌ . وَلَا يُسْبِلُهُ إِلَى مَا تَحْتَ الْكَعْبِ ،
فَقِيهِ الْوَعِيدُ بِالنَّارِ إِلَى نَصْفِ السَّاقِ : وَيَبْدَأُ بِلَبْسِ الْقَمِيصِ : وَيَلْبَسُ الْخُشْنَ ،
فُورِدَ « مِنْ رَقِّ ثَوْبِهِ رَقِّ دِينِهِ » وَلَا يَنْزِعُ حَتَّى يَرْقَعَهُ فَهُوَ السَّنَةُ »

اللهم لك الحمد كما كسوته به أسالك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع
له، وفي رواية أبي داود وغيره « من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير
حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » (ويلبس السراويل قاعدا) أي
كالخف (كَيْلًا تُصَيِّهُ آفَةٌ) أي من جهة وقوعه على جانب أودابه (وَلَا يُسْبِلُهُ)
أي لا يسدل ثوبه من القميص والسروال والأزار ونحوها (إلى ما تحت الكعب
فقيه) أي في أسبالة إليه (الوعيد بالنار) فقد ورد الأسبال في الأزار والقميص
والعمامة « من جرمها شيئا خيلا لم ينظر الله إليه يوم القيامة » أبو داود . والنسائي .
وابن ماجه عن ابن عمر بل يرفع (إلى نصف الساق) فهو أفضل بالاتفاق، وفي رواية أحمد
عن أنس « الأزار إلى نصف الساق أو إلى الكعبين لا خير في أسفل من ذلك » وفي رواية
ابن سعد عن يزيد بن أبي حبيب مرسل « كان يرخي الأزار من بين يديه ويرفع من ورائه،
وفي رواية الترمذي في الشمائل ويقول : « دانه اتقى وأتقى وأبقى » (ويبدأ بلبس القميص)
قبل كل شيء لأنه استرحب يقوم مقام الأزار والرداء فعن أم سلمة « كان أحب الثياب
إلى رسول الله ﷺ القميص » رواه الترمذي في الشمائل ، وفيه أيضا أن كفه عليه السلام
كان إلى الرسغ (ويلبس الخشن) أي الغليظ من الثوب أزارا ورداء وغيرهما وهو السنة
أي فعلا وقولا ، وفي رواية الترمذي والحاكم عن معاذ بن أنس « من ترك اللباس تواضعا
لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي حلال
الآيمان شاء يلبسها » (فورِدَ) أي عن بعض السلف (من رَقِّ ثَوْبِهِ) أي لطف
(رَقِّ دِينِهِ) أي ضعف فكأنهما متلازمان كما يشير إليه حديث من أحب آخرته
أضر بدنياه ومن أحب دنياه أضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وورد من لبس ثوب
شهرة البسه الله ثوب مذكلة يوم القيامة رواه أحمد . وأبو داود . وابن ماجه بسند حسن
عن ابن عمر مرفوعا، وفي رواية البيهقي عن أبي هريرة . وزيد بن ثابت أنه عليه السلام
نهى عن الشترتين رقة الثياب وغلظتها ولينها وخشونتها وطولها وقصرها ولكن
سداد فيهما بين ذلك واقتصاد (وَلَا يَنْزِعُ) أي ثوبه (حتى يرقعه فهو السنة) لأنه

وَيَكْسُو الْمَزُوعَ فَقِيرًا لِيَكُونَ فِي حَرْزِهِ تَعَالَى . وَلَا يَتَّخِذُ ثَوْبَيْنِ . وَيَتَصَدَّقُ
بِأَحَدِهِمَا إِنْ اجْتَمَعَا . وَيَتَعَمَّمُ فَالْعَائِمُ تِيْجَانُ الْعَرَبِ . وَفِيهِ الْوَقَارُ . وَيُرْسَلُ
الذِّيلُ بَيْنَ السَّكَتَيْنِ إِلَى قَدْرِ الشَّيْبِ أَوْ مَوْضِعِ الْقُعُودِ أَوْ نَصْفِ الظَّهْرِ وَهُوَ وَسْطُ مَرْضَى
وَالْكُلُّ مَرُورٍ وَيَسْتَجِدُّ لِيَلْبَسَ الْجُمُعَةَ أَوْ يَوْمَهَا . وَيَلْبَسُ مَا أَصَابَ .

عليه السلام كان يركب الحمار ويخفف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف
ويقول « من رغب عن سنن فليس مني » رواه ابن عساكر عن أبي أيوب (ويكسو المزروع
فقيرا ليكون في حزره تعالى) في رواية أحمد عن عمر « من استجد قيصا فلبسه فقال
حين بلغ ترقوته الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي واتجمل به في حياتي ثم
عدت إلى الثوب الذي أخلق فتصدق به كان في ذمة الله وفي جوار الله وفي كنف الله حيا
وميتا » (ولا يتخذ ثوبين) أي من جنس واحد كالأزارين ورداين وقيصين زهدا في
الدنيا (ويتصدق بأحدهما إن اجتمعا) ميلا إلى ثواب العقي ، وأما حديث صاحب
القميصين لا يجد حلاوة الإيمان فلا أصل له (ويتعمم فالعائم تيجان العرب) أي أنها
بمنزلة التيجان للملوك لقلة العائم فيهم (وفيه) أي في لبس العائم (الوقار) أي ظهور العظمة
منهم ، ففي مسند الفردوس للدليبي عن ابن عباس العائم تيجان العرب فإذا وضعوا العائم
وضعوها عندهم وفي رواية الماوردي عن ركانة العمامة على القلنسوة فصل ما بيننا وبين المشركين
يعطى يوم القيمة بكل كورة يدورها على رأسه نورا (ويرسل الذيل) أي ذيل العمامة
المسمى بالعذبة (بين السكتين) وجوز في أحد الشقيين مما يلي الأذنين (إلى قدر الشبر
أو موضع القعود أو نصف الظهر وهو وسط مريض) أي عند المصنف والأقوال أول
أشهر وأكثر وأظهر (والكل مروي) وقد جمعت في رسالة مستقلة (ويستجد)
أي يلبس الجديد (ليلة الجمعة أو يومها) وهو المعروف من حديث أنس « كان إذا استجد
ثوباً لبسه يوم الجمعة » رواه ابن حبان (ويلبس ما أصاب) أي وجده من جديد أو
غيره من غير تعلق بنوع منه أو تقيد بصنف منه ما لم يرد نهى عنه كالحرير ولون الأحمر
والأصفر ما لم يكن من أحد الشهرتين فقد ورد « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه
في الآخرة ، متفق عليه ، وفي رواية لأحمد عن جويرية « ألبسه الله يوم القيمة ثوبا من نار »
وفي رواية عبد الرزاق عن الحسن مرسل « الحرمة من زينة الشيطان » وفي رواية ابن

وينفض الخُف قبل اللبس . ويقعد في لبسه . ونزعه . ويحتفي أحياناً تواضعاً .
فهو مأثور ويلبس النعل الأصفر ، فهو يوجب السرور ويتطيب ولا يرد الطيب
فهو المروى والاحب للرجل ما خفي لونه . وظهر ريحه وللبرأة ما ينعكس .

ماجه عن ابى ذر « من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه » وفي
رواية أبى داود . وابن ماجه بسند حسن عن ابن عمر « من لبس ثوب شهرة البسه الله
يوم القيامة ثوباً مثله ثم يلب فيه النار » ونهى عليه السلام « عن لبستين المشهورة في
حسبها والمشهورة في قبجها ، الطبراني عن ابن عمر « وينفض الخف قبل اللبس » اى
مخافة ان يكون فيه ما يؤذيه من دابة أو غيرها « ويقعد في لبسه ونزعه » خوفاً من
وقوعه « ويحتفي أحياناً تواضعاً » اى الله سبحانه لقوله تعالى : (والله جعل لكم الارض
بساطاً) وقوله تعالى : (الم نجعل الارض مهاداً) « فهو » الاحتفاء « مأثور » اى عن
الصحابه والسلف الصالحين ومنهم بشر الخافي ، ومن كراماته ان الدواب في سكك
بغداد لم يكن يرمين الروث مدة حياته وبوجوده فيها استدل على عمامته « ويلبس النعل
الاصفر فهو يوجب السرور » كأنه أخذ من قوله تعالى : (صفراء فاقع لونها تسر
الناظرين) وورد من لبس نعلاً صفراء قل همه ذكره الكشاف عن علي ، ويروى عن
ابن عباس مرفوعاً بلفظ « لم يزل في سرور مادام لابسها » بدل قل همه « ويتطيب » اى
ويستعمل الطيب وافضله المسك وماء الورد والعود « ولا يرد الطيب » كذا رواه
احمد والبخارى والترمذى والنسائى عن أنس ، وفي صحيح مسلم . وأبى داود وغيرهم
« من عرض عليه طيب فلا يردده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة » والترمذى عن ابن
عمر مرفوعاً « ثلاثة لا ترد اللابن والوسادة والطيب » (فهو) اى كل من التطيب وعدم
رد الطيب « (المروى) » اى عنه عليه السلام فروى ابن سعد عن ابراهيم مرسل انه عليه
السلام كان يعرف بريح الطيب اذا قبل يعنى سواء تطيب او لم يتطيب كما قرر في محله وانما
كان يتطيب لزيادة محبته في الطيب كما يدل عليه حديث « حب الى من دنيا كم الطيب والنساء »
الحديث « (والاحب) » من الطيب « للرجل ما خفي لونه وظهر ريحه » كما الورد والمسك
« وللبرأة ما ينعكس » اى ما ظهر لونه وخفي ريحه كالزعفران والصندل قيل : وهذا اذا اراد
الخروج والا فلا حرج عليهما في داخل بيتهما والحديث رواه الترمذى عن أبى هريرة
والطبراني والضياء عن أنس مرفوعاً بلفظ « طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب

ويُحْتَنَبُ الْخَنَاءُ فَهُوَ تَشْبَهُ بِالنِّسَاءِ لِأَنَّهُ سَتْنٌ وَالنِّصَّ وَالْإِتِمَاصُ فَهُوَ مَنِيٌّ
عَنْهُمَا . وَلَا يَبْنِي أَكْثَرَ مِنْ سَبْعَةِ أَذْرَعٍ ، فُورِدَ فِيهِ « نُوْدِي إِلَى أَيْنَ يَا قَاسِقُ » وَيُنَوِي
فِيهِ التَّعْبُدَ . وَدَفَعَ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ . وَلَا يَالِغُ فِيهِ

النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه ، (ويحْتَنَبُ الْخَنَاءُ) أى الخضاب به في يده ورجله (فهو تشبه
بالنساء لأنه ستنهن) أى عادت من أولانه ستة في حقهن فقد وردد كان يكره أن يرى المرأة
ليس في يدها أثر خناء أو خضاب ، البيهقي عن عائشة ، وفي رواية أحمد . وابن داود
والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس ، لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين
من الرجال بالنساء ، (والنص) وهو قلم الشعر بالخط من وجه الغير (والاتصاص) قلمه
من وجه نفسه أو طلبه من غيره ، وفي النهاية النامصة التى تنفث الشعر من الجبين
والمتنمصة التى تأمر من يفعل بها ذلك (فهو) أى ما ذكر من الفعلين (منبهى عنهما)
فورد « لعن الله الواشيات والمستوشيات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق
الله ، أحمد والبسة عن ابن مسعود (ولا يَبْنِي أَكْثَرَ مِنْ سَبْعَةِ أَذْرَعٍ) فى الارتفاع
لأنه قدر الكفاية ويعد من الاسراف والزيادة ، وفى الخبر « من بنى بناء فوق ما يكفيه
كلف يوم القيامة أن يحمله على عاتقه من سبع أرضين » ، رواه البيهقي فى الشعب ؛
وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن مسعود مرفوعا وله شواهد (فُورِدَ فِيهِ) أى فى
حق مخالفته (نُوْدِي إِلَى أَيْنَ يَا قَاسِقُ) وفى رواية يَأْفَسُقُ الْفَاسِقِينَ لِأَن بِنَاء الْقَصْرِ
والصرح ثبت عن شداد وفرعون ذى الاوتاد ، وفى رواية أبى داود عن أنس مرفوعا
« من بنى فوق عشرة أَذْرَعٍ نادى مناد من السماء يا عدو الله الى ابن تريد » وعن الحسن
كنت اذا دخلت بيوت رسول الله ﷺ ضربت يدي الى السقف (وَيُنَوِي فِيهِ)
أى فى بنائه (التَّعْبُدُ) أى الموضع الذى يتعبد فيه لربه ويعتزل عن غيره (وَدَفَعَ
الْحَرَّ وَالْبَرْدَ) فى الخبر ثلاث لا يحاسب بهن العبد ظل خضر يستظل به كسرة
يشد بها صلبه وثوب يوارى بها عورته ، أحمد فى الزهد . والبيهقي عن الحسن مرسلا
(وَلَا يَالِغُ فِيهِ) أى فى استحكام بنائه بالجص والنورة قاو ل من بنى بالآجر فرعون
وهامان ، وقد قال تعالى : (إِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بَرُوجٍ مُّشِيدَةٍ) أى
محكمة ومرقعة ونظر عمر رضى الله عنه فى طريق الشام الى صرح قد بنى بجص وآجر فكبر
وقال ما كنت أظن أن يكون فى هذه الأمة من يبني بنيان هامان لفرعون يعنى به قول فرعون

فَلَمْ يَضَعْ عَلَيْهِ السَّلَامُ «لَبَنَةً عَلَى لَبَنَةٍ وَلَا قَصْبَةً عَلَى قَصْبَةٍ» وَيَبْدَأُ يَوْمَ الْاِحْدِ .
وَيَتَّخِذُ مَوْضِعًا لِلْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ . وَمَوْضِعًا لِلْبَوْلِ وَالْعَائِطِ . وَمَوْضِعًا لِلضِّيَافَةِ ،
فَوَرَدَ «أَنَّهُ زَكَاةُ الْبَيْتِ» وَلَا يَتَوَطَّنُ فِي دَارِ الْحَرْبِ ، فَوَرَدَ «أَنَّا بَرِئُ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ
مُقِيمٍ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَشْرِكَيْنِ تَرَامَى نَارَاهُمَا»

فاوقدلى ياها مامان على الطمين أراد به الآجر وورد «لدو اللوت وابنو للخراب» البيهقي
في الشعب عن أبي هريرة والوزير مرفوعا وأبو نعيم في الحلية عن أبي ذر موقوفا . وأحمد
في الزهد عن عبد الواحد قال قال عيسى عليه السلام قد ذكره (فلم يضع عليه السلام لبنة)
بكسر لام فسكون موحدة (على لبنة ولا قصبه على قصبه) أى وانما بنى الحجرات
من الحجارة ولكن في السير ذكر انه اشتغل اللبن وبنى به المسجد والبيوت للازواج
الطاهرات (ويبدأ يوم الأحد) لانه سبحانه بدأ فيه بخلق السموات والأرض كما حقق في
تفسيره قوله تعالى (ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام) (ويتخذ موقعا
للوضوء والغسل) أى على حدة (وموقعا للبول والغائط) أى منفردا وكان مقتضى
الترتيب أن يعكس الموضعين لأن القصد بهما قضاء الحاجة وأداء النظافة (وموقعا
للضيافة فورد أنه) أى بناء موقعا للضيافة (زكاة البيت) أى صدقته أى زكاته
ونماؤه . وبهاؤه . وضيأؤه ، وقد سبق لآخر فيمن لا يضيف وصح فراش للضيف
(ولا يتوطن) أى لا يتخذ وطنا (في دار الحرب) أى بلاد الكفر (فورد أنا
برىء من كل مسلم مقيم بين ظهراني المشركين) أى في دار الكافرين بفتح النون
ولا يجوز كسرهما وأصله بينهم ثم أدخل الظاهر مقحما أو اشعارا بأنه مظاهرهم ثم
زيدت ألف ونون في لفظ الظهر تأكيدا وكان القياس كسر النون كما في الرباني والاحياني
الأنه أريد هنا به الثانية ومعناه ان ظهرا منهم امامه وظهرا وراءه فهو مكفوف من
جانبيه وحواليه واذا بولغ قيل بين أظهرهم ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين القوم
مطلقا (ترامى ناراهما) أى يترامى نار المسلمين والمشركين من كمال قربهما وفيه
تنبيه على عذر من سكن فيه لبعده ما بينهما وعدم قدرته على الانتقال من أبعدهما الى
أبعدهما فقد قال تعالى : (الذين توفيههم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كتمت قالوا
كننا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) الآية

وَيُنْظَفُ . وَلَا يَكْسُو . وَلَا يَزْخَرُفُ . وَيَقْرَأُ عِنْدَ الدُّخُولِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ
وَالْإِخْلَاصَ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْغَنَى . وَيَغْلِقُ الْبَابَ لَيْلاً مُسَمِياً مِائِناً . وَيُرْخِي السِّتْرَ .
وَيُطْفِئُ النَّارَ .

والحديث رواه أبو داود . والترمذي من حديث جرير «أنا بصرى من كل مسلم يقيم بين
أظهر المشركين قالوا : يا رسول الله ولم قال لا ترامى ناراهما والمعنى لا ينبغي أن يتقارب
نارهما بل ينبغي أن يتباعدا راحهما وأما قوله عليه السلام «لا هجرة بعد الفتح» فعنه لا هجرة
واجبة من مكة وغيرها إلى المدينة بعد فتح مكة واستقرار الإسلام ﴿ وينظف ﴾ أى
البيت وما حوله من الملوأات والقاذورات ﴿ ولا يكسو ﴾ أى جدران البيت بالسراتر
﴿ ولا يزخرف ﴾ أى بانواع الزينات فإنها من الأمور الفانية الشاغلة عن الأحوال
الباقية وقد نهى عليه السلام «أن تستر الجدر» رواه البيهقي عن علي بن حسين مرسل
وقال تعالى : (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ليوثهم
سقفا من فضة ومعازج عليها يظهرون وليوئهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا
وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للنتقين) وقد ورد «لو كانت
الدنيا تعدل جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء» الترمذي وغيره عن سهل
ابن سعد ﴿ ويقرأ عند الدخول آية الكرسي ﴾ لأنها آية الحفظ ﴿ والإخلاص
فإنه ﴾ أى فقراتهما وقرأة كل منهما ﴿ يورث الغنى ﴾ أى عن السوى لاشتمالها على
توحيد ذاته وتفريد صفاته وقرأة الفاتحة أنسب فإن فيها رائحة الابتداء والحد والشكر
والثناء فاتحة ﴿ ويغلق الباب ليلا ﴾ أى بعد المغرب أو العشاء ﴿ مسميا ﴾ لأن
الشیطان لا يفتح بابا أغلق عليه ويسمى لديه ﴿ ميانا ﴾ أى مبتدأ برد المصراع الأول
إذا كان الباب ذامصراعين ويوافق هذا الغلق من غير الفلق ﴿ ويرخي الست ﴾ أى
فيما لم يكن له باب يغلق ﴿ ويطفىء النار ﴾ فى الصحيحين وغيرهما عن جابر مرفوعا
« إذا كان جنح الليل بكسر الجيم أى أوله فكفوا صيانتكم فان الشياطين تنتشر
حينئذ فاذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم واغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فان
الشیطان لا يفتح بابا مغلقا وأو كواقربكم واذكروا اسم الله وخمروا آيتكم واذكروا
اسم الله ولوان تعرضوا عليها شيئا واطفؤا مصابيحكم وفى رواية الطبرانى . والحال
« إذا نمت فاطفؤا المصباح فان الفأرة تأخذ الفتيلة فتحرق أهل البيت » الحديث ، وفى

وَيَتَوَضَّأُ لِلنَّوْمِ لَتَكُونَ رُؤْيَاهُ صَادِقَةً ، وَيَسْتَأْكُ وَيُعِدُّ الطَّهَوْرَ وَالسَّوَاكَ
وَيَنْوِي الْقِيَامَ فَلِكُلِّ أَمْرٍ مَانَوَى ، وَيَسْتَأْكُ كُلَّمَا اسْتَيْقَظَ فَكَانُوا يَفْعَلُونَهُ
وَيَضَعُ وَصِيَّتَهُ مَكْتُوبَةً تَحْتَ الرَّأْسِ تَحَامِيًّا عَنْ هُجُومِ الْمَوْتِ دُونَهَا، وَيَتُوبُ
عَنِ الذُّنُوبِ ، وَيَنْوِي الْخَيْرَ لِلْمُسْلِمِينَ لِيَغْفِرَ لَهُ وَلَا يَبْسُطَ الْفِرَاشَ النَّعِيمَ
قَطْعًا لَغَلْبَةِ النَّوْمِ وَالْأَنَسِ بِالترَفَةِ ،

الصحيحين عن ابن عمر «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون» (ويتوضأ) أي يتطهر
(للنوم) فقي الخبر «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة» رواه الستة عن البراء
(لتكون رؤياه صادقة) وذلك لما ورد «من بات على طهارة بات معه ملك»
(ويستأك) أي عند النوم لأنه من كمال الطهارة والنظافة ولأن النوم أخو الموت
ويسن للحنثران يستأك كما فعله عليه السلام (وبعد الطهور) بفتح الطاء أي
يحيى ما يتطهر به (والسواك) أي عند رأسه (وينوي القيام) أي للتمجد في وقته
(فلكل أمرى مَانَوَى) ونية المؤمن خير من عمله (ويستأك كلما استيقظ فكانوا)
أي بعض السلف (يفعلونه ويضع وصيته) أي بالله وعليه (مكتوبة تحت الرأس)
أي قريبا منه (تحاميا عن هجوم الموت) أي بحجته بغتة (دونها) أي من غير وصية
وقد ورد «ما حق أمرى مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته
مكتوبة عنده» رواه الشيخان عن ابن عمر، وروى «من لم يوص لم يؤذن له في الكلام
مع الموتى»، وروى «ترك الوصية عار في الدنيا ونار وشار في العقبى» (ويتوب عن
الذنوب) فليعلم يكون آخر حياته فيصير صالحا عند مماته (وينوي الخير للمسلمين)
أي ينوي ليستريحوا عن أيدائه ولينعفهم عند انتباهه ولذا قيل نوم الظالم عبادة لا ورد
«نوم العالم عبادة» (ليغفر له) أي بسبب النية أو التوبة (ولا يبسط الفراش النعيم)
أي اللين الناعم (قطعا لغلبة النوم والأنس بالترفة) أي بالتلذذ الزائد، فقي الشماثل
سئلت عائشة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك؟ قالت: من أدم حشوه
ليف، وسئلت حفصة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك؟ قالت: مسح
بكسر الميم أي فراشا خشنا من صوف ثنيه فينام عليه فلما كان ذات ليلة قلت لو نيتيه أربع
ثنيات كان أوطأ له فثنيه أربع ثنيات فلما أصبح قال ما فرشت مني الليلة؟ قلنا هو فراشك

وَلَا يُوَاظَبُ عَلَيْهِ فَمَوْرُوٌّ، وَيَنْقُضُهُ قَبْلَ الْإِتْيَانِ وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَوَجْهَهُ
وَأَخْصَاهُ إِلَيْهَا أَوْ يَكُونُ ظَلِّ الْمَحُودِ، وَيَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ
(وَشَهِدَ اللَّهُ) إِلَى (الْإِسْلَامِ). (وَالْحُكْمُ الْوَاحِدُ) إِلَى (يَعْقُلُونَ)

الا انا ثنياء باربع ثنيات قلنا هو أو طأ لك قال: ردوه لحاله الاول فانه منعتي وطأته
عن صلاتي الليلة، (ولا يواظب عليه) أى لا يداوم النوم على مطلق الفراش بل
ينبغي ان ينام تارة على الحصير كما ورد في السنة وتارة على الارض كما ثبت عن أبي تراب
(فهو المروى) أى عن النبي . والولى (وينقضه) أى فراشه (قبل الاتيان) أى
قبل قعوده لئلا يلقى ما يؤذيه في حال رقوده ففى صحيح مسلم «فليأخذ داخلة ازاره
فليفض بها فراشه» وفى اكثر الروايات قيده بثلاث مرات للبالغة في الاحتراس عن
المؤذيات (ويستقبل القبلة ووجهه وأخصاه) وفى نسخة «وأخصاه» أى بطن قدميه
(إليها) فيكون على هيئة الاستلقاء فقيل هو نوم الانبياء وقيل هو اردى النوم ولا يضر
الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم ، واردى منه ان ينام على وجهه منبطحا فى سنن ابن
ماجه انه عليه السلام «مر برجل فى المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله فقال: قم
واقعد فانه نومة جهنمية» ولكن المعروف فى كتب الحديث ما ذكره بقوله (او يكون
كالمحود) وهو بان يضع يده اليمنى تحت خده ويضطجع على شقه الايمن كما فى مسلم
وغيره ويقول «بسمك ربى وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسى فأغفر لها وان
ارسلتها فأحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» رواه الستة (ويقرا آية الكرسى) لانها
للحفظ عن شياطين الانس والجن وهو فى صحيح البخارى، ورواه الطبرانى عن ابن مسعود
ومن قرأ عشر آيات اربع من البقرة وآية الكرسى واثنين بعدها وخوانيمهم لم يدخل ذلك البيت
شيطان حتى يصبح، (وآيتين من آخر البقرة) فروى الاربعة عن أبى مسعود الانصارى
مرفوعا «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه» أى من قيام الليل او من
كل مكروه، وقال النووى: فى الاذكار روى الامام الحافظ ابو بكر بن أبى داود باسناد
عن على رضى الله عنه قال ما كنت ارى احدا يعقل ينام قبل ان يقرأ الآيات الثلاث
الاخر من البقرة، فالابتداء من قوله (لله مافى السموات ومافى الارض) (وشهد الله
الى (الاسلام) أى (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله
الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام) (وَالْحُكْمُ الْوَاحِدُ) الى (يعقلون) أى

و (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ) آيَةً . و (قُلْ ادْعُوا اللَّهَ) آيَةً
وعشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها .

(لا اله الا هو الرحمن الرحيم) هـ (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحياه الارض
بعد موتها و بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المستخر بين السماء
والارض آيات لقوم يعقلون) (وان ربكم الله الذي خلق السموات) الآية تمامه
(والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يمشي الليل النهار يطلبه حثيثا
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامرہ أله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا
ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه
خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين) (وقل ادعوا الله الآية) تمامه (وادعوا
الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنی ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين
ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي
من الذل وكبره تكبرا) (وعشرا من أول الكهف) وهی بسم الله الرحمن الرحيم
(الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قیما لينذر بأسا شديدا من
لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ما كثرین فيه ابدا
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من
افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجالعون ما عليها
صعيدا جززا) (وعشرا من آخرها) وهی (الخشب الذين كفروا ان يتخذوا عبادی
من دونی اولیاء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئکم بالآخرین اعمالا
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين
كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك
جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتی ورسلی هزوا ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يغيون عنها حولا قل لو كان
البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الی انما الحكم اله واحد فن كان يرجو لقاءه فليعمل

وَالْمُعَوِّذَيْنِ يَقْرَأُهُمَا فَيَنْفُثُ عَلَى الْيَدَيْنِ وَيَمْسَحُ الْوَجْهَ وَالْبَدْنَ فِي الْكُلِّ
فَضَائِلُ . وَيَذْكُرُ الْمَوْتَ وَالنُّشُورَ وَيَنَامُ عَلَى حَبِّ تَعَالَى وَذَكَرِهِ . وَهَكَذَا كُلَّمَا
يَسْتَيْقِظُ وَيَنَامُ فَهُوَ عَلَامَةُ حَبِّ تَعَالَى وَخَيْرِ الْعَاقِبَةِ وَلَا يَنَامُ وَحْدَهُ

عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) (والمعوذتين) بكسر الواو وتفتح (يقرأهما) اي اولا في رواية (فينث على الدين) بضم الفاء وتكسر اي ينفخ فخالطها عليهما بعد جمعهما ووصل كفه الي يميني بكفه اليسرى، وفي رواية البخاري والاربعة عن ابي هريرة «يجمع كفيه ثم ينثف فيهما فيقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس» (ويمسح الوجه والبدن) وفي رواية الصحيح «ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات» (في الكل فضائل ويذكر الموت) لان النوم اخوه (والنشور) لانه قيام من القبور كالا ستيقاظ من النوم ويشير اليه قوله عليه السلام عند المنام اللهم باسمك اموت واحيا وبعد القيام الحمد لله الذي احيانا بعد ما ماتنا واليه البعث والنشور، وفي الطبراني وليقرأ (قل يا ايها الكافرون) ثم لينم على خاتمها وفي رواية احمد وغيره واذا اخذت مضجعتك من الليل فاقرأ (قل يا ايها الكافرون) ثم نم على خاتمها فانها براءة من الشرك» وفي رواية البزار عن انس «اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله احد فقد امنت من كل شيء الا الموت» وفي رواية احمد عن شداد ابن اوس «ما من رجل يأوى الى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله الا بعث الله اليه ملكا يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهب متى هب» (وينام على حبه تعالى) أي في قلبه من غير مشاركة لربه (وذكره) أي بلسانه مقرونا بجمانه (وهكذا) أي في جميع شأنه (كلما يستيقظ وينام) أي في زمانه (فهو علامة حبه تعالى) يحتمل اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله مع أنهما متلازمان كما يشير اليه قوله سبحانه (يحبهم ويحبونه) والعبرة بالناية السابقة المترتبة عليها الرعاية اللاحقة (وخير العاقبة) أي وامارة حسن الخاتمة فان النوم كالموت في الحالة السالمة (ولا ينام وحده) أي منفردا عن أهله فانه عليه السلام كان ينام مع نسائه أو المعنى لا ينام وحده في بيت لم يكن فيه غيره في مسند احمد عن ابن عمر أنه عليه السلام نهى عن الوحدة ان يبيت الرجل وحده

إِلَّا لَتَقْوَى الْحُضُورَ فِي الْقِيَامِ وَلَا عَلَى سَطْحٍ غَيْرِ مُحَوِّطٍ وَلَا فِيمَا لَا بَابَ لَهُ
وَلَا بَعْدَ الصُّبْحِ فَالْأَرْضُ تَشْتَكِي مِنْهُ إِلَيْهِ تَعَالَى وَلَا بَعْدَ الْعَصْرِ وَكَانَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ إِذَا أَطَالَ الْقِيَامَ يَنَامُ نَوْمَةً خَفِيفَةً قَبْلَ الصُّبْحِ . وَفِيهِ تَجَدُّدُ الشَّوْقِ
إِلَى آدَاءِ الْفَرَائِضِ . وَذَهَابُ أَثَرِ الْقِيَامِ عَنِ الْوَجْهِ . وَيَقْبَلُ فِيهِ سَنَةٌ مُعِينَةٌ
عَلَى الْقِيَامِ كَالسَّحُورِ لِلصَّيَامِ

﴿الالتقوى الحضور في القيام﴾ لان الحضور الكامل انما هو في الغيبة عن مشاهدة الانام
لكن كما قيل كرو سطا و امش جانا و كن قريبا و يا و كاتنا باننا فعن ثوبان لا تسكن الكفور
فان سا كن الكفور كسا كن القبور البخارى في تاريخه والبيهقى عن ثوبان والكفور
بالضم ما بعد من الارض عن الناس ففيه النهى عن الرهبانية والاعتزال عن الخلق
بالكلية ﴿ولا على سطح غير محوط﴾ اى بستره لما ورد فيه من النهى وورده من بات على
ظهر بيت ليس عليه حجاب فقد برئت منه الذمة رواه ابو داود بسند حسن ، وفي رواية
الترمذى عن جابر و نهى عليه السلام ان ينام الرجل على سطح ليس بمحجور عليه ،
﴿ولا فيما لا باب له﴾ اى ولا ستارة فانها تقوم مقام الباب في هذا الباب عند بعض
اولى الباب ﴿ولا بعد الصبح فالارض تشتكى منه اليه تعالى﴾ حيث انه صرف وقته
الشريف في غير العبادة وضيعه في النوم وفق الطبيعة والعادة وقد ورد عن عثمان
مرفوعا برواية البيهقى وغيره «الصبحة تمنع الرزق ، اى المعنوى وكذا الحسى لانه
عليه السلام «قال بورك لامتى في بكورها» ﴿ولا بعد العصر﴾ لانه ايضا وقت شريف
كما يشير اليه قوله سبحانه : ﴿يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة
واصيلا﴾ وفي رواية ابى يعلى عن عائشة «من نام بعد العصر فاخلس عقله فلا يلومن
الانفسه ، ﴿وكان عليه السلام اذا اطال القيام﴾ اى بالصلاة بعد المنام ﴿ينام نومة
خفيفة قبل الصبح﴾ او يضطجع ساعة لطيفة بعد ركعتى الصبح ﴿وفيه تجدد الشوق
الى آداء الفرائض وذهاب اثر القيام﴾ اى من الصفرة ﴿عن الوجه﴾ واثر الكسل عن
جميع البدن ﴿ويقبل﴾ بفتح اوله اى ينام وقت القيلولة ﴿ففى سنة﴾ اى مستحبة لفعلة
عليه السلام وحسنه عليها بالكلام حيث قال «قلوا فان الشيطان لا يتميل ، ابو نعيم عن
أنس ﴿معينة على القيام كالسحور على الصيام﴾ وهو بفتح السين ما يتسحر به وبالضم
اكل الطعام في وقت السحر وهو السدس الاخير من الليل لقوله عليه السلام : «استعينوا

مُتَضَمِّنَةٌ لِلسَّلَامَةِ . وَلَيْكُنِ النَّوْمُ ثُلُثَ اللَّيْلَةِ . وَالْيَوْمُ . وَلَا يَقْصُ
الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ نَاصِحٍ . وَلَا بِكُلِّ مَا يَرَى فَإِنَّ رَأْيَ مَكْرُوهًا يَبْزُقُ عَنْ
يَسَارِهِ . وَيَتَعَوَّذُ

بطعام السحر على صيام النهار وبالقيولة على قيام الليل، رواه ابن ماجه وغيره عن ابن عباس (متضمنة للسلامة) أى من ضعف الدماغ وما هو مورث للملالة وموجب للسلامة أو للسلامة من مخالطة اهل العلاقة والتحدث معهم فى البطالة، فحين الثورى كانوا يستحبون اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة، ولذا قيل النوم خير من التهمة (وليكن النوم) أى ليقع مجموعه (ثلث الليلة واليوم) أى والباقي وهو ثلثاها مصروف الى اليقظة فيكون اكثر عمره للطاعة، وينبغي ان يتنبه قبل الزوال لاستعداد الصلاة على وجه الكمال (ولا يقص الرؤيا) أى لا يحدثها اذا رأى ما يحجبها (الا على عالم) أى بتعير الرؤيا (ناصح) أى للرائى بان يكون محباله ومشافعا عليه فان الرؤيا لا تستقر مالم تعبر فاذا عبرت سقطت فاذا كان العابر غير محب فقد يعبرها بما يكره فيحصل بذلك هم وغم، وليس المراد ان يزيلها عما جعله الله عليه وقد تقع الرؤيا بقول اول عابر اذا كان خيرا بالرؤيا وربما احتملت الرؤيا تاويلين فأكثر فعبرها من يعرف تعبيرها على وجه يحتملها فتقع على ما نزلها فقد ورد أن امرأة أتت النبي ﷺ وقالت: رأيت كأن صائر بيتي أى عتبه قد انكسر فقال يرد الله عليك غائبك فرجع زوجها ثم غاب فرأت مثل هذا فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجده ووجدت ابا بكر فاخبرته فقال: يموت زوجك فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل قصصتها على احد؟ قالت: نعم قال: هو كما قال هذا وما في المتن رواية الترمذى عن أبى هريرة، وفي الصحيحين (اذا رأى فى منامه ما يحب فليحمد الله عليها ولا يحدث بها الا من يحب، وفي رواية الحاكم عن أنس: ان الرؤيا تقع على ما تعبر ومثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها فاذا رأى احدا من رؤيا فلا يحدث بها الا ناصحا او عالما، (ولا بكل ما يرى) ولا يحدث بجميع ما رأى أى بل بما يحجب من الرؤيا لما سبق (فان رأى مكروها) أى ما يكرهه كما فى الرواية (يزق عن يساره) أى يصبق ثلاثا كما رواه الستة (ويتعوذ) أى بالله من الشيطان ومن شرها أى شر الرؤيا التى يكرهها ثلاثا كما رواه الستة ايضا ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره كما فى الصحيحين

وَيَتَحَوَّلُ عَنْ جَنْبِهِ وَيَقُومُ وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ . وَيَتَصَدَّقُ بِشَيْءٍ وَيُرَدُّ الْمَعْبَرُ إِلَى أَحْسَنِ تَأْوِيلٍ . وَلَا يَقْتَنِي كَلْبًا فَلَمَّا لَتَكَ تُفَرُّ عَنْهُ إِلَّا لِمَاشِيَةٍ . أَوْ صَيْدٍ . أَوْ زَرْعٍ . وَلَا يَسْتَقْبِلُ الشَّمْسَ فَهُوَ دَاهٍ . وَيَسْتَدْبِرُهَا فَهُوَ دَوَاهٍ ، وَيَخْرُجُ مَسْمِيًّا مُتَعَوِّذًا قَارِئًا آيَةَ الْكُرْسِيِّ .

وغيرهما (ويتحول عن جنبه) الذي كان عليه (ويقوم ويصلي) كما رواه مسلم فيصلي (رَكَعَتَيْنِ) فانهما اقل مما يطلق عليه الصلاة للنبي عن البتراء خلافا للشافعي في نحو تجويزه الركة المنفردة (ويتصدق بشيء) لان الصدقة تدفع البلاء (ويرد المعبر الى احسن تأويل) لان الرؤيا تقع بقول اول عابرا اذا كان خيرا بالرؤيا وربما احتملت الرؤيا تعبيرين أو أكثر كما تقدم ولا يبعد أن يكون المعنى يعبر المعبر أحسن تعبير من أنواع العبارة فقد حكى أنه كان لسلطان معبران وظيفة احدهما ألف وللآخر نصفه مع انها متساويان في الفضائل وتحسين الشئائيل فسئل السلطان عن موجب تفضيل احدهما على الآخر؟ لأن الحكميم لا يرجح الا لحكمة وصلحة فقال: رأيت اسنان وقعت قدامي فحكيت لها فقال صاحب الالف: ابشر فان عمرك اطول من أعمار اقاربك وقال الآخر: يموت جميع اقاربك قبلك فانظر ان مؤدى كلامهما واحد ومختلف حسن تعبيرهما ومقتضاهما عند غواهما (ولا يقتني كلبا) أي لا يحفظه ولا يمسكه عنده (فالملائكة) أي النازلة للرحمة (تفر عنه) أي دون الحفظه لكنهم يتأذون أيضا عنه الا انهم لا بد لهم من القرب منه (الاماشية) من غنم وابل وبقر ونحوها (أو صيد) اذا كان معلما (أو زرع) لحفظه من الدواب وغيرها وفي الخبر من اقتنى كلبا الا كلب ماشية او ضاريا أي طلبا معلما نقص من عمله كل يوم قيراطان، رواه الشيخان عن ابن عمر، والمراد بـ كلب الماشية ما يكون للحفظ فيشمل كلب الزرع ولذا اقتصر في الحديث عليه (ولا يستقبل الشمس) أي في قعوده وقت الشتاء (فهو داهٍ يستدبرها فهو دواهٍ) أي للاستدفا ونهى عليه السلام « ان يقعد الرجل بين الظل والشمس » الحاكم عن ابي هريرة وابن ماجه عن بريرة (ويخرج) أي من داره (مسميا متعوذا) فيقول « بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم اني اعوذ بك من ان ازل او ازل او اضل او اضل او اجهل او يجهل علي » رواه ابن ماجه وغيره (قارئا آية الكرسي) أي للحفاظ

وَيُسْرِعُ فِي الْمَشْيِ إِلَى الْبَيْتِ . وَلَا يَمْشِي بَيْنَ الْمَرَاتِينِ ، وَيَتْرُكُ الطَّرِيقَ
لِلنِّسَاءِ . وَيَمِيطُ الْأَذَى ، فَفِيهِ أَجْرٌ جَزِيلٌ . وَلَا يَخْتَالُ ، فَوَرَدَ (وَلَا تَمْشِ
فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) « مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ وَاخْتَالَ قِيَمَتُهُ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ
غَضَبَانُ » وَيَأْخُذُ الْعَصَا فِي الْكِبَرِ فَهُوَ سَنَةٌ .

عن شياطين الانس والجن (ويسرع في المشي الى البيت) أى حال كونه راجعا اليه
ليكون اسرع من حال خروجه منه فان دخوله فيه احسن احواله لديه فالعود احمد عليه
لان الزمان زمان البيوت ولزوم السكوت والقناعة بالقوت الى أن يموت (ولا يمشي بين
المرأتين) فانه ابعد من العصيان ، وقيل يورث النسيان في ابى داود ومستدرک الحاكم
عن ابن عمر انه عليه السلام « نهى أن يمشى الرجل بين المرأتين » وروى البيهقي عنه
مرفوعا « اذا استقبلك المرأتان فلا تمر بينهما خديمتة أو يسرة ، وهذا معنى قوله
(ويترك الطريق للنساء) أى اللاتى ليس لهن شئ من الحياء والا فلا ليق بهن أن يتركن
الطريق للرجال ويلصقن بالجدران لستر الحال (ويميط الاذى) أى ويزيل ما فيه
الاذى كالشوك والحجر ونحوهما عن الطريق ومنه نفسه المؤذية للرفيق (ففيه
اجر جزيل) وثناء جميل لادل التوفيق فورد « الايمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها
قول لا اله الا الله وادناها امانة الاذى عن الطريق ، رواه مسلم وغيره عن ابى هريرة ،
وعن معقل بن يسار مرفوعا « من اطاق اذى عن طريق المسلمين كتب له حسنة
ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة » رواه البخارى في تاريخه (ولا يختال) أى تبختره اشيا
(فورد ولا تمش في الارض مراحا) تمامه (انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال
طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وفي آية اخرى (واقصد في مشيك)
أى توسطه وفي اخرى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أى هينين
لينين متواضعين متخاشعين (من تعظم في نفسه) أى تكبر (واختال في مشيه)
أى تبختر (لقي الله وهو عليه غضبان) رواه احمد وغيره عن ابن عمر ، وكانه مقتبس
من قوله سبحانه (ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) (ويأخذ العصا في الكبر)
وابتداؤه من الاربعين (فهو سنة) أى للاتياء كما بينت في رسالة الانبياء ، وقد قال
الحسن في العصا ست خصال سنة الانبياء وزين الصلحاء وسلاح الاعداء وعون

وَيُعِيدُ فِي قَضَاءِ الْحَاجَةِ عَنِ الْأَعْيُنِ فِي الصَّحْرَاءِ . وَلَا يَكْشِفُ الْعَوْرَةَ
 قَبْلَ الْإِتِّهَاءِ إِلَى مَوْضِعِهِ . وَلَا يَسْتَقْبِلُ النَّيِّرِينَ . وَلَا الْقَبْلَةَ . وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا وَلَا
 يُبُولُ فِي الْمَاءِ الرَّا كِد . وَلَا تَحْتَ الشَّجَرَةِ الْمُثْمَرَةِ .

الضوء فاء والمساكين ورغم المناققين، ويقال إذا كان المؤمن معه العصا هرب الشيطان
 منه وامتنع المنافق والفاجر عنه وتكون قبلته إذا صلى وقوته إذا اعمى ، وفيها منافع كثيرة
 كما قال موسى (ولى فيها مآرب أخرى) كذا في البستان . وأما ما اشتمر على اللسنة
 من وصل الاربعين ولا يمسك العصا فقد عصى فلا أصل له (ويبعد) بضم اوله
 ﴿ في قضاء الحاجة ﴾ الإنسانية من البول والغائط ﴿ عن الاعين ﴾ أى أعين الناظرين
 ان وجدوا ﴿ في الصحراء ﴾ كما ورد به السنة وان يستتر بشيء ان وجده من شجر أو
 حجر ولو استتر براحله أو ذيله جاز كما في بعض الروايات، وأما في البنيان فالغالب عليه
 أن يكون مستترا مكان الخلاء ﴿ ولا يكشف العورة قبل الاتيهاء الى موضعه ﴾ أى محل
 جلوس القضاء في الخلاء والقضاء اذ ليس من الأدب كشفها قبل الحاجة اليه ﴿ ولا
 يستقبل النيرين ﴾ أى الشمس والقمر ته ظلياً للبلائكة الذين يجرونها اولانها آيتان
 عظيمتان وهو لا ينافى قوله عليه السلام « شرقوا أو غربوا » كما لا يخفى على الاعلام
 ﴿ ولا يستقبل ﴾ القبلة ولا يستدبرها ﴿ فان فيهما تحقيرا لها سواء يكون في الصحراء أو في
 البناء ، وفي رواية احمد وغيره انه عليه السلام « نهي أن يستقبل القبلتين يبول أو غائط ،
 وفي الصحيحين « اذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقا أو غربا »
 وهذا أمر لأهل المدينة ومن كانت قبلته على ذلك سمت عن هوى جهة الشمال والجنوب
 فاما من كانت قبلته في جهة الشرق أو الغرب فلا يجوز له أن يشرق ولا يغرب وإنما
 يجتنب أو يشتمل كذا في النهاية ﴿ ولا يبول في الماء الراكد ﴾ أى الواقف سواء كان
 مائز قليلا أو كثيرا، وكذا لا ينبغي أن يبول في الماء الجارى ولعله اقتصر على الاول
 لورود الحديث فيه بناء على قلة الماء الجارى في الحرمين حيثئذ، ففى صحيح مسلم وغيره عن
 جابر « أنه عليه السلام نهي أن يبال في الماء الراكد ، وفي رواية الطبراني في الاوسط بسند
 ضعيف عنه « أنه نهي أن يبال في الماء الجارى » وفي الاحياء قال ابن المبارك: ان كان
 الماء جاريا فلا بأس به، وقد يقال : اذا كان الراكد عشرا في عشر فلا بأس به والاولى
 لا لعموم النهى على ما لا يخفى ﴿ ولا تحت الشجرة المثمرة ﴾ فروى ابن عدى عن ابن

ولا في الجحر . ولا موضع صلب . ولا مهاب الريح . ولا المغتسل ويتكى
على الرجل اليسرى . ويقدمها داخلا . ويؤخرها خارجا . ولا يبول قائما ، ولا
يستصحب شيئا عليه اسمه تعالى واسمه عليه السلام . ولا يدخل حاسر الرأس .

عمر أنه عليه السلام «نهى أن يتخلى الرجل تحت شجرة مشمرة» ونهى أن يتخلى على
ضفة نهر جار أى حافته وهو بكسر أوله وفتح هـ ، وكذا لا ينبغي أن يتخلى تحت شجرة
مظلة يستظل تحتها الناس لان مدار النهى اذى المسلمين ، ولذا ورد النهى أن يبال في
قبلة المساجد وابوابها كما رواه ابو داود في مراسيله (ولا في الجحر) بضم
الجيم وسكون المهملة أى ثقب الجدار أو الأرض غشاة أذى الدابة ، فروى أبو داود
والحاكم في مستدركه عن عبد الله بن سرجس أنه عليه السلام «نهى أن يبال في الجحر ،
وقد قالوا اقتادة: ما يكره من البول في الجحر قال كان يقال انها مساكن الجن (ولا)
في (موضع صلب ولا مهاب الريح) أى في حال الريح استنزاها من رشاشه ، فروى
أبو داود ، والبيهقي عن أبي موسى اذا أراد أحدكم أن يبول فليترد لبوله مكانا ليسا
أى ليطلبه وروى أبو يعلى بسنده مرفوعا اذا بال أحدكم فلا يستقبل الريح ببوله
فترده عليه ولا يستجى يمينه (ولا المغتسل) أى ولا يبول في مغتسله لانه يورث
الوسوسة ويوجب الشبهة ، ولورود النهى في السنة (ويتكى ، على الرجل اليسرى)
أى في جلوسه (ويقدمها داخلا) في الخلاء (ويؤخرها خارجا) عنه اذا كان في بنيان
مراعاة لليمين عكس دخول المسجد وخروجه (ولا يبول قائما) فعن عائشة «من
حدثكم أنه عليه السلام كان يبول قائما فلا تصدقوه» الترمذى وغيره وقال عمر: «ورأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واما أبول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما» ابن ماجه باسناد
ضعيف وابن حبان من حديث ابن عمر ، وفيه رخصة اذ روى حذيفة «أنه عليه السلام
بال قائما ، وهو اما لعذر أوليان الجواز وكذا لا يبول في المغتسل فانه عليه السلام قال:
« عامة الوسواس منه » أحجاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل وقال ابن المبارك قد وسع
في البول في المغتسل اذا جرى الماء عليه ذكره الترمذى (ولا يستصحب شيئا عليه اسمه
تعالى أو اسمه عليه السلام) والظاهر انه كذلك اسماء سائر الانبياء العظام (ولا يدخل)
أى بيت الخلاء (حاسر الرأس) أى كاشف قفله عليه بتمزجاء من الله تعالى وملائكته

ويتهوذ قبل الدخول. ويحمد بعد الخروج. ويعد النبل قبل الجلوس. ولا يستنجي بالماء في موضعه فالكل مأثور. ويزيل وسخ الشعر ودوده بالادهان والتسريح، فورد « ادهنوا غبا من كان له شعرة فليكرمها »

فكان أبو بكر يفعله لذلك (ويتعوذ قبل الدخول) فيقول بسم الله اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث (ويحمد بعد الخروج) فيقول غفرانك الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابتقى علي ما ينفعني، رواهما النسائي وغيره (ويعد النبل) بضم النون وفتحها أي يهيء الحجر أو المدر للاستنجاء (قبل الجلوس) فهو سنة ولا يشار مستحب وقيل واجب (ولا يستنجي بالماء في موضعه) أي محل الغائط والبول الا اذا كان محفورا بحيث لا يصل اليه أثرهما (فالكل مأثور) وينبغي أن يستبرأ بالتنجح والنثر ثلاثا ثم يمدح على أسفل القضيب ثم يستنجي فاذا وجد من بل فيقدر انه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط الشيطان عليه بالسوساس، وفي الخبر « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله » اعني رش الماء كذا في الاحياء وقال أخرجه : حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الاتصاح رواه أبو داود : والنسائي وابن ماجه وكان أخفهم استبراء افقهم فبدل الوسواس فيه على قلة الفقه ، وقد قدما كيفية الاستنجاء في ابتداء آداب الوضوء اول الكتاب (ويزيل وسخ الشعر) أي شعر لحية ورأسه (ودوده) أي من القمل ونحوه (بالادهان) بتشديد الدال أي استعمال الدهن للطيب وغيره أو بالادهان جمع دهن (والتسريح) ففي شمائل الترمذي من حديث انس انه عليه السلام كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحية، وعند أبي داود والترمذي من حديث عبد الله بن مغفل باسناد صحيح انه عليه السلام « نهى عن الترجل الا غبا » (فورد ادھنوا) بتشديد الدال وبتخفيفها مع فتح الهاء (غبا) أي يوما بعد يوم أو وقتا دون وقت ، ومنه حديث « زرغبان زد حبا » أخرجه جماعة وقيل الغب في الادهان ان يكون في كل اسبوع مرة والحديث ذكره في الاحياء وقال ابن الصلاح لم اجده اصلا وقال النووي : غير معروف ذكره العراقي (من كان له شعرة فليكرمها) كذا في النسخ تبعا للاحياء ولا معنى للوحدة على ما لا يخفى فصوابه من كان له شعر فليكرمه كما هو رواية أبي داود عن أبي هريرة « وقد دخل عليه رجل نثر الرأس أشعث اللحية فقال لما كان لهذا دهن يسكن بها شعره ثم قال يدخل احدكم على كأنه شيطان »

وَمَا فِي الْأَنْفِ وَالْأُذُنِ لِتَلَايُصَمَّ . وَتَحْتَ الْأُظْفَارِ . وَيَدْخُلُ الْحَمَامُ فَهَمَّ دَخْلَهُ
وَيَصُونَ عَوْرَتَهُ عَنْ نَظَرٍ

أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر وقد سبق أنه عليه السلام كان لا يفارقه المشط في سفر ولا حضر ، وقد بسطت الكلام عليه في رسالة سميتها بالتصريح في التصريح ﴿ وما في الأنف ﴾ أي ما يجتمع من الرطوبات المتعقدة المتلصقة بجوانبها ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار ﴿ والأذن ﴾ أي وما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن والمسح ما يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر صماخي أذنيه فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام ونحوه من الاستحمام ﴿ لتلايصم ﴾ فإن كثرة ذلك ربما تضر بالسمع ، وأما ما يجتمع على الأسنان وأطراف اللسان فيزيله بالخلخال والمضمضة والاستياك وقد ورد « ما لي أراكم تدخلون على قلح استاكوا ، البزار والبيهقي من حديث العباس ، والقلح محرّكة صفة الأسنان ﴾ ﴿ وتحت الأظفار ﴾ فقي الطبراني عن واجبة بن معبد سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن كل شيء حتى سأله عن الوسخ الذي يكون في الأظفار فقال « دعم ما يريك إلى ما لا يريك » وقد أمر عليه السلام بغسل البراجم والرواجب فروى الحكيم الترمذي في النوادر من حديث عبد الله بن بسر « نقوا براجمكم ، ولمسلم من حديث عائشة وعشر من الفطرة ، وفيه غسل البراجم ، ولاحمد من حديث ابن عباس « أنه قيل يا رسول الله لقد أباطعك جبريل فقال ولم لا يبطي عنّي وأنتم لا تستنون ولا تقلمون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم » فالاول معاطف ظهور الأنامل والثاني رؤس الأنامل ، وقيل الآف وسخ الظفر والثف وسخ الأذن ، وقوله تعالى (ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما) أي لا تعبهما بما تحت الظن من الوسخ ولا تأذيهما كما يتأذى بما تحت الظفر من الوسخ ؛ وأما الدرن الذي يجتمع على جميع البدن من الوسخ والعرق وغبار الطريق فذلك يزال بالحمام أو بالاستحمام ﴿ ويدخل الحمام ﴾ أي ويجوز دخوله ﴿ فهم ﴾ أي السلف من الصحابة والتابعين ﴿ دخلوه ﴾ أي دخلوا حمامات الشام ، فمن ابن عباس « اتقوا بيتا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر » الطبراني والبيهقي والحاكم وقال بعضهم « نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار » روى ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري وقال بعضهم « بش البيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء » فهذا بيان آفته وما سبق إظهار فائدته فلا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته كما بينه بقوله ﴿ ويصون عورته ﴾ وهي ما بين سرته وركبته ﴿ عن نظر

الْغَيْرِ وَنَظَرَهُ عَنْ عَوْرَةِ الْغَيْرِ. وَلَا يَكْشِفُهَا. وَيَتَوَى التَّنْظِيفَ لِلصَّلَاةِ. وَيُعْطَى
 الْأَجْرَةَ قَبْلَهُ إِسْرَارًا لِلْحِمَايِ. وَإِعْلَامًا بِالْعَوْضِ، وَيَتَعَوَّذُ لَا يَسْلُمُ وَيَدْعُو بِالْمُعَاْفَةِ
 لِمَنْ سَلَّمَ. وَلَا بَأْسَ بِالْبُدَاةِ بِهِ وَلَا بِالْمَصَاحِفِ. وَلَا يَكْثُرُ التَّكْلِمُ. وَلَا يَقْرَأُ
 الْقُرْآنَ إِلَّا فِي النَّفْسِ،

الغير ونظره عن عورة الغير (ولا يكشفها) أى ولو لم يكن هناك غيره الا لضرورة
 غسلها بالتصاق جدرانه فى خلوة من خلواته، ومن جملة الكشف رقة الازار لاسيما
 عند بلته وتلصقه بجلدته وهذا أقبح فى الأمرد ونحوه وكذا يصونها عن مس الغير
 ولا يتعاطى أمرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة
 الى العانة، ثم من الواجب أن ينهى عن كشف العورة لأن النهى عن المنكر واجب
 ولا يسقط عنه وجوبه الا لخوف ضرب أو شتم وأما قوله اعلم أن ذلك لا يفيد ولا
 يعمل به فليس بعذر اذ لا يخلو قلب عن التأثير بسماع الانكار ويفتح الأمر الا لاهل
 الجهل وعديم العقل وفاقده الحياء وقليل المبالاة بالعلماء والصلحاء، ولمثل هذا صار الحزم
 ترك دخول الحمام فى هذه الأيام أو تخلية عن الانام اذ لا يخلو من عورة مكشوفة
 لاسيما ماتحت السرة الى مافوق العانة لاختلاف العلماء فى كونها عورة بل الفخذ
 ونحوها كذلك وقد الحقهما الشارع بالعورة وجعلهما كالحریم لها، ورؤى ابن عمر
 فى الحمام ووجهه فى الحائط وقد عصم عينه بعصابة (وينوى) بدخول الحمام (التنظيف
 للصلاة) لالاعاجل الدين من اللذات (ويعطى الأجرة قبله) أى قبل دخوله (اسراراً
 للحماي) بعدم انتظاره وتطليبا لنفسه (واعلاما بالعوض) لرفع الجباله من أحد
 العوضين فان ما يستوفيه مجهول وقد ورد « اذا استأجر أحدكم أجيرا فليعبله أجره »
 الدار قطنى فى الافراد عن ابن مسعود (ويتعوذ) أى يقول بسم الله أعوذ بالله من الرجس
 النجس الخبيث الخبيث الشيطان الرجيم ويقدم رجله اليسرى عند دخوله ويتعوذ بالله
 من شر حر النار بعد دخوله (ولا يسلم) أى على احد عند الدخول وان سلم عليه لم
 يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره (ويدعو بالمعافاة) أى يقول عافاك الله
 (لمن سلم) أى عليه ولم يجب عنه غيره (ولا بأس بالبداة به) أى يقول عافاك الله
 ونحوه (ولا بالمصاحفة) أى بان يصافح الداخل أحد أصحابه (ولا يكثر التكلم)
 ، بل لا يبدأ بالكلام كيلا يكثر الكلام فى الحمام (ولا يقرأ القرآن الا فى النفس) أى

وَلَا بَأْسَ بِإِظْهَارِ التَّعَوُّذِ . وَيَجْتَنِبُهُ وَقْتُ الْغُرُوبِ وَبَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ فَهُوَ
وَقْتُ انْتِشَارِ الشَّيَاطِينِ : وَعَلَى الرِّيقِ فَهُوَ يُورِثُ الْمَوْتَ . وَلَا يُسْرِفُ فِي الْمَاءِ .
وَلَا بَأْسَ بِالذَّلَكِ فَهُوَ مَرُوءٌ وَيَذْكُرُ ظِلَّةَ اللَّحْدِ . وَحَرَارَةَ جَهَنَّمَ . وَيُحَمِّدُ بَعْدَ
الْخُرُوجِ قَالِمًا الْحَارَّ فِي الشِّتَاءِ مِنْ نَعِيمٍ يُسَالُّ عَنْهُ وَلَا تَدْخُلُهُ الْمَرَأَةُ ، فَرَدَّدَ « لَا يَحِلُّ
لِلرَّجُلِ أَنْ يَدْخُلَ حَلِيلَتَهُ الْحَمَامَ » وَيَحْلِقُ الرَّأْسَ إِنْ أَرَادَ التَّنْظِيفَ

سرا (ولا بأس بإظهار التعوذ) أى من الشيطان الرجيم ومن الحميم في دار الجحيم
(ويجتنبه) أى دخول الحمام (وقت الغروب) أى قريب المغرب (وبين
العشاءين فهو وقت انتشار الشياطين) خصوصا في الحمام ونحوه (وعلى الريق فهو
يورث الموت) أى سريعا فمن الشافعي عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر
الأكل بعد أن يخرج منه كيف لا يموت انتهى ، ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى
يعرق أولا (ولا يسرف في الماء) أى لا يكثر صب الماء عليه بل يقتصر على قدر
الحاجة اليه فانه المأذون فيه بقرينة الحال فالزيادة على العادة لوعله الحمى لمريض به
لا سيما الماء الحار فله مؤنة وزيادة مشقة (ولا بأس بذلك) أى من غيره (فهو
مرئى) أى عن بعض الصحابة « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل منزلا في
بعض أسفاره فقام على بطنه وعبدأ سود يغمز ظهره فقلت : ما هذا يا رسول الله ؟ فقال
ان الناقة تقحمت نى » رواه الطبراني في الأوسط عن عمر بسند ضعيف (ويذكر
ظلمة اللحد) في مكان ظلمته (وحرارة جهنم) عند حرارته (ويحمد بعد الخروج
قالما الحار في الشتاء من نعيم يسأل عنه) يوم القيامة كالما البارد في الصيف ، وقال
ابن عمر : الحمام من النعيم الذى احدثوه (ولا تدخله المرأة) أى النساء (فورد
لا يحل للرجل أن يدخل حليلته) أى زوجته أو أمته (الحمام) روى الترمذى وحسنه
والنسائى والحاكم وصححه من حديث جابر « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا
يدخل الحمام الا بمترز ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام » .
وللحاكم من حديث عائشة « الحمام حرام على نساء أمتي » وقال صحيح اسناده ، ولأبى
داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر « فلا يدخلنها الرجال الا بالازر وامنعوها
النساء الا مريضة او نفساء » (ويحلق الرأس) أى شعره (ان أراد التنظيف) أى

وَالْإِحْتِيَاظُ فِي الْغُسْلِ وَلَا يَرْسُلُ بِحَيْثُ يُشَبَّهُ بِالشَّرِيفِ وَيَقْصُ الشَّارِبَ ؛
فَوَرَدَ « قُصُوا الشَّوَارِبَ » وَلَا بَأْسَ بِإِبْقَاءِ السَّبَالِ ،

زيادته (والاحتياط في الغسل) كما اختاره على كرم الله وجهه حيث كان كثير
الاعتسال وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول تحت كل شعرة جنابة ، ولذا قال
ومن ثم عادت رأسي فان بقاء الشعر على الرأس أنفع للدماغ وادفع للبرد والحر
ولذا اختاره عليه السلام وسائر أصحابه الكرام فاحلقوا الا بعد الفراغ من أحد
النسكين وحيث قرر عليه السلام فعل على صار سنة مع أنه قال عليه السلام : عليكم
بستى وسنة الخلفاء الراشدين ، فيستحب تركه لمن يكرمه بدهنه وترجله الا اذا ترك
بعضه وحلق بعضه وجعله قرعا أى قطعاً فهو دأب أهل الشطارة ومنهى عنه للصغار
والكبار ، ولا عبرة بقول من يقول : ان حلقه يورث الصداع فانه نوع من الجباع
وتسويل للشيطان في مقام الخداع (ولا يرسل) أى شعر الذوائب (بحيث يشبه
بالشريف) فانه نوع من التليس والتزييف (ويقص الشارب) أى فى كل جمعة
(فورد قصوا الشوارب) وهذا لفظ احمد من حديث أبى هريرة ، ولمسلم من حديث
أبى هريرة وجزوا ، أى اقطعوا ، وفى الصحيحين من حديث ابن عمر بلفظ « احفوا
الشوارب واعفوا اللحى » فالاحفاء يشعر بالاستقصاء ومنه قوله تعالى : (فيحفكم تبخلوا) أى
يستقصى عليكم ، وفى رواية « حفوا » أى اجعلوها حفاف الشفة وحولها ومنه قوله
تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) وأما الحلق فلم يرد والاحفاء قريب من
الحلق وقد نقل عن الصحابة ، ونظر بعض التابعين رجلاً احنى شاربهُ فقال ذكرتنى
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه إيماء الى أن مختار التابعين عدم الاستقصاء
ويؤيده رواية الطبرانى عن الحكم بن عمير « مرفوعاً قصوا الشارب مع الشفاء » وأما
قوله عليه السلام « اعفوا اللحى » أى كثروها ولا تقصوها ، وفى الخبر « أن اليهود يعفون
شواربهم ويقصون لحاهم يخالفوهم ، وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة (ولا بأس
بإبقاء السبال) أى اطراف الشارب فعل ذلك عمر وغيره كما فى الاحياء ولأن ذلك
لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام لعدم وصوله اليه لكن يشكل هذا بظاهر ما رواه
احمد من حديث أبى امامة قلنا يا رسول الله « أن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون
سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب ، وفى صحيح ابن

وَلَا يُؤَخَّرُ حَلَقُ الْعَانَةِ وَتَفُّ الْإِبْطِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَهُوَ الْمَأْثُورُ .
وَيُزِيلُ الْعَانَةَ بِالطَّلَاءِ إِنْ اعْتَادَ لِحْصُولِ الْمَقْصُودِ . وَالتَّحَامِي عَنْ الْإِيْلَامِ .
وَيَبْتَدِي بِتَقْدِيمِ مَسْبِحَةِ الْيَمْنَى . أَوْ خِصْرِ الْيَسْرَى . وَخِصْرِ الرَّجْلَيْنِ :
وَالْمَسْبِحَةِ فِيهِمَا وَيَخْتِمُ بِالْإِبْهَامِ فِي الْكُلِّ فَهُوَ الْمُرَوِيُّ .

حبان من حديث ابن عمر في المجوس ، أنهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحام خالفوهم ، اللهم
ألا أن يراد بالسبال الشوارب مجازا بقرينة مقابلته بالعنانين وهي جمع العثون بمعنى اللحية
وورد «أحفوا الشوارب واعفوا اللحي واتفوا الشعر الذي في الأناف» ابن عدي والبيهقي
عن عمرو بن شعيب ، والقص يقوم مقام التف في الأناف (ولا يؤخر حلق العانة
وتف الإبط) وتقليم الظفر (أكثر من أربعين يوما فهو المأثور) أي المذكور في صحيح
مسلم من حديث أنس أنه عليه السلام «وقت لنا في قلم الأظفار وتف الإبط وحلق
العانة أربعين يوما» وورد «قص الظفر وتف الإبط وحلق العانة يوم الخميس والغسل
والطيب واللباس يوم الجمعة» الديلمي عن علي ، ويحلق الإبط إن لم يقدر على التف
باعتياده ثلثا يجتمع الوسخ في خلاله والمقصود النظافة في جميع حاله (ويزيل العانة)
أي شعرها (بالطلاء) أي التوراة (إن اعتاد لحصول المقصود) وهو فقد الأذى
الموجود (والتحامي عن الإيْلَام) أي مع تحصيل المرام (ويبتدئ بتقديم مسبحة
اليمنى أو خنصر اليسرى وخنصر الرجلين ولا مسبحة فيهما) أي في الرجلين
(ويختتم بالإبهام في الكل) أي في جميع اليدين والرجلين (فهو المرؤى) قال العراقي :
لم أجده أصلا وقد أنكره أبو عبد الله المازني في الرد على الغزالي وشنع عليه به
قلت : لا وجه للتشنع عليه حيث قال : ولم أر في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم
الأظفار ولكن سمعت أنه روى عنه عليه السلام «أنه بدأ بمسبحة اليمنى وختم بإبهام
اليمنى وأبدأ في اليسرى بالخنصر إلى الإبهام» ثم وجه هذا الترتيب بما وقع له من
الإلهام لما بسط عليه الكلام هذا وفي حديث جابر وقصوا أظفاركم فإن الشيطان يجري
من أمين اللحم والظفر الخطيب في الجامع بسند ضعيف لكن روى أحمد ومسلم والأربعة
عن عائشة عشر من الفطرة أي سنة الأنبياء التي أمرنا أن نتقدي بهم فيها قص الشارب
واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتف الإبط

وَيَكْتَحِلُ بِالْأَثْمَدِ ثَلَاثًا فِي كُلِّ عَيْنٍ فَهُوَ مَرُوءٍ ، وَرُويَ ثَنَانٌ فِي الْيَسْرِ
 كَمَا وَرَدَ ، وَوَرَدَ « عَلَيْكُمْ بِالْأَثْمَدِ عِنْدَ مَضْجَعِكُمْ فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ وَيَنْبِتُ
 الشَّعْرَ » وَلَا يَكْثُرُ التَّرِينُ . وَالْاِكْتِحَالُ وَالْإِدْهَانُ . وَيَقْطَعُ اللَّحْيَةَ الطَّوِيلَةَ
 فَالْمُفْرَطُ يَرَى سَمَجًا . وَيَفْتَحُ بَابَ الْغَيْبَةِ . وَيَبْقَى قَدْرُ الْقَبْضَةِ فَهُوَ الْوَسْطُ

وحلق العانة واتفاض الماء قال وليف يعني الاستنجاء به، قال مصعب ونسبت العاشرة
 الآن تكون المضمضة، وذكر عمار بن ياسر الاختتان في العاشرة (ويكتحل بالأثمَد)
 أي في كل ليلة (ثلاثًا) أي ثلاث مرات متوالية (في كل عين) ويبتدىء باليمنى
 (فهو مروي) أي في الشئامثل وغيره من حديث ابن عباس وحسنه الترمذی (وروي)
 أي من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف الطبرانی (ثنان في اليسرى) أي وثلاث في اليمنى
 فلا يثار باعتبار العينين جميعا لا باعتبار كل واحدة منهما كما في الاول فتأمل فإنه الاولى
 قياسا على غسل اليدين ثلاثا ثلاثا ثم الابتداء باليمنى لشرفها وكذا الزيادة لها في رواية
 لتعظيمها فهي أحق بها «وان الله تعالى وتر يحب الوتر» * (لما ورد وورد عليكم
 بالأثمَد) وهو حجر يكتحل به أي الزموء ولا تتركوه (عند مضجعكم) أي مرقدكم
 بالليل (فإنه مما يزيد في البصر) أي في قوته (وينبت الشعر) أي شعر الاجفان
 في طرف العين والحديث رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس بلفظ «عليكم بالأثمَد
 فإنه يحلو البصر وينبت الشعر» وفي رواية ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر «عليكم
 بالأثمَد عند النوم» الحديث، وفي رواية الطبرانی وغيره عن علي «عليكم بالأثمَد فإنها
 منبئة للشعر مذهبة للقدى مصفاة للبصر»، وفي رواية احمد «اكتحلوا بالأثمَد المروح»
 أي المطيب بالمسك (ولا يكثر الترين) بالتسريح ونحوه * (والا كتحال والادهان) *
 فإنه دأب المترفين، وقد نهى عليه السلام عن الترجل الاغبا * (ويقطع اللحية الطويلة) *
 أي زيادة على القبضة فإنه مستحب وقيل واجب (المفرط) منها في الطول أو العرض
 * (يرى) * بصيغة المجهول أي يظهر * (سمجا) * يفتح فكسر لجيم أي قبيحا فإنه يشوه
 الخلقة (ويفتح باب الغيبة) أي في الحضور والغيبة فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه
 النية * (ويبقى قدر القبضة) * فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي
 وابن سيرين * (فهو الوسط) * أي المتوسط المعتدل المحمود في كل شيء قال النخعي

المُسْنُونُ ، وَقِيلَ يَبْقَى بِحَالِهِ ، فَرَدَّ « اَعْفُوا اللَّهَ » وَلَا يَجُوزُ تَصْفِيرُهَا
وَتَحْمِيرُهَا لِاخْفَاءِ الشَّيْبِ الْإِثْنِي الْعَزْوُ ، فَرَدَّ « هُمَا خَضَابُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ »
وَيَكْرَهُ تَسْوِيدُهَا ، فَرَدَّ « هُوَ خَضَابُ أَهْلِ النَّارِ »

عجبت لرجل عاقل طويل اللحية لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيته وقد قيل ما طالت
اللحية الا وقد قص العقل * (المسنون) * فانه عليه السلام « بان يأخذ من لحيته طولا
وعرضا » كإرواه الترمذي عن ابن عمرو * (وقيل تبقى بحالها فورد اعفوا الله) *
أى اتركوها وابقوها على حالها واختاره الحسن وقادة وقالوا: تركها عافية أحب
للحديث المتقدم * (ولا يجوز تصفيرها وتحميرها) * بالحناء وغيرها * (لاخفاء الشيب) *
أى يتوهم ان فيه العيب وهونور ووقار وسرور * (الا في الغزو) * فان مبناء على مكر
وغرور ومنه حديث « الحرب خدعة » * (فورد هما خضاب المسلمين والمؤمنين) * لا فرق
بين المسلم والمؤمن في عرف الشرع وانما هو التفتن في العبارة كما وقع اليه الاشارة
في قوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾
وأما في أصل اللغة ففرق بينهما حيث ان الاسلام انقياد الظاهر والايمان انقياد
الباطن كما يدل عليه قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا أَمْنُوا عَلَى اسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كَمِ
لِلْإِيمَانِ ﴾ ويقويه حديث جبريل « ان الاسلام هو ان تشهدان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وتقيم الصلاة » الخ والايمان ان تؤمن بالله وملائكته ورسوله النخ، ولما كان
الانقياد الظاهر لا ينفع بدون الانقياد الباطن كالمناق و لا الانقياد الباطن بدون
الانقياد الظاهر كما في أبى طالب ونحوه فالمراد بالمؤمن والمسلم واحد وهو الجامع بين
الانقيادين في استحكام الاعتقادين ، وعبارة المتن يحتمل ان يكون المراد بها ان كل
واحد من الحرمة والصفرة خضاب أهل الاسلام والايمان وان يكون لهما ونشر امرتبا
فيوافق ما ذكره في الاحياء من قوله عليه السلام « الصفرة خضاب المسلمين والحرمة
خضاب المؤمنين » بناء على الفرق بينهما لغة ، أو اشعار بان نعت الايمان أكمل فالحرمة
افضل فانهم كانوا يخضرون بالحناء للحرمة وبالخضرة للصفرة وحديث الاحياء
رواه الطبراني والحاكم بلفظ الافراد من حديث ابن عمر ، ثم هما جائزان تليسا للشيب
على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل لتشبه باهل الدين فهو مذموم
﴿ ويكره تسويدها فورد هو خضاب أهل النار ﴾ كذا في الاحياء قال وفي لفظ « خضاب

وَتَبْيِضُهَا بِالْكِبْرِيتِ إِظْهَارًا لِلْكِبَرِ تَرْفَعًا وَتَفْهًا عَبَثًا وَتَشْبَهُا بِالْمُرْدِ فَهُوَ مُنْكَرٌ وَتَزِينُهَا لِلنَّاسِ بِالتَّدْوِيرِ وَالتَّسْرِيحِ وَالزِّيَادَةِ فِي الْعَارِضِينَ بِإِسَالِ الصَّدْعِ الْمُتَجَاوِزَةِ عَنْ عَظْمِهَا ، وَلَا يَأْكُلُ الْجَنْبَ وَلَا يَنَامُ دُونَ الْوُضُوءِ .

الكفار قال مخرجه رواه الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قيل وأول من خضب بالسواد فرعون ذى الاوتاد وورد « من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيامة الطبراني عن أبي الدرداء (وتبييضها بالكبريت) أى ويكره أيضا (اظهار الكبر) أى لكبر السن (ترفعا) على الشباب من اقرانه وتوصلا الى التوقير عند اخوانه واستعجال لقبول الشهادة بعلو شأنه وتصديق الرواية عن مشايخ الدراية ظنا منه بان كثرة الأيام تقطعه فضلا بين الأنام ولم يعرف أن الفضل بقلة الآثام وأمثال ذلك من الأغراض الفاسدة والأعراض السكاسة كما يبتتها في التصريح بشرح التسريح (وتنفها عبثا) أى بلا منفعة (وتشبها بالمرء فهو منكر) أى بدعة مستقبحة فان اللحية زينة الرجال كما ان شعر الرأس زينة النساء في جميع الأحوال أو استنكافا من الشبهة فقد نهى عليه السلام عن تنف الشيب وقال « هو نور المؤمن » رواه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (وتزينها للناس بالتدوير) وهو تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزوير (والتسريح) أى بالتكثير وقد قال بشر: في اللحية شر كان تسريحها للناس وتركها مفتلة لاظهار الزهد (والزيادة) أى وبزيادة الشعر (في العارضين) أى الخدين (بارسال الصدغ) بضم فسكون ما بين العين والاذن والشعر المتدلى عليه وهو من شعر الرأس (المتجاوزة عن عظمها) أى عظم اللحي المنتهية الى نصف الخد وذلك يبان هيئة أهل الصلاح وكثيرا ما يفعله بعض الاجام (ولا يأكل الجنب) أى لا ينبغي أن يأكل وهو جنب فاذا أراد أن يأكل فيغسل فيه أولا وكذا اذا اراد أن يشرب (ولا ينام) أى الجنب (دون الوضوء) أى أو ما يقوم مقامه من التيمم فمن عمر « قلت للنبي ﷺ انام أحدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ » متفق عليه وهذا هو الاولى والا فلا بأس به وقد كان عليه السلام « ينام وهو جنب ولا يمس ماء » كما رواه أحمد وغيره عن عائشة ، وكان ذلك لبيان الجواز ورحمة على ضعفاء الأمة

وَلَا يَنْقُصُ مِنَ الْبَدَنِ شَعْرًا وَلَا ظْفَرًا وَلَا دَمًا، فَاجْزَأُ الْبَدَنَ تُعَادَى
الْآخِرَةَ . وَالْمَزَالُ جَنَابًا يَكُونُ كَذَلِكَ، وَيَكُنُّ الْمَسْجِدَ وَيُنُورُهُ وَيُفْرِشُهُ
فَقِيهَا فَضَائِلُ، وَلَا يَزُخِرُهُ وَلَا يَنْقِشُهُ وَلَا يَصُورُهُ فَهُوَ مِنَ الْبِدْعِ . وَيَتَعَدَّى
النَّعْلَ . وَيَمَسُّ مَابَهُ مِنْ أَدَى . وَيَقْدُمُ الرَّجُلُ الْيَمْنَى دَاخِلًا فِيهِ

﴿ولا ينقص من البدن﴾ أى لا يقطع الجنب ﴿شعرا ولا ظفرا ولا دما﴾ مادام جنبا ﴿فاجزاء﴾
البدن ﴿أى جميعها﴾ ﴿تعاد فى الآخرة﴾ أى كما كانت فى الدنيا قال تعالى ﴿كما بدأكم
تعودون﴾ وقال عز و علا ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ أى حفاة
عراة غرلا ﴿والمزال جنبا يكون كذلك﴾ وهو نقصان فى المرتبة هنالك وإن كانت
تزول عن المؤمنين مالا يحتاج إليها إذا اغتسلوا على حيض وأنهار فى باب الجنة قبل
الدخول عليها ، وقد ورد أنه عليه السلام «كان يأمر بدفن الشعر والظفار» الطبرانى
عن وائل بن حجر ، وفى رواية الحسكيم عن عائشة «كان يأمر بدفن سبعة أشياء من
الإنسان الشعر والظفر والدم والحبيضة والسن والعلقة والمشيمة» ﴿ويكنس المسجد﴾
أى ينظفه من القمامة فإنه أفضل أنواع الاماطة وقد قال تعالى : ﴿وطهر بيتى﴾ وورد
«ابنوا المساجد وأخرجوا القمامة منها» بنى لله بيتا بنى الله له بيتا فى الجنة ، وأخرج
القمامة منها مهوور الحور العين رواء الطبرانى وغيره ﴿وينوره﴾ بالسرج ونحوها
فقد قال أنس بن مالك : «من أسرج فى مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحمة العرش
يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوءه» رواء الحارث بن أبى أسامة فى مسنده
وغيره به مرفوعا وسنده ضعيف ، والحديث الضعيف يفعل به فى فضائل الأعمال
﴿ويفرشه﴾ بالحصر وأمثالها ﴿فقيها﴾ أى فى الثلاثة ﴿فضائل﴾ فإنها كلها من
عمارة المسجد وقد قال تعالى : ﴿انما يعمر مساجد الله من آمن بالله﴾ ﴿ولا يزخرفه﴾
أى لا يبالغ فى زينته ﴿ولا ينقشه﴾ بحيث يشغل المصلى فى إحدى هتئته ﴿ولا يصوره﴾
أى جدرانها وسقفه فضلا عن قبلته ﴿فهو﴾ أى مجموع ما ذكر ﴿من البدع﴾ أى
المستبعدة ﴿ويتعدى النعل﴾ أى يتقدمها ويتفحصها عند بابه رعاية لجناحه ﴿ويمسح مابه
من أذى﴾ على أطرافه ﴿ويقدم الرجل اليمنى داحلا فيه﴾ ويقول بسم الله أعوذ بالله العظيم
وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ويسلم على النبى ﷺ ويقول

وَالْيَسْرَى خَارِجًا مِنْهُ ، وَيَجْهَرُ بِالِدُعَاءِ عَلَى مَنْ يَتَجَرَّفُ فِيهِ أَوْ يَنْشُدُ ضَالَّةً
وَيَنْظِفُهُ عَنِ النُّخَامَةِ وَالْبِزَاقِ ، وَلَا يَتَّخِذُهُ بَيْتًا وَلَا مَعْبَرًا فَالْكُلُّ مَرْوِيٌّ . وَلَمَّا
غَلَبَهُ النَّعَاسُ فِيهِ يَتَحَوَّلُ عَنْ مَوْضِعِهِ . وَيَضْرِبُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ جَانِبَ رَأْسِهِ
الْأَيْمَنِ ثَلَاثًا ثُمَّ يَجْلِسُ وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ فِي الْجُلُوسِ فَهُوَ عِبَادَةٌ .

اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك» رواه أبو داود وغيره ﴿والبسري خارجا
منه﴾ ويتعوذ ويقول «اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك» رواه الترمذي
 وغيره ، ولا يجلس حتى يصلي ركعتين كما في الصحيحين وتحية المسجد الحرام هي
 الطواف ان قدر عليه والا فالصلاة ان لم يكن وقت مكروه والا فيقول: سبحان
 الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر عملا بقوله عليه السلام: «اذا مررتكم برياض
 الجنة فارتموا» ﴿ويجهر بالدعاء على من يتجر فيه أو ينشد ضالة﴾ أي يطلبها برفع
 صوت فورد «اذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك واذا
 رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا ردنا الله عليك» رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة
 مرفوعا ﴿وينظفه﴾ أي جدرانه عن النخامة أي ماء الأنف ﴿والبزاق﴾ أي ماء الفم
 ففي الخبر «البزاق في المسجد سيئة» ودفعه حسنة، أحمد والطبراني، وفي الصحيحين «البزاق
 في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها» ﴿ولا يتخذها بيتا﴾ أي مسكنا الا اذا كان غريبا
 ولم يجد مكانا قريبا ﴿ولا معبرا﴾ أي طريقا وعمرا الا لضرورة داعية اليه أو حاجة
 باعثة عليه فينبغي أن ينوي الاعتكاف ولو ساعة لديه ﴿فالكل مروي﴾ ففي الطبراني عن
 ابن عمر لا تتخذوا المساجد طرقا الا لذكر أو صلاة ﴿وان غلبه النعاس فيه يتحول
 عن موضعه﴾ ليطير أثر نومه، وفي الخبر «اذا نعس احدكم وهو في المسجد فليتحول من
 مجلسه ذلك الى غيره» أبو داود والترمذي عن ابن عمر هـ ﴿ويضرب باطراف أصابعه
 جانب رأسه الايمن ثلاثا ثم يجلس﴾ هـ في موضع آخره ﴿ويستقبل القبلة في الجلوس فهو
 عبادة﴾ هـ أي في خد ذاته فضلا عن أن يكون في حدود المسجد وجهاته وقد ورد أكرم
 المجالس ما استقبل به القبلة أخرجه أبو يعلى وابن عدى والطبراني في الأوسط وأورده
 الحاكم وقال انه صحيح وقال ابن حبان: انه خبر موضوع وقد كانت أحواله عليه السلام
 في مواعظ الناس أن يخطب لهم وهو مستدبر القبلة قلت: وفيه أنه لمصلحة سماع الناس

وَفِيهِ قُوَّةُ الْبَصَرِ ، وَيَجْلِسُ مَوْضِعًا أَقْرَبَ إِلَى التَّوَاضُّعِ لَآيِنَ الظِّلِّ وَالشَّمْسِ
فَهُوَ مَقْعَدُ الشَّيْطَانِ . وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَلَا يَقِيمُ أَحَدًا . وَإِنْ قَامَ لَا يَجْلِسُ
ثُمَّةً . وَيَجْلِسُ حَيْثُ أَصَابَ وَخَلْفَ الصَّفِّ إِنْ لَمْ يَجِدْ مَكَانًا فِيهِ وَلَا يَعُودُ

ولم يعكس إثارا للكثير فهو أيضا دليل على مدعانا (وفيه) أى فى الاستقبال (قوة
البصر) لأن وقوع القبلة بمنزلة الكعبة فى النظر (ويجلس موضعا أقرب الى التواضع)
أى وأبعد عن أهل الترفع (لا ينف الظل والشمس فهو مقعد الشيطان) أى يحبه
ويدهجه أن يقع من الانسان ، وفى مستدرك الحاكم عن أبى هريرة . وابن ماجه عن
بريدة أنه عليه السلام « نهى أن يقعد الرجل بين الظل والشمس » وفى رواية أحمد بن حنبل
أن يجلس بين الضح والظل وقال يجلس الشيطان (ولا يفرق) بالجلوس (بين اثنين)
أى مخصوصين كابن واخوين وصاحبين فقد ورد انه عليه السلام نهى أن يجلس
الرجل بين الرجلين الا باذنهما » رواه البيهقى عن ابن عمر (ولا يقيم أحدا) عن موضع
جلوسه فيجلس هو فيه ، فى البخارى عن ابن عمر أنه عليه السلام « نهى أن يقام الرجل
من مقعده ويجلس فيه آخر » (وان قام) أحد بنفسه حياء منه أو نادبا معه (لا يجلس
ثمة) اما تواضعا أو عملا بظاهر النبى (ويجلس حيث أصاب) أى صادف محلا فارغا
فى الصف فهذا كان دأبه عليه السلام فى المجالس كلها فى الشئام ، وروى البغوى والبيهقى
والطبرانى عن شعبة بن عثمان مرفوعا « اذا انتهى أحدكم الى المجلس فان وسع له
فليجلس والا فليُنظر الى أوسع مكان يراه فليجلس فيه » * (وخلف الصف) أى
ويجلس (ان لم يجد مكانا فيه ولا يعود) ه كأنه أخذ من حديث صحابى اقتدى به
عليه السلام قبل أن يصل الى الصف فقال له عليه السلام : زادك الله حرصا ولا تعد
فروى من العود أى لا ترجع الى مثل ذلك الفعل فانه مكروه بل امش حتى تصل
الى الصف الذى يسعك فصل ، وروى من الاعادة أى ولا تعد صلاتك فانها صحيحة
حيث وقعت فى المسجد فان شرط صحة الاقتداء أن يكون مقام الامام والمقتدى
بقعة واحدة وقال الامام أحمد بيطلاق صلاة المنفرد خلف الصف اذا اقتدى بالامام .
وأما ما رواه الطبرانى عن وابصة « أيها المصلى وحده ألا وصلت الى الصف
فدخلت معهم أو جررت اليك رجلا ان ضاق بك المكان فقام معك أعد صلاتك
فانه لا صلاة لك » فمحمول على نفي السكال عند الجمهور وعلى نفي الصحة عند الامام احمد

وَلَا يَتَجَاوَزُ مِنْ سَبْقٍ وَيَحْيٍ مَنْ يَقْرُبُهُ وَلَا يَمْدُ الرَّجُلُ وَكَانَ أَكْثَرُ جُلُوسِهِ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ أَنْ يَنْصَبَ السَّاقَيْنِ . وَيَجْعَلُ الْيَدَيْنِ عَلَيْهِمَا وَيُلَازِمُ الْوَقَارَ .
 وَالتَّوَاضُعَ . وَيَجْتَنِبُ الْجُلُوسَ عَلَى الْقَدَمَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَإِكْثَارَ النَّظَرِ إِلَى الْكَاهِلِ .
 وَالْعَقَبِ . وَالْإِلْتِفَاتِ إِلَى الْجَوَانِبِ . وَاللَّعِبِ مَعَ اللَّحْيَةِ . وَالْأَصَابِعِ . وَتَخْلِيلِ
 الْأَسْنَانِ . وَإِدْخَالَ الْأَصْبُعِ فِي الْأَنْفِ وَإِخْرَاجِ الْبُزَاقِ وَالنَّخَامَةِ

وفي بعض الحواشي أى ولا يعود الى بيته حيثئذ فهو تكبر لكن لا يخفى بعده (ولا يتجاوز من سبق) أى لا يتخطى رقاب الناس فقد ورد فيه وعيد شديد وهو أن يجعل جسرا يوم القيمة يتخطاه الناس الا اذا وجد فرجة فانه حيثئذ يجوز له أن يتخطى ويصلى فيها فان التقصير من غيره فيستحق التقدم عليه (ويحى) أى ويخص بالسلام والتحية (من يقربه) أى فى ذلك المقام، وفى نسخة يقربه بصيغة المصدر (ولا يمد الرجل) أى قدام صاحبه فانه ترك الأدب (وكان أكثر جلوسه عليه السلام أن ينصب الساقين ويجعل اليدين عليهما) ويسمى هيئة الاحياء وكان عليه السلام يترجم أحيانا ويقعد جلسة التشهد كثيرا وقد يرفع رجله اليمنى بدون اليسرى (ويلازم) أى فى قعوده (الوقار) أى السكينة والزمانة (والتواضع أى مع أهل المسكنة) (ويجتنب الجلوس على القدمين والركبتين) فى هيئة الاقواء وتسمى جلسة الكلب لكن نهي عنه مقيد بالصلاة، فروى الحاكم فى مستدركه والبيهقى عن سمرة أنه عليه السلام «نهى عن الاقواء فى الصلاة، وفى النهاية هو أن يلقى الرجل أليته بالأرض وينصب ساقيه وفخذه ويضع يديه على الأرض» (واكثر النظر) أى يجتنب تكثير نظره (الى الكاهل) بكسر الهاء وهو ما بين الكتفين (والعقب) أى الى ورائه (والإلتفات) أى واكثره أو يجتنبه (الى الجوانب) فانه يعد من المعائب (واللعب مع اللحية والأصابع) فانه من اللغو وضد حال أرباب الخشوع وأصحاب الخضوع، وقد رأى عليه السلام رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال: لو خشع قلبه لحشمت جوارحه (وتخليل الأسنان وإدخال الأصبع فى الأنف) وهذا كله مكروه فى الجوامع والمحافل لأرباب الفضائل والفواضل (وأخراج البزاق) من الفم (والنخامة) من

وَالْتَّائِبُ عَلَى الْوُجُوهِ وَالْجُشَاءِ وَالْإِشَارَةِ بِالْيَدِ وَالْعَيْنِ وَنَحْوَهَا مِمَّا يَكْرَهُ
النَّاسُ . وَيَسْتَغْفِرُهُ تَعَالَى عِنْدَ الْقِيَامِ . وَلَا يَقْعُدُ فِي السُّوقِ بِلَا حَاجَةٍ . وَلَا فِي
الطَّرِيقِ ، وَيُؤَدِّي الْحُقُوقَ أَنْ جَلَسَ . وَيَفْتَحُ الْكَلَامَ بِالتَّسْمِيَةِ . وَالتَّحْمِيدِ
وَالِاسْتِعَاذَةِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،

الآفة ﴿ والتائب على الوجوه ﴾ أى فى مقابلتها دون أدبارها ﴿ والجشأ ﴾ أى كذلك
فورد « أقصر جشأك عنا » وهو بضم الجيم عدو داخار يخرج من القم عند الأكل الكثير
﴿ والاشارة باليد والعين ﴾ بحيث يتوهم المصاحب مالا يليق باهل المناقب قال تعالى :
﴿ يعلم خائنة الاعين ﴾ ﴿ ونحوها ﴾ أى ويجتنب امثال هذه المذكورات ﴿ مما يكره الناس ﴾
أى فى المحاورات والمحاضرات ﴿ ويستغفره تعالى عند القيام ﴾ أى من المجلس فى المعالم
عند قوله تعالى ﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾ قال سعد بن جبير . وعطاء . أى قل حين تقوم من
مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان
كفارة له وروى البغوى باسناده الى أبى هريرة مرفوعا « من جلس مجلسا فكثر فيه لفظه فقال
قبل أن يقوم : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت أستغفرك وأتوب اليك
الا كان كفارة لما بينهما » وفى رواية أبى داود وابن حبان عن أبى هريرة كفارة المجلس أن
يقول سبحانك اللهم وبحمدك الخ ثلاث مرات وزاد عملك سوء وظلمت نفسى فاغفرلى
انه لا يغفر الذنوب الا أنت ، ﴿ ولا يقعد فى السوق بلا حاجة ﴾ فانها أبفض البلاد الى
الرحمن واحبها الى الشيطان ﴿ ولا فى الطريق ﴾ أى الجادة للعامة ﴿ ويؤدى الحقوق ﴾
أى حقوق الجلوس أو حقوق الطريق ﴿ ان جلس ﴾ وهى اماطة الأذى وارشاد
الضال وقضاء حاجة الفقير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ونصرة المظلوم
واغاثة الملهوف . واعانة الضعيف . ورد السلام . واعطاء السائل ولو بجميل
الكلام ، وفى رواية الطبرانى عن وحشى « علمكم ستفتحون بعدى مدين عظاما
وتتخذون فى أسواقها مجالس فاذا كان ذلك فردوا السلام وغضوا من ابصارهم
واهذوا الأعمى وأعينا المظلوم » ﴿ ويفتح ﴾ وفى نسخة ويفتح أى يتدى . ﴿ الكلام ﴾
فى مجلس الكرام اذا كان ذابال من المرام ﴿ بالتسمية والتحميد والاستعاذة ﴾ . والانسب
تقديم التعوذ ﴿ والصلاة عليه عليه السلام ﴾ أى على النبي عليه السلام ، فورد « كل

وَيَخْتَارُ الْعَرَبِيَّةَ . وَيَخْفِضُ الصَّوْتَ . وَلَا يُكْثِرُ . وَيَهْذُبُ اللَّفْظَ . وَيُبَيِّنُ
 الْكَلَامَ . وَيَتَفَكَّرُ فِي الْحُجَّةِ . وَيَسْكُتُ عِنْدَ الْغَضَبِ . وَيَذْكُرُهُ تَعَالَى عِنْدَ
 النَّسْيَانِ . وَيَسْتَتْنِي وَلَا يَخَافُ عَلَيْهِ تَعَالَى فَهُوَ اجْتِرَاءٌ وَيَحْتَرِزُ عَنِ الْقَصَصِ
 وَالْحَافِ مَا أَمَكَنَ . وَإِنْ حَلَفَ وَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا فَلْيَأْتِ بِهِ .

أمر ذى بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع، رواه الرهاوى فى الأربعين
 عن أبى هريرة ، وفى رواية له عنه ، كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة على فهو
 أقطع أبتر محق البركة (ويختار العربية) أى اللغة المنسوبة الى العرب فقد ورد
 « أحب العرب لثلاث لأنى عربى ولأن كلام الله عربى ولسان أهل الجنة فى الجنة
 عربى » ، وقد قيل : العربية نصف العلوم النقية (ويخفض الصوت) أى فى كلامه
 لقوله تعالى (واغضض من صوتك ان انكر الأصوات لصوت الخير) : (ولا يكثر)
 أى من الكلام فان كثرة الكلام تميم قلب الأنام (ويهذب اللفظ) أى ينقى مبانیه
 ويحسن ما فيه ويميز بين ما يوافقه المقام وينافيه (ويبين الكلام) بتعيين معانيه وتخليصه
 من الزوائد المخلقة والفوائد المملة (ويتفكر) أى أولاً (فى الحجة) أى الأدلة ثم يحتاج
 بها ويستمسك بسببها (ويسكت عند الغضب) لقوله تعالى : (ولما سكى عن موسى
 الغضب أخذ الألواح) أى سكن كما فى قراءة شاذة ولهذا ورد النهى للقاضى أن يحكم
 وهو غضبان لأنه حيثئذ لم يفرق بين الحق والباطل والطاعة والعصيان (ويذكره تعالى
 عند النسيان) لقوله تعالى : (واذا كررك انسى) : (ويستتنى) أى يقول ان شاء
 الله فيما بعده فى مستقبله لقوله تعالى : (ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء
 الله) (ولا يخلف عليه تعالى فهو اجتراء) أى اظهار جرأة لديه فورد وان رجلا
 قال والله لا يغفر الله لفلان قال الله تعالى : من ذا الذى يتألى على أن لا أغفر لفلان فانى
 قد غفرت لفلان واحبطت عملك ، رواه مسلم عن جندب البجلي (ويحترز عن القصص)
 أى قصص الملوك وارباب الشجاعة واصحاب البطالة بل عن قصص الانبياء وحكايات
 الاولياء اذ لم تكن ثابتة مروية عن العلماء الاصفياء (والحلف) أى ويحترز عن
 كثرة البين (ما أمكن) ولو كان صادقا اذ فيه خطر الحنث ووجوب الكفارة
 وشبهة التهمة (وان حلف) أى على يمين (ورأى غيرها خيرا) منها (فليأت به)

وَلْيَكْفُرْ وَيُرَاعِيَ الْأَدَبَ وَيَتَكَلَّمْ بِالْقَصِيرِ الْجَامِعِ وَيَتَوَقَّفَ بَيْنَ كَلَامَيْنِ
لِيَحْفَظَ السَّامِعَ . وَلَا يَبْحَثُ قَبْلَ تَمَامِ الْكَلَامِ . وَيَسْتَأْذِنُ لِلسُّؤَالِ فَالْكُلُّ
مَأْثُورٌ وَيَكْثُرُ الْبُكَاءُ فَوَرَدَ « حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَعْيُنَ عَيْنٍ سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَعَيْنٌ غَضَّتْ عَنْ مُحَارَمِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » دُونَ الضَّحْكِ
فَهُوَ يَمِيتُ الْقَابَ وَيَذْهَبُ النُّورَ ، فَوَرَدَ (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَكُونُوا كَثِيرًا)

أى بذلك الغير الذى هو الخير (وليكفر) أى عن حنث يمينه فى صحيح مسلم وغيره
عن أبى هريرة « من حلف على يمين فرأى غير ما خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر
عن يمينه » (ويراعى الأدب) أى مع الأصحاب والاحباب فى قوله وفعله وسائر
الأبواب (ويتكلم بالقصير الجامع) وهو الكلام الجامع المانع وقد ورد أعطيت
جوامع الكلام رواه أبو يعلى عن عمرو هو الذى مبانيه يسيرة ومعانيه كثيرة ، وروى
« خير الكلام ما قل ودل » (ويتوقف بين كلامين) أى مركبين يصح سكوت على كل
منهما (ليحفظ السامع) أى ليدركه ويفهمه فى الصحيحين عن عائشة أنه عليه السلام
« كان يحدث حديثا لو عداه لاحتصاه » (ولا يبحث) مع الخصم (قبل تمام الكلام)
أى فى أثناء المرام اذ قد يكون له تعلق فى المقام يدفع المباحثة مع الخصم (ويستأذن للسؤال)
أى تأديما مع أرباب الكمال (فالكل مأثور) وفى الكتب المبسوطة مذكور (ويكثر
البكاء فورد « حرمت النار على ثلاثة أعين » بالجر على البدل أو بالرفع أى منها
أو أحداها عين « (سهرت فى سبيل الله) أى احتراسا لأهل الله (وعين غضت) أى
غمضتها (عن محارم الله) أى ابتغاء لوجه الله (وعين بكت من خشية الله) أى من خوف
يوم يلقاه الطبرانى والحاكم عن أبى ريمانة بلفظ « حرمت النار على عين بكت من خشية الله
وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله وحرمت النار على عين غضت عن محارم
الله أو عين فقتت فى سبيل الله » وفى رواية الحاكم عن أبى هريرة « ثلاثة أعين لاتمسها
النار عين فقتت فى سبيل الله وعين حرست فى سبيل الله وعين بكت من خشية الله »
(دون الضحك) أى لا يكثر الضحك بل يقلله (فهو يميت القلب ويذهب النور)
أى البهائم والضياع فى الخير أنه عليه السلام « كان طويل الصمت قليل الضحك » احمد عن
جابر بن سمرة (فورد فليضحكوا قليلا وليكثروا كثيرا) وهو أمر بمعناه خبر أى

وَيَخْفِضُ صَوْتَ الْعَطَاسِ فَالتَّصْرِيحُ بِهِ حَقٌّ وَيَسْتَرِ بِثَوْبِهِ أَوِيْدَهُ وَيَسْتَرِ

الْقَمِّ فِي النَّشَاوِبِ . وَيُلْقِي الْبُزَاقَ فِي الْيَسَارِ أَوْ تَحْتَ الْقَدَمِ دُونَ الْقَبْلَةِ وَالْيَمِينِ .

يضحكون في الدنيا قليلا من الضحك أو الزمان ويكون كثيرا من البكاء أو الزمان وهذا اذا كان المراد به الخبر عن أهل الكفر في الدنيا والعقي وأما ان كان المراد به الخبر عنهم في دار الآخرة فالمراد من القلة العدم والله سبحانه أعلم، فالمعنى من ضحك في الدنيا قليلا يبكي في الآخرة كثيرا فكيف حال من ضحك في الدنيا كثيرا فانه لا يشك أن أمره يكون عسيرا لا يسيرا. (ويخفض صوت العطاس بالتصريح به) أي بالصيحة عند الناس. (حق) أي حماقة وجهالة المقام الاستئناس، وقد ورد الثأوب الشديد والعطسة الشديدة من الشيطان، ابن السني عن أم سلمة (ويستر) أي فنه عند العطاس (ثوبه) أي بكمه أو منديله (أويده) أي بكفه فورد إذا عطس أحدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته، الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة (ويستر القم في الثأوب) أي بالثوب لأنه أيضا يحصل المقصود ولأن الثوب أيضا لا يكون إلا بمساعدة الساعد ففي الصحيحين عن أبي هريرة «الثأوب من الشيطان فإذا تأب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال هاضمك منه الشيطان» وفي رواية الترمذي «العطاس من الله والثأوب من الشيطان فإذا تأب أحدكم فليضع يده على فمه وإذا قال آه آه فإن الشيطان يضحك من جوفه وإن اتعز وجل يحب العطاس» ويكره الثأوب، ولعل وجهه أن العطاس يطير النوم والكسل والثأوب يوجب النعاس والفشل، وأما ما ورد من أن العطاس والنعاس والثأوب في الصلاة من الشيطان فوجهه أن كلا منهما مانع من القراءة ونحوها (ويلقي البزاق) أي لم يقدر على ابتلاعه (في اليسار) أي أن لم يكن هناك أحد من الأبرار (أو تحت القدم) أي اليسرى إذا لم يكن أرض مسجد (دون القبلة) أي لا يلقى إلى جهة القبلة مطلقا تعظيما للكعبة بيت الله الحرام، ففي الصحيحين إذا كان أحدكم يصلي فلا يصبق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه إذا صلى، (والميمين) أي أصلا سواء يكون فيه أحد أم لا تعظيما لصاحب الميمين من الملائكة المقربين ولعل صاحب اليسار يتأخر في جانبه فانه مأمور بالنسبة إلى صاحب الميمين كما قرر في محله، وفي رواية أحمد وأصحاب السنن الأربعة عن طارق بن عبد الله المحاري مرفوعا «إذا صليت فلا تبرقن بين يديك ولا عن يمينك ولكن إبرق تلقاء شمالك أن كان فارغا

وَيَتَفَاءَلُ بِكَلِمَةٍ صَالِحَةٍ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ وَمَأْمُورٌ بِهِ وَلَا يَتَطَيَّرُ فَهُوَ مِنْهُي عَنْهُ.
وَيَفْتَحُ الْكِتَابَ بِالتَّحْمِيدِ وَالصَّلَاةِ. وَيَذْكُرُ أَوَّلًا نَفْسَهُ، ثُمَّ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ فَيُؤَيِّدُ
السَّنَةَ.

والافتحت قدمك اليسرى وادلكم، قال أبو يزيد لبعض أصحابه : قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذي قد أشهر نفسه بالولاية وكان رجلا مشهورا بالزهد والديانة فضينا فلما خرج من بيته ودخل المسجد رعى براقه تجاه القبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال: هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه؟ أى من الأدب مع الرب ﴿ ويتفأل بكلمة صالحة ﴾ أى بسماعها من غيره نحو صلاح وفلاح ومنصور ومظفر فإنه عليه السلام « كان يعجبه القائل الحسن ويكره الطيرة » وابن ماجه عن أنى هريرة والحاكم عن عائشة ﴿ فالكل مأثور ﴾ أى منقول عن فعله عليه السلام ﴿ ومأمور به ﴾ أى بما ورد عنه من الكلام ﴿ ولا يتطير ﴾ أى لا يتشامم بالقائل القبيح وأصله التطير بالسواتح والبوارح من الطير وكان التطير يهدم عن مقاصدهم فى زمن الجاهلية فنفاه الشرع ونهى عنه واخبر أنه لا تأثير له فى جلب نفع أو دفع ضرر، ومثاله انه خرج لحاجة وسمع كلمة فاسدة دالة على عدم قضائها فان رجع عنها بسببها كان ذلك تطيرا ﴿ فهو منهى عنه ﴾ روى احمد عن عبد الله بن عمر مرفوعا « لا يتطير فان فعل فكفارته ان يقول : اللهم لا خير الاخيرك ولا طير الا طيرك ولا اله غيرك » رواه الطبرانى عنه بلفظ « من رذته الطيرة من حاجة فقد اشرك » وكفارته ان يقول اللهم لا خير، الخ ورواه ابو داود ولفظه « اذا رأيتم من الطيرة شيئا تكرهونه فقولوا : اللهم لا يأتى بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك » وفى رواية ابن ابي شيبة الا بالله ﴿ ويفتح الكتاب ﴾ أى اذا بدأ مكتوبا الى غيره ﴿ بالتحميد والصلاة ﴾ بأن يكتب الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﴿ ويذكر اولاً ﴾ أى بعدهما ﴿ نفسه ثم المكتوب اليه فهو السنة ﴾ المعروف فى السنة ان يبدأ باسمه ثم المكتوب اليه ثم يحمده الله فيكتب مثلاً من عبد الله فلان الى فلان عبد الله السلام عليك فأتى احمد الله اليك وهو مقتبس من قوله تعالى : (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) وقد كتب صلى الله عليه وسلم الى معاذ فى ابن له يعزبه « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى معاذ سلام عليك فأتى

وَيَتَرَبَّهُ فَهُوَ سَبَبُ النَّجَاحِ . وَيَتَعَفَّفُ عَنْ طَلَبِ الْحَاجَةِ مَا مَكَنَ وَحَقَّهُ أَنْ
يَتَوَضَّأَ وَيُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ . وَيَرْفَعُهَا إِلَيْهِ تَعَالَى وَيَخْرُجُ بِكَرَةِ الْخَيْسِ بَعْدَ التَّحْمِيدِ
وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ

أحمد إليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فاعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا
وياك الشكر ، الحديث رواه ابن مردويه والحاكم عن معاذ ، قالوا فى الآيه لمطلق
الجمع (ويتربّه) بتشديد الراء أى يلقى التراب على الكتاب (فهو سبب النجاح) أى
وصوله الى الباب ، وقد ورد واذا كتب احدكم الى انسان فليبدأ بنفسه واذا كتب
فليترتب كتابه فهو أنجح ، الطبرانى فى الاوسط عن ابى الدرداء والترمذى الجملة الثانية
والطبرانى الاولى (ويتعفف) أى يطلب العفة (عن طلب الحاجة) أى بالمسئلة من الخلق
(ما مكن) أى مهما أمكن التعفف ولم تلجئه الضرورة الى التكسيف ، وفى دعاء الامام
أحمد اللهم كما صنت وجهى عن سجود غيرك فصن وجهى عن مسألة غيرك ، وقد قال
بعض اهل التوفيق : السؤال ذل ولو أين الطريق (وحقه) أى حق طلب الحاجة
عند الضرورة من الخليفة (أن يتوضأ ويصلى ركعتين ويرفعها اليه تعالى) أى اولا
لأنه غياث المستغيثين وأرحم الراحمين وأكرم الاكرمين ، وفى الخبر ليسأل احدكم ربه
حاجته حتى يسأل الملعوحتى يسأله شسعه ، وقال الترمذى وغيره وقد ورد « من كانت له
حاجة الى الله اوالى احد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن وضوءه ثم ليصل ركعتين
ثم ليثن على الله وليصل على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل : لا اله الا الله هو الحليم الكريم
سبحان رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اسألك موجبات رحمتك وعزائم
مغفرتك والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم لا تدع لى ذنبا
الا غفرته ولاهما الا فرجته ولا حاجة هى لك رضا الا قضيتها يا أرحم الراحمين » رواه
الترمذى عن ابن أبى أوفى ، وفى رواية له ولغيره عن ابن حنيفة « من كانت له ضرورة
فليتوضأ فيحسن وضوءه ويصلى ركعتين ثم يدعو اللهم انى أسألك واتوجه اليك
بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى فشفعه فى ،
(ويخرج) أى ومن حقه ان يخرج فى طلب الحاجة (بكرة الخيس) أو بكرة غيره
فان البركة فى البكرة كما تقدم (بعد التحميد والصلاة) أى على النبى عليه السلام
(وقراءة الفاتحة) فان فيها رائحة قضاء الحاجة فاتحة (وآية الكرسي) فانها الدالة

وَأَخِرَ آلِ عِمْرَانَ وَالْقَدْرَ : وَيَقْصِدُ الْإِتْقَى وَالْأَكْرَمَ وَالْأَسْمَحَ وَالْأَحْسَنَ .
وَالْأَرْحَمَ وَلَا يَرْتَكِبُ مَعْصِيَةً فِيهِ : وَلَا يُلِحُّ وَيُشَاوِرُ الْعَاقِلَ الْعَالِمَ الصَّالِحَ الْمَلَامَ
ذَلِكَ الْأَمْرَ كَالسَّخِيِّ فِي الْمَالِ وَالشَّجَاعِ فِي الْحَرْبِ ،

على العظمة والمحافظة ﴿ وأخر آل عمران ﴾ أى من قوله (أن في خلق السموات والارض)
الى آخر السورة أو من قوله : (لا يغرنك قلب الذين كفروا في البلاد) أو من قوله :
(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) فقد روى
بعض المجاذيب انه يخرج بطاقة من جيبه وينظر فيها ثم يردّها فاذا هو مات فأروا
فيها آية (واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) ﴿ والقدر ﴾ أى سورة القدر تنبئها له على
أن الاشياء كلها بالقضاء والقدر فلا يتبدل ولا يتغير ﴿ ويقصد الاتقى ﴾ شرعا لان
عطائه اتقى ﴿ والاكرم ﴾ طبعاً لان سخاءه ابقى ﴿ والاسمح ﴾ أى الأسهل بدا فان الخير
منه ارجى ﴿ والاحسن ﴾ أى خلقا وخلقاً فقد وردوا اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ،
رواه البخارى في تاريخه عن عائشة وجماعة عن غيرها ، وفي رواية ابن عدى والبيهقى
عن عبد الله بن جرادة بلفظ « اذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه » لان
الظاهر عنوان الباطن والغالب اجتماع حسن الخلق وحسن الخلق ومن لوازم حسن
الخلق الكرم مع الخلق ﴿ والارحم ﴾ قلباً فمن أبى سعيد « اطلبوا الخواص الى ذوى
الرحمة من أمى ترزقوا وتتجحوا فان الله تعالى يقول : رحمتى في ذوى الرحمة من عبادى
ولا تطلبوا الخواص عند القاسية قلوبهم فلا ترزقوا ولا تتجحوا فان الله تعالى يقول
ان سخطى فيهم » رواه العقيلي والطبراني في الأوسط ﴿ ولا يرتكب معصية فيه ﴾ أى
في طلب الحاجة بان يكذب في مقدار ما يحتاج اليه مثل قوله ان لى ميتا أريد دفنه او
عندى نفساء أو ما أكلت ايام كذا أو معى عيال ونحو ذلك اذا لم يكن صادقا فيما
هنالك ﴿ ولا يلح ﴾ أى في الطلب من الخلق قال تعالى : (لا يسألون الناس الخافا) أى
الحاحا وورده ان الله يبغض السائل الملحف ويحب الحي العفيف المتعفف ، رواه البيهقى
عن أبى هريرة ﴿ ويشاور ﴾ أى في أمر مشكل يقع له ﴿ العاقل ﴾ أى المجرب في الامور
﴿ العالم ﴾ أى المعظم في الصدور ﴿ الصالح ﴾ اذ عنده الخبر المستور ﴿ الملامم ﴾ ذلك
الامر ﴿ أى الذى وقع له في الدهر ويحتاج فيه النصح للنصر ﴾ كالسخي في المال ﴿ أى
في أمر يتعلق ببذل المال ﴾ والشجاع في الحرب ﴿ لانه في ذلك الأمر من أهل

فورد (وشاورهم في الأمر) ثم امرأته ويخالف، فورد فيه البركة ويقدم
 الاستخارة ويختار أهون الأمرين وأيسرهما ولا يحب المال أكثر من العرض .
 ولا يئذل الدين بالدنيا . ولا يركب بقرة : ولا يحرث على حمار

الكمال (وقد علم كل اناس مشربهم) وعرف كل فريق مذهبهم (فورد وشاورهم
 في الأمر) (وأمرهم شوري بينهم) (ثم امرأته) أى ان لم يجد أحدا كما في نسخة
 (ويخالف) أى رأيها (فورد فيه) أى خلافها (البركة) لقلة عقلمها ونقصان دينها ،
 واخرج العسكري في الامثال عن عمر (قال خالفوا النساء فان في خلافهن البركة) وعن
 أنس مرفوعا (لا يفعلن أحدكم امرا حتى يستشير فان لم يجد من يستشير فيستشير
 امرأته ثم ليخالفها فان في خلافها البركة ، رواه ابن لال ، وروى الديلمى والعسكري
 والقضاعي عن عائشة مرفوعا (طاعة النساء ندامة ، وفي مسند احمد هلك الرجال حين
 أطاعت النساء ، وأخرجه الطبراني والحاكم وصححه من حديث ابى بكره مرفوعا
 واخرج ابن عدى عن حديث أم سعد بنت زيد بن ثابت عن ابىها مرفوعا (طاعة المرأة
 ندامة ، واخرج العسكري عن معاوية قال : عودوا النساء لا فانها ضعيفة ان اطعها
 اهلكتك) وقال بعض الشعراء : وترك خلافهن من الخلاف . وأما ما اشتهر على الالسنه
 شاورهم وخالفهم فباطل لا أصل له في مبناه لكن صح معناه فيما قدمناه (ويقدم
 الاستخارة) أى على الاستشارة والمراد دعاؤه بجملا بان يقول اللهم خرنى واخترنى ولا
 تسكنى الى اختيارى أو صلاتها ودعاؤها المشهور المذكور في الحصن وشرحه المصطور
 وقد ورد ما خاب من استشار وما ندم من استخار ولا عال من اقتصد الطبراني في الأوسط عن
 أنس (ويختار أهون الأمرين) كالتدريس والفتوى كالتدريس أهون من الفتوى
 والفتوى أهون من القضاء والقضاء أهون من الخلافة (وايسرهما) فروى عن بعض
 السلف الصبر عن النساء ايسر من الصبر عليهن والصبر عليهن ايسر من الصبر
 على النار ، وقيل الفرق بين الاهون والايسر ان الاهون باعتبار النفع او الضرر
 والايسر باعتبار سهولته على النفس وبعده عن الخطر (ولا يحب المال أكثر
 من العرض) بل يئذل المال لحفظ العرض وحسن الحال (ولا يئذل الدين بالدنيا)
 لقوله تعالى : (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فماربحت تجارتهم وما كانوا
 مهتدين) (ولا يركب بقرة) ويجوز الحمل عليها (ولا يحرث على حمار) لأنه خلق

فَالْكُلُّ خُلِقَ لَعَمَلٍ. وَيَرْكَبُ عَلَى مَا أَصَابَ: وَيُرْدَفُ الْخَادِمُ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « لَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ حَتَّى يَتَصَدَّقَ بِفَاضِلِ النَّفَقَةِ وَيَسْعَى فِي الْحَاجَاتِ وَيَخْصِفُ النَّعْلَ وَيَخِيطُ الثَّوبَ وَيَقْطَعُ اللَّحْمَ وَيَشْتَغِلُ

للحمل والركوب) (فالكل خلق لعمل) أي على وفق العادة كما في الفرس والجمال وقد ورد « كل ميسر لما خلق له » رواه الشيخان (ويركب على ما أصاب) أي صادفه من الفرس والحمار والبغل والبعر والفيل من غير تعلق وتقيد بواحد منها قال تعالى : (والخيول والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) أي الفيل إذا كان الخطاب للعرب خاصة وأما البعير فقال تعالى : (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم) وقال عز وعلا : (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا : سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) أي مطيقين وقال عز وعلا : (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فيها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون) وقال عز شأنه وعظم برهانه : (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) فالبعير سفينة البر كما أن الفلك سفينة البحر (ويردف الخادم) أي وغيره سواء كان المركوب جملا أو فرسا أو حمارا (فالكل مأثور) فقد أُرْدِفَ النبي عليه السلام الفضل واسامة في طريق عرفة عام حجة الوداع خلف ناقه وأردف أباهريرة على حمار في طريق قبا كما تقدم (وكان عليه السلام لا يدخل البيت) أي بيته (حتى يتصدق بفاضل النفقة) أي بما فضل من النفقة في يده أو في بيته (ويسعى في الحاجات) أي في قضائها بنفسه عند قدرته فاخرج أحمد عن أنس أنه عليه السلام كان يذبح أضحيته يده (ويخصف النعل) على حد صنعته (ويخيط الثوب) أي بقدر معرفته ، فقد أخرج ابن عساكر عن أبي أيوب أنه عليه السلام « كان يخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن ستي فليس مني » أي من تركها تكبرا فليس على طريقتي (ويقطع اللحم) أي إذا كان نيئا أو غير نضيج وهو ثابت في السنة كما سبق وفي الشرائع عن جابر بن طارق قال : دخلت على النبي ﷺ فرأيت عنده دباء يقطع فقلت ما هذا ؟ قال نكثرت به طعامنا ، (ويشغل

بِأَمْرِ الْبَيْتِ مَعَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ « وَلَا يَتَكَلَّفُ وَلَا يَجِبُ وَلَا يَصِيدُ وَيَجِبُ
وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُكَافِي عَلَيْهَا وَيُرَدُّ الْمَقْرُونَةُ بِالْمَنَّةِ وَأَنْ قُلْتَ وَيَغْنَمُ الْعَبْدُ أَيَّامَ
الرَّقِّ خَمْسَتَهُ بَعَثِينَ وَتَلْزِمُ الْمَرْأَةُ قَعْرَ الْبَيْتِ فَلَا تَرْتَفِعُ عَلَيْهِ وَلَا تَنْظُرُ إِلَى الْخَارِجِ
فَنَظَرُهَا إِلَى الرِّجَالِ فَتَنَةٌ وَأُمِرَتْ أُمُّ سَلَمَةَ

بأمر البيت مع أمهات المؤمنين ﴿ فروى أحمد عن عائشة ﴾ كان يخط ثوبه ويخصف
نعله ويعمل ما يعمل الرجال في يوتاهم ﴿ وروى ابن سعد عنها ﴾ كان يعمل عمل البيت
واكثر ما يعمل الخياطة ﴿ وفي رواية أبي يعلى عنها ﴾ كان يفل ثوبه ويحلب شاته ويخدم
نفسه ﴿ ولا يتكلف ﴾ أى وكان عليه السلام لا يتكلف فى شئ من الكسوة والطعام
والضيافة والوليمة ﴿ ولا يجبه ﴾ أى التكلف من غيره بل يغضه فاخرج الدارقطنى
بسند ضعيف ﴿ أنا والانتفاء من أمى بريون من التكلف ﴾ ويقويه ما فى مسند الفردوس
من حديث الزبير بن العوام ﴿ الا انى برى ﴾ من التكلف وصالحو امى ﴾ واخرجه ابن عساكر
فى تاريخه عنه بلفظ ﴿ اللهم انى وصالحى امى برآء من كل متكلف ﴾ واخرجه عن الزبير
ابن ابى هالة - وهو ابن خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم - بلفظ انا وامى برآء
من كل متكلف ﴿ ولا يصيد ﴾ أى بنفسه ﴿ ويجبه ﴾ أى يعجبه من غيره ﴿ ويقبل الهدية
ويكافى عليها ﴾ أى بمثلها او بازيد منها قوله تعالى : ﴿ واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن
منها اوردوها ﴾ أى او بمثلها على قول ، وفى البخارى وغيره عن عائشة ﴿ ان يقبل الهدية
ويشبع عليها ﴾ ﴿ ويرد المقرونة بالمنة وان قلت ﴾ أى الهدية او المنة فانها كثيرة المؤنة ثقيلة
المعونة ﴿ ويغتنم العبد ﴾ وكذا الجارية ﴿ ايام الرق ﴾ أى زمان العبودية مع القيام بحق
الربوبية ﴿ فخمسة بعشرين ﴾ أى فاجره مرتين كما فى حديث ثم اقل الاجر فى خمسة عشر
كما قال تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ﴾ فاذا كان له اجران فخمسة لبعشرين حسنة
﴿ وتلزم المرأة قعر البيت ﴾ أى من الخزن ونحوه ﴿ فلا ترتفع ﴾ أى هى ﴿ عليه ﴾ أى على
البيت والمعنى انها لا تسكن فى العوالى خصوصاً اذا كان فيها شبابيك مشرفة على الحوالى ﴿ ولا
تنظر الى الخارج ﴾ ولو كانت ساكنة فى الداخل ﴿ فنظرهن الى الرجال فتنة ﴾ أى فى حقهن
كما أن نظر الرجال اليهن فتنة فى حقهم قال تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا
فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ﴾ ﴿ وأمرت أم سلمة

بِالْاِحْتِجَابِ عَنِ الْاَعْمَى وَلَا بِاسِّ بِالْخُرُوجِ فِي الْمُهَمِّ فِي اَسْوَا هَيْئَةٍ وَاَخْلَى
طَرِيقٍ مُتَّكِرَةٍ لِمَنْ يَعْرِفُ غَيْرَ مُسْمَعَةٍ صَوْتِهَا، وَيَتَصَدَّقُ بِمَا بَقِيَ مِنْ طَعَامٍ
يَسْتَحِيلُ اِذَا تَرَكَ وَيَقْتَمُ الصَّحِيحُ بِطُولِ السَّلَامَةِ، فَوَرَدَ «لَا يَخْلُو الْمُؤْمِنُ مِنْ
عَلَّةٍ وَزَلَّةٍ وَقَلَّةٍ» فَلَا بُدَّ اِنْ يَبْتَغِي فِي كُلِّ اَرْبَعِينَ يَوْمًا شَيْئًا مِنْهَا وَيَسْتَرْجِعُ
فِي الْمُصِيبَةِ فَهُوَ مَأْثُورٌ وَمَعْدُوحٌ فِي الْقُرْآنِ، وَيَحْتَرِزُ عَنِ الشَّقِّ وَالضَّرْبِ
وَالْحَلْقِ

بالاحتجاب عن الاعمى (أى مع أنها من الازواج الطاهرات) (ولا بأس) أى
للرأة (بالخروج في المهم) أى الدينوى والاخرى او الدينوى الضرورى (فى أسوأ
هيئة) أى أخشنها من لباس الجمال (وأخلى طريق) أى من الرجال حال كونها
(متكرة لمن يعرف) أى نسبها أو حسبها صيانة عن عرضها (غير مسمعة صوتها)
أى اذا لم تكن ضرورة بها (ويتصدق) أى الشخص (بما بقى من طعام يستحيل)
أى يتغير ويفسد من اللحم المطبوخ واللبن ونحوهما (اذا ترك) أى كثيرا فانه
تضييع للبال وتقويت لمقام الكمال (ويقتم الصحيح بطول السلامة) فان فرعون مضى
عليه اربعائة سنة ولم يحصل له صداع ولا حى مقدار سنة (فورد لا يخلو المؤمن
من عللة) أى مرض وضعف قوة (وذلة) ضد عزة بان يسلط عليه أحد من الطلبة
(وقلة) أى فاقة وحاجة، وقد يجتمع عليه اذا كان من أهل عناية ورعاية وحماية واذا
كان غالبا عنها فى بعض الاوقات (فلا بد وان يبتلى فى كل اربعين يوما بشئ منها
ويسترجع) أى يقول (انا لله وانا اليه راجعون) (فى المصيبة) أى الحادثة (فهو
مأثور) أى مروى عنه عليه السلام ، وعن السلف الكرام (ومعذوح فى القرآن)
حيث قال تعالى (وبشر الصابرين الذين اذا أصابهم مصيبة قالوا : انا لله وانا اليه راجعون)
الآية « وفى الحديث يسترجع أحدكم فى كل شئ حتى فى شمع نعله » فانها من المصائب
ابن السنى عن أبى هريرة ، وقد ورد من أصيب بمصيبة فحدث استرجاعا وان تقدم
عهدا كتب الله له من الاجر مثله يوم أصيب رواء ابن ماجه عن الحسن بن على
(ويحترز عن الشق) أى شق الجيب (والضرب) أى على الوجه والصدر (والحلق)

وَالنَّوْحُ فَهِيَ مِنْهُي عَنْهَا أَذْهَى رُسُومِ الْجَاهِلِيَّةِ وَيُثْنُ الْمَرِيضُ إِنِنَّا يَخْفُفُ
بَعْضَ مَا بِهِ ذَاكَ كَرَامَاتُهَا وَيَعْصِبُ الرَّأْسَ . وَيَنَامُ عَلَى الْفَرَّاشِ اسْتِعَانَةً عَلَى
الصَّبْرِ . وَتَوَقُّيَا عَنِ التَّشَدُّدِ . وَيَسْتَشْفِي بِالذِّكْرِ . وَالِدُعَاءِ . وَالصَّلَاةِ

أَيُّ حَلَقِ شَعْرِ الرَّأْسِ لِلرَّأَةِ وَاللَّحْيَةِ لِلرَّجُلِ ﴿ وَالنَّوْحُ ﴾ وَهُوَ صَبَاحُ أَهْلِ الْمَيْتِ
﴿ فَمَنْ ﴾ أَيُّ جَمِيعِهَا ﴿ مِنْهُي عَنْهَا أَذْهَى رُسُومِ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ
ذَلِكَ مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلَآبِي دَاوُدَ . وَالنَّسَائِي
عَنْ أَبِي مُوسَى « لَيْسَ مَنْ لَطَمَ سَلْقَ وَمَنْ حَلَقَ وَمَنْ خَرَقَ » فَالسَّلْقُ رَفْعُ الصَّوْتِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ
وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (سَلِقُوا كَمَا بَالَسْنَا حَدَادَ) وَالْحَلْقُ حَلْقُ الشَّعْرِ ، وَالْخَرَقُ خَرَقُ الثَّوبِ
﴿ وَيُثْنُ الْمَرِيضُ ﴾ فُورِدَ « الْمَرِيضُ أَنْ يَنْتَهِي تَسْبِيحُ وَصَبَاحُهُ تَكْبِيرُ وَنَفْسُهُ صَدَقَةٌ وَنَوْمُهُ
عِبَادَةٌ وَتَقْلَبُهُ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ :
ا كْتُبُوا لِعَبْدِي أَحْسَنَ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي صَحَّتِهِ فَإِذَا قَامَ مِنْهُ مَشَى كَانَ كَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ،
الْخَطِيبُ وَالدَّبْلِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَا رَجُلًا مَعْرُوفُونَ بِالثِّقَةِ الْإِسْمَ حُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ
الْبَلْخِي فَانَّهُ مَجْهُولٌ ﴿ إِنِنَّا يَخْفُفُ بَعْضُ مَا بِهِ ﴾ أَيُّ مِنْ ثَقُلِ الْإِلْمِ ﴿ ذَاكَ كَرَامَ ﴾ أَيُّ حَالِ
كَوْنِهِ ذَاكَ كَرَامَ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا أَعْطَاهُ مِنَ النِّعَمِ وَالْمَنْزَنِ وَمُسْتَعِينًا بِهِ فِيمَا ابْتَلَاهُ مِنَ الْخَنَنِ
وَمُسْتَعِينًا بِهِ فِي أَيَّامِ الْفِتَنِ وَمُسْتَعِينًا بِهِ عَنْ حُلُولِ الْقَمَمِ ﴿ لَا مَتَأَوَاهَا ﴾ أَيُّ بِطَرِيقِ
الضُّجُرِ وَالْفَزَعِ مِنْ كَثْرَةِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْإِقْدَامِ مَدَحَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ
بِقَوْلِهِ (إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) فَإِذَا كَانَ آهٌ أَوْ وَاهٌ فِي تَسْلِيمِ أَمْرٍ مَوْلَاهُ وَرِضَاهُ
بِقَدْرِهِ وَفَقْدَانُهُ يَكُونُ خَيْرًا لَهُ فِي دُنْيَاهُ وَعَقْبَاهُ ﴿ وَيَعْصِبُ الرَّأْسَ ﴾ أَيُّ يَشْدُوهُ
بِعَصَابَةٍ تَبْعًا لِلسَّيِّئَةِ وَأَخْظَارًا لِلْعُجْزِ وَلَآنَهُ يَخْفُفُ الصَّدَاعُ ﴿ وَيَنَامُ عَلَى الْفَرَّاشِ ﴾
أَيُّ وَلَوْ كَانَ دَأْبُهُ أَنْ لَا يَنَامَ عَلَيْهِ ﴿ اسْتِعَانَةً عَلَى الصَّبْرِ ﴾ أَيُّ عَلَى شِدَّةِ الْمَرَضِ وَحُدَّةِ
الْأَمْرِ ﴿ وَتَوَقُّيَا ﴾ أَيُّ وَاحْتِرَازًا وَاحْتِرَاسًا ﴿ عَنِ التَّشَدُّدِ ﴾ أَيُّ طَلَبِ شِدَّةِ الْأَمْرِ بِظَاهَرِ
التَّجَلُّدِ فِي الْإِبْتِدَاءِ لِلْبَلَاءِ ﴿ وَيَسْتَشْفِي ﴾ أَيُّ يَطْلُبُ الشِّفَاءَ ﴿ بِالذِّكْرِ ﴾ أَيُّ الْجُلِيِّ وَالْحَنَفِيِّ
لِشِفَاءِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فَإِنْ ذَكَرَ الْحَبِيبَ شَكَرَ اللَّيِّبَ وَسَكَرَ الطَّيِّبُ ﴿ وَالِدُعَاءِ ﴾ فَانَّهُ
يُرَدُّ الْبَلَاءُ وَيَهْوَنُ الْقَضَاءُ وَالدَّعَوَاتُ الْمَأْتُورَةُ لِلشِّفَاءِ نَحْوُ اللَّهُمَّ عَافِنِي وَاعْفُ عَنِّي
وَاشْفِنِي وَاسْأَلْكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿ وَالصَّلَاةِ ﴾ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَاسْتَعِينُوا
بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) أَوَّلُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ فِي ذِكْرِ الْخَلِيلِ شِفَاءً

وَالْقُرْآنَ . لَاسِيَا الْفَاتِحَةِ ، فَوَرَدَ « أَنَّهُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ » وَيَحْتَمِي بِهِمْ
أَمْرُوأَبَهُ ، وَيَدَاوِي فَوَرَدَ « تَدَاوُوا عِبَادَ اللَّهِ مِمَّنْ دَامَ أَلَا وَلَهُ دَوَاءٌ إِلَّا السَّامَ »
وَيَسْتَوْهَبُ مَهْرَ امْرَأَتِهِ : وَاسْتَوْهَبَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ مِنْ امْرَأَتِهِ أَوْ اسْتَقْرَضَ
فِي الْعَارِضَةِ مِنْ مَهْرٍ فَاشْتَرَى بِهِ الْعَسَلَ

العليل (والقرآن) لأنه شفاء أهل الإيمان ودواء أهل الإيقان وشفاء أهل الطغيان
وخسران أهل العدوان فقد قال تعالى: (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) (الاسيا الفاتحة) لأنها فاتحة كل خير ودافعة كل شر
وحزير (فوردانه) أي فاتحة الكتاب (شفاء من كل داء) أخرجه البيهقي في الشعب
من حديث عبد الله بن جابر ، وروى القشيري أن آيات الشفاء هي (ويشف صدور
قوم مؤمنين) وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) فيه شفاء للناس وتنزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) وإذا مرضت فهو يشفين) قل هو للذين
آمنوا هدى وشفاء يكتب ويغسل ويشرب فانه مجرب (ويحتمى) أي حال الابتلاء
خصوصاً وقت الامتلاء (فهم) أي السلف (أمروأبه) أي بالاحتياط، وقد قيل
الاحتياط رأس الدواء، وأخرج الخلال من حديث عائشة مرفوعاً «اللازم دواء والمعدة
بيت الداء وعودوا بدنا ما اعتادوا واللازم بالزاي الحية وأخرج ابن أبي الدنيا عن وهب
ابن منبه قال: أجمعت الأطباء على أن رأس الطب الحية فلا يبعد أن يكون التقدير (فهم)
أي الحكما (أمروأبه) أي بالاحتياط (ويداوى) أي فانه لا ينافى التوكل ولا ينافى
(فورد تداوا عباد الله) أي اطلبوا دواء بعضكم من بعض يا عباد الله (ممن داء
الا وله دواء الا السام) أي الموت ففي مستند احمد والسنن الرابع وابن حبان والحاكم
عن اسامة بن شريك مرفوعاً «تداوا عباد الله فان الله لم يضع داءاً الا وضع له دواء
غير داء واحد الهرم» (ويستوهب مهر امرأته) أي يطلب الهبة من بعض مهرها
ويأكله فقيه شفاء لقوله تعالى: (فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً)
أي سائغاً غير ضار أولاً تنقص فيه في الدنيا ولا تبعه معه في الآخرة (واستوهب
على رضى الله عنه من امرأته) أي من مهرها (أو استقرض في العارضة) أي العلة
(من مهرها) شك من الراوى (فاشترى به العسل) لقوله تعالى: (فيه شفاء للناس)

وَمَزَجُهُ بِمَاءِ السَّمَاءِ وَشَرِبَهُ فَصَارَ سَبَبُ الشِّفَاءِ هَذَا وَإِزَالَةُ السَّكَنْجِينِ الصَّفْرَاءِ لَا يُفَارِقُ أَرْوَاءَ الْمَاءِ إِلَّا بِالتَّعَلُّقِ بِالنَّظَرِ وَالتَّوَقُّفِ عَلَى الشُّرُوطِ وَيَحْتَجِمُ ،
 فُورِدَ « مَا مَرَرْتُ بِمَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا بِشْرُ أَمْتِكَ بِالْحِجَامَةِ » وَالْأَحَبُّ
 وَالْأَنْسَبُ فِي سَبْعِ عَشْرَةَ وَتِسْعَ عَشْرَةَ وَاحِدَى وَعِشْرِينَ فَهُوَ مَأْثُورٌ لَا سِيَّامَا

(ومزجه) أى خلطه (بماء السماء) أى المطر لقوله سبحانه (وانزلنا من السماء ماء طهورا) (وشربه فصار سبب الشفاء) أى حيث اجتمع فيه أسباب الدواء (هذا) أى مضى أو أخذ هذا (وازالة السكنجين الصفراء لا يفارق ارواء الماء) أى كما قال الحكماء (الا بالتعلق) أى تعلق السكنجين في ازالة الصفراء (بالنظر) أى بالتأمل (والتوقف على الشروط) أى المتبعة التى ذكرها الأطباء فمن عرف المزاج وغلبة العلة وجودة الدواء ومقداره بحسب المزاج واقتداره لم يبق عنده فرق بين ازالة السكنجين الصفراء وبين ارواء الماء بخلاف من لم يعرف ذلك فانه لا ينفعه هناك، وهذا جواب سؤال مقدر يرد على قوله عليه السلام «ما من داء» الحديث فان السكنجين مثلاً ربما لا يوافق لدفع الصفراء ويؤدى الى عطش مفرط فتقول استعماله موقوف بالنظر الى احواله ومتوقف على شروط استعماله، والحاصل ان الدواء سبب لدفع الداء فمما حصل السبب فيتلوه المسبب لاحالة في الأغلب كعلاج الجوع بالطعام والبعث بالماء الحلو البارد وانما يتخلف نحو السكنجين لتوقفه على شروط دقيقة يعرفها الأطباء والحكماء بخلاف اشباع الطعام وارواء الماء، وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وترتيبه في الأبواب بكامل قدرته وجمال حكمته فلا يضر المتوكل استعمال الدواء مع النظر الى مسيئه دون الطيب والدواء (ويحتجم) اذا كان المرض دموياً أو مطلقاً لما ورد بالحجامة تنفع من كل داء الا فاحتجموا» الدبلى عن أبى هريرة (فوردا ما مررت بملاً) أى جمع عظيم يملأ العيون من كثرتهم (من الملائكة) أى المقربين (الا قالوا بشر أمتك بالحجامة) أى بالعافية والسلامة بسبب الحجامة (والأحب) أى الأولى أن تقع الحجامة في النصف الأخير من الشهر لما رواه ابن أبى حبيب عن عبد الكريم معضلاً «الحجامة تكره في أول الهلال ولا يرجى نفعها حتى ينقص الهلال» (والأنسب في سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين فهو مأثور لا سيما)

إِذَا اتَّفَقَ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ سَبْعَ عَشْرَةَ، فُورِدَ «هُوَ دَوَاءٌ مِنْ دَاءِ سَنَةِ» الْآفَى الْقَفَا
فَهُوَ يُورِثُ النَّسْيَانَ وَيَجْتَنِبُ الْكَيَّ فْقِيهِ خَوْفُ السَّرَايَةِ وَالرَّقِيَّةُ، وَنَهَى عَنْهُمَا

أى خصوصاً (إذا اتفق يوم الثلاثاء سبع عشرة) من الشهر (فوردهو) أى الاحتجام
لسبع عشرة من الشهر في يوم الثلاثاء (دواء من داء سنة) رواه ابن سعد والطبراني وابن
عدي عن معقل بن يسار ولفظه والحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر دواء لداء
سنة (الآفى القفا فهو يورث النسيان) روى الديلمي عن أنس مرفوعاً «الحجامة في
نقرة الرأس تورث النسيان فجنبوا ذلك»، وقد احتجم عليه السلام في يافوخه من وجع
كان به ذكره ابن الربيع، ورواه ابن سعد عن أنس والحجامة في الرأس هي المغينة أمرني
بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية، وفي رواية العقيلي عن ابن عباس «الحجامة في
الرأس أمان من الجنون والجذام والبرص ووجع الأضراس والنعاس»، ورواه الطبراني
وابن السني في الطب عن ابن عمر، وفي رواية الطبراني وابي نعيم عن ابن عباس «الحجامة
في الرأس شفاء من سبع إذا مانوى صاحبها من الجنون والصداع والجذام والبرص
والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها في عينه»، وفي رواية ابن ماجه والحاكم وابن
السني وأبي نعيم عن ابن عمر «الحجامة على الريق امثل وفيها شفاء وبركة وتزيد في
الحفظ وفي العقل فاحتجموا على بركة الله تعالى يوم الخميس واجتنبوا الحجامة يوم
الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد واحتجموا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء فانه اليوم الذي عافى
الله فيه أيوب من البلاء واجتنبوا الحجامة يوم الاربعاء فانه اليوم الذي ابتلى فيه
أيوب وما يدوجذام ولا برص الا في يوم الاربعاء أو في ليلة الاربعاء»، وفي الصحيحين
عن جابر مرفوعاً «ان كان في شيء من ادويتكم خير في شرطة محجم أو شربة من عسل أو
لذعة بنار توافق داء وما أحب ان اكتبى» (ويجتنب الكي فقيه خوف السراية)
أى سراية الم الكي الى الموت أو سراية المرض الى سائر الجسد (والرقية) أى
ويجنبها اذا لم يعرف معناها من مبناها (ونهى عنهما) أى عن الكي والرقية، فروى
الترمذي والحاكم عن عمر أنه عليه السلام «نهى عن الكي»، وفي الحلية عن ابن عباس
انه عليه السلام «كان يكره الكي»، وفي رواية البزار عن أنس «سبعون ألفاً من أمتى
يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يكتبون ولا يكونون ولا يسترقون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون»، وأما الرقية بالقرآن والادعية المأثورة فلا شك في جوازها بل

و يُوصى بثلث المال، وأرضاء الخصوم وقضاء الدين وفدية الصلاة والصوم
فمن مات دون الوصية لا يؤذن له في التكلم مع الموتي في القبر الى يوم القيامة
ويغتتم الموت

في استحبابها فكان عليه السلام يرقى اللذيع بالفاتحة سبع مرات رواه الترمذى وغيره
عن ابى سعيد، وكان أيضا يرقى المعتوه بالفاتحة ثلاثة ايام غدوة وعشية كلما ختمها
جمع بزاؤه ثم تفلّه، رواه ابو داود والنسائى، وفي صحيح مسلم وغيره عن أبى سعيد «بسم
الله اريقك من كل شئ يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم
الله اريقك، وروى ابن ماجه والحاكم عن أبى هريرة «الارقيق برقية رقاى بها جبريل
يقول: بسم الله اريقك والله يشفيك من كل داء يأتيك من شر النفاثات في العقد ومن
شر حاسد اذا حسد ترقى بها ثلاث مرات، واما قوله عليه السلام: «لشفاء بنت عبد الله
على حفصة رقية النملة» كما رواه أبو عبيد في الغريب عن أبى بكر بن سليمان بن أبى
خيثمة فقال الجلال السيوطى في شرح أبى داود: رقية النملة شئ كانت تستعمله النساء
يعلم كل من يسمعه انه كلام لا ينفع ولا يضر ورقية النملة كانت تعرف بينهن ان
يقال العروس تحتضب وتنعل وتختفل وتكتحل وكل شئ يفعله غير أن لا يعصى
الرجل فاراد عليه السلام بهذا الكلام تأنيب حفصة وتوبيخها لانه لقي اليها سرا
فأفسته ﴿ويوصى بثلث المال﴾ أى يجوز ان يوصى به ولو كان الافضل دونه، وفى
الصحيحين عن ابن عباس «الثلث والثلث كثير» وفيهما عن سعد «انك ان تذر ورثتك
اغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» الحديث ﴿وارضاء الخصوم﴾ أى
بالمال والاستحلال ﴿وقضاء الدين﴾ أو طلب ابرائه ﴿وفدية الصلاة والصوم﴾ أى
وبمقدار ان يفدى به الصلاة والصيام الفاتية لكل فرض ووتر نصف صاع وكذا
لكل يوم صوم ﴿فمن مات دون الوصية﴾ أى الواجبة عليه، وفى نسخة ودونها، أى
بغير الوصية ﴿لا يؤذن له في التكلم مع الموتي في القبر الى يوم القيامة﴾ رواه ابو الشيخ
في الوصايا عن قيس، ولفظه «من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتي» وفى رواية
ابن ماجه «من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات
مغفور الله» ﴿ويغتتم الموت﴾ أى علامات حلوله وامارات نزوله فى الخبر «تحفة المؤمن
الموت» رواه الطبرانى باسناد جيد عن ابن عمر به مرفوعا «وذلك لانه وسيلة الى

وَلَا يَشْتَغِلُ عِنْدَهُ بَغْيُهُ تَعَالَى ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَيَقْرَأُ سُورَةَ الْقُرْآنِ «أَقْرَأُوا عَلَى مَوْتِكُمْ» وَيُحْضِرُ الصَّلَاةَ وَلَا يَكْرَهُ السَّكْرَاتِ وَيُطِيبُ مَاحُولَ الْبَيْتِ فَهُوَ مُحَضِّرُ الْمَلَائِكَةِ وَيَجْتَهِدُ فِي هُدَى الْجَوَارِحِ، وَوَرَدَ «أَرْقُبُوا عِنْدَ ثَلَاثٍ إِذَا رَشَحَ جَبِينَهُ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ»

وصول مولاه وحصول لقائه، وفي الصحيحين عن أبي موسى مرفوعاً: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» (ولا يشتغل) أي وقت حضور الموت (بغیره تعالى ظاهراً وباطناً) لقوله تعالى: (ارجع إلى ربك راضية مرضية) (ويقراء) أي بنفسه أو يقرأه غيره فيستمعها (في الخبر أقرءوا على موتاكم يس) أي على من أشرف على الموت. رواه أحمد وغيره عن معقل بن يسار (ويحضر الصلاة) أي ليعينه بالتلقين ويغثوه بالدعاء في شدة البلاء (ولا يكره السكرات) أي لأنها من جملة المكفرات أو من موجبات رفع الدرجات ويستحب أن يقول «اللهم اغني عن غمرات الموت وسكرات الموت» رواه الترمذي عن عائشة مرفوعاً (ويطيب ماحول البيت) أي ينظفه ويبخره، وفي نسخة «ماحول الميت» وهو المحتضر أو بعد تحقق الموت (فهو محضر الملائكة) أي ملك الموت وأعوانه أو الملائكة المبشرة لقوله تعالى: (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهون أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم) (ويجتهد في هداي الجوارح) أي سكونها عن الاضطراب فقد روي «موتوا قبل أن تموتوا» وفي هذا الباب وينبغي أن يكثر الحد فغن ابن عباس «المؤمن بخير على كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه وهو بحمد الله تعالى» رواه النسائي (وورد أرقبوا) بضم القاف أي انظروا الآمن والأمان على المريض وقت ظهور أحوال تطرق عليه في ذلك الزمان (عند ثلاث) أي من علامات لكل أحد من أهل الإيمان والكفران كما فصله بقوله (إذا رشح جبينه) أي عرقه، وفي رواية أبي داود والترمذي والنسائي عن بريدة وصحبه ابن حبان «المؤمن يموت بعرق الجبين» (وذرفت عيناه) أي سالت وذلك لأن الدمعة علامة الرحمة

وَيُسْتَشْفَتُهُ فَهُوَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى قَدْ نَزَلَتْ بِهِ وَإِذَا غَطَّ غَطِيطَ
الْمُنْحَقِّ وَاحْمَرَّ لَوْنُهُ وَازْبَدَتْ شَفَاتُهُ فَهُوَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ قَدْ نَزَلَ بِهِ « وَكَلِمَةُ
التَّوْحِيدِ ، فُورِدَ « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » وَحُسِّنَ الظَّنُّ بِاللَّهِ ،
فُورِدَ « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ » وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ ، فُورِدَ
« لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ الَّذِي يَرْجُوهُ وَأَمَنَهُ اللَّهُ الَّذِي يَخَافُ
مِنْهُ » حِينَ قَالَ مُحْتَضِرُ أَرْجُو اللَّهَ وَخَافُ ذُنُوبِي

(وَيُسْتَشْفَتُهُ) لَأنه من خوف مولاه (فهو) أى ما ذكر من الخصال الثلاث (من
رحمة الله تعالى قد نزلت به وإذا غط غط) أى وأرقبوا إذا غط (غطيط المنحوق) أى
صوت كصوته وهو الصوت الذى يخرج مع نفس التائب أو حال خنقه وصرعه
(واحمر لونه وازبدت شفاته فهو من عذاب الله قد نزل به) ومع هذا يحسن الظن بشأه
ويحكم بإيمانه لأن الدليل المذكور ظنى فى مقام برهانه ولعله محمول على غالب أحيانه (وكلمة
التوحيد) أى ويجتهد فى إكثارها منه أو من غيره تلقيناً له ونياً به عنه (فُورِدَ من مات
وهو يعلم أن لا إله إلا الله) أى وإن محمداً رسول الله (دخل الجنة) أى استحق
دخولها ولا بدله من وصولها ، وفى الصحيحين عن ابن مسعود « من مات لا يشرك بالله
شيئاً دخل الجنة » وفى مسند أحمد وغيره عن معاذ « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل
الجنة » (وحسن الظن بالله) أى ويجتهد فى حسن ظنه بربه أن يرحمه ويعفو عنه جرماً ،
ففى صحيح مسلم وغيره عن جابر « لا يمتون أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى » (فُورِدَ)
فى الصحيحين (أنا عند ظن عبدى بى) أى فى معاملتى معه فى الدنيا والآخرة
(فليظن بى ما شاء) أى من العفو والعقوبة فإن مصيره إلى وحسابه على وإن قضيت له
من خير أو شر فلا مرد له لدى (والخوف والرجاء) أى ويجتهد فى الجمع بينهما
(فُورِدَ لا يجتمعان فى قلب عبد) أى مؤمن (إلا أعطاه الله الذى يرجوه) أى من العفو
(وأمنه الله الذى يخاف منه) أى من العقوبة (حين قال) ظرف ورد أى فى زمان
قال (محتضر أرجو الله وأخاف ذنوبى) وفى رواية البيهقى عن سعيد بن المسيب
مرسلاً ولفظه « ما اجتمع الرجاء والخوف فى قلب مؤمن إلا أعطاه الله عز وجل الرجاء

وَيَكْرَهُ الْمَخْلُطُ الْفُجَاءَةَ دُونَ الطَّاعُونَ فِي أَرْضِ طَاعُونَ، فورد «من صبر في أرض طاعون كان له مثل أجر شهيد» *

﴿البَابُ الثَّامِنُ فِي الصَّحْبَةِ﴾

وامنه الخوف» (ويكره المخلط) أي الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً (الفجاءة) أي موت البغنة لقوله تعالى: (عسى الله أن يتوب عليهم) فموت الفجاءة تفوته التوبة، وأما رواية أحمد عن عائشة مرفوعاً «موت الفجاءة راحة للؤمن وأخذة أسف على الكافر» فحمولة على المؤمن الصالح إذ الفاجر في حكم الكافر ولو من بعض الوجوه (دون الطاعون) أي لا يكره لجأته في الصحيحين عن أنس «الطاعون شهادة لكل مسلم» (فورد من صبر في أرض طاعون) أي ولم يخرج فراراً منه (كان له مثل أجر شهيد) وفي مسند أحمد وصحيح البخاري عن عائشة «الطاعون كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء وإن الله جعله رحمة للؤمنين فليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد» وفي رواية لأحمد عنها «الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف» وفي رواية الطبراني في الأوسط عنها «الطاعون شهادة لأمته ووخر أعدائكم من الجن غدة كغدة الأبل تخرج في الآباط والمراق من مات منه مات شهيداً ومن أقام فيه كان كالمرباط في سبيل الله ومن فر منه كان كالفار من الزحف» وفي مسند أحمد «الطاعون لا يدخل مكة والمدينة» أي لما فيهما من نزول السكينة •

﴿البَابُ الثَّامِنُ فِي الصَّحْبَةِ﴾

للصحبة تأثير بليغ في المنفعة والمضرة وإن كان الشخص قويا في حال المرتبة قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وفي رواية النسائي عنه عليه السلام «ما بال قوم يصلون معنا لا يحسنون الطهور فأنما يلبس القرآن علينا أولئك» وفي رواية أحمد ومسلم عن أبي سعيد «يا أيها الناس إنما كانت أينت ليلة القدر وإني خرجت إليكم لأخبركم بها لجأه رجلان يختفان معهما الشيطان فنسيتهما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَرَدَ «أَنَّ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ حَوْلَ الْعَرْشِ لِبَاسُهُمْ نُورٌ وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ يَغْطِيهِمُ النَّيُّونُ وَالشَّهَدَاءُ»

فالتسوها في التاسعة والسابعة والخامسة، وفي رواية أحمد، والبيهقي عن ابن عباس، وأنه قيل يا رسول الله أبطأ عنك جبريل فقال لم لا يطئ، عني واتم حولي؟ لا تسنون ولا تقلبون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تقننوا وجبكم، أي مفاصل أناملكم، وهذا والنظر إلى أهل الدنيا مضر لأهل العقب كما يشير إليه قوله تعالى: (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) وذلك لأنه سبب الغفلة عن المولى ومن هنا قال سعيد ابن المسيب «لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة» بخلاف ما ورد «النظر إلى الكعبة عبادة، كما رواه أبو الشيخ عن عائشة» والنظر إلى عبادة» كما رواه الطبراني. والحاكم عن أبي مسعود وعن عمران بن حصين، وذلك لأنهما وسيلتان إلى ذكر الله، وورد أولياء الله الذين إذا رأوا ذكر الله، (بسم الله الرحمن الرحيم) فهو أولى ما يصحب به لأنه الكريم الحليم ويستعان به على دفع الشيطان الرجيم والصاحب اللئيم (ووردان المتحابين) بتشديد الموحدة (في الله) أي في سبيله لا ابتغاء رضاه (على منابر من نور) أي إلهي موجب لأنواع من سرور توضع المنابر (حول العرش) أي في مكان المقربين (لباسهم نور) أي مجرد أو حرير يعلوه نور (ووجوههم نور) أي كنور شمس وبدور (يغبطهم النيون والشهداء) أي يطلبون مراتبهم مع أنهم من أكابر السعداء وهذا للبالغة في علو البهاء، والمعنى أن حالهم عند الله بمثابة لو غبط النيون والشهداء يومئذ حال غيرهم مع جلالة قدرهم لغبطوهم في علو أمرهم ولا يبعد أن يراد به النيون والشهداء الذين لم يتيسر لهم التحاب مع الأولياء والأصفياء، ويؤيده ما في الأحياء أنه يروى «أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت به الراحة وأما انقطاعك إلى فقد تعززت بي ولكن هل عادت في عدوا أهل واليت في وليا» والحديث رواه الطبراني عن معاذ «أن المتحابين في الله في ظل العرش» وفي رواية له عن أبي أيوب «المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش» وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ: أتى أحبك في الله فقال له: أبشر سم أبشر فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة ووجوههم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس وهم لا يفرحون ويخاف الناس وهم لا ينفون

فَالْحُبُّ فِيهِ تَعَالَى كَحُبِّ عَالَمٍ يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ وَحَالِهِ . وَصَالِحٌ يُتَبَرَّكُ بِهِ .

وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل : من هؤلاء يا رسول الله؟ قال : هم المتحابون في الله ، كذا في الاحياء ، وقال نخرجه رواه أحمد والحاكم في حديث طويل ان أبا ادريس قال قلت : « ووالله اني لاحبك في الله قال فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان المتحابين لجلال الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله ، قال الحارث بن صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذي من رواية أبي مسلم الخولاني عن معاذ بن بلعظ ، المتحابون في جلال الله من نور يغبطهم النبيون والشهداء ، وقال : حسن صحيح ، ولاحمد من حديث أبي مالك الاشعري : ان الله عبادة ليسوا بانياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله ، الحديث وفيه : تحابوا في الله وتصافوا به يضعف الله لهم يوم القيامة منازلهم من نور فيعطسهم عليها فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفرغ الناس يوم القيامة ولا يفرعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وروى النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات من حديث أبي هريرة « ان حول العرش من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا : يا رسول الله صفهم لنا فقال : هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتراورون في الله ، (فالحب فيه تعالى) كل حب لولا الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو منبعث من الايمان ومستزيد بالايقان فاذا علمت ذلك فاعلم ان الحب اما ان يكون لمعنى في ذات المحبوب كحب الصور الجميلة والسير الحميدة الجميلة وهو حب بالطبع وشهوة النفس اذ هو منبعث منها واما ان يكون للتوصل به الى مقصود آخر ليس في ذات المحبوب وذلك اما ان يكون نفس الدنيا ومتعلقا بالآخرة واما ان يكون متعلقا بالله فالاول ليس من الحب في الله لانه منبعث من الدنيا والثاني عد من الحب في الله (كحب عالم) أي كحب العالم الذي (يستفاد من قوله وحاله) أي من جملة أقرائه وسائر أفعاله وأخلاقه وأحواله (وصالح يتبرك به) أي بدعائه وإيتائه وحسن مآله في مثاله اذ العالم يستفاد من علمه والصالح يستفاد من عمله وحله في الدنيا ويرجى شفاعتها في العقب فقد قال بعض السلف استذكروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعته فاعلمك تدخل في شفاعته أخيك ، وروى في غريب التفسير في قوله تعالى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) أي يشفعهم في اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ولنا حديث جماعة من السلف على الصفة والافتراء المحال لطفوا كرهوا

وَأَمْرًا تَفَرُّغَ لِلْعِبَادَةِ بِتَدْيِيرِ أَمْرِ الْبَيْتِ . وَغَنَى يُعْطَى مَا لَا يَصُونُ الْوَقْتَ
عَنِ الضَّيَاعِ فِي الطَّلَبِ . وَتَتَعَبِدُ لَهُ تَعَالَى ، فَالْحُبُّ لِلشَّيْءِ حُبُّ لِحَبِّهِ وَمُحَبُّوهُ
وَكَذَا الْمُبْغِضُ .

الإنفراد والعزلة ، ولأبي عبد الرحمن السلي من حديث على مرفوعا « من سعادة
المرء ان يكون اخوانه صالحين ، فالأخ الصالح ان نسي ذكره وان ذكره اعانه ويشير
اليه قوله تعالى حكاية عن موسى : (واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشد به
أزري واشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) وفي رواية أبي داود من
حديث عائشة رضي الله عنها « اذا اراد الله بالامير خيرا جعل الله له وزير صدق ان
نسي ذكره وان ذكر اعانه » ونقل في الاحياء معنى الحديث وعبر عنه بقوله : من اراد
الله به خيرا رزقه أخا صالحا الحديث والأخ الصالح يشمل العالم والمتعلم فمن عسى عليه السلام
من علم وعمل وعلم فذلك يدعى في الملكوت عظيما (وأمرأة تفرغ) أي الرجل
(للعبادة بتدبير أمر البيت) وما يتعلق به من اصلاح حاله وحفظ ماله وصيانة دينه
ولذا ورد في الاخبار « وفور الأجر والثواب للاتفاق على العيال حتى اللقمة يضعها
الرجل في في امرأته ، كما تقدم والله أعلم » (وغنى يعطى مالا) أي قدر حاجة العالم أو
العابد (يصون الوقت) أي يحفظ وقتها (عن الضياع في الطلب) أي يحفظ
وقتها عن الضياع في الطلب أي طلب مالا بد لهما منه فقد كان جماعة من السلف
تكفل بكفالتهم جماعة من أولى الثروة وكان المواسي والمواسي جميعا من المتحايين في
الله (ومتعبد له تعالى) أي المبتدئ في العبادة والمظهر لها المشير الى انه من أهل
السعادة (فالحب للشئ محبة ومحبة) وقد ورد في الدعاء « اللهم اني أسألك حبك
وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك » (وكذا المبغض) أي للشئ مبغض
لمبغضه ومبغوضه ، وفي الجملة من أحب الله وأحب رضاه ولقائه اذا أحب غيره كان
محبا في الله لأنه لا يتصور ان يحب شيئا الا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله
ومن هنا قيل : أحب العالم جميعه لأنه خلقه وصوره وأحسن خلقه وقد قال أبو مدين المغربي :

لاتنكر الباطل في طوره * فانه بعض ظهوراته
وقد قيل : ان المؤمن اذا أحب المؤمن أحب كلبه ، وقال مجنون بنى عامر :

امر على الديار ديار ليلي * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا

ويزدادان بقوة الطاعة . والمعصية وينتقصان بضعفهما ، فالأدنى ألا خوة ثم المحبة . وهي ما يمكن في حبة القلب ، ثم الخلطة وهي ما تخلل

وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا
فالخلوقات بأسرها مظاهر للصفات الجمالية والتعوت الجلالية فليس في الكون
سوى الله ومصنوعاته فمن أحب انسانا أحب صنعته ، ولذا كان عليه السلام « اذا حمل
عليه با كورة من الفواكه مسح بها عينيه وقال انه قريب عهد بربنا » الطبراني في الصغير
من حديث ابن عباس وهذا بالنظر الى التوحيد الصرف وحقيقته ، وأما في مقام
الشريعة وطريقته فلا بد من اعطاء كل ذى حق حقه فينادى ويقال : الهى ارنا الاشياء
كما هى والله ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه
وبذلك يتم الكمال فقد ورد « أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله » رواه
احمد من حديث البراء بن عازب ، وورد أيضا « من أحب لله وابغض لله وأعطى الله
ومنع الله فقد استكمل الايمان » رواه ابو داود عن أبي امامة (ويزدادان) أى الحب
والبغض (بقوة الطاعة) وكثرتها (والمعصية) أى في الحب والمحجوب (وينتقصان
بضعفهما) لانهما مترتبان على وجودهما ووجودهما يكون على قدر شهودهما ، ووجد
الحب في الله ان كل حب لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو
حب في الله وكذا زيادة الحب وقد يغلب الحب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما
هو حظ المحجوب وانشد :

أريد وصاله ويريد هجرى * فترك ما اريد لما يريد
وقال سمنون المحب :

فليس لى في سواك حظ * فكيف ماشئت فاخترنى
(فالأدنى) أى أدنى مراتب الحب المعبر عنه بالمصاحبة (الاخوة) فعن أنس
« ما أحدث عبد أخا في الله عز وجل الا أحدث الله عز وجل له درجة في الجنة » ابن أبي
الديان في كتاب الاخوان (ثم المحبة) وهى الموجبة لزيادة الصفة من الآخرة (وهى
ما تمكن في حبة القلب) أى سوداته وخاصة اجزائه وخلاصة اثنا عشر فعن أنس وماتحباب
اثنان في الله الا كان احبهما الى الله أشدهما حباً لصاحبه ابن حبان والحاكم وقال صحيح
الاسناد (ثم الخلطة) بالضم أى الصداقة والمحبة الصادقة (وهى ما تخلل) أى توسط

فِي سِرِّهِ وَلَا شَرَكَةَ فِيهَا، فَوَرَدَ « وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَا تَتَّخِذُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ » بِخِلَافِ مَا سَوَّاهَا، فَوَرَدَ « عَلِيُّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » فَيَصَاحِبُ الْعَاقِلُ وَالْحَسَنُ الْخَلْقَ فَاشْتَرَا طَهُمَا مَأْتُورًا.

الحب وتداخل امره (في سره) بحيث لا يسع له محبة غيره وهذا معنى قوله (ولا شركة فيها) أى في الخلقة لا أحد سوى الله بل هي خاصة له سبحانه فلا بد من انفراد الخليل في حب الجليل (فورد) (ولو كنت متخذاً خليلاً) أى من مخلوقة من (لا تتخذت أباً بكر خليلاً) لكونه عندي خليلاً (ولكن صاحبكم) يعنى نفسه (خليل الرحمن) أى وحيه فلا نسع في قلبه خلقة غيره، والحديث رواه احمد والبخارى عن أبى الزبير والبخارى عن ابن عباس بلفظ « لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لا تتخذت أباً بكر خليلاً ولكن أخى وصاحبى » وعن الزجاج الخليل هو الذى ليس في محبته خلل، وقيل: الذى يوالى فيه ويمسك به، وقيل: الخليل هو المحب المحض لشيء دون غيره ولهذا قال عليه السلام: « انى ابرأ الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذاً الحديث، فهذا منه عليه السلام قطع المخالفة بينه وبين غيره من الانام واستشكل قول أبى هريرة وبعض الصحابة خليل عليه السلام واجيب بان المنفى ان يتخذ هو خليلاً وما نفي ان يتخذ غيره خليلاً (بخلاف ما سواها) أى غير الخلقة من المحبة والاخوة فانه يتصور الشراكة في كل منهما (فورد) أى في الاخوة وكما المحبة (على منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدى) رواه أبو بكر الطعيرى في جزئه عن أبى سعيد وفي رواية الطبرانى عن ابن عمر « على أخى في الدنيا والآخرة، (في صاحب العاقل) والعالم العامل (والحسن الخلق) وهو الفاضل الكامل وقد قال عليه السلام « يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال أبو هريرة وما حسن الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عن ظلك وتعطى من حرمك، اليهقى في الشعب من حديث الحسن، مرسل عن أبى هريرة اذ لم يسمع منه (فاشترطهما مأثور) وذلك لان مدار الصحة والالفة عليهما فالبعد عن الاحق والسبي الخلق اولى واحق، وقد ورد من حديث أبى هريرة برواية ابى داود والترمذى وحسنه والحاكم وقال: صحيح ان شاء الله والمرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل، فلا بد ان يتميز بصفات يرغب

وَالْقَانِعُ فَصْحَةُ الْحَرِيصِ سُمِّ قَاتِلٌ وَالصَّالِحُ فَالْفَاسِقُ يُسْتَحَقُّ الْمَقْتُ ،

بسببها في صحبته اما العقل فهو رأس المال لتحصيل الكمال، وعن علي كرم الله وجهه: لا تصحب اخا الجهل فإياك وإياه فكم من جاهل اردى حليما حين واخاه يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه وللشيء على الشيء مقاييس وأشباهه وللقلب على القلب دليل حين يلقاه كيف واللاحق قد يضرك وهو يريد تفعلك وقال الجنيد لأن يصحبي فاسق حسن الخلق احب الى من ان يصحبي قارىء سيء الخلق، أقول وذلك لأنه اذا غلب عليه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه في ذلك فيعاملك بمقتضى ما غلب عليه من الأخلاق هنالك فاذا غلب عليه غضب اجترأ عليك أو شهوة آثر نفسه عليك أو بخل قطع بك أحوج ما يكون اليك أو جبن لم ينصرك بل ضرره يرد عليك (و القانع) أى يصاحبه (فصحة الحرص سم قاتل) أى يسرى من حيث لا يدري (والصالح) أى يصاحب المتقى فعن أبى ذر مرفوعا «الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة» رواه الحاكم (فالفاسق) وهو مرتكب الكبيرة والمصر على الصغيرة (يستحق المقت) وهو الغضب وهو ينافى الحب فقد قال الحسن: مصارمة الفاسق قربان الى الله وقد يقال: يجب الفاسق لأجل إيمانه ويغض بسبب عصيانه لكن لا بد من عدم قربانه، ثم المبتدع أولى بان يحتب ففي صحبته سراية البدعة، وعن عيسى عليه السلام تحببوا الى الله يفيض أهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم واتمسوا رضى الله بسخطهم قالوا: ياروح الله فن نجاله؟ قال: جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم فى الآخرة عمله وقد قال على رضى الله عنه رجلا :

ان أخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب زمان صدك * شئت فيه شمله ليجمعك

وقال بعض العلماء: لا تصحب الا احد رجلين رجلا تعلم منه شيئا من أمر دينك أو رجلا تعلمه شيئا فى أمر دينة فيقبل منك والثالث فاهرب منه فالمدار فى الصفة على المنفعة فورد مثل الأخوين اذا التقيا مثل الدين تغسل احدهما الأخرى وما التقى مؤنان قط الا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا، رواه السلى فى آداب الصفة والديلى عن أنس، وفى الخبر «المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه» أبو داود عن أبى هريرة أى يجمع عليه معيشته ويحفظ عليه

حالته، بقوله «المؤمن مرآة المؤمن» أى يرى منه ما يرى من نفسه فيستفيد المرء
 باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد بها يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب
 صورته الظاهرة، وقال الشافعي: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية
 فقد فضحه وشانه والله سبحانه يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه وفي ظل ستره
 ويوقفه على ذنوبه سرا، وأما أهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد ويستنطق
 جوارحهم بفصائحهم بين العباد، وقيل: الاخوان ثلاثة احدهم مثل الغذاء لا يستغنى
 عنه والثاني مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث مثل الداء لا يحتاج
 اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع منه، وقال علقمة
 العطاردي في وصيته لابنه: يا بني ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من
 اذا خدمته صانك واذا صحبتك زانك وان قعدت بك مؤبة مانك اصحب من اذا مددت
 يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها، اصحب من
 اذا سألك أعطاك وان سكت ابتدأك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت
 صدق قولك واذا حاولت ما أمرك واذا تنازعنا آثرك، قال ابن ابي كثر قال للمؤمنون
 فإني هذا فقيل له: اندرى لم أوصاه بذلك؟ قال: لا قال لأنه أراد أن لا تصحب احدا هنالك، هذا
 وعن الحسن بن علي لا يفرنك قول من يقول: المرء مع من أحب فانك لن تلحق الا برار الا
 باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم أقول: وربما يقال: ان
 الكفر حبيبهم ومنعهم وأما الايمان فيرجى أن يجمعهم فورد «من أحب قوما حشر
 معهم» كما أورده الحاكم وقد يقال: محبتهم لانبيائهم ليست خالصة لله بل لكونهم من
 أبنائهم، ولذا ورد من أحب أن يجد طعم الايمان فليحب المرء لا يحبه الا لله تعالى
 رواه الطبراني عن أبي هريرة وقال رجل لمحمد بن واسع: اني لأحبك في الله فقال احبك
 الذي أحببتني لأجله ثم حول وجهه وقال: اللهم اني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لى
 مبغض، وفي الجملة كما وردة الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
 اختلف، رواه مسلم من حديث أبي هريرة. والبخاري تعليقا من حديث عائشة، ورواه
 الطبراني في الأوسط عن علي «ان الأرواح في الهواء جند مجندة تلتقي فتشام» وعنه
 عليه السلام «ان ارواح المؤمنين تلتقي على مسيرة يوم وما رأى أحدهم صاحبه»
 أحمد من حديث عبد الله بن عمرو فالجنسية علة للضم فروى «ان امرأة بمكة كانت
 تضحك النساء وكانت بالمدينة اخرى فزلت المكية على المدينة فدخلت على عائشة رضى
 الله عنها فاضحكتها فقالت: اين نزلت؟ فذكرت لها فقالت صدق الله ورسوله سمعت

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «الأرواح جنود مجندة» الحديث رواه الحسن بن سفيان في مسنده، وعنه عليه السلام «لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ولو أن منافقا دخل إلى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس إليه»، البيهقي في الشعب موقوفا على ابن مسعود، ومن هنا قيل: إن الله ملائكة تجر الأهل إلى الأهل، ويشير إليه قوله تعالى: (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) وقال بعض الحكماء: كل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يطير مع مثله، وإذا اصطحب اثنين برهة من الزمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يفتقرا في الاستقبال، ورأي يومًا ما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك وقال: اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا هما أعرجان فقال: من هنا اتفقا، هذا وقد اختلف طرق السلف في اظهار الغضب مع أهل المعصية واتفقوا على اظهار الغضب للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية تجاوزت منه إلى غيره فاما من عصى الله في نفسه فهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم ومنهم من شدد الإنكار واختار المهاجرة فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكابر في أدنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين في قوله أني لأسأل أجدا شيئا ولو حمل السلطان إلى شيئا لاخذته، وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه للرد على المعتزلة وقال: أنك أولا توردهم وشبههم وتحمل الناس على التفكير فيها ثم ترد عليهم، وهجر أبا ثور في تأويله قوله عليه السلام كما في مسلم من حديث أبي هريرة «إن الله خلق آدم على صورته»، كذا ذكره في الأحياء ولم يبين تأويله فقبل على صفته الجالية والجلالية أو على صفته من السمع والبصر والكلام وقيل الضمير في صورته لآدم والله أعلم والحاصل أن مختار الإمام أحمد أن هذا الحديث من أحاديث الصفات المشكلات كآيات المتشابهات تؤمن لمبناها ولا تعرض لمعناها مع اعتقاد نزاهة الله سبحانه عن المشابهة بالمخلوقات ومقتضاها، وأما الجمهور فاختاروا مهاجرة أهل المعصية للعلم بأن الذين شربوا الخمر وتعاطوا فواجش الأمر في زمانه عليه السلام وأيام أصحابه الكرام فلم يكونوا يهجرونهم بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم إلى من ينظر القول فيه ويظهر الغضب إليه وإلى من يعرض عنه ولم يتعرض لما لديه وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة ولا يؤثر التباعد والمقاطعة وهذا هو المناسب لهذه الأمة فانهم اتبعوا عنى الرحمة، وما يدل على تخفيف الأمر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روى البخاري من حديث أبي هريرة «أن شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهو يوعده فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يشرب فقال عليه السلام: لا تكن عونًا للشيطان على أخيك»

وَيَقْدُمُ حَاجَتُهُ فِي الْمَالِ وَالنَّفْسِ وَهُوَ الْأَوَّلَى ثُمَّ التَّسْوِيَةُ ، ثُمَّ التَّأْخِيرُ وَإِنْ
عَدِمَ هَذَا فَلَا إِخَاءَ وَالْأَوَّلَانِ مَأْثُورَانِ ، وَوَرَدَ «مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِبًا
وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ إِلَّا سُئِلَ عَنْ صُحْبَتِهِ هَلْ أَقَامَ فِيهِ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ أَضَاعَهُ
حِينَ أُعْطِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقْوَمَ الْمُسَوِّاتَيْنِ إِلَى الْمُصَاحِبِ وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ
الصَّدِيقُ وَقَالَ أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ» أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ *

(وَيَقْدُمُ حَاجَتُهُ) أَيُّ حَاجَةٍ أَخِيهِ (فِي الْمَالِ) أَيُّ اعْطَاؤِهِ (وَالنَّفْسِ) أَيُّ حِظِّهَا (وَهُوَ)
إِلَى التَّقْدِيمِ (الْأَوَّلَى) أَيُّ لَانَهُ الْمَقَامُ الْأَعْلَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ
بِهِمْ خِصَاصَةٌ) أَيُّ مَجَاعَةٍ، وَلَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْأَنْصَارِ مِنْ أَخِي النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَنَّهُ اعْطَاهُ أَحْسَنَ دَارِيهِ وَاثْمَنَ بَسْتَانِيَةٍ وَاحِسَنَ أَمْرَانِيَةٍ، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ
أَهْدَى لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَأْسَ شَاةٍ فَقَالَ: أَخِي فَلَانِ اجُوجَ مِنْى فَبَعَثَ
بِهِ إِلَيْهِ فَبَعَثَهُ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ إِلَى آخِرِ فُلْمٍ يَزِلُّ يَبْعَثُ بِهِ وَاحِدًا إِلَى آخِرِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْأَوَّلِ
بَعْدَ أَنْ تَدَاوَلَهُ سَبْعَةٌ، وَقِيلَ أَرْبَعُونَ (ثُمَّ التَّسْوِيَةُ) أَيُّ الْمَسَاوَاةِ فِي الْمَالِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ
عَلَى السُّوِيَةِ فَقَدْ عَرَضَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ نِصْفَ مَالِهِ وَاحِدَى زَوْجَتِيهِ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
عُرْفٍ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ
أَنْسٍ (ثُمَّ التَّأْخِيرُ) أَيُّ تَأْخِيرِ حَقِّ صَاحِبِهِ عَنْ حَقِّ نَفْسِهِ فَإِنْ فَضَّلَ مِنْهُ شَيْءٌ فَلْيَصْرِفْهُ
إِلَى أَخِيهِ (وَأَنْ عَدِمَ هَذَا) أَيُّ الْآخِرِ وَهُوَ التَّأْخِيرُ (فَلَا إِخَاءَ) بَلْ هُوَ فِي مَقَامِ التَّقْصِيرِ
(وَالْأَوَّلَانِ) أَيُّ التَّقْدِيمِ وَالتَّسْوِيَةِ (مَأْثُورَانِ) أَيُّ مَرْوِيَانِ عَنِ السَّامِ الْكَرَامِ
كَمَا قَدْ مَنَّا (وَوَرَدَ مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِبًا وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ إِلَّا سُئِلَ عَنْ صُحْبَتِهِ
هَلْ أَقَامَ فِيهِ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ أَضَاعَهُ) وَفِي نَسْخَةِ أَمْضَاعِهِ (حِينَ أُعْطِيَ) أَيُّ وَرَدَ الْحَدِيثُ
الْمُتَقَدِّمِ حِينَ أُعْطِيَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقْوَمَ الْمُسَوِّاتَيْنِ) أَيُّ اعْدِلَهُمَا (إِلَى الْمُصَاحِبِ وَهُوَ
أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ وَقَالَ أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ) فَقَالَ مَا قَالَهُ فِي الْأَحْيَاءِ أَنْ اقْتَدَاءَ الْكُلِّ
فِي الْإِثَارِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَانْهَدْ دَخَلَ غِيْظُهُ مَعَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ فَاجْتَنَى مِنْهَا سِوَا كَيْنِ
أَحَدِهِمَا مَعُوجَ وَالْآخِرَ مُسْتَقِيمَ فَدَفَعَ الْمُسْتَقِيمَ إِلَى صَاحِبِهِ فَقَالَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتُ
أَحَقُّ بِالْمُسْتَقِيمِ مِنْى فَقَالَ مَا مِنْ صَاحِبٍ الْحَدِيثُ قَالَ مَخْرَجُهُ لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى أَصْلِ أَقُولُ
لَكِنْ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي تَفْسِيرِهِ (أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَكَانُوا لَا يُمِيزُونَ أَمْلًا كَهُمْ ، وَيُظْهِرُ الْبَشَاشَةَ فِيهِ
وَالسُّرُورَ . وَيَقْبَلُ الْمَنَّةَ . وَلَا يُحَوِّجُهُ إِلَى السُّؤَالِ ، فَهُوَ تَقْصِيرٌ ،

ومما رزقاهم ينفقون أي كانوا اخطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض،
وكان فيهم من لا يصحب من قال: نعلي لانه اضافه الى نفسه ﴿ وكانوا لا
يميزون املا كهم ﴾ كما حكى عن ابراهيم بن شيان كنا لانصحب من يقول نعلي،
وقال أبو محمد القلانسي وكان استاذ الجنيد: صحبت اقواما بالبصرة فاكروني
فقلت مرة لبعضهم: اين ازاري؟ فسقطت من أعينهم ومن هنا قيل الصوفي لا يملك ولا يملك
فهو كالمملك ﴿ ويظهر البشاشة فيه ﴾ أي في اتفاق صاحبه ﴿ والسرور ﴾ أي الفرح
بسيبه فقد جاء فتح الموصلي الى منزل اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت صندوقه
فتفتحه فاخذ حاجته فاخبرت الجارية مولاهما فقال: ان صدقت فانت حرة سرورا بما نفل
وذلك لانه دل على صداقته كما حقق في قوله تعالى (أو صدقكم) وقال تعالى: (أو ما ملكتكم
مفاتيحه) وكان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض إليه التصرف فيه وكان
يتخرج عن الأكل بحكم التقوى حتى انزل الله هذه الآية (واذن لهم) في الانبساط في طعام
الاخوان والاصدقاء ﴿ ويقبل المنّة ﴾ أي على نفسه بقبول المصاحب احسانه فقد جاء
رجل الى أبي هريرة وقال: اني أريد أن أواخيك في الله فقال: أتدرى ما حق الاخاء؟ قال
عرفني قال ان لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني فقال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال
فاذهب عني، وقال علي بن الحسين لرجل: هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه
فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه؟ قال لا قال فلست باخوان، وجاء رجل الى ابراهيم بن أدهم
وهو يريد بيت المقدس فقال له: أريد أن أرافقك فقال له ابراهيم: على أن أكون
أملكك لشيتك منك قال لا قال أعجبني صدقك ﴿ ولا يحوجه ﴾ أي أخاه ﴿ الى السؤال ﴾
أي أصل الطلب أو مقداره بل يبادره للبواساة بالمال قبل كشف الحال ﴿ فهو ﴾ أي
الاحواج الى السؤال ﴿ تقصير ﴾ في مقام الكمال فان أدنى الاعانة هو القيام بالحاجة
عند السؤال، وقد قال أبو سليمان الداراني: كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في
النواب فأقول: اعطني من مالك شيئا وكان يلقي الى كيسه فأخذ منه ما أريد لجنته ذات
يوم فقلت له: أحتاج الى شيء. فقال كم تريد؟ فخرجت حلاوة اخاته من قلبي، وقال بعضهم
اذا طلبت من أخيك مالا فقال: ماذا تصنع به؟ فقد ترك حق الأخاء، قال بعضهم: اذا

ويتودد باللسان ويتفقد الأموال ويظهر المشاركة معه في السرء والضراء.

استقضيت أخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعلمه أن يكون قد نسي فإن لم يقضها فتوضاً للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وقرأ هذه الآية (والموتى يبعثهم الله) وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله وكانوا لا يفقدون من أبيهم الا غيبته بل كانوا يرون منه مالا يرون من أبيهم في حياته، وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار أخيه ويسأل ويقول : هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة ؟ فكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه ، وقال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لا تبال بعداوته، وكان الحسن يقول : اخواتنا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لان أهلنا يذكروننا بالدنيا واخواننا يذكروننا بالعقبى (ويتودد باللسان) أى بالكلام مرة وبالسكوت تارة فقد ورد « رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر » الطبراني في الاوسط عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده فقال أنس : « كان عليه السلام لا يواجه أحدا بشيء يكرهه » رواه الترمذى وغيره ولكن مدار الصنجة والاخوة على النصيحة بل ورد « ان الدين النصيحة » فن قنع بالسكوت صحب أهل القبور في البيوت ، وينبغى أن تعلم أنك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجدد من تصاحبه ساعة كما ورد « الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة واخبر نقله » وانشد :

أتمنى على الزمان محالا ان ترى مقتلئى طلعة حر

فما من أحد من الناس الا وله محاسن ومساوى فاذا غلبت المحاسن المساوى فهو الغاية والمنتهى في المني ، وفي الصحيحين « لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا » فالتجسس يتطلع الاخبار والتحسس بالمراقبة بالاخبار فستر العيوب والتجاهل والتغافل عن الذنوب شيمة أهل الدين من التخلق باخلاق علام الغيوب فورد « يا من أظهر الجميل وستر القبيح » . (ويتفقد الأحوال ويظهر المشاركة معه في السرء والضراء) فورد « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه الشيخان ، وقد نظر أبو الدرداء الى ثورين يحرثان في فدان فوقف أحدهما يحك جسمه فوقف الآخر فبكى أبو الدرداء وقال : هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا رقت أحدهما واقفه الآخر ، وفي المثل لولا الوثام لهلك الأنام ، وقد

وَيَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ، وَوَرَدَ «إِذَا أَحْبَبْتَ أَحَدًا فَاسْأَلْهُ عَنْ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ
وَعَنْ مَنْزِلِهِ» وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُوهُمْ بِالْكُنَى «وَيْثَى عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ»
صَادِقًا مُقْتَصِدًا بَحِيثٌ يَبْلُغُ إِلَيْهِ فَهُوَ يُؤَكِّدُ الْمَحَبَّةَ وَيُنْبِئُ عَلَى الْعُيُوبِ مُتَلَطِّفًا فِي الْخَلَاءِ

ورد «المؤمنون كرجل واحد» اشتكى رأسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى
كله ، أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير، ولا تصحب أحدا لا يرى لك من الفضل كمثل
ما ترى له (ويدعوه بأحب الاسماء) أى أسمائه فى حال ندائه فعن عمر رضى الله عنه
ثلاث يصفين لك ود أخيك أن تسلم عليه إذا لقته وتوسع له فى المجلس وتدعوه
بأحب أسمائه إليه (وورد إذا أحببت أحدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله)
رواه البيهقى عن ابن عمر ولفظه «إذا آخيت رجلا فاسأل عن اسمه واسم أبيه فان كان
غائبا حفظته وان كان مريضا عدته وان مات شهدته» وفى رواية ابن سعد والبخارى
فى تاريخه والترمذى عن يزيد بن نعمة الضبي بلفظ «إذا آخى الرجل الرجل فليسأله
عن اسمه واسم أبيه وممن هو فانه أوصل بالمودة -ومن هو- أى من أى قوم أو قبيلة
هو» (وكان عليه السلام) يدعوم أى أصحابه الكرام (بالكنى) إذا كانوا معروفين
بالكنية كأبى بكر ونحوه حتى قال يا أبا عمير ما فعل الثغير (ويثنى عليه) أى على
أخيه (وعلى أهله) أى من أبيه وبنيه بل على صنئته وفعله وخلقه وهيبته وعقله
وجميع ما يفرح به حال كونه (صادقا) فى قوله (مقتصدا) أى متوسطا فى
مدحه لا مقصرا ولا مفرطا فى وصفه ويكون معلنا به (بحيث يبلغ إليه
فهو يؤكّد المحبة) أى يزيد لها لديه (وينبئ على العيوب) أى الناشئة من
الذنوب (متلطفا) فى بيانها (فى الخلاء) خوفا من الفضيحة فى الملاء فورد
«المسلم مرآة المسلم فاذا رأى به شيئا فليأخذه» ابن منيع عن أبى هريرة، وقد قيل
لمسعر: تجب من يخبرك بعيوبك فقال: ان نصحنى فيما بينى وبينه فنعلم وان قرعنى
فى الملاء فلا، وعن عمر رضى الله عنه «رحم الله من أهدى إلى عيوب نفسه» وقال لسلطان
وقد قدم عليه ما الذى بلغك عنى بما تكره؟ فاستغنى فالح عليه فقال: بلغنى ان لك حلتين
تلبس احدهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغنى انك جمعت بين ادمين على مائدة واحدة
فقال عمر: اما هذا فقد كفيتها فما فعل بلغك غيرهما فقال لا، وكتب حذيفة المرعشى
إلى يوسف بن اسباط بلغنى انك بعثت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم

فَقِيَ الْمَلَأَ إِفْضَاحَ وَفِيهِ الْوَعْدُ بِعِقَابِهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَسْكُتُ إِنْ عِلِمَ عَلَيْهِ بِهِ
وَعَدَمَ اتِّفَاعِ النَّصِيحِ لِكَوْنِهِ مَأْسُورَ الطَّبْعِ، وَالْقَطْعُ حَيْثُنَا سَلِمَ وَالْإِبْقَاءُ اقْرَبُ لِرَجَاءِ
تَأْثِيرِ الصُّحْبَةِ فِيهِ، فَوَرَدَ «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ صَاحِبِ الْمَسْكِ» وَلِأَنَّ الْقَطْعَ
مَنْهَى عَنْهُ بِخِلَافِ الْإِبْتِدَاءِ فَتَرْكُهُ مَأْمُورٌ بِهِ وَيَتَجَاهَلُ عَنْ تَقْصِيرِهِ إِلَّا إِذَا أَدَّى الْإِسْتِمْرَارُ
إِلَى الْقَطْعِ فَلَا أَوْلَى الْإِحْتِمَالِ

هذا فقال بسدس قلت بثن فقال: هو لك وكان يعرفك (ففي الملاء إفضاح) أي
إشاعة فيها فضاحة وإيضاح (وفيه) أي في الإفضاح (الوعد بعقابه تعالى إلى يوم
القيامة) لقوله سبحانه: (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب
أليم في الدنيا والآخرة) وهذا كله في عيب وهو غافل عنه فإنه يرجي النفع منه (ويستك
أن علم عليه به) أي بعينه (وعدم اتفافع النصيح) أي بسببه (لكونه مأسور
الطبع) لا مقهور الشرع (والقطع حيثئذ) أي قطع مصاحبتة (اسلم) بل انساب
(والإبقاء) أي إبقاء أخوته (أقرب لرجاء تأثير الصحبة فيه) فيقبل النصيحة
بعده وقيل القطع أول لمن كان ضعيفا والإبقاء لمن كان قويا (فورد مثل الجليس
الصالح مثل صاحب المسك) البخاري عن أبي موسى ولفظه «مثل الجليس الصالح
والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكبير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك
أما تشتريه أو تجديريه وكبير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة» (ولأن
القطع منهي عنه) أي في الانتهاء لحديث «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه» أحمد في
مسنده (بخلاف الابتداء فتركه مأمور به) لثلايق في البلاء بحديث «لا تصاحب
الأمونا» أي كاملا أحمد وغيره (ويتجاهل عن تقصيره) أي في خدمته أو محبته
قال الاخنف: حق الصديق أن يتحمل منه ثلاثة ظلم المعصية وظلم اللذة وظلم الهفوة
(الا إذا أدى الاستمرار إلى القطع) أي جواز مقاطعته (فالأولى الاحتمال)
وهو مختار أهل الكمال فقد اختلف الصحابة والتابعون في ادامة مودته أو مقاطعته
فذهب أبو ذر إلى الانقطاع فقال: إذا انقلب أخوك عما كان عليه فانفض من حيث
أحبته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله، وأما أبو الدرداء وجماعة
من الصحابة فذهبوا إلى خلافه فقال أبو الدرداء: إذا تغير أخوك وحاله عما كان عليه

ثُمَّ الْعَتَابُ فِي السَّرِّ وَالْكِتَابَةُ بِالْكُنْيَةِ، ثُمَّ التَّصْرِيحُ ثُمَّ الْمَشَافَهَةُ إِذَا الْمَقْصُودُ إِصْلَاحُ
النَّفْسِ بِرِعَايَةِ الْحَقِّ وَتَحْمِيلِ الْأَذَى . وَيَقْبَلُ الْمَعْدِرَةَ . فَعَلَى مَنْ لَمْ يَقْبَلْهَا مِثْلُ
إِثْمِ صَاحِبِ الْمَكْسِ ،

فَلَا تَدْعُهُ لِأَجْلِ ذَلِكَ فَإِنْ أَخَاكَ يَبُوحُ مَرَّةً وَيَسْتَقِيمُ أُخْرَى، وَفِي الْخَبَرِ : « اتَّقُوا زَلَةَ الْعَالَمِ
وَلَا تَقْطَعُوهُ وَانْظُرُوا قِسْمَهُ » الْبَغْوِيُّ فِي الْمَعْجَمِ وَابْنُ عَدَى فِي الْكَامِلِ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَوِ
ابْنِ عَوْفٍ الْمَزْنِيِّ (ثُمَّ الْعَتَابُ فِي السَّرِّ) حَكَى عَنْ أَخِيهِ مِنَ السَّلَفِ أَهْلِي أَحَدَهُمَا
مِنْ الْإِسْتِقَامَةِ قَلِيلٌ لِأَخِيهِ الْإِتْقَانِ وَتَهْجَرُهُ فَقَالَ : أَحْوَجُ مَا كَانَ إِلَى فِي هَذَا الْوَقْتُ
لَمَا وَقَعَ فِي عَشْرَتِهِ أَنْ أَخَذَ يَدَهُ وَاتْلُفَ لَهُ فِي الْمَعَاتِبَةِ عَلَى الْخَالَفَةِ وَادْعُوهُ بِالْعُودِ إِلَى
مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوَافَقَةِ (وَالْكُنْيَةُ بِالْكِتَابَةِ ثُمَّ التَّصْرِيحُ) أَيْ فِي السَّرِّ وَالْكُنْيَةِ
وَالْأَظْهَرُ أَنَّ السَّرَّ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةَ فِي الْعَلَانِيَةِ فِي حَدِيثِ عُمَرَ وَقَدْ سَلَّ عَنْ أَخٍ كَانَ أَخَاهُ
خَفَرَ إِلَى الشَّامِ فَسَأَلَ عَنْهُ بَعْضُ مَنْ قَدَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ : مَا فَعَلَ أَخِي فَقَالَ ذَلِكَ أَخُو الشَّيْطَانِ
قَالَ : مَهْ قَالَ : أَنَّهُ قَارَفَ الْكِبَارَ حَتَّى وَقَعَ فِي الْخَرْ فَقَالَ : إِذَا أُرِدْتَ الْخُرُوجَ فَأَتِ ذِي فَكْتُبْ
عَمْرٍ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَيْهِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمْدُ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ . ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ)
ثُمَّ عَاتَبَهُ تَحْتَ ذَلِكَ وَعَزَلَهُ فَلَمَّا فَرَأَى الْكِتَابَ بَكَى وَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ وَفَصَحَ لِي عَمْرٍ قَتَابَ وَرَجَعَ
(ثُمَّ الْمَشَافَهَةُ) أَيْ أَنْ كَانَ غَائِبًا وَلَمْ يَتَعَبَّ بِصَرِيحِ الْمَكَاتِبَةِ فِي الْمَعَاتِبَةِ (إِذَا الْمَقْصُودُ)
أَيْ الْأَصْلِي (إِصْلَاحِ النَّفْسِ بِرِعَايَةِ الْحَقِّ) أَيْ حَقِّ الْمَصَاحِبَةِ (وَتَحْمِيلِ الْأَذَى)
عَلَى رَجَاءِ الْمَرَاةَةِ قَدْ قِيلَ لِأَيِّ الدَّرَدَاءِ : لَا تَبْغِضْ أَخَاكَ وَقَدْ فَعَلَ كَذَا ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا ابْغِضْ
عَمَلَهُ وَلَعَلَّهُ اقْتَبَسَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : (فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) حَيْثُ لَمْ
يَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ مَرَاعَاةَ لِحَقِّ الْقَرَابَةِ وَأَخُوَّةِ الدِّينِ آ كَدَمِنْ أَخُوَّةِ الْقَرَابَةِ وَلِذَا قِيلَ
لِلْحَكِيمِ : أَيُّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ أَخُوكَ أَوْ صَدِيقُكَ فَقَالَ : إِنَّمَا أَحَبُّ أَخِي إِذَا كَانَ صَدِيقًا وَكَانَ
الْحَسَنُ يَقُولُ كَمْ مِنْ أَخٍ لَمْ تَلِدْهُ أَمْلَكَ وَلِذَا قِيلَ الْقَرَابَةُ تَحْتَاجُ إِلَى الْمُوَدَّةِ وَالْمُوَدَّةُ لَا تَحْتَاجُ
إِلَى الْقَرَابَةِ (وَيَقْبَلُ الْمَعْدِرَةَ) أَيْ وَجُوبًا (فَعَلَى مَنْ لَمْ يَقْبَلْهَا مِثْلُ إِثْمِ صَاحِبِ الْمَكْسِ)
وَهُوَ الَّذِي يَأْخُذُ بِالْمَالِ ظُلْمًا مِنَ التَّاجِرِ كَالْعَاشِرِ، وَقَدْ وَرَدَ : مَنْ اعْتَذَرَ إِلَى أَخِيهِ بِمَعْدِرَةٍ
فَلَمْ يَقْبَلْهَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطِيئَةِ مِثْلُ خَطِيئَةِ صَاحِبِ الْمَكْسِ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ وَأَبُو دَاوُدَ
فِي الْمُرَاسِيلِ مِنْ حَدِيثِ جُودَانَ، وَاخْتَلَفَ فِي صِحَّتِهِ وَبَاقِي رِجَالِهِ ثِقَاتٌ ، وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ

وَيَدْعُو لَهُ فَيَسْتَجَابُ فِيهِ مَا لَا يُسْتَجَابُ لِنَفْسِهِ وَلَهُ مِثْلُ ذَلِكَ. وَيَحْفَظُ الْوَفَاءَ
بِالْثَبَاتِ عَلَى الْحُبَّةِ مَعَهُ وَمَعَ أَهْلِهِ . وَإِخْوَانُهُ فَكَانُوا يُبَاغِتُونُ فِيهِ فَيُجِبُونَ كَلْبَ
الْحَبِيبِ ، وَوَرَدَ « إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ وَإِنْ كَرَّمَ الْعَهْدُ مِنَ الْإِيمَانِ حِينَ
أَكْرَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعُجُوزًا » وَالْأَصْلُ تَسْوِيَةُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَالْغَيْبَةِ وَالْحَاضِرِ .
وَلَا يَغْيِرُ الْحَالَ

في الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف ، هذا وقد قيل : ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك
سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فردا للزم على نفسك وقل لقلبك : ما اقساك
يعتذر اليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله فانت المعيب لا أخوك (ويدعو له)
أى فى الحضور والغيبة (فيستجاب فيه) أى فى حق أخيه (ما لا يستجاب لنفسه)
فعن عبد الله بن عمرو « ان اسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب ، أبو داود
والترمذى ، وعن أبى الدرداء « دعوة الاخ لأخيه مستجابة » رواه مسلم (وله مثل ذلك)
فى صحيح مسلم من حديث أبى الدرداء اذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قال
الملك ولك بمثل ذلك (وتحفظ الوفاء) أى وفاء العهد قال تعالى : (وأوفوا بعهد الله
اذا عاهدتم) بالثبات على المحبة معه ومع أهله وإخوانه (أى فى حال غيبته وبعد موته
وبعد زمانه) (فكانوا) أى السلف (يبأغتون فيه) كاتقدم ، وورد « قبل الوفاء
بعد الوفاة خير من كثير فى الحياة » (فيجبون كلب الحبيب) أى مراعاة لقلب الحبيب
ويشير اليه قوله سبحانه (وطلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) والله در القائل :

رأى المجنون فى البيداء كلبا قد له من الاحسان ذبلا

فلاموه على ما كان منه وقالوا لم نحت الكلب نبلا

فقال دعوا الملامة ان عيني رأتة مرة فى حى ليلي

(وورد انها) أى العجوز (كانت تأتينا أيام خديجة وان كرم العهد) أى حسنة
وبقائه (من الايمان) أى كماله (حين) أى ورد حين (أكرم عليه السلام
بعجوزا) أى دخلت عليه فقيل له فى ذلك فقال : انها الحديث (والأصل) أى فى
حقوق الصبة (تسوية الظاهر والباطن والغيبة والحضور) والا فلا يكون مراعا
موافقا بل يكون رأيًا متافقا (ولا يغير الحال) أى من التواضع فى الفعل والقول

عند ارتفاع القدر فهو من اللؤم . ولا ينفرد عنه في أكل اللذيذ . وحضور السرور ويستوحش عند فراقه ويساعده إلا فيما يخالف الحق فالوفاء فيه هو الخلاف . ويشاوره . ولا يحفظ السرعه ولا يحب عدوه لئلا يكون *

(عند ارتفاع القدر) أى باتساع الجاه أو زيادة المال (فهو من اللؤم) أى السوءة والخساسة وأصل اللؤم ضد الكرم ، ولقد قال بعض أرباب السكال :

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن وأوصى بعض السلف ابنه فقال : يا بني لاتصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك ، وحتى الربيع أن الشافعي أخى رجلا ينفد ثمن أخاه إلى السيين ومما نهر ان احدهما بالبصرة والآخر في ذنابة الفرات فتغير له عما كان عليه فكتب الشافعي هذه الايات اليه :

اذهب فودك من ودادى طالق أبدا وليس طلاق ذات البين
فان ارعويت فانها تطليقة ويدوم ودك لى على ثنتين
واذا امتعت شفعتها بمثلها فتكون تطليقتين في حيضين
فاذا الثلاث اتتك منى بته لم يغرنك ولاية السيين
(ولا ينفرد عنه في أكل اللذيذ) وكذا شره وفي لبسه بل ينبغي أن يؤثره على نفسه (وحضور السرور) لانه بحضوره يحصل نور على نور (ويستوحش) أى يحزن (عند فراقه) أى ليكمال اشتياقه اليه وقد قيل :

وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الاحباب هينة الخطب
أى سهلة الامر والنشدان عينة هذا البيت وقال لقدمت اقرانا فارقهم منذ ثلاثين سنة ماتخيل لى ان حسرتهم ذهبت من قلبي وانشدت عائشة رضى الله عنها :
ذهب الذين يعاش في اكنافهم البيت (ويساعده) أى يوافقه في الأمور (الا فيما يخالف الحق) فقد ورد « لا طاعة لخلق في معصية الخالق » أحمد والحاكم عن عمران وفي الصحيحين عن علي « لا طاعة لاحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف » وفي رواية أحمد عن أنس « لا طاعة لمن لم يطع الله » (فالوفاء) أى الوفاق (فيه) أى في الخلاف (هو الخلاف) أى الشقاق (ويشاوره) لقوله تعالى : (وامرهم شورى بينهم) (ولا يحفظ السرعه) حيث لا يخاف الشر منه (ولا يحب عدوه لئلا يكون

شريكاً له في العداوة ويخفف بترك التكلف والتكليف في أداء الحقوق
وغيرها كنوافل العبادة تركاً وإتياناً ،

شريكاً له في العداوة) أى ومن الوفاء ان لا يصادق عدو صديقه ، قال الشافعى : اذا
أطاع صديقك عدوك فقد اشتراكا في عداوتك (ويخفف) أى ثقالة الصعبة ومؤنة
الكلفة (بترك التكلف) أى في نفسه (والتكليف) لصاحبه (في أداء الحقوق
وغيرها) والمراد بها ما يلزم مروءة لا لزوم شريعة قال بعض الحكماء : تمام التخفيف
بطل بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه ، ومن هنا قيل اذا ثبتت
الحبة سقط الأدب ، وقال على رضى الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك
الى مداراته والجلالك الى اعتذاره في حالته ، وقال الفاضل : انما تقاطع الناس بالتكلف يزور
احدهم اخاه فيتكلف له فيقطع ذلك عنه ، وقيل لبعضهم من تصحب قال من يرفع عنك نفل
التكلف هو نعمة قط ينالك وينته مؤنة التحفظ ، وعن جعفر بن محمد أنفل اخوانى على من يتكلف
لى واتحفظ منهم واخفهم على قلبى من اكون كما اكون وحدى . والحاصل انه لا ينبغي
ان يكلف اخاء ما يشق عليه في حالاته بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفقه عن
ان يحمله شيئا من اعبائه ومشقاته مؤناته ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاجواله والقيام
بمحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تبر كابدعائه واستيناسا بلفائه واستعانة به على دينه
وتقربا الى الله تعالى في تقوية يقينه ، وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء
الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت يعنى لانهم كل ما يرونه انما يرونه من الرب
ولا ينظرون الى السبب وقال آخر : لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر
عنك اذا أسأت ويحمل عنك مؤنة تفصك ويكفيك مؤنة نفسه وهذا عزيز الوجود في
ميدان الشهود (كنوافل العبادة تركا وإتيانا) أى فعلا قال الامام حجة الاسلام :
ومن التخفيف وترك التكلف والتكليف ان لا يعترض في نوافل العبادات لان طائفة
من الصوفية يصلحون على شرط المساواة بين أربعة معان ان أكل احدهم الدهر كله لم
يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان
جلى الليل كله لم يقل له نم وتستوى حالاته عنده بلامزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت
بحرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة ، وقد قيل من سقطت كلفته دامت ألفته ومن خفت
مؤنته دامت مودته ، ومن مفادات شيخنا العارف بالله الولي نور الدين على المتقى في هامش

فورد «أنا واتقياء أمتي براء من التكلف، ويرفع الآداب عند تمام الاتحاد
فالمقصود صفاء القلب والآداب عنوانه، ويزور غبا» فورد «زرغبا زردحبا»
إلا أن يأمن من الملل وينوي فيه الاستئناس باللقاء والاستعانة على الدين،

هذا الكتاب الموجز النقي: أعلم أن الله تعالى خفف على عباده في عبادات التوافل تخفيفين
أحدهما أنه خفف في أصل التكليف يعني إذا لم يأت الشخص بعبادة النفل رأسا لا
تكلف عليه ولا مؤاخذه لديه، وثانيهما في وصفه من التكلف لجواز صلاة النفل حالة
العود مع القدرة والر كوب متوجها إلى أي جهة ونحوها فينبغي للمصاحب أن يتخلق
بأخلاق الله تعالى ويخفف في حقوق الصفة مثل هذا التخفيف في عبادة النافلة مثلا إذا
اشتراط المصاحبان على انفسهما شرطين بأن قال أحدهما على مؤنة السلق والطبخ وقال
الآخر: على تحصيل الماء والخطب فإذا قصر أحدهما في شرطه بأن يأت بأصل الشرط
مطلقا فلا يؤاخذه لأن التكلف متروك في النفل وإذا أتى بأصل الفعل ولكن أتى بترك
التكلف بأن طبخ طعاما مالحا أو قليل الملح فلا يؤاخذه لأن التكلف متروك أيضا وعلى
هذا القياس ينبغي في جميع حقوق الصفة مراعاة هذه القاعدة الصعبة، والله در المؤلف
حيث أتى بهذه العبارة الوجيزة في مبانيها مع كثرة معانيها ﴿فورد أنا واتقياء أمتي
براء من التكلف﴾ الدار قطنى في الأفراد من حديث الزبير بن العوام ولفظه «الا
أني برى من التكلف وصالحوا متي» واسناده ضعيف ويقويه قوله تعالى: (قل ما أسألكم
عليه من أجر وما أنا من المتكلمين) أى المتكلمين القرآن من تلقاء نفسى فمن يقول شيئا
من تلقاء نفسه فقد تكلف في امره وكذا الحكم في فعله ﴿ويرفع الآداب﴾ أى من
القيام والاعتذار ونحوهما مع أهل الوداد ﴿عند تمام الاتحاد﴾ فعند كمال الانبساط
مع الأصحاب يطوى بساط الآداب ﴿فالمقصود صفاء القلب﴾ مع اجاب الرب
﴿والآداب﴾ أى الظاهر ﴿عنوانه﴾ فإذا عرف أصل المكتوب فلا يحتاج إلى
عنوانه من المطلوب ﴿يزور﴾ أى صاحبه ﴿غبا﴾ أى يوما بعد يوم أو وقتا بعد
وقت ﴿فورد زرغبا زردحبا﴾ للحصول الاشتياق إلى الوصال ﴿الا أن يأمن من
الملل﴾ أى الموجب للقطع في الاستقبال ﴿وينوي فيه﴾ أى في التزاور ﴿الاستئناس﴾
أى طلب الانس ﴿باللقاء﴾ أى لقاء أهل اليقين ﴿والاستعانة على الدين﴾ كما هو

والتقرب إليه تعالى بأقامة الحق وتحمل المؤنة ويسلم على المسلم وإن لقيه مرارا
أوحالت شجرة أو جدار ناويا تجديد عهد الاسلام أن لا يؤذى في عرضه وماله
قبل الكلام، فورد « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجبه حتى يبدأ بالسلام،

شأن المجتهدين » والتقرب اليه تعالى بأقامة الحق أي حق الاخوة والصحة)) وتحمل
المؤنة)) أي كلفة الالفة، ففي مسند احمد وغيره عن ابن عمر « المؤمن الذي يخاطب الناس
ويصبر على أذاهم افضل من المؤمن الذي لا يخاطب الناس ولا يصبر على أذاهم » وفي رواية
الدارقطني عن جابر « المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف خير
الناس انفعهم للناس » وقد قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) الآية
هذا وجاء في الخبر « ان الله يقول حق محبي للذين يتزاوون من اجلي وحق محبي
للذين يتحابون من اجلي » احمد من حديث عمرو بن عتبة وعادة بن الصامت والحاكم
وصححه، وعن أنس « ما زار رجلا في الله الا ناداه ملك من خلقه طبت وطابت لك
الجنة » رواه ابن عدى والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة « من عاد مريضا أو
زار اخا في الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبأت من الجنة منزلا »
وعنه عليه السلام « ان رجلا زار أخاه في الله فارصد الله له ملكا فقال اين تريد ؟ قال اريد
ان أزور اخي فلانا فقال لأحاجة لك عنده ؟ قال لا قال أقرابة بينك وبينه ؟ قال لا قال فلنعمه
له عندك ؟ قال لا قال فم قال احبه في الله قال فان الله ارسلني اليك يخبرك بانه يحبك
لحبك اياما وقد اوجب لك الجنة » رواه مسلم من حديث أبي هريرة « (ويسلم على المسلم)
صغيرا او كبيرا غنيا او فقيرا الحديث » افشوا السلام واطعموا الطعام » الترمذي عن
أبي هريرة، وفي رواية الحاكم عن أبي موسى « افشوا السلام بينكم تحابوا » وفي رواية البيهقي
من حديث هاني بن يزيد « ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام » (وان
لقيه مرارا) أي مرة بعد مرة لعموم قوله عليه السلام « حق المسلم على المسلم ست اذا
لقيته فسلم عليه » رواه مسلم (اوحالت شجرة أو جدار) وكذا السطوانة (ناويا)
أي بهذا السلام (تجديد عهد الاسلام) أي بـ (ان لا يؤذى) بصيغة المعلوم أو
المجهول (في عرضه وماله) أي وسائر أحواله (قبل الكلام) متعلق بيسلم أي يأتي
بالسلام قبل ان يشرع في الكلام فانه تحية أهل الاسلام حتى في دار السلام (فورد
من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجبه) أي لا ترد عليه الكلام (حتى يبدأ بالسلام)

وَعِنْدَ الدُّخُولِ فِي بَيْتِهِ وَبَيْتِ غَيْرِهِ لَثَلًا يَدْخُلُ الشَّيْطَانُ مَعَهُ وَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ،
وَإِنْ كَانَ خَالِيًا فَتَحِيَّتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَالْمَلَأَتْكَ تَرْدَهُ وَالدُّخُولُ
فِي قَوْمٍ وَالْخُرُوجُ عَنْهُمْ لِيَكُونَ مُشَارِكًا لَهُمْ فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَيُبْدَأُ بِهِ فَهُوَ الْمُرَوِيُّ

أى ويترك الابتداء بالكلام، والحديث رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية
عن ابن عمر ولفظه «من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه» (وعند الدخول في
بيته) أى يسلم على أهله فللترمذى عن أنس أنه قال عليه السلام «له إذا دخلت على أهلك
فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك» (وبيت غيره) أى كذلك (لثلا يدخل
الشیطان معه) لحديث جابر «إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فان الشيطان اذا
سلم أحدكم لم يدخل بيته، الخرائطى في مكارم الاخلاق (وهو مأثور بد) أى فى
قوله تعالى: (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى على جنسكم من المسلمين (وان
كان) أى البيت (خاليا) وهو اعم من بيته وبیت غيره (فتحيته) أى حينئذ
يكون بلفظ (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فالملأتك) أى الحفظة أو
الكتبة (ترده) فانهم من جملة عباد الله الصالحين (والدخول) أى ويسلم عند دخوله
(في قوم) أى على قوم وهو ظاهر متعارف (والخروج) أى ويسلم أيضا عند
خروجه (عنه) ليكون مشاركا لهم فى كل خير (أى ابتداء وانتهاء ولان السلام الاول
للبلافة والثانى للموادعة ولعل هذا وجه التكرار فى قوله سبحانه: (لا يسمعون فيها
لغو ولا تأثيما إلا قلائسا لا ماسلاما) ولاى داود والترمذى وحسنه من حديث أنى هريرة
«إذا انتهى أحدكم الى مجلس فليسلم فان بداله ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست
الاولى باحق من الآخري» (ويبدأ به) أى بالسلام (فهو المروى) أى عنه عليه
السلام انه كان يبدأ بالسلام كما فى الشمائل، وفى نسخة ويدير، وفى مسند احمد عن أنى امامة
«من بدأ بالسلام فهو أولى بالله ورسوله» وقد قال العلماء: ان هذه سنة اجراها أكثر من
جواب السلام مع انه فرض وذلك لما فى البدء به من التواضع ولانه تسبب فى اداء
الفرض، وقد ورد «اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل
درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا رد عليه ملا خير منهم واطيب، اليهقى فى
الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا والبخاري عنه مرفوعا «السلام اسم من اسماء
الله تعالى وضعه الله فى الارض فافشوه بينكم فان الرجل المسلم اذا مر بقوم فسلم عليهم»

وَلَا يُسَلِّمُ عَلَى جَمْعِ النِّسَاءِ وَيُرَدُّ عَلَيْهِنَّ وَلَا عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالْأَذَانِ وَقَضَاءِ
الْحَاجَةِ وَنَحْوِهَا فَلَا يَكْلُمُ فِيهَا . وَلَا اللَّعِبَ بِالشَّطْرَنْجِ وَنَحْوِهِ إِهَانَةً . وَلَا يَرُدُّ
فِيهَا . وَيَزِيدُ فِي الْجَوَابِ ، فَرَدَّدَ (وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها)
وَالْأَوَّلَى بِالْبَدَاةِ الدَّاخِلِ وَالْمَاشَى وَالرَّاكِبِ وَالصَّغِيرِ وَالْقَلِيلِ ،

الحديث (ولا يسلم على جمع النساء) أى من الاجانب (ويرد عليهن) أى اذا
سلمن عليه فان الرد فرض فلا يترك لتوهم الوقوع فى الريبة ، وكان أنس يمر على الصبيان
فيسلم ويروى عن رسول الله ﷺ انه فعل ذلك رواه الشيخان ، وفى النسائي عن أنس
« انه عليه السلام كان يزور الانصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم ، (ولا)
أى ولا يسلم (عند تلاوة القرآن) أى لا على تاليه ولا على مستمعيه لئلا يقع خلل فيه
(والأذان) لاشتغال المؤذن والمجيب به (وقضاء الحاجة ونحوها) أى من الحمام
وكشف العورة وحالة الجماع (فلا يكلم فيها) أى مطلقا فضلا عن السلام ورده ،
وعن ابن عمر « أن رجلا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يرد عليه ،
(ولا اللعب) أى ولا يسلم عند اللعب (بالشطرنج) أى على لاعبه ومن معه من
صاحب (ونحوه) أى النرد ومجلس الشرب وآلات القناء وأمثالها (إهانة) ولا يرد
فيها) أى فى المذكورات التى لا يسلم فيها (ويزيد فى الجواب) أى بطريق الاستحباب
(فورد واذا حييتم بتحية) أى اذا سلم عليكم بسلام وقيل السلام عليكم (فحيوا باحسن
منها) أى بالزيادة عليها فقولوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته (أو ردوها)
أى قولوا فى جوابها مثلها (والاولى بالبداة) أى ببداة السلام (الداخل) على
المدخول عليه (والماشى) على القاعد ونحوه (والراكب) على النازل (والصغير)
على الكبير (والقليل) على الكثير ، ففى الصحيحين عن ابى هريرة « يسلم الراكب
على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير واذا بلغ
سلاما من أحد فليقل وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، رواه الستة عن عائشة أو
« وعليك وعليه السلام ، رواه النسائي عن أنس كذا فى الحصن فيجوز الاكتفاء
بالأول والجمع بينهما أفضل وأو للتويع فى اختلاف الرواية ، وفى الاذكار يعنى اذا
بعث انسان مع انسان سلاما فقال الرسول: يسلم عليك فلان يجب عليه أن يرد على

وَرَدَّ « إِذَا سَلَّمَ وَاحِدٌ مِنَ الْقَوْمِ أَجَزَ عَنْهُمْ، وَلَا يُشِيرُ بِالْأَصْبَعِ وَلَا الْكُفَّ
فَهُوَ عَادَةُ الْكُفَّارِ مِنْهُيٌّ عَنْهُ، وَلَا يَخْصُ الْمَعَارِفُ،

القول ويستحب أن يرد على المبلغ أيضا فيقول عليك وعليه السلام، ثم الأفضل أن يقول المسلم السلام عليكم بصيغة الجمع وإن كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ويأتي بواو العطف ويجوز تكثير السلام أيضا، وأما الجواب فقل الاستحباب عليك السلام أو وعليكم السلام فإن حذف الواو فقال عليكم السلام اجزأ ذلك، وفي الصحيحين عن أبي هريرة « خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال له اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحبونك فأنها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوا ورحمة الله، انتهى، وفيه دليل على أن السلام عليك يصلح للتحية وجوابها لكن بشرط أن يكون أحدهما بعد الآخر فلا تقام معا فانه حيث يجب على كل واحد جواب الآخر فتدبر (وورد إذا سلم واحد من القوم أجزأ عنهم) مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم مرسلا، ولا يداود من حديث علي يجرى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم فلم أن السلام سنة كفاية فإن جوابه فرض كفاية، وفي الدليل على أن السلام تطوع والرد فريضة (ولا يشير بالأصبع ولا الكف فهو عادة الكفار) أي من أهل الكتاب (منهى عنه) فقه الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « لا تشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصبع وتسليم النصارى الإشارة بالكف » وفي رواية أبي يعلى وغيره عن جابر « تسليم الرجل بأصبع واحدة يشير بها فعل اليهود » والمعنى أنه لا يكتفى بها عند السلام فلو جمع بين الإشارة والسلام لزيادة الإعلام أو لبعد المقام أو لكون المسلم عليه لا يسمع الكلام فلا بأس به إلا أنه لا بد من إسماع كل منهما خلافا لما يفعله كثير من العامة وبعض الطلبة باخفاء السلام أورده والاكتفاء بإشارة بعض الأعضاء من اليد أو الرأس، ويؤيده حديث عبد الحميد ابن بهرام أنه عليه السلام « مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود قالوا يبيده بالتسليم أي مقرونابه وأشار عبد الحميد يده » رواه الترمذي وقال حسن وقال أحمد لا بأس به ورواه أبو داود وابن ماجه من وجه آخر (ولا يخصص المعارف) بالتسليم

فَهُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ . وَلَا يَبْدَأُ بِعَلَيْكَ السَّلَامُ فَهُوَ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ . وَيُصَافِحُ
لَا سِيَّامَا الْكِبَرَاءُ فِي الدِّينِ فَهُوَ مِنْ تَمَامِ التَّحِيَّةِ ، وَوَرَدَ « فِيهَا قُسِمَتْ مِائَةٌ مَغْفِرَةٍ
تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ لِأَحْسَنِهَا بَشَرًا »

بل يعلم السلام على من يعرف ومن لا يعرف اذا عرف بالاسلام فان السلام من حقوق
المسلم على المسلم (فهو) أى تخصيص المعارف بالسلام (من اشراط الساعة)
اى علاماتها التى من جعلتها قلة العلم وكثرة الجهل (ولا يبدأ بعليك السلام فهو
تحية الميت) أى يجوز ان يقال له ذلك و يقال السلام عليك اذ صح انه عليه السلام
قال « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك
السلام فقال ان عليك السلام تحية الميت قاله ثلاثا ثم قال اذا لقي أحدكم أخاه فليقل
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » رواه الترمذى والنسائى فى اليوم والليلة . وقال
الترمذى : حسن صحيح (و يضاف) أى صاحبه من المتقين (لاسيما الكبراء والدين)
من العلماء والأولياء والشرفاء اذا كانوا من الضعفاء لالسلطين والأمراء والوزراء
(فهو) أى التصافح (من تمام التحية) وعن الحسن المصافحة تزيد فى المودة ، وعن
أبي هريرة مرفوعا « تمام تحياتكم بينكم المصافحة » الخرائطى فى مكارم الاخلاق وهو
عند الترمذى من حديث أبى امامة وضعفه (وورد فيها) أى فى المصافحة (قسمت مائة
مغفرة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا) فعن أبى هريرة « اذا التقى المسلمان فتصافحا
قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لاشبهما وأطلقهما وابرهما واحسنهما مساواة
بأخيه » الطبرانى فى الأوسط ، وعن أنس « اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما مائة
رحمة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا » الخرائطى بسند ضعيف ، وعن عمر مرفوعا
« اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادى
تسعون وللمصافح عشرة » البزار فى مسنده والخرائطى واللفظ له والبيهقى فى الشعب
وقد ورد « قبله المسلم أخاه المسلم المصافحة » الخرائطى وابن عدى من حديث أنس وقال
غير محفوظ والمعنى ان المصافحة تقوم مقام قبلة اليد وفى الاحياء ولا بأس بقبلة يد
المعظم فى الدين تبركاه وتوقيرا له فعن عمر « قلنا يا نبي الله صلى الله عليه وسلم » أبو داود بسند
حسن ، وعن كعب بن مالك « قال لما نزلت توبتى آتيت النبى صلى الله عليه وسلم وقبلت يده » أبو بكر
ابن المقرئ فى كتاب الرخصة فى قبيل اليد بسند ضعيف وروى ان اعرايا قال يا رسول الله

وَيَجْعَلُ الْأَصَابِعَ فِي الْأَصَابِعِ . وَلَا يَدْعُ حَتَّى يَدْعَ صَاحِبَهُ فَهُوَ السَّنَةُ لِأَمِنْ
وَرَاءِ الثَّوْبِ فَهُوَ جَفَاءٌ مِنْ عَادَةِ الْكُفَّارِ وَيُعَانِقُ الْقَادِمَ . وَيَأْخُذُ رِكَابَ الْعُلَمَاءِ
لِلتَّوْقِيرِ . وَيُوسِعُ الْمَجْلِسَ

أَتَذُنْ لِي فَأَقْبِلْ رَأْسَكَ وَرَجْلَيْكَ قَالَ فَاذْنُلْهُ فَقَعَلَ الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ بَرِيدَةَ وَقَالَ صَحِيحُ
الْإِسْنَادِ وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ « أَنَّهُ سَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ حَتَّى
فَرَغَ مِنْ وَضُوئِهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ وَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ فَصَاحَهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كُنْتُ أَرَى هَذَا إِلَّا
مِنْ أَخْلَاقِ الْأَعَاجِمِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ إِذَا اتَّقَى وَتَصَالَحَا تَحَاتَّتْ ذُنُوبُهُمَا »
الْحَرَاظِيُّ بِسَدِّ ضَعِيفٍ وَهُوَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَةَ مُحْتَصَرًا « مِمَّنْ مُسْلِمِينَ
يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ الْإِغْفَرَ لِمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا » (وَيَجْعَلُ الْأَصَابِعَ فِي الْأَصَابِعِ) أَيِ
أَصَابِعِهِ فِي أَصَابِعِ أَخِيهِ وَهَذَا غَيْرُ مَحْفُوظٍ فِي السَّنَةِ وَلَا هُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ اللَّفْظِ إِذْ مَفْهُومُهَا
وَضَعُ صَحْفَةِ الْكَفِّ وَالْيَدِ أَوْ أَصَابِعَهَا فِي كَفِّ صَاحِبِهِ وَنَحْوِهِ (وَلَا يَدْعُ) أَيِ يَدِ أَخِيهِ
(حَتَّى يَدْعَ صَاحِبَهُ) أَيِ يَدِهِ فَيَدُلُّ عَلَى كَيْلِ التَّوَاضُعِ وَإِظْهَارِ الْمُسْكِنَةِ وَالطَّيْرَانِي فِي الْاَوْسَطِ
بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « كَانَ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ يَدَهُ فَيَنْزِعُ يَدَهُ حَتَّى
يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَرْسُلُهُ وَلَمْ يَكُنْ تَرَى رِكْبَتَهُ خَارِجَةً عَنْ رِكْبَةِ جَلِيسِهِ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ
يُكَلِّمُهُ إِلَّا أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ ثُمَّ لَمْ يَصْرِفْهُ عَنْهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ كَلَامِهِ » وَلَا فِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ
وَابْنِ مَاجَةَ نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ (فَهُوَ السَّنَةُ) الْمُرُوءِيَّةُ فِي شِمَائِلِهِ مِنْ فَضَائِلِهِ (لَا مِنْ
وَرَاءِ الثَّوْبِ) أَيِ لَا يَصَافِحُ مِنْ وَرَاءِ الْأَكْمَامِ (فَهُوَ جَفَاءٌ مِنَ الْعَادَةِ الْكُفَّارِ) أَيِ
الْمُسْكِرِينَ مِنَ الْأَعْجَامِ وَالْأَرَوَامِ (وَيُعَانِقُ الْقَادِمَ) أَيِ الْوَاصِلِ مِنَ السَّفَرِ وَفِي الْأَحْيَاءِ
إِنَّ الْأَلْتَزَامَ وَالتَّقْيِيلَ وَرَدَّ بِهِ الْخَبَرُ عِنْدَ الْقُدُومِ مِنَ السَّفَرِ وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ
عَائِشَةَ قَالَتْ قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، الْحَدِيثُ فِيهِ فَاعْتَقَهُ وَقَبْلَهُ وَقَالَ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ
« مَا لَقِيْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا صَاحِفِي وَطَلَبَنِي يَوْمًا فَلَمَّا كُنْتُ فِي الْبَيْتِ فَلَمَّا أَخْبَرْتُ جِئْتُ وَهُوَ
عَلَى سُرِيرٍ فَالْتَزَمَنِي فَكَانَتْ أَجُودُ وَأَجُودُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (وَيَأْخُذُ رِكَابَ الْعُلَمَاءِ
لِلتَّوْقِيرِ) فَقَدْ فَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ ذَلِكَ بِرِكَابِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ زَيْدٍ
أَيِ بِرِكَابِهِ حَتَّى رَفَعَهُ وَقَالَ هَكَذَا فَعَلُوا بِزَيْدٍ وَأَصْحَابِهِ (وَيُوسِعُ الْمَجْلِسَ) مُسْجِدًا كَانَ
أَوْ غَيْرَهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ) بِلِسَانِ الْقَالَ أَوْ بَيَانِ الْحَالِ . (تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ
فَاتَفَسَّحُوا يَفْسَحُ اللَّهُ لَكُمْ) وَالتَّفْسِيحُ الْوَسْعُ ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ « لَا يَقُمُ

وَيُكْرَمُ الدَّاحِلُ فَيَسْطُ الثَّوبُ وَيَخْفُفُ الصَّلَاةُ وَيَشْتَغِلُ بِهِ ، ثُمَّ يَعَاوِدُ فِيهَا
فَالْكُلُّ مَرُورٌ ،

الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا ، وعنه عليه السلام :
« إذا أخذ القوم بمجالسهم فإن دعا رجل أخاه فأوسع له فليأته فانما هي كرامة من الله
عز وجل أكرمها أخاه فإن لم يوسع له فلينظر إلى أوسع مكان يجده فليجلس فيه ، بغوى
في معجم الصحابة من حديث ابن أبي شيبة ورجاله ثقات ، وابن أبي شيبة هذا ذكره أبو موسى
المديني في ذيله في الصحابة (ويكرم الداخل) ان كان من ذوى الفضائل أو الفواضل
(فيبسط له الثوب) أى من الرداء ونحوه ، فروى انه عليه السلام « دخل بعض بيوته
فدخل عليه أصحابه حتى وحش المجلس فامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد
مكنا فاقعد على الباب فلف عليه السلام رداءه فالتقاء اليه فقال له اجلس عليه فاخذه
جرير ووضع على وجهه وجعل يقبله ويبكى ثم لفه ورمى به اليه عليه السلام وقال : ما كنت
لاجلس على ثوبك أكرمك الله كما أكرمتني فظفر النبي عليه السلام يميناً وشمالاً ثم قال : اذا
أتاكم كريم قوم فاكرموه ، الحاكم من حديث جابر وقال : صحيح الاسناد ، وروى
« ان ظن رسول الله عليه السلام التي ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال مرحبا بامى
ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعى تشفعى وسلى تعطى فقالت قومي فقال اما حقى
وحق بنى هاشم فبولك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله سم وصلها
بعد ووهب لها سهمانه بخير وهى احد عشر سهماً فبيع ذلك من عثمان بن عفان بمائة ألف
درهم ، كذا فى الاحياء ، ورواه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي الطفيل مختصراً
في بسط رداءه لها ذروا ما بعده ، ولاحمد من حديث ابن عمر انه دخل عليه عليه السلام فالتقى
له وسادة من ادم حشوها من ليف ، الحديث واسناده صحيح ، والطبرانى من حديث سلمان
« دخلت على رسول الله عليه السلام وهو متكئ على وسادة فالتقاها الى الحديث وسنده ضعيف
(ويخفف) أى المدخول عليه (الصلاة) فريضة او نافلة (ويشغل به) أى
باكرامه من سلامه وكلامه وتحصيل مرامه (ثم يعاود فيها) أى فى اتمام صلاته
(فالكل مروي) الا أن تخفيف الصلاة الخ ليس له أصل فى السنة (ولا ينحنى)
فان الانحناء يكره للسلطين وغيرهم ولانه صنيع أهل الكتاب كذا فى المحيط والذخيرة
ولانه شبيه بالركوع الذى هو ركن من اركان الصلاة فكما لا يجوز ان يسجد احد للاحد

وَلَا يَقُومُ فَهُوَ مِنْهُ عَنِ مَنِ عَادَةِ الْأَعَاجِمِ . وَيُوقِرُ الْكِبَرَاءَ كَالْعُلَمَاءِ
وَالصُّلَحَاءِ وَالشُّرَفَاءِ وَالشُّيُوخِ وَيَقْدِمُهُمْ فِي الْمَشِيِّ ، وَالْكَلَامِ وَالْجُلُوسِ ، فُورِدَ
«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوقِرْ كَبِيرَنَا وَلَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا»

لا يجوز أن ير كح له، وكذا القيام على هيئة الوقوف في الصلاة لحديث « من سره أن
يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » أبو داود والترمذي وحسنه من حديث
معاوية ، وعن أنس « قلنا يا رسول الله اينحنى بعضنا لبعض؟ قال : لا قال فيقبل بعضنا
بعضاً؟ قال لا قال فمصافح؟ قال نعم » الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه احمد والبيهقي
وفي الاحياء « لا بأس بالانحناء لدفع شر الاشقياء » (ولا يقوم) أى للدخول كما هو
عادة أهل المحافل (فهو منهي عنه) أى في الحديث معطل بانه (من عادة الاعاجم)
فمن أبى امامة « اذ رأيتهم في القوموا كما يقوم الاعاجم » أبو داود وابن ماجه، وعن
أنس « ما كان شخص احب اليانا من رسول الله ﷺ وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما
يعلمون من كراهيته لذلك » الترمذي وقال حسن صحيح، وفي الاحياء ان القيام مكروه
على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام، اقول وقد صار هذا القيام من الابتلاء العام اذ
يترتب على تركه أنواع الملام فيكون النهي للتنزيه في هذا المقام ، وعن ابن
مسعود مرفوعاً موقوفاً ومارآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، واما ما في صحيح
مسلم عن أم هانئ « أنها سألت على النبي ﷺ فقال من هذه؟ فقيل له أم هانئ. فقال عليه
السلام مرحباً بأم هانئ. » فمحمول على زيادة الترحيب للاكرام بعد جواب السلام
(ويوقر الكبراء) أى العظاماء في الرتبة او السن (كالعلماء) العاملين (والصلحاء)
الكاملين (والشرفاء) الطاهرين (والشيوخ) السابقين لتقدمهم في دخول
الاسلام فلم يقدم صدق وبتينهم سبق في هذا المقام وقد قال تعالى : (والسابقون السابقون)
ليكن تقدم الرتبة من العلم والتقوى والنسب على مجرد كبر السن في الحسب، و اشار المصنف
الى الترتيب في غاية من التهذيب فالعلماء قال تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
اتوا العلم درجات) والمتقون كما قال عز وعلا : (انا اكرمكم عند الله اتقاكم)
(ويقدمهم في المشي) اذا ضاق المقام (والكلام والجلوس فورد ليس منا) أى من
اتباعنا واشياعنا (من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا) رواه أحمد والترمذي عن

وَأَوْعَدَ فِي التَّقْدِيمِ عَلَى الْكَبِيرِ بِالْفَقْرِ • وَيُرَاعَى قَلْبُ الصَّغَارِ • فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُبَالِغُ فِيهِ ، وَيَتَكَفَّلُ الْيَتِيمَ . فُورَدَ « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ »

ابن عباس واحمدو الحاكم عن عباد بن الصامت بزيادة « ولم يعرف لعالمنا حقه ، وفي رواية لاحد والترمذى والحاكم عن ابن عمرو بلفظ « من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا » وللبخارى في تاريخه . وأبي داود عن ابن عمرو بلفظ « من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا » (واوعد) بصيغة المجهول أى جاء الوعد (في التقديم) أى تقديم الصغير (على الكبير بالفقر) أى بسبب فقر الكبير او المعنى أوعد بالفقر بخلاف من عظم الكبير فانه يقدر له من يعظمه في كبره ، ففي الخبر « ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قبض الله له في سنه من يكرمه » وهذا بشارته بطول عمره وسهولة امره ، والحديث رواه الترمذى عن أنس ، ومن تمام توفير المشايخ ان لا يتكلم بين أيديهم الا باذن قال جابر : « قدم وفد جبهة على النبي ﷺ فقام غلام ليتكلم فقال عليه السلام مه فابن الكبير ؟ » الحاكم وصححه مسلم (ويراعى قلب الصغار) أى الاطفال وغيرهم دون البلوغ (فكان عليه السلام يباليغ فيه) أى في مراعاة قلوبهم فكان يمسح رؤوسهم ويدعو لهم ويجلسهم في حجره ويحنكهم وقد كان يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه وخلفه ويأمر أصحابه بان يحملوا بعضهم فرما تفاخر الصبيان بعضهم لبعض حملنى رسول الله ﷺ » رواه مسلم من حديث عبدالله بن جعفر . كان اذا قدم من سفر تلقى بنا قال فتلقى بي وبالحسن أو بالحسين قال : فحمل احدا بين يديه والآخر خلفه ، وفي رواية « تلقى بصبيان أهل بيته وانه قدم من سفر فسبقني اليه لجملى بين يديه ثم جئى باحد ابني فاعلمته فاردفه خلفه » وفي الصحيحين وان عبدالله بن جعفر قال لابن الزبير انه ذكر اذ تلقانا رسول الله ﷺ انا واثنت وابن عباس قال زعم لحملنا وتركك ، هذا اعظم مسلم وقال البخارى ان ابن الزبير قال لابن جعفر فانه أعلم كذا قاله مخرج الاحياء ، ولا يبعد ان يحمل على قضيتين فيكون في كل منهما جبر لحاظ الآخر فتدبر ، ولاحد بن منيع من حديث حسن بن على « عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره يلاعب صبيا اذ بال فقامت لنا خذوه وتضربه فقال دعيه ائتوني بكوز من ماء » الحديث واسناده صحيح (ويتكفل اليتيم) قريبا او اجنبيا (فورد انا و كافل اليتيم) أى مربيه ومصلحه

كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ وَأَشَارَ إِلَى الْمُسْبَحَةِ وَالْوُسْطَى « وَيُظْهِرُ الْبَشَاشَةَ ، فَوَرَدَ
« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ السَّهْلَ الطَّلَقَ ، وَيُشَمِّتُ الْعَاطِسَ الْمُحَمَّدَ بِدُعَاءِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفَرَةِ »
وَيُجِيبُ بِدُعَاءِ الْهُدَايَةِ وَالصَّلَاحِ فَفِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ إِلَّا إِذَا زَادَ عَلَى الثَّلَاثِ ، فَوَرَدَ
« إِنَّهُ زَكَامٌ »

(كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ وَأَشَارَ إِلَى الْمُسْبَحَةِ وَالْوُسْطَى) وهو كناية عن كمال الرتبة وجمال
القربة ، والحديث رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي عن سهل بن سعد بلفظ
« أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ ، هَكَذَا وَلابْنُ مَاجَهٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ « خَيْرِيَّتٌ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ يَتِيمٌ فِيهِ يَتِيمٌ يَحْسَنُ إِلَيْهِ وَشَرِيَّتٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتِيمٌ فِيهِ يَتِيمٌ يَسَاءُ إِلَيْهِ » ولأحمد
والطبراني من حديث أبي أمامة « مَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ كَانَتْ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ يَمُرُّ عَلَيْهَا
يَدُهُ حَسَنَةٌ » ولابن حبان من حديث ابن أبي أوفى « مَنْ مَسَحَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ رَحِمَهُ »
الحديث (وَيُظْهِرُ الْبَشَاشَةَ) أى الانبساط إذا حضر مع أصحابه في بساط النشاط
(فَوَرَدَ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ السَّهْلَ) أى اللين الهين (الطَّلَقَ) بفتح فسكون أى صاحب طلاقة
الوجه ، والحديث رواه البيهقي عن أبي هريرة بلفظ الطليق ، وقد ورد « أَتَدْرُونَ عَلَى
مَنْ حَرَمْتُ النَّارَ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ عَلَى الْهَيْنِ السَّهْلِ الْقَرِيبِ » الترمذي
وحسنه عن ابن مسعود (وَيُشَمِّتُ) أى يجيب (الْعَاطِسَ الْمُحَمَّدَ) أى الذى قال
الحمد لله بعد عطاسه (بِدُعَاءِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفَرَةِ وَيُجِيبُ بِدُعَاءِ الْهُدَايَةِ وَالصَّلَاحِ)
اتفق العلماء على أنه يستحب للعاطس أن يقول : الحمد لله عقيب عطاسه ويستحب
عند الشافعى ويجب عندنا على من سمعه أن يقول له يرحمك الله ويستحب للعاطس
بعد ذلك أن يقول يهديكم الله ويصلح بالكم أو ينفرا لله لنا ولكم ، والإحاديث في هذا
الباب كثيرة كما بيناها في شرح الحصن وأما إذا لم يحمد العاطس فلا يستحق الجواب لما
في الصحيحين عن أنس « أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَمَّتْ عَاطِسًا وَلَمْ يُشَمِّتْ آخَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ
فَقَالَ أَنَّهُ حَمْدُ اللَّهِ وَأَنْتَ سَكَتَ » (ففیه فضل كثير) أى وأجر كبير (إلا إذا زاد
على الثلاث فورد أنه زكام) فعن أبي هريرة « شَمَّتْ أَحَاكَ ثَلَاثًا فَازْدَادَهُ زَكَامٌ » أبو
داود ، وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع « أَنَّهُ شَمَّتْ عَاطِسًا فَعَطَسَ آخَرُ فَقَالَ إِنَّكَ
مِنْ زَكَامٍ » وعن أبي هريرة كان عليه السلام « إِذَا عَطَسَ غَضَّ صَوْتَهُ وَاسْتَتَرَ ثَوْبَهُ
أَوْ يَدَهُ » أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح ، وفي رواية لأبي نعيم في اليوم الليلة وخم-

وَيُصْلِحُ ذَاتَ الْبَيْنِ فَهُوَ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ وَيَسْتَرُ الْعَيُوبَ، فَوْرَدَ مِنْ سِتْرٍ عَلَى مُسْلِمٍ سِتْرَهُ
 اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَتَّقِي مَوَاضِعَ التَّهْمِ تَحْرِزًا عَنْ سُوءِ ظَنِّهِمْ وَوُقُوعِهِمْ فِي الْغِيَةِ

وجهه وفاءه، وفي الصحيحين «التَّائِبُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا تَابَ أَحَدُكُمْ فَلْيُضَعِ يَدَهُ عَلَى
 فِيهِ إِذَا قَالَ آهَ آهَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ مِنْ جَوْفِهِ»، وعن علي «من عطس عنده
 فسبق إلى الحمد لم يشكك خاصرته»، الطبراني في الأوسط في الدعاء ﴿وَيُصْلِحُ ذَاتَ
 الْبَيْنِ﴾ أي أحوالاً ناشئة مما بينه وبين غيره وبين أحد من المسلمين بالمودة وترك
 المنازعة قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ
 إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ وقال عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (فهو أفضل
 الصَّدَقَةِ) للطبراني والبيهقي عن ابن عمرو «أفضل الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ» ولابي
 داود والترمذي وصححه من حديث أبي الدرداء «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصَّيَامِ
 وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا: بَلَى قَالَ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَافْسَادُ ذَوَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ
 وَلِلشَّيْخَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ كَلْثُومَ بِنْتِ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ لَيْسَ بِكَذَّابٍ مِنْ أَصْلَحِ بَيْنِ
 اثْنَيْنِ فَقَالَ خَيْرًا أَوْ نَمِي خَيْرًا ﴿وَيَسْتَرُ الْعَيُوبَ﴾ أي عيوب غيره وكذا عيوب
 نفسه ﴿فَوْرَدَ﴾ أي في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﴿مَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سِتْرَهُ اللَّهُ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ وللشيخين عن ابن عمر «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 وَلِلطَّبْرَانِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ «لَا يَرَى أَمْرٌ مِنْ أَخِيهِ عَوْرَةً فَيَسْتَرُهَا عَلَيْهِ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»
 وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ أَحْمَدَ عَنْ رَجُلٍ «مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَلِلطَّبْرَانِيِّ
 وَالضَّيَّاءُ عَنْ شَهَابٍ «مَنْ سَتَرَ عَلَى مُؤْمِنٍ عَوْرَةً فَكَانَ مَأْحِيًا مَيْتًا، وَلِلْبُخَارِيِّ فِي
 تَارِيخِهِ: وَأَبِي دَاوُدَ. وَالْحَاكِمُ عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ «رَأَى عَوْرَةَ فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا
 مَوْتُودَةً مِنْ قَبْرِهَا»، وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَأَبْنِ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ «مَنْ أَذْنَبَ
 ذَنْبًا فِي الدُّنْيَا فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَفَا عَنْهُ فَاللَّهُ أَكْرَمُ مَنْ أَنْ يَرْجِعَ فِي شَيْءٍ قَدْ عَفَا
 عَنْهُ وَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فِي الدُّنْيَا فَعُوقِبَ عَلَيْهِ فَاللَّهُ أَعْدَلُ مَنْ أَنْ يَتَنَبَّاهُ عَلَى عِبْدِهِ،
 وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ» الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَضَعْفَةُ الْبُخَارِيُّ وَأَبْنُ حَبَانَ، وَلِلطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ
 «مَنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالَ إِلَى اللَّهِ ادْخَالَ الدَّرَجَاتِ عَلَى الْمُؤْمِنِ» ﴿وَيَتَّقِي مَوَاضِعَ التَّهْمِ تَحْرِزًا
 عَنْ سُوءِ ظَنِّهِمْ﴾ أي بالريية ﴿وَوُقُوعِهِمْ فِي الْغِيَةِ﴾ فأنهم إذا عصوا الله بذكروهم وكان

و يشفع ، فورد « اشفعوا تؤجروا » ويرشد الضال وينشد ضالته ويفرج
المكروب وينصر المظلوم ، فورده من فرج عن مغموم أو أعان مظلوما غفر الله له
ثلاثا وسبعين مغفرة » ويسعى في حاجته فالمشي فيها

هو السبب فيه كان شريكا في وزرم قال تعالى : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا بغير علم) وقال عليه السلام : « كيف ترون من يسب أبويه ؟ فقالوا
وهل من أحد يسب أبويه ؟ قال نعم يسب الرجل أبوى غيره فيسب أبويه » متفق عليه من
حديث عبد الله بن عمر ، وعن أنس « انه عليه السلام كلم إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه
فقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت أظن فيه فاني لم أظن
فيك فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » رواه مسلم ، وفي رواية للشيخين
عن صفية « اني خشيت ان يقذف في قلبك شيئا » وفي نسخة وسرا ، وكانا رجلين وقال
على رسلك انما صفية » الحديث وكانت قد زارته في العشر الاواخر من رمضان ، وعن
عمر رضي الله عنه « من اقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومر برجل
يكلم امرأة على الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المؤمنين : انها امرأتى قال : فهلا بحيث
لا يراك الناس » (ويشفع) أى في غير الحدود لقوله تعالى : (من يشفع شفاعة حسنة
يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) (فورد اشفعوا تؤجروا)
تمامه « ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء » رواه الشيخان من حديث أبي موسى ، وورد
« ما صدقة افضل من صدقة اللسان قبل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجربها
المنفعة الى آخره ويدفع بها المكروه عن آخر » الخرائطي والطبراني عن سمرة (ويرشد
الضال) أى يهديه الى طريقه الحسى او المعنوى (وينشد ضالته) أى يطالبها لكن
في غير المسجد لما تقدم ، ويقول : يا هادي الضال يا راد الضالة أردد على ضالتي
بعزتك وسلطانك فانها من عطائك وفضلك » رواه ابن أبي شيبة موقوفا من قول ابن
عمر والطبراني عنه مرفوعا (ويفرج المكروب) أى يزيله من المغموم (وينصر
المظلوم) في الصحيحين « انصر اخاك ظالما أو مظلوما قليل : كيف ينصر ظالما ؟ قال
يمنعه من الظلم » قلت وفي منعه من الظلم نصر المظلوم ايضا (فورد من فرج عن مغموم
أو أعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة) الخرائطي في مكارم الاخلاق وابن حبان في
الضعفاء وابن عدى من حديث أنس بلفظ « من أغاث ملوما » (ويسعى في حاجته فالمشي فيها

سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ اِعْتِكَافِ شَهْرَيْنِ وَإِنْ لَمْ تَقْضَ وَيَعِينُ الضَّعِيفَ وَالْمَحْسَنَ وَيَحْفَظُ الْغِيَةَ

ساعة خير من اعتكاف شهرين وان لم تقض) فللحاكم وصححه من حديث ابن عباس « لان يمشى احدكم مع أخيه في قضاء حاجته وأشار بأصبعه افضل من ان يعتكف في مسجدى هذا شهرين » وللطبرانى فى الأوسط « من مشى فى حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكاف شهرين » وكلاهما ضعيف ، وروى البخارى فى تاريخه والطبرانى والخرائطى من أنس بسند ضعيف « من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره » ولابن المبارك فى الزهد والرقائق باسناد ضعيف مرسلا « من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة ، وقال أنس عرضت له عليه السلام امرأة وقالت : لى معك حاجة و كان معه ناس من أصحابه فقال : اجلسى فى أى نواحى السكك شئت اجلس اليك ففعلت فجلس إليها حتى قضيت حاجتها ، رواه مسلم (ويعظه) أى يبشر الناس بالثواب فى الطاعة وينذرهم بالعقاب على المعصية قال تعالى : (واذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) الآيات ، وقال تعالى : (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات) وورد « ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم وغيره عن تميم الدارى ، وقال عليه السلام لمعاذ : « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وصدق الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام » البيهقى فى كتاب الزهد وأبو نعيم فى الحلية (ويعين الضعيف) أى فى عمله وصنعتة (والمحسن) أى بزيادة معرفته أو يعين الضعفاء والفقراء والمحسن الى العلماء والصلحاء ليكون مشاركا لهم فى ثواب يوم الجزاء فقد صح « من كان فى عون أخيه كان الله فى عونه » (ويحفظ الغيبة) أى غيبة أخيه فيمنع احدا عن ان يقع فى غيبة فيه ، وفى الخبر « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو كان فى جوف بيته » أبو داود من حديث أبى برزة باسناد جيد ، وللترمذى نحوه من حديث ابن عمر وحسنه ، وعن أبى الدرداء « من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار » الترمذى وحسنه وللطبرانى عن أبى الدرداء بلفظ « ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله ان يردعنه نار جهنم يوم القيامة » ولاحمد من حديث اسماء بنت يزيد نحوه ، ولابن أبى الدنيا فى الصمت عن أنس « من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع

وَيَبْرُ الْخَلْفَ • وَيُحِبُّ التَّائِبَ • وَيَسْتَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِ • وَيُعَامِلُ عَلَى حَسَبِ

حَالِهِ فَعَرَضُ الْفَقْهِ لِأَهْلِ اللَّهِ وَالْيَأَنِّ

نصره فلم ينصره ولو بكلمة اذله الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ولابي داود من حديث معاذ بن أنس « من جئ عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار » ولابي داود من حديث جابر وأبي طلحة « ما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتك فيه عرضه ويستحل حرمة الانصره الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتك فيه حرمة الاخذله الله في موطن يحب فيه نصرته » (ويبر الخلف) أي يمين صاحبه في الحضور والغيبة بان وعد اخوه بشخص باعطاء شيء وحلف عليه ولم يتسرله فالمصاحب يمطيه ذلك لئلا يقع صاحبه في الخنث هنالك وهو من جملة اخلاق الله مع من اتبع رضاه كما ورد في الصحيحين عن أنس « ان من عباد الله من لو اقسام على الله لآبره ، أي لجعله بارا في يمينه بما قدره وقضاه ، وفي الصحيحين من حديث البراء « امرنا رسول الله ﷺ بسبع فذكر منها ابرار القسم او المقسم » (ويحب التائب) لقوله تعالى : (ان الله يحب التوابين) خصوصا الشباب فورد « ان الله يحب الشباب التائب » أبو الشيخ عن أنس ، ولابي نعيم في الحلية عن ابن عمر « ان الله يحب الشباب الذي يفني شبابه في طاعة الله » ولاحمد والطبراني عن عقبة بن عامر « ان الله يعجب من الشباب ليست له صبرة » (ويستغفر للذنب) اقتداء بالملائكة المقربين (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) الآية ، وللطبراني عن عبادة « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة » وله وللضياء عن أبي الدرداء « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به اهل الارض » وأما حديث أنس « اربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمديرهم وان تحب تائبهم » فقد ذكره صاحب الفردوس ولم اجد له اسنادا قاله العراقي (ويعامل على حسب حاله) أي حال صاحبه في اعلی مناقبه أو ادنى مراتبه (فعرض الفقه) أي مسائله الغامضة (لاهل الله) أي لارباب الاشتغال بما يلهمهم عن العلم والفهم والكمال (والبيان) أي وعرض الفصاحة

لثَقِيلُ اللِّسَانِ إِذَاءُ النَّفْسَيْنِ ، وَيَتَنَصَّفُ مِنْ نَفْسِهِ فَهُوَ مِنْ ثَلَاثِ خَصَالٍ
يَسْتَكْمِلُ بِهِ الْإِيمَانَ . وَلَا يَعْلَمُ أَحَدًا مَقْدَارَ مَالِهِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، فَالْعِلْمُ
بِالْقِلَّةِ يُورِثُ الْإِهَانَةَ وَبِالكَثْرَةِ عَدَمُ الرِّضَاءِ ، وَوَرَدَ « اسْتَرُ ذَهَبَكَ وَذَهَابَكَ
وَمَذَهَبَكَ » وَلَا يَسْتَحْقِرُ أَحَدًا فَالْعَاقِبَةُ مَسْتُورَةٌ وَلَا يَسْتَغْطِمْ الدُّنْيَا فَهِيَ
حَقِيرَةٌ وَمَافِيهَا ، وَلَا يَتَكَبَّرُ

والبلاغة واصناف البديع وأنواع البيان ﴿ لثَقِيلُ اللِّسَانِ إِذَاءُ النَّفْسَيْنِ ﴾
بل المناسب أن يعرض عليهم ما يكتسب من الطاعات وما يجتنب من المحرمات
﴿ وَيَتَنَصَّفُ مِنْ نَفْسِهِ ﴾ وفي نسخة وينصف من الانصاف بالكسر أى يعمل
بالنصفة بفتحين أى العدالة ﴿ فَهُوَ مِنْ ثَلَاثِ خَصَالٍ يَسْتَكْمِلُ بِهِ الْإِيمَانَ ﴾ وفي
نسخة يستكمل الإيمان ، وفي الخبر « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال
الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام ، الخرائطى من حديث عمار
ابن ياسر وواقفه البخارى عليه ﴿ وَلَا يَعْلَمُ أَحَدًا مَقْدَارَ مَالِهِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ﴾ أى
المطلمين على حاله ﴿ فَالْعِلْمُ بِالْقِلَّةِ يُورِثُ الْإِهَانَةَ ﴾ أى يعمده من الفقراء ﴿ وَبِالكَثْرَةِ
عَدَمُ الرِّضَاءِ ﴾ أى باتفاقه وعده من البخلاء ﴿ وَوَرَدَ اسْتَرُ ذَهَبَكَ ﴾ أى ونحوه من
الفضة وغيرها ﴿ وَذَهَابَكَ ﴾ أى انتهاء سفرك من حضرك ﴿ وَمَذَهَبَكَ ﴾ أى فى موضع
تحاف اظهاره فظاهر مشربك والحديث لم أجده أصلاً ﴿ وَلَا يَسْتَحْقِرُ أَحَدًا ﴾ أى من
الفجار بل من الكفار ﴿ فَالْعَاقِبَةُ مَسْتُورَةٌ ﴾ وورد « انما الاعمال بالخوانيم » كما فى صحيح
البخارى عن سهل بن سعد ﴿ وَلَا يَسْتَغْطِمْ الدُّنْيَا ﴾ فان الله قد استحقها حيث قال :
(متاع الدنيا قليل) وورد « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً
منها شربة ماء » الترمذى وغيره عن سهل بن سعد ، والمعنى انه لا ينظر الى أهل الدنيا بعين
التعظيم لهم فى حال دنياهم وهما عظم أهل الدنيا فى نفسك فقد عصمت الدنيا قسقط
من عين الله عز وجل وللحكيم الترمذى عن أبى هريرة « اذا عظمت امتى الدنيا
نزعت منها هبة الاسلام » ﴿ فَهِيَ حَقِيرَةٌ وَمَافِيهَا ﴾ الاذ كراهه وما والا له الحديث
« الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان الله منها » أبو نعيم فى الحلية عن جابر وفى مسند احمد
عن عائشة « الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له » ﴿ وَلَا يَتَكَبَّرُ

عَلَى الْفَقِيرِ بَلٌّ عَلَى الْمُتَكَبِّرِ . وَيَجَالِسُ الْفَقِيرَ فَهُوَ السُّنَّةُ دُونَ الْغَنَى وَحَبِيبُ
الْعَافِيَةِ وَالْعَامَى وَإِذَا ابْتُلِيَ لَا يَخْوَضُ فِي كَلَامِهِ وَيَتَغَافَلُ عَمَّا يَجْرِي عَلَيْهِ وَالسُّلْطَانُ
وَإِذَا ابْتُلِيَ بِهِ يَكْثُرُ الْحَذَرُ وَإِنْ أَظْهَرَ الْحُبَّةَ وَلَا يَعْتَمِدُ فَيُرَافِقُهُ مِرَافَقَةَ الطِّفْلِ وَيَتَكَلَّمُ
عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ وَلَا يَدْخُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ بَيْتِهِ فَهُوَ مُضِرٌّ وَيَبَالِغُ فِي الْأَدَبِ .
وَيَتَبَرَّكُ بِالْعَادِلِ .

على الفقير) أى لفقره فانه موجب لفخره (بل على المتكبر) أى بماله وجهه على الفقير
فروى «التكبر على المتكبر صدقة» (ويجالس الفقير فهو السنة) فلا ينفى عن ابن عمر
«تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من الكبراء وتخرجوا عن الكبر» (دون الغنى)
أى لا يجالس الغنى فضلا عن ان يصاحبه فورد «اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى؟
قال الاغنياء» الترمذى وضعفه والحاكم وصححه اسناده من حديث عائشة «اياكم ومجالسة
الاغنياء» (وحبيب العافية) أى الذى يكره المرض او الذى ماتت به الحى ونحوها من
الصداع فان فرعون مكث اربع مائة سنة ماحم ولا حصل له صداع ولا كسر له ظرف في
مطبخه وقد ورد «انه عليه السلام مدح له امرأة حسنة فرغب فيها فقيل من نعتها أنها
لا يأتينا مرض فقال ما لى اليها حاجة» وفي صحيح مسلم «من يرد الله به خيرا يصب منه»
(والعامى) أى وغير الجاهل (واذا ابتلى) أى بمجلس العامى (لا يخوض في كلامه)
أى ويكتفى بما يحصل من مرامه (ويتغافل عما يجرى عليه) أى بحسب مقامه (والسلطان)
عطف على قوله الغنى أى ودون السلطان والمعنى لا يجالس (واذا ابتلى به يكثر
الحذر) أى عن غضبه (وان أظهر المحبة) أى في وجهه (ولا يعتمد) أى على اقباله
ولا على جاهه واعطاء ماله (فيرافقه مرافقة الطفل) فيتحمل منه ما يتحمل عنه
(ويتكلم على حسب ارادته) وفق طاعته واطاعته لكن لا بما يضره في دينه وآخرته
(ولا يدخل بيته وبين أهل بيته) في معاملته ومجاملته (فهو مضر ويبالغ في الأدب)
ومن آدابه لأصحابه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب
الالفاظ والمباني وتحسين البيان والمعاني وتصحيح الاعراب في الخطاب والمذاكرة
باخلاق الملوك السابقة واللاحقة . وقلة المداعبة في مجالس المصاحبة . وان لا يتجشئ
بحضرته ولا يتخلل بعد الاكل في محبته (ويتبرك بالعدل) فهو من السبعة الذين «يظلمهم

وَيَدْعُو لَهُ بِالصَّلَاحِ فَفِيهِ صَلَاحُ الْعَامَّةِ وَيَسْتَعِيدُ عِنْدَ الدُّخُولِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ
الْإِحْتِمَالُ إِلَّا فِي كَشْفِ السِّرِّ وَالْقَدْحِ فِي الْمُلْكِ وَالتَّعَرُّضِ فِي الْحَرَمِ وَالْعَاةُ لِفَسَادِ
الزَّمَانِ ، وَوَرَدَ « خَالَطُوا النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ وَزَايَلُوا الْقُلُوبَ » ، وَلَا يَعْتَمِدُ إِلَّا
عَلَى مَنْ جَرَّبَ تَحْقِيقًا فِي الْأَحْوَالِ الْمُخْتَلِفَةِ فَلَا يَجِدُ جُزْأً

الله يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله (و يدعو له بالصلاح) ولو كانت له دعوة واحدة
مستجابة (ففيه صلاح العامة) ونفع العام خير من نفع الخاص مع ان الخاص
داخل في العام (ويستعيد) أى بالله الملك العلام (عند الدخول عليه) خوفا من
الزلل والخطا لديه (وعليه) أى ويجب على السلطان (الاحتمال) أى التحمل
عن مجالسة ومؤانسة (الا في كشف السر) أى لغير الحرم (والقدح في الملك)
أى الطعن فيه بما ينافيه (والتعرض في الحرم) أى من امرأته أو جاريته أو ولده
أو عبده (والعامّة) أى ودون عامة الناس فلا يجالسهم (لفساد الزمان) أى أهله
فانهم لا يقبلون لك عثرة ولا يقبلون منك معذرة ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون
عورة ويحاسبون على التقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا
ينتصفون ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون يغفرون الاخوان بالنسيمة والبهتان
فصحة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا
فباطنهم الخلق لا يؤمنون في خفتهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم
ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراهم بالعيون وبتربصون بصديقهم من الحسد
ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم
فان ابتلي بهم فادبه معهم ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل
عما يجرى من سوء ألقاظهم ومبانيهم وعدم درك تعارفهم ومعانيهم وقلة اللقاء لهم
منع الحاجة اليهم وعدم التودد والتجيب لديهم (وورد خالطوا الناس بأعمالهم وزايلاوا
القلوب) أى وجانبوها عن ملاحظة أحوالهم ومحافظة أقوالهم، والحديث لم أجده
وللطبراني عن أبي جحيفة مرفوعا « جالسوا الكبراموسائلوا العلماء وخالطوا الحكماء »
(ولا يعتمد) أى في المحاوراة والمجالس المؤتلفة (الا على من جرب) أى امتحنه
(تحقيقا في الأحوال المختلفة) كالفقر والغنى والحضر والسفر وغير ذلك من البعد
والقرب والمحبة والعداوة فانه يظهر حقيقة كل أحدها لك (فلا يجد جزأ) أى سهما

مِنْ مَائَةٍ مَّا يَظْهَرُ وَهُوَ لَا يَطْمَعُ رِعَايَةَ الْحَقِّ وَلَا مَافِي أَيْدِيهِمْ وَلَا يَعْتَابُ مَنْ لَمْ يَقْضِ حَاجَتَهُ وَلَا لَطَالَ الْأَمْرُ وَلَا يَعْظُ مَنْ لَمْ يَتَوَقَّعْ مِنْهُ الْقَبُولَ إِلَّا بِجَمَلًا تَحْرُزًا عَنْ تَعْصِبِهِ وَيَحْمَدُهُ تَعَالَى إِنْ رَأَى مِنْهُمْ كَرَامَةً وَيَكْلَهُمْ إِلَيْهِ إِنْ رَأَى مَكْرُوهًا

واحداً (من مائة) بل من ألف جزء (مما يظهره) من المودة وفي الخبر «أخبر تقيه» وفي حديث آخر «الناس كأبل مائة لا تجد فيها راحلة» فلا يعول على مودة من لم يختبره حق الخبرة بأن يصحبه مدة في دار أو موضع وأحد من قرار فيجربه في عزله وولايته وغنايه وفاقته أو سافر معه أو يعامله أو يقع في شدة وبلية فيحتاج إليه في دفع الغضب، ثم اباك ان تمزج ليلاً أو غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترى. لديك ولان المزاج يخرق الهية ويذهب بحلاوة المودة ويشين فقه الفقيه ويحرك داعية السفيه ويورث الذلة ويوجب الزلة ويسقط المنزلة وهو اذا كثر يمت القلب ويباعد عن ذكر الرب وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وأظهر الذنوب، ومن بلى بمجلس فيه مزاح أو لفظ فليذكر الله عند قيامه ليكون كفارة لما وقع في مقامه فورد «من جلس في مجلس فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك كله» الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه (ولا يطعم) أي من العامة (رعاية الحق) أي مراعاة حقه من الأدب في قربه (ولا مافي أيديهم) أي ولا يطعم مافي أيديهم من المال والجاء فعن سهل بن سعد مرفوعاً «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس» ابن ماجه وغيره ، والمعنى لا تبذل لهم دينك لتتال من دنياهم فتصغر في أعينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير (ولا يعاتب من لم يقض حاجته والاطال الأمر) أي أمر المعاتبة لأن كثرة المعاتبة ربما تجر الى المقاطعة في المصاحبة (ولا يعظ من لم يتوقع منه القبول الا بجملاً) أي تلويحاً (تحزرا عن تعصبه) اذا وعظ تصريحاً وقد قال تعالى : (فذكر ان نفعت الذكري) أي الموعظة الحسنى (ويحمده تعالى ان رأى منهم كرامة) أي احساناً وتعظيماً واقبالاً وتكريماً (ويكلهم اليه) أي ويترك أمرهم الى الله سبحانه (ان رأى مكروهاً) تفويضاً اليه وتوكلاً عليه وقد

وَيَسْتَعِذُّ بِهِ مِنْ شَرِّهِمْ. وَيُشَارِكُهُمْ فِي حَقِّهِمْ. وَيَتَغَاوُلُ عَنْ بَاطِلِهِمْ وَيَحْسِبُ
 الْكَبِيرَ كَالْأَبِ وَالصَّغِيرَ كَالْأَبْنِ وَالْمَسَاوِي كَالْأَخِ وَيُبَالِغُ فِي الْإِحْتِمَالِ
 وَالْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِهِ وَغَيْرِ أَهْلِهِ ، فَوَرَدَ « اصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلَى أَهْلِهِ وَغَيْرِ أَهْلِهِ
 فَإِنْ لَمْ تُصِبْ أَهْلَهُ فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ » وَالْأَصْلُ أَنَّ يُحِبُّهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَلَا
 يَهْجُرُهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَوَرَدَ « إِنَّهُ لَا يَحِلُّ » وَيَسْتَأْذِنُ لِلدُّخُولِ ثَلَاثًا يُمْكُثُ
 بَعْدَ كُلِّ

قال تعالى في مؤمن آل فرعون (فستذكرون ما أقول لكم وافوض أمري الى الله
 ان الله بصير بالعباد فوقه الله سيئات ما مكروا) وقال عيسى عليه السلام :
 (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) (ويستعذبه
 من شرهم ويشاركهم في حَقِّهم) (أى في حق صدر عنهم) (ويتغافل عن باطلهم)
 (أى منكر ظهر منهم) (ويحسب الكبير كالأب) (أى في التوقير) (والصغير كالابن)
 (أى في الترحم) (والمساوى كالأخ) (أى الشقيق في الشفقة والرفق) (ويبالغ في الاحتمال)
 (أى في التحمل عن اذامهم) (والاحسان) (بالاعطاء وغيره) (الى أهله وغير أهله فورد)
 عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده (اصنع المعروف الى أهله) (أى مستحقه) (وغير
 أهله فان لم تصب) (أى في احسانك) (أهله فانت من أهله) (أى من اهل الاحسان الى
 افراد الانسان ولو باللسان ذكره الدارقطني في العلل وهو ضعیف) (والاصل)
 (أى القاعدة المطردة في حقوق المسلم) (ان يحب له ما يحب لنفسه) (أى مثل ما يحب و كذا
 يكره له ما يكره لنفسه كما سبق في الحديث وورد « من سره ان يزحزح عن النار ويدخل
 الجنة فلتأتمنئ به منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليأت الى الناس ما يحب
 ان يؤتى اليه » رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر وقال عليه السلام « يا باهريه احسن
 مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما » الخرائطي
 في مكارم الاخلاق (ولا يهجره) (أى اذا غضب عليه) (فوق ثلاثة ايام فورد) (أى
 في الصحيحين عن أبي أيوب) (انه) (أى الشأن) (لا يحل) (أى لمسلم ان يهجر اخاه فوق
 ثلاث يلتقيان) (ويستأذن للدخول ثلاثا) (أى ثلاث مرات لما سألني) (يمكث بعد كل)

قَدَرَ أَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ وَأَنْ يَفْرَغَ مِنَ الْأَكْلِ وَالتَّوَضُّعِ،
فُورِدَ «الاستئذان ثلاثاً فالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة ياذنون
أويردون» وَلَا يَطْلُعُ عَلَى الْبَابِ وَيَدْفَعُ لَنَا وَلَا يَقُولُ إِنَّا عِنْدَ الْبَابِ وَلَا يَأْغْلَامُ
بَلْ يَحْمَدُ وَيُسَبِّحُ وَيَتَنَحَّضُ وَيَعُودُ الْمَرِيضَ فِي ثِيَابٍ نَظِيفَةٍ غَيْرِ عَابِسٍ وَيَجْلِسُ عِنْدَ
رُكْبَةِ الْمَرِيضِ دُونَ رَأْسِهِ،

اي كل استئذان (قدر ان يصلي ركعتين) وهو الاقل (او اربع ركعات) وهو
الاكثر (وان يفرغ من الاكل) ان كان مشغولاً به (والتوضي) او الغسل او الصلاة
او امر آخر من المهمات (فورد) عن أبي هريرة كما رواه الدارقطني في الافراد
بسنن ضعيف (الاستئذان ثلاث) أي ثلاث مرات (فالاولى) وفي رواية فالاولى
(يستنصتون) أي يطلبون السكوت ليستكشفوا من المستأذن وما غرضه وفي رواية
«يستمعون» أي يسمعون (والثانية يستصلحون) أي يطلبون صلاحهم في الأذن
بدخوله أو بعدهم ويتشاورون (والثالثة ياذنون أويردون) أي وفق ما يختارون
وفي الصحيحين من حديث أبي موسى «الاستئذان ثلاث فان أذن لك والا فارجم» وقد قال
تعالى: (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هوأز كي لكم) (ولا يطلع على الباب) أي
لا يقف بحيث ينكشف الحجاب (ويدفع لنا) أي بظفر ونحوه هيناً (ولا يقول انا)
أي فلان (عند الباب) أو لا يقول انا اذا قيل من بل يقول انا فلان ونحوه (ولا يا غلام)
أي من وراء الاستار بان ينادى احد غلمان صاحب الدار أو عبده في مقام الاظهار
(بل يحمدر يسبح) أي ويذكر الله بالتهليل ونحوه (ويتنحج) أي اذا كان معروفاً
بتنحجه أو ايماء بانه هناك من يريد دخوله (ويعود المريض) فهو من جملة حقوق
المسلم على المسلم، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة «حق المسلم على المسلم خمس رد
السلام وعبادة المريض واتباع الجنائز واجابة الدعوة وتشميت العاطس» (في ثياب
نظيفة) بل في ياض لطيفة لثلاث يوم المريض من ثياب كشيقة انه حزين عليه لما رأى
علامة الموت لديه (غير عابس) أي في وجهه بل يدخل عليه ببشاشة تشرح صدره وتفتح
امره (ويجلس عند ر كبة المريض) أي اذا كان مضطجعا ليقع نظر المريض على وجهه
زائره (دون رأسه) أي لا يجلس فوق رأسه ثلاثاً يحوجه الى التكلف في توجهه اليه وتلفته

و يضع اليد على جبهته أويده . ويسأله كيف هو ، فهو السنة ولا يحدث
إلا بما يسره وما هو خير فالملائكة يؤمنون عليه و يبشره بطول العمر وسرعة
الشفة ، ويغتنم دعاءه فهو كدعاء الملائكة ، ويدعوه بالشفاء سبع مرات ففيه
الشفاء ان لم يحضر اجله .

عليه (ويضع اليد على جبهته أويده) يعنى على نبضه اذا كان له معرفة ببسطه وقبضه
(ويسأله) أى يسأل غيره عنه (كيف هو) أى كذا لا يكون تكلفا عليه فى جوابه وهذا
اذا كان مغلوبا فى بابه والافيقول : كيف اتم وما حالكم أو كيف تجدك ونحو ذلك
(فهو السنة) أى المروية عنه عليه السلام تمام عيادة المريض ان يضع أحدكم يده
على جبهته أو على يده ويسأله كيف هو (ولا يحدث) أى عنده (الا بما يسره)
أى لا بما يضره (وما هو خير) من الدعاء ولنفسه (فالملائكة يؤمنون عليه)
أى يقولون فيه آمين فيكون علامة الاجابة فى ذلك الحين (ويبشره بطول العمر
وسرعة الشفة) أى وسهولة الامر وبأن المرض كفارة للسيئات أو رفع للدرجات
وانه انما يكون فى قليل من الاوقات فينبغى الصبر عليه بل الشكر لديه فورد « اذا مرض
العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فقال : انظرا ما يقول لمراده فان هو اذا جاؤه حمد
الله واتى عليه رفعا ذلك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على ان توفيت ان ادخله الجنة وان انا
شفيت ان أبدله لما خيرا من له وما خيرا من دمه وان اكره عنه سيئاته مالكا فى الموطأ
من حديث عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من روايته عن أبى سعيد الخدرى ،
وفيه عباد بن كثير الثقفى ضعيف الحديث ، والبيهقى من حديث أبى هريرة ، قال الله
تعالى « اذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى الى عواده اطلقته من أسارى ثم أبدلته
لما خيرا من له وما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل » واستاده جيد وجملة آداب المريض
حسن الصبر وقلة الشكوى وعدم الضجر والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدواء على
خالق الداء والدواء وسائر الاشياء (ويغتنم دعاءه) أى المريض (فهو كدعاء
الملائكة) فى كونه مستجابا وقد سبق كون دعاء المريض مجابا (ويدعوه بالشفاء
سبع مرات ففيه الشفاء ان لم يحضر اجله) فلا بى داود وغيره عن ابن عباس مرفوعا
« من عاد مريض لم يحضر اجله فقال عنه سبع مرات اسأل الله العظيم رب العرش العظيم

وَيُغْبِ فِيهَا وَهِيَ مَرَّةٌ سَنَةً ، وَالزِّيَادَةُ فَضْلٌ ، وَوَرَدَ النَّهْيُ فِي عِيَادَةِ صَاحِبِ
الرَّمَدِ . وَالْدَّمْلِ وَوَجَعِ الضَّرْسِ . وَالْجَرَبِ . وَالْعِرْقِ الْمَدْنِيِّ وَيُسْمَعُ الْمُحْتَضَرُّ

أى يشفيك الإعاقة الله من ذلك المرض « (ويغيب فيها) بضم أوله أى يعود يوم ما
بعديوم أو وقتا بعد وقت لما سبق من حديث « زرغبان زدحبا ، وعن جابر » اغبوا
في العيادة واربعوا الآن يكون مغلوبا » أبى الدنيا وأبو يعلى واسناده ضعيف ، وقال
بعضهم: عيادة المريض بعد ثلاث وينبغي أن يخفف فيها فروى ابن أبى الدنيا فى كتاب
المرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة عيادة المريض فواق ناقة ، ورواه البيهقى عنه
بلفظ « العيادة فواق ناقة » وقال طائوس: أفضل العيادة أخفها « (وهى مرة سنة) عند
الشافعى وفرض كفاية عندنا « (والزيادة فضل) » وأما ما فى الإحياء من أن ابن عباس
قال « عيادة المريض مرة سنة ، فحمول على أن ثبوتها بالسنة وأما الزيادة فستحبة والأجر
الكثير عليها مرتبة فى التعمية الكتابية والحساية أن العيادة فيها الزيادة على العيادة
وقد تقدم حديث « إذا عاد المسلم أخاه أو زاره ناداه مناد طبت وطاب لعمرك وبتأت
منزلا فى الجنة » الترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة وفى السنن الإربع والحاكم من حديث
على « من أتى أخاه المسلم عائدا مشى فى خرقه الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة
فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن كان مساء صلى عليه سبعون
ألف ملك حتى يصبح » واللفظ لابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذى ، ولمسلم
من حديث ثوبان « من عاد مريضاً يزل فى خرقه الجنة » والحاكم والبيهقى من حديث
جابر « إذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فإذا قعد عنده أنفخ فىها » وقال
الحاكم: صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر ، وذكره مالك فى الموطأ بلاغا
بلفظ قرت فيه ورواه الواقدي بلفظ استقر فيها ، والطبرانى فى الصغير من حديث أنس
« فإذا قعد عنده غمرته الرحمة » وله فى الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمر بن
حزم استنقع فيها « (ورود النهى فى عيادة صاحب الرمد) بفتحين أى وجع العين
(والدمل) بضم فتشديد ميم مفتوحة « (ووجع الضرس) أى السن « (والجرب) بفتحين وهو الحسك « (والعرق) بالكسر « (المدنى) منسوب الى المدينة اذ لم
توجد غالباً فى القرية لان منشأها العفونة الكثيرة التى تبدو من الجاعة الكبيرة
(ويسمع) أى العائد « (المحتضر) أى الذى احتضره الموت بعلامات دالة على القوت

كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَالْحَاحِ وَيُعْجَلُ تَغْطِيَةٌ وَجْهَ الْمَيِّتِ . وَتَغْمِضُ عَيْنَهُ . وَتَجْهِيْزُهُ
وَتَكْفِيْنُهُ بِأَطْيَبِ الثِّيَابِ . وَأَيُّضًا لِأَنَّ كَثْرَتَهَا قِيَمَةٌ . وَيُعْزَى الْمَصَابُ ،
وَهِيَ تَسْكِينُ قَلْبِهِ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْإِعْلَامِ بِجَزِيلِ الثَّوَابِ مُصَاحَفًا

وهي سواد الظفر وبرودة الرجلين والتفافهما وعوجاج الالف وانفتاح العينين وانخفاض
الصدغين ﴿ كلمة التوحيد ﴾ وهي لا اله الا الله فتقدم حديث « من كان آخر كلامه
لا اله الا الله دخل الجنة » وفي صحيح مسلم وغيره « لقنوا موتاكم لا اله الا الله » أي
المشرفين على الموت كحديث « اقرءوا على موتاكم يس » احمد وغيره ﴿ دون الحاح ﴾ أي
لا يلح على المحتضر بان يقول له قل لا اله الا الله بل يقول عنده ليسمعها ويتفجع بها اذ لا
يبعد انه حال الغلبة والشدة يمتنع عن قبول الكلمة فيتوهم له سوء الخاتمة فنعوذ بالله من
ذلك مع ان المدار على ايمان القلب هنالك وانما يستحب النطق باللسان لانه ترجمان الجنان
على اختلاف في الاقرار انه شرط أو شرط الايمان في أول دخول المسلم في ميدان
الاحسان وايوان الايقان والله المستعان ﴿ ويعجل تغطية وجه الميت ﴾ أي يمدربط
حنكه ورجليه ﴿ وتغمض عينه ﴾ فان الميت اذا برد تيسر اعضاؤه وتوحش
اجزأؤه ﴿ وتجهيزه ﴾ أي غسله وما يتعلق به ﴿ وتكفيه بأطيب الثياب ﴾ بان يكون
من وجهه حلال لا يقع فيه العتاب والعقاب ﴿ وايضا ﴾ لاحاديث وردت في هذا الباب
كقوله عليه السلام « البشوا الثياب البيض فانها اطهر واطيب وكنفوا فيها موتاكم »
رواه احمد وغيره عن سمرة ، وفي رواية له عنه بلفظ « عليكم بالبياض من الثياب فليلبسها
احياؤكم وكنفوا فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم » وفي رواية الدارقطني في الافراد
عن أنس « خير ثيابكم البياض فالبسوها احياءكم وكنفوا فيها موتاكم » ﴿ لاكثرها
قيمة ﴾ بل اوسطها المعتبر في جميع الباب ﴿ ويعزى المصاب ﴾ أي المتبلى بموت احد
من الاقارب والاحباب ﴿ وهي ﴾ أي التعزية المعبر عنها بالتسلية ﴿ تسكين قلبه ﴾ أي
قلب المصاب ﴿ بالموعظة ﴾ أي بما وقع من الكتاب ﴿ والاعلام بمجزي الثواب ﴾
حيث قال تعالى : (وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة) ، (وانما يوفى الصابرون
أجرهم بغير حساب) وبان الجزع لا ينفع ويفوت به الاجر ويقع في مقام الحجاب
ففي الترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا « من عزى مصابفا له مثل أجره »
وللترمذي عن أبي هريرة ولفظه « من عزى ثكلى كسى برداً يوم القيامة » ﴿ مصاحفا ﴾

بِالتَّوَّاضِعِ وَإِظْهَارِ الْحُزَنِ وَقَلَّةِ التَّكَلُّمِ وَتَرْكِ التَّبَسُّمِ . وَيَشْهَدُهُ بِالْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ :
وَيَدْعُوهُ عِنْدَ الذِّكْرِ ، فَرَدَّ «لَا تَذْكُرُوا مَوْتَكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ» وَيُشِيعُ الْجَنَازَةَ خَاشِعًا
مُتَفَكِّرًا فِي الْمَوْتِ وَالْإِسْتِعْدَادِ لَهُ غَيْرَ مُتَكَلِّمٍ . وَيُصَلِّي عَلَيْهِ . وَيَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ

أي لا معاظنا كما يفعله عامة أهل مكة ﴿ بالتواضع ﴾ أي بإظهاره معه ﴿ وإظهار الحزن ﴾
إشعاراً بمشاركته له فيه ﴿ وقلة التكلم ﴾ أي بأمور الدنيا ﴿ وترك التبسم ﴾ لانه
دلالة على الغفلة عن أحوال العقبى ﴿ ويشهده ﴾ أي للبيت ﴿ بالخير ﴾ أي بأعمال
الخير ظاهراً ﴿ والإيمان ﴾ أي باطنا تحسناً للظن بالمسلم ﴿ ويدعوه عند الذكر ﴾
أي عند ذكره ﴿ فرد لا تذكروا موتاكم إلا بخير ﴾ ففي أبي داود وغيره عن ابن عمر
« اذكروا محاسن موتاكم و كففوا عن مساوئهم » ﴿ ويشيع الجنابة ﴾ ففي
الصحيحين عن أبي هريرة « من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان وقف حتى يدفن
فله قيراطان » ولمسلم من حديث ثوبان « القيراط مثل جبل احد » ولما روى أبو هريرة
الحديث وسمعه ابن عمر قال « لقد فرطنا الى الآن في قراريط كثيرة » ﴿ خاشعاً ﴾
أي حال كونه مقروناً بالخشوع والخضوع ﴿ متفكراً في الموت ﴾ أي وفيما بعده
وقبله من الفوت ، وكان مكحول الدمشقي اذا رأى جنازة قال اغد فانار انحون موعظة
بليغة وغفلة سريرة يذهب الاول والاخر لا عقل له ، وخرج مالك بن دينار خلف جنازة
أخيه وهو يبكي ويقول : والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت ولا والله لا اعلم
مادمت حياً ﴿ والاستعداد له ﴾ أي للوثة للحديث « كفى بالموت واعظاً » الطبراني عن
عمار ، ولاحمد في الزهد « كفى بالموت مزهداً في الدنيا ومرغباً في الآخرة » ولابن
السني عن انس « كفى بالدهر واعظاً بالموت مفزقاً » (غير متكلم) أي من كثرة الحزن
والملال واشتغال البال في أمر المآل ، قال الاعمش : كنا نشهد الجنائز فلا ندري
لمن نمزي لحزن القوم كلهم ، واما كلام الغزالي وان يمشي امام الجنازة بقربها وملاحظة
الميت فذهب الشافعي والحنابلة عندنا ان يمشي ورائها فان الجنازة متبوعة لاتابعة كما
ورد ، وملاحظة الميت انما تتصور اذا كان وراءه مع ما فيه من الإشارة الى انه من
السابقين وان امن باللاحقين ولانه ربما احتيج الى مساعدة حمل الميت فهو حينئذ انسب
واقرب ﴿ ويصلي عليه ﴾ أي صلاة الجنازة فهي فرض كفاية ﴿ ويقرأ الفاتحة

عند رأسه وأول البقرة عند رجله ويدعوه ويتبرك به . ويجتهد أن يكون عدد المصلين أربعين ، فهو علامة قبول الشفاعة ولا يرجع حتى يفرغ من الدفن . ويقعد بعد وضع الجنازة في القبر مخالفة لأهل الكتاب . ويتصدق الولي قبل مضي ليلة بشيء إن تيسروا إلا يصلي ركعتين بالفاتحة وآية الكرسي . والتكأثر عشرا في كل ويهبه الثواب . ويسلم ويقف مستدبر القبلة . ويواظب على

عند رأسه) أي بعد دفنه (وأول البقرة) أي إلى المفلحون (عند رجله ويدعو له) أي بالرحمة والمغفرة أو بالتثبيت في جواب المالكين (ويتبرك به) أي حيث أنه خرج من الدنيا محل الفتنة والبلوى فقد نظر إبراهيم الزيات إلى الناس يترحمون على ميت فقال: لو ترحمون على أنفسكم لكان أولى لأنه نجمان أهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد رأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد أمن (ويجتهد) أي المصاب (أن يكون عدد المصلين) أي على جنازة قريبه (أربعين) أي لا أقل من ذلك (فهو علامة قبول الشفاعة) أي لأنه يبعد عن كرم الله أن لا يقبلها من هذه الجماعة ولعله رواية والافقي ابن ماجه عن أبي هريرة « من صلى عليه مائة من المسلمين غفر له » (ولا يرجع) أي من غير ضرورة (حتى يفرغ من الدفن) ليحوز القيراطين (ويقعد) أي لا يقف (بعد وضع الجنازة) أي لا قبله واختلف أن المراد به وضعها عن الرقاب أو كما قال المصنف (في القبر مخالفة لأهل الكتاب) في هذا الأمر (ويتصدق الولي قبل مضي ليلة بشيء) أي من الصدقات والخيرات (أن تيسر) فإن الميت حينئذ كالغريق المتفوث يريد الخلاص والنجاة (والا) أي وإن لم تيسر التصديق الحسي فيصدق بالمعنوي وهو أن (يصلي ركعتين بالفاتحة وآية الكرسي) أي لأجل حفظه من العذاب (والتكأثر) أي وسورة الهاكم التكأثر حتى زرعهم بالمقابر للاعتبار والتذكرو ترك المفاخر (عشرا) أي عشر مرات (في كل) أي من الركعتين (ويهبه الثواب) رجاء النجاة من العذاب (ويسلم) أي على صاحب القبر (ويقف مستدبر القبلة) أي ومستقبل الميت كما هو في آداب السلام مع الأنام ويجوز أن يجلس عنده حتى يستأنس به ، وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور فليل في ذلك فقال : اجلس إلى قوم يذكرونني معادي وإن قتلت عنهم لم يغتابوني (ويواظب) أي الولي (على

الصدقة سبعة أيام ويזור القبر ناويا به الدعاء والرقعة والعبارة ، فورد
« زوروا القبور فانها تذكر الآخرة وتدمع العين وترق القلب » من لم ينس
المقابر والبلى حين قيل من ازهدهم الناس؟ ويقرأ القرآن ما تيسر ثم يسبح ويدعو،

الصدقة سبعة أيام ويזור القبر) اى قبر صاحبه أو القبور (ناويا به الدعاء)
لا اله (والرقعة والعبارة) لنفسه (فورد زوروا القبور فانها تذكر الآخرة) وفي
رواية ابن ماجه عن ابى هريرة « فانها تذكركم الآخرة » (وتدمع العين وترق القلب)
وفي رواية الحاكم عن انس « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فانها ترق
القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا » وفي رواية ابن ماجه عن ابن
مسعود « فانها ترهق الدنيا وتذكر الآخرة » (من لم ينس) اى وورد ايضا من لم ينس
(المقابر والبلى) اى الفتنة فى عالم البلاء (حين قيل من ازهدهم الناس) ظرف لورد
المقدر فتدبر ، وفي رواية اليهقى عن الضحاك مرسل « ازهدهم الناس من لم ينس القبر
والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يغدغدا من ايامه وعقد نفسه
فى الموتى » وفي رواية الترمذى وغيره عن أسماء بنت عميس « بنس العبد عبد تخيل واختال
ونسى الكبير المتعال بنس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بنس العبد
عبد سها ولها ونسى المقابر والبلى بنس العبد عبد عتوا وطغأ ونسى المبتدأ والمنتهى
بنس العبد عبد يخلل الدنيا بالدين اى يطلب بنس العبد عبد يخلل الدين بالشبهات بنس
العبد عبد طمع يقوده بنس العبد عبد هوى يضله بنس العبد عبد رغب يذله » والحاصل
ان المقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بهذا البلاء وللزور الاتفاغ بالدعاء ، وعن عمر
ابن عبد العزيز انه دخل عليه فتمعجب من تغير صورة الخليفة لكثرة الجهد والعبادة
فقال عمر الفقيه : لو رأيتى بعد ثلاثة ايام وقد ادخلت فى قبرى وقد خرجت الحدقتان
فسالتنا على الحدين وتقبلت الشفتان وخرج الصديد من الفم وتتن البطن وعلا
الصدر وافتتح الفم وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت اعجب عما تراه الآن
(ويقرأ القرآن ما تيسر) فى صحيح مسلم عن ابى امامة الباهلى « اقرءوا القرآن فانه
يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه » (ثم يسبح ويدعو) اى بالرحمة والمغفرة لنفسه
وللمؤمنين والمؤمنات فان الاذكار كلها نافعة له فى تلك الدار ، وعن حاتم الاصب
« من مر بالمقابر فلم يعتبر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم » وقال سفيان : من اكثر

وَوَرَدَ قِرَاءَةُ يَسٍ فِي الْمَشَاهِيرِ وَالْأَخْلَاصِ سَبْعًا فَوَعَدَ فِيهِ مَغْفِرَةَ الْمَيِّتِ
وَالْقَارِئِ إِنْ غَفَرَ لِلْيَتِيمِ وَيَعِينُ لَهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ . وَالْاِثْنَيْنِ
فَالْمَوْتَى يَعْلَمُونَ زَوَارِهِمْ فِيهَا . وَلَا يَطْوُهُ وَلَا يَمْسُ ، فَوَرَدَ النَّهْيُ وَلَا يَقْبَلُ وَيَبْرُ
الْوَالِدَيْنِ فَالْعُقُوقُ مِنَ الْكِبَارِ

ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفرة
النيران » (وورد قراءة يس في المشاهير) اى في الاحاديث المشهورة أو الروايات
المأثورة فقد تقدم حديث « اقموا على موتاكم يس » وحمله الجمهور على ان المراد بالموتى
المشرفون على الموت ولا يبعد حمله على الحقيقة واما الجمع بين الحقيقة والمجاز فلا
يجوز عندنا خلافا للشافعى (والاخلاص سبعا) اى سبع مرات (فوعده فيه مغفرة الميت
والقارىء ان غفر لليتيم) اى ان كان الميت مغفورا ولم اجده اصلا والمشهور انه يقرأ
ثلاث مرات لانه بمنزلة ختم القرآن بجميع الآيات فى مسند احمد وغيره عن ابى « من
قرأ قل هو الله احد فكا » تمام قرأ ثلث القرآن » وفى رواية العقيلي عن رجاء الغنوى « من قرأ
قل هو الله احد ثلاث مرات فكا » تمام قرأ القرآن اجمع ، وفى رواية لاحد عن معاذ بن
انس « من قرأ قل هو الله احد عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة » (ويعين لها) اى
لزيارة القبور (يوم الخميس والجمعة) فى رواية ابن عدى عن ابى بكر من زار قبر
والديه او احدهما يوم الجمعة فقرأ عنده يس غفر له (والسبت) اى لقربه الى الجمعة
(والاثنين) فانها ايام فواضل وللعبادة فيها زيادة فضائل (فالموتى يعلمون زوارهم
فيها) اى زيادة علم بها (ولا يطوّه) اى لا يدوس القبر ولا يقعد عليه فالتخطيب عن
ابى هريرة لان اطاع على جرة احب الى من ان اطاع على قبر (ولا يمس) اى القبر ولا التابوت ولا
الجدر (فورد النهى) اى عن مثل ذلك بقبوره عليه السلام فكيف بقبور سائر الانام
(ولا يقبل) فانه زيادة على المس فهو اولى بالنهى فالتقيل محتص بالحجر الاسود
وبايدى الانبياء والعلماء والصلحاء (ويبر الوالدين) اى يحسن اليهما فان فيه خير
الدارين قال تعالى : (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وفى قراءة احسانا (فالعقوق) اى مخالفة
احدهما على وجه لا يحتمل لها (من الكبار) وقلة الادب معهما من الصغائر وقد سئل
عليه السلام عن الكبار « فقال سبع الاشر الك بالله وعقوق الوالدين » الحديث وقال عز وجل

لَأَسِيمَا الْأُمِّ ، قَوَّرَدَ «بِرَهَا ضَعْفَانِ عَلَى الْوَالِدِ» مُقَدِّمًا عَلَى الْمُنْدُوبَاتِ لَا الْوَاجِبَاتِ ،
فَهُوَ الْمُرَادُ بِمَا وَرَدَ «بِرَ الْوَالِدَيْنِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْعُمْرَةِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ ،
وَيَسْتَأْذِنُ لِلدُّخُولِ عَلَيْهِمَا وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمَا وَيَنْفِذُ عَهْدَهُمَا وَوَصَايَاهُمَا وَيُكْرِمُ
أَصْدِقَاءَهُمَا» قَوَّرَدَ

(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) والطبراني في الصغير من حديث أبي
هريرة أن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام لا يجدر بحماها ، (لأسيما الأم قوردد برها
ضعفان على الوالد) أي على حقه كذا في الأحياء وقال مخرجه: غريب بهذا اللفظ وقد ورد
في معناه حديث بزر بن حكيم عن أبيه عن جده «من أبر قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم
أباك ثم الأقرب فالأقرب» أبو داود والترمذي والحاكم وصححه، وفي الصحيحين من حديث
أبي هريرة «قال رجل من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك»
ولعله مقتبس من قوله تعالى (حلتها أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)
فإن مشقة الحمل والوضع والقطام من زيادة حق الوالدة مع ما لها من قال الشفقة والرحمة،
هذا وللنسائي من حديث طارق المحاربي وأحمد والحاكم من حديث أبي رزمة، بر أمك
وأباك واختك وأخاك ثم أذنك فأذنك ، (مقدما) حال من فاعل ير (على
المندوبات لا الواجبات) أي الفرائض العينية من العبادات (فهو المراد بما ورد
بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد) أي إذا كانت هذه
الطاعات نوافل ولا يبعد أن يراد به المبالغة أو يزاد به من حيث أنه من حقوق العباد
المستلزمة لحق الله سبحانه أفضل من مجرد حقوق الله تعالى فإن العفو في ترك حقوق
الرب أقرب ويؤيده ما في الأحياء من أن الله تعالى «أوحى إلى موسى عليه السلام يا موسى أنه
من بر والديه وعفى كتبتة باراً ومن برني وعق والديه كتبتة عاقاً ، وأما حديث المتن
فكذا في الأحياء وقال مخرجه لم أجده هكذا وروى أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط
من حديث أنس «أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أتني أشتهي الجهاد ولا أقدر
عاليه قال: هل بقي من والديك أحد؟ قال: أمي قال: لجاهد في برها فإذا فعلت ذلك فأتني
حاج ومعتبر ومجاهد ، وأسناده حسن (ويستأذن للدخول عليهما) أي إذا باعهم حال
حياتهما (ويستغفر لهما) أي بعدما تهما (وينفذ عهودهما ووصاياهما) بل يقضى
حقوقهما ولو من غير عهدهما (ويكرم أصدقاءهما قوردد) أي في صحيح مسلم من حديث

«إِنَّ مِنْ أَمْرِ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدَّايِهِ بَعْدَ أَنْ يُولَى الْآبَ»
 وَيَتَصَدَّقُ لَهُمَا وَيُزَوِّرُهُمَا حَيًّا وَمَيِّتًا، فُورِدَ «مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبِيهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فِي كُلِّ
 جُمُعَةٍ غُفِرَ لَهُ وَكُتِبَ بِرًّا» وَيَقْطَعُ لِسَانَ السَّفِيهِ عَنْهُمَا بِمَالِهِ، فَهُوَ مِنَ الْبِرِّ وَيَقْدُمُ
 حَقَّ الْمَعْلَمِ عَلَى حَقِّهِمَا فَهُوَ حَيَاةُ الرُّوحِ وَلَا يَقْرَعُ بَابَ دَارِهِ، فُورِدَ (وَلَوْ أَنَّهُمْ
 صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) وَيَصِلُ الرَّحِمَ بِمَا أَمَكَنَ

ابن عمر (ان من امر البر) اى من افضل الاحسان واكمل الامتان بالنسبة الى
 الوالدين للانسان (ان يصل الرجل) اى الشخص (اهل ودايه بعد ان يولى الاب
 اى في غيبته سواء كان في حال حياته او موته ، و كذا حكم الوالدة بل هو الاولى كما لا يخفى
 فروى أبو داود وابن ماجه وابن حبان. والحاكم وقال صحيح الاسناد عن مالك
 ابن ربيعة «قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: هل
 بقى على من بر والدى شئ ابرهما بعد وفاتهما؟ قال: نعم الصلاة عليهما والاستغفار
 لهما واتقاهما وكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا يوصل الا بهما» (ويتصدق
 لهما) لحديث الطبراني في الاوسط و ما على احد اذا اراد ان يتصدق بصدقة أن
 يجعلها لو لوالديه فيكون لو لوالديه اجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص
 من أجورهما شئ» (ويزورهما حيا وميتا) وأقله في كل جمعة مرة (فوردمن
 زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة) اى بخصوصها وهو الافضل لتضاعف الحسنه
 فيه بسبعين مرة أو في كل أسبوع (غفر له وكتب برا) الحكيم الترمذى عن أبى
 هريرة (ويقطع لسان السفيه عنهما بماله فهو من البر) اى في حقه وحقهما ففى رواية
 العسكري والقضاعي عن جابر مرفوعا «ما وفى به المرء عرضه فهو له صدقة» (ويقدم
 حق المعلم) اى للعلوم الشرعية (على حقهما) فان حقهما من الامور الفرعية (فهو)
 اى المعلم سبب (حياة الروح) اى في الابد وهما سبب إيجاد الجسد في دار النكد
 والكبد (ولا يقرع باب داره) بل يقف كالعبد في انتظاره فروى «الشيخ في قومه
 ثالثي في أمته» (فوردمن) اى في آى التنزيل (ولو أنهم) اى المؤمنين الذين أتوا النبي
 ﷺ (صبروا) اى من غير خطاب ولا دق باب (حتى تخرج اليهم) وقت ذهاب
 أو اياهم (لكان خيرا لهم) في كثرة ثواب وحسن آب (ويصل الرحم بما أمكن

مَنْ عَطَا وَزَيَّارَةً وَدُعَاءَ، فَوَرَدَ « مَنْ كَانَ يَوْمًا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ
بُلُوًّا أَرْحَمَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ » قِيلَ يُكْرَهُ جَوَارُ الْقَرِيبِ فَهُوَ يَرْفَعُ الْحَرَمَةَ وَيُورِثُ
الْقَطِيعَةَ

من عطاء وزيارة ودعاء وكذا ما يعرض له من هناء وعزاء (فورد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه) لم أجداً أصله، وفي الصحيحين من حديث عائشة عنه عليه السلام « يقول الله تعالى : أنا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها تبته أى قطعت البتة » وفيهما من حديث أنس « من سره أن ينسأ له فى أثره أى يؤخر فى أجله - ويوسع فى رزقه فليصل رحمه » وزاد أحمد والحاكم باسناد جيد من حديث على « فليقلق الله وليصل الرحم » والاحمد والطبراني من حديث ذرة بنت أنى لخب باسناد حسن « أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أى الناس أفضل ؟ قال : اتقاهم لله وأوصلهم للرحم وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر » والطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو « ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافى ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها » وهو عند البخارى دون قوله « الرحم معلقة بالعرش » فرواها مسلم من حديث عائشة، ولا احمد من حديث معاذ، والطبراني من حديث أبى أمامة « أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عن ظلك » وقالت أسماء بنت أبى بكر « قدمت على امى فقلت : يا رسول الله ان امى قدمت على مشركه أفأصلها؟ قال نعم صليها » رواه الشيخان، وفى رواية « افاعطيها قال نعم صليها » وهو مقتبس من قوله تعالى : (صاحبهما فى الدنيا معروفًا) وللقزنى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبى « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة » (بلوا) أى وورد بلوا وهو بضم الباء واللام المشددة أى جددوا وفى رواية صلوا (أرحامكم ولو بالسلاام) أى مشافهة أو مكتابة، والحديث رواه العسكرى من حديث أنس مرفوعاً (قيل يكره جوار القريب) أى مجاورته وكذا مسافرتة (فهو يرفع الحرمه ويورث القطيعة) أى بسبب الملالة كما قيل فى كراهة مجاورة مكة والمدينة أنها سبب قلة الحشمة والعظمة، وعن عمر رضى الله عنه أنه كتب الى عماله مروا الاقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا، ونظيره أنه كان يقول فى الحج

ويزوره غبا ويراعى حق الكبير كحق الأبوين والصغير كالولد، ويشتره مملوكا ليعتق لآسيا الوالدين فهو قضاء حقهما . ويبالغ في استرضاء الجار، فورد « مازال جبريل يوصيني في الجار حتى ظننت أنه سيورثه »

يا أهل اليمن بمنكم ويا أهل العراق عراكم ويا أهل الشام شامكم (ويزوره غبا)
 أى ليزداد حبا (ويراعى حق الكبير) من الأخ والاخت والعم والعمة والحال
 والحالة (كحق الأبوين والصغير) أى منهم (كالولد) أى والمساوى كالأخ
 (ويشتره) أى قربه (مملوكا ليعتق) أى لاجل أن يعتقه أوليعتق عليه
 إذا كان من ذى رحم محرم منه كما هو مذهبا (لآسيا الوالدين فهو قضاء
 حقهما) وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة « لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا
 فيشتريه فيعتقه » أى بان ينوى عتقه أو يصير سيدا لعتقه (ويبالغ في استرضاء الجار)
 قليل الجار ثم الدار، واستنبط هذه النكته من قول آسية امرأة فرعون (اذ قالت
 رب ابن لى عندك يتنأى الجنة) . (فورد) أى فى الصحيحين عن عائشة وابن عمر
 (مازال جبريل يوصيني فى الجار) أى الاحسان فى حقه بالماء وغيره (حتى ظننت أنه)
 أى الجار (سيورثه) أى الجار الآخر، وفيها عن أبى شريح « من كان يؤمن بالله
 واليوم الآخر فليكرم جاره » وللبخارى عنه « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه »
 والبزار وأبو الشيخ وأبو نعيم عن جابر « الجيران ثلاثة جاره له حق وجاره له حقان وجاره له
 ثلاثة حقوق فالجار الذى له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار
 وحق الاسلام وحق الرحم وأما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام
 وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك » أقول: فله حق أقوى من غيره لانه لا يساعده
 فى تقصيره وكان هذا هو الموجب فيما نقله ابن مجاهد « كنت عند عبد الله بن عمر و غلام له
 يسلم شاة فقال : يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا فقال له
 كم تقول هذا ؟ فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى
 خشينا انه سيورثه » رواه أبو داود والترمذى وقال حسن غريب، ولاحمد والحاكم
 وصححه من حديث أبى هريرة « انه قيل له عليه السلام ان فلانة تصوم النهار وتقوم
 الليل وتؤذى جيرانها فقال: هى فى النار » وللخراطى. وابن عدى عن عمرو بن شعيب
 عن أبيه عن جده « أتدرون ما حق الجار ؟ ان استعان بك أعتته وان استقرضك

وَيَمْنُ الدَّارِ سَعْتَهُ وَحَسَنَ جَوَارِ أَهْلِهِ، وَوَرَدَ فِي حَدِيثِهِ بَعُونَ دَارًا، وَرَوَى أَرْبَعُونَ

أَقْرَضَتْهُ وَإِنْ أَفْقَرَتْ عُدَّتْ إِلَيْهِ وَإِنْ مَاتَ شِيعَتُ جَنَازَتِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَأَتْهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّتْهُ وَلَا تَسْتَظِلُّ عَلَيْهِ بِالْبَنَاءِ فَتُحْجَبُ عَنْهُ الرِّيحُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَإِذَا اشْتَرَيْتَ فَاكْهَةً فَاهْدِلْهَا فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَادْخُلْهُ سِرًّا وَلَا تَخْرِجْ بِهَا وَلَدَكَ لِيَغِیْظَ بِهَا وَلَدَهُ وَلَا تَوْذِهِ بِقِتَارٍ قَدْرَكَ إِلَّا أَنْ تَعْرِفَ لَهُ مِنْهَا اتَدْرُونَ مَا حَقَّ الْجَارُ؟ وَالَّذِي نَفْسِي يَدُهُ لَا يَبْلُغُ حَقَّ الْجَارِ إِلَّا مِنْ رَحِمَةِ اللَّهِ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: إِذَا طَبَخْتَ فَكَثِّرِ الْمَرْقَ ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ فَاغْرِفْ لَهُمْ مِنْهَا، رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «يَأْتِيَنَّ الْمَسْلُكَاتُ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةَ الْجَارِ تَهَاوُلُ فَرْسَنَ شَاةٍ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَجَمَلَتْهُ أَنْ يَحِبَّ لَهُ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ فَقَدْ حَكِيَ أَنَّ بَعْضَهُمْ شَكَكَ كَثْرَةَ الْفَارِ فِي دَارِهِ فَقِيلَ لَوَاقْنِيَتْ هَرَا فَقَالَ: أَخْشَى أَنْ يَسْمَعَ الْفَارُ صَوْتَ الْمَرْقِ فَيَهْرَبُ مِنْهُ إِلَى دَارِ الْجَارِ فَكَوْنُ قَدْ أَحْبَبْتَ لَهُ مَا لَا أَحِبُّ لِنَفْسِي (وَيَمْنُ الدَّارِ) أَيْ وَوَرَدَ بِرُكْنِهِ (سَعْتُهُ) أَيْ وَسَعْتُهُ بِقَدْرِ كِفَايَتِهِ (وَحَسَنَ جَوَارِ أَهْلِهِ) أَيْ بِمَجَاوِرَتِهِ فِي مَحَاوِرَتِهِ، وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: «الشُّؤْمُ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ قِيلَ فَيَمْنُ الدَّارِ سَعْتُهُ وَحَسَنَ جَوَارِ أَهْلِهِ وَشُؤْمُهُ ضَيْقُهُ وَسُوءُ جَوَارِ أَهْلِهِ وَشُؤْمُ الْمَرْأَةِ عَقْمُ رَحِمِهَا وَسُوءُ خَلْقِهَا وَبَيْنَهَا خُفَّةٌ مَهْرُهَا وَيَسْرُ نِكَاحُهَا وَحَسَنُ خَلْقِهَا وَيَمْنُ الْفَرَسِ ذَلُّهُ وَحَسَنُ خَلْقِهِ وَشُؤْمُهُ صَعُوبَتُهُ وَسُوءُ خَلْقِهِ» وَلِلدِّمَاطِيِّ مِنْ رِوَايَةِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَرْسَلًا: «إِذَا كَانَ الْفَرَسُ ضَرْبًا فَيُؤْمُومُ وَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ قَدْ عَرَفَتْ زَوْجًا قَبْلَ زَوْجِهَا لَحَنَتْ إِلَى الزَّوْجِ الْأَوَّلِ فِي مَشْؤُمَةٍ وَإِذَا كَانَتِ الدَّارُ بَعِيدَةً مِنَ الْمَسْجِدِ لَا يَسْمَعُ مِنْهَا الْأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ فِيهِ مَشْؤُمَةٌ» وَاسْتَدَاهُ ضَعِيفٌ وَوَصَلَهُ صَاحِبُ الْفَرْدُوسِ بِذِكْرِ ابْنِ عُمَرَ فِيهِ وَهُوَ لَا يَنَاقِ مَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ) وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا بَنِي سُلَيْمَةَ دِيَارَكُمْ دِيَارَكُمْ تَكْتُبُ آثَرَكُمْ» فَانْهَمُولُ عَلَى أَنْ الْأَجْرُ عَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ فِيهِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ مَبَارَكَةٌ وَمَقْبُولَةٌ (وَوَرَدَ فِي حَدِيثِهِ أَرْبَعُونَ دَارًا) فَعَنْ الزَّهْرِيِّ مَرْسَلًا: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْكُو جَارَهُ فَأَمَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَنَادِيَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ إِلَّا أَنْ أَرْبَعِينَ دَارًا جَارًا، أَبُو دَاوُدَ فِي مَرَاتِيلِهِ قَالَ الزَّهْرِيُّ: «أَرْبَعُونَ هَكَذَا وَأَرْبَعُونَ هَكَذَا وَأَرْبَعُونَ هَكَذَا وَأَرْبَعُونَ هَكَذَا وَأَرْبَعُونَ هَكَذَا» وَوَصَلَهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ رِوَايَةِ الزَّهْرِيِّ عَنْ ابْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ أَرْبَعُونَ: ذَرَاعًا وَكَلَامُهَا ضَعِيفٌ (وَرَوَى أَرْبَعُونَ

فِي كُلِّ جَهَةٍ وَيَحْتَرِزُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى بَيْتِهِ وَإِجْرَاءَ الْمِيزَابِ إِلَيْهِ وَوَضَعَ السَّارِيَةَ
عَلَى حَائِطِهِ وَالْمُضَايِقَةَ فِي إِقْلَاءِ التُّرَابِ بَيْنَ يَدَيْ دَارِهِ وَلَا يَمْنَعُ عَنْهُ الرِّيحُ بَرَفِغِ الْبِنَاءِ
وَلَا نَحْوِ الْمَلْحِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ وَيُرْسِلُ إِلَيْهِ ثَمَرَةً يَشْتَرِيهَا أَوْ يُخْفِيهَا وَلَا يَبْلُغُهُ رِيحُ
الْقَدْرِ إِلَّا أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ وَيُسَامِحَ مَا أَمَكَنَ

في كل جهة) وهذا قد علم ما تقدم فكانه يشير الى ما قبل من أن المراد باربعين في مجموع الجهات
بان يكون عشرة في كل جهة، وعن عائشة « قلت يا رسول الله انى لى جارين أحدهما
مقبل بيا به والآخر ناثيا به عنى وربما كان الذى عندى لا يسمعهما فإيهما أعظم حقا
قال: المقبل عليك بيا به » رواه البخارى فيه تنبيه الى مراعاة الاقرب كما يشير اليه قوله
تعالى (والجار ذى القربى والجار الجنب) وعن ابن مسعود « قال رجل يا رسول الله كيف
لى أن أعلم اذا أحسنت أو أسأت قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت
واذا سمعت جيرانك يقولون أسأت فقد أسأت » أحمد والطبرانى باسناد جيد، ولاحمد
وغيره عنه عليه السلام « من أراد به خيرا غسله قبل وما غسله قال يحببه الى جيرانه »
وفى رواية البيهقى « يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله » واسناده
جيد (ويحترز عن النظر الى بيته) بان لا يطلع من السطح وغيره على عوراته وان
اطلع من غير قصد فيصفع عن زلاته (واجراء الميزاب اليه) بان يكون ضررا
الانصباب عليه (ووضع السارية) أى الأسطوانة (على حائطه) أى جداره، وفى
الصحاحين عن أبى هريرة « لا يمتنع أحد كم جاره أن يغرز خشبة فى جداره » وفى
مكارم الاخلاق للخرائطى عن أبى هريرة « قضى عليه السلام أن الجار يضع جذعة
فى حائط جاره شاء أم أبى » واسناده جيد (والمضايقة فى إلقاء التراب) أى ونحوه
من الرماد وغيره (بين يدي داره ولا يمتنع عنه الريح برفع البناء) وكذا الضوء
بسد الهواء (ولانحو الملح والماء والنار) فان منعها مطلقا من العار فكيف عن الجار
(ويرسل اليه ثمرة) أى فاكهة (يشتريها أو يخفيها) بان لا يبيدها لانه اذا رآها رما
يشتريها ولم يكن قادرا على ان يشتريها (ولا يبلغه) أى لا يوصله (ريح القدر) أى
غليانه ودخانه (الا ان يرسل اليه) والافعال فى حقه : احسانه ما يأتينا دخانه يعمينا
(ويسامح ما أمكن) أى من تقصيراته لانه ليس حق الجار مجرد كفى الاذى بل احتمال

وَيُحَسِّنُ الْمَعَاشِرَةَ مَعَ الْمَرْأَةِ، فَوَرَدَ (وَاعْشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) مِنْ صَبْرٍ عَلَى سُوءِ خُلُقِ امْرَأَتِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ أَيُّوبَ عَلَى بَلَائِهِ وَمَنْ صَبَرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ زَوْجَتِهِ أَعْطَاهَا اللَّهُ ثَوَابَ آسِيَةٍ »

الآذى ولا يصح في احتمال الآذى بل لابد من الرفق وبذل الندي ﴿ويحسن المعاشرة مع المرأة﴾ فيحسن الخلق معهن ويحتمل الآذى عنهن ترحماً عليهن لقصور عقولهن ﴿فورد﴾ أي في القرآن ﴿وَاعْشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ تمامه ﴿فان كرهتموهن نفسي ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ وفي آية أخرى ﴿فامسك بمعروف أو تسرع بإحسان﴾ وفي أخرى ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ وعن ابن عباس اني أحب ان أتزين لامرأتي كما تحب امرأتي ان تزين لي لهذه الآية ﴿من صبر﴾ أي ورد من صبر ﴿على سوء خلق امرأته اعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله ثواب آسية﴾ امرأة فرعون كذا في الأحياء وقال مخرجه: لم أجده أصلاً قلت: وما يدل على عدم ثبوته فقد الملائمة بين الفقرتين فان امرأة أيوب كانت من الصلحاء والصابرات على المشقات فحسن المقابلة ان يقال مثل ما أعطى نوح أولوط على بلائه أي ابتلائه بامرأته فيكون مشيراً الى قوله تعالى (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما) أي بالكفر لان حرم الأنبياء مصونات عن الزنا الى ان قال (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرات فرعون) الآية وقد ورد عنه عليه السلام «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً والطفهم بأهلهم» الترمذي والنسائي والحاكم وصححه وللترمذي من حديث عائشة وصححه «خيركم خيركم لأهله وانا خيركم لأهلي» ثم ليس حسن الخلق معها مجرد كف الآذى عنها بل تجمل الآذى منها والحلم عند طيشها وغضبها وقلة أدبها اقتداء به عليه السلام فان أزواجه كن يراجعنه في الكلام وتهجره الواحدة منهم الى الليل كما في الصحيحين من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالى (وانظروا عليه) أي عائشة وحفصة وفي رواية أبي يعلى في مسنده وأبي الشيخ في كتاب الأمثال وفيه ابن اسحق وقد عنعنه قالت عائشة له مرة في كلام «غضبت عنده أنت الذي تزعم انك نبي الله فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك خلباً وكرماً» أقول: وهذا لعلمه عليه السلام بانها ما خرجت بهذا الكلام من الاسلام لما أطلع الله

وَيَبْسُطُ لِعَبَا وَمَرَا حَا ، فَوَرَدَ « هَلَّا بَكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ » وَلَا يَدْعُ

الْإِنْقِبَاضَ ،

سبحانه من علم الغيب في الأحكام والا فظاها ردة لو صدر مثله من غيرها لحكم بكفرها وكان عليه السلام يقول لها « انى لأعرف غضبك على من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا والله محمد واذا غضبت قلت لا والله ابراهيم قالت صدقت انما أجهز اسمك » وراجعت امرأة عمر في الكلام « فقال أوتراجعيني فقلت ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعته فقال عمر خابت عمر خابت حفصة وخسرت ، أى ان راجعته ثم قال لحفصة : « لا تغترى بآبنة ابن أبى قحافة فانها حب رسول الله ﷺ » وروى « أنه وقعت احداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزبرتها امها فقال عليه السلام : دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك » . (وينبسط لعبا ومزاحا) فانه يوجب اصلاحا ويفيد فلاحا (فورد) أى خطابا للجايز (هلا بكرا) أى أخذتها (تلاعبها وتلاعبك) وفي نسخة « تداعبها وتداعبك » وكان عليه السلام « يمزح معهن وينزل الى درجة عقولهن » حتى روى « أنه كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الأيام فقال عليه السلام : هذه بتلك » أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة بسند صحيح ، وقالت عائشة : « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم يلعبون في يوم عيد فقال لى : اتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجأوا وقام عليه السلام بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده وجعلت ذقتى على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : حسبك يا حمير اموأقول لا تعجل مرتين » والحديث رواه الشيخان والنسائي مع اختلاف في بعض الالفاظ ، وقال عمر رضى الله عنه مع خشوته : يذغى للرجل أن يكون في أهله كالصبي فاذا التمس ما عنده وجد رجلا ، وكذا روى عن لقمان ووصفت أعرابية زوجها وقد مات فقالت : كان ضحوكا اذا ولج سكوتا اذا خرج آكلا ما وجد غير سائل عما فقد (ولا يدع الانقباض) أى بالمرحة حتى لا يصير محكوما للبرأة واسيرا لها في الحرمة فكانت نساء العرب يعلنن بناتهن اختبار أزواجهن وتقول لبنتها اختبرى زوجك قبل الاقدام والجرأة عليه انزعى زج رحمه فان سكنت فقطعى اللحم على ترسه فان سكنت فكسبرى العظام بسيفه فان صبر فاجعلى الاكاف على ظهره فانما

فورد «وخالفوهن فالبركة في خلافهن» ويغار بمبادئ الأمور ولها غوائل،
 وورد «إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم
 الله عليه»

هو حمارك في أمره طول عمره، هذا وفي البخاري عن أبي بكرة «لا يفلح قوم تملكتهم
 امرأة» وروى أن أسماء بنت خزيمة الغزاري قال لأبنته عند زفافها أنك خرجت
 من العش الذي فيه درجت وصرت إلى فراش لم تعرفه وقرين لم تألفه، فكوني له
 أرضاً يكن لك سماء وكوني له مهاداً يكن لك عماداً وكوني له أمة يكن لك عبداً
 لا تلحن به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينساك إن دنا فاقربي منه وإن نأى فابعدى عنه
 واحفظى أهله وسمعه وعينه لا يشم منك إلا طيباً ولا يسمع منك إلا حسناً ولا
 ينظر منك إلا جميلاً، وقال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستدبى مودتى ولا تنطقى في سورتى حين أغضب
 ولا تتقربنى نقرة الدف مرة فانك لا تدرين كيف المغيب
 لأنى رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعاً لم يلبث الحب يذهب

(فورد) أى كما سبق (وخالفوهن) أى في المشورة وأصل الحديث «شاوروهن
 وخالفوهن» (فالبركة في خلافهن) أى لقلة عقلمن ونقصان دينهن وهو من تنمة كلام
 عمر رضى الله عنه «خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة» وقال الحسن «والله ما أصبح
 رجل يطيع امرأته بما تهوى إلا أكبه الله في النار» وأما ما أورده الغزالي من حديث
 «تعس عبد الزوجة» فلا أصل له وإنما ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة
 «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم» والله سبحانه أعلم (ويغار بمبادئ الأمور)
 لثلاث تأدى إلى مناهى الشرور (ولها غوائل) جملة حالية أى والحال أن للمرأة مناكر
 ورذائل فأنهن كما ورد «للشيطان حبات» فالغيرة بعد ظهور الزينة من أخلاق الرجال
 وأرباب الفضائل وأصحاب الفواضل بل من باب التخلق بأخلاق الله (وورد أن الله تعالى
 يغار والمؤمن) أى الكامل (يغار) أى على امرأته وجاريته وقرابته وهذا
 ظاهر (وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه) أى من الزنى وغيره والحديث
 متفق عليه من حديث أبي هريرة إلا أن البخاري لم يقل والمؤمن يغار والحاصل أن الغيرة
 كراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو من حقه وغيرة الله أن يكون مخالفة أمره

وَلَا يُفِرُّ ، فَوَرَدَ « مِنْ الْغَيْرَةِ غَيْرَةُ يَبْغُضُهَا اللَّهُ » وَهِيَ غَيْرَةُ الرَّجُلِ
مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ ، وَيَمْنَعُ عَنِ الْحُضُورِ فِي الْمَسْجِدِ

((ولا يفِرُّ)) أى لا يبالغ فى الغيرة لئلا يقع فى محذور ((فورد)) أى فى رواية
أبى داود والنسائى . وابن حبان من حديث جابر بن عتيك ((من الغيرة غيرة يبغضها الله
وهى غيرة الرجل)) أى على أهله ((من غير رية)) أى شك وشبهة ، وفى رواية
« أن من الغيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يبغضه الله » الحديث وجاء فى حديث عنه
عليه السلام « انى لغيرور وما من امرئ لا يغار الا مذكوس القلب وقد قال على رضى الله
عنه « لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك » وقد ورد نهي عليه السلام
« عن تتبع عثرات النساء » الطبرانى ولان الغيرة من غير الرية من سوء الظن الذى
نهينا عنه فان بعض الظن اثم ، ثم اعلم ان مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب
الاعصم من مائة غراب كما رواه الطبرانى من حديث أبى امامة بسند ضعيف ، والاعصم
الايض البطن ، ولأحمد من حديث عمرو بن العاص « كنا مع رسول الله ﷺ
بمر الظهران فاذا بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحر المنقار فقال : لا يدخل الجنة
من النساء الا مثل هذا الغراب فى هذه الغربان » واسناده صحيح وهو فى السنن الكبرى
للنسائى ، وورد « استعينوا من الفواقر الثلاث جار ان رأى حسنة دفنها وان رأى
سيئة اذاعها وامام ان أحسنت لم يرض عنك وان أسأت غضب منك وامرأة ان
دخلت عليها لستك وان غبت عنها خاتك » الديلمى عن أبى هريرة بسند ضعيف
وجاء بلفظ آخر رواه الطبرانى من حديث فضالة بن عبيد « ثلاث من الفواقر - فذكر
منها - وامرأة ان حضرتك أذنتك وان غبت عنها خاتك » وسنده حسن ((ويمنع))
أى المرأة الشابة ((عن الحضور فى المسجد)) وجوز بعض فقهاءنا حضور العجوز
من غير زينة فى الصبح والعشاء حال الظلمة والمتأخرون اطلقوا منعن لفساد الزمان
خصوصا فى حق النسوان وفى الاحياء كان عليه السلام « قد أذن للنساء فى حضور
المساجد » وهو متفق عليه من حديث ابن عمر « ائذنوا للنساء بالليل الى المساجد »
والصواب الآن المنع فالمنع حسن الا للمعجئات بل استصوب ذلك فى زمن الصحابة حتى
قالت عائشة رضى الله عنها : « لو علم النبي ﷺ ما أحدث الناس بعده لمنعن
الخروج » متفق عليه ، ولما قال ابن عمر كفى الصبيحين قال عليه السلام : « لاتمنعوا

وَيَعْتَدِلُ فِي النَّفَقَةِ ، فُورِدَ (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) الْآيَةَ وَلَا يَخْتَصُّ
بِأَجُودِ الطَّعَامِ وَيَشْتَرِكَانِ فِيهِ ، فُورِدَ فِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ وَيُعَلِّمُ

امام الله مساجد الله « قال بعض بنيه وهو بلال وقيل سالم: بلى والله لنمنعن فضر به
وغضب عليه وهجره وقال : تسمعنى أقول قال عليه السلام «لاتمنعوا» فتقول بلى وانما
استجراً على المخالفة لعله بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهراً
من غير اظهار العذر قال : والخروج الآن أيضاً مباح للمرأة العفيفة برضاء زوجها
ولكن القعود أسلم والله أعلم ، فاذا خرجت فيذبني ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا
نقول: ان وجه الرجل في حقها عورة كوجهها في حق بل هو كوجه الصبي الأمرد في حق
الرجل فيحرم النظر اليه عند خوف الفتنة فان لم تكن فتنة فلا اذلم يزل الرجال على ممر
الزمان مكشوف الوجوه والنساء يخرجن متنقيات ولو كانت وجوه الرجال عورة في حق
النساء لامروا بالتقب أو منعوا من الخروج الا للضرورة انتهى ، وقد بالغ النووي
وحرم النظر الى الأمرد الحسن الوجه ولو بغير شهوة (وَيَعْتَدِلُ فِي النَّفَقَةِ) ففى الخبر
«الاتصاف في النفقة نصف المعيشة» الطبرانى والبيهقى عن ابن عمر (فُورِدَ) أى
في القرآن (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) وهى كناية عن البخل (الْآيَةُ)
أى (ولا تبسطها كل البسط) وهى كناية عن الاسراف والتبذير (فتقعد ملوماً محسوراً)
وقال عز وعلا في نعت عباد الرحمن : (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين
ذلك قواماً) وقيل : كان اعلى أربع نسوة يشتري لكل واحدة منهن في كل أربعة ايام
لحماً بدرهم ، وقال ابن سيرين : يستحب للرجل ان يعمل لأهله في كل جمعة فالودجة فان
الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتسير باعتبار العادات
(وَلَا يَخْتَصُّ) أى الرجل (بِأَجُودِ الطَّعَامِ) أى لا يذنبى له ان يستأثر عن أهله
بما كول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدر ويوجب الضرر الا اذا رضى
أهله وطاب عندم عمله والا فليأكله في خفية بحيث لا يطالع عليه غيره ولا يذنبى
ان يصف عندم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه بل اذا وصف عنده طعاما فيذنبى
ان يطعمهم اياه (وَيَشْتَرِكَانِ) أى هو والعيال (فِيهِ) أى في الأكل على ما تئذته (فُورِدَ)
فيه فضل كثير (ومنه ما تقدم من ان خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي وقال سفيان
« يلقن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون في جماعة » (وَيُعَلِّمُ) أى المرأة

مَا يَجِبُ عَلَيْهَا، وَيَعْدِلُ بَيْنَ النِّسَاءِ فِي الْيَتُومَةِ وَالْأَعْيَا، فَوَرَدَ فِي الْمَائِلِ «جَاءَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاحِدٌ شَقِيهٌ مَائِلٌ» بِخِلَافِ الْمُبَاشَرَةِ وَالْحُبَّةِ فَلَا اخْتِيَارَ فِيهِمَا، وَوَرَدَ
«اللَّهُمَّ هَذَا جُهْدِي فِيمَا أَمْلِكُ وَلَا طَاقَةَ لِي فِيمَا لَا أَمْلِكُ» بَعْدَ الْقِسْمِ

(ما يجب عليها) من علم الحيض وأحكامه واحكام الصلاة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه أمر بان يقبها النار لقوله تعالى : (قرأ أنفسم وأهلكم ناراً) فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة ويزيل عن قلبها البدعة ويخوفها الله اذا تساهلت في أمر دينها، وفي الأحياء مهما انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء انتهى وهذا مذهب الشافعي وأما عندنا فلا يجب عليها إلا قضاء العصر والعشاء ثم إن قصر عن ذلك علم الرجل ناب عنها بالسؤال عن أهل العلم والجواب لها والا فيجب عليها الخروج ويعصى الرجل بمنعها في تلك الحال (ويعدل بين النساء في اليتومة) أي في ميت الليل عندهن (والاعطاء) أي من نفقتهن وكسوتهن فلا يميل الى بعضهن دون غيرهن حتى لو خرج الى سفر واراد استصحاب واحدة منهن أقرع بينهن كذلك كان يفعل عليه السلام كما في الصحيحين عن عائشة وذلك لقوله تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) أي كمال العدل (ولو حرصتم) أي من طريق الفضل (فلا تميلوا كل الميل) أي الى واحدة عن أخرى (فتدروها كالمعلقة) بين المزوجة والمطلقة (فورد في المائل) أي في القسم (جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل) أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة مرفوعاً «من كان له امرأتان قال الى احدهما دون الأخرى، وفي رواية (قال مع احدهما، وفي أخرى «فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل» أي ساقط (بخلاف المباشرة) استثناء معنوي من اليتومة والاعطاء أي لكن المجامعة بل الملازمة والملاعبة (والحبة) أي التي يتفرع عنها غالب اسباب الملازمة (فلا اختيار فيهما) أي طبعاً فلا حرج في عدم العدل فيهما شرعاً (وورد) أي عنه عليه السلام أنه كان يعدل بينهما ويقول (اللهم هذا) أي الذي فعلته من القسم (جهدى) بالضم الطاقة وبالفتح المشقة أي غاية اجتهدى (فيما أملك) أي من العدل بينهما (ولا طاقة لي فيما لا أملك) أي من زيادة الحبة أو المجامعة الى بعضهن (بعد القسم) ظرف لورد أي قال هذا الكلام بعد القسم، والحديث رواه

وَلَوْ وَقَعَتِ الْخُصُومَةُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ أَوْ جَانِبِهِ وَلَا تَلْتَمِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ حَكَمَيْنِ مِنْ أَهْلِهِ
وَأَهْلِهَا، فَوَرَدَ (إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا)

أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة أنه عليه السلام «كان يعدل بينهن ويقول: اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقلي فيما أملك ولا أملك، ولا بن سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي بن الحسين «وإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحمل في ثوب ويطاف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن» وفي مرسل آخر له «لما نفل عليه السلام قال: أين أنا غدا؟ قالوا عند فلانة قال: فإن أنا بعد غد قالوا عند فلانة فعرف أزواجه أنه يريد عائشة، الحديث، والبخاري من حديث عائشة «كان يسأل في مرضه الذي مات فيه أين أنا غدا؟ أين أنا غدا؟ يريد يوم عائشة فاذن له أزواجه أن يكون حيث شاء، وفي الصحيحين «لما نفل استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فاذن له»، وهذا وقال تعالى: (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو أعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير) ولأبي داود من حديث عائشة «قالت سودة وهي بنت زمعة حين أسدت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله يومى لعائشة» الحديث، والطبراني «فأراد أن يفارقها»، وهو عند البخاري باللفظ «لما أن كبرت سودة وهبت يومها لعائشة فكان يقسم لها يوم سودة» والبيهقي مرسل «طلق سودة فقالت: أريد أن أحشر في أزواجك» الحديث ثم أنه عليه السلام بحسن عدله وقوة فضله كان إذا تأقت نفسه إلى واحدة من نسائه في غير يومها جامعها ثم طاف من يومه ذلك أو ليلته على سائر نسائه فمن ذلك ما في الصحيحين عن عائشة «طاف على نسائه في ليلة واحدة»، والبخاري «كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة» وابن عدي في الكامل عن أنس «أنه عليه السلام طاف على تسع نسوة في مخمرة نهار» قيل: وهذا من خصوصياته عليه السلام (ولو وقعت الخصومة) أي المخالفة (من الجانبين) أي جانبي الزوجين (أو جانبه) أي الرجل وحده (ولا تلتئم) أي خصوصتهما ولا يجتمع أمرهما (فلا بد من حكمين من أهله وأهلها فورد) في القرآن (إن يريدَا) صدر الآية (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدَا). (إصلاحاً يوفق الله بينهما) وضمير يريدَا إلى الزوجين كضمير بينهما أو الأول إلى الحكمين والثاني إلى الزوجين، ويؤيده أن عمر رضى الله عنه

وَإِنْ كَانَ مِنْ جَانِبِهَا يَعْظُ الزَّوْجُ ثُمَّ يَخُوفُ ثُمَّ يَسْتَدْبِرُ فِي الْفِرَاشِ ثُمَّ يَعْزِلُهَا
دُونَ الْبَيْتِ ثُمَّ يَهْجُرُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَجَاءَ عَشْرَةٌ أَوْ عَشْرِينَ أَوْ شَهْرًا إِنْ كَانَ لِلدِّينِ
ثُمَّ يَضْرِبُ

بعث حكيمين الى زوجين فعادا ولم يصلحا أمرهما فعلاهما بالدرة وقال: ان الله يقول
(ان يريدنا اصلاحا يوفق الله بينهما) فعادا وأحسننا النية وتلطفا في القضية فانصاح
ما بينهما ، وقد جرى بينه عليه السلام وبين عائشة نوع من الكلام حتى
ادخلا بينهما أبا بكر حكما فاستشهده فقال لها عليه السلام : تكلمين أو أتسكلم
فقال: تكلم أنت ولا تقول الا حقا فاطمها أبو بكر حتى دمي ففها فقال : يا عديّة
نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خائف ظهره
فقال له عليه السلام : لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك « (وان كان) أي النشوز « (من
جانبها) أي المرأة فقط فقد قال تعالى : (وللرجال عليهن درجة) وقال (الرجال
قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم فالصالحات
قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واجبروهن
في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) وهذا معنى قوله (يعظ
الزوج) أي ينصحها ويلطف معها أولا لقوله تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة) (ثم يخوف) أي يحذر المرأة من الضرب ونحوه (ثم يستدبر
في الفراش) بأن يوليها ظهره في المضجع (ثم يعزلها) أي ينفرد بفراشه عنها (دون
البيت) أي من غير أن يخرج هو أو هي من البيت (ثم يهجر) أي يهجرها وهو مع
ذلك في البيت معها (ثلاثة أيام) أي من ليلة إلى ثلاث ليال (وجاء) أي وردانه
جازان يهجرها (عشرة أو عشرين أو شهرا ان كان للدين) كترك صلاة وغسل جنابة
واباء عن فراش ونحوها « فعل ذلك رسول الله ﷺ اذ أرسل بهدية الى زينب
فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد أقمتك اذ ردت عليك هديتك أي أذلكت
واستصغرتك فقال عليه السلام : أتئن أهون على الله ان تقمئتي ثم غضب عليهن كلمن
شهر الى ان عاد اليهن « كذا في الاحياء وذكره ابن الجوزي بغير اسناد في الوفاء وفي
الصحيحين من حديث عمر « كان أقدم ان لا يدخل عليهن شهر من شدة موجدته عليهن »
وفي رواية « آلى منهن شهرا » ولمسلم من حديث جابر « ثم اعترهن شهرا » (ثم يضرب)

غَيْرَ جَارِحٍ وَلَا كَاسِرٍ وَلَا مُلْطَخٍ بَدَمٍ، فَوَرَدَ فِيهِ «وَقَدْ قِيلَ لَهُ مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ يَطْعُمُهَا إِذَا طَعِمَ وَيَكْسُوها إِذَا اكْتَسَى وَلَا يَقْبِحُ وَجْهَهُ وَلَا يَضْرِبُ إِلَّا ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ وَلَا يُطَلِّقُ، فَوَرَدَ «أَبْغَضُ الْمُبَاحَاتِ عِنْدَ اللَّهِ الطَّلَاقُ» وَلَأنَّهُ إِذَا لَمْ يَلْزَمِ لَظْمُهَا مِنْهُ أَوْ جَنَاحُهَا مِنْهَا وَأَمَرَ الْأَبَّ بِهِ إِنْ صَحَّ الْغَرَضُ وَهُوَ مَا ثَوَّرَ

أى المرأة ضرباً (غير جارح ولا كاسر) لعظم ((ولا ملطخ بدم)) ولا على وجهه أيضاً ((فورد فيه)) أى فى بيان هذا الحكم من أمره ونهيه عنه عليه السلام ((وقد قيل له ما حق المرأة على الرجل فقال يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يقبح وجهه ولا يضرب الا ضرباً باغبر مبرح)) أى غير مؤلم ولا يهجر الا فى البيت أبوداود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال: لا يضرب الوجه ولا يقبح أى لا يقول قبحك الله أو قبح الله وجهك» وفى رواية لآبى داود «ولا يقبح الوجه ولا يضرب» ((ولا يطلق)) أى من غير احتياج الى اختيار الفراق ((فورد أبغض المباحات عند الله الطلاق)) رواه أبوداود وابن ماجه والحاكم فى مستدركه عن ابن عمر ولفظه «أبغض الحلال الى الله الطلاق» وفى رواية للحاكم «ما أحل الله شيئاً أبغض الى من الطلاق» وعند الديلمى من حديث معاذ بن جبل «ان الله يبغض الطلاق ويحب العتاق» وفى روايه «ما أحل الله حلالاً أحب الى من النكاح ولا أحل حلالاً أكره الى من الطلاق» قد يقال: المباح ما استوى فعله وتركه ولا يتصور أن يكون أحد طرفيه مبغوضاً فلا بد من التجوز فى المباح بأرادة ما يشمل المكروه، ففى الكافى أن الطلاق محظور فى أصل مباح نظراً الى الحاجة فاطلاق المباح نظر الى الحاجة والوصف بالمبغوضية نظر الى أصله انتهى، وحاصله أنه عند الحاجة مباح وعند غيرها مكروه، ونظيره السؤال عن الناس فانه محرم باصله وبإباح عند الضرورة الى فرعه ((ولأنه)) أى الطلاق ((إيذاء)) أى فى مقام الافتراق ولا يباح إيذاء الغير ((إلا لضرورة منه)) أى من جانبها (أو جنائياً منها) أى من جانبها بان كانت تؤذى زوجها أو أهله أو تكون سيئة فى خلقها أو فاسدة فى دينها والا فقد قال تعالى: (فان أطعتمكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً) ((أو امر الأب)) أى أو لأجل أمر أب الزوج ((به)) أى بطلاقها (ان صح الغرض) أى غرض الأب ولا يكون عن حفظ النفس أو الغضب ((وهو ما ثور))

وَوَرَدَ (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) الْآيَةُ فَيُطَاقُ فِي طَهْرِ خَالٍ عَنِ الْجَمَاعِ وَاحِدَةً فَقَطَّ بِلَا

تَعْنِيفٍ وَاسْتِخْفَافٍ وَيُسِرُّ بِهَدِيَّةٍ جَبْرًا لِلْبُصِيَّةِ

أى مروى عن ابن عمر أنه قال: «كان تحتى امرأة أحبها وكان أبى يسكرها ويأمرنى بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا ابن عمر طلق امرأتك» أصحاب السنن وقال الترمذى حسن صحيح (وورد فلا جناح عليهما الآية) وتماها فان خفتم الا يقيا حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به (والمعنى اذا كان الاذى من الزوج فلها ان تقتدى ببذل مال ويسكره للرجل أن يأخذ منها اكثر مما اعطاها فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على بضعها فاللائق بالفداء رد ما أخذته من العطاء (فيطلق) أى حيثن (فى طهر خال عن الجماع) فان الطلاق فى الحيض والطهر الذى جامعها فيه بدعى حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل المدة وتحصيل المضرة فان فعل ذلك فليراجعها فقد طلق ابن عمر امرأته فى الحيض فقال عليه السلام لعمر: مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التى امر الله ان تطلق لها النساء وانما امره بالصبر بعد الرجعة من طهرين ثلثا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط كذا فى الاحياء وهو موافق لمذهب الشافعى ان الخلع فسخ او طلاق رجعى، واما على مذهبنا - انه طلاق بائن - فلا يمكن ان يراجعها اذا كان الطلاق رجعيا ، واما حديث ابن عمر فمحمول على الطلاق الرجعى (واحدة فقط) أى يقتصر على طلقة واحدة ولا يجمع بين الثلاث فانه طلاق بدعى أيضا وهو حرام عندنا ومكروه عند الشافعى ، ولأن الطلقة الواحدة تفيد المقصود من المفارقة ويستفيد بها الرجعة ان ندم فى العدة وتجديد النكاح ان أراد بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج فى أن يتزوجها الى محلل وإلى الصبر مدة وعقد المحلل منهى عنه مكروه فيه ويكون هو الساعى له ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير ومطلقة أعنى زوجة المحلل بعد أن زوجت منه فيورث كل ذلك تنفيرا فى الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع بين الطلقات الثلاث (بلا تعنيف واستخفاف) أى ينبى ان يتلطف فى التعلل لتطبيقها ولا يستعجل فى امر تفريقها (ويسر بهدية) أى ويخفى بارسال هدية على سبيل المتعة فى القضية (جبرا للبصية) أى لما اصابها من البلية وقد قال تعالى: (ومتعوهن بالمعروف) وذلك واجب فى بعض الصور

وَلَا تَطْلُبِ الْمَرْأَةَ فِيهِ الْوَعْدُ

ومستحبة في بعضها، وفي الكتب الفقهية يذكر تفصيلها، وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلقا منكاحا قائلًا: أتى وجدت الغنى فيها حيث قال سبحانه: (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) وقال (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) وقد وجه ذات يوم بعض أصحابه بطلاق امرأتين من نسائه وقال: قل لهما: اعتديا وادفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع إليه قال: ماذا فعلتا فقال اما احدهما فسكتت ونكست رأسها واما الاخرى فسكتت وانتجت وسمعتها تقول: متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق الحسن ورحمها: وقال لو كنت مراجعا امرأة بعدما أفارقها لراجعتها، ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له في المدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم أسر مسيرى ذلك لكان أحب إلى من أن يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث فدخل الحسن في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه واكرمه فقال: الا ارسلت إلى فكنت آتيك فقال الحاجة لنا فقال وما هي؟ قال جئتك خاطبا ابتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه فقال والله ما على وجه الأرض أحد يمشی عليها اعز على منك ولكن تعلم ان ابنتي بضعة مني وانت مطلق فاخاف ان تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبي في محبتك واكره ان يتغير قلبي عليك لانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان شرطت ان لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام فخرج فقال بعض أهل بيته سمعته وهو يمشی ويقول: ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا في عنقي، وكان على رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه، وكان يعتذر منه على المنبر الى ان قال في خطبة ان حسنا مطلق فلا تسكحوه فقام رجل من همدان فقال: والله يا امير المؤمنين لنسكحه ماشاء فان احب امسك وان احب ترك فسر ذلك عليا فقال: لو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام (ولا تطلبه) أي الطلاق (المرأة) أي من غير الضرورة (فيه الوعيد) أي التهديد الشديد فلا تني داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث توبان واما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس لم ترح راحة الجنة، وفي لفظ «فالجنة عليها حرام» وما ينبغي للزوج ان لا يفشي سرها عند النكاح ولا عند الطلاق فقد ورد في افشاء سر النساء في الخبر الصحيح

وَتَطِيعِ الزَّوْجَ، فَوَرَدَ «إِنَّمَا امْرَأَةٌ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ» وَلَا تَمْنَعُ
نَفْسَهَا وَتَنْقَى لَتَمْتَعَهُ وَتَسْتَأْذِنَهُ فِي الْإِعْطَاءِ مِنَ الْبَيْتِ

وعيد عظيم كذا في الأحياء ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد « قال عليه السلام
ان أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم يفشي
سرهما » يعني أو تفشي سره فان المجالس بالأمانة كما ورد ، وروى ان بعض الصالحين
أراد طلاق امرأته فقيل له : ما الذى يريك منها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته
فلما طلقها قيل له لم طلقها قال : مالى وامرأة غيرى ، وهذا يان ماعلى الزوج واما
حق الزوج على المرأة فكما بينه بقوله ﴿ وتطيع الزوج ﴾ أى مطلقا فى كل ماطلبه
منها فى نفسها مما لامعصية فيه ﴿ فورد ايما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت
الجنة ﴾ الترمذى وابن ماجه من حديث أم سلمة ، وقال الترمذى : حسن غريب
﴿ ولا تمنع نفسها ﴾ أى عنه ولو كانت على تنور أو قنب مستور ، فلان حبان من
حديث أبي هريرة واذا وصلت المرأة خميسا وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت
زوجها دخلت جنة ربها ، وفي الصحيحين من حديث ابن عباس « اطلعت فى النار فاذا
أكثر أهلها النساء فقلن : لم يارسول الله فقال يكثرن اللعن ويكفرن العشير » يعنى
الزوج المعاشر ، ولا حدم من حديث أبي امامة « اطلعت فى الجنة فاذا أقل أهلها النساء فقلت
أين النساء قال شغلن الاحمران الذهب والحريه ، ولا بن نعم » ويل للنساء من الاحمرين
الذهب والزعفران » يعنى الحلى وسائر الاسباب ومصبغات الثياب ﴿ وتنقى ﴾ أى
نفسها وتزنيها ﴿ تمتعه ﴾ أى لا تنفاعة بها مستعدة فى الأحوال كلها فعن الأصمعى
رأيت فى البادية امرأة عليها قميص أحمر وهى محتضبة ويدها سبعة فقلت : ما أبعد
هذا من هذا فقالت :

والله منى جانب لأضيعه وللهمنى والبطالة جانب

قال : فعلمت انها امرأة صالحة لها زوج تزين له ﴿ وتستأذنه فى الإعطاء من البيت
أى من متاعه بل ومن متاعها عند بعض العلماء ، وفى الأحياء عنه عليه السلام
لا يحل لها أن تطعم الا الرطب الذى يخاف فسادة ، ولأبى داود من حديث سعد قالت
امرأة : يارسول الله انا كل على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا فما يحل لنا من أموالهم قال
الرطب تأكله وتهدينه ، وصحح الدارقطنى فى العلل أن سعدا هذا رجل من الأنصار

وَالْخُرُوجِ عَنْهُ وَصَوْمِ النَّفْلِ، وَلَا تَعْيِيهِ بِالْقَبْحِ وَتَقْدَمُ حَقَّهُ عَلَى الْإِقْرَابِ

ليس ابن أبي رُقاص ، وذكر البزار في مسنده أنه ابن أبي وقاص واختاره ابن القطان، ولمسلم من حديث عائشة « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب » (والخروج عنه) أى وفي خروجها عن البيت ولوالى المساجد ونحوها (وصوم النفل) أى إذا كان عندها فليليقي عن ابن عمر « أنت امرأة من خشم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: انى امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج على المرأة قال من حق الزوج على المرأة إذا أرادها على نفسها وهى على ظهر بعير ان لا تمنعه ومن حقه ان لا تدطى شيئاً من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان عليها الوزر وله الأجر، ومن حقه أن لا تصوم تطوعاً الا باذنه فان فعلت جاءت وعطشت ولم يقبل منها ومن حقه أن لا تخرج من بيتها بغير اذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها أو تتوب » وللحاكم وصححه عن أبي هريرة « أنت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يابى الله انى امرأة فتاة أخطب وأنا أكره النزويج فما حق الزوج على المرأة قال: لو كان من قرنه الى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت: فلا أتزوج اذا » وللترمذى وابن حبان من حديث ابى هريرة « لو امرت احدا أن يسجد لاحد لا امرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » (ولا تعييه بالقبح) أى لا فى صورته ولا فى سيرته ولا تؤذيه فى سره وعلايته، فللترمذى وابن ماجه عن معاذ بن جبل « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه فانك الله فانما هو عندك رحيل يوشك ان يفارقك البناء ولا تتفاخر على الزوج بما لها وجهها فقد روى الأصمعى قال: « دخلت البادية فاذا انا بامرأة من احسن الناس تحت رجل من اقبح الناس فقلت لها : يا هذه اترضين لنفسك ان تسكونى تحت مثله فقالت يا هذا اسكت فقد اسأت فى قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالفه لجماعى ثوابه او لعل اسأت فيما بينى وبين خالقي لجمعه عقوبتى افلا ارضى بما رضى الله لى فاسكتتنى » وفى رواية له « رأيت فى البادية اعرابية من احسن الناس ورأيت زوجها من اقبح الناس وهى تقول لزوجها بشرى لك فانت وانا فى الجنة فقلت : ما اعليك بذلك فقالت ابتليت انا بقبحك فصبرت وموضع الصابرين فى الجنة وابتليت انت بحسنى فشكرت وموضع الشاكرين الجنة » (وتقدم حقه) أى حق الزوج (على الاقارب) حتى على الوالدين ، فلطبرانى فى الاوسط عن انس « كان رجل خرج الى

وَلَا تَنْبَسُطْ مَعَ حَبِيْبِهِ وَتَنْقَبِضْ فِي غَيْبَتِهِ بِتَرْكِ الْمُلَاعَبَةِ وَالْإِلْتِذَاذِ وَتَقُومْ

بِأُمُورِ الْبَيْتِ وَلَا تَسْتَبْدِلْ زَوْجًا بَعْدَ وَفَاتِهِ لِتَكُونَ زَوْجَتَهُ فِي الْجَنَّةِ

سفر وعهد الى امرأته ان لا تنزل من العلو الى السفلى وكان ابوها في السفلى فمرض فارسلت المرأة الى رسول الله ﷺ تستأذن في النزول الى ايها فقال عليه السلام: اطيعي زوجك فمات ابوها فاستأذنته فقال: اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل عليه السلام يخبرها ان الله غفر لايها بطاعتها لزوجها «(ولا تنبسط)» اي بالكلام والسلام «(مع حبيب)» اي صديق زوجها لاسيما في حال غيبته عن بلدها «(وتنقبض في غيبته بترك الملاعبة)» في حال المصاحبة «(والإلتذاذ)» بانواع من الطعام واصناف من الزينة في ذلك المقام لان الوقت يقتضي الحزن والاهتمام «(وتقوم بامور البيت)» اي بكل خدمة في الدار تقدر عليها من غير نظر الى عار اهل الديار، فقد روى عن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما «انها قالت تزوجني الزبير وماله في الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقى الماء واخرزه له عربي وايجن وكنت انقل النوى هاءى اجمعه على رأسي - من ثلثي فرسخ حتى ارسل الى ابو بكر بخادم فكفاني سياسة الفرس فكأتما اعتقني ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على رأسي فقال عليه السلام: اخ اخ لينبج ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني استحييت فجئت لحكيك له ماجرى فقال: والله لحملك النوى على رأسك اشد من ركوبك معه عليه السلام، رواه الشيخان، ومن جملة القيام بامور بيتها دوام لزوم سكونها وعدم خروجها من غير ضرورتها فلا بن حبان من حديث ابن مسعود، اقرب ما تكون المرأة من ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها افضل من صلاتها في المسجد «(ولا تستبدل زوجا بعد وفاته لتكون زوجته في الجنة)» اي على تقدير ايمانها بالجنة واما اذا تزوجت بعده فاختلف في انها تكون للاول او الثاني او تغير فيهما وهما الاظهر، وفي البستان امامنا قاله لى لا آخر منهما فذهب الى ما روى عن معاوية بن ابي سفيان «انه خطب ام الدرداء فقالت: سمعت ابا الدرداء يحدث عن رسول الله ﷺ انه قال: المرأة لآخر ازواجها في الآخرة

وقال لي: ان اردت ان تكو في زوجي في الآخرة فلا تزوجي بعدي» واما من قال انها تخير فقد ذهب الى ماروي عن أم حبيبة « سألت النبي ﷺ قلت: يا رسول الله المرأة منار بما يكون لها زوجان لايهما تكوز في الآخرة؟ قال: تخير فتختار احسنهما خلقا. معها ثم قال عليه السلام ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة» هذا ولا يداود من حديث ابى مالك الاشجعي «انا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين في الجنة» اراد امرأة تأيمت عن زوجها وحبست نفسها على اولادها حتى باتوا أوماتوا وللخراطينى عن أبى هريرة «حرم الله على كل آدمى الجنة ان يدخل قبل غير أبى النظر عن يميني فاذا امرأة تبادرنى الى باب الجنة فاقول ما هذه تبادرنى؟ فيقال يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فتصبرت عليهم حتى بلغ أمرهم الذى بلغ فشكر الله لها ذلك»، وبما يجب عليهما من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحمد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر ليل فتجنب في تلك المدة الطيب والزينة قالت زينب بنت أبى سلمة: «دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضتها ثم قالت: والله مالى بالطيب من حاجة غير أبى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحمد على ميت أكثر من ثلاثة ايام الاعلى زوج أربعة أشهر وعشراء رواه الشيخان، ومن أهم آداب المرأة ترك المطالبة بما وراء الحاجة كما يشير اليه قوله تعالى: (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) الآية، والاهتمام بالتعفف عن كسبه الحرام وهذه كانت عادة النساء في السلف الكرام كان الرجل اذا خرج من منزله تقول امرأته وابنته: اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار، وهم رجل من السلف بالسفر ففكره جيرانه سفره فقالوا الزوجته: لم تدعينه ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته اكلالا وما عرفته رزاقا ولى رزاق وهو الخلاق فيذهب الاكال ويبقى الرزاق، وخطبت رابعة بنت اسمعيل أحمد بن أبى الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة فقال لها والله مالى همة في شيء لشغل بحالى فقالت: والله أبى لاشغل بحالى منك ومالى شهوة ولكنى ورثت مالا كثيرا من زوجي فاردت ان تتفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون طريقا الى الله تعالى فقال: حتى استأذن أستاذي فرجع الى أبى سليمان الداراني قال: وكان ينهاني عن الزوج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا الا تغير فداسمع كلامها فقال تزوج بها.

وَيَحْفَظُ حَالَ الْوَلَدِ وَلَا يَشْتَمُهُ لَا سِمًا سَمِيَ الْأَنْبِيَاءُ وَيَلْقَنَهُ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ فِي
أَوَّلِ مَا يَنْطَلِقُ بِهِ اللِّسَانُ وَيُعَلِّمُهُ عُلُومَ الدِّينِ وَالْكِتَابَةِ وَالرَّمْيَ وَالسَّبَاحَةَ وَيُؤَدِّبُ
لَسْتُ سَنِينَ

هذه ولية الله هذا كلام الصديقين قال : فتزوجها فكان في منزلها كرم من جص نقى
من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عن غسل بالاشنان قال وتزوجت
عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطينني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك
الى أزواجك وكانت هذه تشبه في أهل الشام برابعة العدوية في أهل البصرة (ويحافظ
حال الولد) أى من صفه فى الطبرانى من حديث ابن عمر قال رجل يا رسول الله
من أبر قال بر والدك فقال ليسلى والدان فقال بر ولدك فكما ان لو الديك عليك
حقا كذلك لولدك عليك حق (ولا يشتمه) أى لا يصير طبعه فى كبره (لا سيما
سمى الأنبياء) لانه حينئذ قد يقال بكفره (ويلقنه كلمة التوحيد فى أول ما ينطق به
اللسان) فى رواية ابن السنى عن ابن عمرو مرفوعا «إذا أفصح الولد فليعلمه لا اله
الا الله» وهو شامل لتلقين مبناه وتبيين معناه، وفى رواية له أيضا عن أنس «انه عليه السلام
كان اذا أفصح الولد من بنى عبد المطلب عليه (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم
يكن له شريك ز الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبرا) أقول: ويناسبه أيضا
تعليم سورة الاخلاص والفاحة (ويعلمه علوم الدين) أى أصول الشريعة
وفروعها ويمنعه من تعلم المنطق والكلام والميثة والحكمة وسائر علوم الفلاسفة لما
ورد عنه عليه السلام «أسألك علما فاف او أعوذ بك من علم لا ينفع» (والكتابة) فانها
وسيلة لوقاية الرواية والدراية وهما من أسباب الهداية فى البداية والنهاية (والرمى)
لقوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وقوله عليه السلام «الا ان القوة الرمية»
وقد سبق ماورد فى فضل فله وذم تركه (والسباحة) وهى معرفة الفوص فى الماء ولهله
للاحتياج اليه فى سفر البحر للحج والنزول سيما وقد ورد ان شهداء البحر افضل من شهداء
البر ومن اللطائف ان نحويا خاطب بحريا فقال هل تعلمت البحر فقال لا قال ضيقت
نصف عمرى فسكت حتى ما ج البحر فقال هل تعلمت السباحة يا نحوى فقال لا قال
ضيقت جميع عمرى (ويؤدب) أى ولده بضرب ونحوه (لست سنيين) أى اذا
خالف فى آداب الصالحين وأخلاق المحسنين أو فيما يتعلق بمحقوق الوالدين والأقربين

وَيَعْزِلُ الْفَرَّاشَ لِسَبْعِ سَنِينَ وَيَضْرِبُ عَلَى الصَّلَاةِ لَعَشْرَ ، وَرَوَى
لثَلَاثَ عَشْرَةَ ، وَيَزُوجُ لِسِتِّ عَشْرَةَ وَيَسْوِي بَيْنَ الْأَوْلَادِ فِي الْإِهْدَاءِ وَيَبْدَأُ
بِالْأَطْفَالِ وَالْبَنَاتِ

فليبقى عن ابن عباس مرفوعاً «من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه»
وأما ما دون ست سنين فتأديه باللسان والاحسان ﴿ويعزل الفراش﴾ أى عن أمه
وأخته ونحوهما ﴿لسبع سنين﴾ لانه حينئذ وقت تمييزه بين النساء وغيرهن ﴿ويضرب
على الصلاة﴾ أى على تركها ﴿لعشر﴾ أى حتى يتدرب بفعلها وتحمل ثقلها ، ولأبى
داود والبيهقى عن رجل من الصحابة مرفوعاً «إذا عرف الغلام يمينه من شماله فمروه
بالصلوة» ﴿وروى ثلاث عشرة﴾ أى فانه قارب البلوغ ﴿ويزوج لست عشرة﴾ لتحقيق
البلوغ حينئذ فيجب صباه ، ولابن السنى عن أنس مرفوعاً «اضربوه على الصلاة لسبع
واعزلوا فراشه لتسع وزوجوه لسبع عشرة فإذا فعل ذلك فليجلسه بين يديه ثم
ليقل لاجعلك الله على فتنة ، ورواه أبو الشيخ عن أنس بلفظ «فإذا بلغ سبع سنين
عزل فراشه فإذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة فإذا بلغ ستة عشر زوجته أبوه
ثم أخذه يده وقال قد أدبتك وعلمتك وانكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك
في الآخرة» ﴿ويسوى بين الأولاد في الإهداء﴾ فنه عليه السلام «رحم الله والد الأعمى
ولده على بره ، أى لم يحمله على عقوبة بسوء عمله في حقوه أبو الشيخ وابن حبان
في كتاب الثواب عن علي . وابن عمر رضى الله عنهم ، وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك
فشكى إليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه فقال نعم فقال انت أفسدته ﴿وبدأ﴾ أى
في الإعطاء. ﴿بالأطفال﴾ أى لصغرهم وقلة صبرهم ﴿والبنات﴾ لجبرهن عن كسرهن
فروى «ساووا بين أولادكم في العطية» كذا في الإخياء ولم يتعرض له مخرجه ، وفي
الجامع الصغير بلفظ «ساووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت
النساء» الطبرانى والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس ، والظاهر أن القبلة
ونحوها في حضورهم ينبغي فيها التسوية قياساً على العطية بخلاف زيادة المحبة القلبية
فانها ليست من الأفعال الاختيارية كما وقع ليعقوب في يوسف وأخوته في تلك
القضية ، ثم الظاهر أن التسوية في الإعطاء إنما هو إذا كانوا كلهم فقراء أو أغنياء
واما إذا كان بعضهم فقراء فزادهم في العطاء فلا بأس به بل يجب عليه نفقة ذوى الرحم

المحرم عندنا ، هذا وفي الجلة الولد محل المرحمة فقد عثر الحسين - وهو عليه السلام - على منبره فنزل فحملة وقرأ قوله تعالى : (انما اموالكم واولادكم فتنة) كذا في الاحياء وقال مخرجه : رواه أصحاب السنن من حديث أبي بريدة « في الحسن والحسين يمشيان ويعثران » قال الترمذى : حسن غريب وللنسائي من رواية عبد الله بن شداد عن ابيه « قال بينما رسول الله ﷺ يصلى بالناس اذ جاء الحسن أو الحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظننا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا : قد أطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث أمر فقال : ان بنى قد ارتحلنى فكرهت ان اعجله حتى يقضى حاجته » أى يفرغ غرضه من ملاعبته ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ، ورأى الأقرع بن حابس النبي عليه السلام « وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم » البخارى عن ابى هريرة ، وللحافظ الذهبي في ترجمة أسامة من كتابه سير النبلاء عن مجاهد عن الشعبي عن عائشة « قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلنى وجهه اسامة فجعلت اغسله وأنا آنفة فضرب يدي ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا ذلم يكن جارية » يعنى اثلا يحوجنا الى الحلية وكسوة الزينة والتزويج ونحوها من المحنة لحديث احمد عن عائشة « ان اسامة عثر بعتبة الباب فدمى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسه ويقول : لو كان اسامة جارية لحببناها ولكسوتها حتى أنفقها » واسناده صحيح ، وعنه عليه السلام « الولد من ریح الجنة » الخرائطى وابن حبان فى الضعفاء عن ابن عباس ، وقد قيل : ولدك ريحائك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك أو شريكك ، وقال يزيد بن معاوية أرسل أبى الى الأحنف بن قيس فلما صار اليه قال له يا أبا الحسن مات قول فى الولد فقال يا أمير المؤمنين : ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسما ظليلة وبهم تحول على كل خليفة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم بمنحوك ودهم ويحجوك جهدهم ولا تسكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية : لله أنت يا أحنف لقد دخلت على وانا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضى على يزيد وبعث اليه بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب فارسل يزيد الى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقامسه اياها على الشطر : ثم اعلم ان أكثر العلماء على ان طاعة الوالدين واجبة فى الشبهات حتى اذا كما يتنقصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تأكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر

وَيَتَوَضَّأُ فِي مَوْتِهِ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَيَأْخُذُ بِنَاصِيَةِ الْمُشْتَرَى وَيَدْعُو بِالْبَرَكَةِ
وَيَذِيقُهُ الْخُلُوءَ أَوَّلًا وَيُطْعِمُهُ مِمَّا يَطْعَمُ وَالْأَوَّلَى أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ

في مباح أو نافلة إلا باذنها، والمبادرة إلى الحج الذي هو فرض اسلام نفل على القول بالتراخي والخروج لطلب العلم نفل إلا إذا كنت تطلب علم الفرض العيني من الصلاة والصوم ونحوهما ولم يكن في بلدك من يعلمك بذلك كن يسلم ابتداء في بلد ليس فيه من يعلمه شريعة الاسلام فعليه الهجرة من ذلك المقام ولا يتقيد بحق الوالدين قال أبو سعيد الخدري: «هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال عليه السلام باليمن أبواك قال: نعم قال هل أذن لك فقال لا قال عليه السلام فارجع إلى أبويك فاستأذنها فان فعلا لجامد والافبرهما فان ذلك خير مما تلقى الله بعد التوحيد» أحمد . وابن حبان، وجاء آخر إليه صلى الله عليه وآله وسلم يستشير في الذرؤ فقال لك والدة قال: نعم قال فإلزمها فان الجنة تحت قدميها، ابن ماجه . والحاكم من حديث معاوية بن جهمه اذ جأه أن النبي قال الحاكم صحيح الاسناد، وجاء آخر « وطلب البيعة على الهجرة ، وقال : ما جئتك حتى أبكيت والذي فقال ارجع اليهما فاضحكما كما أبكيتهما » أبو داود . والنسائي . وابن ماجه . والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الاسناد ﴿ ويتوضأ في موته ﴾ أي في موت ولده ﴿ ويصلي ركعتين ﴾ عند فقدته لقوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ ﴿ ويأخذ بناصية المشتري ﴾ أي من العبد والجارية والدابة ﴿ ويدعو بالبركة ﴾ ويقول: اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيره واكفنا شره واجعله طويلا العمر كثير الرزق اللهم أعطني خيرا ما أنت آخذ بناصيتها انك على صراط مستقيم ﴿ ويذيقه ﴾ أي العبد أو الجارية ﴿ الخلوء ﴾ أي شيئا من الخلوء (أولا) أي تفاؤلا بجلالته آخرها ولحديث معاذ « إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الخلو فانه أطيب لنفسه الطبراني في الأوسط والخراطي ﴿ ويطعمه مما يطعم ﴾ أي مما يؤكله بنفسه ﴿ والأولى أن يأكل معه ﴾ أي تواضعا لربه ولما في الصحيحين « وليأكل معه فان أبي فليأكله » وفي رواية « إذا كفى أحدكم مملوكه عنعة طعامه وكفاه حره ومؤنته وقربه إليه فليجلسه وليأكل معه أو ليأخذ أكلة فيروغها وأشار بيده وليضمها في يده وليقل كل هذه » وللبخاري في تاريخه والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعا « ما استكبر من أهل مع خادمه

وَيَكْسُوهُ مِمَّا يَكْتَسِي وَلَا يَكْلِفُهُ مَا لَا يُطِيقُ وَيُمْسِكُ مَا أَحَبَّ وَلَا يُعَذِّبُ
فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ، وَوَرَدَ «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَلَا يَضْرِبُ غَضَبًا
بَلْ تَأْدِيًّا

وركب الحمار بالاسواق واعتقل الشاة فحلبها (ويكسوه مما يكتسى ولا يكلفه
مالا يطيق) وكان عمر رضى الله عنه يذهب الى العوالى في كل سبت فاذا وجد عبدا
في عمل لا يطيقه وضع عنه، وروى عن ابي هريرة (انه رأى رجلا على دابته وعلامه
يسمى خلفه فقال له: يا عبد الله احمله فانه اخوك روجك مثل روحه ثم قال لا يزال العبد
يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه، وقد دخل رجل على سلمان وهو يعجن فقال: يا عبد
الله ما هذا قال بعثنا الخادم في شغل وكرهنا أن نجتمع عليه عماين (ويمسك ما أحب)
أى ما دام يحب امساكه (ولا يعذب) أى علو كهذا لم يحب امساكه بل يبيعه
(فالكل مأثور) نفى أبى داود من حديث على (كان آخر كلامه عليه السلام الصلاة
الصلاة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم، وفي الصحيحين من حديث ألس (كان آخر
وصيته عليه السلام حين حضره الموت الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم) ولهما من
حديث أبى ذر (أطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان
كلفتهم فاعينوهم، وهذا لفظ مسلم، وفي رواية لابی داود (من يلائمكم من مملوككم
فاطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لم يلائمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق
الله تعالى فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملككم اياكم) واساده صحيح وفي رواية لمسلم من
حديث ابي هريرة (للملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكتف من العمل ما لا يطيق،
(وورد ذلك راع وكلكم مسؤول عن رعيته) ورواه الشيخان عن ابن عمر (ولا يضرب
غضبا) أى من طريق الغضب (بل تأديا) أى يضربه على سبيل الادب فيكون
تهذبا لا تعذبا، نفى صحيح مسلم عن ابى مسعود الانصارى (قال بينا انا اضرب غلاما
لى فسمعت صوتا من خلفى اعلم اعلم ايا مسعود مرتين قالت فاذا رسول الله ﷺ
فالتفت السوط من يدي فقال: والله الله أقدر عليك منك على هذا، وعن ابن المنكدر
(أن رجلا من أصحابه عليه السلام ضرب عبدا له فجعل العبد يقول: أسألك بالله
أسألك بالله أسألك بوجه الله فلم يعفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
صياح العبد فانطلق اليه فلما رآه أمسك يده فقال عليه السلام: يسألك بوجه الله فلم

لَا عَلَى زَلَّةٍ وَنِسْيَانٍ وَلَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثٍ فَإِنَّهُ قَصَاصُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَوَرَدَ «اعْفُ عَنْهُ سَبْعِينَ مَرَّةً لِمَنْ قَالَ كَمْ أَعَفُو وَيَعْتَقُ

تَعَفُّهُ فَلَمَّا رَأَيْتَنِي أَمْسَكَتَ يَدَكَ قَالَ : فَإِنَّ حَرْلُوجَهُ اللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ : لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَسَفَعَتْ وَجْهَكَ النَّارُ ، ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزَّهْدِ هَكَذَا مَرْسَلًا ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ «فَجَعَلَ يَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ قَالَ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ فَقَالَ أَعُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ فَتَرَكَهُ» وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ «فَقُلْتُ : هُوَ حَرْلُوجُهُ اللَّهُ فَقَالَ : أَمَا أَنْتَ لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَفَجَحَتِكَ النَّارُ أَوْ لَمَسَتْكَ النَّارُ ، وَلِلتِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ «إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ خَادِمَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ فَارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ» (لَا عَلَى زَلَّةٍ) أَيُّ لَا يَضْرِبُهُ عَلَى مَا صَدَرَتْ مِنْ عَثْرَةٍ أَوْ غَمَلَةٍ (وَنِسْيَانٍ) أَيُّ تَخْلُقًا بِاخْتِلَافِ اللَّهِ حَيْثُ عَفَا عَنِ الْخَطَا وَالنِّسْيَانِ كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ : (رَبَّنَا لَا تَوَاضِعْنَا لِنَاسٍ أَوْ أَخْطَانَا) وَحَدِيثُ «رَفَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنِّسْيَانِ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ» وَقِيلَ لِلْأَخْنَفِ ابْنِ قَيْسٍ وَمَنْ تَعَلَّيْتُ الْحِلْمَ ؟ قَالَ : مَنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ قِيلَ : فَمَا بَلَغَ مِنْ حِلْمِهِ ؟ قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دَارِهِ إِذْ أَتَتْهُ جَارِيَةٌ بِسُفُودٍ عَلَيْهِ شَوَاهُ فَسَقَطَ السُّفُودُ مِنْ يَدَيْهَا عَلَى إِبْنِهِ فَمَقَرَّهُ فَمَاتَ فَدَهَشَتْ الْجَارِيَةُ فَقَالَتْ : لَيْسَ يَسْكُنُ رُوحُ هَذِهِ الْجَارِيَةِ إِلَّا الْعَتَقَ فَقَالَ : أَنْتَ حُرَّةٌ لَوْ جِئَ اللَّهُ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَكَانَ عِنْدَهُ مِيمُونُ بْنُ مِهْرَانَ ضَيْفٌ فَاسْتَعْمَلَ عَلَى جَارِيَتِهِ بِالْعِشَاءِ فَجَاءَتْ مَسْرَعَةً وَمَعَهَا قِصْعَةٌ مَلْمُوءَةٌ فَعَثَرَتْ وَأَرَاقَتْهَا عَلَى رَأْسِ سَيِّدَتِهَا فَقَالَ : يَا جَارِيَةُ أَحْرَقْتِنِي قَالَتْ : يَا مَعْزِلُ الْخَيْرِ وَمُؤَدِّبُ النَّاسِ ارْجِعْ إِلَى مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ وَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَالَتْ : (وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ) قَالَ قَدْ كَظُمْتَ غَيْظِي قَالَتْ : (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) قَالَ قَدْ عَفَوْتَ عَنْكَ قَالَتْ زِدْ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) قَالَ أَنْتَ حُرَّةٌ لَوْ جِئَ اللَّهُ . (وَلَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثٍ) أَيُّ ضَرْبَاتٍ ثَلَاثٌ إِذَا كَانَ الذَّنْبُ صَغِيرًا وَأَمَّا إِذَا كَانَ كَبِيرًا فَيَقْتَصُّ مِنَ الْأَرْبَعِينَ فَإِنَّهُ غَايَةُ التَّمْزِيرِ (فَإِنَّهُ) أَيُّ الْمَزِيدِ عَلَيْهِ (قَصَاصُ) أَيُّ مُقْتَصَصٍ مِنْهُ (يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَوَرَدَ اعْفُ عَنْهُ) أَيُّ عَنِ الْخَادِمِ (سَبْعِينَ مَرَّةً لِمَنْ قَالَ كَمْ أَعَفُو) فَلَا بِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ غَرِيبٌ عَنْ ابْنِ عُمَرَ دَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ فَصُمْتُ ثُمَّ قَالَ اعْفُ عَنْهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً «هُوَ كَانَ عَدُوًّا لِبَنِي عِيسَى اللَّهُ إِذَا عَصَاهُ غَلَامُهُ قَالَ : مَا أَشْبَهَكَ بِمَوْلَاكَ مَوْلَاكَ يَعْصِي مَوْلَاهُ وَأَنْتَ تَعْصِي مَوْلَاكَ فَغَضِبَهُ يَوْمًا فَقَالَ إِنَّمَا تُرِيدُ أَنْ أَضْرِبَكَ أَذْهَبْ فَإِنَّتَ حُرٌّ» (وَيَعْتَقُ) أَيُّ الْمَمْلُوكِ

إِنْ طَالَتِ الْمُدَّةُ فِيهِ الْعَتَقُ مِنَ النَّارِ وَلَا يَهْزُلُ مَعَهُ فَهُوَ يَسْقُطُ الْوَقَارُ وَيَهْذِبُ
 أَهْلَ الْبَيْتِ بِالرِّيَاضَةِ لَا سِيَّمَا الْوَلَدُ الْمَرَاهِقُ فَهُوَ أَيْسَرُ ، وَوَرَدَ (قُوا أَنْفُسَكُمْ
 وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) وَلَا يَطَأُ حَيَوَانًا فَانْهَ يَسْأَلُ عَنْهُ
 وَيَطُوفُ طَوَافَاتِ الْبَيْتِ فَهُوَ مَأْثُورٌ

(ان طالت المدة) وطول المدة تكون لسبع سنين فاكثر على ما في الشريعة (فيه
 العتق من النار) لقوله عليه السلام: « من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها
 عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه » رواه الشيخان عن أبي هريرة ، وفيهما أيضا عنه
 عليه السلام « من كانت عنده جارية فعلاها وأحسن اليها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران »
 وقالت جارية لأبي الدرداء: إني سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيئا فقال: لم فعلت ذلك
 فقالت: أردت الراحة منك قال: اذهبي فانت حرة لوجه الله ، أقول وكأنها كانت مديرة
 (ولا يهزل معه) أي لا يمزح مع مملوكه (فهو يسقط الوقار) أي الهيبة والرياسة
 فلا يعجبه بعد ذلك الخدمة والمهابة. هذا وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا « إذا نصح العبد
 لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين » ولما أعتق أبو رافع بكى وقال كان لي أجران فذهب
 أحدهما (ويهذب أهل البيت) من الولد والزوجة والخادم (بالرياضة) أي بتحسين
 الأخلاق (لاسيما الولد المراهق) أي القريب إلى البلوغ الذي وقع فيه تكليف الخالق
 (فهو) أي التهذيب في حال الصغر (أيسر) أي أسهل على كل منهما (وورد) أي
 في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا
 النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
 ما يُؤْمَرُونَ (ولا يَطَأُ حَيَوَانًا) أي لا يدوسه (فانه يسأل عنه) أي هل كان عبدا
 أو عمدا أو خطأ أو نسيانا ، وقد قال تعالى : حكاية عن النمل (لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ
 وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ) ، وقد قيل البر من لا يؤذي الذر (ويطوف طوافات البيت) أي يجوزان
 يدخلوا في بيته الاماء والعبيد الصغار دون الخصى والعبيد الكبار (فهو مأثور)
 أي مروى في الكتاب والسنة قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلِيسَتْ ذُنُوبُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
 وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ
 الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ)

وَلَا يَضْرِبُ شَيْئًا عَلَى الْوَجْهِ وَلَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ فَنَهَى عَنْهُمَا وَيَعْرِضُ الْمَاءَ
وَالْعَلْفَ عَلَى الْفَرَسِ سَبْعِينَ مَرَّةً ، وَوَرَدَ « يَمْنُ الْفَرَسِ ذَلَهُ وَحَسَنَ خَلْقَهُ »
وَلَا يَدْخُلُ عَلَى الظَّلْمَةِ تَحَامِيًّا عَنْ اسْتِعْمَالِ دَارِهِمْ وَمِظْلَتِهِمْ وَفِرَاشِهِمْ فَلَا يَخْلُو عَنْ

حَرَامٍ

طوافون عليكم بعضكم على بعض) ولا يبعد ان يراد بالطوافات المرات، فمن كبشة
بنت كعب بن مالك « وكانت تحت ابن أبي قتادة دخل عليها فسكنت له وضوء الجاهات
هرة تشرب منه فاصغى لها الاناء حتى شربت قالت كبشة فرأى انظر فقال: اتعجبين
يا ابنة أخي؟ فقلت: نعم قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يسلّم قال انها ليست بنجسة
انها من الطوافين عليكم والطوافات » رواه الأربعة ، وقال الترمذى حسن صحيح
(ولا يضرب شيئا) أى حتى الدواب (على الوجه ولا يعذب) أى الوجه وغيره
(بالنار) أى بالكي ونحوه ، واختلف في تجويز تحريق الزنديق (فنهى عنهما)
فلا بد داود عن أبي هريرة « اذا ضرب أحدكم فليترك الوجه » وللترمذى والحاكم
عن عمران « أنه عليه السلام نهى عن الكي » (ويعرض الماء والعلف على الفرس)
أى فى الجهاد ونحوه (سبعين مرة) ولعله أريد به الكثرة للمبالغة والافتقار سبق حديث
« للملوك طعامه وكسوته بالمعروف » (وورد يمن الفرس ذله) أى انقياده لراكبه
(وحسن خلقه) أى لصاحبه وقد تقدم والله أعلم (ولا يدخل على الظلمة) أى
الشاملة للكفرة والفجرة قال تعالى: (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) فالاولى
والا سلم من الأحوال ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك ودون هذه الحالة ان يدخلوا
عليك ويترددوا اليك وشر الأحوال ان تدخل عليهم وتتوسل اليهم وهذا مذموم
فى الكتاب والسنة (تحاميا عن استعمال دارهم) أى المخصوصة من اهل دارهم
(ومِظْلَتِهِمْ) أى ومكان ظل خيمهم واشجارهم (وفراشهم) أى بساطهم ودفنهم
(فلا يخلو عن حرام) وقد قال تعالى: (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم)
وهو بعموم مبناه يشمل الاحياء والاموات وان كان الكفار الاموات تراد فى معناه
ولما وصف عليه السلام الأمراء الظلمة قال: فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد
يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم ، الطبرانى من حديث انس بسند ضعيف

والتواضع لهم فوراً «من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الإسلام» والسكوت على منكر رآه عندهم والدعاء لهم بالبقاء، فوراً «من دعى لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه»

وفي رواية «من خالطهم هلك، وإنما قاله أو كاد يسلم» فإن من اعتزلهم سلم من أثمهم ولكن ربما لا يسلم من عذاب نقمة معهم أن نزل بهم لتركه المناهضة والمنازعة (والتواضع لهم) أى وعن اظهار المذلة والمسكنة المستازم لأكرام الظلمة لاسيما إن كم أو سجد أو تمتلله قائماً في الخدمة والتواضع للظالم من المعصية بل من تواضع لغنى ليس بظالم لاجل غناه لا لغنى آخر يقتضى التواضع نقص ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح له الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء فلا الا عند خوف، ولقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام قال في الاحياء: وفيه نظر لأن ذلك واجب فلا ينبغي أن يسقط بالظلم قلت: قد سقط بادن من ذلك ومن جملة «أنه عليه السلام» مارد جواب من لبس ثوبا أحمر، (فوراً من أكرم فاسقاً) وهو مرتكب الحرام وكان الاكرام من غير ضرورة في ذلك المقام (قد أعان على هدم الإسلام) أى على تعطيل بعض أركانه بتعظيم الظالم الذى يجب الاهانة في شأنه والحديث غريب بهذا اللفظ والمعروف «من قرء صاحب بدعة» رواه ابن عدى من حديث عائشة والطبرانى في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بسر باسانيد ضعيفة (والسكوت) أى وعن عدم الانكار بلسانه (على منكر رآه عندهم) أى وقدر على أنه ينكره باللسان عليهم كان يكون من العلماء أو المشايخ العظماء وذلك لانه يرى في مجلسهم من الفراش الحرير وأواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام من خاتم الذهب ونحوه، وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة، فان قلت: أنه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق لكنه مستغن عن أن يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا لعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه العذر، وعند هذا يقال من علم فسادا في موضع وعلم أنه لمية ندر على ازالته فلا يجوز له أن يحضر ذلك الموضع ليجرى ذلك الفساد بين يديه وهو يشاهد فيسكت عليه (والدعاء لهم بالبقاء) أى حال التحية أو وقت الاعطاء (فوراً من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه)

وَالْمَدْحِ وَإِنْ صَدَقَ فَهُوَ إِعَانَةٌ عَلَى الْإِثْمِ، وَوَرَدَ «إِنَّ اللَّهَ لَيَغْضَبُ إِذَا

مَدَحَ الْفَاسِقُ» وَالْحُجَّةُ لَهُمْ فِي إِرَادَةِ الظُّلْمِ

أى من الابتداء الى الانتهاء، والحديث ذكره الزمخشري في تفسيره والغزالي في الاحياء قال السخاوى: ولم نرم في المرفوع بل أخرجه أبو نعيم في الحلية من قول سفيان الثوري وقال العراقي: رواه ابن أبى الدنيا من قول الحسن البصرى وكذا قال العسقلاني في تخريج الكشف (والمدح) أى وعن ثناء الفاسق (وان صدق) أى فى مدحه أى وكذا أن صدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار فى وجهه (فهو إعانة على الإثم) وتحريك للرغبة فى المعصية والإعانة على المعصية معصية ولو بشطر ظلمة لانه بسبب مدحه يهتدى على ظلمه وفسقه (وورد ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق) ابن أبى الدنيا وابن عدى وأبو يعلى والبيهقى عن أنس ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال: لادعه حتى يموت لأن ذلك إعانة له وقال غيره يسقى إلى أن تثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه وانما يجوز له أن يدع بقوله اصلحك الله فى الاوقات أو وفقك الله للخيرات أو طول عمرك فى الطاعات (والحجة لهم) بان يظهر لهم الموالاتة والاشتياق الى الملاقاة (ففى ارادة الظلم) أى منهم فيكون شريكاً لهم فى الإثم معهم ثم ان كان كاذباً عصى معصية الكذب والافتاق وان كان صادقاً عصى بحبه بقاء ظالم فى الآفاق، وحقه ان يغضه فى الله ويمتنعه فالبغض فى الله واجب وعحب المعصية والراضى بها عاص، ومن أحب ظالماً فان أحبه لظلمه فهو عاص بمحبته وان أحبه بسبب آخر فهو عاص من حيث أنه لم يغضه وان اجتمع فى شخص خير وشر وجب أن يحبه لذلك الخير ويغضه لذلك الشر، وقد حكى عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالاً من الأمراء ويفرقها على الفقراء فقيل له ألا تخاف أن تحبهم فقال: لو أخذ رجل يدي وأدخلني الجنة ثم عصى ربه ما أحبه قلبي لأن الذى سخره للاخذ يدي هو الذى أبغضه لأجله شكراً له على تسخيرها لى، أقول وهذا مقام دقيق لأن الطبع يميل الى من يحسن اليه كما روى عن عائشة «جلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها» كذا فى الاحياء، وهو من رواية البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً ويؤيده حديث «اللهم لا تجعل لفاجر عندي يداً فيحبه قلبي» رواه ابن مردويه فى التفسير

وَاسْتَحْقَارَ نِعْمَتِهِ تَالِي عَلَى نَفْسِهِ بِرُؤْيَا التَّوَسُّعِ عَلَيْهِمُ إِلَّا لِرَعَايَةِ اطَاعَةِ الرَّعِيَّةِ

عن رجل لم يسم، والدليلي عن معاذ، وروى أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة آلاف فأخذها كلها فأتاه محمد بن واسع فقال: ما صنعت بما آتاك هذا المخلوق فقال: نسل أصحابي فسألهم فقالوا: أخرجه كله فقال: أنشدك أقبلك أشد حباله الآن أم قبل أن أرسل إليك فقال: بل الآن فقال إنما كنت أخاف هذا وقد صدق فأنه إذا أحبه أحب بقاءه وكره عزله وفناءه وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم عند أهل العلم (واستحقار نعمته تعالى على نفسه) أي وعن استصغار نعمته سبحانه الظاهرة والباطنة عليه من العلم والعمل أو اختيار الفقر والقناعة بالكفاية للقيام بالطاعة (برؤية التوسع عليهم) ومشاهدة أسباب التمتع لديهم فللحاكم من حديث عبد الله بن الشخير وصححه «أقلوا الدخول على الأغنياء فإنه أجدر أن لا تزددوا نعم الله عز وجل، وقد تقدم حديث أنس بن مالك «أنقض القراء إلى الله عز وجل الذين يأتون الأمراء» وحديث أنس «العلماء أمناء الرسول على عباد الله ما لم يخالفوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الله ورسوله فأحذر وهم واعتزلوهم» ولأبي عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسل «لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكفنه ما لم يمالقوا أمراءها» ورواه الدليلي عن علي وابن عمر بلفظه ما لم يعظم إبرارها فجارها ويدها من خيارها شرارها، ولأبي داود والترمذي، وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا فجاء السوم في مجالسهم وواكلهم وشار بهم فغضب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم» ولفظه للترمذي، وقال: حسن غريب، والحاصل أن الأفضل في حقه أن يغفل عنهم وإذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الأصم أن ما بيني وبين الملوك يوم واحد أما أمس فلا يجدون لذته وإني وإياهم في غد على وجل وإنما هو اليوم فمسي أن يكون في اليوم، وما قال أبو الدرداء: إن أهل الأموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس لهم فضول أموال ينظرون إليها ونظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء، قلت: وهو مقتبس من قوله تعالى (إن تكونوا تآلمون فهم يآلمون كما تآلمون وترجون من الله ما لا يرجون) (الاستثناء من قوله ولا يدخل على الغلبة إلا) (لرعاية اطاعة الرعية) فلبخاري من حديث أنس «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه

وَدَفَعَ النَّاذِي وَالظُّلْمَ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ فَيَدْخُلُ مُرَاعِيًا حَقَّهُ تَعَالَى وَيُكْرَمُ
 أَنْ دَخَلُوا عَلَيْهِ مُكَافَأَةً لَا كَرَامَةً عِزًّا لِلدِّينِ وَرِعَايَةً لِلْحَشْمَةِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ وَتَجُوزُ
 الْإِهَانَةُ فِي الْخَلَاءِ وَعِنْدَ الْعِلْمِ بَعْدَ اضْطِرَابِ الرَّعِيَّةِ بِنِةِ اعْزَازِ الدِّينِ وَتَحْقِيرِ
 الظُّلْمِ وَظَهَارِ الْغَضَبِ لَهُ تَعَالَى، وَالْأَصْلُ الْإِسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ وَنِةُ الْإِصْلَاحِ

زبينة ، ولمسلم من حديث أبي هريرة «عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك» وله أيضا
 عنه «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية» (ودفع الناذي)
 أي ولدفع شر الذاذي (والظلم عن نفسه أو غيره) من أهله ونحوه (فيدخل) أي حينئذ
 (مراعيا حقه تعالى) حيث قال: (بأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
 الأمر منكم) (وبكرم) أي بالقيام ونحوه كرها (ان دخلوا) أي الظلمة (عليه)
 أي معتقدين لما في يديه (مكافاة) علة للاكرام أي مجازاة (لا كرامه) أي اكرام
 الظالم له (عزاً للدين) أي لعز أهله من أهل العلم والعمل به ، وقد قال تعالى :
 (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) وقد سبق حديث «إذا أناكم كريم قوم
 فأكرموه» (ورعاية للحشمة بين الرعية) أي في الملأ (وتجوز الإهانة في الخلاء)
 أي بترك القيام وزيادة الكلام بعد رد السلام (وعند العلم بعد اضطراب الرعية)
 أي من الأمراء والوزراء إذا كانت أهانتهم (بنية اعزاز الدين) وأهله من العلماء
 المجتهدين (وتحقير الظلم) أي في نظرهم (واظهار الغضب له تعالى) كما هو
 واجب على أهل العلم وغيرهم كما ورد في أحاديث «الحب في الله والبغض في الله»
 ولقد دعى سعيد بن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال
 لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين
 فقال: ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر قال : لا والله لا يقتدي بي أحد من
 الناس فجعلد مائة وألبس المسوح ورواه أبو نعيم في الحلية باسناد صحيح ، والحاصل انه لا
 يجوز الدخول عليهم الا بعذر ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم
 انه لو امتنع أودى أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطراب أمر السياسة العرفية
 فيجب عليه حينئذ الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لا يضطرب أمر
 الولاية (والأصل الاستفتاء من القلب) أي في جهة رضا الرب (ونية الاصلاح)

لَا الْأَشْتَهَارَ وَهُوَ يُعْرَفُ بِالْفَرَحَةِ عِنْدَ حُصُولِ الْمَوْعِظَةِ مِنْ غَيْرِهِ وَالْأَوَّلَى
الْاجْتِنَابُ عَنْهُمْ وَعَنْ خَوَاصِّهِمْ وَالتَّغَافُلُ عَنْ أَحْوَالِهِمْ

أى حملهم على صلاح حالهم وفلاح ما لهم ﴿ لا الاشتهار ﴾ أى بانه من أهل العلم
والصلاح وانه من الفائزين بالنجاة والنجاح فاز العاقبة مستورة فينبغى أن تكون النية
في هذه الأمور صحيحة مبرورة ﴿ وهو ﴾ أى ما ذكر من نية الاصلاح وعدم الاشتهار
﴿ يعرف بالفرحة عند حصول الموعظة ﴾ أى المظلة ﴿ من غيره ﴾ أى الموجودين
من الوعاظ الأبرار والعلماء الكبار ثم اذا ابتلى بالدخول عليهم يجب أن ينصحه
فقد ورد « ان الدين النصيحة قيل : لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامتهم »
روى عن محمد بن صالح قال : كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت الا حصير
وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه غلبه ومطهرة يتوضأ فيها فيتنا انا
عنده اذ دق داق الباب فاذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال مالى
اذا رأيتك ام ثلاث منك رعبا قال حماد : لانه قال عليه السلام : ان العالم اذا أراد بعلمه
وجه الله هابه كل شئ وان أراد ان يكثر به الكنوز هاب كل شئ ثم عرض عليه
أربعين الف درهم وقال تأخذها وتستعين بها قال : أرددها على من ظلمته بها قال : والله
ما أعطيك الا ما ورثته قال : لا حاجة لى فيها قال فتأخذها وتقسمها قال لعلى ان
عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فيائم فازوها على
كذا في الأحياء وقال مخرجه : حديث حماد بن سلمة مرفوعا هذا معضل ، وروى أبو
الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث واثلة بن الأسقع « من خاف الله خوف
الله منه كل شئ ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شئ ، وللعقيل في الضعفاء من حديث
أبي هريرة نحوه ﴾ والاولى الاجتناب عنهم وعن خواصهم ﴿ لئلا يقع في طمع
من جاههم وأموالهم ﴾ والتغافل عن أحوالهم ﴿ بالتجاهل عن أفعالهم وأقوالهم
والاشتغال بعيوب نفسه ومحاسبة يومه وامسه ومذاكرة الموت وما بعده من حال
رسمه ، فعن حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل : وما هي ؟ قال أبواب الامراء يدخل احدكم
على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه ، وقال أبو ذر اسلمة : لا تنفش أبواب
السلطين فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا أصابوا من دينك الفضل منه ، وقال
سفيان في جهنم وادلايسكنه الا القراء الزوارون للملوك والامراء . وقال الاوزاعي :

ما من شيء أبغض الى الله عز وجل من عالم يزور عالماً وقال سمعون: ما أسمع بالعالم يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال: انه عند الامير قال: وكنت اسمع انه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فانهموه على دينكم حتى جربت اذا دخلت قط على هذا السلطان الاوحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم ، وقال أبو ذر في حديث : من كثر سواد قوم فهو منهم اى من كثر سواد الظلمة، وقال ابن مسعود : ان الرجل يدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولادين له قيل له : لم قال لانه يرضيه بسخط الله، وقال الفضيل: ما ازداد رجل من ذى سلطان قربا الا ازداد من الله بعداء، وقال وهب: هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الأمة من المقامرين ، وقال محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارى على باب هؤلاء الجورة، ولما خالط الزهرى السلطان كتب أخ له فى الدين اليه عافانا الله واياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال يذبحى لمن عرفك أن يدعو لك ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وفد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء فقال عز وجل (واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) واعلم ان ايسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت انك آنت وحشة الظالم وسهلت سبيل النى بدنوك بمن يؤد حقا ولم يترك باطلا حتى اتخذوك قطبا تدور عليك رضى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلماء يصعدون فيه الى ضلاتهم واغوائهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك فى جنب ما خبروا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم : (خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) الآية وانك تعامل من لا يجمل ويحفظ عليك من لا يغفل فداودينك فقد دخله سقم وهى زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شيء فى الأرض ولا فى السماء والسلام فان قلت: فقد كان علماء الساف يدخلون على السلاطين فأقول: نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد عى ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال اترونى برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد تفانوا قال فن التابعين فأتى بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بأمر المؤمنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بازائه وقال كيف أنت يا هشام فغضب هشام حتى هم بقتله فقيل له

أنت في حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقال له: يا طاووس ما الذي حملك على ما صنعت؟ فقال: وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيفا فقال: خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم على بامرة المؤمنين ولم تكني وجلست بإزائي بنير اذني وقلت كيف أنت يا هشام فقال اما ما فعلت من خلعت نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب علي؛ واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه يقول: لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة، واما قولك لم تسلم على بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرئك فكهرت ان أ كذب واما قولك لم تكني فاني سمعت أوليائه وقال يادود يا يحيى يا عيسى وكفى أعداءه فقال ثبت بدا أبي لهب، واما قولك جلست بإزائي فاني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول إذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظمي فقال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبالغال تلدغ كل أمير لا يمدل في رعيته ثم قام وهرب عن صحبته، وعن سفيان الثوري قال أدخلت على أبي جعفر بمنى فقال لي ارفع الينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا قال فطأ رأسه ثم رفع رأسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واصل اليهم حقوقهم قال فطأ رأسه ثم رفع رأسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت: حج عمر رضى الله عنه فقال لحازنه كم أنفقت؟ قال بضعة عشر درهما وأرى ههنا أموالا لا تطيقها الجبال، ولما استعمل عثمان بن عفان العباس أتاه أصحاب النبي عليه السلام وأبطأ عنه أبوذر - وكان له صديقا - فعاتبه فقال أبوذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ان الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عنه كذا في الاحياء وقال مخرجه: لم أقف له على أصل، وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فقزع ووضع صدره على مقدم الرجل فقال عمر هذا صوت رحمتي فكيف اذا سمعت صوت عذابي ثم نظر سليمان الى الناس يوم عرفة فقال ما اكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا أمير المؤمنين فقال سليمان ابتلاك الله بهم وحكى ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى أبي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال سليمان يا أبا حازم ما لنا نكره الموت فقال لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكبرتم ان تنقلوا من العمران الى الخراب فقال يا أبا حازم كيف القدوم

وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ

على الله قال : يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم به على مولاه فبكى سليمان وقال : ليت شعري ما لي عند الله ؟ فقال أبو حازم عرض نفسك على كتاب الله حيث قال (إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم) قال سليمان فإني رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا أبا حازم أي عباد الله أكرم قال أهل المروءة والتقى قال فأى الأعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى المؤمنين أكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها قال فأى المؤمنين أخسر قال : من باع آخرته بدنياه غيره قال سليمان ما تقول فيما نحن فيه قال أو تعاقبني قال لا ولكن نصيحة تلقىها إلى قال : يا أمير المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف فاخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم حتى قتلوا قتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه : بش ما قلت قال أبو حازم : إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه فقال فكيف لنا إن فصلح هذا الفساد فقال إن تأخذ المال من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك قال من يطلب الجنة ويخاف النار قال سليمان ادع لي فقال اللهم إن كان سليمان وليك فيسر له خيري الدنيا والآخرة وإن كان عدوك نخذ بناصيته إلى ماتحب وترضى قتال سليمان أوصني فقال : أوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه إن أبراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك وحقى إن أبا بكره دخل على معاوية فقال : اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتى عليك لاتزداد من الدنيا إلا بعدا ومن الآخرة الأقربا وعلى أثرك طالب لاتفوته وقد نصب علم لاتجوزه فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب وأنا وما نحن فيه زائل وفي الذى نحن إليه صائرون باق إن خيرا فخير وإن شرا فشر (ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر) لقوله تعالى : (كنتم خيرا ما أخرجت للناس) أى أظهرت تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقوله : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الآية ، وقوله : (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور) وقوله عليه السلام (المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا) زواه الشيخان عن أبى موسى (وهو) أى ما ذكر من الأمر والنهى وافرد الضمير باعتبار التلازم بينهما

فَرَضَ عَلَى الْكِفَايَةِ فِي الْفَرَضِ فَعَلًا وَتَرَكًا وَمَنْدُوبٌ فِي الْمَنْدُوبِ ، وَوَرَدَ
(وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) الْآيَةِ

(فرض) أى بالاجماع والكتاب والسنة (على الكفاية) أى اذا اطلع على الأمر جماعة وأمر أو نهى واحد منهم سقط عن الباقيين وإلا أثم الجميع واذا كانوا معذورين باليد واللسان فحينئذ عليهم ان ينكروا بالجنان وذلك أضعف زمان الايمان أو أهله في مقام الاتقان أو مراتب أرباب الاحسان (في الفرض) أى من المعروف (فعلا) كالصلاة والصيام (وتركا) كاجتناب ما عرف من الحرام (ومندوب) أى وهو مستحب (في المندوب) أى من المعروف فعلا وتركا (وورد) في التنزيل (ولتكن منكم أمة) أى جماعة منكم وهو دليل كونه من الكفاية (يدعون الى الخير) أى المحض وهو الايمان (ويأمرون بالمعروف الآيية) أى (وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) أى التاجون عن العذاب والمظفرون بالثواب هم هؤلاء القائمون به والمباثرون له وهو القطب الاعظم في الدين والامر المهم الذي بعث الله له النبيين أجمعين ، فلوطوى بساطه وأهمل علمه وعمله بالمرة تعطلت النبوة وعمت الفترة واضمحلت الديانة وارتفعت الامانة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة وظهر الفساد وخربت البلاد وهلك العباد وان لم يشعروا بالهلاك الى يوم التنادول واصحاب السنن عن أبي بكر الصديق أنه قال في خطبة خطبها: ايها الناس انكم تقرأون هذه الآية وتأولونها على خلاف تأويلها (يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر على أن ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك أن يعصمهم الله تعالى بعذاب من عنده» ولأبي داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي ثعلبة الخشني «أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تفسير قوله تعالى: (لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال: يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شعرا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع العوامان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للتمسك فيها بمثل الذى أتم عليه أجر خمسين منكم قيل: بل منهم يارسول الله قال بل منكم لانكم تجدون على الخير أغوانا» وللبزار من حديث عمر والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة مرفوعا

وَإِنْ عَدِمَ الْعَدَالَةَ تَحَرَّزْ عَنْ أَسَدَادِ بَابِ الْاِحْتِسَابِ لِتَعْذُرِ الْعَصْمَةِ وَلَآنَ
الْوَاجِبَ عَلَيْهِ الْاِمْتِنَاعُ وَالْمَنْعُ فَلَا يُسْقَطُ تَرْكُ أَحَدِهِمَا الْآخَرَ، وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي ذِمِّ
الْقَائِلِ بِمَا لَا يَعْمَلُ

و لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلط الله عليكم شراركم ثم يدعو
خياركم فلا يستجاب لهم. وللترمذى وحسنه من حديث حذيفة نحوه الا أنه قال
«أو ليوشكن الله بيعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم» ولابن ماجه
باسناد جيد مرفوعا «ان الله تعالى ليسال العبد ما منعك اذا رأيت المنكر ان تنكره
فاذا لقن الله العبد حجته قال يارب وثقت بك وفرقت من الناس» وللطبرانى والبيهقى
وحسنه عن عكرمة عن ابن عباس «لا تقفن عند وجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل
على من حضره حين لم يدفعوا عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة
تنزل على من حضره» وللبيهقى عن ابن عباس بسند حسن «لا ينبغي لامرى شهيد
مقاما وفيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقه هو له» ورواه
الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابى سعيد بلفظ «لا يمنع رجلا هية الناس
أن يقول بحق اذا علمه» ولابن عدى من حديث أبى هريرة «من حضر معصية
فكرها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكأنه حضرها» ثم الأمر والنهى
يجب على العبد (وان عدم العدالة) أى منه بفقد عمله بها (تحرزا عن اسداد
باب الاحتساب) أى الحسبة بالأمر والنهى لاجل الثواب (لتعذر العصمة)
أى عن جميع المعصية الا لارباب النبوة دون الصحابة فضلا عن دونهم والانباء
كما قال الحجة قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن دال على نسبة آدم الى المعصية
وكذا جماعة من الانبياء ولذا قال سعيد بن جبير: ان لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر
الا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء فاعجب ذلك مالكا من سعيد بن جبير
(ولان الواجب عليه) شيان وهما (الامتناع) أى بنفسه عن المعصية (والمنع)
أى لغيره عنها (فلا يسقط ترك أحدهما) وهو الامتناع (الآخر) وهو المنع كما في
عكسهما فلا تلازم بينهما (وأما ما ورد في ذم القائل بما لا يعمل) كقوله تعالى:
(يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون)
وقوله: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)

فَلَعْدَمِ الْعَمَلِ وَاذْنِ الْأَمَامِ لِعُمُومِ الْأَدَلَّةِ وَاطِّلاقِهَا حَتَّى يَحْتَسِبَ عَلَى الْأَمَامِ أَيْضًا

وكحديث «مررت ليلة أسرى بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من أنتم فقالوا: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه ونهى عن الشر ونأتيه»، وكأروى «إن الله تعالى أوحى إلى عيسى عظم نفسك فإن اتعظت فعض الناس والافاستحي مني» وكقول القائل:

لا تلم المرء على فعله وأنت منسوب إلى مثله

من ذم شيئا وأتى نحوه فأنما يزرى على عقله

﴿ فلعدم العمل ﴾ أى لا مجرد الأمر والقول كما توهمه قوم ﴿ واذن الامام ﴾ أى وان عدم اذنه بالحسبة ﴿ لعموم الأدلة واطلاقها ﴾ أى من غير تقييد بأحد دون آخر ﴿ حتى يحتسب على الامام أيضا ﴾ كما يدل عليه حديث أبى سعيد الخدرى « أفضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر » أبو داود وابن ماجه والترمذى وحسنه فاذا جاز الحكم على الامام على مراغميه فكيف يحتاج الى اذنه ، وقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للاتحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاخبار تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصي اين ما رآه وكيف مارآه على العموم فالنخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له ، والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا : لا يجوز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مالم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم ، وهؤلاء اخس رتبة من أن يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاءوا الى القضاء طالبين لحقوقهم في دمائهم وأموالهم : أن نهرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهى عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج ، هذا واستمرار عادات السلف في الحسبة على الولاية قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من أمر بمعروف فان كان الولى راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه ، ومن جملة ما أنكر السلف على الأمراء ما روى ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلاة في العيد فقال له رجل : انما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان : ترك ذلك يا فلان فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » ، وروى ان المهدي لما

قدم مكة لبث ماشاء الله فلما أخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله ابن مرزوق فلبى بردائه وقال له : انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت أحق من أتاه من البعد حتى اذا صاروا عنده حلت بينهم وبينه من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه من مواليتهم فقال له : أعبد الله بن مرزوق فقال نعم فاخذ فجىء به الى بغداد ففكره ان يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوسها وضموا اليه فرسا عضوضا سيء الخلق ليعقره الفرس فلين الله له الفرس قال ثم صيره الى بيت وأغلق عليه وأخذ المهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان يأكل البقل فاذا به المهدي فاستدعاه فقال : من أخرجك قال الذي حبسني قال من حبسك قال الذي أخرجنى قال فضج المهدي وصاح وقال : أمانتخاف ان أقتلك فرفع عبدالله اليه رأسه وضحك وهو يقول : لو كنت تملك حياة أو موتا لكان ذلك فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلى عنه فرجع الى مكة قال : وكان قد جعل على نفسه نذرا ان يخلصه الله من أيديهم ان ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحر مائة بدنة . وروى عن جناب بن عبدالله قال تنزه هارون الرشيد بالدوير ومعه رجل من بني هاشم - وهو سليمان بن أبي جعفر - فقال له هارون قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها قال فجاءت ففتت فلم يحمد غناها فقال ما شانك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئها بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال : الطريق يا شيخ فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فاخذه وضرب به الأرض فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبه أمير المؤمنين فقال له صاحب الربع : ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبه أمير المؤمنين فقال له : اسمع ما أقول لك ثم دخل على هارون فقال اني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فاخذه فضرب به الأرض فمكسره فاستشاط هارون وغضب وأحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين ابعت الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به في دجلة فقال لا ولكن نبعث اليه ونأظره أولا لجأه الرسول وقال أجب أمير المؤمنين فقال نعم قال : اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقبل لهارون قد جاء الشيخ فقال للندماء أي شيء ترون نرفع ما قدما منا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو تقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له : تقوم الى مجلس ليس فيه منكر أصلح بنا قماموا صغرة أي اذلاء الى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ

وَحَقُّهُ الْعِلْمُ لِيَعْلَمَ الْحُدُودَ وَالْحَقُوقَ وَالْوَرَعَ لَعَدَمِ تَأْثِيرِ

فادخل وفي كه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم: أخرج هذا وادخل على أمير المؤمنين فقال هذا عشائي الليلة قال: نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشائك فقال له هرون أى شيء تريد منه فقال في كه نوى فقلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين فقال دعه لا يطرحه قال فدخل فسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت فقال وأى شيء صنعت وجعل هرون يستحي ان يقول كسرت عودنا فلما اكثر عليه، قال: انى سمعت آباءك وأجدادك يقرءون هذه الآية على المنبر (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) رأيت منكرا فغيرته قال فغير فوالله ما قال الا هذا فلما خرج أعطى رجلا بدرة فقال له اتبع الشيخ فان رأيتة يقول قلت لأمير المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئا وان رأيتة لا يكلم أحدا فاعطه البدره فلما خرج من القصر اذا هو بنواة فى الأرض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم أحدا فقال له يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدره فقال قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها، ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على نواة يعالج قلعها من الأرض وهو يقول:

أرى الدنيا لمن هي في يديه هموما كلها كثرت لديه
تهين المكرمين بها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغثت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج اليه

(وحقه) أى وحقوق وجوب الاحتساب ثلاثة (العلم) أى معرفة خطأ الأمور وصوابها (ليعلم الحدود) أى بمراتبها (والحقوق) المتعلقة باصحابها فالجامل بمعزل عن هذا الباب بل شرط أن يكون مسلما مكلفا قادرا على الاحتساب، ومن هنا قال بعض علمائنا: ان العامى انكاره بالجناز. والعالم انكاره باللسان. والأمير انكاره بالآركات فانه يجب أن يعلم المحتسب مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها ليقصر على حد الشرع فى أبوابها، وذلك معنى قوله (والورع) أى عن المنكرات مطلقا أو عن ذلك المنكر والاول أظهر ليردعه ورعه عن مخالفة معلومه فاكل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف فى الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض الفاسدة أو عوض من الاعراض الكاسدة وليكن كلامه ووعظه مقبولا (لعدم تأثير

قَوْلِ الْفَاسِقِ وَسُقُوطِ اعْتِبَارِهِ وَحَسَنِ الْخَلْقِ وَهُوَ الْأَسَاسُ

قول الفاسق وسقوط اعتباره ﴿ عند الخلائق لان الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينفع وعظ من لا يتعظ أولا وكذا ان قهر بالفعل فقد قصر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال : فانت لم تقدم عليه فينفر الطباع عن قهره بالفعل فلا يفيد فائدة لاسيما مع ارباب الجهل والا فلا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن اعداء المسلمين ويهمل اباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا، فتحصل من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ به واذ لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول : ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على الفاسق في اراقة الخمر وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر عليه. قال الغزالي : وهذا غاية الانصاف والكشف في المسألة انتهى، ولا يخفى ان هذا يخالف لما تقدم من ان العدالة ليست بشرط في هذا الباب بل هو من باب الكمال والله أعلم بالصواب، وقد ورد عن انس «قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهي عن المنكر حتى نجتنبه كله قال عليه السلام بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانها عن المنكر وان لم تجتنبوه كله، الطبراني في المعجم الصغير والاوسط ﴿ وحسن الخلق ﴾ أى ليقدر به على ترتيب الحسبة على الخلق بالحكمة أولا وبالموعظة ثانيا وبالمجادلة من المدافعة والمضاربة والمقاتلة ثالثا ﴿ وهو الاساس ﴾ أى مدارس سياسة الناس، ففي الاحياء ورد «لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه» الحديث قال مخرجه لم أجده هكذا، والبيهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر بمعروف فليكن بمعروف، والحاصل ان العلم والورع لا يكفي فيه بل لابد من حسن الخلق ايضا فان الغضب اذا هاج لم يقيم العلم والورع في قمعه مالم يكن في الطبع قبول له لحسن الخلق، وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على دفع الشهوة ومنع الغضب وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله كما قال تعالى حكاية عن لقمان (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور) وعن بعض السلف إذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن

فهيجان الغضب لا يسكن دونه، وورد (فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى)

نفسه على الصبر وليثق من الله بالثواب والأجر فمن وثق باجر المولى لم يجد مس
الآذى والا فاذا أصيب عرضه أو نفسه بشتم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين
الله وتصحيح النية وتحسين الطوية فاشتغل بنفسه الردية وأخلاقها الدنية بل ربما
تقدم عليه ابتداء لطلب الجاه أو طمع المال أو للرياء والسمعة ولعل هذا وجه قول
القائل هذا زمان السكوت ولزوم البيوت ، وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني
« كيف منزلتك عند قومك قال حسنة ، قال ان التوراة يقول ان الرجل اذا أمر
بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال أبو مسلم : صدقت التوراة
وكذب أبو مسلم (فهيجان الغضب) أى منه أو من غيره (لا يسكن دونه)
أى عند أمر من الأمور بل يتحرك فيه أنواع من الشرور (وورد) أى فى طه
(فقولا له قولاً لنا) أى ملايما هينا (لعله يتذكر) أى يتعظ فيترك الكفر
ابتداء (أو يخشى) أى عقاب ربه فينتهى عن خلافه انتهاء فاذا كان الانبياء مأمورين
بالرفق مع شر الخلق فكيف بالعلماء مع أهل الحق ؟ وحكى عن المأمون اذ وعظه
واعظ وعنفه فى القول فقال : يا رجل ارفق فقد بعث الله تعالى من هو خير منك الى من هو
شر منى وأمره بالرفق فقال (فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى) وقد روى
أبو أمامة « ان غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله أتأذن لى
فى الزنا فصاح الناس به فقال عليه السلام : أقروه ادن فدنا حتى جلس بين يديه
فقال عليه السلام : أتجبه لأملك قال لا جعلنى الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه
لامهاتهم قال أتجبه لابنتك ، قال لا جعلنى الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه
لبنائهم قال أتجبه لاختك ؟ قال لا جعلنى الله فداك : قال كذلك الناس لا يحبونه
لاخواتهم ، وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول « فى كل ذلك : لا
جعلنى الله فداك وهو عليه السلام يقول كذلك الناس لا يحبونه ، وقالوا جميعا
فى حديثهما اعنى ابن عوف والراوى الآخر « فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحسن فرجه فلم يكن
شئ ابغض اليه منه « أى من الزنا رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح ، وقيل
للفضيل بن عياض أن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال ما أخذ منهم الا دون
حقه ثم خلا به وعذله ويخجه فقال سفيان يا أبا على ان لم تكن من الصالحين فانا لنحب

وَأَوَّلُهُ التَّعْرِيفُ ثُمَّ الْوَعْظُ وَالتَّخْوِيفُ مِنْهُ تَعَالَى لَا يَتَجَاوَزُ عَنْهُ إِنْ كَانَ عَلَى الْوَالِدَيْنِ أَوْ الْمَوْلَى أَوْ الْبَعْلِ أَوْ السُّلْطَانِ بَلْ يَشْتَغِلُ بِالْدُّعَاءِ وَالْإِسْتِغْفَارِ ثُمَّ التَّعْنِيفُ

الصالحين (وأوله) أي بدء الحسنة (التعريف) أي تعريف قبح المعصية (ثم الوعظ) أي النصيحة بالكلام اللطيف (والتخويف منه تعالى) أي بالعقوبة في الدنيا والآخرة (لا يتجاوز) أي المحتسب (عنه) أي عما ذكر من الأمور الثلاثة (أن كان) احتسابه (على الوالدين) وقد سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده؟ قال يعظه ما لم يفضض فاذا غضب سكت عنه ، قيل وفي معنى الوالدين التليذ والاستاذ وأما ما في الإحياء من الأخبار الواردة في أن الجلاد ليس له أن يجلد أباه في الزنا ولا أن يباشر إقامة الحد عليه ولا أن يباشر قتل أبيه الكافر وأنه لو قطع يده لم يلزمه القصاص ثم قال وثبت بعضها بالإجماع فقال مخرجه لم أجده في الحديث « لا يقاد الوالد بالولد » رواه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر (أو المولى) أي المالك من العبد (أو البعل) أي الزوج من المرأة (أو السلطان) أي أوعلى الخليفة ومن في معناه من الرعية من أمرائه ووزرائه فانه يكاد يفضى الى خرق هيئته واسقاط حشمته وترتب عليه الفساد من جهة حميته والغضب على رعيته فلما جازم في مستدركه من حديث عياض ابن غنم الأشعري « من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية ولا يأخذ بيده فليخل به فان قبلها والا كان أدى الذي عليه والذي له » وقال: صحيح الاسناد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكر « من أهان سلطان الله في الأرض أهان الله في الأرض » وهذا منه عليه السلام طريق رافة ورحمة على الأنام والافقد ورد عنه من حديث أبي عبيدة قلت : « يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله ؟ قال رجل قام الى وال جائر فامر به بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله » الحديث رواه البزار وللحاكم في مستدركه وصححه اسناده من حديث جابر « سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ورجل قام الى امام جائر فامر به ونهاه فقتله » ويقويه ما سلف من السلف حتى قارب أمرهم الى الهلاك والتلف ، والحاصل انه لا يجب عليه الا انه يستحب له ويثاب عليه (بل يشتغل بالدعاء) أي لتوفيقهم بالمعروف (والاستغفار) أي المجاوزة عنهم في المنكر فان هذين الأمرين نفعهما أكثر خصوصاً في هذا الزمان فتدبر (ثم التعنيف) أي الكلام

وَالسَّبُّ دُونَ الْفَحْشِ مِثْلُ يَاجَاهِلٍ يَأْخُذُ بِأَحَقِّ لَا يَتَجَاوَزُ عَنْهُ إِنْ كَانَ عَلَى الْمُسْلِمِ مِنَ الذَّمِّ
تَحْرِزًا عَنْ اسْتِيلَاءِ الْكَافِرِ ثُمَّ التَّغْيِيرُ كَكَسْرِ الْمَلَاهِي وَإِرَاقَةِ الْخَرِّ ثُمَّ التَّهْدِيدُ ثُمَّ
الضَّرْبُ وَهُوَ بِقَدْرِ الْوُسْعِ وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَالْكِرَاهَةُ ، فَوَرَدَ «فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ
وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»

الحُشْنُ (والسب) أي الشتم (دون الفحش) فلا يقول له : يا كافر يا مهودى يا نصرانى
يا خنزير يا كلب يا فاسق بل يقول (مثل ياجاهل يا أحمق) الاتخاف من الله وما يجرى مجراه
(لا يتجاوز عنه) أي عن هذا الأمر (أن كان) الاحتساب (على المسلم من الذم) تحريزا
عن استيلاء الكافر (فإن الذم) إذا منع المسلم بفعله دون قوله فهو يسقط عليه فيمنعه من الوصول
إليه لقوله تعالى : (وإن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) وأما مجرد قوله لا تزن ونحوه
من النصيحة والتخويف من الفضيحة فلا محذور فيه بل ربما يكون سببا للامتناع عما فيه (ثم
التغيير) أي تغيير المنكر بالبدو المباشرة على سبيل المنع بالقهر (ككسر الملاهي) أي من
آلات المناهي كالزمار والاورتار (واراقة الخمر) أي التي هي أم الخبائث وأصل
المعاصي وأساس الشر ، وكذا اختطاف الثوب الحرير من رأسه واستلاب الشيء
المغصوب من يده ورده على صاحبه ، فللترمذى من حديث أبي طلحة أنه قال «يأبى
الله أنى اشتريت خمرًا لا يتم فى حجرى قال : أهرق الخمر واكسر الدنان» (ثم التهديد)
أي التخويف بالضرب من عنده أو من عند غيره من الحاكم ونحوه (ثم الضرب)
أي بمباشرة إن كان قدرة لديه حتى يتمتع عما هو عليه (وهو بقدر الوسع) أي الطاقة فى
تأدية الطاعة كالمواظب على القذف والغيبة فإن سلب لسانه ممكن ولكن يحمل على
اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج إلى استعانة وحصول اعانة (وإن لم يقدر)
أي على الضرب ونحوه (فالكراهة) أي بقلبه كافية (فورد) أي فى حديث أوله «من
رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه» (فإن لم يستطع فبقلمه) وذلك
أضعف الإيمان (أي أضعف أهل الإيمان أو أضعف زمانه أو أضعف مراتبه
فى شأنه) رواه أحمد ومسلم والأربعة عن أبى سعيد مرفوعا، ولا يخفى أن العاجز ليس
عليه حصة إلا بقلبه إذ كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها ، قال ابن مسعود :
وجاهدوا الكفار بأيديكم فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفروا فى وجوههم فافعلوا ،

فَإِنْ ظَنَّ الْأَصْرَارَ لَا يَجِبُ بَلْ يُسْتَحَبُّ إِظْهَارُ الْأَمْرِ الدِّينِيِّ وَإِنْ ظَنَّ إصَابَةَ مُكْرُوهُ أَوْ فَعَلَ مُنْكَرَ آخَرٍ يَحْرُمُ إِلَّا أَنْ يَظُنَّ الْأَمْتَنَ أَيْضًا فَيَسْتَفْتِيَ مِنَ الْقَلْبِ وَيَنْظُرُ فِي صَلَاحِهِ مَبَالِغًا

ثم اعلم انه لا يتوقف سقوط الوجوب على العجز الحسى فقط بل يلحق به ما يخاف عليه مكروهه وهايناله فذلك في معنى العجز وكذا اذا لم يخف مكروهها ولكن علم ان انكاره لا ينفع وهذا معنى قوله ﴿فان ظن الاصرار لا يجب﴾ اى الانكار بالقول ﴿بل يستحب اظهار الامر الدين﴾ نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد ويحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الحرب من الاكراه ﴿وان ظن اصابة مكروه﴾ من ضرب ونحوه ﴿او فعل منكر آخر﴾ اى بسببه كضرب غيره من اصحابه او اقاربه او رفقاته ﴿يحرم﴾ اى حيثئذ الاحتساب ﴿الا ان يظن الامتناع ايضا﴾ فاذا تعارض الظنان ﴿فيستفتى من القلب﴾ في اختيار ما ياهمه الرب ﴿وينظر في صلاحه﴾ اى صلاح الامر من حاله ﴿مبالغا﴾ في تحسين ما له فروى عن العالم الربانى ابن سلمان الدارائى انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان أنكر عليه وعلت انى أقتل ولم يمنعنى القتل ولا كن كان فى ملاء من الناس فخشيت ان يعتز بى التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص فى الفعل للحق فان قيل: فما معنى قوله تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) أجيب بانه لاخلاف فى ان المسلم الواحد له ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس: ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة فى طاعة الله تعالى: أى من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه؛ ويؤيده الجملتان السابقة واللاحقة اذ قال تعالى: (وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا) ولا يبعد ان تفسير التهلكة باسراف المال وتضييع العيال، وقال أبو عبيدة: هو ان يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك ذكره فى الأحياء وهو صحيح فى المعنى لانه يبعد مأخذه من الآية بحسب إرادته من المبنى ثم اذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جازله ايضا ذلك فى الحسبة

وَالْإِغْتِبَارُ لِلظَّنِّ الْغَالِبِ مِنْ مُعْتَدِلِ الْحَالِ فَالْجَبَانُ يُسْتَقْرَبُ الْبَعِيدُ وَالْمُتَهَوِّرُ
يَعْكُسُ وَلَا يَتَجَسَّسُ كَوْضَعُ الْأُذُنِ وَالْأَنْفِ لِحَسَاسِ صَوْتِ الْأَوْتَارِ وَرَائِحَةِ
الْخَمْرِ وَطَلَبُ إِرَاءَةِ مَانَحَتِ الثَّوْبِ فَهُوَ مِنْهُي عَنْهُ

﴿وَالْإِغْتِبَارُ لِلظَّنِّ الْغَالِبِ﴾ في حصول فائدة من المحارب والمحتسب ﴿من معتدل الحال﴾
بأن يكون في طبعه من أرباب الكمال ﴿فالجبان﴾ وهو ضعيف القلب في ميدان البيان
﴿يستقرب البعيد﴾ أي من الامكان فيرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه
ولا يجاهده ﴿والمتهور يعكس﴾ أي الامر بأن يستبعد القريب في الزمان والمكان فيبعد
وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن أمله وأصل طبعه حتى انه لا يصدق به
الابتدؤ وقوعه، والحاصل ان الجبن مرض وهو ضعف في القلب بسبب قصور في القوة
وتفريط و التهور افراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان
وانما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة فلا التفات الى الطرفين في الأخلاق
والاحوال ﴿ولا يتجسس﴾ فيشترط ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تفحصه
فكل من ستر على معصية في داره وأغلق على بابه لا يجوز لاحد ان يتجسس عليه
من طاقته وجداره وأمثاله ﴿كوضع الاذن﴾ لسماع الملاهي ﴿والانف﴾ لشم
الخر والمناهي ﴿لاحساس صوت الاوتار﴾ متعلق بوضع الاذن ﴿ورائحة الخمر﴾
في تلك الدار ﴿وطلب اراءة مانتحت الثوب﴾ فاذا روى فاسق وتحت ذيله شيء نحو
ظرف خمر او خشب عود لم يجزان يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة بان كانت له رائحة
فانتحة أو تشكل العود اذا كان الثوب الساتر رقيقا والافمجرد الظن لا يعمل به فانه
قد يستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل ولا يدل فسقه على ان الذي معه خمر يشرب
منها اذ الفاسق يحتاج ايضا الى الخل وغيره ولا يجوز ان يستدل باخفائه وانه لو كان
خلالما أخفاه لان الاغراض في الاخفاء لا تنحصر بالاستقصاء كذا في الاحياء ﴿فهو﴾
أي التجسس ﴿منهى عنه﴾ أي في قوله تعالى : ﴿يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من
الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا﴾ وروى د ان عمر رضى الله عنه تسور دار
رجل فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال: يا أمير المؤمنين ان كنت قد عصيت
الله من وجه فقد عصيته أنت من ثلاثة أوجه فقال : ما هي؟ فقال قد قال الله تعالى
﴿ولا تجسسوا﴾ وقد تجسس وقال (وأتوا البيوت من أبوابها) وقد تسورت من السطح

وَيَدْخُلُ الدَّارَ عِنْدَ ارْتِفَاعِ الْأَصْوَاتِ وَيَحْتَسِبُ عَلَى غَيْرِ الْمُكَلَّفِ فِي
الْمَحْتَسَبِ عَلَيْهِ لَا يَشْتَرُطُ التَّكْلِيفُ لَا فِي مَحَلِّ الْخِلَافِ

وقال تعالى (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وما سلمت
فتركه عمرو شرط عليه التوبة ، وقد شاور عمر الصحابة وهو على المنبر وسألهم عن الامام
اذا شاهد نفسه منكرا فهل له اقامة الحد؟ فاشار على بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي
فيه واحد (ويدخل الدار عند ارتفاع الاصوات) أى أصوات الملاحى وما يدل على
بجائس المنكرات من المناهى ، وهذا بمنزلة الاستثناء من الحكم السابق والمعنى انه
لا يجوز الدخول على من أغلق باب داره وتستر بحيطان جداره الا ان ظهر في الدار
ظهورا يعرفه من هو خارجها كاصوات المزامير والاوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز
ذلك حيطان الدار فن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاحى وقطع الاوتار وكذا
اذا ارتفعت أصوات السكرى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعونهم أهل الشوارع
فهذا الاظهار ، وجب للحسبة والانكار (ويحتسب على غير المكلف) اذ شرط
المحتسب عليه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرا ولو لم يكن
معصية بالنسبة اليه ولعله يكفي في ذلك أن يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ
تقرر أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط
كونه مميزا لما تحقق ان المجنون لو كان يزنى بمجنونة أو يأتى بهيمة أو يشرب الخمر وجب
منعه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره
(ففى المحتسب عليه لا يشترط التكليف) أى بخلاف المحتسب فانه يشترط تكليفه
في حق الوجوب عليه وأما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعى الا العقل حتى ان
الصبي المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله أن يريق الخمر
ويكسر الملاحى فاذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس
بمكلف فان هذه قرينة وهو من أهلها كالصلاة والامامة وسائر القربات وليس حكمه
حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك أثبتوا الحسبة للعبد وآحاد الرعية
نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان
كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبي أن يفعل ذلك حيث لا
يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر (لا في محل الخلاف) أى لا يحتسب

كَأَكْلِ الشَّافِعِيِّ الضَّبِّ وَلَا قَبْلَ الْإِرْتِكَابِ فَهُوَ مَشْكُوكٌ فِيهِ وَلَا

الافى المتفق على كونه منكرا في كل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه ﴿كأكل الشافعي الضب﴾ فليس للحنفي أن ينكر عليه أكله وكذا في أكل الضبع ومتروك التسمية عمدا ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النيد الذي ليس بمسكرو تناوله ميراث ذوى الارحام وجلوسه في دار أخذها لشفعة الجوار الى غير ذلك من مجارى الاجتهاد نعم لو رأى الشافعي شافعيًا يشرب النيد أو ينكح بلا ولي ويطلق زوجته، أو رأى الحنفي حنفيًا يلعب بالشطرنج أو يلبث الثوب الاحمر فهذا في محل النظر كما في الاحياء والاظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب أحد من المحصلين الى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذى أدى اجتهاده في التقليد الى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقى من المذاهب اطيها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذن مخالفته البدل متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا أنه جوز له تقليد غيره من الأئمة في بعض المسائل فاذا اعتذر وقال: أنا مقلد للشافعي أو الحنفي في هذا الباب يرتفع عنه الاحتساب والله أعلم بالصواب وقد ذهب جمع الى أنه لا حسبة الا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما كأكل الميتة والدم وما أجمع على تحريمه حيث جوزوا لكل مقلد أن يختار من المذاهب ما أراد رفقا به ولعل وجه كلامهم ما ورد من أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه وقد قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لا تعلمون﴾ فمن تبع عالما لقى الله سالما ومن المعلوم أن الله سبحانه ما كلف أحدا أن يكون حنفيًا أو مالكيًا أو شافعيًا أو حنبليًا بل كلفهم أن يعملوا بالكتاب والسنة ان كانوا علماء وأن يقلدوا العلماء اذا كانوا من الجهلاء ﴿ولا قبل الارتكاب﴾ أى ولا يحتسب قبل مباشرة ما يجب عليه الاجتناب فيشترط أن يكون المنكر موجودا في الحال لانه يتوقف منه في المال (فهو) أى وجوده قبل الارتكاب ﴿مشكوك فيه﴾ فلا يجوز فيه الاحتساب كمن يعلم بقرينة حاله وهيبته انه عازم على الشرب في ليلة فانه لا حسبة عليه الا بوعظه ونصيحته فان انكر عزمه عليه لم يجوز وعظه ايضا لديه فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما يرمز عليه لعائق عن فعله وليتنبه للدقيقة المتفرعة على هذا الاصل، وهي ان الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجرى مجراه من سائر الاشياء ﴿ولا

بعده فهو حق الإمام وعلى المحتسب عليه القبول والاعتذار فهو المأثور
ويغض المصرفه تعالى بالأغراض عنه والأهانة وترك الاعانة وإبطال أغراض
تعين على المعصية دون غيرها ولو أعان تحريضا على قبول النصح أو لحق
الاسلام فحسن فالحال يختلف بالنية كما في الترك للفسق إلا أن يعلم الاقتداء
كما في المبتدع والمعلن بالفسق في الملا حتى يترك السلام فهو يسقط بآذني
غرض ،

بعده (أي ولا يحتسب بعد الارتكاب وفراغه عن هذا الباب (فهو) أي هذا النوع من
الاحتساب (حق الإمام) أي ومن جعله من الثواب (وعلى المحتسب عليه القبول
والاعتذار) أي واجبان عليه ولا زمان لديه (فهو المأثور) أي عن السلف الأبرار
(ويغض المصرف) أي الملازم على المعصية من غير رجوع بالتوبة سواء كان كافرا
أو فاجرا أو مبتدعا ولم يكن داعيا (فيه) أي في الله (تعالى) أي شأنه وتعاظم برهانه
(بالأغراض عنه) أي في السلام والكلام (والأهانة) أي بزيادة المهانة (وترك
الاعانة) أي في ما يظهر من الإغانة (وابطال أغراض تعين على المعصية دون غيرها)
أي غير المعصية (ولو أعان) أي في الأغراض التي تعين على غير المعصية (تحريضا
على قبول النصح) أي فيما يذكركه من الكلام (أو لحق الاسلام فحسن) أي فأعانت
مستحسنة قال تعالى : (لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاؤكم في الدين ولم يخرجوكم من
دياركم ان تبرؤم وتسقطوا إليهم ان الله يحب المقسطين) فهذا في زماننا يتصور
في حق أهل الذمة (فالحال يختلف بالنية) أي باختلافها وتفاوت الطرية (كما
في الترك للفسق) أي كما يختلف في ترك الاحسان لحرف الفسق (الان يعلم) مخرج
من قوله ولو أعان أي الان يعلم المغض (الاقتداء) أي اقتداء الناس كما في نسخة
فلا يعينه حينئذ (كما في المبتدع) أي الداعي لا يعينه (والمعلن بالفسق في الملا)
تأكيد للإعلان أو قيد للمبتدع والمعلن فهو احتراز من البدعة والفسق في الخلاء،
والأظهر انه ظرف ليغض المصرف كما يشير اليه قوله (حتى يترك السلام) أي
في الابتداء ورده في الانتهاء (فهو) أي حق السلام ورده (يسقط بآذني غرض)

فورد « من انتهر صاحب بدعة ملا الله قلبه إيماناً ومن أهانه آمنه الله يوم
الفرع الأكبر ومن لان له أو أكرمه أو لقيه ببشر فقد استخف بما أنزل الله
على محمد صلى الله عليه وسلم » ويستفتى من القلب في الخلاء إن إظهار البغض
أقرب إلى الانزجار أم التلطف بالنصح ولا يحسن إلى من جنى في حق الناس
فهو إساءة في حق المظلوم بخلاف حقه ويضطر الذمي إلى أضيق الطرق
ولا يبدأ بالسلام عليه ولا يزيد في جوابه ويسلم على من اتبع الهدى

كالبول في الحمام ونحوه (فورد من انتهر) أي زجر وقهر (صاحب بدعة) أي
منكرة (ملا الله قلبه إيماناً) أي معرفة وإيقاناً (ومن أهانه آمنه الله) أي جعله
آمناً من عذابه (يوم الفرع الأكبر) وهو القيامة الكبرى (ومن لان له) أي في
الكلام (أو أكرمه) أي بالقيام (أو لقيه ببشر) أي في حال السلام (فقد استخف بما
أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم) أي فلم يعمل بما يجب عليه من الأحكام وإن
استحل ذلك فقد خرج عن دائرة أهل الإسلام والحديث لم أجده في كتب الأعلام ولكن ورد
عنه عليه السلام « من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام » (ويستفتى من
القلب في الخلاء) أي إذا كان وحده أو في حكم الخلاء (إن إظهار البغض أقرب إلى
الانزجار) أي امتناع المبتدع والفاسق عن حالهما (أم التلطف بالنصح) أنسب
إلى إصلاح أمرهما فيفعل بمقتضى ذلك (ولا يحسن إلى من جنى) أي ظلم (في حق
الناس) أي لا بالحماية ولا بالشفاعة والعناية (فهو) أي الإحسان إلى الظالم
(إساءة في حق المظلوم) أي الأولى بالرعاية كما في نسخة (بخلاف حقه) أي فله
أن يعاقبه بمثله وله أن يحسن إليه في مقابلة ظلمه عليه بل هذا من الخلق الممدوح لديه
قال تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن) (ويضطر الذمي إلى أضيق الطرق) أي بنية أهانه
وعزة المسلم وغلبته فالإسلام يعلو ولا يعلى عليه (ولا يبدأ بالسلام عليه) لأنه من
باب الأكرام لديه والإحسان إليه (ولا يزيد في جوابه) أي على قوله وعليك وأوعيك
لحسب، وبعبارة المصنف موهمة أن يقول له وعليك السلام من غير زيادة ورحمة الله
وبركاته وليس كذلك فانه مخالف للرواية والدراية (ويسلم على من اتبع الهدى

إِنْ كَانَ فِي جَمْعِ الْمُسْلِمِينَ وَيَدْعُو فِي تَشْمِيْتِهِ بِالْهُدَايَةِ لَا بِالرَّحْمَةِ وَلَا يَرْشُدُهُ إِلَى مَعْبَدِهِ وَلَا يَصَاحِفُهُ وَيَعِيدُ الْوُضُوءَ إِنْ صَاحِفَهُ وَلَا يَسْتَقْبِلُ جَنَازَتَهُ بِالْوَجْهِ *

﴿البَابُ التَّاسِعُ فِي الصَّمْتِ وَآفَاتِ اللِّسَانِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . «وَرَدَ إِنْ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ»

ان كان ﴿الذمي أو الحر أو الفاسق أو البدعي﴾ (في جمع المسلمين) وكأنه مقتبس من قول موسى عليه السلام (والسلام على من اتبع الهدى) وكذا في العكس بان كان المسلم بين الكافرين أو الفاجرين ، وقيل يقول السلام عليكم وينوي المسلمين الكاملين ﴿ويدعو في تشميته﴾ أي جواب عطسته ﴿بالهداية﴾ أي بان يقول يهدينا ويهديكم الله ﴿لا بالرحمة﴾ فلا يقول برحمكم الله ﴿ولا يرشده﴾ أي لا يبدله ﴿إلى معبده﴾ أي من البيعة لليهود والكنيسة للنصارى فإنه إعانة على المعصية وقال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ﴿ولا يصاحفه﴾ لان المصاحفة من باب كمال المصاحفة ﴿ويعيد الوضوء﴾ أي الاغوى وهو غسل اليد ﴿ان صاحفه﴾ أي كافرا لظاهر قوله تعالى: (إنما المشركون نجس) ﴿ولا يستقبل جنازته بالوجه﴾ أي بالمواجهة بل يدير عنها وجهه اذا اتته في المقابلة *

﴿البَابُ التَّاسِعُ فِي الصَّمْتِ وَآفَاتِ اللِّسَانِ﴾

المراد بالصمت السكوت في ميدان البيان فقد ورد «من صمت نجا» رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر بسند فيه ضعف ، والطبراني بسند جيد ، الصمت حكمة وقليل فاعله ، الدليل عن ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث أنس بلفظ «حكم بدل حكمة» قال: والصحيح عن أنس أن لقمان قال ، ولا بني نعيم في الحلية من حديث ابن عمر «من كثر كلامه كثر سقطه» وما أحسن قول القائل :

ما ان ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ خير كلام صدر من كل حكيم ﴿ورد ان اكثر خطايا ابن آدم في لسانه﴾ الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت ، والبيهقي في الشعب بسند حسن والترمذي وصححه وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث

فَنِ الصَّمْتِ الْوَقَارُ وَاجْتِمَاعُ الْهَمَّةِ وَالْفَرَاغُ لِلْعِبَادَةِ وَالسَّلَامَةُ مِنْ آفَاتِ الدَّارَيْنِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ * مِنْهَا مَا لَا يَغْنَى وَهُوَ مَا لَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَلَا ثَوَابَ فِيهِ تَضْيِيعُ الْوَقْتِ

معاذ «قلت : يا رسول الله أتواخذ بما نقول ؟ فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد السنتهم » وللترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر « قلت يا رسول الله ما النجاة قال أملك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » وفي الصحيحين « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » ولابن أبي الدنيا وغيره من حديث أنس مرفوعا « رحم الله عبدا تكلم فغتم أو سكت فسلم » (ففي الصمت الوقار) أى حصول الرزاة والطمانينة (واجتماع الهمة) أى للامور المهمة (والفراغ للعبادة) التى هى وسيلة الى سيادة السعادة (والسلامة من آفات الدارين) أى عن الكونين وقتن المحلين (فان البلاء) أى فى الدنيا والاخرى (موكل بالمنطق) مصدر ميمى أى بنطق اللسان الصادر عن الانسان فى معرض البيان فاللسان صغير جرمه وكبير جرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان والطاعة والعصيان الا بشهادة اللسان ، ثم الذى أدرجه المصنف فى كلامه حديث رواه الخطيب فى تاريخه عن ابن مسعود بلفظ «البلاء موكل بالمنطق فلو أن رجلا عير رجلا برضاع كلبه لرضعها» قال السنخاوى ضعيف أقول ويقويه ما نسب الزركشى الى ابن لال فى مكارم الاخلاق من حديث ابن عباس والديلى من حديث أبى الدرداء قال السيوطى والديلى ايضا من حديث ابن مسعود مرفوعا وأحمد فى الزهد عنه موقوفا وابن السمعاني فى تاريخه من حديث على مرفوعا، وبهذا تبين خطأ ابن الجوزى حيث ذكره فى الموضوعات لكن «لفظه البلاء موكل بالقول» ولعل هذا سبب نسبته الى الوضع (منها) أى من آفات اللسان (ملا يعنى) أى ما لا ينفع الانسان من البيان (وهو) أى ما لا يعنى (ملا اثم عليه ولا ثواب) أى لا أجر لديه، ويذهبى أن يزداد ولا حاجة اليه وقد يعبر عنه باللغو ومنه قوله تعالى: (والذين هم عن اللغو معرضون ه واذا مروا باللغو مروا كراما) والأصل فى اللغو وما لا يعنى كلاهما شمول القول والفعل بل خطور القلب وتصوره فى ميدان العقل الا أن الاكثر استعمالها فيما يتعلق باللسان (ففيه) آفات كثيرة وعاهات شهيرة ذكر المصنف منها ثلاثة عشر آفة ، الاولى (تضييع الوقت)

وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ وَوَهْنُ الْبَدَنِ وَتَأْخِيرُ الرِّزْقِ وَإِذَاءُ الْحَفَظَةِ وَإِرْسَالُ
كُتُبِ اللَّغْوِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَقِرَاءَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤْسِ الْأَشْهَادِ
وَالْحَبْسُ عَنِ الْجَنَّةِ وَالْحِسَابُ

وهو يوجب المقت فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك فأس مال العبد
أوقاته ومهما صرفها الى مالا يعنيه ضاعت حالاته ومضت أيامه في الدنيا ولم يدخر
فيها ثوابا للعقبى، ومن هنا قال الصديق الاكبر : ليتنى كنت أخرس الا عن ذكر الله، وفي
الحديث « ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها »
رواه الطبراني والبيهقي عن معاذ وجاء في حديث ضعيف « ان الله أمرني أن يكون نطقى ذكرا
وصمتى ففكر ونظري عبرة » (وقساوة القلب) لانها بالغفلة عن ذكر الرب قال تعالى :
(فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) وقال عز وجل : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أى تسكن وتلين وقال عز وجل في بيان القرآن
وذكره (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله)
(ووهن البدن) أى ضعفه بضعف بعض جسده فانه اذا اشتكى بعض الاعضاء يتألم معه
سائر الاجزاء (وتأخير الرزق) أى المعنوى أو الحسى أيضا جزاء لما فاتته من الرفق (وإيذاء
الحفظة) أى الكرام الكاتبين بالقلم واملأه مرامه من غير فائدة في تمامه قال عطاء بن
أبي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يبعدون منه ما عدا كتاب
الله وسنة رسوله أو أمرهم معروف أو نهي عن منكر أو نطقا بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك
منها أتسكرون ان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وعن اليمين وعن الشمال
قميد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحي أحدكم ان لو نشرت صحيفته التي أملى
صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه (وارسال كتب) أى
صحائف من (اللغو اليه تعالى) أى للعرض عليه قبل القيامة (وقراءته بين يديه تعالى
يوم القيامة على رؤس الاشهاد) كما يشير اليه قوله تعالى (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم
عليك حسبا) ومن هنا قال عمر رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وهو مستفاد من
قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغدوا اتقوا الله) وتكرار
الامر بالنقوى لانها مطلوبة في الدنيا والاخرى فافهم (والحبس عن الجنة) أى بمقدار
ما اختاره في الدنيا من الغفلة عن الحضرة (والحساب) أى لما أثبت في الكتاب

وَاللُّومُ وَالتَّعْيِيرُ وَإِقَاعُ الْحِجَّةِ وَالْحَيَاءُ مِنْهُ تَعَالَى، وَوَرَدَ « مِنْ حُسْنِ
إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » ۝ وَمِنْهَا الْفُضُولُ وَهُوَ زِيَادَةُ فِيمَا يَعْنِي ، فَوَرَدَ
« طُوبَى لِمَنْ أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ » *

من استحقاق الثواب أو استيجاب العقاب (واللوم) كما يشير إليه قوله سبحانه
(لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) فانها تلوم نفسها على وجه الندامة
فانها ان عملت خيرا تلوم نفسها لماذا ما زادت عليه وان عملت شرا فظاهر في حقها
الملامة (والتعير) أى التوبيخ على التقصير (وإيقاع الحجّة) أى إبطالها في تلك
الحالة (والحياء منه تعالى) لما له من الخجالة (وورد) أى من حديث أبى هريرة في رواية
الترمذى وابن ماجه (من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) بل ورد ما هو أشد
من هذا فعن أنس « استشهد ظلام منا يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة
من الجوع فسحت أمه التراب عن وجهه وقالت : هنيئا لك الجنة يا بنى وقال عابه
السلام وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يمنع مالا يضره ، ابن أبى الدنيا
والترمذى مختصرا ، وفي حديث آخر « انه عليه السلام فقد كتب فسأل عنه فقالوا
مريض فخرج يمشى حتى أتاه فلما دخل عليه قال له أبشر يا كعب فقالت أمه هنيئا
لك الجنة يا كعب فقال عليه السلام من هذه المقالة على الله قال هى أمى يا رسول الله
قال وما يدريك يا أم كعب لعل كتباً قال مالا يعنيه أو منع مالا يعنيه » والمعنى ان الجنة
انما تنهى لمن لا يحاسب ولا يعاقب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه
مباحا فلا تنهى الجنة له لاسيما مع المناقشة فى الحساب فانه نوع من العذاب (ومنها
الفضول) أى فضول الكلام (وهو زيادة فيما يعنى) يعنى على قدر الحاجة فان
من يعنيه أمر يمكنه ان يذكره بكلام مختصره ويمكنه ان يبسطه ويعزوه ويكرره ومهما
تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلتين فالثانية فضول أى فضل على الحاجة ، فعن
ابن مسعود « انذركم فضول الكلام بحسب امرى ما بلغ به حاجته » أى من المرام فى
المقام « (فورد طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله) رتمامه
« ووسعت السنة ولم تستهوه البدعة ، رواه البغوى والبيهقى وقال ابن عبد البر : حديث
حسن وفضول الكلام لا ينحصر ولا يحصى بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى
(لاخير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس)

وَمِنْهَا الْخَوْضُ فِي الْبَاطِلِ كَمَحَاسِنِ النِّسَاءِ وَمَقَامَاتِ الْفُسَاقِ وَتَنَعُّمِ الْأَغْنِيَاءِ
وَتَجْبُرِ الْمُلُوكِ وَحُرُوبِ الصَّحَابَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْبَاطِلَةِ فَوَرَدَ «أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَايَا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي الْبَاطِلِ» وَهُوَ حَرَامٌ

وقد ورد الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا امرأ بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله
البرار عن ابن مسعود والطبراني عن أبي الدرداء بلفظ «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها
الا ما يتغنى به وجه الله عز وجل» (ومنها الخوض في الباطل) وهو الكلام في المعاصي
(كمحاسن النساء) أي حكايات أحوالهن من قدهن وخدعن وجملهن (ومقامات
الفساق) من مجالس الخمر وسماع الزمر (وتنعم الاغنياء) أي بالمأكول والمشروب
من الاشياء (وتجبر الملوك) أي واتباعهم من الامراء والوزراء (وحروب الصحابة)
كقصص الجمل وصفين على طريق الاخباريين لا على رواية المحدثين (والمذاهب الباطلة)
وما يتعلق بها من المشارب العاطلة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه (فورد
أعظم الناس خطايا) جمع خطيئة كقضية وقضايا (يوم القيامة أكثرهم خوضا في
الباطل) ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسل أورجالة ثقات ورواه هو والطبراني
موقوفاً على ابن مسعود بسند صحيح وهو في حكم المرفوع ولابن ماجه والترمذي وقال
حسن صحيح من حديث بلال بن الحارث «ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله
ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم
بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها عليه سخطه الى
يوم القيامة» وكان علقمة يقول : كم من كلام قد منعه حديث بلال بن
الحارث ، ولابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن مرفوعاً «ان الرجل ليتكلم
بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعدهم الثريا» وللشيخين والترمذي واللفظ
له وقال حسن غريب «ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوى بها سبعين
خروجاً في النار» (وهو) أي الخوض في الباطل (حرام) كما يشير اليه قوله تعالى :
(وكننا نخوض مع الخافضين) وقوله : (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره)
وقال سلمان «أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم كلاماً في معصية الله» وقال ابن سيرين :
«كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول : توضعون فان بعض ما تقولون شر من
الحدث» يعني فان الحدث مباح وكلام المعصية منكرو لذا كان بعض السلف يتوضأ من

وَالْأُولَان مَكْرُوهُان وَسَبَبُ الْكُلِّ هُوَ الْحَرَصُ عَلَى عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَالْانْبِسَاطُ
بِالْكَلَامِ لِلتَّوَدُّدِ وَإِمْضَاءُ الْوَقْتِ وَالْعَلَّاجُ ذِكْرُ اثْنَانِ الْمَوْتِ وَالسُّوَالِ وَلِحُوقِ
الْخُسْرَانِ بِتَضْيِيعِ الْوَقْتِ . وَالْعَزَلَةُ وَهُوَ الْإِنْفَعُ وَالْقَاءُ نَوَاةٌ فِي الْقَمِّ . وَهُوَ مَرُورِي
عَنِ الصَّدِّيقِ ، وَالسُّكُوتُ عَنْ بَعْضِ الْمِهْمَاتِ ، وَمِنْهَا الْمِرَاءُ وَهُوَ الطَّعْنُ فِي
الْكَلَامِ

الغيبة والنميمة والمقصود الطهارة الظاهرة والباطنة عن المعصية الذميمة (والاولان)
أى مالا يعنى وفضول الكلام (مكروهان) كراهة تنزيه لانهم ترك الاولى كما
لا يخفى (وسبب الكل) أى باعث جميع ماذكر مما لا يعنى والفضول والخوض
(هو الحرص على علم لا ينفع) بل انه يضر ولا يدفع ومن هنا قال عليه السلام «أنتم أعلم
بأمور دنياكم وقال الانساب بيان علم لا ينفع وجهل لا يضر» (والانبساط بالكلام للتودد)
أى للتجيب مع الانام والغفلة عن ذكر الملك العلام (وامضاء الوقت) من الليالي والايام من
غير منفعة للخاص والعام (والعلاج) أى معالجة الكل ستة (ذكر اثنيان الموت)
لانه يتدارك الفوت في الاوقات وقد ورد «أكثر واذا كره اذم اللذات» (والسؤال)
أى وذكّر السؤال عن الاحوال يوم العرض على الملك المتعال (ولحوق الخسران
بتضييع الوقت) أى الزمان في الهذيان فقد قال تعالى: (قل هل ننبئكم بالآخسرين
أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) هـ
(والعزلة وهو الانفع) أى في المعالجة لان أكثر الضرر في الصعبة والخاطئة (والقاء
نواة في القم) أو حصة (وهو مروي عن الصديق) رضى الله عنه ، ففى الأحياء عنه «انه
كان يضع حصة فيه يمنع بها نفسه عن الكلام فيما لا يعنيه» فكان يشير الى لسانه
ويقول : هذا الذى أوردنى الموارد أى المهالك الصادرة من شأنه (والسكوت عن
بعض المهمات) حذرا من كل الآفات لانه لا نجاة من هذا الامر الا بالسكوت عن كل
مالا يأتى به لو سكت في المقامات وعن بعضهم جعلت على نفسى بكل كلمة فيما لا يعنى
صلاة ركعتين فسهل ذلك على فجعلت لكل كلمة صوم يوم فسهل على ولم تنه حتى
جعلت على نفسى بكل كلمة ان اتصدق بدرهم فصعب على فانتهت كذا في شرح
الخطيب (ومنها المراء وهو) في هذا المقام (الطعن في الكلام) أى كلام الغير

بِأَظْهَارِ خَلَلٍ أَوْ طُعْيَانٍ وَهُوَ حَرَامٌ وَالْوَاجِبُ السُّكُوتُ أَوْ السُّؤَالُ
مُسْتَفِيدًا أَوْ التَّعْرِيفُ مُتَلَطِّفًا ، وَوَرَدَ « مِنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌ بَنَى لَهُ بَيْتًا فِي
أَعْلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَهُ وَهُوَ مُبْطِلٌ بَنَى لَهُ فِي أَسْفَلِ الْجَنَّةِ » وَمِنْهَا الْجِدَالُ وَهُوَ مِرَاءٌ
مُتَعَلِّقٌ بِأَظْهَارِ الْمَذَاهِبِ

(بأظهار خلل) أى نقصان (أو طعنان) أى زيادة فى معرض بيان بحسب المبنى
أو من جهة المعنى (وهو حرام) قال تعالى : (فلاتمار فيهم الا مراا ظاهرا) وعنه
عليه السلام « لاتمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده وعدا فتخلقه » الترمذى من حديث
ابن عباس ، والطبرانى من حديث أبى الدرداء وأبى أمامة وأنس بن مالك وواثلة
ابن الأسقع وابن أبى الدنيا موقوفا على ابن مسعود وذروا المراء فإنه لاتفهم حكمته
ولا تؤمن فتنه ، (والواجب السكوت) بأظهار كونه معترفا أو متوقفا وهذا اذا لم
يكن بامور الدين متعلقا (أو السؤال مستفيدا) أى متعرفا (أو التعريف) أى تعريف
الحلل (متلطفا) أى لاتمتناولا متكلفا (وورد من ترك المراء وهو محق) أى صاحب
حق (بنى له بيت فى أعلى الجنة ومن ترك وهو مبطل بنى له فى أسفل الجنة) وفى رواية
« بنى له بيت فى ربض الجنة ، رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف
قال الترمذى : حديث حسن ، ولابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة « لا يستكمل
عبد حقيقة الايمان حتى يذر المراء وان كان محتما ، وهو عند احد بلقط ولا يؤمن العبد
حتى يترك الكذب فى المزاحه والمراء وان كان صادقا » وللدبلى من حديث أبى مالك
الأشعري « ست خصال من الخير من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام فى الصيف
وتعجيل الصلاة فى يوم الدجن - أى الغيم - والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على
المكاره وترك المراء وهو صادق ، والطبرانى من حديث أبى أمامة « تكفير كل لحاء
ركعتان » واللباء مصدر لاحتى بمعنى مارى ، وآفات المراء كثيرة ومضراته مستطيرة قال
سفيان : لو خالفت أخى فى رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسمى بى الى السلطان وقال
أيضا صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن أبى
ليل لا أمارى صاحبى فاما ان أكذبه واما أن أغضبه (ومنها الجidal) أى البحث لترجيح
كلامه كيف ما كان على وفق مرامه (وهو) أى فى العرف أو الغالب (مراء
متعلق بأظهار المذاهب) أى الفروعية الخلافية أو الاصولية الاعتقادية قال تعالى :

وَهُوَ يُعْرِفُ بِكَرَاهَةِ إِصَابَةِ الْخَصْمِ وَارَادَةِ إِخْطَاةِ وَإِظْهَارِ فَضْلِ النَّفْسِ، وَوَرَدَ
 إِنَّ أَوَّلَ مَا عَاهَدَ إِلَى رَبِّي وَنَهَانِي عَنْهُ بَعْدَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ مَلَا حَاتِ
 الرِّجَالِ، وَالسَّبَبُ التَّرْفُعُ وَالْغَضَبُ وَعِلَاجُ كُلِّ فِي مَوْضِعِهِ ۝

(ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا)
 وقال عز وعلا : (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) وقال عز وعلا
 (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) فهو
 مأذون فيه مع أهل الكفر والبدعة ومنهى عنه في حق المسلمين من أهل
 السنة والجماعة ، فللزمذى من حديث أنى أمامة وصححه د ما ضل قوم بعد
 هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ، (وهو) أى الجدال المذموم (يعرف بكراهة
 اصابة الخصم) أى الحق والصواب فى أثناءه (واردة اخطائه) وهو
 قد يوجب ظهور كفره واغوائه (و اظهار فضل النفس) فى اموائه (وورد)
 أى من حديث أم سلمة (ان أول ما عهد الى ربى أن نهانى عنه بعد عبادة الاوثان وشرب
 الخمر . لاحاة الرجال) أى مجادلتهم ومنازعتهم وممازاتهم فى محاوراتهم رواه
 ابن أبى الدنيا والطبرانى والبيهقى وأبو داود ومرسلان من حديث عروة بن رويم (والسبب)
 أى الباعث للمراء والجدال (الترفع) باظهار الفضل والكمال والتهجم على الغير باظهار
 نقصه فى العلوم والأعمال (والغضب) أى وتيجعه فى محافل الرجال (وعلاج كل)
 أى من الترفع والغضب (فى موضعه) أى الالىق به وبجمله ان علاج الترفع ترك الكبر
 والتواضع وعلاج الغضب تصور قدرة الرب ، ويروى ان الامام الهمام أبا حنيفة
 قال لداود الطائى أحد تلاميذه : لم آثرت الانزواء ؟ فقال لاجاهد نفسى بترك الجدال
 والمراء فقال أحضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم فى الاثناء قال : ففعلت ذلك فما
 رأيت مجاهدة أشد مما هنالك ، قال فى الاحياء وهو كما قال لازم من سمع من غيره خطأ وهو
 قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ، ولذا قال عليه السلام « من ترك المراء وهو
 محق بنى له بيت فى أعلى الجنة ، لشدة ذلك على النفس وما يحصل لها من المحنة ثم قال :
 وينبغى للانسان ان يكف اللسان عن أهل القبلة واذارأى أحد المتدعة تلطف فى نصحه
 على الخلوطة بطريق المجادلة الحسنة والمحاوره المستحسنة فعنه عليه السلام « رحم الله
 من كلف لسانه عن أهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه » ابن أبى الدنيا من حديث هشام

وَمِنْهَا الْخُصُومَةُ وَهِيَ الْجَاحُ فِي الْكَلَامِ لِاسْتِيفَاءِ حَقِّ ابْتِدَاءٍ أَوْ اعْتِرَاضًا ، فَوَرَدَ
«أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ أَلَدُ الْخَصْمِ» وَهُوَ حَرَامٌ لِلْمَظْلُومِ يَنْصُرُ حُجَّتَهُ بِطَرِيقِ
الشَّرْعِ مُقْتَصِرًا عَلَى الْحَاجَةِ وَالْأَوَّلَى التَّرْكُ لِعُسْرِ ضَبْطِ اللِّسَانِ عَلَى الْإِعْتِدَالِ
وَالْإِحْتِرَازِ عَنْ مُوجِبَاتِ الْأَثَمِ كَالْحَقْدِ وَالْغَضَبِ وَالسَّبِّ وَالْفَرَحِ بِغَمِّ الْمُسْلِمِ وَفَوْتِ
طِيبِ الْكَلَامِ

ابن عروة مرسلًا، وقال مشاهير بن عروة : كان يردد قوله هذا سبع مرات (ومنها الخصومة) وهي من الصفات المذمومة والأخلاق المشنومة (وهي لجاح) أي غاصصة زائدة (في الكلام) مع أصحابه الكرام (لاستيفاء حق) أي له أو لغيره أصالة أو نيابة (ابتداء أو اعتراضًا) كآيات الوراثة ودفع الخصومة انتهاء فالأول نعت المدعى بالكسر والثاني وصف المدعى عليه ومن هنا قيل الصوفي لا يخاصم ولا يخاصم (فورد) أي في البخاري عن عائشة (أبغض الرجال إلى الله ألد الخصم) أي اللجوج الشديد الخصومة والحديث مقتبس من قوله تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصم) ولابن أبي الدنيا وغيره عن أبي هريرة (من جادل في خصومة بغير علم يزل في سخط الله حتى يفرغ) (وهو حرام المظالم ينصر حجة بطريق الشرع مقتصرًا على الحاجة) أي قدر حاجته من غير تعد إلى حد لجاحته لقوله تعالى : (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) وقوله : (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) (والأولى الترك) أي إذا وجد إليه سبيلا في مكان الامكان (لعسر ضبط اللسان على الاعتدال) في ميدان البيان (والاحتراز عن موجبات الأثم) أي والاحتراز عن مقتضيات أنواع العصيان (كالحقد والغضب والسب) وغيرها من نحو الكذب والبهتان (والفرح بغم المسلم) في ذلك المقام (وفوت طيب الكلام) أي وفوته، وقد قال عليه السلام «يوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام، الطبراني من حديث هاني بن شريح باسناد جيد ، وقال عمر رضى الله عنه :

بني ان البر شيء هين وجه طليق وكلام لين

ولاجل ما تقدم قال تعالى : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وقال عز وعلا : (وقولوا للناس حسنا) وقد قال بعضهم : ما خاسم قط ورع في الدين ، وقال ابن

وَمِنْهَا التَّشَدُّقُ بِتَكْلُفِ السَّجْعِ وَالتَّصْنَعِ فِيهِ ، فَوَرَدَ « شَرَارُ أُمِّي الَّذِينَ
يَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ » وَالسَّبَبُ إِظْهَارُ الْفَصَاحَةِ ، وَأَمَّا تَحْسِينُ الْأَلْفَاظِ فِي
الْمَوَاعِظِ لِلتَّأْثِيرِ فِي الْقُلُوبِ فَجَائِزٌ دُونَ الْأَفْرَاطِ .

قضية : مرى بشر بن عبدالله بن أبي بكر فقال : ما يجلسك ؟ قلت : خصومة بيني وبين
ابن عم لي قال : ان لا يبك عندى يذا واتى أريد أن أجزيك بها وانى والله ما رأيت
شيئا أذهب للدين ولا أنقص للروء ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة
قال : فممت لأرجع فقال لي خصمى مالك فقلت لا أخاصمك فقال عرفت أنه حقى
فقلت لا ولكنى أكرم نفسى عن هذا قال فانى لا أطلب منه شيئا هو لك (ومنها
التشديق) أى التكلف فى الكلام والتوسع فى المرام (بتكلف السجع والتصنع فيه)
أى من غير أن يكون فى سجيته سجع الطبع فاقيل لبعض المشايخ فى ذم السجع
فقال : رجعت عما سجمت ، واما اصل السجع فقير مذموم فى الشرع لما نزل فى
فواصل آى القرآن الكريم وورد فى كثير من حديث النبى الكريم ، ومنه « اعوذ بك
من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع ومن هؤلاء الاربع »
واما ماورده من انه عليه السلام قضى بغرة فى الجنين فقال بعض قوم الجاني :
كيف ندى من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل - اى
يهدر ويطل - فقال عليه الصلاة والسلام : اسجما كسجع الأعراب » وانكر ذلك لان اثر
التكلف والتصنع بين عليه فى هذا الباب ، والحديث رواه مسلم من حديث المغيرة
ابن شعبة وأبى هريرة واصلهما عند البخارى ايضا (فورد شرار اُمى الذين
يتشددون فى الكلام) ابن ابى الدنيا من حديث فاطمة « شرار اُمى الذين غدوا
فى النعيم بألوان الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشددون فى الكلام » ولمسلم
من حديث أبى مسعود « الا هلك المتطعمون ثلاث مرات ، والتطعم هو التعمق
والاستقصاء ، ولاحمد من حديث أبى ثعلبة وهو عند الترمذى من حديث جابر وحسنه
« ان أبغضكم الى الله وأبعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفهبون المتشددون » (والسبب
اظهار الفصاحة) والبلاغة (واما تحسين الالفاظ فى المواعظ) وكذا فى الخطب
والتصنيف (للتأثير فى القلوب فجائز دون الافراط) أى من غير الاطناب فى
الاعراب لان المقصود تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها وتحقيقها وتدقيقها ،

وَمِنْهَا الْفُحْشُ وَهُوَ التَّصْرِيحُ بِالذَّمِّ كَلَفَظِ الْجَمَاعِ وَالْبَوْلَ وَالْجَذَامَ وَزَوْجَتَكَ،
فَوَرَدَ «الْفُحْشُ لَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ» وَمِنْهَا السَّبُّ، فَوَرَدَ «سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسْقٌ»

ولرئاسة الالفاظ والمباني تأثير في ميدان المعاني، واما المحاورات التي تجري في قضاء الحاجات فلا يليق بها السجع فيما بين الكلمات فلا اشتغال به من التكلف المذموم اذ لا باعث عليه الا الرياء المعلوم ﴿ومنها الفحش وهو التصريح بالذمائم﴾ أى بالكلمات الذميمة ﴿كلفظ الجماع﴾ أى تصريحاً لا تلويحاً، فعن ابن عباس «ان الله حى كريم، ويكنى كنى باللمس عن الجماع فالمس واللمس والدخول والصعبة كنيات عن الوقاع وليست بفاحشة بالاجماع ﴿والبول﴾ وكذا الخرم بالاولى فينبغى ان يكنى عنهما بقضاء الحاجة أو بالغائط فانه من كنيات القرآن اذ حقيقته الموضع المنخفض من الأرض مع ما فيه من التنيه ان مثل هذا المكان يليق بقضاء حاجة الانسان ﴿والجذام﴾ ونحوه من البرص والقرع والبواسير والقولنج والاسهال بل يقال العارض الذى يشكوه ﴿وزوجتك﴾ وكذا امرأتك وسريتك بل يقال من في البيت أو العيال أو أهل البيت أو أم الاولاد أو نحو ذلك ، والظاهر ان زوجك من كنيات القرآن حيث قال تعالى : (اسكن أنت وزوجك الجنة) وقال : أمسك عليك زوجك ﴿فورداً الفحش ليس من الاسلام﴾ أحمد . وابن أبى الدنيا باسناد صحيح من حديث جابر بن سمرة بلفظ «ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شيء» الحديث وللنسائي والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو وايةا كم والفحش فان الله لا يحب الفحش، ولا التفحش ولا بن أبى الدنيا . وأبى نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن عمرو باسناد لين والجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها، قال العلاء بن زياد : وكان عمر بن عبد العزيز يتحفظ فى منطقه فخرج جراح فى ابطنه فقلنا : نسأله ماذا يقول ؟ قلنا من أين يخرج فقال من باطن البدن، ومن هذا القليل قوله عليه السلام لامرأة رفاعه «حتى تدوفى عسيلته ويدوف عسيلتك» رواه البخارى من حديث عائشة ، ومن ذلك ما اتفق الشيخان عليه من حديثها فى المرأة التى سألت عن الاغتسال من الحيض «خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها» الحديث ﴿ومنها السب﴾ أى الشتم ﴿فورداً سباب المؤمن فسق﴾ رواه الشيخان عن ابن مسعود ولفظه «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ولمسلم من حديث أبى هريرة «المستبان ما قالا فعلى البادى مالم يتعد المظلوم» ولاحد وأبى يعلى والطبرانى من حديث ابن عباس

وَالرُّخْصَةَ فِي مَثَلِ هَلْ أَنْتَ إِلَّا مِنْ بَنِي فُلَانٍ يَاسِيَهُ الْخُلُقِ لَا حَيَاءَ لَكَ يَا أَحْمَقُ
يَا جَاهِلُ فَكُلُّ لَّا يَخْلُو عَنْ جَهْلٍ وَحَقُّ * وَمِنْهَا اللَّعْنُ وَهُوَ الْإِبْعَادُ عَنْهُ تَعَالَى
فَهُوَ حُكْمٌ عَلَيْهِ تَعَالَى فَلَا يَجُوزُ لَأَعْلَى مَيِّتٍ كَافِرٍ لِّجَوَازِ أَنَّهُ أَسْلَمَ إِلَّا إِذَا أَعْلِمَ مَوْتَهُ
كَافِرًا كَأَنِّي جَهْلٍ وَفِرْعَوْنَ

باسنا جديد «ملعون من سب والديه، وفي رواية الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو
«من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه؟
قال يسب أب الرجل فيسب الآخر أباه» ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم «عن أن
يسب قتي بدر من المشركين وقال: لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون
وتؤذون الأحياء» رواه ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلًا ورجاله
ثقات، وللنسائي من حديث ابن عباس باسناد صحيح «أن رجلاً وقع في آب للعباس كان
في الجاهلية فلطمه» الحديث وفيه «لا تسبوا الأموات فتؤذوا أحياءنا» ولا في داود الترمذي
وقال: غريب من حديث ابن عمر «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم»
وللنسائي من حديث عائشة «لا تذكروا موتاكم إلا بخير» واسناده جيد، والبخاري
من حديث عائشة «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أنضوا إلى ما قدموا» (والرخصة في
مثل هل أنت الامن بنى فلان) أى اذا كان بنو فلان من القبائل الدنية وأهل
السمائل الردية فيكون صادقاً في قوله (ياسىء الخلق) لان الخلق لا يخلو من سوء
الخلق (لاحياء لك) أى حق الحياء (ياأحمق) اذا يخلو أحد من نوع حماقة
(ياجاهل) لان كل أحد جهله أكثر من علمه لقوله تعالى: (وما أوتيتم من العلم
الا قليلاً) (فكل) أى من افراد الانسان (لا يخلو عن جهل وحق) ولو في بعض الأحيان
والله المستعان (ومنها اللعن) بمعنى الطرد (وهو الابعاد عنه تعالى) أى طلب بعد الغير
عز رحمة سواء يكون بجملة خبرية كلعنه الله أو دعائية كاللهم العنه (فهو حكم عليه
تعالى) لان الخبر أيضاً بمعنى الامر (فلا يجوز) أى على أحد من فاسق ومبتدع وفاجر
بل لا يجوز (لأعلى ميت كافر) أى بحسب حكم ظاهر (لجواز انه أسلم) أى ولم يطلع
على إيمانه أحد (الا اذا علم موته كافراً) بنص قطعي من كتاب كافي لخب أو بتواتر
في حديث (كأبى جهل وفرعون) فان كفره ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة

وَلَا حَيَّ لَاحْتِمَالٍ أَنَّهُ يُسَلِّمُ بِخِلَافِ التَّرَحُّمِ لِلإِسْلَامِ الْحَالِي لِأَنَّهُ سُؤَالُ
الْثَّبَاتِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَهُوَ مُسْتَحَبٌّ وَسُؤَالُ الثَّبَاتِ عَلَى الْكُفْرِ، وَيَجُوزُ
التَّعْمِيمُ مِثْلُ لَعْنِ اللَّهِ الْكَافِرِينَ، وَالْأَوَّلَى التَّرُكُ مُطْلَقًا إِذْ هُوَ مِمَّا لَا يَعْنيهِ،

و لا التفات الى كلام ابن العربي ومن تبعه كما بينته في رسالة مستقلة ﴿ ولا حَيَّ ﴾ أى
ولا على كافر حى ﴿ لا احتمال انه يسلم ﴾ فى آخر عمره وخاتمة أمره ﴿ بخلاف الترحم للإسلام
الحالى ﴾ جواب سؤال مقدرو هو انه ينبغى ان لا يجوز الترحم للمسلم فى الحال لجواز انه
يكفر فى المآل فقال انما يجوز ﴿ لانه ﴾ أى الدعاء بالرحمة للمسلم ﴿ سؤال الثبات على الاسلام
وهو مستحب ﴾ باجماع الاعلام ﴿ وسؤال الثبات على الكفر كفر ﴾ لانه يدل على
رضاء به بخلاف الدعاء لاحد بالموت على الكفر فان رضاه ليس بكفره بل بموته على
كفره اغبطا فى أمره ، ويدل على جوازه دعاء موسى وهارون على فرعون وقومه
بقولهما ﴿ ربنا أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الاليم ﴾ ومن المعلوم أن إيمانهم عند رؤية العذاب إيمان بأس وتوبة بأس فلا
يقبل لقوله تعالى : ﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ وقوله : ﴿ حتى اذا حضر
أحدهم الموت قال انى تبت الآن ﴾ وقوله عليه السلام « أن الله يقبل توبة العبد ما لم
يغرر » وأما اذا قيل اغفر وارحم فلانا وهو كافر واراد به الدعاء له بان يجعله
سبحانه أهلا للغفرة والرحمة بالايمان والمعرفة قبيلا : لا بأس والظاهر أنه لا يجوز
انهى الشارع أن يقال فى جواب عطسة الكافر : يرحمك الله بل يقال يهديك الله
﴿ ويجوز التعميم مثل لعن الله الكافرين ﴾ لقوله تعالى : ﴿ فلعنة الله على الكافرين ﴾
و ﴿ ألعنة الله على الظالمين ﴾ بل يجوز التعميم أيضا فى حق الفاجرين من غير تعيين بان يقال :
لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود
مرفوعا « ولعن الله الخمر وشاربها وساقياها وباعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها
وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها » كما أخرجه أبو داود والحاكم عن ابن عمر ولعن
القدرية على لسان سبعين نبيا « رواه الدارقطنى فى العلال عن على رضى الله عنه » ويجوز
لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى الخوارج والروافض ﴿ والاولى الترك ﴾
أى ترك اللعن « (مطلقا) » أى عموما وخصوصا فيما لم يرد فى الكتاب والسنة
لعنة ﴿ اذ هو مما لا يعنيه ﴾ قال مكى بن ابراهيم كنا عند ابن عوف فذكروا بلال

وَوَرَدَ « الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِلَعَّانٍ » *

ابن ابى بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عوف ساكت فقالوا : يا ابن عوف انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عوف : انهما كلمتان تخرجان من صحيفتى يوم القيامة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان تخرج من صحيفتى لا اله الا الله أحب إلى من أن تخرج لعن الله فلانا، وعلى الجملة ففى لعنة الأشخاص خطر فليجتنب فى أمره ولا خطر فى السكوت عن لعن ابليس فضلا عن غيره هـ (وورد المؤمن) هـ أى الكامل هـ (ليس بلعان) هـ أى بذى لعن فالصيغة للنسبة كالتمار واللبان اول للبالغة فانه بما يصدر عن المؤمن فى حالة من أحوال الغضب أو الغفلة وهو مذموم سواء يكون لانسان أو جمد أو حيوان ، والحديث رواه الترمذى وحسنه من حديث ابن عمر « لا يكون المؤمن لعانا » ولأبى داود والترمذى من حديث سمرة بن جندب وقال الترمذى : حسن صحيح « لا تلعنوا بلعنة الله ولا بغضه ولا بجهنم » وقال عمران بن الحصين : « بيننا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بعض أسفاره اذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعننها فقال عليه السلام : خذوا ما عليها وأعروها فانها ملعونة قال فكان فى أنظر الى تلك الناقة تمشى فى الناس ولا يتعرض لها أحد ، رواه مسلم ، ولابن أبى الدنيا باسناد جيد من حديث أس هـ « كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال : يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون » قال ذلك انكارا عليه كذا فى الاحياء ، وعن أبى ذر هـ « وأبى الدرداء هـ « ما لعن الارض أحد إلا قالت لعن الله أعصانا لله » وعن عائشة قالت : « سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال : يا أبا بكر ألعانين وصديقين كلا ورب الكعبة العانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا فاعتق أبو بكر يومئذ رقيقه وجاء الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقال : لا أعود » رواه ابن أبى الدنيا ، ولمسلم من حديث أبى الدرداء « ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » ، وشرب نعيم الخمر فحد مرات فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤقى به فقال عليه السلام : لا تكن عوننا للشيطان على أخيك » وفى رواية « لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله » ابن عبد البر فى الاستيعاب ، وللبخارى من حديث ابن عمر « أن رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اسمه عبيد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم وكان قد جلده في الشراب فأتى به يوما فامر به لجلد فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال عليه السلام: لا تلغوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله، وهذا يدل على أن لعن فاسق بعينه لا يجوز، وفي الصحيحين من حديث ثابت بن الضحاك «لعن المؤمن كقتله» والتحقيق أن اللعن غير جائز إلا على من يتصف بصفة تبعده عن الله وهو الكفر والفسق والظلم والبدعة؛ وذلك غيب باعتبار الخاتمة إذ ربما يموت صاحبه على التوبة فلعن الأعيان فيه خطر لأن الأحوال تنقلب على الأعيان إلا أنه عليه السلام يجوز أن يعلم من يموت على غير الإسلام ولذا كان يقول في دعائه على قريش: اللهم عليك باني جهيل بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهما ممن قتلوا على الكفر يدر كفاي الصحيحين من حديث ابن مسعود، وأما من لم يعلم عاقبته وكان يلغنه فنهى عن ذلك إذ روى «أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى: (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) يعني أنهم ربما يتوبون فن أن تعلم أنهم ملعونون، كذا في الأحياء، وقال بخرجه رواه الشيخان من حديث أنس ودار رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث، وفي رواية لهما «قتل شهرا يدعو على رعل وذكوان» الحديث ولهما من حديث أبي هريرة «كان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه» الحديث وفيه والعن لحيان ورعلاء الحديث، وفيه أيضا ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله (ليس لك من الأمر شيء) ولفظه لمسلم، وأما من بان موته على الكفر فجاز لعنه إن لم يكن فيه أذى على مسلم لما روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مرية - وهو ير يد الطائفت - فقال: هذا قبر رجل كان عانيا على الله وعلى رسوله - وهو سعيد بن العاص - فغضب ابنه وهو عمرو بن سعيد وقال: يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهمام من أبي قحافة فقال أبو بكر: يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال عليه السلام لعمرؤ: اكفف عن أبي بكر وانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال: يا أبا بكر إذا ذكرت الكفار فعمموا فانكم إذا خصصتم غضب الأبناء للآباء فكف الناس عن ذلك، كذا في الأحياء، وقال بخرجه: رواه أبو داود في المراسيل من رواية علي بن ربيعة قال: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر ومعه ابن سعيد بن العاص فقال أبو بكر: لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر: لعن الله صاحب هذا القبر فإنه كان يحاد الله

وَمِنْهَا نِسْبَةُ الذَّنْبِ إِلَى الْمُسْلِمِ إِلَّا الذَّنْبَ بَعْدَ التَّحْقِيقِ، * وَمِنْهَا الدَّعَاءُ عَلَى أَحَدٍ، فَوُرِدَ «إِنَّ
الْمُظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَى الظَّالِمِ حَتَّى يُكَافِيَهِ» ثُمَّ يَبْقَى لِلظَّالِمِ عِنْدَهُ فَضْلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ *

ورسوله، الحديث وفيه «فاذا سببتم المشركين فسبوا جميعا» ولترمذى من حديث المغيرة
ابن شعبه ورجاله ثقات «لا تسبوا الاموات فتؤذوا الأحياء» فان قيل : هل يجوز لعن
يزيد لكونه قاتل الحسين أو أمرا به ؟ فقال الغزالي : هذا لم يثبت أصلا فلا يجوز ان
يقال انه قتله أو أمر به مالم يثبت فضلا عن اللعن لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة
من غير تحقيق وبصورة نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا رضى الله عنه وقتل
أبولؤلؤة عمر رضى الله عنه لان ذلك ثبت متواترا ولا يجوز ان يرى مسلم بكفر وفسق
من غير تحقيق «فعنه عليه السلام لا يرى رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتد
عليه ان لم يكن صاحبه كذلك» رواه الشيخان من حديث أبي ذر ، وللدليلى من حديث
أنس «ما شهد رجل على رجل بالكفر الا اتى أحدهما ان كان كافرا فهو كإكافا وان
لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه» وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن
انه كافر بصدقة أو غيرها كان مخطئا لا كافرا ، فان قيل : فهل يجوز ان يقال قاتل
الحسين لعنه الله أو الأمر بقتله لعنه الله قلت : الصواب ان يقال قاتل الحسين ان
مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة قتله
وهو كافر ثم تاب عن القتل والكفر جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا ينتهى
الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر ، كذا فى الاحياء ، وقد تقدم
عنه أنه لا يجوز لعن أحد الا اذا تحقق موته على الكفر فالصواب ان يقال : قاتل
الحسين ان مات على الكفر لعنه الله اذ لا يجوز لعنه ان مات على الايمان وتاب
عن العصيان والله المستعان ﴿ ومنها نسبة الذنب الى المسلم ﴾ يعنى وهو برىء منه
﴿ الا الذنب بعد التحقيق ﴾ أى الا الذنب الذى تحقق وقوعه منه فقد قال تعالى :
(ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) ﴿ ومنها
الدعاء على أحد ﴾ قال تعالى : (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا)
﴿ فورد ان المظلوم ليدعو على الظالم ﴾ أى فيقول : لاصح الله جسمه ولا سلم الله
روحه ونحوه ﴿ حتى يكافيه ﴾ أى يماثله فى الظلم ﴿ ثم يبقى للظالم عنده فضلة ﴾
أى زيادة ﴿ يوم القيامة ﴾ أى ان زاد على مثله لقوله تعالى : (فن اعتدى عليكم

وَمِنْهَا الْمَزَاحُ وَهُوَ مُطَايَبَةُ الْقَلْبِ وَهُوَ مَذْمُومٌ لِأَنَّهُ يُولَدُ كَثِيرًا مِنَ الذُّنُوبِ
وَالْعُيُوبِ كَحَقْدِ الْعَاقِلِ وَجُرْأَةِ السَّفِيهِ وَسُقُوطِ الْوَقَّارِ وَذَهَابِ حِلَاوَةِ الْحَبَّةِ
وَالْغَفْلَةِ عَنْهُ تَعَالَى وَظُلْمَةِ الْقَلْبِ، وَوَرَدَ «لَا تُمَارِ أَخَاكَ وَلَا تُمَارِحْهُ» إِلَّا النَّادِرَ الْخَالِيَ

عَنِ الْبَاطِلِ

فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمَثَلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) والحديث كذا في الاحياء ، وقال مخرجه:
لم أقف له على أصل ، وللتزمذي من حديث عائشة بسند ضعيف « من دعى على من
ظلمه فقد انتصر ، قلت : وهو مطابق لقوله تعالى : (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم
من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) أى ابتداء أو بالتجاوز عن الحد
انتهاء. (ومنها المزاح) بكسر الميم مصدر مزح أو مازح ، وبالضم اسم ما يمزح
به وهو المطايبية في الكلام باللسان إلا أنه لما كان اللسان كالترجمان عن حال الجنان
قال المصنف (وهو مطايبية القلب) ولا يبعد أن يكون المعنى وهو سبب لطيب
القلب (وهو) أى كثيره أو أصله (مذموم) أى وفاعله ملوم (لأنه يولد)
أى يهيج (كثيرا من الذنوب والعيوب) أى الظاهرة والباطنة (كحقْدِ العاقل
وجرأة السفیه) أى الجاهل. فعن سعيد بن العاص لابنه « يا بني لا تمارح الشريف
فيحقد عليك ولا الدنيا فيجتريء لديك » (وسقوط الوقار) أى الهية والعظمة
في نظر الأبرار فعن عمر رضى الله عنه « من مزح استخف به ، (وذهاب حلاوة المحبة)
لأنه لا يخلو عن مرارة في الصعبة ويقال : المزاح مذهب للبهاء ومقطعة للأصدقاء
(والغفلة عنه تعالى) أى عن ذكر الرب بحسب الأغلب (وظلمة القلب) أى الناشئة
عن الغفلة (وورد لا تمار أخاك ولا تمارح) التزمذي (إلا النادر الخالي عن الباطل)
أى فإنه غير مذموم كما ورد « أنى لا مزح ولا أقول إلا حقا » لكن مثله يقدر على أن
يمازح ولا يقول إلا حقا وأما غيره فإذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس
كيف كان وكثرة الضحك تميم القلب وتدل على الغفلة عن أحوال الآخرة وأحوالها
وقد ورد « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » متفق عليه من حديث أنس
وعائشة ، وقال الناسم مولى معاوية « أقبل اعراني إلى رسول الله ﷺ على قلوص
له فسلم فجعل كلما دنا إلى النبي عليه السلام ليسأله نقر به وجعل الصحابة يضحكون

منه ففعل ذلك ثلاث مرات : ثم وقصه فقتله ، فقيل : يا رسول الله ان الاعراب قد صرعه قلو صه فهلك قال وأفواهم ملائ من دمه ابن المبارك في الزهد والرفائق وهو مرسل (كاهو المأثور) عن الحسن قال : « أتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام : لا تدخل الجنة عجوز فبككت فقال انك لست بعجوز يومئذ قال تعالى (انا أنشأناهم انشاء فجعلناهم أبكارا) » الترمذى فى الشمائل هكذا مرسلًا واسنده ابن الجوزى فى الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف ، وروى زيد بن أسلم « ان امرأة يقال لها أم أيمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : ان زوجي يدعوك فقال ومن هو الذى بعينه يياض فقالت والله ما بعينه يياض قال بلى ان بعينه يياض فقالت لا والله فقال عليه السلام ما من أحد الا بعينه يياض » أراد به الياض المحيط بالخدقة الزير بن بكار ، وجماته امرأة أخرى فقالت يا رسول الله احملنى على بعير فقال عليه السلام نعم لك على ابن البعير فقالت ما أصنع به لايحملنى فقال عليه السلام وهل من بعير الا هو ابن البعير » ابوداود والترمذى وصححه من حديث أنس بلفظ « انا حاملوك على ولد الناقة » وروى وان الضحاك بن سفيان الكلانى كان رجلا ذميمة يباحا فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : عندي امرأتان أحسن من هذه الخيرة أفلا أنزل لك عن احدهما فتزوجهما عائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت : هي أحسن أم أنت ؟ فقال بلى أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسألة عائشة اياه لانه كان ذميمة الزير بن بكار من رواية عبد الله بن حسن مرسلًا أو معضلًا ، وللدارقطنى نحو هذه القصة مع عيثة بن حصين الفزارى بعد نزول الحجاب من حديث أبى هريرة ، وقال عليه السلام « لصيب وبهرمدوقدر آه يأكل تمرًا : فقال أنا كل التمر وأنت رمد ؟ فقال إنما آكل بالشق الآخر فتبسم عليه السلام » قال بعض الرواة « حتى بدت نواجذه » ابن ماجه والحاكم من حديث صيب ، وروى « ان خوات بن جبير كان جالسًا الى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطاع عليه النبي عليه السلام فقال : يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتن ضعيفا للجل الى شرود قال فضى عليه السلام لحاجته ثم طلع عليه فقال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجلل ذاك الشراد بعد قال : فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك أنقرر منه كل ما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع على وأنا أصلى فى المسجد فجلس الى

وَمِنْهَا الْاسْتِهْزَاءُ وَهُوَ اسْتِحْقَارُ الْغَيْرِ بِذِكْرِ عِيُوبِهِ عَلَى وَجْهِ يَضْحَكُ قَوْلًا
وَفِعْلًا ، وَهُوَ حَرَامٌ لِأَنَّهُ إِذَاءٌ ، وَوَرَدَ (لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ
يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ)

فطرات صلاتي فقال : لا تطول صلاتك فاني أنتظرك فلما فرغت قال : يا أبا عبد الله
أما ترك ذلك الجبل الشراد بعد فسكت واستحييت قال وكنت أقرر منه حتى لحقني
يوما وهو على حمار وقد جعل رجله في شق واحد فقال : يا أبا عبد الله أما ترك
ذلك الجبل الشراد بعد ؟ فقلت : والذي بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت قال الله
أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله « الطبراني
في الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير ورجاله ثقات وكان نعيان
الأنصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فيضربه بنعله ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من
الصحابة : لعنك الله فقال النبي ﷺ : لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان يشتري
الشيء ويهديه إلى النبي ﷺ ثم يجيء بصاحبه فيقول اعطه ثمن متاعه فيقول عليه
السلام : أولم تهده لنا فيقول : يا رسول الله والله لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكله
فيضحك عليه السلام ويأمر لصاحبه بثمنه ، رواه الزبير بن بكار فهداه مطايات
يباح مثلها بل يستحب أحيانا ومن الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة على الدوام
وتمسك بفعله عليه السلام فهو كمن يدور مع الزوج أبدا ينظر إلى رقصهم ويتمسك
بأذنه عليه السلام لعائشة في النظر إلى رقصهم في يوم عيدهم فهذا خطأ ومن الصغائر
ماتصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ماتصير صغيرة بالاصرار كذا في الأحياء
﴿ ومنها الاستهزاء وهو استحقار الغير بذكري عيوبه على وجه يضحك ﴾ أي منه على
الملا ﴿ قولا وفعلًا ﴾ متعلقان بذكري عيوبه تنبيهًا على أن ذلك قديكون بالمحاكاة
في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء فعن عائشة « حكيت أنسانا فقال
عليه السلام ما يسرفني أني حكيت أنسانا ولي كذا وكذا » رواه أبو داود والترمذي
وصححه (وهو) أي بجميع أنواعه (حرام لأنه إذاء) وأيضا هو عمل السفهاء ولذا
قال موسى : « أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » حين قال قومه (اتخذنا هزوا) أي
مهزوا بئنا (وورد) في سورة الحجرات (لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم)

مَنْ عَیَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ یَمُتْ حَتَّى یَعْمَلَهُ إِلَّا فِیْمَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ مَسْخَرَةً یَمْزَحُ بِهِ فَهُوَ كَالْمَزَاحِ وَمِنْهَا إِظْهَارُ السَّرِّ فَوَ مِنْ لُؤْمِ الطَّیْعِ وَفِیهِ الْإِیْذَاءُ وَالْإِسْتِحْقَارُ وَوَرَدَ «لَا یَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ یَفْشَى عَلَى صَاحِبِهِ مَا یَكْرَهُ» إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ التَفَتَ فِیهِ أَمَانَةً وَمِنْهَا الْوَعْدُ عَلَى عَزْمِ الْخُلْفِ فَهُوَ مِنْ ثَلَاثٍ هِيَ عَلَامَاتُ النِّفَاقِ أَمَّا الْوَاجِبُ

تمامه (ولا نساء من نساء عی أن یكن خیر امنهن) (من عیر أخاه بذنب لم یمت حتی یعمله) الترمذی عن معاذ بن جبل وحسنه و ذكر عن أحمد بن منیع قالوا من ذنب قد تاب منه وعنه علیه السلام «ان المستهزئین بالناس یفتح لاحدهم باب من الجنة فیقال: هلم هلم فیجیء بکربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فا یزال كذلك حتی أن الرجل لیفتح له الباب فیقال له: هلم هلم فما یأتیه» ابن أبی الدنیا مرسلًا، وعن عبد الله بن عباس فی قوله تعالی (باویلتنا مال هذا الكتاب لا یغادر صغیرة ولا کبیرة الا أحصاها) الصغیرة التسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبیرة القهقهة بذلك وذلك كالضحک علی حظه وصنعتة أو علی صورته وخلقتة (الا) استثناء من حرام أى انما یحرم فی حق من یتأذى به لا (فیمن جعل نفسه مسخرة یمزح به) و ربما یفرح بسبیه (فهو) أى السخریة فی حقہ (كالمزاح) الذى فی أصله من جنس المباح (ومنها أظهار السر) أى افشاء سر لغير صاحبه واذا عتته واشاعته (فهو من لؤم الطبع) ومنهی عنه فی لسان الشرع (وفیه الایذاء والاستحقار) أى التهاون بحق المعارف والأصدقاء (وورد لا یحل لأحد أن یفشى علی صاحبه ما یکره) لم یعرف بهذا اللفظ لکن ورد الحدیث «بینکم امانة» رواه ابن أبی الدنیا من حدیث ابن شهاب مرسلًا وللخطیب عن علی «المجالس بالامانة» ولابی داود عن جابر «المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس سفک دم حرام أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق» وورد من حدیث جابر (إذا حدث الرجل الحدیث ثم التفت فهی امانة) أبو داود والترمذی وحسنه (ومنها الوعد علی عزم الخلف فهو من ثلاث) أى خصال (هی علامات النفاق) فعن أبی هریرة مرفوعا « ثلاث من کن فیہ فهو منافق وان صام وصلى وزعم أنه مسلم اذا حدث کذب ، واذا وعد أخلف واذا اتمن خان» متفق علیه (أما الواجب) أى شرعاً ومروءة

الْوَفَاءُ فِي كُلِّ وَعْدٍ فَهُمْ مِنْهُ الْجَزْمُ وَإِنْ اسْتَنْتَى، فَوَرَدَ (أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)
«الْعِدَّةُ دِينَ أَوْعُطِيَّةٌ» وَيَعْذَرُ إِنْ تَرَكَ بَعْذُرَ،

(الوفاء في كل وعد فهم) أي صاحب الوعد (منه الجزم وإن استنتى) أي وقال إن شاء الله لأنه قد يقال للتبرك أول التبريء من الحول والقوة كما يشير إليه قوله تعالى: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) أي إلا مقرونًا بذكر مشيئته وإرادته (فورد) أي في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) (أوفوا بالعقود) أي بالعهود، وورد في السنة (العدة) أي الوعد (دين) أي فرض كقرض (أو عطية) شك أو اختلاف رواية وهو الأظهر، وقد اقتصر في الأحياء على الثاني وقال يخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود ورواه غيره أيضًا واما اللفظ الأول فرواه الطبراني في الأوسط عن علي وعن ابن مسعود، وفي رواية ابن عساكر عن علي «العدة دين ويل لمن وعد ثم أخلف كرهه ثلاثا»، ولابن أبي الدنيا من رواية ابن لهيعة مرسلًا والوأي مثل الدين أو أفضل، وقال الوأي يعني الوعد ورواه الديلمي أيضًا عن علي وقد أثبت الله على نبيه إسماعيل بقوله أنه كان صادق الوعد يقال: إنه واعدنا سنانا إلى موضع فلم يرجع إليه فبقي اثنين وعشرين وما ينتظره، وعن عبد الله بن أبي الحساء «بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فوعدته أن آتية بها في مكانه ذلك ففسيت يومى والغد فآتية اليوم الثالث وهو في مكانه فقال ياقى قد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظر» رواه أبو داود «وكان عليه السلام جالسًا يقسم غنائم هوازن بخين فوقف عليه رجل فقال: إن لي عندك موعدًا قال: صدقت فاحتكم ماشئت فقال أحتكم ثمانين ضانية وراعيها فقال: هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت أجزم منك وأجزل حكمًا حين حكمها موسى فقالت: حكمى أن تردنى شابة وادخل معك الجنة» ابن حبان والحاكم في مستدركه من حديث أبي موسى مع اختلاف، وقال الحاكم: صحيح الاسناد وأجزم بالجيم والزاي أوجب ولا يبعد أن يكون بالحاء المهملة أي أحوط والزم (وبعذر) أي يمد معذورا (أن ترك) أي الوفاء (بعذر) أي شرعى أو فرعى فكان ابن مسعود لا يبعد وعدا أو يقول: إن شاء الله أي تعليقا لئلا يكون الوعد تحقيقا وقيل لأبراهيم بن آدم: الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجي. قال ينتظره ما بينه وبين أن يدخل وقت الصلاة التي تجي. قلت: وهذا من قبيل الإيجاب وما سبق من باب

فَوَرَدَ فِيهِ نَقْيُ الْأَثْمِ إِنْ كَانَ فِي نَيْتِهِ الْوَفَاءُ لَكِنَّهُ مُتَّصِرٌ بِصُورَةِ الْخُلْفِ
فَالْأَوَّلَى الْإِحْتِرَازُ وَمِنْهَا الْكَذِبُ وَهُوَ حَرَامٌ إِلَّا إِذَا وَقَعَ فِي تَرْكِ الْخَشْيَةِ مِنْهُ كَمَا
فِي سِتْرِ الْأَسْرَارِ وَالْإِنْكَارِ عَنِ الْعِلْمِ بِمَكَانٍ مِنْ أَخْتَفَى عَنْ ظَالِمٍ قَصَدَ قَتْلَهُ

الاستحباب (فورد فيه) أي في المعذور (نقي الائم ان كان في نيته الوفاء) أي من
أصله في الوعد المذكور، فلا بد داود والترمذي من حديث زيد بن أرقم اذا وعد
الرجل أخاه وفي نيته ان يفني فلم يف فلا ائم عليه (لكنه متصور بصورة الخلف فالاولى
الاحتراز) أي احتراسا من التهمة في خلف الوعد، واما ما في الأحياء انه عليه السلام
« كان اذا وعد وعدا قال عسى » فقال أخرجه لم أجد له أصلا (ومنها الكذب) بفتح
فكسرو بكسر فسكون وقد عد من قبائح الذنوب وفواحش العيوب (وهو حرام)
بالكتاب والسنة قال تعالى : (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) وفي
الصحيحين « أربع من كن فيه فهو منافق اذا حدث كذب » وفيهما عن ابن مسعود
« لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » ولا ابن عبد البر
في التمهيد بسند ضعيف عن عبد الله بن جراد انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل
يزني المؤمن ؟ قال : قد يكون من ذلك قال هل يكذب ؟ قال لا ثم أتبعها رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال هذه الكلمة : (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات
الله) وفي حصره مبالغة في نفيه عز المؤمن أو مقيد بالكامل ، ويؤيده ما رواه ابن
أبي شيبه في مصنفه من حديث أبي امامة وابن عدي من حديث سعد بن أبي وقاص
على كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب ، وقيل لخالد بن
صبيح : من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم (الا) استثناء من قوله
وهو حرام أي ولا يحرم بل يجب (اذا وقع في تركه) أي حصل في ترك الكذب
(أخش منه) أي منكر أعظم من الكذب (كما في ستر الاسرار) أي بان يسأل عن ستر
أخيه فله أن ينكره ويكذب فيه وكذا في ستر اسرار نفسه من كشف عوراتها فعنه عليه السلام
« اجتنبوا هذه الفاذورات التي نهى الله عنها فمن عمل شيئا فليستر بستر الله » رواه الحاكم
واسناده حسن وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة أخرى بل أعظم من الأولى فالرجل
أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا (والانكار عن
العلم) أي وكافي عدم الاقرار (بمكان من اختفى عن ظالم قصد قتله) أو ضرب به أو أخذ ماله

أَوْفِيهِ أَحْسَنُ مِنَ الصَّدَقِ ، فَوَرَدَ الْإِسْتِثْنَاءُ فِي الْحَرْبِ وَالْإِصْلَاحِ وَالْحَدِيثِ
مَعَ الْمَرْأَةِ لِأَعْنَدَ اسْتِوَاءَ الظَّرْفَيْنِ فَاصْلَهُ قَبِيحٌ وَالْأَوَّلَى التَّرْكُ فِي حَاجَتِهِ لَا فِي
حَاجَةِ الْغَيْرِ إِنْ أَمَكَنَ لِنُغْمُوضِ الْأَمْرِ

أو كشف عرضه وحاله فعن ميمون بن مهران ان الكذب في بعض المواطن خير أى من
الصدق أرايت لو أن رجلاً يسمى وآخر وراءه بالسيف فدخل دارك فاتمى اليك فقال
أفرايت فلاناً ما كنت قاتلاً له أليس تقول له لم أره وما تصدق فهذا الكذب واجب
(أوفيه) أى أوفى تركه (أحسن من الصدق) كما في إصلاح ذات البين (فورد الاستثناء)
أى استثناء حرمة الكذب (في الحرب والإصلاح) أى إصلاح ذات البين
(والحديث مع المرأة) ففى صحيح مسلم عن أم كلثوم قالت : « ما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يرخص فى شيء من الكذب الا فى ثلاث الرجل يقول القول
يريد الإصلاح ، والرجل يقول القول فى الحرب ، والرجل يحدث امرأته ، والمرأة
تحدث زوجها » ولعل المراد بتحدث الزوجين ما يقع بينهما من الوعد فى أحدا الأمرين
بنية عدم الوفاء فى الخبرين لما رواه ابن عبد البر فى التمهيد من رواية صفوان بن
سليم عن عطاء بن يسار مرسل « قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أ كذب
أهلى قال لا خير فى الكذب قال : أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك » ولأن
أسرار الحرب لو وقفت عليه العدو اجتراً وأسرار الزوج لو وقفت عليه المرأة نشأ
عنه فساد أعظم من فساد الكذب ، وكذا المتخاصمان تدور بينهما المصيبة والعداوة
فاذا أمكن الإصلاح بينهما بكذب فذلك أولى من الصدق الذى لم يترتب عليه
خير ، ثم لا يجوز الكذب ولو كان بطريق اللعب فعن عبد الله بن عامر « جاء عليه
السلام الى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت أُمى يا عبد الله تعال أعطك
فقال عليه السلام ما أردت تعطيه فقالت : تمر فقال : أمانك لو لم تفعلى كذبت عليك
كذبة ، رواه أبو داود (لا) أى لا يجوز الكذب (عند استواء الطرفين فاصله
قبيح) أى فى الأمرين فلا بد من ترجيح (والأولى الترك) أى ترك الكذب
(فى حاجته) أى أمر نفسه لأن الصدق أنجى والخلاص فيه أرجى (لا
فى حاجة الغير) وهو تصریح بما علم ضمناً (ان أمكن) أى تركه (لنغموض الأمر)
أى لحفاً جواز أمر الكذب فانه يختلف باختلاف الذوات وتفاوت الاوقات

وَلَوْ تَعَرَّيْضًا لِأَنَّهُ تَقْرِيرٌ عَلَى ظَنِّ كَاذِبٍ وَإِلَّا فَلَا مَعَارِيضَ مِثْلُ اللَّهِ يَعْلَمُ
مَاقَلَتَهُ وَمَذْفَارَقَتَكَ مَارَفَعْتُ الْجَنْبَ عَنِ الْفَرَّاشِ إِلَّا مَارَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْإِنْكَارِ
عَنِ الْقَوْلِ وَالصَّحَّةِ

والحالات ((ولو تعريضاً)) غاية من قوله والاولى التترك ((لانه)) أى التعريض بمعنى التلويح ((تقرير على ظن كاذب)) وقد ورد «من حدث بالحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين» رواه مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب هذا وقد جوزوا الكذب للضرورات المبيحة للمحظورات ((والا)) أى وان لم يمكن ترك الكذب ((فالمعاريض)) متعينة وهى بفتح الميم ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيئاً ومراده شيء آخر كذا في البستان، وتحقيقه في قوله تعالى : (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) وفي المغرب التعريض خلاف التصريح ، والفرق بينه وبين الكناية هو ان التعريض يضمن الكلام دلالة ليس فيها ذكر كقولها ما أقبح البخل تعريضاً بانه بيل والكناية ذكر اللازم وإرادة الملزوم كقولك فلان طويل النجاد كثير الرماد والنجاد حمائل السيف ، والمعنى انه طويل ومضيف ، وقد ورد ان في المعاريض المندوحة عن الكذب « ابن عدى والبيهقى عن عمران بن حصين مرفوعاً وفي الأحياء وقد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب وغفل مخرجه أيضاً عن ايراد حديثه ((مثل الله يعلم ماقلته)) لاحتمال كونه مانافية أو موصولة أو استفهامية ((ومذفارقتك مارفعت الجنب عن الفراش الا مارفعه الله تعالى)) فانه يشمل الرفع الاختيارى والاضطرارى ((في الانكار عن القول)) بالنسبة الى الاول ((والصحة)) بالاضافة الى الثانى فهما لف ونشر مرتب في بدیع المباني ومنيع المعاني وفي الأحياء ومن أمثلة المعاريض ما روى ان مطرفاً دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال : مارفعت جنبي منذ فارقت الأمير الا مارفعني الله هـ وقال ابراهيم : اذا بلغ الرجل عنك شيئاً فكرهت ان تكذب قلت ان الله ليعلم ماقلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف نفى عند المستمع وعنده الابهام ، وكان معاذ عاملاً لعمر رضى الله عنهما فلما رجعا قالت امرأته : ما جئت به بما يأتى به العمال من غرضة أهلهم ولم يكن جاء به فقال كان معي ضاغظ فقالت : كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنى بكر فبعث معك عمر ضاغظاً فقامت بذلك في نساءها فاشتكت عمر فلما سمع عمر

ثُمَّ التَّصْرِيحُ، وَالْمُعْتَبَرُ النِّيةُ وَالِاسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ وَمِنْهُ التَّسَامُحُ فِي الْعَدَدِ مَبَالِغَةٌ مِثْلُ قَلْتُهُ مِائَةَ مَرَّةٍ وَنَحْوُهَا لَا بِالْمُتَجَاوِزِ عَنِ الْحَدِّ الْمَعْهُودَةِ وَلَكِنْ لَا يَعْتَادُهُ فَقِيهِ خَطَرُ الْوُقُوعِ فِي الْإِثْمِ وَفِي شَهْوَةِ الطَّعَامِ،

بذلك دعا معاذًا فقال: بعثت معك ضاغطا فقال لم أجد ما اعتذر به إليها إلا ذلك فضحك عمرو وأعطاه شيئا وقال أرضها به، وقوله ضاغطا يريد به ربه تعالى أي محاسبا ضابطا، وكان النخعي لا يقول لابنته اشترى لك سكرا ولوزا ولكن يقول رأيت لوشريت لك فانه ربما لا يتفق له ذلك، وكان ابراهيم اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قول له: اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس هنا كيلا يكون كذبا، وكان الشعبي اذا طلب في البيت وهو يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعي أصبعك فيها وقولي ليس هنا، ومن المعارض ما أخرجه الحسن بن سفيان، والدليل عن أبي هريرة قال: «ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ناقه أبي بكر وقال: يا أبا بكر ول الناس عني فانه لا ينبغي لني أن يكذب لجمل الناس يسألونه من أنت قال باغ ينبغي قالوا ومن وراءك؟ قال هاديدي، (ثم التصريح) أي بالكذب عند عدم امكان التلويح (والمعتبر النية) أي تحسين الطوية في التصحيح (والاستفتاء من القلب) أي السليم من الغرض السقيم (ومنه) أي من جنس الكذب الملحق به ولا يوجب الفسق بسببه (التسامح في العدد) أي يذكره (مبالغة) أي زائدة (مثل قلته مائة مرة) وقدير اذ في المبالغة ويقال ألف مرة فيائم بالمرة (ونحوها) أي العشرة (لا بالمتجاوز عن الحد) أي حد الكثرة (المعهودة) في المحاورة (ولكن لا يعتاده) أي لا ينبغي اعتياد المبالغة (فقيه خطر الوقوع في الاثم) أي اثم الكذب اذا لم يصل في العرف الي حد الكثرة وكذا الاستعارة مرتبة من هذا القسم من الكذب في المبالغة ولكنها ليست بكذب فان علماء البيان قد حققوا ذلك بالبرهان وقالوا: الاستعارة تفارق الكذب من وجهين أحدهما البناء على التأويل وثانيهما نصب الدليل من القرينة على ارادة خلاف الظاهر نحو رأيت أسدا في الحمام والله أعلم بحقائق المرام ولكن عليك بالاحتياط في مثل هذا الكلام، فمن خوات التيمي قال: جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة الى بني فأنكبت وقالت كيف أنت يا بني؟ فقال ربيع أرضعتني قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخي صدقت، (وفي شهوة الطعام) أي من الكذب التسامح في نفى

فورد «لا يجتمعن جوعاً وكذباً» والأخفش وقوعه في اليمين فهو من الكبائر
وفي مثل الله يعلم أنه كذا، فعن عيسى عليه السلام أنه من أعظم الذنوب وفي
الأخبار

شهوة الطعام وذلك كان يقال لانسان كل الطعام فيقول لا أشتهي وذلك منهي عنه
ار لم يكن له غرض صحيح فيه (فورد) أى عن مجاهد عن أسماء بنت عميس «كنت
صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعى نسوة قالت: فوالله
ما وجدنا عنده قرى - أى ضيافة - الا قدحاً من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحييت
الجارية قالت : فقلت لا تردى يد رسول الله ﷺ خذى منه قالت فاخذته على
حياء فشربت منه ثم قال لى : ناولى صواحبك فقلن: لانشتهى فقال عليه السلام:
(لا يجتمعن جوعاً وكذباً) كذا فى الاصل من باب الاقتران والرواية الصحيحة
«لا يجتمعن جوعاً وكذباً» قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا شئاً نشتهيه لا
اشتهيه أيعد ذلك كذباً؟ فقال عليه السلام: ان الكذب ليكتب كذباً حتى تكتب
الكذبة كذبة» والحديث أخرجه ابن ابى الدنيا والطبرانى فى الكبير، وله نحوه من
رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب فان أسماء بنت عميس كانت
اذذاك بالحبشة لكن فى طبقات الأصهبانيين لاني الشيخ من رواية عطاء بن أبى رباح عن
أسماء بنت عميس وزفنا الى النبي ﷺ بعض نساءه، الحديث فاذا كانت غير عائشة
من تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك (والأخفش) من أنواع الكذب (وقوعه
في اليمين فهو من الكبائر) فورد «ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم
يوم القيامة ولا يزكهم المنان بعطيتهم والمنفق سلعتهم بالخلف الكاذب والمسبل إزاره»
رواه مسلم من حديث أبى ذر، وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود «من حلف
على يمين مأمم ليقطع بها مال امرئ مسلم وقال عليه السلام : وكان متكئاً الأبتكهم
بأكبر الكبائر الاشرار بالله وعقوق الوالدين ثم قد فقال ألا و قول الزور» متفق
عليه من حديث أبى بكر وهو أعم من شهادة الزور (وفى) أى وكذا الأخفش وقوعه
(مثل الله يعلم أنه كذا) قال النووي فى الأذكار : وهذه العبارة فيها خطر وان كان
صاحبها متيقناً ، (فعن عيسى عليه السلام أنه من أعظم الذنوب) فانه نسبة الجهل إلى
علام الغيوب فان علمه تعالى تعلق بعدم وقوعه (وفى الاخبار) أى وكذا الأخفش الكذب

وَالرُّؤْيَا فَمَا عُدَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفَرَى، وَمِنْهَا الْغِيَّةُ وَوَرَدَ فِيهَا «ذِكْرُكَ أَخَاكَ
بِمَا يَكْرَهُ» وَيَجُوزُ الْأَجْمَالُ فُورَدَ «مَا بَالَ أَقْوَامٌ يَفْعَلُونَ كَذَا» إِلَّا أَنْ يُفْهَمَ الْمَعْنَى

صدوره في الأخبار وهو بفتح الهمزة أو بكسرها أى الاعلام لا سيما الكذب
على النبي عليه السلام ((والرؤيا)) أى وفي الاحلام ((فهما عدا من أعظم الفرى))
أى الافتراء ففى البخارى «ان من أعظم الفرى أن يدعى الرجل الى غير أبيه أو يرى
عينه مالم تر أو يقول على مالم أقل» وفي الاحياء وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع
الاخبار فى فضائل الاعمال وفى التشديد فى المعاصى وزعموا ان القصد فيه صحيح وهو
خطأ محض إذ قال عليه السلام: «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» يعنى
وهو متفق عليه من طرق قاربت أن يكون متواترا فهذا لا يترك الا لضرورة اذنى
الصدق مندوحة عن الكذب، وفيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها، وقول
القائل ان ذلك تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقه أعظم فهذا هو
اذ ليس هذا من الأغراض التى تقام محذور الكذب على الله ورسوله ويؤدى فتح
بابه الى أمور تشوش الشريعة ولا يقوم خير هذا بشره أصلا فالكذب على رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم من الكبائر، أقول وقد صرح الجوينى والدامام الحرمين
بأنه كفر، وهذا عن أسماء بنت أبى بكر «سمعت امرأة تسأل رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وتقول: ان لى ضرة وانى أتكثر من زوجى بمالم يفعل أضرارها بذلك
فهل على فيه شيء فقال المتشبع بمالم يبط كلابس ثوبى زور» متفق عليه، ولابن عبد البر
فى الاستيعاب عنه عليه السلام «لا يستكمل المؤمن لإيمانه حتى يحب لآخيه ما يحب
لنفسه وحتى يجتنب الكذب فى مزاحه» ((ومنها الغيبة)) بكسر الغين ((وورد فيها))
أى فى حدها وتعريفها ((ذكرك أخاك بما يكره)) أى على سبيل المنقصة فى حال الغيبة،
فمن أبى هريرة «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أتدرون ما الغيبة قالوا الله
ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أرايت ان كان فى أخى ما أقول قال
ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته، رواه مسلم)) ويجوز
الاجمال)) أى الابهام فى الغيبة ((فوردا ما بال اقوام يفعلون كذا)) رواه أبو داود عن
عائشة بسند صحيح «انه عليه السلام كان اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون
كذا وكذا» ((الا ان يفهم المعنى)) أى من المبهم بقربة فقوله بعض من قدم من السفر

وَكَذَا مِثْلُ الطَّائِفَةِ الَّذِينَ مَضَوْا عَلَى الْيَوْمِ، وَأَنَوَّاعُهَا التَّصْرِيحُ، وَالتَّعْرِضُ
 مِثْلُ فَلَانِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَصَمَنِي عَنْ مَخَالَطَةِ السُّلْطَانِ، وَالْإِشَارَةِ،
 فُورِدَ « تَسْمِيَتُهُ غِيَةً » وَالْغَمَزُ، وَالْمَحَاكَاةُ وَكُلُّ مَا يَنْبِئُ عَنْهَا فَهُوَ حَرَامٌ، فُورِدَ
 (وَلَا يَقْتَبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا)

وبعض من يدعى العلم وبعض من رأيناه اذ كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو
 غيبة لأن المحذور تفهمه دون مابه التفهم (وكذا مثل الطائفة الذين مضوا على اليوم)
 من جملة الابهام فان الطائفة بمعنى القوم (وأنواعها) أى الغيبة ستة (التصريح) وهو
 ظاهر ، ومنه « أن عائشة ذكرت امرأة فقالت : انها قصيرة فقال عليه السلام : اغتبتها »
 رواه أحمد وأصله عند أبى داود والترمذى وصححه (والتعريض) أى التلويح (مثل
 فلان تاب الله عليه) ففيه تنبيه على أنه يرتكب ما يجب عليه التوبة وقد يقول ذلك المسكين
 قديلاً باقة عظيمة تاب الله علينا وعليه (الحمد لله الذى عصمني عن مخالطة السلطان)
 وهذا من غيبة القراء المرائين وأتباع الشيطان وهو أخبث أنواع الغيبة فانهم يفهمون
 المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ولا يدرون
 بحملهم أنهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة (والاشارة فورد تسميته غيبة)
 وفي نسخة نسميه غيبة ، ومن ذلك قول عائشة « دخلت علينا امرأة فلما ولت أومات
 يدي أى قصيرة فقال عليه السلام قد اغتبتها » ابن أبى الدنيا وابن مردويه ورجاله
 ثقات (والغمز) أى بالعين للتشبه أو أخذ البدن للتنبيه (والمحاكاة)
 فورد حين حكى عائشة انسانا فقال ما يسننى ، وفي رواية « ما أحب أنى حكيت انسانا
 وان لى كذا وكذا » وقد تقدم يقال حكاه وحاكاه اذا فعلت مثل فعله واكثر ما يستعمل
 فى القبيح قال النووى ومن الغيبة المحرمة المحاكاة بان يمشى متعارجاً أو متطأطأاً رأسه
 أو غير ذلك من الهيئات بل هو أشد أنواع الغيبة لانه أعظم فى التصوير والتفهم
 على مافى الاحياء (وكل ما ينبئ عنها فهو حرام) كذكر المصنفين فى تصنيفاتهم شخصا معينا
 وتهجين كلامه وتهوين مراده الا ان يقترن به شئ من الاعذار المحوجة الى ذكره
 وذلك لان القلم أحد اللسانين وتحصل به الغيبة تصريحاً وتلويحاً (فورد) أى
 فى سورة الحجرات (ولا يقتب بعضكم بعضاً) أى لا يتناول بعضكم بعضاً فى ظهر الغيب

﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ (الآية: الغيبة أشد من ثلاثين زينة في الإسلام

بما يسوءه بما فيه) (يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا الآية) أي فكرهتموه والاستفهام للانكار كما قال مجاهد لما قيل لهم: (يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) قالوا لا أي بلسان القول أو ببيان الحال قيل فكرهتموه، والمعنى فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج: وتأويله أن ذكرك من لم يحضر بك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس به وقالت عائشة «الأيقتان منكم أحدا حدافاني قلت لا مرة مرة وأنا عنده عليه السلام أن هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت بضعة من لحم أحر» ابن أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير «ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه: أقصص كما يقصص الكلب أي قتل مكانه فمر النبي صلى الله عليه وسلم وهما معه بحيفة فقال: انتهشان منها فقالا لا يا رسول الله نهش حيفة فقال ما أصبنا من أخيكما أنتن من هذه» أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة باسناد جيد وعن أبي هريرة موقوفا ومرفوعا «من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال كله ميتا كما أكلته حيا» ابن مردويه في التفسير، وروى عن أبي بكر وعمر «أن أحدهما قال لصاحبه أن فلانا لثوروم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلاه مع الخبز فقال عليه السلام: قد اتدمنما فقالا: ما نعلمه فقال: بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما» رواه أبو العباس الثعالب أو الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى نحوه كذا في تخريج الأحياء، وقال الامام الدميري هو من كبار الحفاظ توفي سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وله مسند مشهور، ففي هذا الحديث وحديث المرجوم جميعهما، وكان القائل أحدهما تنبيه على أن المستمع أحد المغتابين وأن المستمع لا يخرج من أثم الغيبة إلا بان ينكر بلسانه فإن خاف فيقلبه وأن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر في ذلك المقام فلم يفعل لزمه الأثم ولا يكفي أن يشير باليد أي أسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فإن ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي أن يعظمه ويذب عنه صريحا فتنه عليه السلام من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رموس الخلاق أحمد والطبراني عن سهل بن حنيف ولابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء «من رد عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة» ولا أحد والطبراني عن أسماء بنت يزيد «من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعفقه من النار، (الغيبة أشد من ثلاثين زينة في الإسلام)» وانما قيده بحال الإسلام لأنه أفتح بمقابلته

وَالسَّبَبُ التَّشْفِيُّ مِنَ الْغَيْظِ

في الأحكام وقيل لأن الزنا في دار الحرب وفي عسكر أهل البغي لا يوجب الحد وفيه بحث اذ عدم وجوب الحد ليس الالكونه في خطر انتقاله الى أهلها والا فلا يسقط عنه بالكلية ولأنه أخف من زناه في دار الاسلام والله سبحانه أعلم بحقائق المقامه والحديث رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير «بلفظ اياكم والغيبه فان الغيبه أشد من الزنا ان الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبه لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه» وأما الحديث بلفظ الماتن فقد اشتهر على وجه المبالغة وليس له أصل صريح لكن قد يؤخذ من حديث أنس قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان أربى الربا عرض الرجل المسلم فالغيبه تناول العرض» والحديث رواه أحمد وابن أبي الدنيا، وعن مجاهد في تفسير قوله تعالى: (ويل لكل همزة لمزة) الهمزة الطعان في الناس والهمزة الذي يأكل لحوم الناس، وقال الحسن: والله للغيبه أسرع فسادا في دين المؤمن من الأكلة في الجسد، وقال بعضهم: أدركت وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكر في الكف عن اعراض الناس السلف، وقال ابن عباس: اذا أردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك، ولعله مقتبس من قوله عليه السلام: «طوبى لمن شغله عيه عن عيوب الناس» الديلمي عن أنس، وقال أبو هريرة «يبصر أحدكم القذا في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه» وسمع على بن الحسين رجلا يفتاب آخر «فقال اياك والغيبه فانها ادام كلاب الناس» وقال الحسن «ذكر الغير ثلاثة الغيبه والبهتان والافك والكل في كتاب الله فالغيبه ان تقول ما فيه والبهتان ان تقول ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلذك، ولعل الاخير مأخوذ من القصة المعروفة وتعميمه مستفاد من حديث «كفى بالمرء كذبا واثمانا» يحدث بكل ما سمع» (والسبب) أي الباعث على الغيبه سبعة مشهورة (التشفي من الغيظ) أي الغضب الكامن في القلب فيسبق اللسان بالطبع الى الطعن الذي ان لم يكن له مانع من الدين القوى والورع الجلي فللبرار وابن أبي الدنيا وابن عدى والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس «ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شقي غيظا بمعصية الله» وللديلمي عن سهل بن سعد ومن اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه، ولابي داود والترمذي

وَمُوَافَقَةُ الْأَقْرَانِ خَوْفًا عَنِ التَّثْقِيلِ وَالتَّحَامِي عَنْ رَدِّ قَوْلِهِ لِسَبْقِ الْغَيْرِ
فِي تَقْيِيحِهِ وَالتَّبَرُّي عَنْ فَاحِشَةٍ مِّنْسُوبَةٍ إِلَيْهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْغَيْرِ وَالْمُبَاهَاةُ
وَالْحَسَدُ وَالِاسْتِهْزَاءُ وَنَحْوُهَا، وَالْعِلَاجُ ذِكْرُ مَا وَرَدَ فِيهَا

وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس ومن كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه
أى يمضيه كفى رواية ودعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أى الخور
شاء. (وموافقة الاقران) أى اخوان الزمان (خوفا عن التثقيل) أى عن عده ثقلا
في ذلك المكان اذا أنكر الغيبة أو قطع مجلس الصحبة. ويرى ذلك من حسن المعاشرة
وجميل المحاورة ولم يعلم بان الله يغضب عليه اذا طلب سخطه في رضى المخلوقين
(والتحامى) أى المحافظة (عن رد قوله لسبق الغير في تقيحيه) أى تقييح قوله
وبيانه أن يستشعر من انسان أنه سيقصده ويطول لسانه ويقبح مقاله ويفضح حاله
عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط
أثر مقاله وشهادته ، وكما اذا ذكر زيد مسألة فاعترض عليها عمرو فيكون باعثا
لزيد أن يفتاب عمرا بان يقول : هو جاهل أو أحمق ونحوهما ليحامي ماسبق من
كلامه عن بطلان مراده (والتبرى عن فاحشة منسوبة اليه بالنسبة الى الغير) أى
بنسبته الى غيره ليخلص عن عيبه وضره ، وحاصله أنه ينسب الى شىء فيريد أن يتبرأ
منه فيذكر الذى فعله وكان من حقه أن يبرىء نفسه ولا يذكر الذى فعله ولا ينسب
غيره اليه فيكون بهذا جمابين الذنوب لديه وقد قال تعالى : (ومن يكسب خطيئة أو اثما
ثم يرم به بريثا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) (والمباهاة) أى التصنع والمفاخرة بان يرفع
نفسه بتنقص غيره وخفض أمره فيقول : فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف
وعقله خفيف ، وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويرى أنه أعلم منه (والحسد)
وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة
عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه والطعن عليه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند
الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء على حاله ومقاله لانه يثقل عليه أن يسمع
علوم مراده (والاستهزاء) أى الاستحقار له فان ذلك قد يجرى في الحضرة فيجرى أيضا
في الغيبة (ونحوها) أى من اللعب والهزل والمطايبة وترجية الوقت باسباب الوقت
(والعلاج) أى الذى به يمنح اللسان من الغيبة (ذكر ما ورد فيها) أى في ذم الغيبة

ودفع السبب بما في موضعه والمرخص التظلم فوراً (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) الآية إن لصاحب الحق مقالاً والاستعانة على تغيير المنكر وإصلاح العاصي فهو مأثور والاستفتاء فلم تمنع هند امرأة أبي سفيان أن الحرب ذاكرة بخلف أبي سفيان لاخذ ماله بغير علم

من الكتاب والسنة (ودفع السبب) أي من نحو الحسد والحقد والتكبر والغضب (بما في موضعه) أي بما يذكر من كتب الاخلاق في محله فان مساوى الاخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل المركب لها وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فليحص عن سببها ويعالج بضدها هذا والمغتاب فاسق واذا كان من عادته ردت شهادته الآن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكثر ثواب تناول أعراض الخلق وهذه بلية عامة شاملة للعباد في جميع البلاد فهي من أكبر الفساد الامن حفظه الله من العباد (والمرخص) أي في ذكر مساوى الغير سبعة أمور (التظلم فوراً) في سورة النساء (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الآية) فمن ذكر قاضياً بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتاباً عاصياً وأما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسب الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا بذلك وقد قال عليه السلام: (ان لصاحب الحق مقالاً) ومطل الغنى ظلم وكلاهما متفق عليه من حديث أبي هريرة وولاني داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد باسناد صحيح (الواجب بخلف عرضه وعقوبته) (والاستعانة) أي بالحاكم ونحوه (على تغيير المنكر) أي ازالته (واصلاح العاصي) بتركه وتوبته (فهو مأثور) أي مروى عن الصحابة كما قيل لعمر بن الخطاب ان أبا جندل قد باشر الخمر بالشام فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله الا هو اليه المصير) فتاب الله عليه ورجع بالرحمة اليه (والاستفتاء) كما تقول للمفتي ظلمي أبى أو أخى أو زوجى وكيف طريق الخلاص لى (فلم تمنع هند امرأة أبي سفيان بن الحرب) أي لم يمنعها النبي صلى الله عليه وسلم عن الغيبة حال كونها (ذاكرة بخلف أبي سفيان لاخذ ماله) أي لأجل أخذها من ماله (بغير علم) في الصحيحين من حديث عائشة «ان هنداً قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: ان أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدى فقال عليه السلام خذى ما يكفيك وولدك

والتعريض أولى والتحذير عند خوف سرابة الفسق أو الضرورة إلى الغير،
 فورد « اذكروا الفاجر بما فيه ليحذر الناس » أمام معاوية فرجل صعلوك لا مال له
 وأما أبو جههم فلا يرفع العصا عن أهله أنكحى أسامة بن زيد واشتار المذكور
 باسم العيب كالأعشى والأعرج والعدول أولى وإظهاره الفسق، فورد « من ألقى
 جلباب الحياء فلا غيبة له »

بالمعروف، وهذا كان بطريق الفتوى لا على سبيل الحكمة والدعوى (والتعريض أولى)
 بأن يقول: كيف من تأخذ مال زوجها بغير إذنه لأجل بخله (والتحذير عند خوف سرابة
 الفسق) فإذا رأيت متعففا يتردد إلى فاسق أو مبتدع وخفت أن يسرى إليه فسقه
 أو تتمدى إليه بدعته فلك أن تكشف له بدعته وفسقه (أو الضرورة) أي أو عند خوف
 الضرر الكثير المنجر (إلى الغير فورد) أي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده
 « اذكروا الفاجر بما فيه ليحذر الناس » رواه الطبراني وغيره بلفظ « أترعون عن
 ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذر الناس » وهذا دليل السراية وأما دليل الضرورة فقوله
 عليه السلام لامرأة استشارت النبي في تزوج معاوية أو أبي جهم أو أسامة (أمام معاوية
 فرجل صعلوك) أي فقير جدا (لا مال له) تأكيد لحاله (وأما أبو جهم فلا يرفع
 العصا عن أهله) وهو كناية عن كثرة ضربه وسوء خلقه، وفي رواية « عن عنقه » وهو
 يحتمل المعنى المذكور أو الكناية عن كثرة سفره وقلة إقامته في حضرته (أنكحى أسامة
 ابن زيد) أي فانه خير منهما في حسن عشرته وطيب ففته (واشتار المذكور باسم
 العيب) أي من الاعتذار المرخصة (كالأعشى والأعرج) وكذا الأعشى والأعور
 والاصم والابكم والأبرص والاحمر والاصفر (والعدول) أي إلى وصف آخر
 أو عبارة أخرى (أولى) أي أخرى ولذا يقال البصير للأعشى عدولا عن اسم النقص
 في المبنى وإن كان المآل واحدا في المعنى، وقد ذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل
 الأسود ثم قال استغفر الله أني أراني قد اغتبهته، وذكر ابن سيرين إبراهيم فقال التخمى:
 ولم يقل الأعور (واظهاره الفسق) أي إعلانه وعدم مبالاته به من المرخص
 كالخنث والقواد المجاهر بشرب الخمر والزنا والربا ومصادرة الناس باخذ أموالهم
 (فورد) من حديث أنس (من ألقى جلباب الحياء) أي غطاه (فلا غيبة له) رواه

وَنَحْوُ مَنْ الْغَرَضِ الصَّحِيحِ وَالْأَصْلُ الاسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ

ابن عدى وأبو الشيخ نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به ائمه قال عوف: دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين: ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج من اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غدا كان أصغر ذنب اصبتة اشد عليك من أعظم ذنب اصابه الحجاج، وقال قوم: لا غيبة في الدين لانه ذم ماذمه الله فذكره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ماروى «انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذى جيرانها فقال: هي في النار» ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة «وذكر امرأة أخرى بانها يخيلة قال فماخيرها اذا» رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسل قال في الاحياء: وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يسكن غرضهم النقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقول: وفيه بحث لان الصحابة كانوا عارفين بان اذى الجار والبخل من الصفات الذميمة، واما قوله: والدليل عليه اجماع الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مقتاب فقيه ان هذا عام وقد خص منها احكام فلا حجة فيه ولا الزام (ونحوه) أى ونحو المذكور (من الغرض الصحيح) بان يقول لمن يريد أن يودع عند احد: انه خائن (والاصل) أى في الغرض الصحيح (الاستفتاء من القلب) أى في التصريح والتلويح بذكر العيب، ثم اعلم ان الواجب على المقتاب ان يتوب ويندم ويتأسف على ما فعل ليخرج عن حق الله ثم يستحل المقتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله، وقال الحسن: يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج في ذلك بما روى انس ابن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفارة من اغتابه أن تستغفر له» ابن أبي الدنيا والحرث بن أسامة في مسنده من حديث أنس بسند ضعيف، وقال مجاهد: كفارة أكلك لحم أخيك ان تثنى عليه وتدعوله بخير، أو يؤيده قوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) والاحسن التفصيل وهو ان لا يحتاج الى الاستحلال اذا لم يصل الكلام الى المقتاب منه بخلاف ما اذا وصله الا اذا كان يتشوش بذكره فقد يكون الاعتذار أكبر من الذنب عند بعض الأبرار، واما قول عطاء بن أبي رباح حين سئل عن التوبة عن الفرية قال: تمشى الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت أخذت بحقك وان شئت عفوت فهو خاص بالافتراء بل ينبغي ان يعترف

بالخطأ في حضور الملاء بالخلاء أو الملاء فقول صاحب الأحياء : وهو الأصح مبنى على أنه لا فرق بين الغيبة والفرية وهو بعيد بلامرية ، وأما إطلاق قول القائل العرض لا عرض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال فكلام ضعيف اذ في الحديث الصحيح المتفق عليه عن أبي هريرة « من كانت لأخيه عنده مظلة في عرض أو مال فليتحللها من قبل ان يأتي يوم ليس هنالك دينار ولا درهم فيؤخذ من حسانه فان يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فريدت على سيئاته فان كان صاحب الغيبة غائباً أوميتاً فينبغي ان يكثر الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات تكفيراً للسيئات فان الحسنات يذهبن السيئات » وكان بعض السلف لا يحل للظالم قال سعيد بن المسيب : لا أحل من ظلمني ، وقال ابن سيرين : اني لم أحرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحل ما حرم الله أبداً ، والظاهر ان المراد بالاستحلال جعله في حل بمعنى عفو عنه لينقلب حرامه بمنزلة الحلال المباح له وهذا يحمل قوله عليه السلام « أيعجز أحدكم ان يكون ثأني ضمضم كان اذا خرج من بيته قال : اللهم اني تصدقت بعرضي على الناس » رواه البزار وابن السني في اليوم والليلة والعقيل في الضعفاء من حديث أنس ، وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسل عند ذكر أبي ضمضم في الصحابة قال العراقي : وانما هو رجل ممن كان قبلنا كما عند البزار والعقيل ، والمعنى اني لا أطلب مظلة في القيامة منه ولا أخاصمه ولا افلا تصير الغيبة حلالاً به بل ولا تسقط المظلة بسببه لانه عفو قبل وجوبه الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم فان رجع وخصم كان له ذلك قياساً على سائر الحقوق بل صرح بعض الفقهاء بان من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمته ومظلة الآخرة مثل مظلة الدنيا ، وعلى الجملة فالعفو أفضل وثوابه أكمل ؛ وقال الحسن : اذا جئت الامم على الركب بين يدي الله يوم القيامة نودوا ليقيم من كان أجره على الله فلا يقوم الا من عفا عن مظلمة في الدنيا وكأنه مستفاد من قوله (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وجاء في قوله تعالى (خذ العفو) الآية أنه عليه السلام « قال يا جبريل ما هذا العفو ؟ قال : ان الله يأمرك أن تعفو عن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك » وقد روى عن الحسن « أن رجلاً قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقاً من الرطب وقال : قد باغى أنك قد اهديت الى حسناتك فاردت أن أكافيك عليها فاعذرتني فاني لا أقدر أن أكافيك على التماس » وقال بعضهم : « لو كنت اغتاب أحداً لا غتبت أمة فانها أولى بان تأخذ حسناتي

وَمِنْهَا النَّمِیَّةُ وَهِيَ تَبْلِیْغُ كَلَامٍ یُقَالُ فِی حَقِّ الْغَیْرِ إِلَیْهِ وَهُوَ حَرَامٌ، فَوَرَدَ
 (هَمَّازٌ مَشَاءٌ بَنَمِیْمٍ) الْآیَةُ «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِشَرِّ أَرْكَمِ الْمَشَاوُنَ بِالنَّمِیَّةِ» وَالسَّبَبُ إِرَادَةُ
 الشَّرِّ فِی الْقَاتِلِ أَوْ إِظْهَارُ حُبِّ السَّامِعِ أَوْ التَّفْرِجُ بِالْحَدِیْثِ فَعَلَى السَّامِعِ التَّكْذِیْبُ

أَوْ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِهَا یَوْمَ الْقِیَامَةِ : ﴿ وَمِنْهَا النَّمِیَّةُ وَهِيَ تَبْلِیْغُ كَلَامٍ ﴾ أَى مَذْمُومٌ
 ﴿ یُقَالُ فِی حَقِّ الْغَیْرِ إِلَیْهِ ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِتَبْلِیْغِ أَى إِلَى الْغَیْرِ وَهُوَ الْمَقُولُ فِیهِ كَأَن یَقُولُ فُلَانٌ كَانَ
 یَتَكَلَّمُ فِیكَ بِكَذَابٍ وَكَذَا ﴿ وَهُوَ حَرَامٌ ﴾ سِوَاهُ كَانَ التَّبْلِیْغُ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا أَوْ كِنَايَةً أَوْ رَمَزًا أَوْ
 إِشَارَةً ﴿ فَوَرَدَ ﴾ فِی سُورَةِ ن ﴿ هَمَّازٌ ﴾ أَى عِیَابٌ أَوْ مُقْتَابٌ ﴿ مَشَاءٌ بَنَمِیْمٍ الْآیَةُ ﴾ وَهِيَ
 مَنَاعٌ لِلْخَیْرِ مُعْتَدَّائِمٌ عَتَلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِیمٌ وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ مَجْمَعٌ بَيْنَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْوَصْفِ الذَّمِّ
 وَفِی رَوَايَةِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِیْثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِیِّ ﴿ أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِشَرِّ أَرْكَمِ الْمَشَاوُنَ
 بِالنَّمِیَّةِ ﴾ آخِرُهُ «الْمُفَرَّقُونَ بَيْنَ الْأَخْوَانِ الْمُتَمَسِّكِينَ لِلْبِرِّ الْعَثَرَاتِ» وَفِی الصَّحِیْحِ
 مِنْ حَدِیْثٍ حَذِیْفَةٍ «لَا یَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ» وَفِی حَدِیْثٍ آخَرَ «قَاتٌ» وَهُوَ النَّمَامُ قَالَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ «وَلَدُ الزَّوْنِ لَا یَكْتُمُ الْحَدِیْثَ» وَأَشَارَ بِهِ إِلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ لَا یَكْتُمُ الْحَدِیْثَ
 وَیَمْشِی بِالنَّمِیَّةِ دَلٌّ عَلَى أَنَّهُ وَلَدُ زَنَا اسْتِنْبَاطٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (زَنِیمٌ) فَتَنَمِیْمٌ هُوَ الدَّعِیُّ وَاللَّحَاكِمُ
 مِنْ حَدِیْثِ أَبِي مُوسَى «مَنْ سَعَى بِالنَّاسِ فَوَیْ لَغَیْرِ رَشْدِهِ أَوْ فِیهِ شَیْءٌ مِنْهَا» وَلِلطَّبْرَانِیِّ بِإِظْهَارِ
 «لَا یَسْعَى عَلَى النَّاسِ إِلَّا الْوَلَدُ بَغِیٌّ وَالْأَمَانُ فِیهِ عَرَقٌ مِنْهُ» وَقَالَ تَعَالَى (حَمَالَةُ الْحَطَبِ) قِيلَ
 كَانَتْ نَمَامَةً حَمَالَةً لِلْحَدِیْثِ، وَقَالَ تَعَالَى : (نَخَاتِنَا هَافِلٌ یَغْنِیَا عَنْهُمَا مِنْ اللَّهِ شِیْئًا) قِيلَ
 كَانَتْ أَمْرًا لَوْ طُحْخِرَ بِالضَّیْفَانِ وَأَمْرًا لَنُوحٍ كَانَتْ تَحْخِیرَ بَآئِنٍ بِمَجْنُونٍ ﴿ وَالسَّبَبُ ﴾
 أَى الْبَاعْثُ عَلَى ذَلِكَ ثَلَاثَةٌ ﴿ إِرَادَةُ الشَّرِّ فِی الْقَاتِلِ ﴾ أَى قَصْدُ السُّوءِ بِالْحَكْمِ عَنْهُ فَعَنْ
 أَبِي ذَرٍّ مَنْ أَشَارَ عَلَى مُسْلِمٍ كَلِمَةً لَیْشِیْنَةً بِهَا یَغْیِرُ حَقَّ شَأْنِهِ اللَّهُ بِهَا فِی النَّارِ یَوْمَ الْقِیَامَةِ إِنْ أَبَى
 الدُّنْیَا وَالطَّبْرَانِیُّ، وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ إِمَارَ جُلَّ اشَاعَ عَلَى رَجُلٍ كَلِمَةً وَهُوَ مِنْهَا بَرٌّ لَیْشِیْنَةً
 بِهَا فِی الدُّنْیَا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ یَشِیْنَهُ بِهَا یَوْمَ الْقِیَامَةِ فِی النَّارِ، وَلَعَلَّ الْحَدِیْثَ مَقْتَبَسًا
 مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : (إِنْ الذِّینَ یُحِبُّونَ أَنْ تَشِیْعَ الْفَاحِشَةُ فِی الذِّینَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِیمٌ
 فِی الدُّنْیَا وَالْآخِرَةِ) ﴿ وَإِظْهَارُ حُبِّ السَّامِعِ ﴾ وَهُوَ الْحَكْمُ لَهُ وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ صَحَّ
 مَا نَقَلَهُ النَّمَامُ إِلَيْكَ لَكَانَ هُوَ الْمُجْتَرِیُّ بِالشَّتْمِ عَلَيْكَ وَالْمَنْقُولُ عَنْهُ أَوْلَى بِحَدِّكَ حَيْثُ لَمْ یَقَابِلْكَ
 بِشَتْمِكَ ﴿ أَوْ التَّفْرِجُ بِالْحَدِیْثِ ﴾ أَى التَّنْزَهُ بِحِكَايَةِ أَهْلِ الدُّنْیَا ﴿ فَعَلَى السَّامِعِ التَّكْذِیْبُ ﴾
 أَى تَكْذِیْبُ قَوْلِ الْقَاتِلِ وَعَدَمُ قَبُولِهِ ، فَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَیْرِ نَحْنُ نَرَى أَنْ قَبُولَ

لأنَّ النَّامَ فَاسِقٌ لَا يَقْبَلُ قَوْلُهُ، وَمِنْهَا التَّكَلُّمُ مَعَ كُلِّ مِنَ الْمُتَعَادِينَ بِمَا يُوَافِقُهُ

السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء
فاخبر به كمن قبله وأجازه ﴿لأنَّ النَّامَ فَاسِقٌ لَا يَقْبَلُ قَوْلُهُ﴾ لقوله تعالى : (يا أيها الذين
آمَنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيدوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)
وعلى السامع ان ينهاء عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال تعالى : (وأمر بالمعروف وانه
عن المنكر) وان يغيضه في الله وان لا يظن بأخيه الغائب السوء لقوله تعالى : (اجتنبوا كثيراً
من الظن) وان لا يحمله ما حكي له على التحقيق والتفحص لقوله تعالى : (ولا تجسسوا)
وان لا يرضى لنفسه بما صدر عن النمام في حقه فلا يحكي نميمته بقوله فلان قد حكي
لي كذا وكذا فيكون به نماماً ومتابلاً ويكون قد أتى بما عنه نهي، فقد روى كعب بن وهاب
أصاب بني إسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما أجيب فأوحى الله
اليه اني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام وقد أصر على النيمة فقال موسى : يا رب
من هو حتى نخرجه من بيننا؟ فقال : يا موسى أنها كم عن النيمة وأكون نماماً فتأبوا
بأجمعهم فسقوا » وقال الحسن : من نهم اليك نهم عليك، وروى عن عمر بن عبد العزيز انه دخل
اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئاً فقال له عمر : ان شئت نظرنا في أمرك فان كنت كاذباً
فانت من أهل هذه الآية (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وان كنت صادقاً فانت من أهل
هذه الآية (همان مشاء بنميم) وان شئت عفونا عنك فقال : العفو يا أمير المؤمنين لا أعود
اليه أبداً ، ومثله روى عن علي كرم الله وجهه « ان رجلاً أتاه يسعى اليه برجل فقال له :
يا هذا نحن نسأل عما قلته فان كنت صادقاً مقتناك وان كنت كاذباً عاقبتاك
وان شئت ان نقيلك أقلناك فقال : أقلني يا أمير المؤمنين » فالسعاية قبيحة وان كانت صحيحة
وقد ذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال : ما ظنكم بقوم يحمد الصدق في كل
طبقة من الناس الا منهم وقد بلغ سعاية بعض الى أحد من العلماء فقال : الموت يعمنا
والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ، هذا قال تعالى
(ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون في الأرض) والنمام منهم وقال عليه
السلام « ان من شر الناس من اتقاء الناس لشره » متفق عليه من حديث عائشة ، والنمام
منهم ، وقال عليه السلام « لا يدخل الجنة قاطع » رواه الشيخان من حديث جابر بن مطعم
قيل أى قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وقيل قاطع الطريق والله ولي
التوفيق ﴿ ومنها التكلم ﴾ أى تكلم ذى اللسانين ﴿ مع كل من المتعادين بما يوافقه ﴾

فَهُوَ نَفَاقٌ فُورِدَ «مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ فِي الْآخِرَةِ» وَمِنْهَا الْمَدْحُ فَهُوَ يَضُرُّ الْمَادِحَ بِخَطَرِ إِسْرَارِ الْفَاسِقِ وَالرِّيَاءِ وَالْكَذِبِ، فُورِدَ «إِنْ كَانَ لِأَبَدٍ أَحَدٌ كُمْ أَنْ يَكُونَ مَادِحًا فَلَيْقُلْ أَحْسَبُ فَلَانًا» وَالْمَدْمُوحُ بِجُدُوثِ الْكِبَرِ وَالْعَجَبُ، فُورِدَ فِيهِ

أى تكلم كل واحد بكلام يوافقه (فهو نفاق) أو نوع من النفاق وصنف من الشقاق (فورد) عن عمار بن ياسر مرفوعا (من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان في الآخرة) رواه البخارى في كتاب الادب المفرد، وابو داود بسند حسن بلفظ «من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة» وهو كذلك في الاحياء، وفي الصحيحين من حديث ابى هريرة «تجد من شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث» وفي لفظ آخر «يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» وقيل لابن عمر: انا ندخل على امرأتنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال: كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رواه الطبرانى من طرق واصله في صحيح البخارى، وقال أبو الدرداء «انا لكشفر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتأمنهم» وقالت عائشة «استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل الان له القول واقبل عليه فلما خرج قلت: يا رسول الله قلت ما قلت ثم أنت له القول فقال: يا عائشة ان شر الناس الذى يكرم اتقاء شره» متفق عليه (ومنها المدح) وهو منهى عنه في بعض المواضع (فهو يضر المادح) اذا كان المدموح ظالما او فاجرا (بخطر اسرار الفاسق) أى فرحه بمدحه فلان أبى الدنيا واليهقى من حديث أنس «ان الله يفضب اذا مدح الفاسق» (والرياء) فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع مايقوله فيصير به مرائيا منافقا (والكذب) أى حقيقة أو حكما حيث يذكره بالظن وقد لا يكون مطابقا (فورد ان كان لا بد احدكم ان يكون مادحا) أى لاحد (فليقل أحسب فلانا) أى كذا وكذا أنه صالح أو متق أو نحوهما (والمدموح) أى ويضر المدموح (بجدوث الكبر والعجب) أى والغرور في قلبه بسبب مدحه (فورد فيه) أى في ضرر المدموح برواية الصحيحين من حديث أبى بكر «ان رجلا مدح رجلا عند رسول الله ﷺ فقال

«قَطَعْتُ عَنْقَ صَاحِبِكَ لَوْ سَمِعَ مَا أَفْلَحَ» وَلَوْ سَلِمَ عَنْهُ فَمَذْدُوبٌ إِلَيْهِ، فَرَدَّ «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا نَخَرُ» أَيُّ أَقْوَلِهِ أَتَمَّارًا لَا أَفْتَخَارًا لَوْ زَنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ الْعَالَمِ لَرَجَحَ * وَمِنْهَا التَّكْلُمُ بِالْمَنْهَى عَنْهُ كَالْحَلْفِ بِالْآبَاءِ

ويحك ﴿قَطَعْتُ عَنْقَ صَاحِبِكَ﴾ وزاد ابن أبي الدنيا ﴿لو سمع﴾ أي لو بلغه وقبله ﴿ما أفلح﴾ لحديث المماليك، وقال عمر رضي الله عنه: المدح هو الذبح ﴿ولو سلم﴾ أي المدح ﴿عنه﴾ أي عن الضرر ﴿فمذدوب إليه فورداً أناسيد ولد آدم﴾ أي يوم القيامة كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة، وزاد الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري والحاكم من حديث جابر وقال: صحيح الإسناد ﴿ولانخر﴾ وله من حديث عبادة بن الصامت «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا نخر» ﴿أي أقوله انتماراً﴾ أي امتثالاً لأمره سبحانه (وأما بعملة ربك فحدث) ﴿لا افتخاراً﴾ أي تفاخراً كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وبقربه في مقام أنسه لا بكونه مقدماً على أبناء جنسه ﴿لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم﴾ وفي نسخة العالمين ﴿لرجح﴾ أي إيمان أبي بكر وغلب على إيمان غيره من غير الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين أخرجه ابن عدي في الكامل من حديث ابن عمر مرفوعاً ولفظه «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبي بكر» ورواه اسحاق بن زاهويه والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن عمر موقوفاً للترمذي وحسنه من حديث عتبة بن عامر «لو كان بعدى نبي لكان عمر بن الخطاب» ولا بن عدي عنه «لو لم أبعث فيكم لبعث عمر فيكم» وللدبلي عن أبي هريرة «لو لم أبعث لبعثت يا عمر» قال سفيان بن عيينة: لا يضر المدح من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال: اللهم ان هؤلاء لا يعرفونني فانت تعرفني وقال على كرم الله وجهه لما أثنى عليه: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيراً مما يظنون ﴿ومنها التكلم بالمنهى عنه﴾ أي من الأقوال الصادرة على لسان العامة وبعض الخاصة الناشئة عن الغفلة عن دقائق الخطأ في الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله من ذاته وصفاته ﴿كالخلف بالآباء﴾ ففى الصحيحين من حديث عمر «أن الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم» ولا بن عمر «من حلف بغير الله فقد أشرك» أحمد والترمذي والحاكم في مستدركه وفي رواية أحمد والبيهقي عن قتيلة بنت صفى «من حلف فليحلف برب الكعبة» وفيه تنبيه على انه لا يجوز الحلف بالكعبة ولا بالمصحف ولا بالنبي

وَتَسْمِيَةِ الْعَنْبِ بِالْكَرَمِ، وَقَوْلُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَعَبْدِي وَأُمِّي وَرَبِّي
وَرَبِّي فَالْصَّوَابُ ثُمَّ شِئْتُ وَغُلَامِي وَجَارِيَتِي وَسَيِّدِي وَسَيِّدَتِي وَنَحْوَهَا *

ولا بالامانة ونحوها (وتسمية العنب بالكرم) بفتح فسكون فروى الكرم قلب المؤمن،
وفي الصحيحين من حديث وائل بن حجر «لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم»
ومسلم من حديثه «لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحيلة» ولا يداود من حديث
أبي هريرة «لا ية ولن أحدكم الكرم فان الكرم الرجل المسلم ولكن قولوا أحداثى الاعناب»
(وقوله ما شاء الله وشئت) لان في العطف المطابق بالواو تشريكا وتسوية في
الكلام وهو خلاف ما يوجب الاحترام فعن حذيفة «لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت
ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت» وقال ابن عباس «جاد رجل الى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فكلمه في بعض الامور فقال ما شاء الله وشئت فقال عليه السلام اجعلتنى
الله عبد لقل ما شاء الله وحده» وفي صحيح مسلم من حديث عدى بن حاتم «خطب رجل
عند النبي ﷺ فقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى
فقال عليه السلام قل : ومن يعص الله ورسوله فقد غوى» وفي الاحياء فكره قوله
ومن يعصهما لانه تسوية وجمع انتهى وفيه بحث لا يخفى، ولعل الاوجه ان يقال
العدول عن الاسمين الثريفين غير لائق وان كان المقام يقتضى الضمير اختصارا
ولله در القائل :

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع

ولهذا ورد في كثير آى القرآن ومن يطع الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله (وعبدى
وأُمِّي وَرَبِّي وَرَبِّي) فعن أبي هريرة قال : «قال رسول الله ﷺ لا يقل أحدكم
عبدى وأُمِّي كُلُّكُمْ عِبَادُ اللَّهِ كُلُّ نَسَائِكُمْ أُمَاءُ اللَّهِ وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلَامِي وَجَارِيَتِي وَفَتَاتِي
وَلَا يَقُولِ الْمَمْلُوكُ رَبِّي وَلَا رَبِّي وَلَكِنْ لِيَقُلْ سَيِّدِي وَسَيِّدَتِي فَكُلُّكُمْ عِبِيدُ الرَّبِّ هُوَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ» رواه الشيخان (فالصواب) أى في مقام الخطاب (ثم شئت) بدل قوله وشئت
فكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول أعوذ بالله ثم بك ويجوز
ان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان (وغلامى وجاريتى) بدل عبدى
وأُمِّي (وسيدى وسيدتى) بدل ربى وربتى (ونحوها) أى من الكلمات المنبهة
واللنسانى وابن هاجه من حديث بريدة باسناد صحيح «من قال أنا برىء من الاسلام

وَمِنْهَا سُؤَالُ الْعَامَّةِ عَمَّا يَتَعَذَّرُ إِدْرَاكُهُ كَسْرِ الرُّوحِ، وَحَقَائِقِ الصِّفَاتِ، أَوْ

يُضُرُّ كَسْرَ الْقَدْرِ *

فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام» فهذا وأمثاله مما يدخل في مذموم الكلام ولا يمكن حصره في هذا المقام، وقال ابراهيم: اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة: احارار يايتنى خليفة اخنزيرا رأيتنى خليفة، وعن ابن عباس: وان أحدكم يشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة، ولاحمد من حديث البراء: من سعى المدينة يشرب فليستغفر الله هي طابة هي طابة، ولأبي داود من حديث بريدة بسند صحيح: لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد أسخطكم ربكم، وكاروى: لا يقولن أحدكم زرعت ولكن ليقل حرثت، والحديث في الاكمال للسيوطي ولعله مقتبس من قوله: (أفرايتم ماتحرون أم تم تزرعونه أم نحن الزارعون) وكان يقول على فيه وفي نظائره بل أنت، وفي الحديث: لا يقل أحدكم خبثت نفسي وليقل لقست» وفي الحديث: لا يقل أحدكم نسيت بل ليقل نسيت» ومنها سؤال العامة عما يتعذر ادراكه: (أى حتى للخاصة) (كسر الروح) وقد قال تعالى: (قل الروح من أمرى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) والمعتقدان الارواح أجسام لطيفة تدخل في أشباح كثيفة وتخرج منها كما اخبر سبحانه عنها بقوله: (ارجعنى الى ربك راضية مرضية فادخلنى عبادى وادخلنى جنتى) وانها خلقت قبل الاجساد بخمسمائة عام فهى حادثة غير قديمة خلافا للحكماء ومن تبعهم من الجهلاء (وحقائق الصفات) كحقيقة كلامه سبحانه، وكذا كنهه معرفة سمه وبصره وسائر كمالاته وقد قال تعالى: (ولا يحيطون به علما) و (ليس كمثل شئ) فكل ما خطر ببالك فانه وراء ذلك، وقد قال عليه السلام: سبحانه لا أحصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك أى من قوله (قل هو الله أحد) وسائر آيات الصفات من الجمالية والجلالية الدالة على كمال الذات (أوبضر) أى عما يضره ولولم يتعذر (كسر القدر) فانه بالنسبة الى الاغلب قد يتعسر فهو بحر عميق كم فيه من غريق ولا يخلص منه الا بان يقال فيه: (يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد) ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون. قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالى وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالى وانما شأن العوام الاشغال بالعمل بما فى القرآن والتسليم بما جاءت به الرسل من تفاصيل الاسلام والايمان، ولذا قال عليه

وَكَا لَقَوْلٍ بِالْظَّنِّ وَهُوَ مَا تَغَيَّرَ بِهِ الْقَلْبُ فُورِدَ (اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ) (الآية) إِلَّا إِذَا

أَخْبَرَ عَدْلًا وَعِلْمًا عَدَمَ الْعَدَاوَةِ وَحَامِلًا آخَرَ فَيُعْذَرُ إِذَا تَكْذَبَ بِهِ سُوءُ الظَّنِّ وَالتَّجَسُّسِ

السلام: «ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سوء الهمم واختلافهم على أنبيائهم فانهيهم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» متفق عليه من حديث أبي هريرة، وقال أنس: «سأل الناس رسول الله ﷺ يوما حتى أكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال: سلوني فما تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به فقام إليه رجل فقال يا رسول الله من أبونا فقال أبوكم الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل فقال: يا رسول الله أفى الجنة أبي أو في النار فقال: لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمسكوا فقام إليه عمر فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبياً فقال: أحسنت يرحمك الله انك ما علمت لموفق» متفق عليه، وفي الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال» متفق عليه من حديث المغيرة، وعنه عليه السلام «يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا: هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا: الله أحد الله الصمد حتى تختتموا السورة ثم لينقل أحدكم عن يسارة ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم»، والحاصل أن السؤال ينبغي أن يكون من أهل الكمال فيما يكون من الضروريات في الاعتقادات والعبادات والمعاملات والله أعلم بحقائق الحالات ﴿وكالقول بالظن﴾ لاسيما في العقائد المتعلقة بالرب قال تعالى: ﴿ان الظن لا يغنى من الحق شيئا﴾ (وهو) أي القول بالظن أو نفس الظن ﴿ما تغير به القلب﴾ أي بسماعه عما كان به ويحصل التردد في بابه وانما جوز في الفروع دون الأصول للضرورة في قلة المنقول ﴿فورد اجتنبوا كثيرا من الظن الآية﴾ أي (ان بعض الظن اثم) ولما كان هذا الظن يشمل ما اذا بنى عليه خبر من موت أحد أو قدومه أو سفره أو أمر غيره استثنى بقوله ﴿الا اذا أخبر عدل﴾ أي بالموت أو القدوم أو السفر ونحوه ﴿وعلم عدم العدواة﴾ أي بالنسبة الى الميت وأهله ﴿وحامل﴾ أي وعلم عدم باعث ﴿آخر﴾ كالعصية في نسبه والدعوة الى ملته ومذهبه ﴿فيعذر﴾ أي اذا أخبر عن ظن وقوعه ﴿اذ تكذبه سوء الظن﴾ أي به وبكلامه ﴿والتجسس﴾ عطف على القول بالظن

فَهُوَ هَاتِكُ السِّرِّ، فُورَدَ (وَلَا تَجَسَّسُوا) وَالْأَسْتِمَاعُ، فُورَدَ (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) «الْمُسْتَمِعُ شَرِيكَ الْقَائِلِ» وَفِيهِ هَيْجَانُ الْوَسَاوِسِ وَبَقَاؤُهَا فِي النَّفْسِ وَلَا اقْصَاصَ فِي نَحْوِ الْغِيَةِ وَالسَّبِّ وَالتَّجَسُّسِ لَا نُحْصَارُهُ عَلَى مُورَدِ الشَّرْعِ، وَوَرَدَ «إِنْ أَمْرُؤُ عَيْرِكَ بِمَا فَيْكَ فَلَا تُعَيِّرُهُ بِمَا فِيهِ» وَقِيلَ يُقَابَلُ بِمَا لَا كَذِبَ فِيهِ وَالْأَوَّلَى التَّرْكُ وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ لِحُرْمَةِ فِي الْأَشْعَارِ لِلْإِنْدَازِ وَالْحُرْمِ كُلِّ لَذَّةٍ وَلَا لِلْوِزْنِ

أَيُّ وَكَالتَفْحَصُ عَنْ حَقِيقَةِ الْأَمْرِ (فَهُوَ هَاتِكُ السِّرِّ) أَيُّ كَاشِفُهُ وَفَاضِيهِ فِي الْخَبَرِ (فُورَدَ) فِي سُورَةِ الْحِجْرَاتِ (وَلَا تَجَسَّسُوا وَالْأَسْتِمَاعُ) أَيُّ وَكَاسْتِمَاعِ الْقَوْلِ بِالْإِظْنِ (فُورَدَ) فِي سُورَةِ الْقَصَصِ (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) تَمَامُهُ (وَقَالُوا إِنَّا أَعْمَانَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) (الْمُسْتَمِعُ شَرِيكَ الْقَائِلِ) لَمْ أَرَاهُ أَصْلًا، وَفِي الْأَحْيَاءِ وَالْمَغْتَابِ وَالْمُسْتَمِعُ شَرِيكَ كَانَ فِي الْأَثَمِ، وَلَمْ يُخْرِجْهُ الْعِرَاقِيُّ، وَفِي الطَّبْرَانِيِّ مَرْفُوعًا نَهَى عَنِ الْغِيَةِ وَعَنِ الْأَسْتِمَاعِ إِلَى الْغِيَةِ (وَفِيهِ) أَيُّ فِي اسْتِمَاعِهِ (هَيْجَانُ) الْوَسَاوِسِ (أَيُّ ثَوْرَانِهَا) (وَبَقَاؤُهَا فِي النَّفْسِ) عَلَى طَرِيقِ الْهَوَاجِسِ (وَلَا اقْصَاصَ فِي نَحْوِ الْغِيَةِ) فَلَا مُخَالَفَ لِمَنْ يَقُولُ: إِنَّا اغْتَابَ النَّاسَ وَهُمْ يَغْتَابُونِ فَيَكُونُ الْمَقَاصِصَةُ فِي الدُّنْيَا دُونَ الْعَقَبِ (وَالسَّبِّ وَالتَّجَسُّسِ) مِنَ الْأَقْوَالِ الرَّدِيَّةِ وَالْأَفْعَالِ الدُّنْيَا (لَا نُحْصَارُهُ) أَيُّ الْقِصَاصِ (عَلَى مُورَدِ الشَّرْعِ) أَيُّ فِي النَّفْسِ وَالْأَطْرَافِ وَنَحْوِهَا مِنْ تَضْيِيعِ الْأَمْوَالِ فَيَقْتَصُّ بِالضَّرْبِ وَالْقَطْعِ وَالْقَتْلِ وَأَخَذِ الْأَمْشَالِ وَالْإِبْدَالِ (وَوَرَدَ أَنَّ أَمْرُؤَ عَيْرِكَ بِمَا فَيْكَ) أَيُّ مِنَ الْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ (فَلَا تُعَيِّرُهُ بِمَا فِيهِ) أَيُّ فَانَهُ لَا تَجُوزُ فِيهِ الْمَقَاصِصَةُ، وَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَحْذُورًا عَلَى التَّحْرِيزِ عَلَى مَا هُوَ الْأَوَّلَى مِنَ الْهَفْوِ (وَقِيلَ يُقَابَلُ) أَيُّ نَحْوِ الْغِيَةِ وَمَا عَظَفَ عَلَيْهِ (بِمَا لَا كَذِبَ فِيهِ) لَظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) (وَالْأَوَّلَى التَّرْكُ) لِقَوْلِهِ (فَمَنْ عَنِ وَأَصْلَحَ فَاجْرِهِ عَلَى اللَّهِ) وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَنْ صَبِرْتُمْ لَهُ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) (وَالْتَحْقِيقُ) فِي سَمَاعِ الْأَبْرَارِ (أَنَّ لِحُرْمَةِ فِي الْأَشْعَارِ) أَيُّ فِي نَفْسِهَا مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَمَّا فِيهَا فَإِنَّ الشَّعْرَ كَالشَّرِّ كَلَامُ صَرِيحٍ حَسَنِهِ حَسَنٌ وَفِيهِ حَقِيقَةُ بَيْعِ (الْإِنْدَازِ) أَيُّ لَا يَحْرَمُ لِأَجْلِ التَّلَذُّبِ (وَالْحُرْمِ كُلِّ لَذَّةٍ) يَلْتَذُّ مِنْهَا كَالْمَاءِ الْجَارِيِ وَالْخَضِرَةِ وَنَحْوِهَا وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بِحُرْمَتِهَا (وَاللُّوْزْنِ)

وَالْأَلْحَرَمَ سَمَاعُ صَوْتِ الْعَنْدَلِيبِ وَالْقَمَرِيُّ فَهُوَ مَوْزُونٌ لَتَنَاسِبِ مَطَالَعِهِ
وَمَقَاطَعِهِ وَلَا لَفْهِمْ وَلَا لَحَرَمَ كُلِّ مَفْهُومٍ هَذَا وَالشَّعْرُ كَلَامٌ وَالْأَنشَادُ مَأْثُورٌ

أى ولا يحرم بمجرد التقابل والتعادل بين الكلمتين أو الجملتين أو المصراعين (والألحرم سماع صوت العندليب) أى المسمى بالبلبل المعبر عنه بالهزار سنان فإن انغماسها بلغت الألف في الأشجار والبستان (والقمرى) وكذا الفاخنة والحمامة، وغرب من الكل الطوطى المسمى بالدرة التى تنفصح حتى تقرأ الآية والسورة وتسكلم بما وقع في البيت من أمور الضرورة طبق ما وقع في المعنى والصورة (فهو) أى صوتهما ونحوهما (موزون) أى متلائم بينى أوائله وأواخره (لتناسب مطالعته ومقاطعته) أى مبادئه وما يشعر بتناهي (ولا لفهم) أى ولا يحرم لمجرد فهم الكلام من الصوت في ذلك المقام (والألحرم كل مفهوم) من المرام ولم يقل به أحد من الأعلام (هذا) أى مضى أوخذ هذا أو الأمر هذا (والشعر كلام) أى كسائر الكلام من حيث هو مباح في أصل الأحكام (والأنشاد مأثور) وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مروى ومنشور فكان عليه السلام ينقل الابن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول هذا الجمال لأحمال خير هذا أبرر بنا وأظهر

رواه البخارى في قصة الهجرة من رواية عروة مرسلًا قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الأحاديث أنه عليه السلام نطق ببيت شعر تام غير هذا البيت، وفي الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقول اللهم انه لا خير الاخير الاخير الآخرة فانصر الانصار والمهاجرة، قال العراقى: وليس البيت الثانى موزونًا يعنى باعتبار المصراع الاول فتأمل وفي رواية «اللهم ان العيش عيش الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة» وفي الصحيحين أيضًا أنه قاله في حفر الخندق بلفظ «فبارك في الانصار والمهاجرة» وفي رواية فاغفروا وفي رواية لمسلم فآكرم، ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفروا للمهاجرين والانصار» وللبخارى تعليقاً وأبى داود والترمذى والحاكم متصلان حديث عائشة «كان عليه السلام يضع لسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأينافح ويقول رسول الله ﷺ ان الله يؤيد حسنا بروح القدس ما نافع أو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» قال الترمذى حسن صحيح، وقال الحاكم صحيح الاسناد؛ ولمسلم من حديث عائشة انشاد حسان:

هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء فشر كما لح - ير كما الفداء
القصيدة ، وانشاد حسان أيضا :

وان سنام المجد من آل هاشم بنو بنت غزوم والذك العبد
وللبخارى انشاد ابن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه اذا انشق معروف من الفجر ساطع
الآيات ، وللترمذى في الشمال انشاده أيضا بين يدي رسول الله ﷺ حين دخل مكة :
خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخيل - ل عن خيل - له
وللبخارى في معجم الصحابة وابن عبد البر في الاستيعاب من حديث النابغة قال : أنشدت
النبي صلى الله عليه وآله وسلم شعرا فقال : أحسنت لا يفضض الله فاك ، وفي الصحيحين
عن عائشة « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وعك أبو بكر
وبلال وكان بها وباء فقلت يا أبت كيف تجدك وبابلال كيف تجدك فكان أبو بكر
إذا أخذه الحى يقول :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله
وكان بلال اذا أقامت عنه الحى يرفع عقيرته أى صوته ويقول :

ألا ليت شعرى هل آيتن ليلة بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يدون لى شامة وطفيل

وهما جبلان بمكة قالت عائشة « فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بذلك فقال : اللهم حبب اليك المدينة كحبنا مكة أو أشد وانقل حماها فاجعلها فى
الجحفة » ومن انشاد عائشة :

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الاجرب
وللترمذى من حديث جابر بن سمرة « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم يتناشدون الاشعار وهو يتبسم ، وللبهقى فى دلائل النبوة « أن النساء انشدن
عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا مادعا لله داع
وأما ذكر السطوح والدف والالخان كما ذكره فى الاحياء فما لا أصل له كما
صرح به مخرجه ، وفى الجملة اشعار بفرح قدمه وسرور قدومه عليه السلام الى ذلك

وَالنَّهْيُ لِلتَّجَرُّدِ لَهُ فَهُوَ اشْتِغَالٌ بِمَا لَا يَعْنِيهِ، فَوَرَدَ «لَا أَنْ يَمْتَلِئَ بَطْنُ أَحَدٍ كُمٍ قِيحًا حَتَّى يَرِيَهُ خَيْرَ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شَعْرًا» وَتَضَمَّنَهُ فُحْشًا وَهَجَاءً وَافْتِرَاءً كَنَظْمِ الْكُفَّارِ وَالْمُبْتَدِعَةِ وَيَجُوزُ هَجَاؤُهُمْ فَعَلَهُ حَسَنٌ وَأَمْرٌ بِهِ وَالتَّوَسُّعُ فِي الْمَدْحِ إِنْ وَجَدَ الْوَصْفُ الْمَذْكُورُ فِي الْمَمْدُوحِ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِكَذِبٍ لِفَقْدِ قَصْدِ اعْتِقَادِ صُورَتِهِ

المقام، ومن هذا القبيل قوله عليه السلام: «أني لا أدري بفتح خير أفرح أم بقدم جعفر، ولمسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال: «أنشدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائة قافية من قول أمية بن الصلت في كل ذلك يقول هيه هيه أي استزادة ثم قال إن كاد في شعره ليسلم، فنفس الانشاد والسماع جائزان بالاجماع، ولأبي داود الطيالسي عن أنس: «كان يحدى له في السفروان أنجشة كان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال فقال عليه السلام يا أنجشة رو يدك سوقك بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمانه عليه السلام وأصحابه الكرام وما هو إلا أشعار تؤدي بأصوات طيبة والحان موزونة» (والنهي) أي عن الشعر (للتجرد له فهو اشتغال بما لا يعنيه فورد لأن يمتلئ بطن أحدكم قيحًا) أي صديداً (حتى يريه) بفتح فكسر من وري ورياً كرمي رمياً أي يفسده (خير له من أن يمتلئ شعراً) رواه أحمد وأصحاب الكتب الستة (وتضمنه) عطف على التجرد أي وتضمن الشعر (فحشاً) من الكلام (وهجاء) أي ذم لآحد من أهل الاسلام (وافترأ) أي في مقام المرام (كنظم الكفار والمبتدعة) في ذم المسلمين وأهل السنة والجماعة (ويجوز هجاؤهم) أي ابتداء وانتهاء (فعله حسن وأمر به) كما تقدم، ففي الصحيحين من حديث البراء «أنه عليه السلام قال لحسان: اهجمهم أو هاجهم وجبريل معك» وقد قال تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعلو الصالحات وذكروا الله كثيراً واتصروا من بعد ما ظلموا) (والتوسع) أي وتجاوز المبالغة (في المدح أن وجد الوصف المذكور في الممدوح) أي في الجملة (لأنه ليس بكذب) أي حيثئذ بل مبالغة وتسامح لاسيما في الشعر (لفقد قصد اعتقاد صورته)

وَتَوَارِثِ اسْتِمَاعِ الْمُبَالَغَاتِ بِلَا نَكِيرٍ وَوَصْفِ نَحْوِ الْحَدِّ وَالْقَدِّ وَالصُّدْغِ
عَلَى الْأَقْرَبِ إِنْ لَمْ يُحْمَلْ عَلَى مَعِينَةٍ سِوَى أَمْرَاتِهِ وَأَمَتِهِ أَوْ اسْتِعَارِ الْعَارِفِ سَوَادِ
الصُّدْغِ لظَلَمَةِ الذَّنْبِ وَبَيَاضِ الْحَدِّ لِنُورِ الطَّاعَةِ وَالْوَصَالِ لِلْقَائِنَةِ تَعَالَى وَالْفِرَاقِ

أى صورة الكذب وحقيقته ﴿ وتوارث استماع المبالغات ﴾ أى وتوارث استماعها
في اشعار العرب وغيرهم ﴿ بلا نكير ﴾ أى بلا انكار على قائلها ومنشدها بل عد
الكذب من مستحسانات الشعر كما قيل « أكذب الشعر أحسنه » ويشير اليه قوله تعالى:
(والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا
يفعلون) وقد سبق التسامح في الزنأ أيضا اذا أريد به المبالغة مثل مائة مرة وألف مرة
ويراد به الكثرة، ونظير هذا قولهم: ليك وسعديك في اطلاق الشبهة وقصد التكرير
والتكثير كقوله تعالى: (ثم ارجع البصر كرتين) ومن هذا القليل أيضا قوله تعالى:
(ان تستغفر لهم سبعين مرة) فانه لم يرد به حقيقة العدد اذ لا مفهوم له عند أرباب
الوصول بل أريد به الكثرة هنا بدليل آية أخرى (سواء عليهم أستغفرت لهم أم
لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) ﴿ ووصف نحو الحد ﴾ وجاز نعت نحو الوجه والوجهة
من البياض والحرمة ﴿ والقَدِّ ﴾ أى القامة باعتدالها في جمالها وكماها (والصدغ)
أى الشعر المتدلى على الوجه المسمى بالزلف (على الاقرب) أى جاز ما ذكر على
القول الاقرب الى الصواب أو الانسب في بيان الرخصة المحتاج اليها في هذا الباب،
وقيل : لا يجوز مطلقا وان وجد التفصيل الآتي وهو قوله: ﴿ ان لم يحمل ﴾ أى صاحب
الحد والقَدِّ وكذا السامع ﴿ على معينة سوى امرأته وأمته ﴾ وذلك كمن يعشق
زوجته أو سريته فيصنف الى غنائها لتضاعف لذته في لقائه وهذا إذا كان السامع
أو المغنى في بيته واما اذا كان في مجلس من جماعته فلا يجوز له ذكر امرأته ولا
جاريته، وكذا لا يجوز ان يحمل على امرء صبيح الوجه بخصوصه مطلقا ﴿ او
استعار ﴾ أى جاز ما تقدم ان استعاره (العارف) بالجماز والحقيقة والصريح
والكناية (سواد الصدغ لظلمة الذنب) وهو جذس المصيبة الناشئة من ظلمة الغفلة
﴿ وبياض الحد لنور الطاعة ﴾ وسرور الحالة ﴿ والوصال ﴾ وفي معناه الوصل والاتصال
﴿ للقائنه تعالى ﴾ أى في دار البقاء أو مقام الفناء (والفرق) وكذا الحداء والانفصال

لِلْحِجَابِ وَنَحْوَهَا وَالنَّظْرُ إِلَى الْأَثَرِ فِي الْمُنْتَفَى بِهِ عَلَى الْأَقْرَبِ فَمَنْدُوبٌ إِنْ شَوْقٌ إِلَى الْحَجِّ وَالْغَزْوِ إِنْ كَانَ قُرْبَةً بِخِلَافٍ مَا إِذَا لَمْ يَجِبْ أَوْ الْإِبْوَانُ لَا يَأْذَنَانِ أَوْ غَلَبَ الْهَلَاكُ فِي الطَّرِيقِ وَنَحْوَهُ أَوْ حَزَنَ عَلَى التَّقْصِيرِ فِي الدِّينِ كَالْمُرَوِّى عَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا أَنْشَدَهُ الْوَعَاظُ عَلَى الْمَنَابِرِ

هـ (للحجاب ونحوها) هـ من أنواع العذاب هـ (والنظر) هـ مبتدأ هـ (الى الاثر) هـ أى أثر التأثير هـ (فى المنتفى به) هـ من الشعور وغيره ففيه تفصيل هـ (على الاقرب) هـ أى بناء على القول الاقرب وقد قيل لا عبرة بالنظر الى التأثير بل هو حرام مطلقاً (فمندوب) خبر أى فستحب سماعه ومطلوب لكن بشروط بينها بقوله (أن شوق) أى المنتفى به (الى الحج أو الغزوان) هـ (أو الابدان لا ياذنان) هـ أى واجبا (بخلاف ما اذا لم يجب) بأن لم يوجد شرائط وجوب الحج (أو الابدان لا ياذنان) فانه عذر فى التأخير على القول بالتراخي فى الحج (أو غلب الهلاك فى الطريق) أى براو بجرأ (ونحوه) من فقدان سائر شروط الاداء وفى الاحياء ومن الغناء المباح غناء الحبيج فانهم يدورون أولا فى البلاد والطلب والشاهين والغناء وهو جائز لأنها أشعار نظمت فى وصف الكعبة والمقام وزمزم والحرم وسائر المشاعر العظام ووصف البادية وغيرها من الامور الكرام وتأثير ذلك تهيج الشوق الى بيت الله واشتعال نيرانه ان كان ثمة تشوق حاصل أو استتارة الشوق بكل ما يشوق اليه محمودا (أو حزن) أى ان أوقع المنتفى به حزنا وتأسفا (على التقصير فى الدين كالمروى عن داود عليه السلام) وقد ورد فى معرض المدح لداود عليه السلام أنه كان حسن الصوت فى النباحة على نفسه وفى تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحوش والطيور لسماع صوته، وكان يحمل من مجلسه أربع مائة جنازة وما يقرب من ذلك فى تلك الحالة ، وفى الحديث فى مدح أبى موسى الاشعرى «لقد أعطى من مازمار من زمير آل داود» وقد تقدم وذكر فى تفسير قوله تعالى : (يزيد فى الخلق ما يشاء) هو حسن الصوت، وقد قرئ بالحاء المهملة، وقد ورد الله أشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قيته، وقوله تعالى : (ان أنكر الاصوات لصوت الخمر) يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن وهذا أمر مجمع عليه، وفى الاحياء ان الطائر كانت تقف على رأس داود عليه السلام (وما) أى وكما (أنشده الوعاظ على المنابر)

أَوْ أَكَّدَ حُبَّهُ تَعَالَى مُبَاحٌ إِنْ أَكَّدَ السُّرُورَ فِيمَا يُبَاحُ فِيهِ كَالْعِيدِ وَالْعُرْسِ
وَالْوِلَادَةِ وَالْحَتَانِ وَحَفِظَ الْقُرْآنَ فَهُوَ مَأْثُورٌ أَوْ شَوْقٌ إِلَى الْإِخْوَانِ أَوْ الْمَرْأَةِ
أَوْ الْأَمَةِ حَرَامٌ إِنْ شَوْقٌ إِلَى الزَّنا أَوْ حَزَنٌ عَلَى الْمَوْتِ وَالْبَلَايَا، فَوَرَدَ (كَيْلًا
تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ)

من نظم أو شمس جمع من الترغيبات والترهيبات في الحج والعمرة ونحوهما (أو أكد)
أى ان زاد المتغنى به (حبه تعالى) بذكره والتأمل في أمره والاشتغال بفكره فانه
مندوب في كل من التشويق والتعزير (مباح) أى مستوطر فاه لا ثواب ولا عقاب (ان
أكد) المتغنى به (السرور) والفرح (فما يباح فيه كالعيد والعرس والولادة) أى أولها
(والحنين وحفظ القرآن) أى تمامه، وكذا اجتماع الاخوان في بعض الزمان للطعام
والكلام وكذا قدوم بعض الأصحاب من السفر لما تقدم وتقرر (فهو مأثور) أى
مذكور عن السلف والخلف بل عن النبي ﷺ أما العيد في الصحيحين عن عائشة
«ان أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جارتان في أيام منى تدفقان وتضربان
والنبي صلى الله عليه وآله وسلم متغشى بثوبه فأتتهما أبو بكر» وفي رواية قال «مزمار
الشیطان فكشف النبي عليه السلام عن وجهه فقال: دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد
قلت: وكان يوم عيد تلعب فيه السودان بالدرق والحراب فانا سألت رسول الله
ﷺ أوقال أماتشتين تنظرين؟ فقلت: نعم فقامنى وراءه وخدى على خده ويقول:
دونكم أى افعلوه يا بنى أرفدة حتى اذا ملك قال: حسبك قلت نعم قال فاذهبي» وفي
صحيح مسلم «فوضعت رأسى على منكبه فجعلت أنظر الى لعنهم حتى كنت أنا التى
انصرفت» وأما العرس فقد تقدم حديث «أعلنوا بالنكاح واضربوا عليه بالدف»
وفي معناه الولادة والختان وما يؤيد الولادة والختان ذبح العقيقة وهو لأصحاب الطريقة
في الحقيقة واما حفظ القرآن فهو أكبر سرورا وأعظم نورا (أو شوق) المتغنى به
(الى الاخوان) من الأحياء الاتقياء في القرية أو البلدان (أو المرأة أو الامة) من
غير تعينهما للاجنبى فانه حينئذ مباح (حرام ان شوق) المتغنى به (الى الزنا) أو توباعه
(أو حزن) المتغنى به (على الموتى) أى فيحصل به الجزع والفرع (والبلايا) أى على
البلايا المقدمة (فوردد) فى الحديد (كيلا) وفى التنزيل لكيلا (تأسوا على ما فاتكم)

وَأَدْنَى رُتْبَةِ الاسْتِمَاعِ لِلشَّهْوَةِ وَهُوَ بِنْفِخِ الشَّيْطَانِ ثُمَّ لِلتَّلْهِىِّ بِمَجْرَدِ النَّغْمَةِ
وَالْمُوَاطَّئَةِ عَلَيْهِ ذَنْبٌ*

تمامه (ولا تفرحوا بما آتاكم) بالمد والقصر، وفي آل عمران (لئلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) (وأدنى رتبة) أي مراتب التغنى وسماعه (الاستماع للشهوة) ويحرم حيث سد سواء غلب على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب لأنه لا يسمع وصف نحو الحد والقدر والوصل والهجر الا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة وفق لذته، ولذلك سئل حكيم عن العشق؟ فقال : دخان يصعد الى دماغ انسان يزيله الجماع ويهيج السماع (وهو بنفخ الشيطان) المنافي لنفخ الرحمن فلا يدل على من حديث على « كان ابليس أول من ناح وأول من تغنى » ولابن أبي الدنيا والطبراني عن أبي أمامة ومارفع أحد عقيرته بغناء الابعث الله اليه شيطانين على منكبيه يضران على أعقابهما بصدره حتى يمساك » (ثم للتلهي) أي الاشتغال (بمجرد النغمة) وهو المعنى بقوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) الآية (والمواطئة عليه) أي من غير تخلل التوبة لديه (ذنب) أي عند الكل من العلماء والصوفية من الصلحاء، وهذا محمل لكلام الأئمة المجتهدين من الفقهاء فقد حكى القاضي أبو الطيب الطبري عن أبي حنيفة . ومالك . والشافعي . وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا استدلل بها على أنهم رأوا تحريمه قال : وقال الشافعي في كتاب أدب القضاء : ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته ، وقال الشافعي صاحب الجارية اذا جمع الناس لسباعها فهو سفيه ترد شهادته ؛ قال وحكى عن الشافعي : انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن قال : وأما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له أن يردّها وهو مذهب سائر أهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده، قال وأما أبو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذا سائر أهل الكوفة وسفيان الثوري وحماد و ابراهيم النخعي والشافعي وغيرهم انتهى كلام الطبري ، ويؤيده ما ورد من الاحاديث في ذم القينة - وهي الجارية المغنية - فللطبراني من حديث عائشة « ان الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها، ويقويه ما رواه أبو داود عن نافع » كنت مع ابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق ولم يزل يقول يا نافع

ثُمَّ لَتَرَوْحِ النَّفْسَ قَطْعًا لِلْمَلَالَةِ مِنَ الْعِبَادَةِ ثُمَّ لِمُقَابَلَةِ حَالِهَا فِي الْمَعَامَلَةِ

مَعَهُ تَعَالَى

اتسمع ذلك ؟ حتى قلت لا فاخرج أصبعه ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «رواه أبو داود» وعن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً «الغناء يثبت النفاق في القلب كما يثبت الماء البقل» رواه البيهقي ، ولابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى ابن كثير مرسل ما امتلأت دار منها حبرة الامتلات عبرة ، والحبرة الغناء ومنه قوله تعالى (في روضة يحبرون) أى يغنون أو يسرون ومر على ابن عمر قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال الا لا أسمع الله اسكن الا لا أسمع الله لكم وقال الشبلي السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة أى ومحنة ، وأما ما نقل أبو طالب المكي إباحة السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين كعبد الله بن جعفر وابن الزبير ومعاوية وغيرهم فاما يحمل عل سماع ليس فيه شيء من الغناء كسماع القرآن وأشعار العرب ولو بالالخان وأما على أنه مذهبهم المختار عندهم فان المسألة خلافية لا اجماعية وفعلهم ليس بحجة عند غيرهم فكذا ماروى عن بعض المشايخ الصوفية ، وقد ذكرت هذه المسألة في رسالة مستقلة وقد رأيت رسالة منسوبة الى الشيخ أحمد الغزالي أخو حجة الاسلام محمد الغزالي متضمنة لتكفير منكر السماع بادلة سخيفة ظاهرة الفساد وأفتية ضعيفة ماله عند الأئمة رواج وكساد ، هذا وقد يكون مراد المصنف ان التلهى صغيرة والمواظبة والاصرار على الصغيرة كبيرة وقد يراد ان التلهى مباح والمواظبة على المباح قد تصير كبيرة كما اذا دام على الطبل طول الايام أو تبع الحبشة في رقصهم على الدوام (ثم لترويح النفس) أى لراحتها وإزاحة تعبها (قطعاً للملالة) والسآمة (من العبادة) كما يجرى ويسرى في العادة لأهل الارادة وهى للعابدين (ثم لمقابلة حالها) أى حال النفس ومقامها (في المعاملة معه تعالى) من تحصيل مرادها ، وهذا حالة العارفين وفيها خطر باعتبار تمامها ودوامها ، وتحقيق ذلك ان الاناء يترشح بما يكون فيه سواء صاحبه يوافقه أو يتنافيه فالسماع يشبه الخمر في اخراج ما في الباطن وبه يعرف ما في القلب من خوف ورجاء وقلق وسكون وشوق وذوق ونشاط وانبساط فيقابل المريد حال نفسه في المعاملة مع ربه فاذا كان في باطنه خوف يظهر معه آثاره من نحو البكاء والحزن والحزن واذا كان رجاء يتبين أنواره من الفرح والسرور ويقال الحضور ، ومن هنا قال أبو سليمان :

وَيَشْتَرُطُ رَعَايَةَ السَّنَةِ بِالْحُلِّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ تَعَالَى ثُمَّ لِحَبِّهِ تَعَالَى فَقَطُّ وَهُوَ لِمَنْ
 قَفَى عَنْ حُظُوظِ نَفْسِهِ وَغَابَ عَمَّا سِوَاهُ حَتَّى عَنْ شُهُودِهِ مَعَهُ أَيْضًا وَمِنْهُ تَوْلَدَ الْوَجْدُ
 وَهُوَ مَا صَادَفَ الْقَلْبَ مِنْ شَوْقٍ وَخَوْفٍ وَحُزْنٍ وَقَلَقٍ وَيُجَدِّى نَقَاءَ الْقَلْبِ
 وَحُصُولَ الْعِلْمِ وَالْمُكَاشَفَةَ وَرُبَّمَا لَا تَمُكِّنُ الْعِبَارَةُ عَنْهُ كَمَا عَنِ الْفَصَاحَةِ وَالْمَلَّاحَةِ

السماع لا يجمل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما فيه (ويشترط رعاية السنة)
 أى الشريعة الغراء والطريقة الزهراء (بالحل) أى بجمل الاستماع (على ما يليق به
 تعالى) أى على وجه الكمال ففى يابض الخد ونحوه تذكر صفات الجمال وفى الزلف
 ونحوه يتفكر فى نعوت الجلال (ثم لِحَبِّهِ تَعَالَى فَقَطُّ) أى مع قطع النظر عن لوازمه
 وتفصيل مكارمه (وهو) أى هذا المقام (لمن قَفَى عَنْ حُظُوظِ نَفْسِهِ) أى بالسكينة
 (و غَابَ عَمَّا سِوَاهُ) أى عن خطو ر غير الله تعالى (حتى عن شهوده معه أيضًا) المبرر عنه
 بالقناء عن الغناء وذلك فانه مهمافنى عن نفسه فهو من غيره أفنى فكأنه فنى عن كل شئ
 الا عن الواحد المشهود ، وفى أيضًا عن الشهود فان القلب ان التفت الى الشهود
 والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود كالسكران لاخبر له عن سكره
 وهونهاية مقام العارفين فى حال البقاء ، وقد يعبر عن هذا بمقام اللقاء ولكن هذا
 كالبرق الخساطف من ظهوره فى عالم السماء فان دام لا نطبقه القوة البشرية
 (ومنه) أى ومن حبه تعالى (تولد الوجد) أى حصول الذوق ووصول الشوق
 (وهو) أى الوجد (ما صادف القلب) أى وجد القلب (من شوق) أى الى الله
 ورضاء (وخوف) أى من حجابيه وسخطه (وحزن) أى تأسف على ما فات
 (وقلق) أى اضطراب فى حال آت (ويجدى) من الاجدء أى يفيد الوجد
 (نقاء القلب) أى طهارته عن السوى من كمال الصماء (وحصول العلم) أى زيادته
 المقرونة بالحلم (والمكاشفة) وهى العلم بالله وصفاته العاخرة وبأحوال الآخرة
 (وربما لا تمكّن العبارة عنه) أى اذا كان متعلقا بالذات أو بكنه الصفات (كما عن
 الفصاحة والملاحة) فانهما من المعانى الدقيقة يعجز التعبير عنها ولو بالمبانى الرشيدة
 ثم لا يبعد ان يكون السماع سبب الكشف بما لم يكن مكشوفًا قبل الاستماع فان للكشف
 أسبابًا ولفتحه أبوابًا منها التنبه والسماع تنبيه للنبيه، ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها

وَالْتَوَاجِدُ مَذْمُومٌ لِلرَّيَاءِ لَا لِقَصْدِ الْوُصُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ لَوْ رُودَ «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ مَنْ يَقْرَبُنِي إِلَى حُبِّكَ» وَمَا سَبَقَ مِنَ التَّبَاكِي فِي التَّلَاوَةِ وَمُشَاهَدَةِ دَوَامِ إِفْضَاءِ ذِكْرِ الشَّيْءِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ وَالْفِكْرِ فِي فَضَائِلِهِ إِلَى عَشْقِهِ حَتَّى يَمْتَنِعَ الْخَلَّاصُ عَنْهُ

في الاقوال والافعال وادراكها نوع علم يفيد ايضاح أمور لم تكن معلومة قبل ذلك من الاحوال، ومنها انبعاث وانبساط ونشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان قصر عنه دركه كما يقوى الجمل على الحمل بحيث يطلع على الجمل بسبب سماع الحداء بأنواع الغناء، وحل القلب استكشاف جماله وملاحظة أسرار الملكوت وأنوار الجبروت طبق جماله ووفق جلاله، ومنها الصفاء وهو سبب الكشف لأرباب الوفاء وهذا نوع أسباب وفتح أبواب ورفع حجاب أى بمثل الحق لعبدته في لفظ منظوم لقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف أو بالالهام أو في صورة مشاهدة منزهة عن صورة الانام والسماع شبكه للحق يصيد به الخلق هذا وكما يسمع صوت الهاتف عند سماع القلب يشاهد أيضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة، وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبياء اما على حقيقة صورتها أو على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة (والتواجد) أى التكلف في الوجد واظهاره من غير تحصيل القصد (مذموم للرياء) لتعلقه برؤية الخلق (لأن قصد الوصول الى الحقيقة) أى حقيقة الوجود لتعلقه برؤية الحق وذلك (لورود اللهم ارزقني حبك) يحتمل الاضافة الى الفاعل والمفعول لذا حق في قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) وكذا قوله (وحب من يحبك وحب من يقربني الى حبك) أى من القول والعمل وغير ذلك، والحديث قد ذكر (وما سبق) أى ولورود ما تقدم (من التباكي) أى ومدحه وهو التكلف بالبكاء (في التلاوة) أى في فصل التلاوة وذلك للتشبه باهل البكاء من الأنبياء والاولياء حال القراءة «ومن تشبه بقوم فهو منهم» (ومشاهدة دوام افشاء ذكر الشيء) أى ايصاله واتصاله (والنظر اليه) فى اختلاف أحواله (والفكر في فضائله) وما يترتب عليه من تحسين آماله (الى عشقه) متعلق بافشاء أى بانجراره الى محبته ومودته (حتى يمتنع الخلاص عنه) أى عن

وَحَقُّهُ أَنْ لَا يَكُونَ الْمُسْتَمْعُ مِنْ حَرَمِ النَّظَرِ إِلَيْهِ إِلَّا لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ عَلَى نَفْسِهِ
كَأَنَّ فِي قُبَلِ الصَّائِمِ وَلَا آلَةَ مَزْمَارًا فَهُوَ شَعَارُ أَهْلِ الشُّرْبِ حَرَمٌ تَبَعًا لِحَلْوَةِ
الْأَجْنِيَّةِ وَالنَّظَرِ إِلَى خُذْهَا وَلَآئِهْ يَذْكُرُهُ كَالْمَرْفُوتِ وَالْحَتْمِ

تفكره وتذكره ولو تكلف بالدفع في تصوره (وحقه) أى حق السماع وواجبه (أن لا يكون المستمع) أى المغنى (من حرم النظر إليه) كالنسوان والمردان (الشيخ) أى الكبير الفاضل (الآمن على نفسه) أى من الشهوة (كفاي قبلة الصائم) من التفصيل بين الآمن وغيره وقال القاضي أبو الطيب استماعه من المرأة التى ليست بمحرمة له لا يجوز عند أصحاب الشافعى بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء سترة وسواء كانت حرة أو مملوكة انتهى ، ولعل وجهه أن صورة العورة عورة لا تحل الا للضرورة ولا يخفى أن الامرد الحسن الوجه خطره أقوى فانه عند الشيطان أشبهى وللخلق أغوى حتى قال النووي : ان النظر اليه حرام ولو بلا شهوة ، وأما قول الغزالي : « ان صوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء في زمن الصحابة يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء في الاحكام والمشاورة في الكلام فحمول على أن الضرورات تبيح المحظورات (ولا الآلة) أى ولا تكون آلة الغناء (مزمارا) ركذا طبل الكوبة أو تاراً وهذا مجمع عليه لانه من شعار الاشرار ، وأما قصب الراعى فختلف فيه فاباحه الرافعى وحرمه النووي من اتباع الشافعى وصرح علماؤنا بان الدف مباح فى محله اذ لم يكن له جلال فى طرفيه لان اباحته وقعت على خلاف القياس فيقتصر على موردده وقال يزيد بن الوليد : اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لابد فاعلين لجنبوه النساء فان الغناء داعية للزنا : (فهو) أى الغناء باعتبار أصله (شعار أهل الشرب) فى مجلسه (حرم تبعاً) أى لحرمة شرب الخمر فانه قد يفضى الى فساد الامر وينجر الى مباشرة الشر (كحلوة الأجنبية) لانها مقدمة الجماع (والنظر الى خذها) لاتصاله بالسوءتين ثم انهما حرامان لالذاتهما بل تبعاً لحرمة الزنا اذ هما قد يكونان وسيلتين الى فعله (ولانه) أى الغناء المذموم (يذكره) أى الشرب ويفكره (كالمرقت) بتشديد الفاء المفتوحة أى ظرف المقير (والحتم) أى الظرف الأخضر ونحوهما من الدباء والنقير فان الشرع حرم استعمال هذه الاشياء ولذا أمر بكسر دنان الخمر وظروفها تبعاً

وَفِيهِ التَّشْبَهُ بِأَهْلِ الشُّرْبِ كَمَا فِي الْاجْتِمَاعِ لِلسَّمَاعِ وَإِحْضَارِ الْأَلَاتِ وَنَصْبِ
السَّاقِ فِي إِدَارَةِ السَّكَنْجَبِينَ بِخِلَافِ نَحْوِ الدَّفِّ وَالطَّبْلِ وَلَا الْمُنَغْنِي بِهِ قُرْآنًا إِذْ لَا يَجُوزُ
فِيهِ مَدُّ الْمَقْصُورِ وَقَصْرُ الْمَمْدُودِ لِتَوَافُقِ الصَّوْتِ

لحرمة الخمر تغليظاً في أمرها ثم أحلها بعد بعد المدة، وفيه أنه أبيع هذه الأشياء بخلاف
آلات الغناء فهو حجة على مبيح مطلق السماع من العلماء فالسماع حيثئذ حرام كقليل
الخمر وإن كان لا يسكر لانه يدعو الى السكر وما من حرام الاوله حريم يطيف به حكم
الحرمة لا ينسحب على حريمه ليكون حى للحرام ووقاية له وخطاراً مانعاً حوله كما
ورد «ان لكل ملك حى وإن حى الله محارمه» (وفيه) أى ويقع فيما اذا كانت الآلة
مزمراً (التشبه بأهل الشرب) «ومن تشبه بقوم فهو منهم» حتى حرم تشبه الرجال
بالنساء كعكسه وحتى قيل تترك السنة اذا صارت شعار أهل البدعة، ثم قال فى الاحياء:
بل للتشبه بأهل الفساد ينهى عن لبس القباء فى بلاد صار فيها من لباس الاجناد ولا
ينهى عن ذلك فى ما وراء النهر لاعتیاد أهل الصلاح من الزهاد والعباد قال: فلهذه
المعاني حرم المزممار العراقى والاوتار كلها كالعود والرباب والبربط وغيرها وأما
ماعدا ذلك فليس فى معناه كالشاهين للرعاة والحجيج وشاهين الطباين وكالطبل
والقصب سوى ما يعتاده أهل الشرب فانه اذا ارتفع علة المشابهة بقى على أصل الاباحة
(كما) أى كالتشبه (فى الاجتماع للسماع واحضار الآلات ونصب الساقى) أى
المناول (فى إدارة السكنجبين) ونحوه من اللبن والماء والقهوة الحادثة المصنوعة من
البن وقشره فانه اذا اجتمع قوم فى مجلس والساقى على قاعدة، يدور بكأس واحد على
جماعته واحداً بعد واحد وفق عادته فانه يحرم السكنجبين وأمثاله للتشبه (بخلاف نحو
الدف) بضم الدال ويفتح (والطبل) أى طبل الحج والغزو، وأما طبل السكوبة
فحرام لانه من شعار الفسقة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين ولعل
هذين لم يكونا من شعار أهل الشرب فى زمنه عليه السلام أو فى أيام المصنف أو ذكره
تبعا للغزالي لجوازه فى مذهبه، وأما اذا كانا من شعار أهل الفسق فينبغى أن يقال
بحرمتهم للتشبه فان العلة مشتركة (ولا المنغنى به قرأنا إذ لا يجوز فيه) أى فى القرآن (مد
المقصور وقصر الممدود) أى فى الجمع عليهما وهما لازمان فى اللغى المندوم (لتوافق
الصوت) عليهما أى بالالحن الفسقية والانغام الموسيقية والا فالصحابة الكرام تبعوا الله

وَلَا النَّهْيُ عَنْ آيَةٍ لَا تُوَافِقُ السَّامِعَ كَأَحْكَامِ الْمَعَامَلَاتِ وَالْحُدُودِ

عليه السلام كانوا يأمرنون في مجلس سماعهم أن يقرأ واحد بصوت حسن ما تيسر من القرآن عملاً بقوله عز وجل: (واذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وقد أخبر الله سبحانه عن حال الانبياء بقوله (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) وعن حال الأولياء من الأصفياء (ان الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا) إلى قوله (يكونون يزيدهم خشوعا) وفي الصحيحين «ان ابن مسعود قرأ على النبي عليه السلام بأمره فلما انتهى إلى قوله (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال حسبك الآن ورأيت عيذه تذرقان أي تسيلان دمعاً» ولمسلم من حديث ابن عمر أنه قرأ (ان تعذبهم فأنهم عبادك) فبكى، ولابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب أنه قرأ عنده (ان لدينا أنكالا وججيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما) فصعق أي بكى بصوت، ولابن داود والنسائي والترمذي في الشمايل من حديث عبد الله بن الشخير «أنه كان يصلي وأصدره أزيز كأزيز المرجل» وأما حديث اختصاص علي وجعفر وزيد بن حارثة في حضانة ابنة حمزة فقال لعلي: أنت مني وأنا منك فغجل وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي فغجل وقال لزيد: أنت اخونا ومولانا فغجل» الحديث فرواه أبو داود من حديث علي وهو عند البخاري دون ذكر الغجل وعلى تقدير صحته فالمراد به إظهار الفرح والسرور بما وقع من المدح في الحضور وان كان الغجل في أصله نوعا من الرقص وهو على رجل واحد فلا ينبغي أن يحمل عليه لقولهم الرقص نوع من النقص، وما أبعد من استدلال على جواز الرقص على الدوام بهذا الحديث الذي وقع ندرة من الصحابة الكرام في مجلسه عليه السلام مع عدم كونه نصا في مقام المرام وقد ورد «ليس منا من لم يتغن بالقرآن وزينوا أصواتكم بالقرآن وزينوا القرآن بأصواتكم» (ولانهي) أي وانما قلنا: لأنه لا يجوز أن يكون المتغنى به قرآنا إذ لا يجوز فيه مد المقصور إلى آخره ولا يجوز الانهي (عن آية) أي عن قراءتها حيث (لا توافق السامع) بالنسبة إلى ماله من الحالات والمقامات (كأحكام المعاملات والحدود) في باب السياسات، وهذا لقصور فهم السامع عن الآيات البيّنات وما يتضمنها من اللطائف والاشارات، وأما العارف فيلاحظ هذه المعاني من جميع المباني كما قاله سبحانه (فبشر

عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) وأما الموحد فينظر الى كلام ربه كأنه يسمع منه فانيا عن غيره فيكون قلبه مطمئنا بذكره ومشتغلا به فكره كما قال تعالى (الابد كر الله تطمئن القلوب) وقال (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقال (إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وقال (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) ومن المقرر أن القرآن أفضل الذكر لاشتماله على ذكر الله باعتبار توحيد ذاته وأنواع صفاته وأصناف حكوماته واجناس أخباره من مبدأ مخلوقاته ومنتهى مصنوعات فالطمانينة وكذا الاقشمرار والخشية ولين القلب والوجل والخشوع من ذكر الله وسمع عمر رجلا يقرأ (إن عذاب ربك لو اقع ماله من دافع) فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا شهرا وروى ان زرارَةَ بن أبي أوفى من التابعين كان يؤم الناس بالركة فقرأ ليلة (فاذا نقر في النافور) فصعق ومات في محرابه، وسمع الشافعي قارئاً يقرأ (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) فغشى عليه وكان السبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلى خلف أمام له فقرأ الامام (ولكن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) فزعق السبلي زعقة ظر الناس أنه قد طارت روحه وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب وسمع رجل من أهل التصوف قارئاً يقرأ (يا أيها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية) فاستعادها من القارىء وقال كم أقول لها ارجعى فليست ترجع وتواجد فزعق زعقة فخرجت روحه وسمع على بن الفضيل قارئاً يقرأ (يوم يقوم الناس لرب العالمين) فسقط مغشيا عليه وسمع بكر بن معاذ قارئاً يقرأ (وأندهم يوم الآزقة) فاضطرب ثم صاح وقال ارحم من أندرتة ولم يقبل اليك بطاعتك بعد الانذار ثم غشى عليه وسمع ابراهيم بن أدهم احداً يقرأ (اذا السماء انشقت) فاضطربت أوصاله وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يقتسل في الفرات فر به رجل على الشط يقرأ (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات وقال بعض الصوفية كنت ليلة أقرأ هذه الآية (كل نفس ذائقة الموت) فجعلت أرددها فاذا هاتف يهتف بي كم تردد هذه الآية فقد قلت أربعة من الجن لم يرففوا رؤسهم الى السماء منذ خلقوا وقال أبو على المغازلى للسبلي ربما يطرق سمعى آية من كتاب الله فاجدنى على الاعراض عن الدنيا ثم أرجع الى أحوالى والى الناس فلا أبقي على ذلك فقال ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك اليه فذلك عطف منه عليك

وَلَا يَجُوزُ ضَرْبُ الْيَدِ وَالْذِّفِّ وَيَنْتَفِي شَاغِلٌ مِنَ الزَّمَانِ كَوَقْتِ الصَّلَاةِ وَالطَّعَامِ
وَالْمَكَانِ كَالشَّارِعِ وَمَا فِيهِ صُورَةٌ قَبِيحَةٌ أَوْ رَاحَةٌ كَرِيهَةٌ ، وَالْإِخْوَانِ كَالْمُتَكَبِّرِ

ولطف منه بك وإذا ردك الى نفسك فهو شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك التبرى من الحول والقوة في التوجه اليه ، وبالجملة لا يتخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن وذکر الرب فان كان القرآن لا يؤثر فيه أصلاً فمثله (كمثل الذي ينقض بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون) (ولا يجوز) أى حيثئذ وهو حال كون المتغنى به قرآناً (ضرب اليد والذف) لان القرآن حق محض فلا يقرن بصورة اللهو كما يشير اليه قوله تعالى (أفن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون) أى مغنون ويدل عليه قوله سبحانه (وقال الذين كفروا لا تأتبعونا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وقوله عز وجل (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) ثم في معنى القرآن كل ما يكون من ذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما يفعله بعض من مشايخ الدين من الجمع بينهما منكر ظاهر لكن خفى على جماعة بحيث يحسبه العامة أنه طريق الصوفية وقد يجتهدون على مثله في المسجد وفي المقبرة وفي الاسواق ومحاضر العشاق والله ولى دينه وناصر دين نبيه وزماننا هذا زمان السكوت وملزمة البيوت لظهور أهل الفساد وغلبة أهل العناد والله رؤف بالعباد وما يؤيد ما قدمنا أنه في البخارى ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يفتن فسمع احداً من تقول وفيما نبي يعلم ما في غد فقال عليه السلام دعى هذا وقولى ما كنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها الى انثناء الذى هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فالفاعلون للجمع بينهما يصدق عليهم قوله سبحانه (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملهم الصالحات) وآخر شيئا عسى الله أن يتوب عليهم) (وينتفى) عطف على أن لا يكون أى وحق السماع أن ينتفى فيه (شاغل) للخطر مما ينافيه (من الزمان كوقت الصلاة والطعام) أى حضوره (والمكان) أى وشاغل من المكان (كالشارع) أى الجادة والاسواق (وما فيه صورة قبيحة أو راحة كريهة) فاهما منفرتان للطبيعة المستقيمة ولتبعد الملائكة عنهما (والايخوان) أى وشاغل من الاخوان الحاضرين (كالتكبر

الْمُحْتَاجِ إِلَى رِعَايَتِهِ ، وَالْمُتَكَلِّفِ الْمَشْغُوشِ بِالرَّقْصِ وَخَرَقِ الثَّوبِ وَالْمُتَزَهِّدِ
 الْمُنْفَسِ فِي الْبَاطِنِ وَعَدِيمِ الذَّوْقِ فِي السَّمَاعِ وَالْجَاهِلِ الْحَامِلِ عَلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ
 تَعَالَى وَالْمُلُوثِ قَلْبَهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَالشَّهْوَةِ وَالْمُتَلَهِّيِّ بِالنِّعْمَةِ وَيَصْنَعِي بِالْحُضُورِ ،
 وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْجَوَانِبِ وَوُجُوهِ الْمُتَغَنِّينَ وَيَشْتَغِلُ بِنَفْسِهِ بِرِعَايَةِ قَلْبِهِ وَمَافَتْحِ عَلَيْهِ
 وَيَجْلِسُ عَلَى هَيْئَةِ الْمُتَأَمِّلِ الْمُسْتَغْرِقِ وَيَحْتَرِزُ عَمَّا يُشْغِي

الاحتياج الى رعايته) خصوصا اذا كان من ذوى الجاه والحكومة (والمتكلف) أى
 من الفقهاء حيث تكلف فى حضوره (المشغوش) فى خاطره (بالرقص) بناء على قول
 بعض السوفية أيضا الرقص من النقص (وخرق الثوب) فانه من ضيق الحال وعدم
 اتساع المجال مع ما فيه من تضيق المال أو المتكلف المتواجد من أهل التصرف المرائى
 بالوجد والرقص وتمزيق الثياب وقد قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب
 والسنة فهو باطل ، وروى أن موسى عليه السلام وعظ فى بنى اسرائيل فمزق واحد
 منهم ثوبه فاوحى الله الى موسى عليه السلام قل له مزق قلبك ولا تمزق ثوبك
 (والمتزهد) أى المتكلف فى الزهد عن الدنيا والرغبة الى العقبى (المنفلس فى الباطن)
 عن محبة المولى (وعديم الذوق فى السماع) بان لا يكون فى طبعه لذة وشوق الى الاسماع
 وقد عد هذا أضل من البهائم فانه حول محسوساته هائم (والجاهل الجامل على ما لا يليق به
 تعالى) فان الصحبة قد تؤثر فى الباطن قبل الظاهر (والملوث قلبه بحب الدنيا) وهذا
 يستغنى عنه بقوله والمتزهد وإنما ذكره لاستيعاب الانواع المخدورة فى مجلس السماع
 (والشهوة) أى وبحب ما يشتهى من الحمدة والثناء (والمتلهي بالنعمة) أى
 المشتغل بمجرد النعمة وما به يتلهى (ويصنعى بالحضور) أى وحق السماع ان يستمع
 بحضور القلب المفيد للسرور ونفى الخاطر المحذور (ولا يلتفت الى الجوانب) أى
 ولا ينظر الى الداخل والخارج من الاقارب والاجانب (ووجوه المتغنين) لانه من
 أبواب الفتور المانع عن الحضور الحاصل بسماهم وكلامهم لا بملاحظة وجوههم
 ومقامهم (ويشغل نفسه) وما يجب عليه من مقام أنسه (برعاية قلبه) عند ذكره
 (ومافتح عليه) من كشف لبه (ويجلس على هيئة التأمل) فى الكلام (المستغرق)
 فى المقام من لجة التغريد ويحر التوحيد (ويحترز عما يشوش) أى عليه وعلى غيره

كَالسَّعَالِ وَالتَّثَاؤُبِ وَالتَّنَكُّرَاتِ كَضَرْبِ الْيَدِ وَتَحْرِيكِ الْأَطْرَافِ وَالرَّقْصِ
وَحَرْقِ الثَّوْبِ إِلَّا إِنْ صَارَ مَغْلُوبًا بَحِثْ لَا يَعْلَمُ بِفَعْلِهِ أَوْ لَا يُطِيقُ الْامْتِنَاعَ عَنْهُ
لَطَرِيَانِ نَحْوِ هَيْبَةٍ أَوْ إِجْلَالٍ أَوْ حَيَاءٍ فَيَعْذُرُ كَمَا غَلَبَ عَلَى عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَامَ
الْحَدِيدِيَّةِ وَيَوْمَ مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَمِيَّةٍ الدِّينِ حَيْثُ أَنْكَرَ الصَّلَاحَ وَالصَّلَاةَ عَلَى
جَنَازَتِهِ وَالِدُعَاءَ وَالْقِيَامَ لَهُ عَلَى قَبْرِهِ

ان أمكن له (كالسعال والتثاؤب) وكذا العطاس فانها من الشيطان (والمنكرات
كضرب اليد) أى على طبق الغناء (وتحريك الاطراف) أى التى هى مقدمة الرقص
المعبر عنه بالوجد (والرقص) نفسه وهو بالقيام ونحوه (وحرق الثوب) أى قطعه
ورميه (الا ان صار مغلوبا) على عقله (بحيث لا يعلم بفعله أو) أى ان كان مجذوبا
(لا يطيق الامتناع عنه لطريان نحو هيبة) أى عظيمة الهيبة (أو اجلال) أى
خوف مع خشية ربانية (أو حياء) من نعم واردة على تواتر زمانية (فيعذر) أى
في هذه الحالات عن مخالفة ظاهر الشريعة من المنكرات (كما غلب على عمر رضى الله
عنه عام الحديدية) بالتخفيف أفصح (ويوم مات عبد الله بن أبي) رئيس المناهقين
(حمة الدين) فاعل غلب أى حمايته ورعايته بحسب ماظهر له من حسن رأيه وفق
عادته (حيث أنكر الصلح) أى عام الحديدية فقال عمر كما فى صحيح البخارى «فانيت
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله ألسنت نبى الله حقا قال بلى قال ألسنا
على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم تعطى الدنيا فى ديننا اذا قال انى رسول
الله ولست أعصيه وهو ناصرى» قال العلماء لم يكن سؤال عمر وكلامه المذكور شكابل
طلبا لكشف ما خفى عليه من الأمر وحثا على اذلاله الكفار ، وظهور الاسلام
وعز أهله الابرار كما عرف فى خلقه وقوته فى نصرة الدين واذلال المبطلين (والصلاة)
أى وأنكر عمر الصلاة (على جنازته) أى على جنازة ابن أبي (والدعاء) أى فى
الصلاة وغيرها (والقيام له على قبره) حيث هم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفعل
هذا كله وقد وافق قول عمر حكم الله حيث نزل (ولا تصل على أحد منهم مات
أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) ولعل مراده عليه
السلام كان لظاهر ما كان يبدى من الاسلام أولئالف ولده فانه كان فى انقياد الاحكام

وَأَبَى طَيْبَةً حَيْثُ شَرِبَ دَمُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ الْحِجَامَةِ لَكِنَّهُ ضُرِبَ تَقْصِيرَ
جَلٍّ قَدْرُ ذَوَى الْكَمَالِ عَنْهُ لَا سِيَّمَا الْأَنْبِيَاءَ فَهُمْ أَصْحَابُ شَرَائِعٍ مُكْمَلُونَ وَيُسَاعِدُ
الْإِخْوَانَ فِي الْقِيَامِ وَرَفَعَ الْعِمَامَةَ إِنْ كَانَ مُعْتَادًا فَالْمُخَالَفَةُ مُوحِشٌ وَالْإِسْرَارُ
بِالْمُسَاعَدَةِ فِيمَا لَمْ يَنْهَ عَنْهُ وَصَارَ

ومنع عمر لما كان يترشح من أبي آثار الكفر والظلام (وأبى طيبة) رضى الله عنه
أى وكما غلب على أبى طيبة حب الاسلام (حيث شرب دمه عليه السلام بعد
الحجامة) تبركا بما برز من باطنه عليه السلام والحديث رواه الدارقطنى وقال
حسن صحيح * وقد وقع شرب بوله ودمه عن جماعة من الصحابة الكرام ولم ينكر
عليهم بل نسب الخير اليهم فقال لواحد صحبة ولاحر لم يمك النار وقد بسطت
عليه الكلام فى سيرته عليه السلام، وقد قال جماعة من العلماء للشافعية: ان
فضلاته عليه السلام طاهرة وأنه من خصوصياته ظاهرة وهو قول امامنا الاعظم
والله أعلم، ومن ذلك ما روى ابن حبان «أن غلاما كان فى بنى اسرائيل على جبل
فقال لأمه من خلق السماء فقالت الله فقال من خلق الأرض فقالت الله فقال من
خلق هذه الغنم قالت الله فقال انى اسمع الله تعالى شأنا ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع»
وهذا كأنه سمع مادل على جلال الله وعظمته وتعام قدرته فطرب لذلك ورمى
بنفسه من هنالك وفى الاحياء «رأيت مكتوبا فى الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وازمرنا لكم
فلم ترقصوا» أقول المعنى بينا لكم الترغيب والترهيب فلم تمشلوا وشوقنا بذكرنا وتفكرنا
فلم تفتنوا (لكنه) أى وصف المغلوبة (ضرب تقصير) أى فيه نوع قصور منه
(جل قدر ذوى الكمال عنه لا سيما الانبياء) وكذا ورثهم من العلماء وأتباعهم من
الاولياء (فهم أصحاب شرائع) أى حقيقة وحكا (مكملون) أى كاملون فى أنفسهم
مكملون لغيرهم لقول عيسى عليه السلام «من علم وعمل وعلم يدعى فى الملكوت عظيما»
أى فينبغى أن يكون فى الملك كريما (ويساعد) أى وحق السماع أن يعاون (الاخوان
فى القيام) فى المجلس (ورفع العمامة) عن الرأس اذا سقطت عمامته (ان كان)
أى التعاون (معتادا) فيما بينهم (فالمخالفة موحش) أى بعدا للحضور (والاسرار)
مبتدا أى وادخال السرور (بالمساعدة فيما لم ينه عنه) أى نهيا صريحا (وصار

مُعْتَادًا بَعْدَ عَصْرِهِمْ حَسَنَةً وَإِنْ كَانَ بَدْعُهُ وَيُخْفَى بِهِ لَثَلًا يَقْتَدِي الْعَوَامُّ بِهِ وَيُظْهِرُ الْمَنَعُ
فَهُوَ يَضُرُّ لِلْعَانَةِ عَلَى الْهَوَى وَيَتَخَلَّفُ الْكَامِلُ الْمَعْرِفَةُ وَالْحُجَّةُ لِلْإِسْتِغْنَاءِ
عَنِ الْمَحْرُكِ الْخَارِجِيِّ

معتادا بعد عصرهم أي بعد انقضاء زمان السلف و انتهاء الأمر الى الخلف (حسنة)
خبر المبتدأ أي مستحسن لما روى عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا «مارأه المسلمون
حسنا فهو عند الله حسن» ولقوله عليه السلام «خافقوا الناس باخلاقهم» رواه
الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (وان كان) أي ما ذكر (بدعة) أي في
نفس الأمر والأولى عدم حضور ذلك المجلس لثلا يحتاج الى خطر الخطير فقد قال
تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) فاجتناب التعاون
على المباح أقرب الى النجاح وعدم الجناح لاسيما قد قال عليه السلام «من أحدث
في أمرنا ما ليس منه فهو رد» أي مردود وقال «كل بدعة ضلالة فعليك باتباع السنة
وترك البدعة» نعم البدعة المحذورة ما تزامم السنة الماثورة ولم يقع نهى عن الصور
المذكورة (ويخفى به) أي وحق السماع بالنسبة الى المقتدى أن يخفى بالسماع (لثلا
يقتدى العوام به) في جواز مطلق الاستماع وعموم أنواع السماع (ويظهر المنع)
أي للعوام (هو يضر) الأكثر (للاعانة على الهوى) أي لغلبة هوى النفس حتى على
المبتدئين من المريدين (ويتخلف الكامل المعرفة) أي في لبه (والحجة) لربه
عن مجالس التفتي والسماع في غالب أمره (للاستغناء) أي لاستغناء الكامل في مقام
الفناء والبقاء (عن المحرك الخارجى) من سماع الغناء لما أشار اليه الصديق حيث
رأى الأعراب يقدمون ويسمعون القرآن فيكون فقال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا
أي اشتدت وقويت لتحمل ما نزل بنا وقيل للجند ما بالك تركت السماع فقال (وترى
الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وقال بعضهم صحبت سهل بن عبد الله
ستين سنة فما رأيته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان في آخر
عمره قرأ رجل بن يديه (قال يوم لا يؤخذ منكم فدية) الآية فرأيته قد ارتعد وكاد
يسقط فلما عاد على حاله سأله عن ذلك فقال نعم يا حبيبي ضمنا وكذلك سمع مرة
قوله تعالى (الملك يومئذ الحق للرحمن) فاعطرب فسأله ابن سالم وكان من أصحابه
وقال قد ضعفت قليل وان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال لا يرد عليه

إِلَّا بَنِيَّةُ الْأَسْرَارِ بِالمُسَاعَدَةِ وَتَعْلِيمِ ضَبْطِ الْجَوَارِحِ مَعَ كَيْلِ الْحَالِ ، وَالْأَسْلَمُ
الاجْتِنَابُ عَنْ مُطْلَقِ السَّمَاعِ لِمَسْكَانِ الْاِخْتِلَافِ وَنَدْرَةِ تَحَقُّقِ الشُّرُوطِ لِدَقَّةِ
مَكَاثِدِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ *

وارد الا وهو يتعلمه بقوة حاله ، وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم
اذ فضل العلم اتم من الوجد (الابنية الاسرار) أى ادخال السرور فى قلوب اصحاب
مجلس التغنى بشروطه (بالمساعدة) فى الموافقة وترك المخالفة بالماعدة (وتعليم) أى
والابنية تعليم (ضبط الجوارح) من الاقوال والافعال (مع كمال الحال والاسلم)
فى جميع الاحوال والافعال (الاجتناب عن مطلق السماع) ولو بشروطه مع
الاصحاب (لمسكان الاختلاف) أى فى هذا الباب والصوفى طريقه اختيار
الغزينة دون الرخصة والخروج عن الخلاف مستحب بالاجماع ومنه السماع
المشهور فى الاسماع (ونادرة تحقق الشروط) فى غالب مجالس الاستماع (لدقة
مكائد النفس) أى هواجسها (والشيطان) يحملها على وساوسها ، وما احسن قول
الحصرى ماذا اعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى أن السماع من الله
هو الدائم فالانبياء وكل الاولياء فى اذنة السماع على الدوام فلا يحتاجون الى تحريك
كلامهم ، وقال بعض المشايخ الكرام ليتنا نجونا من هذا المماع رأسا برأس . وقال
أبو القاسم النصر ابادى لابي عمرو بن نجييد أنا أقول اذا اجتمع القوم فيكون منهم
قوال يقول خيرا من ان يغتابوا فقال أبو عمرو الرباء فى السماع وهو أن ترى من نفسك
حالا ليس فيك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الباب العاشر)

(في الأناة والعجلة والحلم والعفو والنصيحة والحقد)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الأناةُ معنى باعثٌ على الاحتياط في الأمور، والثاني اتباعها بعد الدخول فيه والتوقف قبله، وضدها العجلة وهي باعثٌ على الإقدام بأول خاطر، والاستعجال اتباعه، وورد العجلة من الشيطان إلا في تزويج البكر وقضاء الدين وتجهيز الميت وقرى الضيف *

الأناة بفتح الهمزة اسم لضد العجلة، والحلم التحمل، والعفو التجاوز، والنصيحة إرادة الخير للنصوح له، والحقد بالكسر العداوة بالقلب ويتج نحو الحسد والغضب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الذي يستعان به على كل خلق كريم ويستعاذ به من كل طبع ذميم ﴿الأناة معنى﴾ أي خلق باطن ﴿باعث على الاحتياط في الأمور﴾ أي المتعلقة بالحكم الخارجي وهو إرادة إتمام الأمور على وجهها بحيث لا يفوت شيء من حقها ﴿والثاني﴾ مصدر من باب التفعّل وتأوّه للطلب أو التكلف ﴿اتباعها﴾ أي تتبع تلك الأمور ﴿بعد الدخول﴾ أي دخول الإنسان ﴿فيه﴾ أي في حال الدخول قبل الدخول، وضده التعسف في الحصول ﴿والتوقف قبله﴾ أي ويقال له التوقف ﴿وضدها﴾ أي الأناة ﴿العجلة وهي﴾ أي العجلة معنى ﴿باعث على الإقدام﴾ أي إقدام الإنسان على الأمور ﴿بأول خاطر﴾ من غير تأمل وتفكر ﴿والاستعجال اتباعه﴾ أي تتبع ذلك الباعث من غير تأخر ﴿وورد العجلة من الشيطان﴾ أبو يعلى من حديث أنس بلفظ «الثاني من الله والعجلة من الشيطان» والترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ «الأناة من الله» ﴿الأي تزويج البكر﴾ أي خصوصاً إذا بلغت ووجدت لها كفواً ﴿وقضاء الدين﴾ ولو كان مؤجلاً ﴿وتجهيز الميت﴾ إذا كان ميسراً ﴿وقرى الضيف﴾

والتَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ وَأَفَاتُهَا الْحَرَمَانُ فَمَنْ اسْتَعْجَلَ نَيْلَ مَنْزِلَةٍ أَوْ إِجَابَةَ دَعْوَةٍ قَبْلَ الْوَقْتِ بَتَرَكَ مَلَالَةً أَوْ مُكَافَأَةً ظَالِمٍ يَبْطُلُ بِالْدُّعَاءِ عَلَيْهِ وَاقْتِحَامُ الشُّبْهَةِ فَاصِلُ الْوَرَعِ النَّظَرُ الْبَالِغُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

اذ حسنه ان يكون معجلا لقوله تعالى : (فما لبث أن جاء بمعجل حنيد) ففيه الدلالة على المبادرة بالعبارة والاشارة (والتوبة من الذنب) إذ يجب ان تكون في الحال فان اكثر عذاب أهل النار من تسويفهم في القال ويستثنى أيضا الصلاة اذا دخل وقتها فان في التأخير آفات (وآفاتهما) أي المعجلة اشياء منها (الحرمان) من المطلوب (فمن استعجل نيل منزلة) من مال أو جاه أو لذة أو مقام أو حال أو مرتبة (أو اجابة دعوة بل الوقت) أي المقدرها فان الامور مرهونة بأوقاتهما (بترك ملالة) أي بترك المستعجل طلب تلك المنزلة والدعوة من جهة الملالة فيكون سبب الحرمان عن وصول تلك الحالة لا محالة ، أو يغلو ويبالغ في الجهد واتعاب النفس فينقطع عن الطريق فهو بين افراط وتفریط وظلما نتيجة الاستعجال ، وقد ورد برواية البزار والحالم واليهي وغيرهم ان ديننا هذامتين فاوغل فيه يرفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى « والمنبت الذي انقطع به في سفره وعطبت راحلته ، والفعل انبت مطاوع به من البت وهو القطع . وفي المثل السائر ان لم تستعجل فصل : ولبعضهم بقوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل فيفترو ويسأم ويترك الدعاء فيحرم حاجته قال تعالى : (لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشرف فيؤوس قنوط) (أو مكافأة ظالم) اما منصوب عطفا على نيل منزلة أو مجرور عطفا على منزلة (يبطل) اجره اعدم صبره (بالدعاء عليه) أي على الظالم وذلك بان يظلمه انسان فيغيظه ويدعو عليه وربما يتجاوز عن الحد فيقع في المعصية والهلاك ، قال تعالى : (ويدع الانسان بالشرد دعاه بالخير وكان الانسان عجولا) (واقتحام الشبهة) أي ومن آفات العجلة دخول الشبهات المورثة للسينات (فاصل الورع) أي أساسه الذي عليه مدار الشرع (النظر البالغ في كل شيء) أي من الاصل والفرع الذي هو بصده من اكل وشرب ولام وغيره ، فاذا كان الرجل مستعجلا في أموره غير متأن ولا متثبت عند صدورهما فيميل الى كل طعام وكلام فيقع في شبهة أو حرام . وكذا في سائر المرام فيفوته الورع الذي عليه مدار أحكام الاسلام ، وقد ورد اخبار وآثار في فضل الرفق الذي عليه مدار حسن الخلق في معاشرته الخلق . ففي صحيح مسلم

وَالْأَفْرَاطُ فِي الْغَضَبِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَوَرَدَ الْغَضَبُ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ
الْعَسَلَ وَهُوَ غَلِيَانٌ دَمُ الْقَلْبِ لَطَلَبُ الْإِتْقَامِ وَالْمَحْمُودُ الْإِعْتِدَالُ

من حديث عائشة « أن الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطى على العنف » وفي
الصحيحين من حديثها « يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله » ولمسلم من حديث جرير
« من يحرم الرفق يحرم الخير » أي طه كافي رواية أبي داود . وللطبراني في الأوسط
من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب كلاهما من حديث عائشة « الرفق يمن
والخرق (١) شؤم » ولابن المبارك في الزهد من حديث أبي جعفر مرسله « إذا أردت أمرا
تدبر عاقبته فإن كان رشدا فامضه وإن كان سؤيا ذلك فاته » وعن الحسن « المؤمن
وقاف (٢) متان وليس كحاطب ليل ، ثم العنف وإن كان محمودا في بعض الأحوال ولكن
الاحتياج إلى الرفق أقوى في أكثر الأفعال والأقوال ، ومن هنا قال سفيان لاصحابه :
أندرون ما للرفق ؟ قالوا قل يا أبا محمد ، قال : أن تضع الأمور في مواضعها : الشدة في
موضعها ، واللين في موضعه ، والسيف في موضعه ، والسمط في موضعه . وفيه تنبيه نبيه
على أنه ينبغي مزج الغلظة باللين والعنف بالرفق كما قيل :

ووضع الندي في موضع السيف بالعلاء أي بأمله * مضر كوضع السيف في موضع الندي
أي العطاء : وعن أبي عون الانصاري ما تكلم الناس بكلمة صعبة الأولى جانبها
كلمة اللين منها تجرى مجراها (والأفراط) أي ومن آفات العجلة الاكثر والمبالغة
(في الغضب وهو) أي الغضب أو إفراطه (مذموم) أي شرعا وعرفا (فورد)
أي برواية الطبراني والبيهقي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده (الغضب يفسد
الإيمان) أي كاله أو يطفئ نوره أو يمنع ظهوره (كما يفسد الصبر العسل) وهو
يفتح الصاد وكسر الباء عصارة شجرة مرة ، وعن أبي هريرة « أن رجلا قال : يا رسول
الله مرني بعمل واقلل قال : لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب ، رواه البخاري .
ومن هنا قيل لابن المبارك : أجل لنا الخلق الحسن في كلمة ، قال : ترك الغضب . وعن
عكرمة في قوله تعالى : (وسيدوا وحسورا) قال : السيد الذي لا يقبله الغضب . وقد قيل
الغضب غول العقل (وهو) أي الغضب (غليان دم القلب لطالب الانتقام والمحمود)
من الغضب (الاعتدال) كسائر الأخلاق والأحوال . فلا يهتفي في الشعب مرسله « خير

وَهُوَ الضَّبْطُ تَحْتَ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ فَالتَّفْرِيطُ مَذْمُومٌ كَالْإِفْرَاطِ فَرَدَّ (أَشَدُّهُ
عَلَى الْكُفَّارِ وَلَا تَأْخُذُكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) وَقَلْعُهُ فِي زَوَالِ مَا اسْتَفْنَى عَنْهُ
يُمْكِنُ لَأَمَّا احْتِيجَ إِلَيْهِ كَطَعَامٍ يَسُدُّ جُوعَهُ وَثَوْبٍ يَسْتُرُ عَوْرَتَهُ وَبَيْتٍ يُوَارِيهِ
وَكِتَابٍ يُطَالَعُهُ لَصُعُوبَةِ تَفْرِيعِ الْقَلْبِ عَنْ حُجَّتِهَا

الأمور أو سطوها (وهو) أي الاعتدال (الضبط تحت الشرع والعقل) بأن لا يكون فيه
تفريط ولا إفراط ، فيغلب حيث وجبت الحجة الشرعية ، وينطفئ حيث يحسن الحلم
في القضية الفرعية (فالتفريط) أي يفقد الغضب أو ضعفه (مذموم) وهو الذي
يقال فيه : أنه لاجبة له ، ولذا قال الشافعي : من استغضب فلم يغضب فهو حمار ،
ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان (كالإفراط) أي كما أن الإفراط بالتجاوز عن الحد
مذموم قال تعالى : (اذ جمل الذين كفروا في قلوبهم الحية حية الجاهلية فانزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) ذم الكمار بما تظاهروا به من الحية الصادرة من
الغضب بالباطل ، ومدح المؤمنين بما أنعم الله عليهم من السكينة (فورد) في مدح
الاعتدال قوله تعالى (أشداه على الكفار) تمامه (رحما بينهم) وكذا قوله
(أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وقد قال تعالى لنبيه عليه السلام (بأيتها
النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم) (ولا تأخذنهم من أي بالزاني والزانية
في أحدهما) (رأفة في دين الله) أي شدة رحمة وهو دليل الذم التفريط ، وقال عليه
السلام «خير ما أتى أحدناؤها» يعني في الدين ، رواء الطبراني والبيهقي عن علي (وقلعه)
أي قطع الغضب ورفع (في زوال ما استغنى عنه) كالجاه والمال الكثير والغلمان
والدواب (يمكن) إذ ليست هذه الأشياء ضروريات لاحد من الخلق فيمكن رفعها بالرياضة
والمجاهدة العلية والعملية (لا) أي لا يمكن قلعه في زوال (ما احتيج إليه) أي ولا
يستغنى عنه بحال (كطعام يسد جوعه) من قوت يومه وليته (وثوب يستر عورته)
ويصح صلاته (وبيت يواريه) أي يستريح حاله ويدفع برودته وحرارته (وكتاب
يطالعه) وفي معناه كل آلة بها يكتسب صاحبها ، والاخير من ضروريات بعض افراد
الناس (لصعوبة تفريع القلب عن حجبها) أي عن حب هذه الأشياء بحكم الطبيعة ،
فانه لا يمكن قلعه بالرياضة ولا كلف احدها في أبواب الشريعة ، وقد أشار إليه

الَّا لِمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ فَبَرَى الْخَلْقَ مُسَخَّرِينَ لِلْحَقِّ كَالْقَلَمِ لِلْكَاتِبِ، وَفِيهِ
يَتَصَوَّرُ الْكُسْرُ بَأَنَّ لَا يَظْهَرُ الْأَثَرُ

صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله « من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يوم فكأنما حيزت له الدنيا » أى جمعت له لذاتها . الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله ابن محسن . وقال الترمذى . حسن غريب : ورواه الطبرانى فى تاريخه . والكلى بدون زيادة بحذافيرها « (الامن غلب عليه التوحيد) فلا يغضب على تفويت هذه الاشياء لما عنده من المقام السديد وحال الفناء . (فيرى الخلق مسخرين للحق) القاهر الغالب (كالقلم للكاتِب) لكن غلبة التوحيد الى هذا الحد فى مقام التفريد انما يكون كالبرق الخاطف يقع فى أحوال نادرة مع الرب ثم يرجع القلب الى الوسائط رجوعاً طبعياً لا يندفع عنه ، ولو تصور ذلك على الدوام لاحد من الانام لتصور لرسوله عليه السلام فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه ، ويقول « انما أنا بشر اغضب بما يغضب البشر » وفى الصحيحين ، وفى رواية « فابما مسلم سيئته أولعنته أو ضربته فاجعلها منى صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة » (وفيه) أى فيما احتيج اليه (يتصور الكسر) أى كسر النفس (بان لا يظهر الاثر) أى اثر الغضب فى البشرة لا قلم الغضب بالمرّة لانه غير مقدور للبشر . وعن علي كرم الله وجهه « كان عليه السلام لا يغضب للدينا فاذا اغضبه الحق لم يقربه احد ولم يقم لغضبه شئ . حتى يتصر له » رواه الترمذى فى الشمائل . وفى صحيح مسلم عن عروة « ان عائشة حدثته ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآ له وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال مالك يا عائشة اغرت ؟ فقلت : وما لى لا يغار مثلى على مثلك ، فقال ﷺ : لقد جاءك شيطانك ، قالت يا رسول الله اومع شيطان . قال نعم ، قلت ومع كل انسان . قال نعم ، قلت ومعك يا رسول الله ؟ قال نعم ولكن ربي اعاننى عليه حتى اسلم فلا يأمرنى بالخبير ، وفى الاحياء اراد شيطان الغضب . والمعنى انه لا يحتملنى على الشر ، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص « يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت فى الغضب والرضا . قال اكتب فوالذى بعثنى بالحق ما يخرج منه الا حق » و اشار الى لسانه « فلم يقل انى لا اغضب ، ولكن قال ان الغضب لا يخرجنى عن الحق ولا اعمل بموجب الغضب . والحديث رواه أبوداود باسناد صحيح وهو متضمن لما فى قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) وقوله سبحانه : (قل انما أنا بشر

وَالسَّبَبُ الْكِبَرُ وَالْعُجْبُ وَالْمَرَحُ وَالِاسْتِهْزَاءُ وَالِإِيْذَاءُ وَالْحِرْصُ فِي الْفُضُولِ
وَعِلَاجُ كُلِّ فِي مَوْضِعِهِ

مثلكم يروحى الى) أى التمييز بينى وبينكم بوقوع الوحى الى دونكم •
هذا وقد يفقد أصل الغضب فيما هو ضرورى اذا كان القلب مشغولا بضرورى ام
منه ، فلا يكون فى القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره ، فان استفرق القلب ببعض
المهمات يمنع الاحساس باعدادها ولولادت من الضروريات ، ومن هنا شتم سلمان قال :
ان خفت موازىنى فانا شر مما تقول ، وان ثقلت موازىنى فلا يضرنى ما تقول . فقد كان همه
مصرفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالثتم ولم يصرسيا لغضبه ، وكذلك شتم الربيع بن
خيثم فقال : يا هذا سمع الله كلامك ، وان دون الجنة عقبة ان قطعته لم يضرنى ما تقول ، وان
لم اقطعها فانا شر مما تقول ، وقيل للبسطامى : لحيتك أفضل أم ذنب الكلب ؟ فقال : ان
مت مؤمنا فلبحيتى والا فذنب الكلب فكان همه حسن الخاتمة ، وشم رجل أبا بكر الصديق
فقال : ما ستر الله عنك اكثر ، فكانه كان مشغولا بالنظر فى تقصير نفسه عن أن يتقى الله حق
تقائه ويعرف الله حق معرفته ، فلم يفض به نسبة غيره اياه الى نقصان فى امره ، اذ كان ينظر
الى نفسه بعين النقصان وذلك لكىال قدره . وقالت امرأة لك بن دينار : يا مرأتى ، فقال
ما عرفنى غيرك ، فكانه كان مشغولا بان ينفى عن نفسه آفة الرياء ليلص الى حالة الاخلاص
ومقام البقاء بعد الفناء ، وسب رجل الشعبي فقال : ان كنت صادقا فغفر الله لى وان كنت
كاذبا فغفر الله لك (والسبب) أى باعث الغضب ستة أشياء (الكبر والعجب والمزاح
والاستهزاء والايذاء) أى بالتعير والمراء (والحرص) أى شدة الميل (فى الفضول)
اى زيادة المسال والجاه ، وهى باجمعهما اخلاق ردية واحوال دنية مذمومة فى امور
شرعية واحكام فرعية . ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب ، فلا بد من ازالها
باضدادها المعروفة فى الباب (وعلاج كل) اى من الكبر ونحوه (فى موضعه) اى
يأتى مفصلا ، واما مجملا فهو بان يمت الكبر بالتواضع ، ويمت العجب بمعرفة النفس
اذا كان بالعلم والعمل ، واما اذا كان بالنسب المجرد فبمعرفة ان بنى آدم جنس واحد ،
وان الشرف بالفضائل . والفخر والعجب من اكبر الرذائل ، ويمت المزاح بالاشتغال
بالمهمات الدينية والامور الاخرى ، ويزيل الهزل بالجد ، ويمت الباطل بالحق لقوله
تعالى : (انه لقول فصل وما هو بالهزل) ويزيل التعير بالاشتغال بعيوب نفسه فورد

وَبِالْأَجْمَالِ التَّوَضُّؤُ وَالْتَعَبُدُ وَالْقَعُودُ وَالْإِتِّكَاءُ وَالْاضْطِجَاعُ

وطوبى لمن شغله عيه عن عيوب الناس ، ومن عير أخاه بذنب لم يمت حتى يبتلى به ، ويزيل الحرص على مزايا العيش بالقناعة والاشتغال بالعبادة على قدر الاستطاعة فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة ، مع ما في القناعة من الاستغناء والترفع عن ذل الحاجة . ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالمادة مألوفة هينة سديدة ، فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وظهرت عن هذه الرذائل واتصفت بمحامد الفضائل وكمكارم السمائل .

والحاصل ان الغضب انما هو لضعف النفس ، فالمرضى أسرع غضبا من الصحيح والمرأة أسرع غضبا من الرجل ؛ والصبي أسرع غضبا من الكبير ، والشيخ الضعيف أسرع غضبا من الكهل ، وذو الخلق السيء . والرذائل أسرع غضبا من صاحب الفضائل ، فالرذل يغضب لشهوته عند فرت لقمته ، ولبخله عند فوت حبه . وصاحب الفضل يملك نفسه عند غضبه وحدته ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة : « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » وهو الذي ذكرناه : علاجه بتفصيل الاحوال (وبالأجمال) علاجه اثنا عشر (التوضؤ) والاغتسال أتم . ففي الحديث « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فان الغضب من النار » أبو داود من حديث عطية السعدي : وفي رواية أخرى « ان الغضب من الشيطان ، وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ » وروى « أن عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال : ان الغضب من الشيطان » وهذا يذهب الغضب في الجملة (والتعبد) أى بالصلاة ونحوها ، وفي نسخة التغسل وهو الظاهر فيكون في الأصل تصحيف وتحريف اذ لم يرد فيه حديث شريف بخلاف الاغتسال فقد أخرج ابن عساكر من حديث معاوية « الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار والماء يطفى النار فاذا غضب أحدكم فليغتسل » ومن جملة العلاج السكوت فعن ابن عباس مرفوعا « اذا غضبت فاسكت » رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي في شعب الايمان (والقعود) أى الجلوس اذا كان قائما (والاتكاء) اذا كان جالسا (والاضطجاع) اذا كان متذنا فللترمذى من حديث أبي سعيد « ان الغضب حجرة في القلب الم تروا الى انتفاخ أوداجه وحرمة عينه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليتم » (أى فليضطجع) فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل

وَالصَّاقُ الْخَدَّ بِالْأَرْضِ فَالْكُلُّ مَرَوِيٌّ مَأْمُورٌ بِهِ مُعَلَّلًا بِأَنَّهُ جَمْرَةٌ

فان النار لا يطفئها الا الماء ، ولا بن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة كان عليه السلام « اذا غضب وهو قائم جالس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه » ولا احمد باسناد جيد « وكان أبو ذر قائما فجلس ثم اضطجع » فقيل له : لم جلست ثم اضطجعت ؟ فقال : ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا : اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع ، والمرفوع عند أبي داود بسند فيه انقطاع . والاضطجاع غاية السكون ، فان سبب الغضب الحرارة ، وسبب الحرارة الحركة ، والظاهر عنوان الباطن ، ويستعان بكل منهما على الآخر كما حقق في طهارة الظاهر والباطن ، وقد ورد « ان أبا ذر قال لرجل يا ابن الحراء في خصومة بينهما وفي رواية يا ابن الخضر فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : يا أبا ذر بلغني انك اليوم غيرت رجلا بأمة قال نعم ، فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم انك لست بأفضل من أحر فيها ولا أسود الا أن تفضله بعمل ، ثم قال : اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد ، وان كنت قاعدا فاتكى . وان كنت متكئا فاضطجع » رواه ابن أبي الدنيا باسناد صحيح . وفي الصحيحين من حديثه قال « كان بيني وبين رجل من اخواني كلام وكانت امه أعجمية فغيرته بأمة فشكا إلى النبي ﷺ فقال : يا أبا ذر انك امرؤ فيك جاهلية » ولا احمد أنه عليه السلام قال له : « انظر فانك لست بخير من أحر ولا أسود الا أن تفضله بتقوى » ورجاله ثقات (والصاق الخد بالأرض) فعن أبي سعيد الخدري مرفوعا « الا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم لا تروى الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فن وجد من ذلك شيئا فليصق خده بالأرض » الترمذي وحسنه . وكان هذا اشارة الى تمكين اعز الاعضاء من اذل الاشياء لتستشعر به النفس المذلة وتزيل عنها الزهو والعزة ، وإيحاء الى ان من أوله وآخره التراب لا يصلح له الغضب في باب من الابواب ، والى قول بعض اولى الالباب : ما للتراب ورب الارباب والله أعلم بالصواب ، وقال عروة بن محمد لما استعملت على العين قال لي أبي : أوليت ؟ قلت نعم ، قال : فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما (فالكل مروي) اى فعله فاقدمنا (مأمور به) كما بينا . والمعنى انه جمع فيه بين العمل والقول (معللا) وفي نسخة معلل (بانه) اى الغضب (جمرة) أى حرارة غريزية أو

فِي الْقَلْبِ بِدَلِيلِ حُمْرَةِ الْعَيْنِ وَاتِّفَاحِ الْأَوْدَاجِ وَالِاسْتِعَادَةِ وَالِاسْتِعَاذَةَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالْعِلْمُ بِثَوَابِ الْحِلْمِ وَالتَّحْلُمِ فُورِدَ (وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ) أَيِ الْمُتَحَلِّينَ وَ«مَنْ كَفَّ اللَّهُ غَيْظَهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ» إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيَدْرِكُ بِالْحِلْمِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ

حادثة عرضية تتوقد ﴿في القلب بدليل حمرة العين﴾ أي حينئذ ﴿واتفاح الأوداج﴾ أي عروق الرقبة. وقد سبق به الرواية وتحققت فيه الدراية ﴿والاستعادة﴾ أي ومن جملة العلاج العودة إلى الحالة الأولى بعد التغير عنها إلى الحالة الثانية ﴿والاستعاذة﴾ أي التعمد بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ ، وهو متفق عليه من حديث سلمان بن صرد ، قال : كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستانبان فاحدهما احمر وجهه وابتفخت أوداجه فقال عليه السلام. لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد الحديث . ولابن عدي من حديث أبي هريرة ، اذا غضب الرجل فقال : أعوذ بالله سكن غضبه ، ولابن السني في اليوم واليلة . من حديث عائشة ، كان عليه السلام اذا غضبت عائشة أخذ بانفها وقال يا عويش قولي : اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن، ﴿والاستعاذة بالله تعالى﴾ أي بحوله وقوته في دفع غضبه وشدة حدته ﴿والعلم بثواب الحلم والتحمل﴾ عطف على العلم لا الحلم أي ومن العلاج التكلف في الحلم فانه محمود أيضاً وللطبراني «انما العلم بالحلم والحلم بالتحمل» ﴿فورد﴾ في التنزيل ﴿والكاظمين الغيظ﴾ أي المتحلين وذلك في معرض مدح المتقين من المؤمنين ، وتماهم ﴿والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ وللطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث أنس ﴿من كف الله غيظه كف الله عنه عذابه﴾ ولابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر «من ملك غضبه وقاه الله عذابه» ولابن أبي الدنيا من حديث علي «أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحلکم من عفا عند المقدرة» ﴿ان المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم﴾ أي بالنهار ﴿القائم﴾ أي بالليل رواه الطبراني في الأوسط . ولابن السني من حديث أبي هريرة «اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم» وفي الصحيحين «يا أشج ان فيك خلقين يحبهما الله الحلم والاناة» وللطبراني من حديث فاطمة «ان الله يحب الحي الحليم» ولابن ماجه باسناد جيد من حديث ابن عمر «ما جرع عبد جرعة أعظم أجرام جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله» زاد ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس «وما كظمها عبد الا ملأ الله قلبه إيماناً» وقال أيوب : حلم ساعة يدفع شراً كثيراً .

وَشِدَّةَ غَضَبِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتَهُ وَفَضِيحَةَ الْآخِرَةِ وَتَشْبِيهِ الْحَلِيمِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ
وَالْغَضُوبِ بِالسَّبْعِ الضَّارِي وَقُبْحِ هَيْئَتِهِ

واجتمع سفيات الثورى وفضل بن عياض فتذاكرا واجتمعا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع ، وقال رجل لعمر : والله ما تقضى بالعدل ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ألم تسمع أن الله قال : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وهذا من الجاهلين ، فقال عمر صدقت ، وكأنا ذات نارا فاطفئت (وشدة غضبه تعالى وقدرته وفضيحة الآخرة) أى والملم بها فانها تكون سببا لاطفاء نار الغضب وتسكينها عن اللهب ، فيخوف نفسه بعقاب الله بأن يقول : قدرة الله على أعظم من قدرتى على هذا الانسان ، فلما مضيت غضبى عليه لم آمن أن يمضى الله غضبه على يوم القيامة أحوج ما أكون الى العفو والمرحمة ، وقد قال تعالى في بعض الكتب المتقدمة : يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أحقك فيمن أحق « وبعت رسول الله ﷺ وصيفا الى حاجة فابطأ عليه ، فلما جاءه قال : لولا القصاص لأوجعتك ضربا » أى خوف القصاص فى القيامة أبو يعلى من حديث أم سلة بسند ضعيف . ولاحمد من حديث عبد الله بن عمر . « وسأل رجل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ما يبعدنى من غضب الله قال لا تغضب » (وتشبيهه الحليم بالأنبياء) فورد ، كذا الحليم ان يكون نبيا ، وقدمه الله سبحانه خلية بانه حليم ، وكذا بشره بغلام حليم (والاولياء) أى باتباع الانبياء من الاصفياء فقد ورد العلماء ورثة الانبياء . وصد ذلك من حال الاكراذ والاتراك والجهلة والاغبياء (والغضوب) أى وتشبيه كثير الغضب (بالسبع الضارى) أى الصائل المادى من الأسد ونحوه ، فهو من اخلاق البهائم والكلب الهائم (وقبح هئته) أى بتغيير صورته حال غضبه وشدة حدته بان يتفكر ويتذكر صورة غيره حال غضبه وتغيير لونه وشدة رعدته فى اطرافه واكتافه ، وخروج افعاله عن ترتيبه ونظامه من اضطراب الحركة فى اعضائه وكلامه ، حتى يظهر الزبد على الاشدق وتحمر الاحداق وتقلب المناخر ، وتستحيل الحلقة فى المظاهر . ولورأى الغضبان نفسه فى حال غضبه وقبح صورته لسكن غضبه من قبح هئته واستحالة خلقته ، وقبح باطنه اعظم من ظاهره . وهذا التغير فى جسده . واما اثره باللسان فانطلاقه بالشم والفحش وقبح الكلام الذى يستجى منه

وَالْعَجْزِ عَنِ الْغَلْبَةِ عَلَى مُرَادِهِ تَعَالَى وَاتِّقَامِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ، وَحُدُوثِ الذُّنُوبِ
لَاخِذِ اللِّسَانِ فِي الْفُحْشِ وَالسَّبِّ، وَالْجَوَارِحِ فِي الضَّرْبِ وَالْجَرْحِ وَالْقَتْلِ
وَالْقَلْبِ فِي الْحَقْدِ وَهُوَ ذَمِيمَةٌ فَاحِشَةٌ فُورِدَ «الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِمَحْقُودٍ»

ذو العقل ، ويستحي منه قائله أيضا عند قنور غضبه ، وذلك مع تخطئ لفظه او
اضطراب لفظه . واما أثره على الاعضاء فالضرب والهجم والتريق والجرح والقتل
عند التمكين من غير مبالاة ، فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب لذه وعجز
عن التشفى اليه رجع الغضب على نفسه بتمزيق ثوبه ولطم وجهه ، وقد يضرب يده على
الارض أو جدره ويمدو عدو الواله والسكران في مشيه ، وربما يسقط صريعا لا يطبق
العدوسريعا ، وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض ويكسر
المائدة ويتعاطى افعال المجانين ؛ فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول لها متى الى متى منك
يا هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا ، حتى ربما رفته دابة فيرفس ه والدابة
ويقابلها بذلك ، وربما قتل نفسه يده اما بآلة أو بشنق أو برمي في بحر ونحوه
(والعجز) أى والعلم بالعجز (عن الغلبة على مراده تعالى) فالله غالب على أمره ،
وهو القاهر فوق عباده . فان الغضبان يودجريان الشئ . على وفق مراد نفسه دون مراد ربه ،
ومن وقع في هذه الورطة وبأبه باه بغضب من الله وعذابه ، ونعم ما قيل :
تود النفس ان تلقى مناهها . ويأبى الله الا ما يريد

فيفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فكمن مسلما لامره ان كنت من المريد الطالب للمقام
المزید (واتتقام المغضوب عليه) أى فيحذر نفسه عاقبة الانتقام من تسلط المغضوب
عليه على اظهار معائبه والشماتة بمصائبه (وحديث الذنوب) أى انواع المعصيان (لاخذ
اللسان في الفحش والسب) للانسان (والجوارح في الضرب والجرح والقتل) ما سبق
في معرض البيان (والقلب في الحقد) فان الغضب اذا لزم كظلمه لعجز عن التشفى في
غيظه رجع الى باطنه واحتقن فيه فصار حقدًا ، لحينئذ يلزم قلبه اشتغاله ويحسده في حسن
حاله ، ويظهر الشماتة بمصائبه . والحزن بمسرتة ، والعزم على افشاء سره وهتك ستره
والاستهزاء به في قوله وفعله وجميع أمره (وهو) أى الحقد (ذميمة) أى خصلة
مذمومة (فاحشة) أى متجاوزة عن الحد لاشتغاله على سيئات متعدية عن الحد (فورِدَ
المؤمن) أى الكامل (ليس بمحقود) فعول بمعنى فاعل ، أى ليس بذى حقد ، وليس

وَالْعَلَّاجُ قَلْعُ الْغَضَبِ وَذِكْرُ مَاوَرَدَ فِي الْعَفْوِ مِثْلُ (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ - خُذِ الْعَفْوَ - وَإِنْ تَعَفُّوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) وَهُوَ اسْقَاطُ حَقٍّ وَجَبَ أَمَّا قَوْلُ أَبِي ضَمْضَمٍ
اللَّهُمَّ تَصَدَّقْ بِعَرْضِي عَلَى عِبَادِكَ فَوَعْدٌ وَعَلَيْهِ الْوَفَاءُ

بمبالغ في الحقد ، والحديث في الاحياء ، وقال مخرجه لم اقبله على اصل (والعلاج) اي علاج الحقد (فلم الغضب) أي الذي سبب الحقد الباعث على الحسد ونحوه (وذكر ماورد) أي من الفضائل في الكتاب والسنة (في العفو مثل والعافين عن الناس) وتماه (والله يحب المحسنين) والطبراني في مكارم الاخلاق من حديث أنس إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجره على الله فيدخل الجنة قيل من ذا الذي أجره على الله؟ قال العافون عن الناس ، وهو مستفاد من قوله : (فمن عفو وأصلح فأجره على الله) ولا حمد والحاكم وصححه « ان الله عفو يحب العفو » فالمتخلق باخلاق الله له شأن عظيم عند مولاه (خذ العفو) تماه : (وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وورد في تفسير العفو « ان تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عن من ظلمك ، (وان تعفوا أقرب للتقوى) تماه : (ولا تنسوا الفضل بينكم) (وهو) أي العفو (اسقاط حق وجب) أي ثبت للعبد على غيره (اما قول أبي ضمضم) وهو رجل من بني اسرائيل (اللهم تصدقت بعرضي على عبادك فوعد) أي لا عفو لانه اثبات ماله للغير لا اثبات حق وواجب له على الغير (وعليه الوفاء) أي بوعده وعهده . وتوضيحه انه لما قال العفو اسقاط حق وجب ورد عليه ان قول أبي ضمضم تصدقت يدل على ان العفو قد يكون باسقاط الحق قبل الوجوب ، فاجاب بانه وعده بانه لا يخاصمه به يوم القيامة لا عفو كما قدمناه ، وفي الاحياء « قال رجل من المسلمين : اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها ، فابى رجل أصاب من عرضي شيئاً فهو صدقة عليه ، فأوحى الله الى النبي عليه السلام اني قد غفرت له » قال مخرجه رواه أبو نعيم في الصحابة ، واليهيقي في الشعب ، وابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي هريرة أن رجلاً من المسلمين لم يسمه ، وقال أظنه أبو ضمضم ، وتقدم في آفات اللسان حديث دايعجز أحدكم أن يكون كآبي ضمضم ، قالوا وما أبو ضمضم؟ قال : رجل فيمن كان قبلكم اذا أصبح قال اللهم اني قد تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني ، والمعنى أتم أولى بهذه الخصلة المهمة فانكم خير أمة ، وقيل في قوله تعالى : (ربانين) أي علماء حلهاء ، وعن الحسن في قوله تعالى : (واذا غاب عنهم الجاهلون

وَمَا ارْتَكَبَ الْخُفُودُ مِنْ مَكْرُوهِ كَثَرَتْكَ الْإِعَانَةُ فِي الْحَاجَةِ وَالِدُعَاءِ.

قالوا سلاما) قال حليماء ان جهل عليهم لم يحلوا يعني بل يجيئونهم بقول يسلمون فيه عنهم . وقال عطاء بن أبي رباح: ويمشون على الأرض هونا أي حليماء . وقال ابن أبي حبيب في قوله : (وكتلا) قال الكهل منتهى الحلم . وقال مجاهد : (واذا مروا باللفو مروا كراما) أي اذا أودوا صفحوا ، وروى أن ابن مسعود مر بلفو معرضا فقال عليه السلام : «أصبح ابن مسعود وأمسى كريما» ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وهو الراوى قوله تعالى : (واذا مروا باللفو مروا كراما) ابن المبارك في البر والصلة . ولأحمد من حديث سهل بن سعد «اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم» فلوبهم قلوب العجم والستهم السنة العرب ، وعن علي كرم الله وجهه «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر عليك ويهظم حليمك وأن لا تباهى الناس بعبادة ربك ، فاذا أحسنت حمدت الله واذا أسأت استغفرت الله وعن الحسن «اطلبوا العلم وزيئوه بالحلم» وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان بزيئة العلم ، وما أحسن العلم بزيئة العمل ، وما أحسن العمل بزيئة الرفق ، وما أضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم ، وعن أنس بن مالك في قوله تعالى : (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) الى قوله : (عظيم) هو الرجل يشتمه أخوه فيقول ان كنت كاذبا يغفر الله لك ، وان كنت صادقا فيغفر الله لى ، وعن بعضهم قال شتمت فلانا من أهل البصرة فلم عنى فاستعبدنى بها زمانا . وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضها . فنكس الرجل رأسه واستحي . وعن علي بن الحسين انه سبه رجل فرمى اليه خيصة كانت عليه وأمرله بالف درهم . ومر المسيح ابن مريم عليهما السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا ، فقال لهم خيرا فقبل له انهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا ، فقال كل واحد ينطق بما عنده . ولأحمد من حديث جابر بن سمرة «ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه ، ولا يداود من حديث أبي هريرة «شتم رجل أبا بكر وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام عليه السلام فقال انك كنت ساكتا لما شتمنى فلما تكلمت قت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان» (وما ارتكب) أي وذكر ما اكتسب (الحقود من مكروه كثرتك الاعانة في الحاجة) وقد قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) (والدعاء) أي وكثرتك الدعاء له في الغيبة فان الدعاء

وَالْوَعْظِ وَالرَّقِيقِ فَوَرَدَ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّقِيقَ» وَمِنْ حَرَامِ كَالشَّمَانَةِ وَالْأَعْرَاضِ
وَالْإِهَانَةِ وَالْغِيَةِ وَتَرَكَ صَلَاةَ الرَّحِمِ وَقَضَاءَ الْحَقِّ، وَالنَّصِيحَةَ وَهِيَ أَرَادَةُ بَقَاءِ
النِّعْمَةِ عَلَى الْمُسْلِمِ مَالَهُ فِيهِ صَلَاحٌ عُرِفَ بِغَلْبَةِ الظَّنِّ أَوْ قِيْدَ بَشْرَطِهِ، وَضَدُّهَا
الْحَسَدُ وَهُوَ أَرَادَةُ زَوَالِهَا عَنْهُ مَالَهُ فِيهِ صَلَاحٌ فَإِنْ انْتَفَى الصَّلَاحُ فَغَيْرَةٌ وَإِنْ
أَرَادَ مِثْلَهَا لِنَفْسِهِ دُونَ الزَّوَالِ عَنْهُ فَغَيْبَةٌ وَمُنَافَسَةٌ، وَالْحَسَدُ حَرَامٌ

يستجاب في غيبة المؤمن ويكون للداعي مثله (والوعظ) أى النصيحة وترك الفضيحة ،
فقد ورد : الا ان الدين النصيحة قبل من يارسول الله؟ قال الله ولكتابه ولسوله ولأئمة
المؤمنين وعادتهم (والرقق) أى بالنية الصحيحة (فورد ان الله يحب الرقيق) أى
اللطيف وهو ضد العنف وقد تقدم مخرجه (ومن حرام كالشمانة) وهى الفرج يبلية
العدو (والاعراض) عند المواجهة بترك السلام والكلام (والاهانة) بترك
القيام والتوسيع فى المقام (والغية) أى ذكر ما يكرهه فى الغيبة (وترك صلة الرحم)
ان كان من ذوى القرابة (وقضاء الحق) أى وتركه من حقوق المسلمين من رد السلام
وتسميت العاطس وعيادة المريض وامثالها (والنصيحة) أى وتركها (وهى ارادة
بقاء النعمة على المسلم بما) أى من شئ (له) أى للسلم (فيه) أى فى ذلك الشئ
(صلاح) دنيوى أو اخروى (عرف) كونه صلاحا (بغلبة الظن أو قيد بشرطه)
اى او قيد البقاء بشرط الصلاح بان يقول : ان كان لهما فيها صلاح فابقها (وضدھا)
اى النصيحة (الحسد وهو ارادة زوالها) أى النعمة (عنه) أى عن المسلم (ماله فيه
صلاح ، فان انتفى الصلاح) وقد اراد زوالها عنه مطلقا من غير ان يباشر سببا لاجل
زوالها (فغيرة) وهى مذمومة (وان اراد مثلها لنفسه دون الزوال عنه فغبطة ومنافسة)
وهى خصلة محمودة ، ومنه قوله تعالى : (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) وحديث
الصحيحين عن ابن عمر : لاحسد الا فى اثنين رجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه
الناس ورجل آتاه الله مالا فسلطه على ملكته فى الحق ، (والحسد) أى المذموم
(حرام) لقوله تعالى : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) وعن الفضيل
المؤمن يغبط والمنافق يحسد . ولقوله عليه السلام : الحسد يأكل الحسنات كما تأكل
النار الحطب ، أبوداود ومن حديث أبى هريرة وابن ماجه من حديث أنس . وفى الصحيحين

فَأَفَاتُهُ كَرَاهَةُ نِعْمَتِهِ تَعَالَى وَقَضَائِهِ وَرَاحَةُ الْمُسْلِمِ وَفِعْلُ الْمَعَاصِي كَالْتِمَلُّقِ وَالْغِيَةِ
وَالشَّمَاتَةِ فُورَدَ (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)

ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباعدوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا، ولليهمي
في الشعب : ناد الفقر ان يكون كفرا و ناد الحسد ان يغلب القدر ، (فَا فَاتُهُ) سِتَةٌ
(كَرَاهَةُ نِعْمَتِهِ تَعَالَى) فللطبراني من حديث معاذ : استعينوا على قضاء الحوائج
بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وللطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس ان
لاهل النعم حسادا فاحذروهم (وقضائه) فمن ذكره عليه السلام قال تعالى : (الخاسد
عدو لنعمتي ، ساخط لقضائي ، غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي . وقد يؤخذ
هذا المعنى من قوله تعالى : (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب
 مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واستلوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما)
وقال تعالى : (لكل أجل كتاب) وكل شيء عنده بمقدار (وقد شكى نبي من الأنبياء
من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فادعى الله اليه : فر من قدامها حتى تنقضي أيامها .
(وراحة المسلم) أي وكرامتها وهو من خصال المنافقين كما قال الله تعالى في حقهم
(ان تمسبكم حسنة تسؤم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) وقال معاوية . كل الناس
أقدر على رضاه الاحاسد فانه لا يرضيه الا زوالها ولذا قيل :

كل العداوة قد ترجى امامتها . إلا عداوة من عاداك من حسد

ومن هنا قال الله تعالى : (قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور)
وقال اعرابي : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ، انه يرى النعمة عليك نقمة
عليه ، وقال الحسن : يا ابن آدم لم تحسد أخاك . فان كان الذي أعطاه الله إياه لكرامته
عليه فلم تحسد من أكرمه الله ، وان كان غير ذلك فلم تحسد من هبته الى النار .
(وفعل المعاصي) بالرفع أي من آفاته (كالتملق) في الحضرة ، وانما يتملق المحسود
على المحسود لئلا يطلع على ارادته الباطنة ، اذ الخائن يخاف من الفضيحة وهو من
صفات المنافقين ، وقد سبق ان المؤمن ليس يتملق الا في طلب العلم (والغيبة) أي
غيبة المحسود في الغيبة (والشماتة) وهي الفرح بيلة المحسود فللترمذي من حديث
واثلة بن الاسقع : لا تظهر الشماتة لآخيك في عاقبه الله ويتليك ، وفي رواية ابن أبي الدنيا
: فبرحه الله ، (فورد) في التزيل (ومن شر حاسد اذا حسد) أي اذا اظهر الحسد

وَالْتَعَبُ فِي الدُّنْيَا وَالْعِقَابُ فِي الْآخِرَةِ بِلَا نَفْعٍ بَلْ يَنْفَعُ الْمُحْسِدُ فِي الدُّنْيَا بِمَضْرَةِ الْعَدُوِّ
وَفِي الْآخِرَةِ بِطَلَبِ الْمُكَافَأَةِ وَعَمَى الْقَلْبِ وَالْخُذْلَانُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَفِيهِ الْآثَرُ
إِلَّا فِي نِعْمَةِ الْكَافِرِ وَالْفَاسِقِ الْمُسْتَعِينِ بِهَا عَلَى الْفَسْقِ وَالْمُبْتَدِعِ وَهُوَ يُكْرَهُ مِنْ
حَيْثُ آتَاهُ دُونَ النِّعْمَةِ بِخِلَافِ الْغَيْرَةِ فَوَرَدَ أَتَعْجِبُونَ مِنْ غَيْرَةٍ سَعِدَ فَوَ اللَّهِ إِنَّ
سَعْدَ الْغَيْرِ وَأَنَا غَيْرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنَّا وَالْغَبْطَةُ فَوَرَدَ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ
«هُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ فَيَمُنَّ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي مَالٌ فَلَانَ لَكُنْتُ أَعْمَلُ فِيهِ بِمِثْلِ عَمَلِهِ»

والأفلا يتخول الحسد من الحسد ، وعن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال : غمة فانه لا يضرك ما لم تبده (والتعب في الدنيا) فان الحسد لا يسود ولعدم خلو الدنيا من ذي نعمة (والعقاب في الآخرة بلا نفع) أي الحاسد (بل ينفع المحسود في الدنيا بمضرة العدو) وهو الحاسد (وفي الآخرة يطلب المكافأة) أي المجازاة على عمله الكاسد (وعى القلب) الناشئ من عدم الرضا بقضاء الرب (والخذلان) أي عدم النصرة (في الدنيا والآخرة ففيه الأثر) أي المروى عن بعض السلف « أن الحاسد لا ينال من الجالس إلا مذمة وذلا ، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا ، ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ، ولا ينال عند الذرع الأشدة وهولا ، ولا ينال عند الموقف الأفضيحة ونكالا » (إلا في نعمة الكافر) مستثنى من قولهم الحسد حرام (والفاسق المستعين بها على الفسق) والظالم المتقوى بها على الظلم (والمبتدع) الذي يشتد بها على البدعة (وهو يكره من حيث آتاه) أي آله ما ذكر من العجز والفسق والظلم والبدعة (دون النعمة) أي أصلها (بخلاف الغيرة) فانها غير حرام (فورد أتعجبون من غيرة سعد) وهو ابن أبي وقاص (فوالله أن سعدا تغيبور وأنا أغير منه والله أغير منا) وغيره الله أن يأتي المؤمن محرم الله عليه (والغبطة) أي وبخلاف الغبطة فانها ليست بحرام (فورد) أي في التنزيل (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أي ليرغب الراغبون ويطلب الطالبون المنازل العالية والمحافل العالية ، وورد في الحديث (هُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ فَيَمُنَّ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي مَالٌ فَلَانَ لَكُنْتُ أَعْمَلُ فِيهِ بِمِثْلِ عَمَلِهِ) أي من الخيرات والمبرات ، فلا بن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح « مثل هذه الآية مثل اربعة رجال ، رجل آتاه

فَهُي تَتَّبِعُ مَا غَبَطَ فِيهِ حُرْمَةٌ وَابَاحَةٌ وَوُجُوبٌ وَنَدْبٌ وَالسَّبَبُ خَبَثُ النَّفْسِ وَهُوَ دَاءُ مَزْمِنٍ
لأنه جبلي والرغبة في نعمة الغير كالرياسة وخوف فوات المقاصد كافي الضرر والعداوة
والتعزز بكرهه ترفع الغير عليه والتكبر والتعجب برجحان من ساواه

الله مالا وعلما فهو يعمل بعله في ماله ، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب
العلم لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء ، ورجل آتاه الله
مالا فهو ينفعه في معاصي الله ، ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مثل مال فلان
لكنت اعمل بمثل عمله فهما في الوزر سواء (فهي) أي النقطة (تتبع ما غبط فيه)
بصيغة المجهول (حرمة) كالمعاصي (واباحة) كالمباحات من الثياب الفاخرة وسائر
النعم الظاهرة ، لكن النقطة في المباحات تناقض علو الحالات والمقامات كالزهد والرضا
والتوكل والقناعة والتسليم ، وتجب عن المقامات الرفيعة من غير اثم في قواعد
الشريعة (ووجوب) كالإيمان والصلاة والزكاة وسائر الاعمال (وندب) كاتفاق
الأموال في تحسين الاحوال

(والسبب) أي للحسد سبعة (خبث النفس وهو داء مزمن) أي لازم (لانه
جبلي) لا علاج له : فقد يوصف عنده حسن حال رجل من عباد الله فيما انعم به عليه مولاه
فيشق ذلك عليه ويحب زوال نعمة الله تعالى عنه وليس بينه وبينه عداوة خفية ولا جنسية
جلية ولا شيء مما ذكر من اسباب الحسد ، بل انما هو لخبث في نفسه ورزالة في طبعه
لا يزول الا بموته فأتقدم في ذمه (والرغبة في نعمة الغير كالرياسة) في مقام الجاه
والسياسة فانه يجب أن يكون فريدهم ووحيد عصره (وخوف فوات المقاصد كما في
الضرر) على توهم المضرة . ومن هذا القيل الاخوان عند الأب ، والتلاميذ عند
العلماء ، والتدماة عند الأمراء ، بل ومن ذلك حسد العالم للعالم دون العابد ، وحسد
العابد للعابد دون العالم وقس على هذا (والعداوة) الكامنة في القلب (والتعزز
بكرهه ترفع الغير عليه) في المنازل والمحافل فيما بين أهل الفضائل ، ومنه قوله تعالى
(اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) (والتكبر) وهو من اردء الرذائل (والتعجب
برجحان من ساواه) أي نسيان حسبا ، ومنه قوله تعالى : (ولئن اطعمتم بشرا مثلكم انكم
لأذاخسرون) تعجبوا من ان يكون الرسول بشرا وجوزوا ان يكون الا له حجرا ،
ومنه ايضا قوله تعالى : (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)

فَنُتِمَّ كَثْرَ الْحَسَدِ بَيْنَ الْأَقَارِبِ لَكَثْرَةِ تَحَقُّقِهَا دُونَ عَلَمَاءِ الْآخِرَةِ فَوُرِدَ
(وَنَزَعْنَا مَنَافِي صُدُورِهِمْ مِنْ غُلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) وَعِلَاجُ كُلِّ ضِدِّهِ وَذِكْرُهُ
الْآفَاتِ الْمَذْكُورَةِ وَمَا وَرَدَ فِيهِ ، وَوُجُوبُ مَوَالَاتِ الْمُؤْمِنِ وَرِعَايَةِ حُقُوقِهِ
وِعَظَمُ قُدْرِهِ وَالْفَوَائِدُ كَالْتِعَاوُنِ وَبِرِّ كَةِ الْجَمَاعَةِ .

وقوله : (. أنزل عليه الذكر من بيننا) وقوله : (أو عجبتم أن جاءكم ذل من ربكم
على رجل منكم لينذرهم) (فن تم كثر الحسد بين الاقارب) وقل بين الا جانب (لكثرة
تحققها) أى المساواة فى ذوى القربايات (دون علماء الآخرة) فانه لا بكثير فيهم بل
لا يوجد عندهم ، اذ مقصودهم معرفة الله تعالى وهى بحر واسع لا ضيق فيه ، وغرضهم
المنزلة عنده وليس فيه عانعة ولا مزاحمة بل يزيد الانس بسبب الكثرة (فورد)
فى التنزيل (ونزعنا) أى فى الدنيا والآخرة (. مافى صدورهم من غل) أى حقد
وحسد (إخوانا على سرر متقابلين . وعلاج كل) أى كل واحد من اسباب الحسد
(ضده) فعلاج خبث النفس سلامته وطيبه ، وعلاج الرغبة التغير ، وعلاج الخوف
الامن لعدم خلاف المقدور ، وعلاج العداوة المحبة ، والتعزز التذلل ، والتكبر التواضع
والتعجب الاطمئنان بالتفكر فى قدرته وقضائه وارادته فى خلقه (وذكره الآفات
المذكورة) أى من جملة علاج الحسد (وما ورد فيه) أى ذكره ما ورد فى ذم الحسد
(ووجوب) أى ذكره وجوب (موالاة المؤمن ورعاية حقوقه وعظم قدره ،
والفوائد) أى ذكره الفوائد الواصلة من المؤمن اليه من ترك الحسد (كالتعاون) على
البر والتقوى والتساعد على العلم والعمل والفتوى (وبركة الجماعة) لاسيما فى الجمعة
والجنازة والمشاعر العظام والاجتماع بالعلماء الكرام والمشايع الفخام ، وقد قال تعالى :
(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفار أحسد من عند انفسهم) وقال
(ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذون منهم أولياء) وقال : (بئس
ما شرورا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا) أى حسدا . وقه در القاتل من
ذوى الفضائل :

لامات اعداؤك بل خلدوا . حتى يروا فيك الذى يحمد

لازلت محسودا على نعمة . فاقما الكامل من يحسد

ونعم المقال من بعض أهل الحال : حسد حافيه وحقد جاسده

﴿الباب الحادى عشر فى العزلة والخمول﴾

وحب الذم وبغض المدح﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * فِي الْعِزَّةِ فَوَائِدٌ وَهِيَ الْفَرَاغُ لِلْعِبَادَةِ فَالْخُلُقُ شَاغِلُونَ

العزلة ضد الخلطة ، والخمول ضد الشهرة . فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على الخلطة سفيان الثوري وابن ادم ودلود الطائي والفضيل بن عياض وبشر الحافي وطائفة . وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة تعاوناً على البر والتقوى ، وماله الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن عينة وأبو حنيفة وابن المبارك والشافعي وأحمد ابن حنبل وجماعة ، فمن الفضيل : كفى بالله بهاء القرآن ونسأ بالموت واعظاً ، اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانباً . وقال الثوري : هذا زهوان السكوت ولزوم البيوت وقيل : كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطى الاخوان حقوقهم فترك ذلك كله واحداً واحداً حتى تركها كلها ، وكان يقول : لا يتبأ للبرء أن يخبر بكل عذر له . وقال الفضيل : انى لأجد للرجل عندى يدا اذا لقينى أن لا يسلم علىّ واذا مرضت أن لا يعودننى ، وقال أبو سليمان الداراني : بينما الربيع بن خثيم جالس على باب داره اذ جاءه حجر فصفكه في الجهة فشجه فجعل يمسح الدم ويقول : لقد وعظمت ياربيع فقام ودخل داره فاجلس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته . وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لزمانا يبيتها بالعقيق فلم يكونا بأتيان المدينة للجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق . ودخل بعض الامراء على حاتم الأصم فقال له : ألك حاجة ؟ قال نعم ، قال ما هي ؟ قال : ان لا ترانى ولا أراك . وقيل للفضيل : ان ابنك عليا يقول لوددت انى مكان أرى الناس ولا يرونى ، فبكى الفضيل فقال : ويح على أفلا أتمها فقال لأراهم ولا يرونى . وعن ابن عباس : أفضل المجالس مجلس فى قصر بيتك لا ترى ولا ترى * .

(بسم الله الرحمن الرحيم) الذى يأنس به أرباب الخلوة ويستأنس به أصحاب الجلوة ﴿فى العزلة فوائد﴾ تسمى ﴿وهى الفراغ للعبادة فالخلق شاغلون﴾ بل مانعون لاهل الإرادة وفق العادة ، فانهم كما قال تعالى : (اقرب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون) فمن حاتم الأصم : طلبت منى هذا الخلق خمسة أشياء فلم أجدهم منها واحدة

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْزِلُ فِي جَبَلٍ حَرَاءٍ وَاجْتَمَعَ مُتَعَذِّرُ الْإِلْمَنِ اسْتَفْرَقَ بَاطِنُهُ
بِهِ تَعَالَى فَغَابَ عَنْهُمْ قَلْبًا وَشَهِدَهُمْ لِسَانًا، وَالْخَلَّاصُ عَنِ الْمَعَاصِي كَالرَّيَاءِ وَالْغِيَةِ

طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا، فقلت أعينوني عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت
ارضوا عني ان فعلت فلم يفعلوا، فقلت لا تمنعوني عنها اذا فتعوني فقلت لا تدعوني الى
ما لا يرضى الله ولا تعادوني عليها ان لم اتابعكم فيها فلم يفعلوا فتركتم واشتغلت بمخاصمة
نفسى فانها أولى منهم بها (وكان عليه السلام يعتزل في جبل حراء) أى في أول مرة
كفى الصحيحين من حديث عائشة «كان يخلو بغار حراء يتحنث فيه أى يتعبد الليالي المتتابعة
حتى قوى فيه أنوار النبوة وطهر منه أسرار الرسالة» (واجتمع) أى بين الفراغ والخلة
(متعذر) فتعين الخلة (الالمن استغرق باطنه به تعالى) بحيث لا تمنعه الوحدة
عن الكثرة ولا تمنع الكثرة عن الوحدة وهو مقام جمع الجمع للصوفية المعبر عنها
بالكامن البائن والقريب الغريب والعريش الفرشى (غاب عنهم قلبا) أى جنانا (وشهدهم
لسانا) أى حضرهم بيانا وبرهانا، وهذا انما يتصور لمن أراد به سبحانه شأنًا، فقد نقل عن
الجنيدانه قال: إنا أكرم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أنى أكرمهم. وقال بعضهم:
لا يتمكن أحدهم من الخلة الا بالتسك بكتاب الله، والمتمسكون بكتابه استراحوا
من الدنيا، وبذكرا الله عاشوا وبذكرا الله ماتوا وبذكرا الله لقوا الله. وقيل لبعضهم: ما أصبرك
على العزلة؟ فقال: ما أنا وحدي، أنا جالس الله تعالى اذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه،
واذا شئت أن أناجيه صليت. وقيل: الاستيناس بالناس من علامة الافلاس. وقيل: بينما
أويس القرنى جالس اذا تاه هرم بن حيان فقال له أويس: ما جاء بك؟ قال جئت لآنس
بك، فقال أويس ما كنت أرى أحدا يعرف ربه فبأنس بغيره. وقال بعض الحكماء:
انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته من الفضيلة التى سبب انسه، وقال الفضيل:
اذا أقبل الليل فرحت به وقلت أخلو بربى، واذا أصبحت استرجعت كرامة لقاء
الناس وأن يحبب من يشغلنى عن ربى، وعن بعضهم انى أصبح وأمسى بين نعمة وخطيئة:
فاشغل نفسى بشكر الله على النعمة وبالاستغفار من الخطيئة (والخلاص عن المعاصي)
التي يتعرض لها الانسان غالبا بالخلة ويسلم منها فى الخلة (كالرياء) والسمعة اذ كل
من خالطهم داراهم ومن داراهم رآهم. واقد صدق يحيى بن معاذ فى قوله روية الناس بسائط
الرياء (والغيبة) والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من

وَالْبَدْعُ مِثْلُ كَيْفَ أَصْبَحْتَ وَعَافَاكَ اللَّهُ وَمُشَاهَدَتُهَا

الاخلاق الرديئة والاحوال الدنية (والبدع) في الأقوال المتعارفة (مثل كيف أصبحت) فانه ان لم يكن على قصد الاعانة فهو نفاق وليس من اخلاق أهل الديانة ؛ فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف أصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه ، وكان سؤالهم عن احوال الدين لا احوال الدنيا . قال حاتم الاصم لحامد اللخاف : كيف أنت في نفسك ؟ قال سالم مماني ، فكره حاتم جوابه ؛ فقال يا أبا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة - أى على بساط النشاط وحال الانبساط - وقد ورد « اللهم لا تعيش الآخرة » وكان اذا قيل لعيسى عليه السلام كيف أصبحت قال : أصبحت لأملك نفع ما أرجو ، ولا أستطيع دفع ما أحترز ، وأصبحت مرتتها بعمل الخير كله يد غيرى . فلا فقير أقرمى ، وكان الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف أصبحت قال : أصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفى أرزاقنا وننتظر آجالنا ، وكان أبو الدرداء اذا قيل له كيف أصبحت قال : أصبحت بخير ان نجوت من النار . وكان سفيان الثوري اذا قيل له كيف أصبحت يقول : أصبحت أشكوذا الى ذا ، واذمذا الى ذا ، وافر من ذا الى ذا ، وقيل لا ويس القرني : كيف أصبحت . قال كيف يصبح رجل اذا أمسى لا يدري انه يصبح واذا أصبح لا يدري انه يمسي . وقيل للمالك بن دينار كيف أصبحت . قال : أصبحت في عمر ينقص وذنوب يزيد . وقيل لبعض الحكماء كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت لا ارضى حياتي لماتى ولا نفسي لربى . وقيل لحكيم كيف أصبحت . قال : أصبحت آكل رزق ربي واطيع عدوه ابليس . وقيل لمحمد بن واسع كيف أصبحت ؟ قال : ما ظنك برجل يرتحل كل يوم الى الآخرة مرحلة . قلت وعن علي بن ابي طالب خطبة الى اهل مكة . وقيل لحامد اللخاف كيف أصبحت : قال : أصبحت اشتبهت عافية يوم الى الليل ، فقبل له ألسنت في عافية كل الأيام : فقال العافية يوم لا اعصى الله فيه . وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ما حالك ؟ فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ، ويدخل قبرا موحشا بلا ونس ؛ وينطلق الى ملك عدل بلا حجة . وقيل لبعضهم ما حالك ؟ قال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب (عافاك الله) أى اذا كان قبل السلام ولم يكن في الحمام . وعن الحسن انما كانوا يقولون السلام عليك اذا سلمت والله القلوب ، فاما الآن كيف أصبحت عافاك الله ، كيف انت اصلحك الله ، فان اخذنا بقولهم كانت بدعة ولا كرامة ، فان شاموا غضبوا علينا وان شاموا الا . وفي الاحياء . وانما قال ذلك لان البداية بقوله كيف أصبحت بدعة (ومشاهدتها)

فَهْوُ يُوْرُثُ الْاِسْتِحْقَارَ بِهَا

أى ورؤية المعاصى (فهو يورث الاستحقار بها) بل رؤية أرباب الدنيا فانه يورث الاستعظام بها ومن هنا قال تعالى : (ولقد آتيناك سبعاً من المثاقم والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم) وذلك لان مسارقة الطبع لما يشاهده من أخلاق الناس واعمالهم وسائر احوالهم داء دفين قل ما يتنبه له العقل . فضلاً عن الغافلين فلا يجالس الانسان فاسقاً او مبتدعاً مدة مع كونه منكراً عليه فى باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته لادرك فيها تفرقة فى النفرة عن الفساد ، اذ يصير الفساد بذرة المشاهدة من العباد هينا على الطبع ويسقط عنه وقعه واستعظامه له فى الشرع ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استصغر الصغائر من نفسه ، ولذا يزدرى الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فيؤثر بمجالستهم فى ان يستصغر ما عنده ويؤثر بمجالسة الفقراء فى استعظام ما قدر له من النماء فكذا النظر الى المطيعين والمصاة فن يقصر نظره على ملاحظة احوال الصحابة والتابعين فى عبادة المولى والتزده عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار ، وما دام يرى نفسه مقصراً فلا يخلو عن داعية الاجتهاد ورغبة فى الاستكمال واستتماماً للاقتداء ومن نظر الى الاحوال الغالبة على أهل الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم للمعاصى استعظم امر نفسه بادنى رغبة فى الخير يصادفها من قلبه وذلك هو الهلاك لنفسه ، وما يدل على سقوط وقع الشئ عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان اكثر الناس اذا رأوا مسلماً أفطر فى نهار رمضان استبعدوه استبعاداً يكاد يفضى الى اعتقادهم كفره ، وهم يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنقر عنه طبايعهم كفرتهم عن تأخير الصوم مع ان صلاة واحدة يفضى تركها الى الكفر عند قوم ، وحز الرقة عند قوم ، وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه . وكذا لو لبس الفقيه ثوباً من حرير أو خاتماً من ذهب استبعدته النفوس وقد يشاهد فى مجلس طويل لا يتكلم فيه الا بما هو اغتيا ب للناس ولا يستبعد منه ، والغية اشد من الزنا فكيف لا تكون اشد من لبس الحرير ، ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المفتائين أسقط عن القلوب وقعها وهون على النفوس امرها ، وقيل لبعضهم : ما حلك على العزلة ؟ قال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر به . فنفطن لهذا القول الأسد وفر من الناس فرارك من الأسد ، لانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد على حرصك فى الدنيا . وغفلتك عن العقبي وهون عليك المعصية ويضعف رغبتك فى الطاعة ، فان وجدت جليسا

وَالْجَلِيسِ السُّوءِ لِتَأْثِيرِ الصُّحْبَةِ فَرَدَّ مَثْلُ الْجَلِيسِ السُّوءِ مَثْلُ الْقَيْنِ، وَالْفَتَنِ
فَرَدَّ. إِزْمَ يَتَكَ وَأَمْلَكَ عَلَيْكَ لَسَانَكَ وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ
الْخَاصَّةِ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ حِينَ قِيلَ مَاذَا تَأْمُرُنِي فِي زَمَانِ الْفَتَنِ

يذكر الله صورته وانيسا يفكر الله سيرته فالترمه واعتنمه فان المجلس الصالح
خير من الوحدة ، وان الوحدة خير من المجلس السوء . لكن المجلس الصالح عزيز
الشهود في محن الوجود كما قال عليه السلام « اخبر تقله والناس كأبل مائة لا تجد فيها
راحلة » وكما قيل :

اتمنى على الزمان محالا • ان ترى مقلتي طلعة حر

فان الحر من لا يستعبده هواه ولا تسرقه ديناه بل تستغرقه خدمة مولاه وهذا
معنى قوله (والمجلس السوء) بفتح السين وضمها أى ومشاهدته أو والخلاص عنه
(لتأثير الصحبة) أى خيرا أو شرا بحسب الرتبة (فرود مثل المجلس السوء مثل
الفتن) أى الحداد تمامه « ان لم يحرق ثوبك اصابك ريحه ، ومثل المجلس الصالح مثل
القطار ان لم يعطك من عطره اصابك من ريحه » وفى البخارى من حديث أبى موسى « مثل
المجلس الصالح والمجلس السوء كمثل صاحب المسك وكبير الحداد لا يمددك من صاحب
المسك اما تشربه أو تجد ريحه وكبير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة »
(والفتن) أى والخلاص من محن أنواع الفتن وقل ما يظلو العباد في البلاد عن قصبات
وخصومات (فرود) أى عن عبدالله بن عمرو بن العاص لما ذكر عليه السلام الفتن
ووصفها وقال : « إذا رأيت الناس مرجع عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك
بين أصابعه قلت فاما تأمرني فقال (الزم بيتك) أى لازم سكوتك (واملك عليك
لسانك) أى التزم سكوتك (وخذ ما تعرف) واعمله (ودع ما تنكر) أى اتركه
(وعليك بأمر الخاصة) أى والزم خاصة نفسك (ودع عنك أمر العامة) أى من
لم يتعلق بك (حين قيل) ظرف لورد (ماذا تأمرني في زمان الفتن) والحديث رواه
أبو داود وهو النسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن . وفى البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى :
« يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما يتبعها شعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من
الفتن » وللعلاني من حديث ابن مسعود . ولبهقي من حديث أبى هريرة : « وسألت
على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شأق إلى

وَلْيَذَانِبْهُمْ بِتَحَوُّ النِّبْيَةِ وَالنَّمِيمَةِ

شاهق ومن جهر الى جهر كالثعلب الذي يروغ ، قيل له ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال اذا لم تتل المعيشة الا بمعاصي الله تعالى فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة ، قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج ؟ قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه ، فان لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده ، فان لم يكن فعلى يدي قرابته . قالوا وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال يعيرونه بضيق اليد فيتسكف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة » وفي الاحياء هذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منها ، اذ لا يستغنى المتأهل عن المعيشة والمخالطة ، ثم لا ينال المعيشة الا بالمعصية ولا لاجله قال سفيان الثوري : والله لقد حلت العزلة . اقول : وفي زماننا وجبت . وعن سفيان بن عيينة : لقيت ابراهيم بن ادم في بلاد الشام فقلت له : يا ابراهيم تركت خراسان . قال : ما هأت بالعيش الا ههنا افر بديني من شاهق الى شاهق ، فمن رآني يقول موسوس أو حمال أو ملاح . وعن ابن عمر انه لما بلغه توجه الحسين الى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام ، فقال له أين تريد ؟ فقال العراق ، فاذا معه طوامير وكتب ، فقال هذه كتبهم وبيعهم ، فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تأتهم فاني ، فقال ابن عمر : اني محدثك حديثا « ان جبريل اتى النبي عليه السلام فخبره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا ، وانك بضعة من رسول الله ﷺ والله لا يليها أحد منكم أبدا ، وما صرفها عنكم الا للذي هو خير لكم ، فاني ان يرجع ، فاعتقه ابن عمرو بكى وقال : أستودعك الله من قتيل أو اسير » رواه الطبراني في الأوسط والبخاري بنحوه واسنادهما حسن . وكان في الصحابة اكثر من عشرة آلاف فاختفى أيام الفتنة اكثر من أربعين رجلا ، ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه فقيل له لزم القصر وتركت مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ فقال : رأيت مساجد لا هاية ، واسواقكم لا غية والفاحشة في لجأكم عالية ، وفيما هناك مما اثم فيه عافية ﴿ وايدانهم ﴾ أى والخلاص عن ايذاء الجلوس فانهم يؤذونك تارة ﴿ بنحو الغيبة والنميمة ﴾ واخرى بسوء الظن والتهمة والنقول الذميمة ومرة بالاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها فيشتد الجفاء بسببها : وقد قيل : معاشره الاشرار تورث الظن بالاخيار . وقيل لعبد الله بن الزبير : الا تأتى المدينة ؟ قال ما بقى فيها الا حاسد نعمة أو فرح بنعمة وقيل : كان الناس دواء يتداوى به فصاروا داء لا دواء له ، وعن أبي الدرداء كان الناس وردا لاشوك فيه فصاروا شوكا لا ورد فيه : وقال رجل لابراهيم بن ادم :

وَطَمَعَهُمْ فِرَاعِيَةَ الْحُقُوقِ شَدِيدَةً وَفِيهَا ضَيَاعُ الْأَوْقَاتِ وَفَوَاتُ الْمِهْمَاتِ
وَالطَّمَعِ عَنْهُمْ فَالْتَنَظَرُ إِلَى زَهْرَاتِ الدُّنْيَا يُحَرِّكُ الْحِرْصَ

أوصى ، فقال : اياك والناس ، وعليك بالناس ولا بد من الناس فان الناس هم الناس
وليس كل الناس بالناس ؛ ذهب الناس وبقى الخناس والنسناس وما أراهم بالناس ، بل
غمسوا في ماء الناس . وقيل . الزم الدفاتر والمقابر . وقال الحسن : اردت الحج فسمع
ثابت البناني وكان أيضا من أولياء الله فقال للحسن بلغني أنك تريد الحج فاحببت ان
نصطحب ، فقال الحسن : ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا ، انى اخاف الله ان نصطحب
فيرى بعضنا من بعض ما تنماقت عليه . قال فى الاحياء : وهذه اشارة الى فائدة أخرى فى العزلة
وهى بقاء السر على الدين والمروءة [والاخلاق والفقر وسائر العورات] ولقد قال الشاعر :

ولا عار ان زالت عن المرء نعمة • ولكن عاراً أن يزول التجميل

وقال أبو الدرداء : اتقوا الله واحذروا الناس فلهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه ،
ولا ظهر جواد الاعقروه ، ولا قلب مؤمن الا خربوه (وطمعهم) من اضافة المصدر
الى الفاعل أى والخلاص من طمع الناس عنك فان رضاء الناس غاية لاتدرك (فرعاية
الحقوق شديدة) ومن اهلون الحقوق وايسرها حضور الجنائز وعيادة المريض وحضور
الولائم والاملائات (وفيها) أى فى رعاية الحقوق (ضياع الأوقات وفوات
المهمات) والتعرض للافآت ، ثم قد يعوق عن بعضها عائق ويستثقل فيها المعاذير ولا
يمكن اظهار تلك الاعذار فيقولون قام بحق فلان وقصر فى حقى ، و يصير ذلك سبب
عداوة . ومن عم الناس ظلمهم بالحرمان رضوا عنه ظلمهم . وعن عمرو بن العاص كثرة
الاصدقاء كثرة الغرماء (والطمع عنهم) وفى نسخة فيهم أى والخلاص من أن يطمع
هو فيهم (فالنظر الى زهرات الدنيا) أى انواع زينتها واصناف بهجتها (بحرك الحرص)
وانبعت بقوة الحرص طمعه ثم لا يرى الا الخيبة فى كثرة الاطلاع فيتأذى بذلك ، ومهما
انتهز لم يشاهد : واذلم يشاهد لم يشته ولم يطمع هنالك ، ولذا قال تعالى : (ولا تمدن
عينك الى ما متعناه بزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزقك خيروا ببقى
وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) وقال
عليه السلام فيما رواه مسلم من حديث أنس بن مالك « انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا
الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم » وحكى ان المزنى خرج من باب

وَلَقَاءُ الثَّقِيلِ وَالْآخِثِ فَهُوَ أَشَدُّ الْبَلَايَا، وَأَفَاتٌ وَهِيَ قَوَاتُ التَّعَلُّمِ فَهُوَ مُقَدِّمٌ
لَا تَفْقَارُ الْعِبَادَةِ وَالْتَقْوَى إِلَيْهِ وَالتَّعْلِيمِ فَهُوَ أَوْلَى أَيْضًا إِنْ كَانَ فِي عِلْمِ الْآخِرَةِ وَرَاعَى
حَقَّهُ تَعَالَى بِالْإِحْتِرَازِ عَنِ الذَّمِّ كَالرِّيَاءِ وَحُبِّ الْجَاهِ

جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكم في موكله فبهره مارأى من حسن حاله
وهيئته فنلا قوله تعالى : (وجعلنا بكم لبعض فتنة اتصبرون) ثم قال اصبر وارضى
يعنى كما قيل :

رضينا قسمة الجبار فينا • لنا علم وللإعداء مال

فان المال يفنى عن قريب • وان العلم يبقى لا يزال

(ولقاء الثقل والاحق) أى والخلاص عن ملاقة الثقل والحق ومشاهدة
اخلاقهم ومقاساة احوالهم (فهو أشد البلايا) أى المعنوية ، فان رؤية الثقل هو العنى
الاصغر . قيل للاعشى : مم عمشت عيناك ؟ قال : من النظر الى الثقل ، ويحكى انه دخل
عليه أبو حنيفة فقال له : فى الخبر وان من سلب الله كريمته عوضه عنهم اما وخير منهما
فما الذى عوضك . فقال فى معرض المطاوعة : عوضنى الله عنهما انه كفانى رؤية الثقل
وأنت منهم . وقيل : النظرة الى الاحق حى باطن (وآفات) أى فى العزلة (وهى)
عشرة (قوات التعلم فهو مقدم) على العزلة (لافتقار العبادة) العلية (والتقوى)
العملية (اليه) ولذا قال النخعي وغيره : تفقه ثم اعتزل . وفى لطائف العارف الجامى
قدس الله سره السامى : ان العزلة بغير عين العلم زلة ، كما انها بغير زائى الزهد علة (والتعليم)
أى وفوائده (فهو أولى) من العزلة (أيضا) أى كالتعلم (ان كان) التعلم (فى علم
الآخرة) أى علم ينفعه فى العقبى (وراعى حقه تعالى) بالاخلاص وابتغاء وجهه
الاعلى ، وكذا (بالاحتراز عن الذمائم كالرياء وحب الجاه) من الاستكثار بالاصحاب
والاتباع وما يتبعه من حب المال وسائر الاخلاق الذميمة فى الاحوال ، لحكم العالم فى
هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه ، فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لبقينه ، بل
يستعمله فى معرض المنافسة والمباهاة بعلمه وتبيينه ، ولا يطلبه غالبا الا لترسل الى التقدم
على الامثال ، وتولى الولايات ، واجتلاب الاموال ، واستشعار الاذلال على الجهال ،
فان صودف طالب الله ومتقرب بالعلم الى رضا مولاه فالاعتزال عنه وكتان العلم منه

فَرَدَّ إِذَا ظَهَرَتِ الْفِتْنَةُ وَسَكَتَ الْعَالَمُ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ «وَلَا فَالْعَزْلَةُ كَمَا فِي زَمَانَنَا لِنَهَابِ عِلْمِ الْآخِرَةِ وَالْعَمَلِ عَلَيْهِ وَتَعَذُّرِ رِعَايَةِ الْحُقُوقِ

من أكبر الكبائر ﴿فورد إذا ظهرت الفتنة وسكت العالم فعليه لعنة الله﴾ لم أجده أصلاً ، وقد قال تعالى : (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) وقد قيل : ما فسدت الرعية الا بفساد الأمراء ، وما فسدت الأمراء الا بفساد العلماء ، ومن هنا قيل : فساد العالم فساد العالم . فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الدفين الذي ليس له دواء ﴿والا﴾ أى وان لم يكن تعليمه وتعلمه في علم الآخرة ﴿فالعزلة﴾ متعينة بل واجبة ﴿كافي زماننا لنهاب علم الآخرة﴾ من التفسير والحديث والفقه المتعلق بالعبادة في أكثر البلدان ﴿والعمل عليه﴾ أى ولذهاب العمل على طبق العلم في عامة أهل الزمان ، ولا ينبغي ان يغتر الانسان بقول سفيان : تعلمنا العلم لغير الله فإني أن يكون الله ، وان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله . وانظر الى أواخر أعمار الاكثرين منهم واعتبر بهم ، انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها أوراغبين عنها وزاهدين فيها ، وليس الخبر كالمعاينة . وأما العلم الذى أشار اليه سفيان فهو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الانبياء والصحابة ، فان فيها التخويف والتحذير ، فان لم يؤثر في الحال قديوثر في المال . فاما الكلام وجدل الخصام والفقه المجرد الذى يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات فلا يريد الراغب فيه الا الدنيا لا الله ، بل لا يزال متمادياً في حرصه الى آخر عمره ونهاية أمره ، ومن هنا قال بشر الحافي : حديثنا باب من أبواب الدنيا ﴿وتعذر رعاية الحقوق﴾ أى ولتعذرها أو تعسرهما من حقوق الاساندة والتلامذة ، فعن أبى سليمان الخطابي : دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال ، اخوان العلانية اعداء السر ، اذ القوك تملقوك ، واذا غبت منهم سلقوك ، من اناك منهم كان عليك رقبيا ، واذا خرج كان عليك خطيبيا ، اهل نفاق ونميمة ، وغل وخديعة ، فلا تغتر باجتماعهم عليك ، فاعرضهم العلم وحسن الحال في المال ، بل الجاه وكثرة المال ، وان يتخذوك سلماً الى أوطارهم ، وحماراً في حاجاتهم واوزارهم . ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدائك ، ثم يعدون ترددهم اليك دلالا عليك ويرونه حقاً واجباً لديك ، ويفرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم ، فتعادي عدوهم ،

وَمَوْجِ الْفَنِّ، وَالْإِتِّفَاعِ مِنَ الْغَيْرِ بِالْكَسْبِ لِلْكَفَايَةِ أَوِ الصَّدَقَةِ فَهُوَ أَوَّلَى
مِنْ عَمَلِ الظَّاهِرِ، وَالتَّادِبِ بِالْإِرْتِيَاظِ فِي الْبِدَايَةِ وَالتَّادِبِ بِالرِّيَاضَةِ وَهُوَ كَالْتَعْلِيمِ

وتنصر قريتهم وخادمهم ووليهم ، وتمنض لهم سفنها وقد كنت فقيها ، وتكون لهم تابعا
خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ﴿ وموج الفن ﴾ أى ولعبة الفن وما يرتب عليه من
أنواع المحن مظهر منها وما بطن ، فانك ترى المدرس في رقي دائم ، وتحت حق لازم ومنة
ثقيلة ممن يتردد لديه ، فكأنه يهدى تحفة اليه ؛ فيرى حقه واجبا عليه ، فلا يزال يتردد إلى
أبواب السلاطين ويقاسى الذل والشدة بمقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض
وجوه السحت من مال المسلمين من اليتامى والمساكين . ثم لا يزال العاقل يسترقه ويستخدمه ،
ويمتنه ويستبدله الى ان يسلم اليه ما بعده نعمة مستأنفة من عنده عليه ، ثم يبقى في مقاساة
القسم على اصحابه ان سوى بينهم مقته المبرزون ونسبوه الى الجنون وقلة التمييز والمعرفة في
الفنون . وانفاوت بينهم سلفه السفهاء بألسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاسود والآساد
فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مظالم ما يأخذهم ويفرقه في العقبى ﴿ والاتفاع ﴾ أى
وفواته ﴿ من الغير ﴾ وكذا نفع الغير ﴿ بالكسب للكفاية ﴾ أى لكفاية نفسه عن ابناء
جنسه ﴿ او الصدقة ﴾ على غيره بالزيادة على قدر الكفاية بطريق القناعة ﴿ فهو ﴾ أى
الكسب وفي نسخة فهو أى الصدقة ﴿ أولى من عمل الظاهر ﴾ كالصلاة والصوم وتلاوة
القرآن ، وتوضيحه : ان حالك لا يخلو من أن تكون محتاجا الى القوت أولا ، فان كنت
محتاجا اليه فاشتغالك بالكسب أولى بل فرض لا ينفى ، وان كنت مستغنيا عنه فلا يخلو
اما ان تكون في خلوتك مشغولا بالأعمال الظاهرة فالكسب للصدقة افضل من العزلة
لتمدى المنفعة ، وأما ان تكون مشغولا بالأعمال الباطنة من الانس بالله والحضور مع الله
والتفكير في صفات الله والتذكر لآحوال الآخرة في عقباله والشوق الى لقاء ربه والذوق
الى مقام رضاه فالعزلة أولى من الكسب لبقاء المنفعة ودوامها وتماها في الدنيا
والأخرى ﴿ والتادب ﴾ أى فوات كسب الادب وتحصيله ﴿ بالارتياض ﴾ أى المجاهدة
وقبول رياضة النفس والمعادة ﴿ في البداية والتاديب ﴾ أى وفوات تعليم الادب
﴿ بالرياضة ﴾ في النهاية ﴿ وهو كالتعليم ﴾ في مقام الهداية وفى الاحياء . ويعنى بالتادب
الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات ،
وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة ، وهو افضل من العزلة في حق من لم تهذب

وَالْمُؤَانَسَةِ فِيهِ مُسْتَحَبَّةٌ لِقَطْعِ الْمَلَالَةِ الْمُنْفَرَةِ لِلْعِبَادَةِ وَثَوَابِ إِقَامَةِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ
وَنَحْوِهِمَا ، وَحَقُّوقِهِمْ كَالْعِبَادَةِ وَالتَّشْيِيعِ

بعد أخلاقه ولم تدعن لحدود الشرع شهواته، وأما التأديب فتعني به أن يروض غيره وهو حال مشايخ الصوفية معهم ، فانه لا يقدر على تهذيب حالتهم الا بمخالطتهم . وللترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر «المؤمن الذي يخاط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخاط الناس ولا يصبر على أذاهم» (والمؤانسة) أى وفوات الاستيناس والابتناس بالناس فى المصاحبة والمجالسة ، كالانس بملازمة أرباب التقوى من الأولياء وبمواظبة أصحاب الفتوى من العلماء، وإنما سمي الانسان بالانس لما فيه نوع من الانس لاسيما والمؤمنون اخرة وبينهم زيادة ألفة لقوله تعالى : (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ) ولقوله عليه السلام : (المؤمن يالف ولاخير فيمن لا يالف ولا يؤلف) رواه أحمد عن سهل بن سعد (ففى) أى الموانسة (مستحبة لقطع الملالاة المنفرة للعبادة) أى كما هو فى العادة ، والرفق فى العبادة من حزم أهل الإرادة، فورد وان الله لا يمل حتى تملاوه وقد تقدم : ومن يشاد هذا الدين يغلبه، فان الدين متين والايغال فيه برفق هائب المستبصرين ، ولذا قال ابن عباس : لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس . وقال مرة : لدخلت بلدا لا أنيس بها وهل يفسد الناس الا الناس . قلت : وكذا لا يصلح الناس الا الناس ، ومن هنا قيل : ما زينة الناس الا الناس ، فلا يستغنى المؤمن اذا عن رفيق يستانس بمشاهدته ويستلذ بمحادثته فى اليوم والليلة من ساعته ، فيجتهد فى طلب من لا يفسد فى ساعته تلك شيئا من طاعته ، فقد قال عليه السلام (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال) وقد تقدم، وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء فى امور الدين وحكاية المشايخ الصالحين والعلماء المجتهدين ، فهذا النوع من الجلوة فى بعض الاوقات قد يكون أفضل من الخلوة فى تحسين المقامات، فقد ورد «نوم العالم عبادة» ومنه «كلهينى يا حميراء» (و ثواب اقامة الجمعة والجماعة) أى وفوات اقامتهما واداءتهما (ونحوهما) من حضور الجنائز وصلاة العيدين ومجلس العلم ووقوف عرفة وأمثالها (وحقوقهم) أى وفواتها (كالعبادة) للمرضى (والتشييع) للجنائز ومنها اجابة الدعوة فى نحو الولية ، وقد حكى عن جماعة من

والتواضع فقد يحمل التكبر عليها بحب يزيارتهم تبركا

الساف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوة وعبادة المرضى وحضور الجنائز ، بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة أو زيارة القبور ، وبعضهم فارق الابصار وانحاز الى قلل الجبال ميلا الى القرار . فترغا للعبادة وحذرا عن الشواغل في الارادة ﴿ والتواضع ﴾ أى وفواته من آداب المخالطة ولا يقدر عليه في الوحدة ﴿ فقد يحمل التكبر عليها ﴾ أى على العزلة ﴿ بحب زيارتهم تبركا ﴾ أى على سيل التبرك والمعنى انه قد يكون التكبر سببا للعزلة . وعلامته انه يحب ان يزار ولا يجب أن يزور ، ولو كان له الاشغال بذكره والاستغراق في فكره لبغض زيارة الناس اليه ووقوفهم عليه لشغلهم عن المقصود لديه ، ثم اعلم ان التواضع في المخالطة لا ينقص عن منصب من هو كبير بعلية أوديته ، وقد كان على يحمل الفخر والملح في ثوبه ويده ويقول :

لا ينقص السكامل من كماله • ماجر من نفع الى عياله

وكان أبو هريرة . وحذيفة . وأبى . وابن مسعود يحملون حرمة الخطب وجراب الدقيق وغيره على اكتافهم . وكان أبو هريرة يقول وهو وال على المدينة والخطب على رأسه : طرقت ايامي كم ، وكان عليه السلام يشتري الشيء فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطني احملة فيقول « صاحب المتاع احمق بحمله » رواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة في حمله سراويله التي اشتراها . ثم اعلم ان من حبس نفسه في بيته لتحسين اعتقاد الناس في حقه فهو في عناء حاضر في الدنيا ولغذاب الآخرة أشدوابقى . فلا تستحب العزلة الاستغراق في عناء بربه ذكر او فكريا وعلميا وعبادة واشتغالا بامرته تجردا وزهادة بحيث لو خالط الناس لضاعت أوقاته أو كثرت آفاته أو تشوشت عليه عباداته ، فن شغل نفسه لطلب رضى الناس فهو مغرور لانه لو عرف حق المعرفة لم ان الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا • وان ضرره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه الحق وسخط عليه الخلق ، بل رضى الناس غاية لا تدرك ولذا قيل :

من راقب الناس مات غما • وقاز بالراحة الجسور

وقيل للحسن : يا أبا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الاتبع سة طالت ظلامك وتمتلك في السؤال فتبسم وقال للقاتل : هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمان فطمعت ، وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم ، وقال موسى : يا رب احبس عني السنة الناس ،

وَالْتَجَارِبُ قَتَعَتْ بِهَا مَصَالِحُ الدَّارَيْنِ لَأَسِيْمَا الرِّيَاضَةُ وَالْأَصْلُ الْإِسْتِفْتَاءُ مِنَ
الْقَلْبِ وَحَقُّهَا نِيَّةُ الْإِحْتِرَازِ عَنْ شَرِّ النَّفْسِ وَالْغَيْرِ

فقال : يا موسى هذا شئ لم اصنعه لنفسى فكيف افعله لك . واوحى الله سبحانه الى عزيز :
ان لم تطب نفسا بان اجعلك علكا فى افواه الماضغين لم اكتبك عندى من المتواضعين .
وفى الحديث النبوى : اذ كروا لله حتى يقولوا مجنون « وقد قالوا فى حق أعقل الخلق مجنون
وساحر ومسحور وكذاب وشاعر ومغرور » (والتجارب) أى وفواتها فانه استفاد
من الخلطة ولا توجد فى العزلة ، فالقلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب
وسائر الأخلاق الذميمة انما تنفجر وتظهر آثارها من القلوب السقيمة اذ حرك بآدى
الحركة المستقيمة كما يشير اليه خبره : اخبر نقله ، وقولهم : حرك ترى ما يجرى (فتعلق
بها) أى بالتجارب (مصالح الدارين) من المناقب والمراتب (لأسيما الرياضة) فى
ترك المناصب وعند حصول المصائب ، فن هنا كانوا يجرىون أنفسهم ، فنه من كان يحمل
قربة ماء او نحوها بين الناس على ظهره أو حزمة حطب على رأسه ويتردد فى الأسواق لتجربة
نفسه إذا استشعر كبرا فى باطنه ، فان غوائل النفس ومكائدها قل من يفتطن بها ، فقد
حكى عن واحدانه قال : اعدت صلاة ثلاثين سنة مع انى كنت أصليها فى الصف الأول ،
ولكنى تخلفت يوما بعذر فاورجدت موضعا فى الصف الأول ، فوقفت فى الصف الثانى
فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس الى وقد سبقت الى الصف الأول فعلمت ان
جميع صلاتى كانت مشوبة بالرياء ، فالمخالطة لها فائدة ظاهرة فى استخراج القبائح واطهارها ،
ولذا قبل السفر يسفر عن الاخلاق فانها نوع من المخالطة مع الخلق . واذا عرفت هذا
فان تحققت الفوائد وانتفت الآفات فاختر العزلة ، والا فالخلطة ، وان تقابلا فخذ
بالأرجح فى المسألة (والأصل الاستفتاء من القلب) اذا كان مشحونا بذكر الرب
والأفضل هو الجمع بين الخلوة والجلوة كما يشير اليه قول الشافعى : الانقباض عن الناس
مكسبة للعداوة . والانبساط اليهم مجلبة لقراءة سوء فى المحادثة ، فكن بين المنقبض
والمنبسط ولذا قيل كن وسطا وامش جانبا . ويومى اليه قوله تعالى : (هو الذى
جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) (وحققها)
أى العزلة (نية الاحتراز) أى الاحتراز (عن شر النفس) وما فيها من الوسواس
(والغير) أى وغيرها من الجنة والناس ، فيبقى للمعتزل ان ينوى بعزله كفى شر نفسه

والتَّصْيِيرُ فِي رِعَايَةِ الْحُقُوقِ وَالتَّجَرُّدِ لِلْعِبَادَةِ وَتَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ فِي طَرِيقِهِ تَعَالَى وَالْحُضُورِ فِي نَحْوِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالْعِيدِ وَالْحَجِّ وَجُلُوسِ الْعِلْمِ وَبُحُورِ التَّرَكُّ عِنْدَ مُعَارَضَةِ مُنْكَرِ الْخَشْيَةِ مِنْهُ وَالْأَحَبُّ حِينَئِذٍ أَنْ يَسْكُنَ مَوْضِعًا يُسْقِطُهَا وَالسُّكُونُ فِي رِبَاطِ السَّالِكِينَ يُفِيدُ سَلَامَةَ الْعُزْلَةِ وَبِرَكَةِ الْجُمُعَةِ وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّأْدِبِ فَلِسَانُ الْحَالِ أَفْصَحُ وَوَرَدَتْقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ وَالطَّرِيقُ الْإِسْتِغْرَاقُ بِالْعِبَادَةِ

عن الإبرار ثم طلب السلامة من شر الأشرار (والتصوير في رعاية الحقوق) أي ثم الخلاص عن آفة القصور عن القيام بحق الأنام (والتجرد للعبادة) أي ثم العزيمة بكنهه المهمة للعبادة والفراغ للطاعة (وتهذيب الأخلاق) بأن يكون في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ودفع الأمل وانتظار الأجل (والسلوك في) طريقه تعالى (بمنع الناس عن زيارته لئلا يكون مشوشا في وقته وحالته، وعدم السؤال عن أخبار الناس وأفعالههم وأراجيفهم في أحوالهم، والقناعة باليسير من المعيشة، والصبر على ما يلقيه من أذى الجيران وغيرهم، وعدم الاصغاء إلى ما يقال في حقّه من مدح فيه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة. وينبغي أن يكون له أهل صالح أو جليس معتمد عليه لتستريح نفسه إليه في اليوم ساعة عن كد المواظبة في الطاعة. ثم لا يتم له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه بما يوافق أو ينافيه، ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل وتقريب الأجل (والحضور في نحو الجمعة) فانه فرض (والجماعة) فانه واجب أو فرض كفاية أو سنة مؤكدة (والعبد) فانه واجب أو سنة من سنن الهدى وشعار أهل التقى (والحج) فانه طريق أهل السلوك (وجلس العلم) فانه لا يستغنى عن الصلوك ولا الملوك ولا المملوك (وبحور الترك) أي ترك الحضور في تلك الأمور (عند معارضة منكر الخش منه) أي من ترك الحضور (والأحب حينئذ أن يسكن مَوْضِعًا) بعيدا من العمارات (يسقطها) أي المذكورات من الجمعة والجماعات ونحوها من المأمورات (والسكون في رباط السالكين) أي خائفاه الصالحين (يفيد سلامة العزلة) عن آفات الخلطة (وبركة الجمعة) والجماعة (والتعاون على البر) والتقوى (والتأديب) بآداب أهل الشرع والفتوى (فلسان الحال أفصح) من بيان الحال (وورد) في التنزيل: (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والطريق) أي الموصول للعزلة (الاستغراق بالعبادة) ذكر أوفكر أو علما وعملا وصبرا وشكرا،

فَالْأَسْتِنَاسُ بِالنَّاسِ مِنَ الْإِفْلَاسِ ، وَقَطْعُ الطَّمَعِ وَذِكْرُ الْآفَاتِ وَإِثَارُ الْخُتُولِ
وَهِيَ فَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ فُورِدَ « رَبِّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمَرِينَ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ
عَلَى اللَّهِ لَا بَرَهُ »

صَحَّوْا وَحَوَّوْا وَسَكَّرُوا وَفَقَّاهُوا وَقَبَضُوا بِسَطَا (فَالْأَسْتِنَاسُ بِالنَّاسِ مِنَ الْإِفْلَاسِ) أَيْ
مِنْ عِلَامَةِ الْإِفْلَاسِ عَنْ مَقَامِ الْإِنْسَانِ ، فَإِذَا رَأَيْتَ نَفْسَكَ تَطَّلِعُ إِلَى سَلَامَتِهِمْ وَكَلَامِهِمْ
وَمُلَاقَاتِهِمْ فِي مَقَامِهِمْ فَأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ فَضُولَ سَاعَةِ الْفِرَاقِ . وَفِي الْحَدِيثِ « نِعْمَتَانِ مَقْبُورَتَانِ
فِيهِمَا أَكْثَرُ النَّاسِ : الصَّحَّةُ وَالْفِرَاقُ » وَقِيلَ :

إِنَّ الشَّيْبَ وَالْفِرَاقَ وَالْجُدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلرَّءِىِ مَفْسَدَةٌ

وَمَتَى عَابَقْتَ الْعِبَادَةَ وَلَا زَمْتَهَا حَقَّ الْمَلَاذِمَةِ وَوَجِدْتَ حَلَاوَةَ الْمُنَاجَاةِ مَعَ الْحُضْرَةِ
وَإِسْتَأْنَسْتَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَأَخْبَارِ رَسُولِهِ وَأَرَصَفَاتِهِ اسْتَوْحَشْتَ عَنِ الْإِغْيَارِ ، عَلَى
أَنَّهُ لَيْسَ فِي الدَّارِ غَيْرُهُ دِيَارٌ فِي نَظَرِ الْإِبْرَارِ ، وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ : أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
كَانَ إِذَا رَجَعَ مِنَ الْمُنَاجَاةِ يَسْتَوْحِشُ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ وَيَجْعَلُ أَصْبَعِيهِ فِي أُذُنَيْهِ كَيْلَا يَسْمَعَ
كَلَامَهُمْ وَلَا يَقْنَمُ مَرَامَهُمْ . فَعَلَيْكَ بِمَا قَالَتْ بَعْضُهُمْ : اتَّخَذَ اللَّهُ صَاحِبَاءَهُ وَدَعَ النَّاسَ جَانِبًا
شَاهِدًا ذَنْبٍ فِيهِ ، وَأَوْغَابَ قَلْبَهُ النَّاسَ كَيْفَ شَاءَ ، فَتَجِدُهُمْ عَقَارِبًا . (وَقَطْعُ الطَّمَعِ) عَنْ
الْحَقِّقِ بَلْ عَنْ الْحَقِّ أَيْضًا بَانَ يَهْطُوكَ غَيْرَ مَا قَسَمَ لَكَ فِيهِمْ عَلَيْكَ أَمْرَ الْخَلْقِ وَالنَّظَرَ إِلَيْهِمْ
وَالطَّمَعُ فِيهِمْ ، فَإِنَّ مَنْ لَا تَرْجُو نَفْعَهُ وَلَا تَخَافُ ضَرَّهُ فَوْجُودُهُ وَعَدَمُ سَوَاءِ عَلَيْهِ ،
وَقَبُولُهُ وَرَدُّهُ مُسْتَوْلَدُكَ ، وَهَذَا تَذَكُّرٌ مِنْ تَوْحِيدِ الْأَفْعَالِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى خَيْرًا عَنْ مَا لَمْ
مِنْ الْأَحْوَالِ : (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ
لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا) (وَذِكْرُ الْآفَاتِ)
أَيْ آفَاتِ الْخَلْطَةِ وَفَوَائِدُ الْعُرْوَةِ (وَإِثَارُ الْخُتُولِ) فَإِنَّهُ الرَّاخَةُ وَضِدُّهُ الشَّهْرَةُ فَقِيْبًا
الْآفَةُ (وَهِيَ) أَيْ صِفَةُ الْخُتُولِ (فَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ) وَنَقْبَةٌ جَسِيمَةٌ وَقَدْ قِيلَ فِي تَعْرِيفِهِ هُوَ
إِسْقَاطُ النَّفْسِ عَنْ نَظَرِ الْخَلْقِ (فُورِدَ رَبِّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ) أَيْ مُتَفَرِّقُ الصَّعْرِ (أَغْبَرَ) مُغْبِرُ الرَّجَاهَةِ
(ذِي طَمَرِينَ) أَيْ كِسَائِينَ أَسْوَدِينَ أَوْ أَزَارِينَ خَلْقَيْنِ (لَا يُؤْبَهُ لَهُ) أَيْ لَا يُعْتَبَرُ لَهُ عِنْدَ
أَكْثَرِ الْخَلْقِ (لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ) فِي شَيْءٍ نَفِيًّا أَوْ اثْبَاتًا (لَا بَرَهُ) أَيْ لَجَعَلَهُ الْحَقُّ بَارًا فِي قِسْمِهِ
ذَلِكَ بَانَ يَجْمَعُهُ مُطَابَقًا لِمَا أَرَادَهُ هُنَاكَ . وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظِ
رَبِّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٌ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَهُ ، وَالْحَاكِمُ « رَبِّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمَرِينَ »

وَلَوْ اتَّسَعَ الْجَاهُ بَلَا طَلَبَ فَغَيْرُ مَذْمُومٍ كَمَا لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْخُلَفَاءِ وَالْأَتَمَّةِ إِلَّا أَنْ
فِيهِ قِتَّةٌ لِلضَّعْفَاءِ فُورِدَ «حَسْبُ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ الْأَمْنُ عَصَمَهُ اللَّهُ أَنْ يُشِيرَ
النَّاسُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ» وَإِنَّمَا الْمَذْمُومُ حُبُّ الْجَاهِ فُورِدَ (تِلْكَ الدَّارُ
الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا)

ينبوعه عين الناس لو اقسم على الله لا برة ، وقال صحيح الاسناد ، ولا بن أبي الدنيا ومن طريق
الدبلي من حديث ابن مسعود « رب ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لا برة » أو قال
اللهم انى اسئلك الجنة لاعطاء الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا ، وفي الاحياء عن أبى هريرة
مرفوعا « ان أهل الجنة كل اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على
الامراء لم يؤذن لهم ، واذا خطبوا النساء لم ينسكحوا ، واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج
أحدهم تتجلى في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم ، وسكت
عليه مخرجه وفي رواية « ان من أمتي من لو اتى أحدكم فسأله دينار لم يعطه اياه ولو سأله درهما
لم يعطه اياه ولو سأله فلسا لم يعطه اياه ولو سأل الله تعالى الجنة لاعطاه اياه ، الطبراق
في الأوسط من حديث ثوبان باسناد صحيح ، وزاد في الاحياء « ولو سأل الدنيا لم يعطه اياها
وما منها اياه لحواته عليه بل لكرامته لديه ، قال مخرجه وروى مرسل (ولو اتسع الجاه بلا
طلب فغير مذموم كما للانبياء) والمرسلين (والخلفاء) الراشدين (والأئمة) المعتمدين
من العلماء والصلحاء المعتمدين (الا أن فيه) أى فى اتساع الجاه (قِتَّةٌ لِلضَّعْفَاءِ) أى
ابتلاء ومحنة لغير الاقوياء حيث لم يتلذذوا بحال الفقراء فى خاطرهم ميل الى مقام الاغنياء
وذهلوا عما ورد من أن سليمان يدخل الجنة بعد سائر الانبياء بخمسةائة عام ، وكذا
ابن عوف من العشرة المبشرة يدخل الجنة بعد الفقراء المهاجرين بخمسةائة عام ،
بل فى الاحياء ان عذاب الكافر الفقير أخف من العنى فى دار البقاء (فورد) من حديث أنس
عند البيهقى (حسب امرى من الشر الامن عصمه الله أن يشير الناس اليه بالأصابع
فى دينه) أى بالعلم والعمل أى مخافة عجه وغروره (ودنياه) أى بالمال والجاه أى خشية
كبره وبطره ، وفسر الحسن دينه بالبدعة ودنياه بالفسق (وإنما المذموم حب الجاه)
أى لا وجوده وشهوده (فورد) فى التنزيل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا فى الارض) أى لا يحبون اعتلاء بالجاه والمال ، اذ لا يريدون استغلاء بغير الحق
(ولا فسادا) بحال الخلق بل يريدون صلاحا لاهل الحق ، لكن كما قيل آخر ما يخرج

وَأَصْلُهُ اِتِّشَارُ الصِّيتِ وَحَقِيقَتُهُ تَمْلُكُ الْقُلُوبِ الْمُوَصَّلُ إِلَى الْمَقَاصِدِ وَهُوَ
 أَشْهَى مِنَ الْمَالِ فَتَحْصِيلُ الْغَرَضِ بِهِ أَيْسَرُ مَعَ أَنَّهُ مَأْمُونٌ عَنْ نَحْوِ السَّرِقَةِ
 وَالنَّصَبِ وَنَامٍ دُونَ التَّعَبِ وَمُطَاعٌ بِالطَّوْعِ فَحَرَامٌ إِنْ كَانَ بَارِتِكَابِ ذَنْبٍ
 كَالْكَذْبِ

من قلوب الصديقين حب الرياسة ولو كان من حيث المشيخة وباب السياسة، والحاصل
 ان الله سبحانه علق جعل الدار الآخرة بنفى ارادة العلو المستازم لحب الجاه دون نفس
 الجاه فلم ان المذموم حب الجاه دون نفس الجاه من غير حبله (وأصله) أى الجاه
 (إتشار الصيت) واشتهار السمعة، فالخول محمود الا من شهره الله لنشر دينه
 من غير تكلف طلب الشهرة منه اقوة يقينه (وحقيقته) أى الجاه (تملك القلوب)
 المطلوب منها تهظيمها وطاعتها (الموصل الى المقاصد) أى الدنيوية وقد تكون
 الدنيوية والآخرية، قال ابن ادهم: ما صدق الله من أحب الشهرة، وقال أيوب السخيتاني
 ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه. وعن خالد بن معدان أنه كان اذا كبرت
 حلقتة قام مخافة الشهرة. وعن أبي العالية أنه كان اذا جلس اليه أكثر من ثلاثة قام
 وقال بشر: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس، وعن معاذ بن جبل:
 «ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين إذا غابوا لم يفقدوا وإذا
 حضروا لم يعرفوا»، قلوبهم مصاييح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة، الطبراني والحاكم
 وصححه، وقال الفضيل: بلغني ان الله عز وجل يقول في بعض ما يمين به على عبده الم أنعم
 عليك. الم استرك. الم اخمل ذكرك، وكان الخليل بن أحمد يقول: اللهم اجعلني عندك
 من ارفع خلقك، واجعلني في نفسي من اوضع خلقك، واجعلني عند الناس من اوسط
 خلقك. وقال الثوري وجدت قلبي بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب خوف وعبادة
 (وهو) أى الجاه (أشهى) أى الذ (من المال) ولذا يبذل المال لتحصيل الجاه ولأنه
 يحصل به المال ولو فى المال (فتحصيل الغرض) من حظ النفس واتباع الهوى (به)
 أى بالجاه (أيسر) أى أهون من تحصيله بالمال (مع انه) أى الجاه (مأمون عن نحو
 السرقة والغصب) بخلاف المال (ونام) أى منتشر فى العالم (دون التعب) يبذل المال
 ويان الحال (ومطاع بالطوع) أى بالرغبة فى خدمته لأرباب الكمال واصحاب الجلال
 (حرام) أى الجاه (ان كان بار تكاب ذنب كالكذب) بكونه تلويافى النسب أو من نسل

وَالْحَدَّاعِ بِإِظْهَارِ أَنَّهُ عَالِمٌ أَوْ وَرِعٌ أَوْ شَرِيفٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ وَيَبِيعُ الْعِبَادَةَ لِمَجْلَعِهَا
وَسِيلَةَ لِلدُّنْيَا جِنَايَةً وَإِلَّا قُبَاحٌ فَوَرَدَ . (قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ
إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ) وَالْأَوَّلَى الْإِحْتِرَازُ عَنْهُ فَفِيهِ آفَاتٌ وَهِيَ النِّفَاقُ وَاضْطِرَابُ
الْقَلْبِ لِشُغْلِهِ بِرِعَايَةِ الْقُلُوبِ وَحِفْظِ الْجَاهِ وَدَفْعِ الْحُسَادِ إِلَّا قَدْرًا يُعِينُ عَلَى الطَّاعَةِ
كَاسْتِمَالَةِ قَلْبِ خَادِمٍ يَتَعَهَّدُ أَوْ رَفِيقٍ يُعَاوَنُ أَوْ سُلْطَانَ يَدْفَعُ الشَّرَّ

الملوك والعلماء والمشايخ في الحسب (والحدّاع باظهار انه عالم او ورع او شريف
وهو بخلافه) من جاهل او فاسق او وضيع ، ومن هنا قيل : فن ادعى المشيخة فان
كان صادقا فهو افضل الخلق وان كان كاذبا فهو شر الخلاق ، وقدرود « ماذنابان
ضاريان في زرية غم باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم »
رواه النسائي . والترمذي وقال حسن صحيح من حديث كعب بن مالك (وبيع العباد)
اي وحرام ان كان يبيعها وهي من امور الدين بشيء من امور الدنيا مالا او جاها ،
(لجمعها) اي العباداة النافعة في العقبي (وسيلة للدنيا) الدنيا الفانية (جناية)
وعلى نفسه خيانة (والا) اي وان لم يكن حب الجاه باز تكاب ذنب ولا يبيع عبادة
(قباح) وبضم نية نفع مسلم او دفع ظالم يصير مندوبا وقد يكون مطلوباً (فورود)
في سورة يوسف (قال اجعلني على خزان الارض اني حفيظ عليم) اي مخاطبا للملك مصره
فانه طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما ، وكان محتاجا الى طلبه وكان صادقا في قوله
ونافعا لغيره في امره (والاولى) لغير الاقرباء (الاحتراز عنه) اي عن طلب
الجاه فانه لا يخلو عن خطر لحظ نفسه وما يهواه (ففيه آفات) اربعة (وهي النفاق)
لان صاحب الجاه لا يستغنى عن المدانة في الاخلاق وهي مخالفة الظاهر الباطن قولا
او فعلا (واضطراب القلب) اي تزلزله عند ظهور العيوب (لشغله برعاية القلوب
وحفظ الجاه) اي تمامه بين العباد ودوامه في البلاد (ودفع الحساد) اي ضررم
وشرم المعتاد (الاقدر) استثناء من الاحتراز اي الاقدر ايسرا من الجاه (يعين
على الطاعة) ويكون سببا للراحة بقدر الاستطاعة (كاستمالة قلب خادم يتعهد)
امورا ضروريا للمخدوم (اورفيق يعاون) في السفر او الحضر على البر والتقوى
ومحافظة امور العقبي (اوسلطان يدفع الشر) والبلوى *

وَالسَّبَبُ طُولُ الْأَمَلِ وَخَوْفُ الْآفَةِ وَاسْتِدْعَاءُ الطَّبَعِ الْكَمَالَ لِتَحَقُّقِ الطَّبَعِ
الرُّبُوبِيِّ فِي الْإِنْسَانِ كَالسَّبْعِيِّ وَالشَّيْطَانِيِّ وَالْبَيْهَمِيِّ فَيُجِبُّ الِاسْتِعْلَاءَ بِالِاسْتِرْقَاقِ
إِنْ أَمَكْنَ كَمَا فِي الْأَجْسَادِ الْأَرْضِيَّةِ

(والسبب) أى سبب حب الجاه ثلاثة (طول الأمل) أى بتباعد الاجل
(وخوف الآفة) أى توم المحنة التى تكون مذنبا للمنة . وتوضيحه ان الشفيق بسوء
الظن مولع ، والانسان وان كان مكفيا فى الحال فانه طويل الآمال فيخطر بباله ان
المال الذى فيه كفاية ربما يتلف فيحتاج الى غيره ، واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف
من قلبه فلا يدفع المرء خوفا الا الامن الحاصل لو جود مال آخر يفزع اليه ان اصاب
هذا المال جائحة فهو ابدا لشفتته على نفسه وحب الجاه بقدر طول الحياة ، وبقدر هجوم
الجاهات ، وبقدر امكان طرق الآفات ، وهذا خوف لاموقف له عند مقدار مخصوص
من المال او الجاه ، ومن هنا ورد « فهو مان لا يشبعان : منهم العلم ومنهم المال »
الطبراني وغيره « ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يفتي ثالثا ولا يملك اجمالا »
آدم الا التراب ويتوب الله على « ن تاب » (واستدعاء الطبع) أى استشعاره (الكمال)
الحقيقى أو الوهمى (لتحقيق الطبع) أى الخلق (الربوبى فى الانسان) من الاستعلاء
والاستيلاء ، والتكبر والتجبر واظهار المظلة والكبرياء ، اذ معنى الربوبية التوحيد بالكمال
والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال ، وكل انسان بطبعه يحب لان يكون منفردا
بالكمال فى الجمال والجلال ، ولذا قال بعض الصوفية : ما من انسان الا وفى باطنه ما صرح
به فريعون من قوله انا ربكم الاعلى ، ولكنه ليس بمجد مجالا ، وفى الاجليه وهو كما
قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع ، ولكن لما عجزت النفس عن
درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فى جميع الاحوال (كالسبعى) من القتل
والجرح والضرب والابداء (والشيطانى) بالمر والحدیعة والاغواء (والبهيمى)
من الاكل والشرب والوقاع مع النساء (فيجب) أى الانسان بالطبع الربوبى
(الاستعلاء بالاسترقاق) أى استرقاق العبيد على وجه الاكثار واستعباد اجساد
الاجرار (ان امكن) الاسترقاق ولو بالقهر والغلبة متى يتصرف فيهم بالاستسخار
(كما فى الاجسام الارضية) من نحو الكلا والاعراس والاشجار بالقلم والابقاء
والابداء والافناء ، والدوام والدانير والامتنعة ، فيجب ان يكون قادر اعليها بفعل

ثُمَّ بِالْإِسْتِمَالَةِ كَمَا فِي الْقُلُوبِ ثُمَّ بِالْإِطْلَاعِ كَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَعَالَمِ الْمَلَكُوتِ
وَالْعِلَاجُ الْعِلْمُ بَأَنَّهُ كَذَلِكَ وَهِيَ لِرُؤَاةِ الْمَوْتِ وَلِأَنَّ الْقُدْرَةَ الْحَقِيقَةَ لَهُ تَعَالَى
وَفِيهِ التَّشْبِيهُ بِالسَّبَاعِ وَالشَّيَاطِينِ وَالْبَهَائِمِ أَمَّا الْحَقِيقِيُّ فَعَرَفْتُهُ تَعَالَى وَحُبَّتْهُ وَمَا
يُعِينُ عَلَيْهِ لِبَقَائِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَفِيهِ التَّشْبِيهُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ

فيها ما يشاء من الرفع والوضع والعطاء والمنع ، فان ذلك قدرة والقدره كمال والكمال
من صفات الربوبية ، والربوبية محبوبة بالطبع والجلبة الخلقية ، ولذا احب الاموال
وان كان لا يحتاج اليها في ما كلة ومشربه وملبسه وشهوات نفسه (ثم بالاستمالة)
اي بطلب ميل الخلق اليه ظاهرا او غايبا او باطنا ورغبة (كما في القلوب) طوعا وكرها
(ثم بالاطلاع) اي الاشراف (كما في السموات) وفي نسخة السماويات اي اخبارها
وانوارها واسرارها (وعالم الملكوت) من العرش والكرسي وحولهما من الملائكة
وانوارها ، والمراد بالملكوت عالم الباطن بما يخطر من الخطرات والعزائم في الحركات
والسكنات . والحاصل ان مطلوب القلب الكمال ، والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت
الدرجات فيه غير محصور ، فمرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال ، فهذا
هو السبب في كون العلم والمال والجاه من المحبوبات ، وهو امر وراء كونه محبوبا
لاجل التوصل به الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد بقي مع سقوط الشهوات والبهوات ،
بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصاح للتوصل به الى قضاء الاغراض ، بل ربما يفوت
عليه جملة من الاغراض والاعراض ، ولكن الطبع يتقاضى العلم في جميع العجائب
والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلومات وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات
الربوبية فكان محبوبا بالطبع ولو كان صاحبه في مقام العبودية .

(والعلاج) اي علاج رفع حب الجاه خمسة اشياء (العلم بانه) اي الجاه
الذنيوي (كما لو همى) ليس في الواقع كمال حقيقي (لزواله بالموت) انتهاء لحدوثه
ابتداء (ولان القدرة الحقيقية له تعالى) ازلا وابدا (وفيه) اي في الجاه الوهمي
الصوري (التشبه بالسباع والشیاطین والبهائم) كما تقدم (اما الحقيقي) اي بآله
(فعرفته تعالى وحبته وما يعين عليه) اي على ثلثه من العلم والعمل لما حتم به شريعته
وانما يكون هذا لنا لاحقيقا (لبقائه بعد الموت) فالكمال الحقيقي ما يتقل مع صاحبه
ولا ينفك عن جانب (وفيه) اي في هذا الكمال (التشبه بالانبياء والملائكة) الموصوفين

وَأَفَاتِ الدُّنْيَا وَخَسَّاسَتِهَا وَمَا وَرَدَ فِي ذِمِّ الْجَاهِ وَمَدْحِ الْخَوَلِ وَأَحْوَالِ السَّلَفِ
فِي إِثَارِ الْعُقْبَى وَمُبَاشَرَةِ أَمْرِ يُسْقِطُهُ

بكمال المعرفة والحجة الدائمة الباقية ، فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم
انكباب العميان وهم غافلون ، واقبلوا على طلب الكمال بالجاه والمال وهو الكمال الذي
لا يسلم من الزوال وان سلم في الحال فلا بقاء له في المآل ، واعرضوا عن كمال الحرية
والمعرفة المسمى علما لدنيا ، واذا حصل ابديا لا انقطاع له لكونه سرمديا . فهو لاهم
الذين اشترىوا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ،
وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخيرا ملا) فالعلم والقربة هي الباقيات الصالحات التي تبقى ذالا
في النفس ، واما المال والجاه فيبقى في الحال أو المآل كما مثله الله تعالى بقوله (انما
بمثل الحياة الدنيا ثماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) الآية ﴿ وآفات
الدنيا ﴾ اى والعلم بها ﴿ وخساستها ﴾ اى دناءة نفسها من كثرة عنائها وقلة غناها
وخسة شركائها وسرعة فنائها ، فلهذا در القائل :

اشد الغم عندى في سرور تيقن عنه صاحبه اتقالا

ولآخر من أهل الفضائل :

أضغاث أحلام وظل زائل ان الليب بمثله لا يخدع

﴿ وما ورد ﴾ اى والعلم بما جاء من السنة ﴿ في ذم الجاه ومدح الخول ﴾
على ما تقدم ﴿ وأحوال السلف في اثار العقبي ﴾ على مناصب الدنيا ومعاونة
بعضهم لبعض في البر والتقوى ، فقد كتب الحسن البصرى الى عمر بن عبدالعزيز : اما بعد
فكانك باخر من كتب عليه الموت وقدمات ، فانظر كيف مدت نظره نحو المستقبل
وقدره كاتنا . وكتب عمر بن عبدالعزيز في جوابه : اما بعد فكانك بالدينام تكن وكأناك
بالآخرة لم تنزل فهو لاهم . كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علوا ان العاقبة
للتقين واستحقروا الجاه والمال في الدنيا . وبصائر أكثر الخلق ضيقة مقصورة على العاجلة
لا يمتد نورها الى مشاهد العواقب الآجلة كما قال تعالى : (بل تؤثرن الحياة الدنيا والآخرة
خير وأبقى) وقال تعالى : (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) ﴿ ومباشرة أمر ﴾
بالرفع عطفا على العلم اى والعلاج لاهل وهو مباشرة فعل ﴿ يسقطه ﴾ اى جأه
وقدره من قلوب الخلق وأعينهم ، وتفارقة لذة القبول ويأنس بالخول ويقنع بنظر

كشرب الماء في قدح يشبه الخمر لونا إلا أن يكون متبوعا فيأشرب ما يرى مباحا
 كإظهار الشره والأقوى القناعة والاعتزاف، وأما الاعتزال في الوطن فلا
 يخلو عنه لمعرفة الناس به

الحاق وقوله ، وهذا طريق الملامية الطالبين للحالة السلامية (كشرب الماء)
 الحلال (في قدح يشبه الخمر لونا) أى يشبه لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب
 الخمر فيسقط من الاتين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا أن أرباب الأحوال
 ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأى اصلاح قلوبهم فيه ، ثم يتداركون
 ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم ، فانه عرف بالزهد وأقبل الناس
 عليه ، فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ورثف في الطريق حتى عرفوه واخذوه
 وضربوه واستردوا منه الثياب وسموه لص الحرام (الا أن يكون متبوعا) أى من المقتدين
 حيث لا يجوز ان يفعل ما لا يكون بظاهره مشروعا فانه يؤمن الدين في قلوب المسلمين .
 وأما الذى لا يقتدى به فلا ينبغي له أيضا أن يقدم على محذور لاجل ذلك (فيأشرب
 ما يرى مباحا) مما يسقط قدره عند الناس (كإظهار الشره) بفتحين أى الحرص
 في الطعام ، كما روى ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى
 طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره و يعظم القمم فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف
 فقال الزاهد : الحمد لله الذى صرفك عني . وهذا بالنسبة الى المتقدمين ، واما فى زماننا
 فنحن عمل بالكتاب والسنة فى امره لم يبق صديقانى دهره مدة عمره (والأقوى) أى فى
 المعالجة (القناعة) بلزوم الطاعة وعدم الطمع من اهل الاستطاعة والاكتفاء بما
 لا بد منه للاحياء كلفمة تسد جوعته وخرقة تستر عورته ويبت يدفع عنه حره وقره
 (والاعتزاف) أى طلب الغربة والهجرة الى موضع الخول وعدم الشهرة (واما
 الاعتزال فى الوطن فلا يخلو عنه) أى عن نوع من الجاه (لمعرفة الناس به) فان المعتزل
 فى البلد التى هو فيها مشهور لا يخلو فى بيته عن حب المنزلة التى يترشح له فى القلوب
 بسبب عزله ، فربما يظن أنه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور بها ، وانما سكنت نفسه لانها
 قد ظفرت بمقصودها ، ولو تغير الناس عليه عما اعتقدوا فيه وذموا وجزعت نفسه وتألمت
 ثم لا يمكنه أن لا يحب المنزلة فى قلوب الناس مادام يطمع فيهم ، فاذا أحرز قوته من كسبه
 أو من جهة أخرى وقطع الطمع عنهم أصبح الناس ظلم عنده كالأرازل ، فلا يزال

ثُمَّ الْأَوَّلَى كَرَاهِيَةُ الْمَدْحِ وَحُبُّ الدَّمِّ فَوَرَدَ وَيْلٌ لِلصَّائِمِ وَيْلٌ لِلْقَائِمِ وَيْلٌ
 لِصَاحِبِ الصُّوفِ إِلَّا مَنْ تَزَهَّدَتْ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَبْغَضَ الْمَدْحَةَ وَاسْتَحَبَّ
 الْمَذْمَةَ ثُمَّ التَّسْوِيَةُ وَيَعْرِفُ بِتَسْوِيَةِ الْمَادِحِ وَالذَّامِّ فِي اسْتِقْطَالِ جُلُوسِهِمَا وَالْفَرَحِ
 بِسُرُورِهِمَا وَالْغَمِّ بِمُصِيبَتِهِمَا ثُمَّ عَكْسُ الْأَوَّلِ دُونَ إِظْهَارِ قَوْلٍ وَفَعْلٍ ثُمَّ
 بِإِظْهَارِهِمَا

أَنَّ لَهُ مَنْزِلَةً فِي قُلُوبِهِمْ كَمَا لَا يَبَالِي بِهَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ هُمْ مِنْهُ فِي أَقْصَى الْمَشْرِقِ
 أَوْ الْمَغْرِبِ لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُمْ وَلَا يَطْمَعُ فِيهِمْ، ثُمَّ لَا يَطْعُ الطَّمَعُ عَنْهُمْ إِلَّا بِالْقَنَاعَةِ فَنُقِعَ
 شَبَعٌ وَاسْتَفْنَى عَنْ غَيْرِهِ، وَمِنْ هُنَا وَرَدَ «لَا يَكْمُلُ إِيْمَانُ أَحَدِكُمْ حَتَّى يَكُونَ الْخُلُقُ عِنْدَهُ
 كَالْبَاعِصِ» .

﴿ثُمَّ الْأَوَّلَى﴾ فِي بَابِ الْمَلَاجِ ﴿كَرَاهِيَةُ الْمَدْحِ وَحُبُّ الدَّمِّ﴾ فَإِنَّ مَعَالَجَةَ الْفَسَادِ أَنْ تَكُونَ
 بِالْإِضْدَادِ ﴿فَوَرَدَ : وَيْلٌ لِلصَّائِمِ وَيْلٌ لِلْقَائِمِ وَيْلٌ لِصَاحِبِ الصُّوفِ إِلَّا مَنْ تَزَهَّدَتْ
 نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَأَبْغَضَ الْمَدْحَةَ وَاسْتَحَبَّ الْمَذْمَةَ﴾ كَذَا فِي الْأَحْيَاءِ، وَقَالَ مَخْرَجُهُ لَمْ أَجِدْهُ
 هَكَذَا، وَذَكَرَ صَاحِبُ الْفَرْدُوسِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ «وَيْلٌ لِمَنْ لَبِسَ الصُّوفَ فَخَالَفَ
 فَهْلَهُ قَوْلُهُ» وَلَمْ يَخْرُجْهُ وَلَدَهُ فِي مَسْنَدِهِ ﴿ثُمَّ التَّسْوِيَةُ﴾ أَيْ تَسْوِيَةُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ بِأَنْ لَا تَغْنَمَ
 الْمَذْمَةُ وَلَا تُسْرِهَ الْمَدْحَةُ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : إِذَا قِيلَ لَكَ : نَعَمْ الرَّجُلُ أَنْتَ فَكَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ
 أَنْ يَقَالَ بِشِ الرَّجُلِ أَنْتَ فَأَنْتَ وَاللَّهِ بِشِ الرَّجُلِ وَهَذَا قَدْ بَيَّنَّنَاهُ بَعْضَ الْعِبَادِ بِنَفْسِهِ
 وَيَكُونُ مَغْرُورًا بِهِ إِنْ لَمْ يَمْتَحِنْ نَفْسَهُ فِي حَالِ انْسِهٍ ﴿وَيَعْرِفُ﴾ اسْتَوَاءَ الْمَدْحِ
 ﴿بِتَسْوِيَةِ الْمَادِحِ وَالذَّامِّ فِي اسْتِقْطَالِ جُلُوسِهِمَا﴾ عِنْدَهُ ﴿وَالْفَرَحِ بِسُرُورِهِمَا وَالْغَمِّ
 بِمُصِيبَتِهِمَا﴾ وَحُزْنِهِمَا وَنَحْوَهُ مِنَ الْمُنْعِ وَالْمُعْطَاءِ فِي فَعْلِهِمَا وَالسَّعْيِ فِي قَضَائِهِمَا حَاجَتُهُمَا
 وَمَا أَبْعَدَ ذَلِكَ عَنْ قُلُوبِ أَكْثَرِ الْعِبَادِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ وَالزَّهَادِ . فَإِنْ وَجَدَ قَبْلَهُ
 الْكِبَرِيَّةَ الْأَحْمَرُ يَتَحَدَّثُ بِهِ وَلَا يَرَى، وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا سَمِعَ الْمَدْحَ لَمْ يَسْرِ بِهِ وَلَمْ يَقْتُمْ وَلَكِنْ
 لَمْ يُوَثِّرْ بِهِ فَبُذِلَ عَلَى خَيْرٍ كَثِيرٍ، وَإِنْ كَانَ قَدْ بَقِيَ عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ مِنَ الْإِحْلَاصِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ
 الْإِحْلَاصِ مِنَ الْمَنَاصِرِ ﴿ثُمَّ عَكْسُ الْأَوَّلِ﴾ الَّذِي ذَكَرَ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأَوَّلَى وَهِيَ أَنْ يُحِبَّ الْمَدْحَ
 وَيَكْرَهُ الدَّمَ فِي الضَّمِيرِ ﴿دُونَ إِظْهَارِ قَوْلٍ وَفَعْلٍ﴾ فِي وَجْهِهِمَا بِضَرْبِ أَوْشَمٍ أَوْ ثَنَاءٍ
 وَعَطَاءٍ ﴿ثُمَّ بِإِظْهَارِهِمَا﴾ أَيْ إِظْهَارِ الْقَوْلِ وَالْفَعْلِ . مُقَابَلَةُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ فَيُقَابِلُ الذَّامُّ

وَحُبُّ الْمَدْحِ كَحُبِّ الْجَاهِ حُرْمَةٌ وَإِبَاحَةٌ وَنَفْعٌ وَضَرٌّ وَالسَّبَبُ الشُّعُورُ بِكَمَالِ
النَّفْسِ وَالِاسْتِيْلَاءُ عَلَى الْمَادِحِ وَاسْتِمَالَةُ قُلُوبِ السَّامِعِينَ، فَيَقْوَى مِنَ الْمُعْتَبَرِ
وَالْمُرْتَفِعِ وَفِي الْمَلَأِ أَقْوَى

بالشتم والضرب والمادح بالثناء والعطاء وهو حال أكثر الخلق ﴿وحب المدح كحب الجاه
حرمة﴾ ان كان بار تكاب ذنب ﴿واباحة﴾ ان كان بأمر مباح ﴿ونفعا﴾ أى كان لدفع
شر ﴿وضرا﴾ ان كان يجلب نفع محرم كما سبق مفصلا *

﴿والسبب﴾ لحب المدح ثلاثة : ﴿الشعور بكمال النفس﴾ أى استشعار الكمال
بسبب قول المادح ، فطريقك فيه أن ترجع الى عقلك الراجح وتقول لنفسك : هذه
الصفة التى يمدحك بها أنت متصفة بها أم لا فان كنت متصفة بها ففى اما أن تكون صفة
تستحق بها المدح كالمال والورع فينبغى أن لا تفرحى بها لأن الخاتمة غير معلومة ، واما صفة
لا تستحق المدح كالمال والجاه فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض بما تذروه الرياح ولا يذنبى أن
يفرح الانسان بعروض الدنيا ، وان فرح فلا يذنبى أن يفرح بمدح المادح بل بوجودها
فالمادح ليس هو سبب وجودها وشهودها فلا يجب أن تفرح به بل بسبب وجودها هو الله
سبحانه فهو المستحق للحمد والثناء تبارك وتعالى ، ومنه قوله عز وعلا : (قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وان كان الصفة التى مدحت بها وفرحت
بسيبها أنت خال عنها ففرحك بمدحه غاية الجنون عند أهل الفنون ؛ اذ مثال ذلك مثال
من يهزؤ به انسان ويقول : سبحان الله ما أكثر العطر الذى فى احشائك ، وما أطيب المسك
الذى فى أعضائك وأنت تعرف نفسك بكثرة الاقدار والذين فى أثوابك وأجزاءك
﴿والاستيلاء على المادح﴾ فان المدح يدل على تسخير قلب المادح ﴿واستمالة قلوب
السامعين﴾ فهذا يرجع الى حب الجاه ، وعلاجه بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله
﴿فيقوى﴾ أى حب المدح اذا حصل ﴿من المعتبر﴾ علما وحملا أكثر وأظهر من
غيره ﴿والمرتفع﴾ قدره فى الجاه والمال ، وفى نسخة المترفع أى من أهل التصدرفى
المجالس والمحافل وان لم يكن من ذوى الفضائل ﴿وفى الملاأ أقوى﴾ من الخلاء وفيه
خطر للمدوح ، ولذا قال عليه السلام للمادح «ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما أفلح
الى يوم القيامة» *

وَالْعَلَّاجُ عِلَاجُ الْجَاهِ وَعَلَيْهِ أَنَّ الصِّفَةَ الْمَمْدُوحَ بِهَا إِن فُقِدَتْ فَاسْتِهْزَاءٌ وَإِنْ
وُجِدَتْ فَالْدُنْيَوِيَّةُ كَمَالٌ وَهَمِيٌّ وَالْدِينِيَّةُ مَوْقُوفَةٌ عَلَى الْحَاقَّةِ، وَالْأَوَّلَى إِظْهَارُ
الْبُغْضِ لِلْبَادِحِ قَطْعًا لِلْفِتْنَةِ، وَسَبَبُ كَرَاهَةِ الذَّمِّ النَّقَائِصُ الْمَذْكُورَةُ فِي حُبِّ الْجَاهِ

(والعلاج) أى علاج حب المدح شيان (علاج الجاه) أى حبه وقد تقدم حكمه (وعليه) أى الممدوح (أن الصفة الممدوح بها أن فقدت) بأن يكون كذاباً (فاستهزاء) وهذا كثير فى قصائد الشعراء للأغنياء والأمراء ، وقد ورد إذا رأيتم المداحين فاحشوا فى وجوههم التراب ، وهو كناية عن الخيبة ، أو إيمانهم إلى دفع شرهم بباب من الأبواب وسبب من الأسباب من إعطاء الدراهم والدنانير ، والنياش ، فقد ورد « ما وقى به العرض فهو صدقة » (وان وجدت) أى تلك الصفة بأن يكون صادقاً فى قوله (فالدينية) من المال والجاه (كآل وهى ، والدينية) من العلم والعمل (موقوفة على الحاقمة) أى حسنها وهى غير معلومة ، فانما الأعمال بالخواتيم كما ورد (والأولى) فى علاج حب الجاه (إظهار البغض للمدح قطعاً للفتنة) ومن هنا كان الصحابة على وجل تعظيم من المدح وقتته ، وما يدخل على القلب من السرور بمدحته ، وما يفرغ عليه من عنته ، حتى أن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلاً عن شيء فقال : يا أبا المؤمنين أنت خير منى وأعلم ، فغضب وقال : إني لم أمرك أن تزكيني . وقبل لبض الصحابة . لن يزال الناس بخير ما بقاك الله فيهم ، فغضب وقال : إني لأحسبك عراقياً . وقال بعضهم لما مدح : اللهم إن عبدك تقرب إلى بمقتك فاشهدك على مقتي . وإنما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم بمقتوتون عند الخلق ، فكان اشتغال قلوبهم بأحوالهم عند الله بيبض إليهم مدح الخلائق لأن الممدوح على الحقيقة هو المقرب عند الله تعالى ، والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله الملقى فى النار مع الأشرار فى دار البوار . فهذا الممدوح إن كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره ، وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله وبرحمته وليس أمره بيد الخلق ، ومهما علم أن الآجال والأرزاق بيد الله قل التفاته إلى مدح الخلق وذم من سواء ، وسقط من قلبه حب مدحه واشتغل بما يهمه من أمر دينه وحب ربه (وسبب كراهة الذم النقائص المذكورة) أى الأسباب المسطورة (فى حب الجاه) من الشعور بكآل النفس واستيلاء المدح واستماله قلوب

وَالْعَلَّاجُ عِلْمٌ أَنَّ الصِّفَةَ الْمَذْمُومَ بِهَا إِنِّ وَجِدَتْ قَبْصِيرُ الْعُيُوبِ وَفِيهِ
الْفَرَحُ وَالشَّغْلُ بِالْإِزَالَةِ وَإِنْ فَقَدَتْ فَكَفَّارَةُ الذُّنُوبِ وَفِيهِ الشُّكْرُ لَهُ تَعَالَى
وَالْتَرَحُّمُ عَلَيْهِ حَيْثُ أَهْلَكَ نَفْسَهُ وَوَرَدَ، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ «دَعَا
لِقَوْمٍ كَسَرُوا سِنَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»

السامعين (والعلاج) لكرهية الذم (علم ان الصفة المذموم بها ان وجدت) فيك
سواء قصد القاتل به النصيحة او التعنت والفضيحة (قبصير العيوب) وهو مطلوب
اهل القلوب (وفيه الفرح) بالاطلاع على الصفة الذميمة (والشغل بالازالة)
اى بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها وليس للكرهية مجال لديها فعن
عمر رضى الله عنه رحم الله من اهدى الى عيوب نفسى (وان فقدت) تلك الصفة
بان يكون القاتل كاذبا فى المذمة (فكفارة الذنوب) اى بقية مساويك فكأنه يرمك
بعبث انت برىء منه وطهرتك عن عيب انت متلوث به (وفيه الشكر له تعالى)
اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت برىء منه وما ستر الله من عيوبك
اكثر تدبر (والترحم عليه) اى على الذايم (حيث اهلك نفسه) بذكك فالمسكين
جنى على دينه حتى سقط من عين ربه واهلك نفسه باقترائه وتعرض لعقابه الاليم يوم
جزائه فلا ينبغي ان يغضب عليه مع غضب الله لديه ويقول اللهم اهله ونحوه فيشمت
الشيطان بك وبه بل ينبغي لك ان تقول رغما للشيطان وحزبه اللهم اصلحه اللهم تب عليه
اللهم ارحمه اللهم اهده (وورد) فى دلائل النبوة للبيهقى (اللهم اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
دعا) اى النبي عليه السلام (لقوم) من كفار قريش (كسروا سِنَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)
اى رباعيته وشجوار رأسه وذلك باحد، ودعا ابراهيم بن ادهم لمن شج رأسه بالمغفرة
ف قيل له فى ذلك فقال اعلم انى مأجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببى،
ومما يهون عليك كراهية المذمة قطع الطمع فان من استغنىت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر
ذلك فى قلبك، وأصل الدين القناعة بما اعطاه الله من المال وبها ينقطع الطمع من الجاه
والمال واما مادام الطمع قائما فكان حب المدح والجاه يغلب فى قلب من طمعت
فيه دائماً

(البَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي التَّوَاضُّعِ وَذِكْرِ الْمَنَّةِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَرَدَّ «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ» الشَّرْفُ التَّوَاضُّعُ وَضَدُهُ التَّكْبَرُ وَهُوَ اتِّبَاعُ الْكِبَرِ وَهُوَ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ فَوْقَ غَيْرِهِ فِي صِفَةِ الْكَمَالِ فَيَحْصُلُ بِهِ نَفْخَةٌ.

(البَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي التَّوَاضُّعِ وَذِكْرِ الْمَنَّةِ)

أَيُّ فِي مَدْحِهِمَا وَذَمِّ ضَدِّهِمَا وَهُمَا الْكِبَرُ وَالْمَدْحُ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الَّذِي يَتَوَاضَعُ لَهُ الْعَرْشُ الْكَرِيمُ (وَرَدَّ) فِي الْحَلِيَّةِ لِأَبِي نَعِيمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ) وَمَعْنَاهُ مَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ وَضَعَهُ، وَلِلْبَيْهَقِيِّ فِي الشَّعْبِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ إِذَا تَوَاضَعَ الْعَبْدُ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَلِلْأَصْفَهَانِيِّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ «أَنَّ التَّوَاضُّعَ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ الْارْفَعَةَ» وَلِمُسْلِمٍ فِي إِثْنَاءِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ الْارْفَعَهُ اللَّهُ» وَلِلْأَحْمَدِيِّ فِي الشَّعْبِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبَرٍ أَوْ كِبَرُ اللَّهِ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ» وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَحَسَنُهُ مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يَكْتَسِبَ فِي الْجَبَارِينَ فَيَصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ» وَلِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَمِيْسٍ «بَشَّ الْعَبْدُ عَبْدَ تَجْبَرٍ وَاعْتَدَى وَنَسَى الْجَبَّارَ الْأَعْلَى بِشَّ الْعَبْدَ عَبْدَ تَكْبَرٍ وَخَتَلُ وَنَسَى الْكَبِيرَ الْمُتَعَالِ بِشَّ الْعَبْدَ عَبْدَ سَمٍ وَلَهَا وَنَسَى الْمُقَابِرَ وَالْبَلِيَّ بِشَّ الْعَبْدَ عَبْدَ عَتَى وَبَغَى وَنَسَى الْمَبْدَأَ وَالْمُنْتَهَى» وَرَوَاهُ الْجَلَامُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ وَصَحَّحَهُ (الشَّرْفُ التَّوَاضُّعُ) فَلَا بَنَ إِذَا الدُّنْيَا الْكَرَمُ التَّقْوَى وَالشَّرْفُ التَّوَاضُّعُ وَالْيَقِينُ الْغَنَى، وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ التَّوَاضُّعُ أَحَدُ صَائِدِ الشَّرْفِ وَكُلُّ نِعْمَةٍ مَحْسُودٍ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا إِلَّا التَّوَاضُّعَ، وَقَالَ الْفَضِيلُ التَّوَاضُّعُ أَنْ تَخْضَعَ لِلْحَقِّ وَتَقَادِلَهُ وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ صَبِي قَبْلَتَهُ مِنْهُ وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ قَبْلَتَهُ، وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ التَّوَاضُّعُ أَنْ تَضَعَ نَفْسَكَ عِنْدَ مَنْ دُونَكَ فِي نِعْمَةِ الدُّنْيَا حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ بِدُنْيَاكَ فَضْلٌ وَأَنْ تَرَفَعَ نَفْسَكَ عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بِدُنْيَاكَ عَلَيْكَ فَضْلٌ، وَقَالَ قَتَادَةُ مَنْ أَعْطَى مَا لَا أَوْجَالَ أَوْ ثَنَاءَ أَوْ عِلْمًا ثُمَّ لَمْ يَتَوَاضَعْ فِيهِ كَانَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ رِبَالًا (وَضَدُّهُ التَّكْبَرُ وَهُوَ اتِّبَاعُ الْكِبَرِ) وَأُظْهَرَهُ بِأَنَّ التَّوَاضُّعَ اتِّبَاعُ الضَّعْفَةِ وَأُظْهَرَ الْمُسْكِنَةُ بِأَنْ يَرَى نَفْسَهُ دُونَ غَيْرِهِ فِي صِفَةِ الْكَمَالِ فَتَكْبَرُ عَلَى امْتِنَالِهِ فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ فِي حَالِهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُمْ فَهُوَ مُتَوَاضِعٌ فِي مَقَامِ كَمَالِهِ.

(وَهُوَ) أَيُّ الْكِبَرِ (أَنْ يَرَى نَفْسَهُ فَوْقَ غَيْرِهِ فِي صِفَةِ الْكَمَالِ فَيَحْصُلُ بِهِ نَفْخَةٌ) أَيُّ

وَرَدَّ «أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْخَةِ الْكِبَرِ، وَآثَرِهِ التَّرَفُّعِ فِي الْمَجْلِسِ وَالتَّقَدُّمِ فِي الطَّرِيقِ وَالنَّظَرِ بِالْمَا فِي وَعَيْنِ الاسْتِحْقَارِ

انتفاخ الكبر في نفسه. وعن ابن عباس في قوله تعالى (ان في صدورهم الاكبر ما هم ببالغيه) فقال عظمة لم تبلغوها، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر. وعن ثابت بلغنا انه قيل يا رسول الله ما أعظم تجبر فلان فقال أليس بعده الموت؟ اليه في الشعب هكذا مرسله ويري أن يخرج يونس وأيوب. والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن: التواضع أن تخرج من منزلك فلا ترى مسلما الا رأيت له عليك فضلا وقال الجنيد التواضع عند أهل التوحيد تكبر، وفي الاحياء لعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها أو يرفعها (ورود أعوذ بك من نفخة الكبر) روى أبو داود. وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم مرفوعا أعوذ بالله من الشيطان من نفخة ونفثه وهمزه فتفخه الكبر ونفثه الشر أو السحر وهمزه الوسوسة في السر (وآثاره) أي علامات الكبر ثلاثة عشر (الترفع في المجلس) على الاقران أي من غير استحقاق له به (والتقدم في الطريق) على الاخوان مع استحقاقهم به، قال أبو البراء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه، وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة، ومشى قوم خلف الحسن البصري فنعهم وقال: ما يبقى هذا من قلب العبد، وكان عليه السلام في بعض الاوقات يمشي مع الصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في الغمار اما لتعليم غيره وأما لئني وسواس الشيطان بالكبر والعجب كما انتزع الثوب الجديد في الصلاة ولبس الخلق لاحد هذين المعنيين كذا في الاحياء، والمعروف نزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق ونزع الخميصة ولبس الانجانية كما تقدم والله أعلم. وللدبلي في مسند الفردوس من حديث أبي امامة بسند ضعيف جدا انه خرج يمشي الى البقيع فتبعه أصحابه فوق وأمرهم أن يتقدموا ومشى خلفهم فثقل عن ذلك فقال: اني سمعت خفقا فقالكم فاشفقوا أن يقع في نفسى شيء من الكبر (والنظر) الى الغير (بالمآ في) أي بطرف العين تكبرا وتجبيرا قال تعالى: (يعلم غائبة الاعين وما تخفى الصدور) (وعين الاستحقار) بان يستنكف عن جلوس غيره بالقرب منه الا أن يجلس بين يديه، فعن ابن وهب: جلست الى عبد العزيز بن أبي رواد فس فخذى فخذته فنحيت نفسي عنه فأخذ بشو في فجر في الى

وَتَعْوِجُ الْعُنُقِ وَإِطْرَاقُ الرَّأْسِ وَالْإِتْكَاءُ، وَقِيَامُ النَّاسِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَاءَ إِنْ مِنْ قَعْدَ النَّاسِ بَيْنَ يَدَيْهِ قِيَامٌ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»

نفسه وقال: لم تفعلون بي ما تفعلون بالجارية؟ انى لا أعرف منكم رجلا شرامنى، وقال أنس: كانت الوليدة من ولادة المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت. وقد تقدم مخرجه. ومن ذلك أن يتوقى في مجالسه المرضى والمعلولين وعنهم يتحاشى، فكان ابن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى الا أنعدهم على مائدته، وقد ثبت أنه عليه السلام مع مجذوم وقال له: قل بسم الله ثقة بالله. رواه أبو داود. والترمذى. وابن ماجه من حديث جابر (و. تعويج العنق) مع تحريك الأطراف (و. اطراق الرأس) فروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يخال في مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال: ليست هذه مشية من في بطنه خراء، فقال عمر كالتعذر: يا عم لقد ضرب كل عضو منى على هذه المشية حتى تعلمتها، وعن الحسن. ان فى كل عضو من الاعضاء لله نعمة والشیطان به لعنة، ورأى محمد بن واسع ولده يمشى يخال فدعاه فقال: أتدرى من أنت؟ أما أمك فاشتريتها بما تقي درهم، وأما أبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثله، ولا حمد والطبرانى. والحاكم. وصححه والبيهقى فى الشعب. من حديث ابن عمر «من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته اتقى الله وهو عليه غضبان» ولله مقتبس من قوله تعالى: (ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) ومن قوله: (ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة «لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا» وفى لفظ مسلم «خيلاء» (والإتكاء) أى الميل الى احد جوانبه بحضور اقاربه واجانبه من غير ضرورة وعارضة فى بابه، وكذا حكم التربع المشير الى الترفع (و. قيام الناس بين يديه، لجاء) أى فى الخبر او الاثر (ان من قعد والناس بين يديه قيام) واقفون بامرهم (فهو من اهل النار) والحديث معروف بالفظ «من احب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار، احمد وابو داود والترمذى عن معاوية، وفى الشمائل للترمذى عن أنس «لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك»، وقال الفضيل: من احب الرياضة لم يفلح ابدا: وقال الثبلى: من رأى لنفسه

وَالْمَشَى رَاكِبًا مَعَ الْمَشَاةِ وَتَرَكَ الْخُرُوجَ إِلَّا بِشَخْصٍ عَقِيهِ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَمْشِي بَيْنَ الْجَمْعِ غَيْرِ مُتَقَدِّمٍ وَعَمَلِ الْبَيْتِ وَحَمْلِ السَّلْعَةِ فَوَرَدَ مِنْ حَمْلِهَا فَقَدِّبَرِيءَ مِنَ الْكِبَرِ

قيمة فليس له من التواضع حصة . والتحقيق ان من رأى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار أورد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ، ومن اتق من ان يخضع لله ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر بينه وبين الحق (والمشى) اى الخروج (راكبا مع المشاة) بين يديه (وترك الخروج) من منزله ولو الى المسجد للجمعة والجماعة (الا بشخص) او اشخاص (عقيه ، وكان عليه السلام يمشى بين الجمع غير متقدم) كما تقدم (وعمل البيت) اى وتركه وهو خلاف التواضع ومخالف لفعله عليه السلام ، فى مسند احمد « عن عائشة انه عليه السلام كان يخطط ثوبه ويخفف نعله ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم ، ولليبقى فى الشعب من حديث ابى هريرة « من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برىء من الكبر » وبالجملة فجاء مع حسن الاخلاق تؤخذ من سيرته عليه السلام واتباعه من اصحابه الكرام ، ولما عوتب عمر فى بذاذة هيئته عند دخول الشام قال اما قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز من غيره (وحمل السلعة) اى وتركه (فورد من حملها) اى سلمته ، وفى رواية بضاعته (فقد برىء من الكبر) ليهيى عن ابى امامة . ولا بى يملى الموصلى عن ابى هريرة انه عليه السلام حمل سروا لا اشتراه لنفسه وانى ان يحمله غيره وقال « صاحب المتاع احق بحمله » وعن على لرم الله وجهه .

لا ينقص الكامل من كماله • ما جر من شيء الى عياله

وكان ابو عبيدة بن الجراح - وهو امير - يحمل سطلاله من خشب الى الحمام . وقال ثابت بن مالك : رأيت ابا هريرة اقبل من السوق ويحمل حزمة من حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال : اوسع الطريق للامير يا ابن مالك . وعن الاصمغ بن ابى بنانة قال : كأتى انظر الى عمر معلقا لحا فى يده اليسرى وفى يده اليمنى الدرة يدور فى الاسواق حتى دخل رحله . وقال بعضهم : رأيت عليا يشتري لحما بدرهم لحمله فى ملحفته ، فقلت له : احمل عنك يا امير المؤمنين ، فقال : لا ابو العيال احق ان يحمل . وروى ان عبد الله بن سلام حمل حزمة حطب فقيل له : يا ابا يوسف قد كان فى غلبانك ويترك ما يدفونك

وَاحْتِمَالِ الْأَذَى فَهُوَ الْأَصْلُ الْمَأْثُورُ وَلِبَاسِ الدُّونِ فَوَرَدَ «مَنْ تَرَكَ زِينَةَ اللَّهِ
وَوَضَعَ ثِيَابًا حَسَنَةً تَوَاضَعًا لِلَّهِ وَابْتِغَاءَ وَجْهِهِ كَانَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ عِبْقَرِيَّ
الْجَنَّةِ وَنَزَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْجَدِيدَ وَلَبَسَ الْعَتِيقَ لِلتَّعْلِيمِ أَوْ الْبُعْدِ عَنِ الْوَسْوسَةِ
إِلَّا لِلنَّظَافَةِ

فقال اجل ، ولكنى اردت ان اجرب نفسى هل تنكر ذلك منى ، فلم يقنع منها . بما اعطيه
من العزيمة على ترك الالفة حتى يجر بها اهى صادقة ام كاذبة ؟ وروى ان عمر بن الخطاب
حمل قرية على عنقه فقال له اصحابه : يا اير المؤمنين ما حملك على هذا ؟ فقال : ان نفسى
اعجبتى فاردت ان اذلها ، وروى ان ابا موسى قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة
بسبب ثيابهم فلبس عباءة صلى فيها بالناس (واحتمال الاذى) اى وتركه (فهو)
اى احتمال الاذى من السب وغيره (الاصل) الذى عليه مدار حسن الخلق
والتواضع للحق (المأثور) المروى عن السلف والخلف خلافا لاطلة الحشيش والعلف ،
وقد قدمنا ما نقل عنهم فى ذم الغضب وما يتعلق به من الادب (ولباس الدون) اى
وترك اللباس الحسن او الخلق او المارقع (فورد من ترك زينة لله ووضعه ثيابا حسنة)
اى دفعها مع القدرة عليها (تواضعا لله وابتغاء وجهه) اى لالرياء والسمعة فى حقه
(كان على الله) اى واجبا بمقتضى وعده (ان يدخره عبقرى الجنة) اى دياجها
من سندسها واستبرقها ، ابو سعد المالينى فى مسند الصوفية ، وابو نعيم فى الحلية من
حديث ابن عباس : من ترك زينة الدنيا لله الحديث . وقد ورد البذاذة من الايمان ،
ابوداود . وابن ماجه من حديث ابى امامة بن ثعلبة . وقال هارون : سألت عن معنى
البذاذة فقيل هو الدون من اللباس ، وقال زيد بن وهب : رأيت عمر بن الخطاب
خرج الى السوق ويده الدرّة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم اى جلده .
وعتب على ان يزاره مرقوع فقال : يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب . وقال
عيسى عليه السلام : جودة اللباس خلاء القلب . وقال طاوس : انى لا غسل نوى
هذين فانكر قلبى ماداما نقيين . وقيل لسان : الاتلبس ثوبا جيدا فقال انما انا عبد فاذا
اعتقت يوما لبست ، اشار به الى العتق فى الآخرة وما اعد الله لعبيده من الثياب الفاخرة
(ونزع عليه السلام الجديد) اى من الشراك والخيصه (ولبس العتيق) منهما
(للتعليم) اى لتعليم غيره (او البعد عن الوسوسة) فى نفسه على ما تقدم (الالظافة)

فَوَرَدَ نَفْيُ الْكِبَرِ فِي حُسْنِ الثِّيَابِ لِمَعْرِفَةِ حَالِ السَّائِلِ، وَيُعَرَفُ بِتَسْوِيَةِ الْخَلَاءِ
وَالْمَلَأِ وَالْغَضَبِ عَلَى مَنْ لَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ وَالِاهْتِمَامِ بِبَاصَابَةِ الْخَصْمِ الْمُنَظَرِ
وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ

أى بقصدها فإنه حيثئذ لا بأس بترك الدرن من اللباس ولبس الثوب الفاخر كسائر
الناس ﴿فورد نفى الكبر في حسن الثياب لمعرفة حال السائل﴾ أى لمعرفة عليه السلام
لحال السائل ومقامه من المرام ، ففي الطبرانى من حديث ثابت بن قيس بن شماس
أنه سأل النبي عليه السلام وقال : أنى امرؤ قد حجب الى من الجمال ما ترى فهل من
الكبر ؟ فقال لا ، ولكن من سفه الحق أى جملة وانكره ، وغمص الناس أى حقرهم .
رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر . وفي رواية مسلم عن ابن مسعود « الكبر من
بطر الحق وغمص الناس ، وفي رواية الترمذى « من بطر الحق وغمص الناس ، وقال
حسن صحيح ، وفي رواية ابن بكار عن ابن مسعود قال « جاء رجل الى رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فقال انه ليه جنى ان يكون ثوبى غسيلة ورأسى ذهينا وشر الكأعلى
جديدا وذكر اشيء حتى ذكر علاقة سوطه أفنى الكبر هذا ؟ فقال عليه السلام لا هذا
من الجمال والله يحب الجمال لكن الكبر من سفه الحق وظلم الناس ﴾ (ويعرف)
أى حال من يلبس للنظافة ، أو كونه ، ظهرا للفتى شكرا للنعمة ، أو كونه فقيرا يرى نفسه
غنيا للنعمة ﴿بتسوية الخلاء والملاء﴾ عنده فى لباسه للنظافة ونحوها بأن يلبس فى الخلاء
للصلاة وغيرها بما يلبس فى الملاء عند حضور الجماعة ونحوها ، ثم المحبوب الوسط
المطلوب ، فللنساء وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « ظوا
واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير اسراف ولا مخيلة ﴾ (والغضب) بالرفع عطف
على الترفع ، أى ومن آثار الكبر الغضب ﴿على من لا يبدأ بالسلام﴾ (ولا يبادر
بالقيام ونحوه من انواع الاكرام) (والاهتمام) بالرفع أى والاهتمام (باصابة الخصم
المناظر) أى المجادل فى منقوله (والانكار عليه) أى وبانكار الخصم عليه فى معقوله ،
وتوضيحه ان يناظر فى مسئلة مع واحد من اقرانه ، فان ظهر شئ من الحق على لسان
صاحبه فقتل عليه قبوله والانتقاده والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه
الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دقيقا فليتنق الله وليشتغل بعلاجه ، امامن حيث العلم
فبان يذكر نفسه خيبة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى ، واما بالعمل

وَأَفَاتُهُ مُنَازَعَتُهُ تَعَالَى فُورِدَ «الْكِبْرِيَاءُ رَدَائِي وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا قَصَمْتُهُ» وَبُغْضُهُ تَعَالَى فُورِدَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَعَمِيَ الْقَلْبُ فُورِدَ (سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ وَيَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا)، وَالذُّلُّ

فَبِأَن يَكْلَفُ نَفْسَهُ مَا ثَقُلَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْتِرَافِ بِالْحَقِّ فَيَطْلُقُ لِسَانَهُ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ، وَيَقِرُّ عَلَى نَفْسِهِ بِالْعَجْزِ فِي الْإِدَاءِ وَيَشْكُرُهُ عَلَى الْإِسْتِفَادَةِ وَيَقُولُ: مَا أَحْسَنَ مَا فَطَنْتُ لَهُ مِنَ الْإِفَادَةِ وَقَدْ كُنْتُ غَافِلًا عَنْهُ لِجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا عَلَى مَا نَبَهَنِي لَهُ فَالْحِكْمَةُ ضَالَّةٌ لِمُؤْمِنٍ فَإِذَا وَجَدَهَا فَيَبْنِي أَنْ يَشْكُرَ مِنْ دَلِهِ عَلَيْهَا •

(وَأَفَاتُهُ) أَي الْكِبْرِيَاءُ (مُنَازَعَتُهُ تَعَالَى) أَي فِي مِثَارَكَةِ سُبْحَانِهِ فِي بَعْضِ صِفَاتِهِ (فُورِدَ) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: وَغَيْرِهِ (الْكِبْرِيَاءُ رَدَائِي) أَي بِمِثْلِهِ فِي إِظْهَارِ مُلْكِي وَجِبْرَوْتِي (وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي) أَي بِمِثْلِهِ فِي إِسْرَارِ مُلْكُوْتِي وَالْمَعْنَى أَنَّهُمَا صِفَتَانِ مَحْتَصَنَتَانِ بِمَا أَنْ رَدَاءَ الْإِنْسَانِ وَإِزَارَهُ مَحْتَصَنَانِ بِهِ وَلَا يَشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي لِبْسِهِ (فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا) أَي وَاحِدًا مِنْهُمَا بِمَا فِي رِوَايَةِ (قَصَمْتُهُ) أَي أَهْلَكْتُهُ، وَفِي رِوَايَةِ عَذْبَتِهِ، وَفِي أُخْرَى أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ، وَفِي أُخْرَى قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ (وَبُغْضُهُ تَعَالَى) أَي لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (فُورِدَ) فِي التَّنْزِيلِ (أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) وَمِنْهُ وَهِيَ أَنَّهُ يُحِبُّ الْمُتَوَاضِعِينَ (وَعَمِيَ الْقَلْبُ) بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ (فُورِدَ) فِي التَّنْزِيلِ (سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي) أَي الْمُنْصَوْبَةِ فِي الْآفَاقِ وَالْأَنْفُسِ مِنْ مَصْنُوعَاتِي. وَقِيلَ فِي التَّفْسِيرِ سَادَفَعُ فَهَمَّ الْقُرْآنُ عَنْ قُلُوبِهِمْ (الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ) تَمَامُهُ (فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) وَأَنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا (وَفِي بَعْضِ التَّفْسِيرِ سَأُحْجِبُ قُلُوبَهُمْ عَنْ مَشَاهِدَةِ مُلْكِي وَمُلْكُوْتِي وَعَجَائِبِ قُدْرَتِي وَغَرَائِبِ جِبْرَوْتِي. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: سَأَصْرَفُهُمْ عَنْ أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِيهَا وَيَعْتَبِرُوا بِهَا، وَلِذَا قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْ الزَّرْعَ يَنْبِتُ فِي السَّهْلِ لَا فِي الْوَعْرِ، وَكَذَلِكَ الْحِكْمَةُ تَنْمُو فِي قَلْبِ الْمُتَوَاضِعِ دُونَ الْمُتَكَبِّرِ الْآخَرِي أَنْ مَنْ تَمَشَّخَ بِرَأْسِهِ إِلَى السَّقْفِ شَجَهَ وَمَنْ طَاطَأَ أَظْهُهُ وَآكَنَهُ (وَيَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ) بِالْإِضَافَةِ وَدُونِهَا (جَبَّارٌ) مُبَالِغٌ فِي الْفُسَادِ مِنْ قَهْرِ الْعِبَادِ وَكَسْرِ الْبِلَادِ (وَالذُّلُّ) أَي الْمَذَلَّةُ فِي الْعَاقِبَةِ وَالْمَهَانَةُ فِي الْآخِرَةِ. فَلَا تَرْمِذِي وَحْسَتَهُ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ «الْمُسْتَكْبِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورِ الذَّرِّ يَطْوُهُمُ النَّاسُ لِمَوَانِهِمْ عَلَى اللَّهِ» وَعَنْ

وَالْبَعْثُ عَلَى الذَّمَامِ كَتَغْيِيرِ الْخَلْقِ وَالْجَحْدُ عَنِ الْحَقِّ وَالْحَجْبُ عَنِ الْفَضَائِلِ كَالْتَوَاضُعِ
وَالْحُلْمِ وَالنَّصِيحَةِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَسْتَلْزِمُهُ، فَالْعَبْدُ الرَّقِيبُ يَضْرِبُ وَلَدَ
الْمَوْلَى عِنْدَ الْإِسَاءَةِ وَيَتَوَاضِعُ لَهُ، ثُمَّ الَّتَخَاسُسُ كَتَأْخِرِ الْعَالَمِ عَنِ الْخَصَافِ
مَذْمُومٌ أَيْضًا كَعَكْسِهِ

حاتم : اجتنب الموت على ثلاثة : على الكبر والحرص والخيلاء ، فان المتكبر لا يخرج
الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من اردل اهل وخدمه ، والحرص لا يخرج الله
تعالى من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة او شربة ولا يجد مساعدا ، والمختال لا يخرج الله
تعالى من الدنيا حتى يمرغه بيوله وقدره (والبعث) اى التحريض والحث (على
الذمائم) من صفات البهائم (كتغير الخلق) من اثر سوء الخلق كالبشاشة الى العبوسة
(والجحد عن الحق) اى بانكاره وعدم اقراره ، وقد سبق في الحديث تفسير الكبر
المذموم به ، ومنه البعد عن اهل الحق فقد قالت قريش لرسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم : كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء الفقراء ؟ فنزل قوله تعالى : (ولا تطرد الذين
يدعون ربهم) رواه مسلم وابن ماجه (والحجب) اى ومنعه (عن الفضائل)
وحجزه عن حسن الشمايل (كالتواضع) للحق (والحلم) عن الخلق (والنصيحة)
للعامه من غير الفضيحة (والامر بالمعروف) اى وكذا النهى عن المنكر (ولا يستلزمه)
اى الامر بالمعروف التكبر (فالعبد الرقيب) بأمر الحبيب (يضرب ولد المولى
عند الاساءة ويتواضع له) مع ذلك بعد تلك الحالة (ثم التخاسس) اى طلب
الحسة المشعى بالضعه وهو الافراط فى التواضع (كتأخر العالم عن الخصاص) ونحوه
من الداف والعلاف فى المجلس او الطريق (مذموم ايضا كعكسه) وللبغوى . وابن
قانع والطبرانى والبخارى من حديث انس « طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة وانفق
مالا جمعه فى غير معصية ورحم اهل الدل والمسكنة وغالط اهل الفقه والحكمة » ،
ومن ذلك حديث « من تواضع لغنى لغناه ذهب ثلثا دينه » البيهقى فى الشعب عن
ابن مسعود من قوله « من خضع لغنى ووضع لنفسه اعظاما له وطمعا فيها قبله ذهب
ثلثا دينه » وذلك لان آلة العبادة قلب ولسان واذنان ، وفى تعظيم الغنى لا بد من
أصتعمال اللسان والجوارح . وله عن انس بلفظ « من أصبح حزينا على الدنيا أصبح

فَأَتَوَاضَعُ مَعَهُ يُعَدِّمُ الْإِسْتِحْقَارَ وَأَظْهَرَ الْبَشَرَ وَالرَّفْقَ وَاجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَالسَّعْيُ فِي الْحَاجَةِ لَكِنَّ التَّكْبِيرَ أَخْشُ، وَالسَّبَبُ الْعَجَبُ فَقَطُّ

ساخطا على ربه ، ومن أصبح يشكو مصيبتة قائما يشكوره ، ومن دخل على غنى فتضعضع له ذهب ثلثا دينه » و اخرج الديلمي من حديث ابي ذر « لعن الله فقيرا تواضع لافني من اجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه » وكذا ابو داود ، ولم يصب ابن الجوزي في ذكره في الموضوعات كما قاله السيوطي . ومن التخاصس بل اخسه ان يمشي العالم خلف الظالم ، ولذا قيل : بنس الفقير على باب الامير ، ونعم الامير على باب الفقير . وعن يحيى بن معاذ : التكبر على ذى التكبر عليك بماله تواضع . ويقال : التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء احسن ، والتكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح ، وكان بشر الحافي يقول : سلوا على ابناء الدنيا بترك السلام ﴿ فالتواضع معه يعدم الاستحقار ﴾ فمن الصديق ولا يحقرن احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير » ولمسلم من حديث ابي هريرة « بحسب امرى من الشر ان يحقر اخاه المسلم » ﴿ و اظهر البشر ﴾ وفق مراده ﴿ والرفق ﴾ بحسب مقامه ﴿ واجابة الدعرة ﴾ فكان عليه السلام يجيب دعوة المملوك ونحوه ﴿ والسعى في الحاجة ﴾ لقوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ وحديث « من كان في عون اخيه المؤمن كان الله في عونه » فالعدل ان يعطى كل ذى حق حقه فقد ورد اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ، ﴿ لكن التكبر الخش ﴾ من التخاصس اذ ورد عن بعض المشايخ ما يقاربه ولأنه كان في مقام المعالجة .

﴿ والسبب ﴾ أى سبب التكبر الحقيقى ﴿ العجب فقط ﴾ أى العجب سبب التكبر والتكبر سبب التكبر ، فسبب سبب الشيء سبب لذلك الشيء وهو مذموم ، قال تعالى : ﴿ ويوم نحين اذا عجزتكم كثرتم ﴾ ذكر ذلك الاخبار في معرض الانكار . ولا في داود والترمذي وجسنه . وابن ماجه « اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وانجاب على ذى رأى برأيه فعليك بنفسك » وللبزار والبيهقي في الشعب من حديث أنس « لو لم تذبذبا الخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب » وعن مطرف لان آيت ناثما وأصبح نادما أحب الى من آيت قائما وأصبح معجبا . وكان بشر بن منصور من الذين اذا رأوا ذكر الله فأطال الصلاة يوما ورجل جالس خلفه ينظر فقطن له بشر ، فلما انصرف من الصلاة

وَيُطْلَقُ بِجَازِ الْوُجُودِ آثَارُهُ عَلَى الْمُنْبَعِثِ مِنْ غَيْرِهِ فَالْحَقْدُ وَالْحَسَدُ وَالرِّيَاءُ
وَيَخْتَصُّ هَذَا بِالْمَلَأَ، وَالْعَلَّاجُ ذِكْرُ مَا وَرَدَ فِيهِ وَأَحْوَالُ السَّلَفِ وَمُوَاطَّئَةُ
أَخْلَاقِ الْمُتَوَاضِعِينَ وَالتَّكَلُّفُ فِيهِ وَقْلُ الْعُجْبِ وَهُوَ اسْتِعْظَامُ النَّفْسِ وَخِصَالُهَا
الَّتِي هِيَ النَّعَمُ

قال لا يعجبك ما رأيت من فان ابليس قد عبد مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى اصاب
اليه . وقيل لعائشة : متى يكون الرجل مسيئاً؟ قالت : اذا ظن انه محسن ، وكان مقتبس
من قوله تعالى : (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وفي الصحيحين « بينا رجل
يتبخر في يديه قد أعجبه نفسه خفف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة »
(ويطلق) أى الكبر (بجازا أى بطريق المجاز) لوجود آثاره أى آثار الكبر
من أثاره (على المنبعث من غيره) أى على الكبر المنبعث من غير العجب (فالحقد)
فى الباطن (والحسد) أعم (والرياء) فى الظاهر (ويختص هذا) أى الأخير وهو الكبر
المنبعث من غير العجب (بالملا) دون الخلا . والمعنى أن الرياء يختص بالملا دون الحقد
والحسد والعجب فان الذى يتكبر بها يستوفى الخلا . والملا •

والحاصل أن آثار الكبر اذا ظهرت من الكبر تسمى تكبر حقيقة واذا ظهرت من غير
الكبر كالحقد والحسد والرياء تسمى تكبر مجازاً ، ثم أعلم أن العجب انما هو بالاسباب التى
بها يتكبر وقد يعجب بالملا يتكبر به كمعجبه بالرائى الخطأ الذى تزين له بجهله ، وثمرته
الاستبداد بالرائى وترك المشورة واستجهال الناس الخائنين لرائيه •

(والعلاج) أى علاج الكبر خمسة أشياء (ذكر ما ورد فيه) أى فى ذم الكبر من الأخبار
(وأحوال السائق الاختيار وما) صدر عنهم من الآثار فى ترك الكبر واختيار التواضع
(ومواطئة أخلاق المتواضعين) من العلماء الأبرار والمشايخ الكبار (والتكلف فيه)
أى فى رفع العجب بدفع العجب والتكلف فى تحصيل أخلاق المتواضعين بالتشبه فى
أفعالهم والتزين بأحوالهم والتصنع بأعمالهم فان المجاز قطرة الحقيقة والرياء قطرة
الاخلاص ، ويشير الى حديث « ان لم تكبرا قبا كوا والعلم بالتعلم والحلم بالتعلم » (وقل
العجب) أى استئصاله من أصله وقطعه من مادة فرعه وفصله من وصله ولا يحصل أصل
قلعه الا بقلع الحقد والرياء والحسد من قلبه (وهو) أى العجب (استعظام النفس)
أى عداها عظيمة برؤية قدرها فوق قدر غيرها (وخصالها التى هى التزم) فيها جسيمة ووسيمة

مَعَ الرُّكُونِ إِلَيْهَا وَنِسْيَانُ الْإِضَافَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَالْأَمْرُ مِنَ الزَّوَالِ فَنَ رَأَى
النَّعْمَةَ مِنْهُ تَعَالَى وَفَرَحَ بِهَا مِنْ حَيْثُ أَنَهَا مِنْهُ وَخَافَ عَلَى الزَّوَالِ لَا يَكُونُ مُعْجَبًا
وَهُوَ غَيْرُ الْإِدْلَالِ فَهُوَ عَجَبٌ مَعَ رُؤْيَا حَقِّ النَّفْسِ عِنْدَهُ تَعَالَى، فَوَرَدَ «أَنَّ صَلَاةَ
الْمُدَلِّ لَا تَرْفَعُ فَوْقَ رَأْسِهِ، وَيَعْرِفُ بِالتَّعَجُّبِ عَنْ رَدِّ دُعَائِهِ وَاسْتِقَامَةِ حَالِ
مُؤْذِيهِ وَغَيْرِ الْكِبَرِ لِكَوْنِهِ أَثَرُهُ وَاسْتِدْعَائِهِ الْمُتَكَبِّرَ عَلَيْهِ وَهُوَ مَذْمُومٌ وَأَفَاتُهُ
الْهَلَاكُ فَهُوَ عَدِمَ الْمُهْلَكَاتِ

(مع الركون إليها) أى إلى النفس وما صدر منها وظهر عليها (ونسيان الإضافة) أى نسبة
النعم (إليه تعالى) وهو المنعم بجميع النعم على جميع الأمم (والأمر من الزوال) لتوهم
أنه من أهل الكمال (فن رأى النعمة منه تعالى) ابتداء (وفرح بهامن حيث أنها منه) أى من
الله تعالى ويستوجب عليه حمدًا وثناءً (وخاف على الزوال) أى زوال تلك النعمة انتهاء
(لا يكون معجبا) وإن كان مستظما لها (وهو) أى العجب (غير الإدلال فهو) أى
الإدلال (عجب مع رؤية حق النفس عنده تعالى) على غلظة أن لها الكمال، فلا مدل
إلا وهو معجب ورب معجب لا يكون مدلا، إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة
دون توقع جزاء، والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء (فورد إن صلاة المدل لا ترفع فوق
رأسه) وهو كناية عن عدم قبولها، والحديث كذا فى الأحياء، وقال عجزه لم أجده أصلا،
وقال قتادة فى قوله تعالى: (ولا تمنن تستكثر) أى لا تدل بعملك قيل: ولان تضحك وأنت
معتزف بذنبك خير من ان تبكى وأنت مدل بعملك أو بعملك (ويعرف) أى الإدلال
والمدل (بالتعجب) أى بعجبه (عن رد دعائه) حال استدعائه فى كشف بلائه أو استجلاب
عطائه بناء على ظن أنه من أهل ولائه (واستقامة حال مؤذيه) أى ويعرف أيضا بتعجبه
عن استقامة أهل أيدائه (وغير الكبر) أى والعجب ليس عين الكبر بل غيره (لكونه)
أى الكبر (أثره) أى العجب والأثر غير المؤثر (واستدعائه) أى ولا استدعائه الكبر
(المتكبر عليه) بخلاف العجب فإنه يتصور بغيره حيث لا يستدعى غير المعجب به
(وهو) أى العجب (مذموم) لما تقدم (وأفاته) أى العجب ثمانية (الهلاك فهو)
أى العجب (عد من المهلكات) فقد ورد «ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع

وَنَسِيَانُ الذُّنُوبِ وَاسْتِحْقَارُهَا وَتَرْكُ التَّدَارُكِ وَتَفَقُّدُ آفَاتِ الْعَمَلِ عَلَى زَعْمِ
أَنَّهُ مَغْفُورٌ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِهِ تَعَالَى وَالْإِسْتِكْفَاءُ مِنَ التَّعَلُّمِ وَالْإِتْعَازُ وَتَرْكِ
النَّفْسِ، وَوَرَدَ (فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ) وَضِدُّهُ وَهُوَ ذِكْرُ تَوْفِيقِهِ تَعَالَى فَرَضَ أَنْ
حَدَّثَ دَاعِيَةَ الْعُجْبِ فِي خَاطِرِهِ وَالْإِفْقَلُ، وَالسَّبَبُ خُبْتُ الطَّبْعِ وَهُوَ دَاءٌ
مُعْضَلٌ، وَالْجَهْلُ بِالْحَقَائِقِ وَاعْتِقَادُ كَيْلِ النَّفْسِ

وأعجاب المرء بنفسه «البرار والبيهقي والطبراني في الأوسط عن ابن عمر (ونسيان
الذنوب) فانه لو ذكرها لما أعجب مع وجود العيوب . وعن عيسى عليه السلام :
«كم من سراج قد أطفأ نسيان الذنوب» وكم من عمل قد أفسده العجب» (واستحقارها)
أى إستصغار الذنوب وهو قد عد من كبارها (وترك التدارك) أى لما فاته من الطاعات
والعبادات وحقوق الآدميين والحيوانات (وتفقد آفات العمل) أى وترك تفقدها
وتعهدتها (على زعم أنه مغفور) أى بناء على توهم أنه غير مأخوذ بنقصها (والأمن
من مكره تعالى) ولولا الكرامات وخوارق العادات (فانه لا يأمن مكر الله الا القوم
الخاسرون) (والاستكفاف) أى العار (من التعلم) عن البرار وهذا من كمال جهله
(والإتعاظ) أى من الإلتعاظ بغيره وقد ورد كفى بالموت واعظا والسعيد وعظ بغيره
والشقي من وعظ به غيره، (وتزكية النفس) أى ومن آفات العجب ثاؤها ومدحها
(وورد) فى التنزيل (فلا تزكوا أنفسكم) تمامه (هو أعلم بمن اتقى) وقال تعالى: (ونفس
وما سوأها فآلها لجورها وتقويها قد أفاح من زكيا وقد خاب من دسيا) وقال
عليه السلام واللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكيا أنت وإياها ومولاها،
قال ابن جريج: معنى قوله فلا تزكوا أنفسكم إذا عملت خيرا فلا تقل عملت . وقال زيد بن أسلم
لا تبروها أى لا تعتقدوا أنها بارة وهو معنى العجب (وضده) مبتدأ أى ضد العجب
(وهو ذكر توفيقه تعالى) جملة معترضة مفسرة للمنة التى هى ضد العجب (فرض)
أى حتم لازم (ان حدث داعية العجب فى خاطره والافقل) فى أمر باطنه وظاهره
(والسبب) أى سبب العجب (خبث الطبع وهو) أى خبث الطبع (داء) معنى
(معضل) أى مشكل لادوائه (والجهل بالحقائق واعتقاد كمال النفس) أى بحقائق
النفس ودقائقها وهو أنها من أى شئ خلقت ابتداء وما تكون فى عاقبة أمرها انتهاء فانه

وَالْعَلَّاجُ قَلَمُ السَّبَبِ بِالنَّظَرِ فِي حَقَّارَةِ النَّفْسِ فَأَوَّلُهَا النُّطْفَةُ وَآخِرُهَا الْجِيفَةُ وَأَنَّهُ

مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل فإنه لا يليق به إلا التواضع والمسكنة ، وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق المظنة والكبرياء إلا بالله وحده ، ثم معرفة ربه وعظمته ومجده ، فالقول فيه يطول وهو إلى علم المكاشفة يؤل . وأما معرفة نفسه فيكفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب ربه فيه علم الأولين والآخرين لمن فتح عين بصيرته ورفع حجاب قلبه فقد قال تعالى (قل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه قدره ثم السيل يسره ثم أماته فأنبره ثم إذا شاء أنشره) وفي الأحياء منا كلام طويل فيه تنبيه جليل (والعلاج) للعجب (قلم السبب) له (بالنظر) أي بالتأمل (في حقارة النفس) وخساستها (فأولها النطفة) أي المذرة إذا قال تعالى : (فليظفر الإنسان من خاق خاق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب) (وآخرها الجيفة) أي القذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة ، وعن الحسن : العجب لابن آدم يغسل الحراء يده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات ، وكان الأحنف بن قيس مجلس مع مصعب بن الزبير على سريرته ، فجاءه يوم ما ومصعب ، أد رجله فلم يقبضهما وقعد الأحنف فرح بهما الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه ، فقال عجا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ، وقيل في قوله تعالى : (وفي أنفسكم أهلا تبصرون) هو سبيل الغائط والبول ، وفي قوله تعالى : (تأمنا بالأنعام) أي إلى أيهما يبولان ويغوطان (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر اني يؤفكون) أي يصرفون عن الحق ولا يعرفون انهما لا يستحقان الروية مع ما ظهر فيهما من أثر البودية ، ولابن ماجه والحاكم وصحاح أسناده من حديث بشر بن جحاش « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليها وقال يقول الله : لمن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وتيد - أي رزاة وثقالة - جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق واني . أو ان الصدقة منك » ويروى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب بن أبي صفرة وهو يتبختر في جبة خز فقال : يا أبا عبد الله هذه مشية يغضها الله ورسوله ، فقال له المهلب : أما تعرفني . فقال لي اعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل بين ذينك عذرة ، فمضى المهلب وترك مشيته . وقال مجاهد في قوله تعالى : (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أي يتبختر ثم قال عز وعلا : (يحسب الإنسان ان يترك سدى الم بك نطفة من منى يعني ثم كان علقه غلق فسوى) (وأنه) أي وبالنظر

لَوْ اسْتَأْذَنَ عَلَى امِيرِ الْبَلَدَةِ رُبَّمَا لَا يَأْذُنُ لَهُ وَأَحْوَالُهَا الْهَاجِمَةُ كَالْحَنِّ وَالشَّدَائِدِ

في انه (لو استأذن) للدخول (على امير البلدة ربما لا يأذن له) اى لحفارته عنده ،
فاى فائدة في عجزه بنفسه والامير من ارذل الخدام على باب الملك العلام ، وقد اذن
الله سبحانه حتى يعيده لديه ويثني عليه ويتوجه اليه ويرضى بركعته مع معايبهما ووعد
به من الثواب الجزيل على اداتهما في اقل مراتبهما (واحوالها) اى وبالنظر في احوال
النفس (الهاجمة) اى الآتية بغتة بالورود عليها والوجود لديها (الحن والشدايد)
المتوجهة اليها من الفقر والمرض وسائر المصائب ، فربما يتعجب من تفاوت المراتب
اذ رزقه الله عقلا وافقره وافاض على غيره المال مع كونه جاهلا واقدره ، فيقول
منى من قوت يومى وانا الفاضل العاقل ، وافاض على غيرى وهو الجاهل الغافل ،
حتى يكاد يرى هذا ظلما كما يشير اليه قوله عليه السلام « ناد الفقر ان يكون كفرا »
ولا يدري المغرور بعلمه المعذور في جهله بانه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان
ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الحال ، اذ يقول الجاهل الفقير : يارب لم جمعت له بين العقل
والغنى وحرمتنى منهما فملا جمعتهمالى او هلا رزقتنى احدهما ، والى هذا اشار على
كرم الله وجهه حيث قيل له : ما بال العقلاء فقراء . فقال : ان عقل الرجل محسوب
عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما رأى الجاهل الغنى احسن حالا من نفسه ،
ولو قيل له : هل تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لا تمتنع من ذلك ، ومن
هنا قال تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات) الآيات . وقال عز وعلا (كل حزب بما لديهم فرحون) وفى الحديث « اللهم
قننى بما رزقتنى » والله در القائل .

رضينا قسمة الجبار فينا • لنا علم وللاعداء مال

فان المال يفنى عن قريب • وان العلم يبقى لا يزال

وقال عز وجل (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا)
اى ممنوعا عن احدهم خافه وقال (ان ربك يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده
خبيرا بصيرا) فيعلم من يصلح للفقير ومن يصلح للغنى ومن يصلح للجمع بينهما . وقد
رأى النبى ﷺ رجلا غنيا جالس لجنبه فقير فاقبض منه وجمع اليه ثيابه فقال عليه
السلام « أخشيت ان يعدو عليك فقره » رواه أحمد . وقال أبوذر : « كنت مع رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل المسجد فقال لى يا باذر ارفع رأسك فرفعت رأسى
فاذا رجل عليه ثياب جياذ ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا رجل عليه خلقان

وَأَعْمَالَهَا فَاجْرَةٌ أَجِيرٌ يَعْمَلُ طُولَ النَّهَارِ أَوْ يَحْرُسُ طُولَ اللَّيْلِ ذَرْهَمَانِ وَإِنَّمَا يُعْطَى الْمَالُ الْحَسِيسُ بِالِاسْتِخْدَامِ عَلَى الدَّوَامِ وَالِالْقَاءِ فِي الْأَخْطَارِ وَكَرَّمَهُ تَعَالَى بِالتَّوْفِيقِ وَوَعَدَهُ الثَّوَابَ الْمُخَلَّدَ عَلَى سَاعَةٍ مِنَ الْعَمَلِ الْمَعْيُوبِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ مَعَ جَلَالِهِ الَّذِي عَجَزَ الْعَالَمُونَ عَنْ ادْرَاكِهِ وَبِمَعْرِفَةِ أَنَّ الْكَمَالَ الدُّنْيَوِيَّ وَهْمِيٌّ كَمَا سَبَقَ وَالْدِّينِيَّ يُنَافِيهِ فَالْعِلْمُ النَّافِعُ مَا يَزِيدُ خَوْفًا مِنْهُ تَعَالَى

فقال يا باذر هذا خير عند الله من قراب الارض مثل هذا، رواه ابن حبان في صحيحه ﴿واعمالها﴾ اي وبالنظر في اعمال النفس اي من اعمالها واعمالها ﴿واجرة اجير يعمل طول النهار او يحرس﴾ ذلك الاجير ﴿طول الليل درهمان﴾ اي لذلك الاجير او لكل منهما، اذ يعلم به ان اعمال العباد انما صارت ذات قيمة لما وقع من الله في موقع الرضا والقبول والا فاجره اجر الاجير المعمول، وبه يعرف نقصان كمالها فيضعف حينئذ بعض دلالها ﴿وانما يعطى المال الحسيس بالاستخدام على الدوام﴾ في العمل النفيس ﴿والالقاء في الاخطار﴾ كالغوص في الماء وتعليق البناء من جانب الهدوء في جو السماء، وانت تصلى ركعتين في غمضة العين بقوة ما عطاك الله من النعم الظاهرة والباطنة، وتطمع ما وعدك من الدرجات الآخرة في الدار الآخرة فتعجب منهما وتستعظمهما وليس هذا شان العاقل ﴿وكرمه تعالى﴾ اي وبالنظر الى كرمه ولطفه ﴿بالتوفيق﴾ اي بالاعانة على الطاعة والعبادة ﴿ووعده﴾ اي وبوعده سبحانه ﴿الثواب المخلد﴾ اي المؤبد مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما ورد في الخبر ﴿على ساعة من العمل المعيوب﴾ في حد ذاته المخلوط بسائر سيئاته ﴿والنظر﴾ اي وكرمه بنظره ﴿اليه﴾ واقباله عليه وهو حقير ذليل في مقداره ﴿مع جلاله﴾ اي عظمت الله في جماله ﴿الذي عجز العالمون﴾ من الانبياء والاولياء ﴿عن ادراكه﴾ اي ادراك كنهه كماله ﴿وبمعرفة﴾ عطف على بالنظر اي وبعلم ﴿ان الكمال الدنيوي﴾ من النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار من الرجال ﴿وهمي﴾ لزواله بالموت في ما آله ﴿كاسبق﴾ في حب الجاه ﴿والديني﴾ من العلم النافع والعمل الصالح ﴿ينافيه﴾ اي العجب ﴿فالعلم النافع﴾ في الدنيا والاخرى ﴿ما يزيد خوفا منه تعالى﴾ كما قال تعالى ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وورد

وَلَا عِبْرَةَ لغيرِهِ وَلَا عَمَلَ دُونَهُ فَهُوَ شَرْطُهُ هَذَا وَلَا يَصْلَحُ النَّسَبُ لِلتَّعْوِيلِ فَهُوَ تَعَزُّزٌ
بِالْغَيْرِ وَوَرَدَ (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ) يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَيَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ
إِعْمَالًا لَا نَفْسَكُمَا فَاثْنِي لَا أَغْنِي عَنْكُمَا شَيْئًا، حِينَ نَزَلَ قَوْلُهُ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ)

« انا اعلمكم بالله واخشاكم منه » ومن لم يزد من العلم زهدا لم يزد من الله الابداء
(ولا عبرة لغيره) اي غير العلم النافع فقد تعوز منه عليه السلام حيث قال « اسألك
علما نافعا » واعوذ بك من دلم لا ينفع ، واعلم ان العلم هو معرفة العبودية والربوبية ،
واما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والنحو والشعر وفصل الخطاب وطريق
المجادلات ، فاذا تجرد الانسان لماحتى امتلا بها امتلا بها كبر او شقا قابل كفر او نفاقا ، وهذه
العلوم تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما (ولا عمل) موجود (دونه)
اي بدون العلم (فهو) اي العلم (شرطه) اي العمل صحة وكالا فلا يستقيم لغيره
في جميع عمره (هذا) الكلام مضى ، او افظ هذا (ولا يصلح النسب) اي المجرد
عن الحسب (للتعويل) اي الاعتماد عليه والاستناد اليه (فهو تعزز بالغير) اي
بغيره سبحانه ، فروى « من تعزز بالعبيد اذله الله » ولان داود الترمذي وحسنه
وابن حبان من حديث ابي هريرة « ليد عن قوم النخز باآبائهم وقد صاروا الخما في
جهنم او ليكونن اهلن على الله من الجعلان الذي تزرف بانافها القذر » وتفاخرت
قريش عند سلمان يوما فقال : لكنى خلقت من نطفة فذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم
ما الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لثيم ، وروى ابن المبارك « عن
ابي ذر قال قال رسول الله ﷺ فقلت له : يا ابن السرداء فقال عليه السلام :
يا اباذر طف الصاع طف الصاع اعيرته بامه ، ليس لابن يضاء على ابن سوداء فضل »
قال ابو ذر : فاصطحبت وقلت للرجل : قم فطأ على خدى . والله در القاتل :

اثن نخرت باباء ذوى شرف * لقد صدقت ولكن بئس اولدوا
(وورد) في التنزيل (فلا أنساب بينهم) تمامه (يومئذ ولا يتساءلون فن
ثقلت موازينه) الآيات (يا فاطمة بنت محمد ويا صافية بنت عبد المطلب اعمالا لانفسكما
فاني لا اغنى) اي لا ادفع (عنكما شيئا) اي من العذاب (حين) اي خاطبهما
حين (نزل قوله وانذر عشيرتك الاقربين) ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة

وَلَا الْجَمَالَ فَلَا عَتَبَ لِلْبَاطِنِ وَهَمَّا مَمْلُوءَانِ بِالْأَقْدَارِ وَالرِّذَائِلِ، وَلَا الْمَالَ وَلَا الْقُوَّةَ
وَلَا الْاِتِّبَاعُ فَوَرَدَ (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً) (الآية) (فَقَالَ
لصاحبه وهو يحاوره) (الآية)

وفي مسلم من حديث عائشة لما نزل قوله تعالى (وانذر عشيرتک الاقربين) ناداهم
بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة الحديث وفيه «الان انكما رحما سابلها يلاهما» وللطبراني
من حديث عمر ان بن حصين «يا معشر بني هاشم يأتي الناس بالاعمال يوم القيامة
وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم» وقال «اترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد
المطلب» الطبراني في الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر (ولا الجمال) اي
ولا يصلح للتعويل الجمال الظاهر المتغير في المال (فالا اعتبار للباطن) والقلب من
الجمال (وهما مملوءان بالاقدار) الحسية (والرذائل) المعنوية وخاليان عن الفضائل
العلمية والفواضل العملية، وللدليلى والقضاعي عن علي مرفوعا «آفة العلم النسيان وآفة
الجمال الخيلاء» (ولا المال) لانه سريع الزوال (ولا القوة) اذ لا حول ولا قوة
الا بالله، ثم لوسيله الذباب شيئا لم يستقده منه، وان بقه لودخلت انفه او نملة دخلت
اذنه لقتلته، وان شوكه لودخلت رجله لعجزته، وان حصى يوم تأخذ من قوة عديدة
مالا لتجبر فمدة مديدة. ثم ان اقوى انسان لا يكون اقوى من حيوان، فاي افتخار
بين ارباب العظائم بما سبق به البهائم، وقد حكى الله عن قوم عاد اذ قالوا من اشد منا
قوة (اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة) وكما اتكل عوج على قوته
واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فتقب الله تلك القطعة
من الجبل حتى صارت في عنقه كالخرزة، وقد ورد له الشديد بالصرعة انما الشديد
من يملك نفسه عند الغضب. والحاصل ان القوة المحودة هي التي تصرف في العبادة
التي هي وسيلة للسعادة (ولا الاتباع) اي الاشياء الملتزمين للاتباع (فورد)
في التنزيل (حتى اذا فرحوا) اي فرح بطر (بما اوتوا) اي من كثرة المال
وقوة الحال وغلبة الرجال (اخذناهم بغتة) فجأة (الآية) (فاذا هم مبلسون) اي
ايسون متحيرون (وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعزين) (فقال لصاحبه
وهو يحاوره) اي يخاطبه وينظره (الآية) اي (انا اكثر منك مالا واعز نفرا)
حتى اجاهه صاحبه بقوله (ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فمسي ربنا ان يوتين

(يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَيِّهِ) الْآيَةَ، وَلَا الْعَمَلَ فَرَدَ (وَمَنْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) وَلَا الْعِلْمَ فَلَا طَّلَاعُ عَلَى الذُّنُوبِ الْبَاطِنَةِ صَعْبٌ، وَالْحَاقَّةُ مَعَ هَذَا مَسْتُورَةٌ

خيرا من جنتك و يرسل عليها حسابا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا) ومن ذلك تكبر قارون وتجبره يا اخبر سبحانه عنه بقوله: (خرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون) الآيات (يوم يفر المرء من اخيه وامه وايه الآيه) اى (وصاحبه وبنيه اكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه) (ولا العمل) اى المجرد عن القبول (فرود) فى التنزيل (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (افن زين له سوء عمله فرآه حسنا) (وبدلهم من الله ما لم يكونوا يحسبون وبدلهم سيئات ما عملوا) وبالجملة من جوز ان يكون شقيا عند الله فانه سبيل ان يتكبر على من سواه ، ويشير اليه قوله تعالى: (والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجة انهم الى ربهم راجعون) اى يؤتون الطاعات ويخافون من عدم قبولها ، فالكبر دليل الامن والامن مبعث والتواضع دليل الخوف وهو مسعد (ولا العلم) اى المجرد من العمل الظاهر والباطن (فالاطلاع على الذنوب الباطنة صعب) والخلاص عنها بعد الاطلاع عليها لا يمكن الا اذا كان هناك كسب ووهب ، ومن هنا رد « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ، وقد تقدم ، وفى الصحيحين « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقبابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك ذيقه قول كنت آبر بالخير ولا آتية وأنهى عن الشر وآتية ، وقد مثل الله من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) وقال فى بلعام بن باعورا (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الى قوله (فثله كمثل الكلب) قال ابن عباس أوتى بلعام كتنا بافاخلد الى شحات الارض اى سكن حبه اليها فمثله بالكلب ان تحمل عليه ياهث أو تتركه ياهث . اى سواء آتية الحكمة أو لم آتية فلا يدع شهوته ، ومن هنا كان بعض الصحابة يقول يا ليتنى لم تلدن أُمى ، وياخذ الآخر تبة من الأرض ويقول: يا ليتنى كنت هذه التبة ويقول الآخر: يا ليتنى كنت طيرا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة كما أشار اليه المصنف بقوله (والحاكمة مع هذه مستورة) والروايات بأن المدار على الخاتمة مشهورة فينبغى للعالم أن يعلم أن التكبر لا يلىق الا بالله

وَالْمَعْصِيَةُ الْمُسْتَعْبِقَةُ نَدْمًا خَيْرٌ مِنَ الطَّاعَةِ الْمُسْتَعْبِقَةِ عَجْبًا لَا ضَمَحْلَاهَا مَعَ حُصُولِ
النَّدَامَةِ وَوَرَدَ «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُنَجِّيهِ عَمَلُهُ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ»

وحده وأنه إذا تكبر صار عقوقنا عند الله بغيضا، وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له إن
لك عندى قدرا ما لم تر لنفسك قدرا، وإذا نظر إلى العاقبة تيسر له أن يتواضع للفسقة
والمبتدعة بل للكفرة. فكم من مسلم نظر إلى عمر بن الخطاب قبل إسلامه فاستحققه للكفر وقد
رزقه الإيمان وفاق أكثر أهل الألبان، فإذا حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل أن نظر إلى جاهل
قال: إنه قد عصى الله بجهل وأنا عصيت الله بعلم فهو أعذر منى، وإن نظر إلى عالم قال
قد علم ما لم أعلم، وإن نظر إلى كبير قال قد أطاع الله قبلى، وإن نظر إلى صغير قال:
قد عصيت الله قبله، وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال ما يدرينى لعله يختم له بالإسلام
ويختم لى بما هو عليه الآن من سوء المقام فليس دوام الهداية إلى ثلما لم يكن ابتداءها
إلى وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال فى سعادة الآخرة والقرب من الله فى المرتبة الفاخرة
الباقية لا فيما يظهر للناس من الدنيا من الأمور الفانية (والمعصية المستعقبية ندما)
أى ندامة وحسرة (خير من الطاعة المستعقبية عجبا) أى غرور أو غفلة (لا ضمحلها)
أى لذهاب المعصية (مع حصول الندامة) وبقاء العجب بالطاعة من غير الملامة وهو
أكبر من كل سيئة وفى الحكم معصية أورثت ذلا واستصغارا خيرا من طاعة أورثت عزا
واستكبارا (وورد ما منكم من أحد ينجيهِ عمله) أى من غير قبوله بفضل (ولأننا) أى
ولا ينجيني عملى أيضا (الآن يتغمدنى الله برحمته) متفق عليه من حديث أنس بن مالك
هذا، وفى الأحياء: قد صلى حذيفة يقوم فلما سلم قال: لتأتسن أمانا غيرى أو لتصلن
وجدانا إنى رأيت فى نفسى أنه ليس فى القوم أفضل منى فإذا كان مثل حذيفة لا يسلم
من هذا فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة فما أعرف على بساط الأرض عالما
يستحق أن يسمى عالما ثم أنه لا يحركه عز الدلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه
فلا ينبغي أن يفارق، بل يكون النظر إليه من العبادة فضلا عن الاستفادة من أنفاسه
وأحواله، ولوعرفنا ذلك ولو فى أقصى الصين لسمعنا إليه رجاء لأن تشم لنا بركته وتسرى
إلىنا سيرته وسجيته، وهيات فاني يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم أرباب الأقوال وأصحاب
الدول، وقد انقرضوا فى القرن الأول ومن يليهم من أهل العلم والعمل، بل يعز فى
زماننا عالم يختلج فى نفسه الأسف والحزن والحسرة على فوات هذه الخصلة فذلك

(البَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ فِي الْإِخْلَاصِ وَالنِّيَّةِ وَالصَّدْقِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْإِخْلَاصُ تَجْرِيدُ النِّيَّةِ عَنِ الشُّوبِ فَلَا أَعْلَى
إِرَادَةَ وَجْهِهِ تَعَالَى، وَيَعْرِفُ بِالتَّفَكُّرِ

أيضاً لما معدوم أو عزيز ، ولولا بشارة رسول الله ﷺ بقوله : « سيأتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما أنتم عليه نجا » كما رواه الترمذي من حديث أبي هريرة .
واحمد عن أبي ذر لكان جديرا بنا أن نقبحم والعباذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع مانحن عليه من سوء أعمالنا ، ومن لنا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه ، وليتا تمسك بعشر عشره . ونسال الله تعالى أن يعاملنا بما هو أهله ، وأن يستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله .

(البَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ فِي الْإِخْلَاصِ وَالنِّيَّةِ وَالصَّدْقِ)

أي الصدق في الاخلاص الذي هو تصحيح النية وتخليصها عن الرياء والسمعة
(بسم الله الرحمن الرحيم) الذي به يحصل المناس في الدنيا والخلص في العقبى
(الاخلاص تجريد النية) وهي الإرادة المتوسطة بين العلم والعمل ، ويطلق عليها
القص (عن الشوب) أي خلطة الرياء والسمعة ، أي عن شائبة مخالطة النفس بها
ومن شوائبها ومعايبها أن تدعى ترك الدعوى على التواضع مع ادعائها أنها قد بلغت
رتبتهم ، أو تعجب بكاملها حيث تركت هذه الدعوى باستقلالها . وله مراتب عند أهل
المناقب (فالأعلى) أي أعلى مراتب الاخلاص للمولى (إرادة وجهه تعالى) أي
قصد رضاه في الدنيا والآخرة دون جلب الثواب وخوف العقاب كما قال تعالى :
(يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) وقال عز وجل : (وما لا حد عنده
من نعمة تجزي الابتغاء وجهه رب الأعلى) وقال (انما نطمعكم لوجهه لله لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا) وقال (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه أحدا) نزلت فيمن يعمل لله ويحب أن يحمد عليه ، الحالم من حديث طاوس
مرسلا « قال رجل أتى أئمة الموقف ابتغاء وجه الله وأحب أن يرى موطنى فلم يرد
عليه حتى نزلت هذه الآية » وللإزار من حديث معاذ « من صام رياء فقد أشرك »
وفيه أنه عليه السلام تلا هذه الآية . وعن رابعة : وحقق ما عبدتك خوفا من نارك
ولا طمعا في جنتك الابتغاء وجهك (يعرف) أي الاخلاص الأعلى (بالتفكر

فِي صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَالْمُنَاجَاةِ ثُمَّ ارَادَةُ نَفْعٍ لِلاَخِرَةِ فَهُوَ حَظُّ النَّفْسِ، وَوَرَدَ فِي حَقِيقَتِهِ «أَنْ تَقُولَ رَبِّي اللَّهُ ثُمَّ تَسْتَقِيمَ» لِأَمْرَتِهِ «خَالِصُ الْأَعْمَالِ هُوَ الَّذِي تَعْمَلُهُ اللَّهُ لَا تُحِبُّ أَنْ يَحْمَدَ عَلَيْهِ أَحَدٌ»

فِي صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ (اِى فِى مَصْنُوعَاتِهِ) (وَالْمُنَاجَاةِ) مَعَ رَبِّهِ فِى جَمِيعِ أَوَاقَاتِهِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ : فِى اخْلَاصِ سَاعَةِ نَجَاةِ الْاَبَدِ . وَلَكِنْ الْاِخْلَاصُ عَزِيزٌ . قَالَ عَزْرُوجَلُ : (اَللّٰهُ الدِّينُ الْخَالِصُ) وَلِلدَّلِيلِ مِنْ حَدِيثٍ مُعَاذِ خَالِصِ الْعَمَلِ يَجْزِكَ مِنْهُ الْقَلِيلُ ، وَلَابِنْ عَدَى مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مُوسَى « مَا مِنْ عَبْدٍ يَخْلُصُ لِلّٰهِ اَرْبَعِينَ يَوْمًا اَلْأَظْهَرُ بِنَايِعِ الْحَكَمِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ » وَكَانَ مَعْرُوفُ الْكِرْخَى يَضْرِبُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ : يَا نَفْسُ اخْلُصِي تَخْلُصِي . وَقَالَ يَعْقُوبُ الْمَكْفُوفُ : الْمَخْلُصُ مَنْ يَلْتَمِسُ حَسَنَاتِهِ مَا يَكْتُمُ سَيِّئَاتِهِ . وَقَالَ أَبُو سَلِيمَانَ : طَوْبُ مَنْ صَحَّتْ لَهُ خُطْوَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يَرِيدُ بِهَا اِلَّا اَللّٰهُ تَعَالَى ، وَيُشِيرُ اِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَانْ تَكْ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ اَجْرًا عَظِيمًا) (ثُمَّ اِرَادَةَ نَفْعِ الْاٰخِرَةِ) سِوَاهُ اِرَادَةِ النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ ، وَدَرَجَاتِ الْاِبْرَارِ (فَهُوَ حَظُّ النَّفْسِ) اِى فِى الْجَمَلَةِ فَهُوَ حَظٌّ عَنْ مَرْتَبَةِ الْاَحْرَارِ (وَوَرَدَ فِى حَقِيقَتِهِ) اِى حَقِيقَةُ الْاِخْلَاصِ اَوْ فِى تَحْقِيقِهِ فِى الْاَشْخَاصِ (اَنْ تَقُولَ رَبِّيَ اَللّٰهُ ثُمَّ تَسْتَقِيمَ مَا اَمَرْتَ) اِى لَا تَعْبُدُ هَوَاكَ وَنَفْسَكَ وَلَا تَعْبُدُ الْاَرْبَابَ وَتَسْتَقِيمُ فِى عِبَادَتِهِ مَا اَمَرْتَ بِاسْتِقَامَتِهِ ، فِى الْاَحْيَاءِ سَمَلٌ عَلَيْهِ الْاِسْلَامُ عَنْ الْاِخْلَاصِ فَقَالَ : « اَنْ تَقُولَ رَبِّيَ اَللّٰهُ ثُمَّ تَسْتَقِيمَ مَا اَمَرْتَ » قَالَ مَخْرَجُهُ : لَمْ اَرَهُ بِهَذَا اللفظ . وَلِلتَّرْمِذِيِّ وَصَحَّحَهُ وَابْنُ مَاجَهٍ مِنْ حَدِيثِ سَقِيَّانِ بْنِ عَبْدِ اَللّٰهِ التَّقْفِ « قُلْتُ يَا رَسُوْلَ اَللّٰهِ حَدَّثْنِي بِاَمْرٍ اَعْتَصِمُ بِهِ ، قَالَ : قُلْ رَبِّيَ اَللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقِم » وَهُوَ عِنْدَ مُسْلِمٍ بِالْفِظِ « قُلْ لِيْ فِى الْاِسْلَامِ قَوْلًا لَا اَسْأَلُ عَنْهُ اَحَدًا بَعْدَكَ قَالَ : قُلْ اٰمَنْتُ بِاللّٰهِ ثُمَّ اسْتَقِم » وَالْكُلُّ مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (اِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوْا رَبُّنَا اَللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا) الْاَيَّتَيْنِ وَمِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَعَلَا (فَاسْتَقِمْ مَا اَمَرْتَ) (خَالِصُ الْاَعْمَالِ) اِى وَوَرَدَ خَالِصُ الْاَعْمَالِ اِى الْعَمَلُ الْخَالِصُ (هُوَ الَّذِي تَعْمَلُهُ لَهِ لَا تُحِبُّ اَنْ يَحْمَدَ عَلَيْهِ اَحَدٌ) وَلَمْ اَعْرِفْ لَهُ اَصْلًا فِى الْمَرْفُوعِ ، نَعَمْ وَرَدَ عَنْ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ اَنَّهُ قَالَ الْخَوَارِيْونَ : مَا الْخَالِصُ مِنَ الْاَعْمَالِ ؟ قَالَ الَّذِي يَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلّٰهِ لَا يَحِبُّ اَنْ يَحْمَدَهُ عَلَيْهِ اَحَدٌ . وَهَذَا الْمَعْنَى فِى سَبَبِ نَزْوِلِ الْاَيَّةِ السَّابِقَةِ قَدْ تَقَدَّمَ ، وَلَا يَبْعَدُ اَنْ تَكُوْنَ الْجَمَلَةُ مِنْ مَبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ

وَفِي فَضْلِهِ (وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ) الْإِخْلَاصُ سِرٌّ اسْتَوْدَعْتَهُ قَلْبَ مَنْ أَحَبَّتُ مِنْ عِبَادِي وَأَصْلُهُ النِّيَّةُ وَهِيَ الْإِرَادَةُ الْبَاعِثَةُ لِلْأَعْمَالِ الْمُنْبَعِثَةِ عَنِ الْمَعْرِفَةِ كَشَهْوَةِ الطَّعَامِ الْحَاصِلَةِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِتَحَقُّقِهِ وَدَفْعِهِ الْجُوعَ الْبَاعِثَ لَا مَتَدَادَ إِلَيْهِ

في تعريف الاخلاص ، وتكون معترضة . وقد قال بعضهم : كنت تصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرم الى فوجدته لاعلى ولالى ، قال سفيان لما سمع هذا : ما احسن حاله لديه . ان لم يكن عليه نقد احسن اليه . وقال يحيى بن معاذ : الاخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرت والدم . وقال سهل : الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركته لله خاصة . قال السوسى : الاخلاص فقد رؤية الاخلاص ، لان من يشاهد في اخلاصه الخلاص فقد احتاج في اخلاصه الى خلاص . والى المقامين يشير قوله تعالى : (الاعبادك منهم المخلصين) بكسر اللام وفتحها . وقال رويم : الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين . وقيل لسهل : اى شئ اشد على النفس ؟ فقال : الاخلاص ، اذ ليس لها فيه نصيب . وقال ابو عثمان : الاخلاص لسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الحق . وقيل : الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفي عن العلائق . وقال الجنيد : الاخلاص تصفية الاعمال من كدورات الاحوال : وقال الفضيل : ترك العمل لاجل الناس رياء ، والعمل لاجل الناس شرك ، والاخلاص ان يمايك الله عنهما . وهذا انقبيل ما قيل في هذا الباب (وفي فضله) اى وورد في فضل الاخلاص في التنزيل (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين) اى له الدين ، فقييد العبادة بالاخلاص يشير الى فضله الخاص (الاخلاص) اى وورد في الحديث القدسي والكلام الانسى : الاخلاص (سرى استودعته قلب من احببت من عبادى) رواه القشيري في رسالته من حديث على كرم الله وجهه (واصله) اى اصل الاخلاص (النية) اى تصحيحها وتحسينها (وهى) اى النية (الارادة الباعثة) اى الداعية (للاعمال المنبعثة) اى تلك النية (عن المعرفة) بالاحوال فعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا لغرضه المعروف بعوضه اما في الحال واما في المآل (كشهوة الطعام الحاصلة من المعرفة بتحققه) اى الطعام (ودفعه) اى عن المعرفة بدفع الطعام (الجوع الباعث) بالجوع صفة بعد صفة للشهوة ، اى الداعية (لامتداد اليد اليه)

فَلَا تَدْخُلُ تَحْتَ الْإِخْتِيَارِ فَرَسٌ وَطِيءَ لَغْلَبَةُ الشَّهْوَةِ أَيْ يَنْفَعُهُ قَوْلُهُ الْحَسِيُّ
أَوِ النَّفْسِيُّ نَوِيْتُ بِهِ إِقَامَةَ السَّنَةِ وَتَكْثِيرَ الْأَمَةِ، وَهِيَ أَحَدُ جُزْئِي الْعِبَادَةِ

قَاب امتداد اليد الى الطعام انما يكون بعد المعرفة بتحقيق الطعام وبانه دافع للجوع
عن الانام لان الارادة اثر والاثر لا يدخل تحت الاختيار (فلا تدخل) اى النية
(تحت الاختيار) بل الداخلة تحت الاختيار انما هو المؤثر : وتوضيحه ان كل
عمل اختياري فانه لا يتم الا بثلاثة امور : دلم وارادة وقدره ، لانه لا يريد الانسان
مالا يعلمه فلا بد ان يعلم ، ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من الارادة بعد خلق الانسان بحيث
يم افقه بعض الامور ويلتزم غرضه ، ويخالفه بعض الامور وينافيه فاحتاج الى جاب
الملائم الموافق لقلبه الهائم (فن وطى) المرأة (لغلبة الشهوة) عليه في تلك
الحالة (انى ينفعه قوله الحسى) اى السانى (او النفسى) اى الجنائى (نويت
به) اى بالوطء (اقامة السنة وتكثير الامة) ومن هنا ورد « الشرك اخفى في
قاب ابن آدم من ديب النملة السوداء ، في الظلمة الظلمات ، على الصخرة الصماء » رواه
احمد وغيره . ولهذا امتنع جماعة من الساف من جملة الطاعات اذالم يحضروهم تصحيح
النيات لعلهم بان النية روح العمل ، وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف ، وهو
سبب مقت لا باعث قرب ، حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصرى ،
وقال : ليس تحضر نية . ومات حماد بن ابى سايان وكان من اكابر علماء الكوفة وشيخ
ابى حنيفة ، فقيل للثورى : الا تشهد جنازته ؟ فقال : لو كان لى نية لفعلت ، وكانوا اذا
سئلوا عملا من اعمال البر قالوا : ان رزقنا الله تعالى نية فعلنا ذلك . وحكى ان داود
ابن المحبر لما صنف كتاب المعتقد جاءه احمد بن حنبل فطلب منه فنظر فيه احمد صفحا
فرده ، فقال له : مالك ؟ قال فيه اسانيد ضعاف ، فقال داود : انالم اخرجه على الاسانيد
فانظر فيه بعين الخبر ، انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت . قال احمد فرده على حتى
انظر فيه بالعين التى نظرت بها اليه ؛ فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال : جزاك الله خيرا
قد انتفعت به . وقال بعضهم : انما فطلب نية لعمادة رجل منذ شهر فاصحت لى بعد . وقال
عيسى بن كثير : مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت ، فقال له ابنة
الاتعريض علب المشاء ؟ فقال : ليس من نيتى (وهى) اى النية (احد جزئى العبادة) اى

فَهِىَ تَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا تَوَقُّفَهَا عَلَى الْعَمَلِ، وَوَرَدَ « اِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَانَوَى » وَخَيْرُهُمَا لَوْ رُوِيَ « نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ »

ركنيتها وهما النية والعمل (فهى) أى العبادة (تتوقف عليها) أى على النية (توقفها) أى مثل توقف النية (على العمل) لأن العبادة بدون النية لا تسمى عبادة فالنية خيرها ، ويتوقف العمل عليها دون العكس (وورد) أى فى الصحيحين من الروايات (انما الاعمال بالنيات) أى معتبرة بها فى جميع الحالات (ولكل امرئ مأنوى) أى من الخير والشر فى المباحات وتماه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ، (وخيرهما) أى والنية أفضل جزئى العبادة (لو روى نية المؤمن خير من عمله) رواه البيهقى فى الشعب عن أنس به مرفوعا. وذلك لأن النية عمل السر ولا رياء فيها ، والعمل يخاطله الرياء ولأنها تمتد الى ما لا نهاية له والعمل محصور فى محصوره ، ولأنها بانفرادها تصير عبادة يترتب عليها الثواب ، بخلاف أعمال الجوارح فانها انما تكون عبادة اذا صاحبته النية ، لحديث « من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة » متفق عليه ولأنها تبقى ، بخلاف العمل ولذا قيل : الخلود فى الجنان والنار جزاء النية ، ولأن مكانها مكان المعرفة أعنى قلب المؤمن ، قال سهل بن عبد الله التستري قدس الله سره العلى : ما خلق الله تعالى مكانا أعز وأشرف عنده من قلب عبده المؤمن وما أعطى كرامة للخلق أعز عنده من معرفته ، فجعل الأعز فى الأعز فما نشأ من أعز الامكنة يكون أعز مما نشأ من غيره ، قال سهل : فتعس عبد اشغل المكان الذى هو أعز الامكنة عنده تعالى بغير معرفته سبحانه ، وفى خبر « انا عند المنكسرة قلوبهم والمندرسه قبورهم وما وسعنى ارضى ولا سماءى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن » اشعار بذلك . وقيل : نية المؤمن خير من عمله ، وعمل المنافق خير من نيته . وقيل : نية المؤمن خير من عمله بغير نية ، ثم قيل للقلب عملان : النية والندامة ، فالنية تجعل المعدم موجودا ، والندم يجعل العصيان الموجود معدوما . وبما ورد فى نفع النية بدون فى النية بدون العمل حديث أنس : ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطننا موطئا يغيط الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا بحجة الا شركونا فى ذلك وهم بالمدينة ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله

وَتَوَقَّفَ نَفْعَ الْعَمَلِ عَلَيْهَا دُونَ الْعَكْسِ فَوَرَدَ فِي الْمُقَاتَلَيْنِ أَنَّ الْقَاتِلَ وَالْمَقْتُولَ فِي النَّارِ
وَبَيْنَ عِلَّةِ الْمَقْتُولِ أَنَّهُ قَصَدَ الرِّيَاءَ وَفِيمَنْ تَمَنَّى أَنْ لَوْ أَصَابَ مَا لَا يَنْفِقُ فِي الْمَعْصِيَةِ
أَنَّهُ شَرِيكُ الْمُنْفِقِ فِيهَا فِي الْوِزْرِ وَكَوْنُ الشَّرَابِ لِعِلَاجِ الْمَعْدَةِ أَنْفَعُ مِنَ
الطَّلَاءِ عَلَى الصَّدْرِ

وليسوا معنا . قال : حسبهم العذر فشركونا بحسن النية « البخارى مختصرا و ابوداود
(وتوقف) أى ويتوقف (نفع العمل) أى تأثيره طاعة او معصية (عليها)
أى النية (دون العكس) اذ لا يتوقف نفع النية على وجود كل عمل (فورد في
المقاتلين) أى فى حقهما (ان القاتل والمقتول فى النار ، وبين) أى النبى عليه السلام
(علة المقتول) أى فى دخوله النار (انه قصد الرياء) كذا فى النسخ ، والظاهر
انه قصد قتل اخيه لادفعه عن نفسه ، او اراد بالقاتل الكافر والمقتول المسلم المرائى ،
ويؤيد ما اخترناه حديث الاحنف عن ابي بكرة « اذا التقى المسلمان يسيفهما القاتل
والمقتول فى النار ، قلوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال لانه اراد قتل
صاحبه ، متفق عليه ، ولابن ابى الدنيا من حديث عمر « انما يبعث المقتولون على النيات
ولمسلم من حديث جابر « يبعث الله كل عبد على ما مات عليه ، ويؤيده ما فى الاصل حديث
« اكثر شهداء امتى اصحاب الفرش ورب قتل بين الصفيين الله اعلم بنيتة » احمد من
حديث ابن مسعود (وفيمن) أى وورد فيمن (تمنى ان لو اصاب ما لا ينفق فى
المعصية) أى مقدرة (انه شريك المنفق فيها) أى فى المعصية حقيقة (فى الوزر)
أى فهما فى الوزر سواء ، ومفهومه ان لو اصاب ما لا ينفق فى الطاعة انه شريك المنفق
فيها ، فهما فى الاجر سواء ، فقد ورد « الناس اربعة : رجل آتاه الله علما وما لا فو
يعمل بعلمه فيقول لو آتاني الله ما آتاه لعلمت لما يعمل فهما فى الاجر سواء ،
ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخطى بحمله فى ماله فيقول رجل لو آتاني
الله مثل ما آتاه لعلمت لما يفعل فهما فى الوزر سواء » ابن ماجه . والترمذى (وكون
الشراب) أى ولكون شرب المعجون (لعلاج المعدة أنفع من الطلاء على الصدر)
لسرعة تأثير الاول وبطء الثانى فى العمل . ووجه كونه علة لمشابهة الشراب الداخلى
فى المعدة بالنية الداخلة فى القلب من حيث انهما من الامور الباطنة ، ومشابهة الطلاء
الظاهر على الصدر بالعمل الظاهر على الجوارح من حيث انهما من الامور الظاهرة

بَلْ هِيَ الْاَصْلُ لِكَوْنِ الْمَقْصُودِ مِنَ الْعَمَلِ تَأْتُرُ الْقَلْبَ بِالْمِيلِ اِلَيْهِ تَعَالَى عَنْ
الْغَيْرِ فُورِدَ . (لَنْ يَنَالَ اللهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) وَوَقَعَ
الْاِجْمَاعُ عَلَى اِثْمِ الْجَمَاعِ اَمْرَانُهُ عَلَى قَصْدِ اَنَّهُمَا غَيْرُهُمَا بِخِلَافِ الْجَمَاعِ غَيْرُهُمَا عَلَى
قَصْدِ اَنَّهُمَا هِيَ وَائِثْمُ الْمَصْلِيِّ الْمُتَوَضِّىءِ عَلَى ظَنِّ اَنَّهُ مُحَدِّثٌ بِخِلَافِ الْمُحَدِّثِ عَلَى ظَنِّ اَنَّهُ
مُتَوَضِّىءٌ وَهِيَ اَمَّا وَاحِدٌ وَهُوَ الْخَالِصُ كَالْقِيَامِ لِلْاَكْرَامِ وَاَمَّا مُتَعَدِّدٌ كَالْتَصَدَّقِ
لِلْفَقِيرِ وَالْقَرَابَةِ فَاَمَّا لَا يَسْتَقِلُّ كُلُّ شَيْءٍ وَيُعْرِفُ بِالْاِمْتِنَاعِ عِنْدَ اَنْفِرَادٍ اَحَدٍ مِنَ
الْمَقَاصِدِ اَوْ يَسْتَقِلُّ مُتَسَاوِيًا

(بل) هو اضراب عن قوله وخيرهما (هي) اى النية (الاصل) وما سواها الفرع
(لكون المقصود من العمل تأثر القلب بالميل الى تعالى عن الغير) اى عما سوى
الرب وذلك التأثر بالميل الى الله تعالى حاصل بالنية دون مجرد العمل فهى الاصل
(فُورِدَ) فى التزويل (لَنْ يَنَالَ اللهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ)
وهى انما تكون فى القلب كما قال عليه السلام « والتقوى ههنا » و اشار الى صدره « وفى
الخبر ايضا » ان الله لا ينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم « (ووقع
الاجماع على اِثْمِ الْجَمَاعِ اَمْرَانُهُ عَلَى قَصْدِ اَنَّهُمَا غَيْرُهُمَا) اى غير امرانه (بخلاف المجامع
غيرها) اى غير امرانه (على قصد انها هى) اى امرانه ، ولا حدم من حديث صبيب
« من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوى اداها فهو زان » (وائِثْمُ الْمَصْلِيِّ) اى
والاجماع على اِثْمِ الْمَصْلِيِّ (المتوضىء على ظن اَنَّهُ مُحَدِّثٌ بِخِلَافِ الْمُحَدِّثِ) اى المصلى
(على ظن اَنَّهُ مُتَوَضِّىءٌ . وهى) اى النية التى معناها القصد (اما واحد وهو الخالص)
عن المشاركة (كَالْقِيَامِ لِلْاَكْرَامِ) اى اكرام المسلم حال السلام من غير نظر الى سائر
اوصافه الفخام (واما متعدد كالتصدق للفقير والقربة) ونحوهما من استحقاق
الصدقة (فاما) اى ثم المتعدد اما (لا يستقل كل شىء) اى من المقصود بنفسه
عند انفراده فى باعث العطاء (ويعرف) عدم الاستقلال المذكور (بالامتناع) اى
بامتناع النية والقصد (عند انفراد احد من المقاصد) اى عن الآخر فلا يعطى
الغنى القريب بمجرد قرابته ولا الفقير الاجنبى بمجرد فقره ، وعند الاجتماع لا يمتنع
عن العمل فيعطى الفقير القريب (اويستقل) كل من المقصود (متساويا) بان

أَوْ مُتَّفَاوَتًا كَقُوَّةِ فَرَحَةِ الْمُصَلِّيِّ عِنْدَ حُضُورِ النَّاسِ مَعَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَرْجُ الثَّوَابَ لِمَا صَلَّى ، وَيَتَعَدَّدُ الْجَزَاءُ بِتَعَدُّدِهَا خَيْرًا كَانَ كَالدُّخُولِ فِي الْمَسْجِدِ لِلزِّيَارَةِ وَانتظار الصلاة والاعتكاف والانزواء والتجرد للذكر وترك الذنوب، أو شراً كَالْقُعُودِ لِلتَّحَدُّثِ بِالْبَاطِلِ وَمُلاحظة النساء والمناظرة للباهة والمرأة

يكون كل واحد داعياً الى القصد (أو متفاوياً) في مراتب القصد أو مناقب الاستقلال فيكون بعضها مستقلاً وبهذه لا يكون مستقلاً (كقوة فرحة المصلي عند حضور الناس) أي بمجرد باعث الرياء وهو الفرح في قول المصنف (مع أنه لو لم يرج الثواب لما صلى) وتوضيحه أن يكون للانسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات، فاتفق أن حضر في وقتها جماعة من الناس، فصار الفعل أخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه أنه لو كان منفرداً لم يفتر عن الصلاة، وعلم أن عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء بعمله فهو شوب تطرق الى النية وتشوش في تحسين الطوية (ويتعدد الجزاء) أي الثواب (بتعددتها) أي بمقدار تعدد النية (خيراً كان) المتعدد في النية (كالدخول في المسجد) أي مسجد كان (للزيارة) أي لزيارة بيت الله أو أخيه فيه، فعنه عليه السلام « من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور كرام زائره » ابن حبان من حديث سلمان، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « من غدا الى المسجد أوراح أعد الله له الجنة نزلاً كلما غدا أوراح » (وانتظار الصلاة) أي لادائها بالجماعة في وقتها وقد عد من الرباط في قوله تعالى (ورابطوا) وفي الخبر « انتظار الصلاة صلاة » (والاعتكاف) وهو من جملة العبادات الفاضلة فتارة مستحبة نافلة وأخرى سنة مؤكدة كاملة، وإن كان بمكة فزيادة الطواف، وإن كان بالمدينة فزيادة الزيارة المندوبة بلا خلاف (والانزواء) أي الاعتزال عن الاشتغال بالسوى (والتجرد للذكر) من التهليل والتعجيد والتحميد والثناء (وترك الذنوب) ولو كان من باب الحياء فإن من العصمة أن لا تقدر على الجفأ (أو شراً) أي أو كان المتعدد شراً (كالقعود فيه) أي في المسجد (للتحدث بالباطل) فإن كلام الدين في المسجد يبطل الحسنات في العقبي (وملاحظة النساء) أي ومخالطة المردان يعني الاشتها (والمناظرة للباهة) أي المفارقة (والمراعاة) أي المجادلة للسمعة والرياء وكذا قصد التنزه في الليلة القمر، وسماع ما فيه من الذكر والشعر المشابه بمجلس السمر

وَيَجْعَلُ خَيْرَهَا الْمُبَاحَ عِبَادَةً كَالْتَطِيبِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِاقَامَةِ السَّنَةِ وَتَعْظِيمِ الْمَسْجِدِ
وَالْيَوْمِ وَدَفْعِ الْأَذَى بِالتَّنْ وَالْإِسْرَارِ بِالْعَرَفِ وَسَدِّ بَابِ الْغِيَةِ وَرُبَّمَا تَفْضُلُهُ مِنْ
مَحْضِهَا فَالْتَرَفُ بِنُومَةٍ أَوْ دُعَابَةٍ مُبَاحَةٍ لِرَدِّ نَشَاطِ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي الْمَلَالِ
وَشَرُّهَا مَعْصِيَةُ كَالْتَطِيبِ لِلتَّفَاخُرِ بِإِظْهَارِ الثَّرْوَةِ وَالتَّزِينِ لِلرِّيَاءِ

(و يجعل خيرها) أى خير النية (المباح عبادة كالتطيب) الذى فى أصله مباح بوقوعه
(يوم الجمعة لاقامة السنة وتعظيم المسجد) فقد قال تعالى : (وطهرى) قبل فى معناه
بجهره (واليوم) أى وتعظيمه فإنه أفضل أيام الأسبوع بخلاف ، وقيل أفضل الأيام
مطلقا ، وهو عيد المؤمنين وحج المساكين (ودفع الأذى بالتن) أى الريح الحبيثة عن
نفسه وغيره لاسيما الملائكة الحاضرون فوقه (والاسرار بالعرف) بفتح العين ،
أى وبفريح من يجنبه بالريح الطيبة (وسد باب الغيبة) بالريح الكريهة (وربما
تفضله) أى النية المباح (من محضها) أى فيصير المباح بالنية أفضل من العبادة
المحضة (فالترفه) أى التمتع والاسراء (بنومة) قليلة نحو قيلولة (أو دعابة) أى
من أخ ومطايبة (مباحة لرد نشاط الصلاة أفضل منها) أى من الصلاة (فى الملل)
أى فى حال الكسالة ، فمن أبى الرداء « انى لاستجم نفسى باللهو ليكون ذلك عوناً على
الحق » ويؤيده قول أبى مدين ، لا تنكر الباطل فى طوره ، فإنه بعض ظهوراته ، وقد قال
على رضى الله عنه : روحوا القلوب ساعة فساعة فإنها إذا اكرهت عمت . ومن هنا
حرم الصوم فى بعض الأوقات ، وكذا الصلوات فى الأزمنة المكروهات (وشرها)
أى تجعل شرالنية المباح (معصية كالتطيب) المباح فى أصله (للتفاخر بإظهار الثروة)
أى الغنى والنعمة على وجه الكثرة فإنه يصير به معصية ، ففى الخبر « من تطيب لله جاء
يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أتى
من الجيفة » أبو الوليد الصغار مرسلا (والتزين) أى والتزين المباح فى أصله
(للرياء) فإنه معصية لما أنه للعبادة طاعة لقوله تعالى : (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل
مسجد) ولأظهر أنى باسناد جيد من حديث ابن مسعود « من هاجر يبتغى شيئا فهو له هاجر
رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجرا مقيس » وللزائى من حديث عبادة بن
الصامت « من غزا وهو لا ينوى الاعتقال فله ما نرى » ولابن داود باسناد جيد من

وَلَا تُؤْثَرُ فِي الْحَرَامِ فَلَا يُبَاحُ شَرْبُ الْخَمْرِ لِمُؤَافَقَةِ الْإِخْوَانِ

حديث يعلى ابن أمية انه استأجر أجير اللغزو وسمى له ثلاثة دنانير فقال عليه السلام: « وما أجده في غزوته هذه في الدنيا والآخرة الا دنانيره التي سمي » وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية . ورب عمل كبير تصغره النية ، وقال داود الطائي : من كان أكثرهمته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوم الى نية صالحة ، وكذا الجاهل بعكس ذلك . وقال أبو هريرة « مكتوب في التوراة ما أريد به وجهي قبله كثير وما أريد به غير وجهي فكثيره قليل » وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ (ولنبلوكم حتى تعلموا ما كانت قلوبكم) منكم والصابرين ونبلو أخباركم) يبكي ويرددها ، ويقول : انك إن بلوتنا فاضحتنا وهدمت استارنا (ولا تؤثر) أي النية (في الحرام فلا يباح شرب الخمر لمؤافقة الإخوان) ولا لمؤافقة حكام الزمان ، فقد ورد « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ، وكالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره ، أو يطعم فقيرا من مال ظلم به ، أو يبنى مسجدا أو مدرسة أو رباطا ونحوه بمال حرام وقصد الخير به ، ومن هنا قال سهل : ما عصى الله بمعصية أعظم من الجهل ، قيل يا أبا محمد هل تعرف شيئا أشد من الجهل ؟ قال نعم ، الجهل بالجهل ، ويسمى هذا الجهل المركب . وكذا أفضل ما أطيع الله به العلم ، ورأس العلم العلم بالعلم ، فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب عليه الناس من العلوم المزخرفة التي هي من وسائلهم الى الدنيا ، وذلك هو مادة الجهل ومنتج فساد العلم ، والمقصود ان من قصد الخير بمعصيته عن جهل فهو غير معذور قال تعالى : (فاستلوا أهل الذل إن كنتم لاتعدون) وقال عليه السلام : لا يعذر الجاهل على الجهل ، ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه » كما رواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر . ثم لا يجوز امداد المتعلم بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شوائه والحصول في مقام رياسته ، فلم يزل علماء السلف يتفقدون أحوال من يتردد اليهم فاذا رأوا منه تقصيرا في نقل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه ، واذا رأوا منه فجورا هجروه ونفوه عن مجالستهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم ان من يعلم مسألة لم يعمل بها فليس يطالب الا آلة الشر ، وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة ، وما تعوذوا من الفاجر الجاهل . وقد هجر احمد بعض أصحابه الم لازم له سنين بان طين حائط داره ما أخذه من الطريق قدر سمك الطين .

والحاصل ان الشيطان لا يسلم منه أحدا الا من دق في نظره وسعد بمعصمة الله وقدره

وَكَلَّهِ الصَّدَقُ فَرَدَّ (وَإِذْ كُرِّ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا). «أَنَّ الرَّجُلَ لِيَصْدُقَ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا» وَأَدْنَى رُتَبِهِ فِي الْقَوْلِ فِي كُلِّ حَالٍ

وحفظ من خطره ، والا فالعدو لازم للمشمرين لعبادة الله لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء فيسكون أو حركة حتى في كحل العين وقص الشارب ونحوهما مما هو صورة العبادة ، ولذا قال تعالى : (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) وقال عز وجل عا حكاية عنه انه قال (فما اغوي بني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لا تدينهم من بين ايديهم ومن خلفهم) أى من أمور الدنيا والآخرة (وعن أيمانهم وعن شيائيلهم) أى من طريق الحسنات والسيئات (ولا تجدوا كثرة شاكرين) ولذا قيل ركعتان من عالم أفضل من عبادة الفسنة من جاهل ، وفي الخبر له قمه واحد اشده على الشيطان من الف عابد « (وكَلَّهِ) أى كمال الاخلاص وجماله (الصدق) في نيته وقوله وعمله ، فمن جمع له هذا يكون صديقا مبالغة الصادق ، والا فهو صادق اضافى عند ذرى الحقائق والدقائق ، ويدل عليه حديث : ان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا « متفق عليه (فورد) في التنزيل (واذا كرف الكتاب ابراهيم انه كان صديقا) أى قبل النبوة (نبيا) أى مخبرا عن الله حال الرسالة . ثم الصدق لا ينافى المعارض الصادرة عند المعبر عنها بثلاث كذبات لصورتها لان المعبر بمعانيها لا بمبانيها ، وكان رسول الله ﷺ إذا توجه في سفر ورى بغيره كما في الصحيحين من حديث كعب بن مالك ، وذلك كيلا ينتهى الخبر إلى عدوه . وقد ورد في الصحيحين أيضا من حديث أم كلثوم : ليس بكاذب من أصاح بين اثنين وقال خيرا او تمنى خيرا « ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلاثة مواضع : من أصاح بين اثنين ، ومن كان له زوجتان ، ومن كان في مصالح الحرب . فالصدق هنا يتحول من القول الى الية فلا يراعى فيه الا صدق الطوية . فهما صدقت نيته وتجردت للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيف ما كان لفظه توفيقا (ان الرجل) أى وورد في الحديث (ان الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واذا ذر ربه) أى أقل مراتب الصدق الصدق (في القول) مع الخبر (في كل حال) من الأمن والخوف والنفع والضرر والغضب والرضا

وَالْكَأَلُ بِتَرْكِ الْمَعَارِضِ حَذْرًا عَنْ تَفْهِيمِ غَيْرِ الْحَقِّ وَكَسْبِ الْقَلْبِ صُورَةً كَاذِبَةً
وَرِعَايَتَهُ مَعَهُ تَعَالَى فَمَنْ قَالَ وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّهِ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ سِوَاهُ، وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَهُوَ يَعْبُدُ الدُّنْيَا فَهُوَ كَاذِبٌ

(والكآل) أى وإل الصدق فى القول (بترك المعارض حذرا عن تفهيم غير الحق وكسب القلب صورة كاذبة) الا ان الضرورات تبيح المحظورات ، وقد ورد ان فى المعارض لندوة عن الكذب ، وقد حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو فى داره ، فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضعي الاصبع فى الدائرة وقولى ليس هو هنا (ورعايته) أى ومراعاة العبد الصدق (معه) أى مع الحق (تعالى فمن قال وجهت وجهي لله) أولذى فطر السموات والأرض خنيما (وكان فى قلبه سواه وإياك نعبد) أى نخصك بالعبادة (وهو يعبد الدنيا فهو كاذب) فى دعواه اختصاص عبادة مولاه ، فان قلبه اذا كان منصرفا عن الله مشغولا بامانى الدنيا وشهواتها فهو كاذب فى دعواه . وعن مالك بن دينار لولا ان هذه الآية (إياك نعبد وإياك نستعين) أمر من الله لما قرأها لقدم صدق فيها . وروى : ان العبد اذا قرأ هذه الآية يقول الله تعالى له كذبت لو كنت إياى تعبد لم تطع غيرى ولم تلتفت الى سواى ، ولو كنت فى تستعين لم ترفع حوائجك الى ذليل مثلك . ولم تركن الى مالك وكسبك . وكقوله : انا عبد الله ان لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ، ولو طرب يوم القيامة بالصدق فى قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه ؛ لانه ان كان عبدا لنفسه أو عبدا للدنيا أو عبدا لشهواته لم يكن صادقا فى قوله ، وكل ما تقيد العبد به فهو عبده كما قال عيسى عليه السلام : يا عبيد الدنيا . وقال نبينا ﷺ « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الخميصة » رواه البخارى وإنما العبد الحق لله من اعتق أولا نفسه عن غير الله فصاحرا حراما مطلقا . فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا خلعت فيه العبودية لله فيشغله بالله وبمحبه وتقيد ظاهره وباطنه لاطاعته وعبادته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم يجاوز هذا الى مقام آخر اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق أيضا عن ارادته لله من حيث هو هو ، بل يقنع بما يريد الله له من تقرب أو تباعد كما قيل :

أريد وصاله ويريد هجرى * فان ترك ما أريد لما يريد

وهذا عبد عتق عن غير الله فصاحرا حراما ثم عاد وحق عن نفسه وصاحرا حراما عن نفسه

ثُمَّ فِي النِّيَّةِ بِتَمْجِيزِهَا لِلَّهِ تَعَالَى فَالشُّبُوبُ يَقْوَتُهُ يُقَالُ هَذَا صَادِقُ الْحَلَاوَةِ أَيْ
مَحْضُهَا، ثُمَّ فِي الْعَزْمِ وَهُوَ جَزْمٌ قَوِيٌّ عَلَى الْخَيْرِ كَالْتَصَدَّقِ وَالْعَدْلِ أَنْ نَالَ مَالًا
أَوْ وَلَايَةً ثُمَّ فِي الْوَفَاءِ فَالنَّفْسُ قَدْ تَسْمَحُ بِالْعَزْمِ وَتَتَوَانَى بِالْوَفَاءِ، وَوَرَدَ (رَجَالَ
صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)

وصار مفقودا عن نفسه موجودا للسيدة ، ومولاه ان حركه فحرك وان سكنه سكن ، وان
ابتلاه رضى ولم يبق فيه متسع لطلب والتماس واغراض واعراض ، بل هو بين يدي الله
كالميت بين يدي الغاسل ، وهذا انتهى الصدق في العبودية وفق ما تقتضيه الربوبية ، وهذا
عزيز الوجود في متن دائرة الشهود فقد قيل :

التمنى على الزمان محالا • ان ترى مقلتاى طلعة حر

(ثُمَّ فِي النِّيَّةِ) أى ثم اعلى من الصدق في القول الصدق في النية (بِتَمْجِيزِهَا) أى
تخليصها (لِّلَّهِ تَعَالَى فَالشُّبُوبُ) أى الخلط بغيره في النية (بِقَوْتِهِ) أى هذا المقام من
الاخلاص أو الصدق (يُقَالُ هَذَا صَادِقُ الْحَلَاوَةِ أَيْ مَحْضُهَا) يعنى خالصها (ثُمَّ فِي
الْعَزْمِ) أى ثم الصدق في العزم اعلى مما ذكر (وَهُوَ جَزْمٌ قَوِيٌّ عَلَى الْخَيْرِ) أى فعله
وجزم على ترك الشر (كَالْتَصَدَّقِ وَالْعَدْلِ أَنْ نَالَ مَالًا أَوْ وَلَايَةً) وتوضيحه ان
الانسان قد يعزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقنى الله مالا لتصدقت بجميعه أو
بشطره ، وان اعطانى الله ولاية عدلت فيها ولم ادع الله بظلم وميل عن الحق الى
الخلق ، وهو قد يكون صادقا في عزمه وقد يكون كاذبا في عزمه ، ومن الأول قول عمر
رضى الله عنه : لان اقدم فيضرب عنقى في غير حد أحب الى ان اناصر على قوم فيهم أبو بكر
اللهم الا ان تسول لى نفسى عند القتل شيئا لا اجده الآن لاني لا آمن ان يتقل عليها ذلك
فتغير عن عزمها ، اشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم . ومن الثاني قول مجاهد : رجلا
خرجا على ملا من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله مالا لتصدقن فرزقهما الله فيخلابه
فتركت (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) الآية
(ثُمَّ فِي الْوَفَاءِ فَالنَّفْسُ قَدْ تَسْمَحُ) أى تسخى (بِالْعَزْمِ) عند البيان أى ثم الصدق في الوفاء
لقوى مما ذكر (وَتَتَوَانَى) أى تتأخر وتتأعد (بِالْوَفَاءِ) عند الامتحان (وَوَرَدَ) في
التنزيل (رَجَالَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) وقد وقف رسول الله ﷺ على مصعب
ابن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ ،

ثُمَّ فِي الْعَمَلِ وَهُوَ تَسْوِيَةُ السُّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ فَلَمَّا شِئِيَ عَلَى هُدُوهِ وَأَنْتَ خَلَا الْبَاطِنُ
عَنِ الْوَقَارِ غَيْرُ صَادِقٍ، وَوَرَدَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ سِرِّيَّتُهُ خَيْرًا مِنَ الْعَلَانِيَةِ

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (رَجَالَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ . وَفِي
الْبُخَارِيِّ بِجَمَلٍ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَنَسِ بْنِ النُّضْرِ . وَفِي التِّرْمِذِيِّ وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ
وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ عَمَّهُ أَنَسَ بْنَ النُّضْرِ لَمْ يَشْهَدْ بِدِرٍّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى قَلْبِهِ وَقَالَ : أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيْبُ عَنْهُ ، وَاللَّهُ لَئِنْ
أَرَانِي اللَّهَ مَشْهُدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيَرِيَنَّ اللَّهَ مَا أَصْنَعُ فَشَهِدَ أَحَدًا مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ
فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَمْرٍو أَلَيْسَ فَقَالَ وَاهٍ لِرِيحِ الْجَنَّةِ إِنِّي لَا أَجِدُهَا
دُونَ أَحَدٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ مَائِينَ رَمِيَتْ وَضَرْبَةٌ وَطَعْنَةٌ فَقَالَتْ
بَنْتُ النُّضْرِ اخْتَبِ مَا عَرَفْتَهُ الْإِبْنَانَةَ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (رَجَالَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ
عَلَيْهِ فَهُمْ مِنْ قَضَى نَجْبِهِ) أَيْ نَذَرَهُ (فِي مِمِّ الْعَمَلِ) أَيْ الصَّدَقِ فِي الْعَمَلِ أَعْلَى (وَهُوَ)
أَيْ الصَّدَقِ فِي الْعَمَلِ (تَسْوِيَةُ السُّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ) أَنَّ يَكُونَ بَاطِنُهُ مِثْلَ ظَاهِرِهِ وَظَاهِرُهُ
مِثْلَ بَاطِنِهِ وَلِذَا قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ سِرِّيَّتِي خَيْرًا مِنْ عِلَانِيَّتِي وَاجْعَلْ
عِلَانِيَّتِي صَالِحَةً . وَقَالَ زَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ : إِذَا اسْتَوَتْ سِرِّيَّةُ الْعَبْدِ وَعِلَانِيَّتُهُ فَذَلِكَ
انْقِصَابٌ . أَيْ الْعَدْلُ . وَأَنْ كَانَتْ سِرِّيَّتُهُ أَفْضَلَ مِنْ عِلَانِيَّتِهِ فَذَلِكَ الْفَضْلُ ، وَأَنْ بَانَ
عِلَانِيَّتُهُ أَفْضَلَ مِنْ سِرِّيَّتِهِ فَذَلِكَ الْجَوْرُ وَالْخُطْلُ ، وَانْشَدُوا :

إِذَا السُّرُّ وَالْإِعْلَانُ فِي الْمُؤْمَنِ اسْتَوَى • فَقَدَعَنْ فِي الدَّارَيْنِ وَاسْتَوْجَبَ الثَّنَا

فَإِنْ خَالَفَ الْإِعْلَانُ سِرًّا فَهَالَهُ • عَلَى سَعْيِهِ فَضْلُ سَوِيِّ السَّكْدِ وَالْعَنَا

بِإِخْلَاصِ الدِّيْنَارِ فِي السُّوقِ نَافِقٌ • وَمُغْشَوْشُهُ الْمُرْدُودُ لَا يَقْتَضِي الْمُنَا

وَقَالَ مَعَارِبَةُ بِزَنْقَةٍ : مَنْ يَدْلِي عَلَى بَكَاءٍ بِاللَّيْلِ بِسَامٍ بِالنَّهَارِ . وَهَذَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الرَّاهِدِيُّ يَقُولُ : أَلْهِى عَامَلْتُ النَّاسَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ بِالْأَمَانَةِ وَعَاقَلْتُكَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بِالْحَيَانَةِ (فَلَمَّا شِئِيَ عَلَى هُدُوهِ) بِضَمِّتَيْنِ وَقَدْ يَدْغُمُ فِي نَسْخَةٍ عَلَى هُدُوهِ بِفَتْحٍ فَسَكُونُ
وَمَعْنَاهُمَا عَلَى سَكُونٍ فِي الظَّاهِرِ (وَأَنْ خَلَا الْبَاطِنُ) أَيْ بَاطِنُ الْمَآثِمِ (عَنْ الْوَقَارِ) أَيْ
السَّكُونِ وَالثَّبُوتِ (غَيْرُ صَادِقٍ) فِيمَا بَيْنَهُ مِنَ الْإِظْهَارِ (وَوَرَدَ فِيهِ) أَيْ فِي حَقِّ الصَّادِقِ
فِي الْعَمَلِ (أَنْ تَكُونَ سِرِّيَّتُهُ خَيْرًا مِنَ الْعَلَانِيَةِ) أَيْ عِلَانِيَّتُهُ يَعْنِي عَلَى نَيْتِهِ ، وَأَوْحَى
اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ صَدَقَ فِي سِرِّيَّتِهِ جَدَّدْتُهُ عِنْدَ الْخُلُقِيِّينَ فِي عِلَانِيَّتِهِ

ثُمَّ فِي مَقَامَاتِ الدِّينِ فِي الْخَوْفِ بِصُفْرَةِ الْوَجْهِ وَقَلَقِ الْبَاطِنِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي
وَاللَّذَاتِ وَأَقَامَةِ الطَّاعَاتِ وَعَلَى هَذَا فِي غَيْرِهِ وَالصَّدِّيقُ الْمُطْلَقُ هُوَ الْمُتَصِفُ بِالْجَمِيعِ
وَصَدِّهِ الرِّيَاءُ

(ثم) أي ثم الصدق (في مقامات الدين) من أحوال أهل البقين أعلى (ففي الخوف) أي صدقه فيه يتحقق (بصفرة الوجه وقلق الباطن) أي اضطرابه في الحالات (وترك المعاصي واللذات) أي المناعي والشهوات التي فيها الشبهات (واقامة الطاعات) في أنواع العبادات (وعلى هذا) القياس (في غيره) أي غير الخوف من سائر المقامات كالرضا فهو بعدم الخوف بفوت شيء من الجاه والمال والنفس ومن الأولاد والاتباع من الرجال وعدم الشكاية إلى المخلوق في جميع الأحوال (والصدق المطلق هو المتصف بالجميع) أي بجميع أنواع الصدق عند أهل الحق . وقال بشر بن الحارث : من عامل الله بالصدق استوحش من الخلق . وقال أبو سليمان : اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله غاية طلبك ، وقال رجل للحكيم : ما رأيت صادقا ، فقال : لو كنت صادقا لعرفت الصادقين . ويؤيده قوله تعالى : (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقال الثوري في قوله تعالى : (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) قال هم الذين ادعوا محبة الله ولم يكونوا فيها صادقين . وقال محمد بن سعيد المروزي : إذا طلبت الله تعالى بالصدق أفادك الله تعالى . مرآة يدك حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة . وقال أبو بكر الوراق : احفظ الصدق فيما بينك وبين الحق والرفق فيما بينك وبين الخلق . وقيل لذى النون : هل للعبد إلى إصلاح أموره سبيل ؟ فقال :

قد بقينا مذبذبين خيارى • نطلب الصدق مالا به سبيل
فدعاوى الهوى تحف علينا • وخلاف الهوى علينا ثقل

وعن الجنيد في قوله تعالى : (ليسأل الصادقين عن صدقهم) قال يسأل الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم ، وهذا امر على خطر عظيم وحذر جسيم (وصدقه) أي الاخلاص (الرياء) أي رؤية الخلق ، وفي معناه السمعة وان كان في أصل المادة فرق بينهما فان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة من السماع . وفي الصحيحين من حديث جندب بن عبد الله « من رأى راءى الله به ومن سمع سمع الله به » وللطبراني من حديث ابن عمر بلفظ « من سمع الناس سمع الله به مسامع خلقه وحقره وصغره »

وَهُوَ طَلَبُ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ غَيْرِهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَهُوَ حَرَامٌ فَيَخْتَصُّ بِعَمَلِ الظَّاهِرِ
أَمَّا نَحْوُ قَصْدِ الْحِمَةِ فِي الصَّوْمِ وَالتَّبَرُّدِ فِي الْوُضُوءِ وَالتَّفَرُّجِ وَالتَّوَحُّشِ عَنِ
الْأَهْلِ وَالتَّجَارَةِ فِي الْحَجِّ وَالْخَلَّاصِ عَنِ الْمُؤَنَةِ وَسُوءِ الْخَلْقِ فِي الْعَتَقِ فَغَيْرُهُ
وَيَقُوتُ بِهِ الْإِخْلَاصُ وَيَكُونُ بِالْبَدَنِ

وكذا لاحد وابن المبارك وابن منيع من حديث ابن عمرو (وهو) أى الرياء (طلب
المنزلة) أى الوجاهة والمرتبة بالرؤية أو السمعة (عند غيره تعالى بالعبادة) أى لا
بالامور المباحة وفق العادة (وهو حرام) لقوله تعالى : (فويل للمصلين الذين هم
عن صلاتهم ساهون الذين هم يراون) وقوله (والذين يمسكرون السيئات لهم عذاب
شديد) قال مجاهد : هم أهل الرياء . ولاحمد والبيهقى فى الشعب من حديث محمود بن لبيد
عن رافع بن خديج : ان اخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا : وما الشرك
الأصغر يا رسول الله ؟ قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العبيد بأعمالهم
اذهبوا الى الذين كنتم تراون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء « (فنختص)
الرياء (بعمل الظاهر) أى بما تتعاق به الرؤية أو السماع وذلك لامكان نظر الخلق
اليه واطلاعهم عليه ، دون عمل الباطن فانه لا رياء لديه . قال عكرمة : ان الله يعطى
العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيه (اما نحو قصد الحمية) أى
الاحتماء بترك ما يضره عن الأكل (فى الصوم) مع قصد التقرب (والتبرد) أى
وقصد تبرد الأعضاء . (فى الوضوء) وكذا قصد النظافة فيه وفى الغسل مع التقرب
(والتفرج) أى وقصد طلب الفرج والخلاص من الهم والغم بالتزهد (والتوحيش)
أى الملالة (عن الأهل) أى القرابة أو أهل القرية صداقة أو عداوة ، وكذا قصد
صحبة المزاج فى السفر (والتجارة) أى وقصدها (فى الحج) أى ادائه مع التقرب
(والخلاص) أى قصده (عن المؤنة) أى مؤنة نفقة المملوك (وسوء الخلق)
من المالك أو المملوك من جهة الترية (فى العتق) أى عتق عبد أو جارية (فغيره)
أى فغير الرياء لعدم تعلق نظر الخلق اليه (ويقوت به) أى بقصد المذكورات
(الاخلاص) فى تلك العبادات لازفيه شوب فقع نفسه وحفظ نفسه والاخلاص
تجريد النية عن شوب الارادة النفسية (ويكون) الرياء (بالبدن) أى من جهة

وَالْهَيْئَةُ وَالزِّيَّ وَالْقَوْلَ وَالْعَمَلَ وَغَيْرَهَا كَظَهَارِ النُّحُولِ وَابْقَاءِ أَثَرِ السُّجُودِ وَلِبْسِ
الصُّوفِ وَالْوَعْظِ وَتَطْوِيلِ الصَّلَاةِ وَكَثْرَةِ التَّلَامِيذِ وَمَا طُلِبَ بِغَيْرِ الْعِبَادَةِ كَكَثْرَةِ
الْمَالِ وَحِفْظِ الْأَشْعَارِ فَخَارِجٌ لَا يَحْرُمُ إِذَا لَمْ يُؤَدَّ إِلَى رَذِيلَةٍ كَالْتَكْبِيرِ كَمَا سَبَقَ فِي الْجَاهِ

البدن باظهار الخشوع واكثر الحزن (والهيئة) أى السمات الصالح (والزى) أى لبس الصلحاء (والقول) أى نقل كلام الأولياء (والعمل) أى وأعمال الأصفياء (وغيرها) كالمال والاتباع والبيوت وأنواع الاستمتاع (كاظهار النحول) هذا وما بعده نشر للف المتقدم مرتبا ، والمراد بالنحول ضعف البدن في مشيه وصوته ونظره ليوهم بذلك شدة الاجتهاد في العبادة وكثرة الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة ، وليدل بالنحول على قلة الأكل وبالصغار على سهر الليل ، وكذا يتشعث الشعر ليشمر على استغراقه في الأمر ، ولذا قال عيسى عليه السلام : اذا صام أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفته ويرجل شعره ويكحل عينه ، وكذا روى عن أنى هريرة وكذا قال ابن مسعود : اصبحوا صايما مدهنين (وابقاء أثر السجود) على الجبهة ، واطراق الرأس في المشية والهدوء في الحركة (ولبس الصوف) وغلظ الثياب وتشميرها الى قريب الساق ، وقصر الأكام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا من غير ترقيع . ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ونحوها ، وقد يلبس الأصواف الرقيقة من الاصناف المنبوعة اذا كان يدخل عند الأغنياء أو على الأمراء ، فقيمة ثوبه قيمة الأغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء ، فيلتبس القبول عند الفريقين في مقام الرياء ، ولو ظف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا عما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبيح (والوعظ) أى التذكير والنصيحة والنطق بانواع الحكمة وحفظ الأخبار وآثار الأخيار وتحريك الشفتين بمحضر الناس وامثالها (وتطويل الصلاة) بطول القيام والركوع والسجود واطراق الرأس وترك الالتفات وتسوية القدمين واليدين ، وكذا في الصوم والزكاة والحج وسائر العبادات وبقية المعاملات (و كثرة التلاميذ) للعلماء وكثرة المريدين للصلحاء وكثرة الزائرين من الأجانب والأقرباء (وما) مبتدأ أى والرياء الذى (طلب بغير العبادة ككثرة المال) والانصار من الرجال (وحفظ الاشعار فخارج) عن حد الرياء كما سبق في تعريفه لحيث (لا يحرم) طلب تلك المنزلة (اذالم يؤدى الى رذيلة) أى خصلة مذمومة (كالتكبر) على الناس (كما سبق في الجاه) أى في ذمه وهو قوله

وَكَذَا التَّزِينُ لِاسْتِمَالَةِ قُلُوبِ الْأَخْوَانِ وَالتَّحَامِي عَنْ مَلَائِهِمْ وَالْمَرْوِي
مِنْ تَزِينِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِبَادَةٌ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالدَّعْوَةِ فَلَوْ اسْقَطَ نَفْسَهُ عَنْ قُلُوبِهِمْ لَمَّا
حَصَلَ الْمَقْصُودُ، وَأَفَاتُهُ التَّلْيِيسُ بِإِرَادَةِ مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ بِالْأَمْرِ الدُّنْيَوِيِّ حَرَامٌ
فَبِالدِّينِيِّ أَوَّلَى، وَالِاسْتِهْزَاءُ عَلَيْهِ تَعَالَى بِإِثَارِ رِضَاءٍ غَيْرِهِ

هناك فحرام ، أى فالجاه حرام ان كان بار تكاب ذنب كالسكذب وههنا أيضا كذلك
(وكذا التزين لاستمالة قلوب الاخوان) حال مخالطتهم (والتحامي) أى السلامة
(عن ملائتهم) والمعنى ان تحسين الثوب الذى يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس
مرادة ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا ، وعلى هذا فقس كل تجمل للناس
وتزين لهم (والمروى) لانه عدى فى الكمال عن عائشة (من تزينه عليه السلام)
أى حين اراد ان يخرج الى اصحابه الكرام ، فكان ينظر فى جب الماء ويسوى عمامته
وشعره ، فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ قال نعم « ان الله يحب من العبد ان يتزين
لاخوانه اذا خرج اليهم » فهذا كان منه عليه السلام (عبادة لانه) حينئذ (مأمور
بالدعوة) أى بدعوة الخلق وترغيبهم فى اتباع الحق واستمالة قلوبهم بالرفق (فلو
اسقط نفسه عن قلوبهم) بسقوطها عن أعينهم بترك تزينه لهم (لما حصل المقصود)
ولم يرغبوا فى اتباع المطلوب من المعبود وهو اجابة الحق من الخلق فكان يجب عليه ان
يظهر لهم محاسن احواله كيلا تزدرىه أعينهم فى اقباله ، فان أعين الخلق تمتد الى
الظواهر دون المراتر (وآفاته) أى الرياء (التلبيس) أى المسكر والتدسيس
الحاصل من وسوسة ابليس (بارادة ما ليس فيه) متحقق فى الخارج موجود فى الواقع
لانه خيل اليهم انه غلص مطيع لله وانه من أهل الدين وليس كذلك (فهو) أى
التلبيس (بالأمر الدنيوى حرام) أيضا ، حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه
متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته لأنهم بذلك لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالمكر
والخدريفة بخلاف ما اذا أفاق الرجل والمه على جماعة من الأغنياء لافى معرض العبادة والصدقة
ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذه مرادة وليس بحرام وكذا امثاله (فبالدينى أولى) أى
فالتلبيس بالأمر الدينى أولى ان يكون حراما لانه محض العبادة (والاستهزاء عليه تعالى)
أى ومن آفاته الاستخفاف بالنسبة اليه سبحانه وهو (بإثارة رضاء غيره) أى اختياره

عَلَى رِضَاهُ وَتَعْظِيمِ نَفْسِهِ فِي الْقُلُوبِ عَلَى تَعْظِيمِهِ تَعَالَى وَالْاِحْتِرَازَ عَنْ مَقْتِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ

(على رضاه) أى على إظهار رضاه سبحانه وتعالى . والمعنى انه مهماقصد بعبادة الله رضاه ماسواه فهو مستهزىء بالله ، ولذا قال قتادة اذا رأى العبد قال الله لئلا تكته انظروا اليه كيف يستهزىء به . ومثاله ان يمثل بين يدى ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة وقوفه ويكون وقوفه لملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانه ، فان هذا استهزاء بالملك ، إذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته ، بل قصد عبداً من عبيده ، فأى استخفاف يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا ، وهل ذلك الا أنه ظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل اغراضه من الله رآه أولى بالقرب اليه من الله اذا أثره على ملك الملوك لجملة مقصود عبادته ، ورأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى (وتعظيم نفسه) أى وباظهار تعظيمها (فى القلوب على تعظيمه تعالى) أى تعظيم علام الغيوب وتوضيحه ان الرياء لم يكن فيه الا أنه يركع ويسجد لغير الله لكان فيه كفاية ، فانه إذ لم يقصد التقرب إلى الله تعالى فقد قصد غير الله ، ولعمري لو عظم غير الله بالسجود والكفر كفر اجليا ، الا ان الرياء هو الكفر الخفى ، لان المرأى عظم فى قلبه الناس ، فاقضت تلك العظمة ان يركع ويسجد فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ، فهم ازال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق فى الشهود فان ذلك قريبا من الشرك الممهور ، الا أنه ان قصد تعظيم نفسه فى قلب من عظم عنده ، باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله ، فمن هذا كان شركا خفيا لاشركا جليا . وذلك غاية الجهل والنقصان ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان وأوهم عنده ان العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه واجله ومصلح حاله ومنافع آماله أكثر مما يملكه الله تعالى ، فلذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم فاقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم اليه ، ولو لوطنه الله سبحانه اليهم فى الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافأة له على صنعه ، فان العباد لهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فكيف لغيرهم ، وهذا فى الدنيا فكيف فى العقبى يوم لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، بل تقول الانبياء فيه : نفسى نفسى ، فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله بالدرجات الفاخرة كل ما يرتقبه بطمعه السكاذب فى الدنيا من الناس ، فلا ينبغي ان يشك فى ان المرأى بطاعة الله فى سخط الله من حيث النقل والعقل ، وهذا معنى قوله (والاحتراز) أى وباظهار المرأى الاحتراز (عن مقت غيره) سبحانه (عليه) أى على الاحتراز

من مقتته ورد العمل فوراً «انى لا اقبل الا ما كان خالصاً، واللوم بين الملائكة فوراً يقال عند صعودهم بالعمل رده الى سجين فانه لم يردنى، وفي القيامة فوراً في ندائه فيها يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر، والحرمان عن الاجر فوراً يقال النفس الاجر بمن كنت تعمل له الم يوسف عليك في المجالس الم تكن رئيس الدنيا

(من مفتته) تعالى ، فقد سأل رجل سعيد بن المسيب فقال : احدنا يصطنع المعروف ويحب ان يحمد ويؤجر ، قال له : اتحب ان يمقتك الله ؟ قال لا ، قال : اذا عملت لله عملاً فخلصه (ورد العمل) اى ومن آفاته عدم القبول (فوراً) اى في الحديث القدسي (انى لا اقبل الا ما كان خالصاً الى) لم اجده بهذا اللفظ ، ولكن ورد معناه وهو ما رواه مالك من حديث انى هريرة «يقول الله من عمل عملاً اشرك فيه غيرى فهو له ظهوانا اغنى الاغنياء عن الشرك» ويؤيده قوله تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) (واللوم) اى ومن آفاته الملامة (بين الملائكة فوراً) في الحديث الانسى (يقال عند صعودهم بالعمل) المخلوط بالرياء (ردوه الى سجين) لقوله تعالى (ان كتاب الفجار لنى سجين) وهو موضع في اسفل سافلين مكان الشياطين ، وقبل هو كتاب اعمال المشركين (فانه لم يردنى) اى بعمله خالصاً له الدين. ولا بن المبارك في الزهد، ومن طريقة ابن ابى الدنيا وابى الشيخ في حديث طويل «ان الله تعالى يقول للملائكة ان هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه في سجين» (وفي القيامة) اى ومن آفاته الملامة والندامة يوم القيامة (فوراً في ندائه) اى المرائى (فيها) اى في القيامة (يا كافر) حقيقة او حكماً بكفران النعمة (يا فاجر) اى يافسق بترك الاخلاص في الطاعة (يا غادر) اى يامكر للخلق اول الحق ايضا على زعمه الباطل (يا خاسر) اى الذى خسر الدنيا والآخرة ، والحديث رواه ابن ابى الدنيا : من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يسم «ان المرائى ينادى يوم القيامة باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل عمالك وحبط اجرک اذهب نخذ اجرک بمن عملت له فلا اجرک عندنا» (والحرمان عن الاجر) اى ومن آفاته حرمان ثواب العمل (فوراً) يقال (اى للمرائى يوم القيامة) (النفس الاجر) اى اطلب الثواب (من كنت

أَلَمْ يُرَخِّصْ بِعَيْكَ أَلَمْ تُكْرَمْ، وَالْعَذَابُ فَوْرَدَ أَهْلَ الرِّيَاءِ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ
وَالْإِخْشَ بِإِعْتِبَارِ نَفْسِهِ أَنْ لَا يُرِيدَ الثَّوَابَ أَصْلًا وَهُوَ فِي غَايَةِ الْمَقْتِ ثُمَّ مَا فِيهِ
إِرَادَتَانِ وَالرِّيَاءُ غَالِبٌ

تعمل له) من الخلق كما تقدم (الم يوسع عليك في المجالس الم تكن رئيس الدنيا
الم يرخص بيبك الم تكرم) اى بالقيام والسلام وانواع من الاكرام، وقد روى عن
على ان الله عز وجل يقول للقرءاء يوم القيامة الم يكن يرخص عليكم السمر الم تكونوا
تبدلون بالاسلام الم تقض لكم الحوائج ، وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم
والمعنى وكان هذه الاشياء قصدك من اظهار الطاعة فقد جزيت بها في الدنيا فلم يبق
لك اجر في العقبى كما قال تعالى ، (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم
فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا
فيها وباطل ما كانوا يعملون) (والعذاب) اى ومن اقامته عذاب الآخرة (فورد
اهل الرياء يعذبون في النار) لم اره بهذا اللفظ ، وللازمذى وابن ماجه من حديث
ابى هريرة استعبدوا بالله من جب الحزن قبل وما هو ؟ قال واد في جهنم اعد للقرءاء
المرائين (والاشد في الرياء) (باعتبار نفسه) اى
نفس الرياء واصلة ، ولهذا الرياء اربع درجات (ان لا يريد الثواب اصلا) اى لا يكون
مراده الثواب قطعا كالذى يصلى بين الناس ولو انفرد كان لا يصلى بل ربما يصلى من
غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده للرياء (وهو) اى المرائى (في غاية المقت)
من الله وغضبه ، وكذا من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب
ولو خلى بنفسه لما اداها وهذا غالبا لا يتصور الامن المناق فالنفاق يبطل العمل من
اصله والرياء يوجب رده ، والمن والاذى يحبطان الصدقة اصلا ، وعند بعض المشايخ
يبطلان اضعاها . واما التدامة فتحبط العمل في قولهم جميعا ، والعجب يذهب اضعاها ،
والتهاون يخفف العمل فيذهب رزاقته (ثم ما فيه ارادتان) ارادة الاجر والرياء
(والرياء غالب) وقصد الاجر ضعيف بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ، ولا يحمله
ذلك القصد على العمل ، ولو لم يكن قصد الاجر لكان قصد الرياء يحمله على العمل ،
كن يريد الصلاة لوجه الله تعالى ارادة ضعيفة لاتنهضه عليها ، فاتفق بحى جماعة عنده
فظهر داعية الرياء في قلبه مع بناء ارادة وجه الله فانتهض عليها ، ولو لم يكن الرياء ما كان

وَهُوَ يَقْرَبُهُ ثُمَّ مَا اسْتَوِيَ فِيهِ فَاَلْمَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ وَلَا عَلَيْهِ لَكِنْ اِطْلَاقُ الْاِخْذِ فِي
الْاَدْلَةِ يَشْمَلُهُ ثُمَّ مَا تَرَجَّحَ فِيهِ قَصْدُ الثَّوَابِ فَالْمُظَنُّونُ فِيهِ النِّقْصَانُ لَا الْبُطْلَانُ أَوْ
الثَّوَابِ وَالْعِقَابُ بِحَسَبِ الْقَصْدَيْنِ ، وَالْأَصْلُ أَنَّ الْقُرْبَ مِنْهُ تَعَالَى بِالْمِلَلِ

ينهضه مجرد ارادة رجه الله ، ولولم يكن ارادة وجه الله لكان ارادة الرياء تنهضه
(وهو يقربه) اى هذا النوع من الرياء يقرب الاخش وهو الاول الذى ليس فيه
ارادة الثواب اصلا ، فهذا يقرب ماقبله فى المقت ، لكن لما فيه من شائبة قصد الثواب
لا يستقل بحمله على العمل ولا ينفى عنه المقت والاثم (ثم ما استويا) اى ثم الاخش
باعتبار نفس الرياء ما استوى الارادتان او القصدان (فيه) اى فى ذلك العمل بحيث
لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يعبثه على العمل فلما اجتمعا انبثت الرغبة ،
او كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل ، فهذا قد افسد مثل ما اصلاح
(فالمرجو) اى المأمول من فضل الله وكرمه (ان لا يكون له) اى لصاحب الارادتين
المستويتين تقع وثواب (ولا عليه) ضر وعقاب ، بل يسلم رأسا برأس او يكون
له من الثواب مثل ما عليه من العقاب ، ويؤيده ما روى عن معاذ قال : لما تلامس رسول
الله ﷺ (فن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا) شق على القوم واشتد عليهم
فقال افلا فرجها عنكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال هـى مثل الآية التى فى الروم (وما
آتينكم من ربوا ليربو فى اموال الناس فلا يربو عند الله) فقال عليه السلام « من عمل
رياء لا يكتب له ولا عليه » كذا فى الجامع الكبير للسيوطى (لكن اطلاق الاخذ فى
الادلة يشمله) اى ظواهر الاخبار من ادلة ذم الرياء يشمل هذا النوع فيحصل له
الاثم ويدل على انه لا يسلم (ثم) اى ثم الاخش باعتبار نفس قصد الرياء (ما ترجح
فيه قصد الثواب) بان يكون طلب الاجر غالبا ويكون اطلاق الناس مقويا ومرجحا
لنشاطه ، ولولم يكن لما كان يترك العبادة ولو قصد الرياء وحده لما اقدم (فالمظنون)
اى الذى نظنه والعلم عند الله سبحانه (فيه) اى فى هذا النوع (النقصان) اى
نقصان الثواب (لا البطلان) اى لا نحكم على العمل ببطلانه بالكلية لان العبرة بالقلبة
فى الاحكام الجزئية (او الثواب) اى على قدر ما اخلاص فى نيته (والعقاب) على
قدر الرياء (بحسب القصدين) اى المتقدمين (والاصل ان القرب منه تعالى بالميل

إِلَيْهِ تَعَالَى وَالْبَعْدُ عَنْهُ تَعَالَى بِالذُّهُولِ وَمَا وَرَدَهُ أَنَا أَغْنَى الْاِغْنَاءَ عَنِ الشَّرِكِ وَنَحْوَهُ
فَمَحْمُولٌ عَلَى الْأَوَّلِ وَبِاعْتِبَارِ مَا بِهِ رِيَاءٌ بِأَصْلِ الْإِيمَانِ وَهُوَ أَغْلَظُ أَبْوَابِ الرِّيَاءِ
وَفِيهِ الْخُلُودُ فِي النَّارِ ثُمَّ بِأَصْلِ فَرَائِضٍ سِوَاهُ

إليه تعالى (أى بسبب الإقبال عليه والحضور لديه) (والبعْد عنه تعالى بالذهول)
أى الغفلة عنه لقوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره
فرطاً) (وما ورد) (أى فى حديث) (أنا أغنى الإغنياء عن الشرك) (وفى نسخة
من الشرطاء) (ونحوه) (أى مما يدل على البطلان) (فمحمول على الأول) (أى عمالاً يريد
الثواب أصلاً أو على ما تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح فإن لفظة الشركة
مطلقة للتسوية) (وباعتبار ما به رياء) (أى والاختش من الرياء باعتبار ما يقع به الرياء
من العبادات هو الرياء) (بأصل الإيمان) (وقيل هو بدل من قوله به بأعادة
الجار . وما قدرناه أولى بالاعتبار ، وذلك بأن يظهر ظمى الشهادة باللسان من غير
تصديق بالجنان ، لكنه يرانى أحياناً لظاهر الأمر فى بعض الأركان) (وهو أغلظ أبواب
الرياء) (كما يشير إليه قوله تعالى (يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلاً مذهبدين بين
ذلك) (أى متحيرين هنالك) (لآلى هؤلاء) (المسلمين) (ولآلى هؤلاء) (المشركين) (ومن
يضل الله فلن تجد له سبيلاً) (أى مخلصاً ودليلاً ، فلم يكن مخلصاً بل يكون دائماً حقيراً
ذليلاً) (وفيه الخلود فى النار) (فى دار البوار بل لما قال تعالى (ان المنافقين فى الدرك
الاسفل من النار) (وذلك لانهم جمعوا بين كفر الباطل ونفاق الظاهر لخال هؤلاء
أشد من حال الكفار المجاهرين ولأن ضررهم للمسلمين أكثر من ضرر المشركين .
وكان النفاق فى بدء الاسلام يكثر ممن يدخل فى ظاهر الاسلام ويعمل ببعض الاحكام
لفرض فاسد أو عوض كاسد ، وذلك مما يقل فى زماننا حيث لا باعث عليه هنالك ،
ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطناً فيجحد الجمة والنار والدار الآخرة ميلاً
الى قول الملاحدة ، أو يعتقد طى بساط الشرع والاحكام ميلاً الى اهل الاباحه ، أو
يعتقد كفراً أو بدعة وهو يظهر خلافه ، فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدن فى النار
وليس وراء هذا الرياء رياء) (ثم) (أى ثم الاختش بعده الرياء) (بأصل فرائض
سواه) (أى غيرة الإيمان وذلك بأن يكون مال لرجل فى يد غيره فيأمره باخراج الزكاة
خرفاً من المذمة ، والله يعلم من باطنه انه لو كان فى يده لما اخرجها ، أو يدخل وقت

وَفِيهِ الْمَقْتُ ثُمَّ بِأَصْلِ السَّنَنِ وَالنَّوَافِلِ وَفِيهِ نَصْفُهُ لَا يَثَارُ رِضَاءٌ غَيْرُهُ تَعَالَى
عَلَى رِضَاهُ سُبْحَانَهُ دُونَ أَيَّ ثَارٍ الْاِحْتِرَازِ عَنْ مَقْتِ غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ مِنْ مَقْتِهِ
تَعَالَى، ثُمَّ بِالْأَوْصَافِ

الصلاة وهو في جمع فيصلي وعادته ترك الصلاة في الخلوة ، وكذا يحضر الجمعة ولولا
خوف المذمة لما كان يحضرها ، وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق
ليفطر ، أو يصل رحمه أو يبر والده لاعتن رغبة ولكن خوفا من المذمة ، أو يغزو
أو يحج كذلك ﴿ وفيه المقت ﴾ أي اشد الغضب من جانب الرب الا انه ليس
بكافر عند اهل السنة والجماعة ، وذلك لانه مرآة في الاركان ومعها اصل الايمان فيعتقد
ان الله لا معبود سواه ، ولو كلف ان يعبد غير الله أو يسجد لما عداه لم يفعل ، ولكنه
يترك العبادات للكسل الطارى في الاوقات وينشط عند اطلاع الناس وفق العادات ،
فتكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق ، وخوفه من مذمة الناس
اعظم من خوفه من عقوبة الله ورغبته في محمد تم اشد من رغبته في مشيئة الله . وهذا
غاية الجهل بالرب وما جدر صاحب هذا بالمقت الذي هو اشد الغضب ﴿ ثم ﴾ أي
ثم الافحش بعده الرياء ﴿ باصل السنن ﴾ المؤلدة ﴿ والنوافل ﴾ المستحبة التي لو تركها
لا يعصى ، ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ، ولا يثار لذة الكسل على
ما يرجي من ثواب العمل ثم يبعثه الرياء على فعلها ، وذلك كحضور الجماعة في الصلاة
وعيادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت ، والتهجد بالليل وصيام يوم عاشوراء
ونحوه ، فقد يفعل المرائي هذه الجملة خوفا من المذمة أو طلبا للمحمدة ، ويعلم الله تعالى من
ضميره انه لو خلى بنفسه لما زاد على اداء فرائضه ، فهذا أيضا عظيم في نفسه لكن كما قال
﴿ وفيه ﴾ أي في هذا النوع من الرياء (نصفه) أي نصف المقت أو بعضه باختلاف تفاوت
أحواله في الرغبة باعماله وذلك ﴿ لا يثار رضاء غيره تعالى على رضاء سبحانه دون ايتار
الاحتراز عن مقت غيره سبحانه عليه ﴾ أي على المرائي ﴿ من مقتته تعالى ﴾ فان الذي
قبله أثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون
ذم الخالق ، فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الخالق ، وأما هذا فلم يفعل ما فعل ذلك
لانه لم يخف عقاب الله على ترك النافلة لو تركها ولكنه عوقب على الشطر الاول فلذا عقابه
نصف عقابه فتأمل ﴿ ثم بالآوصاف ﴾ أي ثم الافحش بعده الرياء بأوصاف العبادات

فَبِالْوَاجِبِ كَتَعْدِيلِ الْأَرْكَانِ ثُمَّ الْمُكْمَلُ كَتَطْوِيلِهَا وَتَحْسِينِ الْهَيْئَةِ ثُمَّ الزَّائِدُ
كَالْبُكُورِ فِي الْمَسْجِدِ وَقَصْدِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَبَاعْتِبَارِ مَالِهِ

لاباصولها من الفرائض المهمات (فبالواجب كتعديل الأركان) من الركوع
والسجود والقومة بتسكين الجوارح والأعضاء فيها حتى يطمئن ، فانه يرائي بفعل
ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود والقومة فان رآه
الناس احسن أفعالها وهد القعود بين السجدين وأمانها ، فقد قال ابن مسعود : من
فعل ذلك ففي استهانة يستهين بهاربه ، يعني انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة كما
في الجلوة فاذا اطلع آدمي عليه احسن الصلاة ، ومن جلس بين يدي انسان مقربا أو
متكئا فدخل غلامه فاستوى في الجلسة واحسن كان ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة
بالسيد لا محالة ، وهذا حال المرأى بتحسين الصلاة في الملا دون الحلاء وكذا الذي
يعتاد لإخراج الزكاة من الدنانير الرديئة فاذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا
من الملامة ، وكذا الصائم يصوم صومه عن الغيبة لئلا لعبادة الصوم خوفا من المذمة
فهذا أيضا من الرياء المحذور لان فيه تقديم الخلق على الخالق لكنه دون الرياء باصول
التطوعات كذا في الأحياء . والظاهر انه دون الرياء باصول العبادات من الفروض ،
لان أصول التطوعات دون أصول الواجبات ، وكذا يجوز ترك التطوعات رأسا ولا
يجوز ترك الواجبات أصلا . نعم يترك الفرائض تبطل العبادات ، بخلاف ترك الواجبات
فانه يوجب الإثم والنقصان في وصف العبادات (ثم المكمل) أي ثم الأفحش بعده
الرياء بفعل ما لا نقصان في تركه لكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته فهو ما كان
وجوده خيرا من عدمه (كتطويلها) أي الصلاة بتطويل الركوع والسجود ومد القيام
وإطالة القراءة (وتحسين الهيئة) في رفع اليدين ووضعهما مع اظهار تزيين النية المشعر
بتحسين الطوية وحفظ العين عن الالتفات واطراق الرأس في الحالات ليستدل بذلك
على غاية خشوعه ونهاية خضوعه ، وكل ذلك مما لو خلى ونفسه لكان لا يقدم عليه بمقتضى
طبعه ومراعاة شرعه (ثم الزائد) أي بعده الرياء بزيادة خارجة عن نفس التوافل ايضا
(كالبكور في المسجد) أي بحضور الجماعة قبل القوم (وقصد الصف الأول)
وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه من الأحكام . وكل ذلك ما يرائي به الانام ،
ويعلم الملك العلام انه لو خلى بنفسه لكان لا يبالي ابن وقف ومتى حضر (وباعتبار ماله)

قَصْدُ الْمَعْصِيَةِ كَتَقْلُدِ الْوَقْفِ لِلْمَدَاهِنَةِ ثُمَّ الْمُبَاحِ كِنَطَاحِ الشَّرِيفَةِ ثُمَّ التَّمْيِيزِ عَنِ
الْعَامَّةِ وَقَدْ يَخْفَى كَالْفَرَجِ بِاطْلَاعِ الْغَيْرِ

أى والاختش باعتبار ما يقع الرياء لاجله ماله فيه (قصد المعصية) وقبل انه بدل من
ضميره ماله ، والاولى ما قدرناه لحسن ماله ، وذلك بان يكون مقصوده التمكن من معصيته
(كتقليد الوقف للمداهنة) أى كالتذى يرانى بالعبادات ويظهر التقوى والورع بثرثرة
النوافل من الطاعات والامتناع عن أكل الشبهات ، وغرضه أن يعرف بتأدية الامانات
فيؤتى تولية القضاء أو الاوقاف أو الوصايا أو مال الايتام فيأخذها ، أو يسلم اليه تفرقة
الزكاة والصدقات ليستأثر بما يقدر عليه منها في الحاجات ، أو يودع الودائع فيأخذها
ويجدها في بعض الحالات ، وهؤلاء أبغض المرائين الى الله لانهم جعلوا طاعة ربهم
سلما الى معصيته واتخذوه آلة ومتجرا وبضاعة لهم فيفسقهم (ثم المباح) أى قصده
بالرياء (كنكاح الشريفة) أو المرأة الجميلة فيكون غرضه بالرياء نيل حظ من حظوظ
الدنيا من المال أو جمال ، فيظهر الحزن بالبكاء ويشغل بالودع في الصباح والمساء لتبذل
له الاموال وترغب في نكاحه النساء فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة
الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه (ثم التمييز عن العامة)
بالمشى والزى وترك اكل اللحم ونحوه كي يمدن الخاصة كالزهاد والعباد فيما بين العباد من
أهل البلاد ، فيظهر عبادته لالقص نيل حظ دنيوى من مال أو نكاح بل خيفة من
ان ينظر اليه بعين النقص ويعتقد انه من جملة العامة ، كالتذى يمشى مستعجلا في
طريق فيطلع عليه الناس فيحسن ماشى ويترك العجلة كيلا يقال انه من أهل اللهو
والسهو لا من أهل الوقار والسكون ، وكذلك الذى يسبق اليه الضحك أو يدر
منه المزاح فيخاف أن ينظر اليه بعين الاحتقار لابهين الوقار فيقع ذلك بالاستغفار
وتنفس الصعداء واظهار الحزن والبكاء ويقول : ما أعظم غفلة الأدمى عن نفسه ،
والله يعلم منه انه لو كان في خلوة هنالك لما كان يشغل عليه ذلك (وقد يخفى) أى الرياء
فانه لما تقدم اخفى من ديب التلمة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء (كالفرح
باطلاع الغير) على طاعته قرب عبد مخاص في عمله لا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده
عن نفسه ويتمم العمل كذلك ، ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له
وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة ، وهذا السرور يدل على رياء خفى فيه يترشح

والتعريض للآظهار وتحسين الأداء في الخلاء لئلا يخالف في الملاء وللتزين بظهور الخشوع في الأعضاء وتأثيره أنه إذا هجم بعد التمام بالفرح على الظهور أو الآظهار لا يبطل لعدم بطلان الثواب المتقدم بالعمل الطارى وفيه الثواب والعقاب وحمل ما ورد ما صمت ولا أفطرت فيمن قال صمت دائما على كراهة صوم الدهر

السرور منه (والتعريض للآظهار) يعنى ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكرهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للمرق الخفى من الرياء فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام غرضا بالآظهار . وقد حكى ان رجلا اضاف الثورى واصحابه ، فقال لاهله : ماتوا الطبق الذى جئت به في الحجة الاولى ، فظرسفيا ن وقال : مسكين قد افسد عليه هذا حجتيه (وتحسين الاداء في الخلاء) وجعله عادة له (لئلا يخالف في الملاء) ظنا منه انه يتخلص بهذا عن الرياء ولم يعرف انه يتكرر منه الرياء في الخلاء والملاء (وللتزين) كذا في النسخ ، والظاهر ان يقول والتزين في الاعين اى اعين اهل الملاء (بظهور الخشوع في الاعضاء) كآظهار النحول والصفار وخفض الصوت وبس الشفتين وآثار الدمع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد . والحاصل انه مهما ادركت النفس تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء ، وقد روى « لا يكمل ايمان احدكم حتى يكون الخلق عنده كالأباعر » (وتأثيره) اى الرياء في العمل بالاحباط والاثبات (انه اذا هجم) اى غلب الرياء . (بعد التمام) اى تمام العمل الخالص (بالفرح) متعلق بهجم اى بفرحه (على الظهور) من غير قصده (او الآظهار) بقوله (لا يبطل) ثواب العمل المؤدى بالاخلاص (ادم بطلان الثواب المتقدم بالعمل الطارى) اى الحادث بعده (وفيه الثواب) على عمله الذى مضى (والعقاب) على مرآاته بطاعة الله بعد الفراغ منها (وحمل ماورد) اى في الحديث من نفى العمل تغليظا (ما صمت ولا افطرت فيمن قال صمت) اى في حق من قال صمت (دائما) والمحفوظ صمت الدهر يا رسول الله ، ثم المعروف في مسلم من حديث ابى قتادة « قال عمر : يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر ؟ قال لا صام ولا افطر ، فهذا حمل (على كراهة صوم الدهر) اى لاعلى ابطاله بالرياء لآظهار اعماله ولانه يكون في قوله نوع

لِدُخُولِ الْعِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقِ فِيهِ، وَمَا جَاءَ ذَلِكَ حَظُّكَ مِنْهَا فِيمَنْ قَالَ قَرَأْتُ
الْبَارِحَةَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ عَلَى عَدَمِ خُلُوقِ الْقَلْبِ عَنْهُ حَالَةَ الْقِرَاءَةِ بِدَلَالَةِ الْإِظْهَارِ
وَإِذَا هَجَمَ فِي الْإِثْنَاءِ مُتَجَرِّدًا وَبَعَثَ عَلَى الْعَمَلِ وَخَتَمَ بِهِ كَمَا لَوْ تَذَكَّرَ ضَالَّةً
أَوْ حَدَّثَ نَضَارَةً فَاتَمَّ الْعَمَلُ لِحُضُورِ الْغَيْرِ عِنْدَهُ لَوْلَاهُ لَقَطَعَمَ يَبْطُلُ فِي عَمَلٍ ذِي
أَرْكَانٍ يَتَعَلَّقُ صَلَاحُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ

اذب (لِدُخُولِ الْعِيدَيْنِ) اى عيد الفطر والاضحى (والتشريق فيه) اى في قوله
صمت الدهر ، وصوم هذه الايام الخمسة حرام باتفاق الائمة الاربعة . واخرج ابن
جرير كما في الجامع الكبير « عن ام كلثوم قالت قيل لعائشة تصومين الدهر وقبئى
عليه السلام عن صيام الدهر ؟ قالت نعم سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن صيام الدهر
ولكن من أفطر يوم الفطر ويوم النحر فلم يصم الدهر ، وقال بعضهم : انما قال عليه
السلام زجراله عن اظهاره (وما جاء) اى وحل ماورد عن ابن مسعود (ذلك)
اى اظهارك (حظك) ولفظ الاحياء حظها (منها) اى من القراءة (فيمن قال
قرأت البارحة) اى الليلة المتقدمة (سورة البقرة ذلي) اى حمل على (عدم خلو
القلب عنه) اى عن الرياء (حالة القراءة) لانه هجم بعد تمامها (بدلالة الاظهار)
كيف ماكان ، فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله ﷺ أو من ابن مسعود استدلالا
على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن فقد الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به ، اذ
يعد ان يكون مايطرق بعد العمل مبطلا لثواب العمل بالكلية . نعم يبطل كمال ثوابه
في القضية (واذا هجم) اى غلبه الرياء (في الاثناء) اى اثناء العبادة (متجردا)
عن الاخلاص في قصد الثواب (وبعث على العمل) اى على اتمامه (وختم) العمل
(به) اى بالرياء المتجرد عن قصد الثواب (لما لو تذكر ضالة) في اثناء الصلاة
(او حدث نضارة) اى فرجة ونزعة في اثنائها (فاتم العمل لحضور الغير عنده
لولاها) وفي نسخة لولاها اى ذلك الغير (لقطع) ذلك العمل وطلب الضالة
او تفرج على النضارة (يبطل) جواب اذا هجم ، اى يبطل هذا الرياء ثواب العمل
لكن (في عمل ذي اركان) اى اجزاء (يتعلق صلاح بعضها ببعض كالصلاة والصوم
والحج) والظاهر ان الغز وكذلك لكن قال الطبري : اذا كان الباعث اولا اعلام

فَرَدَّ الْعَمَلُ كَالْوَعَاءِ إِذَا طَابَ أَوْ لَهُ طَابَ آخِرُهُ - مَنْ رَأَى بِعَمَلِهِ سَاعَةً حُبَطَ
عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ «دُونَ غَيْرِهِ» كَالصَّدَقَةِ وَالتَّلَاوَةِ أَذْكَلُ جُزْءٍ مُنْفَرِدٍ وَالطَّارِئُ
لَا يُبْطِلُ الْمَاضِيَ وَإِذَا لَمْ يَتَجَرَّدْ بَلْ غَلَبَ كَغَلَبَةِ الْفَرْحِ بِاطِّلَاعِ الْغَيْرِ فَالْغَالِبُ
فِيهِ الْفَسَادُ إِنْ انْقَضَى رُكْنٌ

الحكمة الله لا يضره ما عرض له بعد ذلك على ما نقله عنه السيوطي في حاشية البخاري .
(فورد العمل كالوعاء اذا طاب اوله طاب آخره) هكذا في الاحياء ، ورواه
ابن ماجه من حديث معاوية بن وهب « اذا طاب اسفله طاب اعلاه » وعلى كل تقدير
فظاهره لا يوافق المدعى الا ان يراد مفهوم الحديث « لا يخفى » (من رأى بعمله ساعة
حبط عمله الذي كان قبله) كذا في الاحياء قال مخرجه : لم اجده بهذا اللفظ ، وللمشايخين
من حديث جندب « من سمع الله به ومن رأى رأى الله به » (دون غيره)
اي بخلاف عمل ليس بذى اركان يتعاق صلاح بعضها ببعض (كالصدقة والتلاوة)
وانما لم يبطل هذا النوع من العمل كله بالرياء (اذ كل جزء) من كل منهما (منفرد)
اي من جزء آخر حيث انه مستقل بنفسه لاتعاق له بغيره . فمن بعض الصالحين قال :
كنت ليلة وقت السحر في غرفة لى اقرا سورة طه فلما ختمتها غفوت غفوة فرأيت
شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل
كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فاني رأيت مكانها محو ولم ارتحتها شيئا ،
فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولم ارها ثوابا ولم ارها اثبت ، فقال الشخص صدقت
قد قرأتها وكتبناها الا اناسمعتنا مناديا ينادى من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها
فحوناها ، قال فبكيت في منامى بكاء شديدا وقلت : لم فعلتم ذلك ؟ قالوا : مر رجل
فرفعت بها صوتك لاجله فذهب ثوابها . وهذا يدل على ان الرياء في الاوصاف يبطل
لثواب العمل راسا (والطاري) اي الحادث من الرياء (لا يبطل الماضى) من العمل بل يبطل
الباقى ، وفيه مخالفة لما روى عن الشخص اذا ذكر العمل السرى مرة ينقل الى العلانية ، واذا
ذكره ثانيا ينقل الى الرياء (واذا لم يتجرد) الرياء عن الاخلاص وقصد الثواب (بل غلب)
الرياء عليه (كغلبة الفرح باطلاع الغير) اي بمشاهدة غيره اليه (فالغالب فيه) أى الظن الغالب
في هذا النوع من العمل (الفساد انقضى) على حالة الرياء (ركن) من اركان ذلك العمل

وَلَمْ يُعَاوِذْهُ الْبَاعِثُ الْأَصْلِيُّ لِلصَّلَاةِ لِأَنَّا نَسْتَصْحِبُ نِيَّةَ الْبُدَاءِ بِشَرَطٍ أَنْ لَا يُطْرَأَ مَا لَوْ قَارَنَ ابْتِدَاءَ الْمَنْعِ وَإِنْ احْتَمَلَ الْجَوَازَ لِبَقَاءِ قَصْدِ الثَّوَابِ الْمَوْجُودِ حَالَ الْعَقْدِ

مع غلبه قصد الرياء (ولم يعاوده) أى العامل الرين أو المصلى (الباعث الأصلي للصلاة) وهو الاخلاص (لأننا نستصحب نية البداءة) أى تعطى النية السابقة التى كانت خالصة لقصد المثوبة بحكم استصحاب الحال، والمعنى نحكم عليها بالاخلاص الى تمام العمل فى المآل (بشرط أن لا يطرأ) أى لا يحدث بعد النية السابقة فى أثناء العمل من الرياء اللاحقة (ما) أى الرياء (لو قارن ابتداء المنع) الباعث الأصلي الذى هو الاخلاص (وان احتمل) أى ولو احتمل (الجواز) أى صح العمل (لبقاء قصد الثواب الموجود حال العقد) من التحرمة المقررة بالنية - وتوضيحه ما فى الأحياء - إذا كان واراد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب - كما لو حضر جماعة فى أثناء صلاته فخرج بحضورهم فاعتقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم ، وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضا ، فهذا رياء قد اثر فى العمل وانتهض باعنا على المحركات ، فان غلب عليه حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا ينبغي ان يفسد العبادة - مما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفى بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ ما يغلبها ويغمرها ، ويحتمل ان يقال : لا يحبط العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء أصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه والله أعلم بالصواب - وذهب الحارث المحاسبى الى الاحباط فى أمر أهون منه ، قال : اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعنى سرورا هو لحب المنزلة والجاه . قال : وقد اختلف الناس فى هذا فصارت فرقة الى انه يحبط لانه قد نقض العزم الأول وركن الى حمد المخلوقين ولم يتختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بنجاته ، ثم قال : ولا اقطع عليه بالحبط ان لم يزد فى العمل ولا آمن عليه ، وقد كنت اتقف فيه لاختلاف الناس فالأغلب على قلبى انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ، ثم قال : فان قيل فقد قال الحسن البصرى انما هما صورتان فان كانت الاولى لله لانضره الثانية وقد روى « أن رجلا قال يا رسول الله أسر عملى لا أحب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسر فى قال : لك أجران اجر السروا اجر العملانية » رواه البيهقى . والترمذى وابن حبان من حديث أبى هريرة . ثم تكلم المحاسبى على الاثر والخبر فقال : اما الحسن فانه أراد بقوله اى لا تنضره : أى لا يدع العمل ولا تنضره الخطرة

وَأَنْ اتَّصَلَ بِالْعَقْدِ مُتَجَرِّدًا وَأَتَمَّ عَلَيْهِ يُعِيدُ اتِّفَاقًا وَأَنْ رَجَعَ قَبْلَ التَّامِّ
فَكَذَلِكَ لَفَقْدِ الْإِنْعِقَادِ وَضَعْفِ الْقَوْلِ بِوُجُوبِ إِعَادَةِ الْأَفْعَالِ لِفَسَادِهَا دُونَ
التَّحْرِيمَةِ فَهِيَ عَقْدٌ، وَالرِّيَاءُ خَطَرَةٌ لَا تُخْرِجُهَا عَنِ الْإِنْعِقَادِ لِأَنَّ الْأَفْعَالَ
الْفَاسِدَةَ مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ زَائِدَةٌ فِيهَا قُبْطُهَا، وَبِوُجُوبِ الْإِسْتِغْفَارِ

وهو يريد الله ، ولم يقل إذا اعتقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره : وأما الحديث
فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة أوجه : احدها انه يحتمل انه أراد
بظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ ، وثانيها انه أراد انه يسره لاقتداء
الاس به ونحوه من سرور محمود لاسرور بحسب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل
له به اجرا ، ولا ذهاب من الامة الى ان للسرور بالمحمدة اجرا وغايته انه يعفى عنه
فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران ، وثالثها انه قال : اكثر من يروى
هذا الحديث يرويه غير متصل الى أبي هريرة ، بل اكثرهم بوقفه على أبي صالح السمان
وفيه من يرفعه ، فالحكم بالعمومات الواردة أولى (وان اتصل) الرياء (بالعقد)
أى بالتحريمه وابتداء التوبة (متجردا) من قصد الثواب (واتم) العمل حتى سلم
(عليه) أى على الرياء المتجرد عن قصد الثواب (يعيد) ذلك العمل (اتفقا) أى
وهو آثم اجماعا (وان رجع) المصلى عن الرياء الى الاخلاص وندم على ما قصده (قبل
التمام) أى تمام العمل (فكذلك) يعيد ذلك العمل اتفقا (لفقد الانعقاد) على
الاخلاص (وضعف القول) أى وضعف قول القائل (بوجوب إعادة الافعال)
الصادرة عن الرياء (لفسادها) أى لبطان تلك الافعال (دون التحريم) أى من
غير وجوب إعادة (فهي) أى التحريم (عقد) ، له ثبوت واستقرار (والرياء
خطرة لا تخرجها) أى التحريم (عن الانعقاد) والمعنى أن قول المصلى أصلى لله
تعالى عقديته على الاخلاص لله لا لاقرار باللسان عقد ثابت ، والرياء خطرة لا تبطل
العقد بل إن إقرار المنافق باللسان لا يبطل نفاقه بالجنان بل يثبت حكمه في الدنيا
فكذا هنا ، فقوله فهو عقد الخ دليل وجوب الاعادة : وأما دليل القول الاول المضعف
للكثافي فقوله (لان الافعال الفاسدة من الركوع والسجود) اذا لم تصح فهي (زائدة
فيها) أى في الصلاة (قبطلها) أى تلك الافعال الصلاة (و بوجوب الاستغفار)

قَلْبًا وَالْإِتْمَامِ مُخْلِصًا لاعتبار الحتم كما لو ختم بالرياء وابتدأ بالاخلاص
وكون العمل له تعالى والالكفر، وزوال عارض الرياء بالتوبة لأنه قاذح
في النية وحالة البداءة أولى بالرعاية

٢٢٨

أى ولضعف القول بوجوب الاستغفار (قلبا والاتمام) أى وبوجوب اتمام العمل
(مخلصا) أى متجردا عن الرياء (لاعتبار الحتم) لتعليل لوجوب الاستغفار والاتمام
مخلصا أى لا اعتبار خاتمة العمل (كما لو ختم بالرياء وابتدأ بالاخلاص) لكان
يفسد عمله (وكون العمل) أى ويكون العمل أو لا اعتبار كون العمل (له تعالى)
لغيره (والا) أى فلو لم يكن العمل خالصا له بان صلى لغيره (لكفر) كما كفر
من يسجد للصنم ونحوه (وزوال عارض الرياء) أى وبزواله أو ولا اعتبار زواله
(بالتوبة لأنه) دليل لضعف وجوب الاستغفار، والمعنى لان الرياء (قاذح في
النية وحالة البداءة) أى الأولى (أولى بالرعاية) في الاخلاص من الحالة الثانية
لان المدار عليها في الأفعال الباقية فقد فات ذلك فيبطل العمل وتجب الاعادة، وتوضيحه
ما في الأحياء من أن الرياء الذى يقارن حال العقد بان يتبدى الصلاة على قصد الرياء فان
تم عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يهصى ولا يعتد بصلاته، وان ندم عليها في أثناء صلاته
واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه: قالت فرقة: لم تنعقد صلاته مع
قصد الرياء فليستأنفه، وقالت فرقة يلزمه اعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد
أفعاله دون تحريم الصلاة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن
كونه عقدا، وقالت فرقة: لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على
الاخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتدأها بالاخلاص وختمها بالرياء لكان
يفسد عمله، وقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا تكون الا لله فان سجد لغير الله كان
كافرا، ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد
الناس وذمهم فتصح صلاته، قال ومذهب الفريقين الاخيرين خارج عن قياس الفقه جدا
خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح، لان الركوع والسجود
اذا لم يصحبا صارت أفعالا زائدة في الصلاة فتبطل الصلاة، وكذا قول من يقول لو ختم
بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو أيضا ضعيف لان الرياء يقذح في النية. وأولى
الأوقات بمراجعة أحكام النية حال الافتتاح، فالذى يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال

وَأَنْ لَمْ يَتَجَرَّدَ فَفِيمَا لَا يَقْبَلُ الْفَسَادُ الصَّدَقَةُ يُثَابُ وَيُعَاقَبُ فُورِدَ (فَنَ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) الْآيَةُ، وَفِي غَيْرِهِ كَالصَّلَاةِ لَا يَبْطُلُ النَّفْلُ حَتَّى يَصِحَّ الْإِقْتِدَاءُ وَلَا يَسْقُطُ الْفَرَضُ إِنْ لَمْ يَسْتَقِلَّ قَصْدُ الثَّوَابِ وَإِنْ اسْتَقِلَّ

إِنْ كَانَ بَاعَثَهُ مَجْرَدُ الرِّيَاءِ فِي ابْتِدَاءِ الْعَقْدِ دُونَ طَلَبِ الثَّوَابِ وَامْتِنَالِ الْأَمْرِ لَمْ يَنْعَقِدِ الْإِفْتِتَاحُ وَلَمْ يَصِحَّ مَا بَعْدَهُ ، وَذَلِكَ فِيمَنْ إِذَا خَلَا بِنَفْسِهِ لَمْ يَصِلْ فِهَذِهِ الصَّلَاةُ لَانِيَّةٍ فِيهَا إِذْ لَانِيَّةٍ عِبَارَةٌ عَنْ إِجَابَةِ بَاعِثِ الدِّينِ وَهَذَا لَا يَبَاعُثُ وَلَا إِجَابَةٌ . وَأَمَّا إِذَا كَانَ بِحَيْثُ لَوْلَا النَّاسُ أَيْضًا لَكَانَ يَصِلُ إِلَّا أَنَّهُ ظَهَرَ لَهُ الرِّغْبَةُ فِي الْمَحْمَدَةِ أَيْضًا فَاجْتَمَعَ الْبَاعِثَانِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ (وَأَنْ لَمْ يَتَجَرَّدَ) الرِّيَاءُ مِنْ قَصْدِ الثَّوَابِ (فَفِيمَا لَا يَقْبَلُ الْفَسَادُ) وَهُوَ الْعَمَلُ الَّذِي لَيْسَ بِذِي أَرْكَانٍ (كَالصَّدَقَةِ) وَالْقِرَاءَةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ (يُثَابُ) عَلَى قَصْدِ الْإِخْلَاصِ حَيْثُ اطَّاعَ بِإِجَابَةِ بَاعِثِ الثَّوَابِ (وَيُعَاقَبُ) عَلَى قَصْدِ الرِّيَاءِ حَيْثُ عَصَى بِإِجَابَةِ بَاعِثِ الرِّيَاءِ وَعُدِلَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ (فُورِدَ) فِي التَّنْزِيلِ (فَنَ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) أَيْ يَرِ جَزَاءَهُ فِي الدُّنْيَا أَوْ الْآخِرَى (الْآيَةُ) أَيْ (وَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) فَلَهُ ثَوَابٌ بِقَدْرِ قَصْدِهِ الصَّحِيحِ وَعَلَيْهِ عِقَابٌ بِقَدْرِ قَصْدِهِ الْفَاسِدِ وَلَا يَحْبُطُ أَحَدُهُمَا الْآخَرُ (وَفِي غَيْرِهِ) أَيْ وَفِي غَيْرِ مَا لَا يَقْبَلُ الْفَسَادُ وَهُوَ فِيمَا يَقْبَلُ الْفَسَادَ وَهُوَ عَمَلُ ذَوِ الْأَرْكَانِ (كَالصَّلَاةِ) فَانْهَاقِبِلُ الْفَسَادُ بِتَطَرُّقِ خَلَلٍ إِلَى النِّيَّةِ فَفَرَّقَ بَيْنَ الْفَرَضِ وَالنَّفْلِ حَيْثُ قَالَ (لَا يَبْطُلُ النَّفْلُ حَتَّى يَصِحَّ الْإِقْتِدَاءُ) وَالْمَعْنَى أَنَّ حُلْمَهُ أَيْضًا حَكَمُ الصَّدَقَةِ فَقَدْ عَصَى مِنْ وَجْهِهِ وَاطَّاعَ مِنْ وَجْهِهِ ، إِذَا اجْتَمَعَ فِي قَلْبِهِ الْبَاعِثَانِ ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ صَلَاتُهُ فَاسِدَةٌ وَالْإِقْتِدَاءُ بِهِ بَاطِلٌ ، حَتَّى إِنْ مِنْ صُلَى التَّرَاوِيحَ وَتَبَيَّنَ مِنْ قُرْآنِ حَالِهِ أَنَّ قَصْدَهُ الرِّيَاءَ بِإِظْهَارِ حَسَنِ الْقِرَاءَةِ وَلَوْلَا اجْتِمَاعُ النَّاسِ خَلْفَهُ وَخَلَا فِي الْبَيْتِ وَحْدَهُ لَمَا صُلِيَ لَا يَصِحُّ الْإِقْتِدَاءُ بِهِ فَإِنَّ الْمَصِيرَ إِلَى هَذَا بَعِيدٌ جِدًّا بَلْ يَظُنُّ بِالْمُسْلِمِ أَنَّهُ يَقْصِدُ الثَّوَابَ أَيْضًا بِتَطَوُّعِهِ فَصَحَّ بِاعْتِبَارِ ذَلِكَ الْقَصْدِ صَلَاتُهُ وَيَصِحُّ الْإِقْتِدَاءُ بِهِ (وَلَا يَسْقُطُ الْفَرَضُ إِنْ لَمْ يَسْتَقِلَّ قَصْدُ الثَّوَابِ) بَلْ اقْتَرَنَ بِهِ قَصْدُ آخَرٍ هُوَ عَاصٍ بِهِ فَاجْتَمَعَ الْبَاعِثَانِ وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ لَا يَسْتَقِلُّ وَإِنَّمَا يَحْصُلُ الْإِنْبِعَاثُ بِمَجْمُوعِهِمَا ، فَهَذَا لَا يَسْقُطُ الْوَاجِبُ عَنْهُ ، لِأَنَّ الْإِجَابَ لَمْ يَنْتَهِضْ بِاعْتِثَا فِي حَقِّهِ بِمَجْرَدِهِ وَاسْتِقْلَالِهِ (وَأَنْ اسْتَقِلَّ) أَيْ قَصْدُ الثَّوَابِ بِمَقْتَضَى ظَاهِرِ كَلَامِ الْمُصَنِّفِ ، وَالْإِظْهَارُ أَنَّ اسْتَقْلَالَ كُلِّ مِنَ الْقَصْدَيْنِ الْبَاعِثَيْنِ حَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ بَاعِثُ الرِّيَاءِ لِأَدَى الْفَرَضِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَاعِثُ

فَوَجَّهَانَ السُّقُوطُ بِالنِّيةِ الْمُسْتَقْلَةِ وَعَدَمُهُ لِأَنَّ الْوَاجِبَ هُوَ الْخَالِصُ وَإِنْ كَانَ فِي الْمُبَادَرَةِ فِيهِ قُوَّةُ الْفَضِيلَةِ لِقَصْدِ الرِّيَاءِ أَمَّا الْمَغْلُوبُ الْغَيْرُ الْمُؤَثِّرُ مَثَلًا كَمَجْرَدِ الْفَرَحَةِ فَالْغَالِبُ فِيهِ الْجَوَازُ لِعَدَمِ اعْتِبَارِ غَيْرِ الْمُؤَثِّرِ وَاحْتِمَالِ أَنَّ الْوَاجِبَ هُوَ الْخَالِصُ وَالْمَحْلُوطُ غَيْرُ مُؤَدٍّ وَمَنْ نَمَّ تَوَقَّفَ الْحَارِثُ الْحَاسِيُّ مَثَلًا إِلَى الْفَسَادِ وَقِيلَ بِالْفَسَادِ بِأَقْلٍ خَطَرَةً مُطْلَقًا

الفرض لانفصال صلاة التطوع لاجل الرياء ﴿ فوجهان ﴾ اى فيه احتمالان احدهما ﴿ السقوط ﴾ اى سقوط الفرض واعتباره للامثال ﴿ بالنية المستقلة ﴾ واقران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه ، كما لو صلى في دار مخصوصة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلاة في الدار المقصوبة فانه مطيع بامتنال الصلاة وسقط للفرض عن نفسه ﴿ وعدمه ﴾ اى وثانيهما نفى سقوط الفرض ﴿ لان الواجب ﴾ في تأدية الفرض ﴿ هو الخالص ﴾ من الرياء لقوله تعالى : ﴿ وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ وقد فات ذلك باقصال الرياء ﴿ وان كان ﴾ باعث الاخلاص مستقلا ثم تعارض الاحتمال في تعارض البواعث انما هو في اصل الصلاة وان كان اتصال الرياء ﴿ في المبادرة ﴾ مثلا دون اصل الصلاة مثل من يبادر بالصلاة في اول الوقت لحضور الجماعة ليقولوا انه مبادر الى الخيرات ومسارع الى الطاعات والمبرات ، ولو خلا لآخرالى وسط الوقت او آخره ، ولولا الفرض لكان لا يبتدىء صلاة لاجل الرياء ، فهذا بما يقطع بصحة صلانه وسقوط الفرض عن ذمته ﴿ فنية قوت الفضيلة ﴾ وهى تصحيح النية في المبادرة ﴿ والمعصية لقصد الرياء ﴾ في المبادرة ﴿ اما المغلوب ﴾ من الرياء ﴿ الغير المؤثر ﴾ اى اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل كالذي لم يحمله على تطويل الصلاة ﴿ مثلا كمجرد الفرحة ﴾ باطلاع الغير ﴿ فالغالب ﴾ من جهة الظن ﴿ فيه ﴾ اى في ذلك الرياء المغلوب الغير المؤثر ﴿ الجواز ﴾ اى صحة العمل ﴿ لعدم اعتبار غير المؤثر ﴾ دفعا للحرج ﴿ واحتمل ان الواجب ﴾ على العبد ﴿ هو الخالص ﴾ من العمل عن الرياء ﴿ والمخلوط ﴾ بالرياء ﴿ غير مؤدى ﴾ حق الاداء ﴿ ومن ثم توقف الحارث الحاسي ماثلا الى الفساد ﴾ اى فساد العمل بالرياء غير المغلوب كما قدمناه ﴿ وقيل بالفساد باقل خطرة ﴾ فيما كان من اركان العمل ﴿ مطلقا ﴾ اى

حِرْصًا فِي تَصْفِيَةِ الْقَلْبِ وَالْمَسْأَلَةِ غَامِضَةً وَالْعِلْمِ عِنْدَهُ تَعَالَى، وَالْعِلَاجِ قَلْعٌ حُبِّ الْجَاهِ
وَالْمَدْحِ وَكَرَاهَةِ الذَّمِّ وَالطَّمَعِ بِمَا سَبَقَ وَاخْفَاءُ الْعَمَلِ مُتَكَلِّفًا وَذِكْرُ فَوَائِدِ

سواء بلغ اثره الى حيث يؤثر في العمل ام لا . وقيل مطلقا اي رياء كان او غيره
(حرصا) لطلبه الرب (في تصفية القلب) عما عداه سبحانه لاسيما جال العبادة
هو مذهب الثوري والجندب (والمسألة) أي مسألة الرياء (غامضة) أي مشكلة
من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه ، والذين خاضوا فيها وتصرفوا من
ارباب التصوف لم يلاحظوا قوانين الفقه من صحة الصلاة وفسادها ، بل حاربهم الحرص
على تصفية القلوب ومرادها ، وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر
والارادات (والعلم عنده تعالى) في جميع الحالات والمقامات . وما يؤيد القول
باطال الرياء في جميع الطاعات اطلاق قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس) الآية ، ورواية ابي داود من حديث ابي
هريرة : ان رجلا قال يا رسول الله رجل يبتغي الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا
من عرض الدنيا ، فقال عليه السلام : لا اجر له ، وللنفاق من حديث ابي امامة باسناد
حسن : اريت رجلا غرا يلتمس الاجر والذكر ماله ؟ فقال لاشيء له ، فاعادها ثلاث
مرات يقول له لاشيء له ثم قال ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى
به وجهه ، نعم قد يقال الحكم للاغلب والله تعالى اعلم (والعلاج) أي دواء داء
الرياء اربعة (قلع حب الجاه والمدح) اللذين هما سببه (وكرهه الذم والطمع)
فيما في ايدى الناس ، أي وقلع كراهتهما والطمع (بما سبق) ذكره من الاشياء .
وما يشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى وان اعرابيا
سأل النبي عليه السلام فقال : يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ، ومعناه انه يأثم ان
يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب قال : والرجل يقاتل لذي مكانة ، وهذا هو طلب
لذة الجاه ، والرجل يقاتل للذكر ، وهذا هو طلب الحمد باللسان . فقال عليه السلام :
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا متفق عليه . وعنه عليه السلام : « من غزا لا يبغي
الاعقالا قلّه مانوى » ورواه النسائي وهذا اشارة الى الطمع (و اخفاء العمل متكلفا)
أي مجتهدا مبالغيا فيه بان يعود نفسه اخفاء العبادات كما يخفى السيئات (وذكر فوائده

الْإِخْلَاصِ وَآفَاتِ الرِّيَاءِ فَمَا أَقْبَحَ مِنْ لَا يَكْتَفِي بِنَظَرِهِ تَعَالَى عَلَى
سَاعَةِ مِنَ الْعَمَلِ الْمَعْيُوبِ وَهُوَ تَعَالَى مَعَ جَلَالِهِ يَكْتَفِي بِنَظَرِهِ فُورِدَ . (لِتَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) الْآيَةُ وَمَنْ بَاعَ عَمَلَهُ بِخَسِيسٍ فَإِنْ وَاَعْرَضَ عَنْ يَبِعِهِ
بِثَوَابِ الدَّارَيْنِ فُورِدَ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)
وَذُكِرَ مَا وُورِدَ فِيهِ ، وَيُحْمَدُ الْفَرَجَةُ بِالظُّهُورِ عَلَى حُسْنِ لُطْفِهِ تَعَالَى

الاخلاص وآفات الرياء على ما تقدم .

والحاصل ان قوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور الايقان ، وضعف المعرفة
بسبب حب الدنيا ، وحسب الغفلة ونسيان المعني ، وقلة التفكير فيما عند المولى من
الدرجات ، وعدم التأمل في آفات الدنيا وعظم نعيم الاخرى ، وأصل ذلك طه حب
الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع السيئات ، فان حلالة حب الجاه
والمنازلة ونعيم الدنيا الفانية هي التي تغمر القلب وتميله عن الرب ، وتحول بينه وبين
التفكير في العاقبة الباقية ، والاستبصار بنور الكتاب والسنة الثابتة ، وانوار العلوم
النافعة واسرار الاعمال الرافعة (فاقبح من لا يكتفي بنظره تعالى على ساعة من العمل
المعيوب) عنده (وهو تعالى مع جلاله) اى جلالة قدره وعظمة شأنه (يكتفى
بنظره) اى بنظر عبده وتأمله في خلق سمانه وارضه ونزول امره (فورد) في التنزيل
(الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن) لتعلموا ان
الله على كل شىء قدير (الآية) اى (وان الله قد احاط بكل شىء علما) (ومن) اى
وما اقبح من (باع عمله بخسيس فان واعرض عن بيعه بثواب الدارين) من نفيس
باق ليس له ثاب (فورد) في التنزيل (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب
الدنيا والآخرة) فباطلها من عنده فانه لا يوجد واحد منهما عند غيره (وذكر
ماورد فيه) اى في الاخلاص من الفضيلة وفي ذم الرياء من الرذيلة ، ويكفى في ذلك
قوله سبحانه : (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا) والاخبار في هذا الباب كثيرة والآثار شيرة (ويحمد الفرحة بالظهور)
اى بسبب ظهور الطاعة من غير قصد في اظهارها (على حسن لطفه تعالى) اى شكرا

بِاخْفَاءِ الذُّنُوبِ وَأَظْهَارِ الطَّاعَاتِ، فَوَرَدَ (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) أَوْ دَلَّاهُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ كَذَلِكَ فَوَرَدَ «مَاسْتَرُ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَسْتَرَهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، أَوْ أَنَّهُ يَقْتَدِي بِهِ فِي ضَاعِفِ الْأَجْرِ أَوْ أَنَّ الْمُطَّلَعِينَ عَلَى عَمَلِهِ يَثَابُونَ بِمَحَبَّتِهِ وَالتَّنَائِي عَلَيْهِ وَيَعْرِفُ الْأَخِيرُ بِتَسْوِيَةِ مَدْحِهِ وَمَدْحِ صَالِحٍ غَيْرِهِ، وَمِنْهُ مَا وَرَدَ «لَكَ أَجْرَانِ أَجْرُ السِّرِّ وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ» فِيمَنْ قَالَ أَخْفِ الْعَمَلَ فَإِذَا ظَهَرَ أَفْرَحْ

(بِاخْفَاءِ الذُّنُوبِ) أَيْ سِتْرِ السَّيِّئَاتِ (وَأَظْهَارِ الطَّاعَاتِ فَوَرَدَ) فِي التَّنْذِيلِ (قَالَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ) مِنَ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ (فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) أَيْ لَا يَغْيِرُ مَا ذَكَرَ (هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) مِنْ «طَافِ الْمُنَى الْفَانِيَةِ» وَفِي الدَّعَايَا مِنْ أَظْهَرِ الْجَمِيلِ وَسِتْرِ الْقَبِيحِ (أَوْ دَلَّاهُ) أَيْ أَوْ يَحْمَدُ الْفَرَحَ بِالظُّهُورِ عَلَى دَلَّاهُ (عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ كَذَلِكَ) مِنْ أَظْهَارِ الْحَسَنَاتِ وَسِتْرِ السَّيِّئَاتِ (فِي الْآخِرَةِ) أَيْ آخِرَ الْحَالَاتِ (فَوَرَدَ) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ «مَاسْتَرُ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا وَسْتَرَهُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ» وَفِي مَعْنَاهُ انْتَدُوا *

لَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ فِيمَا مَضَى • كَذَلِكَ يَحْسُنُ فِيمَا بَقِيَ
فَيَكُونُ الْأَوَّلُ فَرَحًا بِالْقَبُولِ فِي الْحَالِ مِنْ غَيْرِ مَلَا حِظَةٍ لِلْاِسْتِقْبَالِ، وَالثَّانِي التَّغَاتِ إِلَى حَالِ الْمَآلِ وَحَسَنِ الْمَنَالِ (أَوْ أَنَّهُ) أَيْ يَحْمَدُ بِالْفَرَحِ أَوْ بِالظُّهُورِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ ظَهَرِ عَمَلِهِ (يَقْتَدِي بِهِ فِي ضَاعِفِ الْأَجْرِ) بِسَبَبِ ظُهُورِهِ (أَوْ) أَيْ أَوْ يَحْمَدُ بِالْفَرَحِ عَلَى (أَنَّ الْمُطَّلَعِينَ عَلَى عَمَلِهِ يَثَابُونَ بِمَحَبَّتِهِ) أَيْ بِمَحَبَّةِ صَاحِبِ الْعَمَلِ (وَالْتَّنَائِي عَلَيْهِ) فِي مَقَامِ رِضَاهُ فَتَقْبَلُ الْخَيْرَ وَافْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ (وَيَعْرِفُ الْأَخِيرُ) وَهُوَ صَدَقَ دَعْوَى فَرَحِهِ بِإِثَابَةِ النَّاسِ أَوْ فَرَحِهِ بِاقْتِدَائِهِمْ فِي عَمَلِهِ (بِتَسْوِيَةِ مَدْحِهِ وَمَدْحِ صَالِحٍ غَيْرِهِ) فَانَّهُ حِينَئِذٍ دَلَّ عَلَى أَنَّ فَرَحَهُ بِمَحْمُودٍ لَا يَزِيدُ مِنْ مَرْدُودٍ (وَمِنْهُ) أَيْ وَمِنْ الْفَرَحِ بِالْمَحْمُودِ (مَا وَرَدَ لَكَ أَجْرَانِ أَجْرُ السِّرِّ وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ فِيمَنْ قَالَ) عَلَى طَرِيقِ السُّؤَالِ (أَخْفِ الْعَمَلَ) خَوْفًا مِنَ الرِّيَاءِ (فَإِذَا ظَهَرَ أَفْرَحْ) بِظُهُورِ التَّنَائِي عَلَيْهِ فِي شَمِّ الْإِيمَانِ «عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ أَمَرَ الْعَمَلَ لَا أَحِبَّ أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ فَيُطْلَعَ عَلَيْهِ فَيَسْرِقُ» يُقَالُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَكَ أَجْرَانِ أَجْرُ السِّرِّ وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ

وَالْأَظْهَارَ لِلتَّرْغِيبِ فَرَدَ «مَنْ سَنَ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» وَبِهِ أَمْرُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ مَنِ يَقْتَدِي بِهِ وَيُبَالِغُ فِي الْإِحْتِرَازِ عَنِ الرِّيَاءِ وَيَعْرِفُ بَأَنَّهُ لَوْ قَدَّرَ اقْتِدَاءُ النَّاسِ بَغْيِرَهُ وَعَرَفَانَهُ بِاسْتِوَاءِ أَجْرِ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لِمَا رَغِبَ

من رواية أبي هريرة، ولفظه «قال قلت: يا رسول الله بينا أنا في بيتي فمصلاي دخل على رجل فاعجبني الحال التي رآني عليها، فقال عليه السلام: رحمك الله يا أبا هريرة لك أجران أجر السر وأجر العلانية» والحديث في المشكاة (والأظهار) أي ويحمد اظهار العمل (للتغيب) أي للتغيب غيره فيه (فورد) في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي (من سنة حسنة) أي فعل بها كما في رواية (فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) وسبب وروده أن أنصار ياجاء بصرة فتابع الناس بالعطية لما رواه البيهقي من حديث ابن عمر «عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء» وله من حديث أبي الدرداء «ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا» وله من حديث عائشة «يفضل أويضاعف الذكر الحفي الذي لا تسمعه الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفا» (وبه) أي وبالأظهار (أمر الأنبياء عليهم السلام) ويفهم منه أنه يحسن الأظهار (بشرط أن يكون) المظهر (من يقتدى به) من العلماء والصلحاء لثم فائدة الأظهار الذي دون الأسرار. قال الحسن: قد علم المسلمون أن السر أحرز العاملين، ولكن في الأظهار أيضا قد تكون فائدة فلذا اثنى الله على السر والعلانية فقال تعالى: (ان تبدوا الصدقات فتنها هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) قلت وقد قال أيضا (الذين يفتقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم) الآية قال علي رضي الله عنه: تصدقت ب درهم في ليل وآخر في نهار وآخر سرا وآخر علانية عملا بالآية وما فيها علانية (ويبالغ) أي بشرط أن يباليغ (في الاحتراز عن الرياء) ليصل إلى مقام أهل الاختصاص من الاخلاص، فربما يكون فيه رياء في غاية الخفاء فيدعوه إلى الأظهار بعذر الاقتداء فيهلك هنالك وهو لا يشعر بذلك (ويعرف) احترازه أو يعرف المظهر للتغيب دون الرياء، (بأنه لو قدر) أي فرض (اقتداء الناس بغيره) من العلماء في عمله حال ظهوره (وعرفانه) أي لو قدر معرفة هذا المظهر (بإستواء أجر السر والعلانية) فضلا عن كونه عمل السر أفضل (لما رغب)»

فيه ، والذكر بعده وهو لمن قوى باطنه وتم إخلاصه وخطره أصعب لحفة المؤنة
وزيادة المبالغة ولذة النفس وأخف لأن اللاحق لا يبطل السابق وكتمان
المعاصي لأن يعتقد فيه العامل يابى للتحامى عن الهتك ففيه خوفه في الآخرة

المظهر (فيه) أى فى اظهار عمله ، لأن غرضه حصل من عمل غيره ، فهما وجد
النقل فى نفسه اورغب فى اظهار العمل مع وجود اظهاره من الغير فهو كاذب فى دعواه
طالب لمقتضى هواه (والذكر) أى ويحمد ذكر العمل (بعده) أى بعد فراغ
العمل ليقتنى به كقول عثمان : ما تمنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى يمينى منذ بايعت
بها رسول الله ﷺ ، كذا فى الاحياء . ولابى يعلى الموصلى فى معجمه من رواية
انس عنه فى اثناء حديث « وان عثمان قال يا رسول الله ، قد كره بلفظ منذ بايعتك
قال هو ذاك يا عثمان ، او تحدثا بنعمة ربه (وهو) أى الذكر انما جاز (لمن قوى باطنه)
فى المعرفة بعدم الالتفات الى سوى الله (وتم إخلاصه) عن الرياء (وخطره)
أى خطر الذكر بعد العمل (اصعب) من خطر الظهور (لحفة المؤنة) أى الكلفة
فى ذكره ببعض الكلمة (وزيادة المبالغة) أى ولزيادة فى ذكر العمل بان يقول
ما تمت البارحة مع انه لا يخلو من نوع من النوم ولو بالناس (ولذة النفس) فى
اظهار الدعاوى (وأخف) أى اهن على المظهر فى التأثر وان يترك فى الذكر
بعد العمل (لأن اللاحق) من ذكر العمل (لا يبطل السابق) من نفس العمل
مع الاخلاص (وكتمان المعاصي) أى ويحمد كتمان الذنوب وكرامة اطلاع الناس
على العيوب (لا) أى لا يحمد (لأن يعتقد فيه) أى فى الكاتم (العمل رياء
بل) يحمد ثمانية اشياء (للتحامى عن الهتك) أى للمحافظة على منك ستره
وظهور امره من ذنبه خوفا من سقوط وقع المعاصي من النفس وجرتها عليها ، فان
التفرمى ألفت ظهور الذنوب زادانها كها واسترسلت فى شهواتها بارتكابها وما بال
بعدم اجتنابها (ففيه) أى فى الهتك فى الدنيا (خوفه) أى خوف العبد وخوف
الهتك (فى الآخرة) أى فى القيامة بالكرة الآخرة عكس ما تقدم فى قوله

كما احسن الله فيما مضى • كذلك يحسن فيما بقى

أَوْ لَأَنَّ السِّرَّ مَأْمُورٌ بِهِ فَوَرَدَ «مَنْ ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ فَلَيْسَتْ بِسِرِّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَيَعْرِفُ بِكَرَاهَةِ ظُهُورِهَا مِنَ الْغَيْرِ أَوْ لَثَلًا يَتَأَلَّمُ بِالذَّمِّ فَهُوَ مُبَاحٌ لَكُونِهِ جَبِلًا وَالتَّرْكَ كَالْأَوْ لَأَنَّ النَّاسَ شُهَدَاؤُهُ فَوَرَدَ «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ثَلَاثًا أَوْ لَأَنَّ الذَّامَ يَصِيرُ عَاصِيًّا وَيَعْرِفُ بِتَسْوِيَةِ

(أولان السِّر) أى كتمان المعاصى (مأْمُورٌ بِهِ) أى فى باب استحبابه (فورد) فى حديث «من ستر الله عليه فى الدنيا ستر الله عليه فى الآخرة» باعتبار مفهومه وكذا (من ارتكب شيئا من هذه القاذورات) أى السيئات (فلست سِرَّ الله تعالى عليه) رواه الحارث (ويعرف) صحة هذا المقام (بكرَاهَةِ ظُهُورِهَا) أى المعاصى (من الغير) ففى الخبر «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه» (أو لثلا يتألم بالذم) أى يذم الناس فإن الذم يؤلم للقلب وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا للانسان بعاص (فهو) أى التألم (مباح) لكونه جبليا أن يضرب يؤلم الجوارح بالطبع فإذا تألم القلب بالذم ربما يصير مانعا من الخضوع والخضوع فى العبادة لفوات عقله بسبب الغضب الناشئ عن تألمه (والتَّرك) أى ترك التألم (كَالْأَوْ) فإن ثلث الصدق فى أن تزول عنه رؤية الخلق فيستوى عنده ذمهم ومادحه لعله أن الضار والنافع هو الله وإن العباد ظلم عاجزون مقهورون تحت قدره وقضائه ، فالتزمذى من حديث البراء وحسنه بلفظ «قام رجل فقال إن حمدي زين وإن ذمي شين فقال كذبت ذاك الله» ولا أحد من حديث الأقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات (أولان الناس شهداؤه) أى شهداء الله تعالى كما قيل : السنة الخلق أقلام الحق (فورد) فى مسند أحمد والصحيحين والنسائي عن أنس (من أثنتم) أيها الصحابة أو أيها الأمة (عليه خيرا ووجب له الجنة ، ومن أثنتم عليه شرا ووجب له النار أنتم شهداء الله فى الأرض ثلاثا) أى قاله ثلاث مرات وهو المستفاد من قوله سبحانه (وكذلك جعلناكم أممًا وسطا) أى عدولا (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (أولان الذام يصير عاصيا) أى بسبب ذمه ولو بالمعاصى أو بتجاوزة الحد فى الذم فيذم بما ليس فيه (ويعرف) تصحيح هذا المقام أو يعرف هذا السكتان (بتسوية

ذَمُّهُ وَذَمُّ غَيْرِهِ أَوْ الْخَوْفُ أَنْ يَقْصِدَ سُوءَ أَوْ لِحْيَا فَهُوَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَعِ وَوَرَدَ
« الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلِّهِ الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ، أَوْلَانُ لَا يَقْتَدِي بِهِ الْغَيْرُ وَحُبُّ
مَحَبَّتِهِ النَّاسُ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مِنْهُ مَحَبَّتَهُ تَعَالَى فَمَنْ أَحَبَّهُ تَعَالَى جَعَلَهُ مَحْبُوبًا فِي قُلُوبِهِمْ
ثُمَّ الطَّاعَةُ الَّتِي يَلْتَذُّ بِهَا الْعَامَّةُ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ يَتْرُكُ بِمَحْضَرِ الْغَيْرِ إِنْ هَجَمَ الرِّيَاءُ
فِي الشَّرُوعِ

ذمه وذم غيره) يعنى لما يتألم بذمه كذلك بذم غيره والفرق بين هذا التألم والذي قبله
ان هذا يوجد فى الانسان اذا ظهرت المعصية عن غيره أيضا لما يوجد اذا ظهرت منه ،
والذى قبله انما يوجد فى الشخص اذا ظهرت منه المعصية دون غيره (او الخوف ان يقصد
بسوء) من محتسب وغيره وهذا راء الم الذم ، فان الذم مذموم من حيث يشعر القلب بنقصانه
وان كان ممن يؤمن شره ، وهذا يخاف شر من يطلع على ذنبه فيغير عليه من جهة قلبه (او
للحياء فهو من كرم الطبع) ولا يلزم منه الرياء (وورد الحياء خير كله) مسلم من
حديث عمران بن الحصين (الحياء شعبة من الايمان) متفق عليه من حديث أبى هريرة
وفى الخبر « الحياء لا يأتى الا بخير » متفق عليه من حديث عمران بن الحصين . ويعرف
السكران للحياء بعدم السكران فيمن لا يستحي منه كالأجانب بخلاف باقى الأسباب فان
صاحبها يحب السكران فى الأجانب والأقارب (أو لان لا يقتدى به الغير) فى معصيته
فيغنى ان يخفى العاصى معصيته من ولده وعبداه أيضا (وحب) أى ويحمد حب
(محبة الناس) فان الظاهر ان يقال محبة الناس ليكون إضافة المصدر الى فاعله والمفعول
مخذوف أى اياه ، لكنه قلب الكلام وقال محبة الناس بالاضافة الى المفعول والناس فاعله
(لان يعلم منه) أى من حب الناس له (محبة تعالى) رياء (فمن أحبه تعالى جعله محبوبا
فى قلوبهم) أى قلوب الخلق اجمعهم لقوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا) وقوله عليه السلام « اذا أحب الله عبدا دعا جبريل فقال
انى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء فيقول : ان الله يحب فلانا فأحبوه
فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض » الحديث رواه مسلم عن أبى هريرة
(ثم الطاعة التى يلتذ بها العامة كالصلاة والصوم) والصدقة (يترك بمحضر الغير ان
هجم الرياء) متجردا عن باعث آخر او عن الاخلاص (فى الشروع) أى فى ابتداء

حَتَّىٰ اَنْدَفَعَ الرِّيَاءُ وَيَشْرُعْ مُجَاهِدًا اِنْ هَجَمَ بِاعْثَانٍ وَيَتِمُّ كَذَلِكَ اِنْ هَجَمَ بَعْدَهُ
وَلَا يَتْرُكُ لِأَنَّهُ مُوَافِقُهُ الشَّيْطَانُ وَلِأَنَّ الْاَشْتِهَارَ بِاخْفَائِهَا يُعَلِّمُ اخْلَاصَهُ رِيَاءً
وَالْاِحْتِرَازَ عَنِ النَّسْبَةِ إِلَى الرِّيَاءِ رِيَاءً وَتَرَكُ النَّخَعِ التَّلَاوَةَ لِدُخُولِ شَخْصٍ لِمَا عَلِمَ أَنَّهُ
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ بِالِاشْتِغَالِ بِهِ لِكَوْنِهِ أَبْعَدَ مِنَ الرِّيَاءِ وَأَنْ زَادَ عَلَى الْمُعْتَادِ بِحُدُوثِ
النِّشَاطِ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ مُتَعَبًا فَإِنْ كَانَ غِبْطَةً لِرُؤَالِ الذَّفَلَةِ وَالْكَسَلِ

شروعه في العمل (حتى اندفع الرياء) أى الى ان يندفع الرياء ويطرأ باعث الاخلاص
(ويشروع) في العمل (مجاهداً) نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجة
والدواء (ان هجم باعثان) في وقت الشروع (ويتم) أى مجاهداً (كذلك) أى
كما أتم وهجوم باعثن (ان هجم) باعث الرياء (بعده) أى بعد الشروع (ولا يترك)
أى رياء الشروع في العمل مع هجوم الرياء لوجهين (لانه موافقة الشيطان) فانه يجب
ترك العمل من أصله ، فانه يدعوك أولاً الى ترك العمل ، فاذالم تجبه واشتغلت بالعمل
فدعوك الى الرياء ، فاذالم تجبه ودفعته بقى يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مرء
وأنت بك ضائع فإى فائدة لك في العمل الذى لا اخلاص فيه حتى يدلك على ترك العمل
بخوفك ، فاذاً تركته حصلت غرضه ، بل يجب عليك حينئذ أن تعمل العمل وتطلب
الاخلاص من الله تعالى فان الرياء قنطرة الاخلاص (ولان الاشتهار باخفائها) أى
الطاعة (يعلم اخلاصه رياءه والاحتراز عن النسبة الى الرياء رياءه) كما قال الفضيل : العمل لغير
الله شرك ، وترك العمل لاجل الحاق رياءه ، والاخلاص ان يخلصك الله منها (وترك النخعي
التلاوة لدخول شخص) لم يكن لمجرد اخفاء الطاعة بل (لما علم انه يحتاج اليه بالاشتغال به)
فيأدر الى ترك التلاوة قبل دخوله (لكونه) أى التبادر (أبعد من الرياء) فرأى ان عدم
اشتغاله بالقراءة أبعد من الرياء ، وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليها بعد ذلك
والحاصل ان تركه لم يكن لهجوم الباعثن عند الشروع أو هجوم باعث الرياء بعد الشروع
(وان زاد) أى المصلى مثلاً (على المعتاد) في ورده كية أو كيفية (بحديث النشاط) في
العبادة (عند رؤيته متعبداً) أى عند رؤيته متعبداً آخر فان للصحة تأثيراً بليغاً ولذا شرع الجماعة
والجماعة (فان كان) ما زاد على المعتاد (غبطة) في العبادة (لزوال الغفلة والكسل

بِمُشَاهِدَتِهِ فَيَفْعَلُ الزِّيَادَةَ دَافِعًا وَسُوسَةً أَنَّهُ رِيَاءٌ مُخْلَافٌ مَا إِذَا كَانَ نَشَاطًا لَاسْتِمَالَةً قَلْبِهِ وَيَعْرِفُ بِأَنَّهُ لَوْ رَأَى بِحَيْثُ لَمْ يَرَهُ رَغْبَ فِيهِ أَمَّا مَا تَلْتَذُّ بِهِ الْعَامَّةُ فَلَا عَلَى الْخِلَافَةِ فُورَدَ «لَيَوْمٍ مِنْ أَمَامٍ عَادِلٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ سِتِّينَ سَنَةً» وَخَطَرُهَا أَعْظَمُ لِتَحْرِيكِهَا الْبَاطِنَ فِي حُبِّهِ الْجَاهِ وَالْإِفْضَاءِ إِلَى ارْتِكَابِ الذَّنْبِ لِمَوْنِهِ

بِمُشَاهِدَتِهِ (أي المتعبد) (يفعل الزيادة) على العادة (وإن ظن أنه يباد دافعًا وسوسة أنه رياء) (بمخالفة ما إذا كان نشاطًا لاستمالة قلبه) أي قلب المتعبد الآخر فلا يفعل الزيادة لأنه رياء محض لا ثواب فيه بل عقاب عليه (ويعرف) هذا المقام وهو النشاط لأجل الغبطة (بأنه) أي إن العابد الذي يزيد على المعتاد غبطة (لورأى) أي المشط المتعبد (بحيث لم يره) المتعبد المنشط (رغب) العابد (فيه) أي في العمل الزائد فإنه حيث يصدق أنه مخلص وباعت الزيادة حصول الغبطة (أما ما تلتذ به العامة) من الطاعة (فالأعلى الخلقة) أي الإمامة الكبرى (فورَدَ) في الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس (ليوم من أمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين سنة) وفي رواية عامة، وللإصهاري في الترهيب والترهيب من حديث أبي سعيد الخدري «أقرب الناس مني مجلسًا يوم القيمة أمام عادل» (وخطرها) أي آفة الخلقة (أعظم لتحريكها) أي الخلقة (الباطن في حبه الجاه) وهو أعظم بلاء الدنيا فلاحده، واليزار وابن يعلى والطبراني من حديث أبي هريرة «مامن وإلى عشرة الأجاه يوم القيمة يده مغلولة إلى عنقه لا يفكها إلا إذا ففرله، وفي الصحيحين من حديث معقل بن يسار «مامن عبد يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصيحة الألم يرح رائحة الجنة» وعن الحسن أن رجلاً ولأه النبي عليه السلام فقال خرلى يا رسول الله قال اجلس رواه الطبراني ورواه أيضاً من حديث ابن عمر بلفظ «الزم بيتك» وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن سمرة «لأنسأل الإمارة» وللبخاري من حديث أبي هريرة «أنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة يوم القيمة وندامة فعمت المرضعة وبئست الفاطمة» ورواه ابن حبان «فبئست المرضعة وبئست الفاطمة» وفيهما من حديث أبي موسى «أنا لأنول امرئاً من سألنا» (والإفضاء) أي وأتصال الخلقة وانجرارها (إلى ارتكاب الذنب لنموه) أي لزيادة الجاه، فإن كل ما نجا جاهه وغلب على النفس حبه صارت الولاية محبوبة

وَمَنْ ثُمَّ احْتَرَزَ عَنْهَا الْإِتْقِيَاءُ فَيَحْتَرِزُ عَنْهَا الضَّعِيفُ دُونَ الْقَوِي لِعَدَمِ
تَأْثِيرِهَا فِيهِ إِلَّا إِذَا عَلِمَ الْقَوِيُّ الْإِنْقِلَابَ عِنْدَ التَّقْلِيدِ فَالصَّحِيحُ فِيهِ الْإِحْتِرَازُ
إِذَا النَّفْسُ خِدَاعَةٌ يُخَافُ عَلَيْهَا عِنْدَ الْجَزْمِ بِالثَّبَاتِ فَعِنْدَ الْخَوْفِ أَوْلَى وَالْإِمْتِنَاعُ
أَهْوَنُ مِنَ الْعَزْمِ، ثُمَّ الْقَضَاءُ ثُمَّ الْوَعْظُ وَالْدَّرْسُ وَالْفَتْوَى فِي الْفَضْلِ وَالْخَطَرِ
وَأَشْتَرَاطِ الْقُوَّةِ وَمُدَافَعَةِ السَّلَفِ فِيهَا مَشْهُورَةٌ ،

عنده فيحتاج الى حفظها وبوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وان
كان حقا (ومن ثم احتراز عنها) اي عن الخلافة (الاتقياء) من ائمة الامة لكن
لا بد لاحد ان يقوم بامرها (فيحتراز عنها الضعيف) اي العاجز عن السياسة (دون
القوى) القادر على الرياسة (لعدم تأثيرها) اي تأثير الخلافة أو محبة الجاه (فيه)
اي في القوى (الاذا علم القوى) اي خافه (الانقلاب) عن حالة القوة الى
حالة الضعف (عند التقليد) اي عند قبول الخلافة لا اقدمنا من الخطر والآفة (فالصحيح)
الاحوط (فيه) اي في هذا الحال من خوف الانقلاب (الاحتراز) اذ النفس
خداعة يخاف عليها عند الجزم (اي عند عزمها وجزمها) بالثبات فعند الخوف (من
عدم الثبات) (اولى) ان يخاف عليها (والامتناع) عن المنصب (أهون
من العزل) كما هو المشاهد في اهل العدل ويشير اليه ما في حديث البخاري «نمت
المرضعة وبست الفاطمة» (ثم القضاء) وخطره ايضا اذ في من خطر الخلافة ، ولمسلم
من حديث أبي ذر «لا تؤمرن على اثنين ولا ثلثين مال يتيم ولا صحاب السنن من
حديث بريدة «الفضاء ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل علم الحق ففضى به
فهو في الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ، ورجل عرف الحق فجار في
الحكم فهو في النار» ولهم من حديث أبي هريرة «من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين»
وفي رواية «من ولي القضاء» واسناده صحيح (ثم الوعظ) للناس (والدرس)
للطلبة (والفتوى) لارباب الحاجة (في الفضل) لانها عبادات متعددة (والخطر)
لاتساع الجاه فيها وعظم القدر بها لخطرها فيها عظيم بقدرها (واشتراط القوة) بان
يجول التعليم خالصا لوجه الله الكريم (ومدافعة السلف) مبتدأ (فيها) اي في
المذكورات (مشهورة) قال بعضهم : كان السلف يتدافعون اربعة اشياء : الامانة

وَتَعْرِفُ الْقُوَّةَ بَعْدَ كَرَاهَةِ ظُهُورِ آخِرِ يَتَقَلَّدُهُ فَإِنَّ عَدَمَ الْقُوَى الْكَامِلِ يَتَعَيَّنُ
أَقْوَى النَّاسِ مُجْتَهِدًا فِي الْاِحْتِرَازِ عَنْ آفَاتِهِ

(الباب الرابع عشر في التفويض وقصر الامل وذكر الموت والانتباه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْخَطَرُ خَطَرَانِ خَطَرُ الْفَسَادِ وَيُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى التَّفْوِيضِ

والوديعه ، والوصية ، والفتوى (وتعرف القوة) في كل منهم (بعدم كراهة ظهور
آخر) أحسن منه علما وعملا (يتقلده) أى بالقيام فى أمره (فان عدم القوى) فى مقام
التقوى (الكامل) فى العلم بالفتوى (يتعين اقوى الناس مجتهدا) أى حال كونه مبالغا
(فى الاحتراز عن آفاته) أى آفات ماذ كرم من الخلافة وغيره فى جميع حالاته وقاماته
وبالجملة ما يتماق بالخلق من الطاعة وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات ومنبع البليات ،
فالأحب للقوى ان يعمل ويدفع الآفة بالعلم ، فان عجز فلينظر وليجتهد وليستغف قلبه
وليسخر ربه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر ، ليفعل ما يدل عليه نور العلم بالشرع
دون الميل اليه بالطبع اذ ما يجده اخف على قلبه واهون اليه يكون فى الاكثر اضر عليه ،
لان النفس لا تشير الا بالشر فلما تشير بمحض الخير ، وهذه أمور لا يمكن الحكم على
تفاصيلها بنفى وإثبات نظرا الى تعاليلها ، بل هى موكولة الى اجتهاد القلب المشحون
بذكر الرب لينظر فيه لدينه وتحقيق يقينه ويدع ما يريه الى ما لا يريه . ومن جرب آفات
مناصب العلم وما يترتب عليها من الحرام والشبه علم انها بالولايات والحكومات اشبه ،
وان الحذر منها فى حق الضعيف اسلم . والله سبحانه أعلم .

(الباب الرابع عشر فى التفويض وقصر الامل وذكر الموت والانتباه)

أى اليقظة من نوم الغفلة بالتوبة والاستقامة (بسم الله الرحمن الرحيم) وافوض أمرى
الى ربى الكريم (الخطر) وهو الاشراف على الهلاك ان لم يكن مقرونا بالحذر وفق
القدر (خطر ان) أى نوعان أحدهما (خطر الفساد) بان لا يستيقن فيه الصلاح
(ويحتاج فيه الى التفويض) أى التسليم الى امر الله وما قدره وقضاه فيما أراد من
الصلاح والفساد ، فان المراد لا مباد ثلاثة ، مراد يعلم يقينا انه شر وفساد كالنار والعذاب
والحجاب ، وفى الافعال كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل لك الى ارادة ذلك .
ومراد يعلم قطعا انه خير وصلاح كالجنة والايمان والطاعة والسنة فلك ارادتها بالحكم

وَهُوَ ارَادَةُ حَفْظِهِ تَعَالَى لِلتَّفْوِضِ فِيهَا لِأَمْنٍ فِيهِ مِنَ الْفَسَادِ قِيلَ هُوَ مَا يَكُونُ
دُونَهُ نَجَاةً وَيُمْكِنُ أَنْ يَجَامِعَهُ ذَنْبٌ فَيَخْتَصُّ بِالنَّوَافِلِ وَالْمُبَاحَاتِ وَقِيلَ مَا يُمْكِنُ
أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ مَا يَكُونُ الْإِسْتِغَالُ بِهِ أَوَّلَى، فَيَعْمُ الْقَرَضُ

لا موضع للتفويض فيه اذا لخطر فيه ، ومراد لا يعلم بقينا ان لك فيه صلاحا أم فسادا
فمذا موضع التفويض ، فليس لك ان تريد اقطاعا الا بالاستثناء أو شرط الخير والصلاح ،
فلن قيدت ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان أردت دون الاستثناء فهو مضموم
ومنهى عنه ، فوضع التفويض إذا كل مراد فيه الخطر وهو أن لا يستيقن صلاحك
فيه (وهو) أى التفويض (ارادة حفظه تعالى للتفويض فيها) أى فى عمل (لا امن
فيه من الفساد) وقال بعض المشايخ : هو ترك اختيار ما فيه مخاطرة الى المختار المدير
العالم بمصالح العباد من الصلاح والفساد ، وعبارة الشيخ السنجرى : هو ترك اختيارك
للمخاطرة على المختار ليختار لك ما هو خير لك ، ويؤيده كلام الامام الشاذلى :
لا تخترفان تخترفا تختار لا تختار فربك يخاف ما يشاء ويختار ، ومن هنا لما قيل لافى يزيد :
ما تريد . قال اريد ان لا اريد . وقال الشيخ أبو عمر : هو ترك الطمع أى من الحق ، والطمع
ارادة الشيء المخاطر بالحكم . وعن الشاذلى : اقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما قسم
لك . فهذه عبارات القوم . وما ذكره المصنف هو اختيار الامام الغزالى بعينه وهو
ان التفويض ارادة ان يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تأمن الخطر فيه لاجلك
(قيل هو) أى العمل الذى لا آمن فيه من الفساد (ما يكون دونه نجاة) قال ايمان ليس
لغيره نجاة وكذا الواجبات والمحرمات (ويمكن أن يجامعه ذنب) فالاستقامة التى
هى حمل النفس على طريق السلامة من اخلاق القرآن والسنة من غير الشك والشبهة
لا يجامعها ذنب اذ السنة لا يجامعها بدعة ، لان البدعة الذميمة هى التى تواجم السنة
الكريمة (فيختص) التفويض (بالنوافل والمباحات) دون الواجبات والمحرمات
والمكروهات (وقيل) المراد بالعمل الذى لا آمن فيه من الفساد (ما) أى عمل (يمكن ان
يعترض عليه) أى يطرأ ويحدث على شروعه (ما يكون الاشتغال به أولى فيعم
القرض) أى ونحوه . واكثر المشايخ واختيار الامام فى منهاج العابدين : ان القرض
ليس موضع التفويض وبه قال القشيري حيث قال فى هذه المسألة : ان الذى اعترض الله
عز وجل على عبده من الصلاة والصيام والحج ونحوها ففيها صلاح العبد لا محالة

اِذْ مِنْ قَصْدٍ اِداءَ صَلَاةٍ ضَاقَ وَقْتُهَا وَعِنْدَهُ غَرِيقٌ أَوْ حَرِيقٌ يُمْكِنُ اِنْتِقَاذُهُ فَهُوَ اَوَّلَى وَلَا يَدُّ مِنْهُ لَا طَمَئِنَّانِ الْقَلْبُ فِي الْحَالِ وَحُصُولِ الصَّلَاحِ فِي الْاِسْتِقْبَالِ فَلَا يَفْعَلُ فِي الْمَفْوضِ الْفَسَادَ فُورَدَ (وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ - إِلَى - فَوْقَهُ اللَّهُ) الْآيَةُ
وَأَمَّا الْأَصْلَحُ فَرُبَّمَا لَا يَفْعَلُ حَتَّى تَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَصْحَابِهِ

وصحت ارادتها بالحكم البتة انتهى ، وقال بعضهم . ان الله عز وجل لا يأمر العبد بشيء الا وفيه صلاح اذا تجرد عن العوارض ، ولا يضيق عليه فعلا فرضا يث لا يعدل عن ذلك الا وفيه صلاح له ، وانه ربما يسبب عذرا لاجله يكون العدول عن احدا للفرائض اولى من الاشتغال بالآخر ، فيكون العبد في ذلك معذورا بل مأجورا لكن لا يترك هذا الفرض بل يفعل الفرض الذي هو اولى اولا (اذ من قصد اداء صلاة ضاق وقتها وعنده غريق ارحيق) او اعمى او صغير يريد ان يرتقى في بئر (يمكن انتقاذه) اى تخليصه بترك اداء الصلاة اوقفها وتأخيرها (فهو اولى) من اداها وانماها لان ذلك هو فرض الوقت الذى يوجب تركه المقت (ولا بد منه) اى من التقويض لامرين (لا طمئنان القلب في الحال) فان الامور اذا كانت خطيرة مهمة لا يدري صلاحها من فسادها فيكون مضطرب القلب متردد النفس في مرادها لا يدري يقع في صلاح او فساد ، فاذا فوضت الامر الى الله وما قدره وقضاه علمت انك لا تقع الا في خير وصلاح ونفع وفلاح فتكون آمنة من الخطر والآفة والمخافة مطمئن البال في الحال ، وهذه الطمأنينة والامن والراحة في القلب غنيمة عظيمة في المنال ، فكان يقول بعض المشايخ في مجالسه كثيرا : دع التدبير الى من خلقك تسترح (وحصول الصلاح) اى الخير والنفع (في الاستقبال) وذلك لان الامور بالمواقف مهمة ، فكم من شر في صورة خير ، ولم من نفع في حلية ضر ، ولم من سم في طينة شهد ، وانت جاهل بالعواقب واسرار المراتب . واما اذا فوضت الامر اليه وتوكلت عليه وسلمت نفسك لديه وسألته ان يختار لك ما هو صلاحك (فلا يفعل) رب العباد (في المفوض) اى في امر المفوض للمراد (الفساد) بل لم يلق الا الخير والرشاد ولا يقع الا الصلاح والسداد (فورد) في التزيل حكاية عن مؤمن آل فرعون (وافوض امرى الى الله الى فوقه الله الآية) اى (ان ابصير بالعباد فوقه الله سيئات مامكروا وفاق بالآل فرعون سوء العذاب) فالمرجو المتيقن هو الصلاح (واما الاصلح) للعبد (فربما لا يفعل) الله في المفوض (حتى تام عليه السلام مع اصحابه) الكرام

عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَلَهُ اخْتِيَارُ الْاَفْضَلِ كَقَوْلِ الْمَرِيضِ لِلطَّيِّبِ اجْعَلْ دَوَائِي مَاءَ
الشَّكْرِ لَا مَاءَ الشَّعِيرِ اِذَا كَانَ الصَّلَاحُ فِيهِمَا مَعَ الرِّضَاءِ بِالْمَفْضُولِ اِنْ اخْتِيرَ لَهُ بِخِلَافِ
الْاَصْلَحِ فَهُوَ بِمَجْهُولٍ وَضَدُهُ الطَّمَعُ وَهُوَ مَحْمُودٌ

(عن صلاة الفجر) حين عرس عليه السلام وقت سحر في حال سفر، والحديث في الصحيحين بطوله (وله) أي والمفروض (اختيار الافضل) أي في طلبه من الله بغير استثناء منه وهو لا يقدح في تفويضه الذي هو كمال تسليمه (كقول المريض) المفروض (للطبيب) الذي بمنزلة الحبيب (اجعل دوائى ماء الشكر لا ماء الشعير اذا كان الصلاح فيهما) بحسب التدبير (مع الرضاء بالمفضول) وهو ماء الشعير (ان اختير له) أي اختار الطبيب المفضول (له) للمريض بحسب التقدير، وانما قيل يكونه مع الرضاء لانه لو لم يرض به لكان المفضول مكروها وكان الانهول حيثذهو الفاضل (بخلاف الاصلح فهو مجهول) أي لا يعرف احد من العباد جهة الصلاح وجهة الفساد حتى يختار الاصلح فيما اراد. وتوضيحه ما في الاحياء فان قيل: هل يجب ان يفعل بالمفروض ما هو الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل في حق الله تعالى، ولا يجب لعباده عليه شيء، وقد يفعل بالعبد الاصلح دون الافضل لحكمة في فعله، الا ترى انه قدر للنبي عليه السلام واصحابه ان ناموا طول الليل في بعض الاسفار حتى فاتتهم صلاة الفجر، والصلاة افضل من النوم، وربما يقدر للعبد الغنى والنعمة في الدنيا وان كان الفقر افضل باعتبار العقبى، ويقدر له الاشتغال بالاولاد والازواج وان كان التجرد لعبادة الله افضل فانه بعباده خير بصير، فالمقصود للعبد النجاة من الهلاك لان الفضل والشرف مع الفساد والاهلاك. فان قيل فلما كان للعبد ان يختار الافضل وليس له ان يختار الاصلح؟ فاعلم ان الفرق بينهما ان العبد يعرف الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد ليريد بالحكم، ثم معنى اختياره الافضل ان يريد من الله ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويختار له ذلك ويقدره هنالك، لان للعبد تحكما في شيء لقوله تعالى (ليس لك من الامر شيء) فذهو جملة من دقائق هذا العلم وامراره وحقايقه وانواره، ولو لان الحاجة مست اليه لما تعرضنا بالايثار عليه، لانه يلاطم بحار علوم المكاشفة ونحن في ساحل علوم المعاملة (وضده) أي ضد التفويض (الطمع) من الحق بمعنى الرجاء (وهو) أي الطمع (محمود

إِنْ قِيدَ بِشَرِّ الصَّلَاحِ أَوْ بَابِنِ الْخَطَرِ فَوَرَدَ . (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي
خَطِيئَتِي - إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا) وَالْأَفْذَمُومُ فَهُوَ سُكُونُ الْقَلْبِ
إِلَى مَنْفَعَةٍ مَشْكُوكَةٍ وَخَطَرٌ عَدَمِ الْكُونِ وَيَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى قَصْرِ الْأَمَلِ وَهُوَ أَنْ
لَا يُرَادُّ أَمْرٌ يَشْكُ فِي كَوْنِهِ إِلَّا بِالْإِسْتِثْنَاءِ بِذِكْرِ الْمَشِيئَةِ أَوْ الْعِلْمِ قَلْبًا فَوَرَدَ «إِذَا

ان قيد بشرط الصلاح) فيما لا امن فيه عن الفساد (او باين) اى ان فارق المطموع
(الخطر) اى خطر الفساد (فورد) فى التذليل حكاية عن ابراهيم (و الذى
اطمع ان يغفرلى خطيئتي) يوم الدين ، وعن السحرة (اما نطمع ان يغفرلنا ربنا
خطايانا) ان كنا اول المؤمنين • وكذا قوله تعالى حكاية عن المؤمنين: (ومالنا
لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) فالطمع
الوارد فى هذه الآيات مثال ما باين الخطر (والافذموم) اى وان لم يقيد بشرط
الصلاح اولم يباين الخطر فالطمع مذموم، فى الخبره ابالم والطمع فانه فقر حاضر
وقيل • صلاح الدين الورع وفساده الطمع (فهو) اى الطمع المذموم (سكون
القلب الى منفعة مشكوكه) وقبل هو ارادة الشيء المخاطر بالحكم وهذه الارادة تقابل
التفويض لا غير فاعلم ذلك • واما حصن التفويض فهو ذكر خطر الامور وامكان
الهلاك والفساد منها ، وحصن حصنه ذكر عجزك عن الاعتصام عن ضروب الخطر
والامتناع من الوقوع فيها لجهالك وغفلتك وضعفك ، فالمرأظة على هذين الذكرين
تحملك على تفويض الامور كلها الى الله تعالى والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع عن
ارادتها الا بشرط صلاحها ، وهذا غاية التحقيق والله ولى التوفيق (وخطر عدم
الكون) بالرفع عطف على قوله فى اول الباب خطر الفساد ، اى الخطر خطر ان :
خطر الفساد وخطر عدم الكون اى عدم وجود الامر (ويحتاج فيه) اى فى خطر
عدم الكون (الى قصر الامل) اى وتقريب الاجل وتكثير العمل (وهو) اى
قصر الامل (ان لا يراد امر يشك فى كونه) اى وجوده (الا بالاستثناء بذكر
المشيئة) اى بقيد ان شاء الله كما قال تعالى: (ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله) (اول العلم) اى او بذكر علم الله فيقول : ان علم الله انى افضل ذلك الفعل
فأفضل (قلبا) اى يكفى فى الذكر والعلم خطور القلب وحضور الجنان ، ولا يلزم
فيها النطق باللسان فى عالم البيان (فورد) فى قصر الامل خطايا لابن عمر (اذا

أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ وَإِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ
وَالْأَمَلُ هُوَ الْإِرَادَةُ بِالْحُكْمِ وَفِيهِ التَّفَاوُتُ مِنْ أَمَلِ الْبَقَاءِ أَبَدًا وَالْيَ الْهَرَمِ وَالسَّنَةِ
وَالْفَصْلُ وَالشَّهْرُ

أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء) أى بادرا كه (وإذا أُمسيت فلا تحدث نفسك
بالصباح) وتماه د وخذ من حياتك لموتك ، ومن صحتك لسقمك ، فانك يا عبد الله
لا تدري ما اسمك غدا « وصدر الحديث » كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل
وعند نفسك من أصحاب القبور ، رواه ابن حبان ورواه البخارى من قول ابن عمر ،
ولا بن أبى الدنيا من حديث على مرفوعا قال وإن أشد ما أخاف عليكم خصلتان : اتباع
الهوى وطول الأمل ، فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق ، وأما طول الأمل فانه يورث
الحب للدنيا ، ثم قال الا ان الله يهطى الدنيا من يحب ويهفئ ، واذا أحب عبدا أعطاه
الايمان ، الا ان الدنيا أبناء وللدين أبناء فكونوا أبناء الدين ولا تكونوا أبناء الدنيا الا ان الدنيا
قدارتها مولية ، الا أن الآخرة قد اظلمت مقبلة ، الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب ،
الا وانكم توشكون ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل « (والأمل) أى وضد
التفويض الأمل أيضا « (هو الارادة) أى ارادة أمر يشك في كونه « (بالحكم) أى
بالقطع لا بالاستتاء رقيد المشيئة « (وفيه) أى فى الأمل « (التفاوت من أمل البقاء أبدا)
كما للكفار من الدهرية والى الالف كما قال تعالى (ومن الذين أشركوا يود أحدكم لو
يعمر ألف سنة) وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة د قلب الشيخ شاب على حب اثنين
طول الحياة وحب المال ، « (والى الهرم) أى الكبر وهو حال الأكر « (والسنة) وهو
قريب الى السنة فانه عليه السلام كان يدخر لعياله قوت سنة لكفاية حالهم من ماله
(والفصل) من الفصول الأربعة « (والشهر) فلا بن أبى الدنيا والطبرانى وأبى نعيم
والبيهقى عن أبى سعيد « اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر
فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « ولا تعجبون من أسامة اشترى الى شهر ، ان أسامة
لطويل الأمل ، والذي نفسى بيده ما طرفت عيناى الا ظننت ان جفنى لا يلتقيان حتى
يقبض الله روحى ، ولا رفعت طرفى وظننت أنى واضعه حتى اقبض ، ولا لقيت لقمة الا
ظننت أنى لا أسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال : يا بنى آدم ان كنتم تعلمون فعدوا
أنفسكم من الموتى ، والذي نفسى بيده انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ، ولا بن

المبارك وابن أبي الدنيا والبرار من حديث ابن عباس « كان يخرج عليه السلام يريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول الماء منك قريب ، فيقول ما يدريني لعلي لا أبلغه » وكان عليه السلام يقول في دعائه « اللهم اني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات ، وأعوذ بك من أهل يمنع خير العمل » ابن أبي الدنيا من رواية حوشب ، وقال مطرف بن عبد الله : لو علمت متى أجلى لحشيت على ذهاب عقلي ، ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ماتوا بالعيش ولا قامت بينهم الاسواق . وقال بعضهم : لولا الحقى لحربت الدنيا ، وقال الثوري : الزهد في الدنيا بهصر الأول ، ليس بأكل الغليظ ولبس العباء . وقيل للحسن : ألا تنسل قيصك . قال الأمر أعجل من ذلك ، ورأى وهب بن منبه في حجر منقور : ابن آدم انك لو رأيت ما بقي من أجلك لوهدت في طول املك ، ولرغبت في زيادة عملك ، ولعصرت عن حرصك وجهك انما يلقاك غدا ندمك ، لو قد زلت قدمك ، واسلك أهلك وحشمك ، وفارقك الوالد والقريب ، ورفضك الولد والنسب ، فلانك الى دنياك عائد ؛ ولا في حسناتك زائد ، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والتدامة ، وعن داود الطائي : من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ، ومن طال ألمه ضعف عمله ، وكل ما هو آت قريب وكل ما يشغلك عن ربك فهو مشؤم ، وان اهل الدنيا جميعا من أهل القبور ، انما يندون على ما يخلفون ، ويفرحون بما يقدمون فاندم عليه أهل القبور فاهل الدنيا عليه يقتلون ، وفيه يتنافسون وعليه عند ربهم يختصمون ، وروى ان معروف السكري اخذ الصلاة فقال لا جد بن أبي توبة تقدم فقال : ان صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غير ما فقال معروف : وانت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى أعوذ بالله من طول الأمل فانه يمنع خير العمل . وكان الحسن يقول في موعظته : المبادرة فانما هي الانفاس لو حسبت انقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى الله تعالى عز وجل ، رحم الله عبدا انظر لنفسه وبكى بعد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية (انما بعد لهم عدا) يعني الانفاس اخر العدا خروج نفسك عن نفسك ، واجتهد أبو موسى الاشعري قبل موته اجتهدا شديدا ، فقيل له : لو امسكت ورفقت بنفسك بهض الرقي ، فقال الخيل اذا رسلت فقاربت رأس مجاريها أخرجت جميع ما عندها ، والذي بقي من عمري أقل من ذلك ، فلم يزل على ذلك حتى مات ، وكان يقول لامرأته : شدي رحلك فليس على جهنم معبر ، وقال ابن عمر « خرج عليه السلام والشمس على احراف السعف ، وقال ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا الى ما مضى منه » ابن أبي الدنيا والترمذي وحسنه . وعن انس قال عليه السلام « مثل الدنيا مثل ثوب شقي من أوله الى آخره فبقي معلقا بخيط

وَالْيَوْمَ وَالسَّاعَةَ وَيَظْهَرُ بِالْإِدْخَارِ وَالنَّاهِبِ، وَأَفَاتُهُ تَرُكُ الطَّاعَةِ وَالْكَسَلِ

في آخره فيوشك ذلك الحيط ان ينقطع » رواه ابن أبي الدنيا . و مر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال دعني انما بادر خروج روعي . وقال بعض المفسرين في قوله تعالى : (ولكنكم فتنتم أنفسكم) قال بالشهوات والذات (وتربصتم) قال بالتوبة (وارتيبتم) قال شيكركم (حتى جاء امر الله) قال الموت (وغركم بالله الغرور) (واليوم) فمن عيسى عليه السلام : لا تهتموا برزق غد فان يكن غد من آجالكم فستأني فيه ارزاقكم ، وان لم يكن من آجالكم الا تهتموا لآجال غيركم . وهو يؤخذ من قوله تعالى (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) (والساعة) التجوية واللغوية الشاملة للحظة والغمضة . ويؤخذ هذا من قوله تعالى (اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة) ومن قوله (ولن يؤخر الله نفسا) اي ولو نفسا (اذا جاء أجلها) وفي الاحياء : ومنهم من يكون الموت نصب عينه كأنه واقع به فهو ينتظره . وهذا الانسان هو الذي يصلي صلاة مودع . وفيه ورد ما نقل عن معاذ لمأله عليه السلام عن حقيقة ايمانه فقال « ما خطوات خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى » رواه ابو نعيم في الحلية . و ما نقل عن الاسود وهو الحبشي انه كان يصلي ليلا ويلتفت يميناً وشمالاً ، فقال قائل ما هذا ؟ قال انظر ملك الموت من أي جهة يأتيني ، يعني وفي أي صفة يحضرني ، وهل اكون من اصحاب اليمين او اصحاب الشمال ، وخوف الرجال من هذا الحال لان انتهاء الآجال . وفي منهاج العابدين قال : اكثر علمائنا ان الامل ارادة الحياة للوقت المتراحي بالحكم ، وقصر الامل ترك الحكم فيه بان تقيده بالاستثناء بمشيئة الله وعلمه في الذكر ، او بشرط الصلاح في الارادة ، فاذن ان ذكرت حياتك بانى اعيش بعد نفس ثمان او ساعة ثمانية او يوم ثمان بالحكم والقطع فانت آمل ، وذلك معصية اذ هو حكم على الغيب ، وان قيدته بالمشيئة والعلم من الله فقلت اعيش ان شاء الله وان علم الله اني اعيش بعد خرجت عن حكم الامل ؛ وكذلك ان اردت حياتك للوقت الثاني قطعاً فانت آمل ، وان قدرت ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت بتقصير الامل حيث تركت الحكم في ذكر البقاء وارادته ، والمراد بالذكر ذكر القلب . ثم المراد منه التوطين على ذلك وتثبيت القلب على ما هنالك (ويظهر) هذا التفاوت (بالادخار) اي بوضع ذخيرة الارزاق (والناهب) اي التيهو لاسباب المعاش في الارفاق (وآفاته) اي آفات الامل وهضامه ستة (ترك الطاعة) رأساً (والكسل) في العبادة والامل

والتسوية والحرص ونسيان الآخرة والقسوة فورد (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَسَتْ قُلُوبُهُمْ - وَيُلْهِمُ الْأَمْلُ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ) والسبب حب الدنيا والجهل بالحقائق وعلاج كل ما عرف في موضعه وذكر فجاء الموت فذكره يوجب التأهب له والتجافي عن دار الغرور فورد «نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة

(والتسوية) أي تأخير العمل بأن يقول سوف أعمل (والحرص) على الدنيا (ونسيان الآخرة) وما فيها من لقاء المولى (والقسوة) أي قساوة القلب ومنه قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) وقوله سبحانه (فويل للفاسية قلوبهم من ذكر الله) ومن علامة القساوة عدم الرقة وقلة البكاء على الغفلة (فورد) في التنزيل (الم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل (فطال عليهم الأمد) أي زمان الاجل (فقست قلوبهم) بسبب طول الأمل، وفي آية أخرى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) (وبلهم الأمل) أي يشغلهم الأمل عما خلقوا له من العمل (فسوف يعلمون) غاية جهلهم في طول أمدهم وقصر عملهم وتوهم تأخير أجلهم (والسبب) أي سبب الأمل شيان (حب الدنيا) فانه يوجب كراهة مجيء الاجل (والجهل بالحقائق) أي حقائق ما يرد على الإنسان من موت المفاجأة وقتل البتة، ومن مقدمات الموت كالحى والصداع ونحوهما فانه لا يكون الاغفلة، قال تعالى (ولم نقرئ أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قاتلون) أي أو هم قاتلون أي مستريحون بالقيولة (وعلاج كل) من سببه (ما عرف في موضعه وذكر فجاءة الموت) أي ومن علاجه تصورها في الجنان وتقريرها باللسان (فذكره) أي الموت مطلقا (يوجب التأهب له) أي يقتضى التهيؤ والاستعداد للموت قبل مجيئه (والتجافي) أي التباعدي عن دار الغرور (وهي الدنيا فانها غدارة مكاره كما قال تعالى) فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور (أي الشيطان المانع عز سلوك سبيل العقبى) (فورد) في الحديث (نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة) والظاهر أن يقول في كل ساعة : اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت . ويحتمل أن يذكره في اليوم عشرين مرة وفي الليلة عشرين مرة أو في اليوم عشرة وفي الليل عشرة متوالية أو متفرقة، والمقصود

حِينَ قِيلَ هَلْ يُحْشَرُ مَعَ الشُّهَدَاءِ أَحَدٌ؟

منها الكثيرة ﴿حين قيل هل يحشر مع الشهداء احد﴾ والحديث تقدم . وقال المخرج لم أقف له على اسناد ، قلت روى الطبراني في الاوسط « عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ليس الشهداء الا من قتل في سبيل الله : قال يا عائشة ان شهداء امتي اذن لقليل ، من قال في يوم خمسا وعشرين مرة : اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت ثم مات على فراشه اعطاه الله اجر شهيد » وفي السنن الاربعة عن ابي هريرة « اكثروا ذكرها ذم اللذات الموت » وفي رواية « اكثروا ذكر الموت يسليك عما سواه » وفي رواية « اكثروا ذكرها ذم اللذات فانه لا يكون في كثير الا ذل ولا في قليل الا اجزاء » وفي رواية « فانه لم يذكره احد في ضيق من العيش الا وسعه عليه ، ولا ذكره في سعة الا ضيقها عليه ، وفي رواية « اكثروا ذكر الموت فانه يحصن الذنوب ويزهد في الدنيا فان ذكر تموه عند الغنى هدمه ، وان ذكر تموه عند الفقر ارضاهم بعيشكم ، ولليهيقي في الشعب من حديث ام حبيبة الجهنية « لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما اظلم منها سمينا ، ولا ابن ابي الدنيا عن عطاء الخراساني مرسل انه عليه السلام مر بمجلس قد استملأ الضحك فقال : « شربوا مجلسكم بذكر مكر اللذات قالوا وما مكر اللذات ؟ قال الموت » وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال « اكثروا من ذكرها ذم اللذات فوالذي نفسي بيده لو تعلمون ما اظلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » رواه ابن ابي الدنيا من حديث ابن عمر ، وفيه ايما الى قوله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) وللطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عمار بن ياسر « كفى بالموت واعظا ، وفي رواية « فراقا ، قال ابن عمر أتيت النبي ﷺ عاشر عشرة : فقال رجل من الانصار : من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله ؟ قال « اكثرهم ذكر الموت ، واشدهم استعدادا له أوائلهم الا كياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة ، ان أبي الدنيا بسند جيد . وقيل في تفسير قوله تعالى : (ايهم احسن عملا) ايهم اكثر ذكرا للموت واشدهم استعدادا قبل الموت . وقال بعضهم احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير الى دار تمني فيها الموت ولا تجده . وقال كعب . من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهو ومها . وقالت صفية : ان امرأة شكت الى عائشة قساسة قلبها فقالت اكثرى من ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها ، وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك

وَحَقُّهُ أَنْ يُذَكَّرَ رَغْبَةً إِلَى لِقَائِهِ تَعَالَى وَبَعَثًا لِلْخَوْفِ الْمَوْجِبِ سُرْعَةَ التَّدَارُكِ
دُونَ التَّاسُفِ عَلَى فَوَاتِ الدُّنْيَا فَهُوَ مُبْعَدُهُ تَعَالَى فَوَرَدَ «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ
أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ»

ولعل اكفالك قد خرجت من عند القصار (وحقه) أي وحق ذكر الموت (أن يذكر رغبة) أي ميلا ورغبة (إلى لقائه تعالى) في الجنة (وبعثا) أي تحريضا وحثا (للاخوف الموجب سرعة التدارك) أي تلافيا ما فات منه من الطاعات (دون التأسف) أي الحسرة (على فوات الدنيا) أي من لذاتها وشهواتها (فهو) أي التأسف المذكور (مبعد عنه تعالى) لقوله عليه السلام «من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة» أخرجه الرازي في مشيخته عن ابن عمرو (فورد) في الحديث (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (رواه الشيخان وغيرهما) وفي رواية زيادة والموت دون لقاء الله. والمراد بلقاء الله المصير إلى دار الآخرة وطلب ما عند الله من المراتب الفاخرة، وليس الغرض به الموت لار تلايكره، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله، ومن اختارها وآثرها وركن إليها كره لقاء الله لانه إنما يصل إليه بالموت. وقوله والموت دون لقاء الله يبين لك أن الموت غير اللقاء ولكنه معترض دون الغرض المطلوب وهو الوصول إلى قرب المحبوب، فيجب أن يصبر عليه ويحتمل مشاقفه لديه حتى يصل إلى الفوز باللقاء كذا في النهاية. وفي شرح مسلم للنووي: ليس معنى الحديث أن يحب لقاء الله سبب لحب الله لقاءه، ولأن كراهتهم سبب لكراهته، بل الغرض بيان وصفهم بأنهم يحبون لقاء الله حين أحب الله لقاءهم، انتهى، وتوضيحه أن المحبة صفة الله، ومحبة العبد ربه تابعة لها ومنعكسة منها ومتفرعة عليها كظهور عكس الماء على الجدار. ويؤيده ما روى أنه عليه السلام قال «إذا أحب الله عبدا عشقه عليه» وفي تقديمي بهم على محبوبه في القرآن إشارة إليه ودلالة عليه، فمعنى الحديث: من أحب لقاء الله فهو سبب للاخبار بأن الله يحب لقاءه، إذاقنا الله حلالة محبته وفاقنا بمزيد عنايته. كذا في شرح المشارق فالأول صفة المحبين، والآخر صفة من يخاف عقاب الله على ذنوبه من المؤمنين أو صفة الكافرين، والمفهوم من ظاهر ما ذكر في المصاييح أن الآخر صفة الكفرة فقط حيث قال عليه السلام هذا الحديث، فقالت عائشة: أنا لنكره الموت قال عليه السلام «ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت

وَالْمُرَادُ بِالْحُبِّ الْعَارِفُ الْمُشْتَقُّ إِلَيْهِ فَلَمَوْتُ مَوْعِدُهُ وَبِالْكَارِهِ الرَّغْبُ إِلَى الدُّنْيَا
بِخِلَافِ الْخَائِفِ هُجُومُهُ قَبْلَ تَمَامِ التَّوْبَةِ وَإِصْلَاحِ الزَّادِ فَهُوَ إِنَّمَا يَكْرَهُ فَوْتَ الْلِقَاءِ

بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه ، وفي القرآن يشير إلى المقامين حيث قال تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اتزّل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) الآيات . وقال عز وعلا (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) (والمراد بالحب) أي لقاء الله في الحديث إنما هو (العارف) بذات الله وصفاته وبذائع مصنوعاته (المشتاق إليه) لزيادة ماله (فالموت موعده) إذ لا يتصور لقاءه دونه ، كما في حديث مسلم « أنكم لن ترووه حتى تموتوا » وهذا يحمل جوابه تعالى لموسى عليه السلام (لئلا تراني) أي في الدنيا بالعين الفانية وإنما تراني في العقبى بالعين الباقية ، وهذا يحمل قوله عليه السلام « تحفة المؤمن الموت » ابن أبي الدنيا والطبراني والحارثي من حديث عبد الله بن عمر بسند حسن . وعلامة الحب العارف أن لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب بل يستبطنه . يحب الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين ، لما روى عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال : حبيب جاء على فاقة لا أفطم من ندم ، اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إليّ من الغنى ، والسقم أحب إليّ من الصحة ، والموت أحب إليّ من العيش ، فسهل عليّ الموت جنتي القاك . فإذا التائب معذور في كراهة الموت . وهذا مشكور في حب الموت . وأعلى منهما رتبة من فوض أمره إلى الله فصار لا يحب لنفسه موتا ولا حياة ، بل يكون أحب الأشياء إليه حبه إلى مولاه ، فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو غاية المنتهى ، وهو معنى قول المصنف فيما يأتي (وبالكاره) أي والمراد بالكاره لقاء الله (الرغب إلى الدنيا) ما لوجاها ومنا لا فاقدها (بخلاف الخائف هجومه) أي هجوم الموت ومآتاه بغنة (قبل تمام التربة) وتدارك أوقات الغفلة في الحوبة (وإصلاح الزاد) ليوم المعاد (فهو إنما يكره فوت اللقاء) أي لانفس اللقاء ، وعلامة صدق هذا أن يكون دائم الاستعداد لا يشغل له سوى أعداد الزاد للمعاد . قال

وَالْأَعْلَى تَرَكُ الْاِخْتِيَارَ وَالتَّقْوِيضَ، وَيُفْرِغُ الْقَلْبَ عَنْ غَيْرِ الْمَوْتِ وَيَتَفَكَّرُ دَائِمًا
تَفَكَّرَ الْعَازِمُ عَلَى السَّفَرِ

الققعاق بن حكيم : قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة ، فلو اتاني ما احببت تأخير
شيء منه . وقال الثوري : رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول : انا في هذا المسجد منذ
ثلاثين سنة انتظر الموت ، ان نزل بي او اتاني ما امرته بشيء ولا هيته عن شيء ، ولا لي
على احد شيء ، ولا لي عند احد شيء (والاعلى) اي اعلى المراتب بالنسبة الى ما ذكر
من الموت وسائر المناقب (ترك الاختيار) اي في امر الافيا اراد الله منه ان يختاره
(والتقويض) بالرفع اي وتقويض امره وتسليمه الى المدبر المختار بقوله تعالى
(وربك يخلق ما يشاء ويختار) وفي الاخبار عن سيد الاختيار وسند الابرار «لا يمتنين
احدكم الموت فان فعل ذلك لاعماله فليقل اللهم احبني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني
اذا كانت الوفاة خيرا لي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة
لي من كل شر» وانما كره بعض الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة
وطول العمر في العباداة من ذال السعادة (يفرغ القلب) اي وان يفرغ قلبه (عن
غير الموت) اي استعداده قبل الموت (ويتفكر دائما تفكر العازم على السفر) هائبا
من خوف البحر والبر . ووضح طريق فيه ان يذكر موت اخوانه واقربائه الذين
قضوا قبله، ويتذكرهم تحت التراب، ويتفكر صورهم في مناصبهم ومقام حضورهم،
وكيف تبددت الآن اجزائهم في قبورهم ، وكيف ارموا نساءهم وايتموا بناتهم
وابناءهم ، وضيعوا اموالهم ، ونقضوا احوالهم وخلت منهم مجالسهم واخبارهم ،
ومساجدهم وآثارهم ، مع ما كان بهم من طول املهم للعيش والبقاء، ونسيانهم للموت
والفناء ، وانخداعهم بمواساة الاسباب ، وزكوتهم الى القوة والشباب ، وميلهم الى
الغفلة عما يراد بهم من الموت الذريع والهلاك السريع، وانه كيف كان يتردد، والآن
قد تهدمت رجلاه ومفاصله وعقبانه ، وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه، وكيف
كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه ، وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى
عشرين سنة ونحو ذلك من الاحوال والاهوال ، فعند ذلك ينظر الى نفسه انه مثلهم
في عاقبة امره . قال ابو الدرداء : اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم ، وقال ابن مسعود :
السعيد من وعظ بغيره . وقال عمر بن عبدالعزيز . الاترون انكم تجهزون غدا يا ورائحا

وَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِتْبَاهُ وَهُوَ خِلَافُ الْغُرُورِ وَهُوَ سُكُونُ النَّفْسِ إِلَى مَا يُوَافِقُ الْهَوَى
وَالشَّبْهَةُ فُورَدَ (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ

إلى الله عز وجل ، تضعونه وقد توسد التراب ، وخلف الاحباب ، وقطع الاسباب ،
وواجه الحساب ، ونظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها فبكى ، ثم قال :
والله لولا الموت لكنت بك مسرورا . (والأصل فيه) أى فى ذكر الموت (الاتباه)
أى استيقاظ القلب من نزم الغفلة (وهو) أى الاتباه (خلاف الغرور) أى
ضده ، ولذا قيل : الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا (وهو) أى الغرور (سكون النفس)
واطمئنانها وهى قوة فى الانسان مائلة الى الشر والفساد لما قال تعالى (ان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربي) فنز (الغرور ميلها الى ما يوافق الهوى والشبهة) ويخالف
الهدى والسنة بان تكون ارادتها موافقة الطبع من غير داعية الشرع . واما اذا اجتمع
الهوى والهدى فهو نور على نور ، وسرور على سرور ، ولذا قال تعالى (ومن اضل
ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) (فورد) فى التنزيل (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا)
فانها غدارة مكاره غرارة سحارة . فقول : انها اسحر من هاروت وماروت (ولا يغرنكم
بالله الغرور) أى الشيطان المغرور . وفى الترتيب : تنبيه نبيه على ان من احب الدنيا
يضله الشيطان ومن تركها لم يقدر عليه بالطغيان ، بل قيل من اراد الدنيا لم يقدر على
هدايتها جميع الانبياء ، ومن ترك الدنيا لم يقدر على اضلاله جميع الشياطين واهل الاغواء .
وقال عز و علا (وغرَّنكم الاماني حتى جاء امر الله و غرَّكم بالله الغرور) وفى الحديث
« حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيرون سهر الحقى واجتهادهم ، ولثقال ذرة من
صاحب تقوى وبقين افضل من ملء الارض من المغترين ، كذا فى الاحياء ، وهو من
قول ابى الدرداء بنحوه لارواه ابن أبى الدنيا ؟ وللتزمذى وحسنه وابن ماجه من حديث
شداد بن اوس « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحق من اتبع نفسه
هو اها . ويتعنى على الله » (وانواعه) أى انواع الغرور (كثيرة) واكثرها كبيرة
لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل ، اذ الجهل هو ان يمتد الشئ ويراه على
خلاف ما هو به ، فالغرور هو الجهل الا ان كل جهل ليس بغرور ، بل يستدعى الغرور
مغرورا فيه مخصوصا ، ومغرورا به وهو الذى يغره ، فن اعتقد انه على خير امانى
العاجل اوفى الآجل عن شهوة فاسدة او شهوة كاسدة فهو مغرور . واكثر الناس يظنون

كَأَيَّارِ الدُّنْيَا لَكُونَهَا نَقْدًا حَاضِرَةً عَلَى الْآخِرَةِ لَكُونَهَا نَسِيبَةً لِأَنَّ النِّسِيبَةَ الْكَثِيرَةَ رَاجِحَةٌ وَإِنْ شَكَّ فِيهِ وَالْمَرِيضُ يَتْرُكُ اللَّذَاتِ لِيَصَحَّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَالتَّاجِرُ يُخَاطِرُ الْأَمْوَالَ لِيَرْبَحَ فِيهِ فَالْآخِرَةُ أَوْلَى لِلتَّيَقُّنِ بِهَا وَعَدَمِ نَسِيبَةِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا شِدَّةٌ وَدَوَامًا

بأنفسهم الخير الآن غرور بعضهم اظهر ، وأشدها غرور الكفار وغرور الفصاة والفجار (كأيثار الدنيا) أى اختيارها فانه من اقبح انواع الغرور . ثم ان اختيارهم الدنيا واغترارهم بها (لكونها نقدا حاضرة على الآخرة لكونها نسيبة) أى متأخرة غائبة وذلك جهل وغرور (لان نسيبة الكثيرة راجحة) على النقد القليل (وان شك فيه) أى فى حصول النسيبة الكثيرة وانما يرجع مع وجود الشك فيه (والمرضى يترك اللذات) التى هى نقد الحالات (ليصح) زمانا طويلا (فى المستقبل) من الاوقات (والتاجر يخاطر الاموال) أى يوقعها فى الخطر من الاهوال كركوبه فى البحر وسفره فى البر ونحوه شدة احوال (ليربح فيه) أى فى زمان الاستقبال (فالآخرة أولى) بالاختيار من الدنيا (للتيقن بها) أى بالآخرة (وعدم نسبة الدنيا اليها) أى الى العقبى (شدة ودواما) أى كية وكيفية ونظاما كما قال تعالى (والآخرة خير وأبقى) بل قيل لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزافا بانيا لكان العاقل اختار الآخرة ، فكيف والامر بالعكس . ولكن غرته الحيوة الدنيا فان اليقين خير من الشك ، ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك ، فلا يترك اليقين بالشك . وهذا ونحوه اقيسة فائدة تشبه قياس ابليس حيث قال (اما خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى (اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بتحقيق البرهان ، اما الاول فهو ان يصدق الله بقوله (ما عندكم ينفذ وما عند الله باق) وقوله (وما عند الله خير وأبقى) وقوله (والآخرة خير وأبقى) وقوله (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) واما الثانى فيعلم بما تقدم والله اعلم . وفى هذا المقام قال على كرم الله وجهه لبعض المحدثين : ان كنت ماقلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا ، وان كان ماقلناه حقا فقد تخلصنا وهلكنا . وما قال على هذا عن شك منه فى الآخرة ، ولكن ظم المالحد على قدر عقله . فمن شك فى الآخرة يجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر اياما قليلا - وهى منتهى العمر - قريب بالاضافة الى ما يقال من امر الآخرة ، فان كان ما قيل

فيه كذبا فيافوتنى الاالتعم ايام حياتى، وقد كنت فى العدم من الازل الى الآن لا اتنعم
فاحسب انى بقيت فى العدم، وان كان ما قبل صدقا فبقي فى النار ابد الآباد، وهذا
لا يطاق فيه العباد ولدا قال ابو العلاء المعرى :

قال المنجم والطبيب كلاهما لا يحشر الاموات قلت اليكما
ان صح قواكما لمست بخاسر اوصح قولى فالحسار عليكما

ومن جملة غرور الكفار قول بعضهم فى انفسهم وبالسنتهم : ان كان الله من معاد
فنحن به احق من غيرنا، ونحن اوفر حظا منه واسعد حالا كما اخبر الله عنه من حال
الرجلين المتحاورين اذ قال (وما ظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا
منها متقبلا) وجملة امرهما كما قيل فى التفسير : ان الكافر منهما بنى قصرا بألف دينار،
واشترى بستانا بألف دينار، وخرما بألف دينار، وزوجة بألف دينار . وفى ذلك
كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا وبستانا بخرب ويغنى، الا اشتريت قصرا وبستانا
فى الجنة لا يغنى، واشتريت خرما بألف دينار وزوجة بألف دينار الا اشتريت خرما
لا يموتون وازواجا . من الحور العين لا يفنون، وفى كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول:
ما هناك شئ. وما قبل من ذلك فهو اكاذيب، وان كان ليكون لى فى الآخرة خير من
هذا، وكذا وصف الله قول العاص بن وائل اذ يقول (لاوتين مالا وولدا) ورد
عليه بقوله (اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا) وروى « عن الحباب بن الارت
انه قال كان لى على العاص بن وائل دين فحُثت اتقاضاه فلم يقضى، فقلت انى آخذه
فى الآخرة، وقال اذا صرت الى الآخرة فان لى هناك ولدا ومالا فاقضيك منه، فانزل
الله تعالى (افرأيت الذى ~~كنفر~~ باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا) رواه الشيخان .
وقال عز وجل (ولئن اذ قناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما ظن
الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لى عنده للحنى) الآية، وذلك انهم ينظرون
تارة الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها نعم الآخرة، وتارة الى تأخر العذاب
عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة ويقولون لما اخبر الله عن بعضهم (لولا يعذبنا
الله بما نقول) الآية، واخرى ينظرون الى المؤمنين وهم قراء شعث غير نيزدروهم
ويستحقرونهم ويقولون (اهؤلاء من الله عليهم من بيننا) ويقولون (لو كان خيرا
ما سبقونا اليه) ولم يعرف هذا المغرور « ان الله يحمى عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما
يحمى احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه » كما رواه الترمذى وحسنه الحاكم
وصححه من حديث قتادة بن النعمان . وكان ارباب البصائر اذا قبلت عليهم الدنيا حزنوا

وَالْاعْتِمَادَ عَلَى مُجَرَّدِ الْإِيمَانِ فَوَرَدَ (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُسْرٍ) السُّورَةُ، وَعَلَى أَنَّهُ تَعَالَى كَرِيمٌ

وقالوا ذنب عجلت عقوبته، وإذا أقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين. فالمغرورون إذا قبلت عليهم الدنيا ظنوا أنها كرامة عند الله وإذا صرفت عنهم ظنوا أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربني أكرمن ، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربني أهانن كلا) بين أن ذلك غرور من كل منهما ، فقد قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا ، يقول ليس هذا بكر امتي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من أكرمه بطاعتي غنيا كان أو فقيرا ، والمهان من أهنته بمعصيتي غنيا كان أو فقيرا (والاعتماد) بالجور ، أي وكالات اعتماد (على مجرد الإيمان) مع ترك العبادات وارتكاب المحظورات فإنه من أعظم الغرور في الحالات (فورد) في التنزيل (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ) عن الشرك والكفران (وَأَمَنَ) بالقلب واللسان (وعمل صالحا) لسائر الأعضاء والأركان من ارتكاب الحسنات واجتناب السيئات (ثم اهتدى) بالاستقامة في الحالات إلى الممات ، فالمغفرة مقيدة بهذه الطاعات. وكقوله تعالى (إن رحمت الله قريب من المحسنين) في العبادات . وقيل للحسن قوم يقولون: نحن نرجو الله ويضعون العمل فقال : هيأت هيأت ، تلك أمانيتهم ، من رجا شيئا طلبه ، ومن خاف شيئا هربه (والعصر) أي أقسم بصلاة العصر التي هي الصلاة الوسطى ، أو بصبر المصطفى ، أو بالدهر الذي هو منبع الخير والنشر ، ومعدن النفع والضرب (إن الإنسان) أي جميع أفراد (لني خسر) أي خسارة فيما عندهم من تجارة (السورة) أي (الالذين آمنوا) فالصديق (وعملوا الصالحات) كالفاروق (وتواصوا بالحق) لذى النورين (وتواصوا بالصبر) بالمرتضى (وعلى) أي وكالات اعتماد على (أنه تعالى كريم) مع ترك الطاعات وارتكاب المنهيات وطلب الدنيا والشهوات ، فيغفر لي في الآخرة بكرمه وفضله ويدخلني في الجنان . ومنشأ هذا قوله تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) حيث لقته بأن يقول غررتني كرمك. وقد قيل أنه تعالى كما أنه كريم رحيم متفضل بالثواب شديد العقاب ، فقد قال تعالى (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا) وقد قال تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيتهم)

فُورِدَ (وَأَنْ لَيْسَ لِلنَّاسِ الْإِمَاسَى) وَفِيهِ الْعَكْسُ بِتَرْكِ التَّعْوِيلِ فِي الدُّنْيَا مَعَ وُرُودِ (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) وَالْعِلَاجُ الْعِلْمُ وَالتَّفَكُّرُ •

(فورد) في التنزيل ما يدل على ذم الغرور بارتكاب المحظور (وان ليس للانسان) نفع في العقبي (الاماسى) من خير في الدنيا (وان سعيه سوف يرى) قليلا او كثيرا (فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (وفيه العكس) اى وفي هذا الاعتماد عكس ما ينبغي في الاعتقاد (بترك التعويل) اى الاعتماد على المولى (في الدنيا) اى في امورها ومهمات (مع ورود ومن) وفي نسخة وورد من (يتوكل على الله فهو حسبه) وحاصله ان المغرور لم يعتمد على كرمه سبحانه في امر الدنيا مع ورود وعدا في باب التوكل من غير قيد مباشرة بسبب من اسباب السعى ، ويعتمد في باب الآخرة على كرمه مع ان وعدا مقيد بالسعى والعمل ، وتوضيحه انه يجتهد في امور الدنيا ويعتمد في امور الآخرة على كرم المولى مع انه كريم في الدنيا والآخرة ، فانه لم يعتمد على المولى في الدنيا من غير السعى مع انه سبحانه ماطفه بكسبه وبترك العمل في الآخرة مع انه عز وجل ظفه به ولم يرض عنه بتركه؟ (والعلاج) اى علاج الغرور (العلم) بالكتاب والسنة وما يقربه من الله وما يبعده عنه . وتوضيحه ما في الاحياء من ان الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والاهانة اما بالبصيرة واما بالتقليد ، اما البصيرة فبان يعرف وجه كون الانذات الى شهورات الدنيا مبعده عن الله ، ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله يدرك بالالهام في منازل العارفين والاولياء ، وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلوم المعاملة . واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله ، وقد قال تعالى (أحسبون اننا ننهمهم به من حال وبني نساوع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وقال (سندرد جهنم من حيث لا يعلمون) قيل في تفسيره : انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم . وقال تعالى (فتحنا عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) وقال تعالى (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) وقال (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون . انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) الى غير ذلك مما ورد في الكتاب والاخبار (والتفكر) في احوال الماضين من الامة ، والمراد بالتفكر احضار القلب العارف ، فاذا اجتمعت فيه وازد وجت على ترتيب مخصوص اتج ذلك العلم

(الباب الخامس عشر في نفي الخواطر والرياسة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْإِهْمُ إِصْلَاحُ الْقَلْبِ لِنَظَرِهِ تَعَالَى إِلَيْهِ فَوَرَدَ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ وَتَعْلُقُ صِلَاحُ الْجَسَدِ بِصِلَاحِهِ فَوَرَدَ «أَنَّ فِي الْجَسَدِ لِمُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ» وَسَعَادَةُ الْآبِدِ بِسَلَامَتِهِ

ضروريا . وصورته كن يعلم مثلا ان الاتق بالاثار اولى ، ثم يعلم ان الآخرة خير واجبى ، فينتج ان اختيار الآخرة اولى . بلغنا الله المقام الاسنى .

(الباب الخامس عشر في نفي الخواطر والرياسة)

اى نفي الخواطر الدنية وتحصيل رياضة النفس الردية لتهدب بالاخلاق البهية الغلية والاحوال السنية السنية ، وتندرج فيه عجائب القلب من غرائب خالق الرب (بسم الله الرحمن الرحيم) استمعين به على كل خالق كريم (الاهم) فى امر الدين الانم (اصلاح القلب) وحفظه عما يفسده لثمانية عشر وجها (لنظره تعالى اليه) واقباله عليه ، لما انه يصلح بدنه وثوبه ليحسن نظر الخالق اليه (فورد) فى الحديث لما تقدم (ان الله لا ينظر) اى نظر عناية ورعاية (الى صورهم واموالهم ولكن ينظر الى قلوبهم ونياتهم) وفى رواية واعمالهم ، وفى اخرى واحوالهم ، ويشير اليه قوله تعالى (انه عليم بذات الصدور) فاذا كان القلب موضع نظر الرب كما يشير اليه حديث ولا يسعى ارضى ولا سمانى ولكن يسعى قلب عبدى المؤمن «فواجبا بمن بهم بتنظيف وجهه الذى هو منظر الخالق ولا يهتم بتطهير قلبه الذى هو منظر ربه» وتعلق صلاح الجسد بصلاحه (اى لتوقفه ظاهرا على تحققه باطنا ، وكذا تعلق فساد الجسد بفساده (فورد) فى الحديث كما تقدم (ان فى الجسد لمضغة) اى قطعة لحم مجوفة فاسدها بمضوغة (اذا صلحت) بضم اللام وتفتح (صالح الجسد كله) تمامه «واذا فسدت فسدت الجسد كله» (الا) للتنبيه (وهى) اى تلك المضغة (القلب) اى محل تعلقه وسريره ملكه ، فان القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء كلها له تبع ؛ فاذا صلح المتبوع صلح المتبع ، واذا استقام الملك استقامت الرعية ، ولذا قيل : الناس على دين ملوكهم . (وسعادة الابد) اى وسيادة السرمد (بسلاوته) اى بسلامة

قوردد. (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) . وَكَوْنَهُ مَعْدِنَ
النَّفَاسِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَسَائِرِ الْفَضَائِلِ وَقَصْدِ الْعَدُوِّ إِلَيْهِ كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ

القلب من نحو الكفر والغل والحقد والحسد (فوردد) في التنزيل (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ
مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) أي من كل خلق سقيم كالشرك والنفاق
والشقاق والاعراض الدنيوية والاعراض الدنية . وقيل هو ما لا يخطر فيه الا شهود
الرب (وكونه) أي ولكون القلب (معدن النفاس) ومنبع الفواضل المستوہبة
(من العلم والمعرفة) أي علم الكتاب والسنة ومعرفة الرب التي هي أجل انواع النعمة
(وسائر الفضائل) المكتسبة من تحسين الاخلاق وتزوين الشرائع *

والحاصل ان القلب خزينة نعم الرب فحق له ان يحفظ ويحرس عن الآفات ، ويكرم
ويجل بضروب الذكرات . ثم اعلم ان شرف الانسان وفضله الذي فضله الله على سائر
خلقه بامتداده من بين عبادته لمعرفة ربه التي هي في الدنيا جماله وغره وفي الآخرة كماله
وعدته وذخره ، وانما استعداد المعرفة بقلبه وجنانه لا بعضو آخر من اركانه ، فالقلب
هو العالم بالله ، وهو العامل لله ، وهو الساعي المتقرب الى الله ، وهو المقرب اليه والمشهدود
عليه والمكاشف بما عند الله ولديه ، وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات كالجوارح
يستخدمها القاب في خدمة الرب استعمال الملك للعبيد ، واستخدام الراعي للرعية ،
والصانع للألة . والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله ، وهو المحجوب عن
الله اذا صار مستغرقا بغير الله ، وهو المطالب ، وهو المخاطب ، وهو المعاتب ، وهو
المعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه ، وهو الذي ينجيب ويشقى
اذا دنسه ودساه ، وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى ، وانما الساري الذي ينتشر على الجوارح
من العبادات أنواره ، وهو العاصي المتمرد على الله سبحانه ، وانما الطاري على الاعضاء من
الفواحش آثاره . وباطلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه ، اذ كل اثناء
يرشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه ، وإذا عرف نفسه فقد
عرف ربه ، وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه ، واذا جهل نفسه فقد جهل ربه
ومن جهل قلبه فهو لغيره اجهل . ففرقة القلب وحقيقة أوصافه التي هي مظاهر الرب
أصل الدين وأساس طرق المجتهدين (وقصد العدو اليه) أي وقصد الشيطان الذي هو
أكبر أعدائه دائما الى اغوائه (كما ورد به) أي بقصد العدو الى القلب (الخبير) وهو

وَكَثْرَةُ شَغْلِهِ فَهُوَ مُعْتَرِكُ الْعَقْلِ وَالْهَوَىٰ وَكَثْرَةُ الْعَوَارِضِ لَوُرُودِ الْخَوَاطِرِ مَعَ الْعَجْزِ عَنِ الْمَنْعِ، وَسُرْعَةِ الْأَنْقِلَابِ

قوله عليه السلام « ان الشيطان لجاثم » وفي رواية « واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله تعالى خنس اى تأخر وعلاه واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه » ابن ابي الدنيا وأبو يعلى وابن عدى (وكثرة شغله) أى وللكثرة اشتغال القلب واحواله وترتب ما عليها من أقوال الانسان وأفعاله (فهو) أى القلب (معترك العقل والهوى) أى موضع عراكهما وقاتلتهما وملاهما . فاذا برز خاطر الهوى داعيا الى الشر قابله خاطر العقل ودافعه داعيا الى الخير فتارة يغلب العقل ويملوعلم الهدى ، وأخرى يغلب الجهل فترتفع راية النفس والهوى فالحرب سجال . وقد قال الملك المتعال (وتلك الايام نداولها بين الناس) وقد قيل :

فيوم علينا وفيوم لنا • ويوم فناء ويوم نسر

وفي الحديث « رجعتان الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » ومنه قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) (وكثرة العوارض) أى وللكثرة الامور الطارئة والاحوال السارية (لورود الخواطر) الدنية فى القلوب القواثر الردية من حب الدنيا والرياسات . وحصول اللذات والشهوات والاهوات (مع العجز عن المنع) أى مع عجز السالك عن دفع وقوع ما هنالك ، فان الخواطر كالسهام لاتزال تقع فى القلب كالقطر لاتزال تنزل عليه ليلا ونهارا لاتقطع ولا انت تقدر على منها فتمتنع ، وليس بمنزلة العين التى هى بين الجفنين حتى تغمض وتستريح ، واللسان الذى هو وراء الشفتين حتى تطبق وتضم .

والحاصل ان الخواطر لا يقدر احد على منها ولا على التحفظ عنها مع ان النفس مائلة اليها وهى محبوبة لديها (وسرعة الانقلاب) اى وسرعة تقلب القلب فى الطاعة والمعصية للرب ، وسعى بالقلب لتقلبه فى احواله ، وإذا كان عليه السلام يكثر فى دعائه « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » رواه الترمذى وحسنه من حديث انس والحالم من حديث جابر وقال صحيح على شرط مسلم . ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « اللهم صرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » وفى رواية قالوا تخاف يا رسول الله ؟ قال وما يؤمننى والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلب كيف يشاء » وللنسائى

فورد أنه «مثل العصفور ينقلب في كل ساعة» وفيه الانشراح والانفساح عند عدم

النقصان والحجاب

في الكبري وابن ماجه والحالم وصححه على شرط الشيخين من حديث النواصير بن سمان «ما من قلب الا بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه» (فورد) من حديث أبي عبيدة بن الجراح كما رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقي في الشعب (انه) اي القلب (مثل العصفور) وهو الطير الصغير المشهور بالنقلب الكثير (ينقلب في كل ساعة) اي الى جهة ، فكذا القلب تارة يميل الى طاعة وبقظة ، وآخري الى معصية وغفلة . ولاحد والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري من حديث المقداد بن الاسود «مثل القلب في قلبه فالحقد اذا استجمعت غيانا» وفي رواية لها «قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر في غيائها» والطبراني والبيهقي من حديث أبي موسى الاشعري باسناد حسن «مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا ابطن» (وفيه) عطف بالمعنى على قوله لنظره لانه في قوة قولنا ولما فيه اي في القلب ، ومحل من الصدر (الانشراح) اي الانبساط والنشاط الموجب للصلاح والفلاح (والانفساح) اي الاتساع والافتتاح (عند عدم النقصان) اي نقصان القلب بارتكاب المخالفة ، بل يكونان عند ثباته في اكتساب الموافقة . فللحاكم في مستدرکه من حديث ابن مسعود انه عليه السلام سئل عن قوله تعالى (افن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) ما هذا الشرح فقال : هو التوسعة . ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح ، والمعنى اتسع القلب لتجلي الرب وحفظ السر الذي شاهده في القلب ، ولذا قيل : صدور الاحرار قبور الاسرار . ونعم ما قال بعض الابرار

من اطلعه على سرفتم به لم يأمنوه على الاسرار ما عاشا

(والحجاب) عن رب الارباب ، وهو اشد العذاب والحجاب عن الاكتساب ، فهو بالجر عطف على النقصان ، أي عند عدم حجاب الملامي ونقاب المناهي . ويجوز رفعه على الانفساح أي وفي القلب حجاب المعاصي والشهوات المترافئة الواردة على وجه القلب المانعة له عن مشاهدة تجليات الرب ، فان ذلك يمنع من صفاء القلب وجلاله فيمنع ظهور الحق بقدر ظلامه في اثنائه ، وقد قال أبو سليمان الداراني : اذا اعتادت النفوس ترك

وَالْمُهْلِكَاتِ وَالْإِنْصِرَافِ إِلَى الْعِلْمِ وَهُوَ الْمُرَادُ بِالْأَمَانَةِ الَّتِي حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ

الآنم جالت في الملكوت ورجعت الى صاحبها بطريق الحكمة ، وبؤيده حديث «لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء» رواه أحمد من حديث أبي هريرة (والمهلكات) التي هي ضد المنجيات (والانصراف) أي عند الانصاف والاعتراف (الى العلم) أي علم الشريعة والطريقة ليعمل به ليصل الى مراتب الحقيقة ، أو المراد بالعلم هو التوحيد المقرون بوصف التفريد من معرفة ذات الحق وصفاته وقدرته في مصنوعاته والتوجه اليه وترك كل ما يشغل لديه ما يرد عليه . وإنما زاد الانصراف الى العلم التوحيدى لحصول الانشراح والانفساح ، ولم يكتف في ذلك بعدم النقصان والحجاب والمهلكات لان المطيع القاهر لشهواته الماهر في استقامة حاله من طاعته وعبادته وان كان قلبه صافيا عن طوائفه وغفلاته فانه لا يحصل له الانشراح والانفساح ، بل ينكشف له ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال ان كان تفكره فيها أو من مصالح المعيشة والاحوال ان كان تفكره فيها . وأما الانشراح والانفساح فلا يحصل الا اذا انصرف القلب الى العلم التوحيدى المتعاق بالذات والصفات بشرط عدم النقصان والحجاب والمهلكات (وهو) أي العلم المترتب عليه العمل (المراد بالامانة التي حملها الانسان) أي قلبها بقابليته لتحمل التكاليف الشرعية . من تصحيح العقائد الدينية الاصلية . وارتكاب الفرائض الفرعية . واجتناب الامور المنهية . وفي الأحياء : فيه اشارة الى ان للقلب خاصية تميز بها عن السموات والارضين والجبال . وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد : وقلب كل آدمي مستعد لحمل الامانة ومطبق لها في الاصل انتهى . ولا يخفى ان جميع الاجزاء من الارض والسماء له قابلية ذلك بل الواقع كذلك عند العارفين بما هانك كما حقق في قوله سبحانه : (وان من شيء الا يسبح بحمده) وغير ذلك من الآيات والاحاديث الثابتات ان الأشياء كلها لها معرفة بصانعها . وكذا أهل السموات والارض والجبال من النساء والرجال . فالأظهر أن يقال ان الملائكة مظاهر الجبال فلا تنأى منهم المعصية وما يقتضيه من العقوبة . والشياطين مظاهر الجلال فلا يتصور منهم الطاعة وما يترتب عليها من الرحمة ، فاراد الله سبحانه جمعا يكون لهم مرتبة الكمال بان يكون فيهم نصيب وحظ من الجلال والجلال وتقع فيهم قابلية للطاعة والرحمة والمعصية والعقوبة ، ولذا ورد له لولم تذنبوا لجاه الله

وَزِيَادَةُ الْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ

يقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ، وفي قوله تعالى (بنى عبادى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم) ايماء الى ذلك وفي قوله (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول) كذلك . ثم من أفراد هذا الانسان من يكون على الشان مع أنه خالق فيه داعية العصيان جاهد نفسه واطاع ربه وقام بحق الامانة في ميدان التيان ، ومنهم من ترك الطاعة وضيع الامانة بالحياة من غاية الطغيان ، فصار المؤمن الكامل من الانسان اعلى مرتبة من ملائكة الرحمن ، والكافر منهم اخفض منزلة من جنس الشيطان كما يشير اليه قوله تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) فعوذ بالله من دار البوار . وبما قررنا فيما حررنا انكشف وجه قوله سبحانه (انا عرضنا الامانة) اى حملها من غير الحياة (على السموات والارض والجبال) اى ذواتها وما فيها من سكانها ومتصرفاتها (فاين ان يحملنها واشفقن منها) لعدم استعدادهن لها ولكونهن ما خلقن لاجلها (وحملها الانسان) مع كونه ضعيف البنيان فكل ميسر لما خلق له (انه كان ظلوما) على نفسه بتحملة (جهولا) لعاقبة امره وتحمله . وهذا حكم عليه باعتبار اغلب افراده من لم يميز بين صلاح حاله وفساده في ما آله كما اشار اليه بقوله (ليعذب الله المنافقين) الآية (وزيادة اليقين) اى وفى القلب مزية الايقان فى امر الدين (والايمان) اى وفيه الايمان الذى سبب الامن والامان ، وباعث على الاسلام والاحسان فلهما درجات فيها مناقب ادناها التقليد فى اعوام المؤمنين وأوسطها الخروج عن التقليد بنوع من استدلال التوحيد كما للمتكلمين ، واعلاها ، المشاهدة والمكاشفة للمعارفين ، ومثاله كمن اخبر صادق بوجود دزيد فى الدار فصدقه من غير شهوده ، ثم سمع صوته فاستدل به على وجوده ، ثم رآه وشاهده ؛ فالمشاهدة نتيجة المجاهدة . ثم المشاهدة ايضا على مراتب ، كمن يشاهد السلطان جالس على سريره من وراء الحائط او حجاب ستره ، ثم من يشاهده من داخل داره . ثم من قريب فى مزاره ، ثم من هو جالس فى مجلسه ، ثم من هو جالس قريبا منه بحيث يلاحظ صفحة وجهه وجميع ما خفى عن غيره ، وقس على هذا تفاوت درجات المشاهدة فى الامور الالهية السبحانية والعلوم التوحيدية الربانية الصمدانية ، كما يشير اليه قوله تعالى : (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى) ثم اكثر العوام ايمانهم تقليد تبع لآبائهم

وَدَرَجَاتُ الْعِلْمِ وَالنُّورِ الْمَسْئُولُ فِي الدُّعَاءِ الْمَأْتُورِ وَالطَّبْعُ وَالرَّيْنُ عِنْدَ الْإِتِّصَافِ
بِالرِّذَائِلِ وَتَرَأَى كُمُ الظَّلَامِ وَالْإِحْتِجَابِ مِنْهُ تَعَالَى وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ هُوَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ
الْعَارِفُ الْعَالِمُ الْمُخَاطَبُ الْمُطَالَبُ

فانهم اذا بلغوا سن التمييز سمعوا وجود الله وعلمه وارادته وقدرته وبعثة الرسول وصدقه
فيما جاء به ، وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ، وهذا الايمان سبب النجاة في
الآخرة عند جمهور المتكلمين ، واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين ، وليسوا من المقرين
لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانسراح صدر نور اليقين . وقلوب اليهود والنصارى
ايضا مطمئنة بما سمعوا من آباءهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانه القى اليهم الخطأ ،
والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن لما القى اليهم كلمة الحق (وردجات
العلم) اى وفيه مراتب العلم من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، أو المراد بها علم
الشريعة التى هى متعلقة بالاعمال الظواهر ، وعلم الطريقة التى هى مطلوبة فى الاخلاق
السرائر ، وعلم الحقيقة التى هى المواهب بعد تحصيل المكاسب من شرائف المناقب
ولطائف المراتب (والنور) اى وفيه النور (المسؤل فى الدعاء المأثور) اللهم
اجعل فى قلبى نورا رواء مسلم وغيره (والطبع) اى وفيه الختم قال تعالى (ونطبع على
قلوبهم) و (ختم الله على قلوبهم) (والرين) اى وفيه السراى الذى يملو الفؤاد (عند
الاتصاف بالرذائل) والخالو عن الفضائل (وتراكم الظلام) اى وتكاثف الظلمات
الناتية عن الظلم وسائر السيئات (والاحتجاب منه تعالى) بعدم توفيق الحسنات وهو
مأخوذ من قوله تعالى (كلا بل ران) اى غلب وعلا (على قلوبهم ما كانوا يكسبون
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) اى عن رحمته أوروته ، وفى الحديث « ان المؤمن
اذا اذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها واذا
زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلکم الران الذى ذكر الله فى كتابه (كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون) أخرجه البغوى فى تفسيره باسناده (والتحقيق) عند أهل
التوفيق (انه) اى القلب (هو ذلك الانسان العارف) اى المدرك للجزئيات (العالم)
بالكليات (المخاطب) بالامر والنهى (المطالب) باكتساب المأمورات واجتناب
المنهيات ليترتب عليهما الثواب والعقاب فى دار الجزاء والحساب (فمن ثقلت موازينه
فأولئك هم المفلحون) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم

يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْقَلْبِ لِتَعْلُقِهِ بِهِ بِلَا وَسِطَةٍ وَبَسَائِرِ الْحَوَاسِّ بِوَسِطَتِهِ كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الْمُضَنَّةِ الْمُكَيَّفَةِ

خالدون) (يطلق عليه) أى على الانسان (اسم القلب) أى مجازاً (لتعلقه) أى الانسان (به) أى بالقلب (بلا واسطة) أى من غير واسطة شئ آخر (وبسائر الحواس) أى ولتعلقه بباقيها (بواسطته) أى القلب (كما يطلق) أى القلب (على المضغة المكيفة) وهى قطعة لحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص فى باطنه تجويف ؛ وفى ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الروح ومعده كذاتى الأحياء تبعاً للحكمة ، وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للبيت الهائم ، وأما قول سهل التستري : القلب هو العرش ، والصدر هو الكرسي فراده تشبيه القلب بالعرش والصدر بالكرسي ، وعن كعب الأحبار قال دخلت على عائشة فقلت : الانسان عيناه هاد ، واذناده تقع أى واه ، ولسانه ترجمان ، ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فإذا طاب الملك طاب جنوده ، فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول . وقال على رضى الله عنه فى تمثيل القلوب : ان الله تعالى فى أرضه آية وهى القلوب فأحبها إليه أرقها وأصفها وأصلبها ثم فسره فقال : أصلها فى الدين وأصفها فى اليقين وأرقها على الإخوان يعنى المرافقين ، وهو إشارة الى قوله تعالى (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقوله تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) قال أبى بن كعب مثل نور المؤمن وقلبه ، وقوله (أو كظلمات فى بحر لجى) مثل قلب المنافق الفاسق ، وقال زيد بن أسلم فى قوله تعالى : (فلوح محفوظ) هو قلب المؤمن وفى الحديث «إذا أراد الله بعبده خيراً جعل له وائظاً من قلبه» الدليل على حديث أم سلمة باسناد جيد ولاحمد والطبرانى فى الصغير من حديث أبى سعيد «القلوب أربعة : قلب أحرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب منكوس فذلك قلب الكافر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق ، وقلب مصنع فيه إيمان وتفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب ، ومثل التفاق فيه كمثل القرحة يمدّها التبيح والصديد ، فأى المادتين غلبت عليه حكم له بها» وفى رواية ذهبت به . وفى الحديث القدسي والكلام الانسى «لم يسعنى أرضى وسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوداع ، كذا فى الأحياء . وقال نخرجه لم أره أصلاً ، وتبعه بعض الحفاظ بأنه رواه عبد الله بن

احمد في الزهد عن وهب بن منبه بلفظ « ان الله فتح السموات لحز قيل حتى نظر الى العرش فقال حز قيل : سبحانك ما اعظم شأنك يارب . فقال الله : ان السموات والارض ضعفت عن ان يسعني ووسعني قلب عبدی المؤمن الوادع اللين ، انتهى ولا يخفى ان هذا من الآثار فلا ينافي ما نقاه المخرج من الاخبار . وفي الخبر « قيل من خير الناس فقال كل ، ومن محوم القلب ، فقيل وما محوم القلب ؟ فقال هو التقى التقى الذي لا غش فيه ولا بغى ولا غدر ولا حسد ، رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو باسناد صحيح وفي الاحياء عن عمر رضى الله عنه : رأى قلبى ربى اذا كان قد دفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والمملوك في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض اما جعلتها فأكبر سعة من السموات والارض ، لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة ، وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكثاف فهو متناه على الجملة ، واما عالم المملوك وهو الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار الخصوص بادراك البصائر فلانهاية له ، نعم الذى يلوح للقلب فيه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة الى علم الله تعالى لانهاية له . وجملة عالم الملك والمملوك اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله وعملته وعبيده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم ، وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ، ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته ، وبمقدار ما يتجلى له من الله تعالى وصفاته وأفعاله من مصنوعاته ؛ وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاه ، ومراده بتزكيته حصول نور الايمان فيه اعنى اشراق نور المعرفة ، وفي الاحياء ان القلب لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعاقب عجيب وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان ، وهي المدركة للعالم العارفة من الانسان ، وهو المخاطب والمطالب والمعائب والمعاقب ، ولها علاقة مع القلب الجسماني ، وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته . وان تعلقوا به يضاهى تعلق الاعراض بالاجسام والافصاف بالموصفات انتهى . ومن هنا قيل معنى قوله : من عرف نفسه فقد عرف ربه ، تمييز . وفيه تنبيه على ان ليس لاحد من الانسان ان يعرف حقيقة نفسه مع انه بها بالمال انسه هذا وفي اطلاق القلب على الانسان لم يظهر وجه في ميدان الثيان ، بل المغايرة بينهما ظاهرة عند الاعيان لقوله تعالى : (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) الآية ، فالصحيح ان القلب آلة لمعرفة الرب كما يشير

وَأَسْمُ النَّفْسِ فَقَسَمَهَا التَّنْزِيلُ إِلَى مُطْمَئِنَّةٍ

إليه قوله تعالى (ألم يسير وفى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) والفرق بين القلب والنفس والعقل أن القلب يفرق بين الحق والباطل ثم يتقلب فى قبول أحدهما ويتردد فى خاطرهما ، ويترب عليهما صلاح الجسد وفساده ، والنفس غالباً مائلة إلى الشهوات واللذات كما يشير إليه قوله سبحانه (وفيها ما تشهيه الأنفس) من المأكلات والمشروبات والمشمومات والمسموعات وسائر اللذذات ثم النفس المذمومة هى التى لا تفرق بين المباحات والمحظورات ، ومنه قوله سبحانه (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى) - (وأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى) والعقل الجزئى مشترك بين الحيوان والصلبيان وسائر الأنسان ، والعقل الكلى وهو المميز بين الخير والشر فى العاقبة دنيوياً وأخروياً ، وقيل بين خير الخيرين وشر الشرين ، فهذا عقل المطبوع وهو لا ينفع بدون عقل المشروع ، ولذا ترى الحكماء حججوا بمقولهم الناقصة وإن ادعوا كما لما عن متابعة الانبياء زعماء منهم أن الرسل أرسلوا للعامة وأنهم من الخاصة فصاروا أجهل من كل جاهل ، فإن المقلد قبل إيمانه وفاز بتقليده فى درجات جنانه ، والحكيم بقله تنزل فى درجات نيرانه (وأسم النفس) أى يطلق على الإنسان اسم النفس لقوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) فالنفس جسم كثيف ، والروح جسم لطيف له سريان شريف فى سائر الأعضاء ، لطيف لطافة سريان الهواء فى البدن ، وقوله (كل نفس ذائقة الموت) (وعلمت نفس ما قدمت وأخرت) (وعلمت نفس ما أحضرت) (والزبد فى اللبن ، والدهن فى الجوز واللوز ، وماء الورد فى الورد . والقلب داخل النفس وهو أطف وأضوء من النفس والسر نور رحمانى آلة للنفس فانها تعجز عن العمل بدونه ولا تفيد فائدة مالم يكن السر عنده والحاصل أن النفس هنا عبارة عن الهيكل الإنسانى المركب من الجسد الجسمانى والروح الربانى إذ المراد من نفس واحدة آدم عليه السلام (فقسمها) أى النفس (التنزيل) أى القرآن بعد إطلاقه النفس على آدم ونحوه وما يتعاق به من الأجزاء (إلى مطمئنة) حيث قال تعالى (بآياتها النفس المطمئنة) أى يذكر الله سبحانه وهى النفس المؤمنة ولذا قال (ارجعنى إلى ربك راضية مرضية) الآية وهو يحتمل أن يراد بها الهيكل المركب الإنسانى فالمراد بقوله (فادخلنى فى عبادى وادخلنى جنتى) أى مع عبادى الصالحين

وَلَوَامَةٌ. وَأَمَارَةٌ كَمَا تُطْلَقُ عَلَى مَا يَجْمَعُ الرِّذَائِلَ فَسَاءَهَا الشَّارِعُ أَعْدَى الْأَعْدَاءِ
وَأَسْمُ الرُّوحِ فُورَدٌ (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)

كقوله تعالى حكاية عن الانبياء والمرسلين (توفاهم سليمان) (والحقنا بالصالحين) وأدخلنا الجنة آمين ويشير اليه قوله سبحانه (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله لا يبدؤوا الا بذكر الله) (تطمئن القلوب) ويحتمل أن يراد بها الروح المجرد عن الجسد فالمراد بقوله (فادخل في عبادي) أي في اجسادهم وعلى كل تقدير أريد بالنفس الجنس (ولوامة) حيث قال (ولا أقسم بالنفس اللوامة) أي كثرة الملامة لنفسها لاسيما يوم القيامة إن كانت عملت خيرا قالت ملا زدت ، وإن عملت شرا قالت ليتني لم أفعل ، وهو قول الفراء ، فهي شاملة للنفس البرة والفاجرة . وقيل تلوم على الخير والشرو والنعم والضرب وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة . وقال الحسن : هي النفس المؤمنة ، فإن المؤمن والله ما يؤاها الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي ؟ ما اردت باكلتي ؟ وإن الفاجر يحضى عليه الدهر لا يحاسب نفسه ولا يمانتها . وقال مقاتل هي النفس الكافرة فإن الكافر يلوم نفسه في العقبي على ما فرط في أمر الله في الدنيا ، وهو يحتمل الاحتمالين السابقين (وامارة) حيث قال تعالى (إن النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي) أي الامدة رحمة ربي في ، أو الامن رحم ربي به ، ولا يخفى انه لا يصح اطلاق النفس بهذا الوصف على الانسان المعروف ، وفي بعض النسخ هنا زيادة ومهاممة - وهي نسخة مهملة اذ لم يعرف في آية متروكة (فإن تطلق) أي النفس (على ما يجمع الرذائل) من سوء السمائل (فسيألفها الشارع أعدى الأعداء) فما أخرجه البيهقي عن ابن عباس بسند ضعيف «لأعدى عدوك نفسك التي بين جنبتك» وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية ، فهم يريدون بالنفس الجامع للصفات المذمومة من الانسان ، فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكبرها (واسم الروح) أي يطلق عليه اسم الروح ايضا بانفراده ، وفيه البحث الذي تقدم والله اعلم ، فإن الارواح ضد الاشباح والانسان عبارة عن المزكب منهم لها استدلاله بقوله (فورده) في التنزيل (قل الروح من أمر ربي) ليس فيه دلالة على انه يطلق الروح ويراد به الانسان ، فإن كل موجود ذي كمية ومقدار فهو من عالم الخلق ، وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فهو من عالم الامر ، كذا قيل. والصواب ان كل ما خلق الله بالتدريج فهو من عالم الخلق ، وكل ما خلقه بمجرد الامر وهو بتعاقب الارادة ، او بلفظ ان على

كَأَيُّطْلُقُهُ الْأَطِبَاءُ عَلَى الْجِسْمِ الْمَكَيَّفِ، وَأَسْمُ الْعَقْلِ فَوْرَدٌ وَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ
وَقَالَ لَهُ أَقْبِلْ الْحَدِيثَ

اختلاف فيه فهو من عالم الامر لما قال تعالى (إذا قضى امرا فاما يقول له كن فيكون)
وقال عز وجل (انزبكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام) الى ان قال
(الاله الخالق والامر تبارك الله رب العالمين) (كما يطلقه) اي الروح (الاطباء) من
الحكماء (على الجسم المكيف) والصواب التوقف في سر الروح وامره اذ لم يتكلم فيه رسول
الله ﷺ على ما قاله ابن مسعود كما في الصحيحين ، ومالم يتكلم فيه فليس لغيره ان يتكلم
فيه ، وقد قال تعالى (وما او تيتم من العلم) اي به وبغيره (الا قليلا) لان علم جميع
الخلق بالاضافة الى علم الحق كقطرة من البحر . والمراد به العلم بانه ما بوجوده الحياة وبفقد
المات ، والا قرب في تعريفه ما قبل من انه جسم لطيف روحاني باق منبعه تجويف قلب
جسماني ، ويتشرب بواسطة العروق الضواري الى اجزاء البدن ، ثم جريانه في البدن
وفيضان انوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منه على اعضائه يضاهي فيضان
النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستتير به ،
فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان ، والروح مثاله السراج ، وسريان الروح
وحركاتها في الباطن مثاله مثال حركات السراج في جوانب البيت بتحريك محركه ، واما
قوله تعالى (فنفخت فيه من روحي) فالمراد به اضافة تشريف لان الروح من جملة
مخلوقاته ، وقد ثبت ان الارواح خلقت قبل الاجساد بالقي عام . واول الارواح روح
خاتم الانبياء ، وكذا قوله (وروح منه) اي من عنده او من امره ، وانما اطلق الروح
على جبريل الامين لتجرد روحه لان الملائكة كلهم ارواح متجردة ، ولتخصه به ول
القرآن المسمى بالروح فانه سبب احياء الروح كما قال تعالى (يلقي الروح من امره
على من يشاء من عباده) وقال (او من كان ميتا فاحييناه) وسمى جبريل ايضا بالروح
المقدس اي المنزه عن النقصان في تبليغ امر الحق الى رسل الانسان ، والله المستعان
(واسم العقل) اي ويطلق عليه اسم العقل وفيه النظر السابق ، وما ذكره من الاستدلال
فغير المطابق حيث قال (فورد اول ما خلق الله العقل وقال له اقبل الحديث) اي
فما قبل وقال اذبر فاذبر ثم قال الله عز وجل وعزني وجلالي ما خلقت خلقا اكرم على
منك بك آخذ وبك اعطى وبك اتيب وبك اعاقب ، الحديث كذا في الاحياء ، وقال

كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الصِّفَةِ الْمُكَيِّفَةِ

مخرجه رواه الطبراني في الكبير والاولسط من حديث ابى امامة وابونعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين انتهى . وقال ابن تيمية وتبعه الزركشى انه كذب موضوع باتفاق اهل العلم ، وتعقبه الحافظ السيوطى بمارواه عبد الله ابن الامام احمد في زوائد الزهد عن الحسن مرفوعا مرسلًا بسند جيد بله ظلمًا خافى الله العقل الخ . وفي الحديث دليل على ان العقل غير العلم ، فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ، ولانه لا يمكن الخطاب معه (كما يطلق) اى العقل (على الصفة المكيفة) اى الوصف الذى يتميز الانسان به عن سائر البهائم من جنس الحيوان ، وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية وتدير الصناعات الخفية المكرية ، وهو الذى أراده الحارث بن أسد المحاسبى حيث قال فى حد العقل : انه غريزة يتبناها درك العلوم النظرية ، وكأنه نور يقذف فى القلب ليستعد به لادراك الاشياء وهذا هو الصواب فى تعريفه ، ونظيره ان الحياة غريزة بها يتبنا الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية ، ثم العقل كالمرآة التى تفارق غيرها من الاجسام والاكوان فى حكاية الصور والالوان لصفة اختصت بها فى تلك الحالة وهى الصقالة وبها اتصفت بالآلة ، فمن ابن عباس مرفوعا لكل شىء آلة وعدة وان الله المزمع العقل « رواه ابن المحبر . وكذلك العين تفارق الجبهة فى هيئات وصفات بها استعدت للرؤية ، فنسبة هذه الغريزة التى هى العقل الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة فى سياقها الى انكشاف العلوم بها كنسبة نور الشمس الى البصر ، وعن على رضى الله عنه :

رأيت العقل عقليْن * فطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

فالاول هو المراد بقوله عليه السلام « ما خلق الله خلقا هو اكرم عليه من العقل » كما اخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية الحسن عن عدة من الصحابة والآخر هو المراد بقوله عليه السلام لعل « اذا اكتسب الناس من أنواع البر ليقربوا بها الى ربنا عز وجل فاكتسب أنت أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة » رواه أبو نعيم فى الحلية ، وهو المراد أيضا بقوله عليه السلام لآبى الدرداء « اذا ازددت عقلا زددت

من ربك قربا فقال بأبي أنت وأمي فكيف لي بذلك؟ فقال اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلا واعمل بالأصالحات من الأعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتلبيها من ربك القرب والعز، رواه الترمذي الحكيم وغيره وقال ابن المسيب «ان عمرو وأبي بن كعب وإياهم هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله من أعلم الناس؟ فقال العاقل : قالو من أعبد الناس؟ فقال العاقل قالوا فمن أفضل الناس؟ قال العاقل قالوا ليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلام : (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) ان للعاقل هو المتقى وان كان في الدنيا خديسا دنيا رواه ابن الجوزي، وله من حديث أنس من حديث ابن سلام سأل النبي عليه السلام في حديث طويل في آخره، وصف عظم العرش وان الملائكة قالت : يا ربنا هل خلقت خلقا أعظم من العرش؟ قال نعم العقل، قالوا وما بلغ من قدره؟ قال هيئات لا يحاط بعلمه، هل لكم علم بعيد الرمل؟ قالوا لا قال تعالى فاني خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حشيتة ومن الناس من أعطى حشيتين ومنهم من أعطى الثلاث ومنهم الأربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك، ورواه الترمذي الحكيم في نوادره مختصرا، ولهذا انقسم الناس الى بليد لا يفهم بالenfهم الا بعد تعب طويل في التعليم والى ذكي يفهم بالرمز والاشارة من غير حاجة الى العبارة والى كامل تتبععت من نفسه حقائق الأمور ودقائقها بدون التعليم (يكاد يتهاىضى، ولولم تمسه نار) وذلك مثل الانبياء عليهم السلام وبعض اتباعهم من الأولياء الكرام ويعبر عن الأول بالوحى وعن الثانى بالالهام وهذا وقد قال عليه السلام «يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه، واعلموا أنه مجدكم عند ربكم، واعلموا أن العاقل من أطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دنى المنزلة رث الهية، وان الجاهل من عصى الله وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهية نصوحا نظورا فالقردة والخنازير أعقل عند الله من عصاه ولا تعتزوا بتعظيم أهل الدنيا ياكم واياهم فانهم من الخاسرين، رواه داود بن المحبر أحد الضعفاء في كتاب العقل من حديث أبي هريرة وهو في مسند الحارث بن أبي أسامة عن داود . عن أنس قال أتى قوم على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال عليه السلام كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسلنا عن عقله فقال عليه السلام وان الاحق بصيب يحمقه أكثر من فجور الفاجر، وانما يرفع العباد غدا في الدرجات زاني

من ربه على قدر عقولهم» رواه ابن المحبر بنهماه والحكيم الترمذى مختصراً. وعن عمر مرفوعاً «ما ألتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه الى هدى أو يردده عن ردى. وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله» ابن المحبر، وعنه الحارث بن أبى أمامة عن أبى سعيد مرفوعاً «لكل شئ دعامة أى عماد ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته. أما سمعتم قول الفجار فى النار: (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير)» ابن المحبر وعنه الحارث. وقال عليه السلام «ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم له عقله، فعند ذلك تتم له إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس» ابن المحبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به. والحديث عند الترمذى مختصراً دون قوله ولا يتم من حديث عائشة وصححه «وعن عائشة قالت قلت يا رسول الله بآى شئ يفاضل الناس فى الدنيا؟ فقال بالعقل قلت ففى الآخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون بأعمالهم؟ فقال هل عملوا الا بقدر ما أعطاهم الله من العقل، فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم، وبقدر ما عملوا يجزون» ابن المحبر والحكيم الترمذى نحوه. وقال عليه السلام «انكم عقلاً اشدكم لله خوفاً واجمئكم فيما امر به ونهى عنه نظراً وان كان اقلكم تطوعاً» ابن المحبر من حديث أبى قتادة. وفى الاحياء: اما العلوم الدينية ففى المأخوذة من الانبياء عليهم السلام بطريق التقليد، وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله ورسالة رسوله وفهم معانيهما بعد سماع مبانيهما، وبه كمال صفة القلب فى معرفة الرب، وبه سلامته عن الاعراض والاعراض والادواء والامراض. فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وان كان محتاجاً اليها فى معرفة الرب. فالداعى الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفى بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور. فبالك ان تكون من احد الفريقين، وكن جامعاً بين الاصلين فالعلوم العقلية كالاغذية، والعلوم الشرعية كالادوية، والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فانه الدواء، وكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة المصطفوية. وهى وظائف العبادات والاعمال التى رتبها الانبياء عليهم السلام لاصلاح القلوب، فمن لا يدلوى قلبه المريض بمعالجة العبادات الشرعية والتقى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء. ثم قال: والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية، والدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والتنجيم وسائر الحرف والصناعات، والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والم باله وصفاته وافعاله، وهما علمان متنافيان، يعنى ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه تصدعت بصيرته عن الآخر

ثُمَّ الْخَوَاطِرُ آثَارُ تَحَدُّثٍ فِي الْقَلْبِ تَبَعَتْ عَلَى الْأَفْعَالِ وَالتَّرُوكِ فَانْفَعَتْ فِي الْآخِرَةِ
فَخَيْرٌ وَالْإِعَانَةُ عَلَيْهِ تَوْفِيقٌ وَإِنْ ضَرَّ فُشِّرَ وَالْإِعَانَةُ خُذْلَانٌ وَالْفَارِقُ الشَّرْعُ، ثُمَّ
الْفَارِقُ عَمَلُ الصُّلَحَاءِ فَلَا مُوَافَقَ خَيْرٍ وَالْمُخَالَفُ شَرٌّ وَلَوْ بِرُخْصَةٍ أَوْ شُبْهَةٍ ثُمَّ النَّفْسُ فَمَا
تَنَفَّرَتْ عَنْهُ نَفَرَةٌ طَبَعَ لَاخْشِيَةَ خَيْرٍ

ضرورة على الأكثر، ولذا ترى الإلحاح في علوم الدنيا جهالاً في أمور الآخرة، والاكياس
في دقائق علوم الآخرة جهالاً في أكثر علوم الدنيا، لأن قوة العقل لا تنفي بالأميرين
جميعاً في الغالب فيكون أحدهما مانعاً من الكمال في الثاني، ولذا قال عليه السلام: «ذا أثر أهل
الجنة البلبه» رواه الدارمي من حديث أنس . وقال الحسن: «أدركنا أقواماً لو رأيتهم
لقاتم مجانين ولو رأوكم لقالوا شياطين . وقال تعالى (يعلمون ظاهر من الحياة الدنيا وهم
عن الآخرة هم غافلون) فالدنيا والآخرة لا يجتمعان فهما ضرطان إذا أَرْضِيتْ إحداهما
أَسْخَطَتِ الأُخْرَى . ومن هنا قال عليه السلام « من أحب آخرته أضر بدنياء ومن
أحب دنياء أضر بآخرته فاتروا ما يبق على ما يقى » (ثم الخواطر آثار تحدث في
القلب) وهي التي تعرض فيه من الأذكار والأفكار (تبعث على الأفعال) أي تارة
(والتروك) أي وعليها تارة، فإن الخواطر هي المحركات للارادات، فبدأ بالأفعال
الخواطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والعزم يحرك النية، والنية تحرك الأعضاء،
والخواطر المحركة تنقسم إلى قسمين (فان نفع) أي الخاطر وما يخطر فيه أو الفعل
أو الترك (في الآخرة بخير) محض (والإعانة عليه توفيق) أي لطف وهداية
من الله سبحانه (وإن ضرر) ذلك في الآخرة (فشر والإعانة) أي عليه كما في
نسخة (خُذْلَان) أي ترك نصرة منه وإغواء، فالإعانة الثانية وقعت بطريق المشاطلة
(والفارق) بين الخير والشر (الشرع) ولا عبرة بالطبع (ثم الفارق عمل
الصلحاء) أي من العلماء (فالموافق خير والمخالف شر ولو) كان (برخصة أو شبهة)
لأنه لا ينفع في الآخرة إذا التقدير ولو كان ذلك الموافق برخصة والمخالف بشبهة، والرخصة
ما يستباح بعذر مع قيام دليل الحرمة كتناول المضطر مال الغير وترك الخائف على
نفسه الأمر بالمعروف، وحكمه أن الأخذ بالعزيمة أولى (ثم) الفارق (النفوس
فما تنفرت عنه نفرة طبع لاخشية) أي مخافة من مخالفة غير الله (خير) وقيل نفرة

وَمَامَأَتِ إِلَيْهِ مِيلَ طَیْحٍ لَارَجَاءَ شَرٍّ ثُمَّ مِنَ الْمَلِكِ إِلْهَامٌ وَلَيْسَ سِوَى الْخَيْرِ وَمِنَ الشَّيْطَانِ وَسْوَاسٌ وَهُوَ شَرٌّ وَقَدْ يَكُونُ خَيْرًا كَمَا يَدْعُوهُ إِلَى الْمَفْضُولِ بِالشَّغْلِ عَنِ الْفَاضِلِ وَالْجَرِّ إِلَى ذَنْبٍ لَا يَفِي خَيْرُهُ كَالْعَجَبِ فَوَرَدَ « إِنْ الْقَلْبُ مَفْتُونٌ بِمَلِكٍ أَوْ شَيْطَانٍ يَدْعُوَانِهِ »

الطبع كنفرة الشخص عن البزاق والمخاط ونحوهما، ونفرة الخشية كنفرته عن الحيوانات المؤذية، فإذا خطر له أن يطوى ميلا إلى ثلاثة أيام في الصوم ولكن يجد في نفسه نفرة وكرامة من هذا العمل فهذا الخاطر خير لأنه لا يهلك بجوع ثلاثة أيام غالبا (ومأملت إليه ميل طيح لارجاء) من الله سبحانه (شر) مثلا خطر الخاطر أن يخرج من البيت ويتفرج على المكان الفلاني ولا يخطر منه نية خير يرجو ثوابه مثل زيارة أخ في الله أو عيادة مريض بل خرج لمجرد الخاطر فهو شر لما ورد من حديث « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » (ثم) الخاطر الصادر (من الملك إلهام وليس) ذلك الخاطر (سوى الخير) لأنه مرشدا صاحبه هاتكا لم يرسل الا لذلك (ومن الشيطان وسواس وهو شر) محض غالبا (وقد يكون) الوسواس (خيلا) في الصورة وقصده منه شر (كما يدعوهُ إلى المفضول بالشغل) أي بسبب اشتغاله بالمفضول بمتعتها (عن الفاضل) كمن يلقى في قلبه خاطر العبادة من الفعل ليشغله عن العلم الذي هو أفضل منها مع الجهول (والجر) عطف على الشغل أي ودأ يدعوهُ إلى خير بسبب جره (إلى ذنب لا يفي خيره) أي لا يعدل نفعه بشره وضرره (كالعجب) أو غيره من طلب جاه ونحوه (فورد إن القلب مفتون) أي ممتحن (بملك أو شيطان يدعوهُ) أي إلى خير وشر، والحديث لم أجد له أصلا، فالملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير وإفاضة العلم، والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك، وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر، كما قال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) فنسب فعل الملك إلى نفسه تفضلا أو نظرا إلى الحقيقة من غير الوساطة، فان رؤية الأسباب نوع من الحجاب ومن هذا الباب قوله تعالى (ونقلب أقدارهم وأبصارهم) وقوله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) وورده القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن

وَمِنْهُ أِبْتَدَاءُ خَاطِرٍ مُطَاقٍ

ان شاء أن يقيمة أقامه وان شاء أن يويغه أزاعه، قال تعالى حكاية عن الراسخين في العلم حيث يقولون (ربنا لا تنزع قلوبنا بعد اذهبتنا) الآية وقال عليه السلام « في القاب لمعان ملة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وتعالى فليحمد الله، ومله من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستهذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا: الشيطان يعدم للفقر، الآية. رواه الترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد. وقال الحسن: إنما هما من يجوز لآفة القلب من الله سبحانه وهم من العدو، فرحم الله عبدا وقف عنده فإذ كان من الله أمضاء وما كان من عدوه جاهده ونهاه. ولتجاذب القاب بين هذين المصلطين ورد « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » أى بين صفتى الجمال والجلال، أو تمثيل بسرعة تقلب القلب وترده بالشئ المأخوذ بين الأصبعين المتحركين ولما كان قلب لا يخلو عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل الى غير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى النفسية لا جرم لا يخاف قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالسوسة، ولنا قال عليه السلام « ما منكم من أحد الا وله شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا الا أن الله اعطاني حليمة فأسلم فلا يأمرنى الا بالخير » رواه مسلم عن ابن مسعود.

ثم القلب للخالى عن الهوى لا يدخله للشيطان ولذا قال تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) وكل من اتبع هواه فهو عبد الهوى لا عبد الله قال تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) وقال جرير بن عبد الله: شكوت الى الملايين ويأيد ملاجد فى قلبى من الوسواس فقال: إنما مثل ذلك مثل البيت الذى يمويه للصوم فان كان فيه شئ عالجوه والامضوا وتركوه، ومن هنا قيل: الفيلس فى امان الله. وقاله عثمان ابن ابي العاص: يا رسول الله ان الشيطان حال بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال ذلك شيطان يقال له خزيبه فاذا أحسست به فتعوذ بالله منه وتفل حتى يسارك ثلاثا، قال: ففعلت ذلك فأذهب الله عني. رواه مسلم. ولابن ماجه والترمذي من حديث أبي بن كعب: ان للوسوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه. وبالطاهر أنه لا خلاص من الشيطان الا بالاتجاه الى الرحمن والتبوى من الحول والقوة للانسان، وظهور العجز فى ميدان البيان بذكر الله فانه هو المستعان، وذلك لا يقدر عليه الا المتقون كما يشير اليه قوله سبحانه (ان الذين اتقوا اذا منهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبهورون) (ومنه) أى من الاولاد من عبده تعالى (ابتداء خاطر مطلق).

وَهُوَ أَمَّا خَيْرٌ أَعْتَاءَ وَإِمَّا شَرٌّ ابْتِلَاءَ وَمِنَ النَّفْسِ هَوًى وَلَيْسَ الْهَوَى سِوَى الشَّرِّ
وَقِيلَ كَالْوَسْوَسةِ وَقِيلَ إِلَّا إِذَا كَانَتْ مُطْمَئِنَّةً فَلَيْسَ سِوَى الْخَيْرِ وَهَذَا هُوَ الْخَامِسُ
الْمُسَمَّى بِخَاطِرِ الْقَلْبِ

وانما قال ابتداء لان حدوث الخواطر جميعها في قلب العبد من الله حقيقة،
لكن اذا حدثت عقيب دعوة الملك تنسب اليه وتسمى الهاما ، واذا حدثت عقيب
دعوة الشيطان تنسب اليه وتسمى وسوسة ، واذا حدثت موافقا للطبع يقال له هوى
النفس وتنسب اليه ، واذا حدثت من الله في القلب ابتداء بلا واسطة الملك والشيطان
ولاموافقا لطبع الانسان يسمى عاطرا مطلقا غير مقيد بالواسطة والرابطة (وهو
اما خير اعتاء) اى غناية ورعاية لعبده (واما شر ابتلاء) اى امتحانا لعبده (ومن
النفس هوى) اى والوارد منها يسمى هوى وهو ضد هدى (وليس الهوى سوى
الشر) كما ان الهدى ليس سوى الخير (وقيل كالوسوسة) اى من الشيطان يدهو
الى الشر غالبا وقد يدعو الى الخير ليسير ليجره به الى الشر الكثير ، وذلك كما قال
احمد بن ارقم البلخي : نازعتنى نفسى بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى
يقول (ان النفس لامارة بالسوء) وهذه تأمرنى بالتغير لا يكون هذا ابداء ، ولكنها
استوحشت فارادت لقاء الناس لتتروح اليهم ، وتسامع الناس فيستقبلونها بالتعظيم
والتكريم ؛ فقلت لها : لا انزلك العمران ولا انزلك على ذى معرفة فاجابت ، فاسأت
الظن بها فقلت الله اصدق ، فقلت اقاتل العدو حاسرا اى بلا سلاح فتكونين اول
قتيل فاجابت ، فاسأت الظن بها ، فعدت أشياء مما ارادها فاجابت الى كل ذلك ، فقلت
يارب نهينى لها فانى متهمها ومصدق لك ، فكوشفت كأنها تقول : يا احمد تقتلنى كل
كل يوم يمنحك ايامى من شهواتى مرات وبمخالفتك لى كرات : وما يشعر بذلك احد ،
فان قاتلت فقتلت مرة واحدة نجوت منك ، وتسامع فيقال استشهد احمد ويكون لى
شرف وذكر ، فقدمت ولم اخرج الى الغزو فى ذلك العام . فانظر الى خداع النفس وغورها
ترأى الناس بعد الموت بعمل لم يكن بعد . ولقد صدق القائل :

توق نفسك لا تأمن غوائلها فالنفس شر من السبعين شيطانا

(وقيل الا اذا كانت) النفس (مطمئنة) بذكر الله (فليس) خاطرها
(سوى الخير وهذا هو الخامس) من الخواطر (المسمى بخاطر القلب)

فورد «إِسْتَفْتَ قَلْبَكَ أَمَّا الْفَرْقُ فِي الْخَيْرِ يَعْرِفُ الْخَاطِرُ بِكَوْنِهِ مُصَمِّمًا وَمُحَدِّثًا عَقِيبَ الطَّاعَةِ إِيثَابُهُ فُورَدٌ (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) وَطَارِيقُ الْأَصُولِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةُ فَلَا سَبِيلَ لغيره تَعَالَى إِلَيْهَا وَتَنْبِيهَا فُورَدٌ «اللَّهُمَّ نَهْنَأ عَنْ نَوْمَةِ الْغَافِلِينَ وَالْأَلْهَامُ بِكَوْنِهِ مُتَرَدِّدًا وَمُبْتَدِئًا وَطَارِيقُ الْفُرُوعِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَحُثًّا عَلَى الطَّاعَةِ فُورَدٌ (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) وَالْوَسْوَسَةُ

لقوله تعالى (الابذكر الله تطمئن القلوب) يعنى ولا تميل ايذا الى الذنوب والعيوب ﴿فورد استفت قلبك﴾ تمامه وان افتاك المفتون، فالخطاب للمتنقى فان قلبه لا يخطئ، ومن هنا قيل: حكى قلبى عن ربى ﴿اما الفرق﴾ بين الخواطر فى الخير والشر ﴿فى الخير يعرف الخاطر﴾ المطلق الذى يرد من الله ﴿بكونه مصمما﴾ اى ثابتا على حالة واحدة دائما ﴿ومحدثا﴾ اى وبكونه واقعا ﴿عقيب الطاعة اثابة﴾ اى جزاءواكراما ﴿فورد﴾ فى التنزيل ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ بالطاعة ﴿لنهديهم سبلنا﴾ الباقية الموصلة الى قربنا ووصلنا. فى الخبر «من عمل بما علم الله علم ما لا يعلم» وهو معنى قوله سبحانه (والذين اهتموا بازادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقوله (وامان اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) اى الطريقة السهلة الموصلة الى الحالة الاخرى فى الدنيا والعقبى ﴿وطاريا﴾ عطف على مصمما اى عارضا ﴿فى الاصول﴾ اى الاعتقادات ﴿والاعمال﴾ اى العبادات ﴿الباطنة فلا سبيل لغيره تعالى اليها﴾ فهو عليم بذات الصدور وخفايا الامور ﴿وتنبئها﴾ عطف على اثابة اى للتنبيه عن نوم الغفلة فى مقام الاثابة على فعل الطاعة، ولا يبعد ان يعطف على مصمما بذكر المصدر واردة الفاعل اى منها على الغفلات عن عمل الخيرات ﴿فورد﴾ فى الدعاء ﴿اللهم نهنا عن نومة الغافلين﴾ لم ارله اصلا ﴿والالهام﴾ الملكى يعرف ﴿بكونه﴾ اى الخاطر ﴿مترددا﴾ بين الفعل وتركه غير قوى فى حكمه، وقيل مترددا اى يحى مرة ويذهب اخرى ﴿ومبتدئا﴾ اى لا يحدثا بعد عمل عبادة ونحوه ﴿وطاريا﴾ اى عارضا ﴿فى الفروع﴾ العلمية والعملية ﴿والاعمال الظاهرة﴾ الاخروية وقيد الاعمال بالظاهرة لان الملك لا سبيل له الى معرفة باطن العبد فى قول اكثرهم ﴿وحثا على الطاعة﴾ فى الامور الدينية ﴿فورد﴾ فى التنزيل (لا يعصون الله ما امرهم ﴿ويفعلون﴾ اى الملائكة ﴿ما يؤمرن﴾ لانهم جبوا على الطاعة ﴿والوسوسة﴾ من

بَكُونَهَا مَعَ عَجَلَةٍ وَنَشَاطٍ دُونَ خَشْيَةٍ عَلَى أَتَمَامِهِ وَأَدَائِهِ عَلَى وَجْهِهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى
 آيَاهُ وَبَصِيرَةً أَنَّهُ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ وَفِي الشَّرِّ يَعْرِفُ الْخَاطِرُ بِكُونِهِ مُصَمِّمًا وَمُحَدِّثًا عَقِيبَ
 الذَّنْبِ عِقُوبَةً فَوَرَدَ (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) وَالْهَوَى بِكُونِهَا
 مُطَالِبَةً لِلشَّهْوَةِ فَوَرَدَ (مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ)

الخواطر تعرف (بكونها مع عجلة) لا مع أن لقوله تعالى (وإن الإنسان عجولاً) وفي الحديث
 «العجلة من الشيطان والآنفة من الله» رواه الترمذى وحسنه من حديث سهل بن سعد
 وقال عز وجل (ولا تمجّل بالقرآن من قبل أن يلقى بك وحيه) (ونشاط) أى فرح
 وانبساط وهو خفة تحصل للإنسان للأقدام على العمل من غير بصيرة وتصور مثوبة
 (دون خشية) أى من غير مخافة (على أتمامه) أى أتمام العمل انتهاء (وآدائه على وجهه)
 أى وجه العمل وحقه ابتداء (وقوله تعالى آياه) أى العمل وصاحبه أذلا عبرة لما سواه
 (وبصيرة) أى ودون بصيرة (أنه) أى ذلك العمل (خير) يرجى عليه الثواب (أو
 شر) يخاف عليه العقاب وقيل: المراد بالبصيرة بصر العاقبة بأن تبصرو وتحققو رتبة ما
 خير ورشد، ويجب لزومه مع قطع النظر عن قصد الثواب ، والله اعلم بالصواب .

والحاصل أنك إن وجدت نفسك فى ذلك الفعل الذى خطر بقلبك مع نشاط لا مع
 خشية ، ومع عجلة لا مع تأن ، ومع أمن لا مع خوف ، ومع عى عن العاقبة لا مع
 بصيرة فاعلم أنه من الشيطان . وإن وجدت نفسك مع ضد ذلك بأن تكون مع خشية
 لا مع نشاط ، ومع تأن لا مع عجلة ، ومع خوف لا مع أمن ، ومع بصيرة لا مع عى
 فاعلم أنه من الله تعالى أو من الملك . وهذا الفرق فى الخواطر فى الخير كله (وقى الشر
 يعرف الخاطر) المطلق الذى هو من الله سبحانه (بكونه مضمما) أى قويا (ومحدثا)
 واقعا (عقيب الذنب عقوبة) أى للعقوبة على المعصية (فورد) فى التنزيل (بل ران)
 أى غلب وعلا (على قلوبهم ما كانوا يكسبون) من السيئات الواقعة بعضها عقيب
 بعض عقوبة لهم حتى اسودت قلوبهم حيث تراكم ذنوبهم ، ومنه قوله تعالى (وأما
 من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) أى الطريقة العسرى الموصلة
 الى مثاها فى الدنيا والاخرى (والهوى) أى ويعرف خاطر هوى النفس (بكونها
 مطالبة للشهوة) أى للذة التى فيها الشهوة (فورد) فى التنزيل (ما تشتهى أنفسكم) حيث

وَمُصْرَّةٌ عَلَى مُعَيِّنٍ فَالْنَفْسُ لَا تَسْكُنُ دُونَ قَضَاءِ الشَّهْوَةِ وَالْوَسْوَسَةِ بِكُونِهَا مُبْتَدَأَةٌ
فِي الْأَكْثَرِ وَمُتَرَدِّدَةٌ فَالشَّيْطَانُ كَلْبٌ إِذَا طُرِدَ مِنْ جَانِبٍ دَخَلَ مِنْ آخَرٍ، وَبَاعِثَةٌ
عَلَى غَيْرِ مُعَيِّنٍ فَفَرَضَهُ نَفْسُ الْإِغْوَاءِ، وَمُسَوَّلَةٌ لِمَعْصِيَةِ فُورَدٍ (الشَّيْطَانُ سَوَّلَ
لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ)

نسب الاشتباه الى النفس التي هي منبع الهوى (ومصرعة على معين) اي وبكونها مصممة
على شهوة معينة على وجه معين وطريق معين لا عدول عنه بوجه اصلا وقطعا (فالنفس
لا تسكن دون قضاء الشهوة) اي من غير غرضها التي تريده كما قيل :
تريد النفس ان تلقى مناهها . ويأني الله الاما يريد

(والوسوسة) تعرف (بكونها مبتدأة) اي ليست دقب طاعة ولا معصية
(في الاكثر) اي اكثر الاحوال او اكثر الوسوس (ومتردة) فتارة تدعو
الى المعصية واخرى الى اخرى ففى غير مصممة على حالة واحدة (فالشيطان
طلب) او ذنب (اذا طرد من جانب دخل من آخر) اي جانب آخر لما يشير اليه قوله تعالى
(فبما آفوتنى لا أقعدن لهم صراطك المستقيم ثم آتيتهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم) والمراد طرق المعاصى جميعها ، فمن ابن مسعود ، خط
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمين
الخط وشماله وقال هذه سبل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا : وان
هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيلى ، (وباعثة) اي
وبكونها محرصة (على غير معين) من انواع المعاصى (ففرضه نفس الاغواء) من
اي جهة كان من الاعمال والاحوال (ومسولة) اي وبكونها مزينة ومسهلة (للمعصية)
من المعاصى غير متعين (فوردد) فى التنزيل (الشيطان سول لهم) اي زين لهم
سوء اعمالهم (واملى لهم) اي امهلم ببطء آجالهم ، او القى فى قلوبهم ما يندمون عليه فى
ما آلمهم . قال الحسن : بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد المعاصى فقطعوا ظهري
بالاستغفار ، فسولت لهم ذنوبيا لا يستغفرون الله عز وجل منها وهى الاوهاء ، وقد
صدق المعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصى فكيف يستغفرون

وَمَنْدَفَعَةً بِذِكْرِهِ تَعَالَى فَوَرَدَ فِيهِ «إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ وَإِذَا غَفَلَ وَسَّوَسَ

منها ؟ ومن عظيم حيل الشيطان انه يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب الاصولية والفروعية والخصومات الدنيوية . وقال عبد الله بن مسعود :
 قد قروم يذكرون الله عز وجل ، فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيفرق بينهم
 لم يستطع ، فأتى رفقه اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم ، فقاموا يقتتلون وليس
 اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله واشتغلوا بهم يفصلون بينهم ، ففرقوا عن مجلسهم
 ذلك مراد الشيطان منهم (ومندفعه) اى وبكونها مندفعه (بذكره تعالى) ولو يذكر
 خفي (فورد) في الحديث (فيه) اى في حق الشيطان (اذا ذكر) العبد (الله خنس) .
 اى تأخر الشيطان (واذا غفل وسوس) قال مجاهد في معنى في قوله تعالى (من شئ
 الوسواس الخناس) قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل
 انبسط على قلبه ، فالتطارد بين ذكر الله وسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام
 وبين الليل والنهار . ولتطاردهما قال تعالى (استحوذ عليهم الشيطان فانسبهم ذكر الله)
 وعن انس قال عليه السلام « ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا
 ذكر الله خنس وان نسي الله التمس قلبه ، ابن ابى الدنيا وابو يعلى وابن عدى . هذا وكذا
 ان الشهوات ممتزجة بلحم الآدمي ودمه فساطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه .
 ولذا قال عليه السلام « ان الشيطان ليحرق من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه
 بالجوع » وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ويجرى الشيطان الشهوة المائعة عن
 الطاعات ، وفيه تنبيه على انه لا يتخاص احد من الشيطان مادام حيا ، نعم له سبيل الى
 دفعه وتضييف قوته ، كما قال عليه السلام « ان المؤمن بنضى شيطانه كما بنضى احمدم
 بعيره في السفر » اى يزهله ويضعفه ، رواه احمد بن حنبل في حديث ابي هريرة . وقال ابن مسعود :
 شيطان المؤمن مهزول ، وقال قيس : قال لي شيطانى دغلت فيك وانا مثل الجزور وانا
 الآن مثل المصفور ، فقلت ولم ذلك ؟ قال تذيبنى بكتاب الله عز وجل . وقال ابو هريرة .
 التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر ، فاذا شيطان الكافر سمى دمين كاس ، واذا
 شيطان المؤمن مهزول اشعث اغبر عار ، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك ؟ فقال
 انا مع رجل اذا اكل سمي الله فاضل جائعا ، واذا شرب سمي الله فاضل عطشانا ، واذا ادهن
 سمي الله فاضل اشعث ، واذا لبس سمي الله فاضل عربانا ، فقال شيطان الكافر لكنى مع رجل

وَقِيلَ يَتَعَذَّرُ الْفَيْزُ الْبُورُ التَّقْوَى وَالْمَعْرِفَةَ

لا يفعل شيئا مما ذكرت ، فانا اشاركه في طعامه وشرابه ودهنه ولباسه . وفي النسائي من حديث سيرة باسناد صحيح « ان الشيطان قعد لابن آدم في طريقه ، فعد له في طريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه واسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماك فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له اتجاهد وهو جهاد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتكبح نسائك ويقسم مالك فعصاه وجاهد ، فقال عليه السلام : فمن فعل ذلك ومات كان حقا على الله ان يدخله الجنة ، واذا عرف هذا فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالبحث عن أصله ونسله ومحلّه ، فقد قال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير) وقال عز وعلا (الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) (وقيل يتعذر التمييز) بين الخواطر بشئ من الاشياء (الابنور والتقوى والمعرفة) بصفات المولى كما قال تعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا) أى رجعوا الى نور العلم (فاذا هم بصرون) أى انكشف لهم الاشكال وانحل لهم العقال وتبين لهم غامض الاحوال وأمان لم يمرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى اذعان الهوى لتليسه بمتابعة الهدى ويكثر فيه غاظه ويعجل هلاكه وهو لا يشعر به ، وفي مثلهم قال تعالى (وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) قبل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات : وفي الاحياء فينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا أنه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة ، وإلى ما يعلم أنه داع الى الخير فلا شك في كونه الهاما ، وإلى ما يتردد فيه ولا يدري انه من لمة الملك او من لمة الشيطان . فان من مكائد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والقيز في ذلك غامض ، واكثر العباد به يهلكون ، فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى صريح الشر فيصور الشر لهم بصورة الخير . ولذا روى : ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال له قل لاله الا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك . وعن النبي صلى الله عليه وسلم « كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فغتها وألقى في قلوب امائها ان دواما عند الراهب ، فأتى بها الى الراهب فأتى ان يقبها ، فلم يز الوابه حتى قبلها فكانت عنده ليعالجهاء ، فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها ، فلم يزل به حتى وقع عليها فخلت منه ، فوسوس اليه وقال : الآن تفتضح

وَاخْتَلَفَ فِي الْأَخْذِ بِالْخَوَاطِرِ وَالتَّحْقِيقِ

ياتيك أهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت ، فقتلها ودفنها ، فاتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم والقي في قلوبهم انه احبها ثم قتلها ودفنها ، فاتاه أهلها فسألوه فقال ماتت ، فالتقى اليهم الشيطان انها مدفونة عنده ففتشوا عليها فوجدوها مقتولة فاخذوه ، فاتاه الشيطان فقال انا الذى اخذتها وانا الذى القيت في قلوب أهلها فاطعننى اخلصك منهم ، قال بما ذا قال اسجدلى سجدتين فسجد له سجدتين ، فقال له الشيطان انى برى منك ، فهو الذى قال الله تعالى : كُتِلَ الشَّيْطَانُ اِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفِرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ اِنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ ۝ الآيۃ والحديث رواه ابن ابى الدنيا في مكاتد الشيطان ، وابن مردويه في تفسيره من حديث عبيد بن رفاعه مرسل ، وللحاجم نحوه . ووقفا على بن ابى طالب وقال صحيح الاسناد ، ووصله مطين في مسنده من حديث على ، وذكره البغوى في تفسيره عن ابن عباس ، وذكر ان الراهب اسمه برصيصا ، وتعل بعد قتلها بان جنيتها اخذها وراح بها ولم يقدر على دفعه عنها القصة بطولها ، فانظر الآن الى حيل الشيطان واضطرارة الراهب الى هذه الكبائر ، وكل ذلك لطاعته في قبول الجارية للمعالجة . وهو امرهين في المخالطة وربما يظن صاحبه انه خير وحسنه وملاطفة في المرافقة وحسن عشرة في المخالفة ، فيحسن ذلك في قلبه ، ويخفى الهوى في نفسه ، فيقدم اليه كالراغب في الخير لديه فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره هنالك ، ويجر البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا للخلاص عن الامر المذكور فتعوز بالله من تضییع اوائل الامور ، واليه الاشارة بقوله عليه السلام « من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه » متفق عليه من حديث النعمان ابن بشير (واختلف في الاخذ) أى في المؤاخذه (بالخواطر) فبعضهم قال بعدم الاخذ مطلقا ، وأستدل بقوله عليه السلام « يقول الله تعالى إذا هم عبدى بسية فلا تكتبوها » وبعضهم بالاخذ مطلقا وأستدل بقوله تعالى (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) (والتحقيق) التفصيل فان اول ما يرد على القلب الخاطر ، كما لو خطرت له مثلا صورة امرأة واسما وراء ظهره في الطريق بحيث لو التفت اليها ليرأها ويسمى حديث النفس ، والثاني هيجان النفس في الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التى في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ويسمى ميل الطبع ، والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا لم تبعث الهمة والنية ما لم تدفع الصوارف ، فانه قد يمنعه خياء أو خوف

عَدَمَهُ فِيمَا لَا اخْتِيَارَ لَهُ كَحَدِيثِ النَّفْسِ وَمِيلِ الطَّبْعِ لَا مَتَاعَ التَّكْلِيفِ فِيهِ وَوَرَدَ
عَنْيَ عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ نَفْسُنَا . وَأَمَّا هُوَ فِي الْعَزْمِ وَالْهَمِّ فَوَرَدَ (وَأَنْ تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
أَوْ تَخَفُوهُ بِحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ)

من الله تعالى عن الالتفات ، وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال
من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخواطر والميل ، والرابع تصميم العزم وجزم
النية ، وقيل الارادة ميل الباطن نحو المطلوب والقصد قراره في القلب على نهج
المرغوب والعزم بحيث لا يمكن زواله والجزم بحيث يوجب العمل في ما لا فاذا عرفت
هذا فالتحقيق عند أهل التدقيق وأرباب التوفيق (عدمه) أى عدم الأخذ بمعنى
المؤاخظة (فيما لا اختيار له كحديث النفس) عما يخطر ببالها ويذهب بسرعة زوالها
(وميل الطبع) أى الجبلى الذى لا اختيار لصاحبه فى الميل اليه ، وأنت عرفت أن
حديث النفس وميل الطبع متغايران . وقيل عطف تفسيرى وهو خاطر فعل الذى
ما انجر الى العزم والهم (لا متاع التكليف فيه) أى فيما لا اختيار فيه فانه تكليف
مالا يطاق وقد قال تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) (وورد) فى الحديث (عنى
عما حدثت به نفوسنا) وهو معنى حديث الصحاح الست عن أنى هريرة «ان الله تجاوز
لامتى عما حدثت به انفسها ما لم يتكلم به او يعمل به» وعن أنى هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «يقول الله اذا هم عبدي بسئته فلا تكتبوها عليه فان عملها فكتبوا
عليه سيئة فان تركها من أجلى فكتبوها حسنة ، واذا هم بحسنة ولم يعملها فكتبوها
حسنة فان عمل فكتبوها عشرة» رواه الشيخان (واما هو) أى الاخذ والمؤاخظة (فى
العزم) أى حكم القلب بان هذا ينبغي أن يفعل (والهم) أى المصمم فهو عطف
تفسيرى وهو قصد الفعل بعد الخطور ولكن ما انضى الى مباشرة الفعل لما نفع من الشرع
او العقل أرغبرهما ، فانه قد يكون الفاسق محروما وفسقه مجزوما ، او الثانى اخص
من الاول فتأمل (فورد) فى التنزيل (وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه بحاسبكم به
الله) أى ان تظهروا ما فيها من العزم والهم على المصيبة او تخفوه بحاسبكم به كما قال :
(فبغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) ولما نزلت الآية جاء ما من من الصحابة إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا لطفنا ما لانطق ، أن احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يشهد

أَنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ الْآيَةَ . أَمَّا يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ، وَوَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَى الْأَخْذِ
بِالْكِبَرِ وَالْعُجْبِ وَالرِّيَاءِ إِلَّا أَنْ يَمْتَنِعَ بَعْدَ الْعَزْمِ لَهُ تَعَالَى فَيَمْحُوهُ لِرُجْحَانِ
تَأْثِيرِ الْإِمْتِنَاعِ فِي تَنْوِيرِ الْبَاطِنِ لِأَنَّهُ يُخَالِفُ الطَّبْعَ عَلَى تَأْثِيرِ الْقَصْدِ فِي تَسْوِيدِهِ
لأنه يوافقه

في قلبه ثم يحاسب بذلك ، فقال عليه السلام « لعليكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل
سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا » فانزل الله الفرج بقوله (لا يكلف الله نفسا الا
وسعها) رواه مسلم من حديث أبي هريرة . وابن عباس . فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت
الوسع من اعمال القلوب لا يؤاخذ به ، قال تعالى (ان السمع والبصر الآيات) اي (والفؤاد
كل اولئك كان عنه مستولا) وقال تعالى (ولا تكتبوا الشهادة ومن يكتسبها فانه آثم
قلبه) وقال (لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم)
(انما يحشر الناس على نياتهم) رواه ابن ماجه من حديث جابر دون قوله انما ، وله من
حديث أبي هريرة « انما يبعث الناس على نياتهم » ، وامسادهما حسن وفي الاحياء ونحن
نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني فأت تلك الليلة مات مصرا
ويبعث على نيته . والدليل القاطع فيه حديث « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل
والمقتول في النار . قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال لانه اراد قتل
صاحبه » رواه الشيخان (ووقع الاجماع على الاخذ) اي المؤاخذة (بالكبر والعجب
والرياء) وخص الثلاثة بالذكر لكونها من اعمال الباطن ولمناسبتها بالخواطر (الا ان يمتنع)
عن العمل السوء (بعد العزم) أي القصد والجزم على الفعل (له) أي يكون امتناعه
لاجله (تعالى) رجاء أو خوفا (فيمحوه) أي فيمحو الله سبحانه الاخذ بها والمعقوبة
عليها (لرجحان تأثير الامتناع) عن العمل لاجله تعالى (في تنوير الباطن لانه) أي
الامتناع (يخالف الطبع) ويوافق الشرع فيترجح (على تأثير القصد) أي قصد المعصية
والعزم عليها فيكون مؤثرا (في تسويده) أي تسويد الباطن وتغييره (لانه يوافقه)
أي لان قصد المعصية يوافق الطبع ولا يلائم الشرع •

وحاصله الامتناع من حيث انه يخالف الطبع يحتاج الى جد شديد وسعى أكيد
وما كان جده أشد وسعيه أعم كان تأثيره أكمل وأتم ثبت بهذا ان تأثير الامتناع
في تنوير الباطن أشد من تأثير قصد المعصية في تسويد الباطن لانه لا يحتاج الى سعي

وَوَرَدَ فِيهِ «إِنْ تَرَ كِهَافًا كُتِبُوا حَسَنَةً» ثُمَّ الْوَاجِبُ الْإِحْتِرَازُ عَنِ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهُ
عَدُوٌّ كَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ وَلِأَنَّ الْعَابِدَ يُغَايِظُهُ فَتَشْتَدُّ مَعَادَاتُهُ إِيَّاهُ

بليغ، ولما كان جده واجتهاده أقل كانت التأثير أنقص فتأمل، وفي الخبر «أفضل الطاعات أحمرها» أي أشقها وأصعبها (وورد) في الخبر (فيه) أي في الامتناع (ان تركها) أي العبد السيئة (فاكتبوها حسنة) وقد تقدم، ولابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان هكذا مرسلًا قال ثابت: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو، فانطلقوا ثم جاؤ فقالوا ما ندري، قال إبليس أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء فقال بعث محمد صلى الله عليه وسلم، قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي عليه السلام فيصرفون خائبين فيقولون ما حببنا قوماً قط مثل هؤلاء ليس لنا نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فينمحي أثر ذلك فقال إبليس رويداً بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فهناك تصيرون حاجتكم منهم، وبما يدل على أن حديث النفس لا يؤخذ به ما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال «يا رسول الله أن نفسي تحدثني أن اطلق خولة قال مهلا إن من سنتي النكاح، قال نفسي تحدثني أن أجب نفسي، قال مهلا خصاء أمتي ذروب الصيام، قال نفسي تحدثني أن أترهب، قال مهلا رهبانة أمتي الجهاد والحج، قال نفسي تحدثني أن أترك اللحم، قال مهلا فاني أحبه ولو أصبته لاكلته ولو سألت الله لأطعمني، رواه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول عن سعيد بن المسيب مرسلًا (ثم الواجب الاحتراز) أي الاحتراز (عن الشيطان) وما فيه من الوسواس (لأنه عدو كما نطق به القرآن) حيث قال (إن الشيطان لكم عدو مبين) وقال (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً) الآية (ولأن العابد) العالم (يغايظه) أي يغالبه في غيظه لاجل كونه في سبيل الله (فتشتد معاداته) أي الشيطان (إياه) أي ذلك العابد، ولذا ورد «لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد» ثم من عداوته للأنام أمره بالآثام ووعد الإمان من عذاب الله وعدم حسابه واليأس من ثوابه من غير شبهة فضلاً عن حجة، ويخوفهم بالفقر في إعطاء الزكاة ويحشهم على الاتفاق في المحرمات، ويخيل لهم حصر اللذات في الشهوات واللذات، ويدعوهم إلى الزنا من غير غايه كمال إلى زنا من ليس لها ذلك في الأحوال، ويأمر الأمراء بالظلم في أموال الأغنياء وأوقاف الأيتام والفقراء مع

وَالطَّرِيقُ الْاِسْتِعَاذَةُ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِهَا «وَلَاَنَّ الْكَلْبَ أَنْ حَارِبْتَهُ تَعِبْتَ وَرَبَّمَا غُلِبْتَ فَالْجُوعُ إِلَى رَبِّهِ أَوَّلَى» وَالْمُجَاهِدَةُ بِالرَّدِّ

وفورها لهم ، ويقتل النفس بآدنى خيال مع تمكنهم من الدفع في الحال والاستقبال، وله ابواب فيها اطناب (والطريق) أى طريق الاحتراز خمسة (الاستعاذة) منه به تعالى (لانه) أى العبد والاستعاذة (مأور بها) في قوله تعالى (واما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) الآية وسائر الآيات والاخبار الواردة. وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم انك سلطت علينا عدوا من غير انفسنا بصيرا بعبوبنا مطلعا على عوراتنا يرانا هو وقييله من حيث لانراهم، اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك ، وقطعه منا كما قطعتك من عفوك ، وابعد بيننا وبينه كما ابعدت بينه وبين جنتك انك على كل شىء قدير، وعن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال : كان شيطان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلى فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب ، فاتاه جبريل عليه السلام فقال : قل : اعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرا وبرأ فى الارض ومن شر ما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن قن الليل والنهار، وطوارق الليل والنهار الاطارقا يطرق بخير يارحمنا ، فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه ، رواه ابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان هكذا مرسلا ، ولما لك فى الموطأ نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلا ووصله ابن عبد البر فى التهيد من رواية يحيى عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامى عن ابن مسعود ، ورواه احمد والزار من حديث عبد الرحمن ابن حبيش (ولأن الكلب ان حاربته تعبت وربما غلبت فالرجوع الى ربه أولى) فى الخلاص عن البلوى . ومثل الشيطان بالكلب الجائع يقرب منك ، فاذا لم يكن بين يديك لحم أو خبز فانه ينزجر بان تقول له اخسا فجرد الصوت بدفعه ، وان كان بين يديك شىء من ذلك وهو جائع فانه يهجم عليك ولا يندفع بمجرد الكلام. فالقلب الخالى عن قوت الشيطان يتدفع عنه بمجرد الذكر ؛ فأما الشهوة اذا غلبت على القلب رفعت حقيقة الذكر الى حواشى القلب فلم يتمكن الذكر من سويده فاستقر الشيطان فى سويده القلب . ومثل بعضهم الشيطان بالكلب التركى فانه لا يخاص لاحد منه لا بالسيف ولا بالفرار ولا باعطاء اللحم وغيره وانما ينجيه منه همهمة صاحبه من داخل خيمته فيفتر غضب كلبه ونهمته (والمجاهدة) مع الشيطان (بالرد) أى يزد الوسوسة

وَقَلْعُ الْمُهْلَكَاتِ فَهُوَ انَّمَا سُلِّطَ لِلْامْتِحَانِ وَادَامَةُ ذِكْرِهِ تَعَالَى لِسَانًا وَقَلْبًا لَمَّا سَبَقَ

ودفعها في الحالة الآتية (وقلع المهلكات) أي وأزالها من أصلها، وهي الحسد والحرص والغضب والشهوة وحب التزين في اثياب والاثاث والدار والشمع من الطعام ولو لم يكن من الحرام، والطمع في الانام واخذ كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة من الدراهم والدنانير وسائر اصناف الاوال، وخوف الفقر والبخل والتعصب للمذاهب والترصد للمناصب والتفكر في ذات الله وسوء الظن بالمسلمين، ونحو ذلك من الحالات المكسدة والمقامات الفاسدة (فهو) أي الشيطان (انما ساط) على الانسان (للامتحان) في ميدان الطاعة والعصيان لحيث يذكر المرء أوبهان (وادامة ذكره تعالى لسانا) خفية اوجهر (وقلبا) فهو أفضل وأكثر تأثيراً والجمع بينهما اكل (لما سبق) من أن العبد اذا ذكر الله خنس الشيطان وتأخر. وفي الخبر «مسا لك عمر لجا» أي طريقاً - الاسالك الشيطان في غير لجا، رواه الشيخان من حديث سعد بن أبي وقاص . قال في الاحياء: وهذا لان قلبه هذا كان مظهر أعين مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات، فمهما طمعت في أن يندفع الشيطان عك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالاً، كن طمع في أن يشرب الدواء قبل الاحتياج والمعدة مشغولة بغليظ الاطعمة، ويطمع في أن ينفعه الدواء كما نفع الذي يشربه بعد الاحتياج وتخلية المعدة . فالذكر دواء والتقوى احتياج، فاذا نزل الذكر قلباً فارغاً عن غير الذكر اندفع الشيطان عنه كما تندفع العلة بزول الدواء في معدة خالية عن الاطعمة، فان قلت الحديث قد ورد مطلقاً بان الذكر يطرد الشيطان، قلنا ان صومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين . فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعينة وتأمل ان منتهى ذكرك وعبادتك وصلاتك لله، فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين، وكيف يمر بك في أودية الدنيا وممالكها حتى انك لاتذكر مانسيته من فضول الدنيا الا في صلاتك فلا تزدهم الشياطين على قلبك الا اذا صليت، والصلاة يحك القلوب فيها مساويها ومحاسنها . فالصلاة لاتقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لاتطرد عنك الشيطان، بل ربما يزيد عليك الوسواس في ذلك الزمان كما أن الدواء قبل الاحتياج ربما يزيد عليك الضرر في الداء، فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتياج بالتقوى ثم ارفده بدواء الذكر كما يشير اليه قوله تعالى: (ان الذين اتقوا اذا مسهم

وَالِاسْتِخْفَافِ بِدَعْوَتِهِ فَالْكَلْبُ اِنْ اَعْرَضَتْ عَنْهُ سَكَتَ وَ اِنْ اشْتَغَلَتْ مَعَهُ اتَّبَعَكَ
وَمَعْرِفَةُ مَكَائِدِهِ فَالْلَّصُّ اِنْ عَلِمَ اَحْسَاسَ صَاحِبِ الدَّارِ فَرَّ وَهِيَ تَلَمُّعٌ عَنِ الْعَمَلِ
وَالْتَسْوِيفِ وَالْعَجَلَةِ وَالرَّيَاءِ وَالْعُجْبِ وَرَجَاءُ الْاِظْهَارِ مِنْهُ تَعَالَى وَعَدَمُ الْحَاجَةِ
اِلَى الْعَمَلِ بِنَاءً عَلَى قِسْمَةِ الْاَزَلِ فِي السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ وَالرَّدِّ بِالْحَاجَةِ لِلزُّوْدِ
وَهُجُومِ الْاَجَلِ وَرُجْحَانِ

طائفة من الشيطان تذكرها فاذا هم مبصرون) فالشرط في الذكر تقدم التقوى
او كمال الحضور في ذكر المولى، ومن هنا ورد من صلى ركعتين لم يحدث فيها بشيء
من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه » وقد قال وهب بن منبه : اتق الله ولا تسب الشيطان
في العلانية وانت صديقه في السر أى مطيع له في الباطن . وقال بعضهم : يا عجبا لمن
يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع الدين بعد معرفته بطفائه . وعن بعض
الحكماء الشيطان باقى ابن آدم من قبل المعاصى ، فان امتنع اتاه من قبل النصيحة
حتى يلقيه في البدعة ، فان أبى أمره بالتخرج والشدّة حتى يحرم ما ليس بحرام ، فان
أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجّه من الدّم ، فان أبى خفف عليه أعمال البر
حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيبدل قلبه اليهم ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد
لجأه فانه آخر درجته ويعلم أنه لو جاوزها هلك منه الى الجنة) (والاستخفاف بدعوته)
أى الاستهتار وادم الاعتبار بدعوة الشيطان) (فالكلب ان أعرضت عنه سكت)
ذلك) (وان اشتغلت معه) بالدفع) (اتبعك) بالعواء) (ومعرفة مكائده) الآتى بيانها
(فاللص ان علم احساس صاحب الدار فر) أى شرد واضطر الى الفرار ولم يتمكن
من القرار) (وهى) أى المكائيد السبعة) (تلمع عن العمل) من أصله) (والتسويق) أى
التأخير عن عمله) (والعجلة) فى فعله) (والرياء) فى قصده) (والعجب) بعد فراغه
(ورجاء الاظهار منه تعالى) للخفاق بعدم الاكتفاء بنظر الحق وهو من الرياء الخفى
(وعدم الحاجة الى العمل بناء على قسمة الازل فى السعادة والشقاوة) وهذا لف
فى العبارة ونشر بالاشارة فى قوله) (والرد) أى رد المكائد المذكورة) (بالحاجة)
الى العمل) (للزود) أى لزاد المعاد فى يوم التاد ، فقد قال تعالى) (وتزودوا فان
خير الزاد التقوى) (وهجوم الاجل) أى مجئه بغتة قبل حصول العمل) (ورجحان

الْقَلِيلِ النَّامُ عَلَى الْكَثِيرِ النَّاقِصِ وَكَفَايَةُ رُؤْيَيْهِ تَعَالَى وَالتَّقْوِيضُ إِلَيْهِ فِي الْأَظْهَارِ
وَالْإِخْفَاءِ وَفَرْضِيَّةُ امْتِثَالِهِ وَحَقِّقَةُ وَعْدِهِ الْأَدْنَى ثُمَّ الْإِقْتِصَارُ عَلَى التَّكْذِيبِ وَتَرْكُ
الْجِدَالِ ثُمَّ الْاسْتِمْرَارُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ثُمَّ الزِّيَادَةُ فِي ضِدِّهِ فَبِهِ اغْضَابُهُ وَاخْتِلَافُ
فِي أَمَنِ الْأَقْوِيَاءِ

القليل من العمل (الناتج) أي الكامل بالتأني (على الكثير) من العمل (الناقص) بالعجلة (وكفاية رؤيته تعالى) لقوله سبحانه (الم يعلم بأن الله يرى) وقوله عز وجل (ليس الله بكاف عبده) (وذكر منه والتقويض إليه) أي التسليم بين يديه (في الأظهار والإخفاء) في العبادة، بل ينبغي أن يميل إلى الإخفاء لأنه أبعد من الرياء. وفي الخبر: «أفضل امتي الاتقياء الإخفاء» (وفرضية امتثاله) أي امتثال أمره على عبده، ثم إن كنت شقيا فانا محتاج إلى العمل ليلا لوم نفسي يوم القيامة فاني لو ادخلت النار وانا مطيع أحب إلى من أن ادخلها وانا عاص لحقة العذاب، وإن كنت سعيدا فانا محتاج إلى زيادة الثواب (وحقية وعده الأدنى) أي الأقرب بالإنابة على الطاعة والإجابة (ثم) (أفضل) (الاقصار على التكذيب) أي تكذيب الشيطان فيما يوسوسه (وترك الجدل) فانه يردد قلب العبد ويشوشه ولأن المجادلة شاغلة عن العبادة الكاملة (ثم الاستمرار على ما كان عليه) من العبادة والاستقرار من غير تكذيب ولا جدال لأن التكذيب أيضا شاغل للجدال وإن كان قليلا فإن المقصود الأعلى هو الحضور مع المولى (ثم الزيادة) أي زيادة الاجتهاد (في ضده) أي اضداد ما ذكر من المكائدا وفي ضد كيد الشيطان (ففيه اغضابه) أي اغضاب الشيطان وارضاء الرحمن كما حكى عن إبراهيم بن آدم أنه لما أراد أن يدخل البادية أتاه الشيطان فخوفه بأن هذه بادية مهلكة هابوية ولا زاد معك ولا سبيل ولا راوية، فعزم على نفسه أن يقطع البادية على تجرده ذلك، وأن لا يقطعها حتى يصل إلى ألف ركعة تحت ظل ميل من أميالها هنالك؛ وقام بما عزم عليه من المهمة وبقي عليه في البادية اثنتي عشرة سنة. ويروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له: إن فلا تاذرك بسوء، فقال: والله لا غيظن من أمره قيل من أمره؟ قال الشيطان، ثم قال: اللهم اغفر له أن لا يغظن به أن اطيع الله فيه. ومهما عرف الشيطان من عبده هذه العادة كلف عنه خيفة أن تزيد في حسناته وهو خلاف ماله من الإرادة (واختلاف) أي اختاب العلماء (في أمن الأقوياء) كالأنبياء

مِنْهُ وَالْحَقُّ عَدَمُهُ لِقَصَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَرَدَانَهُ لِيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَفِي مُنَافَاةِ التَّرْصُدِ
التَّوَكُّلِ وَالْحَقُّ عَدَمُهَا فَآخُذُ السَّلَاحَ وَجَمْعُ الْعَسْكَرِ وَحِفْرُ الْخَنْدَقِ مَا قَدَحْتُ فِي
تَوَكُّلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي كَيْفِيَةِ الْحَذَرِ

والاصفياء من الاولياء (ومنه) أي من الشيطان فقال قوم هم معصومون ومخفون
عنه لقوله سبحانه (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) وقوله (الا عبادك منهم المخلصين)
(والحق) من الأقوال (عدمه) أي عدم أمنهم من الشيطان في جميع الأحوال (لقصة
آدم عليه السلام) في أكل الشجرة فانه صريح في الملام ونص في الكلام حيث قال
(وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبا ربه فتاب عليه وهدى) ولقوله تعالى (واما ينزغك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) والخطاب لنبينا عليه السلام وقد روى أنه عليه السلام
نظر الى حلم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال «شغلني عن الصلاة» ولقوله سبحانه
(وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى) أي قرأ (التي الشيطان في أميته) أي
قراءته (فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) (وورد) في صحيح مسلم وغيره (انه)
أي الشيطان (ليغان) أي ليحجب (على قلبي) فيمنعني عن ذكر ربي مع أن شيطانه أسلم فلا
يامر الا بخير وتمام الحديث «واني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» وفيه انه ليس في هذا
الحديث ما يدل على مدعى المصنف من اغواء الشيطان له فان المراد بالغين حجاب يقع من
كثرة مشاهدة غبار الغير في مقام البين فيمنع عن مشاهدة العين فيستغفر ربه من الذنب
اللاق به ، فان سميات المقرين الاحرار حسنات المطيعين الابرار وما دمت في هذه الدار
لا تستغرب وقوع الاكدار (وفي) أي وكذا اختلف في (منافاة الترصد) أي
التحفظ للحذر من الشيطان (التوكل) بالنصب مفعول منافاة (والحق) من الأقوال
المختلفة (عدمها) أي عدم المنافاة (فاخذ السلاح) من الدرع والمغفر وسائر الاسلحة
(وجمع العسكر) للمقاتلة (وحفر الخندق) في المقاتلة (ما قدحت في توطئه) أي وما
طعنت في توطئه (عليه السلام) واصحابه الكرام بل ورد الامر من الله سبحانه بأخذ السلاح
في قوله تعالى (ولياخذوا حذرهم واسلحتهم) وقال (واعبدوا الله ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل) وفي الحديث «الا ان القوة الرمي» (وفي) أي وكذا اختلف في (كيفية
الحذر) عن الشيطان فقوم قالوا اذا حذرنا الله تعالى عن العدو فينبغي لنا ان نستغرق في ترصده
ولا يكون شيء واغلب على قلوبنا من ذكره وفكره وقال قوم لا ينبغي لنا ان نجتمع بين ذكر الله

فَالْأُولَى تَقْرِيرُ عِدَاوَتِهِ عَلَى الْقَلْبِ وَالِاسْتِغْرَاقُ فِي ذِكْرِهِ تَعَالَى بِجَمْعِ الْهَمَّةِ
وَالِاسْتِغْثَالُ بِالْدَّفْعِ عِنْدَ الْإِتْبَادِ بَوْرُودِهِ أَمَّا الْاسْتِغْرَاقُ فِي التَّرْصُدِ فَيُنَاقِ الذِّكْرَ وَهُوَ
أَسْرَارُهُ وَالْجَمْعُ يَنْقُصُ الْحُضُورَ وَوَرَدَ (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) وَعَنِ
النَّفْسِ فَعَلَّاجُهَا أَعْسَرُ

سبحانه وبين ذكر عدوه فضلا ان يكون ذكره غالبا، ففي الخبر «من احب شيئا اكثر ذكره»
وقال قوم: غلط الفريقان لازكلا من القولين لا يخلو عن نوع من نقصان كما سيأتي له
البيان (فالأولى تقرير عداوته) أي احكام عداوة الشيطان واثباته (على القلب)
فاذا تقرر عداوته في القلب لزم ترك الالتفات اليه (والاستغراق في ذكره تعالى)
أي وتمام التوجه الى ذكر الرب (بجمع الهمة) من غير الالتفات الى ذكر
الشيطان ومكره بسبب حضور القلب في طاعة ربه (والاشتغال بالدفع)
أي بدفع الشيطان (عند الاتقاء بوروده) أي بدخول الشيطان في القلب بالسواس
ونحوه لدخوله في الانسان يجري الدم في لجه (أما الاستغراق في التردد) أي في
التحفظ عن الشيطان للحذر (فينا في الذكر) المطلوب لذاته (وهو) أي الاستغراق
المذكور ونفي الذكر (اسراره) أي ايقاع الشيطان في السرور واشاره، لانه مراده
في مقام اختياره (والجمع) أي ويناقى جمع الهمة او مقام الجمع اوجع الجمع، وهو
ان لا تمنع الكثرة عن الوحدة ولا تنجب الوحدة عن الكثرة، والجمع بين ذكر الرحمن
وبين ترصد الشيطان (ينقص الحضور) في ميدان المشاهدة والعيان على قدر اشتغال
القلب بذكر الشيطان، فان الله سبحانه امر الخلق بذكره ونسيان غيره (وورد)
في التنزيل (قُلِ اللَّهُ) أي ولا سواه ولا نعبد ولا نشهد الاياه (ثم ذرهم) أي اترك
الخلق من الشيطان وغيره فهم (في خوضهم) أي ابا طيلهم من الاشتغال بغير الحق
(يلعبون) كالبهائم والاطفال والمجانين كما قال في موضع آخر (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا
ويلعبهم الامل فسوف يعلمون) أي جزاء عملهم او مضمون قوله سبحانه (وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون) أي ليوحدون اولاءهم يطيعون ثانيا، ثم يذكرون على الدوام ثالثا،
ثم يعرفون حق المعرفة رابعا (وعن النفس) عطف على قوله عن الشيطان أي ثم الواجب
الاحتراز عن النفس الامارة بالسوء لانها اشد الاعداء وبلاؤها اصعب البلاء (فعلاجها
اعسر) من علاج الشيطان واشد الاشياء وداؤها اعضل الداء، وداؤها اشكل الدواء

لَأنَّهَا مَحْبُوبَةٌ وَالْحُبُّ يَعْمَى عَنْ رُؤْيَا الْعَيْبِ وَيَصِمُّ عَنْ سَمَاعِ الْمَلَامَةِ وَعَدُوٌّ
دَاخِلِي فَلِصِّ الْبَيْتِ تَعْرِيفُهُ الْحِيلَةُ وَلَا تَنْفُكُ إِلَّا بِالْمَوْتِ وَلَا تَنْدَفِعُ إِلَّا بِالذِّكْرِ وَتَشْكُو
النَّفْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّنْ وَافَقَهَا فِي الدُّنْيَا وَمِنْهَا نَشَأَ ذَنْبُ إِبْلِيسَ بِالْكِبَرِ وَالْحَسَدِ

لاربعة امور (لانها محبوبة) لصاحبها هم انها اعدى عدوه (والحب يعمي) العين
(عن رؤية العيب) في محبوه (ويصم) الاذن (عن سماع الملامة) في مطلوبه ،
في الخبر « حبك الشيء يعمي ويصم » رواه احمد وغيره عن ابي الدرداء .
والحاصل ان للانسان عى عن عيب محبوه لا يكاد يبصر عيا في مطلوبه ، لما قال
قائل في شعره :

وعين الرضا عن كل عيب ظيلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

فاذا يستحسن الانسان من نفسه كل قبيح، ولا يكاد يطلع على عيب لها الا ويقول
انه مباح ، وهى فى عداوته مستقرة، وفى غوايته مستمرة، فما اوشك ان توقعه فى هلاك
وفضيحة ، ويتوهم انه خلاص ونصيحة، وهو لا يشعر به الا اذا حفظه الله سبحانه بفضل
وكرمه (وعدو) أى ولانها عدو (داخلى) أى باطنى (فلص البيت) أى بمن
يدخل فيه ويخرج منه (تعز فيه الحيلة) أى يعسر فى دفعه الخلاص من المكيدة ولذا قال
تعالى (لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا) (ولا تنفك) أى النفس عن الانسان
(الا بالموت) بخلاف الشيطان فانه ينفك بالاستعادة والمجاهدة (ولا تندفع) النفس
وشرها (بالذكر) أى بذكر الله ، بخلاف الشيطان فانه يندفع بالذكرا لما سبق من حديث
« اذا ذكر الله خنس » (وتشكو النفس يوم القيامة عمن وافقها فى الدنيا) فلاحاكم عن
انس مرفوعا عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول يا رب اليس وعدتني ان لا تظلمني ؟
قال بلى ؛ قال فاني لا اقبل على شهادة شاهد الا من نفسى، فيقول اوليس كفى بي شهيدا
وبالملائكة الكرام الكاتبين، فيردد هذا مرات فيختم على فيه وتكلم اركانها بما كان يعمل، فيقول
بعد الكن وسحقا فعنكن كنت اجادل ، واما ما فى الاحياء من انه عليه السلام قال : وكف
اذاك عن نفسك ولا تتبع هواها فى معصية الله تعالى اذن تخاصمك يوم القيامة فيامن
بعضك بعضا الا ان يعفو الله ويستره فقال عجزه لم اجده بهذا السياق (ومنها) أى
من النفس (نشأ ذنب ابليس بالكبر والحسد) حيث قال (انا خير منه) وامتنع عن حكم

وَقَائِلَ بِالشَّحِّ وَهَارُوتَ بِالشَّهْوَةِ وَالطَّرِيقُ مَنَعَ الشَّهَوَاتِ فَالْحُرُونُ يَلِينُ بِنَقْصِ
 الْعَلْفِ وَحَمْلِ أَعْبَاءِ الْعِبَادَةِ فَالْحِمَارُ يَنْقَادُ بِزِيَادَةِ الْحَمْلِ ، وَالْإِسْتِعَانَةُ بِهِ تَعَالَى فَوَرَدَ
 (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) وَالْأَصْلُ فِيهِ الرِّيَاضَةُ

ربه فكفر بسببه بعد قضاء الله السابق في حقه ففرق في بحر الضلال بعد عبادة ثمانين
 ألف سنة في بعض الأقوال، ولم يكن هناك دنيا ولا خلق ولا شيطان آخر بل كانت النفس
 وحدها فعلت ما فعلت من جهدها (وقائيل بالشح) أى بسبب بخله على أخيه في اخته،
 فانكر على أبيه فوقع في الكفر بسببه لا بسبب قتل أخيه (وهاروت) وصاحبه ماروت وقعا
 فيما وقعا من البلية (بالشهوة) التي أدت إلى الزنا ونحوه من المعصية قيل: وآدم وحواء
 بالحرص على الدوام والبقاء حتى اغترا بقول البليس (هل ادلكما على شجرة الخلد وملك
 لا يبلى) فسقطا بذلك من جوار المولى إلى هذه الدنيا الدنية الحقيرة النكدة الغانية، ولقى
 اولاده من الامور المهلكة، ثم هلم جرا إلى يوم القيامة لا تجدى الخلق فتنة ولا فضيحة
 ولا محنة ولا ضلالا ولا معصية الا واصلها النفس وهواها والا كان الخلق في سلامة وخير
 في مبدأ الامور ومتنهاها، واذا كان العدو بهذا الضرر لطف على العاقل ان يهتم بامر هافى
 حقه . فان قيل بين لنا طريق دفع هذه النفس فيقال : (والطريق) أى طريق تذلل
 النفس وتكسر هواها، او طريق الاحتراز عن النفس ومشتهاها ثلاثة (منع الشهوات)
 ودفع اللهوات ، ورفع الذات عنها (فالحررون) أى الصعب من الدواب (يلين بنقص
 العلف) عن عادته مع جسده في مربطه (وحمل اعباء العبادة) أى انقائها واشغالها
 (فالحمار) الجوح (بنقاد بزيادة الحمل) على ظهره (والاستعانة به تعالى) والتضرع
 اليه ليهون امرها عليه والا فلا مخلص لديه (فورد) في التنزيل (ان النفس لامارة
 بالسوء الا ما رحم ربى) أى من رحمه او مدة رحمته (والاصل فيه) أى فى طريق الاحتراز
 او فى طريق تذلل النفس (الرياضة) أى وفق الشريعة المرضية ففى تحفة الملوك: لا تحمل
 الرياضة بتقليل الاكل الى أن يضعف عن اداء العبادة ، ولو اصل اربعين يوما مات
 مات عاصيا، ولو مرض وترك المعالجة توكلا على الله فمات لم يمت عاصيا ، والتنعيم بانواع
 الفاكهة يباح وتركه افضل ، والجمع بين الاطعمة حرام أى ممنوع ومكروه كراهة
 تنزيهية اوحرام فى طريق الصوفية ثم الاصل المهم المجاهدة والوفاء بالعزم على المعاندة ،

وَهِيَ تَهْدِيبُ الْأَخْلَاقِ فَوَرَدَ «أَنِ رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَائِيًا وَيْنَهُ وَيْنِ اللَّهِ حِجَابٌ فَجَاءَ حُسْنُ الْخُلُقِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى» أَثْقَلَ مَا يَوْضَعُ فِي الْمِيزَانِ حُسْنُ الْخُلُقِ «وَهُوَ ضَبْطُهُ تَحْتَ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ وَهُوَ مَكْنٌ لِصِرُورَةِ الصِّدِّ الْوَحْشِيِّ أَهْلِيًّا وَالْجُورِ مُنْقَادًا وَالْكَلْبِ مُعَلًّا

فاذا عزم على ترك شهوة وتيسر اسبابها ابتلاء من الله فينبغي ان يصبر عنها ويستمر عليها ، فانه ان عود نفسه كسر العزم ألقت بعد ذلك عدم الجزم وفسدت لفقد الحزم، واذا اتفق منه بعض العزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه وجزاء لديه (وهي) اى الرياضة او المقصود من الرياضة المستحسنة بالاتفاق (تهذيب الاخلاق فورد) فى الحديث (انى رأيت البارحة عجبا) اى امرأ غريبا (رأيت رجلا من امتي جائيا) اى جالسا على ركبته (وينه وبين الله حجاب فجاء حسن الخلق) من باب (فادخله على الله تعالى) من غير حساب ولا عقاب . والحديث رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث عبد الرحمن بن سمرة (اثقل ما يوضع فى الميزان حسن الخلق) رواه ابو داود، والترمذى وصححه من حديث ابى الدرداء . ولا بى داود والترمذى من حديث أبى الدرداء « ما من شئ فى الميزان أثقل من حسن الخلق » وللطبرانى فى الاوسط من حديث عمار بن ياسر « حسن الخلق خلق الله الاعظم ، ولا أحد والحام واليهقى من حديث ابى هريرة « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » ولا أحد من حديث عائشة والشؤم سوء الخلق ولا بن حبان وغيره ، سوء الخلق يفسد العمل لما يفسد الخلق العسل » وللخرايطى فى مكارم الاخلاق من حديث عائشة « المؤمن حسن الخلق » وللطبرانى فى الصغير من حديث عائشة « ما من شئ الاوله توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا عاد فى شر منه » وذكر شيخ مشايخنا الجلال السيوطى حديث « أحسن الحسن الخلق الحسن » رواه الحسن عن الحسن عن ابى الحسن عن جد الحسن بسند حسن (وهو) اى حسن الخلق (ضبطه) اى حفظه وربطه (تحت الشرع والعقل) فى قضية الطبع (وهو) اى تحسين الاخلاق (ممكن) بالاتفاق (لصيرورة الصبد الوحشى اهليا) فالظبي والحمام (والجروح منقادا) فالفرس والبعير (والكلب معلما)

وَوَرَدَ ، حَسَّنُوا أَخْلَاقَكُمْ ،

وكذا سائر الجوارح من الصيود حتى يصير آلة للصيد في مقام القيد (وورد) في الحديث (حسنوا اخلاقكم) رواه ابن لال في مكارم الاخلاق من حديث معاذ وباهاذ حسن خلقك للناس ، ولاحد من حديث عائشة ، اللهم حسنت خلقى فحسن خلقى ، والطبراني من حديث جابر « ان اقر بكم منى مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا ، هذا ، والخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة وبسر من غير حاجة الى روية وفكر ، ثم ان كانت الهيئة بحيث تصدر منها الافعال الجميلة شرعا وعقلا سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا حسنا ، وأن كان الصادر منها الافعال القبيحة بسهولة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا . وكذا أن حسن الصورة الظاهرة لا يتم الا بحسن جميع اعضائه فكذا في الباطن أربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها ، وهي قوة العلم ، وقوة الغضب ، وقوة الشهوة ، وقوة العدل بين هذه الثلاثة . ويعبر عن حسن القوة الغضبية بالشجاعة ، وعن حسن قوة الشهوة بالدقة . والمراد بالعدل هو اعتدال القوتين بين الافراط والتفريط . فان الامر المحمود في كل شيء هو التوسط . فالجبن والتمور مذمومان كما ان البخل والاسراف منهيان ، والشره والجوع مشغلان . وقد ورد « خير الامور اوساطها » رواه البيهقي في شعبه . وقال تعالى في ذم التبذير والتفكير (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محمورا أن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا) وقال تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) وقال (اشداء على الكفار رحما بينهم) وقال (اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) فالاعتدال مطلوب في جميع الاحوال ، فان العقيدة الحميدة هي المتوسطة بين التشبيه والتعطيل ، وبين القدر والجبر ، وبين النصب والرض . وهو الصراط المستقيم والدين القويم الذي لا عوج له ولا ميل الى احد الجانبين الزائغ عن الجادة قال تعالى (وأن هذا صراطي مستقيما فتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض ، بل هو اذق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط المستقيم في العقبى ، وقال ما ينفع العبد عن ميل عن الصراط المستقيم ، اعني الوسط حتى

فَالْأَسْرَعُ عِلَاجًا مَنْ غَفَلَ عَنْ اعْتِقَادِ تَمِيزٍ ثُمَّ مِنْ عَرَفَ الْقَبِيحَ ثُمَّ مِنْ اعْتَقَدَهُ
حَسَنًا وَهُوَ أَصْعَبُ، وَالطَّرِيقُ عِنْدَ فَقْدِ الْكَمَالِ الْفَطْرِيِّ كَمَا لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ وَالْجَذْبَةُ

لايميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذى مال اليه ، فكذا لاينفك
عن عذاب ما واجتياز عن النار وان كان مثل البرق قال تعالى (وان منكم الاواردها
كان على ربك حتما مقضيا) ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو
الله فى كل يوم سبع عشرة مرة بقوله : (اهدنا الصراط المستقيم) ومن هنا قال
عليه السلام « استقيموا ولن تحصوا » أى وان تطيقوا حق الاستقامة وهى الموصوفة
بعت الاستدامة فينبغى للعبد ان يجتهد ان يصل الى القرب من الاستقامة ان لم يقدر
على حقيقتها فان ما لا يدرك ظه لا يترك كله ، والمقصود بحز الانسان بما يشير اليه قوله
تعالى (فلا لما يقض ما أمره) هذا، وقال يحيى بن معاذ : فى سعة الاخلاق كنوز الارزاق
وعن الحسن من ساء خلقه عذب نفسه . وقال الذناني : التصوف خلق لمن زاد عليك
فى الخلق زاد عليك فى التصوف . وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة
الحسنات ، وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات ، ثم قال الحسن : حسن الخلق
بسط المحيا وبذل التدى وتحمل الاذى . وقال الواسطى : هو ان لا يخصم ولا يخصم
من شدة معرفته بالمولى . وقال الحسين بن منصور : هو ان لا يؤثر فيك حياء الخلق بعد
مطاعتك للحق (فالأسرع علاجاً) أى الاهون مداواة (من غفل عن اعتقاد وتميز)
من جهة اعتماد فالصبيان والنسوان والبله من الانسان وجماعة الترياق ، ومن هنا ورد
« اكثر اهل الجنة البله » (ثم من عرف القبيح) أى واعتقده سيئا فانه قابل للعلاج فى
تركه (ثم من اعتقده) أى القبيح (حسنا) وذلك كالمبتدعة ونحوهم قال تعالى (أفز ين
له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء) (وهو اصعب)
لان علاجه باخراجه عن اعتقاده وفيه غاية من التعب ، وفى مثله قيل : من التهديب
تهذيب الذيب (والطريق) مبتدأ أى طريق تهذيب الاخلاق (عند فقد الكمال
الفطرى) أى الجبلى الذى لا يحتاج الى التكلف الطبيعى (كما للانبياء عليهم السلام)
وكذا لبعض الاصفياء والاولياء من اتباعهم الكرام (والجذبَةُ) أى وعند فقد

الْإِلَهِيَّةَ كَمَا لِلْسَّحَرَةِ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التَّكْلُفُ فِي اعْتِيَادِ الْأَضْدَادِ بِالتَّدرِجِ
وَالْمُجَاهِدَةِ فِيهِ حَتَّى يَعْتَادَ الطَّاعَةَ وَيَلْتَذَّ بِهَا التَّذَاذَ الْمَرِيضَ بِالطَّعَامِ بَعْدَ الْعِلَاجِ
وَالْمَتَعَلِّمَ بِالْعِلْمِ عَلَى الدَّوَامِ لَا أَحْيَانًا

الجذبة (الالهية لنا للسحرة) أى سحرة فرعون (وعمر رضى الله عنه) فانه آمن
بغته (التكلف) خير المبتدأ أى تكلف السالك (في اعتياد الاضداد) أى تعود اضداد
الاخلاق السيئة (بالتدرج) أى بالتأني في المعالجة (والمجاهدة) بالرفع عطف على
التكلف ويجوز جره عطفا على التدرج ، أى المبالغة في المعالجة (فيه) أى في الاعتياد
(حق يعتاد) السالك (الطاعة) بوصف الدوام (ويلتذ بها) أى بالطاعة (التذاذ
المريض بالطعام بعد العلاج) أى بعد علاج المريض (والمتعلم) أى والتذاذه (بالعلم
على الدوام) متعاقب بالتكلف كذا قيل ، والاظهر انه متعلق يلتذ (لاحيانا) أى
متساوية ، نعم قد تفيد المجاهدة اذا كان في اكثر الاحوال الواردة ، وقد مثل عدم
افادة بعض الاوقات في الذكر والفكر والطاعات بايقاد النار تحت البرمة فانها لا تنور
ابدا اذا كان الامر مترددا بين الحالات .

هذا وقد توهم عبارة المصنف أن صاحب الجذبة لا يحتاج الى سلوك المجاهدة ، وليس
كذلك ، فان الجهاد لا بد لجميع العباد ، غاية ما في الباب ان ارباب السلوك على نوعين:
منهم سالك مجذوب وهو اغلب احوال المريدين ، ومنهم مجذوب سالك وهو قليل
من بين المرادين ، ويشير الى الطائفتين قوله تعالى: (الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي
اليه من ينيت) واختلفوا في ايهما افضل؟ والجمهور على ان السالك المجذوب اكل .
هذا والانباء عليهم السلام ايضا في مقام الترقى لا يستغنون عن زيادة المجاهدة
اكمال المشاهدة فقد قال تعالى (وقل رب زدني علما) وفي دعائه عليه السلام «اللهم
كما حسنت خلقى فحسن خلقى» أى زد في تحسين خلقى ، والا فكان عليه السلام خالق
على خلق عظيم ، ثم كان خالقه القرآن وقد قال له تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض
عن الجاهلين) وفسر العفو بان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن
ظلمك . وكان من دعائه عليه السلام «اللهم اهدنى لاجسن الاخلاق لا يهدينى لاحسنها
الا انت ، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت» رواه مسلم من حديث

فَالْمَقْصُودُ مِنْهُ رُسُوخُ حُبِّهِ تَعَالَى فِي الْقَلْبِ وَقَلْعُ حُبِّ الدُّنْيَا عَنْهُ وَهُوَ بِالِاسْتِفَادَةِ مِنْ شَيْخٍ بَصِيرٍ بِالْعُيُوبِ مُطَّلِعٍ عَلَى الْخَفَايَا وَهُوَ غَزِيرُ الْوُجُودِ

على (فالمقصود منه) أي من حسن الخلق أو من رياضة الخلق (رُسُوخُ حُبِّهِ تَعَالَى) أي ثبوته (في القلب وقلم حب الدنيا عنه) أي عن القلب فانهما لا يجتمعان بإشعار إليه قوله تعالى: (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) وورده من أحب آخرته أضر بدنياء ومن أحب دنياه أضر بآخرته فاتروا ما يبقى على ما يغنى « وقد مثل على كرم الله وجهه الدنيا والآخرة بالضرتين إذا أرضيت واحدة أسخطت الأخرى ، وبكفتي الميزان إذا انقلت واحدة خفت الأخرى ، وبالمشرق والمغرب فمهما توجهت إلى المشرق بعدت عن المغرب وكذا بالعكس ، فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله إلا إذا أحب الشيء لكونه معيناً له على حب الله ودينه ، قال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) قال على رضي الله عنه: الإيمان يبدو لمة في القلب بيضاء وكلما ازداد الإيمان ازداد ذلك اليأس ، فإذا استكمل العبد الإيمان أبيض القلب كله ، وإن النفاق ليبدو في القلب نقطة سوداء ، فكما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد ، فإذا استكمل النفاق أسود القلب كله ، وفيه تنبيه على أن الخلق الحسن من نتيجة الإيمان والعرفان ، والسئى من ثمرة النفاق والكفران »

ثم أعلم أن أصل الأشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها أشياء هو الله تعالى ، فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله سبحانه فكانه لم يعرف شيئاً ، وعلامة المعرفة المحبة ، فمن عرف الله أحبه ومن أحبه لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات ، كما قال تعالى (قل إن كان آباؤكم وبنائكم) إلى قوله (أحب إليكم من الله ورسوله) الآية ، فمن كان عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله فقلبه مريض ، لما أن كل معدة صارت بطين أحب إليها من الخبز والماء وسقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة محتاجة إلى الدواء (وهو) أي الطريق الذي يتعرف به الإنسان عيوب نفسه أو التكلف باعتبار الأضداد إنما يحصل بخمسة أشياء (بالاستفادة من شيخ) أي ولو شاب تائب من الذنوب (بصير بالعيوب) أي الظاهرة والباطنة (مطلع على الخفايا) من أحوال المرید كالعجب والرياء (وهو غزير الوجود) في ميدان الشهود لما يشير إليه قوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) وقوله (وقليل من عبادي الشكور) وورد

أَوْ صَدِيقٍ بَيْنَهُ عَلَيْهِمَا كَمَا رَوَى عَنْ السَّلَفِ أَوْ عَدُوٍّ فَعَيْنُ السُّخْطِ تَبْدِيهَا أَوْ مَخَالِطَةً
النَّاسِ وَتَرَكَ مَا زَاىَ مَذْمُومًا.

والناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة » واخبر تعله ، وقال الشاعر :

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاى طلعة حر

والمراد بالحر من لا يستعبده هواه ولا تسترقه دنياه ، فالاطباء هم العلماء ، وقد استولى
المرض عليهم وغلب حب الدنيا لديهم ، فلا يفيد السالك التردد اليهم ، بل ادرس
هذا العلم وهو معرفة احوال القلوب الخفية وانكر وجودها بالكلمية ، واقبل الخلق
على اعمال ظاهرها عبادات وباطنها مراياة وعادات . نعم كان يكثر وجودهم في
الصحابة واكابر التابعين وبعض المتأخرين كالسرى والجنيد والشبلي رضى الله عنهم
اجمعين وقد قال الشبلي للحصيري : أن كان يخطر بقلبك من الجمعة الى الجمعة التي تأتي شىء
غير الله عز وجل فحرام عليك أن تأتينى (او صديق) أى صاحب صديق (بنه)
صديقه (عليها) أى على عيوبه (كما روى عن السلف) ومنهم عمر رضى الله عنه
حيث قال : رحم الله من أهدى إلى يعبوى . وكان يسأل سلمان عن عيوبه كلما قدم عليه ،
وقال : ما الذى بلغك عنى مما كرهته ؟ فاستغنى ، والح عليه فقال : سمعتك جعت بين
ادامين على مائدة ، وأن لك حلتين : حلة بالنهار وحلة بالليل . فقال هل بلغك غير هذا ؟
فقال : اما هذا ان قد كفيتهما . وكان يسأل حذيفة ويقول : أنت صاحب مر رسول الله
في المنافقين فهل ترى على شيئا من آثار النفاق ؟ وقد قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا
أنقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال بعضهم كن مع الله ، فان لم تنطق فكن مع من
يكون مع الله وهذا ايضا عزيز فيقل في الاصدقاء من يترك المداينة فيخبر بالعيوب ويترك
الحسد فلا يزيد على قدر الواجب ، ولذا كان داود الطائي قد اعزل عن الناس فقليل له
لم لا تخالط الناس ؟ فقال : ما اصنع باقوام يخفون عنى عيوبى ، فكان شهوة ذوى الدين
من السلف المجتهدين ان يتنبهوا على عيوبهم تنبيه غيرهم ، وقد آل الامر الى امثالنا ،
أن ابغض الخلق اليانا من ينصحننا ويعرفنا بعيوب احوالنا ، ويشبه أن يكون هذا
من قساوة القلب التي ثمرتها كثرة العصيان ، واصل ذلك كله ضعف الايمان (او عدو)
حاذق عاقل (فعين السخط) بفنحتين وبضم فسكون أى عدم الرضاء (تبديها)
أى تظهر العيوب وتكشف الذنوب كما تقدم في قول الشاعر :

فعين الرضا عن كل عيب كائلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

فلعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوب نفسه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثنى
عليه ويمدحه ويخفى عنه عيوبه (او مخالطة الناس) اما ما وما موما (وترك ما زاي ماذموما

أَوِ الْكِتَابِ وَالسَّنةِ وَهُوَ الْإِنْفَعُ، وَالْأَصْلُ تَرْكُ التَّمَتُّعِ بِمَا لَا يَنَالُ فِي الْقَبْرِ إِلَّا بِقَدْرِ
الضَّرُورَةِ لئَلَّا يَحْصَلَ الْإِنْسُ بِالدُّنْيَا الْمُؤَدَّى إِلَى حُبِّهَا فَهُوَ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ هـ

لثلاث يكون مذموماً ، وما يراه محموداً يطلب نفسه به ليصير مسعوداً فإن المؤمن مرآة
المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه فلو ترك الناس ظلمهم ما كبر هو نه من غيرهم لاستغنوا
عن وُدِّهم ولا نفسهم ، وقيل ليس على السلام من أدبك ؟ فقال : ما أدبني أحد . رأيت جهل
الجاهل لجانبته (أو الكتاب والسنة) أي العمل بهما (وهو) أي الاعتصام بهما (الأنفع)
بل هو النافع ، ويؤيده قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وحديثه من
عمل بما أعلم ورثه الله علم ما لا يعلم (والاصل) في تهذيب الاخلاق أو في رسوخ حبه
سبحانه (ترك التمتع بما لا ينال) أي لا تحصل منفعة (في القبر) الذي هو البرزخ بين
الدنيا والاخرى ، فيذبحي ان لا يتمتع (الا بقدر الضرورة) في معيشة الدنيا من اللقمة
والخرقة ونحوهما ، ويتمتع ترك التمتع بالذات والشهوات من غير الضرورات ، فقد قال
وهب بن منبه : ما يزيد على الخبز . فهو شهوة ، وقال يزيد الرقاسي : السلام على الماء البارد
مأدمت في الدنيا لعلى لا أحرمه في الاخرى وقال السري : منذ اربعين سنة : تطالبتني
نفسى ان اغمس جزرة في دبس فما اطعتها (لثلاث يحصل الانس بالدنيا المؤدى الى
حباها) والى نسيان الاخرى ، وذلك انه اذا تمع بشئ منه انس به وألفه ، واذا مات تمنى
الرجوع الى الدنيا بسببه ، ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا لمن لاحظ له في الاخرى
(فهو) أي حب الدنيا (رأس كل خطيئة) كما رواه البيهقي عن الحسن البصري
مرسلاً ، وقال تعالى (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) قيل نزع عنهم محبة شهوات
الدنيا . وقال عليه السلام : « المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ، ومنافق
يغضه ، كافر يقتله ، وشيطان يضله ، ونفس تنازعه » رواه ابو بكر بن لال من حديث
انس ، وقال عليه السلام لقوم قد هوانوا من الجهاد « مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصفر
الى الجهاد الاكبر ، فقالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ؟ قال جهاد النفس ، رواه
البيهقي في الزهد ، والترمذي في اثناء حديث وصححه وابن ماجه من حديث فضالة بن عبيد
« المجاهد من جاهد نفسه » وقال سفيان الثوري ، ما عالجت شيئاً اشد على من نفسى مرة
ومرة على . وكان ابو العباس الموصلي يقول يا نفس لا في الدنيا مع ابناء المالك تتنعمين ، ولا
في الآخرة مع طلب العباد يتجهدين كأن بك بين الجنة والنار تحبين الا يا نفس ما تستحين ،

وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس باسياف الرياضة ، والرياضة على اربعة اوجه . القوة من الطعام ، والتمض من المنام ، والحاجة من الكلام ، واحتمال الاذى من الانام . فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ، ومن قلة المنام صفوة الارادات ، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ، ومن احتمال الاذى البلوغ الى الدرجات . وليس على العبد اشد من الحلم عند الجفاء . والصبر على الاذى ، فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآنام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التمجيد وقلة المنام ، وضربت بايدي الخمول وقلة الكلام حتى ينقطع من الظلم والانتقام فتأمن بوائقها في سائر الايام وتضيئها من ظلمة شهواتها فتتجو من غوائل آفاتنا ، فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ، ونورانية حقيقة ، فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسلك الطاعات والمبرات ، كالفارس الفار في الميدان والمملك المنتزه في البستان . وقال ايضا اعداء الانسان ثلاثة : ديناه . وشيطانه ، ونفسه ، فاحترس من الدنيا بالزهد في نعمتها ، ومن الشيطان بمخالفته ، ومن النفس بترك شهواتها . وقال جعفر بن حميد اجتمع العلماء والحكماء ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم ، وقال ابو يحيى الوراق : من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجرة الندامات . وقال وهب بن الورد : من اراد شهوات الدنيا فليتها للذل في العقبى . وقال الجنيد : ارق ليلة فقممت الى وردى فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها ، فاردت ان انام فلم اقدر فقمعت فلم اطق التعود ، فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما احسن بي قال يا ابا القاسم الى الساعة . فقلت يا سيدي من غير موعد . قال لي سألت الله محرك القلوب ان يحرك الى قلبك ، قلت قد فعل فما حاجتك ؟ قال متى بصير داء النفس دواءها ؟ فقلت اذا خالفت النفس هواها صار داءها دواءها . فاقبل على نفسه فقال اسمعني قد اجبتك بهذا سبع مرات فايبت ان تسمعه الامن الجنيد . قال فانصرف وما عرفته ، وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا رأى الشيء يشتبهه قال لنفسه : اصبري فوالله ما امنعك الامن لرامتك على . وقال ابراهيم الخواص : كنت في جبل لكأم فرأيت رمانا فاشتبهته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزناير ، فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم ، فقلت كيف عرفتي ؟ قال من عرف الله لا يخفى عليه شيء ، فقلت له ارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك من هذه الزناير ؟ قال : وارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك من شهوة الرمان فان لدغ شهوة الرمان يجد الانسان اله

في الآخرة، ولدغ الزناير يجد الانسان ألمه في الدنيا . فان قيل التمتع بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من الله ؟ فيقال هذا خيال ضعيف ، او المباح الخارج عن الحاجة من الدنيا « وحب الدنيا رأس كل خطيئة » كما ورد وكذا يؤيده حديث « اشبعكم في الدنيا اجوعكم في العقبى » وللطبراني في الكبير وابي نعيم في الحلية من حديث ابن عباس « ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الآخرة » وللدبلي من حديث أبي هريرة مرفوعا « نور الحكمة الجوع ، والتباعد من الله عز وجل الشبع » ولاحد والحالم واليهي باسناد جيد انه عليه السلام نظر الى رجل سمين البطن فاقولاً الى بطنه باصبعه وقال : « لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك ، واليهي في الشعب من حديث عائشة انه عليه السلام قال لها « اياك والاسراف فان اظنين في يوم من السرف » ولابي الشيخ عن ابن عمر مرفوعا « ايما امرىء اشتى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له » ثم اعلم أن الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب ، وورد « من نوقش في الحساب عذب ، كما في الصحيحين ، فعند الصباح يحمد القوم السرى : فترك الشهوة يثقل على المرید في البداية ، ثم يتنعم في النهاية . ونظيره الطفل في الطعام عند الرعاية . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « ان المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة ، والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة » وقال حاتم الاصم : المؤمن مشغول بالفكر والعبر ، والمنافق مشغول بالحرص والامل . والمؤمن آيس من كل احد الا من الله ، والمنافق راج كل احد الا الله . والمؤمن آمن من كل احد الا من الله ، والمنافق خائف من كل احد الا من الله ، والمؤمن يقدم ماله دون دينه ، والمنافق يقدم دينه دون ماله ، والمؤمن يحسن ويكي والمنافق يسيء ويضحك . والمؤمن يحب الوحدة والخلو ، والمنافق يحب الخلطة والجلوة . والمؤمن يزرع ويخشى الفساد ، والمنافق يقطع ويرجو الحصاد . والمؤمن يأمر وينهى للسياسة ، والمنافق يأمر وينهى للرياسة . وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال البلوى . ومن شكى من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال اذى الخلق . وقال عيسى عليه السلام : جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم : وقال سهل : ما صار الابدال ابدا الا لاربعة خصال : اخاص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس . وقد قيل في صفة الابدال : أن اكلهم فاقة ، ونومهم غلبة ، وبلاهم ضرورة .

(البَابُ السَّادِسُ عَشَرَ فِي التَّوْبَةِ وَالْمُرَابَّطَةِ وَالتَّقْوَى)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * التَّوْبَةُ تَنْزِيهُ الْقَلْبِ عَنِ الذَّنْبِ ، وَقِيلَ الرُّجُوعُ
مِنَ الْبُعْدِ إِلَى الْقُرْبِ وَهِيَ وَاجِبَةٌ لِرُودِ قَوْلِهِ تَعَالَى (تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ) وَدَلَالَةُ الْإِجْمَاعِ

(الباب السادس عشر في التوبة والمرابطة والتقوى)

قد ورد « التوبة ندم » رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود . وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ومعنى التوبة ندم أى معظم اركان التوبة الندامة كما ورد « الجمع عرفة » والافئ اركانها ترك المعصية مباشرة ، والعزم على ان لا يعود اليها ابدا ، والتدارك لما امكنه من حقوق الله وحقوق العباد *

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) المستعان به في امر الدنيا والاخرى (التوبة) في اللغة الرجعة ، وفي الشرع الرجوع من المعصية الى الطاعة ومن الغفلة الى الحضرة ، وقال بعضهم هي (تنزيه القلب عن الذنب) أى عن اختياره (وقيل الرجوع من البعد) أى من كل ما يبعد العبد عن المولى (الى القرب) أى الى قرب الرب في الدنيا والاخرى فيختص بتحصيل كل فضيلة جليلة تقربه الى الله ، وبالرجوع عن كل خصلة رذيلة تبعد عن الله في دنياه وآخرته ، فيعم الذنوب الظاهرة والعيوب الباطنة والاخلاق الذميمة والغفلة عن الاذكار الكريمة ، وقيل في حد التوبة : ذوبان الحشا لما سبق من الخطاء . وقيل هو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب . وقيل هو خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء . وقال سهل : التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة فكانه اخذ من قوله تعالى (الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فارللك بيدل الله سيئاتهم حسنات) على ما ذهب اليه بعض المفسرين . ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال ، وتدارك ما سبق من التقصير في ماضى الاحوال (وهى) أى التوبة (واجبة) أى فريضة لازمة لكل من المكلفين (لورود قوله تعالى توبوا الى الله) أى (جميعا ايها المؤمنون لعلمكم تفلحون) وفي نسخة (توبة نصوحا) أى خالصة لله من دون رياء وسمعة واغراض فاسدة ، والامر في الآيتين للوجوب بناء على اصله (ودلالة الاجماع) المنعقد من الامة على ان

وَالْعَقْلُ قَالُوا جِبُ مَا تَعْلَقُ بِفَعْلِهِ السَّعَادَةُ وَبِتَرْكِ الشَّقَاوَةِ وَهُوَ مُتَحَقِّقٌ فِيهَا
وَجَدُوا هَا حَبَهُ تَعَالَى يَا هُ فُورْدَانُ اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ، التَّائِبُ حَيْبُ اللَّهِ وَالتَّوْفِيقُ

التوبة من المعصية فريضة (والعقل) أى ودلالة العقل (قَالُوا جِبُ) من طريق العقل مع قطع النظر عن ورود النقل (مَا تَعْلَقُ بِفَعْلِهِ السَّعَادَةُ) العظمى (وَبِتَرْكِ الشَّقَاوَةِ) الكبرى، اذ بها الوصول الى سعادة الابد من قرب المولى والنجاة من الهلاك السرمدى الذى هو الحجاب عن اللقاء فى العقبى (وَهُوَ) أى التعلق بهما (مُتَحَقِّقٌ فِيهَا) أى ثابت فى التوبة بلا خلاف عند العقلاء (وَجَدُوا هَا) أى فائدة التوبة ومنفعتها وثمرتها وتبجتها اربعة اشياء (حَبَهُ تَعَالَى يَا هُ، فُورْدَانُ) فى التزليل (أَنَ اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ) وفى الحديث (التائب حبيب الله) رواه ابن أبى الدنيا. وابو الشيخ من حديث انس بلفظ «أَنَ اللَّهُ يُحِبُّ الشَّابَّ التَّائِبَ» ولعبد الله بن احدى زوائد المسند من حديث على «أَنَ اللَّهُ يُحِبُّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ الْمُفْتَخَ التَّوَّابَ» ولاحد والطبرانى من حديث عقية بن عامر «يُعْجِبُ رَبُّكَ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْرَةٌ» ولابن ماجه من حديث ابن مسعود «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» وللشيخين من حديث ابن مسعود وانس «لَهُ أَفْرَحُ بِتُوبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ فِي أَرْضِ دُوبَةٍ مَهْلِكَةٍ فَقَدْ رَاحَلَتْهُ عَلَيْهِ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحَلَتُهُ فَطَلَبَهَا حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَإِنَّمَا مَوْتُ فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ فَإِذَا رَاحَلَتْهُ عَنْدهُ عَلَيْهَا زَادَهُ وَشَرَابُهُ فَالَّهُ اشْدَ فَرَحًا بِتُوبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحَلَتِهِ» زاد مسلم فى حديث انس «ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ» أخطأ من شدة الفرح. هذا وأيضا من علامات حب العبد لله أن يتوب عما يشغله عن مولاه ويطيعه فيما يأمره وينهاه كما قال عبد الله بن المبارك.

تعصى الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري فى الفعال شنيع

لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

ويشير اليه قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله) ويفيد أيضا الملازمة بين المحبين كما يرمى اليه قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) ولولا محبته السابقة لما وجدت محبتنا اللاحقة (والتوفيق) أى جعله تعالى اسبابا موافقة

عَلَى الطَّاعَةِ فَقِيدُ الذُّنُوبِ يَمْنَعُ عَنْهَا وَلَآنَ الْأَصْرَارَ يُقْسَى الْقَلْبَ وَيَجْرُ إِلَى
الشَّقَاوَةِ الْكُبْرَى وَلَآنَ الْمُتَلَطِّخَ بِالنَّجَاسَةِ لَا يَقْرُبُ فُورَدًا إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ تَنَحَّى
الْمَلَكَانَ عَنْ تَنْ مَآيَخُجٍ مِنْ فِيهِ وَحَلَاوَتَهَا فَالْمَصْرُ لَا يَجِدُهَا وَقَبُولُهَا فَرَبُّ الدِّينِ
لَا يَقْبَلُ هَدِيَّةَ الْمُدِينِ الْمَاطِلِ

للاعاة (على الطاعة) في كل وقت وساعة (فقيد الذنوب) التي بمنزلة القيود
والاغلال من العيوب (يمنع عنها) أى عن الطاعة وتوفيقها (ولان الاصرار)
أى الاقامة على المعاصي من غير تحال التوبة بالرجوع الى الرب (يقسى القلب) أى
يسوده ويشده (ويجر الى الشقاوة الكبرى) فان المعصية بريد الكفر وقد قال تعالى
(والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر
الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) (ولان المتلطف بالنجاسة) أى
المتلوث بنجاسة المعصية (لا يقرب) الى بساط الرب بل يبعد ويحجب (فوردا اذا كذب
العبد) وهو من اهون اسباب البعد (تنحى الملكان) أى يبعد اللذان معه من الكرام
الكاتبين من عنده لكمال نزاهتهما وجمال طهارتهما (عن تن مآيخج من فيه)
أى من فيه وهو الكذب والحديث رواه الترمذى وحسنه ، وابو نعيم في الحلية من حديث
ابن عمر ولفظه «اذا كذب العبد كذبة تباعد عنه الملك ميلان تن ما جاء به» (وحلاوتها)
أى لذة الطاعة التي لو لم يكن للمطيع جزاء لعمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح
الانس بمناجاة ربه لكان ذلك كافيا ، فكيف بما ينضاف اليه من نعيم الآخرة لما
يشير اليه قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون
افن كان مؤمنا فن كان فاسقا لا يستترون) الآية ، وفي الخبر القدسي «أعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» وتقسيم هذه اللذة
لا يكون في ابتداء التوبة بل التوبة في اولها مرة كإفطار الصبي ثم تصير حلوة بعد ما صبر
على مرارة العادة مدة مديدة ومعالجة شديدة والنفس قابلة ما عودتها تعود
(فالمصر لا يجدها) أى تلك اللذة اذ لم يذق لم يعرف ان ترك اللذة الثانية هي اللذة
الباقية (وقبولها) أى قبول الطاعة قال تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) (فرب
الدين لا يقبل هدية المديون الماطل) الممتنع من اداء الدين فن الفضول تضييع الاصول

وَلَاِنَّ الْعُصْبَ يُنَافِي الْقَبُولَ وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْكُلِّ فِي كُلِّ حَالٍ لِعُمُومِ
الْأَدَلَّةِ وَعَلَى الْفَوْرِ لَوْجُوبِ الْإِتِّهَاءِ عَنِ الْمَعَاصِي كَذَلِكَ وَحَرْمَةِ التَّسْوِيفِ

(ولان الغضب) المترتب على معصية بالعقاب الصادر عن تجلي صفة الجلال (ينافي
القبول) اى قبول طاعته المترتب عليه بالثواب الوارد عن تجلي نعمت الجمال (وهى)
اى التوبة (واجبة على الكل) من الانبياء والاولياء فلا تظن ان التوبة اختصت بآدم
عليه السلام حيث قال تعالى : (وتصى آدم ربه فغوى ثم اجتنبه ربه فتاب عليه وهدى)
بل هو حكم ازلى مكتوب على جنس البشر لا يمكن فرض خلافه مالم تبدل السنة
الالهية التى لا مطمع فى تبديلها . فالرجوع فى حق كل انسان يكون ضروريا نيا كان
او غيا ولما اوغويا . قال ابو تمام :

فلا تحسبن هذا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند

ويشير اليه حديثه كلكم خطاؤون وخير الخطائين التوابون . كما رواه احمد فى غيره
عن انس (فى كل حال) اى على الدوام (لعموم الأدلة) كقوله تعالى : (وتوبوا
الى الله جميعا) وذلك لان كل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه
الانبياء والاخبار كما ورد فى القرآن والاخبار من خطاياهم وتوبتهم وبكائهم ، فان خلا
احد فى بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهمم بالذنوب فى القلب ،
فان خلا عن الهمم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة
عن ذكر الله ، فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور فى العلم بالله وبصفاته وافعاله ،
وكل ذلك نقص وله اسباب ، وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن الطريق
الى ضده ، وانما يتفاوتون فى مقادير النقصان لافى اصله (وعلى الفور) واجبة
من غير تراخ ومهلة (لوجوب الانتهاء) اى الامتناع (عن المعاصي كذلك)
اى على الفور من غير التراخي (وحرمة التسويف) اى وحرمة تأخير التوبة
(فرود) فى التنزيل (وليست التوبة الآتية) اى للذين يعملون السيئات حتى اذا
حضر احدهم الموت قال انى تبت الآت) (اكثر صياح اهل النار من
التسويف) لهذا فى الاحياء ، وقال مخرجه : لم اجد له اصلا ، وقال لقمان
لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت يأتى بغتة ، فكل ايمان لم يثبت فى اليقين اصله
ولم ينتشر فى الاعمال فرعه لم يثبت على عواصف الاحوال عند ظهور ناصية ملك

فَوَرَدَ (وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ) الْآيَةُ أَكْثَرُ صِيَاحِ أَهْلِ النَّارِ مِنَ التَّسْوِيفِ وَهِيَ مَقْبُولَةٌ
فَوَرَدَ (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ) الْآيَةُ

الموت وسائر الاهوال ، وخيف عليه سوء الخاتمة ، الا ما سقى بماء الطاعات على
توالي الايام والساعات . وأما قول العاصي للمطيع : أني مؤمن بكأنك مؤمن ، فهو كقول
شجرة القرع لشجرة الصنوبر أني شجرة وأنت شجرة . وما حسن جواب الصنوبر اذ
قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف ، فعند ذلك تنقطع
اصولك وتتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجر مع الغفلة عن
أسباب نبات الاشجار *

سوف ترى اذا انجلي الغبار افرس تحتك أم حمار

وهذا أمر يظهر عند الخاتمة نسأل الله العافية ؛ ولقد صدق ابو سليمان الداراني في قوله :
لولم يلك العاقل فيما بقي من عمره الاعلى فوت ما مضى منه في غير طاعة الله وأمره لكان
خائفا أن يحزنه ذلك الى الممات ، فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من
جمله فيما سبق من الحياة ، وقال بعض العارفين : أن ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلم انه
قد بقي من عمره ساعة وانك لا تستأخر عنها طريقة عين ، فيبدو للعبد من الاسف
والحسرة ما لو كانت له الدنيا يحذا فيرها يخرج منها دلي أن يضم الى تلك الساعة ساعة
اخرى ليستعد فيها ويتدارك تفریطه فلا يجد اليه سيلا . وهو اول ما يظهر من معاني
قوله تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) واليه الاشارة بقوله سبحانه (وأنفقوا مما رزقناكم
من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اآخرتني الى أجل قريب فاصدق براك
من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها) أي ولا نفسا . هذا وما مثال المسوف
الامثال من احتاج الى قطع شجرة فرأها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة جليلة ، فقال
اؤخرها سنة ثم اعود اليها ، وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها ، وهو
كلما طال عمره ازداد ضعفه ، فلا حماة في الدنيا أعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن
مقاومة ضعيف ، فاخذ ينظر الغلبة عليه اذا ضعف هو في نفسه وقوى الضعيف (وهي)
أي التوبة اذا استجمعت شرائطها (مقبولة) لاعتالة (فوردا) في التزليل (وهو
الذي يقبل التوبة الآية) أي (عن عباده) فوعده حق رقبته صدق لا يجوز خلفه ولا

(قَابِلُ التَّوْبِ) «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِالتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» وَأَيْضًا

يتصور تبدله (قَابِلُ التَّوْبِ) فهو من صفاته كقوله (غافر الذنب) (ان الله يبسط يده بالتوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) وفي الاحياء « ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسى الليل الى النهار ولمسى النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » قال عجزه رواه مسلم من حديث أبي موسى بلفظ « يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار » الحديث . وفي رواية الطبراني « لمسى الليل ان يتوب بالنهار » وبسط اليد كناية عن طلب التوبة ومبالغة في قبولها اذ الطالب ابلغ من القابل ، فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل ، ولا بن ماجه من حديث ابي هريرة « لو اخطأتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم نسئمت كتاب الله عليكم ، اى قبل تو بتكم اورجع عليكم بالرحمة والمغفرة ، ولا بن المبارك في الزهد عن الحسن مرسلًا « ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبًا منه فاراح حتى يدخل الجنة » ولا بن نعيم في الحلية من حديث ابي هريرة « ان العبد ليذنب الذنب فاذا ذكره احزنه فاذا نظر الله اليه انه احزنه غفر له » الحديث ولا احمد وابن يعلى والحاكم وصححه من حديث ابي سعيد « ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ازال اغوى عبادك مادامت ارواحهم في اجسادهم فقال وعزتي وجلالى لا ازال اغفر لهم ما استغفروني » وقال سعيد بن المسيب نزل قوله تعالى : (انه كان للاولين غفورا) في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب ، وقال طاق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين ، ويروى ان نبيا من انبياء بنى اسرائيل اذنب ذنبا فاوحى الله اليه وعزتي وجلالى لئن عدت لا عذبتك ، فقال يا رب أنت أنت وانا انا ، وعزتك لئن لم تعصمني لا عودن ، فعصمه الله . وقال بعضهم : ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما تائبًا حتى يدخل الجنة فيقول ابليس باليتى لم اوقعه في الذنب ، يعنى لا هلكه بالعجب . ويروى انه كان في بنى اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المראה فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك ، ثم قال : الهى اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني ؟ فسمع قائلا يقول ولا يرى الشخص : احببتنا ، فاحبينك ، وتركتنا فتركنك ، وعصيتنا فامهلتك فان رجعت الينا قبلناك ، وقد قال تعالى : (وان عدتم عدنا) وورد « ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة » (وايضا) اى وفي العقل ايضا دلالة على ان التوبة مقبولة لا محالة

تَزُولُ ظِلْمَةُ الذَّنْبِ عِنْدَ سَطْوِ نُورِ التَّوْبَةِ وَالْأَلَدَنْسِ بِالصَّابُونِ وَالصَّدَاءِ بِالصِّقْلِ
وَأَمَّا يَشْكُ التَّائِبُ لَشَكِّهِ فِي تَحْقِيقِ الشَّرْطِ وَالْأَرْكَانِ فَهِيَ دَقِيقَةُ شَكِّ شَارِبِ الْمُسْهَلِ

فانها (تزول ظلمة الذنب) وبخارها (عند سطوع نور التوبة) وآثارها (زوال الدنس) أي كزوال الوسخ والارز من الثوب والبدن (بالصابون) ونحوه من الاشنان (والصداء) أي كزوال صداء الحديد من المرأة ونحوها (بالصقل) وتوضيحه ان نار الندم تحرق غبرة الذنب، ونور الحسنة يحرق وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام السيئات مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار، وكما لا طاقة للدورة الوسخ مع بياض الصابون. فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه. فالقلب المظلم لا يقبله الله لان يكون في جواره، فكما ان استعمال الثوب في الاعمال الحسنة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة، فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب، وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويظهره بكل قلب زكى طاهر فهو مقبول، كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول. والقبول له حسب القضاء السابق الازلي مبذول *

والحاصل أن من توهم ان التوبة تصح ولا تقبل فهو كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يقلع، وان الثوب يغسل والوسخ لا يزول نعم اذا غاص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وظله فلا يقوى الصابون على قلعه من اصله، ومثاله ان تراكم الذنوب حتى تصير طبعاً وريناً على القلب، فثل هذا القلب لا يتوب ولا يرجع الى الرب وربما يقول باللسان قد ثبت من العصيان فيكون ذلك كقول القصار قد غسلت الثوب. هذا وقد ورد ان لقلوب صداة كصداء الحديد وجلأوها الاستغفار، رواه الحكيم الترمذي. وابن عدي عن انس. ثم لما كان المصنف استشعر سؤالاً وهو ان يقال لا ينبغي ان يجوز الشك في القبول لانه يخالف اخبار الله والرسول اجاب بقوله (واما يشك التائب) في قبول توبته وحصول اوبته (لشك في تحقق الشروط) المعتبرة في باب التوبة (والاركان) اللازمة في حصول الاوبة كما سيأتي بيانها في محالها اللاتق بها، ومجملها الندم والقطع والعزم والتدارك بالجزم (فهي) أي الشروط والاركان (دقيقة) ادراكها فلا يجوزم بكونها حقيقة (شك) أي مثل شك (شارب المسهل) في حصول شروط الاسهال في الدواء باعتبار الوقت والحال،

بِخِلَافِ الْقَصَارِ أَذْشُرُوطُهُ جَلِيَّةٌ وَالذَّنْبُ مَا يَخْلَافُ أَمْرُهُ تَعَالَى مِنْ فَعَلٍ أَوْ تَرَكَ
وَيَنْقَسِمُ إِلَى حَقِّهِ تَعَالَى وَحَقِّ الْعَبْدِ وَهُوَ أَغْلَظُ فَوَرَدَ أَنَّهُ لَا يُتْرَكُ وَأَيْضًا إِلَى كَبِيرَةٍ
وَصَغِيرَةٍ وَوَرَدَ فِي الْبَعْضِ أَنَّهُ مِنَ الْكَبَائِرِ

وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقره وادويته ، والا فلا شك في تأثيره وخاصيته
(بخلاف القصار اذ شروطه) من الماء والصابون والدلك (جلية) وليست في
نظر صاحبه خفية . ثم اعلم أن التوبة ترك الذنوب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته
واذا كانت التوبة واجبة فان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فعرفة الذنوب اذا واجبة ،
ولذا قال المصنف (والذنوب ما يخالف امره تعالى من فعل) للطاعات (او ترك)
للسيئات (وينقسم الى حقه تعالى) وهو اقرب الى العفو كترك الصلاة والصوم
ونحوهما (وحق العبد) أى الى حقه كترك الزكاة وقتل النفس واما لهما (وهو)
أى حق العبد (اغلظ) أى اشد ، وعن العفو ابعد (فورد) في الحديث (انه)
أى حق العبد (لا يترك أى لا يعفى الا أن العبد يرضى ولذا قيل : بحق الكافر اشد
من حق المسلم واقوى ، وحق الحيوان اشد من الكافر) لا يخفى . ولا حمد والحاكم
وصححه من حديث عائشة . الدواوين ثلاثة : ديوان يغفر ، وديوان لا يغفر ، وديوان
لا يترك فالديوان الذى يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى ، واما الديوان
الذى لا يغفر فالشرك ، واما الديوان الذى لا يترك فظالم العباد أى لا بد أن يطالب
بها حتى يتخلص عنها (وايضا) ينقسم (الى) معصية (كبيرة وصغيرة) كما جاء
في القرآن (أن تجنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) (وورد في البعض)
(أنه) أى ذلك البعض (من الكبائر) ففي البخارى من حديث عبد الله بن عمرو
مرفوعا « الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس »
وفي الصحيحين من حديث أبى هريرة « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يا رسول الله وماهى
قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، واكل الربا ، واكل مال
اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، ولهما من حديث
أبى بكرة « الا انبتكما كبير الكبائر الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور . وقول
الزور » ولهما من حديث ابن مسعود « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنوب

وَاخْتَلَفَ فِي حَصْرِهَا عَلَى مَا نَهَى مَخْصُوصًا فَالْتَخَصِصُ لِلتَّعْظِيمِ وَمَا أُوْعِدَ عَلَيْهِ
بِالنَّارِ لِعَظَمِ الْعُقُوبَةِ

اعظم ؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خالقك قلت ثم أي ؟ قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم مملوك ؛ قلت ثم أي ؟ قال أن تزني بحليلة جارك ، وللطبراني من حديث سلمة بن قيس « إنما هي أربع لا تشرکوا بالله شيئا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ولا تنزوا ، ولا تسرفوا » وفي الاوسط للطبراني من حديث ابن عباس « الخمر الفواحش واكبر الكبائر » وللبزار من حديث ابن عباس باسناد حسن أن رجلا قال ما الكبائر قال الاشراك بالله ، والاياس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، وللعاكم من حديث عبيد بن عمير عن ابيه « الكبائر تسع » فذكر منها استحلال البيت الحرام . وللطبراني من حديث واثلة « أن من اكبر الكبائر أن يقول الرجل على : ما لم اقل » وله ايضا من حديثه « أن من اكبر الكبائر ان ينتفى الرجل من ولده ، ولمسلم من حديث جابر « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « من الكبائر شتم الرجل والديه » ولابن داود من حديث سعيد بن زيد « أن من ارى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق » وفي الصحيحين من حديث ابن عباس « أنه عليه السلام مر على قبرين فقال انهما ليال عذابان وما يعذبان في كبير وانه لكبير ، اما احدهما فكان يمشي بالنسيمة ، واما الآخر فكان لا يستترى . من بوله » الحديث ، ولاحد في هذه القصة من حديث أبي بكر « اما احدهما فكان يأكل لحوم الناس ، الحديث . ولابن داود . والترمذي من حديث انس « عرضت على ذنوب أمي فلم اردنبا اعظم من سورة من القرآن او آية او أيها رجل ثم نسيها ، وللدبلي من الكبائر السببان بالسبة » وقد اختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع الى سبع الى تسع الى إحدى عشرة فما فوق ذلك . قال ابن مسعود هي أربع . وقال ابن عمر هي سبع وقال ابن عمرو هي تسع . وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هي الى سبعين اقرب منها الى سبع « واختلف » على اقوال « في حصرها » أي الكبائر « على ما نهى » أي على ذنب ورد عنه نهى نهي « مخصصا فالتخصيص » بالذكر في القرآن « للتعظيم » أي لتعظيم العصيان . وقد قال ابن عباس : كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة ، ويشير اليه قوله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) اذا كانت الاضافة بيانية « وما » أي وعلى ذنب « اوعد » أي ورد الوعيد « عليه بالنار لعظم العقوبة »

وَمَا وَجِبَ عَلَيْهِ حَدٌّ فَالْتَّعْجِيلُ لِلتَّغْلِيظِ وَمَا اسْتُصْفِرَ كَمَا أَنَّ الصَّغِيرَةَ مَا اسْتَغْطَمَ
فُورِدَ «لَا صَغِيرَةَ مَعَ الْأَصْرَارِ وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ الْإِسْتِغْفَارِ وَقِيلَ الْأَصَحُّ أَنَّهُمَا مِثْلُهُ
كَلِيلَةُ الْقَدَرِ وَسَاعَةُ الْجُمُعَةِ لِأَنَّهَا مَا لَا يَكْفُرُهُ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ فُورِدَ الصَّلَوَاتُ
الْخَمْسُ يُكْفَرْنَ مَا يَنْهَنُ إِنْ اجْتَنِبَتِ الْكِبَائِرُ.

فقد قال جماعة من الصحابة كل ما توعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر (وما) أى
وعلى ذنب (وجب عليه حد) من رجم وجلد وقتل وقطع (فالتعجيل) لعقوبة
المذنب (للتغليظ) فى حقه ذنب ، فقد قال بعض السلف : كل ماوجب الحد فى
الدنيا فهو كبيرة (وما) أى وعلى ذنب (استصفر) أى استحق وعده صغيرا
وحقيقا (بأن الصغيرة ما استعظم) أى عده عظيما وكبيرا (فورد لا صغيرة مع
الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار) رواه الديلمى عن ابن عباس به مرفوعا . وعن
أنس موقوفا . وعن أبى سعيد الخدرى وغيره من الصحابة رضى الله عنهم « أنكم
لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر لنا نعدوها على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الكبائر » رواه أحمد . والبخارى . بسند صحيح . وقال ابن مسعود لما سئل
عن الكبائر فقال : اقرأ من أول سورة النساء الى رأس ثلاثين آية منها عند قوله
(أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) فكل ما نهى الله عنه فى هذه
السورة الى هنا كبيرة . وقال قائلون : لا صغيرة ، بل كل مخالفة لله فهى كبيرة .
وضعف هذا القول لقوله تعالى (أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) وقوله (الذين
يحتسبون كبائر الآثام والفواحش إلا اللوم) أى الصغائر . وفى الحديث « أن تغفر اللهم
فاغفر جماعه فأى عبد لك لا إله إلا الله » (وقيل الأصح أنها) أى الكبيرة (مبهمة) اذ ربما
قصد الشرح بابها ما كوت العباد على وجل منها (كليلة القدر وساعة الجمعة)
وكذا الصلاة الوسطى ليعظم جد الناس فى طلبها وعدم الاكتفاء بها عن غيرها
(لانها) أى والدليل على كون الكبيرة مبهمة أن المراد بها (ما) أى ذنب (لا يكفره
الصلوات الخمس) أى ونحوها من المكفرات للسيئات (فورد) فى الحديث
(الصلوات الخمس يكفرن ما ينهن) أى من الصغائر ، ولم يبق عليه شىء من الذنوب
حينئذ (ان اجتنب الكبائر) وليس المعنى أن اجتنب الكبائر شرط لكون الصلوات

أَوْ إِلَّا الْكَبَائِرُ وَهُوَ يَتَعَلَّقُ بِالْآخِرَةِ فَلَا بُهَامُ أُولَى تَحْذِيرًا عَنِ الْكُلِّ وَلَا تَكْلِيفَ
فُوجِبَاتُ الْحُدُودِ مَعْلُومَةٌ وَرَدُّ الشَّهَادَةِ

ونحوها تنكفر الصغائر ، بل أن كان عند الصغائر والكبائر فتكفر الصغائر والافتخاف الكبائر ، وأن كان محفو ظامن الكبائر والصغائر فتكون سبيل الرفع الدرجات العالية والزلقات الغالبة (أو الا الكبائر) شك من الراوى او اختلاف الروايات فالخير رواية مسلم . وللحاكم من حديث أبي هريرة وصححه الصلاة الى الصلاة كفارة ، ورمضان الى رمضان كفارة الا لمن ثلاث : اشراك بالله ، وترك السنة ، ونكث الصفة ، قيل وماترك السنة ؟ قال الخروج من الجماعة ، ونكث الصفة أن يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف بقاتله ، (وهو) أى حكم الكبيرة أو التكفير وهو الاظهر (يتعلق بالآخرة فلا بهام اولى) (تحذيرا عن الكل) أى كل المعاصى لئلا يقع أحد فى مخالفة المولى لاحتمال أن يكون كل ذنب أقدم عليه بارتكابه كبيرة فيتخلص من الكبائر والصغائر جميعها ، ومطلوب الرب من العبد أن لا يقع فى مطلق الذنب ليحصل له كمال القرب ، وتوضيحه أن كل ما لا يتعلق به حكم فى الدنيا فيجوز أن يتطرق اليه الا بهام (ولا تكليف فيها) أى لا تكليف بما لا يطاق فى معرفة الكبائر للاجتناب عنها لان دار التكليف هى دار الدنيا ، والكبيرة على الخصوص لاحكم لها فى الدنيا من حيث أنها كبيرة بل لها تعلق فى حكم العقبي (فوجبات الحدود معلومة) باسمها كالسرقة والزنا والقتل وغيرها . وفى الاحياء وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى (أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة ، لكن يتمكن من امرأة ومن موافقتها فيكف نفسه عن الوقاع بها ويقتصر على نظر ولمس منها ، فان مجاهدة نفسه فى الكف عن الوقاع أشد تأثيرا فى تنوير قلبه من اقدمه دلى النظر من اظلامه ، فهذا معنى تكفيره . فان كان عتينا ولم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز ، او كان قادرا ولكن امتنع لخوف أمر آخر فهذا لا يصاح للتكفير أصلا ، فشكل من لا يشتهى الخمر لطبعه ولو ابيح له لما شر بها فاجتنابها لا يكفر عنه الصغائر التى هى من مقدماته كسماع الملاهى والاوزار ، نعم من يشتهى الخمر وسماع الاوزار فيمسك نفسه عن الخمر ويطلقها فى السماع ، فمجاهدة النفس بالكف ربما يمحو عن قلبه الظلمة التى ارتفعت اليه من معصية السماع (ورد الشهادة) فى الحكومة

لَا يَخْتَصُّ بِهَا فَلَأَكْلُ فِي الطَّرِيقِ يُوجِبُهُ مَعَ كَوْنِهِ مُبَاحًا وَقِيلَ الْأَصَحُّ أَنَّهَا اسْمُ أَضَافِيٍّ
وَالْمُطْلَقُ هُوَ الْكُفْرُ وَالْجَمْعُ فِيهِ أَوْرَدَ (أَنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ
كِبَائِرَ الْأَثْمِ)

(لَا يَخْتَصُّ بِهَا) أَيْ بِالْكَبِيرَةِ بَلْ وَلَا بِالصَّغِيرَةِ (فَلَأَكْلُ فِي الطَّرِيقِ) مِنْ
السُّوقِ وَنَحْوِهِ (يُوجِبُهُ) أَيْ رَدَّ الشَّهَادَةِ (مَعَ كَوْنِهِ مُبَاحًا) وَفِي
الْأَحْيَاءِ لِاخْتِلَافٍ فِي أَنْ مَنْ يَسْمَعُ الْمَلَاهِي وَيَلْبَسُ الدِّيَابِاجَ وَيَخْتَلِمُ الذَّهَبَ وَيَشْرَبُ مِنْ
أَوَانِي لُذْهِبٍ وَالْفَضَّةِ لَا يَقْبَلُ شَهَادَتَهُ، وَلَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ مِنَ الْكِبَائِرِ، فَكُلُّ
الذُّنُوبِ تَقْدَحُ فِي الْعَدَالَةِ إِلَّا مَا لَا يَخْلُو الْإِنْسَانُ عَنْهُ غَالِبًا لِلضَّرُورَةِ بِمَجَارِي الْعَادَاتِ كَالغِيَةِ
وَالتَّجَسُّسِ وَسُوءِ الظَّنِّ وَالْكَذِبِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَسَمَاعِ الْغِيَةِ وَتَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَهْلِ الشُّبُهَاتِ وَسَبِّ الْوَلَدِ وَالْعُلَامِ وَضَرْبِهَا بِحَكْمِ الْغَضَبِ
زَائِدٌ عَلَى حَكْمِ الْمَصْلَحَةِ وَآكَرَامِ السُّلَاطِينِ الظُّلْمَةِ وَمَصَادَقَةِ الْفُجْرَةِ وَالتَّكَاسُلِ
عَنْ تَعْلِيمِ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ جَمِيعٌ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ الدِّينِ، فَهَذِهِ ذُنُوبٌ لَا يَنْفَكُ
الشَّاهِدُ عَنْ قَلِيلِهَا أَوْ كَثِيرِهَا الْإِبَانِ يَمْتَنِلُ النَّاسُ وَيَتَجَرَّدُ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ وَيُجَاهِدُ
نَفْسَهُ مَدَّةً بِحَيْثُ يَبْقَى عَلَى سَمْتِهِ مَعَ الْخَالَطَةِ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَوْ لَمْ يَقْبَلِ الْأَقْرَبُ مِثْلَهُ لَعَزَّ
وَجُودُهُ وَبَطَلَتْ الْأَحْكَامُ وَالشَّهَادَاتُ، وَلَيْسَ لِبَسِ الْحَرِيرِ وَنَحْوِهِ مِنْ قَبِيلِ
هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ (وَقِيلَ الْأَصَحُّ أَنَّهَا) أَيْ الْكَبِيرَةِ (اسْمُ أَضَافِيٍّ) كَأَنَّ الزَّوْجَانِ كَبِيرَةً بِالنِّسْبَةِ
إِلَى الْمَعَانِفَةِ مَعَ التَّجْرِيدِ عَنِ الثِّيَابِ فِي الْجَانِبَيْنِ، وَالْمَعَانِفَةُ كَبِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّمَسِ،
وَاللَّمَسُ كَبِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّظَرِ بِالشَّهْوَةِ، وَالنَّظَرُ كَبِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْهَمِّ وَالْمُزِيْمَةِ،
وَقُطِعَ يَدُ الْمُسْلِمِ كَبِيرَةٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى ضَرْبِهِ وَصَغِيرَةٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى قَتْلِهِ (وَالْمُطْلَقُ)
أَيْ الْفَرْدُ الَّذِي إِذَا أُطْلِقَ الْكَبِيرَةُ يَنْصَرَفُ إِلَيْهِ (هُوَ الْكُفْرُ) إِذْ لَا كَبِيرَةَ فَوْقَهُ. وَقَدْ قَالَ
تَعَالَى (أَنْ الشِّرْكَ لَظْمٌ عَظِيمٌ) وَلِهَذَا لَا يَغْفَرُ بِالْإِجْمَاعِ أَوْ الْمَطْلَقِ. وَالْكَفْرُ وَبَاقِي
الذُّنُوبِ مَقِيدٌ بِالْإِضَافَةِ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْقَوْلُ يَفِيدُ أَنَّ الْكَبِيرَةَ لَا الْكُفْرَ وَهُوَ مُفْرَدٌ، وَقَدْ
جَاءَ فِي الْقُرْآنِ بَلْقَظُ الْجَمْعِ قَالَ فِي دَفْعِ هَذِهِ الْأَشْكَالِ (وَالْجَمْعُ) مُبْتَدَأٌ أَيْ وَقَوْعُ لَفْظِ
الْكَبِيرَةِ جَمْعًا (فِيهِ أَوْرَدَ) فِي التَّنْزِيلِ (أَنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ) وَقَدْ قُرِئَ كَبِيرُ
مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِهِ الْكُفْرَ أَوْ أَرِيدَ بِهِ الْجَنْسُ (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْأَثْمِ)

لتنوعه أو تعدد المخاطب فالمغفرة تتعلق بالمشيئة لا غير، فورد (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ثم هو يعظم بالاصرار لانه سبب تراكم الظلام فورده لاصغيرة مع الاصرار والمباهاة والاستحقار فهما سبب التألف وورده المناق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره»

لتنوعه (خبر المبتدأ أى لوقوع افراد الكفر انواعا كعبادة الصنم والشمس والقمر وكفر اليهود والنصارى والمجوس وامثالها) (أو تعدد المخاطب) فوق مقابلة الجمع بالجمع اولان كفر زيد غير كفر عمرو (فالمغفرة) لل صغيرة والكبيره وهى المفوم غير التوبة (تتعلق بالمشيئة لا غير) أى لا غير هامن الاشياء المكفرة (فورد) فى التزيل (ويغفر ما دون ذلك) أى غير الشرك والكفر بجمع انواعه (لمن يشاء) أى لمن تعلقت مشيئة الله تعالى بمغفرته . وكان مطرف بن عبد الله يقول : اللهم ارض عنا فان لم ترض عنا فاعف عنا فان المولى قد يعفو عن عبده وهو غير راض عن فعله . والحاصل أن الرضاء يتعلق بالطاعة . والعفو والمغفرة بالمعصية (ثم هو) أى الذنب ولو صغيرة (يعظم) فى الكيفية حتى يهيم كيرة بسبب أربعة اشياء (بالاصرار) وهو الاستمرار على الذنب والاستقرار (لانه) أى الاصرار (سبب تراكم الظلام) أى ظلمات الآثام فى قلوب الانام (فورد لاصغيرة مع الاصرار) وتماهه ولا كبيرة مع الاستغفار ، وقد تقدم فكيرة واحدة تنهرم ولا تتبعها بمثلا لو تصور وجودها لكان العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها الآن الكبيرة قل ما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر ، فقلبا يزنى الزانى بغتة من غير مراودة ومطالبة ومطالبة ، وقلبا يقتل القاتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاودة سالفة ، فمكل كبيرة يتبعها صغائر سابقة ولاحقة (والمباهاة) أى وبالمباهاة والمفاخرة (والاستحقار) بعدم المبالاة (فهما) لقان ونشرهما مرتبا (سبب التألف) أى تألف الذنب . والالامة شديدة الاثر فى القلب ، والقلب هو المطلوب لتويره بالطاعات ، والمهذور تسويده بالسيئات ، فكلمما غلبت حلوة الصغيرة عند العبد صكبرت الصغيرة عند الرب وعظم اثرها فى تسويد القلب (وورد المناق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره) أى عن نفسه ، وتماهه «والؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن

وَنَسِيَانَ حَلَلَهُ وَكَرَّمَهُ تَعَالَى فَهُوَ سَبَبُ الْأَمْنِ مِنَ الْمَكْرِ وَوَرَدَ (أَنَا عَلَى لَهْمٍ لَيْزٌ دَادُوا
أَنَا) وَالْأَظْهَارُ فَهُوَ يُؤَدِّي إِلَى ذُنُوبٍ أُخَرَ كَهَتِّكَ السِّرِّ وَتَرْغِيبِ الْغَيْرِ وَوَرَدَ
«كُلُّ النَّاسِ مُعَافُونَ إِلَّا الْمُجَاهِرَ بِالذَّنْبِ»

يقع عليه، رواه البخارى من رواية الحارث بن سويد عن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً.
ولا يخفى أن هذا الحديث يصلح أن يكون شاهداً لدم المبالاة لا بوجود المبالاة
فكان حقه أن يؤخر عن قوله (ونسيان حله) وهو بالجر عطف على التألف أى وسبب
نسيان حله (وكرمه تعالى) وسره وعدم كشف حاله (فهو) أى ما ذكر من النسيان
(سبب الامن من المكر) الالهى من استدراج العبد بالنعمة واخذه بالبعثة للنعمة
(وورد) فى التنزيل (أَنَا عَلَى لَهْمٍ) أى تمهلهم اياماً (ليزدادوا أنا) أى أنا ما
وقال بعضهم: الذنب الذى لا يغفر قول العبد - ليت كل شئ عملت مثل هذا فأنا يعظم الذنب
فى القاب لعله بمظنة الرب، فاذا نظر الى جلال من عصى رأى الصغيرة كبيرة. وقد
أوحى الله تعالى الى بعض الانبياء - لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها، ولا تنظر
الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها، وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين
الابرار: لا صغيرة، بل كل مخالفة فى كبيرة، وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم
من الجاهل، ويتجاوز عن العامى فى امور لا يتجاوز فى أمهالها عن العارف لان المخالفة
تكثّر بقدر معرفة المخالف كما يشير اليه قوله سبحانه: (يا نساء النبي من يأت منكم بما حشة
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً) ومن يقنت منكر لله ورسوله
وتعمل صالحاً نوتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقاً كريماً (فوزرهن مضاعف
كاجرهن) ومن هنا قال تعالى خطاباً للعلماء اهل الكتاب: (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
واآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) وقال: (الذين آتيناكم الكتاب من قبله هم به
يؤمنون واذا تبلى عليهم) الى أن قال: (اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) الآية
(والاظهار) أى وبإظهار المعاصى للفجار (فهو) أى الاظهار (يؤدى الى ذنوب
اخر كهتك السر) نفسه لنفسه والله سبحانه هو الساتر (وترغيب الغير) الى مثل
فعله فيكون عليه ذنب التسبب فى عمله، ففى حديث مسلم من حديث جرير بن عبد
الله «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها» الحديث (وورد كل الناس
معافون) بضم الميم وفتح الفاء يقربون الى العفو (الا المجاهر بالذنب) فانه

وَحَقُّهَا أَنْ يَتَنَدَّمَ فُورِدَ «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»

بعيد عن العفو ، وتماه « بيت اقدم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح ويكشف ستر الله فيحدث بذنبه » والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة بلفظه كل امتى وقال بعضهم : لا تذهب فان كان ولا بد فلا ترغب فيه غيرك فتذهب ذنبن ، ولذا قال تعالى : (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف) وقال بعض السلف : ما انتهك المرء من اخيه حرمة اعظم من أن يساعده على معصية ثم يهونها عليه ، فسبحان من يظهر الجليل ويستر القبيح . وقال تعالى (ونكتب ما قدموا وآثارهم) والآثار ما يكتب بعد انقضاء العمل والعامل فاذا كانت المذنب المظهر عالما يقتدى به وهو يلبس الحرير ويركب سرج الذهب ويأخذ المال الحرام ويدخل على الظلمة من بين الامام طمعا في المناصب العظام ~~تكثر~~ له الآثام . وطوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه ولم تتجاوزته الى غيره . فعن ابن عباس « ويل للعالم من الاتباع تزل بركة فيرجع عنها ويحتملها الناس فيذهبون بها في الآفاق ، وقال بعضهم : مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تفرق وتفرق أهلها وفي الاسرائيليات : أن عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادرسته التوبة فعمل في الاصلاح دهرا ، فأوحى الله الى نبيهم أن قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن قدا ضلكت من عبادى فادخلتهم النار ؟ (وحققها) أى حق التوبة على صاحب المعصية (ان يتندم) أى يظهر الندامة في القلب (فورد) فى الحديث لما تقدم (الندم) وهو توجع القلب بمخالفة الرب (توبة) أى معظم اركانها هي الندامة على فعل المعصية من حيث أنها معصية وتكون خالصة لله من الرياء والسمعة ويتبها قلغ المعصية في الحال والعزم على تركها في الاستقبال . وفي الاسرائيليات أن الله سبحانه قال لبعض انبيائه وقد سأله النبي قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة ولم ير اثر قبول توبته في مقام السعادة ، فقال وعزنى وجلالى لوشفع فيه أهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذى تاب منه في قلبه . فلا بد في التوبة من مرارة المعصية بدلا عن حلاوتها فليند بترك اللذة ، ويشير اليه قوله عليه السلام « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا ، الحديث ويذغنى أن يجمد مثل هذه المرارة في جميع الذنوب وأن لم يرتكبها قبل فتكون مرارة المعصية وحلاوة الطاعة بالطبع الموافق للشرع . فتكون المعصية عندك كالسم والطاعة كالعسل هذا ، وفي حديث « الندم

وَقِيلَ هُوَ غَيْرُ مَقْدُورٍ وَيَتَدَارَكُ وَهُوَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى الْقَضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ مُحْتَاطًا

توبة إيمان إلى أنه مقدور مرغوب فيه وكذا في قوله تعالى: (وتوبوا) والافيون الامر بما لا يطلق وهو ما وقع في الشرع بالاتفاق على خلاف في جوازہ وعدمہ (وقيل هو) أي الندم (غير مقدور) للبشر ولا يدخل تحت التكليف فلا يكون توبة بل هو الباعث فاستعير لها وفي الاحياء فان قلت تألم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب راعلم أن سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل إلى تحصيل سببه، وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى أن العلم بخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال، بل العلم والندم والفعل والارادة والقدر للقادر والكل من خالق الله وفعله (والله خلقكم وما تعملون) هذا هو الحق عند ذوى البصائر وما سوى هذا ضلال (ويتدارك) أي وحق التوبة أن يتدارك ويتلافى ما فات من الطاعة وما سبق له من المعصية (وهو) أي التدارك (في حقه تعالى القضاء) بدل الاداء (والكفارة) بدل المعصية وقصد دوام الطاعة ودوام ترك المعصية إلى الموت مع استدراك الموت (محطاً) أي حال كونه محتاط في امره من اوله إلى آخره بردفكره إلى اول يوم بلغ فيه بالسن أو الاحتمال، فيفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهر اشهر او يوم او يوماً ونفساً نفساً، وينظر إلى الطاعات ما الذي قصر عليه فيها، وإلى المعاصي ما الذي قارفه منها، فان كان قد ترك صلاة او صلاها مع ثوب نجس، أو صلاها بنية غير صحيحة، أو ترك فيها شيئاً من الواجبات كتعديل الاركان ونحوها فيقضئها من آخرها، فان شك في عدد ما فات منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن أنه اداه ويقضى الباقي، وله أن يأخذ فيه بغالب الظن ويصل إليه على حسب التحرى والاجتهاد، وكذا امر الصوم والزكاة والحج وسائر فرائض الاسلام وشرائع الاحكام. فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات. وأما بحثه عن السيئات فيتفكر من أول بلوغه إلى آخر امره عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه، ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته، وينشر عند نفسه ديوان سيئاته حتى يطلع على جميعها قليلاً وكثيراً وصغيراً وكبيراً، ثم ينظر فيها فاكان من ذلك بينه وبين الله من حيث لا يتعاق بمظالم العباد كنظر إلى غير محرم وقعود في المسجد مع الجانية ومس المصحف من غير طهارة واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع آلة فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها *

وَفِي حَقِّ الْعَبْدِ رَدُّ مَالٍ مُحْتَاطًا إِلَى الْمَالِكِ أَوْ الْوَارِثِ مُبَالِغًا فِي التَّبْلِيغِ بِالطَّوْفِ
فِي الْبِلَادِ أَنْ أَمَكَنَ لَهُ وَالْأَفَلْتُصَدَّقُ أَوْ الصَّرْفُ إِلَى مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ التَّسْلِيمِ
إِلَى الْقَاضِي الْأَمِينِ وَالِدِّيَّةَ وَالْقِصَاصَ فِي النَّفْسِ

ثم اعلم أن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، واثرا اتباع الدنيا في القلب
السرور بها والالفة لها والحنين إليها ، فلا جرم أن كل اذى يصيب المسلم ثم يذو
بسببه قلبه عن الدنيا يكون ذلك كفارة لدااء القلب يتجا في بالغوم عن دار الهموم ،
فورد « من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم » ، وفي لفظ آخر الا الهم بطلب
المعيشة رواه الطبراني في الاوسط واوبر نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة . ولاحمد
من حديث عائشة « اذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له اعمال تكفرها ابتلاه الله
بالحزن فيكون كفارة لذنوبه » ويقال الهم الذى يدخل على القلب والعبد لا يعرفه
هو ظلة الذنوب والهم بها . وروى « أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه
السلام فى السجن فقال له يوسف : كيف تركت الشيخ الكتيب ؟ فقال قد حزن عليك
حزن مابه تكلى ، قال فبانه عند الله ؟ قال اجر مائة شهيد » والطبراني والحالم عن أبى
الدرداء مرفوعا « ان الله يحب كل قلب حزين » (وفى حق العبد) أى والتدارك
فى حق العباد ثلاثة اشياء (رد المال محتاطا) أى وفى قدره (الى المالك) ان كان
حيا (او الوارث) أن كان ميتا (مبالغا) أى غاية الاجتهاد (فى التبليغ) أى
اتصال حق العباد (بالطوف) أى السير والتردد (فى البلاد) رجاء ان يلقى المالك
هنالك فيرد اليه حقه او يستحل منه (ان امسكن له) السفر (والا فالتصدق) على
الفقراء والمساكين (او الصرف الى مصالح المسلمين) من بناء مسجد وعمارة وجسر
ومدرسة (او التسليم الى القاضى الامين) ليصرفه فى امور الدين (والدية)
عطف على رد المال ، أى وفى حق العباد الدية الى مستحقها اذا وقع القتل او القطع
خطأ (والقصاص) اذا وقع عمدا (فى النفس) وكذا فى الاطراف ، فيجب
عليه ان يعترف عند ولى الدم ويحكه فى روحه فان شاء عفا عنه وان شاء قتله ،
ولا تنسقط عهده الا بهذا ، ولا يجوز له الاخفاء ، وليس هذا بما لوزنى او سرق
او شرب او قطع طريقا او باشر ما يجب فيه الحد لله ، فانه لا يلزمه فى التوبة ان

وَالِاسْتِعْفَاءُ نَفْسًا كَانَ أَوْ مَالًا وَعِنْدَ الْعِجْزِ فَكَثِيرُ الْحَسَنَاتِ بِحَسَبِ الْمَظَالِمِ وَفِي
نَحْوِ الْغِيَةِ وَالسَّبِّ وَالْإِيْذَاءِ فَلَا اسْتِعْفَاءَ وَالذُّكْرُ الْمُفَصَّلُ إِلَّا أَنْ يَزِدَّ التَّأْذِي
بِالْأَظْهَارِ فَالْمُبْهَمُ تَحَامِيًا عَنْ ذَنْبٍ آخَرَ وَالْجَبْرِ بِالْحَسَنَاتِ كَمَا لَوْ كَانَ مِثْلًا أَوْ غَائِبًا
وَالْمُبَالَغَةُ فِي الْإِسْتِعْفَاءِ

يفضح نفسه ويبتك ستره ويلتمس من الوالى استعفاء حق الله ، بل عليه ان يستر
بستر الله و يقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة ، فان رفع امره الى الوالى حتى اقام
عليه الحد وقع فى موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله (والاستعفاء)
اى طلب العفو ، والاستحلال عند العجز عن رد المال والدية والقصاص (نفسا كان)
حق العبد (او مالا وعند العجز) اى عدم القدرة على الاستعفاء (فتكثير الحسنات)
متعين (بحسب المظالم) اى مراتبها فى مقام السيئات ، وذلك بان يحسب مقدارها
من حيث الكثرة ومن حيث المدة ، ويحاسب نفسه على الحبات والذرات من اول
يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب يوم القيامة ، ويناقش نفسه قبل ان يناقش.
وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى الفجار فانهم لا يقدررون على طلب المعاملين لهم ولا على
طلب ورتتهم ، ولكن على كل منهم ان يقبل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق
الا ان يكثر من الحسنات حتى يقبض منه يوم القيامة فتؤخذ حسناته فتوضع فى موازين
ارباب المظالم ، ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تف بها حسناته حمل
من سيئات ارباب المظالم على سيئاته فيهلك بسيئات غيره (وفى) اى والتدارك
فى (نحو الغيبة) وكذا النيمة (والسب) اى الشتم واللعن (والايذاء) باللسان او
بالاركان ، ومنه الزنا بحليلة المسلم او جاراته او بقرابته (فلا استعفاء) متعدين لعدم وجوب
المال وجواز القصاص فى امثالها (والذكر المفصل) بفتح الصاد او كسرهما بان يذكر الغيبة
ونحوها مبينة معينة (الا ان يزداد التأذى) اى لصاحب الحق (بالاظهار فالمبهم) اى
فلا استعفاء للمبهم متعين (تحاميا عن ذنب آخر) فان مثل هذا الاعتذار اشد من الذنب
عند اهل الاعتبار ولانه يصير سببا لعدم عفو الذنب الاول (والجبر) اى جبر نقصان
الاستعفاء للمبهم (بالحسنات) ولو كان حيا ، وجودا حاضرا (كما لو كان) صاحب
الحق (ميتا او غائبا) لم يمكن الاجتماع به (والمبالغة) اى حينئذ (فى الاستعفاء

بِالتَّلَافُفِ وَالتَّوَدُّدِ وَالْإِحْسَانِ فَإِنْ عَفَا وَالْإِفْحَاسُ فِي مُقَابَلَتِهِ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ
وَيَتَّبِعُ الْحَسَنَةَ بِحَسَبِ السَّيِّئَةِ فَسَمَاعُ الْمَلَأَى بِسَمَاعِ الْقُرْآنِ وَالْقُعُودُ فِي الْمَعْصِيَةِ
بِالْإِعْتِكَافِ وَشُرْبُ الْخَمْرِ بِالتَّصَدُّقِ بِشُرَابِ حَلَالٍ لَذِيذٍ وَالْقَتْلُ بِالْإِعْتِقَاقِ وَالْغِيبةُ بِالثَّنَاءِ
وَالْغَضَبُ بِالصَّدَقَةِ وَنَحْوُهَا

بالتلطف) في طريق المحو (والتودد) اى اظهار المحبة بالقيام والاكرام
(والاحسان) بالهدية والضيافة والانعام لا بالالراء والابرار فانه غير مفيد عند الله
(فان عفا) اى صاحب الحق ، وفي نسخة فان عفى اى عن المذنب بالاستمغناء فيها
(والافحاسب) في القيامة بحسناته (في مقابله) اى مقابلة سيئاته كما قدمنا (فالكل
مأثور) وعن السلف مذکور .

والحاصل ان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر قلبه بسيئة مال بحسنة فاد اطاب
قلبه بكثرة تودده ولطفه سمحت نفسه بالاحلال عن فعله ، فان اى الاصرار فليكن
تلطفه واعتذاره اليه من جملة حسناته التى يمكن ان يجبر بها في القيامة جنيته وليكن
قدر سعيه في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في ابدائه حتى اذا قاوم أحدهما
الآخر اوزاد عليه اخذ ذلك عوضا منه يوم القيامة بحكم الله عليه كن اتقف في الدنيا ما لا لئاء
بمثله وامتنع من هوله عن القبول وعن الابرار فان الحالم يحكم عليه بالقبض والابرار عنه
شاء ام اى ، فكذلك يحكم الله في صعيد القيامة احكم الحاكمين واعدل المقسطين (ويتبع)
وهو مرفوع وقيل منصوب ، اى وحق التوبة ان يتبع (الحسنة بحسب السيئة) اى بقدرها
كيفية وكيفية (فسماع الملاهى) من انواع الاوتار المناهى يتبع (بسماع القرآن)
ومجالس الذكر الاهى (والقعود في المعصية) كقعود في المسجد جنبا (بالاعتكاف)
فيه مع الاشتغال بالعبادة ، وكذا مس الصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة
تقبيله ، وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا (وشرب الخمر بالتصدق بشراب حلال
لذيذ) اى حلوا بارد (والقتل بالاعتاق) اى وقتل النفس عمدا او خطأ باعتاق
رقبة لان ذلك نوع احياء ، اذ العبد مفقود بنفسه موجود بسيدته ، فالاعتاق ايجاد
لا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد (والغيبة) ونحوها من الابداء
(بالثناء) على صاحب الحق او على اهل الدين والخير في الحضور والغيبة (والغضب
بالصدقة ونحوها) عطف على سماع الملاهى اى وكذا نحو المذكورات فعد جميع

فَوَرَدَ (اِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) اَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُوهَا وَيَسْتَغْفِرُ فَوَرَدَ
«مَا أَصْرَمَ اسْتَغْفَرَ وَأَنْ غَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً» وَالسَّتْرَ أَحَبُّ وَلَوْ أَقْرَأَ قَامَةَ الْحَدِّ
فَلَا قَدْحَ فَوَرَدَ فِي مَا عَزَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ الْأُمَّةِ لَوْ سَعَتَهُمْ»
وَيُؤَكِّدُ الْعَزْمَ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ

الماضى غير ممكن فى العبادات ، والعاقل يكفيه بعض الاشارات ، والمقصود سلوك
طريق المضادة فان المرض يعالج بعضده ، فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعضية فلا
يمحوها الا نور يرتفع اليها بمحسنة تضادها ، والمتضادات هى المتناسبات ، فكذا ينبغى
أن يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لى تضادها ، فان البياض يزال بالسواد
لابلحارارة والبرودة ، وهذا التدريج والتحقيق من التاطف فى طريق المحر ، فالرجاء
فيه اصدق ، والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان
ذلك ايضا مؤثرا فى المحو ، هذا وسلوك طريق المضادة فى التكفير والمحو مشهود له
فى الشرع حيث كفر القتل باعناق الرقبة (فورد) فى التنزيل (ان الحسنات)
اي جميع الطاعات (يذهبن السيئات) اي تمحوها (اتبع السيئة) اي وورد ؟
انق الله حيث كنت واتبع السيئة من باب الافعال اي اعقب السيئة (الحسنة تمحها) رواه
الترمذى من حديث أبى ذر وصححه . ولليهنى فى الشعب من حديث معاذ اذا عملت
سيئة فاتبعها حسنة تكفرها ، السر بالسر والعلاية بالعلاية ، (ويستغفر) اي وحق
التوبة ان يستغفر (فورد ما أصرم من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة) رواه
ابو داود والترمذى عن أبى بكر (والستر احب) اي من الاظهار فى حق الله (ولو اقر
لاقامة الحد) اي فى حقوق الله الخالصة (فلا قدح) اي لا ذم ولا منع لما تقدم
(فورد فى ما عز رضى الله عنه) حيث اعترف بالزنى ورجم (لقد تاب توبة لوقسمت
بين الامة) وفى رواية بين الخلائق (لو سعتهم) اي لكفتهم وهو عبارة عن كثرة
ثوابها . والحديث رواه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب ، وكذا حديث الغامدية
واعترافها بالزنا ورجمها . وقوله عليه السلام : « لقد تاب توبة لو تابها صاحب مدر
لغفر له » (ويؤكد العزم) اي وحق التوبة ان يشدد الدزم ويقوى الجزم (على
ان لا يعود) بمثل الذنب الذى تاب منه ابدا ، قال بعضهم : من صدق فى ترك شهوة

وَيُخْلِصُ النَّيَّةَ فَمَنْ تَرَكَ لَذَهَابَ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ عَدَمَ اسْبَابٍ لَا يَكُونُ تَائِبًا ثُمَّ أَنْ
يَغْسِلَ الثَّيَابَ وَيَغْتَسِلَ وَيُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي مَوْضِعٍ خَالٍ وَيَضَعُ الْوَجْهَ عَلَى
الْأَرْضِ وَالتُّرَابِ وَلِلتَّذْكَرِ بَدْمَعٍ حَارٍّ وَقَلْبٍ حَزِينٍ وَصَوْتٍ عَلَى وَيَذْكُرُ الذُّنُوبَ
وَاحِدًا وَاحِدًا وَيُلُومُ النَّفْسَ وَيُوبِخُهَا وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ وَيُحَمِّدُ اللَّهَ وَيُصَلِّيُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها . وقال آخر : من تاب من ذنب فاستقام
عليه سبع سنين لم يعد اليه ابداً (ويخلص النية) أى وحققها أنت يصحح
النية ويخلص الطوية في ترك المعصية الجليلة والخفية (فمن ترك) المعصية
(لذهاب مال) كما في القمار ونحوه (اوجاه) من سقط اعتباره عند الخلق
(او عدم اسباب) معينة له على المعصية (لا يكون تائبا) وقيل من المعصية
الا تقدر (مهم) أى بعد ذلك حق التوبة على النائب (ان يغسل الثياب) التى عصى الله
فيها (ويغتسل) فان طهارة الظاهر عنوان طهارة الباطن ، وفي رواية ويتوضأ
واختيار الغسل اشعار بالتوبة عن الكل (ويصلى اربع ركعات) تنزيها على
جهات اربع تشهد له يوم القيمة كما قال تعالى : (يومئذ نخبرها بان ربك
أوحى لها) (فى موضع خال) عن اشتغال وعن توهم الرياء والسعة فى بال (ويضع
الوجه) أى وأن يضع جبينه (على الارض) تواضعا لله (والتراب) لزيادة
الخشوع عند رب الارباب (وللتذكر) أى اصله ورجعه فى هذا الباب كما يشير اليه
قوله تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى) (بدمع حار) أى
مع بكاء فى الندامة فان دمع الندامة والخوف حار ودمع الفرح والسرور بارد ، ولذا
ورد قرءة عين وقرى عينا (وقلب حزين) على ما سبق له من المعصية (وصوت
على) أى رفيع فى البكاء ، والا فالنداء والاذكار اولى ان تكون بالاخفاء (ويذكر
الذنوب) أى وان يتذكر ذنوبه (واحدا واحدا) جنسا وفردا (ويلوم النفس)
أى وأن يعيبها ويذمها (ويوبخها) أى يثربها ويقرعها (ويرفع يديه) الى
كفيه اواذنيه حتى يرى بياض ابطينه مبالغة فى التضرع الى الله والالتجاء اليه
(ويحمد الله) على آلاء الله ونعمائه الظاهرة والباطنة عليه ويقول : الحمد لله على
كل حال ونعوذ بالله من حال اهل النار (ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم)

وَيَدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِأُولَآئِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ ، وَجَاءَ فِي الْآثِرِ . إِذَا أَتَبَعَ الذَّنْبُ بِعَزْمِ
التَّوْبَةِ وَخَوْفِ الْعِقَابِ وَرَجَاءِ الْعَفْوِ وَأَدَاءِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ وَالِاسْتِغْفَارِ سَبْعِينَ
مَرَّةً وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ مِائَةً مَرَّةً وَالتَّصَدُّقِ سِرًّا وَعِلَانِيَةً وَصَوْمِ يَوْمٍ فَالْعَفْوُ أَرْجَى

لانه شفيح المذنبين (ويدعو لنفسه) لقبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة (ولوالديه)
فيقول رب ارحمهما كما ربياني صغيرا (وللمسلمين) فيقول (رب اغفر لي ولوالدي
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ويكثر الاستغفار لاسما ما ورد عن سيد الارباب نحو
قوله (رب ظلمت نفسي وعملت سويا فاغفر لي ذنوبي) وكذا يكثر من سيد الاستغفار
(وجاء في الاثر اذا اتبع الذنب بعزم التوبة) أي بالتوبة على وجه العزم والجزم
(وخوف العقاب) عند مناقشة الحساب (ورجاء العفو) من رب الارباب (واداء
ركعتين في المسجد) فانه افضل الاماكن واشرفها ، ويشهد له بما عرفه (والاستغفار
سبعين مرة) لما ورد في بعض طرق الاحاديث ولوزاد حتى صار مائة مرة فهو
افضل واكمل (والتسبيح والتحميد مائة مرة) أي كل واحد منهما او يقول
سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ، وينبغي ان يكون التكبير والتهايل كذلك
لتجتمع الباقيات الصالحات ، بل ويضم اليها لاحول ولا قوة الا بالله كذلك (والتصديق
سرا وعلانية) وكذا نهارا وليلا ليدخل في قوله تعالى (الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم) وليكون تصدقه مكفرا لجميع
انواع معاصيه من السيئات السرية والعلانية والليلية والنهارية (وصوم يوم) فانه
من جملة الحسنات المكفرات للسيئات (فالعفو) عن الذنب حينئذ (ارجى)
أي اكثر رجاء . وفي الاحياء ان في الآثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع
بثانية اعمال كان العفو عنه مرجوا ، اربعة من اعمال القاب وهي التوبة او العزم على
التوبة ، وحب الافلاح عن الذنوب ، وخوف العقاب عليها ، ورجاء المغفرة لها ، واربعة
من اعمال الجوارح وهي ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ، ثم يستغفر الله بهما
سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ، ثم يتصدق بصدقة ثم
يصوم يوما ، وفي بعض الاخبار يصلي ركعات . قال مخرجه : اثران من مكفرات
الذنب ان يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين ، رواه اصحاب السنن

وَالطَّرِيقُ ذِكْرُ مَا وَرَدَ فِيهَا وَقَبْحُ الذَّنْبِ وَشِدَّةُ الْعُقُوبَةِ وَضَعْفُ النَّفْسِ عَنِ الْإِحْتِمَالِ

من حديث أبي بكر الصديق « مامن عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الاغفر الله له » هذا لفظ أبي داود وهو في الكبرى للنسائي مرفوعا وموقوفا . وحديث التكفير بصلاة اربع ركعات ذكره ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال : « كان رجل يهوى امرأه الحديث - وفيه » فلما رآها جالس منها مجلس الرجل من امرأته وحرك ذكره فاذا هو مثل الهدبة فقام نادما فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال له عليه السلام صلى اربع ركعات فانزل الله عز وجل (اقم الصلاة طرفي النهار) الآية » واسناده جيد . وفي هذا الحديث دلالة على ان توبة العنين ، صحيحة وفي الصحيحين « ان رجلا قال يا رسول الله انى عاجلت امرأة فاصيت منها كل شيء الا الميسيس فامض على بحكم الله فقال عليه السلام او ما صليت معنا صلاة الغداة فقال بلى ، فقال عليه السلام ان الحسنات يذهبن السيئات » وهذا يدل على ان مادون الزنى من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله عليه السلام « الصلوات الخمس كفارة لما بينهن الا الكبائر ، كذا في الاحياء . وقال مخرجه حديث الرجل متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله او ما صليت معنا صلاة الغداة ورواه مسلم من حديث انس ، وفيه « هل حضرت معنا الصلاة قال نعم ، ومن حديث أبي امامة وفيه « ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم » الحديث (والطريق) الموصل الى التوبة عشرة اشياء (ذكر ماورد فيها) أى من الكتاب والسنة في فضل التوبة لقوله تعالى (ان الله يحب التوابين) وكقوله عليه السلام « ليتمنين اقواما كثروا من السيئات الذين بدل الله عز وجل سيئاتهم حسنات » رواه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة ، وهو مقتبس من قوله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاؤتلك يبدل الله سيئاتهم حسنات) (وقبح الذنب) فمن ابن مسعود : ينسى المرء بعض العلم بالمعصية ، وتلا آية (فتسوا حظا بما ذكروا به) ولانه مخالفة الرب وقد تجر الى الكفر كقصة ابليس اوله ذنب وآخره كفر ، وكذا قضية قاتل وبلعام بن باعوراء اوله شهوة وآخره شقوة (وشدة العقوبة) أى وذكر شدتها الناشئة عن غضب الله وسخطه الذى لا طاقة لاحد به (وضعف النفس عن الاحتمال) أى تحمل احوال يوم القيمة فقد قال تعالى (فما اصبرهم على النار) فان من لا يحتمل حر شمس واطمة شرطى كيف يحتمل غدا حر نار

وَشَرَفِ الآخِرَةِ وَخَسَاسَةِ الدُّنْيَا وَقُرْبِ الْمَوْتِ وَلَذَّةِ الْمَعْرِفَةِ وَالْمُنَاجَاةِ ، وَخَوْفِ
الْأَمَلَاءِ بَعْدَ الْأَخْذِ الْحَالِيِّ وَالْإِسْتِدْرَاجِ بِالْإِحْسَانِ بَعْدَ الْإِرْتِكَابِ وَقَلْعِ أَسْبَابِهِ
وَهِيَ الْغُرُورُ وَحُبُّ الدُّنْيَا وَطُولُ الْأَمَلِ بِمَا فِي مَوْضِعِهَا ، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ تَرَادُفَ
الْمَعَاصِي سَبَبٌ تَرَأَى كَمِ ظَلَامِ الْقَلْبِ وَبِهِ يَحْصُلُ

جهنم ، وضرب مقامع الزبانية ، ووسع حبات اغناقها كاعناق البخت ، وعقارب
كالإبل خلقت من النار في دار الغضب والبور ، نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من
سخط الواحد القهار (وشرف الآخرة) أى وذكر شرفها فانها خير وابقى
(وخساسة الدنيا) من سرعة فنائها وقلة بقائها وكثرة عنائها وخسة شركائها
(وقرب الموت) كما قال سيدنا ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه هـ
كل امرئ مصبح في اهله والموت ادنى من شرك نعله

(ولذة المعرفة) فانها لا تتجمع المعصية فقد اجتمع السلف على ان كل من عصى الله
فهو جاهل (والمناجاة) لانها تختص بأهل العبادات والمنادات (وخوف الاملاء)
بالرفع عطف على ذكر ، أى وخوف الامهال (بعدم الاخذ الحالى) بتشديد الياء
نسبة الى الحال ضد الماضى والاستقبال ، فقال تعالى (انما نملى لهم ليزدادوا اثما)
(والاستدراج) أى وخوف الاستدراج (بالاحسان) أى باحسان الرب (بعد
الارتكاب) أى ارتكاب الذنب وذلك بمزيد العطية وقت صدور الخطية (وقلم
اسبابه) عطف على ذكر ماورد ، أى وقلم اسباب الذنب (وهى) أى اسباب ثلاثة
(الغرور) قال تعالى (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور . فلا تفرحكم الحياة الدنيا)
وهو سكون النفس الى دليل فيه شك وشبهة كمن يذنب وتسكن نفسه الى ان الله تعالى
غفور ، فهذا ثمن وغرور ، بخلاف من يطيعه ويرجو ثوابه من اللقاه والحضور أو الجنة
والحور والقصور (وحب الدنيا) فانه رأس كل خطيئة كما ورد (وطول الامل)
فانه مانع من العمل ومسوفه الى آخر الاجل ، فقامع اسبابه (بما فى موضعها) من
تلاج هذه الاشياء بتمامها (والتحقيق) فى وجوب التوبة عن كل معصية بلا مهلة وفى
قلم الاسباب عليك (ان ترادف المعاصى) أى ترادفها وتناوبها باصرارها من غير
تخلل توبة فى اثائها (سبب تراكم ظلام القلب) أى تكاثف ظلماته (وبه يحصل

الرَّيْنُ وَالطَّبْعُ وَهُوَ دَاءٌ عَضَالٌ وَاخْتَفَافٌ فِي صَحَّتْهَا عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ وَالْحَقُّ إِفَادَةُ
نُقْصَانِ الْعُقُوبَةِ لِأَنَّهَا بِحَسَبِ الذَّنْبِ دُونَ النِّجَاةِ لِأَنَّهَا بَتَرَكَ الْكُلِّ فَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا التَّرْكُ

الرَّيْنُ) في قوله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (والطبع) أي الختم
في قوله سبحانه (ان لو نشاء لاصيناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم
لا يسمعون) وقال مجاهد: القلب مثل الكف المفتوحة كلما اذنب ذنباً انقبضت اصبع
حتى تنقبض الاصابع كلها فيشد عليه الفعل فذلك هو القفل يعني فيما قال تعالى
(افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفاها) وقال بعض السلف : ليست اللعنة
سواداً في الوجه انما اللعنة ان لا يخرج من ذنب الا وقد وقع في مثله واشر منه . وقال
ابو سليمان الداراني : لا يفوت احد اصلاصة جماعة الا بذنب يذنبه وفي الخير (ما انكرتم
من زمانكم فيما تركتم من اعمالكم ، رواه البيهقي في الزهد من حديث ابي الدرداء
(وهو) أي ترادفها (داء عضال) أي صعب في غاية اشكال عجوز عنه اطباء القلوب
الا ان يريد دواءه علام الغيوب (واختاف في صحتها) أي التوبة (عن بعض الذنوب)
ففي الاحياء : ومن مهمات التأنيب اذا لم يكن عالماً ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل
وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة ، ثم ان لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة
المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب ، كالذي يتوب عن الشرب والزنى واللواط
والغصب مثلاً دون غيره ؛ وليست هذه توبة مطلقة . وقد قال بعض الناس : ان هذه
التوبة لا تصح ، وقال قائلون تصح ولكن لفظ الصحة في هذا المقام مجمل (والحق)
أي الذي لا يحصى عنه ان في التوبة عن بعض المعاصي (افادة نقصان العقوبة لأنها)
أي العقوبة (بحسب الذنب) كثرة وقلة (دون النجاة) أي دون افادة النجاة
من النار (لأنها) أي النجاة انما تحصل (بترك الكل) أي جميع المعاصي وتوضيحه
ان يقال لمن قال لا تصح ان عنيت به ان ترك بعض الذنوب لا يفيد اصلاً بل وجوده
كعدمه فما اعظم خطأك ، فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقتلها سبب
لقلته . ويقال لمن قال تصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولاً
يوصل الى النجاة أو الفوز فهذا أيضاً خطأ بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حلم
الظاهر فلستنا نتكلم في خفايا اسرار عفو الله فهو اعلم بالسرائر (فان قلت انما الترك)
أي ليس مراد القائل الاول بعدم الصحة عن البعض الا ترك بعض الذنوب وهو شرب الخمر

لَكُونَهُ ذَنْبًا لَا بَعِيْنَهُ وَهُوَ مُشْتَرِكٌ فِيْهِ فَكَيْفَ تَتَصَوَّرُ عَنْ الْبَعْضِ قُلْتَ بِحُجُزِ التَّرَكِّ
لَكُونَهُ أَفْخَشَ وَالْعِقَابُ عَلَيْهِ أَصْعَبُ أَوْ التَّدَارُكُ أَشَقُّ أَوْ مِيلُ النَّفْسِ إِلَيْهِ أَقْلُ

مثلا (لكونه) أى ذلك البعض الذى تاب منه وهو الشرب (ذنباً لا بعينه) أى لا لكونه شرب الخمر بذاته (وهو) أى كونه ذنباً أو علة تركه (مشارك فيه) أى يشترك فى هذا المعنى جميع الذنوب شامل بين جميع المعاصى ، لأن من ترك الخمر لكونها معصية وتوقعه فى عقوبة وجب عليه أن يترك سائر المعاصى لكونها معصية وتوقعه فى العقوبة (فكيف تتصور) التوبة (عن البعض) دون البعض ، فإذا ثبت أنها لا تصح عن البعض بهذا المعنى فوجب أن يتوب عن الجميع دون البعض (قلت) التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو إما أن تكون من الكبائر دون الصغائر أو بالعكس أو عن كبيرة دون كبيرة أما الأول فانه ممكن ويقال (بحجوز الترك) لبعض الذنوب (لكونه) أى ذلك البعض (أفخش) أى اغاظ وأعظم واجلب له خط الله وغضبه (والعقاب عليه أصعب) أى أشد وأقوى وأبقى ، والصغيره أقرب الى تطرق العفو اليه فلا يستحل ترك الكبيرة بهذه العلة ومثاله كمثل عبد يترك ضرب ولد السيد لعظم العقوبة ويضرب دابته لظن أن السيد ربما يسامحه فى ذلك ، وكالمريض يحذر الطيب عن أكل الحلو تحذيراً شديداً فيتوب المريض عن العسل دون السكر. وأما الثالث وهو أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضاً ممكن لا اعتقاده أن بعض الكبائر أشد عند الله من بعض كمن ترك شرب الخمر مثلاً لكونه مفتاح الشر ، ولأنه إذا زال عقله ارتكب سائر المعاصى فيجتنبها دون الزنا (أو التدارك) أو يكون تدارك ذلك البعض (أشق) أى أتعب كالذى يترك القتل أو النهب وظالم العباد لعله أن التدارك فيه أصعب ، ولأن ديوان العباد لا يترك يوم المعاد ، ويرتكب ما بينه وبين الله كترك الصلاة فانه يتسارع العفو اليه وأما الثانى وهو أن يتوب عن الصغائر وهو مصر دلى كبيرة يعلم أنها كبيرة وهذا أيضاً ممكن فالذى يترك الغيبة أو النظر الى غير المحرم وما يجرى مجراه وهو مصر على شرب الخمر لأن ميل النفس اليها أكثر (أو ميل النفس اليه) أى الى ما ترك من الصغائر (أقل) فيكون ثقله أهون وأسهل. ووجه امكان ذلك انه ما من مؤمن الا وهو خائف على المعاصى نادم على فعله ندماً ضعيفاً أو قوياً ، ولكن ميل نفسه فى تلك المعصية اقرب من الميل فى الخوف منها لاسباب توجب الخوف من الجهل والغفلة ، لاسباب توجب

هَذَا وَلَمْ يَشْتَرِطِ الْكُلَّ فِيهَا وَرَدَّ فِي صَحَّتِهَا عَنْ الْعَاجِزِ كَالْعَنِينِ عَمَّا زَيَّ قَبْلَ
 الْعُنَّةِ وَالْأَقْرَبُ الْعَدَمُ لَا مَتَاعَ التَّرْكِ فِي غَيْرِ الْمَقْدُورِ لَكِنْ لَوْ تَنَدَّمَ وَتَأَلَّمَ الْقَلْبُ
 بِحَيْثُ لَوْ فُرِضَتْ الشَّهْوَةُ لَقَهَرَهَا فَالْجَاءَ الْقَبُولُ عَلَى حَسَبِ اِطْلَاعِهِ تَعَالَى
 عَلَى الضَّمَائِرِ

قوة الشهوة ، فيكون الخوف موجودا لكن لا يحمل على ترك الذنب ، فان سلم من شهوة
 هي اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف منه ، فهو أى ذلك الخوف الضعيف ملك
 الشهوة التي هي اضعف منه ودفعها ، وان لم يسلم من شهوة هي اقوى منه كشرب الخمر
 لم يقدر على الدفع ، فمثاله كمثل رجل له عدو ان احدهما ضعيف والآخر قوى ، فاذا
 واجه الضعيف غلب عليه واذا واجه القوى صرعه القوى ، ولان التوبة على حسب
 المعصية ، وتوبة ذنب لا تتوقف على توبة ذنب آخر ، وهذا لان توبة ذنب احسان
 في العبودية . وتوبة ذنب آخر احسان آخر ، وصحة احسان لا تتوقف على صحة احسان آخر
 (هذا) هو التمتع ، او اخذ هذا على طريق التوفيق (ولم يشترط الكل) أى لم يشترط
 التوبة عن جميع المعاصي (فيما ورد) من الكتاب والسنة في التوبة كقوله تعالى (ان الله
 يحب التوابين) حيث لم يقل عن جميع الذنوب ، وكقوله عليه السلام « التائب من
 الذنب كمن لا ذنب له » ولم يقل عن جميع الذنوب وقوله : « الندم توبة » ولم يقل عن
 جميع المعاصي ، وايضا يقاس على الطاعات من نحو الصوم والصلاة والزكاة حيث
 لا تتوقف صحة طاعة على وجود اخرى اجماعا (وفي صحتها) أى وكذا اختلف في صحة
 التوبة (عن العاجز) الذى لم يقدر على المعصية (كالعنين) بوزن سكين وهو من
 لم يقدر على الجماع (عمازى) أى ذنوبه عمافرة (قبل العنة) أى حدوثها (والاقرب
 أى القول الاقرب الى الصحة او الصواب) (العدم) أى عدم صحتها (لا متناع الترك
 في غير المقدور) لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله ،
 واما ما لا يقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه (لكن) قد يقال (لوتندم)
 العنين (وتألم القلب) بالزنى (بحيث لو فرضت الشهوة) أى قدرت شهوة الزنى
 (لقهرها) أى لغلبها وتركها (فالرجاء) أى المأول من كرمه سبحانه (القبول)
 أى قبول توبته (على حسب اطلاعه تعالى على الضمائر) أى على ما يخفى على غيره من

كَأَلَوْ تَابَ قَبْلَ طَرِيَانِ الْعَنَةِ وَمَاتَ قَبْلَ هِجَانِ الشَّهْوَةِ وَتَيَسَّرَ سَبَابُ قَضَائِهَا وَفِي
 «أَنَّ الْأَفْضَلَ مَنْ يُجَاهِدُ شَهْوَتَهُ أَوْ مَنْ انْقَطَعَتْ شَهْوَتُهُ» وَالْحَقُّ أَنَّ الثَّانِيَّ أَسْلَمَ مُطْلَقًا
 وَأَفْضَلُ أَنْ كَانَ انْقِطَاعُهَا لِقُوَّةِ الْيَقِينِ وَسَبَقَ الْجَاهِدَةُ فَالْمُظْفَرُ أَوَّلَى مِنَ الْمُجَاهِدِ وَأَنْ
 كَانَ لَضَعْفِهَا فِي نَفْسِهَا فَالْأَوَّلُ أَفْضَلُ لِأَنَّ التَّرْكَ بِالْجَاهِدَةِ مِنْ قُوَّةِ الْيَقِينِ وَاسْتِيْلَاءِ الدِّينِ

السراير (كالو تَاب) العنين عن الزنى (قبل طريان العنة) أى حدونها (ومات قبل هيجان
 الشهوة) أى شهوة الزنى أو الجماع (وتيسر اسباب قضائها) أى قضاء الشهوة ومباشرتها
 لكان من التائبين اتفاقاً بعد طريان العنة لو تقدم بما تقدم لكان من التائبين أيضاً حيث لا فرق
 بينهما (وفى) أى واختاف أيضاً (أن الافضل من يجاهد شهوته) وينمى معصيته
 (أومن انقطعت شهوته) وسكنت نفسه عن الميل الى المعصية ، فقال أحد بن أبى الحوارى
 وأصحاب أبى سليمان الداراني: ان المجاهد أفضل لان له مع التوبة فضل المجاهدة ويؤيده
 ما أخرجه الامام أحمد فى الزهد عن مجاهد أنه قال كتب الى عمر يا أمير المؤمنين رجل
 لا يشتهى المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهى المعصية ولا يعمل بها؟ فكتب
 عمر ان الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها أولئك الذين امتحن الله قلوبهم
 للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ويقويه ان جنس البشر أفضل من جنس المالك لما
 تقدم والله أعلم وقال علماء البصرة ذلك الاجر أفضل لانه لو فترق تربته كان أقرب
 الى السلامة من المجاهد الذى هو فى عرصة القصور عن المجاهدة (والحق ان الثانى أسلم
 مطلقاً) سواء كان انقطاع شهوته من المجاهدة أو ضعف البنية (وأفضل) أى
 الثانى مقيداً بقيد وهو انه (ان كان انقطاعها) أى الشهوة (لقوة اليقين) فى مقام
 المشاهدة (وسبق المجاهدة) مع النفس فى دفع الشهوة على سبيل المعصية (فالظفر)
 أى المنصور على العدو (أولى من المجاهد) المشغول فى صف القتال ولا يدري كيف
 يسلم فى الاستقبال (وان كان) انقطاعها (لضعفها) أى لفتور الشهوة (فى نفسها)
 أى فى أصل خلقتها (فالأول) وهو الذى يجاهد شهوته (أفضل) (لان الترك بالمجاهدة
 من قوة اليقين واستيلاء الدين) ولقد زل فى هذا البحث فريق فظنوا أن الجهاد هو
 المقصود الأقصى ، ولم يعلموا ان ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق وعلائقها
 الشاغلة عن المولى، وظن آخرون ان قمع الشهوات واماطتها بالكلية مقصود بالذات

وَفِي نَفْعِ الْإِسْتِغْفَارِ مَعَ الْأَصْرَارِ وَالْحَقُّ النَّفْعُ لِمَا سَبَقَ وَكَوْنُهُ حَسَنَةً تَصْلَحُ لِلتَّكْفِيرِ
وَعَدَمُ ضَيَاعِ الْأَجْرِ فَوَرَدَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَأَنَّ تَكَّ حَسَنَةً يَضَاعِفُهَا
وَمَا وَرَدَ أَنَّ الْمُسْتَغْفِرَ بِلِسَانِهِ الْمَصْرَعِ عَلَى ذَنْبِهِ كَالْمُسْتَهْزِئِ بِرَبِّهِ مَحْمُولٌ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْعَادَةِ
مِنَ الْغَفْلَةِ دُونَ الْإِبْتِهَالِ وَالصَّدَقِ فِي السُّؤَالِ

حتى جرب بعضهم ذلك ففجز عنه، فقال : هذا محال وكذب بالشرع وسلك سبيل
الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات ، وكل ذلك جهالة وقضالات (وفي) أى وكذا
اختلاف في (نفع الاستغفار) باللسان (مع الاصرار) على الذنوب الكبار أو الصغار
(والحق النفع) لثلاثة أوجه (لما سبق) من الأخبار في فضل الاستغفار من غير قيد
بعدم الاصرار (وكونه) أى ولكون الاستغفار باللسان (حسنة تصاح للتكفير) أى
لتكفير العصيان (وعدم ضياع الأجر) أى ولعدم ضياع أجر عامل عبده سبحانه
(فورد) في التنزيل (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) (ولا يضيع أجر من أحسن عملا)
(وإن تك حسنة يضاعفها) تمامه (ويؤت من لدنه أجرا عظيما) وقال : (فن
يحمل مثقال ذرة خيرا يره) (وما ورد) مبتدأ أى وما جاء في حديث (أن المستغفر بلسانه
المصر دلى ذنبه) أى بجنانه (كالمستهزئ بربه) وفي الأحياء بلفظه المستغفر من الذنب
وهو مصر كالمستهزئ بآيات الله قال مخرجه : هو حديث ابن عباس عند ابن أبي الدنيا
ومن طريق البيهقي في الشعب ولفظه المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ
بربه « (محمول عليه) خبر المبتدأ أى حمله العلماء على الاستغفار (بحكم العادة من
الغفلة) عن الإرادة (دون الابتال) أى التضرع في الحال (والصدق في السؤال) أى
سؤال المغفرة في الاستقبال ، فهذا حسنة تصاح أن تدفع بها السيئة . وكذا ما نقل عن
بعضهم أنه كان يقول : استغفر الله من قول استغفر الله ، وقبل الاستغفار باللسان توبة
الكذابين ، وهو محمول على الاستغفار بمجرد القول من غير أن يكون للقلب فيه شركة العمل .
وقالت رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير ، فلا تظن أنها تدم حركة
اللسان من حيث أنه ذكر الله بل تدم غفلة القلب ، فهو يحتاج الى استغفار من غفلة جنانه
لامن حركة لسانه ، فإن من سكت عن الاستغفار باللسان أيضا يحتاج الى استغفار من
لال الى استغفار واحد : فهكذا ينبغي أن يفهم حمدا يحمده وذما ما يذمه والجاهل معنى

قول القائل الصادق : حسنات الابرار سيئات المقربين ، فان هذه امور تثبت بالاضافة فلا ينبغي ان تؤخذ من غير اضافة ، بل ينبغي ان لا يستحق ذرات الطاعات والسيئات . ولذا قال الامام جعفر الصادق : ان الله تعالى خبأ ثلاثاً في ثلاث : رضاه في طاعته ، فلا تحقروا منها شيئاً ففعل رضاه فيه ، وسخطه في معاصيه ، فلا تحقروا منها شيئاً ففعل غضبه فيه ، وخبأ وليه في عباده فلا تحقروا من عباد الله احداً ففعله ولي الله . وزادوا وخبأ اجابته في دعائه واسمائته ، فلا تتركوا شيئاً منهما فربما كانت الاجابة فيه . وقال سهل : لا بد للعبد في كل حال من مولاة . فاحسن احواله ان يرجع اليه في كل شيء بما قدره وقضاه ، فان عصاه قال يارب استر علي ، فاذا فرغ من المعصية قال يارب تب علي فاذا تاب قال يارب ارزقني العصمة ، واذا عمل الطاعة قال يارب تقبل مني . وسئل ايضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال : اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة . فالاستجابة اعمال الجوارح ، والانابة اعمال القلوب ، والتوبة اقباله على مولاة بان يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر ، ففعل ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ، ثم التنقل الى الافراد ، ثم الثبات ، ثم البيان ، ثم القرب ، ثم المعرفة ، ثم المناجاة ، ثم المصافاة ، ثم الموالاة ، ثم محادثة السرو هو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غداه والذكر قوامه والرضاء زاده والتوكل صاحبه ، ثم ينظر الله اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش ، وسئل عن معنى قوله عليه السلام « التائب حبيب الله » فقال : انما يكون حبيب الله اذا كان فيه جميع ما ذكره الله في قوله تعالى (التائبون العابدون) الآية . وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه . وفي الاحياء : فايها ان تستحق ذرات الطاعات فلا تأتيتها وذرات المعاصي فلا تتقها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تملأ بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد ، فتقول وأي غنى يحصل في خيط واحد ؟ وما وقع ذلك في الثياب ؟ ولا تدرى المعتودة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطاً خيطاً ، وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة ، فاذا التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله اصلاً ، بل اقول : الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الحالة بغيبة او فضول كلام ، بل هو خير من السكوت عنه ، فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه ، وانما يكون نقصانا بالاضافة الى عمل القلب ، ولذا قال بعضهم لشيخه أبي عثمان المغربي : ان لسانى في بعض الاحوال يجرى بالذكر والقرآن وقلبي غافل ، فقال اشكر الله اذا استعمل جارحة من جوارحك في خير وعوده الذكر ، ولم يستعمله في الشر ولم يعودها الفضول .

وَفِي نِسْيَانِ الذَّنْبِ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَهُوَ الْأَوَّلَى لِلْبَتْدَى تَحَامِيًا عَنْ تَحْرِيكِ الْمِيلِ
وَمَارُورِي مِنْ كَثْرَةِ نُوحِ الْمُتَهِنِينَ وَبُكَائِهِمْ فَلَا يُقَاسُ الْمَلَائِكَةُ بِالْحَدَّادِينَ وَأَفْضَلُ
التَّائِبِينَ الْمُسْتَقِيمُ إِلَى الْمَوْتِ مُبَالِغًا فِي اجْتِنَابِ غَيْرِ الزَّلَّاتِ فَهُوَ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ

انتهى . فإياك أن تدمع في الطاعات مجرد الآفات قدمتر رغبتك في العبادات ، فهذه
مكيدة روجها الشيطان بلعبه على المغرورين ، وخيل اليهم انهم ارباب البصائر واهل
الانقضاء في الخبايا والسرائر ، نأى خير فذكر اللسان مع غفلة الجنان والله المستعان ﴿ وفي ﴾
أى وكذا اختلف في ﴿ نسيان الذنب ﴾ وذكره ﴿ بعد التوبة ﴾ ايها اولى ، وانما قيد
بما بعد التوبة فان النسيان قبلها مذكوم اجما عاقل تعالى : ﴿ ونسى ما قدمت يداه ﴾ فقال
قوم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك بين عينيك ، وقال الآخرون حقيقة التوبة ان تنسى
ذنبك ﴿ وهو ﴾ أى نسيان الذنب ﴿ الاولى للبتدىء تحاميا عن تحريك الميل ﴾ أى
احتراسا عن تحريك ميل قلبه الى المعصية الناشئة عن الشهوة عند ذكرها ولان المذنب
اذا نسيه لم يكسر احتراقه ، ولا تقوى ارادته وانما نسيه لسلوك الطريق لان ذلك يستخرج
منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله ، فهو بالاضافة الى الغافل لئلا ، ولكنه
بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق ﴿ ومارورى ﴾
مبتداً أى وما نقل ﴿ من كثرة نوح المتنهين ﴾ من الانبياء والمرسلين والاولياء
والصالحين ﴿ وبكائهم ﴾ حال كثرة دعائهم والخير ﴿ فلا يقاس ﴾ فى سلوك طريق
الدين ﴿ الملائكة بالحدادين ﴾ فان صدور البكاء واظهار الذنوب بالاستغفار والدعاء
انما كان لتعليم امتهن حتى لا يغفلوا عن حال الجفاء وقت الوفاء . هذا وقد اخرج ابن
المبارك وابن ابي حاتم عن المقبرى ان عيسى بن مريم كان يقول : يا ابن آدم اذا عملت
حسنة فانه عنها فانها عند من لا يضيعها ، واذا عملت سيئة فاجعلها نصب عينيك ﴿ وافضل
التائبين المستقيم ﴾ على اكتساب الطاعات واجتناب السيئات ﴿ الى الموت ﴾ أى
انقضاء الحيا من غير نقصان الفوت ﴿ مبالغا فى اجتناب غير الزلات ﴾ التى لا ينفك
البشر عنها فى الحالات بحسب العادات من المعاصى المنهيات ، وانما المبالغة مطلوبة
فى جانب المحظورات لما ورد : اذا امرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم
عن شئ فاجتنبوه ، ﴿ فهو ﴾ أى المستقيم ﴿ سابق بالخيرات ﴾ ومسارع الى المبرات

وَالنَّفْسُ مُطْمَئِنَّةٌ وَيَزْدَادُ الْفَضْلُ بِطُولِ الْعُمُرِ وَالْمُجَاهِدَةِ فَوَرَدَ «أَفْضَلُ السَّادَاتِ طُولُ الْعُمُرِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ» وَالسَّلَامَةُ بِقُرْبِ الْمَوْتِ ثُمَّ الْمَعَاوِدُ فِي بَعْضِ الذَّنْبِ الْمُجَدِّدِ لِلتَّوْبَةِ مَبَالِغًا وَهُوَ الْمُفْتَنُ التَّوَابُ وَالنَّفْسُ لَوَامَةٌ

• يستبدل لسيئاته بالحسنات . وفي الكلام إيماء الى قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم انفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) (والنفس) أى نفس هذا النائب الموصوف بهذه الصفات (طمئنة) راضية مرضية في رياض التوبة ، واهل هذه الرتبة يغفرت حالهم في القوة ، فهم من سكنت شهوته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك ضراعتها ، ومنهم من لا ينفك عن منازعة النفس ومنعها ولكن تغلب بالمجاهدة وردعها . ومنهم من يقل مدة النزاع ومنهم من يكثر . ومنهم من يطول عمره ويطول اجتهاده في أمره ، وتكثر حسناته وتستمر استقامته . ومنهم من يقصر عمره فيظفر بالسلامة عن مرارة امره وعن فتوره في الطاعات وقصوره ، وهذا معنى قوله (ويزداد الفضل) أى فضل النائب (بطول العمر) أى ان طال عمره في مكابدة الطاعة (والمجاهدة) مع النفس في العبادة (فورد افضل السعادات طول العمر في طاعة الله) أى في العبادات ، والحديث لم اعرفه . وقد ورد طوي لمن طال عمره وحسن عمله ، رواه الطبراني وأبو نعيم عن عبد الله بن بسر (والسلامة) عطف على الفضل ، أى وتحصل زيادة السلامة عن الوقوع في المعصية والملازمة (بقرب الموت) وقصر العمر وتتمام الامر ونقصان الاجر وقد طلب بعض الاكابر طول العمر رجاء كثرة العبادة ، وبعضهم الموت خلاصا من الفتنة ، والتسليم اسلم ، ففي الدعاء المأثور اللهم احبني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل الموت راحة لي من كل شر واجعل الحياة زيادة لي في كل خير (ثم المعاوِد) عطف على المستقيم أى ثم الافضل المعاوِد (في بعض الذنب المجدد للتوبة) رجوعا الى الرب (مبالغا) في تجديد التوبة (وهو) أى كثير الابتلاء بالمعصية والتوبة (المفتن التواب) أى كثير التوبة والرجعة وعند البيهقي عن علي مرفوعا خيار لم كل مفتن تواب ، (والنفس) أى نفس هذا النائب المعاوِد في بعض الذنوب (لوامة) تلوم صاحبها بعد المعصية وترجع الى الطاعة التي فيها سلامة وهو المقتصد وهذه أيضا رتبة عالية وان كانت عن الطبقة الاولى ناقصة نازلة فهي أغلب احوال الثانيين لان الشر

ثُمَّ التَّائِبُ عَنِ الْبَعْضِ الْمُسَوِّفِ فِي الْآخِرِ الْمُتَتَدُّمُ بَعْدَ الْارْتِكَابِ الْقَاصِدُ لِلتَّوْبَةِ
فَهُوَ الْمُخَاطُ وَالنَّفْسُ مُسَوَّلَةٌ وَهُوَ عَلَى الْخَطَرِ فِي الْخَاتِمَةِ فَإِنْ مَاتَ تَائِبًا فَازَ وَالْأُ
فَقِيَ مَشِيئَةَ اللَّهِ تَعَالَى بِخِلَافِ الْأَوَّلِينَ فَهِيَ فَائِزَانِ، وَأَمَّا الْمُرْتَكِبُ الْمِصْرُ النَّاسِي
لِلتَّوْبَةِ وَعَزَمَهَا فَهُوَ الْغَافِلُ

معجون في طينة البشر ، وإنما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يشغل ميزانه فترجع
كفة الحسنات . واما أن تخلو عنه بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية العبد من حيث
العادات ، فهو لاء مع هذا الابتلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال سبحانه (الذين
يحتسبون كباثر الاثم والفواحش الا اللهم) أى الصغائر (ان ربك واسع المغفرة)
وفي الخبر .

ان تغفر اللهم فاعف رحما . وأى عبد لك لاالما

وقد قال عز وعلا في مقام المدح والثناء (والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم
ذكروا الله) الآية ، فانتى عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم وتحسروهم (ثم التائب)
عطف على المعاوذ والمستقيم اى الانضل بعدهما التائب (عن البعض) أى بعض
الذنوب (المسوف) اى المؤخر بالنوبة (فى الآخر) أى فى البعض الآخر من
الذنوب (المتندم) أى مظهر الندامة (بعد الارتكاب) اى اكتساب المعصية
(القاصد) اى النامى (للتوبة فهو المخاط) الداخلى فيمن قال الله فى حقه
(وآخرون اذترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب
عليهم) وهو ظالم لنفسه (والنفس) اى نفس هذا الغافل (مسولة) أى
مزيئة للمعصية ومساهة لتأخير التوبة رة قال تعالى (أولئك هم الغافلون لاجرم
انهم فى الآخرة هم الخاسرون) فالحسارة مترتبة على الغفلة (وهو على الخطر
فى الخاتمة فان مات تائبا فاز) بالجنة وظفر بالمثوبة (والا) أى وان لم يتوب ومات (فى
مشيئة الله تعالى) ان شاء عفا عنه باطه وكرمه وان شاء عذبه بقدر ذنبه (بخلاف
الاولين) أى صاحب النفس الماطشة وصاحب النفس اللوامة (فهما فائزان) بالجنة
والسلامة فى العاقبة (واما المرتكب) للمعصية (المصير) عليهما من غير التوبة (الناسى
للتوبة) اى التارك لها لنفسها (وعزمها) اى والعزم عليها (فهو) الذى اسمه (الغافل)

وَالنَّفْسُ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ يُخَشَى عَلَيْهِ سُوءُ الْخَاتِمَةِ وَيَجُوزُ شُمُولُ الْعَفْرِ إِيَّاهُ كَنَبِيلِ
الْكَنْزِ بِلاَطْلَبٍ لَكِنَّ التَّوَقُّعَ حِمَاقَةٌ فُورَدَ (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)

عن حكم ربه الجاهل عما خلق لاجله فقد ورد من حديث ابن عمر عند الديلمي
« ان الله ملكا ينادى في كل يوم وليلة ابنا الاربعين زرع قد دنا حصاده ، الحديث وفيه
« ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا الماذا خلقوا فتجالسوا بينهم فيثنا لرواه
الحديث (والنفس) أى نفسه (اماره) أى كثيرة الامر (بالسوء) أى بالمعصية
(يخشى عليه سوء الخاتمة) من الموت على الفسق والكفر هنالك نعوذ بالله من ذلك
(ويجوز شمول العفو) من الله (اياه) أى الغافل ولكنه نادر لا يقع فى الاغلب
بلا سبب (كنبل الكثر) أى كوصوله للكنز (بلا طلب) أى يحصل له العلم الذى
بمجرد الجذب الالهى (لكن التوقع) للعفو مع الاصرار على المعصية وعدم اتيان
الطاعة (حماقة) أى غرور وجهالة (فورد) فى التنزيل (وان ليس للانسان
الا ما سعى) وفق ما قدره الله له وقضى ، فلا بد من فعل الطاعة وترك المعصية
او الرجوع عنها بالتوبة ، والافعا قبله خطرة ، فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره
فى المشيئة ، فان تداركه الله بالرحمة واتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين ،
وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى عليه ان يحق عليه فى الخاتمة ما سبق عليه
من القول الاول فى قضاء الازل ، لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن
شواغل التعلم دل تعذره على انه سبق له فى الازل ان يكون من الجاهلين ، فيضعف
الرجاء فى حقه من ذلك الحين ، واذا تيسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دل على
انه سبق له فى الازل أن يكون من جملة العالمين ، فكذا ارتباط سعادات الآخرة ودرجاتها
بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب ، كارتباط المرض والصحة بتناول
الاغذية والادوية ، وارتباط حصول فقه النفس الذى تستحق به المناصب العلية فى الدنيا
بترك الكسل فى طلب المراتب العليا والمواظبة على طلب العلم ، فكما لا يصح لمنصب
الرياسة والتقدم بالعلم فى مقام السياسة الانفس صارت فقيمة بطول التفقه ، فلا يصح
لملك الآخرة ونعيمها ولللقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول
التزكية والتطهير ، هكذا سبق فى الازل بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب قال
تعالى (ونفس وما سواها فاهمها فخرها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب

وَلَا يَتْرُكُهَا لِحَرْفِ الْعُودِ لِحَوَازِ الْمَوْتِ قَبْلَهُ وَغَفَرَانَ السَّالِفَةِ فَوَرَدَ «خِيَارُكُمْ
 الْمُفْتَنُ اثْتَوَابُ» أَيْ كَثِيرُ الْإِبْتِلَاءِ بِالذَّنْبِ وَكَثِيرُ التَّوْبَةِ مِنْهُ وَسَبَبُ الْإِسْتِقَامَةِ
 الرِّيَاضَةُ وَالْمَرَابَطَةُ فَوَرَدَ . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا

من دساها) فالخافة من الحاتمة قبل التوبة وكل نفس خاتمة ماقبله ، اذ يمكن أن يكون
 الموت متصلا به فليراقب الانفاس والواقع في المحذور ودامت الحسرة الى ان يخرج
 من دار الغرور. فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون كلهم محرومون الا العاملون
 والعالمون كلهم محرومون الا المخلصون . والمخلصون كلهم على خطر عظيم ﴿ ولا
 يتركها ﴾ اى التوبة ﴿ لحوف العود ﴾ اى لخافة الرجعة الى المذمومة ﴿ لجواز الموت
 قبله ﴾ اى قبل عوده الى ذنبه ﴿ وغفران السالفة ﴾ اى السابقة ان عاد الى ذنبه ولم يتب
 الى ربه . وهذا الترك من خدوع الشيطان . فانه من اين له هذا العلم ، فعسى أن يموت
 تائباعن الذنب ويصير حبيبا للرب . مع أن الخوف من العود لا ضرر فيه بل فيه منفعة ، فعلى
 العبد العزم والصدق في الجزم ، وعلى الله الاتمام من باب الفضل والا كرم ، فان اتم
 فهو المطلوب الاعلى ، وان لم يتم فقد غفرت ذنوبه السالفة كلها فهذا هو الرجح العظيم
 والفائدة الكبرى ، فالعبد من التوبة ابدأ بين احدى الحسينين ﴿ فورد ﴾ على مرفوعا
 ﴿ خياركم المفتن ﴾ بصيغة المجهول . وفي رواية المفتن بالادغام ﴿ التواب ﴾ رواه
 البيهقي في شعبه ﴿ اى كثير الابتلاء بالذنب وكثير التوبة منه ﴾ اى طاعة الرب وفي خبر
 آخر المؤمن كالسنبلة تقوم احيانا وتميل احيانا ، رواه أبو يعلى وابن حبان من حديث
 انس . ولليهمي والطبراني من حديث ابن عباس باسناد حسنة ولا بد للمؤمن من ذنب يأتيه
 الهية بعد الفية . اى الحين بعد الحين . فالفقيه في الدين هو الذى لا يؤيس الخائف من درجات
 السمادات بما يتفق لهم من العثرات ومقارفة السيئات المختطفات ، فللترمدى والحاكم وصحبه
 من حديث انس . كل بنى آدم خطاؤون وخير الخطائين التوابون ، والطبراني والبيهقي
 من حديث جابر والمؤن زواه واقع فسيحدهم من مات على رقبته اى واه بالمعصية والملازمة
 راقع بالتوبة والندامة ﴿ وسبب الاستقامة الرياضة ﴾ وهى تهذيب الاخلاق
 ﴿ والمراطة ﴾ وهى الاقامة بالمجاهدة والاستدامة ﴿ فورد ﴾ في التنزيل ﴿ يا ايها الذين
 آمنوا اصبروا ﴾ على الطاعات وعن السيئات ، وفي المصيبات ﴿ وصابروا ﴾ اى وغالبوا

وَرَابِطُوا) أَيْ أَنْفُسَكُمْ بِالْمُشَارَطَةِ وَهُوَ وَصِيَّةُ النَّفْسِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ نَحْوُ أَنْ لَا بَضَاعَةَ
لَكَ سِوَى الْعُمْرِ وَالْأَنْفَاسِ مَعْدُودَةٍ وَالْمَاضِي لَا يَعُودُ وَالْوَقْتُ ضَيْقٌ وَالْتَمَنَى غَيْرُ
نَافِعٍ وَتَوْظِيفُ الْعَمَلِ وَشَرَطُ الشُّرُوطِ عَلَيْهِ ثُمَّ بِالْمُرَاقَبَةِ فِي الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ
فَالْأَعْلَى أَنْ يَصِيرَ مَغْلُوبًا بِالْإِسْتِغْرَاقِ بِهِ تَعَالَى وَعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَاسِوَاهُ

الاعداء الظاهرة والباطنة بشدة الصبر ووحدة الامر (وربطوا أى انفسكم بالمشارطة)
أى مع النفس بالمداومه على الطاعة والمواظبة على العبادة فى كل يوم وساعة خوفا
عليها من ضياع البضاعة . والتحقيق ان المراقبة ربط النفس على الارتحال والقضاء ؛
والقلب على اغتنام العبادات والتأهب ليوم الجزاء ، وهو معنى قوله (وهو) أى ربطها
بالمشارطة ثلاثة اشياء : منها (وصية النفس) أى وصيتها بها (فى أول النهار) بل فى
كل نفس من الاعمار (نحو ان لا بضاعة لك) أى ليس لك رأس مال (سوى العمر)
وهو ايام غير معدودة (والانفاس) أى والحال أن انفاسه (معدودة) لا تزيد
ولا تنقص (والماضى لا يعود) فى الوجود (والوقت ضيق) فى ميدان الشهود (والتمنى)
بان يرجع الى الدنيا يوما واحدا ليعمل عملا صالحا ، او تمنى المراتب العلية بدون المكاسب
الدنية والعملية (غير نافع) بعد الورود (و) منها (توظيف العمل) بان يجعل فى
كل وقت عملا ينفعه فى القى او يعينه على الطاعة فى الدنيا (و) منها (شرط الشروط
عليه) أى على نفسه لحذف لفظ النفس فاقى الجار على ضميره فصار عليه ، ولا يبعد
أن يكون الضمير راجعا الى العمل ، والمعنى يقول لها : ان كذبت فعليك صوم
ثلاثة ايام ، وان اغتبت فعليك صدقة درهمين ونحوهما (ثم) المراقبة (بالمراقبة)
وهى مشاهدة كونه سبحانه رقيبا بحاله عالما بفعاله (فى الحركات والسكنات) فلا يتحرك
ولا يسكن الا بما يرضاه الحق فى تلك الساعات من العبادات والطاعات (فالأعلى) أى
اعلى انواع المراقبة (ان يصير) العبد (مغلوبا بالاستغراق به) من ذكره وفكره
(تعالى وعدم الالتفات الى ماسواه) أى سوى الله وما عداه ، وهذا مراقبة المفربين
من الصديقين ، وهو مراقبة التنظيم والاحلال . بان يصير القلب فى جميع الاحوال مستغرقا
بملاحظة ذلك الجلال ومطالعة تجليات ذلك الجمال على وجه السكال ، ومنكسرا
تحت الهيبة والعظمة فى المشاهدة ، فلا يبقى فيه منسجم للالتفات الى الغير حتى يحتاج

ثُمَّ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ حُكْمِ الشَّرْعِ فَيَنْظُرُ قَبْلَ الْعَمَلِ فِي أَوَّلِ خَاطِرٍ فَيَتِمُّ مَا هُوَ لَهُ
تَعَالَى وَيَتْرُكُ مَا سِوَاهُ وَيَنْظُرُ عِنْدَهُ فِي الطَّاعَةِ يُخْلِصُ النِّيَّةَ وَيُرَاعِي الْأَدَبَ وَفِي
الْمَعْصِيَةِ يَسْتَحْيِي وَيَتُوبُ وَيَكْفُرُ وَفِي الْمُبَاحِ يُرَاعِي النِّيَّاتِ وَالْأَدَابَ ثُمَّ بِالْمُحَاسَبَةِ
فِي آخِرِ النَّهَارِ وَهُوَ النَّظَرُ بَعْدَ الْعَمَلِ فَوَرَدَ «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا» لِلْعَاقِلِ
أَرْبَعُ سَاعَاتٍ سَاعَةٌ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ فِيهَا ثُمَّ بِالْعَاقِبَةِ فَبِالْجُوعِ أَنْ أَكَلَ حَرَامًا وَالسَّهْرِ

إلى المجاهدة، وهذا الذي صار همه واحدا وكفاه الله سائر همومه أبدا، ومن نال هذه
الدرجة مع الحق فقد غفل عن مراقبة الخلق، فلا يبصر من يحضر لديه وهو فاتح عينيه،
ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا صمم في أذنيه (ثم) (الاعلى من أنواع المراقبة) أن يكون
تحت حكم الشرع (خارجا عن تحكم الهوى والطبع، وهذه مراقبة الورعين من
أصحاب اليقين) (فينظر) ويتأمل ويتفكر (قبل العمل في أول خاطر) (بخطر) (فيتم
ما هو له تعالى) (رفيه رضاء) (ويترك ما سواه، وينظر) (أيضا) (عنده) (أي عند الشروع
في العمل طاعة أو غيرها) (ففي الطاعة يخاص النية) (ويصفى الطوية بأن يجعل الله تعالى
من غير الرياء والسمعة، ويحضر القلب لمشاهدة الرب كما ورد «الاحسان أن تعبد الله
كأنك تراه» (ويراعى الأدب) (في حضرة الرب ويحفظ نفسه عن النشاط في بساط
الانبساط) (وفي المعصية يستحيى) (من الرب) (ويتوب) (من الذنب) (ويكفر)
بما يناسبه أن صدرت عنه (وفي المباح يراعى النيات) (فإن المباحات بتحسين النيات تصير
عبادات) (والآداب) (بأن لا يتجاوز عن الضرورات) (ثم) (مراقبة النفس) (بالمحاسبة في
آخر النهار) (أو في آخر كل نفس وساعة) (وهو النظر بعد العمل) (من الحسنات والسيئات
(فورد حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) (وهو أثر عن عمر) (تقدم وقد قال تعالى) (يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله ولا تنظروا نفس ما قدمت لغدوا تقوا الله) (للعاقل أربع ساعات ساعة
يحاسب نفسه فيها) (أي وساعة يناجي فيها ربه، وساعة يفضى فيها إلى بعض أخوانه
الذين يبصرونه بعبوبه، وساعة يخلو فيها بينه وبين شهوداته وقد تقدم) (ثم) (مراقبة
النفس) (بالمعاقبة) (لها) (فبالجوع) (يعاقبها) (أن أكل حراما والسهر) (أي ويعاقبها

أَنْ نَظَرَ حَرَامًا وَنَحَوَهُ فَلَوْ سَاهَلَ سَهْلًا عَلَيْهِ الرَّجُوعُ ثُمَّ بِالْمُجَاهِدَةِ بَادَأَ الْوَرْدَ عِنْدَ اسْتِثْقَالِ النَّفْسِ بِلِ الزَّيَادَةِ كَأَحْيَاءِ لَيْلَةٍ عِنْدَ التَّوَانِي عَنْ حِفْظِ جَمَاعَةٍ أَوْ آدَاءِ نَافِلَةٍ . ثُمَّ بِالْمُعَاتَبَةِ بِمَثَلِ يَأْنَفُسُ إِلَّا تَسْتَحِينَ مِنْهُ تَعَالَى الْكَ طَاقَةُ بَعْدَابِهِ الْإِلِيمِ وَالْكُلُّ مَثُورٌ وَالْأَصْلُ الْإِسْتِعَانَةُ بِهِ تَعَالَى مُتَضَرِّعًا بَيْنَ يَدَيْهِ تَعَالَى مُتَبَرِّئًا عَنِ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ ، قِيلَ مَنْ جَاهَدَ سَبْعَ مَرَّاتٍ لَا يُبْتَلَى ثَامِنَةٌ وَقِيلَ مَنْ اسْتَقَامَ سَبْعَ سِنِينَ لَا يَعُودُ

بالسهر (انظر حراما ونحوه) بانزلة عن التهجيد (فلو ساهل) التائب في هذه المماقة (سهل عليه الرجوع) اى المراجعة الى المعصية وما يتبعها من الغفلة ، فقد عاقب عمر رضى الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بان تصدق بارض كانت له قيمتها مائتا الف درهم ، وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة في جماعة احيا تلك الليلة وأخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع لو كان فاعتق رقبتين (ثم) المراقبة (بالمجاهدة) وهى مخالفة النفس (باداء الورد) من أنواع الطاعات والعبادات (عند استئصال النفس) عن بعض الأمور (بل بالزيادة) على الملاحظات (كاحياء ليلة) في عبادة (عند التواني) اى التساهل والتكاسل (عن حفظ جماعة) فان حفظها (أو آداء نافلة) كان بفعلها (ثم) المراقبة (بالمعاتبة بمثل يأنفس) بالضم أو بالكسر اى يأنفسى (الاستحِينَ مِنْهُ تَعَالَى) في ترك طاعته أو فعل معصيته (الك طَاقَةُ بَعْدَابِهِ الْإِلِيمِ) المؤلم من نار الجحيم ومن ماء الحميم (والكل) اى جميع ما ذكر من أنواع المراتبات (ماثور) عن السلف والخلف القائمين بمجاهدة النفس ، والرياضات في مقام الطاعات (والاصل) المعتبر في تحصيل الاستقامة (الاستعانة به تعالى) والاستعانة بكرمه سبحانه (متضرعا بين يديه تعالى) اى حال عبادته وطاعته (متبرئا عن الحول والقوة) من جهته ورؤية العمل من طاقته كما يشير اليه قوله تعالى (اياك نعبد و اياك نستعين) فإياك نعبد تفرقة و اياك نستعين جمع وفي الجملة الأولى رد على الجبرية وفي الثانية على القدرية (قيل) اى في باب الاستقامة (من جاهد) في ترك المعصية (سبع مرات لا يبتلى) بالذنب (ثامنة) أى مرة ثامنة ، وبه تحصل الاستدامة (وقيل من استقام) على التوبة (سبع سنين لا يعود) الى المعصية في جميع عمره

ثُمَّ التَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ وَهِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ فَوَرَدَ (تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ)
وَالْإِنَابَةُ مِنَ الْغَفْلَةِ وَهِيَ لِلْمُقَرَّبِينَ فَوَرَدَ (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) وَالْأَوْبَةُ مِنْ رُؤْيَةِ
التَّقْصِيرِ وَهِيَ لِلْمُرْسَلِينَ فَوَرَدَ (نَعَمْ الْعَبْدُ أَنَّهُ أَوَّابٌ) ثُمَّ التَّقْوَى أَعْمٌ مِنْهَا فَالْمُتَمَنِّعُ
عَنْ ذَنْبٍ لَمْ يَرْتَكِبْهُ قَبْلَ مُتَقٍّ لَا تَأْتِبُ *

وهو قول فرقد السنجي (ثم التوبة) في عرف المحققين (من الذنب وهي للمؤمنين)
خاصة حيث قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) أو عامة
(فورد) في التنزيل (توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون) لعلمكم تفاحون (والإنابة
من الغفلة) إلى الحضور (وهي للمقربين فورد) في التنزيل (من خشى الرحمن بالغيب
وجاء بقلب منيب) ومنه قوله تعالى (الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من
يئيب) وقوله آخر راعا وأواب (والأوبة من رؤية التقصير) في الطاعة (وهي
للمرسلين فورد) في التنزيل (ووهبنا لداود سليمان) (نعم العبد أنه أواب) وكذا
في حق أيوب (أنا وجدناه صابرا نعم العبد أنه أواب) وقد يستعمل في حق
المؤمنين المقربين كقوله تعالى (إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا)
(ثم التقوى أعم منها) أي من التوبة وهي أخص من التقوى فكل تائب متق وليس
كل متق تائبا (فالممتنع عن ذنب لم يرتكبه قبل) أي قبل وقته (متق لا تائب)
والممتنع بعد ارتكابه تائب ومتق، أما أوبه تائبا فظاهر، وأما كونه متقيا فلا أنه
لم يرتكب الذنب مع امتناعه فمن هنا يصح أن يقال للذي أنه متق ولا يجوز أن يقال
أنه تائب. والله سبحانه أعلم. وأما ما في الأحياء من أنه يجب على كل عالم باقليم أو
بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد أن يعلم أهله دينهم، ويميز ما يضرهم عما ينفعهم، وما
يشغلهم عما يسعدهم ولا ينبغي أن يصبر إلى أن يسأل عنه، بل ينبغي أن يتصدى
لدعوة الناس إلى نفسه، فإن العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم
بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلعون
واحدا بعد واحد فيرشدونهم، فإن مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما أن الذي
ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف مرضه مالم يعرفه غيره. وهذا فرض
عين على العلماء كافة فقيه أن هذا غير معروف في الكتاب والسنة أنه فرض عين

بل ولا فرض كفاية وإنما الواجب على العلماء ان لا يكتموا العلم ويبينوه لاهله وعلى الجهال ان يسألوهم كما قال تعالى (فستلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) وقال (واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب) لتبينته للناس ولاتنكته وانه واما معنى قوله عليه السلام والعلماء ورثة الانبياء فهو انهم لم يورثوا دينارا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وهم مختلفون في مراتب الوراثه كتفاوت مناصب العلوم من التفسير والحديث والفقه والقراءة . هذا والعلماء الذين هم بمنزلة الاطباء في زماننا صاروا مرضى بالداء الذي ليس له دواء وهو حب الدنيا في هذا السبب عم الداء ودظم الوباء وانقطع الدواء ، ومع هذا غلب عليهم الرجاء وهي الدهياء المعضلة والعلماء العالمون من الاولياء والاصفياء اختاروا ان يكونوا من الاتقياء الاخفياء فسال الله الهداية من الابتداء الى الانتهاء

ثم اعلم ان من ابتلى بحب الدنيا فداؤه عضال ليس له دواء ، وقد قال رجل لمحمد بن واسع اوصني ، فقال انا اوصيك بان تكون ملكا في الدنيا والآخرة ، فقال : كيف لي بذلك ؟ فقال الزم الزهد في الدنيا وكتب معاوية الى عائشة بالسلام ان اكتبني لي كتابا توصيني فيه ولا تكثرني فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام عليك ، اما بعد فاني سمعت رسول الله عليه السلام يقول : من التمس رضى الناس بسخط الله وظه الله الى الناس ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، والسلام عليك . والحديث رواه الترمذي والحالم ، وكتبت اليه مرة اخرى : اما بعد فائق الله فانك ان اتقيت الله كفاك الناس ، وان اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام . وهو مقتبس من قوله تعالى (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله) ومن قوله سبحانه (انهم لم يغنوا عنك من الله شيئا) وقال لقمن لابنه يا بني زاحم العلماء بركتيك ولا تجادلهم فيمقتوك ، وخذ من الدنيا بلاغك ، وانفق فضولك سبك لا آخرتك ، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا ، وعلى اعتاق الرجال كلا ، وصم صوما تكسر شهوتك ، ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلاة افضل من الصوم . وقال ايضا يا بني لاتضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ، ولا تسأل عما لا يعينك ، ولا تضيع مالك . وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ، ومال غيرك ما خلفت . يا بني من يرحم يرحم ، ومن يصمت يسلم ومن يفعل الخير يغم ، ومن يفعل الشر يأثم ومن لم يملك لسانه يندم وقال رجل لابي حازم اوصني ، فقال : كل الوجاء الموت عليه فرائته غنيمه فالزمه ، وكل مالوجاءك الموت عليه فرائته مصيبة

(البَابُ السَّابِعُ عَشَرَ فِي الصَّبْرِ وَالرَّضَاءِ وَالشُّكْرِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الصَّبْرُ ثَبَاتٌ بِاعْتِ الدِّينِ فِي مُقَابَلَةِ بَاعِثِ الْهَوَى

فاجتنبه. وقال رجل لحامد اللفاف . اوصني، فقال: اجعل لديك غلافا كغلاف المصحف
لثلاث تدنسه الآفات. قال : وما غلاف الدين؟ قال : ترك طلب الدنيا الى ما لا بد منه ، وترك
كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس الا فيما لا بد منه ، وكتب الحسن الى عمر
ابن عبد العزيز . اما بعد نخف ما خوفك الله ، واحذر ما حذرك الله وخذ ما في يدك لما
بين يديك ، فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام . وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن
عبد العزيز : اما بعد فان الدنيا دار عتوبة ، ولها يجمع من لا عقل له ، وبها يغتر من لا علم
عنده ، فكن فيها يا امير المؤمنين كالمدأوى جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف
من عاقبة الداء . وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن رطاة : اما بعد فان الدنيا عداوة
اولياء الله تعالى وعدوة اعداء الله ، اما اولياء الله فغفتمهم ، واما اعداؤه فغرتهم . وجعل
الكلام في هذا المقام من المرام أن من اعطى قلبه حسن الاصغاء ، واستشعر الخوف
واتقى ، وانتظر المثوبة الاسنى ، وصدق بالحسنى ، فسييسره الله تعالى للطريقة اليسرى ،
وامان بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى ، ثم لا يغنى عنه ما اشتغل
به من ملاذ الدنيا مهما هلك فتردى ، وما على الانبياء الا شرح طريق الهدى ، وانما
الله الآخرة والاولى .

(البَابُ السَّابِعُ عَشَرَ فِي الصَّبْرِ وَالرَّضَاءِ وَالشُّكْرِ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الذى نستعين بذاته وصفاته على توفيق الصبر على ثلاثة
وابتلائه ، والرضا بحكمه وقضائه ، والشكر على نعمائه وآلائه . وقد اجتمع الثلاثة
في حديث عطاء عن ابن عباس « لما دخل عليه السلام على الانصار فقالوا : مؤمنون انتم ؟
فسكتوا ، فقال عمر نعم يا رسول الله ، قال وما علامة ايمانكم ؟ فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر
على البلاء ، ونرضى بالقضاء . فقال عليه السلام : مؤمنون ورب الكعبة » رواه الطبراني
في الاوسط (الصبر) وهو حبس النفس عن الامر (ثبات باعث الدين) من قصد
الامتثال ، ثم خوف النار ، ثم طمع الجنة ، ثم رجاء اللقاء ، وهذا له طريق اهل الهدى وهو
اسم لجميع ما يقرب العبد الى المولى (في مقابلة باعث الهوى) من الاغراض الفاسدة
والاعراض الكاسدة فالهوى هو ميل النفس الى الشيء من غير داعية الشرع بل بمجرد

فَأَمَّا بِالْجَسَمِ عَنِ الشَّاقِّ كَالْعِبَادَةِ أَوْ عَنِ الْمَصَائِبِ وَأَمَّا بِالنَّفْسِ عَنِ الشَّهْوَةِ فَعَنِ
الشَّهَوَاتَيْنِ عَفَّةً وَعَنِ احْتِمَالِ الْمَكْرُوهِ صَبْرٌ مُطْلَقًا

هو صبر النفس والطبع، وقيل الصبر على ثلاثة أنواع صبر العوام وهو صبر النفس على ما تكره، وصبر الخواص وهو تجرّع المرات من غير تعب، وصبر اخص الخواص وهو التلذذ بالبلاء كالتلذذ بالآلاء فانه علامة اهل الولاء من الانبياء والاولياء، وقيل الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الادب والثبات على الولاء وتلقى مرافضيته بالرحب والسعة على احكام الكتاب والسنة، وينقسم اقساماً صبر لله وهو الثبات على اداء اوامره وانتهاء زواجه، وصبر مع الله وهو السكون تحت جريان قضائه من سرائه وضرائه، وصبر على الله وهو الركون الى وعده في كل شيء من أمره حلوه ومره وصبر عن الله وهو مذموم وصاحبه ملوم مذموم كما قيل :

الصبر يحمد في المواطن كلها الا عليك فانه مذموم

أى الاعتك وقد يحمد اذا وصل الى مقام الرضا في جميع ابواب القضاء كما قيل
اريد وصاله ويريد هجرى فترك ما اريد لما يريد

وقال الجنيد : المسير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب الحق شديد والسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد وحكى عن بعض العارفين أنه سئل الشبلى عن الصبر أيه أشد فقال الصبر في الله فقال لا قال الصبر لله قال لا قال الصبر مع الله قال لا قال فأى شيء، قال الصبر عن الله قال فصرخ الشبلى صرخة، كادت روحه تنلف وقد قيل في معنى قوله تعالى (اصبروا وصابروا وابطوا) اصبروا في الله وصابروا بالله وابطوا مع الله وقيل الصبر لله عناء والصبر بالله لقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء * وانشد

الصبر عنك مذموم عواقبه والصبر في سائر الاشياء محمود

﴿ قاما ﴾ أن يكون الصبر ﴿ بالجسم عن ﴾ الامر ﴿ الشاق ﴾ على البدن ﴿ كالعبادة او عن المصائب ﴾ البدنية ﴿ وأما ﴾ أن يكون الصبر ﴿ بالنفس ﴾ طلباً للثواب أو هرباً من العقاب ﴿ عن الشهوة ﴾ أى شهوة البطن وشهوة الفرج وغيرهما ﴿ فعن ﴾ الشهوتين ﴿ المذكورتين يقال له ﴾ عفة وعن احتمال المكروه ﴿ بموت الاقارب ونحوه يقال له ﴾ صبر مطلقاً ﴿ أى وهو الفرد الكامل في هذا الباب كما اطلق

وَصَدَّ الصَّبْرُ الْجَزَعَ وَالْهَلْعُ وَفِي الْغَنَى ضَبَطُ النَّفْسِ وَضَدَهُ الْبَطْرُ وَفِي الْحَرْبِ
شَجَاعَةٌ وَضَدَهُ الْجُبْنُ وَفِي كَظَمِ الْغَيْظِ حِلْمٌ وَضَدَهُ التَّهَوُّرُ وَفِي نَوَائِبِ الزَّمَانِ سَعَةٌ
الْصَّدْرِ وَضَدَهُ ضَيْقُهُ وَالتَّضَجُّرُ وَالتَّبَرُّمُ وَفِي اخْفَاءِ الْأَمْرِ كِتْمَانٌ وَضَدَهُ الْإِظْهَارُ
وَفِي فُضُولِ الْعَيْشِ زُهْدٌ وَضَدَهُ الْحِرْصُ وَفِي الْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا

في نزل الكتاب (وبشر الصابرين) الآية فاقصر حيثئذ على اسم الصبر بلاختلاف اسم
خاص (وضد) أى يقض (الصبر الجزع) وهو محرّكة الجزع (والهلع)
يفتحين الخش الجزع كرفع الصوت بالبكاء وضرب الحدود وشق الجيوب ونحوها
ومنه قوله تعالى (أن الانسان خلق هلوفا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير
منوعا) وظاهر الآية أن الهلع ضد الجزع والمنع كلاهما (وفى الغنى) أى ويقال
فى احتمال الغنى وتحمله من البلوى (ضبط النفس) تحت الشرع والعقل
والهدى وحفظها عن متابعة الطبع والهوى (وضده البطر) يفتحين وهو الطغيان
بالنعمه ومنه قوله تعالى (كلان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) (وفى الحرب) أى
والصبر فى موطن الحرب يقال له (شجاعة) وهى قوة القلب وثباته فى المقاتلة (وضده
الجبين) وهو ضعف القلب وخوفه من رؤية العدو فى المعركة حين المقاتلة (وفى كظم
الغيظ) أى تجعل الغضب (حلم) وخفو (وضده التهور) صوابه ما فى الاحياء
من جعل ضده سفها وأما التهور فهو التجاوز عما يقضيه العقل فى الشجاعة وهو مذموم
فى الشريعة قال تعالى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) فان الخلق الحسن هو المتوسط
بين طرفى الافراط والتفريط (والتدمر) وهو المترتب على التهور هو قبول الدمار
وهو الاهلاك كالتمدير ومنه قوله تعالى عز وجل تدمر كل شىء بامر ربها (وفى نوائب
الزمان) أى حوادث الدهر وآفات الدوران (سعة الصدر) وهو كناية عن ذال
التجمل فى الامر ويقال له شرح الصدر ومنه قوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك)
(وضده ضيقه) أى ضيق الصدر ومنه قوله تعالى (ولا تلتك فى ضيق مما يمكرون) قرئ
بالتخفيف والتشديد (والتضجر والتبرم) فالتلاثة الفاظ مترادفة ومتقاربة (وفى اخفاء
الامر كتمان وضده الاظهار) والافتاء (وفى فضول العيش زهد) وهو عدم الرغبة
وقلة المحبة (وضده الحرص) على الزيادة (وفى اليسير من الدنيا) أى فى القليل من فضول

قَنَاعَةٌ وَضِدَهُ الشَّرُّ وَوَرَدَ (أَنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) الْإِيمَانُ هُوَ الصَّبْرُ وَهُوَ لِدُخُولِ أَكْثَرِ أَخْلَاقِهِ فِيهِ الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَهُوَ لَا طَّلَاقَ عَلَى الْمَعَارِفِ

الدنيا (قناعة وضده الشر) بفقحتين وهو الحرص على طلب الكثير (وورد) في التزويل (أَنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وقال تعالى واصبروا إن الله مع الصابرين وقال وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون، وكان عمر رضى الله عنه يقول نعم العدلان ونعم العلالة للصابرين يعنى بالعدلين الصلوة والرحمة وبالعلالة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير، وقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب الى أبى موسى الاشعري عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبر إن أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله وكان حبيب بن أبى حبيب إذا قرأ هذه الآية أنا وجدناه صابرا نعم العبد أنه أواب بكى وقال واجبأه اعطى واثنى أى هو المعطى للصبر وهو المثنى عليه بما يشير إليه قوله تعالى (وأصبر وما صبرك إلا بالله) (الايمان) أى معظم خصال أهل الايمان (هو الصبر) لم اعرفه وفي رواية الديلمي عن أنس مرفوعا الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وزاد البيهقي عن علي موقوفا ولا جسد لمن لا رأس له والايمان لمن لا صبر له (وهو) أى كون الايمان هو الصبر (لدخول أكثر اخلاقه) أى اخلاق الايمان من فعل الطاعة وترك المصيبة وعدم الجزع في المصيبة (فيه) أى في الصبر وللاكثر حكم الكل أمر مقرر، وقد جمع الله سبحانه اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال والصابرين في البأساء أى المصيبة والضراء أى الفاقة وحين البأس أى المجاربة (الصبر نصف الايمان) رواه أبو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود. وللدليلى والبيهقى في الشعب عن انس «الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر» وفي النهاية اراد بالصبر الورع لان العبادة قسمان : نك وورع ، فالنك ما امرت به الشريعة ، والورع ما نهت عنه . انتهى ، والحديث مقتبس من قوله تعالى (أن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) أى لكل مؤمن . وفى تقديم الصبر على الشكر ايماء بان الاحتياج اليه اكثر واتم ، وأنه افضل كما تقدم والله أعلم (وهو) أى ركون الصبر نصف الايمان (لاطلاقة) أى الايمان (على المعارف) اليقينيات من الاعتقادات

وَالْأَعْمَالُ وَلَا تَتِمُّ الْأَعْمَالُ إِلَّا بِثَبَاتِ بَاعِثِ الدِّينِ فَهُوَ نَصْفُ الْإِيمَانِ وَلَا طَلَّاقَهُ
عَلَى الْأَحْوَالِ الْمُثْمَرَةِ لِلْأَعْمَالِ وَإِنَّ مَا أَصَابَ أَمَّا نَافِعٌ وَأَمَّا ضَارٌّ وَفِيهِمَا الشُّكْرُ
وَالصَّبْرُ فهُمَا نَصَفَانِ وَلَا يَدُّ مِنْهُ لَا بُتَاءَ الْعِبَادَةِ عَلَيْهِ فَالدُّخُولُ فِيهَا لِقَمْعِ النَّفْسِ
وَالْإِتِمَامُ أَشَدُّ وَلَئِنْ الدُّنْيَا دَارُ مَحَنَةٍ وَالْجَزَعُ شَاغِلٌ وَلَئِنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ أَشَدُّ ابْتِلَاءٌ
فَوَرَدَ «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْإِنِّيَاءُ ثُمَّ الْأَوْلِيَاءُ»

(وَالْأَعْمَالُ) الصالحات من العبادات (وَلَا تَتِمُّ الْأَعْمَالُ) للمجاهدين (الاثبات
باعث الدين) من الهدى في مقابلة باعث الهوى (فهو) أى الصبر (نصف الإيمان)
بهذا الاعتبار، والترتيب بين النصف الاول والثانى وفق اقتضاء الشرع والطبع
(ب) أيضا (لَا طَلَّاقَهُ) أى الإيمان (على الاحوال) من استيلاء تلك المعارف وهى
الرضا والهيبة والانس والشوق (المثمرة للأعمال) لاعلى المعارف والمعارف من
مقامات الرجال . وفى الاحياء : أن جميع مقامات الدين ومنازل السالكين إنما ينتظم من
ثلاثة أمور : معارف وأحوال وأعمال ؛ فالمعارف هى الاصول فهى تورث الاحوال،
والاحوال تثمر الاعمال، فالمعارف كالاشجار، والاحوال كالاغصان، والاعمال كالثمار
(وَأَنْ مَا) أى لاجل أن ما (أصاب) السالك من النعم الدنيوية (أما نافع) فى الدنيا
والآخرة والطاعات والمباحات (وَأَمَّا ضَارٌّ) فيها كالمصائب والسيئات (وفيها) أى
النافع والضار (الشكر) للعبد بالاضافة الى ما ينفعه (والصبر) بالنسبة الى ما يضره
وهما لا يحصلان الا بتلك الاحوال (فهما نصفان) لتلك الاحوال باعتبار ما ذكر
من الاقوال (وَلَا يَدُّ) للعبد (منه) أى من الصبر (لأبتناء العبادات) من الصلاة والصوم
وسائر أسباب السعادة (عليه) أى على الصبر (فالدخول فيها) أى فى العبادات (لِقَمْعِ
النفس) لتكليفها ونفعها (وَالْإِتِمَامُ) أى اتمام العبادات بعد الدخول فيها (أشد)
من دخولها فى باب الارادة والقمع والاتمام إنما يتأتى بالصبر فى المقام (ولأن الدنيا
دار محنة) فمن كان فى الدنيا فلا بد له من الابتلاء بشدائد وما يصيبها والصبر على
جميع مراتبها لتحصل العبادات ومناقبها (والجزع شاغل) عن العبادات التى هى غاية
المنفعة (ولأن طلب الآخرة أشد ابتلاء فورد: أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء)

ثُمَّ الْأَمْثِلُ فَالْأَمْثِلُ وَهُوَ عَنِ الْحَرَامِ وَاجِبٌ وَعَنِ الْمَكْرُوهِ نَقْلٌ ثُمَّ هُوَ فِي النِّعَمِ
الدُّنْيَوِيَّةِ بِتَرْكِ الْمَيْلِ وَرِعَايَةِ حَقِّهِ تَعَالَى وَهُوَ الشُّكْرُ

ثم الامثل (فالامثل) كالعلماء (فالامثل) كالصلحاء رواه الترمذى وقال: حسن صحيح وصححه
ابن حبان والحاكم ، لكنه بدون لفظ الاولياء . وقد قسم عليه السلام مرة مالا فقال
بعض الاعراب من المسلمين : هذه قسمة ما اريد بها وجه الله ، فاخبر به عليه السلام
فاحمرت وجنتاه ثم قال عليه السلام « رحم الله اخي موسى قداوذى باكثر من هذا فصبر »
متفق عليه من حديث ابن مسعود وقال عليه السلام « صل من قطعك واعط من حرمك
واعف عن ظلمك » وقد تقدم . وقال عيسى عليه السلام : لقد قيل لكم من قبل - يعنى فى التوراة -
ان السن بالسن والعين بالعين والالف بالالف ، وانا اقول لكم : لا تقاوموا الشر بالشر ،
بل من ضرب خدك الايسر لحول له خدك الايمن ومن اخذ رداك فاعطه ازارك
ومن سخر لك لتسير معه ميلافس معه ميلين . انتهى . ولا يخفى ان عيسى عليه السلام كان
مظهرا للجمال ، كما ان موسى عليه السلام كان مظهر للجلال ، ونبينا ﷺ
كان مظهرا للكمال المتضمن للجلال والجمال ، لاحكامه فى غاية الاعتدال ، والله سبحانه
اعلم بحقائق الاحوال (وهو) اى العبر (عن الحرام واجب) اى فرض لازم
(وعن المكروه) اى كراهة تنزيه (نقل) بل مستحب ، اما عن المكروه كراهة تحریم
فواجب ، وعن فضول المباح زيادة فضيلة وحزم . وفى الاحياء ان الصبر ينقسم ايضا
باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم ، فالصبر عن المحظورات فرض ، وعن المكاره
نفل ، والصبر على الاذى المحظور محظور ركن بقطع يده او بدولده وهو يصبر عليه ساكتا
وكن يقصد حريمه بشهوة محظورة فيبيع غيره فيصبر على اظهار الغيرة ويسكت على
ما يجرى على امله فهذا الصبر محرم ، والصبر على المكروه هو الصبر على اذى يناله بجهة
مكروهة فى الشرع فليكن الشرع يحكم الصبر الذى هو نصف الايمان ، ولا ينبغي ان يخيل
اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع مخصوصة (ثم هو) اى الصبر (فى النعم
الدنيوية) اما يحصل (بترك الميل) الهاو يعرف بترك ارتكاب المحرم والمكروه
فى تحصيلها (ورعاية حقه تعالى) فيها تصرفها الى طاعته وعبادته (وهو الشكر)
اى من وجه فلا يتحد الصبر والشكر كما قيل .

ثم اعلم ان جميع ما يلحق العبد فى هذه الحياة لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق
هواه والاخر مالا يوافقه بل يكرهه ، وهو محتاج الى الصبر فى كل واحد

وَفِي الطَّاعَةِ بَصَوْنُ النِّيَّةِ وَالْأَدَاءِ وَالثَّوَابِ عَنِ الرِّيَاءِ وَالتَّكَاسُلِ وَالْإِفْشَاءِ وَنَحْوَهَا
وَفِي الْمَعْصِيَةِ بِالرِّيَاضَةِ وَفِي مُصِيبَةٍ يُمَكِّنُ الْمَجَازَةَ بِالتَّحَمُّلِ بِتَرْكِ الْمُكَافَاةِ قَوْلًا وَفِعْلًا

منها والنوع الاول اصعبها فانه يوافق هوى نفسه من الصحة والسلامة والمال
والجاه وكثرة العشيرة واتساع المعيشة وكثرة الاتباع والانصار وجميع
ملاذ الدنيا ، وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور ، فانه ان لم يضبط نفسه
عن الاسترسال فيها والركون اليها والانهماك في اللذات المباحة منها اخرجته ذلك
الى البطر والطغيان ، ويجرانه الى انواع من العصيان كما قال تعالى (كلا ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى) وقال بعض العارفين : البلاد يصبر عليه المؤمن والمغنية
لا يصبر عليها الاصدقاء . ولما فتحت اموال الدنيا على الصحابة قالوا : ابتلينا بفتنة
الضراء فصبرنا ؛ وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ، وقال عليه السلام « الولد مبخلة بمحنة
محزنة » رواه ابو يعلى الموصلى من حديث ابي سعيد ، ولا يحجب السنن من حديث
بريدة باسناد حسن انه عليه السلام لما نظر الى ابنه الحسن او الحسين يتعثر في قبضه
نزل عن المنبر فاحتضنه ثم قال . صدق الله (انما اموالك واولادكم فتنة) انى لما
رايت ابني يتعثر لم املك نفسي ان اخذته ، ففي ذلك عبرة لاولى الابصار (و) الصبر
(في الطاعة) أى العبادة (بصون النية) أى بحفظها عن السمعة والرياء في حال
الابتداء (والاداء) أى وبصون اداء العمل عن غير الاخلاص أو عن الغفلة
ودراعى الفترة في الائناء (والثواب) أى وبصونه عن الافشاء حال الانتهاء
فالثلاثة مذكورة بطريق اللف ، ومقابلاتها مسطورة على وجه النشر حيث قال
(عن الرياء) وفي معناه السمعة ولو في الخلاء (والتكاسل) أى وعن الشاغل في الاعضاء
(والافشاء) بالاملاء في الملاء (ونحوها) من العجب والغرور والندامة عن الطاعة ،
ورؤية الحول والقوة ، والامن من مكر الله ، واستدراجه وعدم خوف الخاتمة ولعل المراد
بقوله تعالى (نعم اجر العاملين الذين صبروا) أى على تصحيح النية وعلى اتمام العمل
واخلاصه عن الآفات (و) الصبر (في المعصية) المبتي بها (بالريضة) أى بريضة
الفسر عن مخالفة هواها (و) الصبر (في مصيبة) من شأنها أنها (يمكن المجازاة) أى يمكن
فيها المكافاة (بالنحمل) أى الحلم والعفو (بترك المكافاة) أى المجازاة ولو بالمائلة
في المعاقبة (قولاً) كمن سبه (وفعلاً) كمن ضربه ، ومنه قوله تعالى (وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولن صبرتم لحو خير للصابرين) (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا

وَفِي غَيْرِهَا بَتْرُكُ الْجَزَعِ وَالشَّكَايَةِ وَاسْتِمْرَارِ الْعَادَةِ فِي الطَّعَامِ وَاللَّبَاسِ أَمَّا التَّأَلُّمُ
وَجَرَيَانُ الدَّمْعِ فَلَا يُتَأَفَّى بِهِ لِعَدَمِ الدُّخُولِ تَحْتَ الْاِخْتِيَارِ وَالْكَمَالِ تَرُكُ مَا يَشْغُلُ عَنْهُ
تَعَالَى وَجَاءَ الصَّبْرُ عَلَى الْفَرَائِضِ ثَلَاثُمِائَةِ دَرَجَةٍ وَعَنْ

واصلح فاجره على الله) وقد قال بعض الصحابة : ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم
يصبر على الاذى . وقال تعالى حكاية عن الانبياء (وانصبرن على ما آذيتن) وقال تعالى
(ودع اذاهم وتوكل على الله) وقال (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا)
وقال (واقد تعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) وقال (وتسمع من الذين اتوا الكتاب
من قبلكم ومن الذين اشرکوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور)
(وفي غيرها) أى وفي مصيبة غير ممكن المجازاة (بترك الجزع) والفرع (والشكاية)
الى الخالق (واستمرار العادة) أى وباستقرارها على حالها (فى الطعام واللباس) وكذا
الكلام مع الناس وقد قيل : ان الصبر هو ان لا يعرف من صاحب المصيبة اذ يشبه غيره .
وقال داود عليه السلام . ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك ؟ قال : جزاؤه
ان البسه لباس الايمان فلا انزع عنه أبدا ، وقال نينا عليه السلام من اجل الله ومعرفة
حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك . ذكره فى الاحياء وقال يخرجهم اجده مرفوعا
وانما رواه ابن ابي الدنيا من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من الصبر ان لا تحدث
بمصيبتك ولا بوجعك انتهى . وقد قيل من كنوز البر كتبان المصائب والافواج والصدقة ،
وفى الاثر د ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات ، فاذا جرى الصبر ثلاثة اطاعة
والمعصية والبالية من جهة الخالق او الخالق (اما التألم) أى الحزن للقلب (وجريان الدمع)
من العين (فلا يتأفئ) أى الصبر (لعدم الدخول تحت الاختيار) بل هما مستحبان لما
ورد عن سيد الارباب انه بكى عند موت ولده وقال : القلب يحزن والعين تدمع وأنا على
فراقك يا ابراهيم لحزون « رواه الشيخان من حديث أنس (والكمال) أى ذال الصبر
(ترك ما يشغل عنه) أى عن الله (تعالى) من أمور الدنيا فن غفل عن الله ولو فى
لحظة فليس له فى تلك اللحظة قرين الا الشيطان قال تعالى (ومن يش عن ذكر الرحمن)
الآية ، وعن الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصاب وقد سئل عن التصوف فقيل ما هو ؟
قال : هى نفسك ان لم تشغلها شغلتك (وجاء) فى الاثر عن ابن عباس (الصبر على
الفرائض) أى اداؤها (ثلاثمائة درجة) أى بالنسبة الى الصبر على اداء النوافل (وعن

الْمَحَارِمِ سِتْمَانَةَ وَفِي الْمَصِيبَةِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى تِسْعُمِائَةً وَالطَّرِيقُ تَضْعِيفُ بَاعِثِ
الْهَوَى بِالرِّيَاضَةِ

المحارم ستمائة) لانه اصعب على النفس ، فان في فعل الطاعة نوعا من اللذة زيادة على
لذة ترك المعصية (وفي المصيبة عند الصدمة الاولى) أى فورتها وشدها وحدتها
(تسعمائة) لانه اقوى واشق على النفس ، فلا بن أب الدنيا في كتاب محاسبة النفس
عن عمر بن عبد العزيز : أفضل الاعمال ما كرهت عليه النفوس ، والحديث الذى
في المائى رواه ابن أبى الدنيا فى الصبر وأبو الشيخ فى الثواب عن علي مرفوعا بلفظ
« الصبر ثلاثة . صبر على المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية فمن صبر
على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجتين
كما بين السماء والأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين
الدرجتين كما بين تخوم الارضين الى منتهى الارضين ، ومن صبر عن المعصية كتب
الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الارضين الى منتهى العرش »
فالحديث يدل على أن الصبر عن المعصية افضل الانواع ويؤيده ما سبق من اثر عمر
رضى الله عنه حيث قال الصبر فى المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله وأما
« الصبر عند الصدمة الاولى » لحديث رواه البزار وأبو يعلى عن أبى هريرة مرفوعا
وفى رواية البزار عن ابن عباس الصبر عند اول صدمة وفى رواية البخارى فى تاريخه عن
أنس : « الصابر الصابر عند الصدمة الاولى » (والطريق) فى تحصيل الصبر بعد التوفيق منها
ثلاثة (تضعيف باعث الهوى) أى تقليله (بالرياضة) الكثيرة بان يقول داعى الهدى
ويقهر داعى الهوى لا يبقى لها قوة المنازعة فى الامتناع عن الطاعة بحسب الاستطاعة . وعند
هذا يقال : من صبر ظفر . والواصلون الى هذه الرتبة هم الاولون ولا جرم هم الصديقون
والمقربون (الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فهو لا لزوم والطريق المستقيم واستموا
على الصراط القويم . وأما من يغلب عليه دواعى الهوى ويضعف عنده بواعث
الهدى فهو لاء هم الغافلون وهم الاكثرون ، وهم الذين استرقتهم شهوتهم وغلبت
عليهم شهوتهم ، وهم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة تخسرت صفقةهم وماربحت
تجارتهن ، وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالامانى وهى غاية الخلق كما
قال عليه السلام « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحق من اتبع نفسه
هو اها وتمنى على الله تعالى » وفى رواية « والعاجز بدل الاحق كما رواه أحمد والترمذى

وَذِكْرُ قَلَّةِ قَدْرِ الشَّدَّةِ وَوَقْتِهَا وَاضْرَارِ الْجَزَعِ وَتَقْوِيَةِ بَاعِثِ الدِّينِ بِذِكْرِ فَضَائِلِ
الْمُجَاهِدَةِ ثُمَّ أَنْ كَانَ يَتَعَبُ قَوِيَّ فَتَصْبِرُ وَأَنْ

وابن ماجه والحاكم عن شداد بن اوس . ومعنى دان نفسه حاسبها قاله الترمذى وغيره
من العلماء . واما من يغلب عليه باعث الهدى تارة وداعى الهوى اخرى فهذا من
المجاهدين الذين قيل فيهم (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خطوا عملا صالحا وآخر
سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) وأما النار كون للمجاهدة
فيشبهون بالانعام حيث قال تعالى (ذرهم يأطوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف
يعلمون) وقال بعض الشعراء :

دع المسكارم لا ترحل ابغيتها وأقمذ فانك أنت الطاعم الكاسى
وقد قال تعالى (اوائك كالانعام بل هم اضل) اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة
التي بها يجاهد مقتضى الشهوة ، وهذا قد خلق له وعطله فهو الناقص حقوا والمدير يقينا
وصدقا ولذا قال أبو العتاهية :

ولم ارفى عيوب الناس عيبا كنعص القادرين على التمام
وهو مقتبس من قوله عليه السلام « أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل امكنه طلب
العلم فى الدنيا فلم يطلبه ، ورجل علم علما فانتفع به دونه ، رواه ابن عساكر . واما من علم
وعمل وعلم فيدعى فى الملوك عظيما كما قال عيسى عليه السلام (و) منها (ذكر قلة قدر
الشدة) فى مخالفة النفس حال المجاهدة لأن شدائد الدنيا وأحوالها سهل بالنسبة الى
شدائد الآخرة وأحوالها (ووقتها) أى وذكر قلة وقت الشدة كما يشير اليه قوله تعالى
(كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها) ولذا قيل « الدنيا ساعة فاجعلها طاعة ،
(واضرار الجزع) أى وذكر اضرار الجزع والفرع من غير حصول الدفع والدفع
(و) منها (تقوية باعث الدين بذكر فضائل المجاهدة) الواردة فى الكتاب والسنة
فى حق المجاهدين والمجتهدين من قوله تعالى (والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا)
وقوله (وفضل الله المجاهدين على القاعدین اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة
وكان الله غفورا رحیما) وقوله عليه السلام « المجاهد من جاهد هواه » رواه النسائي
« ورجعنا من الجهاد الا صغر الى الجهاد الا كبير » وقد تقدم (ثم ان كان) الصبر والتحمل
او ذلك الثبات والتحمل حاصل (بتعب قوى) أى شديد وجهد جهيد (تصبر) أى
فيقال له تصبر لان صاحبه متكلف فى الصبر كما يقال زاهد زاهد وصوفي وصوفي ومتصوف (وأن

كَانَ يَسِيرٌ فَصَبْرٌ وَإِنْ كَانَ دُونَ جَهْدٍ فَرَضَى وَوَرَدَ «أَعْبُدِ اللَّهَ عَلَى الرِّضَاءِ
فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ» وَإِنْ كَانَ يَتَلَذَّذُ فَشُكْرٌ وَهُوَ
بِالْغِيَةِ عَنْ حُظُوظِ النَّفْسِ وَالشَّهَوَاتِ مَعَ تَعَالَى كَمَا وَرَدَ «أَنْتِ أَيْتٌ عِنْدَ رَبِّي
يُطْعَمُنِي هُوَ وَيَسْقِينِي» وَعَدَمِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْإِلْمِ وَاللَّذَّةِ

كان (ما ذكر واقعا) (يسير) أى بتعب سهل وغير عسير (فصبر) أى فيخص باسم الصبر
فاذا دام التقوى وقرى التصديق بما فى العاقبة من الحسنى يسر الصبر بالوجه الاسنى قال تعالى
(فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) (وان كان) (الصبر) (دون
جهد) أى من غير تعب (فرضى) أى فهو رضى بما يفعل المولى (وورد اعبد
الله على الرضاء) فان الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم (فان لم تستطع) على
عبادته فى مقام الرضاء من غير جهد (البلاء ففى الصبر على ما تكره) بمقتضى
البشرية (خير كثير) فى الامور الدنيوية والاخرية ، فاعبده على الصبر فان ما
لا يدرك كله لا يترك كله ، والحديث رواه الترمذى من حديث ابن عباس . وقال
ابو سليمان : والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره (وان كان)
الصبر على البلاء يتلذذ كتلذذ النعماء (فشكر) أى فهو شكر ينشأ عن كمال المحبة
والصدق وغاية الرضاء عن الحق ، فقد قال بعض العارفين : أهل الصبر على ثلاث
مقامات . الاولى ترك الشكوى وهذه درجة الثاقبين ، والثانية الرضاء بالمقدور وهذه
درجة الزاهدين ، والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين (وهو)
أى التلذذ بالبلاء انما يكون بستة أشياء (بالغية عن حظوظ النفس) ولذات الهوى
(والشهود) (أى بالحضور) (معه تعالى) ليلا ونهارا (كما ورد) عنه عليه السلام
انه قال (أنتى أيت عند ربى) أى حاضر الديه كالواقف بين يديه (يطعمنى هو)
أى لاغيره (ويسقنى) أى يغنىنى عن الطعام والشراب ويقوينى بدلها بما يلذ به
الاحباب فلم اجد الم الجوع والعطش لقناء حظوظ نفسى وشهود قلبى مع ربى ،
فهذا المعنى يصلح ان يكون استئناف علة لمنع الاصحاب عن الوصال بدون ارتكاب
الاسباب . واما ما قيل من ان المعنى يطعمنى ويسقنى من طعام الجنة وشرابها فلا
يصلح ان يكون علة لمنعهم كما لا يخفى على اولى الالباب (وعدم التمييز) أى وعدم
الفرق (بين الالم واللذة) الطيعيين . ولقد قال بعض المحبين

كَافَى حَدِيثَ حَارِثَةَ مَا أَبَالَى عَلَى أَىِّ الْحَالَيْنِ وَقَعْتُ عَلَى غَنَى أَوْ فَقْرٍ وَالْأَعْلَى التَّمْيِيزُ
وَإِخْتِيَارُ الْأَلَمِ فِي مُوَافَقَتِهِ تَعَالَى وَالْإِلْتِذَاذُ بِهِ «فُورِدَ» «إِخْتَارُ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا نِيًّا
وَجَاءَ بِأَحَبِّهَا الْمَكْرُوهَانِ الْمَوْتُ وَالْفَقْرُ

فليس لى فى سـواك حظ • فكيف ما شئت فاخترنى

لكن لما كان فى هذا شائبة من الدعوة ابتلى بنوع من البلوى (كفى حديث حارثة
ما ابالى على اى الحالين) اى المقامين (وقعت) اى سقطت وثبت (على غنى او
فقر) وكذا صحة او مرض ، وهذا وصل او هجران . وقيل . الفقر بلاه ومحنة ،
والغنى هم ومشقة . وكل ذلك قاذح فى كمال الرضاء والمحبة ، بل ينبغى ان يفوض
التدبير لما لكها . ويسلم الامر الى صاحبه وسيده ويقول ما قال عمر رضى الله
عنه : لا ابالى اصبحت غنيا او فقيرا فاقى لا ادرى ايها خير لى ، وفيه اشارة الى قوله
(ن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خيرا بصيرا) وفى الحديث
القدسى « ان من عبادى من لا يصلحه الا الفقر . ومنهم من لا يصلحه الا الغنى »
الحديث وقد قال عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا
وهو شر لكم والله يعلم واتم لآ تعلمون) فالتسليم اسلم والله اعلم (والاعلى) اى أعلى مراتب
الصبر من التلذذ بالبلاء الذى هو الشكر بالنسبة الى عدم التمييز كحال اهل السكر (التميز)
بين النفع والضـر والحلو والمر (واختيار الالم فى موافقته تعالى) حيث جعله مختارا
(الالـتذاذ به) اى بالامر فهو الاول (فورد) عنه عليه السلام انه لما خير بين الدنيا وثر كها
بأن يكون ماسكا نيا أو عبدا نيا فقال : (اختار ان أكون عبدا نيا) وفى رواية
زيادة (أجوع يوما فاصبر وأشبع يوما فاشكر) ليفوز بالمقامين ويجمع بين الامرين
لانه كانت فى غاية من الكمال فاخذ ما يقتضيه الجمال ويستدعيه الجلال
(وجاء) فى الخبر (يا) قوم (حبذا المكروهان) اى نعم المكروهان
فى طبع الانسان وهما سببا مزيد الاحسان (الموت) على الايمان (والفقر)
لمقرون برضى الرحمان روافد ابن أبى الدنيا وغيره . واخرج احمد وسعيد بن منصور فى
سننه بسند صحيح عن محمود بن لبيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « اثنتان يكرهما
ابن آدم يكره الموت والموت خير له من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب »

ثُمَّ الرِّضَاءُ بِتَرْكِ الْإِعْتِرَاضِ وَقِيلَ تَرْكُ السَّخَطِ وَلَا بَدَمْنُهُ لِلْفَرَاغِ لِلْعِبَادَةِ وَالتَّحَامِي
 مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَالتَّعَبِ فِيهَا وَغَضَبِهِ تَعَالَى فَوَرَدَ «مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي وَلَمْ
 يَصْبِرْ عَلَى بِلَائِي فَلْيَطْلُبْ رَبًّا سِوَايَ»

(ثم الرضاء بترك الاعتراض) بالقلب في جميع انواع القضاء فلا يقول لحدث
 حدث : لولم يحدث لكان أولى ، أو لو حدث في غير هذا الموضع كان أحسن
 وأعلى ، اذ ليس في الامكان ابدع مما كان كما في الاحياء . واعتراض عليه من لم يفهم
 معناه من العلماء (وقيل ترك السخط) أى الكراهة وهو ضد الرضاء ، والرضاء
 غاية الغايات ونهاية المعانيات ، ففي الحديث «ان الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني
 فيقولون رضاك» ويؤيده قوله تعالى (ورضوان من الله أكبر) أى من النعيم
 الذى يتم فيه ، فهذا فضل رضى الله ، وهو ثمرة رضى العبد ، كما يشير قوله تعالى
 (رضى الله عنهم) أولا (ورضوا عنه) آخر (ولا بد) للعبد (منه) أى من
 الرضاء عن الله تعالى لاربعة أشياء (للفراغ) أى فراغ الخاطر (للعباداة) وقد
 ورد «نعمتان مغبورون فيها كثير من الناس الصحة والفراغ» (والتحامى) أى
 والتحاظ (من هموم الدنيا) بالقلب (والتعب) ومن غموم النصب بالبدن
 والقلب (فيها) أى في الدنيا ، وقد ورد من جعل الهموم هما واحداً من الآخرة كفاه
 الله هم الدنيا والآخرة (وغضبه) أى التحامى من غضبه (تعالى فورد) في الحديث
 القدسي والكلام الانسي (من لم يرض بقضائى) فى احكام ارضى وسمائى (ولم يصبر على
 بلائى) أى ابتلائى فى سرائى وضرائى وفى رواية زيادة ولم يشكر على نعمائى (فليطلب ربا
 سواى) أى غيرى وما عادى من اعدائى «وروى أنه عليه السلام سأل طائفة من أصحابه
 الكرام فقال ما اتم؟ فقالوا مؤمنون ، فقال ما علامة ايمانكم؟ قالوا نصبر على البلاء ونشكر
 عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة ، وفى لفظ آخر أنه قال وحكام
 علماء كاد وامن فقههم أن يكونوا انبياء ، وفى مناجاة موسى عليه السلام قال يا رب أى
 خلقك أحب اليك؟ قال من اذا اخذت عنه محبوبه سألنى ، قال فأى خلقك أنت ساخط
 عليه؟ قال من يستخيرنى فى الامر فاذا قضيت له سخط قضائى ، وفى الخبر «قدرت المقادير
 ودرجت التدابير من رضى فله الرضاء منى حتى يلقى ومن سخط فله السخط منى حتى يلقى»

وَيَحْصُلُ رِضْوَانُهُ فُورَدَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)

في الخبر المشهور « يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له للخير واجريت الخير على يديه ، وويل لمن خلقت له للشر واجريت الشر على يديه ، وويل ثم وويل لمن قال لم وكيف » وفي الاخبار السالفة « أن نبيا من الانبياء شكى الى الله تعالى الجوع والفقر والعمل عشرين سنة فما اصاب الا ما اراد ، ثم اوحى الله اليه لم تشكوا هكذا كان بدوك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض ، وهكذا سبق لك مني ، وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد أن ابدل ما قدرت عليك فيكون ماتحب فوق ما أحب ، او يكون ماتريد فوق ما اريد ، وعزتي وجلالي اثن يايج هذا في صدرك مرة أخرى لايحونك من ديوان النوة » ويروى « ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام : يا داود تريد واريد واما يكون ما اريد ، فان سلمت لما اريد كيفتك ما تريد ، وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد ، والله در من قال من اهل المزيد :

تريد النفس أن تلقى منهاها ويأبى الله الا ما يريد

﴿ ويحصل رضوانه ﴾ أى ويحصل رضاء الله عنه (فوردا) في التنزيل ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ فعلمنا رضى العبد عن الله رضاء الله عنه او بالعكس وهو الاول لذكر رضى الله في المرتبة الاولى وليسبق رضاء في الازل الاعلى. وقد سئل الفضيل عن الصبر فقال : هو الرضاء بقضاء الله . قيل وكيف ذلك ؟ قال الراضى لا يتمنى فوق منزلته. وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث : حسن التوكل فيما لم ينل ؛ وحسن الرضاء فيما قد نال ، وحسن الصبر فيما قد فات. وروى عن بعضهم قال ومررت على سالم مولى أبى حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له : اسقيك ماء؟ فقال : جرنى قليلا الى الاعداء واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته ، وفي الخبر طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به « وفي خبر آخر « من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى الله منه بالقليل من العمل » وللترمذى « من سعادة ابن آدم رضاء بما قسم الله ، وفي خبر آخر « أرض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس » وفي اخبار موسى عليه السلام : أن بنى اسرائيل قالوا له سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا ، فقال موسى : الهى قد سمعت ما قالوا ، فقال يا موسى قل لهم : يرضون عني حتى ارضى عنهم . ويشهد لهذا ما روى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب أن ينظر ماله

وَالسَّبَبُ اَدْهَاشُ غَلْبَةِ الْحُبِّ عَنِ الْاِحْسَاسِ بِالْاَلَمِ كَمَا بِالْعَاشِقِ وَالْحَرِيصِ

عند الله فينظر ماله عز وجل عنده فان الله ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه ، وفي اخبار داود عليه السلام : ما لا وليا لي والهم بالدنيا ان هم بالدنيا يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم ، ياد اود ان علامة محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يقيمون ، وروى ان موسى عليه السلام قال : يارب دلني على امر فيه رضاك حتى أعمله ، فوحى الله اليه ان رضائي في كرمك وانت لا تصبر على ما تكره ، قال يارب دلني عليه ، فقال ان رضائي في رضاك بقضائي . وعن عمر بن عبد العزيز : ما بقي سرور الا في مواقع القدر . وقيل له ما تشتهي ؟ قال ما يقضى الله تعالى (والسبب) لرضاء العبد بما يفعل الرب شيئا من أحدهما (ادهاش غلبة الحب) أي اغماؤها واغفالها (عن الاحساس بالالم) في المحن وأحوالها (كما بالعاشق) بالدنيا (والحريص) في جمع مالها وأحوالها ، وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه ف قيل له في ذلك ، فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجع . وقال الجنيد : سألت سريبا السقطي هل يجد المحب ألم البلاء ؟ قال لا قلت وأن ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة . وقال بعضهم : أحببت كل شيء يحبه حتى لو أحب النار أحببت دخولها . وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب ألف صوت في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت لم ضربت ؟ فقال لاني عاشق . فقلت ولم سكت ، قال لان معشوق كان يحذائي ينظر الى ، قلت ولو نظرت الى المعشوق الاكبر ، فزعت زعقة وخر ميتا . وقال يحيى بن معاذ الرازي : اذا نظر أهل الجنة الى الله سبحانه ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم ، فما ظنك بقلوب وقعت بين جلاله وجماله اذا لاحظوا جلاله ما بوا واذا لاحظوا جماله تاهوا وقال بشر : قصدت عبادان في باديتي فاذا أنا برجل اعشى مجذوم مجنون قد صرع والنمل ياكل لحمه فرفعت رأسه فوضعتة في حجرى فلما افاق قال من هذا الفضولى الذى دخل بينى وبين ربى ، لو قطعنى اربا اربا ما ازددت له الاحبا قال بشر فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين رب فانكرتها . وروى ان يونس عليه السلام قال للجبريل عليه السلام : دلني على اعد اهل الارض ، فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب سمعه وبصره وهو يقول : الهى متعتنى بهما ما شئت وسلبتنى ما شئت

وَالْعِلْمُ بِجَزَالَةِ الثَّوَابِ

وأبقيت لي فيك الأمل يا بر يا رسول : ويروى أن عيسى عليه السلام مر برجل أعشى أبرص مقعد مضروب الجبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذلم وهو يقول : الحمد لله الذي عافاني عما أبغى به كثيرا من خلقه ، فقال له عيسى عليه السلام يا هذا أي شيء من البلاء أراه مصروفا عنك ؟ فقال باروح الله أناخير بمن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته ، فقال صدقت ، مات يدك فناولته يده فاذا هو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة ، قد أذهب الله عنه ما كان به ومحجب عيسى وتصدد معه ، وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبتيه من أكلة خرجت بها ثم قل : الحمد لله الذي أخفني مني واحدة وأبقى أخرى ، لأن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت أبليت لقد عافيت ، ثم لم يدع وردة تلك الليلة ، وقال أبو سليمان الداراني : قد نلت من كل مقام حالا إلا الرضاء فإلى منه إلا مشام الريح ، وعلى ذلك لو ادخل الخلائق ظلم الجنة وادخلني النار كنت راضيا . ولما قدم سعد بن أبي وقاص مكة وكان قد كتف بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعو لهذا ولهاذا ، وكان مجاب الدعوة ، قال عبد الله بن السائب : فأتته وأنا غلام فعرفت اليه فعرفني وقال أنت قارئ أهل مكة ؟ قلت نعم ، فذكر قصة قال في آخرها فقلت له : يا نعم أنت تدعو للناس فلودعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك ؟ فقبسم وقال : يا بني قضاء الله عندي أحسن من بصرى : وقال بعض السلف : ولو قرض جسمي بالمقاريض لكان أحب إلي من أن أقول لشئ قضاء الله لئنه لم يقضه (والعلم) أي وثانيتها المعرفة بشيئين (بجزالة الثواب) أي عظمته وكثرته يوم الحساب فقد قال تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقد ينال الجزاء في الدنيا أيضا قبل العقبي لما روى (عن الرميضاء أم سليم أنها قالت : توفي ابن لي وكان زوجي أبو طلحة غائبا ، فقامت فمسجتيه في ناحية من البيت ، فقدم أبو طلحة فقامت فبيات له افطاره لجل يأكل ، فقال كيف الصبي ؟ فقلت في أحسن حال بحمد الله ومنه فإنه لم يكن منذ اشتكى خيرا منه الليلة ، ثم تصنعت له باحسن ما كنت أتصنع من قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته ، ثم قلت : ألا تعجب من جهرائنا ؟ فقال وما لهم ؟ فقلت أعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا ، فقال بشر ما صنعوا ، فقلت هكذا أنتك كان عارية من الله تعالى وإن الله قبضه إليه لحمد الله وأثني عليه واسترجع

كَمَا لِلْمَرِيضِ وَالتَّاجِرِ الْمُتَحَمِّلِينَ شِدَّةَ الْحِجَامَةِ وَالسَّفَرِ وَبَانَ لَهُ تَعَالَى فِي كُلِّ صُنْعٍ حِكْمَةٌ يَتَعَجَّبُ الذَّاهِلُ عَنِ السِّرِّ كَمَا فِي قِصَّةِ مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَلَا يَرِدُ التَّنَاقُضُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بُغْضِ الْمَعْصِيَةِ لِأَنَّ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ وَالْمَعْصِيَةُ مَقْضِيَّةٌ وَلَآنَ الرِّضَاءُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مَقْضَى لَا يَنَافِي الْبُغْضُ لِلْمَعْصِيَةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ

ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال عليه السلام: اللهم بارك لهم في ليلتهم قال الراوى فاقدرايت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرؤوا القرآن، رواه الطبرانى فى الكبير من طريق أبى نعيم فى الحلية ، والقصة فى الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف ، وللسائى فى الدبرى باسناد صحيح من حديث جابر «دخلت الجنة فاذا انا بالرمضاء امرأة أبى طلحة» فقد روى ان امرأة فتح الموصلى عثرت ققطع ظفرها فضحك فقيل لها اما تجدى من الوجد فقالت ان لذة ثوابه ازالته عن قلبى حرارة وجمعه وعذابه . وقد ورد فى الترمذى وغيره حديث •

«هل أنت الا اصبع دमित • وفى سبيل الله ما لقيت»

وقال شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهى المخرج منها والله در المتنبى اذ يقول •

أَنْ كَانَ سِرُّهُ مَا قَالِ حَاسِدُنَا فَمَا لَجَرَحِ إِذَا أَرْضَاكُمُ الْمَ
(كَمَا لِلْمَرِيضِ وَالتَّاجِرِ) الْمَسَافِرِ (الْمُتَحَمِّلِينَ شِدَّةَ الْحِجَامَةِ) رَجَاءَ الْصَلَةِ (وَالسَّفَرِ) أَى وَبَحْتَهُ طَعْمًا لِلزِّيَادَةِ (وَبَانَ لَهُ تَعَالَى فِي كُلِّ صُنْعٍ حِكْمَةٌ) كَمَا قَالَ تَعَالَى (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ) وَقَالَ (صَبْغَةَ اللَّهِ وَمَا أَحْسَنَ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً) بَلْ حِكْمًا كَثِيرَةً (يَتَعَجَّبُ الذَّاهِلُ) الْغَافِلُ (عَنِ السِّرِّ) أَى سِرِّ تِلْكَ الْحِكْمَةِ فِي تِلْكَ الصَّنْعَةِ وَمَا يَتَرْتَبِ عَلَيْهِمَا مِنَ الْحُكْمِ (كَمَا فِي قِصَّةِ مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) وَمَا وَقَعَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَلَامِ وَالْكَلَامِ فِي تَحْقِيقِ الْمَقَامِ وَتَدْقِيقِ الْمَرَامِ (وَلَا يَرِدُ التَّنَاقُضُ بَيْنَهُ) أَى بَيْنَ الرِّضَاءِ بِالْقَضَاءِ ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الدُّعَاءِ اللَّهُمَّ اسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ ، (وَبَيْنَ بُغْضِ الْمَعْصِيَةِ) الْوَاقِعَةِ بِحُكْمِ الْقَضَاءِ (لِأَنَّ الرِّضَاءَ) إِنَّمَا هُوَ (بِالْقَضَاءِ) الَّذِى هُوَ فِعْلُ الرَّبِّ وَخَلْقُهُ (وَالْمَعْصِيَةُ مَقْضِيَّةٌ) عَلَى الْعَبْدِ صَادِرَةٌ عَنْ فِعْلِهِ وَكُسْبِهِ ، وَلَوْ كَانَ بِتَقْدِيرِ الرَّبِّ وَحُكْمِهِ ، وَلَآنَ قَضَاءُ الشَّرِّ لَيْسَ بِشَرٍّ ، أَنَّمَا الشَّرُّ هُوَ الْمَقْضَى فَلَا يَكُونُ الرِّضَاءُ بِالشَّرِّ ، وَهَذَا يَتَحَقَّقُ مَعْنَى الْخَيْرِ «الْخَيْرُ ظُهُورُ يَدِكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ بِكَ» (وَلِأَنَّ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ) مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مَقْضَى لَا يَنَافِي (أَيْضًا) الْبُغْضُ لِلْمَعْصِيَةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ

وَهُوَ لَا يُوجِبُ تَرْكَ الْأَسْبَابِ وَتَحْقِيقَهُ يَأْتِي فِي التَّوَكُّلِ وَلَا الدُّعَاءَ بِشَرَطِ الصَّلَاحِ
 قَلْبًا فُورَدَ «اللَّهُمَّ زِدْنَا فِي اللَّبَنِ اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خَيْرًا مِنْهُ فِي غَيْرِهِ

فالحشية اذا كانت مختلفة تصير الامور المختلفة كلها مؤتلفة ، كالولد العاق يجب من حشية
 الولدية ويغض من جمة العقوبة (وهو) أى الرضاء بالقضاء (لا يوجب ترك
 الاسباب) أى اسباب البقاء وغيره من الابواب (وتحقيقه) أى تحقيق ترك الاسباب
 (يأتى فى التوكل) الموضوع لهذا الباب (ولا الدعاء) أى ولا يوجب الرضاء
 ترك الدعاء لقوله تعالى (ويدعوننا رغبا ورهبا) وثبت انواع من الدعاء عن سيد الانبياء
 مع أنه فى أعلى مقامات الرضاء (بشرط الصلاح قلبا) ولولم يشترطه لسانا (فورد
 اللهم زدنا ، فى اللبن « اللهم ارزقنا خيرا منه ، فى غيره) والحديث رواه الترمذى
 فى الشامل عن ابن عباس أنه عليه السلام قال « من أطعمه الله طعاما فليقل : اللهم
 بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ، ومن سقاه الله ابنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا
 منه قال وقال عليه السلام « ليس شئ يحزى مكان الطعام والشراب غير اللبن ،
 هذا ، وقد قال ميمون بن مهران : من لم يرض بالقضاء فليس لحقه دواء ، وقال الفضيل :
 اذلم تصلح على تقدير الله فلم تصالح على تقدير نفسك . وقال عبد العزيز بن أبى رواد : وليس
 الشأن فى أكل خبز الشعير والحل ، ولا فى لبس الصوف والشعر ، لكن الشأن
 فى الرضاء بالقضاء والقدر . وقال عبد الله بن مسعود . لئن الحس جرة أحرقت ما أحرقت
 وأبقت ما أبقت أحب إلى من ان أقول لشيء كان ليته لم يكن ، أو لشيء لم يكن
 ليته كان . ونظر رجل إلى قرحة فى رجل محمد بن واسع فقال : أنى لأرحمك من هذه
 القرحة ، فقال انى لا شكرها منذ خرجت اذلم تخرج فى عيى . وقال الثورى يوما عند
 رابعة العدوية : اللهم ارض عنا ، قالت : أما تستحي من الله أن تسأله الرضاء وانت
 عنه غير راض : فقال أستغفر الله . فقال جعفر بن سلمان : متى يكون العبد راضيا عن
 الله ؟ قالت إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة ، وعن الفضيل إذا استوى
 عنده المنع والعطاء فقد رضى عن الله تعالى ، عن احمد بن أبى الحوارى قال أبو
 سليمان الداراني أن الله من كرمه قدرضى من عبيده بما رضى به العبد من مواليهم قلت كيف
 ذلك ؟ قال أليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه . مولاة قلت نعم ، قال أن محبة الله
 من عبيده أن يرضوا عنه ، وقال بعض السلف : من حسن الرضاء بالقضاء ان لا

﴿ثم الشكر يجمعهم عرفان النعمة من المنعم والفرح به واستعمالها في طاعته﴾

يقول هذا يوم حار أو يوم بارد في معرض الشكاية . وقول القائل : الفقر بلاء وعنة ، والعيال هم وتعب ، والاحتراف لحد ومشقة وكل ذلك قاذح في كمال الرضا بالقضاء ، فمن عمر رضى الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدرى لهما خير لي . وعن ابن مسعود أنه قال القمر والغنى مطيتان لا أبالي أيهما ركب إن كان الفقر ففيه الصبر ، وإن كان الغنى ففيه البذل وانما يقل فيه الشكر انما الى ان الفقر أفضل من الغنى وإشارة الى أن الغنى من غير البذل مذموم عند أهل الفضل والعدل ههنا وقد اختلف العلماء في الافضل من أهل المقامات الثلاثة : رجل يحب الموت شوقا الى الله تعالى ، ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا وأرضى بما يختاره الله لي . ورفعت هذه المسألة الى بعض العارفين فقال : صاحب الرضا أفضل لانه أقلهم فضولا . واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط ، فقال سفيان الثوري : كنت اكره موت الفجاءة قبل اليوم ، واليوم وددت أني مت ، فقال له يوسف لم ؟ قال : لما اتخوف من الفتنة ، فقال يوسف لكني لا اكره طول البقاء ، فقال سفيان لم ؟ قال : لم لي اصادف يوما توب فيه ، واعمل صالحا . فقال لو هيب أي شيء تقول ؟ قال اما لا اختار شيئا ، أحب ذلك الى الله أحبه الى قبل الثوري بين عينيه فقال : روحانية ورب الكعبة . ويؤيده الدعاء المأثور اللهم احبني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر . ﴿ثم الشكر يجمعهم﴾ ثلاثة أشياء ﴿عرفان النعمة من المنعم﴾ وهذا علم يصدر عن اعتقاد ان كل ما في العالم وجود فهو من الله مشهود كما قال تعالى ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ وفي دعائه عليه السلام « اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر » ﴿والفرح به﴾ أي بالمنعم الحاصل بانعامه لا بنفس النعمة من حيث ذاتها الأدنى ، بل من حيث انها وسيلة الى القرب من المولى والنظر الى وجهه الاعلى ، فهذا هو الرتبة العليا ، وعلامته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة للآخرة ، ويحزن بكل نعمة تلبيه عن طريق الهدى وهذا حال ﴿واستعمالها﴾ أي صرف النعمة ﴿في طاعته﴾ أي طاعته دون معصيته للمنعم ، وهذا عمل . وقال الشبلي الشكر رؤية المنعم لارؤية النعمة . وقال الجنيد : الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة . وقال الخواص : شكر العامة على المطعم والملبس ، وشكر الخاصة على واردات القلوب ، وهي رتبة

وَلَا يَدُّ مِنْهُ لَا سُدَامَةَ النَّعْمَةِ فُورِدَ (فَكَفَرْتُ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ
وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) وَإِنَّ النَّعْمَ أَوْ أَيْدٍ فَقِيدُوا بِالشُّكْرِ وَاسْتِزَادَتْهَا فُورِدَ
(لَنْ شَكَرْتُمْ لَا زَيْدَنْكُمْ - وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى)

لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج وسائر الشهوات ومدركات
الحواس من الألوان والاصوات ، وخلا عن لذة القلب وما يرد عليه من الواردات ،
فان القلب السليم لا يلتذ في حالة من الصحة القويم الا بذل الله ومعرفته من حيث الذات
والصفات ، وأما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين
ويختاره على السكنجين ، وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء
المرّة حتى قيل :

ومن يك ذا قم مر مريض يحمد مرا به الماء الزلالا

(ولا بد) للعبد (منه) أي من الشكر (لا سدامة النعمة) أي لطلب دوام النعمة
وبقائها (فوردا) في التنزيل (وكفرت) صوابه فكفرت كما في نسخة وصدر الآية
(وضرب الله مثلا قرية) أي مكة (كانت آمنة مطمئنة يأتونها رزقا رغدا) أي واسعا (من
كل مكان فكفرت) أي أهلها (بأنعم الله) أي بتكذيب رسوله (فأذاقها الله لباس الجوع)
أي القحط سبع سنين (والخوف) أي الرعب من المسلمين (بما كانوا يصنعون
وان) أي وورد في الحديث (أن النعم أوابد) أي وحشيات متغيرات كصيد شوارد
(فقيدوها بالشكر) وقد قيل الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد المنحة المفقودة، كما
يشير اليه قوله (واستزادتها) أي ولطلب زيادة النعمة (فوردا) في التنزيل (لن
شكرتم لا زيدنكم) تمامه (وائن كفرتم أن عذابي لشديد) (والذين اهتدوا)
بالإيمان وترك الكفر واداء الشكر (زادهم هدى) أي هداية على هدايتهم ،
وعناية على رعايتهم .

ثم أعلم أن لكل عضو من القلب واللسان وسائر الجوارح والاركان شكر ايليق به من عمل
الطاعة وترك المعصية ، واعظماها شكر الجنان ، واظهارها شكر اللسان . وقد قال عليه السلام
لرجل : كيف أصبحت؟ فقال بخير فاعاد عليه السلام السؤال حتى قال في الثالثة بخير
أحمد الله واشكره ، فقال عليه السلام هو الذي اردت منك ، رواه الطبراني في الدعاء من
رواية الفضل بن عمرو مرفوعا ، وهذا معضل . وفي المعجم الكبير من حديث عبد الله بن

وَأَيْضًا إِذَا أَرْسَلَ مَلِكٌ فَرَسًا وَثُوبًا وَزَادَا إِلَى عَبْدِ لِيَجِيءَ إِلَيْهِ وَيَنَالَ حَظَّ الْقُرْبَةِ
مَعَ اسْتِغْنَاءِ الْمَلِكِ عَنْهُ فَاسْتَعْمَلَ فِي الْبُعْدِ عَنْهُ أَوْ أَهْمَلَ أَوْ مَكَّنَ عَبْدًا عَلَى بَسَاطِ
الْقُرْبَةِ فَاشْتَغَلَ الْعَبْدُ عَنْ خِدْمَتِهِ مُلْتَفِتًا إِلَى خَسِيسٍ فِي حَرْفَتِهِ يَسْأَلُهُ

عمر ووايس فيه تكرر السؤال وقال احمد الله اليك . وكان السلف يتساءلون وينتقم منهم استخراج
الشكر لله ليكون الشاكر لله مطيعا والمستطاع له به مطيعا ، فكل عبد يسأل عن
حاله فهو بين ان يشكرو بين ان يشكو ، وبين ان يسكت ، فالشكر طاعة صحيحة ، والشكوى
معصية قبيحة . وكيف لا تنقبج الشكوى من المولى وهو ملك الملوک ؛ ويده كل شيء
الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالا حري بالعبد أن لم يصبر على البلوى ويفضيه
الضعف الى الشكرى أن تكون شكواه الى المولى ، فهو المبلى وهو القادر على ازالة
البلاء ؛ وذل العبد لمولاه عز ، والشكوى الى غيره ذل ، واظهار الذل للعبد مع كونه
عبدا مثله ذل قبيح . قال الله تعالى (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون) فقد روى ان
وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم ، فقال عمر الكبير الكبير ، فقال
يامير المؤمنين لو كان الامر بالسنة لكان في المسلمين مز هو اكبر منك ، فقال تكلم ، فقال
لسنا وفدا لرغبة ولا وفدا لرغبة ، اما الرغبة فقد اوصلها اليك بفضلك ، واما الرغبة فقد آمنتنا
منها عدلك . وانما نحن وفدا لشكر جثاك فشكرك باللسان وتصرف (وايضا) بما يدل
على تحقيق وجوب الشكر على العبد من جهة العقل مع قطع النظر عن النقل
مثال ، وهو ان يقال (اذا ارسل ملك) عظيم (فرسا وثوبا وزادا الى عبد) بعيد
عن قرب (ليجيء اليه) رايا لا بسا منفعه عليه (وينال حظ القربة) اى ويلقى حظ
قرب الملك لديه (مع استغناء الملك عنه) وقال احتياج العبد منه (فاستعمل) الفرض
والزاد (في البعد عنه) اى عن حكمه وفي سفر المخالفة من قرب (او أهمل) أمره
ونسى قدره ، وجلس في محله ، ولم يستعمل لافى قرب ولا فى بعده (او مكن) اى او اذا
اقدر (عبدا على بساط القربة) وامكنه من الانبساط فى بساط عدم الكربة (فاشتغل
العبد عن خدمته) اى خدمة الملك وعن المأتى الى حضرته (ملتفتا الى خسيس فى
حرفته) من دباغ وكناس . وسيس دابة (يساله) اى يطلب العبد من ذلك الخسيس

كُسْرَةُ رَغِيفٍ يَسْتَحِقُّ الْمَقْتَ وَسَلْبَ النِّعَةِ

(كُسْرَةُ رَغِيفٍ) باظهار فاقته وحرقة في حضرة الملك وصحبته فلا شك ان كلا منها (يَسْتَحِقُّ الْمَقْتَ) اى كمال الغضب (و) يقتضى (سلب النعمة) وجلب النقمة وادامة العقوبة والطرده عن الخدمة والبعد عن الحضرة. وتوضيحه ما فى الاحياء ان الانبياء عليهم السلام بعثوا لدعوة الخلق الى كمال توحيد الحق ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة ، وقطع تلك العقبات الشاقة ويمكنك أن تفهم بمثال وهو ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعد عنه مركوبا وملبوسا ونقدا لأجل زاده فى الطريق حتى يقطع به مسافة البعد فيقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان ، أحدهما أن يكون قصده من وصول العبد الى حضرته أن يقوم ببعض مهماته ويكون له غنى فى خدمته ، والثانية أن لا يكون للملك حظ فى العبد ولا حاجة به اليه ، بل حضوره لا يزيد فى ملكه ، فإن غيته لا تنقص من ملكه ، فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب ونحوه أن يحظى العبد بالقرب منه فى مقابلة خدمته ، وينال سعادة حضرته ليتفجع هو فى نفسه لا ليتفجع الملك به باتفاعة . فتنزل العباد من الله فى الميزة الثانية لا فى الميزة الاولى ، فان الاولى محال على الله والثانية غير محال .

ثم أعلم أن العبد لا يكون شاكرا فى الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول الى حضرته ما لم يقوم بخدمته التى ارادها الملك منه ، وأما فى الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة أصلا ، ومع ذلك يتصور أن يكون شاكرا أو كافرا ، فيكون شكره بأن يستعمل ما انقذه اليه مولاه فيما أحبه لاجله لا لاجل نفسه ، وكفره بأن لا يستعمل ذلك فيه بأن يعطله أو يستعمله فيما يزيد فى بعده منه ، فهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم يتفق الزاد الا فى الطريق فقد شكر مولاه ، إذ استعمل نعمته فى سبيل محبته أى فيما أحبه لعبده لالنفسه ، وأن ركبته واستدبر حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته أى استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لالنفسه ، وان جلس ولم يركب لافى طلب القرب ولا فى طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذا أهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه ، فكذا خلق الله سبحانه الخلق وهم فى ابتداء فطرتهم يحتاجون إلى استعمال الشهوات لتكمل أبدانهم بها فيعبدون عن حضرة بسببها ، وإنما سعادتهم فى القرب منه ، فاعد لهم من النعم ما يقدر

وَالْفَارِقُ يَبِينُ مَحَبُّوهُ تَعَالَى وَمَبْغُوضُهُ لِفَعْلٍ وَالتَّارِكُ الْعِلْمُ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ
وَالْإِسْتِبْصَارُ وَالضَّابِطَانِ الْمُوَصَّلُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ مَحْبُوبُ اللَّهِ وَالشَّاعِلُ عَنْهُ
مَبْغُوضُ اللَّهِ ثُمَّ النِّعْمَةُ أَمَادِنِيَّةٌ كَالْخَلْقَةِ السُّوِيَّةِ وَالْمَلَاذُ الشَّهِيَّةُ وَصَرَفُ الْمَفَاسِدِ
وَالْمَضَارِّ وَأَمَّا دِينِيَّةٌ كَالْتَوْفِيقِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِصْمَةِ وَالْحِفْظِ

على استعماله في نيل درجة القرب ، وعن بعدهم وقربهم غير الله تعالى فقال (لقد
خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات) الآية فاذا انعم الله بالالت يترقى بها العبد عن اسفل سافلين خلقها
الله لاجل العبد حتى ينال بها سمادات القرب ، والله سبحانه غنى عنه قرب أو بعد
منه ، والعبد فيه بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه ، وبين
أن يستعملها في المعصية فقد كفر لانتهاه لما يكرهه مولاه ولا يرضاه له ، فان الله
لا يرضى لعباده الكفر والمعصية ، وان عطلها فلم يستعملها لا في طاعة ولا في
معصية فهو أيضا ككفران للنعمة بالتضييع اذ كل ما خلق الله تعالى في الدنيا انما
خلقها آلة للعبد ليتوصل بها الى سعادة الاخرى ونيل القرب من المولى ، فكل مطيع
فهو بقدر طاعته شاكر لنعمة الله في الاسباب التي استعملتها ، وكل كسلان ترك
الاستعمال ، أو عاص استعمل ذلك في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله ،
فالمعصية والطاعة تشملهما المشيئة ولكن لا تشملهما المحبة والكرهية بل رب مراد محبوب ورب
مراد مكروه وورايا هذه الدقة سر القدر الذي يمنع من افشائه صونا للحقيقة (والفارق
بين محبوه تعالى ومبغوضه) عزو علا (للفعْل) محبوبا ومبغوضا (والترك)
كذلك العلم بالكتاب والسنة فانها كفتاها ميزان العدالة (والاستبصار) أى برؤية
بما في نسخة ، أى والاعتبار بفكر من العقل ونظر وتامل في النقل (والضابط)
لما يحبه الله وما يبغضه (أن الموصل) للعبد (الى معرفته) أى الله تعالى (ومحبة محبوب
الله) فينبغى استعمال النية فيه (والشاغل عنه) أى والمانع عما ذكر من المعرفة
والمحبة (مبغوض الله) فيجب عدم استعمال النية فيه (ثم النعمة أَمَادِنِيَّةٌ كَالْخَلْقَةِ السُّوِيَّةِ
وَالْمَلَاذُ الشَّهِيَّةُ) من المطالبات النفسية (وصرف المفسد والمضار) البدنية
بالآلات حسية مثل اليد والرجل حيث يدفع الضرر أو بهرب من الشر (وأَمَادِنِيَّةٌ
كَالتَوْفِيقِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِصْمَةِ) في حق الانبياء (والحفظ) في حق الأولياء

عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَهِيَ أَعْظَمُ لَا يَصَالُهَا إِلَى السَّعَادَةِ الْآبِدِيَّةِ وَالْإِنْجَاءِ عَنِ الشَّقَاوَةِ
السَّرْمَدِيَّةِ وَاشْتَرَاكَ الْكُفَّارُ فِي الدُّنْيَوِيَّةِ وَاعْتَنَامَ الْآبِرَارُ زَوَالَهَا وَطَلَبُوا الْأَحْصَاءَ
تَوَقُّعَ الْحَالِ فَوُرِدَ (وَأَنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا) وَالطَّرِيقُ الْمَعْرِفَةُ وَالتَّفَكُّرُ
فِي صَنَائِعِهِ تَعَالَى وَالنَّظَرُ إِلَى الْأَدْنَى فَوُرِدَ «مَنْ نَظَرَ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَنْ دُونَهُ وَنَظَرَ فِي
الدِّينِ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ كَتَبَهُ اللَّهُ صَابِرًا وَشَاكِرًا»

(عن المعصية) مع القدرة أو عدمها فإن من العصمة أن لا يقدر (وهي) أي
النعمة الدينية (أعظم) قدرا من النعمة الدنيوية (لا يصالها) أي لتبليغ النعمة
الدنيوية (إلى السعادة الآبدية) التي لا غاية لها (والإنجاء) أي الخلاص (عن
الشقاوة السرمدية) التي لا نهاية لها (واشتراك الكفار) مع الأبرار (في
الدنيوية والدنيا مبغوضة لسرعة فنائها وكثرة غنائها وخسة شرفائها) واعتنام الأبرار
زوالها (أي فقد النعمة الدنيوية خوفا من نقصان النعمة الآخروية كما قال بعض المجتهدين:
ورود الفاقات أعياد المردين و (طلب الأحصاء) لنعم الله وعدّها (توقع المحال) وتحمية
لعدم طاقة البشر في ذلك الحال (فورد) في التنزيل (وأن تعدوا) أي تريدوا أن تحصوا
(نعمة الله لا تحصوها) أي لا تطبقوا أحصاءها وعدّها فضلا عن القيام بحقها من شكرها.
وقد قيل: الانفاس في اليوم والليلة أربعة وعشرون نفاثا، وفي كل نفس نعمتان في حصولها
باعتبار طلوعها ونزولها (والطريق) المفضي إلى الشكر ثلاثة (المعرفة) لنعمة
سبحانه فإنه ما من عبد الا ولو أمعن النظر في أحواله لرأى من الله نعمة أو نعمًا كثيرة
تحصه لا يشاركه فيها عامة الناس، بل يشاركه عدد يسير منهم، وربما لا يشاركه فيها
أحد (والتفكر في صنائعه تعالى) من الانعسية والآفاقية، واحساناته سبحانه عليه
من بين البرية (والنظر إلى الأدنى) في المرتبة المعيشية والامور الدنيوية (فورد
من نظر في الدنيا إلى من دونه) في المرتبة من الجاه والمال (ونظر في الدين إلى من فوقه)
من العلم والعمل والحال (كتبه الله صابرا) بالنظر الثاني (وشاكرا) بالنظر الاول
فتأمل. والحديث رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو، وهو في الصحيحين بلفظ
وانظر إلى من هو أسفل منك ولا تنظر إلى من هو فوقك فهو أجدر أن لا تزدريه نعمة الله
عليك، أي لا تحتقرها. وللعسكري عن أنس مرفوعا «من نظر إلى ما في يدي الناس

طال حزنه ولم يشف غيظه » وحكى عن بعضهم أنه كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر ، ومواضع الحدود ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ، ثم يتأمل في صحته وسلامته عما ابتلوا به فيحمد الله على ما أعطاه من نعمه ، فاذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد الله تعالى على نفسه نعماً كثيرة ، لاسيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقرآن ، ثم بالفراغ والصحة والامان ، ولذا قيل :

من شاء عيشاً رحيماً يستطيع به في دينه ثم في دنياه اقبالاً
فليظرب الى من فوقه ورعاً ولينظر الى من دونه مالا

وقال عليه السلام « أن القرآن هو الغنى الذى لا غنى بعده ولا فقر معه » رواه أبو يعلى والطبرانى من حديث أنس . وقال عليه السلام « من آتاه الله حفظ كتابه نظر أن احدا اوتى أفضل مما اوتى فقد صغرا عظم النعم » رواه البخارى فى تاريخه . منه « فقد استهزأ بآيات الله » وعن الصديق « من اوتى القرآن نظر أن احدا اوتى أفضل منه فقد حقر عظيماء وعظم حقيرا » وقال عليه السلام « من لم يتغن بالقرآن فليس منا » أى لم يستغن ، وقد سبق . والكل مقتبس من قوله سبحانه (ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم لاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجهم) وقال بعض السلف : يقول الله أن عبدا اغنيته عن ثلاثة لقد آتممت عليه نعمتى ، عن سلطان يأتيه - فيه احتمالان - وطيب يداويه ، وعما فى يداخيه ، وعبر الشاعر عن هذا بقوله :

إذا القوت عندك والصحة والامن • وأصبحت محزوناً فلا قارئك الحزن

بل أنصح العبارات وأماح الاشارات كلام أنصح من نطق بالاضاد ، حيث عبر عن هذا المراد على وجه الارشاد للعباد بقوله « من أصبح آمناً فى سربه ، معافى فى بدنه ، عنده قوت يومه ، فكانما حيزت له الدنيا » أى جمعت . والحديث قد تقدم . قال فى الاحياء : وهما ناملت الناس ظلمهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور رواء هذه الثلاث ، مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله فى هذه الثلاث ولا يحمدون نعمة الله عليهم فى الايمان الذى به وصولهم الى النعيم المقيم والمملك العظيم ، بل البصير يذبح أن لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان ، بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من أموال وأتباع وأنصار ، وقيل له خذ هذا عوضاً عن علمك بل عن عشر عشر علمك لم يأخذه وذلك لرجائه أن نعمة العلم تقضى به الى قربه سبحانه فى الآخرة ، بل لو قيل له : لك ما ترجوه فى الآخرة بكهاله فخذ هذه الاذات فى الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم فى الدنيا وفرحك

فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ يُمَكِّنُ الشُّكْرُ وَالْعَبْدُ يَعْجُرُ عَنْهُ الْإِتْوَافُ بِهِ وَهُوَ نِعْمَةٌ تَسْتَدْعِي شُكْرًا
إِلَى أَنْ يَتَسَلَّلَ قُلْتُ التَّحْقِيقُ لِمَنْ بَلَغَ مَقَامَ الْفَنَاءِ أَنَّ الشَّاكِرَ هُوَ الْمَشْكُورُ فُورَدَ « لَا
أَحْصَى ثَنَاءَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ »

به قبل العقبى لكان لا يأخذه ، لعله بازلة العلم دائمة لا تنقطع ، وثابتة لا تسرق ولا
تغصب ولا ينافس فيها ولا تنقلع ، وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها
ناقصة مكدره مشوشة لا يبقى مرجوها بمخوفها ولا لذاتها بالهما ، ولا فرحها بزمها
هكذا يرى إلى الآن ، وهكذا يكون إلى آخر ما بقى من الزمان ، إذ ما خلقت لذات
الدنيا ألا لتخدع بها العقول الناقصة ، حتى إذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليهم
وامتنعت عنهم واستعصت منهم كالمرأة الجميلة ظاهرها مزين للشباب العشيق ، الغبي حتى
إذا تعلق بها قلبه احتجبت عنه ، فلا يزال معها في عنام دائم وتعب قائم ، وكل ذلك
لا غتراره بلذة النظر إليها في لحظة ، ولو غفل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم
في جميع عمره ، فهكذا وقع أرباب الدنيا في شباك الدنيا وحبالها ، ولا ينبغي أن يقول
أن المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فإن المقبل عليها أيضا متألم بالصبر عليها
وحفظها وتحصيلها وجمعها ومنعها ودفع المقصود عنها . وتألم المعرض عنها يفضى إلى
اللذة في الأخرى وتألم المقبل عليها يفضى إلى العسر في المعاقبة . فليقرأ المعرض عن الدنيا
على نفسه قوله تعالى (إن تكونوا تآلمون فأنهم يآلمون كما تآلمون وترجون من الله ما لا يرجون) ،
(فإن قلت كيف يمكن الشكر) لله (والعبد يعجز عنه) أى عن شكر
الله (إلا بتوفيقه) لشكره (وهو) أى والحال أن توفيقه لشكره (نعمة تستدعى
شكراً) آخر (إلا أن يتسلسل) فيصير الشكر محالاً (قلت التحقيق لمن بلغ مقام الفناء
عن نفسه والبقاء بربه) (أن الشاكر) الذى (هو) الشكور (المشكور) وأن المثنى
هو المثنى عليه (فورد) في الحديث المشهور (لا أحصى ثناء عليك) أى لا أطيق
الحمد والشكر على نعمك (أنت كما أثنت على نفسك) وحاصله أن الاعتراف بالعجز عن
الشكر عين الشكر ، وأشد العجز عن ذلك الإدراك أدراك :

كما حقق في توحيد الذات حيث قال تعالى : (ولا يحيطون به علماً) (ليس مثله
شئ) وقال على : ما خطر ببالك فالله غير ذلك . وقالت الملائيكة (سبحانك لا علم
لنا إلا ما علمتنا) ويوم يجمع الله الرسل فيقول ما إذا اجبتم قالوا لا علم لنا) وقيل

في معنى قول بعض السلف : من عرف نفسه فقد عرف ربه . أى من عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ، ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء . وتوضيح السؤال والجواب ولو احتيج الى بعض الاطنباب لانه من فصل الخطاب الذى هو لب لباب هذا الباب من الكتاب عند ارباب الالباب : هو أن جميع ما تعطاه باختيارنا من أنواع الشكر على نعم الدنيا والاخرى هي نعمة اخرى من الله تعالى وبالشكر اخرى ، اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وسائر أمورنا التي هي اسباب سكونتنا وحركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمه ، فكيف نشكر نعمته بنعمته ، ولو اعطانا الملك مكروبا فاحدنا مكروبا آخره ورغبناه ، او اعطانا مكروبا آخر لم يكن الثاني شكرا للاول منا ، بل لأن الثاني يحتاج الى شكر آخر كما يحتاج الاول ، ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى ، فيؤدى الى أن يكون الشكر محالاً في حق الله تعالى من هذين الوجهين ، ولسنا نشك في الامرين ، وقد ورد به الشرع فكيف السبيل الى الجمع ؟

فاعلم أن هذا الخاطر خطر لداود وكذا موسى عليهما السلام فقال : يارب كيف اشكرک وانالاستطيع أن اشكرک الا بنعمة ثانية من نعمک ، وفي لفظ آخر وشكرى لك نعمة اخرى منك توجب الشكر على ذلك ، فارضى الله تعالى اليه : اذا عرفت هذا فقد شكرتني . وفي خبر آخر اذا عرفت أن النعم منى رضية بذلك منك شكراً ، والتحقيق في مقام التوفيق على وجه التدقيق ان ههنا نظرين : نظراً بعين التوحيد المحض ، وهذا النظر يبرك قطعا أنه الشاكر وأنه المشكور ، وأنه المحب وأنه المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره ، وأن كل شيء هالك الا وجهه ، ومن هنا قول لبيد

الابل شيء ما خلا الله باطل

وقول بعض ارباب الشهود : سوى الله والله ما في الوجوده وقول بعض الابرار ليس في الدار غيره ديار

وذلك أن الغير هو الذى يتصور أن يكون له بنفسه قوام ، ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال ان يوجد ، اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه ، وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود ، بل قائم بغيره فهو موجود بغيره ، فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة ، وانما الموجود هو القائم بنفسه ، والقائم بنفسه هو الذى اذا قدر عدم غيره بقى موجوداً . فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذا نظرت في هذا المقام عدت ان الكل منه مصدره ، واليه مرجعه ، فهو الشاكر وهو المشكّر ، وهو المحب

وهو المحبوب ، ومن هنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ
 (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب) فقال واعجبا اعطى وأثنى . اشار الى انه اذا اثنى
 على عطائه فعلى نفسه اثنى ، فهو المثنى وهو المثنى عليه : ومن هنا نظر الشيخ أبو سعيد
 الميمنى حيث قرئ بين يديه (يحبهم ويحبونه) فقال لعمرى يحبهم ودعه يحبهم
 فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه ، اشار به الى ان المحب هو المحبوب ، وهذه رتبة
 عالية ومنزلة غالية لان فهمها الا بمثال على حد عقلك ، فيقال ان المصنف اذا
 احب تصنيفه فقد احب نفسه ، والصانع اذا احب صنيعته فقد احب نفسه ، وكل
 ما فى الوجود سوى الله فهو تصنيفه وصنعتة ، فان احبه فما احب الانفسه
 واذا لم يحب الانفسه فبحق احب ما احب . وهذا كله نظر بعين التوحيد وتحقيق
 التفريد . وتعبير الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أى فنى عن نفسه عن غير الله
 فلم يرفى الكون الا الله ، وليس المعنى كما فهمه الوجودية من العينية للنص المعية
 كما بينته فى رسالة المرتبة الشهودية فى المنزلة الوجودية ، فهذا احد النظرين . وأما النظر
 الثانى فنظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه فظن لنفسه وجودا مستقلا ، ولو
 عرف اهل علم انه من حيث هو لا ثبات له ولا وجود له وانما وجوده من حيث أوجد
 لا من حيث وجد ، وفرق بين الموجود وبين الموجد : وليس فى الوجود الا موجود
 واحد وموجد . فالموجود حق والموجد من حيث هو هو باطل ، والموجود قائم
 وقيوم ، والموجد هالك وفان ، فاذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال
 والالام ودرجات الموحدين متفاوتة فى مقامات المجتهدين وقد جاء جميع الانبياء والمرسلين
 داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ، ومعناه ان لا ترى الا الله الواحد
 القهار . فالواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون ، والباقون وهم الاكثرون عن هذا المعنى
 غافلون كما قال تعالى (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) اذ عبدة الاوثان قالوا
 ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى (وكانوا داخلين فى اوائل التوحيد دخولا ضعيفا .
 والمتوسطون وهم الكثيرون فقيهم من تنفتح بصيرته فى بعض الاحوال فتلوح لهم
 حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت ، وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا
 ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز كما قيل :

كل الى شأو العلا حركاته ولكن عزيز فى الرجال ثباته

ولما أمر عليه السلام بطلب القرب بقوله سبحانه (واسجد واقترب) قال فى سجوده
 « اعوذ بعمرك من عقابك ، واعوذ برضاك من سخطك ، واعوذ بك منك لا احصى ثناء

وَاخْتَلَفَ فِي وُجُوبِهِ فِي الْمَصَائِبِ وَالْحَقُّ الْوُجُوبُ عَلَى أَنْ لَا يُصِيبَ أَكْبَرَ مِنْهَا
وَأَنْ لَا تَكُونَ فِي الدِّينِ

عليك أنت كما أثبتت على نفسك « فقله عليه السلام : اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط ، وكأنه لم ير إلا الله وأفعاله فاستعاذ بفعله من فعله ، ثم اقترب ففني عن مشاهدة الأفعال وترقى الى مصادر الأفعال وهي الصفات ، فقال : اعوذ برضائك من سخطك ، ثم رأى ذلك نقصا في التوحيد فاقرب ورقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال : اعوذ بك منك فهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل ولا صفة ، ولكنه رأى نفسه فارا منه اليه ، ومستعيذا به ومثليا عليه ، ففنى عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصا في مقام أنه فاقرب فقال لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فقله : لا احصى خبر عن فناء نفسه وخروجها عن مشاهدتها ، وقله أنت كما أثنيت على نفسك بيان أنه هو المتنى وهو المثني عليه ، وأن الكل منه بداو اليه يعود ، ولقد كان عليه السلام لا يرقى من مرتبة الى الاخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله تعالى من الاولى ، كما قال : « أنه ليغان على قلبي في اليوم واليلة حتى استغفر الله سبعين مرة ، فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها فوق بعض في مقام الوحدة ومشاهدة الدثرة : هذا وما من مقبول الا هو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب من تسليط العلم والخوف عليه ، وما من مخدول الا هو مقود الى النار بسلاسل تسليط الغفلة والغرور عليه ، فالتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ، ولا قاهر إلا الله الواحد القهار ، ولا قادر إلا الملك الجبار . وهذا معنى قوله خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي » (واختلف في وجوبه) أي الشكر (في المصائب والحق الوجوب) بناء على ستة اشياء (على أن لا يصيبا كبر منها) أي من تلك المصيبة التي أصابته اذ مقدورات الله لا تنتهي فلو ضعفها الله وزادها ماذا كان يردهما عما ارادها . وكان يقول شيخنا العالم النقي على المتقي : اذا اخذ عمامتك فتصدق بالحلارة بسلامة رأسك . فالمصيبة المالية أهون من المصيبة البدنية (وأن لا تكون) المصيبة (في الدين) فقد قال رجل لسهل : دخل اللص بيتي وأخذ متاعى ، فقال له : اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك وأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع وقد ورد في دعائه عليه السلام « لا تجمع مصيبتنا في ديننا » وقال عمر

وَأَنْ تَعْجَلَ عَقُوبَتَهَا وَلَا تَدْخُرَ لِلْآخِرَةِ وَأَنَّهَا كَانَتْ آتِيَةً فَفَرَّغَ مِنْهَا وَأَنْ ثَوَابَهَا خَيْرٌ مِنْهَا

رضى الله عنه : ما ابتليت ببلاء الا كان لله على فيه أربع نعم : اذ لم تكن في ديني ، ولم تكن أعظم منها واذ لم أحرم الرضاء واذ رجوت الثواب عليها (وان تعجل عقوبتها) بصيغة المجهول أى عقوبة المصيبة في الدنيا (ولا تدخر للآخرة) فلعلذاب الآخرة أشد وأبقى ، اذ مصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلى . اذ أسباب التسلى مقطوعة بالسكينة في الآخرة عن المعذنين . وأيضاً مامن عقوبة الا وكان يتصور أن تؤخر الى الآخرة ، ومن تعجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانياً في المعقى لقوله عليه السلام « اذا اذنب ذنباً فاصابته شدة او بلاء في الدنيا فإله اكرم أن يعذبه ثانياً في المعقى » كذا في الاحياء . وقال أخرجه رواه الترمذى وابن ماجه من حديث على « من أصاب في الدنيا ذنباً عوقبه فإله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده » ولاحمد والطبراني باسناد صحيح من رواية الحسن البصرى « عن عبد الله بن مغفل أن رجلاً من الصحابة رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية فكلما تم ترثها ، لجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشى فقدمه حائط فآثر في وجهه ، فأتى النبي عليه السلام فأخبره ، فقال عليه السلام : اذا اراد الله بعد خيراً عجل له عقوبته في الدنيا ، وقال على كرم الله وجهه : الا أخبركم بارجح آية في كتاب الله تعالى ؟ قالوا بلى فقرأ عليهم (وما أصابكم من مصيبة فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) والله در القائل

لعمرك ما كالشكر داع زيادة ولا عوضاً فالصبر عند المصائب

(وانها) أى ولان المصيبة الماحية (كانت) في التقدير (آية) لا بد من وصولها اليه وقد وصلت (ففرغ منها) وتخلص عنها فهي نعمة بذاتها كما يشير اليه قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها) (وأن ثوابها) أى المصيبة (خير منها) أى من عذابها فامن شيء يقع للعبد الا ويتصور أن يكون له فيه ذخيرة دينية ، فعليه أن يحسن الظن بالله فيما يعطيه ويتبلى فان حكيمته تعالى واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد ، وغداً يشكره العباد على البلاء اذ اراؤا ثواب البلاء ويتمنوا أنه كان يقرض ابدانهم في الضراء فقد روى أن رجلاً قال له عليه السلام اوصنى ، فقال « لاتتهم الله في شيء قضاه عليكم » رواه أحمد والطبراني من حديث عبادة . وقال عليه السلام وعجبا لامر المؤمن أن أمره كله

وَأَنهَا تَقْصُصُ مِنَ الْقَلْبِ حُبَّ الدُّنْيَا فَهِيَ فِي التَّحْقِيقِ نَعْمٌ أَذْ لَا تَخْلُو عَنْ تَكْفِيرٍ
لِلْخَطِيئَةِ أَوْ رِيَاضَةٍ لِلنَّفْسِ أَوْ رَفْعٍ لِلدَّرَجَةِ وَقِرَاءَةُ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ فِي أَيَّامِ الْعُسْرَةِ
لَطَلَبُ الْقَنَاعَةِ أَوِ الْعِدَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ دُونَ وَسْعَةِ الدُّنْيَا وَانْمَاقِرَتْ لِمَا وَرَدَ فِيهَا مِنَ الْأَخْبَارِ

له خير . وليس ذلك لاحد الا للؤمن ان احابته سرا . شكر فكان خيرا له وان احابته ضرا . صبر
فكان خيرا له . رواه مسلم (وانها) أى ولان المصيبة (تنقص من القلب حب الدنيا)
فلم يسكن اليها ولم يأنس بها فقد ورد : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، رواه مسلم
من حديث أبي هريرة (فهو) أى المصائب (فى التحقيق نعم) يجب لاهل التوفيق
الشكر عليها (اذ لا تخلو) المصيبة (عن تكفير الخطيئة) ان كان من المنتهين
(اورياضة للنفس) لما فيها من المحنة والبليّة ان كان من المتوسطين (ارفع للدرجة)
ان كان من المنتهين . والاخبار الواردة فى الصبر على المصائب كثيرة شهيرة كقوله
عليه السلام : من يرد الله به خيرا يصب منه ، رواه البخارى من حديث أبى هريرة
: ولان أبى الدنيا من حديث أبى سعيد الخدرى : أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالى
وسقم جسدى ، فقال : لا خير فى عبد لا يذهب ماله ولا يسم جسمه ، أن الله تعالى اذا
أحب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره ، ولان داود : أن الرجل لتكون له الدرجة عند
الله لا يبلغها بعمل حتى يتلى بيلاه فى جسمه فيبلغها بذلك ، (وقراءة سورة الواقعة)
مبتدأ (فى أيام العسرة) ظرفه والخبر (لطلب القناعة) أى قناعة القلب ، وهو أن
لا يشغله شاغل عن حضرة الرب : وهو جواب سؤال مقدر تقديره انكم اوصيتم بالشكر
على المصيبة وأثبتتم انها فى التحقيق من النعمة ، فقرأة السلف سورة الواقعة كل ليلة
فى أيام العسرة لاى معنى كانت ؟ فاجاب بما تقدم . وقد اخرج ابن عسار فى فضائل
القرآن . وأبو يعلى وابن مردويه فى تفسيره والبيهقى فى شعب الايمان عن ابن
مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : من قرأ سورة الواقعة
كل ليلة لم تصبه الفاقة ، واخرج ابن مردويه عن انس عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم أنه قال : سورة الواقعة سورة الغنى فاقرعوها وعلوها اولادكم ،
(او العدة) أى الاستعداد (على العبادة دون وسعة الدنيا) لان السلف لم يكونوا
محبين لوسعتها (وانما قرئت) السورة (لما ورد فيها) أى فى فضلها (من الاخبار

وَالْآثَارَ وَالْأَفْلَامِبَالَاةَ بِحَمْدِهِ تَعَالَى بِالشَّدَةِ فَهُمْ كَانُوا يَغْتَمُونَهَا وَأَمَّا نِدَاءُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَيَّانِ الشُّكْرِ عَلَى نِعْمَةِ الصَّبْرِ وَجَزِيلِ جَزَائِهِ لِقَرِينَةٍ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أَوْ لِبُلُوغِ الْمَرَضِ إِلَى الْعَقْلِ وَاللِّسَانِ الْمَقُوتِ لِلْمَعْرِفَةِ وَالذِّكْرِ أَوْ الْعَجْرِ عَنْ أَقَامَةِ الصَّلَاةِ أَوْ لَا نَقْطَاعِ الْوَحْيِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَمَّا وَرَدُ الْأَمْرِ بِسُؤَالِ الْعَافِيَةِ وَالنَّهْيِ عَنْ سُؤَالِ الْبَلِيَّةِ

وَالْآثَارَ (والآثار) كما سبق (والا) أى وأن لم يحمل على ما تقدم (فلامبالاة بحمده تعالى) للسلف (بالشدة) أى بالبلاء والمحنة (فهم) أى السلف (كانوا يغتمونها) أى الشدة والبلاء أكثر مما كانوا يغتمون الراحة والذماء (وأما نداء أيوب عليه السلام) (رب انى مسنى) الضر (فليان الشكر) واظهاره (على نعمة الصبر) لقوله تعالى (وأما بنعمة ربك لحدث) (وجزيل جزائه) أى وعلى عظيم جزاء الصبر وعطائه (لقريئة) وأنت أرحم الراحمين (وذلك لأن الله تعالى ساطع بعض بلائه على خاصة عباده وخلاصة أصفائه فهو أفضل من الله ومن جملة عطائه ، فشكر عليه وتبجح لديه وأشار اليه بقوله مسنى الضر الذى تخص به أنبياءك وأوليائك بلا استحقاق منى بل بكرم منك فانك أرحم الراحمين) (أولبلوغ المرض الى العقل) أى القلب (واللسان المقوت) ذلك المرض (للمعرفة) بالجنان (والذكر) باللسان (أو المعجز عن أقامه الصلاة) بتمام أركانها (أو لا نقطاع الوحي أربعين يوما) ومقام الفقرة فى غاية من العسرة حتى كاد نبينا عليه السلام أن يرمى نفسه عن الصخرة ، ولذا قيل : الحجاب أشد العذاب (وأما ورد الأمر بسؤال العافية) فى الأحاديث الثابتة الوافية كما رواه الترمذى من قوله عليه السلام « ما سئل الله شيئا أحب اليه من أن يسئل العافية » ولا بن ماجه عن انس مرفوعا « سل ربك العافية والمعافاة فى الدنيا والآخرة فإذا أعطيت العافية فى الدنيا وأعطيتها فى الآخرة فقد أفلحت » ولاحد والترمذى عن أبى بكر وسئلوا الله العفو والعافية فان احدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية ، (والنهي عن سؤال البلية) فقد مر عليه السلام يقوم مبتلين فقال « أما أولادنا فإنا يسألون الله العافية » رواه الترمذى ، وقال علي رضي الله عنه : اللهم أنى استألك الصبر ، يقال عليه السلام

لَأنَّ الْأَوَّلَى سُؤَالَ تَمَامِ النِّعْمَةِ فِي الدُّنْيَا وَثَوَابِ الشُّكْرِ فِي الْآخِرَةِ لِقُدْرَتِهِ تَعَالَى
عَلَى أَنْ يُعْطِيَ الْأَجَرَ الْجَزِيلَ عَلَى الشُّكْرِ مَا يُعْطَى عَلَى الصَّبْرِ، وَأَمَّا مِثْلُ :
فَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكَ حَظٌّ * فَكَيْفَ مَا شِئْتَ فَاخْتَبِرْنِي
وَقَوْلِ الْآخَرِ : أُرِيدُ وَصَالَهُ وَيُرِيدُ هَجْرِي * فَأَتْرُكُ مَا أُرِيدُ لِمَا يُرِيدُ
فَكَلَامُ الْعُشَّاقِ فِي حَالِ الْغَلْبَةِ وَهُوَ يُعْطَى وَلَا يُرَى

و لقد سألت الله البلاء فسله العافية ، رواه الترمذى وابن ماجه والنسائى باسناد جيد
عن أبى بكر الصديق أنه عليه السلام قال : سلوا الله العافية فما أعطى عبد أفضل
من العافية الا اليقين ، وأشار باليقين الى عافية القلب من مرض الجبل والشك ، فعافية
القلب اعلى من عافية القلب (لان الاولى سؤال تمام النعمة فى الدنيا) فان تمامها
بعافية البدن فيها (وثواب الشكر) أى وسؤال ثوابه على نعمة رفع البلاء (فى الآخرة
لقدرته تعالى على أن يعطى الاجر الجزيل على الشكر) على نعمة رفع البلاء (ما يعطى
على الصبر) على محنة البلاء ، ومن هنا قال عليه السلام : ولكن عافيتك اوسع ، كذا رواه
ابن أبى الدنيا وغيره فى اثناء دعائه يوم خرج الى الطائف . وقال : طرّف بن عبد الله :
لان أعا فى فاشكر احب الى من أن ابتلى فاصبر . (وأما) ما يرد على قوله والنهى
عن سؤال البلية (مثل) قول سمّون المحب :

فليس لى فى سِوَاكَ حَظٌّ فكيف ما شِئْتَ فَاخْتَبِرْنِي
وقول الآخر اريد وصاله ويريد هجرى فاترك ما اريد لما يريد
(فكلّام العشاق فى حال الغلبة) من الاشواق (وهو) أى مثل هذا الكلام
حين يجرى (يطوى ولا يروى) لان صاحب الحال لا يقتدى .
ومن اللطائف ما حكى أن فاختة كانت يرادها زوجها فتمنعه ، فقال ما الذى يمنعك
عنى ولو اردت أن اقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطان لعلت لاجلك ، فسمعه سليمان
فاستدعاه وعاتبه على ما جرى ، فقال يابى الله : كلام العشاق يسمع ولا يحكى .
ثم اعلم أنه حكى أن سمّون بلى بعد هذا البيت بعلّة الحصر ، فكان بعد ذلك يدور
على أبواب الكتاب ويقول للصبيان ادعوا لعنكم الكذاب ، ومن هذا القيل ماقال

وَفِي أَنَّ الشَّاكِرَ أَفْضَلَ أَمَّ الصَّابِرِ ؟

بعضهم : اودان أكون جسراً على النار يعبر على الخلق ظمهم فينجون وأكون أنا في النار ، لأن محبة الانسان ليكون هو في النار دون سائر الخلق غير ممكن ، ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن بنفسه حباً لمثل ذلك ، فن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع فيما ذكر فلوزايله سكره علم ان ماغلب عليه كان حالة لاحقيقة لها فاما يسر الدعوى وما أعسر المعنى ، وأما قول الشاعر : أريد وصاله البيت فهو أيضاً محال اذ معناه اني أريد ما لا أريد لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر ، فكيف أراد الهجر الذي لم يرده كذا قرره الامام حجة الاسلام ولا يبعد أن يقال في البيت الثاني انه أراد ان لا يكون له ارادة بدون ارادة الله ، وان تكون ارادته تابعة لارادته سبحانه سواء يكون وصلاً او هجراً قريباً او بعيداً كما يشير اليه قوله تعالى (وماتشاورن الا ان يشاء الله) وقول السلف : ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وفي هذا المقام قال أبو يزيد البسطامي لما قيل له ماتريد : أريد ان لا أريد غايته انه قال صاحب منازل السائرين : هذه ايضاً ارادة ، ونوقش بان هذه ارادة مطلوبة وبانها داخلية في قوله لا اريد . والحاصل انه من باب كمال الرضاء بالقضاء ، واما البيت الآخر فلانه يدعى ان يصل السالك الى مقام ليس له فيه حظ ولذة سوى ذكر المحبوب وفكره وقربه ، ولعل وجه الابتلاء انه كان فيه بقية حظ او شظية لذة ولو كان في ضمن الدعوى لهذه الحالة التي اظهرها بتلك المقالة (وفي) أى واختلف أيضاً في (ان الشاكر) الغنى (افضل أم الصابر) الفقير ، واما الفقير الصابر فهو افضل من الغنى الشاكر اتفاقاً فقد قال قائلون : الصبر افضل من الشكر ، وقال آخرون : الشكر افضل من الصبر ، وقال جماعة : هما سيان لقوله عليه السلام : الصبر نصف الايمان وهو استدلال ضعيف اذ يحتمل ان يكون احدهما افضل من الآخر كما يقال ان الايمان علم وعمل وهما لا يستويان اذ العلم خير من العمل . وقالت طائفة : يختلف باختلاف الاحوال وقيل القناعة خير منها واختاره الجلال السيوطي والصوفية اجمعوا على ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر بل قال بعضهم : ان الفقير الشاكر افضل من الغنى الشاكر ، ولما سئل الجنيد عن الصبر والشكر ايهما افضل قال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم ، وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ، اعليهما فشرط الغنى ان يصحبه فيما عليه أشياء تالم صفته وتمتتها وتلذذها والفقير ان يصحبه فيما عليه أشياء تالم صفته وانقباضها وانزعاجها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشروط

وَالْحَقُّ أَنَّهُ إِنْ أُريدَ مَا كَانَ يَتْلُذُّ فَلَا تَعُدُّ وَهُوَ عَلَى الْبَلَاءِ خَيْرٌ مِنْهُ عَلَى الرَّجَاءِ
 وَهُوَ الْمُرَادُ بِمَا وَرَدَ مِنْ أَفْضَلِ مَا أُوتِيَهُ الْيَقِينُ وَعَزِيمَةُ الصَّبْرِ «يُوتَى يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ بِأَشْكَرِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَجْزِيهِ اللَّهُ جَزَاءَ الشَّاكِرِينَ وَيُوتَى بِأَصْبَرَ أَهْلِ
 الْأَرْضِ فَيُقَالُ لَهُ أَتَرْضَى أَنْ نَجْزِيكَ كَمَا جَزَيْنَا هَذَا الشَّاكِرَ فَيَقُولُ نَعَمْ يَا رَبِّ
 فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَعَلَا أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ فَشَكَرُوا بِتِلْكَ فَصَبَرَتْ لِأَضْعَفٍ لَكَ الْأَجْرُ

ما الذي كان ألم صفته وازعجها أتم حالا عن متع صفته ونعمها . ويقال كان
 أبو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك فقال : الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر ،
 فدعا عليه الجنيد فأصابه ما أصابه من البلاء من قبل أولاده وتلف أمواله وزوال
 عقله أربع عشرة سنة ، ويقول دعوة الجنيد أصابني ورجع إلى تفضيل الفقير
 الصابر على الغنى الشاكر . هذا والشاكر الذي يشكر على الموجود ، والشكور الذي
 يشكر على المعبود ، ومن هنا قوله سبحانه (وقليل من عبادى الشكور - أنه كان عبدا
 شكورا) وقوله عليه السلام «أفلا أكون عبدا شكورا» وأما الشكور من اسمائه
 عز وجل فهو الذى يعطى الاجر الجزيل على الامر القليل (والحق) في المسألة (أنه)
 أى الشأن (أن أريد) بالصبر (ما كان) من الصبر (يتلذذ فلا تعدد) كما سبق بيانه
 أن الصبر حيث هو الشكر (وهو) أى الصبر المطابق من غير التلذذ للمحق (على البلاء
 خير منه على الرجاء) كما مر في كلام الجنيد من طريق الإيماء (وهو) أى وهذا
 الصبر هو (المراد بما ورد من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر) وقد تقدم (يوتى
 يوم القيمة بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكر بن يوتى بأصبر أهل الأرض
 فيقال له أترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر؟ فيقول نعم رب، فيقول الله عز وعا
 أنعمت عليه) وفي نسخة الاحياء ظلمت عليه (فشكر وأبتليتك فصبرت
 لأضعف لك الاجر) كذا في الاحياء . وقال مخزجه لم أجد له أصلا له لكن معناه
 صحيح مستفاد من قوله تعالى (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) وروى
 «يوتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ، وينصب عليهم الاجر
 صبا بغير حساب حتى يتمنى أهل العاقبة في الدنيا ان أجسادهم تقرض بالمقارضي

وَالَا فَالشُّكْرُ لَا بُتَانَهُ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَهِيَ أَعْلَى الْمَقَامَاتِ

(الباب الثامن عشر في الخوف والرجاء)

عما يذهب به أهل البلاء من الفضل كذا في تفسير البغوي (والا) أي وإن لم يرد بالصبر ما كان يتلذذ (فالشكر) الذي يضمن ركنيه وهما الامتناع عن المعصية وصرف النعمة إلى الطاعة أفضل من الصبر (لأبتنائه) أي الشكر هذا (على المحبة وهي) أي المحبة (أعلى المقامات) وحاصله أن لا فرق بين الصبر مع التلذذ والشكر التام ثم الصبر بغير التلذذ خير من الشكر الذي غير تام ، والشكر التام خير من الصبر بغير التلذذ ، وأما قوله عليه السلام : الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر ، فإذكره الترمذي من حديث أبي هريرة فهو دليل على فضيلة الصبر حيث الحق به الشكر ، ومن المعلوم أن المشبه به يبغي أن يكون أعلى رتبة في القدر ، وما يدل على فضيلة الفقر ما رواه الطبراني في الأوسط من حديث معاذ بن جبل : يدخل الأنبياء عليهم قبل داود وسليمان عليهما السلام الجنة بأربعين عاما ، وروى البزار من حديث انس وآخر من يدخل الجنة من أغنياء أمي عبد الرحمن بن عوف .

(الباب الثامن عشر في الخوف والرجاء)

وهما جناحان للسالك يطير بهما إلى كل مقام محمود ، ومطيتان بهما يقطع كل عقبة كئود ، فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيدا للرجاء الإلزامية والرجاء ، ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب المقيم الأسياط التخويف وسطوات التعنيف ، وقد دخل عليه السلام على رجل وهو في النزاع فقال عليه السلام : كيف تجدك فقال أجدي أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي ، فقال عليه السلام : ما اجتمعما في قلب عبد في هذا الموطن إلا اعطاه الله ما رجاه وأمنه مما يخاف ، رواه الترمذي وغيره بإسناد جيد ، ومن هنا قال تعالى : (نبي عبادي أتينا القنور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم) ليكونوا بين الرجاء والخوف . وفي تقديم الرجاء إيماء إلى أن الوصول به أرجى كما لا يخفى ، وكذا قوله تعالى (وأن ربك لذ ومغفرة للناس على ظلمهم وأن ربك لشديد العقاب) فكان حق المصنف أن يقدم الرجاء ، وإنما أخره كما في الأحياء لأن الخوف حال أهل الابتداء بخلاف الرجاء فإنه مقام أهل الانتهاء . وبما يدل على استواء الأمرين حديث : القلوب بين اصبعين ، وما يدل على ترجيح الرجاء حديث : غلبت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ خَاطِرَانِ فَلَا تَكْلِفُ الْآفِي مُقَدَّمَاتِهِمَا
مُبْنِيَّانِ عَلَى اتِّظَارِ مَا يَسْتَقْبَلُ فَاَلْمُسْتَعْرِقُ بِذِكْرِهِ تَعَالَى ابْنُ الْوَقْتِ فَبَعْدَهُمَا

رحمى غضبي « وفي الجملة لا بد للمؤمن من اجتماعهما وعدم انفكاك أحدهما. فلا بن حبان في صحيحه ، والبيهقي في شعبه ، وابن المبارك في زهده من رواية الحسن مرسلًا « لا اجمع على عبدى خوفين ولا اجمع له امنين »

(بسم الله الرحمن الرحيم) رجاء كل خائف من العذاب الاليم (الخوف) للسائرين (والرجاء) للطائرین في منازل السالكين (خاطران) عاطران ، وفي اصلهما عارضان ، وهما من جملة مقامات المریدین واحوال الطالبین ، وأما يسمى الوصف مقامًا اذا ثبت ، وأقام ، وأما يسمى حالًا اذا كان عارضًا وشك زواله ، فالذي هو غير ثابت يسمى حالًا لانه يحول عن القلب على القرب ، وهو جار في كل وصف من اوصاف القلب لتقلبه بتقلب الرب . ثم اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه من الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم له ، والحب يغلب بالرجاء . واعتبر ذلك بملك له عبدان يخدم احدهما خوفاً من عقابه والآخر رجاء ثوابه ؛ واذا كان الخوف والرجاء خاطرين من غير اختيار فيهما ولا اقتدار عليهما (فلا تكليف الا في مقدماتها) وهي ذكر الآيات والاحاديث التي تبعث الانسان على الخوف والرجاء ، فقد مات الخوف اربع : ذكر الذنوب السابقة وذكر شدة العقوبة التي لا طاقة للانسان بها في العاقبة ، وذكر ضعف النفس عن احتمالها ، وذكر قدرة الله على الانسان متى شاء وكيف شاء في احوالها ، ومقدمات الرجاء اربع ايضا . ذكر سوابق الفضل اليك من غير العمل ، وذكر ما ورد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته في بابہ دون استحقاقك اياه بالخدمة في جنبه ، وذكر كثرة نعمه عليك دنيا واخرى ، وذكر سعة رحمته تعالى وسبقها على غضبه ، فهو بالرجاء أولى واخرى ثم هما (مبنيان على انتظار ما يستقبل) من الثواب والعقاب فان الخوف غم يلحق لتوقع المكر وهو الرجاء فرح يلحق لتوقع المحبوب (فالمستغرق بذكره تعالى ابن الوقت) بل ابو الوقت ، فانه الغالب عليه ، وانما غيره فهو ابن الوقت لانه الحاكم لديه ، والحاصل انه مشتغل بما هو أولى في الوقت قائم بما هو مطالب فيه حذرا عن المقت (فبعدهما) أي

فَالرَّجَاءُ الْفَرَحُ لانتظار محبوب فلا بد من سبب فان حصل أكثر الأسباب
فالأصدق اسم الرجاء كتوقع الحصاد من ألقى بذرا جيدا في أرض صالحة يصلها
الماء وإن فقد فالغرور والحماقة كالألوى ألقى بذرا في غير صالحة لا يصلها الماء وإن
شك فيها فالتفتي كما إذا صلحت الأرض ولا ماء

الخوف والرجاء ، وفي نسخة فيفقد هما ﴿ قال رجاء الفرح لانتظار محبوب فلا بد
من سبب ﴾ وباعث لتحقيق انتظار المطلوب ﴿ فان حصل أكثر الأسباب ﴾ أي اسباب
حصوله لديه ﴿ فالأصدق اسم الرجاء ﴾ ووصوله عليه كتوقع الحصاد من ألقى
بذرا جيدا ﴿ نقيًا غير عفن ولا مسوس ﴾ في أرض صالحة ﴿ للزراعة بان تكون
غير مبيخة ﴾ يصلها الماء ﴿ على سعة ﴾ وإن فقد ﴿ أكثر الأسباب ﴾ فالغرور والحماقة ﴿
أصدق عليه من اسم الرجاء لصاحبه في هذا الباب ﴾ كما لو ألقى بذرا ﴿ تالفا ﴾ في غير
صالحة ﴿ من أرض ﴾ لا يصلها الماء ﴿ إلا مرة ﴾ وإن شك فيها ﴿ أي في كثرة
الأسباب للحصاد بان حصل بعضها دون بعضها ﴾ فالتفتي ﴿ أصدق عليه من اسم
الرجاء ﴾ كما إذا صلحت الأرض ﴿ مع القاء البذر الجيد ﴾ ولا ماء ﴿ لاحتمال وصول
ماء من السماء : وتوضيحه أن الدنيا مزرعة الآخرة ، والقلب كالأرض ، والایمان
كالبذر ، والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتنظيفها وحفر الأنهار ونحوها .
والقلب المولع بالدنيا ومتاعها المستغرق لحبها وذكرها كالأرض السبخة التي
لا ينمو البذر فيها ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحدا لا مازرع ولا ينمو زرع
الامن بذرا الايمان ، وقل ما ينفع الايمان مع خبث الجنان وسوء الاخلاق ومساوى
العصيان ، فاذن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه
الداخلية تحت اختيار العبد ، ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله
بصرف القواطع والمفاسد والموانع . فالعبد اذا بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات ،
وطهر القلب عن شوك الاخلاق الرديئة ، وانتظر من فضل الله نتيته على ذلك الى
المات ، وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة والرحمة الكاملة الشاملة كان انتظاره
رجاء حقيقيا ، وأن قطع عن بذر الايمان ماء الطاعات ، وترك القلب مشحونا
بالاخلاق السيئات ، وانهمك في طلب اللذات والشهوات والهوات ، ثم انتظر المغفرة

فُورِدَ (أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ) وَكَأُورِدَ «الْأَحَقُّ مِنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ أَمَّا حَسَنُ الظَّنِّ

وعلموا الدرجات فانظاره حق وغرور في الحالات (فورد أن الذين آمنوا والذين هاجروا)
السيئات والذات (وجاهدوا في سبيل الله) بتكثير الطاعات (أولئك يرجون
رحمت الله) أي هم الذين يستحقون أن يرجوا رحمة ربهم ، بخلاف من ينهمك
فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع إليه ، فرجاؤه
المغفرة حق وغرور كما قيل : الغرة بالله أن يعمل الرجل بمعصية الله تعالى ويتمنى
بغفرته عز وجل . (وكأ ورد : الاحق من اتبع نفسه هواها) وتابها في طلب مشتهاها
(وتمنى دلى الله) أن يدخل الجنة وما أواها . والحديث تقدم . وقال يحيى بن معاذ
الرازى . من انظم الاغترار عندى التماذى فى الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة ،
وتوقع القرب من الله عز وجل من غير طاعة ، وانتظار زرع الجنة يذر النار ، وطلب
دار المطيعين بالمعاصى ، وانتظار الجزاء من غير عمل ، والتمنى على الله عز وجل مع
الافراط فى الامل . قال عبد الله بن المبارك الحنظلى .

ما بال دينك ترضى أن تدنسه . وثوبك الدهر مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها . إن السفينة لا تجرى على اليبس

وقد ورد أن زيد الخيل الذى غيره عليه السلام وسماه زيد الخير جاءه عليه السلام
وقال : جئت لاسألك عن علامة الله فيمن يريد ودلامته فيمن لا يريد ، فقال كيف
اصبحت ؟ قال أصبحت احب الخير وأمله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وإيقنت
بثوابه ، وإذا فاتني شيء منه حزنت عليه وحزنت إليه ، فقال هذه علامة الله فيمن يريد
ولو هيأك للآخرى هيأك لهائم لا يبالي في أى أوديتها هلكت » رواه الطبراني فى الكبير من
حديث ابن مسعود . فمن ارتجى أن يكون مرادا للخبر من غير هذه العلامات فهو غرور
فى وادى الملامات . وعن على كرم الله وجهه من اشتاق إلى الجنة تبطل عن الشهوات ، ومن
أشفق من النار رجع عن المحرمات (أما حسن الظن) بالله حيث يقول وأنا عند ظن
عبدى بى ، كما رواه الشيخان وزاد ابن حبان وفليظن بى ما شاء ، وعنه عليه السلام ولا يموتن
أحد إلا وهو يحسن الظن بالله » كما رواه مسلم من حديث جابر ، إنما يكون

بِالْحَذَرِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالْاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَةِ فَلَا بُدَّ مِنْهُ لِسَالِكٍ فَهُوَ يَبْعَثُ عَلَى الطَّاعَةِ
وَيَهْوِي أَوْ يَهْوِي حَتَّى يَنْقُطَ كُفْرُ فُورَدٍ (لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْكَافِرُونَ) وَالطَّرِيقُ ذِكْرُ سَوَاقٍ فَضْلُهُ

(بِالْحَذَرِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالْاجْتِهَادِ فِي الطَّاعَةِ فَلَا بُدَّ مِنْهُ لِسَالِكٍ) أى من حسن الظن وغلبة
الرجاء (فَهُوَ يَبْعَثُ عَلَى الطَّاعَةِ) وترك المعصية (وَيَهْوِي أَوْ يَهْوِي حَتَّى يَنْقُطَ كُفْرُ فُورَدٍ) في ورود المعصية
والحنّة (وَالْقَنُوطُ) وهو ضد الرجاء (كُفْرُ) قال تعالى (لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)
وقال (وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) وهو بمعنى اليأس (فُورَدٍ) في التنزيل
(لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) وورد أنه عليه السلام قال «لو تعلمون
ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وخرجتم إلى الصدقات لئلا تكون صدوركم وتجارون
إلى ربكم، فهبط جبريل فقال: أنت ربك عز وجل يقول: لم تقنط عبادي؟
فخرج إليهم فرجاهم وشوقهم» روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة؟
وأوله متفق عليه من حديث أنس. وقال تلي كرم الله وجهه لرجل أخرجه الخوف
إلى القنوط لكثرة ذنوبه: يا هذا يا أسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك. وعنه رضى
الله عنه: إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله.
وللهيقي في الشعب عن زيد بن أسلم «أن رجلا من بني إسرائيل كان يقنط الناس
ويشدد عليهم، قال فيقول الله تعالى له يوم القيامة: اليوم أويسك من رحمتي كما كنت
تقنط عبادي منها، وفي الخبر: أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أحبني وأحب
من يحبني وحبيبي إلى خلقي، فقال يا رب كيف أحبيك إلى خلقك؟ فقال اذكرني بالحسن
الجميل واذكر آلائي وإحساني وذكركم ذلك فانهم لا يعرفون مني إلا الجليل، ولابن
أبي الدنيا والبيهقي في شعبه من حديث أنس مرفوعا «أن رجلا يدخل النار فيمكث
فيها ألف سنة ينادى يا حنان يا منان، فيقول الله تعالى لجبريل أذهب فأتني بعدى، قال
فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول له كيف وجدت مكانك؟ قال فيقول شرمكان فيقول
بما قدمت يدك وما أنا بظلام للعبيد ردوه إلى مكانه، قال فيمشي فيلتفت إلى ورائه
فيقول الله عز وجل إلى أي شيء تلتفت؟ فيقول رجوت أن لا تعيدني إليها بعد
أن أخرجتني منها، فيقول الله تعالى اذهبوا به إلى الجنة» فدل هذا على أن رجاءه أنجاه
(وَالطَّرِيقُ) الموصل إلى تحصيل الرجاء ذكر ستة أشياء (ذكر سوايق فضله) في إيجاد

دُونَ شَفِيعٍ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنْ جَزِيلٍ ثَوَابِهِ دُونَ اسْتِحْقَاقٍ وَمَا أَنْعَمَ بِمَا عُدَّ فِي الدَّارَيْنِ دُونَ سُؤَالٍ وَسَعَةِ الرَّحْمَةِ وَسَبْقِهَا الْغَضَبِ فُورِدَ «رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِثْلُ (لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) الْآيَةِ «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»

المبدوء أمداه من جوده وكرمه ﴿دون شفيع﴾ أي بلا شفيع من عنده ﴿وما وعد الله من جزيل ثوابه﴾ في كتابه ﴿دون استحقاق﴾ سابق في بابيه مع أنه لا استحقاق للمملوك على المالك بشيء من حسابه ﴿وما أنعم﴾ على عبده من الرزق والعافية وتوفيق الطاعة ﴿بما عُدَّ﴾ نفعه ﴿في الدارين﴾ من عنده ﴿دون سؤال﴾ أي من غير مسألة سابقة من عبده ﴿وسعة الرحمة﴾ قال الله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد» ﴿وسبقها الغضب فورد رحمتي سبقت غضبي﴾ وفي رواية غلبت. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «أن الله كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي تغلب غضبي» ﴿وما ورد فيه﴾ أي في فضل الرجاء من الكتاب والسنة ﴿مثل لا تقنطوا من رحمة الله الآية﴾ أي (أن الله يغفر الذنوب جميعا) وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي كما رواه الترمذي من حديث أسماء بنت أبي يزيد وحسنه ﴿أنا عند ظن عبدي بي﴾ كما تقدم والله أعلم وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول: أتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) انتهى وذلك لما ذكر في تفسيره أنه عليه السلام قال ولا يرضى محمد واحد من أمته في النار أي مؤبدا. وكان بهض العارفين يرى آية المداينة في سورة البقرة من أقوى أسباب الرجاء فقيل له: وما فيها من الرجاء؟ فقال: الدنيا ظلمة قليلة، ورزق الإنسان فيها قليل، والدين من رزقه قليل، فانظر كيف أنزل الله فيه أطول آية ليتهدي بها عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه، فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه في دنياه وعقباه، وروى في تفسير قوله تعالى (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) أن الله أوحى إلى نبيه عليه السلام اني أجعل حساب أمتك اليك، فقال لا يارب أنت خير لهم مني فقال اذن لا أخزيك فيهم ﴿رواه ابن أبي الدنيا في كتاب

وَالْخَوْفُ وَهُوَ الْحُزْنُ لِاتِّظَارِ مَكْرُوهِ

حسن الظن بالله تعالى . ولليهيقي في شعبه من رواية عقبة بن الوليد « ان الخليل قال يوما يا كريم العفو، فقال جبريل أتدري ما تفسير يا كريم العفو؟ هو أن يعفو عن السيئات برحمته ثم يبذلها حسنات بكرمه، ولا بن أبي الدنيا من حديث حذيفة مرفوعا « ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى ان ابليس ليتناول لها رجاء ان تصيبه، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ان لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعة وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة يتراحم الخلق بها فتحن الوالدة الى ولدها، وتعطف البهيمة على ولدها، فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى التسعة والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه، وكل رحمة منها طابق السموات والارضين قال فلا بهلك على الله يومئذ الا هالك » وللترمذي من حديث أنس وصححه وابن ماجه من حديث جابر « شفاعتي لاهل الكبائر من امتي » وقال الثوري: ما احب أن يجعل حساني الى ابوي، لاني اعلم أن الله تعالى ارحم بي منهما . وقال ابن ادهم: خلاي المطاف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب، فقلت يارب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا، فهتف هاتف من البيت: يا ابراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنون يطلبون ذلك، فاذا عصمتهم فعلى من انفضل ولمن اغفر، ويؤيده حديث « لولم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بخاق آخر يذنبون فيغفر لهم أنه هو الغفور الرحيم » رواه مسلم من حديث أبي هريرة وكان الحسن يقول لولم يذنب المؤمن لكان يطير في الملوك ولكن الله فقهه بالذنوب، ويؤيده حديث « لولم تذنبوا لحشيت عليكم ما هو شر من الذنوب، فقبل ما هو؟ قال العجب » رواه البزار وابن حبان. واليهيقي من حديث أنس. وقال الجنيد: أن بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين . ويؤيده قوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكون من الجاهلين) وقال يحيى بن معاذ في مناجاته: يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص، وكيف احرزها وانا بالآفة معروف . واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجوود موصوف . وكان بعض السلف يقول في دعائه: يارب وأى أهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمك عليهم سابعة، وارزاقك عليهم دارة سائغة، سبحانه ما احملك، وعزتك أنك لم تصي ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى لكأنك ياربنا أنما تطاع، وسبحانك، احملك تصي وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى لكأنك ياربنا لا تنضب (والخوف) عطف على الرجاء (وهو الحزن لانتظار مكروه) وهو نالم

فَأَمَّا مِنَ الْعِلْمِ بَعْدَ مَبَالَاتِهِ تَعَالَى فَوَرَدَ هُوَلَاءُ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي وَهُوَلَاءُ فِي النَّارِ
وَلَا أَبَالِي مِنْ مَلَامَةِ أَحَدٍ أَوْ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ أَوْ لِعَدَمِ تَأْثِيرِ الْإِثَابَةِ وَالتَّعْذِيبِ فِي
زِيَادَةِ مُلْكِي وَنُقْصَانِهِ

الغاب واحتراقه بسبب توقع مكروهه في الاستقبال واما من انس بالله في جميع الاحوال وملك
الحق قلبه على وجه النظام ، وصار ابن وقته ويشاهد الجمال الحق على الدوام ولم يبق له التفات
الى المستقبل من الايام فلم يبق له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الخوف والرجاء
فانهما زما مان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها ، ولهذا اشار الواسطي حيث
قال : الخوف حجاب بين الله وبين العبد ، وقال ايضا : اذا ظهر الحق على السرائر
لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف في الضمائر . ويؤيده ظاهر قوله تعالى (الا ان اولياء
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهذا بالنسبة الى الخواص الكرام ، واما بالنسبة
الى الصالحين من العوام فمعناه لا خوف عليهم بلحق العقاب ولا هم يحزنون بفوت
الثواب في العقبى ، وبالجمل فالحب اذا شغل قلبه في مشاهدة محبوبه يحرف فراقه كان
ذلك نقصا في شهوده ، واما دوام الشهود غاية المقامات ونهاية الدرجات ، لكن الكلام
الآن في اوائل الحالات ، فنقول الخوف له اسباب ينشأ منها ويصدر عنها كما قال
(فاما من العلم بعدم مبالاته تعالى) فانه وعز وجل لا يسأل عما يفعل ، ومن عزته
في صفاته انه لو املك العالمين لم يبال من أحد ولم يمنعه مانع لو حدة ذاته (فورد)
في حديث مشهور : ان الله تعالى لما خلق آدم مسح على ظهره فاستخرج منه ذريته
فقبض قبضة فقال (هؤلاء في الجنة ولا ابالي و) قبض اخرى فقال (هؤلاء في النار
ولا ابالي) اى لا ابالي (من ملامة أحد) اذ لا يجب على الله شئ لامن اثابة المطيع ولا
من تعذيب العاصي (او من الطاعة والمعصية) اى او المعنى لا ابالي من طاعة . مطيع
ولامن معصية عاص ، فانه لما ورد «لوعذب اهل سواته وارضه لكان عاد لا في حكمه
غير ظالم في امره» (او لا ابالي) لعدم تأثير الاثابة والتعذيب في زيادة ملكي ونقصانه
كما في حديث مسلم عن ابي ذر مرفوعا حكاية عن الله سبحانه و يعابدى انكم ان تبلغوا
ضرى قهضرونى ولن تبلغوا نقى قتهضرونى ، يعابدى لوان اولكم وآخركم وانسكم
وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئا . يعابدى

أَوْلَانِي مُتَصَرِّفٌ فِي مَالِي أَوْ مُتَفَضِّلٌ غَيْرُ مَائِلٍ عَادِلٌ غَيْرُ جَائِرٍ أَوْ الْجَهْلُ بِالْخَاتِمَةِ
وَهُوَ لِلْمُتَّقِي أَغْلَبُ وَالْأَعْلَى مِنْ سَابِقَةِ الْأَزَلِ وَإِمَامِنِ الْمَعَاصِي

لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنم كانوا على الحجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ماله شيئا (أو) لا بالي (لا في تصرف في مالي) أقل ما شاء وأحكم ما أريد بالعدل (أو) لا في (متفضل غير مائل) وإدخال الجنة (عادل غير جائر) في إدخال النار لما تقدم (أو الجهل) أي أو الخوف هو الحزن الجهل (بالخاتمة وهو) أي خوف الخاتمة (للمتقى أغلب) لانه بحسب معرفته بعبوب نفسه وبهظمة جلال الله وقدرته ، فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ، ولذا قال عليه السلام: دو الله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، رواه البخاري من حديث أنس والشيخين من حديث عائشة « والله أني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » وقد قال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (والأعلى) من أنواع المخافة وأدناها على كمال المعرفة أن يكون الخوف (من سابقة الأزل) لان الخاتمة اللاحقة تتبع المقدمة السابقة . فالخاتمة في هذا الباب تظهر بما سبق به القضاء في أم الكتاب ، فالالتفات الى القضاء الأزلي الذي جرى بتوقيفه القلم أعلى من الالتفات الى ما يظهر في الأبد بعد ما كان في حين العدم ، واليه أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال وهذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ، وليعلمن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ، ثم يستنقذهم الله قبل المسوت ولو بوقواق ناقة وليعلمن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بوقواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقى بقضاء الله ، والأعمال بالخواتيم ، رواه الترمذي من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب وفي رواية « السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقى في بطن أمه » رواه البزار وغيره بسند حسن ، ومن هنا خوف الكامنين حيث لم يعرفوا أنهم من أي القبضتين ومن أي الفريقين المذكورين في قوله تعالى (فريق في الجنة وفريق في السعير) وفي قوله عز وجل (فمنهم شقى وسعيد) وقوله عز وجل (فمنكم كافر ومنكم مؤمن) وقوله سبحانه (أما أشكر أم أكره) (وأما) بالكسر تطف على قوله أما من العلم الخ ، والمعنى أن الحزن لا تظار مكروه أما من جهة المعرفة بصفة الله تعالى وعزته وجلاله في مرتبة عظيمته وأما (من المعاصي) أي من جهة

وَيَخْتَصُّ بِمَوْضِعِ الْغُرُورِ عِنْدَ الْمَوَاطِنَةِ عَلَى الطَّاعَةِ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ ثُمَّ أَمَّا مِنَ السُّؤَالِ

كثرة المعصية الصادرة عن العبد في حال غفلته وغرته ﴿وَيَخْتَصُّ﴾ الخوف من المعصية ﴿بِمَوْضِعِ الْغُرُورِ عِنْدَ الْمَوَاطِنَةِ عَلَى الطَّاعَةِ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ﴾ أى يختص هذا الخوف ويتميز من الخوف الأول وهو عدم المبالاة بأن يغتر بمواظبته على الطاعة فيعلم أن هذا كان من المعاصي لامن عدم المبالاة لأن خوف عدم المبالاة لا يزول قط وخوف الثاني يزول عند المواظبة على الطاعة وتوضيحه أن هذا انقسام الخائفين إلى من يخاف من معصيته وجنائته وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لهظمته وجلالته فهذا أعلى رتبة وأعلى منزلة ، ولذا يبقى خوفه وإن كان في طاعة الصديقين ، وأما الآخر فهو في عرصة الغرور والأمن أن واظب على الطاعات وداوم على العبادات فالخوف من المعصية خوفاً للصالحين والخوف من الله تعالى خوفاً للموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله ، فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جنائته ، بل المعاصي لو عرف الله حق معرفته لخاف الله ولم يخف من معصيته ، إذ لو لا أنه يخوف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيل بابها ومهد له تمام أسبابها ، فإن تيسير أسباب المعصية إبعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يسخر للمعصية وتجرى عليه أسبابها ، ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توصل بها من تيسرت له الطاعات وتمهدت له سبيل القربات ، فالعاصي قد قضى عليه بالمعصية شاء أم أبى فكذا المطيع حسب ما قدره الله وقضى . فالذي رفع محمداً صلى الله عليه وسلم إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع أباجيل في أسفل سافلين من غير جنائية سبقت منه قبل شهوده جدير بأن يخاف منه لصفة جلاله فإن من أطاع الله أطاع بأن ساط عليه إرادة الطاعة وآتاه القدرة ، وبعد خالق الإرادة الجازمة والقدرة التامة بصير الفعل ضرورياً والذي عصى لأنه ساط عليه إرادة قسوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة ، فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة ضرورياً فليت شعري ما الذي أوجب إكرام هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعات عليه ، وما الذي أوجب إمانته الآخر وتبعيده بتسليط دواعي المعصية لديه ، وكيف يحال ذلك على العبد وينسب إليه . وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جنائية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بما شاء ويحكم بما يريد جزم عند كل مرید طالب للمزيد ﴿ثم﴾ الخوف عند سكرات الموت وشدة وما بعده ﴿أما من السؤال﴾ في القبر من منكر ونكير ، أو عند

أَوِ الْعَذَابِ أَوْفَتْ الْجَنَّةَ وَنَحَرَهَا، وَتَخْتَلِفُ الْآثَارُ فَمَنْ خَافَ اسْتِيلَاءَ الْعَادَةِ وَاطَّابَ عَلَى تَرْكِهَا وَمَنْ خَافَ اِطْلَاعَهُ تَعَالَى اشْتَغَلَ بِتَقْيَةِ السَّرِّ فَاعْتَبَرَ وَيُؤَثِّرُ فِي الْبَدَنِ بِالْهَزَالَةِ وَالصَّفْرَةِ وَالضَّعْفِ وَالْبُكَامِ وَإِذَا كَمُلَ يُؤَدِّي إِلَى الْجُنُونِ وَالْمَوْتِ وَهُوَ شَهَادَةٌ لَكِنْ الْأَفْضَلُ مَنْ عَاشَ وَجَاهَدَ

الموقف من تقيير وقطعير (أو العذاب) في القبر ، أو من هول المظلم ، أو هيبه الموقف ، والحياء من كشف السر ، أو من مزالة الصراط ، أو حدته وكيفية العبور عليه باختلاف الاحوال ، أو العذاب في النار وما فيها من الاغلال والانكال والاهوال (أو فوات الجنة) دار النعيم والملك المقيم (ونحوها) من نقصان الدرجات وخوف حجاب الذات ، وإغلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب ، فانه أشد العذاب عند ارباب الالباب ، وهو خوف العارفين وما قبل ذلك هو خوف العابدين . والصالحين والزاهدين وفاقه العالمين . ومن لم تكمل معرفته ، ولم تفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بآلم البعد والفراق ، فاذا ذكر له أن العارف لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب في دار القرار وجد ذلك منكرا في باطنه وتعجب منه في نفسه . قال ذو النون : خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي (وتختلف الآثار) للخوف بحسب اختلاف أنواعه في الاسرار (فمن خاف استيلاء العادة) في اتباع الشهوات المألوفة بالارادة (واطب على تركها) ودوام على خلافها (ومن خاف اطلاعه تعالى) على السرائر (اشتغل بتقية السر) وتطهير القلب من الوسوس في الضمائر (فاعتبر) وقس على هذا مخاوف اخروهي من خاف اغتراره بزخارف الدنيا زهد فيها ، ومن خاف هجوم الموت قبل التوبة بادر اليها (ويؤثر) الخوف (في البدن بالهزالة) أي التحول باذابة اللحم والشحم (والصفرة) باللون المصحوب بالكدر (والضعف) في القوى (والبكاء) الصادر عن الحشية (وإذا كمل) الخوف (يؤدي الى الجنون) بأن يصعد الى الدماغ فيفسد العقل (و) يقوى فيورث القنوط واليأس أو يفضي الى (الموت) بأن تنشق به المرارة (وهو) أي الموت من خوف الله (شهادة لكن الافضل من عاش وجاهد) لقوله عليه السلام : طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ، وقد تقدم . واعلم أن معنى لونه شهيدا أنه رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت ، لا بسبب الخوف

وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ كَمَا كَانَ لِعَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَوَرَدَ «أَنَّ الشَّيْطَانَ لَيُفْرِقُ مِنْ ظِلِّ عَمْرٍ، وَالْأَعْلَى أَنْ يَدْهَشَهُ عَنِ الْأَشْيَاءِ فَلَمْ تَوَثِّرْ فِيهِ لُغْيَةُ عَنْهَا كَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَصَدَهُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَاحْتَرَقَ فَلَا بَدَّ

فرو بالإضافة اليه فضيلة ، واما بالإضافة الى بقاءه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيل أمره فليس بفضيلة ، بل للسالك لطريق الفكر والمشاهدة والترقي في درجات المجاهدة في كل لحظة رتبة شهيد ، ولذا ورد « يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء » ولولا هذا لكان رتبة صبي يقتل ، او مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبي او منزلة ولي يموت حتف انفه ، وهو محال . والحاصل أن اقصى درجات الخوف أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله حتى لا يبقى فيه متسع لغير الله ، وذلك مع بقاء الصحة والعقل ، فان جاوز هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب عليه علاجه أن كان قدرة لديه ، ولذا كان سهل يقول للمريدين الملازمين للجوع أياما كثيرة : احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله ولي ناقص العقل . ويؤيده ما اشتهر في لسان العامة : ما اتخذ الله وليا جاهلا ولو اتخذ له لعله ، وكذا يؤثر الخوف في الجوارح فيكفها عن السيئات ويقيدها بالطاعات تلافيا لما فرط في الماضي واستعدادا للمستقبل ، ولذا قيل : ليس الخائف من ييكي ويمسح عينيه ، بل الخائف من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه . وقال أبو القاسم الحكيم : من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه . وقيل لذى النون : متى يكون العبد خائفا قال اذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتذى مخافة طول السقام (ومن غلب عليه) خوف الله (خافه كل شيء) عما سواه . ولا يبي الشيخ حيان وابن أبي الدنيا حديثه من خاف الله خافه كل شيء ، (كما كان) هذا المقام المعمر (لعمر رضى الله عنه فورد : أن الشيطان ليفر من ظل عمر) كما مر ، وكذا يؤثر في الصفات بان يجمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيها اذا عرف سما فيه (والاعلى) في مراتب الخوف (أن يدهشه) الخوف ريذهله (عن الاشياء) أى رؤيتها ويغفله عما يجرى على الاعضاء من حركاتها (فلم توتر) الاشياء (فيه) أى فى الخائف (للغية عنها) أى لغية الخائف عن الاشياء والغفلة عنها (كما كان له عليه السلام حيث قصده الشيطان وهو فى الصلاة فاحترق) أى الشيطان فاذا كان الامر كذلك (فلا بد)

منه فهو يزجر النفس عن المعصية وينفي العجب عن الطاعة. والأمن كفر فورد
فلا يأمن مكر الله الآية، والطريق النظر في صفاته تعالى وأفعاله

للسالك (منه) أى من الخوف هنالك (فهو) أى الخوف (يزجر النفس) ويمنعها
(عن المعصية) وارتكابها (وينفي العجب) ويدفعه (عن الطاعة) واكتسابها
فاقل درجات الخوف بما يظهر أثره في الأعمال المورثة للاحوال أن يتمتع من المحظورات،
ويسمى الذف الحاصل عن ارتعا، فإذا زادت قوته كف عما يتطرق إليه إمكان التحريم
فيكف عما لا يتقن أيضا تحريمه، ويسمى ذلك تقوى، إذا التقوى أن يترك ما يربه إلى
مالا يربه، وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس، وهو الصدق في التقوى، فإذا
انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبنى ما لا يسكنه، ولا يجمع ما لا يأكله، ولا يصرف إلى
غير الله نفسا من أنفاسه، فهو الصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقا، وأما الخوف
الذى يجرى مجرى رقة النساء كما يخاطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء،
وكذا عند مشاهدة سبب هائل فإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى
الغفلة عن خوف الرب، فهذا خوف قاصر قليل الجدوى. وهذا حال الناس كلهم
إلا العارفين والعلماء الراستخين. ولست أعنى بالعلماء المترسمين برسومهم والمتسمين باسماتهم
فانهم أبعد الناس عن الخوف لما فيهم من العجب والغرور، بل العلماء بآيات الله وصفاته
وأفعاله في مصنوعاته وذلك بما قد عز وجوده الآن كالكبريت الأحمر في سالف الزمان
ولذا قال الفضيل: إذا قيل لك هل تخاف الله قاسكت، فالك أن قلت لا كفرت وأن
قلت نعم كذبت. وأما الخوف المفرط وهو الذى يجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى
الياس والقنوط فهو مذموم أيضا لانه يمنع من العمل، والمراد من الخوف هو الحمل على
العمل، وإذا تحقق الياس له فهو كفر منه لانه اعتقد عدم قدرته سبحانه على عفوه في
زلته (والأمن) وهو ضد الخوف (كفر) أيضا لانه يدل على اعتقاد عدم قدرته
وقد ارادته على عقوبته على ذنوبه مع وجود طاعته وعبادته (فورد) في التزويل
(فلا يأمن مكر الله الآية) أى (الاقوم الخاسرون) أى الذين خسروا انفسهم واهليهم
يوم القيامة بالكفر والمعصية (والطريق) الموصل إلى تحصيل الخوف شيان (النظر
في صفاته تعالى) الجلالية كالتقهار والمنتقم والجبار (وأفعاله) في مصنوعاته من
معاملاته مع طوائف الكفار، فمن عرف الله حق معرفته حملته معرفته على خشية

فَوَرَدَ (أَمَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ وَذَكَرُ الذُّنُوبِ
وَالْخُصُومِ وَشِدَّةِ الْعَذَابِ وَضَعْفِ النَّفْسِ وَمَا وَرَدَ فِيهِ

بشاهدة عظمة الله وعزته (فورد) في التبريل (أما يخشى الله من عباده العلماء) لأنهم
العارفون بصفاته الخائفون منه بحسب ذاته (أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له) حديث
متفق عليه (وذكر الذنوب) السابقة (والخصوم) المتعلقة به يوم القيامة في الأحوال
اللاحقة (وشدة العذاب) بعد مناقشة الحساب (وضعف النفس) عن العقاب
والحجاب (وما ورد فيه) أى في فضل الخوف من الكتاب والسنة وأقوال السلف
وأحوالهم في هذا الباب ، أما الكتاب فقوله تعالى (هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون)
(رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) (ولمن خاف مقام ربه جنتان)
(وخافوني أن كنتم مؤمنين) (سيدكر من يخشى) (وهم من خشية ربهم مشفقون) هـ
وأما السنة فقوله عليه السلام «رأس الحكمة مخافة الله» رواه البيهقي في شعبه من
حديث ابن مسعود وقوله لعائشة لما قالت : يا رسول الله الذين يؤتون ما اتوا ولو لهم
وجلة : هو الرجل يسرق ويزنى ، قال لا بل هو الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف
أن لا يقبل منه ، رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم . وقوله عليه السلام «ما من مؤمن
تخرج من عينه دمع» وأن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ثم تصيب شيئا
من حر وجهه الا وحرمه الله على النار» رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث
ابن مسعود ، وقوله «إذا اتشعر قلب المؤمن من خشية الله تحانت عنه خطاياها كإتاحت
عن الشجرة ورقها» رواه الطبراني والبيهقي في شعبه من حديث العباس . وقوله «لا يابح
النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع» رواه الترمذى وقال حسن
صحيح وقوله لعقبة بن عامر حيث سأل : ما النجاة يا رسول الله قال «أمسك عليك
لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك» وقد تقدم . وقوله «ما من قطرة أحب إلى
الله من قطرة دمع جرت من خشية الله» أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله» رواه الترمذى
من حديث أنى أمامة وحسنه ، وقوله «اللهم ارزقني عينين تطالين تسقيان بذروف
الدمع قبل أن تصير الدموع دما والاضراس جمرًا» رواه أبو نعيم في الحلية من حديث
ابن عمر بإسناد حسن وقوله «سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله» وذكر منهم «رجلا
ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه» رواه الشيخان ؛ وعن حنظلة قال «كنا عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم فودعنا مودعة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعنا الى أهلى فذنت منى المرأة وجرى بيتان حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عنده عليه السلام وأخذنا فى الدنيا ، ثم تذكرت ما كنت فيه وقلت فى نفسى قد نأقت حين تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقه ، فخرجت وجعلت انادى نأفق حنظلة ، فاستقبلنى أبو بكر فقال كلام تنافق ، فدخلت على رسول الله ﷺ وأنا أقول نأفق حنظلة نأفق حنظلة ، فقال عليه السلام كلام ينافق حنظلة ، فقالت يا رسول الله كنت عندك فودعنا مودعة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا ، فرجعنا الى أهلى فأخذنا فى حديث الدنيا ونسيت ما كنا عليه عندك ؛ فقال يا حنظلة لو أنتم أبدا على تلك الحالة لصاخبكم الملائكة فى الطرق وعلى فرشكم ؛ ولكن يا حنظلة ساعة فساعة ، رواه مسلم . وأما الآثار فقال أبو بكر الصديق : من استطاع أن يبكى فليبك ومن لم يستطع فليتبك . وكأنه اخذه من قوله تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) ومن قوله (يكون وبزيدهم خشوعا) ومن قوله (أفن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون) ومن قوله (خروا سجدا وبكيا) وكان محمد بن المنكدر اذا مسح وجهه ولحيته من دموعه يقول : بلغنى أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع ؛ وقد تقدم فى الحديث ما يساعده . وقال عبد الله بن عمرو : أبكوا فان لم تبكوا فبأكوا ، فوالذى نفسى بيده لو يعلم أحدكم ما وراءه لصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلى حتى ينكسر صلبه ، وقال أبو سليمان الداراني : ما تفرغت عين بئانا من خشية الله الا لم يرهق وجهه صاحبها قط ولا زلة يوم القيامة ، فان سالت دموعه انظافا بازل قطرة منها بحار من الزيران ، ولو ان رجلا بكى فى أمة ما عذبت تلك الامة . وقال كعب الاحبار : والذى نفسى بيده لان ابكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على وجنتى أحب الى من أن اتصدق بمجمل من ذهب . وقال عبد الله بن عمر : لان ادمع دمعة من خشية الله أحب الى من أن اتصدق بالف دينار . وقال الفضيل : من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير ، أى وحفظه عن كل شر وضير . وقال الشبلى : ما خفت الله يوما الا رأيت له بابا من الحكم والعبر ما رأيت قط . وقال ذو النون من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له له أى عقله . وقال ذو النون ينبغي أن يكون الخوف ابلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب . وكان أبو الحسن الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله وبين عبده ، فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين ، وقيل ليحيى بن معاذ : من آمن الناس غدا ؟ فقال أشدهم خوفا اليوم . وقال سهل

وَاخْتَفَ فِي أَنَّ الرَّجَاءَ أَفْضَلُ أَمِ الْخَوْفُ وَالْحَقُّ عَدَمُ الْإِنْفَكَكَ إِذْ لَوْ عَدِمَ أَحَدُهُمَا
لَصَارَ أَمْنًا وَقَنُوطًا فَشَرَطَهُمَا عَدَمُ الْقَطْعِ فَلَا يُقَالُ أَرْجُو طُلُوعَ الشَّمْسِ وَأَخَافُ هَجُومَ
الْأَجَلِ وَالرَّجَاءُ أَفْضَلُ مِنْ حَيْثُ هُوَ هُوَ فَهُوَ طَرِيقُ الْحُبِّ وَوَرَدَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي

لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال . وقال أبو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا
الاخرب (واختلف في أن الرجاء) للعبد (أفضل) من الخوف (أم الخوف) أفضل
له من الرجاء (والحق) من القول (عدم الانفكاك) أي انفكاك أحدهما عن الآخر (إذ
لو عدم أحدهما لصار أمنا) عند عدم الخوف (أو قنوطا) عند عدم الرجاء فان الرجاء
بلا خوف أمن والخوف بلا رجاء يأس وكلاهما ممنوعان بنص القرآن والحق
الاعتدال في غالب الاحوال وأيضا فهما متلازمان لان كل من رجا محبوبا فلا بد أن
يخاف فوته كما يشير اليه قوله تعالى (يدعوننا رغبا ورهبا) (ويدعون ربهم خوفا
وطمعا) نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز أن يشتغل القلب
بأحدهما ولا يلتفت الى الآخر في الحال لفكته عنه (فشرطهما) أي شرط وجودهما
(عدم القطع) في كليهما فالأمن والقنوط ينافي عدم القطع (فلا يقال أرجو طلوع
الشمس وأخاف هجوم الأجل) لأن أمرهما مقطوع فيه عادة بل يقال انتظر
لفوت الشرط وهو عدم القطع نعم يقال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه فلا
يطلق اسم الرجاء والخوف الاعلى مشكوك يتردد منه إذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف
فان المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لاحالة تقدير وجوده يروح القلب
وهو الرجاء وتقديره عدمه يوجع القلب وهو الخوف فالتقديران لاحالة يتقابلان نعم
أحد طرفي الشك قد يترجح بحصول بعض الأسباب ويسمى ذلك ظلما فيكون ذلك
سبب غلبة أحدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفى
الخوف بالاضافة وكذا بالعكس (والرجاء أفضل من حيث هو) أي مع قطع
النظر عن صاحبه انه في أى مقام هو من مقامات المبتدئين والمتهين من المريدين
في طريق المجتهدين أو المريدين في أمر الدين (فهو) أي الرجاء (طريق المحبة) وسبيل
الحبين وهو أفضل المقامات وأقل الحالات (ووردت رحتي غضبي) وقد تقدم،
وفيه تنبيه نبيه على أنه ينبغي أن يكون الرجاء أغلب على الخوف وتوضيحه أن الخوف
والرجاء دواء ان تداوى بهما القلوب فقضاءهما بحسب الهداء الموجود فان كان الغالب

وَهُوَ الْأَفْضَلُ إِنْ اِمْتَنَعَتِ النَّفْسُ عَنِ التَّوْبَةِ لَكثْرَةِ الْمَعَاصِي أَوْ اقْتَصَرَتْ عَلَى الْفَرَائِضِ
أَوْ ضَعُفَ وَأَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ لَيَمُوتَ عَلَى الْحُبَّةِ، وَالْخَوْفُ إِنْ غَلَبَ التَّمَنَّى
وَأَعْتَادَ الْمَعَاصِي وَالْاِعْتَدَالُ إِنْ اتَّقَى ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ وَلَا يُعْرِضُ بِمُعَارَضَةٍ
كَثْرَةَ أَسْبَابِ الرَّجَاءِ فَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لَوْ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةُ الْوَاحِدُ

على القلب داء الأمن من مكر الله والاعتراجه فالخوف أفضل وإن كان الأغلب على
العبد هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل فهذا الاعتبار غلبة الخوف
أفضل لأن الاعتراجه أغلب على القلب وإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل
لأنه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله
ما يقتضى اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب وليس وراء المحبة مقام في طلب الرب
وأما الخوف فاستندته الالتفات إلى الصفات التي تقتضى العنف والنقمة فلا تمازجه
المحبة تمازجه الرجاء (وهو) أى الرجاء (الأفضل) من الخوف والمفهوم من الأحياء
أنه الأصلح كما في بعض النسخ هنا ولعله المصلح وإنما يكون الرجاء أولى من الخوف
(إن امتنعت النفس عن التوبة لكثرة المعاصي) الموجهة لليأس والقنوط من الرحمة
(واقصرت) النفس (على الفرائض) دون الواجبات والسنن المؤككات
(أضعف) بالمرض والكبر (وأشرف على الموت) أى قاربه الموت فإن الأفضل
حينئذ هو الرجاء (للموت) بزيادة وصف الرجاء (على المحبة) الناشئة من كثرة
الرجاء (والخوف) أفضل وأصلح وأولى من الرجاء في مقام الدواء (إن غلب التمنى
واعتاد) صاحبه (المعاصي) لقلته خوفاً (والاعتدال) بين الخوف والرجاء أنسب
وأقرب (أن اتقى ظاهر الإثم وباطنه) أى جلبيه وخفيه ولذا قيل لو وزن خوف المؤمن
ورجاؤه لاعتدلا، وروى أن علياً كرم الله وجهه قال لبعض ولده يا بنى خف الله خوفاً
ترى أنك لو أنيت بحسنات أهل الأرض لم يقبلها منك وأرج الله رجاء ترى أنك لو أنيت
بسيئات أهل الأرض غفرها لك (ولا يعرض) من الأعراض أى ولا يبدل المتقى
المذكور عن الاعتدال (بمعارضة كثرة أسباب الرجاء) من الأعمال (فكان عمر رضى
الله عنه) مع ثل تقواه وكثرة أعماله لله (يقول لو لم يدخل الجنة الواحد) من

أَرْجُو أَنْ أَكُونَ آيَاهُ وَلَوْ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ إِلَّا وَاحِدٌ أَخَافُ أَنْ أَكُونَ آيَاهُ وَتَعْسِرَ
التَّحَرُّزَ عَنِ الْمَعَاصِي الْبَاطِنَةِ حَتَّى كَانَ عُمَرُ يُسَالُ حَذِيفَةَ عَنْ وَجُودِ أَثَرِ التَّفَاقُ
فِيهِ وَاحْتِمَالِ زَوَالِ الْأَسْبَابِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَوَرَدَ أَنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ
الْجَنَّةِ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا شَبْرٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ

المؤمنين ﴿ أرجو أن أكون آياه ﴾ أى ذلك الرجل ﴿ ولولم يدخل النار الا واحد ﴾ من
الحق ﴿ أخاف أن أكون آياه ﴾ وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتداهما مع
الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوى فثل عمر رضى الله عنه ينبغي أن يساوى
خوفه رجاءه فاما العاصي اذا ظن أنه ذلك الرجل واستثنى من دخول النار كان ذلك دليلا
على ما فيه من الاغترار ﴿ وتعسر التحرز ﴾ عطف بالمعنى لان الفاعل قوله فكان عمر لتعليل
المعنى فالقدير لانه كان عمر وتعسر الاحتراز ﴿ عن المعاصي الباطنة ﴾ ويجوز عطفه على
قوله بمعارضة فيكون ما بينهما جملة معترضة وفيه جواب لسؤاله قدر وهو ان مثل عمر لا ينبغي
أن يساوى خوفه رجاءه بل ينبغي أن يغلب رجاءه خوفاً فاشار الى أن شروط صحة الايمان
على وجه الحقيقة من الامور الدقية فانه لا بد للقلب أن يكون نظيفا من الشرك الخفى والتفان
والرياء وخبايا الاخلاق الخبيثة فيه غامضة والآفات من الشهوات وزخارف الدنيا وما يتعلق
بها من اللذات واللاهوات كثيرة وان سلم القلب في الحال عن هذه الاحوال ربما يلتفت
اليها في الاستقبال فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه
لامحالة كما يحكى في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوى القلب ثابت
الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما أن يغلب رجاءه فلا ولقد كان عمر يبالغ
في تفتيش قلبه وتقلب حاله من المعاصي حتى كان يقول رحم الله من أهدى الى
بعيوب نفسه وكذا يخاف من التفان وخصال أهله ﴿ حتى ﴾ غاية التعسري الى أن
﴿ كان عمر يسأل حذيفة ﴾ بن اليمان ﴿ عن وجود اثر التفان فيه ﴾ أى عمر اذا كان حذيفة
قد خصه عليه السلام بعلم المنافقين، وكان يسمى صاحب سر النبي عليه السلام
﴿ واحتمال زوال الاسباب ﴾ أى ولا احتمال زوال اسباب الرجاء ﴿ في المستقبل ﴾ من الزمان
﴿ فورد أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ﴾ وفي الاحياء اربعة وخمسين سنة ﴿ حتى لا يبقى
بينه وبين الجنة الا شبر ﴾ قال في الاحياء وفي رواية الا قدر فواق ناقة ﴿ فيسبق عليه

الكتاب فيختم له بعمل أهل النار ثم سوء الخاتمة نعوذ بالله منه أما بالشك أو الجحود

الكتاب) أى المكتوب الازلى فى علم الله او المكتوب فى اللوح المحفوظ او عند تولده فى صحائف الملائكة الموقطة على حفظه (فيختم له بعمل أهل النار) فيدخل النار وكذا من يعمل عمل أهل النار، والحديث رواه مسلم من حديث أبى هريرة أن الرجل ليعمل الزمن الطويل يعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ، وللبزار والطبرانى فى الاوسط سبعين سنة واسناده حسن، وللشيخين فى اثنا حديث لابن مسعود « أن احدكم ليعمل يعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع » الحديث وليس فيه تقدير زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شهر ولا فراق ناقة (ثم سوء الخاتمة نعوذ بالله منه) أى من سوء الخاتمة وتغير الحالة فمن ذا يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفى والرياء فى زوايا القلب وأن اعتقد نقاء قلبه وصفاء لبه عن مثله فمن ياء من مكر الله بتليس حاله عليه واخفاء غيبه عنه فان وثق به فمن اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة التى عليه مدار سعادة العاقبة فاذا ناضى غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه اما غلبة الرجاء فى اكثر الناس فيكون مستنده للاغترار وقلة المعرفة واين مثل عمر حتى يعتدل خوفه ورجاؤه كما مر، فالخائف الموجودون فى هذا الزمان ظهم الاصلاح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى الياس وترك العمل وقطع الطمع عن المغفرة فيكون سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك فى المعاصى وطول الامل فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذى يحث على الطاعات ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا وزخارف اللذات ويدعوه الى التجانى عن دار الغرور والامنيات فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذى لا يؤثر فى الكف عن السيئات والحث على العبادات ودون الياس الموجب للقنوط من رحمة خالق البريات وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق فى بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه فى مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام فى حجة ذوى الاستبصار، وقال مكحول النفسى من عبد الله بالخوف فهو حرورى ومن عبده بالرجاء فهو مرجى ومن عبده لمجرد المحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد صدق ثم سوء الخاتمة (اما بالشك) والتردد فى قبول الايمان (او الجحود) أى الانكار باصل الايمان ومحض الكفران

عند النزاع لظهور بطلان بدعة كان يعتقدها تقليداً أو تعويلاً على مجادلته الكلام فهو حالة الانكشاف واعتقاد بطلان كل ما اعتقده أو شكّه لهذا السبب

(عند النزاع) أى نزاع الروح حال سكرات الموت وظهور أهواله الموجبة لتغير أهواله فقبض روحه في حالة شك القلب اوججود الرب وذلك يقتضى البعد الابد والعذاب المخلد وذلك الشك أو الجحود انما يقع (لظهور بطلان بدعة) يعتقدها في ذاته سبحانه واصفاته أو افعاله في مصنوعات أو تالها في آيات من آياته (كان يعتقدها) أى البدعة (تقليداً) عن هذا حاله (أو تعويلاً) أى اعتماداً (على مجادلته الكلام) أى مجادلته الخصام بما يعول عليه من أصول علم الكلام ويغتر به فيما بين الانام (فهو) أى وقت النزاع (حالة الانكشاف) أى انكشاف كل شيء على ما هو عليه كما قال تعالى (فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد) ف قوله هو علة لظهور بطلان البدعة، وأما قوله (واعتماد بطلان كل ما اعتقده) فبتبدأ وقوله (أو شكّه) بالجر عطف على بطلان الثاني، وقوله (لهذا) خبر المبتدأ أى واعتماد بطلان كل المعتقدات الصحيحة أو اعتماد شك كلها لهذا (السبب) وهو ظهور النزاع أى صار هذا الظهور سبباً لاعتقاد بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة، أو سبباً لاعتقاد شك الجميع. ويجوز كون قوله أو شكّه مرفوعاً عطفاً على قوله واعتماد، قيل وهو الارجح يعنى اعتماد بطلان الجميع لهذا السبب أو شك الجميع لهذا الباعث. والظاهر عندى انه فعل ماض عطفاً على اعتقده فتأمل، ثم حاصل كلامه انه جواب سؤال مقدر يترتب على قوله لظهور بطلان بدعة وتقرير السؤال، فان قلت: ظهور بطلانها بما يوجب الشك أو الحجرد في نفسها فقط دون بقية الاعتقادات الصحيحة وسوء الخاتمة المستلزم لخلود النار انما هو باعتقاد بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة أو الشك فيها كلها، فكيف يتصور سوء الخاتمة بهما في بدعة واحدة؟ فاجيب بما تقدم. وتوضيحه: ان المبتدع مهما كان بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعاً به متيقناً له عند نفسه لم يظن بنفسه انه اخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لا لتجأته فيه الى رأيه الكاسد وعقله الفاسد، بل ظن أن كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله وبرسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاداته الفاسدة الصريحة، فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سبباً لبطلان بقية اعتقاداته أو باعثاً لشكّه فيها، فاذا اتفق زهوق روحه في

وَوَرَدَ (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) الْآيَةَ وَالْمَعَامَلَةَ لَا تُتَافَاهُ وَالْبَلَّةُ بِمَعَزَلٍ عَنْهُ وَمَنْ ثُمَّ وَرَدَهُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبَلَّةُ

هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشك والعياذ بالله منه ، فقولاهم المرادون بقوله تعالى : (وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) (وورد) في التنزيل (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الآية) أى (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (والمعاملة) أى حسنها (لا تافيه) أى لا تعارض سوء الخاتمة واراد بالمعاملة الورع والزهد وسائر الاعمال الصالحة فانها لا تكفى لدفع هذا الخطر بل لا ينجى منه الا الاعتقاد الحق (والبله) جمع الابله (بمعزل عنه) أى عن خطر سوء الخاتمة فانهم هم الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر أيمانا بجملا راسخا لا اعراب والهجائز وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر العقلى استدلالا ، ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ، ولا اصغوا إلى أصناف أهل الكلام في تقليد آرائهم المختلفة التى تقتضى ضلالا واضلالا (ومن ثم ورد اكثر أهل الجنة البله) رواه البزار من حديث أنس ، ولذا منع الساف الكرام من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور بالغام ، وأمروا الخاق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله جميعه وبكل ما جاء من الظواهر من عنده مع اعتقاد نفي التشبيه ، ومنعهم من الخوض في التأويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كثرودة ومساالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة والقلوب لما القى اليها في ابتداء النشوء آلفة وبه متعلقة والتعصبات النائرة بين الخاق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين في أول الامر ثم الطبايع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنة آخذة وعن تمام الفكر صارقة فاذا فتح باب الكلام بالله وبصفاته بالرأى والمعقول وفي تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعى السكالم والاحاطة بكنهه ذى الجلال انطاعت السنهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصنفين اليهم وتأكد ذلك بطول الالف فيهم وأنسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت

أَوْ بِمُعَادَاتِهِ تَعَالَى لَعَلَّهُ بِتَفْرِيقِهِ تَعَالَى آيَاهُ وَتَأْلَمُ الْقُلُوبُ بِفَوَاتِهَا وَكَانَ يَسْتَوِي
حُبُّهَا عَلَيْهِ وَلِضَعْفِ إِيْمَانِهِ وَلَا يَكُونُ مِنْ ذِكْرِهِ تَعَالَى فِيهِ الْإَحْدِيثُ النَّفْسِ وَهُوَ
أَسْوَدُ مَنْ تَرَامُ ظِلَامُ الرِّذَائِلِ فَوَرَدَ (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ)
الْآيَةُ أَوْ بِأَمْرِ دُنْيَوِيٍّ كَانَ يُحِبُّهُ فَاحْتَجَبَ عَنْهُ تَعَالَى شُغْلًا بِهِ

سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم
ولكن الآن قد أسترخي العنان ونشأ الهذيان وترك كل جاهل على ما وافق طبعه بظن
وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنهم صفو إيمان وعرفان ويظن أن
ما تقع به من حدس وتخمين علم يقين بل عين يقين ولتعلمن نبأه بعد حين كما قيل
سوف ترى إذا أبحلى الغبار أفرس تحتك أم حمار
وينشد في حق هؤلاء عند كشف الغطاء :

أحسن ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسألتك الليالي فآغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

واعلم يقينا أن كل ما فارق الإيمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد
تعرض لخطر سوء الخاتمة وهذا ملخص ما في الأحياء (أو) سوء الخاتمة يقع (بمعاداته
تعالى) وهو من إضافة المصدر إلى مفعوله (لعله) أي لمعرفة العبد (بتفريقه تعالى
آياه) أي للعبد من الدنيا (وتألم القلب) أي ولتوجعه (بفواتها) أي بفوات الدنيا
ولذاتها (وكان يستولى حبها عليه) أي على قلبه (ولضعف إيمانه) بالله وبمآلديه (ولا يكون
من ذكره تعالى فيه الإحديث النفس) المحذور إليه (وهو) أي والحال أن قلبه
(أسود من ترام ظلام الرذائل) من سوء الأخلاق والشماثل فإن اتفق ذهوق وحق في
تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء سرمد أو هلك هلاكاً مؤبداً
ولا يظلم ربك أحداً (فورد) في التنزيل (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم
الآية) أي وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن
ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره
والله لا يهدي القوم الفاسقين (أو) سوء الخاتمة يحصل (بأمر دنيوي كان
يحب) العبد (فاحتجب عنه تعالى شغلاً) لذلك العبد (به) أي بالأمر الدنيوي

فَمَا اعْتَادُوا تَرْسُخَ فِي الْقَلْبِ لَا يَنْسَى كَمَا فِي النَّوْمِ وَهُوَ لِكَثْرَةِ الْمَعَاصِي مَعَ قُوَّةِ الْإِيمَانِ
أَوْ قِلَّتِهَا مَعَ ضَعْفِهِ وَهَذَا لَا يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ وَمِنْ ثَمَّ تَكَرُّهُ الْفُجَاءَةُ لِمَوَازِنَاتِهَا
عَلَى خَاطِرِ سُوءٍ وَتَغْبِطُ الشَّهَادَةُ لِاسْتِيلَاءِ حُبِّهِ تَعَالَى عَلَى الْقَلْبِ

(فما اعتادوا ترسخ) أي ثبت (في القلب لا ينسى كما في النوم) ويعرف هذا بمثال وهو لا يخفى عليك أن الإنسان يرى في منامه جملة من الأحوال التي عدها طول عمره حتى أنه لا يرى إلا ما يماثل مشاهداته في اليقظة فإن المراق الذي لم يحتمل لا يرى صورة الواقع إذ لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الواقع ثم لا يخفى أن الذين مضى عمرهم في التفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء ما لا يراه التجار الذي مضى عمرهم في التجارة والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بأسباب التجارة أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لأنه إنما يظهر له في حالة النوم ما حصل له من مناسباته مع القلب بطول الألف والموت يشبه النوم ولذا قيل الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ولكن الموت فوق النوم، وأما سكرات الموت وغشيانه فقريب من النوم فيقتضي بذلك تذكر المألوفات من الطاعات أو السيئات أو اللذات والشهوات ومن هنا يخالف منامات الصالحين والصالحات وقد قيل كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون ويشير إليه قوله تعالى (كما بدأكم تعودون) وطول المواظبة على الخير وتحلية الفكر عن الشر عذبة وذخيرة لحالة سكرات الموت وساعات الفوت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات لديه، ولذا قيل عن بقال كان يلقي عند الموت كلمة الشهادة وهو يقول خمسة ستة أربعة زيادة (وهو) أي الاحتجاب المذكور وسائر الأمور (لكثرة المعاصي مع قوة الإيمان أو قلة المعاصي مع ضعف الإيمان) (وهذا) الاحتجاب المذكور أو القسم المسطور من أقسام سوء الخاتمة (لا يوجب الخلود في النار) بخلاف الأولين من أقسام سوء الخاتمة فانهما يوجبان الخلود في دار البوار (ومن ثم) أي ومن أجل أن سوء الخاتمة يتحقق عند الزرع (تكره الفجأة) من الموت والبعثة المقتضية لبعض الفوت (لجواز اتفاقها) أي اتفاق وقوع الفجأة (على خاطر سوء) يكون سبباً لسوء الخاتمة (وتغبط الشهادة) أي تحب وتتمنى (لا استيلاء حبه تعالى) حيثئذ على القلب

وَأَعْرَاضَهُ عَنِ الدُّنْيَا وَهُوَ لِمَنْ يُخَاصُّ وَلَا يَقْصِدُ الْغَلْبَةَ وَالْغَنِيمَةَ وَالصَّيْتَ
وَالْعَلَّاجَ الْمَعْرِفَةَ وَلِزُومِ الطَّاعَةِ وَتَعْجِيلِ التَّوْبَةِ وَالنُّومِ عَلَى الطَّهَّارَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا
وَتَنْقِيَةِ الْقَلْبِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ النَّافِعِ فَلَا أَمْرَ صَعْبٍ وَمَنْ ثُمَّ يَرَوَى
عَنِ السَّافِ كَثْرَةَ النُّوحِ وَالْبُكَاءِ .

وأعراضه عن الدنيا (هو أقباله بكلية على الرب (وهو) أي هذا المقام (لمن يخلص) في الآخرة) ولا يقصد الغلبة (من أخذ البلاد وقهر العباد) (والغنيمة) من الأموال النفيسة والخدام الانيسة (والصيت) بالجاه والرياء والسمعة (والعلاج) للخلاص عن سوء الخاتمة (المعرفة) التامة من العلم النافع (ولزوم الطاعة) من العمل الصالح (وتعجيل التوبة) عن المعصية (والنوم على الطهارة ظاهرا) وهو ظاهر (وباطنا) بأن لا يكون في قلبه غل وغش لاحد من خلق الله فورد (من بات على طهارة ثم مات من ليلته مات شهيدا) رواه ابن السني عن أنس (وتنقية القلب) أي تصفيته وتخليته عن حب غير الرب (وتلاوة القرآن) غيا ونظرا مع مراعاة المباني ولاحظة المعاني (وطلب العلم النافع) من التفسير والحديث والفقه والتصوف (فالأمر) أي امر سوء الخاتمة (صعب) أي شديد ومر (ومن ثم يروى عن السلف) من الصحابة والتابعين (كثرة النوح والبكاء) مع زيادة التضرع والدعاء في السراء والضراء فقد قال الحسن البصري: يخرج رجل من النار بعد ألف عام باليتى كنت ذلك الرجل وإنما قال ذلك لخرف سوء الخاتمة ، وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا أذكرى أحدا غير رسول الله ولا أنبي الذي ولدني فنارت الشيمة عليه فجعل يذكر من فضائل على ومناقبه ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يكماخوفا من الله عز وجل فوحى الله اليهما لم تبكيان فقد امتنكما فقالا ومن يأمن مكرك رواه الطبراني وغيره وكأنتهما اذا علما أن الله علام الغيوب وأنه لاوقوف لهما على غاية الامور لم يأمن أن يكون قوله فقد امتنكما ابتلاء لهما وابتحانا ومكرأيهما حتى أن سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمنا من المكروما وفيما يقولهما هذا ، ولولا أن الله لطيف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحتترقت قلوبهم من نار الخوف فأسباب الرجاء للعارفين رحمة من الله لهم وأسباب الغفلة رحمة على عموم الخلق من وجه ، وكان أبو الدرداء يحلف بالله

والأحد أن على أيمانه أن يسلب عند الموت الأسلبة، وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله اذ قال (وقلوبهم وجلة) ولما احتضر سفيان جعل يبكي قهقرياً يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك فقال اوعلى ذنوبي ابني لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال ان التقى الله بامثال الجبال من الخطايا، وفي رواية عنه انه قال بكينا على الذنوب زماناً فالآن بكوا ناعلى الاسلام، وكان سهل يقول المرید يخاف ان يبطل بالمعاصي والعارف يخاف ان يبطل بالكفر، وروى عن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر، وفيه تنبيه عليه على ان خوف الانبياء اقوى وبه اشار حديث انا اخوفكم بالله والمعتمد ان الانبياء معصومون من الكفر اجماعاً بحسب النقل لكنهم كانوا خائفين من جهة تجوز العقل اذ لا يجب شيء على الله وان فعله اما العدل واما الفضل، وقد قيل كان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلاف ميل فيأتيه جبريل فيقول له الجبار يقرؤك السلام ويقول هل رأيت خيالاً يخاف خليله فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتى، وعن الحسن لو أعلم اني بريء من النفاق كان أحب إلى مما طلعت عليه الشمس، وقد قال الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلص من هذه المعاني بل صارت هذه الاور مألوفة بين الناس معتادة ومنسى كونها منكراً بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمانه عليه السلام فكيف الظن بزماننا هذا حتى قال حذيفة: ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهده عليه السلام فيصير بها منافقاً اني لاسمعهما من احدكم اليوم عشر مرات رواه احمد، وكان الصحابة يقولون انكم لتعملون اعمالاً هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعتدها على عهده عليه السلام من الكبائر رواه البخاري وغيره، وقال بعضهم علامة النفاق ان تذكره من الناس ما تأتي مثله وان تحب على شيء من الجور وان تبغض على شيء من الحق، وقيل من النفاق انه اذا مدح بشيء ليس فيه اعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال: كنا نعد هذا نفاقاً على عهده عليه السلام رواه احمد، وسمع رجلاً يذم الحجاج ويقع فيه فقال ارايت لو كان الحجاج حاضراً اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقاً على عهده عليه السلام، واشد من ذلك ما روى ان نفراً قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا

يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج سكتوا حياء. منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نقا على عهده عليه السلام، وكان حذيفة يقول أنه يأتي على القلب ساعة يمتلئ بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغزابة ويأتي عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغزابة، ولعلمهم ما عنوا به النفاق الذي هو ضد الايمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الايمان من بعض العصيان، والحاصل أن العارف بين الالتفات الى السابقة والى الخاتمة اللاحقة خافا منهما ولذا قال عليه السلام العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعقب ولا بعد الدنيا من دار الاجنة أو النار ذكره البيهقي وغيره، وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحوارين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا وبحق أقول لكم أن اكل الشعير والنوم على المزابل مع السكلاب في طلب الفردوس قليل ويروى عن الصديق أنه قال لطائر ليتني كنت مثلك باطرا ولم اخق بشرا، وقال أبو ذروددت لو أني لشجرة تمعد وكذا قال طلحة، وقال عثمان وددت أني اذا مت لم ابعث وقالت عائشة وددت أني كنت حيفة ونسبا منسيا وروى أن عمر كان يسقط من الخوف فاذا سمع آية من القرآن خر مغشيا عليه وكان يعاديا ما واخذ يوما تبة من الارض وقال ياليتني كنت مثل هذه التبة ياليتني لم اك شيئا مذكورا ياليتني كنت نسيا منسيا ياليت أمي لم تلدني وكان في وجه عمر خطان أسودان من الدموع ولما قرأ عمر (إذا الشمس كورت) فأنهى الى قوله (وإذا الصحف نشرت) خر مغشيا عليه، ومروما بدار انسان وهو يصلي ويقرأ سورة والطور فوقه يستمع فلما بلغ قوله تعالى (أن عذاب ربك لواقع ماله من دافع) نزل عن حمائه واستند الى حائط فكث زمانا ورجع إلى منزله فرض شهرا يموده الناس ولا يمر فون مرضه، وقال على كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الصبح وقد علاه كآبة وهو يقرب يده لقد رأيت أصحابه عليه السلام فلم أر اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صغرا شعثا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوون بين جباههم وأقدامهم فاذا أصبحوا وذكروا مادروا كما تمد الشجرة في يوم الريح فهبات أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله كائن بالقوم باتوا غافلين يعني من حره ثم قام فما روى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ماجه، وقال عمران بن حصين لوددت أني كنت رمادا نسفني الرياح في يوم عاصف وقال أبو عبيدة بن الجراح وددت أني كبش فيذبحنى

أهل فيأكلون لحمي ويمتسون مرقى ، وكان على بن الحسين اذا توضأ اصفر لونه فيقول له
أهله ما هذا الذي يمتادك عند الوضوء؟ فيقول اتدرون بين يدي من اريد أن اقوم، وقرأ
مضر القارى يوما (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا) الآية فبكى عبد الواحد بن
زيد حتى غشى عليه وقال وعزتك وجلالك لاعصيتك جهدى ابدا فاعنى بتوفيقك على
طاعتي ، وكان المسور بن مخرمة لا يقوى على أن يسمع القرآن من شدة خوفه واقد كان
يقرأ عنده الحرف او الآية فيصبح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من خثعم
فقرأ عليه (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا)
فقال انا من المجرمين ولست من المتقين فقال اعد على القول ايها القارى فاعاد عليه فشقي
شمة فلحق بالآخرة ، وروى ان زرارة بن اوفى صلى بالناس صلاة الغداة فلما قرأ
(فاذا نقرى الناقور) خر مغشيا عليه لحمل ميتا ، وسئل ابن عباس عن الخائفين فقال
قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت وراءنا والقبر
أمامنا والقيامة موعدا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقنا ، وقال عمر بن
عبد العزيز انما جعل الله الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يموثوا من خشية الله ، وقال
الفضيل انى لا اغبط نيا مرسلا ولا ملكا مقربا اليك هؤلاء يعاتبون يوم القيامة انما
اغبط من لم يخلق، وروى ان فتى من الانصار دخلته خشية النار فبكى حتى حبسه ذلك
في البيت فجاء عليه السلام ودخل البيت فاعتقه فخر ميتا فقال عليه السلام : جهروا
بمتكم فان الفرق من النار قتلت لبدته رواه ابن ابي الدنيا والبيهقى في الشعب من حديث
سهل بن سعد ، وقال العنبرى اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع
عليهم من كوة وهو يبكى ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم
ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع ودعاء كدعاء الغريق انما هذا
زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ماتعرف ودع ماتنكر ، وقال
رجل للحسن بابا سعيد كيف أصبحت فقال بخير فقال كيف حالك فبسم الحسن فقال
تسألنى عن حالى ما ظنك بناس قد ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم
فتعلق كل انسان منهم بخشبة على أى حال هم قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن
حالى أشد من حالهم ، وعن ابن السماك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود اما في الجنة
اوفى النار، وقال معاذ بن جبل أن المؤمن لا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه
وخلاصة الكلام في هذا المقام أن غلبة الخوف حال الصحة أصالح ليعثه على ترك الغفلة
وغلبة الرجاء في تلك الحالة أصالح لانه اجلب للمحبة ولذا قال عليه السلام : « لا يمتن

(البَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ فِي الْفَقْرِ وَالزُّهْدِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ الْفَقْرُ فَقْدُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَإِنْ فَرِحَ بِالْفَقْدِ وَكَرِهَ
الزَّائِدَ عَلَى الضَّرُورَةِ فَرَاهِدٌ وَإِنْ لَمْ يَكْرِهْ

أحمد بن الأوهب يحسن الظن بربه، رواه مسلم من حديث جابر، ومن هنا لما حضر
الوفاة سألهم أن التيمي قال لابنه يابن حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى أتى الله
حسن الظن به، وكذلك لما حضر الوفاة الثوري واشتد جزعه جمع العلماء حوله
يرجونه، وقال الامام أحمد عند الموت لابنه اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن
الظن، والمقصود من ذلك أن يحبب الله إلى نفسه وأن يموت مع المحبة التي هي مقام
أنسه رزقنا الله من فيض قدسه ۝

(البَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ فِي الْفَقْرِ وَالزُّهْدِ)

الفقر نحر الانبياء وذخر الاولياء والزهد زاد الاتقياء، وقدم الفقر على الزهد بناء
على تقدم وجود أصله في كل مخلوق ونسله كما يشير إليه قوله تعالى (والله الغني وأنتم
الفقراء) والزهد عارض من جهة عدم ميله إلى الغنى المضر لوصول نيله (بسم
الله الرحمن الرحيم) افتقر إلى غنى ربي الكريم وأزهد عن غير لقاء مولاي
العظيم (الفقر) عند الصوفي (فقد ما يحتاج إليه) في ظن الفائد بما لديه أما فقد
ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقرا وإن كان المحتاج إليه وجودا مقدورا عليه لم يكن
المحتاج إليه فقيرا وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله سبحانه
فهو فقير لانه محتاج إلى دوام الوجود في ثانی الحال ودوام وجوده مستفاد من
فضل الله وجوده وأن كان في الوجود وجود ليس وجوده مستفاد منه من غير فهو الغنى
المطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الموجود الا واحد فليس في الوجود الا غنى واحد
وكل ما عداه محتاج إليه في ايجاده وامداده، وإلى هذا الحصر اشير في قوله تعالى (والله
الغني وأنتم الفقراء) وهذا معنى الفقر مطلقا ولكن المراد هنا بيان الفقر من المال
على الخصوص والافتقر العبد بالاضافة إلى أصناف حاجاته لا ينحصر (فان فرح)
السالك (بالفقد) المذكور أو بمحصول ما يحتاج إليه (وكره الزائد على الضرورة)
فيما لديه (فزاهد) أي فهو زاهد وهذه الحالة حالة عليا (وان لم يكره)

وَلَمْ يَرْغَبْ فَرَأَى وَوَرَدَ يَامَعْشَرَ الْفُقَرَاءِ اعْطُوا اللَّهَ الرِّضَاءَ مِنْ قُلُوبِكُمْ تَنْظُرُوا ثَوَابَ
فَقَرِّكُمْ وَأَنْ تَرَكَ الطَّلَبَ مَعَ أَنَّ الْوُجُودَ عِنْدَهُ أَحَبُّ قَقَانِعٍ وَأَنْ رَغِبَ وَتَرَكَ
لِلْعَجْزِ فَخَرِيصٌ وَأَنْ اضْطَرَّ إِلَيْهِ وَفَقَدَهُ فَضْطَرَّ وَالْأَعْلَى تَسْوِيَةُ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ

الزائد على الضرورة كراهة بفأذى بوصوله (ولم يرغب) في الزائد على الضرورة
رغبة يفرح بمصوله (فراض) أى فاسمه راض ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه
انكار على الله ولا كراهة في فعله ، ولاء تلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر في
عقباء (وورد يامعشر الفقراء) أى جماعتهم (اعطوا الله الرضاء من قلوبكم) تنظروا
ثواب فقركم (وتنعم الحديث والا فلا رواه الديلمي عن أبي هريرة ، ويكاد مفهوم
الحديث يشعر بان الحريص لا ثواب له على فقره لكن العمومات الواردة في فضل
الفقر والقناعة والزهد تدل على أن له ثوابا فاعل المراد بعدم الرضاء هو الكراهة بفعله
سبحانه في حبس الدنيا عنه (وأن ترك الطلب) أى طلب الزائد على الضرورة وهو
قادر على طلبه ولكن تركه (مع أن الوجود) أى وجود المال الزائد (عنده أحب)
من عدم وجوده لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن يكون من طلبته بل أن اتاه عفوا
صفوا اخذه وفرح به وان افتقر إلى تعب في طلبه لم يشتغل به (ققانع) أى فيقال له
قانع اذ قنع نفسه بالوجود حتى ترك طلب المفقود مع ما فيه من الرغبة الضعيفة في
الوجود (وان رغب) في الزائد ولو وجد سيلا إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه (وتركه للعجز)
أى وترك الطلب لعجزه عن طلبه أو هو مشغول بالطلب وتعبه (فخرىص) أسمه (وأن
اضطرا إليه) أى افتقر إلى ما يحتاج إليه (وفقده) أى وفقده ضرر عليه كالجائيم الفاقد
للخبر والمارى الفاقد للثوب (فضطر) وصفه كيف ما كانت رغبته في الطلب
ضعيفة أو قوية وقل ما يتفك صاحب هذه الحالة عن الرغبة في الجملة (والأعلى)
من الفقر أو من الزهد أو أعلى الأحوال الحسن (تسوية الوجود) أى وجود ما يحتاج
إليه من المال (والعدم) أى وقد ما يحتاج إليه فان وجدته لم يفرح من ثباته ولم يتأذ
عن اتيانه وان فقده كذلك كحال عاتمة اذ اتاها مائة ألف درهم من العطاء فاخذته
وفرقته من يومها فقالت خادمتها الوابقت منها درهما تشتري لنا به لحما فطر به فقالت
لو ذكرتني فعلت فمن هذا حاله لو كانت الدنيا بخذا فيرها في يده وخزائنها في تصرفه

فَهُوَ اسْتِغْنَاءٌ دُونَ الْغِنَى لِاخْتِصَاصِهِ بِهِ تَعَالَى وَهُوَ الْمُرَادُ بِمَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الْفَقْرِ

لم تضربه اذ هو يرى الاموال من جملة خزائن الملك المتعال لا في يده نفسه فلا يفرق بين أن تكون في يده او في يد غيره وقد حملت خزائن الارض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر فاخذوها ووضعوها في مواضعها ولم يكن عندهم فرق بين الماء والمال في كل الحال (فهو استغناء دون الغنى) المطلق (لاختصاصه) أي الغنى المطلق (به) أي بالحق (تعالى) شأنه ويدفعني أن يسمى صاحبه المستغنى لأنه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا، وقد يقال له غنى بغنى مولاه لخبر ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس، ثم هذا العبد وان استغنى عن المال ووجودا وعدها لم يستغن عن اشياء اخر سواء ولم يستغن عن مدد توفيق الله ليبقى استغناؤه الذي زين الله تعالى به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمسقة غنى عنه حر والله تعالى هو الذي اعتقه عن هذا الرق فهو محتاج إلى درام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في اوقات متقاربة لانها بين أصميين من أصابع الرحمن فلذا لم يكن اسم الغنى مطلقا عليه مع هذا الكمال الاجازا (وهو) أي الاستغناء (المراد بما ورد) من الكتاب والسنة (في فضل الفقر) والفقراء كقوله تعالى (للفقراء المهاجرين) الآية (وللفقراء الذين أحصروا) الآية ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالمجرة والاحصار، وكقوله عليه السلام لبلال، قال الله فقيرا ولا تلقه غنيا، رواه الحاکم من حديث بلال والطبراني من حديث أبي سعيد بلفظ متفق، ولا تمت غنيا، وقوله يدخل فقراء أمي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح، وقوله الفقراء أزين بال مؤمن من العذار الحسن على خد الفرس رواه الطبراني من حديث شداد بن أوس، وقوله اطلمت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلمت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو باسناد جيد وللشيخين من حديث اسامة بن زيد قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين وإذا أصحاب الجدد محبسون وقوله تحفة المؤمن في الدنيا الفقراء رواه محمد بن حنيفة الشيرازي في شرف الفقراء، والديلمي من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به، وقوله آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي رواية رأته دخل الجنة زحفا، والديلمي عن أبي الدرداء مرفوعا

أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى اذ رأيت الفقير مقبلاً فقل مرحباً بشعار
 الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت دقوبته، وروى أن عيسى عليه السلام
 مر في سياحته برجل ناتم ملتف في دباءة فابقظه وقال يا ناتم قم فاذا ذكر الله فقال ماتريد
 مني انى قد تركت الدنيا لاهلها فقال له نعم اذن حبيبي نعم، وقال موسى عليه السلام يارب
 من أجبائك من خلفك حتى أجبهم فقال كل فقير فقير فيحتمل أن يكون الثاني تأكيداً
 وان يكون المراد به شديد الفقر، وكان عيسى عليه السلام احب الاسامى اليه ان يقال له
 يا مسكين، ولا يابى الشيخ من حديث انس يقول الله عز وجل يوم القيامة ادنوا منى احيائي
 فتقول الملائكة ومن أجبائك فيقول فقراء المسلمين فيدنون منه فيقول إمامانى لم ازل الدنيا
 عنكم بهوان كان بكم ولكن اردت بذلك ان اضعف لكم كرامتى اليوم فتمنوا على
 ما شتم ولا يابى نعيم في الخلية من حديث الحسين بن علي اتخذوا عند الفقراء ايا دى فان لهم
 دولة يوم القيامة والطبراني من حديث أنى امامة دخلت الجنة فسمعت حركة امامى
 فنظرت فاذا بلال فظرت الى اعلاها فاذا فقراء امتى واولادهم ونظرت فى اسفلها
 فاذا فيهم الاغنياء والنساء قليل ففقت يارب ما شأنهم قال أما النساء فاضرتن الاحمران
 الذهب والحريير وأما الاغنياء فاشتعلوا بطول الحساب فتفقدت أصحانى فلم أر
 عبد الرحمن بن عوف ثم جاني بعد ذلك وهو يبكى ففقت ما خلفك عنى فقال أما والله
 يا رسول الله ما خلصت اليك حتى اقيت المشديات فظننت أنى لا اراك قلت لم قال كنت
 احاسب بمالى ، ولا بن ماجه بسند جيد من حديث معاذ الاخير لم عن ملوك الجنة قالوا
 بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف ذى طمرين لا يؤبه به لواقسم على الله
 لا يره، وللحالم والترمذى من حديث عائشة أنه عليه السلام قال لها ان اردت للحرقي
 فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقيه، وعن ابن
 عباس ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقير، وقال لقمان لابنه لا تحقرن احداً الخلفان
 ثيابه فان ربك وربى واحد ، وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من اخلاق المرسلين
 وايتبارك لمجالستهم من علامات الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامات المنافقين،
 وقال المؤمل ما رأيت الغنى اذل منه فى مجلس الثورى ولا رأيت الفقير اعز منه فى مجلس
 الثورى، وللدارقطنى وغيره من حديث ابن عمر ان لكل شىء مفتاحاً ومفتاح الجنة حب
 المساكين والفقراء الصبرهم جلساء الله يوم القيامة وفى الصحيحين من حديث أنى
 هريرة اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفى رواية لمسلم كفا قالوا بن ماجه من حديث أنس
 ما من أحد غنى ولا فقير الا رد يوم القيامة أنه بان اوتي قوتا فى الدنيا، وللديلمي يقول الله

أَمَّا وَرَدَ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَنَحْوِهِ فَمَحْمُولٌ عَلَى الْاضْطِرَارِّ، وَاخْتِلَافٌ فِي أَنَّ
الْفَقْرَ أَفْضَلُ أَمْ الْغِنَى؟

تعالى يوم القيامة ابن صفوق من خلق؟ فتقول الملائكة ومن هم ياربنا فيقول فقراء
المسلمين القانعين ببطاني الراضين بقضائي ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون
ويشربون منها والناس في الحساب يترددون ﴿أما ما ورد أعوذ بك من الفقر﴾ كما للانساق
من حديث أبي سعيد الخدري أنه عليه السلام كان يقول أعوذ بالله من الفقر والفقير
وفي رواية للحاكم من الفقر والكفر ﴿ونحوه﴾ من حديث كاد الفقر أن يكون كفرا
وقد تقدم ﴿فمحمول على الاضطرار﴾ بلا انضمام زهد في الاختيار وهو أن يضطر
الى الشيء ويفقده لأن هذه الحالة لاشك أنها مشوشة او محمول على فقر القلب فمن
ذو الذنوب اقرب الناس إلى الكفر ذوقا لا صبرا ، وفي الجملة كل ما هو شاغل عن المولى
فهو شؤم في الدنيا والاخرى ، ومن هنا ورد أعوذ بك من شرفة الفقر وشرفة
الغنى فان الفقير يكون منسيا إذا أن الغنى يكون مطفئا هذا وسنذكر فضل الزهد في محله الآتي
وأما الآثار في الرضى والقناعة فكثيرة منها قول عمر رضى الله عنه أن الطمع
فقر والياس غنى وأنه من يئس عما في ايدي الناس وقنع بما في يده استغنى عنهم وفي
دعائه عليه السلام اللهم قننى بما رزقتنى وبارك لى فيه ، وقد قيل في القناعة

اضرع الى الله لا تنزع الى الناس واقنع بياس فان العز في الياس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم أن الغنى من استغنى عن الناس

وقال ابن مسعود مامن يوم الأولئك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك
خير من كثير يطغيك ، وقال أبو الدرداء مامن أحد الا وفي عقله نقص وذلك أنه اذا
اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا وسرورا والليل والنهار دائبين في دمه عمره ثم لا يحزنه
ذلك ويحج ابن آدم ما يرفع ما يزيد ومهر ينقص، وقيل لبعض الحكماء ما الغناء فقال قل
تمنيك ورضاك بما يكفيك ، ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ما جا وبقلا
فقال له يا ابا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا فقال أولا ادلك على من رضى بشر
من هذا؟ قل بلى قال من رضى بالدنيا عوضا عن العقبى، وروى أن الله عز وجل قال
في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا ظهالك لم يكن لك منها الا القوت
فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها إلى غيرك فانا عمن اليك ﴿واختلاف
في أن الفقر﴾ مع الصبر ﴿أفضل﴾ من الغنى مع الشكر ﴿أم الغنى﴾ مع الشكر أفضل

وَالْحَقُّ الْاِخْتِلَافُ بِحَسَبِ الْأَشْخَاصِ فَالْفَضْلُ يَقْدَرُ الْفَرَاغُ عَنِ الشَّوَاغِلِ وَالْدُّنْيَا
إِنَّمَا حَذَرَ عَنْهَا

من الفقر مع الصبر فذهب الجنيّد والخواص والا كثرون إلى فضل الفقر وخالفهم ابن عطاء
كما تقدم وقد استدل عليه بان الغنى وصف الحق واجيب بان غناه سبحانه ليس بالاسباب
فانقطع ولم ينطق في هذا الباب، واجيب أيضا بان التكبر من صفات الحق فينبغي أن
يكون أفضل من التواضع ثم قيل بل هذا يدل على أن الفقر أفضل لان صفات العبودية
أفضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينزع فيها لما ورد
الكبرياء ردائي والعظمة ازارى فمن نازعنى فيهما قصمته، وقال سهل حب العز والبقاء
شرك في الربوبية ولا منازعة فيهما لانهما من صفات الله قلت ويشير اليه قوله تعالى
(والله الغنى واتم الفقراء) ثم التحق بان الفقر والغنى إذا اخذا مطلقا لم يشك
من قرأ الاخبار والآثار في تفضيل الفقر وانما يتصور التردد في مقامين احدهما فقير
صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع وراض بالاضافة إلى غنى ينفق ماله
في الخيرات ليس حريصا على امساك المال وثانيهما فقير حريص مع غنى حريص
اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغنى الحريص الممسك وان الغنى المنفق ماله في
الخير خير من الفقير الحريص اتفقا واما الاول فربما يظن ان الغنى افضل من الفقير لانهما
تساويا في ضعف الحرص على المال والغنى متقرب بالخيرات والفقير عاجز عنه وهذا
هو الذى ظنه ابن عطاء في غالب الظن فأما الغنى المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا
يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ماسيأتى من سؤال الفقراء عما يورثهم
ترجيح الاغنياء (والحق الاختلاف بحسب الأشخاص) بل وتفاوت الاحوال كما يشير
اليه قوله تعالى (ان ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا)
وفي الحديث القدسي « ان من عبادى من لا يصلحه الا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله وان
من عبادى من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله » وفي دعائه عليه السلام « اللهم
وسع لى في رزقى عند كبر سنى » ومن هنا قيل التسليم أسلم ومقام الرضاء انم والله أعلم
ويؤيده قوله تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو
شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (فالفضل) أى زيادة الفضيلة (بقدر الفراغ عن
الشواغل) أى الموانع عن تحصيل الفضائل (والدنيا انما حذر عنها) أى عن حبها

لِلشَّغْلِ عَنْهُ تَعَالَى وَكَمْ مِنْ فَقِيرٍ شَغَلَتْهُ وَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ لَمْ تَشْغَلْهُ كَسَلِيَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَمَا فِي حَقِّ الْأَكْثَرِ فَالْفَقْرُ أَذْهُوَ أَمْ بَعْدُ عَنِ الْخَطَرِ وَالْأَنْسِ
بِالدُّنْيَا وَالْقُدْرَةِ عَلَى الشَّهْوَةِ

(لِلشَّغْلِ عَنْهُ تَعَالَى) بسببها وتوضيحه أن ما لا يرا دبعينه بل يرا دغيره فيلغى أن يضاف
إلى مقصوده أذبه يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها بل لكونها عاتقة عن الوصول
إلى الله ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لأن فيه فقد العائق عن الله سبحانه (وكم
من فقير شغلته) الدنيا وحبا وكسبها وصرفه الفقر عن المقصد فأكثر ابتلاء الدنيا
(وكم من غني لم تشغله) الدنيا ولولا أثر في ما لها وجاءها (كسليان عليه السلام)
وداود وإبراهيم (وعبد الرحمن بن عوف) وعثمان بن عفان وذلك لأن غاية المقصد
في الدنيا هو حب الله والأنس به ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة
مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كأن الغنى قد يكون من الشواغل
فأشير إليه قوله عليه السلام «أعز بك من شرفة الفقر وشرفة الغنى» فالتقدم وإنما
الشاغل على التحقيق حب الدنيا ولا يجتمع معه حب الله في القلب، والمحبة للشئ مشغول به
سواء كان وفراقه أوفى وصاله، وربما يكون شغله في الفراق أكثر، وربما يكون في الوصال
أكثر، والدنيا مبهمة مشوقة للغافلين، فالمحروم منها مشغول بطلبها، والقادر عليها مشغول بحفظها
والتمتع بها (أما في حق الأكثر فالفقر) أفضل (أذ هو أبعد عن الخطر) في الشغل عن
المولى (والأنس) أي وعن الاستيناس (بالدنيا والقدر) أي وعن القوة
(على الشهوة) إذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء، ومن العصمة أن لا تقدر، ولذا
الصحابة: بليغا بفتنة الضراء فصبرنا، وبليغا بفتنة السراء فلم نصبر. ومن هنا قال عيسى
عليه السلام: لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم. وفي
الخبر «إن لكل أمة مجلا وعجل هذه الأمة الديقار والدرهم» رواه الديلمي من طريق أبي
عبد الرحمن السلمي من حديث حذيفة. وكان أصل عجل قوم موسى عليه السلام من
حلية الذهب والفضة أيضا، فاستواء المال والماء والذهب والحجر إنما يتصور للانبياء
والأولياء، ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله بطول المجاهدة هنالك إذ كان عليه السلام
يقول للدنيا «إليك عنى إليك عنى» إذ كانت تعمل له بزيتها، رواه الحارثي. وكان

الْأَفَى الْمُضْطَرُّ لِأَنَّهُ يَمُوتُ جَبْرًا وَالْوَا جِدُ يَحْصُلُ الْمَعْرِفَةُ الْآمَنُ لَا يَتُوبُ عَنِ الْمَعَاصِي
فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ وَكَذًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَوَرَدَ اللَّهُ أَحْبَبْنِي مَسْكِينًا وَأَمْتَنِي مَسْكِينًا
وَأَحْشَرْنِي فِي زَمْرَةِ الْمَسَاكِينِ بَلَّغْ عَنِّي الْفُقَرَاءُ أَنَّ لِمَنْ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ خِصَالٍ
لَيْسَتْ لِلْأَغْنِيَاءِ أَمَّا الْخِصْلَةُ الْوَاحِدَةُ فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ كَمَا يَنْظُرُ أَهْلُ
الْأَرْضِ إِلَى بُحُورِ السَّمَاءِ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَبِيٌّ فَقِيرٌ أَوْ شَهِيدٌ فَقِيرٌ أَوْ مُؤْمِنٌ فَقِيرٌ وَالثَّانِيَةُ

على كرم الله وجهه يقول : يا صفراء غري غري ، يا بيضاء غري غري ، وذلك
لاستشعاره في نفسه ظهور مبادئ الاغترار بها لولا أن رأى برهان ربه (الافى
المضطرب) فليس الفقراء افضل في حقهم (لانه) أى المضطرب (يموت جبرا) أى غالبا
عن الخير قهرا ، وقد يكون ذلك كفرا (والواجد) بالنصب عطا على الضمير وبالرفع
على انه مبتدا خبره (يحصل المعرفة) والجملة حال (الامن) استثناء من المستثنى
أى الا مضطرب (لا يتوب عن المعاصي فالموت خير له) أى فالفقر الموجب للموت خير له ،
اذ تقل معاصيه في الديار ويتخلص هو عن ألم الاضطراب (وكذا في نفس الامر)
أى وذا ان الفقر افضل في حق الاكثر فكذا هو افضل في نفس الامر (فورد اللهم
أحببني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين) رواه الترمذى من حديث
انس وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبى سعيد . وفيه مبالغة عظيمة
في مدح المساكين حيث لم يقل واحشرم في زمرة ، وهو أمتواضعت منه عليه السلام واما
اراد بهم الانبياء والمرسلين لان غالبيتهم كانوا فقراء ومساكين ، وفي رواية للترمذى زيادة
يوم القيامة ، فقالت عائشة : لم يارسول الله ؟ قال : «انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بأربعين
خريفا» (بالغ عنى) خطاب منه عليه السلام لمن جاء برسالة (الفقراء) من أصحابه الكرام
والمعنى اخبر من قبل الفقراء تسلية لهم حيث ما جعلوا اغنياء (أن لمن صبر) على الفقر
(واحتمسب) أى طلب من الله الاجر (منكم) ومن أمتاكم (ثلاث خصال) مختصة
لكم (ليست للأغنياء) واحدة منها فضلا عن جميعها (أما الخصلة الواحدة فان في الجنة
غرفا) أى قصورا عالية (ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها
إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير) وهو من لا يكون صاحب نصاب (والثانية

يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ وَالثَّلَاثَةُ إِذَا قَالَ
الْغَنِيُّ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَقَالَ الْفَقِيرُ مِثْلَ ذَلِكَ لَمْ
يُلْحَقِ الْغَنِيُّ بِالْفَقِيرِ وَأَنْ أَنْفَقَ مَعَ عَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَكَذَلِكَ أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا مَنْ جَاءَ
بِرِسَالَةِ الْفُقَرَاءِ أَنَّ الْأَغْنِيَاءَ يَحْجُونَ وَيَعْتَمِرُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَنَحْنُ عَاجِزُونَ عَنْ ذَلِكَ

يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام وهذه الجملة رواها
الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه (والثالثة إذا قال الغنى سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير وأن أنفق مع عاشره
آلاف درهم ، وكذلك أعمال البر كلها من جاء) متعلق يبلغ غنى أى قال النبى عليه
السلام من جاء (برسالة الفقراء أن الاغنياء) يجوز فتح أن وكسرهما (يحجون ويعتَمرون
ويتصدقون) بفضول أموالهم (ونحن عاجزون عن ذلك) في تمام أحوالهم وفي الأحياء :
روى في الخبر « أن الفقراء شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء
بالخيرات والصدقات ، والحج والجهاد ، فعلمهم كلمات في التسبيح وذللهم أنهم ينالون بها
فوق ما نال الاغنياء فعلم الاغنياء بذلك فكانوا يقولونه ، فعادوا إلى رسول الله ﷺ
فاخبروه فقال عليه السلام « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » قال مخرجه متفق عليه
من حديث أبي هريرة ونحوه انتهى . وقال في الأحياء أيضا : وقد استشهد ابن عطاء
بهذا أيضا قال وفيه نظر لان الخبر قد ورد انفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك
وهو أن ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغنى ، وأن فوزهم بذلك الثواب هو
(فضل الله يؤتيه من يشاء) فقد روى زيد بن اسلم عن أنس قال « بعث الفقراء رسولا
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أنى رسول الفقراء إليك ، فقال
مرحبا بك وبمن جئت من عندهم ، جئت من عند قوم أحبهم الله ، قال قالوا يا رسول
الله أن الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا تقدر عليه ، ويعتَمرون ولا تقدر عليه ، وإذا
مرضوا بئسوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم ، فقال عليه السلام بلغ غنى الفقراء ، الحديث
قال مخرجه : لم أجده هكذا بهذا السياق . والمعروف في هذا المعنى ما رواه ابن ماجه
من حديث ابن عمر « اشتكى فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما فضل الله به عليهم أغنياءهم ، فقال يا معشر الفقراء ألا ابشركم أن فقراء المهاجرين

وَلَاَنَّ الْغَنَى سَبَبُ طُولِ الْحِسَابِ وَالْغُرُورُ فَإِنْ عُرِضَ بَأَنَّ الْغَنَى صِفَتُهُ تَعَالَى
وَالْتَخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ مَدُوبٌ إِلَيْهِ وَبَأَنَّ الْغَنَى قَادِرٌ عَلَى الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ دُونَ الْفَقِيرِ لَمْ
يُعْتَرِضْ لِأَنَّ الْغَنَى بِالْأَسْبَابِ وَالْأَعْرَاضِ لَيْسَ مِنْ خُلُقِهِ تَعَالَى كَالْتَكْبِيرِ دُونَ اسْتِحْقَاقِ

يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام ، (ولان) عطف على
ورد فهو دليل ثان على أن الفقر أفضل في نفس الامر وذلك لان (الغنى سبب
طول الحساب) وهو نوع من العذاب ، ولذا قال أبو الدرداء : ما أحب أن لي حانوئا على
باب المسجد ولا تحطئني صلاة ولا ذكر واربح كل يوم أربعين دينارا ، واتصدق بها في
سبيل الله ، قيل وما تكره ؟ قال سوء الحساب . وعن هنا قال شقيق : اختار الفقراء
ثلاثة اشياء : راحة النفس ، وفراغ القلب ، وخفة الحساب . واختار الاغنياء ثلاثة
اشياء : تعب النفس ، وشغل القلب ، وشدة الحساب (والغرور) أى وسبب طول
الغرور في الامور الموجبة للحجاب ، فقد قال بعض السلف : مثل من تبدو هو في طلب
الدنيا كمثل من يطفى النار بالحلفاء ، ومثل من يفصل يده من الغمر بالسك ، وقال أبو سليمان
الداراني : تنفس فقير في شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنى الف عام ، وعن
الضحاك قال : من دخل السوق فرأى شيئا يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا لله من الف
دينار ينفقها كلها في سبيل الله عز وجل . وقال رجل لبشر بن الحارث : ادم الله
لي فقد أضرتني العيال ، فقال : إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله
لي في ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائي . وكان يقول : مثل الغنى المتعبد مثل
روضة على مزبلة ، ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر على جيد الحسنة . وقد
كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء (فان عورض) ما ذكر من ادلة تفضيل
الفقر على الغنى (بان الغنى صفة تعالى والتخلق باخلاقه مندوب اليه) كما ورد وتخلقوا
باخلاق الله ، (وبان الغنى قادر على العبادات المالية) من الزكاة والحج والعمرة
(دون الفقير) أى بخلافه (لم يعترض) أى لم يقبل اعتراضه في الامرين فهما الف
ونشرهما مرتبا قوله (لان الغنى بالاسباب والاعراض) الواقعة من غير الاسباب
(ليس من خلقه) أى صفة (تعالى كالتكبر) هما (دون استحقاق) للغنى والكبرياء
وذلك لان الله غني بذاته لا بما يتصور زواله والتكبر لا يليق بالبعد لانه من خاصة صفاته

وَالْعِبَادَةُ الْمَالِيَّةُ إِنَّمَا تُوجِبُ الثَّوَابَ لِمَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا كَالْتَّوْبَةِ لِمَنْ تَرَكَ الذَّنْبَ فَلَوْ فَضِّلَ
 الْغَنَى عَلَى الْفَقِيرِ لَفُضِّلَ الْعَاصِي عَلَى الْمُتَّقِي وَحَقُّهُ أَنْ لَا يَكْرَهُهُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ فَعَلَهُ
 تَعَالَى بَلْ يَتَقَلَّدُ مِنْهُ الْمُنَّةَ كَتَقَلَّدِ الْمَحْجُومِ مِنَ الْحَاجِمِ وَالْأَيَّامُ وَيَسْتَرَاهُ
 بِالتَّجَمُّلِ وَالتَّعَفُّفِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ

اللائقة بذاته كما أوضحناه فيما تقدم (والعبادة) أي ولان العبادة (المالية إنما
 توجب الثواب) في العقبى (لترك الدنيا) للاشتغال بخدمة المولى (كالتوبة) في الدنيا
 توجب المثوبة في الآخرة (لترك الذنب) أي غفلة المولى (فلو فضل الغنى على
 الفقير) بهذا الاعتبار (لفضل العاصي على المتقي) أي الطائع من الأبرار وهو لا يصح
 عند أولى الاستبصار (وحقه) أي حق الفقير الواجب عليه عشرون حقاً (أن لا يكرهه)
 أي الفقر (من حيث أنه فعله تعالى) شرعاً وأن كان كارهاً للفقر طبعاً، كالمحجوم يكون
 كارهاً للحجاء ولا يكره فعل الحجام إلا كارهاً للحجامة (بل) ربما (يتقلد منه)
 سبحانه (المنة كتقلد المحجوم) أي كتقلده المنة (من الحاجم) ثم عدم الكراهة
 من هذه الحيثية واجب وتقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر، وهذا معنى قوله (والأيام)
 أي وأن لم يحبه من حيث أنه فعله تعالى بأثم لعدم الرضا بالقضاء وهو واجب على العباد شرعاً
 وأن كان الفقر مكروهاً عنده طبعاً وارفح من هذا المقام أن لا يكون كارهاً للفقر بل يكون
 راضياً به وارفح منه أن لا يكون طالباً له وفرحاً به لعله بغوائل الغنى ويكون متركلاً في باطنه
 على الله تعالى وثقاً به في قدر ضرورته أنه يأتيه الرزق لا محالة عند المولى، ويكون كارهاً للزيادة
 على الكفاف، وقد قال على كرم الله وجهه: أن الله عقوبات للفقر ومثوبات بالفقر، فمن علامة
 الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع به به، ولا يشكو حاله، ويشكر الله تعالى
 على فقره. ومن علامته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويهضم به ويكثر الشكاية والتسخط
 بالقضاء، وهذا آداب باطنه مع ربه (ويستر) أي وحق الفقير في ادب ظاهره أن يستر
 (أمره) ويكتم فقره ويستتر أيضاً سره فقد قال بعضهم: ستر الفقر من كنوز البر. وروى من
 كنوز البر كتمان المصائب، (بالتجمل) أي باظهار الجمال فإنه صاحب المال إذا قال صاحب
 هذا الحال، وإذا تصيك خصاصة فتجمل * * وقال سفيان: أفضل الأعمال التجمل
 عند شدة الأحوال (والتعفف) عن السؤال وإظهار الحال، وقد وصف الله
 أصحاب الصفة من ذل الرجال بقوله (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) أي إظهار

فورد أن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال ولا يتواضع لغنى فورد فيه
 «من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه» بل يترفع عليه فورد أنه صدقة ولا يتوانى في العبادة
 ويتصدق بالفاضل فورد فيه «أن درهما أفضل من مائة ألف»

المدة حال المحنة (فورد أن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال) رواه ابن ماجه من
 حديث عمر بن الخطاب (ولا يتواضع) أي وحق الفقير أن لا يتواضع (لغنى) بالمال
 (لغنى) أي لاجل ماله من مال المستغنى عن طلب الكمال من العلوم والأعمال
 (فورد فيه) أي في ذمه (من تواضع لغنى) لاجل غناه (ذهب ثلثا دينه) رواه البيهقي
 وغيره. وروى الديلمي من حديث أبي ذر بلفظ «لعن الله فقيرا تواضع لغنى من أجل ماله
 من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه» انتهى. وذلك لأن آلة العبادة قلب ولسان
 وجوارح، وفي تعظيم الغنى لا بد من استعمال اللسان والجوارح، وفي تنبيهه على
 أنه لو عظمه بقلبه ذهب كل دينه (بل) حق الفقير أن (يترفع عليه) أي على
 الغنى استغناء بربه الغنى المغنى (فورد أنه) أي التكبر على الغنى المتكبر (صدقة) أي
 ثوابه صدقة أو صدقة من صدقات الفقير تدل على صدقه في باب الفقر، وفي رواية ته
 مع التامى فانه صدقة. وعن دلي كرم الله وجهه: ما أحسن تواضع الغنى للفقير
 رغبة في ثواب الله، وأحسن منه تبه الفقير على الغنى ثقة بالله، فهذه رتبة وأقل منها
 أن لا يخاطب الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لأن ذلك مبادئ الطمع. قال الثوري:
 إذا خاطب الفقير الاغنياء ورغب في مجالستهم فاعلم أنه مرء، وإذا خاطب السلطان
 فاعلم أنه لص. وقال بعض العارفين: إذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته، فإذا
 طعم فيهم انقطعت عصمته، وإذا سكن اليهم ضل سعيه ومحتته (ولا يتوانى) أي
 وحقه أن لا يفتقر عن الطاعة ولا يتكاسل (في العبادة) بسبب فقره وقلة صبره (ويتصدق
 بالفاضل) أي وحقه أن لا يمنع ما يفضل عنه من حاجته كطعام يقيم صلبه، وثوب يوارى
 عورته ويدفع عنه حره ويرده، ويبت يكتنه ويستره فان ذلك جهد المقل، وفضله أكثر من
 أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى (فورد فيه) أي في حقه (أن درهما) من الفقير
 (أفضل من مائة ألف) أي مائة ألف درهم من الغنى، وفي رواية «سبق درهم مائة
 ألف درهم» وعني أبي هريرة قال عليه السلام «درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة

وَيَسْتَقْرِصُ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ بِهِ تَعَالَى لَا تَعْوِيلًا عَلَى السُّلْطَانِ الظَّالِمِ فَيَقْضِي أَنْ وَجَدَ
حَلَالًا وَلَا يَقْضِيهِ تَعَالَى وَيَرْضَى الْخُصْمَ أَوْ يَكْشِفُ الْحَالَ عَنِ الْمُقْرِضِ وَلَا يَخْذَعُ
بِالْمَوَاعِيدِ وَيَجِبُ الْقَضَاءُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَالصَّدَقَاتِ وَلَا يَسْأَلُ فَهُوَ فِي الْأَصْلِ
حَرَامٌ لَتَضْمَنُهُ الشُّكَايَةُ مِنْهُ تَعَالَى وَاذْذَلَّ النَّفْسَ الْمُؤْمِنَةَ لغيرِهِ

الف ، قيل وكيف يا رسول الله ؟ قال اخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدق
بها ، واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه ، نصار صاحب الدرهم
أفضل من صاحب المائة الألف ، رواه النسائي (ويستقرض) أي وحقه أن يستقرض
(تحسينا للظن به تعالى) أن يقضيه من خزان كرمه وجوده (لا تعويلا) أي اعتمادا
(على السلطان الظالم) وأعواله وجموده (فيقضى) دينه بنفسه (ان وجد حلالا)
بعده (والا) أي وان لم يجد حلالا فلا يأخذه فانه حينئذ (يقضيه تعالى) في الدنيا
(ويرضى الخصم) في العقبى اما بفضل له أو بعدله بأن يعطى الخصم منزلة برضى
بها عن حقه (ويكشف الحال) أي وان يظهره ولا يخفيه (عن المقرض) فلا يدخل تحت
وعبد « من غشنا فليس منا » (ولا يخدع) أي وأن لا يخدع المقرض (بالمواعيد) الكاذبة
(ويجب القضاء) أي قضاء دين الفقير حيث صرفه في الطاعات (من بيت المال)
الموضوع لمهمات المسلمين من المكات (والصدقات) أي الزكاة (ولا يسأل) أي وحقه
أن لا يسأل من الناس أصلا (فهو) أي السؤال من الخلق (في الأصل) أي أصل وضع
الشرع (حرام) وانما يحل لعوارض تشرع من ضرورة أو حاجة مهمة قريبة من
الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما كان الأصل فيه التحريم لثلاثة أمور محرمة
(لتضمنه الشكاية منه تعالى) اذ السؤال اظهار للفقر وفقد المال وذكر لقصور نعمته الله عنه
في الحال ، وهو عين الشكوى من المولى وثا أن العبد المملوك اذا سال غير سيده كان
سؤاله تشنيعا على ماله فكذا سؤال العبد تشنيع على ربه سبحانه وهذا ينهي أن يحرم
ولا يحل الا للضرورة فلا تحمل الميتة الا للضرورة (واذلال النفس) أي وتضمنه اهانة
النفس (المؤمنة لغيره) سبحانه وقد قيل السؤال ذل ولو أين الطريق وورد « لا يحل
لمو من أن يذل نفسه » يعني لغير الله بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه العزة والجاه
فقد قال تعالى (والله العزة لرسله والذو مدين) فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي

وَاِذَا الْمَسْئُولُ فَرَّ بِمَا يُعْطَى حَيَاءً فَوَرَدَ مَا أَحَلَّ مِنَ الْفَوَاحِشِ غَيْرَ مَسْأَلَةِ النَّاسِ

أن يذل لهم الا اضرورة في أحواله ففي السؤال ذل السائل بالاضافة الى المسؤل ، ومن دعاء الامام أحمد : اللهم لنا صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك (وايداء المسؤل) اي ولتضمنه ايداءه غالباً لانهم بما لا تسمح نفسه بالذل عن طيب قلب منه (فربما يعطى حياء) من السائل اذ رياه اذا كان المسؤل في المحافل فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحي وتاذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ، ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما يؤذيان والسائل هو السبب في الايداء والايذاء حرام الا اضرورة (فورد) في كون السؤال في الاصل حراماً (ما أحل من الفواحش غير مسألة الناس) ولفظ الاحياء مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها ، قال مخرجه لم أجده اصلاً انتهى ، فورده من سال عن غنى فانما يستكثر من جرمهم ومن سال وله مال يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه دظم يتقمقع ليس عليه لحم » رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنفلية ، ولمسلم من حديث أبي هريرة « من سأل الناس أمواهم تكثراً فانما يسأل بجرام ، وللشيخين من حديث ابن عمر « ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم ، ولا صحاب السنن من حديث ابن مسعود « من سأل وله ما يغنيه كانت مسأله خدرشاً وكدوحاً في وجهه ، ولمسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي « أنه عليه السلام بايع قوماً على الاسلام فاشتراط عليهم السمع والطاعة ، ثم قال كلفة خفية ولا تسألوا الناس شيئاً ، ولقد كان بعضهم يقع السوط من يده فينزل عن فرسه ويتناولوه ولا يقول لاحد ان يناوله ، ولا بن ابي الدنيا وغيره من حديث أبي سعيد الخدري « من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ، ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا ، وللبزار والطبراني من حديث ابن عباس « استغنى عن الناس ولو بشوص السواك » واستاده صحيح ، وفي رواية فتغنموا ولو بحزم الخطب . فهذه الاحاديث صريحة في تحريم السؤال الالفقير . قال في الاحياء : وتقديره عسير اذ ليس اليناموضع التقدير ، بل يستدرك ذلك بالتوقيف والتقير ، وقد ورد في الحديث « استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره . قالوا وما هو ؟ قال غداً يوم بعشاء ليلة » كذا في الاحياء قال مخرجه : هو من حديث سهل بن الحنفلية قالوا ما يغنيه ؟ قال ما يغديه او يعشيه » ولاحد من حديث علي باسناد حسن « قالوا وما ظهر غنى قال عشاء ليلته ، وهذا هو المختار من مذهبي الحنفية . وفي حديث آخر « من سال وله خمسون درهما

الْأَلِضْرُورَةُ تُمِيتُ أَوْ تَمْرُضُ لِمَنْ عَجَزَ عَنِ الْكَسْبِ أَوْ اسْتَغْرَقَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ
أَوْ تَعَبَ وَفِيهِ التَّرْكُ أَوَّلَى

او عدلها من الذهب فقد سال الحافظ، وفي لفظ آخر، رابعون درهمها، ولعل هذه الاحاديث
محمولة على حالة احتياج السائل لغير الاكل من الثوب او البيت ونحوهما من
ضروريات معيشته . وقبل يجوز للسائل أن يسأل معيشة سنة لاسيما اذا كان معيلا او لا
يعطى العطاء الا في وقت واحد ، والله سبحانه أعلم (الا) أى وحقه ان لا يسأل
احدا الا (لضرورة تميت) أى تقتله (او تمرض) أى تجعله مريضا وتجعله عربانا
ونحوها فالسؤال حينئذ مخصص فيه لكن (لمن عجز عن الكسب) بحرقه ونحوها
(او استغرق) وقته (في طلب العلم) الشرعى من الامر الاصلى او الفرعى ، لا من استغرق
في طلب العبادة ، فان تقع هذا قاصر ونفع ذلك متعدد ، ولان زيادة العبادة نافذة وزيادة
العلم فريضة (او تعب) أى او لمن تعب بسبب الكسب وضعف عن الطاعة (وفيه) أى في
حصول التعب (الترك) للسؤال (أولى) مع جواز السؤال وفي الجملة ورد ما يدل على
الرخصة في السؤال حيث قال عليه السلام « للسائل حق وأن جاء على فرس » رواه أبو داود ومن
حديث الحسين بن علي ، ولابي داود والترمذي وقال حسن صحيح « ردوا السائل ولو بظلف
محرق ، وقد سأل ثلاثة من الانبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر
عليهم السلام . وروى : أن بعضهم رأى ابا الحسن الثورى يمد يده ويسأل الناس
في بعض المواطن ، قال فاستعظمت ذلك واستعجبته ، فأتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم
هذا عليك ، فان الثورى لم يسأل الناس لتعظيمهم ، إنما يسألهم ليثيهم في الآخرة
فيؤجرون من حيث لا يضره ، ثم قال الجنيد : هات الميزان فوزن مائة درهم ، ثم قبض
قبضة والفاها على المائة ، ثم قال احملها اليه ، فقلت في نفسى : إنما يوزن الشيء ليعلم
مقداره فكيف خلط به بمجهولا وهو رجل حكيم ، فاستحييت أن أسأله ، فذهبت بالبصرة
الى الثورى ، فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه ، وقال : قل له انا لا قبل منك
انت شيئا ، واخذ ما زاد على المائة ، قال فزاد تعجبي ، فسالته فقال : الجنيد رجل حكيم
يريد أن ياخذ الجبل بطرفيه ، وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة
بلا وزن لله عز وجل فاخذت ما كان لله ورددت ما جعل لنفسه ، قال فرددتها الى الجنيد
فبكى وقال : اخذ ما له ورد ما لنا والله المستعان ، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم ،
وكيف خلاصت لله أعمالهم ، حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير

مناطق باللسان ، ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الاسرار ، وذلك نتيجة اكل الحلال ، وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على المولى بكنه الهمة (ويحترز) أى وحقه أن يحترس (عن الشكاية) من الله فى سؤاله (فيقول) قائما لحاله (أنى مستغن) بالقلب عن السؤال ثقة بالله الملك المتعال (لكن النفس تريد الشهوة) فتوقفى فى السؤال (وعن الاذلال) أى ويحترز عن التذلل فى السؤال فيجتنب اجنيا لثما من ارباب الاموال (فيسال قريبا) أى ذا قرابة حسيما من اهل الكمال من وصفه أنه لا ينقصه ذلك فى عينه ولا يزدريه بسبب فقره وكذا حكم صديقه ، فكان ابراهيم النخعي يسال اصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا ياخذه (او كريما) من ذوى الجمال من نعمته أنه (لا يمن) على السائل بالعتاء والنوال (بل يقبل المنة) للسائل عليه فى اخذ المال ولو بالسؤال . فقد قال بشر الخافى : ما سالت احدا فطشيت الا السرى السقطى لانه قد صح عندى زهد فى الدنيا فهو يفرح بخروج الشئ من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون عوننا على ما يحب (وعن الايذاء) أى ويحترز عن ايذاء المسؤل (فلا يسال فى الجمع الاعمن يستحي عن الرد) والمنع وأن لم يكن فى الجمع (فيحرم) حيثما اخذ (ان اعطى) المسؤل (حياء منه) أى من السائل (أو من حاضر) آخر (بالواخذ عفا) أى غصبا ، اذ فصل بين الاخذ بضرب العصا او بسوط الحياء ، بل ضرب الباطن اشد نكابة عند العقلاء . (والفارق) بين عطاء الله وحياء من الخلق (القرائن) الموجودة فى تلك الحالة (وفوى القلب) الخالى عن الميل الى المال وسبيل الخلاص عن الايذاء ، أن يلقى الكلام تعريضا فى الصجبة بحيث لا يقدم على البذل الامتبرع بصدق الرغبة ، وأن لا يعين شخصا للسؤال لتلايشوش له البال (ويشكره) أى وحق الفقير أن يشكر الله (سبحانه بعد القبض) أى اخذ العطاء بثلاثة من الاشياء (بالاشتغال بالطاعة) قولاً أو فعلا مثل أن يقول الحمد لله او يصلى ركعتين لله (والافناق فيها) أى وبصرف

فَهُوَ الْأَحَبُّ أَوْ فِي الْمُبَاحِ وَمَعْرِفَةُ فَضْلِ الْفَقْرِ وَشُكْرُ الْمَعْطَى بِكَوْنِهِ سَبِيًّا فَوَرَدَ مِنْ
 لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ وَيَدْعُو لَهُ فَوَرَدَ مِنْ أَسَدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ
 فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَادْعُوا لَهُ وَلَا يَسْتَصْغِرْ وَلَا يَفْزَعْ بِالْمَنْعِ وَيَحْتَرِزْ عَنِ الشُّبْهِ فَوَرَدَ
 (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا

المطاء في طاعة المولى (فهو) أى الاتفاق في الطاعة (الاحب) أى الافضل من غيره
 المستفاد من قوله (او في المباح) ينفق مثل فضول الحلال (ومعرفه فضل الفقر)
 أى وبمعرفة المثمرة لترك التواضع المفرط للمعطى (وشكر المعطى) أى وبشأنه لجزائه
 (بكونه سبياً) في عطائه (فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله) رواه أحمد والترمذى
 وحسنه عن أبى سعيد ، وذلك لا ينافى رؤية النعمة من الله ، أما اذا غفل عن الله في
 اخذ العطاء وأنتى على المخلوق وشكره بالكنايا والدعاء فلا يكون شكره حينئذ شكرا لله
 (ويدعوه) أى وحقه أن يدعو بالخير للمعطى فيقول : طهر الله قلبك في قلوب الاربار ،
 وزنى عملك في عمل الاخيار : او يقول : بارك الله لك فيما اعطيت وفيما بقيت (فورد
 من اسدى) أى اوصل (اليكم معروفاً) أى احساناً (فكافئوه) أى جازوه بمثله
 لقوله تعالى (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) (فان لم تستطيعوا) على المكافاة في العطاء
 (فادعوا له) باظهار الثناء واسرار الدعاء ، فللترمذى والنسائى وابن حبان عن اسامة
 « من صنع اليه معروفا فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد بلغ في الثناء ، وللشيرانى
 عن ابن عباس « من اسدى إلى قوم نعمة فلم يشكروها له فدعا عليهم استجيب ،
 ولابن عساكر عن على « من صنع إلى أحد من اهل بيتى يدا كافأته عليها يوم
 القيامة » (ولا يستصغر) أى وحقه أن لا يستحق العطاء ولا يترك الدعاء والثناء ؛
 الحديث « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ،
 رواه عبد الله بن احمد في زوائد المسند عن عثمان بن بشير (ولا يفزع) أى وان لا يجرع
 (بالمنع) فان العطاء والمنع والضرب والنفع بيد الله سبحانه . فورد « لا مانع لما اعطيت
 ولا معطى لما منعت » وفي الحكم لابن عطاء : ربما اعطاك فنعك ، وربما منعك فاعطاك
 وقال تعالى (كلا تمد هؤلاء هؤلاء من عطاء ربك وما كان ربك محظورا) وما منع
 عبد عن باب الاوفى له عن ابراب (ويحترز) أى وحقه أن يحترز (عن الشبهة)
 أى تناوُلها (فورد) في التثريب (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) أى من الشدائد

ويرزقه من حيث لا يحتسب) ولا يأخذ أكثر من قوت يومه وليلته فهو العزيمه
والرخصة قوت سنة لتجدد سبب الدخل بعدها وكان عليه السلام لا يأخذ للعيال أكثر
منه بل يؤثر شيئاً منه حتى ينتهي قبل مضي السنة وهو الوسط المرضي من الروايات
فورد أربعون أو خمسون ونصاب الزكاة وقيمة الضيعة أو البضاعة المحصلة للغنى

الديوية والاخرية ، ويجعل له من كل ضيق فرجا ومن كل عسر يسرا (ويرزقه
من حيث لا يحتسب) رزقاً حلالاً طيباً من غير حساب (ولا يأخذ) أى وان لا يقبل
(أكثر من قوت يومه وليلته) أن كان من الأقوياء (فهو) أى أخذ قوت اليوم (العزيمه)
التي يأخذها الانبياء والاولياء (والرخصة) للضعفاء ومن له العيال والنساء (قوت سنة
لتجدد سبب الدخل) وهو ما يدخل على الانسان من ضيعته وزراعته (بعدها) أى بعد
تمام سنته (وكان عليه السلام لا يأخذ) أى لا يدخر (للعيال أكثر منه) أى من قوت
سنة (بل يؤثر شيئاً منه) أى من قوت سنة للفقراء (حتى ينتهي) أى يفرغ ما ادخره
(قبل مضي السنة وهو) أى ادخار قوت السنة (الوسط) أى الافضل المتوسط بين
الحالات (المرضي من الروايات ، فورد أربعون) يوماً (أو خمسون) يوماً في مدة جواز
الادخار ، وللشك او التوزيع (ونصاب الزكاة) وهو عشرون ديناراً او اربعمائة
درهم (وقيمة الضيعة) أى المزرعة فيستغنى بها طول عمره ، وفي معناها قيمة البيوت
والحوادث المستقلة لفوائد الغلة (او البضاعة) أى قدر رأس مال التجارة (المحصلة
للفنى) بسبب الرج الكافي للمعيشة ، فيتجر بها ويستغنى عن غيرها . وفي الاحياء :
ان في الادخار ثلاث درجات : أحدها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهى درجة
الصديقين . وثانيها ان يدخر لاربعين يوماً ، فايما زاد عليه دخل في طول الامر . وقد
فهم العلماء ذلك من ما دأب الله لموسى عليه السلام ، فقهم منه الرخصة في أمل الحياة أربعين
يوماً . وهذه درجة المتقين ، ثالثها ان يدخر لسنة وهى أقصى المراتب ، وهى رتبة
الصالحين . ومن زاد في الادخار على هذا فهو داخل في غمار العموم خارج عن حيز
الخصوص بالكلية ، ففى الصالح الضعيف لظما نية قلبه في قوت سنة ، وغنى
الخصوص في أربعين يوماً ، وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة . وقد قسم النبى
عليه السلام لنسائه على مثل هذه الاقسام ، فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند

وَيَسْتَرِ تَحَامِيًا عَنْ هَتِكَ الْمُرُوءَةِ وَكَشَفِ الْحَاجَةِ وَالْحَسَدِ وَالْغِيَةِ وَسُوءِ الظَّنِّ بِهِ
وَعَنْ اِعْلَانِ عِبَادَةِ الْمُعْطَى وَمَذَلَّةِ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ فَهُوَ حَرَامٌ وَشِبْهُ الشَّرَكَةِ فَوْرَدَ
مَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ هَدِيَّةً وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِيهَا وَيَعْرِفُ بِكَرَاهَةِ ظُهُورِ أَخْذِ
غَيْرِهِ كَأَخْذِهِ

حصول ما يحصل وبمضن قوت أربعين يوما وبعضهن يوما و ليلة ، منهن عائشة
وحفصة . وقد سكت عنه مخرجه (ويستر) أى وحقه ان يستر السؤال او اخذ
النوال ويكتمه فيسال فى الخلاء دون الملاء (تحاميا عن هتك المروءة) أى تحفظا
عن خرق الفتوة فانها تقتضى عدم السؤال فى حال يوجب الايذاء ، او مروءة المسؤل
ان رد السائل مع القدرة والقوة (وكشف الحاجة) أى وتحاميا عن اظهار الفقر
والفاقة وقد تقدم ان من كنوز البر كتمان الفقر (والحسد) أى وعن اظهار الحسد
الذى لا يخلو من الحسد (والغيبة) بالظن عليه بالغيبة (وسوء الظن به) فى
كونه غنيا ، ويظهر الفقر الذى يقتضى خلقا دنيا ، وهذا ظن الكبار فصياتهم عن هذه
الجرائم أولى ، وذا انما يحصل بستر السؤال والاخذ كالا يخفى (وعن اعلان عبادة
المعطى) فان الاخفاء افضل فى الصدقة لقوله تعالى (ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان
تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم) وفى ستر السؤال واخذ النوال اعانة للمعطى
على أسرار والعمل واخفائه الذى هو الاكل والاعانة على اتمام المعروف ومعروف عند الكمل
(وعن اعلان (مذلة النفس المؤمنة فهو حرام) من غير الضرورة (وشبهة الشركة) أى
وتحاميا عنها (فورد من اهدى اليه هدية وعنده قوم) او احد (فهم شركاؤه فيها)
والمراد بهم هم الذين يدومون مجلسه ويعتدقون بابنه ويفقدون اموره ، لا كل من كان
جالسا فى ذلك الوقت عنده كذا فى أصول الترهذى . والحديث رواه الطبرانى من حديث
الحسن بن على بلفظ « جلسناؤه شركاؤه فيها » وعليه البخارى بصيغة تمرىض . قال السيوطى :
واخرجه العقيلي من حديث عائشة انتهى . واما حديث « الهدايا تشترك » فلا أصل له
وكذا « الهدية لمن حضر » الامن حيث المعنى من غير اعتبار المبنى (ويعرف) من ستر
سواله واخذه تحاميا عن هتك ستر المروءة الى آخره (بكراهة ظهور اخذ غيره كاخذه) أى
ككراهة ظهور اخذ نفسه : فورد « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاختيه ما يحب لنفسه

وَيُظْهِرُ قَصْدَ الْإِخْلَاصِ وَاسْقَاطَ الْجَاهِ وَهَضْمَ النَّفْسِ وَأَدَاءَ الشُّكْرِ فُورَدَ (وَأَمَّا
 بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَعْرِفُ بَارَادَةَ ظُهُورِ عَطَاءِ
 السَّاتِرِ لَهُ كَعَطَاءِ الْمُظْهِرِ لَهُ وَأَمَّا أَنْ بَلَغَ حَدًّا يَسْتَوِي فِيهِ السِّرُّ وَالْعِلَانِيَةُ فَكَبِّرِيَتْ
 أَحْمَرُ وَيَتْرُكُ مَا فِيهِ السُّمْعَةُ وَالرِّيَاءُ تَحَامِيًا عَنِ الْإِعَانَةِ عَلَى الْإِنِّمِ وَالْأُولَى أَنْ
 لَا يَأْخُذَ إِلَّا لِلْحَاجَةِ

ويذكره لاختيه ما يكره لنفسه (ويظهر) أي رحمه أن يظهر السؤال واخذ النوال (قصد
 الاخلاص) في تصحيح الحال ، والمعنى أن من ترك السؤال في المثلث لا يعيب عليه
 الخلق في الخلاء فهذا نوع من الرياء ، فيصح له أن يظهر اخذ العطاء ليتخلص من
 شائبة الرياء (واسقاط الجاه) واسقاط المائلة عند ارباب الدنيا (وهضم النفس) أي
 ولرياضتها في طريق المولى النافعة له في العقبى (وإداء الشكر) أي ولادائه لنعمة
 الفقر (فورد) في التزليل لبيان مدح اظهاره (وأما بنعمة ربك فحدث) وليان ذم
 اسراره (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) وهذا إنما يصح لمن يتأذى بالفقر والبلاء
 كما يتأذى غيره بالسعة والنعماء بل يكون عن يقتدى به الصالحاء ، وينفق على فضله العلماء
 فيظهر الشكر على الفقر ، ليعلم أن موجب فضله الفقر المقرون بالشكر (ويعرف) من
 يظهر السؤال قصدا لإداء الشكر في نعمة الفقر (بارادة ظهور عطاء الساتر له) أي
 المعطى (كعطاء المظهر له) بل ربما يرد العطاء على وجه الاسرار ويقبله على طريق
 الاظهار عكس فعل بعض الابرار (وأما ان بلغ حدا يستوى فيه السر والعلانية)
 في حقه (فكبريت أحمر) أي فهو كبريت أحمر عزيز الوجود في دائرة الشهود بل
 كعنفاء مغرب يسمع له اسم ولا يرى له جسم (ويترك) أي وحقه أن يترك (ما)
 أي سؤال ما أو اخذ ما يدخل (فيه) أي عطائه (السمة والرياء) وكذا المنقوالا لئلا
 (تحاميا عن الاعانة على الانيم) قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
 الاثم والعدوان) وكان سفيان الثوري يرد ما يعطى ويقول: لو علمت انهم لا يذكرون ذلك
 افتخارا به لاخذت ، وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة قال : إنما ارد
 صلتهم اشفاقا عليهم ونصحا لهم ، لانهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم بهم فتذهب
 اموالهم وتحبط اجورهم ، وتفسد احوالهم (والأولى أن لا يأخذ الا للحاجة

إِلَيْهِ فَوَرَدَ مَا الْمُعْطَى مِنْ سَعَةِ بَاعْظَمَ أَجْرًا مَنْ الْآخِذِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ أَوْ التَّفْرِيقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ فَيُعْجَلُ تَحَامِيًا عَنِ الْإِنْسِ بِالدُّنْيَا وَالْآخِذِ فِي الْمَلَأِ وَالرَّدِّ فِي الْخُلَاءِ فَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ وَيَخْتَارُ التَّطَوُّعُ أَنْ شَكَّ فِي شَرَائِطِ الْوَاجِبِ أَوْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَتَصَدَّقُ

إِلَيْهِ) فيما لا بد منه ، وهو مفسر في حديث رواه الترمذى وصححه عن عثمان مرفوعا « لاحق لابن آدم الا في ثلاث : جلف الخبز والماء ، وثوب يوارى عورته ، وبيت يسكنه ويكنه فازاد فهو حساب » (فورد ما المعطى من سعة) في ماله (باعتظم أجرامن الآخذ اذا كان) الآخذ (محتاجا اليه) رواه الطبرانى من حديث ابن عمر (او التفريق) أى اولا ياخذ الا لاجل تفريقه (على الفقراء) المحرومين من خيرات الاغنياء (فيعجل) في التفريق ولا يهمل (تحاميا عن الانس بالدنيا) فلا يدخر فان امساكه ولو لولية واحدة فيه اختبار وفتنة ، فربما يحلو في قلبه فيمسهك . ولاخذ من حديث عائشة بسند حسن أنه قال في مرضه الذى مات فيه « يا عائشة ما فعلت بالذهب ؟ لجأت ما بين الخمسة الى الثمانية الى التسعة فجعل يقام بيده ويقول : ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده ؟ انفقها » وفرواية سبعة او تسعة دنائير . وله من حديث أم سلمة باسناد صحيح « دخلت على رسول الله عليه السلام وهو ساهم الوجه - أى متغيره - قالت لحسبت ذلك من وجع ، فقلت يا نبي الله مالك ساهم الوجه ؟ فقال من اجل الدنانير السبعة التى اتانا أمس ، امسينا وهى في خصم الفراش » وفي رواية امسينا ولم تنفقهها ، (او الآخذ) أى ولا ياخذ الا لاجل اخذه (في المألأ والردي في الخلاء فهو اقرب إلى السلامة) من السمعة والرياء ، ومن خجالة الاغنياء وما يحصل لهم من الايذاء ، وأما أن اخذه في المألأ وفرقه في الخلاء فهو مقام الصديقين من الاولياء ، وهذا أمر شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمانت نفسه بالرياضة . هذا ويجوز له أن يترك ولا ياخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو احوج إليه منه ، او ياخذ العطاء ويوصله إلى من هو احوج إليه من الفقراء فيفضل كلاهما في السر او كلاهما في الملا . (ويختار التطوع) أى وحقه أن يختار أخذ صدقة التطوع على الواجب من الزكاة والفطرة (أن شك) الفقير (في شرائط الواجب) أى في وجود شرائط اخذ الزكاة الواجبة هل هو مستحق للزكاة أم لا ، فان اشتبه الامر عليه فهو محل الشبهة (او علم) الفقير (أنه) أى الغنى (لا يتصدق) بصدقة

عَلَى غَيْرِهِ أَنْ لَمْ يَأْخُذْ أَوْ قَصَدَ التَّوَسُّعَ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْوَاجِبُ أَنْ قَصَدَ الْإِعَانَةَ عَلَى
أَدَائِهِ أَوْ مُوَافَقَةَ الْفُقَرَاءِ أَوْ هَضْمَ النَّفْسِ فَمَثَلُهُ يُخْتَلَفُ بِاخْتِلَافِ النِّيَّةِ

التطوع (على غيره أن لم يأخذ) الفقير بعينه (أو قصد) الفقير (التوسيع على الفقراء) (و)
بإثارة مال زكاة الأغنياء فإنه يختار أخذه فإنه محض الخير ونفع الغير (و الواجب) أى
ويختار أخذ صدقة الواجب (أن قصد الإعانة على أدائه) أى أداء الواجب وقضائه
(أو) قصد (موافقة الفقراء) ومراقبة الضمفاء (أو هضم النفس) أى رياضته فى
مقام الابتلاء (فمثاله) أى أمثاله اذكر (يختلف باختلاف النية) أى نيات الصلحاء
وجاءت إلى فتح الموصلى صرة فيها خمسون درهما ، فقال : حدثنا عطاء عن النبي ﷺ
أنه قال : من أتاه رزق من غير مسألة فرده قائما يردّه على الله عز وجل ، ثم فتح الصرة فأخذ
منها درهما ورد سائرهما . وكان الحسن يروى هذا الحديث أيضا ، ولكن حل اليرجل كبشة
ورزما من دقيق فرد ذلك وقال : من جلس مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذالقى الله
عز وجل يوم يلقاه وليس له خلاق . وهذا يدل على أن أمر العالم والواعظ أشد
فى قبول العطاء ، وكان الحسن يقبل من أصحابه ، كذا فى الاحياء . وقال عمر جده حديث
عطاء لم أجده مرسلًا بهذا . ولاحمد وأبى يعلى والطبرانى بإسناد جيد من حديث
خالد بن عدى الجهنى ، من بلغه من أخيه معروف من غير مسألة ولا إشراف نفس
فليقبله ولا يردّه قائما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه ، وجاء خراسانى بمال إلى الجنيد
وسأله أن يأخذه ويأكله ، فقال أفرقه على الفقراء ، فقال ما أريد هذا ، قال ومضى
أعيش حتى أكل هذا ؟ فقال ما أريد أن تنفقه فى الحل والقل ، بل فى الحلوى والطيّبات
قبل ذلك منه ، فقال الخراسانى : ما أجده ببغداد آمن على منك . فقال الجنيد : ولا ينبغي
أن يقبل الأمن مثلك . وقيل من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط . قال العلماء يخاف فى الرد
مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول فى شبهة أو غيره . وفى الاحياء قال بعض
العلماء المجاورين بمكة : كانت عندى دراهم أعددتها للاتفاق فى سبيل الله ، فسمعت
فقيرا وقد فرغ من طوافه وهو يقول : بصوت خفى . جئت كما ترى ، عريان كما ترى ،
فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى . فنظرت فإذا عليه خلقان لا تكاد تواريه ، فقلت
فى نفسى لا أجده لدراهمى أحسن من هذا ، لحملتها إليه فنظر إليها ثم أخذ منها
خمسة دراهم فقال : أربعة ثمن متزرين ، ودرهم انفقته ثلاثا ، ولا حاجة لى إلى الباقي

ثم الزهد عزوف القلب عن الدنيا الى الآخرة طوعاً

فرده . قال فرأيت الليلة الثانية وعليه مئزران جديد ان فحس في نفسى منه شئ . فالتفت الى واخذ يدي فاطاقتى معه سبعة كل شوط منها فى جوهر من معادن الارض تتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين ، منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤه وجوهر ، ولم يظهر للناس ، فقال هذا كله اعطانيه ربى فزهدت فيه وآخذ من ايدى الخلق لان هذه ائفال وفتنة ، وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة ، والمقصود أن الزيادة على الحاجة إنما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه ، وقدر الحاجة ياتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الفرق والابتلاء قال تعالى (انا جعلنا ما على الارض رزقاً لها لنبلوهم ايهم احسن عملاً) وعن موسى عليه السلام أنه قال : يا رب جعلت رزقى هكذا على ايدى بنى اسرائيل يغدبنى هذا يوماً ويعشبنى هذا ليلة ، فارحى الله تعالى اليه هكذا اصنع باوليائى ، اجرى ارزاقهم على ايدى الباطلين من عبادى ليؤجروا فيهم ، فلا ينبغي ان يرى المعطى الامن حيث أنه مستخر مأجور . وقيل فى تفسير قوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) معناه ليعم أحد نوبه ، وقيل ليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله . وقال بعضهم : لله عباد ينفقون على قدر بضائعهم ، والله عباد ينفقون على قدر حسن ظنهم بربهم . ومات بعضهم فارصى بماله لثلاث طوائف : الاقوياء والاسخياء والاغنياء ، فقيل من هؤلاء ؟ فقال : أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله ، وأما الاسخياء فهم أهل حسن الظن بالله ، وأما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله . وكان بشر رحمه الله يقول : الفقراء ثلاثة ، فقير لا يسأل وان أعطى لا يأخذ فهذا مع الروحانيين فى عليين ، وفقير لا يسأل وان أعطى أخذ فهذا مع المقربين فى جنات الفردوس ، وفقير يسأل عند الفاقة فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين . وقال ابراهيم بن أدهم لشقيق البلخي حين قدم عليه من خراسان . كيف تركت الفقراء من أصحابك ؟ قال تركتهم ان أعطوا شكروا وان منعوا صبروا ، وظن انه لما وصفهم بترك السؤال اتى عليهم غاية الثناء . فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا . فقال شقيق فكيف الفقراء عندكم يا أبا اسحق ؟ فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال : صدقت يا استاذ (ثم الزهد عزوف القلب) أى ميله وانصرافه (عن الدنيا الى الآخرة طوعاً) أى اختياراً وجعله طاعة ، فالزهد عبارة عن انصراف الرغبة

وَلَا يُعْبَأُ بِالْيَدِ لَوْ جُودَهَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَوْنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخْلَى
يَدًا مِنْ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن الشيء الى ما هو خير له منه ومنه قوله تعالى (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) أى باعوه طمعا فى أن يخلو لهم وجه ايهم وكان ذلك أحب عندهم من يوسف ، فاذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فى الدنيا ، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد فى الآخرة ، لكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد فى الدنيا كما يخص اسم الاحاد بمن يميل الى الباطل ، واسم الخفيف بمن يميل الى الحق وأن كان الكل بمعنى الميل فى وضع اللسان ، فالذى يرغب عن كل ماسوى الله حتى الفراديس فهو الزاهد المطلق ، والذى يرغب عن كل حظ ينال فى الدنيا ولم يزهد فى مثل تلك الحظوظ فى الآخرة بل طمع فى الحور والقصور والانهار والاثمار فهو أيضا زاهد لكن دون الاول ، والذى يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذى يترك المال دون الجاه او بالعكس ، او يترك التوسع فى الاكل ولا يترك التجميل فى الزينة فلا يستحق اسم الزهد مطلقا ، ودرجته فى الزاهدين درجة من يتوب عن بعض المعاصي فى التائبين ، وقد تقدم الخلاف فى صحة التوبة ، لكن لا خلاف فى صحة الزهد عن البعض . ثم الزهد عبارة عن ترك المباحات ، ومن ترك المحظورات لا يسمى زاهدا ، ويشترط فى المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه ، ولذا قيل لابن المبارك : يا زاهد ، فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها ، أما انا ففيماذ زهدت . وقال ابن أبى ليلى لابن شبرمة : الا ترى الى هذا ابن الحائك لا تفتى فى مسألة الارد علينا يعنى ابا حنيفة ، فقال ابن شبرمة : لا ادرى اهو ابن الحائك أو ما هو ، ولكن أعلم أن الدنيا غدت اليه فهرب منها ، وهربت منا فطلبناها انتهى . فمن عرف أن ما عند الله باق وأن الآخرة خير وابقى عزف قلبه عن الدنيا الى العقبى مع القدرة على تحصيل مراتب الفنى ، وإلى هذا الشرط اشار بقوله طوعا (ولا يعبا باليد) أى ولا يعتبر بتصرف المال وتوسع الجاه وجودا وعدمه وقلة وكثرة إذ حصل الزهد فيها (لوجودها) أى الدنيا جاها ومالا (لسليمنا عليه السلام) مع أنه كان زاهدا فى الدنيا وراغبا فى العقبى كسائر الانبياء والاولياء (وكون عيسى) أى ولكونه (عليه السلام) اخلى يدا من نبينا صلى الله عليه وسلم

مع أنه أفضل وهو يشرُّ المكاشفة لما سبق في حديث التجاني وحارثة رضي الله عنه

مع أنه أي نينا (أفضل) وزهدهم وادل ، على أنه لا بدع أن يوجد في المفضل بعض ما لا يوجد في الأفضل . فتأمل . ولعل الحكمة في اختيار عيسى عليه السلام المبالغة في الزهد فانه مسلك أهل الترهيب ، وأمانينا عليه الصلاة والسلام فلما كان رحمة لكافة الانام اختار طريقا يسهل جميع امته أن يتبعوه ، ولانه صاحب الملة الخفيفة السمحاء ، وليس في دينه من حرج ، ولكونه مظهرًا لمرتبة الجمع بين الصفات الجمالية والنعوت الجمالية بما يشير اليه قوله : اشبع يوما فاشكر واجوع يوما فاصبر مع أن الزهد عند المحققين هو ترك ما يشغلك عن المولى وزاد العقبي . ثم كل مؤمن يعلم ان الآخرة خير وأبقى ، لكن قد لا يقدر على ترك الدنيا . اما الضغف عليه وبقينه بالمآل ، واما لاستيلاء الشهوة عليه في الحال ، واما لأغتراره في الاستقبال بمواعيد الشيطان في التسويف يسوما بعد يوم الى ان يحتطفه الموت ولا يبقى معه الا حسرة بعد الفوت . والى تعريف خسارة الدنيا اشار قوله تعالى (قل متاع الدنيا قليل) والى تعريف نقاسة الآخرة قوله تعالى (وقال الذين اتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن) وأما قول ابن مسعود : ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) فرواه البيهقي في دلائل النبوة باسناد حسن ، لكن حمل على أن منهم من يريد الدنيا ليصرف في طريق العقبي ، ومنهم من يريد الآخرة ويترك الدنيا بالكليّة رضا للمولى وعملًا بما قال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لتير . تركك الدنيا أبر . (وهو) أي الزهد (بشر) خمسة أشياء (المكاشفة) لآحوال الآخرة (كما سبق في حديث التجاني وحارثة رضي الله عنه) أما حديث التجاني فهو أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للسلام) فقيل له ما هذا الشرح فقال أن النور إذا دخل القلب إنشرح له الصدر وانفسح قبل يارسل الله هل لذلك من علامة ؟ قال نعم التجاني عن دار الغرور والاناة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ، رواه الحاكم ، وأما حديث حارثة فهو أنه لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مؤمن حقا فقال : وما حقيقة إيمانك ؟ قال عرفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذمها وحجرها وثاني بالجنة عن يميني والنار عن يساري ، وكانني بعشري بارزا ، فقال عليه السلام « عرفت فالزم عبد نور الله قلبه بالإيمان ،

وَالْفَرَاغُ لِلْعِبَادَةِ فَوَرَدَ مِنْ أَحَبِّ آخِرَتِهِ أَضْرَ بِدَنِيَاهُ وَتَعْظِيمَ قَدْرِهَا فَوَرَدَ «رَكْعَتَانِ مِنْ عَالَمٍ زَاهِدٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ الْمُتَعَبِّدِينَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ وَحُبَّتَهُ تَعَالَى وَمَعْرِفَتَهُ فَهَمَّا

رواه البزار من حديث أنس، والطبراني من حديث الحارث بن مالك (والفراغ) أي ويثمر الزهد فراغ خاطر أرباب الإرادة (للعادة) التي هي سلوك سبيل السعادة (فورد من أحب آخرته أضرب بدنياه) تمامه ومن أحب دنياه أضرب آخرته فأتروا ما يبقى على ما يقضى، رواه أحمد والطبراني من حديث أبي موسى (وتعظيم قدرها) أي ويثمر تعظيم مقدار العبادة (فورد ركعتان من عالم زاهد خير من عبادة المتعبدين إلى آخر الدهر) لم أجده أصلا بهذا السياق، وإنما هو لابن مسعود موقفاً، وللشيرازي في الألقاب عن علي مرفوعاً «ركعة من عالم بالله خير من ألف ركعة من متجاهل بالله»، وللدبلي عن أنس «ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط»، ولابن النجار عن محمد بن علي مرسل «ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم» وقد صحح لفيقه وأحد أشد على الشيطان من ألف عابد (وحبته تعالى) أي ويثمرها الزهد، فقد ورد في الخبر «أن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا»، رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد وقد تقدم حديث «أزهد في الدنيا يحبك الله وأزهد في أيدي الناس يحبك الناس» (ومعرفته) أي ويثمرها، ففي الخبر قد ورد «إذا رأيتم العبد قد أعطى صمتاً وزهداً في الدنيا فاقربوا منه فإنه يلقي الحكمة»، رواه ابن ماجه من حديث أبي خالد، وقد قال تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) ولذا قيل: من زهد في الدنيا أربعين يوماً أجرى الله بتأييم الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه. كذا في الأحياء وقد وجد معناه من حديث «من اخلص لله أربعين يوماً ظهرت بتأييم الحكمة على لسانه»، رواه أبو نعيم من حديث أبي أيوب: ومن المعلوم أنه لا يكون العبد عبداً مخلصاً إلا إذا كان زاهداً. وفي الخبر أيضاً «من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه، وأنطق بها لسانه»، وعرفه داء الدنيا ودواها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام، رواه ابن أبي الدنيا من حديث صفوان بن سليم مرسل، ولابن عدي من حديث أبي موسى «من زهد في الدنيا أربعين يوماً وأخلص فيها العبادة أجرى الله بتأييم الحكمة من قلبه على لسانه» (فهما) أي المحبة والمعرفة اللتان يثمرهما الزهد

لَا يَحْصُلَانِ الْإِبْدَوَامَ الذِّكْرَ وَالْفِكْرَ الْمُتَمَتِّعِينَ مَعَ الشَّغْلِ بِالدُّنْيَا

(لا يحصلان الإبدوام الذكر) أى ذكر المولى (والفكر) زاد العقي (الممتنعين مع الشغل بالدنيا) وقد قال تعالى (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) أى على الزهد فى الدنيا كما جاء فى التفسير ، وقال تعالى (أنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم إيهام أحسن عملا) قيل معناه إيهام ازهد فيها . وقال تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب) وقال عز وعلا (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) وللطبرانى من حديث ابن مسعود بسند حسن « من اشرب قلبه حب الدنيا التاط منها - أى ابتلى - بثلاث : شقاء لا ينفذ عنه ، وحرص لا يبلغ غناه ، وأمل لا يبلغ انتهاء » وللدليلى من رواية على بن أبى طلحة مرسل « لا يستكمل عبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته » وله من حديث أنس « من زهد فى الدنيا بصره بعيوب نفسه وفقه فى الدين ، وعن عيسى عليه السلام : الدنيا قطرة فاعبروها ولا تعمروها ، ولابن حبان من حديث على « من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن خاف من النار لها عن الشهوات ، ومن يرقب الموت ترك اللذات ، ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات » وجاء فى الآثار « لا تزال لاله الا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يبالوا بما نقص من دنياهم » وفى لفظ « ما لم يؤثر واصفقه دنياهم على دينهم » فاذافعوا ذلك وقالوا لاله الا الله قال تعالى : كذبتم لستم بها صادقين ، وعن بعض الصحابة قال : تابعنا الاعمال كلها فلم نر فى امر الآخرة اباغ من زهد فى الدنيا . وقال بعض الصحابة لصدر التابعين : أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم كانوا خيرا منكم ، قيل ولم ذلك ؟ قال كانوا ازهد فى الدنيا منكم . وقال عمر رضى الله عنه الزهادة فى الدنيا راحة القلب والجسد . وقال ابن سعد : كفى به ذنبا أن الله تعالى زهدنا فى الدنيا ونحن نرغب فيها . وقال رجل لسفيان : اشتهى أن أرى عالما زاهدا ، فقال ويحك تلك ضالة لا توجد . وقال يوسف ابن أسباط . اتى لاشتى من الله ثلاث خصال ، أن أموت حين أموت وليس فى ملكى درهم ، ولا يكون على دين ، ولا يكون على عظمى لحم ، فاعطى ذلك كله ، وروى أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء الجوائز فقبلوها وأرسل إلى الفضيل بعشرة

ثُمَّ الْأَدْنَى بِإِعْتِبَارِ نَفْسِهِ أَنْ يُجَاهِدَ فِيهِ لِمَلِّ النَّفْسِ إِلَى الدُّنْيَا وَهُوَ تَزَهُدٌ أَنْ يَتَنَفَّرَ عَنْهَا فَهُوَ تَزَهُدٌ ثُمَّ عَدَمُ الْمَلِّ وَالتَّنَفُّرُ وَيَعْرِفُ بِتَسْوِيَةِ سَرَقَةِ مَالِهِ وَمَالٍ غَيْرِهِ ثُمَّ عَدَمُ
الْإِعْتِبَارِ بِزُهْدِهِ

آلاف درهم فلم يقبلها فقال بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد وأنت على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال : أندرون ما مثلى ومثلكم لثل قوم كانت لهم بقرة يحرقون عليها فلما هربت ذبحوها لكي يتفعوا بجلدها وكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبري سنى موتوا يا أهلى جوعا خير لكم من أن تذبحوا فضيلا (ثم الادنى) من مراتب الزهد (باعتبار نفسه) أى نفس الزهد وذاته مع قطع النظر عن حكمه وامانه وفيه كما ساقى (أن يجاهد فيه) أى فى تحصيل الزهد (لمل النفس الى الدنيا) والفتاها اليها ولكنه يجاهد ما يكفها عنها (وهو تزهد) وهو مبدأ الزهد فى حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والجهد (ثم) الاعلى منه (أن يتنفر) طبعه (عنها) أى عن الدنيا لعدم ميل نفسه اليها (فهو زهد) فالمتزهد فى الدنيا يذيب أولا نفسه فى الطاعة ثم كيسه والزاهد يذيب أولا كيسه ثم يذيب نفسه فى الطاعة لا فى الصبر على مافارقه والمتزهد على خطر لأنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها فى قليلها أو كثيرها (ثم) الاعلى منه (عدم الميل) اليها (و) عدم (التنفر) عنها وذلك بان يترك الدنيا طوعا ولا استحقاره اياها بالاضافة إلى ما طمع فيه من غيرها خيرا منها ، ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ، ويظن بنفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرامته ، وهذا أيضا نقصان عند من له عرفان (ويعرف) صاحب هذا المقام (بتسوية سرقة ماله ومال غيره) لعدم ميله إلى كل منهما ، ولقوله عليه السلام « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره لاخيه ما يكره لنفسه » بل ربما يهون عليه سرقة مال نفسه دون سرقة مال غيره (ثم) الاعلى (عدم الاعتبار بزهد) لغنائه فى الله وبقائه به ، فقد انطوى فى نظره وجود كل شيء فضلا عن زهده ، وهى المرتبة العليا بان يزهد فى الدنيا طوعا ، ويزهد فى زهدة أيضا فلا يرى زهده أصلا ، اذ لا يرى أنه ترك شيئا ما اذ عرف أن الدنيا لا شيء ، وسببه كمال

وَبَاعْتَبَارِ مَا مَنَّهُ مِنْ خَوْفِ النَّارِ ثُمَّ مِنْ أَجْلِ الرَّجَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ لِاقْتِضَائِهِ الْحُبَّةَ ثُمَّ
مِنْ رَفْعِ الْإِلْتِقَاتِ إِلَى مَاسِوَاهُ تَعَالَى وَبَاعْتَبَارِ مَا فِيهِ فِي بَعْضِ الدُّنْيَا كَالْمَالِ دُونَ
الْجَاهِ وَهُوَ كَالْتَّوْبَةِ

المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات إلى الدنيا ، ومن هنا قال أبو يزيد
لابي موسى عبد الرحيم : في أي شيء تتكلم ؟ قال في الزهد ، قال في أي شيء ؟ قال في الدنيا ،
ففرض يده وقال : ظننت أنك تتكلم في شيء الدنيا لا شيء أي شيء تزهد فيها ، فاذن
لا يلتفت الزاهد إلى زهده إلا إذا التفت إلى ما زهد فيه ولا يلتفت إلى ما زهد فيه
إلا لأنه يراه شيئاً معتداً به ، ولا يراه شيئاً معتداً به إلا لقصور معرفته ، فسبب نقصان
الزهد نقصان المعرفة (وباعتبار ما منه) أي والادنى في الزهد باعتبار ما منه
الزهد أن يكون زهده للنجاة (من خوف النار) وما فيها من أنواع العقاب (ثم) الأعلى
أن يكون زهده (من أجل الرجاء إلى الجنة) وما فيها من أنواع الثواب ، وأنما يكون
أعلى مما قبله (لاقتضائه المحبة) أي زيادتها ، والمحبة أعلى المقامات كما سيأتي في خاتمة
الكتاب (ثم) الأعلى أن يكون زهده (من رفع الالتفات) لخواطره (إلى ماسواه
تعالى) فلا تكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه ورضائه ولا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد
الخلاص منها ، وإلى الذات ليقصد نيلها والظفر بها ، بل هو مستغرق اللهم بالله
تعالى ، وهو الذي يصبح وهمه هم واحد ، وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب
غير الله ، ومن طالب غير الله فقد عبده ، سواء وجده أو فقد . وهذا زهد المحبين وهم
العارفون ، لأنه لا يحب الله تعالى خاصة إلا من عرفه ولا تظن أن أهل الجنة عند
النظر إلى وجهه الكريم تبقى لذة الحور والقصور ومنازل النعيم المقيم في قلوبهم ،
بل تلك اللذة بالإضافة إلى نعيم الجنة كـلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف
الأرض ورقاب الخاق بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصافير واللبب به ،
فاطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة كالصبي الطالب للعصفور التارك للذة الملك
وذلك لقصوره عن إدراك لذة الملك لآلان اللعب بالعصفور في نفسه أعلى والذمن
الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخاق ، ومن هنا روى « أكثر أهل الجنة البله
وعليون لا ولي إلا الباب » (وباعتبار ما فيه) أي أدنى الزهد باعتبار ما فيه الزهد
أن يكون زهده (في بعض الدنيا كالمال دون الجاه) أو عكسه (وهو كالتوبة

عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ ثُمَّ فِي كُلِّهَا ثُمَّ فِي سِوَاهُ تَعَالَى

عن بعض الذنوب () وقد اختلف في صحتها ، لكن الصحيح اعتبارها في الجملة على ما تقدم ، بخلاف الزهد فانه لاخلاف في صحة بعضه (ثم) الاعلى أن يكون زهده (في كلها) أى في جميع الدنيا مالها وجامها (ثم) الاعلى وهى المرتبة العليا أن يكون زهده (فيما سواه تعالى) حتى يزهد في نفسه أيضا وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة مما فيه الزهد فقال (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) ثم أجمعه في آية أخرى ورده إلى خمسة فقال (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) إلى أن قال (وهى الحياة الدنيا الامتاع الغرور) ثم رده الى اثنين فقال (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا مالا) وقال في موضع آخر (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) ثم رد الكل الى واحد في موضع آخر فقال (ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا والحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس طلبا ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا ، واذا رغب عنها لم يرد لها ، ولذا لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتب علينا القتال ؟ لولا اخرتنا الى أجل قريب فقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) أى لستم تريدون البقاء الامتاع الدنيا ، فظهر عند ذلك الزاهدون وفضم المناقون . أما الزاهدون المحبون في الله فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنين ، وكانوا اذا دعوا الى القتال يستشعرون رائحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمان الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله اوزير رتبة الشهادة ، وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت سعادة الشهادة حتى أن خالد بن الوليد رضى الله عنه لما احتضر للموت على فراشه كان يقول : لم غررت بروحى ونجمت على الصفوف طمعا في الشهادة ، والآن أموت موت العجائز ، فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات . وأما المناقون فقروا من الزحف خوفا من الموت ، فقيل لهم (إن الموت الذى تفرون منه فانه ملايكم) الآية هذا . واجمع ما قيل في حد الزهد قول أبى سليمان الداراني : قد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا ، والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل ، وقرا

وَبِاعْتِبَارِ الْحُكْمِ الْفَرْضُ وَهُوَ فِي الْحَرَامِ ثُمَّ السَّنَةُ وَهُوَ فِي الشَّبْهَةِ ثُمَّ النَّفْلُ
وَهُوَ فِي فَضُولِ الْمُبَاحِ

أبو سليمان قوله تعالى (الامن اتى الله بقلب سليم) فقال: هو القلب الذى ليس فيه غير الله، وقال انما زهدوا فى الدنيا ليفرغوا قلوبهم من همومها للآخرى (وباعتبار الحكم) أى الزهد الأدنى باعتبار حكم الزهد (الفرض) أى يجب على السالك أن يزهد فيه (وهو) أى الزهد الفرض أن يكون زهدا (فى الحرام) وهو لا بد منه لكمال الاسلام وجمال الاجكام (ثم السنة) أى الزهد الذى يسن للريد أن يزهد فيه (وهو) أى الزهد السنة أن يكون زهدا (فى الشبهة ثم) الزهد (النفل) المندوب المستحب (وهو) أى الزهد النفل أن يكون زهدا (فى فضول المباح) وقال قوم: الزهد فى الحلال لافى الشبهة والحرام، فليس ذلك من درجاته فى شيء. ثم رأوا انه لم يبق حلال فى أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن، ويؤيده قول الحسن: رايت سبعين بدرية كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم. وفى خبر آخر: كانوا بالبلاء اشد فرجا منكم بالرغاء، وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول: اخاف ان يفسد على قلبى، فمن كان له قلب فهو لاحالة يخاف على فساد، والذين قد أمات حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله عنهم اذ قال (ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون) وقال تعالى (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتم هواه وكان أمره فرطا) وقال عز وجل (فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا للحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم) فاحال ذلك كله على الغفلة وعدم المعرفة، فان قلت مهما كان الصحيح ان الزهد هو ترك ما سوى الله فكيف يتصور مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم، فكل ذلك اشتغال بما سواه فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا الى الله هو الاقبال بالقلب على المولى ذكرا وفكرا، ولا يتصور ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضرورات النفس فهما اقتصر فى الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشغلا بغير الله، فان ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو منه، كذا فى الاحياء. وقد يقال المراد بالاشتغال بالمولى أن يكون بالقلب دون القلب، فان الواصلين الى مقام الحضور لا يشغلهم شيء من الأمور، قلوبهم لا يغفل عن الله ولو كانوا فى الزراعة والتجارة

وَيُخْرِجُ عَنْهُ الْقَصْدَ إِلَى الْكَسْبِ أَنْ كَانَ لِلذَّهْنِ دُونَ الْعُدَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْإِدْخَارِ أَنْ
زَادَ عَلَى قُوتِ السَّنَةِ الْإِمْنُ لَا يَكْسِبُ وَلَا يَأْخُذُ مِنَ الْإِيْدَى كَدَاوُدَ الطَّائِي وَهُوَ مَلِكٌ
عَشْرِينَ دِينَارًا قَنَعَ بِهَا عَشْرِينَ سَنَةً

كما يشير إليه قوله سبحانه (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) الآية كما أن قلب
أهل الدنيا لا يغفل عن دنياهم ولو كان قلبهم في المسجد والطاعة والقراءة ونحوها
بل أهل القلوب لكمال ذكركم وفكرهم لو أرادوا أن يغفلوا قلبهم ساعة لم يقدرُوا
على ذلك لما أن أهل الغفلة لو اجتهدوا أن يحضروا قلبهم ساعة عجزوا عما هنالك
بل العارفون عدوا الغفلة كفرًا وارتدادًا كما أشار إليه العارف ابن الفارض بقوله:
ولو خطرت في سواك إرادة • على خاطري يوما حكمت بردي

فال حاضرُونَ على الدوام هم الأنبياء عليهم السلام والأولياء من اتباعهم الكرام والناقلون
الكاملون هم الكافرون المشبهون بالأنعام، وأما المخلطون فهم في أحوالهم مختلفون
قدارة يحضرون وأخرى يغفلون وهم الذين قال الله تعالى فيهم (وآخرون اعترفوا
بذنوبهم خلطوا عملًا صالحًا) الآية (ويخرج) السالك (عنه) أي عن الزهد
ويدخل في حب الدنيا خمسة أشياء (القصد إلى الكسب أن كان) القصد (للذة) أي
بشهوة النفس بالمكسوب (دون العدة) أي بخلاف ما إذا كان القصد من الكسب
الاستعداد والاستعانة (على العبادة) التي هي المندوب والمطلوب ، وهذا يحمل قول
أبي سليمان الداراني : من تزوج أو سافر في طلب المعيشة ، أو كتب الحديث فقد ركن
إلى الدنيا ، وذلك لأنه نقل عنه أيضًا أنه قال : كل ما شغلك عن الله من مال أو ولد فهو
عليك شؤم (والإدخار) يخرج السالك عن الزهد أيضًا (أن زاد) الإدخار (على
قوت السنة) لما ثبتت الرخصة في السنة (الإمان لا يكسب) أي لا يقدر على الكسب
لعدم حرفة أو لا شغاله بتحصيل وجوه معرفة (ولا يأخذ من الأيدي) مع هذه
الحالة أيضًا فإنه لا يخرج الإدخار عن الزهد وأن كان زادًا على قوت السنة (كداود
الطائي وهو ملك عشرين دينارًا) ورثها من أبيه (قنع بها عشرين سنة) ثم اعلم
أنه قد يظن أن تارك المال زاهد وليس كذلك ، فإن ترك المال وأظهر الحشونة سهل
على من أحب المدح بالزهد ، بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعًا في مقام الكمال
هذا وقوم يظهرون الزهد بالتعسف ، وآخرون بالكلف ، ومن الخواص قوم ادعوا

الزهد وليسوا الفاخر من اللباس يمهون بذلك على الناس ليهدي اليهم مثل لباسهم ؛
ولئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ،
ويحتجون لانفسهم باتباع العلم وانهم على السنة ، وأن الاشياء داخلة عليهم وهم
خارجون منها ، وأن ما يأخذون بعلة غيرهم . هذا إذا طوّلوا بالحقائق والجئوا إلى
المضائق . وكل هؤلاء . أهلة الدنيا بالدين ، لم يعاؤوا بتصفية اسرارهم ولا تهذيب
أخلاق نفوسهم ، ظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوا حالاهم ، فهم مائلون
إلى الدنيا متبعون الهوى ، فهذا كله كلام الخواص ، فإذا معرفة الزهد مشكل حتى على
الزاهد نفسه ، فينبغي أن لا يتعبد بلبس خاص موافقا للسنة ، وإن يعول في باطنه
على ثلاث علامات . الأولى أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى
(لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) أى لا تحزنوا حزن فزع ولا
تفرحوا فرح بطرول إلا فلا يتخلو تأثيرهما في النفس باعتبار أصل الطبع ، ثم الكمال أن
يحزن بوجود المال ويفرح بفقده لأنه سبب وجود صحة الحال . والثانية أن يستوى
عنده ذامه ومادحه ، بل يذنبى أن يفرح بدمه ويحزن بدمه . والثالثة أن يكون أنسه
بالله ونسيانه محاسنوا ، ولذا قيل لبعضهم : إلى ماذا أنضى بهم الزهد فقال إلى الانس
بالله ، وأما الانس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان ظلماء والهواء في القدرح ، فالهاء إذا دخل
خرج الهواء وقد قال أهل المعرفة : إذا تعاقب الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والآخرة
جميعا وعمل لهما ، وإذا بطن الايمان سوايد القلب وباشره أبغض الدنيا ولم ينظر إليها ولم
يعمل لها ، ولذا ورد في دعائه عليه السلام اللهم انى أسألك إيمانا ياشرك قلبى وقال
أبو سليمان : من شغل بنفسه شغل عن الناس ، وهذا مقام العابدين . ومن شغل بربه شغل
عن نفسه ، وهذا مقام العارفين . وقال السرى : لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه ،
ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه . وقال النصرابادى : الزاهد غريب في الدنيا
والعارف غريب في الآخرة وقال يحيى بن معاذ : الزاهد يسعطك الخلد والخردل ، والعارف
يشملك المسك والعنبر ، ثم لا يستدل بأمساكه قليلا من المال على فقد زهده في مقام
الكمال ، كما لداود الطائي ، فإن مدار الزهد في الدنيا عدم محبتها . وقد قال الفضيل .
جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله في بيت
وجعل مفتاحه الزهد فيها (والتغذى) بالذال المعجمة أى الأكل (من بر) أى دقيق

مَنْخُولٌ وَالْمُوَاطَّيَةُ عَلَى الْإِدَامِ وَاتَّخَاذُ ثَوْبَيْنِ وَأَثْنَيْنِ وَجِنْسٍ رَفِيعٍ

حنطة (منخول) يخرج من الزهد أيضا (والمواططة على الادام) تخرجه ايضا منه (و) كذا (اتخاذ ثوبين) كقميصين (وأثنتين) أى متاعين من أمتعة البيت كصحنين وأبريقين أحدهما زائد عن استعماله (وجنس رفيع) أى مستحسن ولذيذ من الادام والثوب والاثاث . والاولى في المقام الاعلى عدم التقيد بالادنى والاعلى كما كان طريق المصطفى . وقد قال يحيى بن معاذ الرازى الزاهد الصادق قوله ما وجد ، وابسه ماستر ، ومسكنه حيث أدركه المساء ، الدنيا سجنه ، والقبر مضجعه ، والخلوة مجلسه . والاعتبار فكرته . والقرآن حديثه . والرب أنيسه . والذكر رفيقه . والزهد قرينه . والحزن شعاره . والحياء دثاره ، والجوع ادامة ، والحكمة كلامه ، والتراب فراشه والتقوى زاده ، والصمت غنيمة ، والصبر معتمده ، والتوكل حسيه ، والعقل دليله ، والعبادة حرفته ، والجنة مبلغه ان شاء الله وحده .

ثم اعلم ان المهمات الضرورية في الامور الدنيوية ستة : الطعام ، والملبس ، والمسكن والاثاث ، والنكح ، وما يكون وسيلة الى هذه الخمسة : أما الطعام فلا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه واقل مقداره لقيمات كما ورد في حده ، واقل جنسه ما يقوته ولو خبز نخالة ، واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول واقل ادامة الملح او البقل او الخل ، واوسطه الزيت والسمن والابن واعلاه اللحم . وذلك في الاسبوع مرة او مرتين ووقته الاقل في ثلاثة ايام واوسطه في اليوم والليلة مرة واتصاه في اليوم والليلة مرتين ، ويشير اليه قوله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وكان يعيش عليه السلام بالاسودين أى التمر والماء وما شبع هو وأهل بيته من خبز الشعير يومين متتابعين وفي رواية عند عليه السلام أنه قال : من طلب الفردوس فخير الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير ، وكان عيسى عليه السلام يقول : يابى اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البرى ، وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره . ولما أتى عليه السلام اهل قبا اتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح في يده وقال « أما انى لست احرمه ، ولكنى اتركه تواضعا لله ، واما الملبس فاقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستتر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقنسوة ونعلان واعلاه ان يكون له مع ذلك منديل وسروال ، واقل جنسه المسوح الخشنه واوسطه الصوف الخشن ، واعلاه القطن الغليظ . قال ابو بردة : انخرجت لنا عائشة كساء ملبدا وازارا غليظا

وقالت قبض عليه السلام في هذين ، رواه الشيخان . ولابن ماجه من حديث ابى ذر باسناد جيد « ما من عبد لبس ثوب شهرة الا عرض الله تعالى عنه حتى يثرعه » وقد اشترى عليه السلام سروا بالاربعة دراهم لما رواه ابو يعلى من حديث ابى هريرة . ولابى الشيخ من رواية عروة بن الزبير مرسلا « كان رداه عليه السلام اربعة اذرع وعرضه ذراعان ونصف » وفي طبقات ابن سعد من حديث ابى هريرة « كان له ازار من نسج عمان طوله اربعة اذرع وشبر في ذراعين وشبر » وعن جابر قال دخل عليه السلام على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من اجلة الابل ، فلما نظر اليها بكى وقال « يا فاطمة تجرعى مرارة الدنيا لنعيم الابد » فانزل الله سبحانه (واسوف يعطيك ربك فترضى) وقال عليه السلام لعائشة « ان اردت اللحوق بى فاياك وبجاسة الاغنياء ، ولا تنزعى ثوبا حتى ترقعه » رواه الترمذى والحاكم وصححه من حديث عائشة . ولابى نعيم والحاكم والبيهقى في شعبة « ان من خيار ائمتى فيما انبأنى اللى الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ، ويكون سرا من خوف عذابه وقتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ، ويتبعون الرهبان ، اجسامهم فى الارض واشدهم عند العرش ، وعد على قيص عمر اثني عشر رقعة بعضها من ادم . واشترى على كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو فى الخلافة ، وقطع كفيه من الرسغين وقال : الحمد لله الذى كسانى هذا من ريشه . وقال بعضهم : قومت ثوبى سفيان ونعليه بدرهم واربعة دنانير . ولاحد من حديث معاذ « ان عبادا لله ليسوا بالمتنعمين ، واما المسكن فالاعلى ان يقنع بزواوية من المسجد كاصحاب الصفة واوسطها بيت من سعف ونحوه وادناها حجرة مبنية اما بشراء او كراء . وللطبرانى من رواية ابى العالية « ان العباس بنى غرفة فقال له عليه السلام اهدوها » ولابى داود من حديث انس بسند جيد « رأى عليه السلام قبة مشرفة فقال لمن هذه ؟ قالوا لفلان فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل اصحابه عن تغير وجهه عليه السلام فاخبره بذلك فذهب فهدمها فمر عليه السلام بالموضع فلم يرها فاستخبر فاخبر بانه هدمها فندعاه بخير ، ولابن حبان فى الثقات وابى نعيم فى الحلية عن الحسن مرسلا « مات رسول الله ﷺ ولم يضع لينة على لينة ولا تصبه على قصبة » وقال عبد الله بن عمرو « مر علينا عليه السلام ونحن نعالج خصا ، فقال ما هذا ؟ فقلنا خص لنا قد وهى فقال ارى الامر اعجل من ذلك » رواه ابو داود والترمذى وصححه وابن ماجه وقال الحسن دخلنا على صفوان بن عمرزوه وفى بيت من قصب قد مال عليه نقيله لو اصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله

ولابن داود من حديث أنس يستجدد « كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا بد منه ، وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه ، وكان منهم إذا حج أو غزا نزع بيته أو وجهه لجيرانه فإذا رجع أعاده ، قال الحسن : كنت إذا دخلت بيوته عليه السلام ضربت يدي إلى السقف . وقال عليه السلام للرجل الذي شكأ إليه ضيق منزله : اتسم في السماء . يعني في الجنة . رواه أبو داود في المراسيل ووصله الطبراني . وقال ابن مسعود : يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين ، يصلون إلى قبلكم ويموتون على غير ملتكم ، وأما أئمة البيت فاعلاها حال عيسى عليه السلام إذ كان لا يصحب إلا مشطا وكوزا ، فرأى أنسانا مشط لحيته باصابعه فرمى المشط ، ورأى آخر يشرب من النهر فرمى الكوز . ثم الظرف ينبغي أن يكون من الخرف ولو مكسور الطرف ، وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء متعددة كالذي معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ، وقالت عائشة رضي الله عنها « كان ضجاعة أي فراشه عليه السلام الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف ، رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح ، وللترمذي في الشمائل من حديث حفصة « ان فراشه عليه السلام كان عباءة مثنى وسادة من ادم حشوها ليف ، ورأى عليه السلام على باب منزل عائشة سترا فنهكه ، وقال : كلما رأيته ذكرت الدنيا أرسلني به إلى فلان ، رواه الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها ، وقال الحسن « أدركت سبعين من الخيار ما لا حدم الا توبه ، وما وضع أحدهم بينه وبين الارض ثوبا قط وكان إذا أراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه وأما المتكبح فقال قائلون لازهد في أصل النكاح ولا في كثرته ، وإلى هذا ذهب سهل بن عبد الله ، وقال قد جيب إلى سيد الزاهدين النساء فكيف زهد فيهن ووافق ابن عيينة قال وكان على ازهد الصحابة وله أربع نسوة وبضع عشرة سرية ، والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني ان كل ما شغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو عليك شؤم ، وهو مستفاد من قوله تعالى : (لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) وقوله (ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) وقال أبو سليمان : الزهد في النساء أن يختار المرأة الفقيرة الضعيفة على المرأة الجميلة الشريفة ، وقال الجنيد : أحب للبريد المبتدى أن لا يشغل قلبه بثلاث ولا يغير حالة الكسب وطلب الحديث والتزوج وقال أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لانه أجمع لهمه وأما ما يكون وسيلة إلى هذه الخسة فهو المال والجاه أو الجاه فانه قد يقتدر إلى خادمه فينقمه ، وقد يحتاج إلى دفع ظلم

وَالْأُولَى الْمُبَالَغَةُ فِي التَّشْدِيدِ تَحَامِيًّا عَنِ الْإِنْسِ بِالْدُّنْيَا وَطُولِ الْمَكْثِ لِلْحِسَابِ
وَالْحَبْسِ عَنِ الْجَنَّةِ وَاللَّوْمِ وَالتَّعْيِيرِ وَالْحَرَمَانِ عَنِ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ وَهُوَ الْمَأْثُورُ

عن نفسه او غيره، والغالب ان من اشتغل بالعلم والعمل تمده له من قلوب الخلق ما يدفع به
عنه الاذى ، ولو كان بين الكفار فكيف بين الابرار ، واما المال فقدر الضرورة كاف
في المديشة ، فاذا كان كاسبا واكتسب حاجة يومه ينبغي أن يتركه ويشتغل بامرئهمه ،
وقد قال أبو سليمان لا ينبغي للرجل أن يرهق أهله إلى الزهد ، بل يدعوهم إليه فان اجابوه
والا تركهم وفعل بنفسه ماشاء . وروى أن ابراهيم الخليل عليه السلام اصابته حاجة
فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه ، فرجع مبهوا فاوحى الله اليه لو سألت
خليفك لاعطاك ، فقال يارب عرفت مقتك للدين فحفت أن اسألك شيئا منها ، فاوحى
الله اليه ليس الحاجة من الدنيا . قتين من هذا أن تحصيل قدر الحاجة من أمر الدين ،
(والاولى المبالغة في التشديد) أي التضييق على نفسك أن كنت من المريدن المجتهدين
(تحاميا) أي تحافظا عن ستة اشياء (عن الانس بالدنيا) ونسيان العقبي والاشتغال
بغير ذكر المولى (و) عن (طول المكث للحساب) المتضمن لعذاب الحجاب (و)
عن (الحبس) والتوقف (عن الجنة) وما فيها من الثواب (واللوم) أي وعن الملامة في
اكتساب السيئات (والتعير) أي التوبيخ في تقصير الطاعات (والحرمان عن الدرجات
العالية) والمقامات العالية (وهو) أي المبالغة على المنهج المذكور طه ورد فيه (المأثور)
عن السلف الصالحين . فمن الثورى وكان قد شدد على نفسه فقل له : لو خففت لنتك
الجنة أيضا ، فاهذه الشدة ؟ فقال : كيف لا اشد على نفسي وقد ورده أن جارية تضحك
عند زوجها في الجنة فتشرق الجنان الثمانية بنور اسنانها فيظنون أن ذلك نور
من جهة الرب سبحانه فيخرون ساجدين ؛ فتودوا أن ارفعوا رؤوسكم ليس الذي
تظنون ، انما هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها « وأما ما حكي ان داود الطائي كان له
جب مكسور فيه ماؤه ، فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب منه الماء الحار ، ويقول : من
وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا ، فلهه محمول على وقت رياضته وابتداء
مخالفته النفس في شهوته ، والا فيبعد من الزهد الياردلانه عليه السلام كان يستعذب
الماء ويقول في دعائه « اللهم أجعل حبك أحب إلى من حب الماء البارد » وقد دخل
بستانا فقال لصاحبه : أن ياني عندك ماء بارد في شئ والا كره عنا فاني به فشرب » وكان

وورد «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ مَسَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةٌ مَاءٍ،
الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ . ثُمَّ الْحَالَاتُ الَّتِي قَبْلَ الْمَوْتِ دُنْيَا وَالتِّي
بَعْدَهُ آخِرَةٌ لَكِنَّ الْعِبَادَةَ وَمَا لَا يَبْدُ مِنْهُ فِيهَا مَعْدُودَةٌ مِنَ الْآخِرَةِ بِخُرُوجِهَا عَمَّا جُمِعَ
فِيهَا وَرَدَ (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ)

بعض العارفين يقول: اذا شربت الماء البارد احد الله من صميم قلبي. وايضا انما خلق
الله اللذات الدنيوية لتكون انموذجا للذات الاخرية وقد قال تعالى: (قل من حرم
زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) وقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا
كلوا من طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) أى المتجاوزين
عن الحد في أمر الدين كالرهبانيين (وورد) في الحديث (لو كانت الدنيا تعدل عند الله)
أى تساوى وتمائل (جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء) رواه الترمذى من
حديث سهل بن سعد . ورواه ابن ماجه بلفظ وزن بدل تعدل ، وقال قطرة ابدا بدل
شربة ماء رواه الحاكم وصححه (الدنيا ملعونة ملعون (وفي نسخة وملعون (ما فيها الا
ما كان لله) وهو العبادة وما يعين عليها . وفي رواية الطبراني من حديث أبي الدرداء
« الا ما يتغنى به وجه الله عز وجل » واسناده لا بأس به ورواه الترمذى من حديث أبي
هريرة وحسنه . ولفظه « الا ذكر الله وما والاؤه وعالمه ومعلمه » يعنى وما يجرى مجراه فانه
سبحانه خالق الاشياء كلها لعباده لما يشير اليه قوله تعالى (هو الذى خلق لكم ما فى الارض
جميعا) وخاق عباده لعبادته لما قال (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فثكر
نعمته أن يصرفها فى طاعته، وكفرانها أن يصرفها فى معصيته او غفلته (ثم الحالات
التي قبل الموت) خير الوشر تسمى (دنيا والتي بعده) أى بعد الممات تكون (آخرة)
فان من مات فقد قامت قيامته . وقد يقال بين الموت والبعث حال يقال له البرزخ فانه
الواسطة بين الدنيا والاخرى (لكن العبادة وما لا بد منه فيها) ما يعين عليها كالاكل
والشرب واللباس والنوم والمخالطة ونحوها بقدر الضرورة (معدودة من الآخرة
بخروجها عما جمع) من أمورها (فيما ورد) فى التنزيل (انما الحياة الدنيا لعب)
وهو ما يتعب الشخص فيه نفسه من غير فائدة له ، وهو فعل الصياني والمجانين (ولهو)
وهو ما يشتغل به عن الطاعات ويلهو عن العبادات وهو فعل أهل الغفلة من الشباب

الآية ٥ فَبِئْسَ الدُّنْيَا بِاجْمَعِهَا وَمَتَاعُهَا مَا جَمَعَ فِيمَا وَرَدَ (زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ)
الآية ٦ وَالشَّغْلُ بِهَا حُبُّ حُظُوظِهَا بَاطِنًا وَتَحْصِيلُهَا ظَاهِرًا وَعِلَاجُ حُبِّهَا مَعْرِفَةُ الرَّبِّ
وَالنَّفْسِ وَشَرَفِ الْآخِرَةِ وَخَسَاسَةِ الدُّنْيَا

وارباب المال والجاه، كما يشير اليه قوله تعالى (الهيكم الثكائن حتى زرتم المقابر) (الآية ٥)
أى (وزينة) وهى الغالب على النساء ومن تشبه بهن من السفهاء (وتفاخر بينكم وتكاثر
فى الاموال والاولاد) وهو حال اكثر اهل الدنيا من الاغنياء والامراء (فهى)
أى الاشياء التى جمعت فى الآية السابقة (الدنيا باجمعها) أى بتمامها (ومتاعها)
مبتدا خبره (ما جمع) من أنواعها (فيما ورد) فى التنزيل (زين للناس حب
الشهوات) أى اللذات (الآية) أى (من النساء والبنين) أى دون البنات ولذا قيل
فى قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات) أن البنات داخلة
فى الباقيات الصالحات (والقناطر المقنطرة) أى الجمول الكثيرة (من الذهب والفضة)
وقد ورد لولطان لابن آدم واديان من ذهب لا يتغنى ثالثا ولن يملأ جوف ابن آدم الا التراب
ويتوب الله على من تاب» (والخيل المسومة أى المعلمة او المرسلة) (والانعام) من الابل
والبقرو والغنم (والحرث) للزراعة والاشجار والثمار والازهار (ذلك متاع الحياة الدنيا)
أى (وما الحيرة الدنيا الامتاع الغرور) (والله عند حسن المسأب) وجزيل الثواب
(وما عند الله خير للابرار) (والشغل بها حب حظوظها) أى لذاتها وشهواتها
(باطنا وتحصيلها ظاهرا) واما الانبياء والاصفياء فاختار الله لهم الدرجات العليا
فى العقبى والمحن والبلايا فى الدنيا، فمن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم
«لقد كان الانبياء قبل ليئلى اقدم بالفقر فلا يجد الا العباء، وأن كان اقدم ليئلى
بالقمل حتى يقتلهم القمل، وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم» روى ابن ماجه باسناد
صحيح، وعن ابن عباس قال لما ورد موسى ماء مدين كانت خضرة البقل ترى من بطنه
من الهزال «(وعلاج حبها معرفة الرب) فان معرفة الرب موجهة لوجه وجه لا يجتمع
مع حب غيره كما يشير اليه قوله سبحانه (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) ولانه
سبحانه انه يفضها فلا ينبغى لاحد ان يحبها (والنفس) أى ومعرفة قدرها حتى
لا يضيعها فى طلبها الدنية، ويمنعها عن تحصيل المنازل السنية (وشرف الآخرة)
ودرجاتها العالية الباقية ونقاسة مراتبها الرفيعة المنية (وخساسة الدنيا)

﴿البَابُ الْعُشْرُونَ فِي التَّوْحِيدِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَذْنَى رُتَبِ التَّوْحِيدِ مَحْضُ الْقَوْلِ وَهُوَ التَّفَاقُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْهُ وَلَا يُفِيدُ إِلَّا عَصْمَةَ الدِّمِ وَالْمَالِ فَوَرَدَ فَأَذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ثُمَّ التَّصَدِيقُ كَاللَّعَامَى وَالْمُتَكَلِّمِ

من خمسة شركائنا وسرعة فنائها وكثرة غنائها وقلة غنائها ، ويكفيك في ذمها ماورد في حقها من «ان الدنيا جيفة وطلابها كلاب» فقد روى ابو الشيخ في تفسيره عن علي موقوفا والدنيا جيفة فمن ارادها فليصبر على مخالطة الكلاب، واخرج الديلمي عن علي مرفوعا داوحى الله تعالى الى داود ياد داود مثل الدنيا مثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يحرقونها افتح ان تكون ظبا مثلهم فتجرهمهم، ولا مد عن عائشة مرفوعا ورجاله ثقات والدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له، وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابي هريرة مرفوعا والدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، ورواه احمد عن عبد الله بن عمرو بزيادة فاذا فارق الدنيا فارق السجن « ثم الدنيا فتنة وبليّة كما في صحيح مسلم «الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فانظر كيف تعملون» وقفنا الله سبحانه وتعالى لما يحب ويرضى في الدنيا والاخرى ، وبلغنا المقام الاسنى مع الذين احسنوا الحسنى انه جواد كريم »

﴿البَابُ الْعُشْرُونَ فِي التَّوْحِيدِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ المنفرد بتوحيد الذات وتفريد الصفات عليه يتوكل المتوكلون وبه يتقرب المتقربون الموقنون ﴿اذنى رتب التوحيد﴾ من مراتبه الاربع ﴿محض القول﴾ بالتفريد بان يقول الانسان بظاهر اللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه وهو جاهل به او منكر له كتوحيد المنافق ﴿وهو﴾ اى قوله ﴿التفاق والعياذ بالله منه﴾ اى من التفاق وما يترتب عليه من الخلاف والشقاق ولا يفقد ذلك التوحيد في الحال ﴿الاعصمة الدم والمال﴾ اى حفظ دم الموحّد وماله ﴿فورد﴾ في الحديث الصحيح وصدره امرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، ﴿فاذا قالوها﴾ اى طعة التوحيد ﴿عصموا مني دماءهم وأموالهم﴾ تمام الحديث «الابحّة واحسابهم على الله» ﴿ثم التصديق﴾ معوهو أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين ويكون اعتقاده ﴿كما للعامى﴾ اى كما هو اعتقاد العوام ﴿والمتكلم﴾ وهو الخائض

هُوَ لَا يَتَمَيَّزُ إِلَّا بِالْحِيلَةِ الدَّافِعَةِ لِتَشْوِيشِ الْمُبْتَدِعَةِ وَيُفِيدُ النِّجَاةَ مِنَ الْخُلُودِ فِي
النَّارِ ثُمَّ مُشَاهَدَةَ صُدُورِ الْكُلِّ مِنْهُ تَعَالَى وَيُفِيدُ اعْتِمَادَ الْقَلْبِ عَلَيْهِ وَانْقِطَاعَهُ عَمَّا
سِوَاهُ وَهُوَ السَّوْكَلُ

في علم الكلام (فهو) أي المتكلم (لا يتميز) عن العامي في هذا المقام (الاباحيلية) أي
الصنعة الجدلية (الدافعة لتشويش المبتدعة) المانعة من انحراف قواعد أهل السنة
والجماعة (ويفيد) التصديق الجناني مع الاقرار اللساني (النجاة من الخلود
في النار) ولو كان صاحبه من الفساق والفجار (ثم مشاهدة صدور الكل) أي
ظهور جميع ما يقع في الكون (منه تعالى) وفي الحقيقة هذا يسمى توحيد الافعال
في المصنوعات وما سبق توحيد الذات والصفات وهذا انما يكون بطريق الكشف
بواسطة نور الحق لتووير الاسرار وهو مقام المقربين الابرار وذلك بان يرى أشياء كثيرة
ظاهرها الاغيار ولكنه يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار ، فيقول المشاهد
حينئذ ليس في الدار غيره ديار (ويفيد) هذا التوحيد (اعتماد القلب عليه) في أمور
الدنيا والاخرى (وانقطاعه عما سواه) فلا يرى أحدا يضر وينفع أو يهبط ويمنع
الاياه (وهو التوكل) أي الاعتماد على الله وعدم الالتفات إلى ما عداه، وتوضيحه
أن ينكشف لك أن لا فاعل الا الله وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وضر
ونفع وحلو ومر ، وخير وشر ، وغنى وفقر ، وحياة ومات ، الى غير ذلك مما ينطلق عليه
اسم الوجود في دائرة الشهود فالمفرد بابداعه وابدائه واختراعه هو الله سبحانه
لا شريك له فيه ، وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره ، بل كان منه خوفك واليه رجائك
وبه تقنك وعليه اتكالك ، فانه الفاعل على الافراد دون غيره ، وما سواه مسخرون
لاستقلالهم بتحرك ذرة من ملكوت السموات والارض ، وإذا انفتح لك ابواب
المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر . وأما يصدق الشيطان
عن هذا التوحيد في مقامين ، ويتغنى به أن يتطرق إلى قلبك شائبة الشرك بشيئين :
أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات ، والثاني الالتفات إلى الجمادات . أما الالتفات
إلى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه ، وإلى الغيم في نزول
المطر ، وعلى البرد في اجتماع الغيم ، وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا

ثُمَّ رُؤْيَةُ عَدَمِ مَاسِوَاهُ وَيَفِيدُ الاسْتِغْرَاقَ بِهِ تَعَالَى وَالْغَيْبَةَ عَنِ الْغَيْرِ

شرك في التوحيد وجهل بحقائق أمر التفريد ، ولذا قال تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر اذا هم يشركون) قيل معناه يقولون لولا استواء الريح لما نجونا . ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحرك ، وكذا محركه وهكذا ينتهي إلى المحرك الاول الذي لا يحرك له ولا هو متحرك في نفسه ، ومنه قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وأما الالتفات إلى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية فيقول الشيطان كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره ، فان شاء اعطاك وأن شاء قطع عنك ، وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه ، وهو قادر عليك أن شاء حز رقبتك وأن شاء عفا عنك ، فكيف لا تخافه ولا ترجوه وأمرك بيده ؟ فانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ، وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الاعباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين ، فشاهدوا بنور البصائر أن جميع ما في السموات وما في الارض : من الشمس والقمر والنجوم والمطر والارض والحجر والمدر والشجر ، وكل حيوان وملك وبشر مسخرات في قبضة القدرة الالهية الصمدانية ؛ والقوة السبحانية الربانية .

ثم اعلم أنه سبحانه قال (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) وأجمع السلف على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يتحرك الانسان ولا يسكن الا اذا شاء الله شاء العبد أو لم يشأ فليست المشيئة اليه فهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة ، والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشية تحدث ضرورة في القلب ، فهذه ضروريات يرتبط بعضها الى بعض ، وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصرف القدرة الى المقدور بعدها ، ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة ، فهو مضطر في الجميع ، فان قيل فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف تكون مجبرا مختارا الجيب بانه لو كشف لك النطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور ، لانه عدم مسخره مقهور ولذا قال بعض العارفين . لا تختار فان كنت تختار فاختر ان لا تختار ، وربك تخلق ما يشاء ويختار ، والله سبحانه اعلم بحقائق الاسرار (ثم رؤْيَةُ عَدَمِ مَاسِوَاهُ) أي مشاهدته بمنجب وجود مرآه ، فلا يرى في الوجود الا واحدا وهو شهادة الصديقين الاحرار (وَيَفِيدُ) هذا التوحيد (الاسْتِغْرَاقَ بِهِ تَعَالَى) أي بشهوده (وَالْغَيْبَةَ عَنِ الْغَيْرِ) أي الغفلة عن وجود غيره

وَهُوَ الْفَنَاءُ

(وهو) عند الصوفية (الفناء) في التوحيد الحاصل من كمال الصفاء وجمال الوفاء من حيث انه لا يرى الا واحدا لا يرى نفسه ايضا فاذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فنى عن رؤية نفسه بالكلية وقد يفنى عن رؤية فناءه ايضا ويسمى الفناء من الفناء ويبقى له البقاء في مشاهدة اللقاء ، فالاول موحد بمجرد اللسان وذلك يعصم صاحبه عن السيف والسنان ، والثاني موحد بجنانه مفهوم لسانه لكن ليس فيه انشراح واقتراح لسانه ، والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فعلا واحدا ، والرابع موحد بمعنى انه لم يظهر في نظر شهوده غير الواحد الواجب في وجوده ولا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد ويسمى مقام جمع الجعم في حال التوحيد وهو ان لا تتجزء الكثرة عن الوحدة ولا تتجبه الوحدة عن الكثرة وبهذا يتبين لك ان توحيد الفعل مقصود عال للسالكين لكنه لا يخلو عن مشاهدة الغير والاتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق المطلق . فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وما بينهما من الطول والعرض وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا ؟ فاعلم ان العارفين قالوا صدور الاحرار قبور الاسرار كما يشير اليه قوله عليه السلام «لو تعلمون ما علم» وقالوا ايضا : افشاء سر الربوبية كفر لكن قد يمكن الإشارة الى كشف ما فيه ستر بان يقال الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ، وقد يكون واحدا بنوع آخر من ملاحظة واستبصار ، وهذا لما أن الانسان كثير اذا التفت إلى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وأعضائه ، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد . ولم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه واجزائه فهو في حال الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق ، وثاته في عين الجمع والمتفت الى الكثرة في تفرقه ، فكذا كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة ، وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات اخر سواها كثير . ثم هذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة كالبرق الخاطف وهي الاكثر والنوام نادر عزيز يغلب في المجاذيب وإلى هذا المقام أشار الحسين بن منصور بن الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الاسفار فقال فيما ذا أنت ؟ قال ادور في الاسفار لاصحح حالى في التوكل وقد كان من المتوكلين

فقال الحسين : قد افيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد ؟ فكان الخواص في تصحيح المقام الثالث من التوحيد فطالبه بالمقام الرابع من التفريد . فان قلت : فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ؟ اذ معنى التوحيد أن لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا ؟ وأن كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ؟ ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فالجواب نعم ذلك غير مفهوم إذا كان للفاعل معنى واحد ، وأن كان له معنيان ويكون الفعل مجعلا مرددا بينهما لم يتناقض ، لما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد ، لكن الامير قتل بمعنى آخر والجلاد قتل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى آخر ، فعنى كون الله فاعلا أنه المخترع الموجد ، ومعنى كون العبد فاعلا أنه المحل الذي خلقت فيه القدرة بعد أن خلق الله فيه الارادة ، بعد أن خلق الله فيه العلم ، ولاجل توافيق ذلك وتطابقه نسب الله سبحانه الافعال في القرآن مرة إلى الملائكة واخرى الى العباد ، ونسبها بعينها مرة إلى نفسه فقال تعالى (قل يتوفىكم ملك الموت الذي وكل بكم) وقال (ثم توفته رسالنا) وقال (الله يتوفى الانفس حين موتها) وقال (فلم تقولوه ولكن الله قتلهم ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى) وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهر اولكن معناه مارميت بالمعنى الذي يكون به الرب راميا اذ رميت بالمعنى الذي يكون به العبد راميا فانهما لغتان مختلفتان فالمعنى ومارميت حقيقة اذ رميت مجازا ولكن الله رمى حيث خلق فيك قوة الرمي أو خلق في رمى الوصول إلى عين العدو . وقيل مارميت خلقا اذ رميت كسبا ، ولكن الله قدر رميك اذ لا . وكذا ذكر الله تعالى في القرآن الادلة والآيات في الارض والسموات ثم قال (اولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) وقال (شهد الله أنه لا اله الا هو) فبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس بمتناقض بل طريق الاستدلال مختلف ، فكم من طالب عرف الله بالنظر إلى الموجودات كآل بمعضنهم : ما نظرت شيئا الا ورأيت الله بعده ، وهذا طريق المريد السالك . ولم من طالب عرف الموجودات بالله سبحانه كما قال بعضهم : ما نظرت شيئا الا ورأيت الله قبله ، وهذا ملك المريد المجذوب ومن هنا قال من قال عرفت ربى برى ، ولو لاربنى لما عرفت ربى .

فالخاص أن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تناقض لهذه المعاني اذا فهمت حقائق المعاني ، ولذا قال عليه السلام للذى ناوله التمرة : خذها لولم تأتها لاتتك ، داروا ابن حبان والطبراني فاضاف الايتان اليه وإلى التمرة . ومعلوم أن التمرة لا تأتي على الوجه الذى يأتي الانسان به اليها ، وكذا لما قال ذلك النائب : اتوب إلى الله ولا اتوب إلى محمد قال عليه

وَالْإِنْفَاتُ إِلَى الْغَيْرِ إِمَّا لِّلضَّعْفِ الْيَقِينِ لِتَطَرُّقِ الشَّكِّ وَعَدَمِ الْإِسْتِيْلَاءِ عَلَى الْقَلْبِ
وَأَمَّا لِّلضَّعْفِ الْجَبَلِيِّ كَالْجَبَانِ مُطِيعِ الْوَهْمِ لَا يُطِيقُ الْبَيْتُوتَةَ فِي بَيْتٍ خَالٍ أَوْ فِيهِ مَيِّتٌ

السلام «عرف الحق لاهله» وذلك لان من اضاف الكل الى الله فهو المحقق الذي عرف الحق لاهله ، ومن اضاف الى غيره فهو المتجوز في مرامه المستعير في كلامه ومن هنا قال عليه السلام «اصدق بيت قالته العرب قول لبيد : الاكل شيء ما خلا الله باطله» متفق عليه من حديث ابي هريرة . والمعنى ان ما لا اقوام له بنفسه وانما اقوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقته وحقيقته لغيره لا بنفسه فاذا لاحق بالحقيقة الا الحى القيوم ليس كمثل شيء وهو السميع البصير فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل اى مضمحل وزائل وقال تعالى (كل شيء هالك الا وجهه) ومن هنا قال سهل : يا مسكين تان ولم تكن، ويكزن ولا تكون، فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الآن تان لم تكن ، فانه اليوم كما كان . وهذا تفصيل ما اجمل في قول بعضهم تان الله ولم يكن معه شيء ، وهو الآن على ما عليه كان. هذا واذا ثبت في نفسك بكشف او اعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك ان له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والرحمة بجملة الآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ، ولا وراء منتهى علمه علم ، لا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة انك لا محالة قلبك عليه وحده ولم تلتفت الى غيره بوجه ، ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله ، فالحول عبارة عن الحركات والقوة عبارة عن القدرة (والانفقات الى الغير) حيث لا احد الا امرين (اما الضعف اليقين) وذلك (لتطرق الشك) وخطوره في امور يجب عدم الانفقات اليها (وعدم الاستيلاء) اى ولقلة غلبة اليقين واستعلائه (على القلب) ودخول اليقين في سويدائه (واما للضعف الجبلي) اى الخلق الطبعي وهو مرض القلب باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة لديه فان القلب قد يترجم تبعاً للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من كان يتناول عسلاً فنبه بين يديه بالعدرة وبما نفع عنه طبعه ويمتنع عليه تناوله (كالجبان مطيع الوهم لا يطيق البيتوتة في بيت خال او فيه ميت) فلولا تف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت نرطبعه عن ذلك وان كان متيقناً لكونه ميتاً وانه جماد في الحال، وان سنة الله مطردة بانه لا يمحشره الا الآن

وَأَدَّى رُبَّ التَّوَكُّلِ أَنْ يَعْتَمِدَ اعْتِمَادَ الْمُوَكَّلِ عَلَى الْوَكِيلِ لِلْعِلْمِ بِشَفَقَتِهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ
وَعَلَيْهِ ، ثُمَّ اعْتِمَادَ الطِّفْلِ عَلَى الْأُمِّ وَتَفَارُقُ الْأُولَى بِعَدَمِ الْإِلْتِقَاتِ عَلَى الْإِعْتِمَادِ

ولا ينجيه، ولو أحياء لماد كما كان واجبه وإبقائه وعاقبه وارتضاه، لما أن سنته سبحانه
مطرده بان القلم الذى فى يده لا يقبله حية وان كان قادرا عليه ومع أنه لا يشك فى هذا
اليقين فلينفر قلبه عن مضاجعة الميت فى فراش بل الميت معه فى بيت ولا ينفر عن
سائر الجمادات . وذلك جبن فى القلب وهو نوع ضعف قل ما يخلو الانسان عن شىء
منه وان قل ، وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف أن يبيت فى البيت وحده مع
اغلاق الباب واحكامه . فاذن لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما
يحصل سكون القلب وطمانيته ، فالسكون فى القلب شىء واليقين شىء آخر فكم
من يقين لا طمانينة معه كما قال تعالى (اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) فالتمس
أن يشاهد احياء الميت بعينه ليترقى من مقام علم اليقين الى عين اليقين .

هذا وقد قال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه
وفضلا) فالانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ، ولذا قيل : الشفيق بسوء الظن
مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب وشاهدة المتكلمين على الطلب والكسب
غلب سوء ظنه وضعفت قوة توبته . وعنه عليه السلام : أن الله عز وجل يحكمته وجلاله
جمل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط (وادنى
رُبَّ التَّوَكُّلِ) على الله (ان يعتمد) عليه (اعتماد الموكل) من المخلوق (على الوكيل)
مثله (اللهم) أى لعلم الموكل (بشفقته تعالى وقدرته وعليه) كما قدمناه وهذه الدرجة
الاولى . (ثم) التوكل الاعلى منه أن يعتمد عليه سبحانه (اعتماد الطفل على الام)
فيكون حاله مع الله كحالة الطفل مع أمه ، فانه لا يعرف غيرها ولا يفرع إلى أحد سواها
ولا يعتمد الاياها ، فاذا راحا تغلق فى كل حال بذيلها ولم يتركها ، وأن نابه أمر فى غيبتها
كان اول سابق الى لسانه يا اماء يا اماء واول خاطر يخطر على قلبه أمه فانها مفرعه وقد
وثق بكفالتها وشفقتها وكفايتها ورعايتها فن كان تاله إلى الله ونظره الى مولاه
واعتماده عليه فى دنياه واخراجه كلف به لما تكلف الصبى بامه بل أقوى منه ، قاله
سبحانه أرجم الراحمين فيكون متوكلا حقا لما أن الطفل متوكل على أمه صدقا
(وتفرق) هذه الرتبة الثانية الدرجة (الاولى) بشيئين (بعدم الالتفات على الاعتماد

اسْتَعْرَاقًا بِالْأَمِّ وَتَرَكَ التَّدْيِيرَ فَلَيْسَ تَنَافِيهِ بِالطَّرِيقِ الَّذِي رَسَّمَهُ الْوَكِيلُ ثُمَّ
أَنَّ يَكُونَ كَالْمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيِ الْغَسَّالِ

استعراقا بالام في باب الاستناد اذا الصبي اذا طول ب تفصيل الكل لا يعرف أن التوكل
ما هو فلا يعرف الا الوكيل وتوضيحه في مقام الفرق بين هذا وبين الاول ان هذا
متوكل وقد فنى في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل على
المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه وأما الاول فتوكل بالتكليف
والكسب وليس فانما عن توكله حيث له التفات الى توكله وشعوره به وذلك شغل
صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده وإلى هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل
عن التوكل ما أدناه فقال ترك الأمانى قيل فاوسطه قال ترك الاختيار وهذا اشارة
الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لم يعرفه الا من بلغ اوسطه (وترك
التدبير) أى وتفرق الثانية الاولى بترك تدبير الامور اذا كان في مقام الحضور (فترك
الرتبة الاولى) (لاتنافيه) أى أصل التدبير (بالطريق الذى رسمه) أى بينه (الوكيل)
به وعينه بان يفعله تصريرا أو تلويحا ولكن تنافى بعض التدبيرات التى مارسها
بها ولا كلفه فى تحصيلها ، وذلك كالتوكل على وكيله فى الخصومة فانه يترك
تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذى أشار اليه وكيله أو التدبير
الذى عرف من عاداته وسنته دون صريح اشارته فاما الذى يعرفه بأشارته بان يقول
لست أنكلم الا بحضورك فيشتغل لاحالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مانا قضا
لتوكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوتها في اظهار الحجة ولا الى حول
غيره بل من تمام توكله أن يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا ولا معتمدا له في قوله
لما حضر بقوله وأما المعلوم بمصادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عاداته أنه لا يحتاج
الخصم الا من السجل ، فتمام توكله ان كان متوكلا عليه أن يكون معولا على سنته
وعاداته ووفائه بمقتضاها وهو أن يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاضمته فاذن
لا يستغنى عن التدبير فى الحضور وعن التدبير فى احضار السجل ونحوه من الشهود
فى الامور (ثم) أعلى رتب التوكل على الله تعالى (أن يكون) المتوكل بين يدي الله سبحانه
فى حركاته وسكناته (كالميت بين يدي الغسال) حال تقبله وسائر تصرفاته لا يفارقه
الا فى أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية لما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذى

وَتُفَارِقُ الثَّانِيَةَ بِتَرْكِ السُّؤَالِ مُطْلَقًا فَتَلْكَ أَمَّا تَنَافِيهِ مِنْ غَيْرِهِ تَعَالَى وَهِيَ أُنْدَرُ
وَقُوعًا وَبَقَاءً، ثُمَّ الثَّانِيَةُ ثُمَّ الْأُولَى

قوى يقينه بأنه سبحانه مجرى الحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات ، وأن
ظه يحدث جبها فيكون غائبا عن الانتظار لما يجري عليه (وتفرق) هذه المنزلة
الثالثة الدرجة (الثانية بتترك السؤال مطلقا) سواء كان السؤال من الله او من غيره
في جميع الاحوال كما روى عن الخليل أنه لما قال له جبريل لك حاجة قال أما إليك فلا
وأما الى الله فبلى ، فقال سل ربك فانك في مقام البلاء المورث للولاء ، فقال حسبي
من سؤالي عليه بحالى *

وحاصله أن صاحب هذا المقام بفارق الصبى فيما له من المرام ، فان الصبى
يفزع الى أمه ويصيح وراءها ، ويتعلق بذيلها ويمدو خلفها ، بل مثال هذا مثال صبى
فرض أنه يعلم أنه وإن لم يزعق بأمه فالأم تطلبه وأنه وإن لم يتعلق بذيل أمه فالأم
تحمله وأنه وإن لم يطلب منها اللبن فالأم تبتدى وترضعه. وهذا المقام في التوكل يشترط
الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته ورحمته ورعايته وأنه يعطى ابتداء افضل مما يسأل
فكم من نعمة ابتدأها قبل الدعاء وبغير الاستحقاق كما يشير اليه قوله تعالى (وَأَنَا كَمِنْ كُلِّ
مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) (فذلك) أي الرتبة الثانية (أما تنافيه) أي
السؤال (من غيره تعالى) فقط (وهي) أي الدرجة الثانية (أندر) أي أقل (وقوعا
(وعز) (بقائه ثم الثانية ثم الأولى) لذلك فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة
والاسباب طبع ، وانقباضه بالكلية عن ملاحظة هذه الاشياء عارض لا يدوم ، فاذا
رجع حال التوكل الى التبرى من الحول والقوة ، وهذا هو تحقيق معنى لاحول ولا
قوة الا بالله حقا صدقا ، وقد اشكل امر الحول والقوة على المعتزلة والفلاسفة
وطوائف كثيرة ممن يدعى أنه تدقق في الرأي والمقول حتى يشق الشعر بحدة نظره
فهو مهلكة خطيرة ، ومزلة قدم عظيمة هلك فيها العالمون اذ اثبتوا لانفسهم امرا
وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله فن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه
فقد علت رتبته ، وعظمت نسبته ، ورفعت درجته ، وارتفعت همته ، وهو الذي يصدق
بمعنى قوله : لا حول ولا قوة الا بالله . وعن بعض العارفين انه قال ما مضمونه : أسأت

وَلَا بَدَّ مِنْهُ فُورِدَ (وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) « وَلَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ »

بالذنوب واعتذرت منه الى الرب ، مع ان اعتذارى عند قلبى اسوأ من ذنبى لتضمنه دعوى الوجود والقدرة والفعل . وهذه ظلمة مخصوصة برى (ولا بد منه) اى من التوكل فى امر الرزق وغيره لثمانية اشياء (فورد) فى التنزيل (وعلى الله) اى لا على ما سواه (فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) كاملين ، أو اذا صرتم مؤمنين والامر للوجوب ، وفى آية اخرى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال (نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) اى كافيه فيما اتناه وقال (أليس الله بكاف عبده) فن يطلب من غيره الكفاية فهو مكذب بهذه الآية . وقال (ان الله يحب المتوكلين) وناميك بخصلة موجبة للمحبة الالهية وقال (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) اى عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجناحه والتجأ الى حماه وزمامه وبابه ، حكيم لا يقصر عن تدبير امر من توكل على حسن تدبيره وفق تقديره وقال (وتوكل على الحى الذى لا يموت) ايماء الى ان من يموت لا اعتماد عليه ولا استناد اليه كما حكى عن الخواص (ولو توكلتم) وفى رواية لو أنكم تتوكلون (على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير) تمامه « تغدو خفاصا وتروح بطانا » رواه الترمذى والحال وصحاحه من حديث عمر وهو مقبس من قوله تعالى (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها ولما يأم وهو السميع العليم) وفى رواية زيادة « ولمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال ، وفى رواية للييهى « لو عرفتم الله حق معرفته لزال بدعائكم الجبال » وعن ابن مسعود مرفوعا « أريت الامم بالموسم فرأيت امتى قدملائى السهل والجبل فأعجبني كثرتهم وهياتهم ، فقيل لى افرضيت ؟ فقلت نعم ، فقيل ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال الذين لا يكتون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون . فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال عليه السلام سبقك بها عكاشة ، رواه منيع باسناد حسن واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس . وللحاكم وغيره من حديث ابن عباس « من سره أن يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما فى يديه » ، وللطبرانى وغيره من رواية

الحسن عن عمران بن الحصين ولم يسمع منه أنه قال عليه السلام ومن انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله اليها، وروى أنه لما قال جبريل لأبراهيم الخليل أنك حاجة فقال أمالك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل أنزل الله فيه (وأبراهيم الذي وفى) وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام و ما من عبد يعتصم بي من دون خلقى فيكده أهل السموات والأرض إلا جعلت له مخرجا، وقال سعيد بن جبير: لدغنى عقيب فأقسمت على أمي لتسرقين فاولت الراقبى التى لم تلدغ. وقال بعض العلماء: لا يشغاك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما كتبه الله لك. وقال هرم بن حيان لا ويس القرنى: ابن تأمرنى أن اكون؟ فأوما إلى الشام، فقال هرم كيف المعيشة بها فقال اويس: أف لهذه القلوب قد خالطتها الشكوك فما تنقمها الموعظة. وقال بعضهم: متى رضيت بالله وكلا وجدت إلى كل خير سبيلا، وقال أبو موسى الديلى قلت لابي يزيد: ما التوكل؟ فقال: ما تقول انت؟ فقلت ان اصحابى يقولون: لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ماتحرك لذلك سرك، فقال ابو يزيد: نعم هذا قريب، ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل قال في الاحياء مما ذكره أبو موسى خير عن أعلى أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذى هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالاضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أغصن أنواع العلم ووراده سر القدر وأبو يزيد قل ما يتكلم الا عن أعلى المقامات وأقصى الدرجات، وليس ترك الاحتراز عن نحو الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل، فقد احتراز الصديق في الغار اذ سد منافذه، الا أن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه باطن سره، او يقال إنما فعل ذلك شفقة على رسوله لا على نفسه، وإنما يزول التوكل بحركة سره ولغيره لا امر يرجع إلى نفسه، وللنظر في هذا مجال لان أمثال ذلك واكثر منه لا يناقض أحوال التوكل، فان حركة السر من الحيات هو الخوف، وحق المتوكل أن لا يخاف تسلط الحيات، اذ لا حول للحيات ولا قوة الا بالله. وإن احتراز لم يكن اتكاله على تديره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدير، ويشير إلى هذا المقام قوله تعالى لموسى (لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون) وقال تعالى (فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف لك أنت الاعلى) لانيك في المنظر

وَأَيْضًا فِيهِ التَّفَرُّغُ لِلْعِبَادَةِ عَنِ الْإِتِّفَاتِ، وَأَيْضًا لَا يَتَغَيَّرُ الْمَقْدَرُ الْمَقْسُومُ فُورَدُ
«الرِّزْقُ مَقْسُومٌ مَفْرُوعٌ»

الاعلى (وأيضاً) أى لما لا بد من التوكل لوجوبه لا بد منه لما يحصل (فيه التفرغ
للعبادَةِ عَنِ الْإِتِّفَاتِ) إلى تحصيل الاقوات كالتنعم عن ارادة طريق السعادة ، فقد
سئل ذوالنون المصري عن التوكل فقال : خلع الارباب وقطع الاسباب فخلع الارباب اشارة
الى علوم التوحيد ، وقطع الاسباب الى الاعمال في مقام التفريد ، فقليل له زدنا فقال القاه
النفس في العبودية واخراجها من الربوبية ، يعنى بالتبرى من الحول والقوة (وأيضاً)
لا بد من التوكل فانه كما هو المعلوم (لا يتغير المقدر المقسوم) قال تعالى (نحن قسمنا
بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) الآية وقد سئل حدون القصار عن التوكل فقال : إن كان
لك عشرة آلاف درهم وعليك دائق دين لم تأمن أن تموت ويبقى ذلك في عنقك ، وإن
كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء فلا تياس من الله أن يقضيها
عنك ، ويقرب منه قول صاحب المنازل : ما يدى لم اعرف يصيب من وما يصيبني لم اعرف
يد من ، وفي هذا إشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات
اسباباً خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة (فورد الرزق مقسوم مفروع) ليس
له أصل بهذا المبنى ولكنه صحيح من حيث المعنى . فلييهقى في الشعب مرفوعاً
عن أم الدرداء « ان الرزق يطلب العبد كما يطلبه أجله » ويشير إليه قوله سبحانه
(الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم) بل فيه تنبيه نبيه على أن ما بقى له شيء
من رزقه لم يتأت له طالب أجله . وقد قال بعض العلماء : لو هرب العبد من رزقه
لطلبه لما لو هرب من الموت لادركه ، وأنه لو سأل الله أن لا يرزقه لما استجاب
له وكان عاصياً ، يقال له يا جاهل كيف أخلقك ولا أرزقك ، ولذا قال ابن عباس :
اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فانهم أجمعوا على أن لا رازق ولا
ميت الا الله . وقال عيسى عليه السلام : انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا
تدخر والله يرزقها يوماً بيوم . فان قلتم نحن أكبر بطوناً فانظروا الى الانعام والوحوش
كيف قيض الله لها الرزق . وقال أبو يعقوب السوسى : المتوكلون تجرى أرزاقهم
على أيدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدرودون . وقال بعضهم :
العبيد كلهم في رزق الله لكن بعضهم يا كل بذل السؤال وببعضهم يتدب وانتظار

أَرْبَعٌ فَرِغَ مِنْهُنَّ الْخَاقُ وَالْخَاقُ وَالْأَجَلُ وَالرِّزْقُ » وَأَيْضًا الْمَطْلُوبُ هُوَ الْعِدَّةُ عَلَى الطَّاعَةِ وَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى إِعْطَائِهِ لِسَبَبٍ حَاصِلٍ بِالطَّلَبِ أَوْ دُونَ السَّبَبِ

كالنَّجَارِ ، وَبَعْضُهُمْ بِامْتِنَانٍ كَالصَّنَاعِ ، وَبَعْضُهُمْ بِعِزٍّ كَالصُّوفِيَةِ يَعْبُدُونَ فَيَشْهَدُونَ الْعَزِيزَ فَيَأْخُذُونَ رِزْقَهُمْ مِنْ يَدِهِ وَلَا يَرُونَ الْوَاسِطَةَ ، وَيُشِيرُ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَهُوَ الْعَزِيزُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) إِلَى أَنْ قَالَ : (وَهُوَ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ) (أَرْبَعٌ فَرِغَ مِنْهُنَّ الْخَاقُ) بِالْفَتْحِ (وَالْخَاقُ) بِالضَّمِّ (وَالْأَجَلُ وَالرِّزْقُ) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ وَاقْظَمَهُ « فَرِغَ إِلَى ابْنِ آدَمَ مِنْ أَرْبَعٍ : الْخَاقُ وَالْخَاقُ وَالرِّزْقُ وَالْأَجَلُ ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ بِلَفْظٍ « فَرِغَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَمْسٍ : مِنْ أَجَلِهِ وَرِزْقِهِ وَأَثَرِهِ - أَيْ عَمَلِهِ - وَمُضْجَعِهِ - أَيْ مَحَلِّ مَوْتِهِ - وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْفَنُونِ .

جَرَى قَلَمُ الْقَضَاءِ بِمَا يَكُونُ • فَيُفَانِ انْتَحَرَكَ وَالسُّكُونُ

جُنُونُ مَنْكَ إِنْ تَسَعَى لِرِزْقِهِ • وَيُرِزَّقُ فِي غَشَاوَتِهِ الْجَنِينُ

﴿ وَإِذَا ضَلَلْتَ ﴾ لَا يَدُ مِنَ التَّوَكُّلِ إِذَا (الْمَطْلُوبُ) مِنَ الْعَبْدِ (هُوَ الْعِدَّةُ) أَيْ الْإِسْتِعْدَادُ (عَلَى الطَّاعَةِ) لِزَادَ الْمَعَادَ (وَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى إِعْطَائِهِ لِسَبَبٍ حَاصِلٍ بِالطَّلَبِ أَوْ دُونَ السَّبَبِ) أَيْ أَوْ حَاصِلٍ بِغَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَسْبِ ، فَقَدْ قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ فِي وَجُودِ الْعَبْدِ الرِّزْقُ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الرِّزْقَ مَأْمُورٌ بِطَلَبِ الْعَبْدِ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْسَّائِلِ بِعِدِّ إِعْطَائِهِ النَّمْرَةَ « خُذْهَا وَلَوْ لَمْ تَأْتِهَا لِإِتِّكَ » وَقَدْ تَقَدَّمَ مَبْنَاهُ وَمَا يُؤَيِّدُهُ مِنْ مَعْنَاهُ . وَسُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ عَنْ التَّوَكُّلِ فَقَالَ التَّغَلُّقُ بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَالٍ . فَقَالَ السَّائِلُ : زِدْنِي فَقَالَ تَرَكَ كُلَّ سَبَبٍ مُوَصَّلٍ إِلَى سَبَبٍ حَتَّى يَكُونَ الْحَقُّ الْمَتَوَلَّى لِذَلِكَ . فَالْأَوَّلُ عَامٌ لِلْقَامَاتِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَالثَّانِي إِشَارَةٌ إِلَى الْمَقَامِ الثَّالِثِ خَاصَّةً ، وَهُوَ مِثْلُ تَوَكُّلِ إِبْرَاهِيمَ الْخَالِيلِ إِذْ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟ فَقَالَ أَمَا لَيْكَ فَلَا ، إِذْ كَانَ سُؤَالُهُ سَبِيحًا يُوَصِّلُ إِلَى سَبَبٍ وَهُوَ حِفْظُ جِبْرِيلَ لَهُ ، فَتَرَكْتُهُ أَنْ يَقُولَ أَنَّ اللَّهَ إِنْ أَرَادَ سَخَّرَ جِبْرِيلَ لِذَلِكَ فَيَكُونُ هُوَ الْمَتَوَلَّى لِذَلِكَ . وَهَذَا حَالٌ مَبْهُوتٌ غَائِبٌ عَنْ نَفْسِهِ بِاللَّهِ سَبِيحًا فَلَمْ يَرِ مَعَهُ غَيْرُهُ ، وَهُوَ حَالٌ عَزِيزٌ فِي نَفْسِهِ ، وَدَوَامُهُ أَنْ يَجِدَ أَعْدَاءَهُ مِنْهُ بِأَعَزِّ

وَالْمَوْتُ جُوعًا مَقْدَرٌ أَيْضًا كَالْمَوْتُ شَبَعًا

(والموت جوعاً مقدر أيضاً كالموت شبعاً) فلا بد من التوكل سواء كان شبعاناً أو جوعاناً ، وقد قال أبو سعيد الخراز : التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ، فالأول إشارة إلى فزع العبد إليه وابتئاله وتضرعه بين يديه ، والثاني إشارة إلى حال توكله عليه . فمن أبي على الدقاق : التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن إلى وعده ، والمسلم يكتفى بعلمه ؛ والمفوض يرضى بحكمه .

ثم اعلم أن الشخص إذا كان بطالاً فعليه أن يصير كسباً وعمالاً ، ولا معنى للتوكل في حقه إلا ما يليق بمقامه وفق مرامه ، فإن حال التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فهو خاصة للمجتهدين ، إما من العلماء الزاهدين وإمامان الصالحين العابدين ، فبالبطال والانتكال وإذا كان مشغلاً بالله وملازماً لمسجده أو بيته ، ومواظباً على عمله وعبادته بتحسين نيته وتزوين رعايته فالله سبحانه يقرر حبه في قلوب خلقه حتى يحملوا إليه فوق كفايته ، فأروى إلى الآن من قديم الزمان عالم أو عابد استغرق الأوقات بالله سبحانه وتعالى وهو في وسط الديار من القرى والامصار فوات جوعاً بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس يعوله لقدر عليه ، فمن كان الله كان الله له ، لكن ينبغي أن يكون نظره إلى مسبب الأسباب لا إلى الأسباب . نعم لا يطعم في الحلوى والطير السماني والنياب الرفيمة والبيوت المنيعة مع أنه لو قدر له شيء من ذلك فلا بد من ظهوره هنالك كإشيرة إليه (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) (وربك يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) وفي الخبر أبي الله أن يرزق عبده المؤمن الآمن حيث لا يحتسب . فالاهتمام الكثير بأمر الرزق قبيح من ذوى الدين ، وهو أقبح من العلماء المجتهدين ، لأن من شرطهم القناعة والاشتغال بالطاعة حسب الاستطاعة إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ، ولم يكن له سير بالباطن فإن الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن غالباً فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنه تفرغ البولي وإعانة للعطى على نيل الثواب في العقبى ، ومن نظر إلى مجارى سنة الله علم أن الرزق ليس على قدر الأسباب ولا على كد الاكتساب ولذا سأل بعض الأسايرة حكماً عن الاحق المرزوق والعاقلي المحروم فقال : اراد الصانع أن يدل

وَأَيْضًا الصَّلَاحُ مَسْتُورٌ، وَأَيْضًا أَنَّهُ ضَمَنَ الرِّزْقَ بِلَا تَعْلِيْقٍ فَوْرَدَ (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) فَمَا أَقْبَحَ مِنْ يَثِقُ عَلَى سُوقِي بَعْدَ الْإِقْرَاضِ أَوْ الضِّيَاقَةِ وَلَا يَثِقُ عَلَى ضَمَانِهِ تَعَالَى

على نفسه ، اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل جاهل لظن أن العقل رزق صاحبه ، فلما رأوا خلافه علموا ان الرزق من غيرهم ولائفة بالاسباب الظاهرة لهم ، فقد دخل جماعة على الجنيد فقالوا : نطلب الرزق فقال ان علمتم في اى موضع هو فاطلبوه ، فقالوا نسأل الله تعالى فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه ، فقالوا ندخل البيت وتوكل على الله تعالى وننظر ما يكون ، فقال التوكل على التجربة شك ، قالوا فما الحيلة ؟ قال ترك الحيلة . وقال احمد بن عيسى الحراز كنت في البادية فنانى جوع شديد فغلبتنى نفسى ان اسأل الله عز وجل طعاما فقلت ليس هذا من افعال المتوكلين ، فطالبتنى ان اسأل الله تعالى صبرا ، فلما هممت بذلك سمعت قائلا يقول :

وتزعم انه منّا قريب وانا لانضيم لمن اتانا
ويسألنا القوى جهدا وصبرا كآنا لانراه ولا يرانا

(وايشا) لا يد من التوكل اذ (الصلاح) في الامور (مستور) لان من عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري اى الاسباب خير له لما قال عمر رضى الله عنه : لا بالى اصبحت غنيا او فقيرا فانى لا ادري ايها خير لى (وايشا) لا بد من التوكل حيث (انه) اى الله سبحانه (ضمن الرزق بلا تعاقب) اى من غير تقييد بشرط الكسب والطلب (فورد) في التنزيل (وما من دابة في الارض الا على الله زرعها) أى ولو لم تكسبه ولم تطلبه لاسيما والرزق مبهم في نفسه غير معلوم باعتبار محله وجنسه ، فعن ابراهيم بن ادهم سألت راهبا من اين تاكل ؟ فقال ليس هذا العلم عندى ولكن ربى مرة من اين يطعمنى (فما اقبح من يثق) اى يعتمد (على سوقى) مع أن الغالب عليه الكذب وخلف الوعد (بعد الاقراض او الضيافة ولا يثق على ضمانه تعالى) مع كمال صدقه وجمال وعده . وقد قيل : مكتوب في التوراة ملعون من ثقتك انسان . مثله وفي الحديث من اعتز بالعبيد اذله الله ، رواه أبو نعيم في الحلية عن عمر وقد حكى عن عابده انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم ، فقال له الامام بالمسجد لو اكتسبت

وَأَيْضًا لَا فَائِدَةَ فِي الطَّلَبِ إِلَّا الْمَذَلَّةُ وَضَيَاعُ الْوَقْتِ؛ وَأَيْضًا الْحَيَاةُ فِي الْإِسْتِقْبَالِ
مَشْكُوكٌ وَالْمَوْتُ مُتَيْقِنٌ وَالْإِسْتِعْدَادُ لِلْمُتَيْقِنِ أَوَّلَى بِخِلَافِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ
لِوُرُودِ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَتَعْلِيْقِهِمَا عَلَى الْعَمَلِ، وَأَمَّا مَا وَرَدَ (وَابْتَغُوا مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ) فَالْعِلْمُ وَالثَّوَابُ أَوْ هُوَ أَمْرٌ بِإِبَاحَةٍ وَلَا يَنْفِيهِ الْكَسْبُ لِأَنَّهُ عَمَلُ الْبَاطِنِ

كان أفضل لك . فلم يجبه حتى أعادها ثلاثا ، فقال في الرابعة : يهودى فى جوار المسجد
قد ضمن لى كل يوم رغبين ، فقال إن كان صادقا فى ضمائه فمكروك فى المسجد خير لك ،
فقال : يا هذا لولم تكن إماما تنقف بين يدى الله وبين العباد مع هذا النقص فى التوحيد
غير لك ، يعنى فضلك وعد يهودى على ضمان الله تعالى للرزق (وأيضاً) لا بد من
التوكل اذ (لا فائدة فى الطلب) حيث لا يزيد بطلبه ولا ينقص بتركه فلا منفعة فى طلبه
(إلا المذلة) لمخلوق مثله ، ولا يحل المؤمن أن يذل نفسه (وضياع الوقت) أى وتضييع العمر
فى غير عبادة هى المطلوب من العبد بحسب الامر (وأيضاً) لا بد من التوكل اذ (الحياة
فى الاستقبال مشكوك والموت متيقن) مساوك (والاستعداد للمتيقن اولى) من الاستعداد
للمشكوك (بخلاف الثواب والعقاب) فانهما ولو كانا مقدرين كسائر الاسباب ،
لكن لا بد للانسان أن يسعى فى اكتساب ما يوجب الثواب وفى اجتناب ما يقتضى العقاب
(لورود الاوامر والنواهي) فى الكتاب (وتعليقهما على العمل) حيث قال (ومن يعمل
من الصالحات) (ومن عمل صالحا) الآيات . وقال تعالى (جزاء بما كانوا يعملون)
(وأن ليس للانسان الا ما سعى) (وأما ما ورد) فى التنزيل (وابتغوا من فضل الله) فقد
يتوهم منه أن المعنى اطلبوا من رزق الله ، وليس كذلك (فالعلم والثواب) هما المرادان
من فضل الله (او هو أمر اباحة) بقدر الحاجة ، او امر بطلب الحلال دون الشبهة
هذا وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن ، وترك التدبير بالقلب ، والسقوط على
الارض كالخرقة الملقاة وهذا ظن الجهال وحرام فى الشرع والشرع قد اثنى على
المتوكلين ولا ينال بمحذور مقام من مقامات الدين فدفعه بقوله (ولا ينافيه) أى التوكل
اربعة اشياء منها (الكسب لانه) أى التوكل (عمل الباطن) فيجتمع مع عمل الظاهر
بلى هو اتم عند بعض ارباب المراتب ثم فى مراتب الكسب تفصيل باعتبار السبب

فَإِنْ كَانَ السَّبَبُ مَقْطُوعًا بِهِ بَرْتَابُ الْمُسَبَّبِ لُسْتَهُ تَعَالَى كَمَا أَلَدَ لِلطَّعَامِ وَالْوَقَاعِ
لِلْوَلَدِ وَبَثَّ الْبَذْرَ لِلْحَصَادِ فَالْتَرَكُ خَطَا فُورَدَ (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)
وَأِنْ كَانَ مَظْنُونًا بِعَدَمِ حُصُولِ الْمُسَبَّبِ دُونَهُ غَالِبًا كَحَمْلِ الزَّادِ لِلسَّفَرِ فِي الْبَوَادِي
فَكَذَلِكَ لِأَنَّهُ

(فان كان السبب مقطوعا به بارتباط المسبب) بحيث لم يحصل المسبب بدون السبب
(لسنته تعالى كد اليد للطعام) اى لا طه (والوقاع) اى وكالجماع (للولد)
اى لخلق (وبث البذر للحصاد) بالفتح والكسر اى لقطعه (فالترك خطأ)
بل جنون محض (فوردا) فى التنزيل (فلن تجد لسنة الله تبديلا) (ولن تجد
لسنة الله تحويلا) وتوضيحه أنه اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج
اليه ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعى ، ومد
اليد الى الطعام سعى وحركة ، وكذا مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعلى الحنك
على أسافله ، فهذا جنون محض وجهل ظاهر وليس من التوكل فى شىء ، فانك ان
انتظرت أن يخلق الله شىءا دون أهل الخبز ، او يخلق فى الخبز حركة اليك أو يسخر
ملكاً ليضمغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض
وطمعت ان يخلق الله نباتا من غير بذر ، او تلد الزوجة من غير وقاع فإنا
ولدت مريم ، فهذا وامثاله جنون وليس التوكل فى هذا المقام بالعمل بل بالعلم
والحال اما العلم فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة
وأنه هو الذى يطعمك ويسقيك ويشبعك ويرويك واما الحال فهو أن يكون سكون
قلبك واعتماده على الله سبحانه وتعالى لاعلى اليد والطعام فكيف تعتمد على صحة يدك
وربما تجف فى الحال . وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك ما يزيل عقلك
ويبطل قوة حركتك وكيف تثق على حضورها لطعام وربما يسلط الله عليك من
يقبلك عليه . واذا كان هذا عمله وحاله فليمد اليد اليه فانه متوكل على الله ومعتمدا عليه
(وإن كان) السبب (مظلونا) اى مشكوكا فيه (بعدم حصول المسبب دونه)
اى من غير السبب (غالبا كحمل الزاد للسفر فى البوادي) التى لا يطررها الناس
الا نادرا (فكذاك) تركه خطأ وجنون وإيقاع للنفس فى التهلكة (لأنه)

سنة الأولين لكنه يجوز إن ارتاضت النفس وصبرت عن الطعام أسبوعاً
أو ما قرب منه دون الشغل عنه تعالى وقدرت على الاقتيات بالحشيش

أى حمل الزاد في السفر (سنة الاولين) أى عادة الانبياء والمرسلين وطريقة السلف
الصالحين من الصحابة والتابعين (لكنه) أى ترك حمل الزاد (يجوز) ولذا
كان يفعل الخواص وهو من الخواص لكنه بالنسبة إلى العوام القاء النفس في التملك
وهو حرام وإنما يجوز (إن ارتاضت النفس) في مقام المرام (وصبرت عن الطعام
اسبوعاً) أى سبعة أيام (أو ما قرب منه) أى من الاسبوع . واصله أن يكون ثلاثة
أيام ولياليها . وقد روى عن أبي تراب النخشي رأى صوفياً مديده إلى قشر بطيخ ليأطه
بعد ثلاثة أيام ، فقال له : لا يصالحك التصوف ، أى لا تصوف الامع التوكل ولا يصح
التوكل الا لمن يصبر على الطعام اكثر من ثلاثة أيام ، وعن أبي الروذباري : إن قال
المقير بعد خمسة أيام انا جائع فالزموه السوق ، ومروه بالعمل والكسب (دون الشغل
عنه تعالى) بان يعبد من غير ضيق قلب وتشويش خاطر ، كما حكى أن رجلاً دخل
أبو تراب النخشي مكة طيب النفس ، فقلت اين ائت ايها الاستاذ فقال ائت بالبصرة
واطه بالباج . اكله ههنا ، كذا في الرسالة القشيرية (وقدرت) أى وإن قدرت وظاهر
كلام الاحياء أن يقال او قدرت (على الاقتيات بالحشيش) فبعده من الشرطين لا يخلو غالباً
ما يخلو في البوادي في كل أسبوع من ان يلقاه آدمي ، او ينتهي إلى قرية أو إلى حشيش يكون سبباً
لحياته . وقد يكون له ثبات على الرضى هنالك إلى الموت إن لم يتيسر شيء من ذلك
فان الذي يحمل الزاد قد يؤخذ زاده أو يضل بعيره فيموت جوعاً . فذلك ممكن مع الزاد
كما أنه ممكن مع فقده . وأما لو انحاز إلى شوب من الشعاب حيث لا ماء ولا حشيش ولا
يطرقه طارق فيه وجلس متوكلاً فهو آثم به ساع في املاك نفسه كما روى : أن زاهداً
من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل وقال لا اسأل أحدا شيئاً حتى ياتيني
ربي برزقي ، فبعد سبعا فكاد أن يموت ولم يات شيء ، فقال يارب : إن أحييتني فأتني برزقي
الذي قسمت لي والافاقبضني ، فأوحى الله تعالى اليه : وعزني لا ارزقنك حتى تدخل
الامصار وتقدم بين الناس ، ندخل المصر واقام لجأه هذا بطعام وهذا بشراب
فاكل وشرب ، فأوجس في نفسه من ذلك ، فأوحى الله تعالى اليه : اردت أن تذهب حكمتي
برزحك في الدنيا أما علمت أن ارزق عبدى بيد عبادى أحب إلى من أن ازرقه بيد
قدرتي . فاذن التباعد عن الاسباب بالكلية مراعاة للحكمة وجهل بسنة الله القديمة

وَأَمَّا مَا وَرَدَ وَتَزَوَّدُوا فَزَادُ الْآخِرَةِ بِقَرِينَةٍ (فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) أَوْ هُوَ أَمْرٌ
لِقَوْمٍ يَقْصُدُونَ الْحَجَّ بِلَا زَادٍ اتِّكَالًا عَلَى النَّاسِ وَيُؤْذُونَ بِالْإِلْحَاحِ فِي السُّؤَالِ
وَالْإِفْحَامِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ سَعَى فِي الْهَلَاكِ وَإِنْ كَانَ مُوْهُومًا كَالِاسْتِقْصَاءِ فِي دَقَائِقِ
التَّنْذِيرِ فَهُوَ يُنَافِيهِ لِأَنَّهُ غَايَةُ الْحَرَصِ وَيَسْتَفْتِي الْعَرَبُ قَلْبَهُ فَيَخْتَارُ الْكَسْبَ بِنِيَّةِ
التَّصَدُّقِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى الْبَرِّ وَالتَّحَامِي عَنِ الشُّغْلِ عَنْهُ تَعَالَى بِالْإِلْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِهِ

(وَأَمَّا مَا وَرَدَ) فِي التَّنْزِيلِ (وَتَزَوَّدُوا) هُوَ أَمْرٌ بِطَلْبِ الزَّادِ وَأَخِذِ الزَّادِ (فَزَادُ الْآخِرَةِ)
هُوَ الْمُرَادُ (بِقَرِينَةٍ) مَا بَعْدَهُ (فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) النَّافِعَةُ فِي الْمَعَادِ (أَوْ هُوَ) أَيْ
تَزَوَّدُوا (أَمْرٌ لِقَوْمٍ) خَاصٌّ مِنْ أَهْلِ الْيَمْنِ وَغَيْرِهِمْ (يَقْصُدُونَ الْحَجَّ بِلَا زَادٍ) اتِّكَالًا عَلَى
النَّاسِ (أَيْ اعْتِمَادًا عَلَى اعْطَائِهِمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ) وَيُؤْذُونَ (النَّاسَ) بِالْإِلْحَاحِ فِي السُّؤَالِ
وَمِنْهُمْ جَمْعٌ يَدْعُونَ أَنْهُمْ مَتَوَكِّلُونَ وَالحَالُ أَنَّهُمْ مَتَاوِلُونَ (وَالَا) أَيْ وَإِنْ لَمْ تَرْضَ النَّفْسُ وَلَمْ
تَصْبِرْ عَلَى الطَّعَامِ (فَحَرَامٌ عَلَيْهِ) تَرْكُ السَّبَبِ مِنَ الْكَسْبِ وَالطَّالِبِ (لِأَنَّهُ سَعَى فِي الْهَلَاكِ)
لِلْبَدَنِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ وَرُفُوفَ الْعِبَادِ (وَإِنْ كَانَ) السَّبَبُ (مُوْهُومًا) كَالِاسْتِقْصَاءِ
فِي دَقَائِقِ التَّنْذِيرِ (مِنْ أَمْرِ الزَّرَاعَةِ وَالتَّجَارَةِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الصَّنَاعَةِ، وَمِنْهُ السَّكَنِ
وَالرَّقِيقَةِ وَالطَّيْرَةِ) (فَهُوَ) أَيْ الْإِسْتِقْصَاءُ فِي هَذَا الْبَابِ (يُنَافِيهِ) أَيْ التَّوَكُّلُ عِنْدَ أُولَى
الْأَبَابِ (لِأَنَّهُ غَايَةُ الْحَرَصِ) وَنَهَايَةُ الْإِتِّكَالِ عَلَى الْإِسْبَابِ، فَعَنِ سَهْلِ التَّوَكُّلِ تَرْكُ
التَّنْذِيرِ . وَقَالَ : إِنْ أَلَّهِ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ وَلَمْ يَحْجِبْهُمْ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا حَجَبَهُمْ تَنْذِيرُهُمْ
(وَيَسْتَفْتِي الْعَرَبُ قَلْبَهُ) أَيْ دُونَ الْمُعِيلِ فَإِنَّهُ يَتَمَعَّنُ عَلَيْهِ طَلَبُ الْحَلَالِ لِأَجْلِ الْعِيَالِ،
فَانْهَمَ لَا يَكْفُلُونَ بِالتَّوَكُّلِ وَفَقَ مَالَهُ مِنَ الْحَالِ (فَيَخْتَارُ) الْعَرَبُ (الْكَسْبَ) بِسَبَبِ
ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ (بِنِيَّةِ التَّصَدُّقِ) بِمَا فَضَلَ عَنْ قُوَّتِهِ عَلَى سَائِرِ الْفُقَرَاءِ لِأَسْيَا ذَوِي الْقُرْبَى
(وَالْإِعَانَةِ عَلَى الْبَرِّ) أَيْ لِلْمُسَاعَدَةِ عَلَى أَهْلِ الْمَجَاهِدَةِ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَتَعَاوَنُوا
عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَى) (وَالْتَحَامَى) أَيْ الْحَافِظَةُ (عَنِ الشُّغْلِ عَنْهُ) أَيْ عَنْ ذِكْرِهِ وَفِكْرِهِ
(تَعَالَى بِالْإِلْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِهِ) سَبَّحَانَهُ وَلَوْ مِنْ حِرْلَانِهِ وَقُوَّتِهِ، فَإِذَا كَانَ الْمَكْتَسِبُ مَكْتَسِبًا
لِعِيَالِهِ أَوْ لِفَرِيقٍ مَالٍ مِنْ مَالِهِ فَهُوَ يَدِيهِ مَكْتَسِبٌ وَمُسْتَفْعٌ، وَبِقَلْبِهِ عَنْهُ مُنْقَطِعٌ لِقَوْلِهِ حَالَهُ فِي مَقَامِ

وَالْتَرَكْ لَشَغْلِ الْكَسْبِ عَنْهُ تَعَالَى وَانْقِطَاعِهِ إِلَيْهِ وَيَعْرِفُ بَعْدَ التَّغْيِيرِ لَفَقْدِ
الْمَالِ وَكَذَا التَّزَوُّدُ وَنَحْوُهُ وَيَكْتَسِبُ الْمُعِيلُ بِمَا رَوَى عَنِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قاله (والترك) أى ويختار العزب ترك الكسب (لشغل الكسب عنه تعالى) أى عن القيام بحقه كما هو حقه (وانقطاعه إليه) أى ولكمال انقطاع العبد إلى حضور سيده عملاً بقوله تعالى (وتبتل إليه تبتيلاً رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذوه وكيلاً) والحاصل أن الكسب لا ينافي حال التوكل إذا روعيت فيه الشروط وانضاف إليه الحال والمعرفة (ويعرف) صاحب هذا الحال (بعدم التغير لفقد المال وكذا التزود ونحوه) من الادخار للاستقبال ، ومن النكاح واختيار العيال اختياراً وترثاً فيختاره بنية التصديق والاعانة ويتركه لشغله عن الحق والعبادة (ويكتسب المعيل) لأجل العيال (كما روى عن الصديق رضى الله عنه) أنه لما بوع للخلافة أصبح فاخذ رزمة متاعه تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادى ، فكره المسلمون ذلك ، فقالوا كيف تفعل هذا وقد أفتت الخلافة النبوة ؟ فقال لا تشغلوني عن عيالى فاني إن أضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت أهله من المسلمين ، فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطبيب قلوبهم واستغراق وقت لمصالح المسلمين أولى . ويستحيل أن يقال لم يكن أبو بكر في مقام التوكل فمن أولى بهذا منه . فدل على أنه ما كان متوكلاً باعتبار ترك الكسب والسمى ، بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفايته . والعلم بأن الله هو يسر الأكتساب ومدير الأسباب ، وبشروط كان يراعيها من طريق الكسب من الأكثاف بقدر الحاجة من غير استكثار وفتاخر وادخار ، ومن غير أن يكون درهمه أحب إليه من درهم غيره . فمن دخل السوق ودرهمه أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ، ولا يصح التوكل إلا مع الزهد في الدنيا . نعم يصح الزهد دون التوكل فإن التوكل مقام وراء الزهد . وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين : أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارت السوق ، كنت أكتسب في كل يوم ديناراً لا أبيت منه دنانقاً ، ولا أستريح منه إلا قيراطاً ادخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل . وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضوره ، وكان يقول : استحي أن أتكلم في مقامه وهو حاضر عندي .

والحاصل أن التوكل مقام شريف ومرام لطيف ، ولذا قال أبو سلمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري : لى من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل المبارك فاني

وَلَا يُكَلِّفُ الْعِيَالُ إِلَّا أَنْ تُسَاعِدَهُ وَلَا الْأَدَّخَارُ لِمَا دُونَ الْأَرْبَعِينَ مِنَ الْعُزْبِ
وَاخْتَلَفَ فِيهِ وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْفَضْلَ لِقَصْرِ الْأَمَلِ

ما شئت منه راحة . هذا من كلامه مع علو قدره ومقامه . ولعله أراد اقصى ادراك
وهو مشاهد ان لافاعل الا الله ولا رازق سواه ، وان كل ما يقدره مولاه على عبده
من فقر وغنى ، وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه . وقال الخواص - وقد سئل
عن أعجب شيء رآه في اسفاره - فقال : رأيت الخضر عليه السلام ورضي بصحبي
ولكنني فارقته خيفة ان أسكن اليه نفسى فيكون نقصا في توكلى (ولا يكلف العيال)
بالاتكال (الا ان تساعده) فيأله من الحال بالتوكل مع عدم المال ، وإلا فيجب
عليه الكسب بقدر نظام الكمال . فمن سهل من طعن على الكسب فقد طعن على
السنة ، ومن طعن على ترك الكسب فقد طعن على التوحيد ، فسبحان من أقام العباد
فيما أراد . ومع هذا الحال لا يخرج المغيل عن مقام الاتكال على الملك المتعال ،
فقد قال الحسن البصرى : وددت أن أهل البصرة في عيالى ، وأن جبة بدينار ، وقال
وهيب بن الورد : لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقى لظننت
أنى مشرك ربى (ولا الادخار) أى ولا ينغى التوكل وضع الذخيرة (لما دون
الاربعين) يوما (من المزب) وللسنة من المغيل كما سيأتى (واختلاف فيه)
أى في الادخار هل يكون منافيا للتوكل أم لا ، فذهب سهل الى أنه يخرج به عن
التوكل مطلقا ، وذهب الخواص الى أنه لا يخرج عن التوكل بأربعين يوما ويخرج
بما زاد على الاربعين . وقال أبو طالب المدنى : لا يخرج عن حدود التوكل بالزيادة
على الاربعين أيضا ، وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز أصل الادخار كما في الاحياء
على ما سيأتى بيانه في الاثناء (والتحقيق) في مقام التوفيق (أن الفضل) في
قلة الادخار (لقصر الامل) في التعاق بهذه الدار ، وتوضيحه أن كل ثواب موعود
على مقام محود فانه يتوزع على قدر رتبته فيه بما يوافقه وينافيه ، ثم تلك الرتبة لها
بداية ونهاية ، ويسمى أصحاب النهايات السابقين ، وأصحاب البدايات أصحاب اليمين
اللاحقين . ثم أصحاب اليمين أيضا على درجات ، وكذلك السابقون ، وأعلى درجات
أصحاب اليمين اللاحقين تلاصق اسافل درجات السابقين ، كما قيل : نهاية الاولياء
بداية الانبياء ، فلا معنى للتقدير في مثل هذا التقرير ، بل التحقيق أن التوكل بترك
الادخار لا يتم الا بقصر الامل وتجويز قرب الاجل . وأما عدم أمل البقاء فيبعد

وَمِيقَاتُ الْكَلِيمِ لِلْأَمَلِ بَلْ لَاسْتِحْقَاقِ نَيْلِ الْمَرَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا هُوَ السَّنَةُ
الْإِلَهِيَّةُ فِي تَدْيِيرِ الْأُمُورِ كَمَا فِي صِرُورَةِ الْجَنِينَ نُطْقَةً وَعَلَقَةً وَهَضْغَةً، وَوَرَدَ
« تَخَرَّتْ طِينَةُ آدَمَ يَدَيَّ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا » وَمِنْهُ يُؤْخَذُ فِي الرِّيَاضَةِ وَالسَّنَةِ
مِنَ الْمُعْمِلِ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِ الضُّعَفَاءِ كَمَا هُوَ الْمَرْوِيُّ

اشتراطه ولو في نفس ، فان ذلك كالمتمتع وجوده ، ثم الناس متفاوتون في طول
الامل واقصره ، وأقل درجات الامل يوم وليلة فسادونه من الساعات ، وأقصاه
ما يكون عمر الانسان بحسب غالب العادات ، وبينهم امد درجات لا جصر لها في الاوقات
فمن لم يامل أكثر من شهر اقرب الى المقصود ومن يامل سنة في الوجود (وميقات الكليم)
اي ميقات موسى عليه السلام حيث قال الله تعالى (وإذ واعدنا موسى اربعين ليلة)
(ليس الامل) اي لجواز طول الامل بقدر اربعين من الاجل ؛ فان تلك الواقعة
واقصد بها بيان ما يرخص فيه الامل (بل لاستحقاق نيل المرام) اي وصول موعود
موسى (عليه السلام) بعد اربعين يوما الى مقام الكلام (على ما هو السنة
الالهية) السبحانية والحكمة الربانية الصمدانية (في تدبير الامور) الانسانية
(كما في صيرورة الجنين) اي تطوير الطفل في بطن امه من الاطوار الانسانية
الاجدادية المتضمنة للتربية التدريجية الامدادية (نطقه) اربعين يوما (وعلاقة)
كذلك (وهضغة) كذلك (وورد : تخرت طينة آدم يدي) اي بصفى من
نفوت الجمال والجلال او بقدرتي وارادتي على وجه الكمال (اربعين صباحا)
رواه الديلمي من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسي باسناد ضعيف ، وذلك لان
استحقاق تلك الطينة لتتخر كان موقفا على مدة مبلغها ماذكر (ومنه) اي بما
ذكر من الكتاب والسنة (يؤخذ في الرياضة) على اختيار المشايخ الاربعين ويؤيده
حديث « من اخاص الله اربعين يوما ظهرت له بتاييم الحكمة من قلبه على لسانه »
وقد تقدم « ومن حفظ على أمي اربعين حديثا حشر مع العلماء » وله طرق يقوى بعضها
ببعض فيصير حسنا (وللجنة) اي ولا ينافي التوغل الادغار للسنة الكاملة (من
المعيل) اي صاحب العيال من الاطفال والنساء (تطيبيا لقلوب الضعفاء) كما هو
المرئى (في سنة سيد الانبياء ، فقي الصحابين انه عليه السلام ادخر لبعاله قوت

بِخِلَافِ مَا فَوْقَهَا وَيَتْرُكُ الْمُضْطَرِبُ طَرِيقَ الْمُتَوَكِّلِ بِالْإِدْخَارِ لِأَنَّ الْغَرَضَ
صَلَاحُ الْقَلْبِ

سنة (بخلاف ما فوقها) فان ما وراء السنة لا يدخر له الا بحكم ضعف القلوب
والركون الى ظاهر الاسباب من الطلب والكسب (ويترك المضطرب) أى
المتشوش اضطرابا يشغل قلبه عن الذكر والفكر (طريق المتوكل) غير المضطرب
(بالادخار) فان كان يصلح قلبه بالادخار فهو أولى في الاختيار ، بل لو أمسك
صنعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان قلبه لا يفرغ الا برعايته فذلك أولى في
مقام عنايته (لأن الغرض) وهو مدار المقصود (صلاح القلب) في عبادة
الرب المعبود قرب شخص يشغله وجود المال عن تحصيل الكمال ورب شخص
يشغله عده للحصول شتات البال ، والمحذور ما يشغل العبد عن الحضور والا لجميع
ما في الدنيا ليس في عينه محذور ، ولا في وجودها وعدمها محذور ، ولذا بعث
الله رسوله الى أصناف الخلق ومنهم أهل التجارات والزراعات والمحترفون بانواع
الصناعات ، فلم يأمر التاجر بترك تجارته ، ولا المزارع بترك زراعته ، ولا المحترف
بترك حرفته ، ولا أمر التارك لها بالاشتغال بها بل دعا الكل الى الله وطاعته
وارشدهم الى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله سبحانه وعبادته
ومعدة الاشتغال في عبادة الرب هو القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته .
كما ان صواب القوى ترك الادخار على قدر طاقته فقد ادخر عليه السلام لعياله قوت
سنة . ونهى أم ايمن وغيرها أن تدخر شيئا لغد كما تقدم ، ونهى بلالا عن الادخار
وقال « اتفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا » رواه البزار من حديث ابن
مسعود وأبي هريرة ، وذلك حين دخل عليه النبي عليه السلام وعنده صبر من تمر
والطبراني والحالم من حديث ابي سعيد أنه عليه السلام قال لبلال « اتق الله فقيرا
واذا سئلت فلا تمنع ، واذا أعطيت فلا تجبأ » وقد أخبر عليه السلام « ان الله يحب
أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » كما رواه أحمد وغيره من حديث عمر
تطاييا لقلوب الضعفاء حتى لا يأتي بهم الضعف الى اليأس والقنوط فيتركون الميسور
عابهم من الخير لعجزهم عن منتهى درجات الاقوياء ، فما ارسل سيد الانبياء الارحمة
للعالمين على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم ، واذا فهمت هذا علمت أن الادخار

وَلَا مُبَاشَرَةَ أَسْبَابٍ تَدْفَعُ الضَّرَرَ إِنْ كَانَ مَقْطُوعًا بِهِ أَوْ مَظْنُونًا كَالْتَحَرُّزِ عَنِ
النَّوْمِ فِي مَكْمَنِ السَّبَاعِ وَمَرِّ السَّيْلِ وَتَحْتَ الْحَائِطِ الْمَائِلِ

قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ، ويدل عليه ما روى أبو امامة الباهلي ، وأن بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال عليه السلام قتشوا ثوبه فوجدوا دينارين في داخل ازاره فقال عليه السلام كيتان » رواه أحمد وكان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالا فلا يقول ذلك في حقه ، فهذا يحتمل وجهين لان حاله يقتضى امرين أحدهما أنه اراد كيتان من النار ، كما قال تعالى (فتكوى بها جهابهم وجنوبهم وظهورهم) وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس منه فهو نوع تلبس ، وثانيهما أن لا يكون ذلك عن تلبس فيكون المعنى به التهان عن درجة كماله دائنة عن جمال الوجه أثر كيتين في الوجه . فان كل ما يخلفه الرجل من الدنيا فهو نقصان لدرجته في العقبى ، اذ لا يوثق احد شيئا من الدنيا الا ينقص بقدرة في الاخرى . واما بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد له ما روى عن بشر ، قال الحسين المغازى من اصحابه كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كل اسم خفيف العارضين فقام له بشر وقال ما رأيتك قام الى احد غيره ، قال ودفع الى كفء من دراهم وقال : اشتر لنا بها من اطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب ، وما قال قط مثل ذلك قال لجمت بالطعام فوضعتة فأكل معه وما رأيتك أكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله وانصرف فمجب من ذلك وكرهته له ، فقال لي بشر لعلك أنكرت فعله ؟ قلت نعم اخذ بقية من الطعام من غير اذن ، فقال ذلك اخونا فتح الموصلى زارنا اليوم من الموصل ، وانما اراد أن يعلمنا أن التوكل اذا صح لم يضر منه الادخار . والله سبحانه أعلم بحقائق الاسرار (ولا مباشرة اسباب) أى ولا يبنى التوكل مباشرة اسباب من (تدفع الضرر) المتعرض للخوف في نفس أو مال (ان كان) الضرر (مقطوعا به أو مظنونا كالتحرز عن النوم في مكمن السباع) أى في الارض المسبعة (ومر السيل) أى وفي مجرى السيل من الوادى لا سيما في الليل فانه ادعى للويل (وتحت الحائط) أى الجدار (المائل) الى السقوط وكذا السقف المنكسر الذى يخاف منه الهبوط

لَآنَ التَّعَرُّضَ لِلْهَلَاكِ مَنِّهِ عَنْهُ بِخِلَافِ الْمَوْهُومِ فَوَرَدَ فِي وَصْفِ الْمُتَوَكِّلِينَ
لَا يَكْتُونُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ إِلَّا فِي أَذَى النَّاسِ فَلَا أَوْلَى فِيهِ الصَّبْرُ فَوَرَدَ (فَاتَّخِذْهُ
وَكِيلًا وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَلَنْصَبِرَ عَلَى مَا آذَيْنُونَا) وَدَعِ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ) بِخِلَافِ أَذَى السَّبَّاحِ فَيَأْخُذُ السَّلَاحَ فَوَرَدَ (وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ

(لان التعرض للهلاك منهي عنه) فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه
للهلاك بغير فائدة منه (بخلاف الموهوم) أى بخلاف ما اذا كان الضرر موهوما
فان مباشرة تفي بالتوكل ، فترك الموهوم منها من شرط التوكل ، وهى التى نسبتها
إلى دفع الضرر نسبة السكى والرقية ، فان الكى والرقية قد يقدم به على المحذور دفعا لما
يتوقع ، وقد يستعمل بعد نزول المحذور لازالة ما وقع (فورد في وصف المتوكلين)
انهم (لا يكتنون ولا يسترقون) على ما تقدم فاصفهم عليه السلام الابتك
الكى والرقية والطيرة ، ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة
والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع (الا فى اذى الناس) استثناء من قوله : ولا مباشرة
اسباب تدفع الضرر ، أى الا ان يكون الضرر فيما ناله من اذى الناس له ، ويكون
بما لا اثر له في الخارج كالشتم والملامة والتعير والتوبيخ والمذمة فانه اذا أمكنه الصبر
والتحمل وامكنه الدفع والتشقى (فالاولى فيه الصبر) وترك اسباب تدفع الضرر ،
وقول المصنف فالاولى اولى من قول صاحب الاحياء : فشرط التوكل الاحتمال والصبر
(فورد) في التنزيل (فاتخذ وكيلًا واصبر على ما يقولون) تمامه (واحجهم حجرا
جميلا) (ولنصبرن على ما آذيتونا) آخره (وعلى الله فليتوكل المتوكلون)
(ودع اذاهم) أى اترك مدافعتهم ومعاقبته في الحال ، او مكافأته ومجازاته في الاستقبال
(وتوكل على الله) فان من توكل عليه كفاه (بخلاف اذى السباع) فانهم
مجبولون على الاضرار ، وفي معناها الكفار فالصبر على اذى الحيوانات كالعقارب
والحيات ليس من التوكل في الدرجات ، اذ لا فائدة فيه في حال من الحالات
(فياخذ) المتوكل (السلاح فورد) في التنزيل (وليأخذوا اسلحتهم)
في صلاة الخوف وهو أمر ايجاب او استحباب ، وقد اختفى عليه السلام عن اعين
الاعداء في الغار خوفا من ضرر الكفار ، وقد قال تعالى لموسى عليه السلام : (فاسر

وَيَعْقِلُ الْبَعِيرَ فُورَدَ أَعْقَلَهَا وَتَوَكَّلَ وَيَسُدُّ الْبَابَ غَيْرَ مُسْتَقْصٍ فِي الْحِفْظِ وَلَا يَحْفَظُ
مَتَاعًا يَحْرُصُ فِيهِ السَّارِقُ بَلْ يَقْتَصِرُ عَلَى مَا لَا يَدْمَنُهُ كَكُوزٍ وَرَكُوعَةٍ وَجَرَابٍ وَسِلَاحٍ
وَيَغْتَمُّ إِنْ سُرِقَ لِمَعْصِيَةِ السَّارِقِ وَتَعَرَّضَهُ لِلْعِقَابِ لِانْقِصَالِ الْمَالِ بَلْ يَفْرَحُ بِهِ لِمَافِيهِ مِنْ
صَلَاحِهِ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ بِهِ وَيَشْكُرُهُ تَعَالَى عَلَى جَعَلِهِ مَظْلُومًا لَا ظَالِمًا وَنَقَصَ دُنْيَاهُ لَا دِينَهُ

بعبادى ليلاً) فهذا وما قبله كله فى حق النفس ، وأما فى حق المال فأشار بقوله (ويعقل البعير) أى يربط رجله لئلا يفارق رحله (فورداً) أنه قال عليه السلام لا لعراى لما أهمل البعير وقال توكلت على الله (أعقلها وتوكل) أى على الله ، رواه الترمذى من حديث أنس وضعفه يحيى القطان ورواه الطبرانى من حديث عمرو بن أمية الضمري باسناد جيد بافظ قيدها (ويسد الباب) أى يغلقه (غير مستقص) أى مبالغ (فى الحفظ) كاتماسه من الجيران حفظاً مع وجود غلقه ، وبكمعه اغلاقاً كثيرة فى عمله ، فقد كان مالك بن دينار يغلق بابه ليلاً بشرط ويقول : لولا الكلاب ما شدته ، وفيه لطافة إذ الدنيا جيفة وطالبها كلابها لما ورد وقد تقدم (ولا يحفظ متاعاً يحرص فيه) أى فى اخذه (السارق) ويطمع فيه الطارق فيكون هو سبب معصيته وباعث مصيبته ، أو يكون امساكاً موجب هيجان رغبته (بل يقتصر على ما لا يدمنه ككوز) يشرب منه (وركوة) يتطهر بها (وجراب) يضع زاده فيه (وسلاح) إذا كان من أهل الجهاد أو سلاح كل أحد بحسب مقامه ووفق مرأته ، كالكتب للعلماء وعدة الحرف للفقراء ، والعصا سلاح الضعفاء وسنة الانبياء . وكان بعض المتجردين لم يكن فى خلوته شئ . فإذا دخلها أغلقها وإذا خرج منها تركها مفتوحة ويقول أنا متاع البيت ولما هدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة وقال له خذها قال لا حاجة لى اليها ، قال لم؟ قال يوسوس الى العدو أن اللص قد اخذها ، فكأنه احترز من أن يعصى السارق ، ومن شغل قلبه يوسواس الشيطان بسرقتها فى اللاحق ، ولذا قال أبو سليمان هذا من ضعف قلب الصوفية هو قد زهد فى الدنيا فما عليه من أخذها (ويغتم) المتوكل (إن سرق) أى جعل مسروقاً (لمعصية السارق وتعرضه للعقاب) اللاحق (لا) يغتم (لنقص المال بل يفرح به) أى بنقص المال (لما فيه من صلاحه) أى لما فى نقص المال من مال صلاح الحال (تحسیناً للظن به) فيما قدره وقضاه من أزل الآزال (ويشكره تعالى على جملة مظلوما لا ظالماً ونقص دنياه) من ماله (لا دينه) الذى من ثاله ، فقد

وَلَا يَبَالِغُ فِي الطَّالِبِ وَسُوءِ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِ وَالْأَوَّلَى أَنْ يَعْفُو وَيَحِلَّ فَهُوَ صَدَقَهُ إِنَّ
كَانَ فَقِيرًا وَإِلَّا فَاغْنَاءَ لَهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَعَمَلٍ بِمَا وَرَدَ أَنْصَرَ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا

شكى بعض الناس الى عالم أنه قطع الطريق عليه وأخذ ماله ، فقال : إن لم يكن غمك أنه صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فأتصحب المسلمين . وسرق من على بن الفضيل دينار وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكي ويحزن ، فقال له أعلى الدنيا تبكي ؟ فقال لا والله ولكن على المسكين أنه يسأل يوم القيامة ولم تكن له حجة . وقيل لبعضهم : أَدع على من ظلمك ، فقال إني مشغول بالحزن عليه عن الدعا عليه (ولا يبالغ في الطالب) أى طلب المسروق أو السارق (وسوء الظن بالمسلم) أى وفي التهمة للجيران أو غيرهم من أقاربه وأصحابه (والاولى أن يعفو) اولاً (ويحل) ثانياً (فهو) أى ما ذكر من العفو والاحلال (صدقة إن كان) السارق (فقير أو لا) أى وإن لم يكن السارق فقيراً (فاغناء له عن المعصية) التى هي السرقة (وعمل بما ورد أنصراخاك ظالماً أو مظلوماً) وتوضيحه ما في الاحياء فان قلت : كيف يتصور أن لا يحزن إذا أخذ ماله الذى هو محتاج اليه ولا يأسف عليه ، وذلك لانه إن كان لا يشتهيه ولا يريد به لم أمسكه لديه واغلق الباب عليه ، وإن أمسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن على فقدده وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه ؟ فاقول إنما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن أن الخيرة له في أن يكون له ذلك المتاع ، ولولا أن الخيرة له فيه مارزقه الله ولما أخطاه ، فاستدل على ذلك بتيسير الله وحسن الظن به تعالى مع ظنه ان ذلك معين له على أسباب دينه ، ولو لم يكن ذلك عنده مقطوعاً به لاذيحتمل أن يكون خيرته في أن يتبلى لفقد ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب أكثر ، فلما أخذه الله بتسليط الامر تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به . فيقول لولا أن الله علم لى الخيرة الآن في عدها لما أخذها منى ، فيمثل هذا الظن يتصور أن يندفع عنه الحزن ، إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بالاسباب من حيث انها الاسباب بل من حيث أنه يسرها مسبب الاسباب عناية به وتلطافه ، وهو كالمرضى بين يدى الطبيب الحبيب يرضى بما يفعله ، فان قدم اليه الغذاء فرح به وقال لولا أنه عرف أن الغذاء ينفعنى وقد قويت على احتماله لما قر به الى ، وإن أخذ عنه الغذاء فرح أيضاً وقال : لولا أنه عرف أن الغذاء يضرنى لما حال بينى وبينه ، فكل من لا يعتقد في لطف الله بما يعتقده المريض في الوالد المشفق

الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التبركل أصلا ، ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري أى الاسباب خير له كما قال عمر رضى الله عنه : لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي ، فلذلك ينبغي أن لا يبالي المتوكل بسرقة متاعه أو ببقائه فانه لا يدري أيهما خير له في الدنيا ولا في الآخرة . فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان ولم من غنى يتبلى بواقعة لاجل غناه فيقول ليتني كنت فقيرا ويتمناه أن ما يضطر المتوكل الى تركه في البيت ، فينبغي أن ينوى عند خروجه منه الرضا بما يقضى الله تعالى فيه من تسليط سارق عليه ، ويقول ما يأخذه السارق هو منه في حل أو هو في سبيل الله أو ان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقير فهو أولى ، ويكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقير ، إحداهما أن يكون ماله مانعاه من المصيبة فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده ، وقد زال عصيانه بأكل الحرام لما ان جعله في حل ، والثانية أن لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر . ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه أو نوى دفع المصيبة عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله عليه السلام انصر اخاك ظالما أو مظلوما على ما في الصحيحين وتماه قيل كيف انصره ظالما قال تحجزه عن الظلم فان ذلك نصرة ، فنصرة الظالم منعه عن الظلم ، وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له . والتحقيق أن هذه النية لا تنصره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الا زلى السابق ، ولكن يتحقق بالزهد بنيته فان أخذ ماله كان له بكل درهم سبعة درهم لانه نواه وقصده ، وإن لم يؤخذ حصل له الاجر ايضا وجملة الاسرار ان يكون في هذا المقام متوكلا على الله سبحانه بالعلم والحال : اما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل يدفع الله سبحانه اياه فاسبق في الكتاب . فكم من بيت يفتق ولا ينفع ، ولم من يعير يعقل ويموت او يفلت . ولم من أخذ سلاحه يقتل او يغلب فلا يتكل اصلا على هذه الاسباب بل على مسبب الاسباب ورب الارباب . واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضى الله تعالى به في نفسه وبيته ، ويقول : اللهم ان سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري ان ما اعطيتني هبة فلا تسترجعها او عارية او ودعة فتستردها ، ولا ادري انها رزقي قبل خلقى او سبقت مشيتك في الازل انها رزقي غيري ، وكيف ما قضيت فانا راض به ، وما اغلقت الباب تحصنا من قضائك وتسخطابه على بلائك بل جريا على مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب ولا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب . ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي ان يكون

وَيَنْوِيهِ لِيُثَابَ وَإِنْ لَمْ يُسْرِقْ بَكَ فِي تَرْكِ الْعَزْلِ فَوَرَدَ فِيهِ ثَوَابٌ وَلَدٌ كَبِيرٌ وَقُتِلَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يَأْخُذُ لَوْ أَتَى بِهِ وَإِنْ جَازَ الْأَخْذُ لِأَنَّ النِّيَّةَ لَا تُخْرِجُ الْمَلِكَ

ذلك عنده نعمة جديدة من الله ، وان لم يجده بل وجده مسروقا فنظر الى قلبه فان وجده
راضيا او فرحا بذلك عالما بان الله تعالى ذلك منه في الدنيا الا ان يدرزقه في العقبى
فقد صبح مقامه في التوكل وظهر به صدقه ، وان تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له
انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ، ولا يصح الزهد الا لمن
لا يأسف على ما فاتته من الدنيا ولا يفرح بما يأتيه ، بل قد يكون على العكس من
ذلك فكيف يصح له التوكل ؟ نعم قد صبح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم
يكثر سعيه في الطالب والتجسس بعده وان لم يقدر على ذلك حتى يتأذى قلبه وأكثر
الشكوى بأسانه واستقصى الطلب بيده فقد كانت السركة معية له في دينه من حيث
انها اظهرت له قصوره عن جميع المهمات وكذبته في جميع الدعاوى فبعد هذا ينبغي
ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعواها ولا يتدلى بهجل غرورها فانها خداعة امامة
بالسوء مدعية للخير في ادورها (وينويه) اي العفو ابتداء (ليثاب وان لم
يسرق) انتهاء (كما في ترك العزل) فانه اذا نوى تحصيل الولد المجاهد في سبيل
الله يثاب به ولولم يولد (فورد فيه) اي في ترك العزل (ثواب ولد كبير
وقتل في سبيل الله تعالى) وفي الاحياء كما روى عن رسول الله ﷺ فيمن ترك
العزل واقر النطفة قرارها : ان له اجر غلام ولد من ذلك الجماع وعاش وقتل في
سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس من امر الوالد الا الواقع ، واما الخلق
والحياة والرزق والبقاء فليس اليه ، فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم ،
فكذلك امر السركة ، لكن مخرجه قال لم اجد له اصلا . وهذا واذا جعله في سبيل
الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة الى الآخرة فان اعيد عليه (فلا يأخذ)
أي فالاولى ان لا يقبله (لو أتى به) أي بالمال المسروق (وان جاز الاخذ) والقبول
فانه ملكه في ظاهر العلم (لان النية) بمجرد ما (لا تخرج الملك) عن يد المالك
لكن أخذه غير مستحسن عند المتوكلين فقد روى أن ابن عمر رضي الله عنهما سرق ناقته
فطلبها حتى اعياى ثم قال في سبيل الله ، فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال
يا ابا عبد الرحمن إن ناقتك في مكان كذا وكذا فلبس نعليه وقام ، ثم قال استغفر الله
وجلس ، فقيل له الا تذهب فتأخذها ؟ فقال إني كنت قلبت في سبيل الله . وكذا من

وَلَا إِزَالَةَ الضَّرَرِ الْمَقْطُوعِ بِهِ كَالشَّرْبِ لِدَفْعِ الْعَطَشِ وَالْمَظْنُونِ كَالْحِجَامَةِ وَالْإِسْهَالِ
بِخِلَافِ الْمَوْهُومِ كَالرَّقِيَةِ وَالطَّيْرِ

أخذ رغيفا مثلاً ليعطيه فقيرا فغاب عنه كره له أن يرده الى البيت بعد إخراجِه منه فيعطيه
فقيرا آخر، وحكى عن رجل من العباد بمكة أنه كان نائماً بجانب رجل معه هميان فانتبه الرجل
وفقد هميانه فاتهمه فيه فقال له لم كان فذكره لحمله الى البيت ووزن من عنده ثم بعد
ذلك اعله أصحابه بانهم كانوا اخذوا الهميان مزحاً معه فجاء هو وأصحابه اليه فردوا
الذهب اليه فاني عليهم وقال خذوه حلالاً فاكنت لأعود في مال اخرجته
في سبيل الله ولم يقبله فالحوا عليه فدعا ابناله وجعل يصره ضرراً ويبعث بها الى
الفقراء حتى لم يبق منه شيء ثم أقل درجات المتوكل أن لا يدعو على السارق الذي
ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهيته وتأسفه على ما فات وبطل
زهده، وفي الخبر من دعا على ظالم فقد اتصبر وقد تقدم وفي رواية أن العبد يظلم المظلم
فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون مقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما
زاد عليه فيقتص له من المظلوم وقد تقدم، وحكى أن الربيع بن خيثم سرق له فرس
ثمنه عشرون الفا ورقاً وكان قائماً يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج قلبه لطالبه فجاءه قوم
يعزونه فقال اما انى كنت قد رأيت به وهو يحمله قيل فما منعك أن تزجره؟ قال كنت فيما
هو احب الى من ذلك يعنى الصلاة في مقام الاحسان وكمال التكلان قال فجعلوا يدعون
على السارق فقال لا تفعلوا وقولوا خيراً فاني قد جعلتها صدقة عليه ، وقيل لبعضهم
في شيء كان قد سرق له الاتدعو على ظالمك فقال ما احب أن اكون عوناً للشيطان عليه
قيل افرأيت لو ردت عليك السرقة؟ قال لا آخذها ولا انظر اليها لاني كنت قد
احللتها له ، وقيل لآخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه
الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيد به شرّاً (ولا ازالة الضرر) اي ولا يفي التوكل
دفع الضرر (المقطوع به) اي بالسبب المقطوع به (كالشراب لدفع العطش) وكذا
الاكل لدفع الجوع واللبس لدفع الحر والبرد (والمظنون) اي والضرر المظنون فيه
بالسبب المظنون وهو الطرف الراجع من المشكوك (كالحجاجة والقصد والاسهال)
اي شرب الدواء المسهل وسائر أسباب الطب من معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة
الحرارة بالبرودة (بخلاف الموهوم) وهو الطرف المرجوح من المشكوك (كالرقية
والطيرة) والكي فروي أن عمران بن الحصين اعتل فاشاءوا عليه بالكي فامتنع فلم

وَالْتَرَكُ حَرَامٌ فِي الْمَقْطُوعِ بِهِ دُونَ الْمَظْنُونِ

يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتبوا فكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا
وتسلم على الملائكة فلما اكتبوا قطع ذلك عني وكان يقول اكتبونا كيات فوالله
ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من بعد ذلك واناب الى الله فرد عليه ما كان يجده من
امر الملائكة، وقال لمطرف بن عبد الله الم ترالى الملائكة التى كان اكرمنى الله بها قد
ردها الله على بعد أن كان قد اخبره بفقدها (والترك) لمباشرة السبب (حرام في
المقطوع به) عند خوف الموت (دون المظنون) فان تركه ليس بحرام، واما الموهوم
فشرط التوكل تركه اذا وصف به النبى عليه السلام المتوكلين واقواها الى وتليه
الرقية ولذا نهى عليه السلام عن الكى دون الرقية ففى البخارى «وانهى امتى عن الكى»
وفى الصحيحين من حديث عائشة أنه عليه السلام رخص فى الرقية من كل ذى حمة
ممن الطيرة آخر درجاتها والاعتماد عليها والانتكال اليها فى هذا الباب غاية التعقق فى
ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهى المظنونة كالدواوة بالاسباب الظاهرة
عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محذورا بخلاف
المقطوع بل قد يكون تركه افضل من فعله فى بعض الاحوال وفى حق بعض الاشخاص ويندل
على أن التداوى غير مناقض للتوكل من فعله عليه السلام وقوله وامره اما قوله لحديث «ما من
داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام - يعنى الموت - رواه الطبرانى
وغیره وحديث «تداوا واعباد الله» رواه الترمذى وصححه وابن ماجه من حديث اسامة بن
شريك وسئل عليه السلام «عن الدوا والرقى هل ترد من قدر الله شيئا قال هى من قدر الله» رواه
الترمذى وصححه وابن ماجه ، والحديث المشهور «ما مرت بملاء من الملائكة
الا قالوا مر املك بالحجامة» رواه الترمذى من حديث ابن مسعود ، وحديث
«احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيخ بكم الدم فيقتلكم»
رواه الترمذى من حديث ابن عباس ، فذكر أن تبيخ الدم سبب الموت وأنه قاتل باذن الله
تعالى ، وبين أن اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهداب
وبين اخراج المقرّب من تحت الثياب . واما امره عليه السلام فقد أمر غير واحد
من أصحابه الكرام بالتداوى والحمية، وقطع لسبعين معاذ عرقا أى فصدّه كذا فى الاحياء ،
ورواه مسلم من حديث جابر قال «رمى سعد فى الحكة لحسمه النبى عليه السلام يده
بمشقة» ، الحديث، وقد كوى اسعد بن زرارة رواه الطبرانى. ويؤخذ منه أن سبب الكى

فَرَكُ الدَّوَاءِ أَيْضًا مَأْثُورٌ

إذا كان موهوماً فالأولى تركه ، فينافي التوكل فعله . وقد قال لعلى كرم الله وجهه وكان وجع العين « لا تأكل من هذا » يعني الرطب « وكل من هذا فإنه أوفق لك ، يعني الساق الذي طبخ بشعر . وقال لصهيب وقد رآه آخراً يأكل التمر وهو وجع العين « أأكل التمر وأنت رمد ؟ فقال إنما أكل بالجانب الآخر ، فتبسم عليه السلام » وأما فعله صلى الله عليه وسلم فقد روى من طريق أهل البيت « أنه كان يكتحل كل ليلة ، ويحتجم كل شهر ، ويشرب الدواء كل سنة » ، رواه ابن عدى من حديث عائشة وقال أنه منكر انتهى . وحديث الاكتحال ثابت في الترمذى كما لا يخفى والطبرانى بإسناد حسن « أنه عليه السلام لدغته عقرب فغشى عليه فرقاه الناس » الحديث وله فى الاوسط « عن انس أنه عليه السلام كان اذا اشتكى قمح كفا من شونيز ويشرب عليه ماء وعسلاً » ولابى يعلى والطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن جعفر « أن النبى عليه السلام احتجم بعد ماسم » وللبزار وابن عدى فى الكامل من حديث أبى هريرة « أنه عليه السلام كان اذا نزل عليه الوحى صدعه رأسه فيغلفه بالحناء » وللترمذى وابن ماجه من حديث سلمى كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء » فكأن التداوى مروى ومشهور (فترك الدواء أيضاً مأثور) عن السلف مسطور . فروى عن الصديق أنه قيل له : لودعونا لك طيباً فقال قد رآنى الطبيب ، وقال لى افعل ما أريد . وقيل لابي الدرداء فى مرضه : ما تشكى ؟ قال ذنوبى ، قيل فما تشفى ؟ قال رحمة ربى . قالوا : ألا ندعوا لك الطبيب قال الطبيب أمرضى . وقيل لابي ذر - وقد رمدت عيناه - لوداويتهما ؟ فقال : انى مشغول عنهما ، قبل لو سألت الله ان يمانيك ؟ فقال أسأله فيما هو أهم على منهما ، وكان قد اصاب الربيع بن خثيم فالج فقبل له لوداويت فقال قد همت ثم ذكرت عاداو ثمود . وقرونا بين ذلك كثيراً وكان فيهم الأطباء فهلك المداوى والمداوى ولم يغن الدواء من الله شيئاً من الداء . وكان أحمد بن حنبل يقول : احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق أن يترك التداوى من شرب الدواء وغيره ، وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل ؟ قال : اذا دخل عليه الضرر فى جسمه والنقص فى ماله فلم يلتفت اليه شغلاً بحاله ، وينظر الى قيام الله تعالى . فوجه الجمع انه عليه السلام وبعض اصحابه الكرام تداؤوا توسعة للانام ورخصة فى الاحكام ، وترد بعض الاعلام من مشايخ الاسلام عملاً بالعزيمة المناسبة لما لهم من المقام ، والافالتداوى لا يضر الا من حيث رؤية الداء نافعا دون خالق

لَمَعْرِفَةِ عَدَمِ النَّفْعِ بِالْمُكَاشَفَةِ أَوْ لَكَوْنِ الْمَرَضِ مُزْمِنًا وَالْعِلَاجَ مَوْهُومًا كَالسَّكِّي
أَوْ لِلشَّغْلِ عَنْهُ بِخَوْفِ الْعَاقِبَةِ وَعَلَيْهِ تَعَالَى أَوْ لِقَصْدِ تَطْوِيلِهِ لِتَلِيلِ الْأَجْرِ بِالصَّبْرِ

الدواء ، فلا يرى ان الدواء نافع بنفسه بل من حيث أنه جعله الله سببا لنفعه ، لما لا يرى الماء مروبيا ، ولا الخبز مشبعا ، وفي الاحياء ولا يصح وجه الجمع بين فعله عليه السلام وأفعال التاركين من الاعلام الا بحصر الصوارف عن التداوى في ذلك المقام فترك الدواء المذكور والمأثور انما هو لاحد اسباب سبعة (لمعرفة عدم النفع بالمكاشفة) وهو أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف له بأنه قد انتهى اجله وأن التداوى لا ينفعه ، ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة ، وتارة بحس وظن ، وتارة بكشف محقق ، ويشبه ان يكون ترك الصديق التداوى من هذا السبب فانه من المكاشفين فقد قال لعائشة في أمر الميراث انهما أختاك ، ولم يكن لها الا أخت واحدة ، ولكن كانت امرأته حاملا فوضعت اثني فلم أنه قد كوشف بانها حامل بآثي . ولا يبعد أيضا أن يكون قد كوشف بانتهاء أجله والافلا يظن به إنكار التداوى ، وقد شاهدته عليه السلام تداوى وامره كذا في الاحياء . وفرق بين إنكار التداوى وعدم مباشرته لما لا يخفى (أو لكون المريض مزمنا والعلاج موهوما) في النفع (كالسكي) والريقة ونحوهما وعليه حل كلام الربيع (أوللشغل عنه) أي لاشتغال قلبه عن المرض وتداويه بما يوافقه وينافيه (بخوف العاقبة وعليه تعالى) بما وقع له في السابقة فينسيه ذلك ألم الامراض اللاحقة فلا يتفرغ قلبه للتداوى شغلا بحاله وتأملا في مآله وعليه يدل كلام أبي الدرداء وأبي ذر في ترك الدواء فكان تألم قلبه خوفا من ذنبه اكثر من تألم بدنه من حلول مرضه ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من أعزته ، او كالحائف الذي يحمل إلى ملك من أجل سياسته اذا قيل له ألا تأكل وانت جائع فيقول إني مشغول عن الاكل وعن ألم الجوع بما هو أهم منه . ويقرب من هذا اشتغال سهل رحمه الله حيث قيل له ما القوت ؟ فقال هو الحى القيوم فقيل له إنما سألتك عن القوام ؟ قال القوام هو العلم ، قيل سألتك عن الغذاء ؟ قال الغذاء هو الذكر قيل سألتك عن طعمة الجسد ؟ قال : مالك والجسد دمع من تولاه أولا يتولاه آخراء اذا دخلت عليه علة فردته الى صانعه أمارأيت الصنعة اذا عابت رددوها الى صانعها حتى يصلحها (أولقصده تطويله) أي لارادة استبقاء المرض (لتليل الاجر بالصبر) على بلائه تعالى فقد ورد في ثواب المرض ما يذكر

أو تكفير الذنب

ذكره ومن ذلك « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار ،
فهم من يخرج كالابريز ، ومنهم من يخرج دون ذلك ، ومنهم من يخرج أسود محترقا »
رواه الطبراني من حديث أبي أمامة . وقال ابن مسعود . تجد المؤمن من أصبح شىء
قلبا وأمرضه جسما ، وتجد المنافق من أصبح شىء جسما وأمرضه قلبا وبشير إليه قوله
تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) قلبا عظم الشئ على المرض والبلاء أحب
قوم المرض واغتموه وترثوا الدواء لينالوا نواب الصبر على الداء فكان فيهم من
له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ، ويقاسى العلة ويرضى بحسبكم الله تعالى وما فيه
من الحكمة . ويعلم أن ذكر الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه ، وإنما يمنع
المرض جوارحه ، وعلوا أن صلاتهم من قعود مثلامع الصبر على قضائه سبحانه من
العلة أفضل من الصلاة قائما مع العافية والصحة . وكان سهل يقول : ترك التداوى وإن
ضعف عن الطاعات أفضل من التداوى لأجل القوة على العبادات . وكانت به علة عظيمة
ولم يتداو لها وكان يداوى الناس منها ، وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شىء
من الدواء قائما هو سعة من الله عز وجل لاهل الضعف ، ومن لم يدخل في شىء منه فهو أفضل
لأنه إن أخذ شيئا من الدواء وإن كان هو الماء البارد يسأل عنه لم أخذ ذلك ؟ ومن لم
يأخذ فلا سؤال عليه . وكان مذهب البصريين تضعيف النفس بالجموع وكسر الشهوات
لعلهم أن ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من
أعمال الجوارح والمرض لا يمنع من أعمال القلوب إلا إذا كان الله غالباً مدحشا . وقال
سهل : عمل الأجسام رحمة وعمل القلوب عقوبة (أو تكفير الذنب) بأن يرى طول المرض
تكفيرا لخطاياهم فلا تبي على وابن عدى من حديث أبي هريرة « لا يزال الحى والصداع
بالعبد حتى يمضى على الأرض فالبردة ما عليه خطيئة » والطبراني من حديث أبي الدرداء
نحوه . ولحقى الأوسط من حديث أنس « مثل المريض إذا أصبح ويرى من مرضه كمثل البردة
تقع من السماء في صفائها ولونها » وللقضاعي من حديث ابن مسعود « حى يوم كفارة
سنة » وفي رواية حى ليلة ، ولاحمد وأبي يعلى من حديث أبي سعيد الخدرى بإسناد جيد
« أن رجلا من المسلمين قال : يا رسول الله أرايت هذه الأمراض التى تصيبنا ما لنا فيها ؟ قال
كفارات ، قال أبى وإن قلت قال وإن شوكه فما فوقها ، قال فدعا أن لا يفارقه الوعك
حتى يموت » الحديث . والوعك الحى لوشدة ألمها . والطبراني فى الأوسط من حديث

أَوْ امْتِحَانِ النَّفْسِ أَوْ طُغْيَانِهَا فِي الصَّحَّةِ بِتَضْيِيعِ الْوَقْتِ بِالتَّنْعَمِ وَتَأْخِيرِ الْخَيْرَاتِ
لِتَطْوِيلِ الْأَمَلِ

أبي بن كعب أنه قال : يا رسول الله ماجزاء الحمي؟ قال تجري الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب عليه عرق ، فقال : اللهم إني أسألك حتى لا تمنعني خروج جاني سبيلك ولا خروجي إلى بيتك ولا مسجد نبيك الحديث . وقال عيسى عليه السلام : لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والأمراض على جسمه وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياهم ؛ وروى أن موسى عليه السلام نظر إلى عبد عظيم البلاء فقال يا رب ارحمه ، فقال كيف أرحمه بما به أرحمه ؟ أي به الكفر ذنوبه وازيد في درجته (أو امتحان النفس) أي لتجربتها في القدرة على الصبر في المحنة بعدم الجزع والزعج والشكاية فقد ورد « نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء » ثم الامثل فالمثل يبتلى العبد على قدر إيمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان في إيمانه ضعف خفف عليه البلاء « رواه أحمد و ابو يعلى والحاكم وصححه (أو طغيانها) أي تجاوز النفس عن حدها (في الصحة) أي في أيام الصحة والعافية (بتضييع الوقت بالتنعم) في الشهوات واللذات (وتأخير الخيرات) أي وتأخير الطاعات والعبادات والمبرات (لتطويل الامل) وتبديد الاجل وتوضيحه أن يستشعر العبد في نفسه مبادئ البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوى خوفا من أن يماجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان أو طول الامل وتسويق العمل بتأخير الخيرات والمبرات ، فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها يذمعت الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي والسيئات ، وأقلها أن تدعو الى التنعم في المباحات وهو تضييع الاوقات وإهمال للربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات ، فاذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصيبات ولذا قيل لا يخلو المؤمن من علة أو قلة أو ذلة وروى أن الله تعالى يقول الفقير سجنني والمرض قيدي احبس به من أشاء من خلقى . وقال بعض العارفين لانسان : كيف كنت بعدى ؟ قال في عافية ، قال ان كنت لم تنص الله فانت في عافية ، فان كنت عصيته فأى داء ادوى من المصيبة ؟ ما عوفى من عصي . وعن علي كرم الله وجهه أنه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيدهم قال ما هذا الذى اظهوره ؟ قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لانصى الله فيه فهو لنا عيد وما أحسن من قال من ارباب الحال وليس العيد لمن لبس الجديد ايما العيد لمن أمن من الوعيد ، وقال تعالى : (كلا

وَالْأَوَّلَى الْإِخْفَاءُ صَبْرًا وَرِضًا وَتَحَامِيًا عَنِ الشُّكَايَةِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْحِكَايَةِ لِقَصْدِ
 الْعِلَاجِ لِلطَّبِيبِ أَوْ تَعْلِيمِ حُسْنِ الصَّبْرِ بِالشُّكَايَةِ وَهُوَ مِنَ الْمُقْتَدَى بِهِ أَوْ إظهارِ
 الْعِجْزِ عَنِ الصَّبْرِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَهُوَ مِنَ الْقَوَى

أن الانسان لطيفي ان رآه استغنى) قيل أى بالعافية ، وقال بعضهم انما قال فرعون
 (أنا ربكم الاعلى) لطول العافية لانه لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم
 يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة لشغلته عن الفضول
 الدنياوية فضلا عن دعوى الألوهية وروى أن عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تعرض
 فطلقها ، وفي الخبر انه عليه السلام عرض عليه امرأة فذكر من صفتها ونعتها حتى هم
 أن يتزوجها ، فقيل لهنها ما مرضت قط فقال « لا حاجة لي فيها » .

رواه أحمد من حديث أنس باسناد جيد وذكر عليه السلام الامراض والاوراجاع
 كالصداع وغيره فقال رجل ما الصداع ما عرفه ؟ فقال عليه السلام « عنى اليك من اراد
 أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى هذا » رواه أبو داود وذلك لما ورد أن الحى حفظ
 كل مؤمن من النار « رواه أحمد من حديث أبي امامة . ولابن ماجه من حديث أبي
 هريرة أنه عليه السلام عاد مريضا من وعك كان به فقال له ابشر ان الله عز وجل يقول هو
 نارى اساطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لكون حفظه من النار فى العقبى » (والاولى الاخفاء)
 أى اخفاء مرضه وسوء حاله (صبرا) على بلائه تعالى (ورضا) بقضائه سبحانه
 (وتحميا عن الشكاية الا على سبيل الحكاية) وانما جاز ذلك لثلاثة اغراض (القصد للعلاج
 للطبيب) اذا كان المريض من الضعفاء بخلاف الاقوياء فكان الامام احمد به علة لا يخبر
 بها الطبيب اذا سأله عنها ، وتارة يخبر بامراض يجدها ويقول : انما صفت قدرة الله فى (أو
 تعليم حسن الصبر) أى او لتعليم المريدين استحسان الصبر وجواز اظهاره (بالشكاية)
 على طريق الحكاية بل لبيان الشكر فى الرواية بأن يظهر أن المرض بلية يصبر عليها أو نعمة
 يشكر لديها فيتحدث به لما يتحدث بالنعمة ، وقال الحسن البصرى اذا حمد المريض ربه تعالى
 وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى (وهو) أى صاحب هذا المقام يكون (من
 المقتدى به) فى أمر الرعاية (أو اظهار العجز) والافتقار (عن الصبر اليه تعالى وهو)
 انما يستحسن (من القوى) فى مقام الصبر لما روى عن على كرم الله وجهه انه قيل له فى
 مرضه كيف أنت ؟ فقال بشر فظفر بعضهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه
 شكاية فقال أنجلد على الله فاحب أن يظهر فيه العجز والافتقار مع ما علم فيه من القوة

والاعتدال (قالتية) أى تحيينها واصلاحها (مرخصة) لظهار علله واسبابها
أو المعنى أن النية مرخصة للتداوى وتركه فان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاوقات
وانما الأعمال بالنيات وأما من ترك التداوى توكلًا فلا وجه له للاظهار أصلاً فان
الاستراحة الى الدواء أحسن من الاستراحة الى الانشاء، وقد قال بعضهم من بث لم
يصبر ولذا قال يعقوب عليه السلام (انما أشكوا بنى وحزنى الى الله) وقبل فى معنى قوله
(فصبر جميل) لاشكوى فيه، وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذى أذهب بصرك؟ قال مر
الازمان وطول الاحزان فاجبى الله تعالى اليه تفرغت بشكواى الى عيىدى فقال
يارب أتوب اليك، وروى عن طاووس ومجاهد أنها قالت لا يكتب على المريض أنينه فى
مرضه وكانوا يكرهون أنين المريض لانه اظهار معنى يقتضى الشكوى حتى قيل
ما أصاب أبليس من أيوب عليه السلام إلا أنينه فى مرضه لجل الانين حظه منه ولعله
محمول على انين كان يمكنه أن لا يظهره عند عواده والافتد سبق أنه تسبيح ويثاب عليه
مع أنه أمر طيىم لا يدخل تحت اختيار المريض وفى الخبر اذا مرض العبد قال الله تعالى
للملكين انظروا ما يقول لعواده فان حمد الله تعالى واثنى عليه بخير دعوا له وإن كان
شكاً وذكر شرًا قالوا كذلك يكون وإنما كره بعض العباد عيادة العباد خشية الشكاية فى
المقام وخوف الزيادة فى الكلام وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابهم فلم يدخل عليه أحد حتى
يبرأ فيخرج اليهم، منهم الفضيل بن عياض. وهيب بن الورد. وبشر بن الحارث وكان
الفضيل يقول: اشتهى المرضى بلاعواد، وقال لا أكره العلة الا لاجل العواد .
هذا وما ينفع فى باب التوكل من حسن الظن بمجئ الرزق وفق الرفق ان يسمع الحكايات التى
فيها عجائب صنع الله تعالى فى وصول الرزق الى صاحب التوكل فى سائر الاوقات،
كما روى عن حذيفة المرعى وكان قد خدم ابراهيم بن آدم فقيل له: ما اعجب ما رأيت
منه؟ فقال: بقيت فى طريق مكة اياماً لم نجد طعاماً، ثم دخلنا الكوفة فآوينا الى مسجد خراب
فنظر الى ابراهيم بن آدم وقال: يا حذيفة أرى بك الجوع، فقلت هو ما رأى الشيخ،
فقال على بدواة وقرطاس، فكتبت بها فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود اليه
يا الله بكل حال والمشار اليه بكل معنى . وقال :

انا حامد انا شاكر انا ذاكر
انا جائع انا نائع انا عارى
هى ستة فأنا الضمين لنصفها فكأن الضمين لنصفها يا بارى

مدحى لغيرك لهب نار خضتها فأجر عبيدك من لهيب النار

ثم دفع الى الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى الاول من يلاقك ،
 فخرجت فاول من لقينى كان على بغلة ، فناولته الرقعة فاخذها ، فلما وقف عليها بكى ،
 وقال : ما فعل صاحب هذه الرقعة ؟ فقلت هو فى المسجد الفلانى ، فدفع الى صرة فيها
 مئة دينار ، ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذارجل نصرانى ،
 فحنت الى ابراهيم فاخبرته بالقصة ، فقال لا تمسها فانه يحرق الساعة ، فلما كان بعد ساعة
 دخل النصرانى واكب على رأس ابراهيم يقبله وأسلم . وقال أبو يعقوب الاقطع البصرى :
 جمعت بالحرم عشرة أيام ، فوجدت ضعفا فحدثنى نفسى بالخروج ، فخرجت الى الوادى
 لى اجد شيئا يسكن ضعفى ، فرأيت شاحمة مطروحة فاخذتها فوجدت فى نفسى منها
 وحشة ، وكان قائلا يقول لى : جمعت عشرة أيام وآخره يكون حظك شلجمة . متغيرة
 فرجعت ودخلت المسجد وقعدت ، فاذا انا برجل أعجمى قد اقبل حتى جالس بين يدى
 ووضع قطرة وقال هذه لك ، فقلت كيف خصصتنى بها ؟ فقال أعلم انا كنانى البحر منذ
 عشرة أيام واشرفت السفينة على الفرق ، فذرت إن خلاصنى الله أن اتصدق بهذه
 على اول من يقع عليه بصرى من المجاورين ، وأنت اول من لقيته ، فقلت افتحها
 ففتحها فاذا فيها لك سميد مصرى ، ولوز مقشر ، وسكر كعاب ، فقبضت قبضة
 من هذا وقبضة من هذا وقبضة من هذا ، وقلت رد الباقى الى صديانك هدية متى لهم
 وقد قبضتها ، ثم قلت فى نفسى رزقك يسير اليك من عشرة أيام وأنت تطلبه فى الوادى
 وقال مشاد الدينورى : كان على دين فاشتغل قلبى بسببه فرأيت فى النوم كأن قائلا
 يقول يا بخیل اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذو علينا العطاء ، فما
 حاسبت بعد ذلك بقالا ولا نصا ولا غيرهم ، وحكى عن بنان الحمال قال : كنت فى طريق
 مكة اجد من مصر ومعى زاد ، فجاءتنى امرأة وقالت : يا بنان أنت حمال تحمل على
 ظهرک الزاد وتوهم أنه لا يرزقك ؟ قال فرميت بزادى ، ثم أتى على ثلاث لم آكل ،
 فوجدت خلخالا فى الطريق فقلت فى نفسى أحله - حتى يحرق . صاحبه فرما يعطينى شيئا
 فارد عليه فاذا انا بتلك المرأة فقالت : أنت تاجر تقول عسى يحرق . صاحبه فاخذ
 منه شيئا ثم رمت الى شيئا من الدراهم وقالت : انفقها فاكتفيت بها الى قريب من مصر ،
 وحكى أن بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا اذا
 جاء النفير فنشترى ما يوافقك ، فلما ورد النفير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا انها
 تصلح له ، وقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية ؟ فقال انها ليست للبيع ، فألحوا عليه ، فقال

انها لبنان الخمال اهدتها اليه امرأة من سمرقند ، فجعلت الى بنان وذكرت له القصة
وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال إن أكلته مات . فوكل الله به ملكا
فقال ان أكله فارزقه ، وان لم يأكله فلا تعطه غيره ، فلم يزل القرص معه الى أن
مات ولم يأكله وبقي القرص بعده . ويقرب منه ما في حياة الحيوان أن دودة أكلها
التراب وتموت جوعا خوفا من فراغه وحزنا على فراقه ، وكذا طير على ساحل البحر
يموت عطشا خوفا من نفاد ما فيه من الماء ، وقال أبو سعيد الخراز دخلت البادية بغير
زاد فاصابتني فاقة فرأيت المرحلة فسرت بأن وصلت ، ثم فكرت في نفسي أني سكنت
واتكملت على غيره سبحانه ، فالتيت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل اليها فحضرت
لنفسى في الرمل حفيرة وواريت جسدى فيها ، فسمعوا صوتا علانيا في نصف الليل :
يا أهل المرحلة ان الله وليا حبس نفسه في الرمل فالحتموه ، فجاء جماعة فاخرجوني
وحملوني الى القرية . وروى أن رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فقال عمر يا هذا هاجرت
الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر ، فذهب الرجل حتى اتقده
عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر اني اشتقت اليك فالذي شغلك عنا ؟ فقال اني
قرأت القرآن فاغتناني عن عمر وآل عمر ، فقال عمر رحمك الله فارجدت فيه ؟ فقال وجدت فيه
(وفي السماء رزقكم وما ننزله من فوق) فقلت رزقي في السماء وانا اطلبه في الارض فبكي عمر وقال
صدقت ، وكان عمر بعد ذلك يجلس اليه ، وقال أبو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين
فبينما انا أمشي في الطريق اذ وقعت في بئر فنازعتنى نفسي أن أستغيث ، ثم قلت لا والله لا
أستغيث فاستقم هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما تعال حتى نسد رأس
هذا البئر لئلا يقع فيه احد ، فأتوا بقصب وبارية وطموا البئر على رأسه فهممت ان اصيح
ثم قلت في نفسي الى من هو اقرب منها فسكت فبينما انا بعد ساعة اذ انا بشيء فكشف عن
رأس البئر وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي في مهمة له كنت اعرف له ذلك ، فتملقت
به فاخرجني فاذا هو سبع فر وتركني فتهف بي هاتف فقال : يا ابا حمزة اليس
هذا أحسن نجيناك من التلف بالتلف فشيئ وانا اقول :

اهابك ان ابدى اليك الذى اخفى	وانت عظيم ما يلاحظه طرفي
نهاني هو اى منك ان اكتم الحيا	واغنيتهى بالفهم منك عن الكشف
تلطف في امرى فابديت شاهدي	الى غائبى واللطف يدرك باللطاف
ترأيت لى بالغيب حتى كائنما	تبشرني بالغيب انك في الكهف
اراك وبى من هيتى لك وحشة	فترنسى بالاطف منك وبالعطف

وَالْأَصْلُ فِيهِ الْيَقِينُ، وَوَرَدَ مَنْ كَانَ غَرِيزَتَهُ الْعَقْلَ وَسَجِيَّتَهُ الْيَقِينَ لَمْ تَضُرَّهُ الذُّنُوبُ.
مِنْ أَفْضَلِ مَا أُوتِيَتْهُمُ الْيَقِينُ وَعَزِيْمَةُ الصَّبْرِ

وتحبي محبا كان في الحب حنقه وذاعجب كون الحياة مع الحنف

فهذه احوال رجال ماتوا قبل الموت فلا لحقهم شيء من القوت. وفي هذا المقام قال من قال: دع نفسك وتعال، ويان ذلك الحال ان تطيب نفس السالك لهذه المسالك بالموت ان لم يات به رزقه علما بان رزقه هو الموت. والجوع وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة كمال في العقبى، فيرى انه سبق اليه من خير الرازيين ويعتقد انه سبحانه خير الرازيين لما انه احسن الخالقين (والاصل) الذي عليه مدار امر الدين خصوصا (فيه) اي في التوكل هو (اليقين) وقد قال تعالى (واعبد ربك حتى ياتيك اليقين) اي عين اليقين فانه بان عليه السلام واتباعه الكرام في مقام علم اليقين، ولذا تفسيره بالموت عند عامة المفسرين من الائمة المتبحرين. وقال عز وعلا (هدي للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) الى ان قال (وهم بالآخرة هم يوقنون) وقول على كرم الله وجهه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا، لانه انما يزداد وضوحا عينيا بعد ما كان ظاهرا غيبيا، كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع شمس النهار بانه انسان في صورته وهياته، بل يزداد وضوحا في عرفان تفصيل خلقته.

والحاصل انه ما يزداد اليقين من طريق العلم والبيان وانما يزداده باعتبار الظهور والعيان فينتقل من علم اليقين الى عين اليقين وبرؤية الحق ينتقل من علم اليقين الى حق اليقين، ونظيره ان خبر الكعبة متواتر عند كل سالك المناسك، فله علم اليقين في سلوك تلك المسالك الى ان يشاهد البيت من بعيد فيشهد له بعين اليقين مع تاييد ثم اذا قبل الحجر الاسحمر والتزم الملتزم انتقل الى حق اليقين في الحرم المحرم، والله سبحانه أعلم (وورد) عنه صلى الله عليه وسلم (من كان غريزته العقل) اي طبيعته (وسجيته اليقين) اي خلقته وطريقته (لم تضره الذنوب) اي ارتكابها لانها يدعوان الى سرعة التوبة عن اكسابها، والتائب من الذنب كن لاذنب له في اجتنابها (من افضل ما اوتيتم اليقين) في امر الدين (وعزيمة الصبر) في مقام المجتهدين، قال تعالى (وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) وقال: (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) ولا بني نعيم في الحلية واليهيقي عن أبي سعيد مر فوعا «ان من ضعف اليقين ان ترضى الناس بسخط الله؛ وان تحمدهم

وَهُوَ عَدَمُ الشَّكِّ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ وَالِاسْتِيْلَاءُ عَلَى الْقَلْبِ فِي عِلْمِ الْآخِرَةِ قِيلَ ضَعْفٌ
يَقِينُ فُلَانٌ عِنْدَ الْمَوْتِ مَعَ عَدَمِ الشَّكِّ فِيهِ وَقَوَى فِي الرِّزْقِ مَعَ الشَّكِّ فِيهِ وَجَجَارِيهِ
كُلُّ مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ وَالْأَصُولُ . التَّوْحِيدُ وَبُلُوغُ الرِّزْقِ وَالْجَزَاءُ وَاطَّلَاعُهُ
تَعَالَى عَلَى الْأَحْوَالِ وَالْجُدْوَى عَدَمُ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى الْمُسَخَّرَاتِ وَالْإِجْمَالِ فِي الطَّلَبِ
مَعَ تَرْكِ التَّأْسِفِ عَلَى الْقَوَاتِ وَالْإِقْدَامِ عَلَى الطَّاعَاتِ

على رزق الله وان تذهبهم على ما لم يؤتكم الله ان رزق الله لا يحجره اليك حرص حريص
ولا يردده كراهة كاره وان الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضاء
واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط (وهو) اي اليقين (عدم الشك) في
امر الدين (عند المتكلم) اي في علم الكلام (والاستيلاء) للامر (على القلب) باستيلاء
الرب (في علم الآخرة) المنتج للعمل في مرضات الله سبحانه وهذا التعريف عند المتصوفة
والفقهاء ولذا يوصف عندهم بالضعف والقوة والكمال والزيادة بخلاف غيرهم ومن هنا
(قيل) لمن جزع وقت الموت (ضعف يقين فلان عند الموت) كان الاظهر ان يقال في
الموت اي في حال وقوعه (مع عدم الشك) لاخذ من المسلم والكافر (فيه) اي في وجود
الموت وثبوته فهو يقين يشبه الشك (وقوى في الرزق) اي ويقال لمن ترك بالكلية مباشرة
الاسباب وتوكل على الله حق توكله بترك الاسباب قوى فلان في امر الرزق (مع الشك فيه)
اي في وجود الرزق اذ يحتمل عدمه بان يموت جوعا في مقامه (و بجاريه) اي بحال اليقين
ومجاليه (كل ما جاء به الشرع) المبين (والاصول) لليقين اربعة (التوحيد) للحق
(وبلوغ الرزق) للخلق (والجزاء) على الاعمال (واطلاعه تعالى على الاحوال) سرا
وعلاية فانه يعلم السر واخفى (والجدوى) اي فائدة اليقين اربعة ايضا (عدم الالتفات الى
المسخرات) من العاويات والسفليات (والاجمال في الطلب) اي طلب الرزق في الحديث
واجملوا في طلب الدنيا فان كلاما ليسر لما كتب له منها، رواه ابن ماجه وغيره من حديث أبي حميد
الساعدي والمعنى اكسبوا المال بوجه جميل وهو ان لا تطلبه الا بالوجه الشرعي وتصحيح
النيات والمقامات (مع ترك التأسف على القوات) قال تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم)
اي من الدنيا وورد «من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة، ومن
أسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة ألف سنة» اخرجه البزار في مشيخته
عن أبي عمرو (والاقدام على الطاعات) اي واكتساب العبادات

مَعَ الْإِمْتِنَاعِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي إِصْلَاحِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ ۝

(الخاتمة في المحبة والسلوك)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَوَرَدَ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»

(مع الامتناع عن المعصية) أي مع الاجتناب عن جميع السيئات (والمبالغة في اصلاح الظاهر والباطن) بتحصيل الاخلاق والشمائل وتحسين الاحوال والفضائل ۝

(الخاتمة في المحبة والسلوك)

أي وسلوك طريق المحبة وسبيل المودة ، ومن لم يغترف من بحر المعرفة لم يعترف بحقيقة المحبة مع غير الجنس والمثل والصفة . وقال لامعني لها الامواظبة على الطاعة ، ولما انكر المحبة انكر الانس والشوق والذوق ، والمحور والصحو ، والفناء والبقاء ، والقبض والبسط ، وسائر لوازم المحبة وتراجم المودة ، وسائر مقامات أهل المعرفة . وسيجيء كشف الغطاء عن هذه الحالة ببيان الكتاب والسنة ۝

(بسم الله الرحمن الرحيم) تنجلي الامور وتنشرح الصدور . والامة مجمعة على أن الحب لله ورسوله فرض ، فكيف يفترض ما لا وجود له ، وكيف يفرض الحب بالطاعة والطاعة تتبع الحب وثمرته ، فلا بد أن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب (وورد) في التنزيل ما يقوى هذا التأويل (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ) أي تدعون محبته (فاتبعوني) فاني رئيس المحبين في سلوك المودة (يحببكم الله) كما احبني وسماني حبيب الله ، وللاتباع حظ من متبوعهم بقدر الاتباع . وما يدل على اثبات الحب لله قوله عز وجل (يحبهم ويحبونه) ثم في قوله سبحانه (والذين آمنوا اشد حباً لله) دليل على إثبات الحب ومناقبه والتفاوت في مراتبه (لا يؤمن أحدكم) ايماناً كاملاً او ايماناً أصلاً (حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) من الولد والوالد وما عداهما . والحديث رواه الشيخان من حديث أنس بلفظ «لا يجد احد حلاوة الايمان حتى» الحديث . وعن أبي رزين العقيلي أنه قال يا رسول الله ما الايمان؟ قال : الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما ، وفي الصحيحين من حديث أنس أيضاً : لا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين ،

وفي رواية لها «ومن نفسه» ، وللبخاري من حديث عبد الله بن هشام «قال عمر يا رسول الله لانت أحب الى من كل شيء الا نفسي» ، فقال لا والذي نفسي بيده حتى اكون أحب اليك من نفسك ، قال عمر أنت الآن والله أحب الى من نفسي ، فقال الآن يا عمر ، يعني آمنت وهو خبر ؛ ويحتمل أن يكون استقهما . ولعل هذه الاحاديث مقتبسة من قوله سبحانه (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترمتهموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى صواحتي يأتي الله بامرء) فان ذلك جرى مجرى التهديد والانتكار ، والقصد به الاثبات والاقرار ، ونبه عليه السلام على تفاوت المحبة بينه وبين الله سبحانه في هذا المقام بقوله «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه» ، واجوبى لحب الله إياي « فأشار الى أن محبة الله اصل ومحبة عليه السلام تبعية كما يقتضيه مقام الربوبية والعبودية . ويروى « أن رجلا قال يا رسول الله إني أحبك قال فاعد للفقر تجففا » رواه الترمذي وحسنه ، وعن عمر رضي الله عنه أنه عليه السلام نظر الى مصعب بن عمير فقبلوا عليه إلهاب كبش قد تمطق به فقال عليه السلام : انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه ، لقد رأيت بين أبي بن يغيثا به باطيب الطعام والشراب ، فدعاه حب الله ورسوله الى ماترون ، رواه أبو نعيم في الحلية باسناد حسن . وفي الصحيحين من حديث أنس وابن مسعود وأبي موسى « قال اعراني يا رسول الله متى الساعة ؟ قال ما أعددت لها ؟ فقال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا أني أحب الله ورسوله » ، فقال له عليه السلام : المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك » وقال الصديق : من ذاق خالص محبة الله شغلته ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر أي من أرباب الدنيا . وقال الحسن : من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها . والمؤمن لا يلهو حتى يغفل ، فاذا تفكر حزن . وقال أبو سليمان الداراني . إن من خاف الله تعالى خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا . ويروى : أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نخلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم ، فقال لهم : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ فقالوا الخوف من النار ، فقال حق على الله أن يؤمن الخائف . ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيراً ، فقال ما الذي بلغكم ما أرى ؟ فقالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم ما ترجون . ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيراً كأن وجوههم المرابا من النور ؛ فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ فقالوا الحب لله

وَالْحَبَّةُ أَعْظَمُ الْمَقَامَاتِ وَأَهَمُّ الْمَهْمَاتِ وَهِيَ مِيلُ النَّفْسِ إِلَى الْمَوَافِقِ

عز وجل ، فقال أتمّ المقربون أتمّ المقربون. وقال هرم بن حيان إذا عرف المؤمن ربه أحبه وإذا أحبه أقبل عليه وإذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ، ولم ينظر الى الآخرة بعين الفقرة وهو بحسده في الدنيا وبروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ : عفوه يستغفر الذنوب فكيف رضوانه ، ورضوانه يستغفر الآمال فكيف حبه ، وحبه يدهش العقل فكيف وده ، ووده ينسى مادونه فكيف لطفه . وقال يحيى بن معاذ : مثقال خردلة من الحب أحب إلى من عبادة سبعين سنة بلا حب ، وقال أيضا : إلهي اني مقيم بغنائك مشغول بثنائك أخذتني اليك وسرلتنى بقربك وامكنتني من لطفك ونقلتنى في الأحوال وقابتني في الأعمال سترتو توبة وزهدا وشوقا ورضا وجبا تسقينى من حياضك وتحملنى في رياضك ، ملازما لأمرك مشغوبا بقولك ، ولما طر شاربى ولاح طائلى فايف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت منك هذا صغيرا ، ولى ما بقيت حولك دندنة ، وبالضراعة اليك هممة لأنى أحبك ، وكل حبيب بحبيبه مشغوف ، وعن غير حبيبه مصروف ﴿ والحبة أعظم المقامات وأهم المهمات ﴾ فقيل : المحبة محو المحب بصفاته ، واثبات المحبوب بذاته وقيل المحبة ايثار المحبوب على المصحوب . وقيل مشاهدة الحبيب في المشهد والمغيب وقيل المحبة أن تقار على المحبوب أن يحبه مثلك في مقام المطلوب . وقيل المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز القلوب عن ادراك نهايته وتمنع الألسن عن عبارتها وقال الجنيد : حرم الله المحبة على صاحب العلاقة وقال : كل حبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة ، وعن ذى النون : قل لمن أظهر حب الله احذر أن تركز إلى غير الله ﴿ وهى ﴾ أى المحبة ﴿ ميل النفس الى المواقف ﴾ أى الى ما يوافق هواها ولا ينافى مشتاهها ، وتوضيحه ان المدركات تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلذه ويلتزمه والى ما لا ينافيه وينافره ويؤله والى ما لا يؤثر فيه باي لام ولا التثام فكل ما فى ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما كان فى ادراكه ألم ومحنة فهو مبغوض عنده وما يتخلو عن استعقاب لذة وراحة وألم وشدة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها ، فاذا ن كل لذية محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان فى الطبع ميلا اليه ، ومعنى كونه مبغوضا ان فى الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء المألذ ، فان تأكد ذلك الميل وقوى سمي عشقا وشوقا والبغض عبارة عن نفرة

وَاللَّذَّةُ أَعْظَمُ مِنْ مَحَبَّتِهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَتِهِ ، فَالْأَدْنَى الْمَطْعَمُ ثُمَّ الْمَنْكُحُ ثُمَّ الْجَاهُ ثُمَّ الْعِلْمُ ، وَيَعْرِفُ بِتَرْكِ الْأَدْنَى وَاسْتِحْقَارِهِ عِنْدَ وَجْدَانِ الْأَعْلَى

الطبع عن المولم المتعب ، فاذا قوى سمى مقنا . ويقال سحقاء ثم لما كان الحب تابعا للدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات بالحواس ، فكل حاسة نوع من المدركات ولكل واحدة منها لذة في بعض المدركات والطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم ، فلهذا الدين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصرر الحسنة المايحة ، ولذة الاذن في النفات الطيبة الموزونة ، ولذة الشم في الروائح الطيبة ، ولذة الذوق في الاطعمة المستلذة ، ولذة اللمس في اللينة والنعومة ، ثم لذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله لا يدرك بالحواس ولا يشمل بالخيال فلا يجب فاذا قد بطل خاصية الانسان وما يميز به عن الحيوان من الحس ، السادس الذي يعبر عنه إما بالعقل وإما بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيئات فالبصرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر ذا يشير اليه قوله سبحانه (فانها لاتعنى الابصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور) والقلب أشد ادراكا من العين ولذا قال تعالى: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) و(الامن أنى الله بقلب سليم) وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار ولذا قال تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) و(ان في ذلك آيات لقوم يعقلون) فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تخیلو عن ادراكها الحواس المبلغ وانهم ، فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح القويم اليه اقوى وانهم ، ولا معنى للحب الا المييل الى ما في ادراكه لذة ولا لذة اعظم من محبته تعالى ومعرفته) فلا ينكر اذن حب الله الا من قعد به القصور عن درجة البهائم غفلا ، فلم يجاوز ادراكه الحواس أصلا (فالادنى) من اللذات (المطعم) أى لذة الاكل والشرب من المستلذات (ثم المنكح) من المشتهايات ، وذلك بالنسبة الى المكلف والا فالصبي عنده بعد الاكل تمام لذته اللهو واللعب (ثم الجاه) الصورى (ثم العلم) بالامر الضروري (ويعرف) الترقى (بترك الادنى واستحقاره عند وجدان الاعلى) واستقراره ، بما أن المرأة الثيب إذا ارادت زوجا تغيرت بين غنى عنين وفقير رجول فالغالب أنها لا تختار الغنى ، لاسيما اذا كانت غنية ولها قوة شهية . فعلم أن

وَاسْتَكْرَاهُ الْبَعْضُ لِلْعِلْمِ لِلنَّقْصِ كَاسْتِكْرَاهِ الْمَرِيضِ الْمَطْعَمَ وَالصَّبِيَّ الْمَنَكْحَ ، وَالْعِلْمُ بِهِ تَعَالَى أَشْرَفُ الْعُلُومِ فَشَرَفُهُ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ ، وَمِنْ ثَمَّ تَكُونُ الْفَتَوَى أَشْرَفَ مِنَ الْخِيَاطَةِ ، وَالرُّؤْيَا لَهُ سُبْحَانُهُ الذَّمُّ لَزِيَادَةِ الْكَشْفِ فِيهَا ، فَلِلَّذَّةِ بِاعْتِبَارِ هَذَا وَسَيِّهَا الْكَمَالُ فَهُوَ مَحْبُوبٌ طَبْعًا وَمِنْ ثَمَّ أَحَبُّ الْعَالَمِ وَالصَّالِحُ

لذة المنكح أعلى من لذة الطعام. ثم لو فرض انها كانت من اشراف القوم ، وفرض أن الرجولية زالت من الناس الا من ارادهم كالكناسين والداغين فالغالب أنها لا تختار زوجا من هذه الطائفة ولو كان غنيا وفي الشهوة قويا ، فعلم أن لذة الجاه أعلى من لذة المنكح ثم لو فرض شريف ذو نسب ذاق لذة العلم وليس في البلد عالم الا من اراد ان القوم المذكورين فالغالب أنه لا يأنف أن يحضر في مجلس هذا العالم ليستفيد منه العلم ، فلم أن لذة العلم أعلى من لذة الجاه ، وكذا المخير بين النظر الى صورة جميلة وبين استنشاق رائحة طيبة اذا اختار النظر الى حسن الصورة علم به أن الصور الجميلة عنده ائذ من الروائح الطيبة ، وكذا اذا حضر الطعام واستمر اللاعب بالشطرنج علم أن لذة اللعب عنده أقوى من لذة الاكل (واستكراه البعض العلم للنقص) في مثله (واستكراه المريض الطعام) لعله في حاله (والصبي المنكح) لعدم بلوغ مثله ، والا فلا يخفى أن في العلم والمعرفة لذة حتى أن الذي ينسب الى العلم ولو بشيء خسيس كالشطرنج ونحوه من الكيمياء والسيمياء وأمثاله يفرح به ، والذي ينسب الى الجهل ولو بشيء حقير يغمى بسببه . ثم مراتب العلم متفاوتة باعتبار تفاوت المعلوم (والعلم به تعالى اشرف العلوم فشرفه) أي العلم (بشرف المعلوم) وليت شعري هل في الوجود شيء أجل واعلى وأذل واغلى من خالق الاشياء ومكملها ، ومزينها ومبديها ، ومعيدها ومدبرها ومرتبها فألذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله في مصنوعاته وتديره في أرضه وسمنواته (ومن ثم تكون الفتوى) بل الكتابة (اشرف من الخياطة) ونحوها من الصياغة والصباغة (والرؤية له سبحانه الذم) أي من العلم به (لازدياد الكشف) في معرفة ذاته وصفاته (فيها) أي في الرؤية حال تجلياته (فاللذة باعتبار هذا) المعلوم وازدياد الكشف المقهوم (وسببها) أي موجب المحبة وباعثها (الكمال) في الجمال (فهو) أي الكمال (محبوب طبعاً) ولو في زيادة الجاه والمال (ومن ثم أحب العالم) لما له في العلم (والصالح) لما له في العمل لا لصورتهما

وَالْوَجْهَ الْجَمِيلَ وَالْكَلَامَ الْبَلِيغَ وَالْإِحْسَانَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ عِيْدُهُ وَلَا كَيْلَ إِلَّا لَهُ تَعَالَى

الظاهرة بل لسيرتهما الباطنة الباهرة ، فان الطباع مجبولة على حب الانبياء والعلماء والاولياء مع أنهم لم يشاهدوا لهم شيئا من الاشياء ، ومنه حب ارباب المذاهب كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم من المشايخ ، حتى أن الرجل قد يتجاوز به حبه لصاحب مذهبه أو مشربه حد العشق بسببه فيحمله ذلك على أن ينفق جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخطر بروحه في قتال من يطعن في إمامه أو شيخه فكيف من دم أريق في نصرة المذاهب باختلاف المراتب فليت شعري من يحب متبوعا من عالم أو صالح فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته وهياته فاستحسنه الذي حمله على افراط حبه انما هو لاستحسان سيرته وهي صورته الباطنة لاصورته الظاهرة (والوجه الجميل) لما له من صورة الجمال (والكلام البليغ) لما له من سيرة أهل الكمال (والاحسان فان الانسان) أي جنسه (عييده) أي عييد الاحسان . وفي نسخ الاحياء عبد الاحسان وهو أظهر لحمله على الانسان ، والمعنى أنه قد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء عليها كما ورد ، وقد ورد أيضا « اللهم لا تجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي » كما رواه الديلمي وهذا المقام اذا حقق رجع الى الاول فان المحسن من أمد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وتمام الشهود وهو من جملة الكمال الا ان الاول كمال لذاته ، وهذا من عوارض صفاته ، بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك وأصحاب المال في اقطار الارض العدل والاحسان غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه بعد المزار وتناى الديار ، فاذا ليس حب الانسان مقصورا على من أحسن اليه فقط ، بل المحسن في نفسه محبوب وإن كان لا ينتهي احسانه قط الى الحب ، لأن كل جمال وحسن فهو محبوب ، فالصور ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما ، وتدرك الصورة الظاهرة بالبر بالظاهر ، والصورة الباطنة بالبصيرة الباطنة ، فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ، ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة ، ففتان بين من يحب نقشا مصورا على الخائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة (ولا كمال) في الجمال والجلال (إلا له تعالى) ثمانية وهو الملك

وَلَا إِحْسَانَ إِلَّا مِنْهُ وَالْأَعْلَى أَنْ يُحِبَّ لَذَاتِهِ وَهُوَ مِنَ الْمَوَاقِبِ بِخِلَافٍ غَيْرِهِ
ثُمَّ لِلْكَامِلِ ثُمَّ لِلْإِحْسَانِ وَهُوَ حُبُّ النَّفْسِ فِي الْحَقِيقَةِ

المتعال (ولا احسان لآمنه) كما يشير اليه قوله تعالى : (وما بكم من نعمه فكن الله)
(والاعلى أن يحب) أى الله (لذاته) مع قطع النظر عما تقتضيه صفاته الجمالية من
رجاء الجنة ، ونعوته الجلالية من خوف العقوبة ، وما توجه صفات الافعال من الاكرام
والاحسان والانعام (وهو) أى الحب الذى لذاته (من المواهب) الدنية والمراتب
العندية دون المكاسب العبدية ، اذ اردو نعم العبد صيب لولم يخف الله لم يصبه) (بخلاف
غيره) أى غير الحب لذاته من انواع الحب الآتية المعبر عنها بقوله (ثم للكمال ثم
للإحسان وهو) أى الحب الذى للإحسان (محبة النفس) أى نفس المحب (فى الحقيقة)
وإن كان يطلق عليه محبة الله فظاهر الشريعة والطريقة ، فأذا يرجع الفرق الى تفاوت
الرتبة ، ولإمكنا واجدير جمع الى محبة الانسان نفسه . فكل من أحب المحسن لإحسانه
فأحب ذاته تحقيقا ، أى بل أحب إحسانه ، وهو فعل من أفعاله لوزال زال الحب مع
بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ، وتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الإحسان
ونقصانه . وفى الاحياء إن الانسان لا يخفى أنه يحب نفسه ، ولا يخفى أنه قديح غيره
لاجل نفسه ، وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لاجل نفسه ، هذا مما قد يشكل على
الضعفاء حتى يظنوا أن لا يتصور أن يحب الانسان غيره لذاته مالم يرجع منه حظ
الى المحب سوى ادراك ذاته . فالحق أن ذلك متصور وموجود ، ولاهل الكمال مدرك
ومشهود ، وذلك كحب الجمال فان كل جمال محبوب عند كل مدرك للجمال ، وذلك
لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ، ولا يظن
أن الصور الجميلة لا تتصور الا لقضاء الشهوة ، فان قضاءها لذة اخرى قد تحب
الصور الجميلة لاجلها ، وادراك نفس الجمال ايضا لذيد فيجوز ان يكون محبوبا
لذاته ، وكيف يذكر ذلك والخضرة والماء الجارى محبوبان لا يشرب الماء ولا تؤكل
الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية ، فقد كان عليه السلام يحب الخضرة
والماء الجارى كما روى أبو نعيم فى الطب النبوى من حديث ابن عباس ؓ أنه عليه
السلام كان يحب أن ينظر الى الخضرة والماء الجارى والطباع السليمة من العوارض
السقيمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان

والآثار حتى أن الانسان لتفرج عنه الغموم بالنظر اليها لالطلب حظ وراء النظر اليها ، فاذا ثبت ان الله جميل كان لاحالة محبوا عند من انكشف له جماله وجلاله ، كما ورد « أن الله جميل يحب الجمال » رواه مسلم من حديث ابن مسعود . هذا وقد يكون الموجبة للمحبة مناسبة خفية بين المحب والمحجوب ، اذ رب شخصين يتأكد الحب بينهما لاسبب جمال او حظ مال بل بمجرد تناسب الارواح دون تشاغل الاشباح ، كما ورده الارواح جنود مجندة فاتعارف منها اتلفت وماتنا كرمها اختلف ، رواه مسلم من حديث أبي هريرة . والتعارف هو التناصب والتناكر هو التباين .

ثم اعلم أن المستحق للمحبة إنما هو الله وحده ، وأن من أحب غير الله لامن حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفته ، وإنما يحب غيره من الانبياء والاصفياء لكونهم أحياء له سبحانه ومحجوب المحبوب محبوب ، ولأن أسباب المحبة المتقدمة مجتمعة في حقه سبحانه يجمعتها على وجه الدوام والكمال ، وأما في حق غيره تعالى فلا يوجد الا أحادها على وجه النقصان والزوال ، وانها حقيقة في حقه عز وجل وفي حق غيره مجاز محض ، بل وهم وتخيل صرف لاحقيقة لها في شهودهم كما في وجودهم فان المبد لا وجود له من ذاته ، بل هو محو محض وعدم صرف ، لولا فضل الله عليه بالايجاد ، وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء والامداد ثم المحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ؛ وإذا قال الحسن من عرف ربه احبه ، ومن عرف النار بعد منها ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ، ثم الله سبحانه هو المنفرد بالوجود والاحسان والطول والامتنان من غير غرض ولا عوض ، بخلاف احسان الانسان مع ان احسانه أيضا من جملة احسان الملك المنان ، بل الاحسان على وجه الكمال من غير محال ، فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته ، فانه خالق المحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان . ثم العلم من اسباب المحبة فأي علم الاولين والآخرين من علم الله تعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ، ولقد خاطب الخلق كلهم فقال (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) بل لو اجتمع أهل الارض والسماء أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق غلة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشيرة كما قال تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) فالقدر اليسير الذي علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى (خلق الانسان علمه البيان) ثم لا قدرة ولا قوة الا بالله فان العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ،

وأما ما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وب نفسه ، بل الله خاتمه وخالق قدرته وخالق أسبابه ، والممكن له من ذلك ولو ساط بعوضة على أعظم ملك وأقوى ملك لاهلكته ، فليس للعبد قوة الاتمكين مولاة كما يشير اليه حديث « لا حول ولا قوة الا بالله » ، ودأل في أعظم ملوك الارض (إنا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سبيل) (والسموات مطويات بيمينه) والارض ومن عليها جميعا في قبضته وناصية جميع المخلوقات بيد قدرته ، إن أهلهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه ومملكته ذرة ، وإن خاق أمثالهم ألف ألف مرة لا يزيد في ذلله سبحانه ذرة ، وليس بالغير الله الا بقدر ما أعطاه ، وأما كماله فكامل معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه ونعمته كما قال سيد المرسلين عليه السلام « لأحصى ثناء عليك أنت كما أنثيت على نفسك » وقال سيد الصديقين العجز عن درك الادراك إدراك فسبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته الا بالعجز عن معرفته . قالوا يجب على العبد أن يحب الله لجمال ذاته وكمال صفاته لا لغرض ولا عوض مما يلائم قلب العبد من حالاته ولذا أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام « إن أود الآراء إلى من عبدني لغير نوال ولكن يعطي الربوية حقها . وفي الزبور : ومن أظلم ممن عبدني لجنة أونا لولم أخلق الجنة ونارالم أكن أهلا ان أطاع . ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نخلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال : مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم . ومرتقوم آخرين كذلك فقالوا فعبده حبا له وتَعْظيما لجلاله ، فقال أنتم أولياء الله معكم أمرت أن أقيم . وقال أبو حازم اني أستحي أن أعبد الله للعقاب والثواب فأكون كالعبد السوء اذا لم يخف لم يعمل أو كالأجير السوء ان لم يعط أجرأ لم يعمل . ثم المناسبة للمحبة بين الله وعبده انه أمران يتخاق بأخلاقه في اكتساب محامد الصفات التي هي من النعوت الالهية كالعلم والبر والاحسان واللطف وإفاضة الرحمة على الخلق والنصيحة والارشاد لهم الى الحق ، فكل ذلك يقرب العبد من الله سبحانه قرب الصفات ويشير إلى تلك المناسبة قوله تعالى (انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق) اذ لم يستحق داود خلافة الله الا بتلك المناسبة ، واليه يرمى قوله عليه السلام « ان الله خلق آدم على صورته ، أي صفته الكمالية من النعوت الجمالية والجلالية . وقد ظن القاصرون أن لا صورة الا الصورة الظاهرة فشبها وجسموا وصوروا تصويراً كثيراً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، واليه الإشارة بقوله تعالى في الحديث القدسي « مرضت فلم يعدني

وَأَنَارَهَا الشُّوقُ فَوَرَدَ طَالَ شَوْقُ الْأَبْرَارِ إِلَى لِقَائِي

قال وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان ولو عدته لوجدتني عنده ، وهذه المناسبة لا تظهر إلا بالمواظبة على التوافل بعد احكام الفرائض و اتمام الشرائع لما قال تعالى « لا يزال العبد يتقرب الى بالتوافل حتى احبه فاذا احبته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به » كما رواه مسلم من حديث أبى هريرة وهذا موضع يجب فيضان العلم عنه ، فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر ، والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد ، وقالوا بالحلول ، حتى قال بعضهم : انا الحق . وضل النصارى فى عيسى وقالوا هو الاله . وقال آخرون تدرعت الناسوت باللاهوت . وقال آخرون اتحد به لما تقول الوجودية وهم طائفة ابن عربى بالممية . وأما الذين انكشفت لهم استحالة التشبيه والتمثيل والاتحاد والحلول ، واتضح لهم فى ذلك حقيقة التنزيه فهم الاقلون عددا والاكثرون عددا ، ولعل ابا الحسن الثورى كان ينظر من هذا المقام اذ غلبه الوجد فى قول القائل هذا الكلام .

لازلت انزل فى ودادك منزلا تحير الالباب عند نزوله

(وَأَنَارَهَا) أى نتائج المحبة وأثمارها خمسة (الشوق) وهو غلبة المحبة فى مقام الذوق (فورد طال شوق الابرار الى لقائى) قال أبو الدرداء لكعب : اخبرنى عن اخص آية يعنى فى التوراة ، فقال يقول الله تعالى : طال شوق الابرار الى لقائى ، وإنى الى لقائهم أشد شوقا . وقال : مكتوب فى جانبها من طلبى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى . فقال أبو الدرداء : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا فى الاحياء وسكت عنه مخرجه . ومن دعاء نبينا عليه السلام لما اخرجته النساءى والحاكم « اللهم إنى أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر الى وجهك ، وشوقا الى لقائك » وكان ابراهيم بن ادم من المشتاقين ، قال فقلت يوما يارب إن أعطيت أحدا من المحبين لك مايسكن به قلبه قبل لقائك فاعطى ذلك فقد اضر بنى القاق . قال فرأيت فى النوم أنه واقفنى بين يديه وقال : يا ابراهيم أما استحييت منى أن تسألنى أن اعطيك مايسكن به قلبك قبل لقائى ، وهل يسكن قلب المشتاق قبل لقاء حبيبه ؟ فقلت يارب تهت فى حبك فلم ادر ما اقول فاعفر لى وعلمنى ما اقول ، فقال قل : اللهم رضى بقضائك ، وصبرنى على بلائك ، واوزعنى شكر نعمائك . وأوحى الله الى داود عليه السلام : يا داود لو يعلم المديرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم

وَهُوَ غَلْبَةُ التَّطَلُّعِ مِنْ وَرَاءِ حُجُبِ الْغَيْبِ إِلَى الْجَمَالِ وَانْبِعَاثُ الْقَلْبِ إِلَى الطَّلَبِ
وَبِالْمَوْتِ شَوْقُ اللَّقَاءِ الْحُصُولِ وَلَا يَرْتَفِعُ شَوْقُ زِيَادَةِ الْإِنْكَشَافِ ، فَلِلرُّؤْيَا
مَرَاتِبُ لَا تَنْتَاهِي

وشوق الى ترك معاصيهم لما اتوا شوقا الى ، وتقطعت اوصالهم من نجس . ياداد هذه
ارادتي في المديرين عني فكيف ارادتي بالمقبلين علي . يادارد احوج مايكون عبدي
الى اذا استغنى عني وارحم ما كون بعدي اذا ادبر عني واجل مايكون عبدي اذا رجع
الى (وهو) أي الشوق (غلبة التطلم) أي الاشراف (من وراء حجب الغيب الى
الجمال) أي جمال الحق وسبحان من احتجب باشراف نوره واخفى عن البصائر والابصار
لشدة ظهوره ولذا قيل :

لقد ظهرت فما تخفى على أحد . الا على الله لا يبصر القمر

لكن بطئت بما ظهرت محتجبا . فكيف يعرف من بالعزة استترا

فهو الاول والاخر والظاهر والباطن (وانبعث القلب الى الطالب) أي وقيام قلب
العبد الى طلب الرب فلقد كان الخواص يضرب صدره ويقول واشوقاه الى من يراني
ولا أراه ويقال الشوق نار الله الموقدة من نور بلائه لاهل ولائه أشعلها في قلوب
أوليائه حتى يحرق بها مافي قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات
فيكونوا من خلاصة أصفياه (و) يرتفع (بالموت شوق اللقاء) أي الملاقة (الحسولة)
حال النزاع والاشراف (ولا يرتفع شوق زيادة الانكشاف) وهي الرؤية الممبر عنها
بالزيادة في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (فللرؤية مراتب لا تنهاى)
لعدم تنهاى التجليات الالهية الصمدية الازلية الابدية ومن جهة عدم نهاية التجليات
الجلالية لاهل الجنة قال تعالى (لهم ما يشاؤون فيها ولدنيا مزيد) فتزايد النعم ساعة
فساعة كما يشير اليه قوله تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا
من قبل) أي صورة (وأتوا به متشابهاً) أي سيرة لان الثاني يزيد على الاول لذة
وكذا من جهة عدم نهاية التجليات الجلالية لاهل النار قال عز وعلا (قد رزقوا فلن
نزيدكم الا عذاباً) (كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب)
فلا يدخل تحت الحصر درجات اهل النار كما لا يدخل في حيز الحصر درجات اهل
الجنة فكل عارف في جنة عرضها السموات والارض من غير ان يضيق علي مثله

اصلا إلا أنهم يتفاوتون في سعة منتزعاتهم بقدر درجاتهم في اتساع نظرهم
وسعة معارفهم في مقاماتهم فهذا القدر ينزهك على ان معرفة الله تعالى الذ الاشياء
ولذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا فالرؤية بقدر المعرفة
لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة لما تنقلب النواة شجرة
ومن لم يعرف الله في الدنيا لا يراه في العقي (كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)
ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات مختلفة ولذا
قال عليه الصلاة والسلام « ان الله يتجلى للناس عامة ولا يبيكر خاصة » كما رواه ابن عساكر
من حديث جابر وذلك لأنه أفضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل
انفرد به في سره، وتوضيحه أن طيبة الجنة ان لكل واحد فيها ما يشتهي، فمن لم يشته
الا لقاء الله فلا لذته في غيره بل ربما يتأذى به، فإذا نعيم الجنة بقدر حب الله وحب الله
بقدر معرفته فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر عنها الشرع بالإيمان والاسلام
والاحسان والله المستعان . فلما عرفت في معرفتهم وفكرتهم لمناجات الله لذات لو عرضت
عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة المحبة ثم الواصلون الى رتب المعرفة
ينقسمون الى الأقوياء المرادين المجذوبين فيكون أول معرفتهم لله تعالى، ثم به
يعرفون غيره والى الضعفاء المرادين من المجتهدين فيكون أول معرفتهم بالافعال
ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى (أولم يكف بربك انه على كل
شيء شهيد) وبقوله (شهد الله أنه لا إله الا هو) ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم
عرفت ربك؟ قال عرفت ربي وولولاري لما عرفت ربي والى الثاني الاشارة بقوله (سنريهم
آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) الآية وبقوله (أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض)
وبقوله (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وهذا الطريق هو الاسهل على الأكثرين
والاوسع على السالكين واليه أكثر دعوة القرآن المبين، فالعارف لا يرى غير الله
ولا يعرف سواه ويعلم انه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي
تابعة فلا وجود لها بالحقيقة، وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال
كلها، ومن هذا حاله فلا ينظر في شيء من الافعال الا ويرى فيه العاقل ويذهل
عن الفعل من حيث انه أرض وسما وشجر وماء بل ينظر فيه من حيث أن له صانعا
فلا يكون نظره مجازا له إلى غيره فكل العالم تصنيف الله فمن نظر اليها من حيث
انها فعل الله كان المورح الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر إلى نفسه من حيث
نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذي يقال انه قتي في التوحيد وانه قتي عن نفسه

وَالْأَنْسُ وَهُوَ غَلْبَةُ الْفَرْحِ بِالْقُرْبِ إِلَى الرَّبِّ وَقَصْرُ النَّظَرِ عَلَى الْمُطَالَعَةِ

والله الإشارة بقول من قال: كنا بنا فقينا عنا فبقينا نحن بلا نحن . ولذا قال أبو سليمان الداراني : ان الله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ، وفي أخبار عيسى عليه السلام : اذا رأيت الفتى مشغوقا بطلب الرب فقد ألهاه ذلك عما سواه ، وقال أبو سليمان أيضا : من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغولا بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغولا بربه وقال الثوري لرابعة : ما حقيقة إلهائك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا رجاء لجنته فأكون كالاجير السوء بل عبدته حباً له وشوقا اليه . وقالت في معنى المحبة :

احبك حين : حب الهوى وجالانك أهل لذاكا
فاما الذي هو حب الهوى فشغلي بذرك عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك لأحجب حتى اراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها ، وبانعامه عليها ، بالخطوطة العاجلة ، وبجبه لما هو أهل له الحب لجلاله وجماله الذي انكشف لها ، وهو اعلى الحبين واقواها . وقد قيل لرابعة : ما تقولين في الجنة ؟ قالت : الجارم الدار ، فبينت أن ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة ، وبذلك يشير قول آسية (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) ،

هذا ومن عرف الله عرف أن الذات المفرقة والشهوات المختلفة كلها تنطوى تحت هذه اللذة كما قال :

كانت بقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت منذ رأيتك العين اهوائى
فصار يحسدنى من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركنت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكسرك يادبنى ودنيايى
وقال بعضهم : وهجره اعظم من ناره . ووجهه اطيب من جنته

وما ارادوا بهذا الا إثارة القلب في معرفة الرب على لذة الاكل والشرب والجماع ونحوها ، فان الجنة معدن تتمتع الحواس ، فاما القلب فلذته في لقاء الله في مقام الايناس (والانس) أيضا من آثار المحبة (وهو) أى الانس (غلبة الفرح بالقرب الى الرب وقصر النظر على المطالعة) أى مراقبته ومشاهدته ، ومن هنا قيل : الاستيناس

وَيَفَارِقُ الشَّوْقَ بِكُونِهِ حَالَةَ الْإِضَافَةِ إِلَى الْحَاضِرِ وَذَلِكَ إِلَى النَّائِي

بالناس علامة الافلاس ، ومن أنس بالله توحش عن خلق الله . وفي اخبار داود عليه السلام : أن الله تعالى قال : يا داود ابلغ أهل ارضي أني حبيب لمن احبني وجالس لمن جالسنى ، وانيس لمن انس بذكري ، وصاحب لمن صاحبنى ، ومختار لمن اختارنى ، ومطيع لمن اطاعنى ، ما احبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسى واحبيته حبا لا يتقدم اليه احدهم خلقت ، من طلبني بالحق وجدني ، ومن طلب غيرى لم يجدني فارضوا يا أهل الارض ما أتم عليه من غرورها واملوا الى كرامتى ومصاحبتي ومجالستي وسدوها فأنسوا بى اونسكم واسارع الى محبتكم ، فاني خلقت طينة احابى من طينة ابراهيم خليلي ، وموسى نبيي ، ومحمد صفيي . ولاني خلقت قلوب المشتاقين من نوري ، ورقمها بجلالي وفي اخبار داود عليه السلام ايضا : ان الله أوحى اليه قل لعبادي المتوجهين الى محبتي : ما ضر لم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى بغيون قلوبكم ؟ وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت لكم كرامتى ؟ وما ضركم سخط الخلق اذا التستم رضائي . وفي اخباره ايضا : ان الله أوحى اليه ان كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبا لا يجتمعان في قلب يا داود خالص أحبتي بمخالصة ومخالط أهل الدنيا بمخالطة . ومن هنا قيل : علامة الانس بالحق ضيق صدر صاحبه من معاشره الخلق واستهتاره بمذبذبة الذكر ولذا ذه الذمكر فان خالط فهو منفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر ، وحاضر في سفر ، وشاهد في غيبة ، وغائب في شهرة ، ومخالط بالغالب ومباين بالغالب (ويفارق) الانس (الشوق بكونه) أى الانس (حالة الاضافة الى الحاضر وذلك) أى الشوق حالة الاضافة (الى النائي) أى البعيد الغائب ، ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له : انت مشتاق ؟ فقال لا انما الشوق الى الغائب ، فاذا كان الغائب حاضرا قل من اشتاق ، فهذا كلام مستغرق بالفرح لما ناله غير ملتفت الى ما بقى في الامكان من مزايا اللطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد والخلوة كما حكى ان ابراهيم بن آدم نزل من الجبل فقيل له : من أين آفقت ؟ فقال من الانس بالله وذلك لان الاس بالله يقتضى التوحش من غير الله ، بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من ائتمل الاشياء على القلب . لما روى أن موسى عليه السلام لما كلفه ربه مكث دهرًا لا يسمع كلام أحد من الناس الا اخذه الغشيان ، لان الحب يوجب

وَيَجِدِي الْإِنْسَاطَ كَأَوْرَدَ (رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى - رَبِّ أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ)
 أَنْجَحَ فِي الْأَوَّلِ لَوْجُودِ الشَّرْطِ ، وَاعْتَذَرَ فِي الثَّانِي لِفَقْدِهِ ، وَلَوْلَا الْإِنْسُ لَعُوتَبَ
 كَمَا احْتَرَقَ قَوْمُ الْكَلِيمِ

غذوبة كلام المحبوب وغذوبة ذكره المطلوب . فخرج غذوبة ناسواه من القلوب ،
 وقال بعض الحكماء في دعائه يا من آتسنى بذكره واوحشني من خلقه . قال الله تعالى
 لداود عليه السلام كن بي مستأنسا ومن سوائى متوحشا ، وقيل للرابعة : بم نلت هذه
 المنزلة ؟ قالت بترى ما لا يعنينى والنسى بمن لم يزل . وقيل من ذق خلوة الوحدة استوحش
 من نفسه الوحدة . وكأنه يشير الى قول من قال : هو وجودك ذنب لا يقاس به ذنبه
 وعن علي كرم الله وجهه في وصف أهل الانس من خواص الانس : هم قوم
 فهم بهم الامر على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المتفهمون ،
 وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بآبدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى
 اوتلك خلفاء الله في ارضه . والدعاة الى دينه وقد قيل :

الانس بالله لا يحويه بطلال وليس يدركه بالحول محتال

والآنسون رجال كلهم نجب وكلهم صفوة لله عمال

(ويجدى) أى يشر الانس (الانبساط) أى النشاط على حاشية البساط
 بالاقوال والافعال والمناجاة على سبيل الادلال (كما ورد) فى التزيل : (واذا قال
 ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى) وقال موسى : (رب ارنى انظر اليك انجح
 فى الاول) أى اجيب لابراهيم بقوله : خذ أربعة من الطير الآية (لوجود الشرط)
 فيما طلب (واعتذر فى الثانى) فيما طلبه أى جواب موسى بقوله : (ان ترانى ولكن انظر
 الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) (لفقده) أى لفقد الشرط وعدمه كما بينه
 قوله (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) (ولولا الانس) أى وجوده المقضى للانبساط
 لموسى عليه السلام (لعوتب) على ما صدر منه من السؤال والكلام (كما احترق
 قوم السكليم) عليه التسليم حيث قالوا (اربنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهم
 ينظرون) فالانبساط قد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهية ، ولكنه
 محتمل من أقيم مقام الانس كوسى عليه السلام ومن لم يقم فى ذلك المقام وتشبه بهم
 فى الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر بسببه كما فى قوم موسى .

ومثاله مناجات برخ الاسود الذي امر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسأله أن يستسقى لبني اسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين . وخرج موسى عليه السلام يستسقى بهم في سبعين الفا ، فوحي الله اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم دنوبهم ، وسراثرهم خبيثة ، يدعوني على غير يقين ، ويأمنون مكري ، ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له ، فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرفه ، فبينما موسى يمشي ذات يوم في طريق اذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه ، فر موسى عليه السلام بنور الله فسلم عليه ، وقال ما اسمك ؟ قال اسمي برخ ، فقال أنت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا ، فقال في كلامه : ما هذا من فعالك ، ولا هذا من حبلك ، وما الذي بذلك ؟ انقصت عليك غيومك ؟ ام عاندت الرياح عن طاعتك ؟ ام نفذ ما عندك ؟ ام اشتد غضبك على المذنبين ؟ ألسنت كنت غفارا قبل خلق الخاطئين ؟ خلقت بالرحمة وامرت بالمطف ، ام ترينا انك تمتع ، ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة ؟ قال فابرح برخ حتى اخضلت بدر اسرائيل بالفطر ، وانبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب ، قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام ، فقال كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف انصفتي ؟ فهم موسى عليه السلام به ، فوحي الله اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلاث مرات ، وعن الحسن قال : احترقت اخصاص البصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق . وابو موسى امير يرمثذ بالبصرة فاخبر بذلك ، فبعث الى صاحب الحص ، فأتى بشيخ فقال له يا شيخ ما بال خصك لم يحترق ؟ قال اقسمت على ربي عز وجل لا يحرقه ، فقال أبو موسى إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون في امي قوم شعث رؤسهم دنسة ثيابهم لو اقساموا على الله لا برهم ، رواه ابن ابى الدنيا في كتاب الاولياء . قال الحسن ايضا : ووقع حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطف النار ، فقال له امير البصرة : انظر لا تحترق بالنار ، فقال اني اقسمت على ربي عز وجل لا يحرقني بالنار ، قال فاعزم عليها أن تطفأ فعزم عليها فطاشت . وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاق مدهوش ، فقال له ابو حفص : ما اصابك ؟ قال ضل حماري ولا املك غيره ، فوقف ابو حفص فقال : وعزتك لا اخطو خطوة حتى ترد عليه حماره ، قال فظهر الحمار في الوقت ، ومر ابو حفص رحمه الله . فهذا وامثاله يجري لذوى الانس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم . قال الجنيد : اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة لو سمعها العوام لكفروهم

وَالْأَعْلَى التَّرْكَ اسْتِغْنَاءَ كَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ وَالْقُرْبِ
وَهُوَ زَوَالُ كُلِّ مُعْتَرِضٍ وَهُوَ النَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ وَالْخَلْقُ

وهم يجدون المزيد في احوالهم وذلك يحتمل منهم ويليق بهم، واليه اشار القائل بقوله
قوم يخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له يا حسن رؤيتهم في عزماناهوا

ومن الانبساط قول موسى عليه السلام (ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء
وتهدى من تشاء) وقوله في الاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون وقومه فقال (ولهم
على ذنب فاحاف ان يقتلون) (والاعلى الترك) أى الاولى من المراتب في مقام
الانس هو ترك الانبساط في حضرة المولى (استغناء) عن السؤال في مراتب انتقال
الاحوال (لما كان له عليه السلام في تحويل القبله) حيث كان متأدبا في مقام الانس
والدلال فاكتمى بالحال عن السؤال تبعاً للخليل حيث قال: حسبي من سؤالي عليه بحالي، كما
يشير اليه قوله سبحانه وتعالى: (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضىها)
أى تحبها وتوهاها (والقرب) ايضا من آثار المحبة كما يشير اليه حديث ولا يزال
العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه (وهو) أى القرب (زوال كل معترض)
أى شاغل ومانع عن ذكره تعالى وفكره (وهو) أى المعترض انما هو (النفس) أى
المتابعة هواها ومطامعة مشتتها قال تعالى (افرأيت من اتخذ إلهه هواه) وورد
الله عبد في الأرض الهوى وقيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب (والشيطان)
لانه يدعو حربه الى الطغيان في الدنيا والى النيران في العقي ، ولان نسبة الاضلال
اليه ايضا قد تبعد عن حقيقة صفة الجلال فانه من أسباب الضلالة ، كما أن النبي
سبب الهداية فاضافة الهداية الى النبي في قوله (وإنك لتهدى الى صراط مستقيم)
بحاز و (إنك لاتهدى من أحببت) حقيقة ومن المجاز في جانب الاضلال قول الخليل
(رب انهن أضللن كثير من الناس) فإله سبحانه هو الهادى والمضل من يهد الله
فلا مضل له ومن يضله فلا هادى له، وهو يضل من يشاء وهو يهدى من يشاء، وهو
أعلم بالمتدين كما هو أعلم بالضالين (والخلق) لان مخالطتهم غالبا يدعو الى الغيبة
والبعد عن قرب الرب لاسيما حب الاهل والولد والاصحاب والاحباب والعقار
من البساتين والمنزهات من الدار في الديار حتى النوح بطيب أصوات الاطيار وروح

وَالدُّنْيَا ، وَكَأَلَهُ الْغَيَّةُ فِي رُؤْيَا فَعَلَهُ حَتَّى لَا يَرَى نَفْسَهُ فَاعْلَةٌ كَمَا وَرَدَ (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ) وَالْإِتِّصَالُ

نسيم الاشجار فبقدر أنسه وقربه الى غير الله يعد عن أنسه وقربه الى مولاه كما أنه لا يتقرب الانسان من المشرق الا ويبعد من المغرب بالضرورة بقدره الامان وصل الى مقام جمع الجميع بحيث لا تنحجب الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة (والدنيا) فان قطع علاقتها ودفع عوائقها وإخراج حب غير الله من القلب هو الموجب لقرب الرب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل أو الهواء ما لم يخل منه الماء (وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) وثال الحب المورث للقرب ان يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية في القلب مشغولة بغيره ، فبقدر ما يشتغل بغير الله وحبه وقربه ينقص منه حب الله ويبعد عن قرب ربه ، وبقدر ما يبقى في الاناء من الماء ينقص من الخل أو الهواء ويشير الى هذا التفريد والتجريد قوله سبحانه (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) وقوله (ان الذين قالوا ربنا الله) أى في مقام التوحيد (ثم استقاموا) على مقام التجريد وقدم التفريد بل هو معنى قولك لا اله الا الله أى لا معبود ولا موجود ولا مشهود سواه (وكأله) أى القرب (الغيبة في رؤيه فعله) أى غيبة العبد في رؤيه أفعال ربه (حتى لا يرى نفسه) أيضا (فاعلة) في الحقيقة (كما ورد) في التنزيل (وما رميت) خلقا أو حقيقة (اذ رميت) كسبا أو مجازا وقد سبق تحقيقه وتدقيقه .

وحاصل المرام في هذا المقام ان الحبيب هو القريب من الله ، والقريب من الله هو البعيد من صفات البهائم ونعوت الشيطان والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي أخلاق الرحمن فهو قريب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا وصار قريبا فقد تغير فربما يتوهم بهذا أن القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه من المحال بل لا يزال في نعوت الكمال وصفات الجمال والجلال على ما كان عليه في ازل الآزل فكلما كان العبد أكمل صفة واتم معرفة واثبت قوة في قهر النفس والشيطان صار أقرب الى الرحمن فنتهى الكمال لله وقرب كل واحد منه بقدر كماله في التخلق باخلاق الله وأفعاله (والاتصال) أيضا من آثار المحبة وليس المراد بالاتصال هنا ضد الانفصال ولذا

وَهُوَ الْمُكَاشَفَةُ وَالْمُشَاهَدَةُ كَمَا فِي قَوْلِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كُنَّا نَتَرَامَى اللَّهَ تَعَالَى فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مُعْتَذِرًا عَنْ تَرْكِ رَدِّ السَّلَامِ فِي الطَّوَافِ ، وَحَارَّةً كَمَا سَبَقَ ، وَمَا وَرَدَ «اعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» وَحُبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى الْعَبْدَ

قال (وهو) أى الاتصال يراد به (المكاشفة والمشاهدة) فى مقام المراقبة والمشاهدة أقوى من المكاشفة إذ يتصور وهم الخلاف فى المكاشفة بخلاف المشاهدة . والحاصل أن المكاشفة أول نتائج المجاهدة ، والمشاهدة نهاية المساعدة ويشير اليه قوله عليه السلام بعد ذكر الإيمان والاسلام « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك » وقبل المحاضرة ابتداء ، والمكاشفة بعده والمشاهدة انتهاء فالمحاضرة حضور القلب ، وقد يكون بتواتر البرهان وهو بعدد مراتب الستر وان كان حاضرا باستيلاء الذكر . والمكاشفة حضوره بنعت البيان غير مفتقر الى تأمل دليل وتطلب سبيل . والمشاهدة هى وجود الحق من غير بقاء تهمة وبلا ريبة فاذا صحا سماء الاسرار عن غيوم الاستار فشمس الشهود مشرقة من برج شوق الانوار ، كذا فى ارشاد المريدين ، وهو تفسير علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين .

عبارتنا شتى وحسنك واحد فكل إلى ذاك الجمال يشير

(كما فى قول ابن عمر رضى الله عنهما كونا نترامى الله تعالى فى ذلك المكان) أى تتكلف فى مشاهدته أو نجتهد حتى نصل إلى مرتبة رؤيته وميزة حضرته فى ذلك الحال الذى هو على الشان جلى البرهان ، وإنما قال هذا الكلام حال كونه (معتذرا عن ترك رد السلام) لبعض الصحابة الكرام (فى الطواف) أى فى حال طواف بيت الله الحرام (وحارئة) أى وثاقى قول حارئة للنبي عليه السلام (كما سبق) فى تحقيق المقام (وما ورد) أى وكما ثبت (اعبد الله) وهذا نقل بالمعنى ، والصواب أن ينقل بالمبنى وهو أن تعبد الله (كأنك تراه) وهذا أعلى مقام للعبد وأقصاه واما أدناه فكما يشير اليه آخر الحديث (فان لم تكن تراه فإنه يراك) وقد بسطنا القول فى شرح الاربعين وهو خير معين (وحبة الله تعالى العبد) أى للعبد أيضا من آثار محبة

وورد (يحبهم ويحبونه) «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ فَإِنْ أَحَبَّهُ الْحُبُّ الْبَالِغُ اقْتَنَاهُ فَإِنْ صَبَرَ عَلَى بِلَائِهِ اجْتَبَاهُ وَإِنْ رَضِيَ اصْطَفَاهُ» وورد «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا جَعَلَ لَهُ وَاعِظًا مِنْ نَفْسِهِ وَزَاجِرًا مِنْ قَلْبِهِ بِأَمْرِهِ وَنَهَاهُ

العبد لله سبحانه (وورد) في التنزيل ما يدل على ثبوت المحبة من الجانبين حيث قال (يحبهم ويحبونه) وفي تقديم محبهم إيمان إلى أن الأصل هو المحبة الإزلية الصمدية الموجبة لمحبة العبد المحبة الإبدية وورد في الحديث (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدًا ابْتَلَاهُ) بالمصائب على قدر ماله من المراتب فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل (فإن أحبه الحب البالغ اقتناه) واقتناه المال وغيره اتخاذه قنية ، فالمعنى اختياره من بين خلقه وجعله من خواص ملكه ، وفي رواية «فَقِيلَ وَمَا اقْتَنَاهُ؟ قَالَ لَمْ يَبْرُكْ لَهُ أَهْلًا وَلَا وَلَدًا» أي في قلبه فعلمة محبة الله أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره كما يشير إليه قوله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) رواه الطبراني وفي رواية «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ» (فإن صبر على بلائه اجتباه) في مقام ولائه (وإن رضى) باعطائه (اصطفاه) لمقام لقائه، وعن بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيتك يبتليك فاعلم أنه يريد أن يصفاك، والحديث الثاني ذكره صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرج له ولده في مسنده وقد يتوهم من المتن أنهما حديث واحد وليس كذلك كما بيناه (وورد) أيضا (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا) من عبيده (جعل له واعظا من نفسه) أي يبصره بعيوب نفسه ويعرفه طريق أنسه (وزاجرا من قلبه) بأمر ربه (بأمره) بالخير (ونهاه) عن الشر والحديث رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة باسناد حسن لكن بلفظ «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ» الحديث وله من حديث انس «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ بَصْرَهُ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ» وورد من حديث انس كما رواه الديلمي «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا لَمْ يَضُرَّهُ ذَنْبٌ» والثائب من الذنب كن لا ذنب له ثم تلا : إن الله يحب التوابين ، ومعناه أنه إذا أحبه تاب عليه قيل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وإن كثرت كما لا يضره الكفر الماضي قبل الإسلام وإن كبر. وقال عليه السلام «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يَحِبُّ وَمَنْ لَا يَحِبُّ وَلَا يَعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يَحِبُّ» رواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود . ولاحد وابن يعلى من حديث أبي سعيد من أكثر ذكر الله أحبه الله» وعن رابعة : من أحب شيئا أكثر

وَمَعْنَاهَا أَنْ يُبْلِيَهُ بِهِ فَلَا يَصْلُحُ لغيرِهِ كَمَا وَرَدَ (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) وَعَلَامَاتُهَا
كِتْمَانُهَا ، وَحُبُّ الْمَوْتِ

ذكره ، فذكر الله علامة لمحبة الله ومحبة العبد إياه . وفي الصحيحين « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » وقال زيد بن اسلم : ان الله تعالى يحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك ، ويؤيده انه ورد مثل هذا لاهل بدر (ومعناها) أى معنى محبة الله للعبد (ان يبلية به) أى من علامة حب العبد للمولى ان يبلية بالبلاء المورث لزيادة الولاء . واما علامة كونه محبوبا له سبحانه ان يتولى الله شأنه ظاهره وباطنه سره وجهه ، فيكون هو الميسر عليه والمدير لأمره ، والمزين لآخلاقه والمستعمل لجوارحه ، والمسدد لظاهره وباطنه ، والجاعل همومه ما واحدا من ذكر ربه ، والمبغض للدنيا في قلبه ، والموحش له من غيره ، والمونس له بلذة المناجاة في خلوته ، والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته . فانظر في تحقيق هذا المبني فما اليسر الدعوى وما عسر المعنى . وقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من نعيم اهل المحبة والمعرفة ، ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك . وقد جاء من بعض المتبحرين من المفسرين في قوله سبحانه (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) انهم هم الذين ادعوا المعرفة والمحبة من غير تحقق تلك الحالة (فلا يصاح) العبد (لغيره) أى لغير مولاه فيما قدره وقضاه (كما ورد) في التنزيل (واصطنعتك) أى اخترتك بالرسالة (لنفسى) أى لمعرفة ذاتي . وصفاتي .

(وعلاماتها) أى امارات محبة العبد لله ثمانية (كتمانها) لانه قد يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه في المبني ، وتنظم عليه العقوبة في العقبي وتنعجل عليه البلوى في الدنيا ، ويكون ذلك من الافتراء على الله من غير الامتراء (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) نعم قد تكون للمحب سكرة في حبه حتى تدهش عقله ولبه فيضطر الى اظهار حبه لربه ، والا فصدور الاحرار قبور الاسرار . ولقد قال بعض الابرار :

من اطلعوه على سرفتم به لم يامنوه على الاسرار ما عاشا

(وحب الموت) فانه سبب اللقاء ، ولذا قال عليه السلام « لن تروا ربكم حتى

وَالْإِطَاعَةُ وَالتَّلَذُّدُ فِي الْعِبَادَةِ

تموتوا » وقال حذيفة : حبيب جاء على فاقة لا افلاح اليوم من يذم . وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما : الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء ، والباطل خفيف وهو مع خفته وئىء فان حفظت وصيتي لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو مدرتك ، وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه . وكان الثوري وبشر الحافي يقولان : لا يكره الموت الا المرئى لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب . نعم من يكون في ابتداء مقام المحبة ليس يكره الموت بل يكره عجزه قبل ان يستعد للقاء ربه ، وعلامته المداومة على الطاعة واستغراق الهم في استعداد زاد المعاد ، وان يكون مؤثرا ما احبه الله على ما يحب نفس العبد بهواه ، فان من بقى مستمرا على متابعة الهوى فحبوبه ما بهواه ، بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

اريد وصاله ويريد هجرى فترك ما اريد لما يريد

(والاطاعة) أى بمدومة الطاعة قدر الاستطاعة ، فن احب الله لا يتبع هواه كما قال ابن المبارك :

تعصى الاله وانت تظهر حبه هذا لعمرى في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى من بديع المبني *

واترك ما اهرى لما قد هوته وارضى بما يرضى وان هلكت نفسى

(والتلذذ في العبادة) بالمواظبة على الذكر والمداومة على الفكر وكثرة التلاوة ،

فقد حكى عن بعض المريدين قال : كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في شدة الارادة ، فادمنت قراءة القرآن اياما ونهارا ، ثم لحقتنى فترة فانقطعت عن التلاوة . قال فسمعت قائلا يقول في منامى : ان كنت تزعم انك تحبى فلم جفوت كلامي ؟ اما ترى ما فيه من لطيف عتابي وشريف خطابي ، فانتبهت وقد اشرب قلبي تلاوة القرآن ، فبادرت الى حاله ، وقال ابن مسعود : لا ينبغي ان يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل ، وإن لم يكن يحب القرآن فلم يحب الله ، وقال سهل علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي عليه السلام وعلامة حب النبي حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زادها يبلغه الى العقبى . وعن مطرف ان المحب

لا يسأم من حديث حبيبه وأوحى الله الى داود عليه السلام : قد كذب من ادعى محبتي
 فاذا جنه الليل نام عني ، أليس كل محب يحب لقاء حبيبه ، فما أنا ذا موجود لمن طلبني ،
 وقال يحيى بن معاذ : من أحب الله أبغض نفسه ، أي لأنها مما سواه ، وقال أيضا من لم
 تكن فيه ثلاث خصال فليس به محب يؤثر كلام الله على كلام الخلق ، ولقاء الله على لقاء الخلق
 والعبادة على خدمة الخلق . ثم اعلم أنه ليس في الوجود غيره سبحانه في عين أهل الشهود
 من ذاته وصفاته ومصنوعاته ، ولذا ذكر عن الشيخ أبي سعيد الميمنى لما قرئ عليه
 قوله (يحبهم ويحبونه) قال بحق يحبهم فليس يحب الا نفسه ، على معنى أنه الكل وان ليس
 في الوجود غيره ، فمن لا يحب الا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه
 ذاته وتوابع ذاته من حيث انهم متعلقة بذاته فرواذا لا يحب الا نفسه ، كما أن العارف
 لا يحب جميع مصنوعات الله ومكنوناته الا من حيث آثار قدرته وانوار ذاته واسرار
 صفاته . وما ورد من الالفاظ في حبه عبارة يؤول منها ويرجع معناه الى كشف
 الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه ويشاهده بلبه ، والى تمكنه اياه من قربته ، والى ارادته
 ذلك به في ازاله ، محنة لمن جهل ازمى مهما اضعف الى الارادة الالهية الازلية التي اقتضت
 تمكين هذا العبد من سلوك طريق القرب الى الرب ، واذا اضعف الى فعله الذي يكشف
 الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحديث سببه الذي يقتضيه كما قال « لا يزال
 العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه » فيكون قرب بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع
 الحجب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه ، وكل ذلك فعل الله ولطفه به فهو
 معنى حبه . وجملة الكلام في هذا المقام ان حب العبد لله ثمرة حب ربه الازلى ، ونتيجة
 حب ربه الابدى . لحب العبد مكتنف بين حب الرب كما يشير اليه قوله سبحانه (يحبهم
 ويحبونه) مع قوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله) ثم لا يخفى ان مراتب الحب
 ومافيه من الدرجات انما تكون على قدر الطاعة والعبادات . ويدل على تفاوت المقامات
 ما روى ان ابا حذيفة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته
 قريش في ذلك وقالوا : انكحت عقيلة من عقائل قريش مولى ، فقال والله لقد انكحته
 اياها وانى لاعلم انه خير منها ، فكان قوله اشد عليهم من فعله ، قالوا فكيف وهى
 اختك وهو مولاك ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من اراد
 ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فليتنظر الى سالم ، كذا في الاحياء . وقال مخرجه
 لم اره من حديث حذيفة . وروى أبو نعيم في الحلية المرفوع منه من حديث عمر
 « ان سالما يحب الله حقاً من قلبه » في رواية « ان سالما شديد الحب لله عز وجل لو لم

وَالْمُصِيبَةِ ، وَالْحَرَصُ فِي الْخُلُوةِ ، وَالْمُنَاجَاةُ ، وَبُغْضُ الدُّنْيَا

يخف الله عز وجل ما عصاهم فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب غيره أيضا فلا جرم ان يكون تنعمه بقاء الله عند قدمه عليه على قدر حبه له وغناه بفرار الدنيا عند الموت على قدر حبه لها وتعلقه بها، وقد قال بعض العارفين: اذا كان الايمان في ظاهر القلب أحب الله حبا متوسطا واذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي، وقال الجنيد: الناس في محبة الله عام وخاص، فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه اليهم وكثرة نعمه عليهم فلم يتمالكوا ان أحبوه، الا أنهم تقل محبتهم وتكثر على قدر نعمتهم، قلت ويشير إلى ذلك قوله تعالى: (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) بل إيمانهم إلى رجائهم الجنة وخوفهم النار في دار القرار ومن هنا قال الشيلي لما سمع قوله تعالى: (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) ألعناين من يريد الله؟ وقد أجبت عن هذا في بعض مؤلفاتي (والمصيبة) أي والتلذذ في البلية لما يرى فيها من فعل المبتلى سواء يكون في مقام الصبر أو الرضاء أو الشكر (والحرص في الخلوة) عن الخلق دون الخلوة لأنها غالباً تمنع عن مشاهدة الحق وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة والتعم بمناجاته من دون الرياء والسمعة فمن كان المنام والاشتغال بكلام الدنيا الذ عنده من العبادة وأطيب من مناجاة الله فكيف تصح محبته؟ فعلامة الحب كمال الانس بمناجات المحبوب وكمال التعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما يبغض عليه الخلوة ويعوقه عن لذة المناجاة وعلامة الانس أن يصير العقل والفهم كله مشغورفا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة إلى بعضهم حتى كان في صلاته فوق الحريق في داره ولم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة أصابته وهو في الصلاة ولم يشعر بها، وعن الصديق من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه من جميع البشر (والمناجاة) أي والحرص في الدعاء والثناء والتناء في جميع الحالات والمقامات فيو اظب على التهجذ ويغتتم هدوء الليل وصفاء الوقت عن الخلق باققطاع العلائق وانفصال العوائق (وبغض الدنيا) بان لا يأخذ منها الا زاد العقبي من سلوك طريق المولى، وفي اخبار داود عليه السلام: لا تستأنس الى أحد من خلقي فاني إنما اقطع عني رجلين رجل استبطأ ثواني فاقطع ورجل نسيني فرضى بحاله وعلامة ذلك ان كله الى نفسه وأن ادعه في الدنيا حيران ثم مهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشا

وَالْوَحْشَةُ مِنَ الْخَلْقِ وَاتِّحَادُ اللَّهِ وَطَرِيقُهَا السُّلُوكُ فُورِدَ «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَى النَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ فَإِذَا أَحَبَّهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَقَلْبًا وَيَدًا وَرِجْلًا»

من الله ساخطا عن درجة محبته ، وفي قصة برخ وهو العبد الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام إن الله تعالى قال لموسى : إن برخا نعم العبد هو إلا أن فيه عيبا قال يارب وما عيبه ؟ قال يعجبه نسيب الاسنحار فيسكن اليه ومن أحبنى لم يسكن إلى غيري (والوحشة من الخلق) لأن محبة الله ومحبة غيره لا يجتمعان (واتحاد الهام) هم الدين لما ورد من جعل الهوم هما واحدا كفاء الله هم الدنيا والآخرة وقال بعض العارفين : إن الله تعالى عبداً أحبوه فاطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على كل ما فات فلم يشتغلوا بحظ أنفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم ثم حق الحب إذا رجع من غفلته في لحظة أن يقبل على محبوه ويشغل بالعتاب لنفسه ويسأله ويقول : يارب باى ذنب قطعت برك عني وأبعدتنى عن حضرتك وشغلتنى بنفسى وبمتابعة الشيطان ؟ (وطريقها) أى طريق تحصيل المحبة (السلوك) أى سير مسالك أهل الشريعة والطريقة والحقيقة من منازل السائرين ومراحل الطائرين وقد قيل : إن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق وفيه تنبيه نبيه على أن كل مخلوق له سر مع خالقه لا يطلع عليه إلا من هو أقرب منه اليه ، وعن هذا قال تعالى : (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ثم أقرب الطرق إلى الله تعالى هو المحبة وهى حاصلة بمتابعة الكتاب والسنة ومخالفة الهوى والبدة ، وتماه باجتنب السيئات ، من المحرمات والمكروهات ، واكتساب الطاعات من الفرائض والنوافل من السنن المؤكدة والمستحبات (فورد لا يزال العبد يتقرب إلى) أى بعد أداء الفرائض والواجبات والسنن الرواتب (بالنوافل) من الصلاة والطواف والذكر والفكر والثناء والدعاء وما استحسنة العلماء (حتى أحبه) حبا يليق بأرباب المناقب (فإذا أحبته) حبا ليغا (كنت له سمعا) يسمع بى (وبصرا) يبصر بى (وقلبا) يعقل بى (ويبدأ) يبطش بى (ورجلا) يتقوى بى رواه البخارى وغيره بالفاظ مختلفة ، فيستخرج ذلك من السالك صفاء ذكر ورقة قلب ودقة فكر يكفر عنه ماسبق من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد ذكر ربه وصفاء قلبه ومهمالم يراحب إلا المحبوب ولم ير شيئا إلا منة لم

يأسف على فقد المطلوب واستقبل الكل بالرضا بما وقع من القضاء ، وعلم أن المحبوب لم يقدر له إلا ما في خيرته ويتذكر قوله تعالى : (وعسى أن تذكرهوا شيئا وهو خير لكم) وله له عليه السلام قال في هذا المقام : «انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة فاستغفر الله سبعين مرة» كافي الصحيحين وإنما كان استغفاره من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى التقدم الثاني كما قيل : حسنات الابرار سيئات المقربين الاحرار ويكون ذلك عقوبة لأهل التوفيق على الفتور في الطريق والالتفات الى غير الحبيب والرفيق ، كما يروى عنه عليه السلام مما يروى عن ربه تبارك وتعالى انه قال : «في بعض الكتب المترلة ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا أثر شهوات الدنيا على طاعتي أن اسلبه لذة مناجاتي» فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم وأما الخصوص فيحبون عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون الى مظاهر من مبادئ اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا القوى من ذوى الاقدام الراسخة ، وقد سمع ابراهيم بن آدم قائلا يقول وهو في سياحته وكان على جبل لبنان :

كل شيء لك مغفوء رسوى الاعراض عنا قد وهبنا لك ما فاءت بقي ما فاءت منا
فاضطرب وغشي عليه فلم يبق يوما وليلة وطرات عليه أحوال وغلبة ثم قال سمعت
النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت وقد قدمنا ان درجات الحب
لانهاية لها في مقام القرب ، فحق العبد أن يجتهد في كل نفس ما يفيد حبا حتى يزداد فيه
قربا ، ولذا قال عليه السلام : «من استوى يوما فهو مغبون ، ومن كان يومه شران أمسه
فهو ملعون كذا في الاحياء وقال عجزه : لا أعلم هذا الا في مقام لعبد العزيز بن أبي رداد
قال : رأيت النبي عليه السلام في المنام فقلت : يا رسول الله أوصني فقال ذلك بزيادة
في آخره رواه البيهقي ولعل تلك الزيادة ما في بعض الروايات ومن لم يكن في زيادة
فهو في نقصان وقد قال الشيخ البستي :

زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران

وقال بعض العارفين : من عبد الله بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال
ومن عبده بالخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ، ومن عبده من طريق
المحبة والخوف أحبه الله تعالى وقربه ومكنه وعله فالحب لا يتخلو عن خوف ، والخائف
لا يتخلو عن محبة ، ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف
إلا يسير يقال هو في مقام المحبة وبعد من المحبين ويجعل في طريق السير من الطائرين
المجذوبين المحبوبين وقد قيل في وصف حال العارفين :

قريب الوجد ذو مرى بعيد على الأحرار منهم والعييد
لقد عزت معانيه فغابت عن الأبصار إلا للشهيد
غريب الوصف ذو علم غريب كأن قواده زبر الحديد
ترى الأعياد في الأوقات تجري له في كل يوم ألف عيد
وللأجباب أفراح بعيد ولا تجد السرور له بعيد
وكان الجنيد ينشد أياتا يشير بها إلى أسرار العارفين وإن ذلك لا يجوز إظهاره
للعافلين وهي هذه :

سرت بناس في الغيوب قلوبهم بما قد جابها الماجد المتفضل
عراسا بقرب الله في ظل عرشه تجول بها أرواحهم وتنقل
موارد دم فيها على العز والبا ومصدرهم عنها لما هو أكل
تروح بعز مفرد من صفاته وما كتبه أولى لديه وأعدل
سأ كنتم من على به ما يصونه وابتذل منه ما أرى الحق يبدل
فأعطي عباد الله منه حقوقهم وامنع منه ما أرى المنع أعدل
على أن للرحمن سرا يصونه إلى أهله في السر والصون أجل

فأمثال هذه المعارف التي أشير إليها لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا ينبغي أن يظهرها
من أن يكشف له شيء منها لمن لم ينكشف له عنها ، بل لو اشترك الناس فيها لخربت
الدنيا ولم تبقى على نظامها ، فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا وتتمامها ولذا قيل :
الغفلة عن الله رحمة ولولا الحق لخربت الدنيا بل لو أكل الناس الحلال أربعين يوما
لعمطت الدنيا لزهدهم فيها وذوهم عنها ، وبطلت الأسواق والمعاش منها .
ولو أكل العلماء من مال الحلال لاشتغلوا بأنفسهم لتحصيل الكمال ولوقفت الإلسنة
والأقلام عن كثير مما انتشر من العلوم بين الأنام ، ولكن الله فيما هو شر ظاهر حكم
وأسرار على ما لا يخفى كما أن له في الخير أسراراً وحكماً لا تحصى لانهائية الحكمة ولا غاية
لقدرته هذا ، وقد يظهر مقال السر على لسان العارف حال السكر فهو معذور لأنه
مقهور إذ ربما يشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه ، وقد يفيض القلب به فلا
يندفع فيضانه ولا ينطفى لمعانه ، فيقول القادر على كتابته :

فقالوا قريب قلت ما أنا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجرى
فألى منه غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب والشوق في صدرى

والعاجز عنه يقول :

تخفى فيدى الدمع أسرارہ ويطهر الوجد عليه النفس
ويقول أيضا :

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم
وكان صاحب البردة أخذ من هذه الزبدة في قوله :

أيحسب الصب أن الحب منكم ما بين منسجم منه ومضطرم
وقال بعض العارفين : أكثر الناس من الله بعدا أكثرهم إشارة به إلى مقام قرب به
وقد دخل ذو النون المصرى على بعض اخوانه عن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء
فقال : لا يحبه من وجد ألم ضرب به ، فقال الرجل : لكنى أقول لا يحبه من لم يتنعم بضر به ،
فقال ذو النون : ولكنى أقول لا يحبه من شمر نفسه بحبه ؛ فقال الرجل : استغفر الله
واتوب إليه أى من دعوى حبه . وقد قال أبو تراب النخشي في علامة الحب آياتاهاى

لاتخذ عن فالله محب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمسر بلاته وسروره في كل ما هو فاعل
فالنعم منه عطية مقبولة والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل ان يرى من عزمه طوع الحبيب وان الخ العاذل
ومن الدلائل ان يرى متبجعا والقلب فيه من الحبيب بلايل
ومن الدلائل ان يرى متفهما لكلام من يخطى لديه السائل
ومن الدلائل ان يرى متقشفا متحفظا من كل ما هو قائل

وقال يحيى بن معاذ الرازى في هذا المعنى من المبني :

ومن الدلائل ان تراه مشمرا في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه خوف الظلام فاله من عاذل
ومن الدلائل أن تراه مسافرا نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما ترى من دار ذل والتعم الزائل
ومن الدلائل ان تراه باكيا ان قد رآه على قبيح فعائل
ومن الدلائل ان تراه مسلما كل الامور الى الملك العادل
ومن الدلائل ان تراه راضيا بملكه في كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الوري والقلب محزون كقلب الثاقل

وَهُوَ بِلُزُومِ الْوُضُوءِ يُنَوِّرُ الْقَلْبَ ، وَالْخُلُوةَ فَهِيَ تَفَرِّغُ عَنِ الشَّوَاغِلِ ، وَالْأَوَّلَى أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتٍ مُظْلَمٍ ، أَوْ يَلْفَ رَأْسَهُ وَيَغْمِضَ عَيْنَهُ لَتَرُدَّ الْحَوَاسُ ، وَالسَّكُوتُ فَهُوَ يَلْقَحُ الْعَقْلَ وَيَقْوِي الْقُوَى ، وَالْجُوعُ وَالسَّهَرُ فَهُمَا يُنَوِّرَانِ الْقَلْبَ

(وهو) أى السلوك أو طريقه بلزوم عشرة أسباب تكون رفيقه (بلزوم الوضوء) أى الظاهرة الظاهرة (فهو) أى الوضوء وما فى معناه (بنور القلب) بسبب تأثير صفاء الظاهر لصفاء الباطن (والخلوة) أى وبلزومها عن الجلوة (فهى) أى الخلوة (تفرغ عن الشواغل) المانعة من تحصيل الفضائل وقد تقدم تحقيق بحث الخلطة والعزلة . ثم القوم يختلفون فى طرق سلوكهم ففهم من جعل مدار الخلوة على خلو القلب من غير ذكر الرب ومشاهدة الحق ولو كان فى جمع الخلق كما يشير إليه قوله تعالى: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) وهو طريق السادة النقشبندية والقادة الشاذلية ويقال فى حقهم انهم غريون قريون ، وكائنون بائون ، وعريشون فرشيون ومنهم من اختار الخلوة المعتارفة بينهم تهوينا للمبتدى وتسهيلا للمنتهى وكان المصنف منهم ولذا قال (والاولى أن يكون) السالك اذا ذكر (فى بيت مظلم) ضيق ليس فيه متاع إلا ما لا بد منه (أو يلف رأسه) اذا كان فى مسجد ونحوه (ويغضى عينيه) حال ذكره وفكره لاحين صلاته فانه مكروه على خلاف دأبه عليه السلام وسنته ، وانما يختار البيت المظلم للف الرأس وتغميض العين (لتركد الحواس) أى لتسكن وتستقر ، وفيه ان ما ذكر انما هو يسكن حاسة البصر ولعل إيراده بصيغة الجمع لتوارد النظر (والسكوت) أى وبلزومه من غير ذكر به فقد ورد من صمت نجاه « ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » ومن حسن إسلام المرأة تركه ما لا يعنيه » (فهو) أى السكوت المشتمل على الفكر (يلقح العقل) أى ينتج بآله (ويقوى القوى) من اللسان وما يتبعه من الجوارح والاركان (والجوع) أى وبلزومه للصيام أو للصبر على فقهه والا فهو ليس مطلوباً بنفسه ، ولذا ورد فى دعائه عليه السلام « وأعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع » فانه إذا اشتد عن حده يكون شاغلا لصاحبه عن ذكر ربه وفكر حبه (والسهر) فى الذكر والفكر والعبادة والتلاوة ، وإلا فهو أيضا ليس بمطلوب فى حد ذاته (فهما) أى الجوع والسهر (بنوران القلب) اذا كان مشتغلا

بِتَقْلِيلِ دَمِهِ وَذَوْبَانِ شَحْمِهِ عَلَى الْإِعْتِدَالِ فَلَا فَرَاطُ شَاغِلٌ كَالْتَقْرِيطِ وَنَفَى
الْخَوَاطِرِ فَالْتِمِزُ شَاغِلٌ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ تَعَالَى فِي كُلِّ حَالٍ وَنَضَبٌ مُتَفَقِّدٌ يَبْلُغُ
الْقُوَّةَ الْحَلَالَ فَهُوَ الْأَصْلُ

بذكر الرب ﴿ بتقليل دمه وذوبان شحمه ﴾ فيكون مضيقا لمجرى الشيطان ودخوله
ووصوله فيختارهما ﴿ على الاعتدال ﴾ فيها ﴿ فالافراط ﴾ والمبالغة منهما ﴿ شاغل ﴾
عن العبادة ﴿ كالتقريط ﴾ والتقصير عن قدر الحاجة لأرباب الارادة وأصحاب السعادة
﴿ ونفى الخواطر ﴾ أى وبلزوم نفيها ودفعها إذا كانت مذمومة كما قال العارف ابن الفارض:

ولو خطرت لى فى سواك ارادة على خاطرى سهوا حكمت بردى

أى بارتدادى عنه مقام مال وحال ودادى وهذا اذا استقرت الخواطر ولم تكن من العواطر
والافلا عبرة لها وأشار اليها بقوله ﴿ فالتميز ﴾ بين الخاطر الالهى والملكى والشيطانى
والنفسى ﴿ شاغل ﴾ للسالك عما هو بصدد من حصول ذكره ووصول سيره فى مقام
حبه ﴿ والتسليم ﴾ أى وبلزوم التسليم والتفويض ﴿ له تعالى فى كل حال ﴾ من جميع
أموره الدنيوية والاخرية فيترك تدبيره واختياره فى جميع أحواله الى مآذره الحق له فى
ازله ﴿ وانصب متفقدا ﴾ أى وبلزوم تعيين خادم متفقدا لوازمه ﴿ يبلغ القوت الحلال ﴾
أى يوصل اليه ما كوله ومشروبه من مال الحلال ولا فشبّه أقرب اليه من الحرام
فان هذا الزمان زمان الشبهات وفقدان الحلال الصرف من الطيبات ﴿ فهو ﴾ أى الحلال
﴿ الأصل ﴾ فى محافظة الاعمال والأحوال فإشير اليه قوله تعالى: ﴿ يا أيها الرسل كلوا
من الطيبات واعملوا صالحا ﴾ وقوله سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون ﴾ فقدم اكل الحلال على صالح الاعمال ،
وقد امر الله المؤمنين بما امر به المرسلين اشعارا بان هذا شان السالكين من السابقين
واللاحقين ، ولان الحلال يثبت ثواب عبادة لم يفعلها الشخص ، والحرام يبطل ثواب
عبادة فعلها . وتوضيحه شخص تعب فى النهار بسبب كسب الحلال ، وكانت له وظيفة
عبادة فى الليل من الاعمال ، فقات منه العمل بسبب فتور البدن وظهور الكسل . فلا
شك انه يثاب على تلك العبادة بسبب تحسين النية فى الارادة . ومن اكل الحرام اولبس
الحرام وترك المنام وقام الليل كله بالصلاة وسائر انواع العبادة لا يقبل منه ، كما ورد
من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة مادام عليه منه شيء .

وَتَرَكَ غَيْرَ الْفَرَائِضِ وَالرَّوَاتِبِ وَالذِّكْرِ الدَّائِمِ مُسْتَقْبَلًا مَعَ الْحُضُورِ بِاللِّسَانِ قِيلَ
هُوَ اللَّهُ وَوَرَدَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

رواه الامام احمد عن ابن عمر . بل قوله تعالى : (انما يتقبل الله من المتقين) يعلم اكل
الحرام وسائر المحرمات على الانام (وترك غير الفرائض) القطعية والظنية (والرواتب)
أى وغير السنن المؤكدة للصلوات الخمس ، وهذا لزوم بالنسبة الى المبتدى حيث
الافضل فى حقه مجرد الذكر ، وأما نسبته الى المتوسط فالادل فى حقه التلاوة ،
وبالنسبة الى المنتهى الصلاة لانها جامعة للذكر والتلاوة واعمال الجوارح واختلاف
الحالة كما فى عوارف المعارف (والذكر الدائم) أى ولزوم الذكر على سبيل الدوام
(مستقبلا) لبيت الله الحرام (مع الحضور) أى حضور القلب فى مشاهدة الرب ، واعله
اراد بالحضور هنا مجرد نفي الغفلة ، وأما الذكر قائما يكون (باللسان) أى بلسان البيان او
بلسان القلب والجانان او بالجمع بينهما وهو اكل ، وان كان الذكر الخفى افضل لقوله تعالى
(واذكر ربك فى نفسك) وهو يحتمل أنه اراد به الحفية عن الخلق واخفى منها وهى السر مع
الحق كما لا يخفى ، وكذا ما ورد « خير الذكر الخفى » وورد « ان الذكر الذى لا تعلمه
الحفظة افضل مما تعلمه بسبعين ضعفا » فلذا اختاره النقشبندية لتسليك المريدين فى أمر ونهم
بان يلصقوا لسانهم الى حنكهم ، ويقولون بلسان قلوبهم : لا اله الا الله ويشيرون
فى (لا اله) الى نفى ما سوى الله ، وفى (الا الله) الى اثبات ذاته وصفاته ، ويريدون بالكلمة
معنى لا اله معبودا وموجودا ومشهودا بحسب مراتبهم وتفاوت منافعهم . واما
أهل الذكر الجلى باللسان فيشيرون بالنفى الى جانب اليمين ، وفى الاثبات الى جانب
اليسار وهو القلب . وهذه كلها اصطلاحات للمشايخ الكبار واختيارات لهم فى مقام
الاطهار والاسرار ، والافا ثبت عن النبى المختار تلقين ذكر ولا اعطاء خرقه ولا طريق
مضائقه ، انما الثابت بالتواتر الصحة ومتابعة الكتاب والسنة . اذا عرفت هذا
(قيل) افضل الذكر (هو الله) لانه المقصود لاسواه ، الا انه لا يحصل التوحيد
فى مقام التفريد اذ اثبات وجوده لاشك لاحد فى شهوده ، ولذا (قالت رسلهم أفى الله
شك) وقال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) فلا بد
من كلمة التوحيد لتحقيق صفة التفريد ؛ وقد اضر جميع الانبياء والرسل بذلك لاتباعهم
واشياعهم (وورد) عن نبينا ﷺ (افضل الذكر لا اله الا الله) تمامه ووافضل
الدعاء الحمد لله « لما رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر

وَقِيلَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، فَوَرَدَ الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَآلِ عِمْرَانَ
وَهُمَا يَشْتَرِكَانِ فِيهِ

مرفوعاً (وقيل لا اله الا هو الحي القيوم) وهو لا ينافي ما تقدم لما فيه من زيادة الى
القيوم ، ولانه آية من القرآن دالة على التوحيد مع زيادة البرهان ، فالحي الازلي الابدی
يشير الى ان غيره لا يصلح للالوهية ، لانه اما لاحيائه اوحياته حادثة ، والقيوم هو
الذي يقوم بذاته ويقوم غيره باظهار صفاته من قدرته وأرادته وحكمته في مصنوعاته ،
وفي هذا تلويح الى بطلان ما يقوله الوجودية من المعية في المراتب الشهودية حيث
قال ابن العربي : سبحان من اوجد الاشياء وهو عنها ، وقد وقع التناقض في عين
كلامه المنافي لمرامه ، فانه سبحانه اذا اوجد الاشياء واحدها كيف يتصور ان يكون
عنها ، فما للتراب ورب الارباب ، فهو ابعده من قوله من قال بالاتحاد في مقام الاتحاد
والله رؤف بالعباد (فورد) في بعض الروايات تقوية لما تقدم (الاسم الاعظم)
ثابت (في آية الكرسي) أى في اولها (وآل عمران) أى في صدر سورتها (وهما
يشتركان فيه) أى في وجود لفظ الله لا اله الا هو الحي القيوم فيهما دون غيرهما من
السور ، فانها خالية عنهما . والحديث رواه ابو داود والترمذى وابن ماجه وابن ابى
شعبة عن اسماء بنت يزيد مرفوعاً بلفظ « اسم الله تعالى الاعظم في هاتين الآيتين : والاسم
اله الواحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ، وفاتحة آل عمران : الم الله لا اله الا هو الحي
القيوم) والظاهر انه في الآيتين كلتيهما معا على سبيل الاجتماع ، ويحتمل الانفراد ، وكذا
الكلام فيما ورد من حديث ابى امامة « اسم الله الاعظم في ثلاث سور : البقرة وآل
عمران وطه » قال القاسم النابغى : فالتستة فوجدته انه الحي القيوم لوجوده فيها :
ويؤيده حديث اصحاب السنن الاربعة وغيرهم « ان الاسم الاعظم ياحى ياقيوم ، وهو
المناسبت لما تقدم والله اعلم . وأما ما اورده المصنف فما رأيت في حديث ثم في المستدرك
للحاكم عن سعد بن ابى وقاص « اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل
به اعطى لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين » وهو دعوة ذى النون
يونس عليه السلام ، ويؤيده قوله سبحانه (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك تتجى
المؤمنين) وقيل هو هو حيث صدر به وختم به في قوله (هو الله الذى لا اله
الا هو) ويقال .

وَالْأَوَّلَى فِيهِ الْإِسْتِفَاءُ مِنَ الْقَلْبِ وَيُؤَظِّبُهُ حَتَّى تَسْقُطَ حَرَكَةُ اللِّسَانِ وَيَجْرَى دُونَ
اِخْتِيَارٍ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْقَلْبِ، ثُمَّ تَنْمَحِقُ الْحُرُوفُ وَيَبْقَى الْمَعْنَى ثُمَّ يَرْتَفِعُ الْعَدَدُ
وَتَصِيرُ حَالَةً مُسْتَدِيمَةً وَحِينَئِذٍ تَحْدُثُ الْمَحَبَّةُ فَلَا يُنْسَى الْمَذْكُورُ،

اعد ذكر نعمان لنا أن ذكره هو المسك ما كررته يتضرع
ومن هنا قبل أن في طمة الجلالة انواعا من الجمالة اذ لو حذف الله بقى الله والله
يسجد من في السموات ومن في الارض، واذا حذف لامه الاولى بقى لهوله ما في
السموات وما في الارض وله الحمد في الاولى والآخرة وله الكبرياء في السموات
والارض، واذا حذف لامه الثانية بقى هو لاله الا هو قل هو الله احد الى آخره
وهو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ليس شله شيء وهو
السميع البصير فسبحان من لا يعرفه ما هو الا هو، وقد جاء في الاسم الاعظم روايات
اخر كما بينته في شرح الحصن الحصين والجمهور على أن الاسم الاعظم هو الله وقد قال
القطب الرباني السيد عبد القادر الجيلاني: أن الله هو الاسم الاعظم لكن بشرط أن
تقول الله وليس في قلبك سوى الله، ومن هنا قال شيخ مشايخنا الشيخ أبو الحسن
البحراني قدس الله سره السري في اول حزه استغفر الله عما سوى الله وتمتعه بعض
علماء الظاهر حيث لم يعرف الله ولا ماسواه وقد شرحت في جوابه وبينت القول
بصوابه (والاولى فيه) أي في المختار من الاذكار (الاستفتاء من القلب)
فيختار ما يلهمه الرب (ويؤاظبه) ليلا ونهارا وسرا وجهارا (حتى تسقط حركة
اللسان) أي تلفتها (ويجري) الذكر على اللسان (دون اختيار) أي من غير
تكلف تذكار واحضار (ثم يرجع) الذكر (الى القلب) أي ينتهي اليه
ويستولى عليه (ثم تمنحى) وتنمحي (الحروف) من المبني (ويبقى المعنى
ثم يرتفع العدد) من المائة والالف ونحوها مما لا بدله من احضار المبني (وتصير)
مداومة تصور الذكر (حالة مستديمة) دالة على رتبة مستديمة (وحينئذ تحدث
المحبة) وتظهر المودة (فلا ينسى المذكور) في حال من احوال الذكر كالاكل
والشرب والحلاطة والعزلة والسكوت والكلام واليقظة والنمائم فقد قال المحبة دوام
الذكر ويؤيده حديث من أحب شيئا أكثر ذكره، وقال سفيان المحبة اتباع صاحب
النبوة ويؤيده آية: قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني والله در القائل

ثُمَّ يَغِيبُ عَنْ مُشَاهَدَةِ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا حَتَّى عَنْ النَّفْسِ وَعَنْ مُحَاضَرَاتِهَا
فِي الْمَذْكُورِ وَهُوَ الْقُرْبُ ، ثُمَّ يَغِيبُ عَنِ الذِّكْرِ أَيْضًا فِي شُهُودِ الْمَذْكُورِ وَهُوَ الْفَنَاءُ
ثُمَّ يَحْدُثُ الْإِتِّصَالُ وَيُشَاهَدُ مَا يُشَاهَدُ لظُهُورِ النُّورِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الشَّوَاغِلِ

عجبت لمن يقول ذكرت ربى وهل انسى فاذاكر ما نسيت
أموت اذا ذكرتك ثم أحيا ولو لا حسن ظنى ما حييت
فأحيا بالمنى وأموت شوقا فكم أحيا عليك ولم أموت
فليت خياله نصب لعينى فان قصرت فى نظرى عمت
شربت الحب كأسا بعد كأس فا نقد الشراب ولا رويت

وقال ابن الجلاء: أوحى الله الى عيسى عليه السلام انى اذا طلعت على سرعبدى فلم اجد
فيه الدنيا والآخرة ملائته من حجبى وتوليت بحفظى (ثم يغيب) الذاكر (عن)
مشاهدة جميع الاشياء ظاهرا وباطنا (فى مكثوناتها من ارضها وسماواتها) حتى عن
النفس (وجودها واجزائها) وصفاتها (أى وعن شهود صفاتها الذميمة والمحمودة
وسائر حالاتها) (و) يغيب (عن محاضراتها فى المذكور وهو القرب) أى المأثور
عن الجمهور ، فمن الخواص المحبة نحو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات
(ثم يغيب) الذاكر (عن الذكر) أى عن وجوده وشهوده (أيضا)
كما غاب عما عداه من المسطور (فى شهود المذكور) أى حضوره بطريق الفرح والسرور
(وهو الفناء) فى بحر النور (ثم يحدث الاتصال) وهو كال البقاء فى القرب
الناشئ من جمال الحب (ويشاهد) الذاكر (ما يشاهد) من عالم الوصال (لظهور
النور) من اشعة الجمال ولمعة الجلال فى مقام الكمال (والغفلة) أى والغفلة
والذهول (عن الشواغل) والموانع من حصول الوصول إلى تحقيق الفروع والاصول
وقالت رابعة العدوية يوما: من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية لها حبيبنا معنا ولكن
شغل الدنيا عنه قطعنا ، وكانته ما خوذ من قوله تعالى : وهو معكم اين ما كنتم . وقوله
شغلنا اموالنا واهلونا . وقال السرى: من احب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش
والاحق يغدو ويروح بلاش والعاقل عن عيوبه قناش وكانته مقتبس من قوله تعالى ،
(فلنحتينه حياة طيبة) وقال هرم بن حبان اقول المؤمن اذا عرف ربه احبه واذا احبه
اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة

وَيَصِيرُ مِنْ مُلُوكِ الدِّينِ • وَقَدْ انْتَهَى الْكِتَابُ مُتَحَلِّي الْمَقْطَعِ بِالْدَّعَاءِ

بعين الرغبة وبقي بحمده في الدنيا وبروحه في العقبى مع المولى في المقام الاعلى واما قال الشبلى اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود ذكرى للذاكرين وجنتى للمطيعين وزيارتى للمشتاقين وانا خاصة للمحبين (ويصير) اذا ذكر حينئذ (من اولك الدين) ومن الائمة المجتهدين ومشايخ المسلمين ووحيد عصره وفريد دهره بتوفيق ربه وخير الملمين لتحقيق علم اليقين فكمل ايمانه واسلامه واحسانه في عين اليقين واستغرق في بحر التوحيد ونهر التفريد وخاص في عين العلم وغاب عن عين غيره في زين الحلم فلنذكر بعض احوال المحبين فقد قال بعضهم لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب فكأنه اشار الى انه مجذوب ومطلوب وأنه بسبب لذته في خدمة محبوبه غير متعوب، ولما دخل الزوج البصرة قتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو اسألت الله عز وجل دفعهم فسكت ثم قال لله عباد في هذه البلدة لودعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل ولم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب الله وقيل لبشر باى شيء بلغت هذه المنزلة فقال كنت اقام الله حالى يعنى أسأله ان يكتم على ويخفى أمرى، وروى أنه رأى الخضر فقال له ادع الله لى فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدنى قال وسعها عليك فليل معناه سترها عن الخلق حتى لا يطلعوا عليها وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت إليها، وفي الاخبار أن الله تعالى اوحى الى انبيائه انما اتخذ الخلق من لا يفتقر عن ذكرى ولا يكون له هم غيرى ولم يؤثر على شيئا من خلقى وأن أحرق بالنار لم يجد لحرق النار وجما وأن قطع بالمنشار لم يجد لمس الحديد الما من لم يبلغ الى دارة غلبة الحب الى هذا الحد فن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب ووراء كمال الايمان ولا حصر لمقامات الايمان وتفاوته في الزيادة والنقصان والله المستعان ، وبما يؤيد هذا الشأن من البرهان ماروى أنه عليه السلام قال لاني بكر الصديق أن الله قد أعطاك مثل ايمان كل من آمن بى من أمتى واعطانى مثل ايمان كل من آمن بى من ولد آدم رواه الديلمى عن على (وقد انتهى الكتاب) الذى هو لب الباب لكل فصل وباب عند ارباب الالاب (متحلى المقطع) المشير الى أن • ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (بالدعاء

الْمَأْثُورُ اللَّهُمَّ أَنَا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغَنَى، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ
وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَدَعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَآخِرُ دَعْوَانَا

الْمَأْثُورُ (عن سيد الأبرار وسند الأخيار) (اللهم انا نسألك الهدى) بالإيمان
(والتقى) عن العصيان (والعفاف) بالذكفاف للإنسان (والغنى) عن
الخلق في جميع الأحيان، والحديث رواه مسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود
بلفظ (اللهم اني أسألك الحديث، فقل ما ذكره رواية في المبنى أو قل بالمعنى، واختار
صيغة الجمع لندخل معه ويدخل معنا كما في قوله) (ونعوذ بك من علم لا ينفع) وهو
يحتمل احتمالين، أحدهما انه في نفسه لم يكن من العلوم النافعة كما يشير اليه ماورد ان
من العلم جهلا، وثانيهما أنه لم يكن ينفع صاحبه بالعمل به لما ورد اشد الناس عذابا
عالم لم ينفعه الله بعلمه ونعم ما قال ذو الحالة الفاخرة :

يامن تباعد عن مكارم خلقه ليس التفاخر بالعلوم الذائرة

من لم يهذب علمه اخلاقه لم ينفعه بعلومه في الآخرة

(وقاب لا يخشع) بان اسود بالنفلة ولم تؤثر فيه النصيحة والموعظة واسباب
المعرفة كما قال تعالى (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) وقال عز وجل (الم بأن
للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا
الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم) وقال عز وجل (ثم قست قلوبكم من
بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) (ونفس لا تشبع) من الدنيا فتكون حريصة عليها
ومقبلة بكليتها اليها أو كناية عن كثرة أكلها وعدم قناعتها بمقدار كفايتها (ودعاء لا يسمع)
أى لا يقبل في حال دعوتها والحديث رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر والطبراني في الأوسط عن
ابن عباس وزاد اللهم اني أعوذ بك من هؤلاء الأربع ورواه الحارث وابن أبي شيبة عن ابن
مسعود بلفظ (اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا
تشبع، وفي رواية لابن حبان وغيره عن أنس اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع
وقلب لا يخشع وقول لا يسمع وفي رواية لابي داود عن أبي هريرة اللهم اني أعوذ بك من
الأربع من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ودعاء لا يسمع ففي هذه
الروايات دلالة واضحة على عدم منع جواز السجود الصادر عن استقامة الطبع كما حكى أنه قيل
لصاحب المنازل اترك السجود فقال رجعت عما سجدت (وآخر دعوانا) بتوفيق مولانا

أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ
خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى أَتْقِيَاءِ أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ *

(ان الحمد لله رب العالمين) فيما أولا نافي أولانا وآخرانا وفيه إيماننا إلى قوله سبحانه أخبارا عن
أهل الجنة أن يقولوا فيها هذا الكلام وهو (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم
بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحييتهم فيها سلام
وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) وفيه تنبيه نبيه على أن آخر مقامات أهل
الجنة في درجات المعرفة والمحبة هو الرضاء والشار بمزيد النعمة وإزالة المحبة لما يرمى
إليه قوله سبحانه (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحانا
دار المقامة من فضله لا يمسننا فيها نصب - أي تعب - ولا يمسننا فيها الغوب - أي كلال وكسل ،
ووفر الحزن بأنواعه بحسب ما كان كل أحد مبتلى بفرد من أصنافه قليل حزن الفقراء
كرأ البيت أو التحويل منه أو حزن الفراق وحجابه وهو لأهل الاشتياق إلى مشاهدة الله ورفع
تقابه وهو أعلى مراتب أرباب الكمال وأعلى مناصب أصحاب الجلال المتزايد المترقى
ساعة فساعة إلى أزل الآزال والله سبحانه أعلم بحقائق الأحوال) (وسلام على عباده
الصالحين) من الأنبياء والمرسلين السابقين) (والصلاة على محمد رسول الله) سيد
الاولين والآخرين) (خاتم النبيين وعلى أتقياء أمتهم) من أهل بيته وصحابته
وأتباعهم وأشياعهم أجمعين) (إلى يوم الدين) أمين يارب العالمين ، وكان الفراغ
منه على يد مؤلفه رحم وغفر مع سلفه وخلفه آخر يوم الخميس المشرف على ليلة
الجمعة المسماة بليلة الرغائب من شهر الله المعظم رجب المرجب أحد الأشهر الحرم
من شهور عام أربعة عشر بعد الألف من هجرة خير البشر وشافع المحشر من
مكة الامنية إلى المدينة الامنية النازل فيها للمؤمنين أنواع السكينة • حامدا ومصليا

ومسلما ومفوضا ومتوكلا • وثمنا ومسلما • والصلاة والسلام

على سيد المرسلين وأفضل الخلق أجمعين • وعلى اله وأصحابه

وأتباعه إلى يوم الدين أمين أمين بحرمة سيد المرسلين

شرح

عین العلم وزیر الحکماء

مؤلف: العلامة والشيخ الفاضل الشيخ نور الدين
سيد علي بن سلطان محمد بن علي المروفي القاري
مطبعة النجف الاشرف سنة ١٣١٤ هـ

مكتبة الشفاة الدينية